I

كلاسيكيات كلمات

طرائف العرب

أدهم شرقاوي

"قس بن ساعدة"

طرائف العـــــرب

طرائف العرب

طرائف

أدهم شرقاوي
قسّ بن ساعدة

المجلد الأول

2021

kalemat

الإهداء

إلى صديقي . . ماجد مُقبل
العربيّ كبُنٍّ عدَن
الحكيم كمطلع قصيدة لزُهير
الوفيّ كرثاء للخنساء
العذب كغزل لابن أبي ربيعة
المرح كأبياتٍ لأبي نواس
أهديكَ هذا الكتاب عربون محبّة ووفاءٍ وتقدير

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على من بُعث رحمة للعرب والعجم ، أما بعد :

فهذا كتاب في طرائف العرب ، ولطالما كان العربُ أهل ظرف وفكاهة ، وقد سُئل سُفيان الثوريّ : هل المُزاح هُجنة ؟ فقال : بل هو سُنّة لقوله ﷺ : «أنّي لأمزحُ ولا أقول إلا حقاً» ! وما قوله صلى الله عليه وسلم للعجوز : لا يدخل الجنّة عجائز إلا ظُرفاً ومداعبة .

وعلى سُنته سار صحبه ، وقد سُئل النّخعيّ : هل كان أصحاب رسول الله يتضاحكون؟ فقال : نعم ، والإيمان في قلوبهم كالجبال الرواسي !

وقد كان نعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث ، وهو من أهل بدر ، من أكثر الناس مزاحاً ، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم : يدخل الجنة وهو يضحك !

وإذا كان المزاح في الكلام كالملح في الطعام ، فلا ننسى أن قليل الملح يضبطه ، وكثيره يفسده ، وقد أردتُ لهذا الكتاب أن يكون ملحاً ظريفاً !

وقد جعلتُه في ستة عشر باباً هي :

«طرائف الأعراب ، طرائف الخلفاء والأمراء ، طرائف الأطبّاء ، طرائف الأمثال ، طرائف الأنبياء والصحابة ، طرائف البخلاء ، طرائف الحمقى والمغفلين ، طرائف الصبية ، طرائف الشعراء ، طرائف الفقهاء ، طرائف العشاق ، طرائف النحاة ، طرائف المعلمين ، طرائف النساء ، طرائف المتسولين ، طرائف الفراسة» .

ولم ألتفتْ كثيراً في ترتيبها ، لأني رأيتُ أنها مواضيع مستقلة ، فلو سبقت طرائف الأطباء طرائف المعلمين فلا ضير ، ولو سبقت طرائف البخلاء طرائف الحمقى فلا ضير ، غير أني بدأتُ هذا الكتاب بالأعراب وختمته بالفراسة .

وقد خطر لي أولاً أن أجمع الطرائف وأرتبها ترتيباً زمنيا لا موضوعاتياً ، بحيث أضع طرائف العصر الأموي مثلا في باب ، والعباسي في باب وهكذا ، ولكني عدلتُ

عن هذا إذ وجدت في الأمر عشوائيّة ، فعدتُ والتزمتُ الترتيب الموضوعاتي .

ولم أكتفِ بنقل الطرائف وترتيبها في أبوابها فحسب ، وإنما ترجمتُ لأكثر من ألف شخصية وردت أسماؤها في هذه الطرائف ، بالإضافة لشرح مئات المفردات التي وجدت أنها تحمل صعوبة ما ولا غنى عنها لفهم الطرفة .

ولم يكن لي في هذا الكتاب من فضل غير الجمع والترتيب ، هذا تراثكم ، وأدبكم ، وظرفكم ، وقد جمعته لكم من ستين كتاباً من أمهات كتبكم هي :

١ . عيون الأخبار لابن قتيبة
٢ . المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي
٣ . الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني
٤ . العِقد الفريد لابن عبد ربه
٥ . العَمدة لابن رشيف
٦ . وفيات الأعيان لابن خلكان
٧ . عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أُصيبعة
٨ . ذمّ الملاهي لابن أبي الدنيا
٩ . بلاغات النساء لابن أبي طاهر
١٠ . أخبار الأذكياء لابن الجوزي
١١ . أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي
١٢ . أخبار الظُّراف والمتماجنين لابن الجوزي
١٣ . عقلاء المجانين للحسن بن محمد النيسابوري
١٤ . طوق الحمامة لابن حزم
١٥ . ثمرات الأوراق لابن حجة الحمويّ
١٦ . الدراري في ذكر الذراري لابن النديم
١٧ . أخبار النساء لابن القيم
١٨ . من تاريخ النحو لسعيد الأفغاني
١٩ . تزيين الأسواق بتفضيل أشواق العشاق لداود الأنطاكي
٢٠ . دولة النساء للبرقوقي
٢١ . المحاسن والمساوئ للبيهقي
٢٢ . طرائف الأطباء للحكيم راجي التكريتي

٢٣ . المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي
٢٤ . الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي
٢٥ . لطائف اللطف للثعالبي
٢٦ . يتيمة الدهر للثعالبي
٢٧ . البيان والتبيين للجاحظ
٢٨ . البخلاء للجاحظ
٢٩ . الفكاهة في الأدب العربي لأحمد الحوفي
٣٠ . ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري
٣١ . نوادر العشاق لإبراهيم زيدان
٣٢ . مصارع العشاق لجعفر السراج
٣٣ . الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب للسيوطي
٣٤ . الوافي بالوفيات للصفدي
٣٥ . أنباء نجباء الأبناء لمحمد بن ظفر الصقلي
٣٦ . أنيس الجليس للعابدي
٣٧ . المصون في الأدب لأبي هلال العسكري
٣٨ . أدبنا الضاحك لعبد الغني العطيري
٣٩ . من كل واد حجر لخير الدين العمري
٤٠ . أخبار جحا لعبد الستار فرّاج
٤١ . الأمالي لأبي علي القالي
٤٢ . بهجة المجالس للقرطبي
٤٣ . جمع الجواهر في الملح والنوادر للقيرواني
٤٤ . أعلام النساء لعمر كحالة
٤٥ . الكامل في اللغة والأدب للمبرّد
٤٦ . الأمالي للشريف المرتضى
٤٧ . الظرفاء والشحادون صلاح الدين المنجد
٤٨ . نهاية الأرب للنويري
٤٩ . آداب الصحبة للنيسابوري
٥٠ . فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عرب شاه

٥١ . الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة للأصبهاني
٥٢ . مجمع الأمثال للميداني
٥٣ . الطرق الحكمية لابن القيم
٥٤ . سير أعلام النبلاء للذهبي
٥٥ . السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان
٥٦ . قطف الثمر في موافقات عمر للسيوطي
٥٧ . الظرف والظرفاء للوشّاء
٥٨ . مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي
٥٩ . المخلاة للعاملي
٦٠ . المطالب العالية لابن حجر العسقلاني

هذا وقد بلغت صفحات الكتاب في الحجم العادي المتداولة فيه الكتب ما يزيد على ألفين صفحة ، فجعلنا الطبعة الأولى منه في جزئين ، ثم بعد نفاد الطبعة الأولى ارتأينا في دار كلمات –تحت نصح القراء– أن يكون في ثلاثة أجزاء ، دون التغيير في المحتوى ولا الترتيب ، وإنما توزيع مادة الكتاب على ثلاثة أجزاء بدل جزئين .

وقد قمتُ بهذا العمل معتقداً أني أخدم التراث العربيّ ، والأدب ، فإن كان اعتقادي في مكانه فأسأل الله حسن الجزاء ، وإن كان اعتقادي خاطئاً فإني أبرأ إلى الله من شر نفسي وكتابي .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

طرائف الأعراب

أنف أعرابي

قال أبو زيد : رأيت أعرابيا كأنّ أنفه كوز من عظمه ، فرآنا نضحك منه
فقال : ما يضحككم فوالله لقد كنت في قوم أنا الأفطس بينهم !

سورة المائدة

ذهب رجل إلى حفل فأطال معه أصحاب الحفل الحديث وتحدثوا في أمور القرآن ولم يطعموه شيئاً .
فذهب وهو : يقول حفظوا كل ما في القرآن إلاّ سورة المائدة !!

جواب الشيخ

جلس شيخ بين شابين فاتفقا أن يسخرا منه .
فقال أحدهم : يا شيخ أنت أحمق أم جاهل؟
فقال : أنا بينهما !!

قبِّل يدك

قال لمن حوله أوصيكم خيراً بزوجاتكم ولنتفق أن يقبّل كل منا يد زوجته عندما يعود إلى المنزل .
قال أحدهم : ولكن أنا لم أتزوج بعد .
قال : إذا قبّل يدكَ وجهاً وظهراً .

نومة الضحى

قيل لأعرابي : ما يدعوك إلى نومة الضحى؟
فقال : مبردة في الصيف ، مسخنة في الشتاء .

نصيحة

ذهب أحد الثقلاء إلى شيخ عالم مريض وجلس عنده مدة طويلة
ثم قال له : يا شيخ أوصني !
فقال له الشيخ : إذا دخلت على مريض فلا تطل الجلوس عنده

ثلاث جزى[١]

حدثنا ابن قتيبة[٢] قال : كان أبو العاج[٣] على حوالي البصرة ، فأتي برجل من النصارى ، فقال : ما اسمك؟

قال : بندار شهر بندار .

فقال : أنتم ثلاثة وجزية واحدة .

لا والله العظيم ، فأخذ منه ثلاث جزى .

حكم تبالة[٤]

وولي أبو العاج تبالة فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير ولاني بلدكم وإني والله ما أعرف من الحق موضع سوتي هذا ، ولن أوتى بظالم ولا مظلوم الا أوجعتهما ضربا . فكانوا يتعاطون الحق بينهم ولا يرتفعون إليه .

شعر رديء

أنشد رجل أبا عثمان المازني[٥] شعرا له ، ثم قال : كيف تراه؟

قال : أراك قد عملت عملا بإخراج هذا من جوفك ، لأنك لو تركته لأورثك الشك .

المُزوِّر الفطن

رأى رجل آخر على بعض زوارق الجسر ببغداد جالسا في يوم شديد الريح وهو يكتب رقعة ، فقال له :

ويحك ، في هذا الموضع وهذا الوقت؟! .

---

(١) جزي جمعُ جِزية .

(٢) أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري أديب فقيه محدث مؤرخ عربي . له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار ، وأدب الكاتب .

(٣) كثير بن عبد الله بن فروة بن الحارث بن حنتم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف .

(٤) موضع قديم ومن أشهر المواقع التاريخية في جنوب جزيرة العرب ، وتقع شمال غرب محافظة بيشة وتبعد عنها حوالي ٤٨ كم .

(٥) أبو عثمان المازني النحوي شيخ النحاة في زمانه .

قال : أريد أن أزوّر على رجل مرتعش ويدي لا تساعدني ، فتعمّدت الجلوس ههنا لتحرك الزورق بالموج في هذه الريح فيجيء خطي مرتعشا فيشبه خطّه .

غسل جماعي

وروي عن ضمرة بن شوذب قال : كان لأعرابي جارية فوطئها سرا ،
ثم قال لأهله : إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة ، فاغتسلوا ، فاغتسل هو واغتسل أهله .

كناية

قيل نزل أعرابي في سفينة ، فاحتاج الى البراز ، فصاح : «الصلاة الصلاة» .
فقربوا الى الشط ، فخرج فقضى حاجته ، ثم رجع فقال :
ادفعوا ، فصلاتكم بعد وقت .

الرسول والمرسل

حدثنا المدائني[١] قال : جاء رجل من أشراف الناس إلى بغداد فأراد أن يكتب إلى أبيه كتاباً يخبره فلم يجد أحداً يعرفه
فانحدر بالكتاب إلى أبيه وقال : كرهتُ أن يبطىء عليك خبري ولم أجد أحداً يجيء بالكتاب فجئت أنا به ودفعه إليه .

أويبلغني عنه أنه قبَّل رجلي

عن سعيد بن جعفر الأنباري قال : سمعت أبي يقول : غضب أبو الخيثم على عامل له
فكُلِّم في الرضاء عنه
فقال : لا والله أو يبلغني عنه أنه قبل رجلي .

(١) هو علي بن محمد المدائني ، مولى عبد الرحمن بن سُمرة القرشي ، أصله من البصرة ، سكن المدائن فنسب إليها ، وقد ولد في أوائل العصر العباسي سنة ١٣٥هـ ، وعاش نحو تسعين عاماً ، ومات سنة ٢٢٥هـ .كان أحد المتكلمين ، تتلمذ لمعمر بن الأشعث في علم الكلام ، ولكنه اشتهر بالأدب والتاريخ .

مقوم الناقة[1]

حدثنا المدائني قال : كان عبد الله بن أبي ثور والي المدينة فخطبهم فقال : أيها الناس اتقوا الله وارجوا التوبة فإنه أهلك قوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم .
فسموه مقوم الناقة وعزله عبد الله بن الزبير[2] .

تُجبى إليه ثمرات كل شيء

حكى أبو حامد المذكور قال : وقف سائل من هؤلاء الأنكاد علينا في جامع البصرة وفي المجلس جماعة فسأل وألح ، فقلت له [وقد ضجرت] : يا هذا نزلت بواد غير ذي زرع ، فقال : صدقت ولكن تجبى إليه ثمرات كل شيء ، فضحكت منه الجماعة ووصلته بشيء .

بين السارق والمسروق

دخل على أبي سعيد اللصوص فأخذوا كل ما في داره ، فلما مضوا حمل أبو سعيد البارية ومضى في أثرهم
فنظر إليه أحدهم فقال : أي شيء تصنع معنا ؟
قال : نطلب بيتاً نتحول فيه .
فضحك اللصوص وردوا عليه ما أخذوه منه .

مجون رجل

وصف أعرابيٌّ رجلاً ماجناً فقال : والله لو أبصرته عيدان القيان لتحرّكت أوتارها ، ولو رأته مومس لطار خمارها .

---

(١) أي وضع لها قيمة والمقصود هنا أنّه قدّر ثمنها .

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي (٢ هـ - ٧٣هـ) ، صحابي جليل وابن الصحابي الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وكنيته أبو بكر وأبو خبيب . استخلفه الخليفة عثمان بن عفان على داره فكان يقاتل الجند الذين دخلوا يقتلون عثمان حتى أصيب ، وهو خليفة من خلفاء المسلمين ولي الخلافة بعد يزيد بن معاوية تسع سنين حتى قُتل في الحرم المكي سنة ٧٣ هـ .

تهنئة أم عزاء ؟

سقط أحدب[١] في بئر ، فذهبت حدبته وصار آدر[٢] ، فدخل إليه جيرانه يهنئونه .

فقال : لا تفعلوا فالذي جاء شر من الأول .

وإن منكم إلا واردها

لما مات سليمان بن وهب[٣] لقي الناس عبيد الله بن سليمان يعزونه ، فأتاه بعض أولاد الأشراف ؛ فقال : مات سليمان ؟ قال : نعم! وقال : ومات أبو علي قبله ؟ قال : نعم ! قال : ومات أبوهما ؟ قال : نعم ! قال : هذا كما قال الله تعالى : ﴿وإنْ منكم إلا وارِدُها كان على ربك حَتْماً مقضيّاً﴾ ؛ ﴿فأوردهم النار﴾ ، «وبئس القَرار» .

أنت الطباخ !

عرض أبو خندف دوابه فأصاب فيها واحدة عجفاء[٤] مهزولة

فقال : هاتوا الطباخ

فبطحه وضربه خمسين مقرعة وقال له : ما لهذه الدابة على هذه الحال

قال : يا سيدي أنا طباخ ما علمي بأمر الدواب

قال : بالله أنت طباخ ! فلم لم تقل لي اذهب الآن فإذا كان غداً أضرب السائس ستين مقرعة يفضل عشرون فطب نفساً .

---

(١) الأحدب من كان عنده انحناء في الظهر .

(٢) انتفخَتْ خُصيتُه ، لتسرّب سائل في غِلافها .

(٣) سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي . وزير ، من كبار الكتاب ، من بيت كتابة وإنشاء في الشام والعراق ، ولد ببغداد ، وكتب للمأمون وهو ابن ١٤ سنة ، وولي الوزارة للمهتدي باللّه ، ثم للمعتمد على اللّه . ونقم عليه الموفق باللّه ، فحبسه ، فمات في حبسه .

(٤) عجفاء أي ضعيفة وتُجمع على عجاف كما في سورة يوسف ويصح فيها عجفاوات .

بعت جاري

كان أبو الأسود الدؤلي[1] مجاوراً لبني قشير وهم عثمانية وكانوا يرجمونه ، فإذا أصبح شكاهم ؛ فيقولون : ما نحن رجمناك ، الله تعالى رجمك .

فيقول : كذبتم يا فعلاء ، أنتم ترمون فتخطئون ولو كان الله رماني ما أخطأني ؛ ثم باع داره وانتقل عنهم .

فقيل له : أبعت دارك ؟

فقال : بل بعت جاري

بيت الماء لا يمتلئ !

قال قوم لغلام : املأ بيت الماء ، فنقل ماءً كثيراً وأبطأ عليهم

فقالوا : ما هذا الإبطاء ، فصعدوا إليه فإذا به يقلب الماء في بيت الماء

فقال : كلفتموني أن أملأ هذا وما أظنه يمتلئ في شهر .

أين الدجاجة الرقطاء ؟

قيل : إن رجلاً من السندية وهي على ستة فراسخ من بغداد ، جاز بدجاج ليبيعه قريباً من دجلة ، ببغداد

فأفلتت دجاجة ، فطلبها فلم تقع بيده ، فقال لها : اذهبي إلى القرية حتى أبيع الباقي

ثم جاء وباع البواقي ورجع إلى القرية وجعل يتفقد الدجاجة فلم يرها ،

فقال لزوجته : أين الدجاجة الرقطاء!

فقالت : لا أدري ، فقال : تركتها من بغداد لترجع إليكم فما جاءت ؟

---

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني ، (١٦ ق .هـ . -٦٩ هـ) ، من سادات التابعين وأعيانهُم وفقهائهُم وشعرائهُم ومحدثيهُم ومن الدهاة حاضرِي الجواب وهو كذلك نحوي عالِم وضع علم النحو في اللغة العربية وشكّل أحرف المصحف ، وضع النقاط على الأحرف العربية ، وِلد قبل بعثة النبي محمد ﷺ وآمن به لكنه لم يره فهو معدود في طبقات التابعين وصَحِب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي ولاه إمارة البصرة في خلافته ، وشهد معه وقعة صفين والجملومحاربة الخوارج .

لا تغادر البئر حتى أعود !

وذكر ابن حبيب أن أخاً لعثمان بن سعيد سقط في البئر ،
فقال أخوه : أنت في البئر؟
قال : أما تراني !
قال : لا تذهب حتى أجيئك بمن يخرجك

الأعراب والفالوذج

من أصناف الحلوى التي كانت شهيرة ويألف العرب أكلها «الفالوذج» وهي تعمل من الدقيق والماء والعسل . وحسبما جاء في المعاجم اللغوية فهي لفظة معربة عن «بالوذة» (بالوظة) . وطبقاً لرواة الحديث فإن النبي ﷺ كان يأكل الدجاج والفالوذ . وتشير أخبار العرب إلى أن أول من عمل الفالوذ في بلاد العرب «عبد الله بن جدعان» ، وكان سيداً شريفاً من مطعمي قريش كهشام بن عبد مناف فقد وفد هذا القرشي على كسرى وأكل لديه الفالوذ ، فابتاع من عنده غلاماً يصنعه وقدم به مكة فصنع الفالوذ ووضع موائده بالأبطح إلى باب الكعبة ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذ فليحضر .

واتفق أن حضر هذه الواقعة التاريخية الشاعر المعروف أمية بن أبي الصلت فسجل بأبياته أول وصف عربي للفالوذ أو الفالوذج وهو يمدح ابن جدعان فقال :

لكـــل قبيلـــة رأس هـــــاد ... وأنت الرأس تقدم كل هادي
له داع بمكـــة مشمعـــــل ... وآخـــر فوق دارته ينـــادي
إلى ردح من الشيزى مــلاء ... لباب البر يلبـــك بالشهـــاد

وكان لابن جدعان جفان يأكل منها القائم والراكب ويروى أن صبياً وقع في إحداها فغرق ، فضرب بها المثل في العظم . وسمع الحسن البصري من يعيب الفالوذ فقال : لباب البر ، بلعاب النحل بخالص السمن . ما عاب هذا مسلم قط . ثم تلى قوله تعالى : ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ .

وثمة طرائف تناقلتها المصادر العربية تدور جميعها حول الفالوذج .

منهما أنه قيل لأبي الحارث جمين : ما تقول في الفالوذج؟

فقال : وددت أن الموت والفالوذج اعتلجا في صدري إلى يوم القيامة! والله لو أن موسى لقي فرعون بفالوذج لآمن ولكن لقيه بعصا!! .

وجلس أعرابي على مائدة سليمان بن عبد الملك الأموي فأتى بفالوذج فأخذ الأعرابي يأكل منه بشراهة .

فقال سليمان : أتدري ما تأكل يا أعرابي؟

فقال بلى يا أمير المؤمنين ، إني لأجد ريقاً هيناً ومزدرداً ليناً وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه .

فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابي؟ فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ .

فقال الأعرابي : لا تصدق يا أمير المؤمنين ، فلو كان الأمر كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل .

وقيل لأعرابي على مائدة بعض الرؤساء : لم يشبع أحد من الفالوذج إلا مات .

فأمسك الرجل قليلاً يفكر ويقدر ، ثم ضرب فيه بأصابعه وقال : استوصوا بعيالي خيراً .

وجلس الغاضري يأكل فالوذج على مائدة يزيد بن عبد الملك الأموي فجعل الغاضري يأكل ويسرع ، فقال يزيد : أرفق بنفسك فإن الإكثار منه يقتل .

فقال الغاضري : منزلي على طريق المقابر ، وما رأيت جنازة قط قيل إن صاحبها مات من أكل الفالوذج .

وجلس أبو هفان الشاعر وأبو العيناء على مائدة فيها فالوذج حار ، فقال أبو هفان لأبي العيناء : هذا آخر مقامك من جهنم .

فقال أبو العيناء ، وكان حاضر الجواب : إن كان حاراً فبرده بشعرك .

وبعث رجل إلى مزبد المدني بفالوذج قليل الحلاوة : فقال مزبد : ينبغي أن يكون هذا الفالوذج قد عمل قبل أن يوحي ربك إلى النحل .

وكان أحمد بن خالد وزير المأمون العباسي مضرب المثل في الشراهة . وقد قيل أنه ولى رجلاً كورة

جليلة (مدينة) لأنه أهدى إليه خواناً من الفالوذج .

أما الشعراء فلم يهملوا أمر الفالوذج ، وقد قال أحدهم :

ولاطفه بالشهد المخلق وجهه ... وإن كان بالألطاف غير خليق

كأن اصفرار اللوز في جنباته ... كواكب تبر في سماء عقيق

يقول العسكري في وصف الفالوذج :

حمــــراء فـــي بيضـــاء فضيــــــة وظـــرف كافـــور وحشـــو الخلوق
يطـــــــوف الدهـــن بأرجائــــــه إطافـــة الدمـــع بجفـــن المشـــوق
كأنمـــــا اللـــــوز بحافاتـــــــه أنصــــاف در ركبــت في عقيـق

قدم قوم لأعرابي قريساً فأمعن في أكله .
فقيل له : يا أعرابي ؟ ما هذا ؟
قال : فالوذج ؛ إلا أنكم أحمضتموه .

غلظة الأعراب

قيل لأعرابي : لم إذا غضبنا على غلام لنا قلنا له : أباعك الله في الأعراب
قال : لأنا نطيل كدَّه ، ونعري جلده ، ونجيع كبده .

قميص الشيطان

رأى أعرابي سراويل في فلاة ، فأخذه يظنه قميصاً لم يعرف كيف يلبسه !! فمر يعدو ورماه ؛ فلقيه رجل فقال : ما لك يا أعرابي ؟ قال : أصبت قميصاً للشيطان ، وأخاف أن يلحقني فيقول : لم أخذت قميصي ؟

الأعرابي والدجال

كان المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أصيبت عينه عام غزوة مسلمة القسطنطينية ، وكان يطعم الطعام حيث نزل .
فجاء أعرابي فجعل يديم النظر إلى المغيرة ولا يأكل .
فقال له : ما لك يا أعرابي ؟
فقال : إنه ليعجبني كثرة طعامك ، وتريبني عينك .
قال : وما يريبك منها ؟
فقال : أراك أعور تطعم الطعام ، وهذه صفة الدجال .
فضحك المغيرة وقال : كل يا أعرابي فإن الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله .

أنا أعلم

ذهبت ثياب رجل في الحمام ، فجعل يقول : أنا أعلم ، أنا أعلم ، واللص

يسمعه ؛ ففزع وظن أنه قد فطن به ؛ فردها .
وقال له : إني سمعتك تقول : أنا أعلم ، فما الذي تعلم ؟
قال : أعلم أنه إن عدمت ثيابي مت من البرد .

مستميح ولص

زار رجل الخصيب بن عبد الحميد وهو أمير على مصر مستميحاً فلم يعطه شيئاً فانصرف . فأخذه أبو الندى اللص وكان يقطع الطريق فقال : هات ما أعطاك الخصيب .
قال : لم يعطني شيئاً ، فضربه مائتي مقرعة يقرره على ما ظن أنه ستره عنه .
ثم قدم على الخصيب بعد ذلك زائراً فلم يعطه شيئاً : فقال : جعلت فداك ! تكتب إلى أبي الندى أنك لم تعطني شيئاً لئلا يضربني ، فضحك ووصله .

قطعة من الليل

خرج مخنث في شدة الهاجرة ببغداد وهو وقت لا يتصرف فيه أحد ، فلقيه رجل فقال : لكم الليل ولنا النهار .
فقال : صدقت ، ولكن رأيت وجهك فظننته قطعةً من الليل .

في الأمر فسحة

مر سالم بن أبي العقار بمحمد بن عمران الطلحي وكان سالم أحد المجان فقال له سالم : هذه الشيبة والهيئة الحسنة والخضاب ، ولا تنزع عما أنت فيه !!
فقال : يا أبا سليمان ؛ إني لأهم بذلك ، فإذا مررت بمنزل ابن عمك طلحة بن بلال فرأيت على حاله لم يخسف به علمت أن في الأمر فسحة بعد .

الثقيل

قال أبو العباس المبرد[١] : ضاف رجلا قوما فكرهوه ،

(١) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد ينتهي نسبه بثمالة ، وهو عوف بن أسلم من الأزد .(ولد ١٠ ذو الحجة ٢١٠ هـ/٨٢٥ م ، وتوفي عام ٢٨٦هـ/٩٩٨ .

فقال الرجل لامرأته : كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه؟
فقالت : ألق بيننا شرا حتى نتحاكم اليه .
ففعلا ، فقالت للضيف : بالذي بارك لك في غدوّك غدا ، أينا أظلم؟
فقال الضيف : والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهرا ما أعلم .

جواد للهرب

جاء في الأثر أنه عرض على أبي مسلم الخولاني(١) جواد أصيل ،
فقال لقواده : لماذا يصلح هذا؟
فقالوا له : للجهاد في سبيل الله .
فقال : لا .
فقالوا له : فلماذا يصلح أصلحك الله؟
فقال : أن يركبه الرجل ويهرب من جار السوء؟

صلاة أعرابي

قام أعرابي يصلي وخلفه قوم جلوس ، فقال : الله أكبر ! أفلح من هب إلى صلاته ، وأخرج الواجب من زكاته ، وأطعم المسكين من نخلاته ، وحافظ على بعيره وشاته ؛ فضحك القوم . فقال : أمن هينمتي ضحكتم ؟ أشهد عند الله على عمتي أنها سمعت ذلك من فيّ مسيلمة .

وقام أعرابي وقد حضرت الصلاة فقال : حي على العمل الصالح ، قد قامت بالفلاح . ثم تقدم فكبر . وقال : اللهم احفظ لي حسبي ونسبي ، واردد علي ضالتي ، واحفظ هملي ، والسلام عليكم .

---

(١) هو عبد الله بن ثوب ، ويقال : ابن ثواب ، ويقال : ابن عبد الله ، ويقال : ابن عبيد ، ويقال : ابن عوف ، ويقال : ابن مسلم ، ويقال اسمه يعقوب بن عوف أبو مسلم الخولانى الدرائي الزاهد ، أدرك الجاهلية وسكن المدينة ثم نزح إليالشام فنزل بدارى وأصله من اليمن ، وقدأسلم في أيام رسول الله ﷺ ولكنه لم يلتق به ﷺ فهو مخضرم ودخل المدينة في خلافة الصديق

أعرابي في الحمام

دخل أعرابي الحمام فلما أحس بوهجه أنشأ يقول :

أُدخلت في بيت لهم مهندس قد ضربوه بالرخام الأملس
فسكّ سمعي واستطار نفسي وقلت في نفسي بالتوسوس
أدخلت في النار ولما أُرمس

الرداء الجديد

وهب سليمان بن أبي جعفر لأعرابي كساء شامية ؛ فلما أتى أهله وأبصره صبيانه تطايروا فزعاً من بين يديه ، وقالوا : لقد أصابت أبانا داهية ، فأنشد :

طرحت عمامتي ولبست تاجاً على عنقي له ذنبٌ طويل
تصايح صبيتي لمّا رأوه وقالوا جاء سعلاةٌ وغول

ذنبك لا ذنب الشيطان

صلّى أعرابي خلف رجل ، فلما قرأ أرتج عليه ، فلم يدر ما يقول ، فجعل يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ، يردّد ذلك مرارا ، فقال الأعرابي من خلفه : ما للشيطان ذنب الا أنك ما تحسن تقرأ .

جواب مفحم

قال نصر بن سيّار[١] : قلت لأعرابي : هل اتخمت قط؟

فقال : أما من طعامك وطعام أبيك ، فلا .

فيقال : ان نصرا حمّ من هذا الجواب أياما .

---

(١) نصر بن سيار الليثي الكناني آخر ولاة الأمويين على خراسان ، ولاّه هشام بن عبد الملك . توفي سنة ١٣١ هـ (٧٤٨ م) وكانت إقامته في مرو . كان نصر بن سيار آخر ولاة الأمويين على خراسان في أواخر العقد الثاني وأوائل العقد الأول من القرن الثاني للهجرة ، وكان والياً محنكاً حازماً . فاستشعر بوادر الانفجار ونذر الخطر وكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرةوالي العراق في تلك الأيام ، يعلمه في أبيات من نظمه ما شاع بخراسان من الاضطراب في العامين الماضيين ، ويحذره من خطورة الوضع ، ويصارحه أنه إذا استمر في التدهور ولم يعالج معالجة حازمة ، فأنه سيؤدي لا محالة إلى عاقبة وخيمة وكارثة عظيمة .

خطبة أعرابي

ولّى يزيد بن المهلب[1] أعرابياً على بعض كور خراسان فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر

وقال : الحمد لله ثم ارتج عليه فقال : أيها الناس إياكم والدنيا فإنكم لم تجدوها إلا كما قال الله تعالى :

وما الدنيا بباقيةٍ لحي وما حي على الدنيا بباقي فقال كاتبه : أصلح الله الأمير هذا شعر

قال : فالدنيا باقية على أحد

قال : لا

قال : فيبقى عليها أحد

قال : لا

قال : فما كلفتك إذن

استقللتها

وبلغنا أن بعض العرب خطب في عمل وليه فقال في خطبته : إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر .

فقيل له في ستة أيام فقال : والله أردت أن أقولها ولكن استقللتها .

أعرابي وغلامه

سأل أعرابي غلامه : أي يوم صلينا الجمعة في الرصافة؟ ففكر الغلام طويلاً ثم قال : أظنه الثلاثاء ياسيدي

---

(١) يزيد بن المهلب بن سراق بن صحيح بن كندة بن عمرو بن وائل بن الحارب بن العتك بن الأسد بن عمران بن عمرو (مزبقياء) بن عأمر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوف بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدي القحطاني (٣٥ هـ - ١٠٢ هـ / ٦٧٣ - ٧٢٠م) .

يكنى بأبي خالد : أمير ، قائد وأحد الشجعان الاجواد . ولي خراسان بعد وفاة أبيه المهلب بن أبي صفرة (سنة ٨٣ هـ) فمكث نحوا من ست سنين ثم عزله عبدالملك بن مروان برأي الحجاج (أمير العراقين في ذلك العهد) وكان الحجاج يخشى بأسه فلما تم عزله قام الحجاج بحبسه .

معرفة قديمة

حضر أعرابي مجلس قوم يأكلون ، فجلس يأكل معهم بغير استئذان ،
فقالوا له : هل تعرف منا أحدًا!!
قال : نعم .
قالوا : من هو؟
قال : هذا!! وأشار إلى الخبز

مزاح مبكٍ

عن نافع[1] قال : كان ابن عمر[2] يمازح جارية له فيقول : خلقني خالق الكرام وخلقك خالق اللئام . فتغضب وتصيح وتبكي ويضحك ابن عمر .

التمر والنوى

كان أعرابي يأكل التمر بنواه ، فقيل له :
أتأكل التمر بنواه ؟!
فقال : هكذا وزنوه عليَّ !

من حكم الأعراب

قيل لأعرابي : كيف تقول : استخذأت أو استخذيت ؟

(١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي الكناني مولى جعونة بن شعوب الليثي الكناني ، الإمام حبر القرآن وأحد القراء العشرة وإمام القراء في المدينة النبوية ، أصله من أصفهان ، ولد في حدود ٧٠ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان ويقال سنة بضع وسبعين . مدنيّ نسبة إلى مدنية رسول الله ، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة .

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، ويكنى بأبي عبد الرحمن ، صحابي جليل وابن ثاني خلفاء المسلمين عمر بن الخطاب وراوي حديث وعالم من علماء الصحابة . لم يشهد بدرًا وأُحد لصغر سنِّه ، وشارك في غزوة الخندق عندما سمح له النبي بذلك ، وهو ابن خمسة عشر عامًا ، وشارك في بيعة الرضوان . كان فقيهًا كريمًا حسن المعشر طيِّب القلب ، لا يأكل إلا وعلى مائدته يتيم يشاركه الطعام .

فقال : لا أقول هذا ولا ذاك .
فقيل له : لمَ ؟
فقال : لأن العرب لا تستخذي أبداً !

ذلك الفحل لا يقرع أنفه

تقول العرب في مديح الرجل الجلد ، الذي لا يفتات عليه بالرأي : «ذلك الفحل لا يقرع أنفه» . وهذا كلام يقال للخاطب إذا كان على هذه الصفة ، ولأن الفحل اللئيم إذا أراد الضراب ضربوا أنفه بالعصا .

وقد قال أبو سفيان بن حرب بن أمية[(١)] ، عندما بلغه من تزوج النبي صلّى الله عليه وسلّم بأم حبيبة ، وقيل له : مثلك تنكح نساؤه بغير إذنه؟! فقال : «ذلك الفحل لا يقرع انفه» .

صداقة

قصدَ رجلٌ صديقاً له فدقَّ عليه الباب ، فخرجَ إليه وسألهُ عن حاجته ،
فقالَ : عليَّ دين كذا وكذا ، فدخلَ الدار وأخرجَ إليه ما كانَ عليه ، ثم دخلَ الدّار باكياً ،
فقالت له زوجته : هلّا تعلَّلتَ حيث شقَّت عليكَ الإجابة ،
فقال : إنّما أبكي لأنّي لم أتفقد حاله حتى احتاج إليَّ أن سألني . . . .

شكلي وشكلك لا يتفقان

قال ابن وهب : أنا استثقل الكلام كما يستثقل حريث السكوت . كما قال ابن شبرمة لإياس بن معاوية : شكلي وشكلك لا يتفقان ، أنت لا تشتهي أن تسكت ، وأنا لا أشتهي أن أسمع .

---

(١) أبو سفيان وهو صخر بن حرب الأموي القرشي الكناني ، (٦٣ ق .هـ / ٥٦٠م - ٣٠ هـ / ٦٥٢م) سيد قبائل قريش وكنانة وأحد أشراف العرب وساداتهم في الجاهليةوصدر الإسلام ولد في مكة قبل عام الفيل بعشر سنين ، وأسلم يوم فتح مكة .

سرّ

سارّ رجل اعرابيا بحديث فقال له : أفهمت؟ قال : بل نسيت!

مشورة

قال أعرابي : ما غبنت قط حتى يغبن قومي .
قيل : وكيف؟
قال : لا أفعل شيئا حتى أشاورهم .

ألف حازم(١)

قيل لرجل من عبس(٢) : ما أكثر صوابكم!
قال : نحن ألف رجل ، وفينا حازم ونحن نطيعه ، فكأنا ألف حازم .

بلاغة أعرابيّ

قال ابو الحسن : سمعت أعرابيا في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وهو يقول : أما بعد فإنّا أبناء سبيل ، والضاء طريق ، وفلّ سنة ، فتصدقوا علينا ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت . أما والله إنّا لنقوم هذا المقام وفي الصدر حزازة ، وفي القلب غصة

قس بن ساعدة(٣)

كان قسّ بن ساعدة يفد عَلَى قيصر ويزوره فقَالَ له قيصر يوماً : ما أفضل العقل؟

(١) الحازم : سديد الرأي .

(٢) بنو عبس هم بطن من بطون بني ريث من غطفان بن سعد بن قيس عيلان الثلاثة وهي عبس وأشجع وذبيان وينسبون إلى عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان . أسلموا في زمن النبي محمد بن عبد الله انتشروا بعد الفتوحات الإسلامية في سائر البلاد العربية . من أشهر فرسانهم عنترة بن شداد وحربهم مع ذبيان في داحس والغبراء .

(٣) قُسُّ بن ساعدة بن حُذَافة بن زُفر بن إياد ، وقيل : قُسُّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن ايدعان بن النمر بن وائلة بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد من حكماء العرب قبل الإسلام . توفي حوالي عام ٦٠٠م الموافق ٢٣ قبل الهجرة .

قَالَ : معرفة المرء نفسه
قَالَ : فما أفضل العلم؟
قَالَ : وقوف المرء عند علمه ،
قَالَ : فما أفضل المروءة؟
قَالَ : استبقاء الرجل ماء وجهه ،
قَالَ : فما أفضل المال؟
قَالَ : ما قضي به الحقوق

نصيحة أعرابيّ لابنه

قال بعض العرب لولده : يا بني لا تزهدنَّ في معروف فإنَّ الدَّهرَ ذو صروف ، فكم من راغب كان مرغوباً إليه ، وطالب كانَ مطلوباً ما لديه ، وكن كما قال القائل :

وعُدَّ من الرَّحمن فضلاً ونعمةً ... عليكَ إذا ما جاءَ للخيرِ طالبُ
ولاتمنعنَّ ذا حاجةٍ جاء راغباً ... فإنّكَ لا تدري متى أنتَ راغبُ

تهديد بالله

ويروى أن رجلاً من قريش بعث إلى رجل منهم
وكان أخذ له غلاماً : يا هذا ،
إن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب ، فإما رددته ،
وإما عرضت اسمك على الله في كل يوم وليلة خمس مرات .

أسماء العرب

سأل العتبي أعرابياً : ما بال العرب سمّت أبناءها أسد ونمر وكلب وسّمت عبيدها مبارك وسالم ؟
قال : لأنها سمّت أولادها لأعدائها وسمّت عبيدها لأنفسها !

ما ترك الأعرابيّ لنا عذّراً

قيل إن بعض وفود العرب قدموا على عمر بن عبد العزيز[1] رضي الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون ثلاث

سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة أذابت العظم وفي أيديكم فضول أموال فإن كانت لنا فعلام تمنعونها عنا وإن كانت لله ففرقوها على عباده وإن كانت لكم فتصدقوا بها علينا ، إن الله يجزي المتصدقين

فقال عمر بن عبد العزيز : ما ترك الإعرابي لنا عذرا في واحدة

أتحبٌّ أن تموت

قال الأصمعي[2] عن أبي عمرو ابن العلاء[3] قال : قيل لرجل من بني بكر بن وائل قد كبر حتى ذهب منه لذة المأكل والمشرب والنكاح : أتحب أن تموت ؟

قال : لا ، قيل : فما بقي من لذاتك في الدنيا ؟

قال : اسمع العجائب

وأنشد يقول :

وهلك الفتى أن لا يراح إلى الندى

وأن لا يرى شيئا عجيبا فيعجبا

---

(١) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (٦١هـ/٦٨١م-١٠١هـ/٧٢٠م) ، هو ثامن الخلفاء الأمويين . ولد سنة ٦١هـ في المدينة المنورة ، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب ، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة ، وكان شديد الإقبال على طلب العلم . وفي سنة ٨٧هـ ، ولاّه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة ، ثم ضم إليه ولاية الطائف سنة ٩١هـ ، فصار والياً على الحجاز كلها ، ثم عُزل عنها وانتقل إلى دمشق . فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة قرّبه وجعله وزيراً ومستشاراً له ، ثم جعله ولي عهده ، فلما مات سليمان سنة ٩٩هـ تولى عمر الخلافة .

(٢) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي (١٢١ هـ- ٢١٦ هـ/ ٧٤٠ - ٨٣١ م) راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان .

(٣) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين المازني التميمي البصري (٦٨ أو ٧٠-١٥٤ هـ أحد القراء السبعة .

دعاء

ومن أحسن ما يُحكى أنَّ رجلاً كان مع بعض الصالحين ،فمرَّ على جماعة يشربون ويغنُّون ، فقال الرجل : يا سيدى ، ادع على هؤلاء المجاهرين بالمنكر . . قال : اللهمَّ كما فرَّحتهم في الدنيا ، فرِّحهم في الآخرة . . فبُهت الرجل ،فلم تمض مدة ، حتى اهتدى كل منهم وحسن حاله .

ورع خيّاط

ذهب أحد الأشخاص إلى الخياط ليخيط له ثوباً فلما استلم الثوب وجد فيه بعض العيوب فذهب إلى الخياط فقال له : إني وجدت في الثوب بعض العيوب فسكت برهة ثم بكى .

فقال الرجل للخياط : ما أردت أن أخذلك سوف آخذ الثوب بالعيوب ،

قال الخياط : والله ما لهذا بكيت ،و إنما أبكي لأني اجتهدت في خياطته وظهرت فيه كل هذه العيوب واجتهدت في عبادة ربي سبحانه فيا ويلي كم فيها من العيوب .

إيمان أعرابيّ

أسلم أعرابي وعاد إلى قبيلته ، فقالوا له : لمَ آمنت بمحمد؟ فقال : ما قال محمدٌ افعل وقال قلبي لا تفعل ، وما قال محمدٌ لا تفعل وقال قلبي افعل!

كيف أصبحتَ؟

قيل لأعرابي : كيف أصبحت؟

قال : أصبحت وأرى كل شيء مني في ادبار ، وإدباري في إقبال .

فاطر

يقول ابن عباس[1] ما كنتُ أدري معنى فاطر : حتى أتى أعرابيان يختصمان في

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، صحابي جليل ، وابن عم النبي محمد ، حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير وترجمان القرآن ، ولد ببني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان النبي محمد دائم الدعاء لابن عباس فدعا أن يملأ الله جوفه عِلماً وأن يجعله صالحاً . وكان يدنيه منه وهو طفل ويربّت على كتفه وهو يقول : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» .

بئر ، فقال أحدهما أنا فطرتها ، أي أنا ابتدأتها .

رد بليغ لمتكبّر

قال أعرابي لرجل رآه معجباً بنفسه : يسرني أن أكون عند الناس مثلك في نفسك ، وعند نفسي مثلك في الناس!

وصيّة

احتضر أعرابي فقال له بنوه : عظنا يا أبت .
فقال : عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنّوا إليكم وإن متّم بكوا عليكم .

صُحبة

قال أعرابي : اصحب من يتناسى معروفه عليك ويتذكر حقوقك عليه .

أدب مع الله

سئل أعرابي كان يسوق قطيعاً من الغنم بين يديه ، لمن هذا؟
فقال : هو لله في يدي!!

شخص يُستجاب دعاؤه

أتى رجل إلى أعرابي وقال له : هل تعرف شخص يستجاب دعاؤه؟
قال الأعرابي : لا . . ولكن أعرف من يستجيب

عقل

سئل أعرابي عن العقل
فقال : إن نهاك عقلك عما ينبغي شراؤه وما يجب الاستثمار فيه فأنت عاقل

اعتذار

قال أعرابي يعتذر من خطأ : «أقلني عثرتي ، وأسغني ريقي ، فإنه لابد للجواد من كبوة ، ولا بد للسيف من نبوة ،ولا بد للحليم من صبوة» .

خير الجلساء

قال أعرابِي : «خير الجلساء من إذا أعجبته عَجِب ، وإذا فكهته طَرِب ، وإذا أمسكت تحدث ، وإذا فكرت لم يلمْك» .

لو كان ثقة ما نمّ

غضب أعرابي من أعرابي فقال له :ما أغضبكَ مني؟
فقال له : شيء نقله الثقات عنكَ إليّ . .
فقال : لو كان ثقة ما نمّ !

نبيذ

قيل لأعرابي : مالك لا تشرب النبيذ ؟
قال : لثلاث صفاتٍ فيه لأنه : متلفٌ للمال ، مذهبٌ للعقل ، مسقطٌ للمروءة !

شتيمة

أعرضَ أعرابي عن شاتمه . . فقيل له : ما لَكَ لا ترد؟
فقال : والله لا أدخل في حربٍ الغالب فيها شرٌّ من المغلوب !

متى الساعة ؟

سأل أعرابي الرسول ﷺ : متى الساعة؟
فقال النبي : «وماذا أعددت لها؟»
«قال : حب الله ورسوله» .
فقال النبي : «أنت مع من أحببت»

حُسن الظن بالله

سمع أعرابي رجلاً يقول : «إنّ الله يتولّى محاسبة عباده بنفسه» .
فقال الأعرابي : «إن الكريم اذا تولّى شيئا أحسن فيه» .

فقه أعرابيّ

كان أعرابي يجالس الشعبي ويطيل الصمت ، فقال له يوماً : ألا تتكلم
فقال : أسكت فأسلم وأسمع فأعلم ؛ إن حظ المرء في أذنه له ، وفي لسانه لغيره

ما حرفتك

قال الأصمعي : قال لي أعرابي : ما حرفتك؟
قلت : الأدب ،
قال : نعم الشيء ، فعليك به ، فإنه ينزل المملوك في حد الملوك .

كيف أنت في دينك ؟

سُئل أعرابي : كيف أنت في دينك ؟
قال : أخرقه بالمعاصي ، وأرقعه بالاستغفار !!

تمر

قال بعض الأعراب في وصف حلاوة تمرهم :
لنا تمرٌ تضع التمرة في فمك فتبلغ حلاوتها إلى كعبك !

السّيد

سُئل أعرابي : من السيّد ؟ قال : «الذي إذا أقبل هابوه وإذا أدبر عابوه»

الظالم المظلوم

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحاسد ؛ حزن لازم ، ونفس دائم ، وعقل هائم ، وحسرة لا تنقضي .

نصيحة حاج

أراد رجل الحج فسلّم على شعبة بن الحجاج[1] فقال له : أما إنك إن لم تعدّ الحلم ذلا ، ولا السفه أنفا ، سلم لك حجك .

(١) أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد (٨٥ هـ-١٦٠ هـ) .

نجونا

سأل أعرابي الرسول ﷺ

قال : من سيحاسبنا يوم القيامة .؟

قال ﷺ : الله عز وجل

قال الأعرابي : نجونا ورب الكعبة

قال صلى الله عليمه وسلم : وكيف ذلك ؟

قال : لأن الله كريم إذا قدر عفا

على فراش الموت

مرض أعرابي فقيل له : إنك تموت

قال : إلى أين يُذهب بي؟

قيل له : إلى الله

قال : فما كراهتي أن أذهب لمن لم أر الخير إلا منه!

سوء اكتساب

وقف أعرابي على قوم يسألهم ،

فقالوا : من أنت؟ فقال : إن سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب .

فقه الصُحبة

قال أعرابي : «إنّ أعجز الناس من قصّر في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم» .

خير الزرع

خرج الحجاج إلى القاوسان فإذا هو بأعرابي في زرع فقال له : ممن أنت؟

فقال : من أهل عمان

قال : فمن أي القبائل؟

قال : من الأزد .

قال : كيف علمك بالزرع؟

قال : إني لأعلم من ذلك علما .
قال : فأي الزرع خير؟
قال : ما غلظ قصبه ، واعتمّ نبته ، وعظمت حبته ، وطالت سنبلته .
قال : فأي العنب خير؟
قال : ما غلظ عموده ، واخضر عوده ، وعظم عنقوده .
قال : فما خير التمر؟
قال : ما غلظ لحاؤه ، ودق نواه ، ورق سحاه .
أذكى النّاس
سئل أعرابي ، من أذكى الناس ؟
قال : الفطن المتغابي

وصيّة

قال أعرابي لولده : عليك بالأدب فانه يرفع العبد المملوك ويجلسه مجالس الملوك .

علامات الرجال

قال أعرابي : إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكاؤه على ما مضى من زمانه

درجات الكرم

قال أعرابي
السخاء هو : إعطاء الأقل وإبقاء الأكثر
أما الجود فهو : إعطاء الأكثر وإبقاء الأقل
وأما الإيثار فهو : إعطاء الكل من غير إبقاء شيء

الأيام البيض

سُئِلَ الحسنُ لأيِّ شيءٍ اِسْتُحِبَّ صومُ أيامِ البيض ؟
فقَال : لا أدري

فقال أعرابي في حلقته : لكنّي أدري

قال : وما هو ؟

قال : لأنَّ القمرَ لا ينْكسفُ إلا فيهنَّ فأحبَّ الله عزَّ وجلَّ .

أن لا يحدثَ في السَّماءِ أمرٌ إلا حدثتْ له في الأرض عبادة

خذوها من غير فقيه

سمع أعرابي قوله عز وجل ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ فقال : والله ما أنقذهم منها وهو يعيدهم فيها . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

دعاء

دعا أعرابي في طريق مكة فقال : هل من عائد بفضل ، أو مواسٍ من كفاف؟
فأُمسكَ عنه فقال : اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنَعجز ، ولا إلى النّاس فنضيع .

وصيّة

قيل لصبي أعرابي مات أبوه : لمن أوصى بك أبوك؟

رد : إن لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت .

جوار

قال أعرابي عندما مات ولده :

جاورت أعدائي وجاور ربــه　　　شتـــان جـــواره وجـــواري

فطرة سليمة

رأى أعرابي صخرةً تعبدها العرب وفوقها ثعلب ، فقام الثعلب وبال عليها!

فأنشد بفطرته :

أربٌّ يبولُ الثعلبـــــان برأســــه؟　　　لقــد هان من بالت عليه الثعالــبُ

عظة

قال شبيب بن شيبة[1] للمهدي : إن الله لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحد أخوف لله منك

عند من تُحب أن يكون طعامك[2]

وقيل لأعرابي عند من تحب أن يكون طعامك؟

قال : عند أم صبي راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذي رحم قاطع .

دعاء الأعراب

كان أعرابي يقول : اللهم اغفر لي وحدي

فقيل له : لو عممت بدعائك فإن الله واسع المغفرة

فقال : أكرهُ أن أُثقل على ربي !

**

قال ابن الأعرابي ، قيل لعبد الله بن عمر : لو دعوت الله لنا بدعوات

فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا!

فقال له رجل : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن . فقال : نعوذ بالله من الإسهاب

**

وقف أعرابي في بعض المواسم ، فقال : اللهم إن لك علي حقوقا فتصدق بها عليّ ، وللناس تبعات فتحملها عني ، وقد أوجبت لكل ضعيف قرى وأنا ضيفك ، فاجعل قراي في هذه الليلة الجنة

**

---

(١) شبيب بن يزيد بن أبي نعيم الشيباني رأس الخوارج بالجزيرة اجتمعوا عليه بعد مقتل صالح بن مسرح وبايعوه وقد كان فارس زمانه بعث لحربه الحجاج بن يوسف الثقفي خمسة قواد ، فقتلهم واحدًا بعد واحد ثم سار إلى الكوفة وحاصر الحجاج فيها .

(٢) أي من تُحب أن تُطعم من الناس .

ووقف أعرابي متَعَلِّقاً بأستار الكَعْبة رافعاً يَديه إلى السماء
وهو يقول : رَبّ ،
أتُرَاك مُعَذِّبَنا وتَوْحيدُك في قَلوبنا وما إخالُكَ تفَعل ،
ولئن فعلتَ لَتَجمعَنَّا مع قوم طالما أبْغضناهم لك .

**

نظر أعرابي إلى البدر في رمضان
فقال : سَمِنتَ فأهزلتني أراني الله فيك السلّ !

**

نظر أعرابي في سبع وعشرين من رمضان إلى الهلال
فقال : الحمد لله الذي أنحل جسمك كما أخمصت بطني

**

دعا أعرابي على عامل فقال : صبّ الله عليك «الصّادات يعني الصفع والصرف والصلب» .

**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل أعرابي المسجد والنبيّ صلّى الله عليه وسلم جالس ، فقام يصلي
فلما فرغ قال : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : «لقد حجّرت واسعا يا أعرابي»

**

خرج أعرابي في ليلة مظلمة فضلّ الطريق ثم طلع القمر فاهتدى فرفع رأسه للقمر
وقال : ماذا أقول لك؟ إن قلت حسنك الله فقد فعل . . وإن قلت رفعك الله فقد فعل

**

قال الأصمعي : «رأيت أعرابيا متعلقاً بأستار الكعبة يقول ؛ ياحسن الصحبة أتيتك من بُعدٍ فأسألك سترك الذي لا ترفعه الرياح ولا تخرقه الرماح»

**

مات لأعرابي بعير ، فقال : يا رب اصنع ما شئت ، فإن رزقي عليك !

**

أوقد أعرابي نارا يتّقي بها برد الصحراء في إحدى الليالي القارسة ، ولما جلس يتدفّأ ردّد مرتاحا : اللهم لا تحرمنيها لا في الدنيا ولا في الآخرة

ذم الممدوح

ذكر ناس رجلا بكثرة الصوم وطول الصلاة وشدة الاجتهاد ، فقال أعرابي كان شاهدا لكلامهم : بئس الرجل هذا ، يظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب

جودة التشبيه

حكى الصّولي[١] : حدّثنا ميمون بن مهران[٢] قال : كان معنا مخنّث يلقّب مشمشة- وكان أمّيّا- فكتب بحضرته رجل إلى صديق له كتابا ، فقال المخنّث : اكتب إليه :

مشمشة يقرأ عليك السلام ، فقال : قد فعلت- وما كان فعل- فقال : أرني ، فقال : هذا اسمك ، فقال : هيهات ، اسمي في الكتاب شبه داخل الأذن ، فعجبنا من جودة تشبيهه .

وصف

قال نضلة : مررت بكنّاسين أحدهما في البئر والآخر على رأس البئر ، وإذا ضجّة ، فقال الذي في البئر : ما الخبر؟ فقال : قبض على عليّ بن عيسى؟ فقال : من أقعدوا بدله؟

قال : ابن الفرات ، قال : قاتلهم الله ، أخذوا المصحف ووضعوا بدله الطّنبور .

---

(١) أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله ، نسبته إلى جده «صول تكين» ، الذي كان وأهله ملوكا بجرجان ، كان أحد العلماء بفنون الأدب ، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء . توفي في البصرة سنة ٣٣٥هـ .

(٢) ميمون بن مهران الرقي . أبو أيوب . من كبار العلماء والأئمة . كان مؤدب أولاد عمر بن عبد العزيز . استوطن الرقة ، وولاّه عمر بن عبد العزيز قضاءها . كان على مقدمة الجيش مع معاوية بن هشام بن عبد الملك عندما غزوا نحو قبرص سنة ١٠٧هـ .

أعرابي يعاتب ربه

قيل إن محمد بن علي المعروف بابن الحنفية[١]
قد رأى وهو يطوف في الكعبة أعرابيا عليه ثياب رثة
شاخصا نحو الكعبة لا يصنع شيئا ،
ثم دنا من الأستار فتعلق بها ورفع رأسه الى السماء وأنشأ يقول :

أما تستحي مني وقد قمت شاخصا ... أناجيك يا ربي وأنت عليمُ
فأن توردة عني يارب خفا وفروة ... أصلي صلاتي دائما وأصومُ
وإن تكن الأخرى على حال ما أرى ... فمن ذا على ترك الصلاة يلومُ
أترزق أولاد العلوج وقد طغوا ... وتترك شيخا والداه تميمُ

فدعا محمد به وخلع عليه فروة وعمامة وأعطاه عشرة آلاف درهم وحمله على فرس
فلما كان العام الثاني جاء الحاج وعليه وردة جميلة وحال مستقيم .
فقال له محمد : أنت الإعرابي الذي رأيته في العام الماضي بأسوأ حال
وأراك الآن ذا بزة حسنة وجمال ؟
فقال : إني عاتبت كريما فانخدع !

أعرابي على المنبر

ويروى أن المهلب[٢] ولى بعض الأعراب كورة بخراسان وعزل واليها فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اقصدوا لما أمركم الله به ، فإنه رغبكم في

(١) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ، فينسب إليها تمييزاً عن أخويه الحسن والحسين ، يكنى أبا القاسم ، حيث أذن رسول الله لولد من علي بن أبي طالب أن يسمى باسمه ويكنى بكنيته . ولد في خلافة عمر بن الخطاب سنة إحدى وعشرين للهجرة ، وهو أحد الأبطال الأشداء ، كان ورعاً واسع العلم ثقة له عدة أحاديث في الصحيحين .

(٣) المهلّب بن أبي صفرة الأزدي وكنيته أبو سعيد ، هو من ولاة الأمويين على خراسان . عينه الحجاج عاملا على خراسان عام (٧٨هـ – ٦٩٧م) وقام بفتوح واسعة فيما وراء بلاد النهر فقد قاد المهلب حملة استولى من خلالها على إقليم «الصغد» وغزا «خوارزم» وافتتح جرجان وطبرستان بذلك فرض سيطرة الدولة الأموية على أراض كثيرة فيما وراء النهر وكان لها أكبر الأثر في إثراء الحضارة الإسلامية .

الآخرة الباقية وزهدكم في الدنيا الفانية ، فرغبتم في هذه وزهدتم في تلك ، فيوشك أن تفوتكم الفانية ولا تحصل لكم الباقية فتكونوا كما قال الله تعالى لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت واعتبروا بالمغرور الذي عزل عنكم سعى وجمع فصار ذلك كله إلي على رغم أنفه وصار كما قال الله سبحانه وتعالى :

أبشري أم خالد . . . رب ساعٍ لقاعد

ثم نزل عن المنبر .

الباذنجان

قيل لأعرابي : ما تقول في الباذنجان؟

فقال : بطون العقارب وبذور الزقوم

فقالوا له : إنه يحشى باللحم فيكون طيبا

فقال لو حشي بالتقوى والمغفرة ما أفلح!

الغداء

قال بعضهم : كنا منقطعين إلى رجل من كبار أهل العسكر ، وكان لبثنا يطول عنده ، فقال له بعضنا : إن رأيت أن تجعل لنا إمارة إذا ظهرت لنا خففنا عنك ولم نتبعك بالقعود ، فقد قال أصحاب معاوية لمعاوية مثل الذي قلنا لك

فقال : أمارة ذلك أن أقول إذا شئتم .

وقيل ليزيد مثل ذلك فقال : إذا قلت على بركة الله .

وقيل لعبد الملك مثل ذلك فقال : إذا ألقيت الخيزرانة من يدي .

فأيّ شيء تجعل لنا أصلحك الله؟

قال : إذا قلت يا غلام الغداء .

لعل الله يرزقني الحج على يديك

قال أعرابي لآخر :

اصمت وإلا لطمتك لطمة تذهب بك إلى يثرب

فقال عززها بأخرى لعل الله يرزقني الحج على يديك

وما تلك بيمينك يا موسى؟

سرق أعرابي اسمه موسى صرة دراهم ، فدخل المسجد ليصلي
فقرأ الامام : «وما تلك بيمينك يا موسى»
فقال الأعرابي : والله إنك لساحر ، ثم رمى الصرة وخرج هاربا!

يقيدون الحجارة ويطلقون الكلاب!

دخل أعرابي بلدةً فلحقته بعض كلابها ، فأراد أن يرميها بحجر فلم يقدر على انتزاعه .
فقال : عجبا لأهل هذه البلدة يقيّدون الحجارة ويطلقون الكلاب!

أعرابي والخمر

عَنْ أبى عبيدة : أن أعرابياً دخل عَلَى بعض الأمراء وهو يشرب ، فجعل يحدثه وينشده ثم سقاه ، فلما شربها قَالَ : هي والله أيها الأمير ، أي هي الخمر ، فقَالَ : كلا ، إنها زبيب وعسل ، فلما قَالَ له قل فيها ، فقَالَ :

أتانا بها صفراء يزعم أنها زبيب فصدقناه وهو كذوب
وما هي إلا ليلةٌ غاب نجمها أواقع فيها الذنب ثم أتوب

رقية الثعالب

عض ثعلبٌ أعرابيا فأتى راقياً ، فقال الراقي : ما عضك؟
فقال : كلب ، واستحى أن يقول ثعلب
فلما ابتدأ بالرقية ، قال : واخلط بها شيئا من رقية الثعالب

العقرب

وجد أعرابي البرد فقيل له : هذا لكون الشمس في العقرب .
فقال : لعن الله العقرب فإنها مؤذية في الأرض كانت أم في السماء .

لا أذهب إلى ما أبغض

قيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟
فقال : والله إني لأبغض الموت على فراشي فكيف أمضي اليه ركضاً !

من نسج أضراسك

رأى أعرابي رجلا سميناً فقال له : إنّي أرى عليك قطيفةً من نسج أضراسك

مزبد ونافجة المسك

سرق مزبّد نافجة[١] مسك فقيل له : إن كل من غلّ يأتي يوم القيامة بما غل ، يحمله في عنقه ، فقال : إذا والله أحملها طيبة الريح ، خفيفة المحمل

مساومة في المنام

رأى أعرابي في منامه أن تاجراً يود شراء أغنامه الجُرْب بألف دينار ، ثم فتح عينيه فلم يجد شيئا ، فأغمض عينيه وقال : هات ثمانمئة .

الحمير تعرف بعضها

مر أعرابي بأشعب وهو يجر حماره فقال له الأعرابي مازحا : لقد عرفت حمارك يا أشعب ولم أعرفك

فقال أشعب : لا عجب فالحمير تعرف بعضها

شاهد الزور

يحكى أن أعرابياً أصلع ذهب ليشهد أمام القاضي ، فقال : لقد وقف شعر رأسي من هول ما رأيته ، فحبسه القاضي بتهمة الكذب وشهادة الزور

وازن بين الأمرين

شاهد أعرابي رجلاً أنيق الملبس يتصدّر مجلساً ويتكلم كلاماً ركيك اللغة والأسلوب .

فقال له : يا هذا ، تكلم على قدر ثيابك ، أو البس على قدر كلامك .

(١) وعاء المسك في جسم الظَّبي وهي سُرّة غزال المسك .

في جمال مفارقة القبيح

قدِم أعرابي من اليمامة
فقيل له : ما أحسن ما رأيت بها؟ قال : خروجي منها !!

وصف أعرابي

ذكر أعرابي رجلاً بقلّة الحياء فقال :
لو دُقّت بوجهه الحجارة لرضها ولو خلا بالكعبة لسرقها !!

أفطر خشية المعصية !

رؤى أعرابي يأكل فاكهة في نهار رمضان فقيل له : ما هذا؟
فقال : قرأت الآية «وكلوا من ثمره إذا أثمر» وخفت أن أموت قبل الإفطار فأموت عاصياً

يهجو أخاه

عَنِ ابن الأعرابي ، قَالَ ، قَالَ رجل لأخيه : لأهجونك
قَالَ : وكيف تهجوني وأبونا واحد وأمنا واحدة! فقَالَ :

غلامٌ أتاه اللؤم من شطر نفسه — ولم يأته من نحو أمٍّ ولا أب

قَالَ ، وقَالَ آخر يهجو أخاه :

أبوك أبي وأنت أخي ولكن — تفاضلت الطباع والظروف
وأمك حين تنسب أمّ صدق — ولكن ابنها طبعٌ سخيف
وقومك يعلمون إذا التقينا — من المرجو منا والمخوف

أنا أولى بنفسي !

مدح أعرابي نفسه فقيل له : أتمدح نفسك؟
فقال : أفأكِلها إلى عدو يشتمني ويذمني !!

رأي أعرابي

سُئل أعرابي : ما تقول في فلان؟

فقال : لو كان في بني إسرائيل حين أمرهم موسى بذبح بقرة لما ذبحوا غيره . .!!

فدية

قيل أن مزينة أسرت ثابتا أبا حسان الأنصاري ، وقالوا : لا نأخذ فداءه الا تيسا .
فغضب قومه وقالوا : لا نفعل هذا .
فأرسل اليهم أن أعطوهم ما طلبوا . فلما جاؤوا بالتيس قال :
أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم .
فسموا مزينة التيس ، فصار لهم لقبا وعبثا .

ذهب القليل وبقي الكثير

قال أبو محمد عبد الله بن علي المقري : دفن رجل مالا في مكان وترك عليه طابقا وترابا كثيرا ، ثم ترك فوق ذلك خرقة فيها عشرين دينارا ، وترك عليها ترابا كثيرا ومضى ، فلما احتاج الى الذهب كشف عن العشرين ، فلم يجدها ، فكشف عن الباقي فوجده ، فحمد الله على سلامة ماله . وانما فعل ذلك خوفا أن يكون قد رآه أحد ، وكذلك كان ، فانه لما جاءه الذي رآه وجد العشرين ، فأخذها ولم يعتقد أن ثمّ شيئا آخر .

اتقاء أعمى القلب

وقال بعضهم : خرجت في الليل لحاجة ، فاذا أعمى على عاتقه جرّة ، وفي يده سراج ، فلم يزل يمشي حتى أتى النهر وملأ جرّته وانصرف راجعا .
فقلت : يا هذا ، أنت أعمى والليل والنهار عندك سواء .
فقال : يا فضولي ، حملتها معي لأعمى القلب مثلك يستضيء بها ، فلا يعثر بي في الظلمة فيقع عليّ فيكسر جرّتي .

حسن الاحتيال

قال عبد الواحد بن ناصر المخزومي :
أخبرني من أثق به أنه خرج في طريق الشام مسافرا يمشي وعليه مرقعة ، وهو في جماعة نحو الثلاثين رجلا كلهم على هذه الصفة ، قال :

فصحبنا في بعض الطريق رجل شيخ حسن الهيئة ومعه حمار فاره يركبه ، ومعه بغلان عليهما رجل وقماش ومتاع فاخر ، فقلنا له :

يا هذا انك لا تفكر في خروج الأعراب علينا ، فانه لا شيء معنا يؤخذ ، وأنت لا تصلح لك صحبتنا مع ما معك .

فقال : يكفينا الله .

ثم سار ولم يقبل منا ، وكان اذا نزل يأكل استدعى أكثرنا فأطعمه وسقاه ، واذا عيي الواحد منا أركبه على أحد بغليه ، وكانت جماعة تخدمه وتكرمه وتتدبر برأيه ، الى أن بلغنا موضعا ، فخرج علينا نحو ثلاثين فارسا من الأعراب ، فتفرّقنا عليهم ومانعناهم .

فقال الشيخ : لا تفعلوا .

فتركناهم ، ونزل فجلس وبين يديه سفرته ، ففرشها وجلس يأكل ، وأظلتنا الخيل ، فلما رأوا الطعام دعاهم اليه ، فجلسوا يأكلون ، ثم حلّ رحله وأخرج منه حلوى كثيرة وتركها بين يدي الأعراب ، فلما أكلوا وشبعوا جمدت أيديهم وخدرت أرجلهم ولم يتحرّكوا .

فقال لنا : ان الحلو مبنّج ، أعدتته لمثل هذا وقد تمكن منهم وتمّت الحيلة . ولكن لا يفك البنج الا أن تصفعوهم ، فافعلوا فانهم لا يقدرون لكم على ضرر ونسير .

ففعلوا ، فما قدروا على الامتناع ، فعلمنا صدق قوله ، وأخذنا أسلحتهم وركبنا دوابهم وسرنا حواليه في موكب ، ورماحهم على أكتافنا ، وسلاحهم علينا ، فما نجتاز بقوم الا يظنونا من أهل البادية فيطلبون النجاة منا ، حتى بلغنا مأمننا .

اشترى موته

روي أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري(١) كان في حبس الحجاج ،

(١) أبو موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري خرج وخمسون نفرا من قومه من اليمن أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله محمد بن عبد الله بخيبر . وأرسله محمد ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن ، روي عن أبي بردة عن أبيه عن جده أن محمد بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وتطاوعا ولا تختلفا رقيق القلب والمشاعر كما وصفه نبي الإسلام محمد ﷺ .

وكان يعذبه ، وكان كل من مات من الحبس رفع خبره الى الحجاج ، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله ، فقال بلال للسجان : خذ مني عشرة آلاف درهم وأخرج اسمي الى الحجاج في الموتى ، فاذا أمرك بتسليمي الى أهلي هربت في الأرض ، فلم يعرف الحجاج خبري ، وإن شئت أن تهرب معي فافعل وعليّ غناك أبدا .

فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى .

فقال الحجاج : مثل هذا لا يجوز أن يخرج الى أهله حتى أراه ، هاته .

فعاد إلى بلال فقال : اعهد .

قال : وما الخبر؟

قال : ان الحجاج قال كيت وكيت ، فإن لم أحضرك اليه ميتا قتلني ، وعلم أني أردت الحيلة عليه ، ولا بد أن أقتلك خنقا .

فبكى بلال وسأله أن لا يفعل ، فلم يكن إلى ذلك طريق . فأوصى وصلّى ، فأخذه السجان وخنقه ، وأخرجه الى الحجاج فلما رآه ميتا قال :

سلّمه الى أهله .

فأخذوه ، وقد اشترى الموت لنفسه بعشرة آلاف درهم ، ورجعت الحيلة عليه .

ظالم أم مظلوم

قيل لأعرابي : أتحب أن تلقى الله ظالماً أم مظلوماً ؟

فقال : بل ظالماً

فقيل له : سبحان الله . . أتحب الظلم ؟!

فقال : وما عندي إذا أتيته مظلوماً وسألني : خلقتك مثل البعير الصمحمح ، ثم أتيتني تعصر عينيك وتشتكي ؟!

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها

دخل أعرابي من فزارة[1] على الأصمعي وهو يتعشى بعد المغرب .

فقال الأصمعي : هلم . . العشاء

فقال له : إني صائم .

---

(١) إحدى قبائل العرب .

فقال الأصمعي :
قد دخل الليل !
فقال له : أعلم ، ولكني وجدت صوم الليل أهون من صوم النهار ، وهم جميعاً واحد ، ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها !

في زيارة المريض

عاد رجل مريضاً فقال له : ما علتك ؟
قال : وجع الركبتين .
فقال له : والله لقد قال جرير بيتاً من الشعر ذهب مني صدره ، وبقي عجزه ، وهو قوله : وليس لداء الركبتين طبيب
فقال له المريض :لا بشرك الله بالخير ، ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه .

**

دخل أعرابي ، على مريض يعوده ، فلما خرج التفت إلى أهله وقال :
لا تفعلوا بنا كم فعلتم في فلان ، مات وما أعلمتمونا ، إذا مات هذا فأعلمونا حتى نصلي عليه .

**

دخل أعرابي على رجل وهو في النزع ، فقال : ابن كم أنت؟!
قال : في السادسة والثمانين ،
قال : أنت إذن أكبر من أبيك يوم مات

المجنون حتى يعقل !

جاء إلى الفقيه ابن عقيل[1] أحد الموسوسين وقال :

(١) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل (٤٣١ هـ - ٥١٣هـ/ ١٠٤٠-١١١٩) من بغداد ، العراق . شيخ الحنابلة ، امام علامة ، وصاحب تصانيف . من كبار الأئمة . قال ابن الجوزي فيه : هو فريد فنه ، وإمام عصره ، كان حسن الصورة ، ظاهر المحاسن وقال ابن الجوزي : كان ابن عقيل دينا ، حافظا للحدود ، توفي له ابنان ، فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه ، وكان كريما ينفق ما يجد ، وما خلف سوى كتبه وثياب بدنه ، وكانت بمقدار ، توفي بكرة الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمس مائة وكان الجمع يفوت الإحصاء ، قال ابن ناصر شيخنا : حزرتهم بثلاث مائة ألف .

إني أنغـمس في الماء مـرات كـثـيـرة ، ومع ذلـك أشك هل تطهـرت أم لا . . فـمـا رأيك في ذلك ؟

فقال ابن عقيل :

اذهب فقد سقطت عنك الصلاة .

فتعجب الرجل وقال :

وكيف ذلك ؟

قال ابن عقيل :

قـال النبي ﷺ : (رفع القلم عن ثلاث : المجنون . .) ومن ينغـمس في الماء مـرات كثيرة مثلك ويشك هل تطهر أم لا ، فهو بلا شك مجنون!

أفضل الأحاديث

لزم أعرابي سفيان بن عيينه[1] مدة يسمع منه الحديث ، ولما همّ بالانصراف قال له سفيان : يا أعرابي . . ما أعجبك من حديثنا ؟

قـال ثلاثة أحـاديث : حـديث عـائشـة رضي الله عنهـا عن النبي ﷺ أنه يحب الحلوى والعسل . وحديثه عليه الصلاة والسلام : إذا وضع العَشاء وحضرت العِشاء فأبدأوا بالعَشاء . وحديثها عنه أيضاً : ليس من البر الصوم في السفر .

اذكر اسم الله

نزل أعرابي ضيفاً على آخر فقدم له خبزاً وملحاً يأكلهما . ولما أكل سأله :

أشبعت يارجل ؟

فقال : لا لم أشبع !

فقال له الأعرابي المضيف : كيف تشبع وأنت لم تذكر اسم الله قبل أن تأكل !

---

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي إمام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع . وقد ولد في الكوفة سنة ١٠٧ هـ وتوفي ١٩٨ هـ . أجمع الناس على صحة حديثه وروايته . طلب العلم وهو غلام وروى الحديث عن الكبار ومنهم : الزهري وأبي اسحق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المكندر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقري والأعمش وعبد الملك بن عمير وغيرهم .

فقال : وكيف أذكر اسم الله على خبزك اليابس وملحك الخبيث؟!

رأيتك وأنت صغير

وقف أعرابي ذات يوم على قمة جبل عالٍ ، ونظر إلى أسفل فرأى رجلاً من هذا الارتفاع الشاهق ، وبدا كأنه طفل صغير ، فسارع إلى النزول ، ولم يكن الرجل قد ذهب بعيداً ، فلحق به وصافحه بحرارة ، فتعجب الرجل وقال له : أتعرفني ؟! فرد عليه الأعرابي : نعم . . لقد رأيتك وأنت صغير .

أمنية شحاذ

سئل أحد الشحاذين : ماذا تتمنى ؟

قال : أتمنى أن أقعد يوم القيامة بين الجنة والنار ، وكل من ينطلق إلى الجنة أطلب منه حسنة ، فيعطيني عرفاناً بفضل الله عليه ، ومن ينطلق إلى النار أطلب منه حسنة ، فيعطيني ليحسبها الله بعشر أمثالها فيخف عذابه !

كل امرئ سكينه في رأسه !

قعد أعرابي على مائدة المغيرة بن شعبة[١] . فراح ينهش جدياً مشوياً موضوعاً أمامه .

فصاح المغيرة : يا غلام ناوله سكيناً

فقال الأعرابي : كل امرئ سكينه في رأسه !

(١) أبو عبد الله هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي (. ـ ٥٠ هـ) ولد في ثقيف بالطائف ، وبها نشأ ، وكان كثير الأسفار ، أسلم عام الخندق بعدما قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك وفدوا معه على المقوقس في مصر ، وأخذ أموالهم ، فغرم دياتهم عمه عروة بن مسعود . لُقب أبو عيسى ، ويقال : أبو عبد الله . من دهاةالعرب وذوي آرائها وهو من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة والدهاء ، كان ضخم القامة ، عَبل الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين ، أصهب الشعر جعده ، وكان لا يفرقه .

قال عنه الطبري : كان لا يقع في أمر إلا وجد له مخرجاً ولا يلتبس عليه أمران إلا أظهر الرأي في أحدهما وقال عنه الحافظ الذهبي : «من كبار الصحابة ، أولي الشجاعة والمكيدة ، شهد بيعة الرضوان ، كان رجلا طِوالاً ، مهيبا ، ذهبت عينه يوم اليرموك ، وقيل : يوم القادسية .

المجنون وأبو حنيفة

دخل أعرابي مجنون يوماً إلى الحمام العمومي ، وكان بغير مئزر ، فرآه أبو حنيفة وكان جالساً يتبخر في الحمام ، فأغمض عينيه

فقال له المجنون : متى أعماك الله ياشيخنا ؟

قال أبو حنيفة : حين هتك الله سترك !

كثرة العيال

قيل لأعرابي وقد رأوه مغتماً : ماذا بك . . لم نرك هكذا ؟

فقال : سوء الحال وكثرة العيال .

فقيل له : لا تغتم . . فإنهم عيال !

فقال : صدقتم . . ولكني كنت أحب أن يكون الوكيل عليهم غيري!

لا تصم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك

جاء أعرابي إلى فقيه ، وقال له :أفطرت يوماً في رمضان .

فقال الفقيه : اقضِ يوماً مكانه .

قال : قضيت وأتيتُ أهلي ، وقد طبخوا عصيدة ، فسبقتني يدي إليها ، وأكلت منها .

فقال الفقيه :اقض يوماً آخر مكانه .

قال : قضيت وأتيت أهلي ، وقد طبخوا هريسة ، فسبقتني يدي إليها ، وأكلت منها .

فقال الفقيه : أرى أن لا تصم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك .

الفيل والبقرة

صلى أعرابي خلف إمام ، فقرأ الإمام سورة البقرة ، وكان الأعرابي في عجلة من أمره ففاته مقصوده . ولما كان من الغد ، بكر الأعرابي وذهب إلى المسجد ليصلي ثم يمضي إلى مقصوده ، فإذا بالإمام يقرأ بعد الفاتحة سورة الفيل ، فقطع الصلاة وولى وهو يقول : بالأمس قرأت البقرة ولم تفرغ منها إلا نصف النهار ، واليوم تقرأ الفيل ولا أظنك تفرغ منها قبل منتصف الليل

بال في بئر زمزم

روى الإمام ابن الجوزي[1] حادثة وقعت أثناء الحج في زمانه ؛ إذ بينما الحجاج يطوفون بالكعبة ويغرفون الماء من بئر زمزم قام أعرابي فحسر عن ثوبه ، ثم بال في البئر والناس ينظرون ، فما كان من الحجاج إلا أن انهالوا عليه بالضرب حتى كاد يموت ، وخلّصه الحرس منهم ، وجاؤوا به إلى والي مكة ، فقال له : قبّحك الله ، لِمَ فعلت هذا؟ قال الأعرابي : حتى يعرفني الناس ، يقولون : هذا فلان الذي بال في بئر زمزم!!

قسمة أعرابي

قدم أعرابي من أهل البادية على رجل من أهل الحضر ، وكان عنده دجاج كثير وله امرأه وابنان وابنتان فقال الأعرابي لزوجته : اشوي لي دجاجة وقدميها لنا نتغدى بها .

فلما حضر الغداء جلسنا جميعا ، أنا وامرأتي وابناي وابنتاي والأعرابي ، فدفعنا إليه الدجاجة ، فقلنا له : اقسمها بيننا ، نريد بذلك أن نضحك منه .

قال : لا أحسن القسمة ، فإن رضيتم بقسمتي قسمت بينكم .

قلنا : فإنا نرضى بقسمتك .

فأخذ الدجاجة وقطع رأسها ثم ناولنيه ، وقال الرأس للرئيس ، ثم قطع الجناحين وقال : والجناحان للابنين ، ثم قطع الساقين فقال : الساقان للابنتين ، ثم قطع الزمكي وقال : العجز للعجوز ، ثم قال : الزور للزائر ، فأخذ الدجاجة بأسرها !

فلما كان من الغد قلت لامرأتي اشوي لنا خمس دجاجات . فلما حضر الغداء قلنا : أقسم بيننا .

قال أضنكم غضبتم من قسمتي أمس .

---

(١) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بنمحمد القرشي التيمي البكري . فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم (٥١٠هـ/١١١٦م - ١٢ رمضان٥٩٧ هـ) ولد وتوفي في بغداد . حظي بشهرة واسعة ، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف ، كما برز في كثير من العلوم والفنون . يعود نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق . عرف بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره بواسط ، ولم تكن بالبلدة شجرة جوز سواها ، وقيل : نسبة إلى «فرضة الجوز» وهي مرفأ نهر البصرة .

قلنا : لا ، لم نغضب ، فاقسم بيننا .
فقال : شفعا أو وترا ؟
قلنا : وترا .
قال : نعم . أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ، ورمى بدجاجة ،
ثم قال : وابناك ودجاجة ثلاثة ، ورمى الثانية .
ثم قال : وابنتاك ودجاجة ثلاثة ، ورمى الثالثة .
ثم قال وأنا ودجاجتان ثلاثة . فأخذ الدجاجتين ، فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتية ، فقال : ما تنظرون ، لعلكم كرهتم قسمتي ؟ الوتر ما تجيء إلا هكذا .
قلنا : فاقسمها شفعا .
فقبض الخمس الدجاجات إليه ثم قال : أنت وابناك ودجاجة أربعة ، ورمى إلينا دجاجة .
والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهن بدجاجة .
ثم قال : وأنا وثلاث دجاجات أربعة ، وضم إليه ثلاث دجاجات .
ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله ، أنت فهمتها لي !

وفاء

كان الحارث بن عباد فيِ حرب ، وأراد ان يظفر بعدي بن ابي ربيعة ليثأر منه ، وبينما هو في الحرب أسر رجلاً ، فطلب منه أن يدله على عدي بن ابي ربيعة ، فقال له الاسير أتطلقني مِن أسري ان دللتك عليه؟ قال : نعم ، فقال أنا عدي بن أبي ربيعة! فأطلقه وفاءَ لوعده

أخاف أن يدركه الخشوع فيسجد !

كان رجل في دار بأجرة وكان خشب السقف قديماً بالياً
فكان يتفرقع كثيراً
فلما جاء صاحب الدار يطالبه الأجرة
قال له : أصلح هذا السقف فإنه يتفرقع
قال : لا تخف ولا بأس عليك فإنه يسبح الله
فقال له : أخشى أن يدركه الخشوع فيسجد

الموت خير لمن لا خير فيه

قيل لحكيم : أي الأشياء خير للمرء؟
قال : عقل يعيش به
قيل : فإن لم يكن
قال : فإخوان يسترون عليه
قيل : فإن لم يكن
قال : فمال يتحبب به إلى الناس
قيل : فإن لم يكن
قال : فأدب يتحلى به
قيل : فإن لم يكن
قال : فصمت يسلم به
قيل : فإن لم يكن
قال : فموت يريح منه العباد والبلاد

إصلاح العيب

اشترى أعرابي غلاماً ، فقالوا له :إنا نبرأ إليك من عيب فيه .
قال :ما هو ؟ قالوا :يبول في الفراش
قال : إن وجد فراشاً فليفعل

الأعراب والقرآن

صلى أعرابي خلف إمام فقرأ (إنا ارسلنا نوحاً إلى قومه) ثم وقف وجعل يرددها فقال الأعرابي : أرسل غيره يرحمك الله ، وارحنا وأرح نفسك .

ظننت أنك قد شككت في ربك فثبتك!

صلى الدلال يوما خلف الإمام بمكة فقرأ ((وما لي لا أعبدُ الذي فطرني وإليه تُرجعون)) فقال الدلال : لا أدري والله! فضحك أكثر الناس وقطعوا الصلاة فلما قضى الوالي صلاته دعا به وقال له : ويلك . ألا تدعُ هذا المجون والسفه !

فقال له : قد كان عندي أنك تعبد الله ، فلما سمعتك تستفهم ، ظننت أنك قد شككت في ربك فثبتك .

فقال له : أنا شككت في ربي وأنت ثبتني! اذهب لعنك الله ولا تعاود فأبالغ والله في عقوبتك

خمس سور

وقف أعرابي يسأل ، فقال له رجل : يا أعرابي هل لك في خير مما تطلب؟

قال : ماهو؟

فقال : اعلمك سورة من القرآن

فقال : لا والله إني لأحسن ما إن علمت لكفاني ،أحسن منه خمس سور ، فاستقراه فقرأ : الحمد ، والكوثر . وسكت

فقال الإمام : هذه اثنتان اين الثلاثة سور؟

قال : أني وهبتها لابن عمي وعلمته إياها ، ولا والله لا ارجع في شيء وهبته ابدا .

الغاشية

وسرق أعرابي غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الامام : هَلْ أَتاكَ حَديثُ الْغاشيَة فقال : يا فقيه لا تدخل في الفضول ، فلما قرأ : وُجُوهٌ يَوْمَئذٍ خاشِعَةٌ قال : خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج .

كلهم أعداؤنا

مر بعضهم بقارئ يقرأ «الم غلبت الترك في أدنى الأرض» فقال له «الروم» .

فقال له : كلهم أعداؤنا قاتلهم الله .

سورة الحمد

كان جماعة يجلسون إلى أبي العيناء[1] وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما :

(١) أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد المتوفى سنة ٢٨٢ .

كيف علمك بكتاب الله؟ قال : أنا عالم به ، فقيل له هذه الآية في أي سورة «الحمد لله لا شريك له» فقال له : في سورة الحمد ، فضحكوا عليه .

الأعراب أشد كفرا ونفاقا

جلس أعرابي إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه ، وكانت يد زيد قد قطعت في معركة القادسية فقال الأعرابي : والله إن حديثك ليعجبني وإن يدك لتريبني

(يلمح إلى أنها قطعت في السرقة) فقال زيد : وما يريبك من يدي ، إنها الشمال؟ فقال الأعرابي : والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال؟

فقال زيد بن صوحان : صدق الله : الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله

عقلك الله

خرج رجل ينظر الحسن بن علي بن أبي طالب فلقي رجلا ، فقال له :

ما اسمك؟

قال : عقال .

قال : ابن من؟

قال ابن عقيل .

قال : من بني من؟

قال : من بني عقيل .

قال عقلته عقلك الله .

قيلولة

قال إبراهيم بن السّنديّ[١] : نظر رجل من قريش إلى صاحب له قد نام في غداة من غدوات الصّيف طيّبة النسيم ، فركضه برجله وقال : مالك تنام عن الدّنيا في أطيب وقتها ، نم عنها في أخبث حالاتها ، نم في نصف النهار لبعدك عن الليلة

(١) إبراهيم بن السنديّ بن بهرام ، من أصفهان ، محدّث ثقة ، روى عنه أهل الحديث .

الماضية والآتية ، ولأنها راحة لما قبلها من التّعب ، وجمام لما بعدها من العمل ، نمت في وقت الحوائج ، وتنبّهت في وقت رجوع الناس ، وقد جاء : «قيلوا فإنّ الشّياطين لا تقيل» .

أفضل آية

قيل لأعرابي : أي سورة تعجبك من القرآن؟
قال : المائدة .
قال : فأي آية؟
قال : ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا .
قيل : ثم ماذا؟ .
قال : آتنا غَداءَنا .
قيل : ثم ماذا؟
قال : ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ .
قيل : ثم ماذا؟
قال : وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ .

أخطب العرب

قال الهيثم بن عديّ[١] : قال عمران بن حطّان[٢] : إن أول

(١) الهيثم بن عدي ابن عبد الرحمن بن زيد بن اسيد بن جابر الأخباري العلامة أبو عبد الرحمن الطائي الكوفي المؤرخ حدث عن هشام بن عروة ومجالد وابن أبي ليلى وسعيد ابن أبي عروبة وجماعة روى عنه محمد بن سعد وأبو الجهم الباهلي وعلي بن عمرو الأنصاري وأحمد بن عبيد أبو عصيدة وآخرون وهو من بابة الواقدي وقل ما روى من المسند قال علي بن المديني هو عندي أصلح من الواقدي قال عباس الدوري حدثنا بعض أصحابنا قال قالت جارية الهيثم بن عدي كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فإذا أصبح يكذب وقال ابن معين وأبو داود كذاب وقال البخاري سكتوا عنه وقال النسائي وغيره متروك الحديث قلت توفي بفم الصلح في سنة سبع ومئتين وله ثلاث وتسعون سنة .

(٢) هو أبو سماك عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي . نشأ بالبصرة ، وطلب العلم والحديث ، ثم اعتنق المذهب الخارجي ، وتعمق فيه حتى صار رأس القعدة (الذين يجيزون القعود في الحرب) .

خطبة خطبتها ، عند زياد- أو عند ابن زياد- فأعجب بها الناس ، وشهدها عمي وأبي . ثم إني مررت ببعض المجالس ، فسمعت رجلا يقول لبعضهم : هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن

مفاخرة

قال رجل مرة : «أبي الذي قاد الجيوش ، وفتح الفتوح ، وخرج على الملوك ، واغتصب المنابر» فقال له رجل من القوم : لا جرم ، لقد أسر وقتل وصلب!

فقال له المفتخر بأبيه : دعني من أسر أبي وقتله وصلبه ، أبوك أنت حدث نفسه بشيء من هذا قط؟

شكوى

قيل لأعرابي في شكاته : كيف تجدك؟

قال : «أجدني أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد ، وأنا في زمان من جاد لم يجد ، ومن وجد لم يجد» .

بين سائل وأعرابي

سأل مسكين أعرابيا أن يعطيه حاجة . .

فقال : ليس عندي ما أعطيه للغير فالذي عندي أنا أحق الناس به

فقال السائل : أين الذين يؤثرون على أنفسهم؟

فقال الأعرابي : ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً .

تقوى أعرابي

كان أعرابي يصلي فأخذ قوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح

فقطع صلاته وقال : مع هذا إني صائم !

الغلام والشاة

قال أبو الحسن : كان لرجل من النساك شاة ، وكان معجبا بها ، فجاء يوما فوجدها على ثلاث قوائم فقال : من صنع هذا بالشاة؟ قال غلامه : أنا .

قال : ولم؟ قال : أردت أن أغمك
قال : لا جرم لأغمن الذي أمرك بغمي ، اذهب فأنت حر

ما كان ولم يكن

قيل لأعرابي : أتحفظ ((لم يكن)) ؟
قال : أنا لا أحفظ ما كان ، فكيف أحفظ ما لم يكن ؟

ما ذنب الذين معك ؟

«صلّى أعرابي مع قومٍ فقرأ الإمام : ﴿قلْ أرأيتُم إن أهلكني اللهُ ومن معي أو رحمنا﴾ .

فقال الأعرابي : أهلكك اللهُ وحدَكَ إيش[1] كان ذنب الذين معك !

فقطعَ القومُ الصلاةَ من شدّة الضحك» .

**

صلى أعرابي خلف إمام فقرأ (فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي) يرددها

فقال الأعرابي : يافقيه إذا لم يأذن لك أبوك في هذا الليل فهل نبيت نحن وقوفاً إلى الصباح ؟؟ ثم تركه وانصرف

**

صلّى أعرابي خلف إمام ، فقرأ الإمام : (ألم نُهلِكِ الأولين) وكان في الصف الأول فتأخر إلى الصف الآخر

فقرأ : (ثم نُتْبِعُهُم الآخرين) ، فتأخر

فقرأ : (كذلك نفعل بالمجرمين) وكان اسم البدوي مجرماً

فترك الصلاة وخرج هارباً وهو يقول : والله ما المطلوب غيري !!

فلقيه بعض الأعراب فقالوا له : ما لك يا مجرم ؟ فقال : إن الإمام أهْلَكَ الأولين والآخرين ، وأراد أن يُهلِكني في الجُملة ، والله ما رأيتُه بعد اليوم لعنة الله عليه !!

---

(١) أيش : نحتٌ من أيّ شيء ، والهمزة جاءت من أسفل لتخفيف اللفظ توافقاً مع الياء .

باعد ثواب الشاكرين عني

أخذ الحجاج أعرابيا لصاً ، فضربه سبعمائة سوط ،فكلما قرعه بسوط قال الأعرابي : اللهم شكراً .

فأتاه ابن عم له فقال : والله ما دعا الحجاج الى التمادي في ضربك الا كثرة شكرك لأن الله يقول : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .

فقال الأعرابي : هل هذا في كتاب الله؟

فقال : اللهم نعم .

فأنشأ الأعرابي قائلاً :

يارب لا شكر فلا تزدني

أسرفت في شكرك فاعف عني

باعد ثواب الشاكرين مني

فقه أعرابيّ

«وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق»

سمعها أعرابي فبكى وقال : أغضبوه بأفعالهم حتى اقسم لهم أن رزقهم عنده وليس عند الخلق .

الأعراب والطعام

امتنع أعرابي من غسل يده بعد الطعام ، فسئل عنه

فقال : فقد رائحته كفقده

جعلت عصيدة بين يدي أعرابي وكانت قليلة الحلاوة ، فقال :

عملت هذا العصيدة من قبل أن يوحي ربك إلى النحل .

**

قيل لأعرابي : ماذا تُسَمُّون الـمَرَق عندكم؟

قال : السَّخين .

فقيل له : فماذا تسمونه إذا بَرَدَ؟

قال : لا ندعُهُ حتى يبرُد .

**

قيل لأعرابي : كل
قال : ما بي أكل ، لأني أكلت قليل أرز فأكثرت منه .

**

نظر أعرابي إلى جنازة والناس يقولون : كان سبب موته التخمة .
فقال : وما التخمة؟
قيل له : أكل كثيراً فمات
فقال : اللهم اجعل سبب موتي من التخمة

**

أكل أعرابي عند قوم فلما أراد الخروج قيل له : هل تعود إلينا؟
فقال : ليس مثل السوء لي ، ولكن الكلب لا يدع حائطًا شبع منه

**

قيل لأعرابي : أما تتأذى برائحة الودك(*) ؟
قال : فقدي له أشد أذى .
كان أعرابي يقول في دعائه (اللهم اني أسألك موتة كموتة ابي خارجة ، أكل لحم جمل ، وشرب شراب عسل ، ونام في الشمس فمات شبعان دفآن) .

فمن يشابه أمه فما ظلم

لقي مزيد رجلا كان صديقا لأبيه فقال : يا بني كان أبوك عظيم اللحية ، فما بالك أجرد؟
فقال مزيد : خرجت لأمي .

بعته برأس ماله

حكي أن رجلا سرق قميصا فأعطاه إلى ولده ليبيعه في السوق . فلما ذهب الولد الى السوق سرق منه القميص .
فسأله أبوه : بكم بعته يا بني ؟
فقال : الولد برأس ماله .

(*) الودك / دسم اللحم ودهنه .

تسعين أو سبعين ؟

خرج رجل الى قرية فأضافه خطيبها فأقام عنده أياما .

فقال له الخطيب يوماً : أنا منذ مدة أصلي لهؤلاء القوم وقد أشكل علي في القرآن بعض المواضع .

فقال الضيف : سلني عنها .

فقال الخطيب : قوله تعالى الحمد لله رب العالمين . . إياك نعبد وإياك تسعين أو سبعين ؟

أشكلت علي ولكني أقرأها تسعين من باب الاحتياط .

أجوبة الأعراب

سأل أعرابي رجلًا فاعتلّ عليه

فقال : إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقًا

**

سأل أعرابي آخر عن اسمه فقال : بحر

فقال ابن من ؟

قال ابن فياض

قال ما كنيتك ؟ قال ابو الندى

فقال الأعرابي : لا ينبغي لأحد لقاؤك الا في زورق

**

وقيل لأعرابي : لمَ لا تشرب الخمرة ؟

فقال : والله ما أرضى عقلي مجمّعًا ، فكيف أفرقه ؟

**

اغتاب أعرابي رجلًا ، ثم التفت فرآه

فقال : لو كان خيرًا ما حضرتهَ

**

قيل لأعرابي : أفيكم زنًا ؟

قال : بالحرائر ؟! ذاك عند الله عظيم ، ولكن مساعاة بهذه الإماء .

تصنيف الحيوانات بحسب طرق الولادة

قال أعرابي : يجمع ذلك كله كلمتان : «كل أذون ولود ، وكل صموخ بيوض» .

الأعرابي والمرآة

مر أعرابي بمرآة ملقاة في مزبلة ، فنظر وجهه فيها ، فاذا هو سمج بغيض ، فرمى بها وقال : ما طرحك أهلك من خير .

صاحب الحاجة

طلب أعرابي من ثري بخيل حاجة فلم يقضها له .
فقال الأعرابي : لعن الله ناقة حملتني اليك .
فقال الثري البخيل : نعم ، وصاحبها

مسلمة وموسوس

مر مسلمة بن عبد الملك[1] ، وكان من أجمل الناس ، بموسوس على مزبلة ؛ فقال الموسوس : لو رآك أبوك آدم لقرّت عينه بك .

قال له مسلمة : لو رآك أبوك آدم لأذهب سخنة عينه بك قرة عينه بي . وكان مسلمة من أحضر الناس جوابا .

لص مثلك

حدّث أحدهم قال : أتاني أعرابي بدرهم فقلت له : هذا زائف فمن أعطاكه؟
قال : لصٌّ مثلك ! .

(١) مسلمة بن عبد الملك الملقب بفارس بني مروان وب الجرادة الصفراء (مواليد سنة ٦٦هـ /٦٨٥م) أمير من بني أمية ، والده عبد الملك بن مروان ، وأمه من الجواري . نشأ وترعرع في ظروف مهمة حتى تستكمل متطلبات شخصيته الفكرية والإدارية والسياسية والعسكرية . فمسلمة من بيت السلطة ، بني أمية ، وأهله أمراء وقادة وخلفاء ، نشأ في دمشق عاصمة الخلافة الأموية ، فتعلم القرآن الكريم ، ورواية الحديث النبوي الشريف ، وأتقن علوم اللغة العربية وفنون الأدب ، وتدرب على ركوب الخيل والفروسية والسباحة والرمي بالنبال ، والضرب بالسيف ، والطعن بالسنان ، وتلقى علومه وتدرب في حياة وكنف والده عبد الملك بن مروان .

مدح أم هجاء ؟

حكى الأصمعي قال : كنتُ أسير في أحد شوارع الكوفة فاذا بأعرابي يحمل قطعةً من القماش ، فسألني أن أدلّه على خياط قريب . فأخذته إلى خياط يُدعى زيداً ، وكان أعور ، فقال الخياط : والله لأُخيطنّه خياطةً لا تدري أقباء هو أم دراج ، فقال الأعرابي : والله لأقولن فيك شعراً لا تدري أمدحٌ هو أم هجاء .

فلما أتم الخياط الثوب أخذه الأعرابي ولم يعرف هل يلبسه على انه قباء أو دراج! فقال في الخياط هذا الشعر :

خَاطَ لي زَيْدٌ قبَــــاء ليتَ عينيــــه سِــوَاء

فلم يدرِ الخياطَ أدُعاءٌ له أم دعاءٌ عليه .

البنت والابن

قال ابو المجسر الأعرابي : كانت لي بنت تجلس معي على المائدة فلا تقع عينها على لقمة نفيسة إلا خصّتني بها ، فكبرت وزوجتها ، وصرت أجلس إلى المائدة مع ابن لي ، فو الله لن تسبق عيني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده إلي .

العلامة

مر أحدهم بأعرابي وهو يحفر في الرمل

فقال له : لأي شيء تحفر هنا؟

قال الأعرابي : إني دفنت في هذه الصحراء دراهماً ولست اهتدي الى مكانها . .

فقال له : كان ينبغي أن تجعل لها علامة

قال الأعرابي : لقد فعلت فقال السائل وما هي العلامة؟

قال الأعرابي : سحابة في السماء كانت تظلها ولست ادري موضع العلامة الآن .

صاحب اللجام

حضر أعرابي سباق خيل فسبقت فرس من بينها

فجعل الأعرابي يكبر ويثب من الفرح ،

فقال له رجل بجانبه : يا أعرابي أهذه الفرس لك؟

فقال : لا ولكن اللجام لي . .

تعددت الأسماء والثمن بخس

يحكى أن أعرابيا صاد قطًا ولم يكن يعرفه من قبل . فسأله الأول :ما هذا السِّنَّوْر؟
سأله الثاني : ما هذا القط؟
والثالث : ما هذا الهر؟
والرابع : ما هذا الضَّيون؟
والخامس : ما هذا الحيطل؟
فمنَّ الأعرابي نفسه بربح طائِل من ورائه ، وما عتّم أن قال بعد أن خاب أمله :
لعنة الله عليه ما أكثر أسماءَه وأقل ثمنه ! .

أسود وأصلع

وقال شداد الحارثي : لقيت أسود بالبادية فقلت : لمن أنت يا أسود؟
قال : لسيد الحي يا أصلع!
قلت : ما أغضبك من الحق؟
قال لي : الحق أغضبك .
قلت : أولست بأسود؟
قال : أولست بأصلع .

مجيء رمضان

قيل لبعض الأعراب :إن شهر رمضان قدم
فقال : والله لأبددن شمله بالأسفار

قياس

أهدي إلى سالم القصاص خاتم بلا فص
فقال : إن صاحب هذا الخاتم يعطى في الجنة غرفة بلا سقف .

حسن الخاتمة

قال الأصمعي : رأيت أعرابيا متعلقا بأستار الكعبة وهو يدعو : اللهم أمتني ميتة أبي خارجة

فقلت له : يرحمك الله كيف مات أبو خارجة؟

قال : أكل حتى امتلأ بطنه ثم شرب حتى ارتوى ثم نام في الشمس فمات شبعان ريان دفيان

عن الإنس لا الجن

سُئل المهلّب عن أشجع الناس فقال : فلان وفلان

فقيل : أين ابن الزبير ، ابن خازم السلمي؟

فقال : إنما سُئلت عن الإنس ولم أسأل عن الجن! .

قتيل في السجن

أُدخل مالك بن أسماء السجن ، سجن الكوفة ؛ فجلس إليه رجل من بني مرة فاتكأ عليه المري يحدثه ؛ ثم قال : أندري كم قتلنا منكم في الجاهلية؟

قال : أما في الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام!

قال : ومن قتلنا منكم في الإسلام!

قال : أنا ، قد قتلتني بنتن إبطيك!

لا يقطع

قسم معن بن زائدة[١] سلاحًا في جيشه ، فدفع إلى رجل سيفًا رديئًا .

فقال الرجل : أعطني غيره .

(١) معن بن زائدة أمير العرب أبو الوليد الشيباني ، من أكرم وأجود الناس . كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة ، فلما تملك آل العباس جَدَّ المنصورُ في طلبه ، وجعل لمن يحمله إليه مالاً . فاضطرر لشدّة الطلب إلى أن تعرّض للشمس حتى لوحت وجهه ، وخَفَّفت عارضه ، ولبس جبّة صوف ، وركب جملاً ، وخرج متوجهًا إلى البادية ليقيم بها ، فاختفى معن مدة ، والطلب عليه حثيث ، فلما كان يوم خروج الريوندية والخراسانية على المنصور ، وحمي القتال ، وحار المنصور في أمره ، ظهر معن ، وقاتل الريوندية فكان النصر على يده ، وهو مقنع في الحديد ، فقال المنصور : ويحك ، من تكون ؟ فكشف لثامه ، وقال : أنا طلبتك معن . فسر به ، وقدمه وعظمه ، ثم ولاه اليمن وغيرها . ولمعن أخبار في السخاء ، وفي البأس والشجاعة ، وله نظم جيد .

قال : خذه فإنه مأمور .

فقال : هو مما أُمر أن لا يقطع أبدًا

وطن الأعرابي

قال أعرابي : إنّ الوطن ليس بأب ولا والد ولا أم مُرضع ، فأي بلد طاب فيه عيشك ، وحَسنت فيه حالك ، فاحطط به رحلك ، فهو ًوطنك وأبوك وأمكً ورحلك .

من غناء أشعب(١)

ألا أُخبرتُ أخبارا أتت في زمن الشدة

وكان الحبُ في القلب فصار الحب في المعدة

**

قيل لأشعب : ما أحسنُ الغناء ؟

قال : نشيش المقلى !

قيل له : فما اطيب الزمان ؟

قال : إذا كان عندك ماتنفق!

**

ساوم أشعب بقوس ، فقيل له : هي بدينار

فقال : والله لو كنت إذا رميت عنها الطائر سقط مشويًا بين رغيفين ما اشتريتها بدينار .

أشعب والدينار

قال الواقديّ : لقيت أشعب يوماً ، فقال : وجدت ديناراً ، فكيف أصنع به؟

قلت : تعرفه

قال : سبحان الله!

قلت : فما الرأي؟

قال : أشتري به قميصاً وأعرفه

(١) شعيب بن جبير ، وقد ولد في سنة تسع من الهجرة ، وكان أبوه من مماليك عثمان بن عفان ، وقد عمر أشعب حتى أيام خلافة المهدي .

قلت : إذن لا يعرفه أحدٌ
قال : فذلك أريد .

مات الدينار !

وجدت امرأة أشعب ديناراً فأتته به ، فقال : ادفعيه إلي حتى يلد لك في كل أسبوع درهمين ، فدفعته إليه ، فصار يدفع إليها في كل أسبوع درهمين ؛ فلما كان في الأسبوع الرابع طلبته منه ، فقال لها : مات في النفاس ، فقالت : ويلي عليك ! كيف يموت الدينار ؟

فقال لها : الويل لك على أهلك ! كيف تصدقين بولادته وتنكرين موته في نفاسه .

من أخبار أشعب

قال الهيثم بن عدي : كان أشعب مولى فاطمة بنت الحسين[(١)] ، فأسلمته في البزّازين ، فقيل له : أين بلغت معرفتك بالبزّ؟ فقال : أحسن النشر ، وما أحسن أطوي ، وأرجو أن أتعلّم الطيّ .

وليمة عرس

يروى أن أشعب أراد أن يتخلص من صحب له كان دعاهم لطعام عنده فلما وصلوا عند داره قال لهم : اذهبوا إلى بيت فلان فإن عندهم وليمة عرس .

فذهب القوم كلهم فلما بقي وحده قال لنفسه : ماذا لو كان فعلا هنالك وليمة .

فذهب مسرعا كي لا يسبقه أصحابه إلى تلك الدار .

أشعب وأمه

قال أشعب : تعلقْتُ بأستار الكعبة فقلت :

(١) فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي (٤٠ هـ-١١٠ هـ) هي فاطمة الكبرى تابعية من رواة الحديث ، روت عن جدتها فاطمة الزهراء بنتمحمد بن عبد الله رسول الإسلام ، وعن أبيها الحسين بن علي بن أبي طالب وغيرهما . وبروايتها الحديث تعتبر شخصية إسلامية ودينية .

اللهم أذهب عني الحرص والطَّلب إلى الناس ،
فمررْتُ بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً .
فجئْتُ إلى أمي ، فقالت : مالك قد جئت خائباً ؟
فأخبرتها بذلك ،
فقالت : والله لا تدخلُ حتى ترجعَ فتسْتَقيلَ ربك
فرجعْتُ فجعلْتُ أقول : يا رب أقِلْني ، ثم رجعت ،
فما مررْتُ بمجلس لقريش ولا غيرهم إلا أعطوني ،
ووُهِبَ لي غلام ، فجئْتُ إلى أمي بجِمَال موقورة من كل شيء . .
فقالت : ما هذا الغلام ؟
فخفْتُ أن أُخْبرَها فتموتَ فَرَحاً إن قلتُ : وهبوه لي .
فقالت : أي شيء هذا ؟
فقلت : غين .
قالت : أي شيء غين ؟
قلت : لام .
قالت : أي شيء لام ؟
قلت : ألف .
قالت : وأي شيء ألف ؟
قلت : ميم .
قالت : وأي ميم ؟
قلت : غلام ، فغُشي عليها .
ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً .

أشعب والصيام

قال أشعب : دخلت على سالم بن عبدالله بن عمر[1] ، فقال : حمل إلينا

---

(١) هو سالم بن عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، الإمام الزاهد ، الحافظ ، مفتي المدينة ، أبو عمر ، وأبو عبد الله ، ولد في خلافة عثمان . أمه أم ولد وهي ابنة يزدجرد بن شهريار وكان أهل المدينة يكرهون إتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم بنو الخالة : علي زين العابدين بن الحسين =

هريسة ، وأنا صائم ، فاقعد كل ، قال : فأمعنت .

فقال : ارفق فما بقي يحمل معك ، قال : فرجعت ، فقالت المرأة : يا مشؤوم بعث عبد الله بن عمرو بن عثمان يطلبك ، وقلت : إنك مريض ، قال : أحسنت ، فدخل حماماً وتمرج بدُهن وصُفرة ، قال : وعصبت رأسي ، وأخذت قصبة أتوكأ عليها وأتيته

فقال : أشعب ؟ قلت : نعم ، جعلت فداك ما قمت منذ شهرين ، قال : وعنده سالم ، ولم أشعر ، فقال : ويحك يا أشعب وغضب وخرج ، فقال عبدالله : ما غضب خالي سالم إلا من شيء ، فاعترفت له ، فضحك هو وجلساؤه ، ووهب لي ، فخرجت ، فإذا أشعب قد لقي سالماً ، فقال : ويحك ألم تأكل عندي الهريسة ؟ قلت : بلى ، فقال : والله لقد شككتني .

أشعب والزوجة

سئل أشعب عن اوصاف الزوجة المناسبة التي يتمناها لنفسة فقال : أريد المرأة التي تشبع اذا تجشأت في وجهها ، وتتخم إذا أكلت فخذ جرادة !

حيلة الدخول إلى العرس

قام بواب حفلة عرس بمنع أشعب من الدخول مع المدعوين .فابتعد أشعب عن المكان ليبحث عن حيله يدخل بها . . ثم عاد وهو يحمل فردة حذاء في يده ويعلق الأخرى في كمه ، وقد أمسك بخله طويلة ينظف بها أسنانه ثم اقترب من البواب على عجل وقال له : لقد أكلت في الفوج السابق ونسيت فردة حذائي في الداخل فهل من الممكن أن تتفضل وتحضرها لي؟ فقال البواب : إنني مشغول ادخل أنت واجلبها بنفسك فدخل أشعب فأكل ، وخرج

الثأر من الأسماك

بينما قوم جلوس عند رجل ثري يأكلون سمكا إذ استأذن عليهم أشعب فقال

= بن علي ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، ففاقوا أهل المدينة علما وتقى وعبادة وورعا ، فرغب الناس حينئذ في السراري .

من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم ، كما كان كثير الحديث ، عاليا من الرجال ، ورع .

أحدهم : إن من عادة أشعب الجلوس إلى أعظم الطعام أفضله ، فخذوا كبار السمك واجعلوها في قصعة في ناحيته لئلا يأكلها أشعب ففعلوا ذلك ثم أذنوا له بالدخول وقالوا له : كيف تقول وما رأيك في السمك ؟

فقال : والله إني لأبغضه بغضا شديدا لأن أبي مات في البحر وأكله السمك

فقالوا : إذن هيا للأخذ بثأر أبيك !!!

فجلس إلى المائدة ومد يده إلى سمكة صغيرة من التي أبقوها بعد إخفاء الكبار ثم وضعها عند أذنه وراح ينظر إلى حيث القصعة التي فيها السمك الكبير – حيث لاحظ بذكاء ما دبر القوم – ثم قال : أتدرون ما تقول هذه السمكة ؟

قالوا لا ندري !

قال إنها تقول إنها صغيرة لم تحضر موت أبي ولم تشارك في التهامه

ثم قالت : عليك بتلك الأسماك الكبيرة التي في القصعة ، فهي التي أدركت أباك وأكلته فان ثأرك عندها ! .

قصة في حضرة الطعام

كان أشعب يقص على أحد الأمراء قصة بدأها بقوله : كان رجل . .

وفجأة أبصر المائدة قد حضرت فعلم أن القصة ستلهيه عن الطعام فسكت .

فقال له الأمير : وماذا يا أشعب ؟

فقال : ومات .

رمضان وأشعب

كان أشعب أشد الناس طمعاً ، وكان شرهاً مبطناً فدخل على أحد الولاة في أول يوم من رمضان يطلب الإفطار وجاءت المائدة وعليها جدي ، فأمعن فيه أشعب حتى ضاق الوالي وأراد الانتقام من ذلك الطامع الشره فقال له : اسمع يا أشعب إن أهل السجن سألوني أن أرسل إليهم من يصلي بهم في شهر رمضان ، فأمضِ إليهم وصلِّ بهم ، أغنم الثواب في هذا الشهر فقال أشعب وقد فطن إلى غرض الوالي منه : أيها الوالي لو أعفيتني من هذا نظير أن أحلف لك بالطلاق والعتاق إني لا أكل لحم الجدي ما عشت أبداً فضحك الوالي .

نصيحة

وقف أشعب على امرأة تعمل طبق خوص فقال : لتكبريه

فقالت : لم؟ أتريد أن تشتريه؟

قال : لا ، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيهدي إلي فيه ، فيكون كبيراً خير من أن يكون صغيراً .

طمع أشعب

قيل لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟

قال : ما رأيت عروساً تزف إلا وظننتها لي ، ولا رأيت جنازة إلا وظننت أن صاحبها أوصى لي بشيء . ولقد أطاف بي مرة صبيان فنادوا : يا أشعب ! يا أشعب ! فأضجروني ، فدفعتهم عني بأن قلت لهم : دار فلان تهب ، فبادروا . فلما ولوا ظننت أني صادق ، فتبعتهم .

منام أشعب

وقال أشعب : رأيت في النوم كأني أحمل بدرةً ، فمن ثقلها أحدثت ، فانتبهت ، فرأيت الحدث ولم أر البدرة .

صلاة أشعب

صلّى أشعب ، فخفَّف الصلاة فقِيل له :

ما أخفَّ صلاتَك !

قال : إنه لم يُخالِطْها رِياء .

قطيفة أشعب

قال الأصمعي : حدثني إبراهيم بن القعقاع قال : رأيت أشعب بسوق المدينة ومعه قطيفة يبيعها ، وهو يقول : من يشتري مني الوصيدة ؟ فأتاه رجل يساومه . فقال : أبرأ إليك من عيب فيها . قال : وما هو ؟ قال : أخاف أن تخرق إن لبستها . فضحك ، واشتريت بثمن جديدة .

مؤذن رديء الصوت

مـر سكران بمؤذن رديء الحنجـرة ، فـجلد به الأرض وجـعل يدوس في بطنه ، واجتمع عليه الناس

فقال : مابي رداءة صوته ، ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين .

ذاك أبو بكر والخلفاء

نهى الثوري[١] عن القرب من المنبر ، فقيل : أليس يقال ادن واستمع؟

قال : ذاك لأبي بكر والخلفاء ، فأما هؤلاء فتباعد عنهم ،ولا تسمع كلامهم ، ولا ترَ وجوههم .

المقرف يعرف المقرف

قال سُليمان بن ربيعة لعمرو بن معدي كرب : فَرسُك هذا مُقرِف .

فقال له : المُقرف يعرف المُقرف

حسن التخلص

امتحن ابن أبي دوواد الحارث بن مسكين أيام المحنة ، فقال له : أشهد أنّ القرآن مخلوقٌ! فقال الحارث : أشهد أنّ هذه الأربعة مخلوقةٌ ، وبسط أصابعه الأربع ؛ وقال : التوراة والإنجيل والزّبور والفرقان ؛ فتخلّص .

صفة ثقيل

قال أحمد ابن أبي طاهر : قال أبو هفّان ، ووصف رجلاً

فقال : هو أثقل على القلوب من الموت على المعصية

(١) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الربابي التميمي من بني تميم ولد في عام(٩٧ هـ/ ١٦١هـ) كان أحد أئمة الإسلام يقول عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء «هو شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب الجامع . قال شعبة وابن عيينة وأبو عاصم ويحيى بن معين وغيرهم : سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث . وقال علي بن الحسن بن شقيق عن عبد الله قال : ما أعلم على الأرض أعلم من سفيان . وقال بشر الحافي : كان الثوري عندنا إمام الناس . وعنه قال : سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما .

بقرة بني إسرائيل

كان بالرقة رجل يحدّث بأخبار بني إسرائيل ، فقال له الحجاج بن حنتمة : كيف كان اسم بقرة بني إسرائيل؟ قال حنتمة! فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري[(١)] : أين وجدت هذا؟ قال : في كتاب عمرو بن العاص[(٢)] .

قريش وقيس[(٣)]

سأل رجل من قريش رجلا من بني قيس بن ثعلبة : ممن أنت؟ قال : من ربيعة .

قال له القرشي : لا أثر لكم ببطحاء مكة .

قال القيسي : آثارنا في أكناف الجزيرة مشهورة ، ومواقفنا في يوم ذي قار معروفة ؛ فأما مكة فسواء العاكف فيه والباد كما قال الله تبارك وتعالى . فأفحمه .

أحوج الناس للطم

قال بكر بن عبد الله المزني[(٤)] : أحوجُ الناس إلى لطمةٍ من دعي إلى وليمةٍ فذهب معه بآخر ؛ وأحوج الناس إلى لطمتين رجلٌ دخل دار قوم ، فقيل له : اجلس ههنا ، فقال : لا بل ههنا ؛ وأحوج النّاس إلى ثلاث لطماتٍ رجلٌ قدم إليه طعامٌ ، فقال : لا آكل حتى يجلس معي ربّ البيت .

---

(١) أبو موسى الأشعري صحابي جليل ، واسمه عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخيبر .

(٢) عمرو بن العاص السهمي القرشي الكناني ابن سيد بني سهم من قريش العاص بن وائل السهمي ، فتح مصر وأصبح والياً عليها بعد أن عينه عمر بن الخطاب . وأبرز ما عرف عن عمرو بن العاص أنه كان أدهى دهاة العرب في عصره .

(٣) قبيلة جيس (قيس) قبيلة بدوية من «بني عامر بن صعصعة» من هوازن ، ويلقب أبناؤها (القيسي ، الجيسي) وجمعهم (الجيسات)

(٤) اسمه بكر بن عبد الله المزنى ، أبو عبد الله البصري كنيته أبو عبد الله ، يعتبر من الطبقة الثالثة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم الوسطى التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ثقة ثبت جليل .

العقل والشجاعة

وقعت على يزيد بن المهلّب[١] حيةٌ ، فلم يدفعها عنه
فقال له أبوه : ضيّعت العقل من حيث حفظت الشجاعة .

السرف والخير

قيل للحسن بن سهل[٢] ، وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله : ليس في السرف خيرٌ
فقال : ليس في الخير سرفٌ .

حيلة لص

شاهد عبيد الله بن محمد الخفّاف لصّاً قد أخذ ، وشهد عليه أنّه كان يفشّ الأقفال في الدور اللطاف ، فإذا دخل ، حفر في الدار حفرةً لطيفةً كأنّها بئر النرد ، وطرح فيها جوزات كأنّه يلاعب إنساناً ، وأخرج منديلاً فيه نحو مئتي جوزةً ، فتركه إلى جانبها ، ثم يكور جميع ما يطيق حمله ، فإن لم يفطن به خرج ، وإن جاء صاحب الدار ترك القماش وأفلت ، وإن كان صاحب الدار جلداً ، فواثبه ، وصاح : اللصوص [واجتمع الجيران ، أقبل عليه ، وقال : ما أبردك] أنا أقامرك بالجوز منذ شهور ، قد أفقرتني وأخذت كل ما أملكه ، لأفضحنّك بين جيرانك ، لمّا قمرتك الآن تصيح [يا غثّ] يا بارد [بيني وبينك دار القمار ، قل قد ضغوت حتى أخرج] فيقول الجيران : إنّما يريد أن لا يفضح نفسه بالقمار ، فقد ادعي على ذا اللصوصية ؛ فيحولون بينهما ، ويخرجون اللص .

---

(١) يزيد بن المهلب بن سراق بن صحيح بن كندة بن عمرو بن وائل بن الحارب ، يكنى بأبي خالد : أمير ، قائد وأحد الشجعان الأجواد ولي خراسان بعد وفاة أبيه المهلب بن أبي صفرة (سنة ٨٣ هـ) فمكث نحوا من ست سنين ثم عزله عبدالملك بن مروان برأي الحجاج .

(٢) أبو محمد الحسن بن سهل السرخسي ، فارسي المولد من وزراء الخليفة المأمون وولاته وقواده ، وأخو الفضل بن سهل ذي الرياستين ، وكان الحسن من الفصحاء المعدودين واشتهر بتوقيعاته وعرف بالجود حتى حين افتقر .

اللص وصاحب الدار

دخل لصٌ داراً ، فأخذ ما فيها وخرج ، فقال صاحب الدار : ما أنحس هذه الليلة [فقال اللص : ليس على كل أحدٍ] .

تصرف كريم

قال الأصمعي : كان بعض الكرماء في مجلسه وعنده جماعةٌ ، فضرط رجلٌ من جلسائه ، فانقبض لذلك ، واغتمّ بانقباضه صاحب المجلس ، فلمّا كان من الغد ، أمر فترك تحت الفرش نفّاخة السمك ، فلمّا جلس الناس عنده تفرقعت من تحت الجلساء ، فقال : ما هذا؟ انظروا [فأخرجت وقد انشقّت ، فقال : هذا بالأمس ، وهذا اليوم] وأمر بصفع الفراشين ، فزالت الظنّة عن الضّارط ، وبرئت ساحته .

بين الأجير والمستأجر

استأجر رجلٌ رجلاً يخدمه ، فقال له : كم أجرتك؟
قال : شبع بطني .
فقال له : سامحني .
فقال : أصوم كل اثنين وخميس .

عتبة وأعرابي

قدم أعرابي البصرة فدخل المسجد الجامع وعليه خلقان وعمامة قد كوّرها على رأسه ، فرمي بطرفه يمنة ويسرة ، فلم ير فتية أحسن وجوها ولا أظهر زيا من فتية حضروا حلقة عتبة المخزومي[1] فدنا منهم وفي الحلقة فرجة فطبقها ؛ فقال له عتبة : ممن أنت يا أعرابي؟ قال : من مذحج . قال : من زيدها الأكرمين ، أو من مرادها الأطيبين؟

قال لست من زيدها ولا من مرادها . قال : فمن أيها؟ قال : فإني من حماة أعراضها ، وزهرة رياضها ، بني زبيد . قال : فأفحم عتبة حتى وضع قلنسوته عن

(١) هو عتبة بن عبد الرحمن بن هشام المخزومي من النسابين العلماء ذوي الرأي والدهاء وكان ذا منزلة من الحجاج بن يوسف الثقفي .

رأسه ، وكان أصلع ؛ فقال له الأعرابي : فأنت يا أصلع ، ممن أنت؟ قال : أنا رجل من قريش .

قال : فمن بيت نبوّتها ، أو من بيت مملكتها؟ قال : إني من ريحانتها بني مخزوم . قال :

والله لو تدري لم سمّيت بنو مخزوم ريحانة قريش ، ما فخرت بها أبدا ؛ إنما سميت ريحانة قريش لخور رجالها ولين نسائها! قال عتبة : والله لا نازعت أعرابيّا بعدك أبدا .

من شدة الضجر

قال أبو منصور ابن زريق : كان رجلٌ من الأصبهانّيين قد لازم أبي يسمع منه الحديث ، فأضجره ، فخرج أبي يوماً ، فتبعه الأصبهانيُّ ، وقال له : إلى أين؟ قال : إلى المطبق ، قال : وأنا معك .

يعد الموتى

قال الأصمعي : رأيت رجلاً قاعداً في زمن الطّاعون يعدّ الموتى في كوز ، فعدّ أوّل يوم عشرين ومئة ألف ، وعدّ في اليوم الثاني خمسين ومئة ألف ؛ فمرّ قومٌ بميتّهم وهو يعدّ ، فلما رجعوا إذا عند الكوز غيره ، فسألوا عنه ، فقالوا : هو في الكوز .

دعوة باردة

سئل جحظةُ[١] عن دعوة حضرها ، فقال : كلُّ شيءٍ كان منها بارداً إلاّ الماء .

ضحك أحد الحكمين من الآخر

بعث بلال بن أبي بردة إلى ابن أبي علقمة المجنون ، فلمّا جاء قال له : أحضرتك لأضحك منك ، فقال المجنون : لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه ؛ يعرض بأبي موسى .

---

(١) جحظة البرمكي أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي أبو الحسن . شاعر عباسي ، وكان قبيح المنظر ، ناتئ العينين ، فلقب بجحظة .

مزبد والأعرابي

تغدى أعرابيٌ مع مزبد ، فقال له مزبد : كيف مات أبوك؟
فأخذ يحدثه بحاله وأخذ مزبّد يمضي في أكله ، فلمّا فطن الأعرابي ، قطع الحديث ، وقال له : أنت [كيف مات أبوك؟ فقال : فجأة ؛ وأخذ يأكل] .

حمى الربع

سقي رجلٌ ماءً بارداً ، ثمّ عاد فطلب ، فسقي ماءً حارّاً ،
فقال : لعلّ مزمّلتكم يعتريها حمى الرّبع .

دعي ما رزق الله

قال الحسن بن موسى(١) : أضاف رجلٌ رجلاً ، فقال المضيف : يا جاريةُ {هاتِ خبزاً وما رزق الله ؛ فجاءت بخبزٍ وكامخ ؛ ثمّ قال أيضاً : يا جاريةُ! هات خبزاً وما رزقَ الله ؛ فجاءت بخبزٍ وكامخٍ ؛ فقالَ الضيفُ : يا جارية [هات خبزاً ودعي ما رزق الله] .

فيروز ونميلة

وضع فيروز بن حصين يده على رأس نميلة بن مالك بن أبي عكابة عند زياد ، فقال : من هذا العبد؟ قال : أنت والله العبد ؛ ضربناك فما انتصرت ، ومننّا عليك فما شكرت .

يهودي ومسلم

قال الماجشون : كان بالمدينة عطّاران يهوديّان ، فأسلم أحدهما وخرج فنزل العراق ، فالتقيا ذات يوم ، فقال اليهودي للمسلم : كيف رأيت دين الإسلام؟
قال : [خير دين ، إلاّ أنّهم لا يدعونا نفسو في الصلاة كما كنّا نصنع ونحن يهودٌ] فقال له اليهودي : ويلك [افس وهم لا يعلمون] .

(١) الحسن بن موسى البغدادي يكنى بأبي علي الأشيب القاضي : قاض ، من حفاظ الحديث . ولي قضاء الموصل ، وقضاء طبرستان ، وقضاء حمص .وكان كبير الشأن ، حمدت سيرته في القضاء . مات بالري .

مخافة الصدق

قال ابن الأعرابي : قيل لكذّاب : تذكر أنّك صدقت قطّ؟
فقال : لولا أني أخاف أن أصدق لقلت : نعم .

كيف تركت قارون؟

سمع يزيد بن أبي حبيبٍ رجلاً يقول : [جئت من أسفل الأرض]فقال : كيف تركت قارون؟ .

الحائك المتنبئ

قال علي بن عاصم[1] : تنبّأ حائكٌ بالكوفة ، فاجتمع عليه الناس ، فقالوا : أتق الله ، خف الله ، رأيت حائك نبيّ؟ قال : ما تريدون أن يكون نبيّكم إلا صيرفيّ .

أعرابيان

قال الأصمعي : كان أعرابيّان متواخيين بالبادية ، فاستوطن أحدهما الريف ، واختلف إلى باب الحجّاج ، فاستعمله على أصبهان ، فسمع أخوه الذي بالبادية ، فضرب إليه ، فأقام ببابه حيناً لا يصل إليه ، ثمّ أذن له بالدّخول ، فأخذه الحاجب ، فمشى به ، هو يقول : سلّم على الأمير ؛ فلم يلتفت إلى قوله ، وأنشد :

ولست مسلّماً ما دمت حيّا   على زيدٍ بتسليم الأمير

فقال : لا أبالي ؛ فقال الأعرابي :

أتذكر إذ لحافك جلد كبشٍ   وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال : نعم ، فقال الأعرابي :

فسبحان الذي أعطاك ملكاً   وعلمك الجلوس على السرير

---

(١) علي بن عاصم : ابن صهيب ، الإمام العالم ، شيخ المحدثين ، مسند العراق أبو الحسن القرشي التيمي مولى قريبة أخت القاسم بن محمد بن أبي بكر الواسطي . ولد سنة سبع ومائة فهو من أسنان سفيان بن عيينة .

كي لايسمع الهواء

قال العتبيّ : اشتدّ الحرُّ عندنا بالبصرة وركدت الرّيح

فقيل لأعرابيّ : كيف كان هواؤكم البارحة؟ قال : أمسك! كأنّه يسمع .

من تنحنح فلا أفلح

قال ابن الأعرابي : قال رجلٌ من الأعراب لأخيه : تشرب الخازر من اللبن ولا تتنحنح؟

فقال : نعم ؛ فتجاعلا جعلاً ، فلمّا شربه آذاه ؛ فقال : كبشٌ أملحُ ، وبيت أفيح ، وأنَا فيه أتبحبح . فقال له أخوه : قد تنحنحت! فقال : من تنحنح فلا أفلح .

نذالة واحدة

يحكي أن رجلا ذهب لسوق النخاسة لشراء عبد فوجد عبدا قوياً مفتول العضلات .

فقال للنخاس «بالله عليك أن تقول لي ما عيوب هذا العبد» .

فقال النخاس «أُشهد الله أن هذا العبد من أكثر العبيد قوة وأمانة وشجاعة ولكن فيه نقيصة واحدة» .

تهلل وجه الرجل بشرا وقال وما هي .

«قال أن هذا العبد تنتابه نوبة نذالة وخسة في كل عام مرة واحدة»

فقال الرجل أما المرة فمقبولة فلكل جواد كبوة ولكل عالم غفوة وسأتغافل عن نوبة نذالته وخسته ما دامت في العام مرة واحدة .

فرح الرجل بالعبد وأصبح أقرب العبيد إليه وقربه منه وأصبح العبد رفيقة في كل طريق .

في إحدي المرات صحب الرجل عبده في سفره

وأثناء عبور النهر أخذ العبد يجدف بالمركب الصغير

وفي وسط النهر جاءت موجه وانقلب القارب

وكان السيد لا يجيد العوم عكس العبد الذي أخذ يعوم برشاقة في طريقه للشط دون أن يحاول إنقاذ سيده

فنادي عليه سيده «أتتركني في المهالك أواجه الموت» .

فقال العبد «سامحني سيدي فقد انتابتني نوبة النذالة الآن» .

زوج الحمام

قال محمد بن حرب : أتيت بمزيد وامرأة ورجل أصيبا في بيته وأنا على شرطة المدينة ، فحبسته وخليت سبيلهما ، ثم دعوت به وقلت : ما خبرك ؟ قال : أطلقتم الزوج حمام وحبستم الزاجل .

وكان أبو حبيب مضحك المهدي يحفظ نوادر مزيد ويحكيها له فيصله . فقال له مزيد : بأبي أنت! أنا أزرع وأنت تحصد .

المائدة

قال الجماز : جاءنا فلان بمائدة كأنها زمن البرامكة على العفاة ؛ ثم جاءنا بشراب كأنه دمعة اليتيم على باب القاضي :

قد جنّ أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائدة

حفيد أبو لهب

ناظر سعيد بن حميد الدهقان بعض آل أبي لهب

فقال : من فضلنا نحن الفرس أن لنا بيوت النيران .

فقال اللهبي : وجهنم قطيعة لجدي .

أعرابي خارج من السجن

قال قحذمٌ : وجد في سجن الحجّاج ثلاثةٌ وثلاثون ألفاً ، ما يجب على أحد منهم قطعٌ ولا قتلٌ ولا صلبٌ ، وأخذ فيهم أعرابيٌّ رئي جالساً يبول عند ربط مدينةً واسط ، فخلّي عنهم ، فانصرف الأعرابي وهو يقول :

(إذا نحن جاوزنا مدينة واسطٍ خرينا وصلّينا بغير حساب)

كراء رخيص

سمع أعرابيٌّ رجلاً يروي عن ابن عباس أنّه قال : من نوى الحجّ وعاقه عائقٌ كتب له الحجّ ؛ فقال الأعرابي : ما وقع العام كراءٌ أرخص من هذا!

حسن الجواب

استأذن حاجب بن زرارة[1] على كسرى ، فقال له الحاجب : من أنت؟

فقال : رجلٌ من العرب ؛ فأذن له ، فلمّا وقف بين يديه

قال : من أنت؟

قال : سيد العرب

قال : ألم تقل للحاجب أنا رجلٌ منهم؟

قال : بلى [ولكني وقفت بباب الملك وأنا رجلٌ منهم ، فلمّا وصلت إليه سدتهم] .

فقال كسرى : زه [احشوا فاه درّاً] .

أموت أول رمضان

قيل لبعضهم : أيّ وقت تحبّ أن تموت؟

قال : إن كان ولا بد ، فأوّل يوم من رمضان .

ممن يعقلون

قال رجلٌ لرجلٍ : ممّن أنت؟

قال : من العربِ ، من بني تميم .

قال : من أكثرها أو من أقلها؟

قال : من أقلها . يشير إلى قوله تعالى : ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ .

رسالة مشفرة

قال الأصمعي : حدّثني شيخٌ من بني العنبر ، قال : أسر بنو شيبان رجلاً من بني العنبر ، فقال لهم : أرسلوا إلى أهلي ليفدوني؟ قالوا : ولا تكلم الرسول إلا بين أيدينا ؛ فجاؤوه برسولٍ ، فقال له : ائتِ قومي ، فقل لهم : إن الشجر قد أورق ، وإنّ

(١) حاجب بن زرارة بن عُدس الدارمي التميمي من سادات العرب في الجاهلية ، كان رئيس بني تميم في عدة مواقع ، ورهن ذات مرة قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به . أدرك الإسلام ، وأسلم .

النساء قد اشتكت ؛ ثمّ قال له : أتعقل؟ قال : نعم ، أعقل ؛ قال : فما هذا؟ وأشار بيده إلى الليل ؛ فقال : هذا الليل ؛ قال : أراك تعقل ، انطلق فقل لأهلي : عرّوا جملي الأصهب ، واركبوا ناقتي الحمراء ، وسلوا حارثة عن أمري ؛ فأتاهم الرسول ، فأرسلوا إلى حارثة ، فقص عليه القصة . فلمّا خلا معهم ، قال : أما قوله : إن الشجر قد أورق ؛ فإنه : إن القوم قد تسلحوا ؛ وقوله : إن النساء قد اشتكت ؛ فإنه يريد : إنها قد اتخذت الشكاء للغزو ، وهي أسقيةٌ ، وقوله : هذا الليل ؛ يريد : يأتونكم مثل الليل أو في الليل ؛ وقوله : عروا جملي الأصهب ؛ يريد : ارتحلوا عن الصمان ؛ وقوله : واركبوا ناقتي ؛ يريد : اركبوا الدّهناء . فلمّا قال لهم ذلك تحولوا من مكانهم ، فأتاهم القوم ، فلم يجدوهم .

خطة نجاة

قال ابن الأعرابي : أسرت طيء رجلاً شاباً من العرب ، فقدم عليه أبوه وعمّه ليفدياه ، فاشتطوا عليهما في الفداء ، وبذلاً ما لم يرضوا ، فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبلي طيءٍ لا أزيدكم على ما أعطيتكم ؛ ثمّ انصرفا ، فقال الأب للعمِ : لقد ألقيت إلى ابني كلمةً إن كان فيه خيرٌ لينجونّ ؛ فما لبث أن نجا ، وطرد قطعةً من إبلهم ، كأنّه قال له : الزم الفرقدين على جبلي طيءٍ ، فإنّهما طالعان عليه ، ولا يغيبان عنه .

في حسن الاحتيال

كان عامر بن ذهلٍ من أشد الناس قوةً ، فأسن وأقعد ، فاستهزأ به شبابٌ من قومه وضحكوا منه ، فقال : إني ضعيف ، فادنوا مني ، فاحملوني ؛ فدنوا منه ليحملوه ، فضمَّ رجلين إلى إبطه ، ورجلين بين فخذيه ، ثمّ زجر بعيره ، فنهض بهم مسرعاً ، فقال : بني أخيّ! أرجلكم والعرفط ؛ فأرسلها مثلاً

يتماوت ليسأل الكفن

وشرب أحمد بن أبي طاهر مع أبي هفان حتى فني ما معهما ، وكانا بجوار المعلى ابن أيوب ؛ فقال ابن أبي طاهر لأبي هفان : تماوت حتى اسأل المعلى في كفنك . فسجاه ومضى إلى المعلى فقال : أصلحك الله ، نزلنا في جوارك فوجب

عليك حقنا ، وقد مات أبو هفان وليس له كفن . فقال لوكيله : أمض إليه لتشاهده وادفع له كفناً . فأتى فوجده مسجى فنقر أنفه فضرط ، فقال له : ما هذا؟ قال ابن أبي طاهر : أصلحك الله بقية روحه كرهت نكهته فخرجت من دبره ، فأخبر المعلى فضحك وأمر لهما بدنانير كثيرة

شراكة

أراد قوم من البصرة الجمع ؛ فقال أحدهم : علي الطعام . وقال أحدهم : علي الشراب . وقالوا : ما عليك أنت يا أبا إسحاق ؟

فقال : لعنة الله علي إذا لم آكل وأشرب معكم ؛ فضحكوا منه ومضوا به .

عتاب طفيلي على التطفيل ورده

عوتب طفيلي على التطفيل ؛ فقال : والله ما بنيت المنازل إلا لتدخل ، ولا نصبت الموائد إلا لتوكل ، وإني لأجمع في التطفيل خلالاً ، أدخل مجالساً ، وأقعد مستأنساً ، وأنبسط وإن كان رب الدار عابساً ، ولا أتكلف مغرماً ، ولا أنفق درهماً ، ولا أتعب خادماً .

وصية طفيلي لأصحابه

قال ابن دراج الطفيلي لأصحابه : لا يهولنكم غلق الأبواب ، ولا شدة الحجاب ، ولا عنف البواب ، وتحذير العقاب ، ومبارزة الألقاب ؛ فإن ذلك صائر بكم إلى محمود النوال ، ومغن لكم عن ذل السؤال ، واحتملوا الوكزة الموهنة ، واللطمة المزمنة ، في جنب الظفر بالبغية ، والدرك للأمنية ، والزموا الطوزجة للمعاشرين ، والخفة بالواردين والصادرين . والتملق للملهين والمطربين ، والبشاشة بالخدم والموكلين ؛ فإذا وصلتم إلى مرادكم فكلوا محتكرين ؛ وادخروا لغدكم مجتهدين ؛ فإنك أحق بالطعام ممن دعي إليه ، وأولى ممن صنع له ؛ فكونوا لوقته حافظين ، وفي طلبه متمسكين ، واذكروا قول أبي نواس :

ليخمس مال اللّه من كلّ فاجر
وذي بطنة للطيبات أكول

النكث في البيع خير من خيانة الشريك

وجلس مالك بن طوق في قصره في شباك مطل على رحبته ، ومعه جلساؤه ، إذ أقبل أعرابي تخب به ناقته ؛ فقال : إياي أراد ، ونحو قصد . ولعل معه أدباً ينتفع به ، ثم أمر بإدخاله ؛ فلما مثل بين يديه قال : ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال : سيب الأمير ورجاء نائله . قال : هل قدمت أمام رغبتك وسيلة ؟ قال : نعم ؟ أربعة أبيات قلتها بظهر البرية ، فلما رأيت ما بباب الأمير من الهيبة والجلال استحقرتها واستصغرتها . قال : فهل لك أن تنشدنا أبياتك على أن نجيزك عليها ألف درهم ، فإن كنت ممن أحسن ربحنا عليك ، وإلا فقد نلت مرادك ، وربحت علينا . قال : رضيت ، وأنشده :

وما زلت أخشى الدهر حتى تعلّقت ... يداي بمن لا يتّقي الدهر صاحبه
فلما رآني الدهر تحت جناحه ... رأى مرتقىً صعباً منيعاً مطالبه
رآني بحيث النّجم في رأس باذخ ... تظلّ الورى أكنافه وجوانبه
فتىً كسماء الغيث والناس حولهً ... إذا قحطوا جادت عليهم سحائبه

فقال : قد والله ظفرنا يا أعرابي ، ورزقنا الفلج عليك ، والله ما قيمتها إلا عشرة آلاف درهم . قال : فإن لي صاحباً شاركته فيها ، وما أراه يرضي ببيعي . قال : أتراك حدثتك نفسك بالنكث ؟ قال : نعم ؟ وجدت النكث في البيع خيراً من خيانة الشريك . فأمر له بعشرة آلاف دينار .

تقاصر لينالك الضرب

جلد بعض الشرط رجلاً وكان الجلاد قصيراً دميماً والمجلود طويلاً ؛ فقال له الجلاد : تقاصر لينالك الضرب .

فقال : ويلك ! إلى أكل الفالوذج تدعوني ؟ والله لوددت أن تكون أنت أقصر من يأجوج ومأجوج ، وأنا أطول من عوج .

أمنية المبغض

دخل أعرابي من ثقيف على خالد بن عبد الله القسري ، فشكا إليه قلة المطر ، وجفوف الشجر ، وكثرة العيال ، وعدم المال . وكان خالد مبغضاً لثقيف ، فقال : أما ما ذكرته من قلة المطر فوددت أن الله جل اسمه ضرب بينكم وبين السماء صفائح من حديد ؛ وجعل مسيلها مما يلي البحر ، فلا تصل إليكم قطرة من مائها . وأما ما ذكرت

من يبس الشجر فوددت أن الله أحرق ما لديكم من ذلك . وأما ما ذكرت من قلة المال وكثرة العيال فوددت أن الله قطع يديك ورجليك ولم يجعل لأهلك كاسباً غيرك .

فقال : أيها الأمير ؛ أصلحك الله ، وطئت أرضك ، وأملت رفدك ، فلا تصرفني بحسرة الحرمان ، واجعل قراي منك بقدر أملي فيك ، لا بقدر نسبي عندك . قال : يا غلام ، أعطه بدرة ، ثم زاده أخرى .

الحاج الملحد

عن عليّ بن المحسن التنوخيّ ، عن أبيه ، قال : كان أبو جعفر الحسني من أهل البدو ، وكان يعترض الحجّاج ، فيطالبهم بالخفارة ، وكان رجلٌ يعرف بأبي الحسن بن شاذان السيرافي يظهر الإسلام ، فإذا أمن كاشف بالإلحاد ، وكان خليعاً ماجناً . فحجّ بعض الأمراء ، فأظهر ابن شاذان أنّه يريد الحجَّ ، فاعترض القافلة أبو جعفر الحسنيُّ ، فقال أبو الحسن لأمير الحاج : أنفذني إليه ؛ قال : أي شيءٍ تقول له؟ قال : أقول له : نحن قومٌ من فارس وغيرها ، لا نسب لنا في العرب ولا رغبةَ ، جاء أبوك إلينا ، فضرب أدمغتنا ، وقال : حجوا هذا البيت ، فأطعناه ، وجئنا ؛ وجئت أنت تمنعنا ، فإن كان قد بدا لكم ، فالله قد أقالكم ؛ فضحك الأمير وبعث غيره .

قرشي والحمد لله

قال رجل لآخر : ممن تكون ؟

قال : قرشي والحمد لله !

قال : بأبي أنت ! التحميد ها هنا ريبة .

فنون الرد

قيل لرجلٍ ركب في البحر : ما أعجب ما رأيت؟

قال : سلامتي .

**

نظر رجلٌ إلى أخوين لأب وأمٍّ ، أحدهما جميلٌ والآخر قبيحٌ فقال : ما أمّكما إلا شجرةٌ تحمل سنةً موزاً وسنةً عفصاً .

ورأى آخر شيخاً مسنّاً ، فقال له : يا شيخ : من قيدك؟
قال : الذي خلّفته يفتل قيدك .

**

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر؟
قال : ما صدري له إلا قبر .

**

شتم رجلٌ رجلاً ، فقال المشتوم : إيش قلت لك؟
فأوهمه أنّه يستفهمه ، وإنّما ردّ عليه .

**

قال الأصمعي : قال محمد بن واسع :
ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث
بُلغة من عيش ليس لأحد عليّ فيها منة
ولا لله علي فيها تبعة
وصلاة في جمع أُكفى سهوها ويُدخر لي أجرها
وأخ إذا ما اعوججتُ قومني

**

قيل لأعرابي : من أبلغ الناس؟
قال : أحسنهم لفظا وأسرعهم بديهة

**

قدّم طبّاخٌ إلى بعض الفطناء طبقاً وعليه رغيفان ، ثم قال له : ما تشتهي أن أجيء به؟
فقال : خبزٌ .

**

وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طبيب؟
قال : حمر الوحش لا تحتاج إلى بيطار .

**

وتكلم ربيعة[١] الرأي يوما فأكثر ، فكأن العجب داخله ، وأعرابي إلى جنبه ، فأقبل على الأعرابي فقال : ما تعدّون البلاغة يا أعرابي؟ قال : قلة الكلام وإيجاز الصواب .
قال : فما تعدون العيّ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم! فكأنما ألقمه حجرا .

**

قيل لأعرابي : ما لك لا تطيل الهجاء؟
قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

**

وقيل لأعرابي : كم بين كذا وبلد كذا؟
قال : عمر ليلة وأديم يوم .
وقال آخر : سواد ليلة وبياض يوم .

الطفيلي والفطن

دعا بعض الظرفاء قوماً ، فتبعهم طفيليّ ، ففطن به الرّجل ، فأراد أن يعلمهم أنّه قد فطن به ، فقال : ما أدري لمن أشكر؟ لكم إذ أجبتم دعوتي ، أو لهذا الذي تجشم من غير أن أدعوه؟

الحجام وسيء الأدب

تقدّم رجلٌ سيء الأدب إلى حجّام ، فقال له : تقدّم يا ابن الفاعلة وأصلح شاربي
فقال له : إن كان خطابك للنّاس كذا فعن قليلٍ تستريح منه .

كي لا يضيق القباء

حضر خيّاطٌ عند بعض الأتراك ليفّصل له قباءً ، فأخذ يفصّل والتّركيّ ينظر إليه ، فما أمكنه أن يسرق شيئاً ، فضرط ، فضحك التركي حتى استلقى ، فأخرج الخياط من الثوب ما أراد ، فجلس التركي ، فقال : يا خيّاطٌ ضرطةٌ أخرى ؛ فقال : لا يجوز ، يضيق القباء .

---

(١) هو ربيعة بن بن فروخ التيمي مولا أبي عثمان المدني ، المعروف بربيعة الرأي ، إمام حافظ ، وفقيه مجتهد كنيته أبو سليمان .

رأس أبي ورأس أمك

اشترى مزيد رأسين فوضعهما بين يدي امرأته . وقال : اقعدي نأكل ، فأخذت رأساً فوضعته خلفها . وقال : هذا لأمي ، فأخذ مزيد الرأس الآخر ووضعه خلفه ، وقال : هذا لأبي . قالت : فماذا نأكل ؟ قال : ضعي رأس أمك وأضع رأس أبي .

أبو خارجة

قال عبد الله بن المبارك[1] : كان عندنا رجل يكنى أبا خارجة ، فقلت له : لم كنوك أبا خارجة ؟ قال : لأني ولدت يوم دخل سليمان بن علي البصرة .

الهدف الآمن

نظر بعض الحكماء إلى رجل يرمي هدفاً ، وسهامه تذهب يميناً وشمالاً ، فقعد في وجه الهدف ، فقيل له في ذلكً ، فقال : لم أر موضعاً أسلم منه .

نبيذ جيد

قص قاصّ ، فقال : إذا مات العبد وهو سكران ، دفن وهو سكرانٌ ؛ وحشر وهو سكران ؛ فقال رجلٌ في طرف الحلقة لآخر : هذا والله نبيذٌ جيدٌ ، يسوى الكوز منه عشرين درهماً .

صلاتك رجز

صلّى رجلٌ صلاة خفيفةً ، فقال له الجمّاز : لو رآك العجّاج لسرّ بك .
فقال : ولم؟
قال : لأن صلاتك رجزٌ .

نقاهة

مرّ غرابٌ الماجن بسائل يقول : أنا عليلٌ وأنا جائع
فقال له : احمد ربّك ، فقد نقهت .

(١) عبد الله بن المبارك المروزي ١١٨ هـ -١٨١ هـ عالم وإمام مجاهد مجتهد في شتى العلوم الدينية والدنيوية .

قطيع الأضاحي

ضحى فضلٌ الوالي عن امرأته ستين سنةً ، فسمع يوماً محدثاً يحدث ، يقول : يحشر الناس يوم القيامة وبين أيديهم ضحاياهم ؛ فقال : إن كان كما تقول ، فإن امرأتي تحشر يوم القيامة راعيةً بعصاوين .

الذنب للجبل والقمر

صعد ابن زهير الخزاعي جبلاً ، فأعيا وسقط كالمغشي عليه . فقال : يا جبل ؛ ما أصنع بك ؟ أأضربك ؟ لا يوجعك ، أأشتمك ؟ لا تبالي ، يكفيك يوم تكون الجبال كالعهن المنفوش .

**

وهذا ضد قول أعرابي آخر سرى في قمر ، فلما غاب ضل الطريق . فقال يخاطب بعيره :

اسق ما أسأرته الأكما   أن عسينا أن نرى علما
كيف لا تغوى هداية من   عاد طفلاً بعدما هرما

**

يقول له : أسرع بي حتى تعرق فتسقي الأكم بسؤر عرقك ، وهو بقيته لعلنا نرى علماً نهتدي به . ويريد بقوله : عاد طفلاً بعدما هرما يريد القمر : لأنه في أول الشهر يكون كالطفل ينشأ حتى يتكامل ، ثم يدخله النقص حتى يمحق ، ثم يعود كأول نشأته ؛ يذمه بذلك .

بلادة كيسان

وكانت كيسان مستملي أبي عبيدة ، موصوفاً بالبلادة . قال الجاحظ[1] : كان يكتب غير ما يسمع ، ويقول غير ما يكتب ، ويستملي غير ما يقرأ ، ويملي غير ما يستملي ، أميت عليه يوماً .

قلت لمعشر عدلوا   بمعتمر أبا عمرو

(١) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها .

فكتب أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستملى أبا زيد ، وأملى أبا نصر .
وذكر أبو عبيدة كيسان في شيء ، فقال : والله ما فهم ، ولو فهم لوهم .

الظريف والبقال

كان بعض الظرفاء يجلس عند بقال ضعيف ، لا يكاد يبيع إلا بخبز ، فجاءه رجلٌ ، فقال له : عندك بهذا الدينار قراضه؟ فقال له الظريف : مرّ ، ثكلتك أمّك }هذا قراضته كلّها يطرحها بن .

صفة القصر

عن أبي سعد ابن أبي عمامة ، وكان من المتماجنين ، أن رجلاً قال له : رزقك الله قصراً يبين باطنه من ظاهره ؛ فقال : فنحن الآن قعودٌ في الطريق .
وقال له رجلٌ : تصدّق عليّ حتى أحيلك على من يرى ولا يرى
فقال : إذا لم ير ، فممّن أطلب؟

ما تركه الميت

قيل لأبي الحارث جمّيز : ما فعل فلانٌ؟
قال : مات
قيل : ما ورثت امرأته؟
قال : أربعة أشهرٍ وعشراً .

يحلّ ما حرّم الله

سمع أعرابي إماما يقرأ : ولا تَنكحوا المشركين حتى يؤمنوا![1]
قال . ولا إن آمنوا أيضا ، لا ننكحهم .
فقيل له : إنه يلحن ، وليس هذا يقرأ .
فقال : أخّروه قبحه الله! ولا تجعلوه إماما ؛ فإنه يحلّ ما حرّم الله .

(١) والأصل أن تُقرأ ولا تُنكحوا!

كل يا أيها الكافرون

قال الأصمعي : أصابت الأرض مجاعة ؛ فلقيت رجلا منهم خارجا من الصحراء كأنه جذع محترق فقلت : أتقرأ في كتاب الله شيئا؟ قال : لا . قلت : فأعلمك؟ قال :

ما شئت . قلت : اقرأ قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ

قال : كل يا أيها الكافرون .

قلت : [قل] قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ

كما أقول لك . قال : ما أجد لساني ينطق بذلك .

الأعراب والدَّين

قال أعرابي : الدّين ذل بالنهار وهمّ بالليل

وقال أعرابي في غرماء له يطلبونه بدين :

جاؤوا إليّ غضابا يلغطون معا ... فقلت موعدكم دار ابن هبّار

وما أواعدهم إلاّ لأدرأهم ... عني فيحرجني نقضي وإمراري

وما جلبت إليهم غير راحلة ... تخدي برحلي وسيف جفنه عاري

إنّ القضاء سيأتي دونه زمن ... فاطو الصحيفة واحفظها من النار

قال الأصمعي : اختصم أعرابيان إلى بعض الولاة في دين لأحدهما على صاحبه ؛ فجعل المدّعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق ، فقال له المدعي : دعني من هذه الأيمان واحلف بما أقوله لك : لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلفا يتبع ظلفا ؛ وحتّك من أهلك ومالك حتّ الورق من الشجر ، إن لم يكن لي هذا الحق قبلك! فأعطاه حقه ولم يحلف له .

خير الكلام ما قل ودل

قال الأصمعي : خطب رجل في نكاح فأكثر وطوّل ، فقيل : من يجيبه؟

قال أعرابي : أنا .

قيل له : أنت وذاك؟

فالتفت إلى الخاطب فقال : إني والله ما أنا من تخطيطك وتمطيطك في شيء ،

قد متتّ بحرمة ، وذكرت حقا ، وعظّمت مرجوّا ، فحبلك موصول ، وفرضك مقبول ، وأنت لها كفء كريم ، وقد أنكحناك وسلّمنا .

الأعرابي وهلال رمضان

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان ، فقال : والله لئن أريتموه لتمسكنّ منه بذناب عيش أغبر .

رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه

وقيل لأبي المخش الأعرابي : أيسرك أنك خليفة وأن أمتك حرّة؟
قال : لا والله ما يسرني!
قيل له : ولم؟
قال : لأنها كانت تذهب الأمة وتضيع الأمّة .

القرد في عين أمه غزال

مرّ أعرابي بقوم وهو ينشد ابنا له ، فقالوا له : صفه .
قال : كأنه دنينير!
قالوا : لم نره .
ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي وعلى عنقه جعل
فقالوا : هذا الذي قلت فيه كأنه دنينير؟
فقال : القرنبي[(١)] في عين أمّها حسناء .

يأخذ الحسن ويترك القبيح

جلس أعرابي إلى مجلس أيوب السّختياني[(٢)] ، فقيل له : يا أعرابي ، لعلك قدريّ؟

قال : وما القدري؟ فذكر له محاسن قولهم ؛ قال : أنا ذاك . ثم ذكر له ما يعيب

(١) والقرنبى : دويبة من خشاش الأرض إذا مسّها أحد تقبّضت فصارت مثل الكرة .

(٢) أيوب السختياني العنزي (٦٦ - ١٣١ هـ / ٦٨٥ - ٧٤٨ م) هو سيد من سادات التابعين .

الناس من قولهم ؛ فقال : لست بذاك . قال : فلعلك مثبت؟ قال : وما المثبت؟ فذكر محاسنهم ؛ فقال : أنا ذاك . ثم ذكر له ما يعيب الناس منهم ؛ فقال : لست بذاك . قال أيوب : هكذا يفعل العاقل ؛ يأخذ من كل شيء أحسنه .

الأعرابي وجرير

قال الأصمعي : سمع أعرابي جريرا ينشد :

كاد الهوى يوم سلمانين يقتلني ... وكاد يقتلني يوما بنعمان

وكاد يقتلني يوما بذي خشب ... وكاد يقتلني يوما بسلمان

فقال : هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات! لا يموت هذا أبدا .

إصبع خندان

قال الشيباني : بلغني أن أعرابيين ظريفين من شياطين العرب حطمتهما سِنة[1] ، فانحدار إلى العراق ؛ فبينما هما يتماشيان في السوق- واسم أحدهما خندان- إذا فارس قد أوطأ دابته رجل خندان ، فقطع إصبعا من أصابعه ، فتعلقا به حتى أخذا أرش الإصبع ، وكانا جائعين مقرورين ، فلما صار المال بأيديهما قصدا إلى بعض الكرايج ، فابتاعا من الطعام ما اشتهيا ، فلما شبع صاحب خندان أنشأ يقول :

فلا غرثة ما دام في الناس كربج ... وما بقيت في رجل خندان إصبع

أعرابي يحدث ربه

خرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض الطريق راجعا يريد أهله ، لقيه ابن عم له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال : اعلم أنك لما خرجت وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق . فرفع الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسن هذا يا رب! تأمرنا بعمارة بيتك أنت وتخرب بيوتنا .

أعرابي وعامل

وقال رجل من العمال لأعرابي : ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة!

---

(١) سِنة : مجاعة .

فقال له : فإن عرفت أتجعل لي على نفسك مسألة؟
قال : نعم .
قــال : إنّ الصــلاة أربــع وأربــع ثــم ثــلاث بعدهــنّ أربــع
ثم صلاة الفجر لا تضيّع
قال : صدقت ، هات مسألتك؟
قاله له : كم فقار ظهرك؟
قال : لا أدري .
قال : فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك؟

دواء لدغة العقرب

قال رجلٌ لعض الظراف : قد لدغتني عقربٌ ، فهل عندك لهذا دواءٌ؟
فقال : الصياح إلى الصباح .

أقبح المواضع

قال الجمّاز(١) لأبي شراعة : كيف تجدك؟
قال : أجدني مريضاً من دماميل قد خرجت في أقبح المواضع
فقال : ما أرى في وجهك منها شيئاً! .

الأعرابي الثقيل

قال أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن البصري : حدّثني ابن عائشة أنّ فتيان من فتيان أهل البصرةً خرجوا إلى ظهر البصرة ، فأخذوا في شرابهم ، وما زالوا يتناشدون ويتنادمون ويتحدّثون حتى قربت الشمس أن تغرب ، فطلبوا خلوةً ممّن يغلُ عليهم في شرابهم ، فإذا أعرابيٌ كالنّجم المنقض يهوي حتى جلس بينهم ، فقال بعضهم لبعض : قد علمنا أنّ مثل هذا اليوم لا يتم لنا ؛ ثمّ قال أحدهم : أيها الواغل الثّقيل

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر ، وكانوا يزعمون أنهم من حمير صليبة نالهم سباء في خلافة أبي بكر وهم مواليه ، وسلم الخاسر عمه . وكان الجماز صاحباً لأبي نواس حتى ماتا .

علينا . . . حين طاب الحديث لي ولصحبي

فقال الآخر :

خفَّ عنّا فأنت أثقل والله علينا من فرسخي دير كعب

فقال الثالث :

فمن النّاس من يخف ومنهم كرحى البزر ركبت فوق قلب

فقال الأعرابي

لست بالنّازح العشيّة والله لشجٍّ ولا لشدَّةِ ضرب

أو تروون بالكبار حشاشي وتعلّون بعدهن بقعبي

وطرح قعباً كان معلّقاً ؛ فضحكوا من ظرفهِ ، وحملوه معهم إلى البصرة ، فلم يزل نديماً لهم .

تصريف

عن أبي سمي الزاهد ، عن إبراهيم بن أدهم[1] ، إنّه كان في بعض السّواحل ومعه رفقاءٌ له ، ومعهم حميرٌ لهم ، فجاء إليهم رجلٌ ، فقال : أريد أصحبكم وأكون معكم ؛ فكأنّهم كرهوا ذلك ، فلما خرجوا إلى ساحل البحر والرّجل معهم ، قال إبراهيم بن أدهم للحمار : زر ؛ فصاح الحمارُ ، فانصرف الرّجل عنهم ، وقال : أنا ظننت فيكم خيراً ؛ فصرفوه بهذا .

موضع سجود

حضر أعرابي طعام عبد الأعلى ، فلما وقف الخباز بين يديه ووصف ما عنده قال : أصلحك الله ، أتأمر غلامك يسقيني ماء ؟ فقد شبعت من وصف هذا الخباز .

وقال له عبد الأعلى يوماً : ما تقول يا أعرابي لو أمرت الطباخ فعمل لون كذا ، ولون كذا؟

قال : أصلحك الله لو كانت هذه الصفة في القرآن لكانت موضع سجود

(١) إبراهيم بن أدهم ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثاني الهجري من أهل بلْخ . أفغانستان .

لم ير حال السماء من المطر

قال رجل لمملوكه : اخرج وانظر هل السماء مصحية ، أو مغيمة .
فخرج ثم عاد فقال : والله ما تركني المطر أنظر هل هي مغيمة أم لا!!

غرغرة الكذب

عوتب أحد الأعراب على الكذب
فقال للذي عاتبه : والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرتَ عليه

مال الله

اختلس أعرابي فاستدعاه الأمير وقال : أكلت مال الله! فقال : ومال من آكل إذا لم آكل مال الله ، والله إني راودت الشيطان ان يعطيني فلساً فما فعل!

وجود الله

سئل أعرابي عن وجود الله ، فقال : البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، فأرض ذات فجاج ، وسماء ذات أبراج ، ألا تدل على وجود العزيز الخبير

لعن الله النسيان

دخل الجصاص[1] على ابنه وقد مات ولده ، فبكى وقال : كفاك الله محنة هاروت وماروت . فرد : من هاروت وماروت؟ فقال : لعن الله النسيان . إنما أردت منكرا ونكيرا

شرب الخمر

قيل لأحد المجانين : هل لك في الشراب – شرب الخمر – ؟
فقال : إن العاقل يشرب الخمر حتى يتشبه بي ، فإذا شربته فبمن ذا أتشبه؟

(١) أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي . والرازي نسبة إلى الري ، والجصاص نسبة إلى العمل بالجص . درس الفقه على كبار الحنفية في عصره ، كأبي الحسن الكرخي ، وأبي سهل الزجاج ، وأبي سعيد البردعي ، وموسى بن نصر الرازي . كان زاهدًا ورعًا جمع إلى العلم الصلاح والتقوى .

شدة الخيانة

ذكر أعرابي رجلا خائنا فقال : (إن الناس يأكلون أماناتهم لقما ، وإن فلانا يحسوها حسوا) .

لا يخدعني هدوءك

ركب أعرابي البحر فرأى من أمواجه الأهوال ، ثم ركبه مرة أخرى وهو ساكن فقال : لا يغرني حلمك فعندي من جهلك العجائب !

من يُغضبه

كان الوجيه بن الدهَّان أعمى قد أتقن العربية ، وحفظ شيئًا كثيرًا من أشعار العرب ، وسمع الحديث ، كان حنبليًا ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة ، ثم إلى مذهب الشافعي ، وكان يحفظ الكثير من الحكايات والملح والأمثال ، ويعرف العربية والتركية والعجمية والرومية والحبشية والزنجية ، وكان له يدٌ طولى في نظم الشعر .

وكان لا يغضب ، وتراهن اثنان على إغضابه ، فصار أحدهما يسأله ويسيء إليه ، فتبسَّم ضاحكًا وقال : إن كنتَ راهنتَ فقد غُلبت ، وإنما مَثَلُك مثل البعوضة ، سقطت على ظهر الفيل ، فلما أرادتْ أن تطير ، قالت له : استمسك ؛ فإني أحب أن أطير ، فقال لها الفيل : ما أحسستُ بكِ حين سقطتِ ، فما أحتاج أن أستمسك إذا طرتِ .

انصرف وأنت مأجور

قعد رجل على باب داره فاتاه سائل فقال له :اجلس ثم صاح بجارية عنده فقال ادفعي الى هذا السائل صاعاً من حنطه

فقالت : ما بقي عندنا

قال : فأعطيه درهما

قالت : ما بقى عندنا دراهم

قال : فأطمعيه رغيفا

قالت : ما عندنا رغيف

فالتفت إليه وقال انصرف يا فاسق يا فاجر

فقال السائل : سبحان الله تحرمني وتشتمني
قال : أحببت أن تنصرف وانت ماجور

قوموا اشحذوا معي

وقف شحاذ بباب إحدى الدور وقال : تصدقوا عليً فإني جائع .
فقالوا له : إلى الآن لم نخبز .
فقال : فبعض الشعير . .
فقالوا : ليس عندنا شعير
فقال : فشربة ماء . . إني عطشان
فقالوا : ما أتانا السقاء بعد
فقال : فقطعة لحم أو شحم . . .
فقالوا : ومن أين لنا الشحم واللحم وعيد الأضحى لم يأت بعد ؟
فقال : يا أولاد . . فما قعودكم هنا . . قوموا اشحذوا معي !

لعلي جئت بغير ما تظن

ووقف سائل على باب فقال : يا أصحاب المنزل ، فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال : فتح الله عليك ، فقال السائل : يا . . . كنت تصبر لعلي جئت أدعوك إلى وليمة .

اختبار الجوع

وقال أبو عثمان الجاحظ : وقف سائل بقوم فقال : إني جائع
فقالوا له : كذبت
فقال : جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم .

ينتظره عذابه

سأل أعرابي صاحباً له : ما تقول يرحمك الله في رجل مات يوم الجمعة . . أيعذب عذاب القبر في يوم مبارك كهذا ؟
فقال الصاحب : يعذب يوم السبت !

أمشي وأربح حماراً

خرج أعرابي ومعه عشرة أحْمُر[١] ، فركب واحداً وعدها ، فإذا هي تسعة ، فنزل وعدها فإذا هي عشرة ، فلا زال كذلك مراراً ، فقال : أنا أمشي وأربح حماراً خير من أن أركب ويذهب مني حمار ، فمشي حتى كاد يتلف إلى أن بلغ قريته .

فطنة

قيل لأعرابي : قد سرق حمارك

فقال : الحمد الله الذي ما كنت عليه .

تصدقني أم تصدق الحمار ؟

قصد رجل أعرابياً ليستعير حماره ،

فقال الأعرابي : والله لقد أرسلته إلى المطحنة .

وفجأة نهق الحمار في الإسطبل . فقال الرجل : تكذب علي وتدعي أن الحمار غائب ، مع أنه موجود هناك وينهق ؟

فأجابه : غريب أمرك يارجل . . أتكذبني وتصدق الحمار ؟

مزايا الحمار

كان الفضل لا يركب إلا الحمير ، فقال له عيسى بن حاضر : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب ، فلم ذلك؟ قال : لما فيها من المرافق والمنافع .

قلت : مثل أي شيء؟ قال : لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان ، ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء ، وأسلم صريعا ، وأكثر تصريفا ، وأسهل مرتقى وأخفض مهوى ، وأقل جماحا ، وأشهر فارها ، وأقل نظيرا ، يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويكون مقتصدا وقد أسرف في ثمنه .

إن شاء الله

خرج أعرابي إلى السوق يشتري حماراً ، فلقيه صديق له فسأله : إلى أين؟ ،

---

(١) جمع حمار ، والمشهور أن تُجمع على حمير ، ولكن هذا جمع تعرفه العرب .

فقال : إلى السوق لأشتري حماراً ، فقال : قل إن شاء الله ، فقال : ليس ها هنا موضع إن شاء الله ، الدراهم في كمي ، والحمار في السوق ، فبينما هو يطلب الحمار سرقت منه الدراهم فرجع خائباً ، فلقيه صديقه ، فقال له : ما صنعت؟ فقال : سرقت الدراهم إن شاء الله ، فقال له صديقه : ليس ها هنا موضع إن شاء الله .

لماذا صار حماراَ؟

ركب أعرابي على حمار وجعل يضربه ، فقيل : ارفق به
فقال : إذا لم يقدر يمشي فلم صار حماراً؟!

وصف الطعام

مر أعرابي بقوم من الكتبة في متنزه لهم وهم يأكلون ، فسلم ثم وضع يده يأكل معهم ، فقالوا : أعرفت فينا أحداً؟ قال : بلى ، عرفت هذا! وأشار إلى الطعام ، فقال بعض الكتاب يصف أكله : لم أر مثل ثرطه ومطّه

قال الثاني :

وأكله دجاجه ببطّه

قال الثالث :

ولفّه رقاقه بإقطه

قال الرابع :

كأنّ جالينوس تحت إبطه

فقالوا للرابع : أما الذي وصفنا من فعله فمفهوم ؛ فما يصنع جالينوس من تحت إبطه؟ قال : يلقمه الجوارش كلما خاف عليه التخمة ، يهضم بها طعامه!

أعرابي على مائدة سليمان

حضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك[1] ، فجعل يمرّ إلى ما بين يديه ، فقال

---

(١) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، الخليفة الأموي السابع ، وهو يعد من خلفاء بني الامية الأقوياء ، ولد ب دمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٩٦هـ . ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور .

له الحاجب : مما يليك فكل يا أعرابي . فقال : من أجدب انتجع . فشق ذلك على سليمان ، وقال للحاجب : إذا خرج عنا فلا يعد إلينا . وشهد بعد هذا سفرته أعرابي آخر ، فمر إلى ما بين يديه أيضا ، فقال له الحاجب : مما يليك فكل يا أعرابي . قال : من أخصب تخيّر . فأعجب ذلك سليمان ، فقرّبه وأكرمه وقضى حوائجه .

في ضيافة أعرابي

تعشى جماعة من الناس عند أعرابي . . فرآهم يأكلون بشراهة ،

فقال : والله ليس هذا أكل من أراد أن يتعشى . . ولكنه أكل من أراد أن يميتني من الغيظ !

خوفاً من وجوب النافلة

عن البحتري[1] قال : قال لي السراج : منذ أربعين سنة لم أوتر خلافاً لمن يوجبها ، قلت : أنظر إلى تغفيل هذا الرجل كيف ترك واجباً عند قوم ، وسنة عند الأكثرين ، وما يضر من أوجبها من تركه إياها .

تعزية في مريض

عاد أعرابي عليلاً فعزاهم فيه ، إنه لم يمت

فقال : يموت إن شاء الله .

ضرسك يذكرك بنفسه

قال أعرابي لغلامه : إذا مررنا بالطبيب فذكرني وجع ضرسي حتى أسأله عن الدواء

فقال : يا مولاي إن كان ضرسك يوجعك فسوف تذكره .

---

(١) البحتري : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي ، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي . يقال لشعره سلاسل الذهب ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم ، المتنبي وأبو تمام والبحتري .

بشرى

دخل أعـرابي على مـريض فـقـال : إذا رأيتـم المريض على هذه الحـال فـاغـسلوا أيديكم منه .

أفتى لنفسه

تقـدم أعـرابي إلى بعض الفـقـهـاء فـقـال له : الرجل إذا خـرجت منه الريح تجوز صلاته

قال : لا

قال : قد فعلت أنا وجاز .

الأعرابي والثريد

قـال أعـرابي : كنت أشـتـهي ثريدة دكناء مـن الفلفل ، رقطاء من الحـمص ، ذات حفافين من اللحم ، لها جناحان من العراق ، أضرب فيها كما يضرب وليّ السوء في مال اليتيم!

بين حضري وبدوي

وقال رجل من أهل المدينة لأعرابي : ما تأكلون وما تعافون؟

قال له الأعرابي : نأكل كل ما دب وهب ، إلا أم حبين

قال المدني : ليهنيء أمّ حبين العافية .

بين أعرابيين

وقال رجل لأعرابي : ما يسرني لو بتّ ضيفا لك!

فـقـال له الأعـرابي : لو بتّ ضيـفـا لي لأصبـحت أبطن من أمك قـبـل أن تلدك بساعة .

حساب أعربي

رأى أعرابي صديقاً له فقال . طلبتك اليوم عشرين مرة وهذه الثالثة!

بين المظهر والمخبر

وقف شيخ من الأعراب بباب مسجد والمؤذن يقيم الصلاة ، فدخل فرأى المؤذن هيبته وشيبته ، فسأله أن يصلي بهم ، فامتنع ، فتقدم المؤذن وصلى بهم ، فلما فرغ أقبل على الشيخ فقال له : ما منعك أن تصلي بنا فتكسب أجراً؟ فقال : أنا وحقك إذا كنت على غير طهارة لم أصل إماماً .

ما بلغ من حب أعرابي لرسوله

قال أعرابي : إني أحب رسول الله ﷺ حباً لم يحبه أحد قط

قيل : وما بلغ من حبك له؟

قال : وددت أن عمه أبا طالب أسلم ويسر النبي بذلك وأموت كافراً بدله!

أهم ما أدركه الأعرابي في الغزو

غزا أعرابي مع الرسول ﷺ فقيل له : ما سمعت من رسول الله في غزوتك هذه؟

قال : وضع عنا نصف الصلاة . . وأرجو في غزوة اخرى أن يضع عنا النصف الأخر .

نصف طاعة ونصف ثواب

سمع أعرابي أن صوم يوم عاشوراء يعدل صوم سنة ، فصام إلى الظهر وأكل وقال : يكفيني ستة أشهر .

أعرابي مفطر في رمضان

قال الأصمعي : مررت بأعرابي يأكل في رمضان ، فقلت له : ألا تصوم يا أعرابي؟ فقال :

وصائم هبّ يلحاني فقلت له ... اعمد لصومك واتركني وإفطاري

واظما فإني سأروى ثم سوف ترى ... من ذا يصير إذا متنا إلى النّار

أبو مهدية الأعرابي

قال أبو عثمان المازني[١] : قال أبو مهدية : بلغني أن الأعراب والأعزاب هجاهما واحد .

قلت : نعم .

قال : فاقرأ : «الأعزاب أشدّ كفرا ونفاقا» ولا تقرأ : الأعراب .

ولا يغرّك العزب وإن صام وصلى

وتوفي بنيّ لأبي مهدية صغير ، فقيل له : أبشر أبا مهدية ؛ فإنا نرجو أن يكون شفيع صدق يوم القيامة!

قال : لا وكلنا الله إلى شفاعته ، إذا والله يكون أعيانا لسانا وأضعفنا حجة ؛ ليته المسكين كفانا نفسه!

وقيل لأبي مهدية : أكنتم تتوضؤون بالبادية؟

قال : نعم والله ؛ لقد كنا نتوضأ فتكفي التوضئة الواحدة الرجل منا الثلاثة الأيام والأربعة ، حتى دخلت علينا هذه الحمر- يعني الموالي- فجعلت تليق أستاهها كما تلاق الدواة .

**

وقيل لأبي مهدية : أتقرأ من كتاب الله شيئا؟

قال : نعم . ثم افتتح يقرأ :

وَالضُّحى وَاللَّيْلِ إِذا سَجى

حتى انتهى إلى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى

فالتفت إلى صاحب له فقال : إن هؤلاء العلوج يقولون : ووجدك ضالا فهدى . والله لا أقولها أبدا .

**

ولما سن أبو مهدية ولي جانبا من اليمامة ، وكان به قوم من اليهود أهل عطاء وجدة ، فأرسل إليهم فقال : ما عندكم من المسيح؟

---

(١) بكر محمد بن عثمان النحوي ، إمام عصره في النحو والأدب . وله من التصانيف كتاب ما تلحن في العامة وكتاب التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي .

قالوا : قتلناه وصلبناه!

قال : فهل غرمتم ديته؟

قالوا : لا .

قال : إذا والله لا تبرحوا حتى تغرموا ديته! فأرضوه حتى كف عنهم .

وقيل لأبي مهدية : ما أصبركم معشر الأعراب على البدو

قال : كيف لا يصبر على البدو من طعامه الشمس وشرابه الريح!؟

**

ونظر أبو مهدية إلى رجل يستنجي ويكثر من الماء ، فقال له : إلى كم تغسلها ويحك!

أتريد أن تشرب فيها سويقا!

**

ومات طفل لأبي مهدية ، فقيل له : اصبر يا أبا مهدية ؛ فإنه فرط افترطته ، وخير قدمته ، وذخر أحرزته .

فقال : بل ولد دفنته ، وثكل تعجلته ؛ والله لئن لم أجزع للنقص ، لا أفرح للمزيد .

**

قال أبو عبيدة : سمع أبو مهدية رجلا يقول بالفارسية : زود زود .

فقال : ما يقول هذا؟

فقيل له يقول : عجل عجل .

فقال : أفلا يقول : حيهلا .

أعرابي وأمه

نظر أعرابي في الجب فرأى وجهه فعاد إلى أمه فقال : في الجب لص

فجاءت الأم فاطلعت فقالت : أي والله ومعه فاجرة .

ميلاد أعرابي

سئل أعرابي عن مولده فقال : ولدت رأس الهلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام ، احسبوا الآن كيف شئتم .

أعرابي يكتب إلى أبيه

كتب أعرابي إلى أبيه : كتابي إليك يوم الجمعة ، عشية الأربعاء لأربعين ليلة خلت من جمادى الأوسط ، وأعلمك أني مرضت مرضة لو كان غيري كان قد مات .
فقال أبوه : أمك طالق ثلاثاً ، لو مت لما كلمتك أبداً .

دعاء وصدقة

دعا أعرابي فقال : اللهم ارزقني خمسة آلاف درهم حتى أتصدق منها بألفي درهم وإن لم تصدقني فادفع إلي ثلاثة آلاف درهم واحبس الباقي ، فإن تصدقت وإلا فتصدق بها على من شئت .

دعاء وتوضيح

دعا رجل من الأشراف بمكة فقال : اللهم إن كنت لا تعرفني فأنا فلان بن فلان ، وأني مررت بعبدك فلان وهو يقول شيئاً فيه فحش ، فرفسته فانبطح يفحص برجليه ميتاً ، اللهم قد أقررت لك الآن فاغفر لي كما تريد .

استغفار

دعا أعرابي قائلاً : اللهم اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم .

دون أبيه

دعا أعرابي فقال : اللهم اغفر لأمي وأختي وامرأتي
فقيل له : لم تركت ذكر أبيك؟
قال : لأنه مات وأنا صبي لم أدركه .

يبحث عنه وهو يحمله

خرج أعرابي من منزله ومعه صبي عليه قميص أحمر ، فحمله على عاتقه ثم نسيه ، فجعل يقول لكل من رآه : رأيت صبياً عليه قميص أحمر؟
فقال له إنسان : لعله الذي على عاتقك؟
فرفع رأسه ولطم الصبي وقال : يا خبيث ألم أقل لك إذا كنت معي لا تفارقني!

منارة الجامع

نظر أعرابي إلى منارة الجامع فقال : ما كان أطول هؤلاء الذين عمروا هذه!

فقال آخر : اسكت ما أجهلك ، ترى أنه في الدنيا أحد طول هذه؟ وإنما بنوه على الأرض ثم رفعوها .

بين أحمقين

قدم أعرابي فسأله رجل متى قدمت! قال : غداً

قال : لو قدمت اليوم سألتك عن إنسان ، فمتى تخرج؟

قال : أمس

قال : لو أدركتك كتبت معك كتاباً .

نصف الدار

اشترى أعرابي نصف دار فقال يوماً : قد عزمت على بيع نصف الدار الذي لي واشترى بثمنه النصف الآخر حتى تصير الدار كلها لي .

رؤيا وتأويل

قال رجل لأعرابي : رأيت البارحة أباك في المنام وثيابه وسخة

فقال : قد كفنته أمس في أربعة أثواب جدد ، وما ينبغي أن تكون قد اتسخت ثيابه .

في العزاء

كتب أعرابي إلى رجل يعزيه بابنته : بلغني مصيبتك وما هي بمصيبة ، وقد جاء بالخبر عن النبي ﷺ أنه قال : من توفيت له بنت كان له من الأجر مثل الذي ذهب والله عني ، ومن توفيت له اثنتان كان له من الأجر مثل الذي ذهب عني مرتين ، وبعد فقد ماتت عائشة بنت النبي ﷺ فمن ابنتك البظراء حتى لا تموت .

أصيب أعرابي بمصيبة فقيل له:

عظم الله أجرك ، فقال : سمع الله لمن حمده .

عزى رجل أعرابياً بابنه

فقال له في الجواب : رزقنا الله مكافأتك .

خلق الإنسان

شهد أعرابي عند وال فقال : سمعت بأذني وأشار إلى عينه ورأيت بعيني وأشار إلى أذنيه بأنه جاء إلي رجلٍ فتلبب بعنقه وأشار إلى صدره وما زال يضرب خاصرته وأشار إلى فكه فقال له الوالي : أحسبك قد قرأت كتاب خلق الإنسان ، قال : نعم ، قرأته على الأصمعي .

الأعرابي والقاضي

دخل أعرابي إلى بعض القضاة فجلس بين يديه فقال : أعدمني الله القاضي ، مات فلان والذي ما خلفوا بعدي سواهم وهو ذا يظلمونـــي إخوتي ، نسيباتي تسعة وهم واحد وكل يوم يجعلون عمامتي في عنق القاضي يجرونه إلي ، فقال القاضي : ليس الممتحن غيري .

أسوأ ما في الموت!

سمع أعرابي قوماً يتذاكرون الموت وأهواله

فقال : لو لم يكن في الموت إلا أنك لا تقدر أن تتنفس لكفى .

رائحة السمك

اشترى أعرابي سمكاً فقال لأهله : أصلحوه ، ونام ، فأكل عياله السمك ولطخوا يده به

فلما انتبه قال : قدموا السمك

قالوا : قد أكلت

قال : صدقتم ولكني ما شبعت .

الأعرابي والصيام

ذكروا أن أعرابيا أتى عينا من ماء صاف في شهر رمضان ، فشرب حتى روى ، ثم أومأ بيده إلى السماء فقال .

إن كنت قـــدّرت الصـــيا م فأعفنـــا مـــن شهـر آب
أو لا فإنّـــا مفطـــــــرو ن وصابـــرون على العذاب

عمامة أعرابي

قيل لأعرابي : إنك لتكثر لبس العمامة
قال : إن شيئاً فيه السمع والبصر لجدير بأن يوقى الحر والقر .

أطيب الطعام

قال عبدُ الملك بن مروانَ(١) لأعرابيّ : ما أطيَبُ الطعام؟

فقال : بَكرةٌ سَنِمةٌ ، معتَبَطة غير ضَمِنة ، في قدور رَذمةٍ ، بشفار خَذِمةٍ ، في غداة شَبِمة ،

فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطْيَبْت ،

معتَبَطة : منحورة من غير داء ؛ يقال : اعُتبِط الإبلُ والغنمُ ، إذا ذبحت من غير داء ، ولهذا قيل للدم الخالص : عَبيطٌ ،

والعَبيط : ما ذُبح من غير عِلّة ، غير ضَمِنة : غير مريضة ،

رذمة : سائلة من امتلائها ، شِفارٍ خذِمة : قاطعة ، غداة شبمة : باردة ، والشَّبَم : البرد

السائل الفصيح

قام أعرابيٌّ ليَسأل فقال : أينَ الوُجوه الصبِّاح ، والعقولُ الصِّحاح ، والألسن الفصاح ، والأنساب الصِّراح ، والمكارم الرِّباح ، والصُّدور الفِساح ، تُعيذُني من مَقامي هذا؟

---

(١) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

وقال الأصمعيّ : وقف أعرابيٌّ يسأل فقال :

ألاَ فَتـــــــــىً أرْوَعَ ذا جَمَـــــــالِ   مـــن عَـــرَبِ النَّـــاسِ أو المَوَالـــي
يُعِينُنـــــــي اليـــومَ عَلَى عِيالـــــي   قَـــد كَثَّـــرُوا هَمِّـــي وَقَـــلَّ مالـــي
وسَاقَهُـــــمْ جَـــدبٌ وسُـــوءُ حـــالِ   وقـــد مَلِلْـــتُ كَثـــرةَ السُّـــؤال

في المال

قال أعرابيّ : الدّرَاهم مَيَاسم تَسِم حَمْداً أو ذَمّاً ،
فمن حَبَسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ،
ما كل من أعطى مالاً أُعْطِي حَمْداً ، ولا كلُّ عَديم ذَميم .
أخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

أنت للمال إذا أَمْسَكْتَـــه   فإذا أنْفَقْتَهُ فالمالُ لَـــكْ

وهذا نظير قول ابن عبّاس ، ونظر إلى دِرْهم في يد رجل ،
فقال : إنّه ليس لك حتَّى يَخْرج من يدك .

ذم

وقال أعرابيٌّ يَعيب قوماً :
هم أقلُّ النّاسِ ذُنوباً إلى أعدائهم ،
وأكثرُهم جُرماً إلى أصدقائهم ،
يصومون عن المعروف ، ويُفطِرون على الفَحْشاء

أحب إلي من كليهما

لقي رجل أعرابياً ومعه كلبان ، فقال : هب لي أحدهما
فقال : أيهما تريد؟
فإن الأسود أحب إلي من الأبيض
قال : فهب لي الأبيض
قال : الأبيض أحب إلي من كليهما .

ثلث القرآن

لقي أعرابي تاجراً فقال له : ما اسمك ولا تطول

فقال : أبو عبد منزل القطر عليكم من السماء تنزيلاً الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه

فقال : مرحباً بك يا ثلث القرآن .

يتعلم السفر

أراد أعرابي الخروج إلى بغداد ، فوضع سلماً وجعل يصعد وينزل ، فقيل له ، ما تصنع؟

قال : أتعلم السفر .

اغتاب جوزة

اشترى أعرابي جوزاً وجعل يقلبه ، فأخذ جوزه في يده فقال : ما أرى في جوفها شيئاً ، ثم قال : أستغفر الله لا أكون اغتبتها .

أول مرة

أراد أعربي أن يختن ابنه فقال للحجام : ارفق به ، فإنها ما اختتن قط .

تتجنب ملاقاة ملك الموت

نزل الموت بزوج أعرابية ، فقيل لها : لو دخلت على زوجك وودعتيه

قالت : أخاف أن يعرفني ملك الموت .

أشغلته الستور عن الطعام

دعي أعرابي إلى دعوة ، فاشتغل الناس بالأكل وجعل هو ينظر إلى الستور المغلقة ، وكانت الحيطان كلها قد سترت ، فقيل له : ما لك لا تأكل؟ فقال : والله لقد طال تعجبي من هذه الستور الطوال كيف دخلت من هذا الباب القصير!

إصلاح المعدة

نزلَ رجل بصومعة راهب ، فقدم إليه الراهب أربعة أرغفة ، وذهب ليحضر إليه

العدس ، فحمله وجاء ، فوجده قد أكل الخبز فذهب فأتى بخبز ، فوجده قد أكل العدس ، ففعل معه ذلك عشر مرات ، فسأله الراهب : أين مقصدك؟

قال : إلى الأردن

قال : لماذا؟

قال : لقد بلغني أنَّ بها طبيباً حاذقاً أسأله عما يصلح معدتي ، فإنّي قليل الشهوة للطعام

فقال له الراهب : إنَّ لي إليك حاجة

قال : وما هي

قال : إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك عليّ

على غير وضوء

خطب رجل خطبة نكاح وأعرابي حاضر ، فقال : الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، قد قامت الصلاة ! فقال له الأعرابي : لا تقم الصلاة فإني على غير وضوء!

من حفر حفرة لأخيه وقع فيها

مر أعرابي بامرأة تبكي على قبر فسألها : هل هذا المدفون في القبر قريبك ؟

فقالت : زوجي

فقال لها : وما كان عمله؟

قالت : كان يحفر القبور

قال : أبعده الله . . أما علم أن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها

شتيمة

شتم صعلوك أعرابيا ؛ فردّ الأعرابي عليه : إن سلّطت لساني عليكَ ستتمنّى لو أنّ أباك نام ليلتها بدلاً أن يأتي بكَ إلى الدنيا مات .

أعطاه الحل

خرج أعرابي ذات يوم يريد السوق ، فنظر في بعض طرقه إلى شيخ طويل اللحية كلما أراد أن يتكلم بادرته لحيته ، فمرة يدسها في جيبه ومرة يجعلها تحت ركبته

فقال له : يا شيخ لم تترك لحيتك هكذا؟

قال : فتريد أن أنتفها حتى تكون مثل لحيتك!

قال : فإن الله يقول : «قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» قال ﷺ : احفوا الشارب واعفوا اللحى ومعنى عفو اللحى أن يزال أثرها .

فقال الشيخ : صدق الله ورسوله ، سأجعلها كما أمر الله ورسوله ، فحلق لحيته وجلس في دكانه ، فكان كل من رآه وسأله عن خبره قرأ عليه الآية وروى له الحديث .

أنا علة

قيل لأعرابي وقد كان مرضاً : كيف نجدك!

فقال : أنا علة

قيل : وما معنى علة؟

قال : أليس يقال للصحيح ليس به علة؟

قالوا : نعم

قال : أنا كما قال ، أنا علة .

ثمن الشاة

قال : قال رجل لرجل : بكم تبيع الشاة؟

قال : أخذتها بستة ، وهي خير من سبعة ، وقد أعطيت بها ثمانية ، فإن كانت حاجتك بتسعة فزن عشرة .

أمه طالق

قيل لأعرابي : عندك مال وليس لك إلا والدة عجوز ، أن مت ورثت مالك وأفسدته

فقال : إنها لا ترثني

قيل : وكيف؟

قال : أبي طلقها قبل أن يموت .

يرثي أمه

أصيب أعرابي بأمه فقعد يبكي ويقول : يا أمي أماتني الله قبلك ، أمي زانية إن لم تدخل الجنة ، لا دخلتها امرأة أبداً .

دعاء الجنازة

رأى أعرابي جنازة قد أقبلت فقال : ربي وربك الله لا إله إلا الله

فقال آخر : أخطأت ، إذا رأيت جنازة فقل : اللهم ألبسنا العافية

فتشاجرا في ذلك فاحتكما إلى آخر فقال : إذا رأيتم جنازة فقولوا : سبحان الله من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

يطرد ملك الموت من بيته

مرض أعرابي مرة ، فلما اشتد به المرض أمر بجمع العيدان والطنابير والمزامير إلى بيته ، فأنكروا عليه ذلك فقال : إنما فعلت ذلك لأني سمعت أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه شيء من آلات الملاهي والفجور ، فإن كان ملك الموت من الملائكة دفعته عني بهذه الأشياء .

أتبع الحسنة السيئة تمحها!

غصب أعرابي رجلاً وتصدق به ، فقيل له في ذلك : فقال : أخذي إياه سيئة ، وصدقتي به عشر حسنات ، فمضت واحدة وبقيت لي تسعة .

اسألوا أمي

قيل لأعرابي : كيف دملك ، سكن وجعه؟

قال : والله ما أرى ، اسألوا أمي

استشارة

قال أعرابي لآخر وكان أحمق : المستشار مؤتمن ، وإني أريد أن أغسل ثيابي غداً ، أفترى تطلع الشمس أم لا؟

غلطة في المصحف!

نظر أعرابي في المصحف فقال : قد وجدت فيه غلطتين فأصلحوهما

قالوا : وما هي؟

قال : «كل بناءٍ وغواص» هذا غلط إنما يجب أن يكون كل بناءٍ وجصاص

والأخرى «والتينِ والزيتون» إنما هي والجبن والزيتون

تقليد

وقف أعرابي بباب داره يوم الجمعة والمطر يأتي سيلاً ، فقال لرجل من المارين : يا أخي هو ذا الذي يجيء مطر؟

فقال له : أما ترى؟

فقال : أردت أن أقلد غيري في انقطاعي عن الجمعة ولا أعمل بعلمي .

الذكي والأعرابي

حكى أن أعرابي كان يقود حماراً ، فقال بعض الأذكياء لرفيق له : يمكنني أن آخذ هذا الحمار ولا يعلم هذا المغفل

قال : كيف تعمل ومقوده بيده؟

فتقدم فحل المقود وتركه في رأس نفسه وقال لرفيقه : خذ الحمار واذهب ، فأخذه ، ومشى ذلك الرجل خلف المغفل والمقود في رأسه ساعة ، ثم وقف فجذبه فما مشى ، فالتفت فرآه

فقال : أين الحمار؟

فقال : أنا هو

قال : وكيف هذا؟

قال : كنت عاقاً لوالدتي فمسخت حماراً ، ولي هذه المدة في خدمتك ، والآن قد رضيت عني أمي فعدت آدمياً

فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وكيف كنت أستخدمك وأنت آدمي!

قال : قد كان ذلك

قال : فاذهب في دعة الله ، فذهب ومضى المغفل إلى بيته فقال لزوجته : أعندك الخبر؟ كان الأمر كذا وكذا ، وكنا نستخدم آدمياً ولا ندري فبماذا نكفر وبماذا نتوب؟

فقالت : تصدق بما يمكن

قال : فبقي أياماً ، ثم قالت له : إنما شغلك المكاراة فاذهب واشتر حماراً لتعمل عليه ، فخرج إلى السوق فوجد حماره ينادى عليه ، فتقدم وجعل فمه في أذنه وقال : يا مدبر عدت إلى عقوق أمك!

حج قبل حفر زمزم

شهد أعرابي عند بعض القضاة على رجل ، فقال المشهود عليه : أيها القاضي تقبل شهادته ومعه عشرون ألف دينار ولم يحج إلى بيت الله الحرام؟

فقال : بلى حججت

قال : فاسأله عن زمزم

فقال : حججت قبل أن تحفر زمزم فلم أرها .

مات من لم يمت قط

وقع جرف في بعض السنين فقال أعرابي : مات في هذه السنة من لم يمت قط .

ثوب للميت

أقبل رجل على أعربي فقال له : تعيرنا أصلحك الله ثوبا نكفن فيه ميتا ؟!

قال : أخشى ينجسه فلا تلبسه إياه حتى يغسل ويطهر!

الأعرج وصاحب الشرطة

كان ابن عبدل الأسدي أعرج أحدب وكان من أطيب الناس وأملحهم فلقيه صاحب الشرطة الذي يتحرى الناس ليلا السكارى والمجان واللصوص . ليلة وهو سكران محمول في محفة . فقال له : من أنت؟

فقال له : يا بغيض أنت أعرف بي من أن تسألني من أنا .فاذهب إلى شغلك فإنك تعلم جيدا أن اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفة . فضحك وانصرف عنه .

دعوتُ لإبليس

سمع أبو يعقوب الخريمي منصور بن عمار صاحب المجالس يقول في دعائه : اللهم

اغفر لأعظمنا ذنبا وأقسانا قلبا وأقربنا بالخطيئة عهدا وأشدنا على الدنيا حرصا فقال له : امرأتي طالق إن كنت إلا دعوت لإبليس !

ورطة خياط

أتى أحد الأعراب ومعه قماش إلى خياط كي يخيط له ثوباً ، فلما أخذ الخياط مقاس الأعرابي أخذ يقطع من القماش كي يخيط له حينها غضب الأعرابي وقال له : لم قطعت القماش يا علج ((العلج = الحمار)) .

فقال الخياط : لن تصلح الخياطة إلا بشق القماش ، وكان مع الأعرابي هراوة ((عصا)) فشج رأس الخياط بواحدة فهرب الخياط من محله ولحقه الأعرابي وهو يقول :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله فيما مضى في سالف الأحقابِ
من فعل علج جئته ليخيط لي ثوباً فخرّقه كفعل مُصابِ
فعلوته بهراوةٍ كانت معي ضرباً فولّى هارباً للبابِ
أيشق ثوبي ثمّ يقعد آمناً ؟!! كلاّ ومنزل سورة الأحزابِ

على مائدة يزيد

حضر أعرابي على مائدة يزيد بن مزيد(١) فقال لأصحابه : أفرجوا لأخيكم

فقال الأعرابي : لا حاجة لي بإفراجكم إن أطنابي طوال يعني سواعده ، فلما مد يده ضرط ، فضحك يزيد ، فقال يا أخا العرب : أظن أن طنبا من أطنابك قد انقطع .

حال أعرابي

وُجد أعرابي يأكل ويتغوط ويفلي ثوبه ، فقيل له في ذلك

فقال : أخرج عتيقا وأدخل جديدا ، وأقتل عدوا .

أعرابي في الخلاء

جلس بعض الأعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج إلى بيت الخلاء ، فدلوه عليه ،

---

(١) ابن زائدة ، أمير العرب أبو خالد الشيباني ، أحد الأبطال والأجواد ، وهو ابن أخي الأمير معن بن زائدة ، ولي اليمن ، ثم ولي أذربيجان وأرمينية للرشيد ، وقتل رأس الخوارج الوليد بن طريف .

فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا ، فضحكوا عليه ، فأنشد يقول :

إذا ما خلا الإنسان في بيت غائط تراخت بلا شك مصاريع فقحته

فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته

أعرابي في عرس

قال الهيثم بن عدي(١) : سمعت أعرابيا يقول : دخلت حضرتكم بعد عيد الاضحى فإذا انا بجمع عظيم عليهم انواع من الثياب من بيض وحمر وصفر فكأنها زهر بستان ، فقلت في نفسي : هذا العيد الذي يذكره اصحابي لي ، أن الحضر يتزينون فيهثم رجعت الى عقلي فقلت : وأي عيد هو؟ وقد خرجت بعد عيد الاضحى .فبينما أنا باهت افكر في الأمر ، إذا أخذ بيدي رجل منهم .فقال : أُدخل يا أعرابي ، فدخلت ،فإذا بمجلس منضد بالنضائد ، موسد بالوسائد ، وفي صدرة سرير ، وعليه رجل جالس ، والناس صموت عن يمينه وشماله . فقلت في نفسي : هذا الخليفة الذي يذكرون ، فقبلت الأرض وقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقيل : اسكت يا أعرابي ، هذا عريس ونحن في عُرسة ، فهيئ لي موضع في المجلس ، فجلست فيه فقدمت إلي هنات [أشياء لا أعرفها] من خشب عليها ثياب متلاحمة النسج ، فهممت أن آخذ منها لكي أرقع بها ثوبي ، فقيل لي : مد يدك يا اعرابي وكل .فإذا هو ضرب من الخبز لا اعرفه ، ثم قدمت ال انواع من الطعام حلوة وحامضة ، وشراب ساخنة وباردة ، فقدموا لي شراب غريب الشكل لونه احمر فجعلوا يصبون لي في قدح ويقولون لي اشرب .وقيل لي بان هذا الشراب يهضم المعدة ، فشربت منه فحدث في قلبي طرب لا أعرفه . فهممت أن أهشم الذي بجانبي ، فقالوا لرجل أمتعنا بنفسك .فأتى بهنات [أشياء لا أعرفها]لها رأسان مشدودان بالخيوط المحصدة [المفتولة] فأقبل يضرب رأسه ، فيخرج منها صوتا كهزيم الرعد وزئير اسد واخرج رجل من كمه شيئا كفشيلة الحمار ، فأقبل يردد عليه به ، وأقبل آخر ينتخ [يسترج وينتزع]حتى ارتمى على الأرض . فقلت مجنون ورب الكعبة ، ثم أقبلوا

(١) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد ، الطائي الكوفي ، أبو عبد الرحمن ، الإخباري ، المؤرخ العلامة . ذاع صيته بالكوفة وقلَّ ما روى من المسند . ضعّفه علماء الحديث . اختص بمجالسة المنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد ، وروى عنهم .

يضرعون إلى آخر ، ويرغبون إليه . فأتاهم بدابة من خشب ،عينها في صدرها إذا فتلت آذانها تكلم فوها ، فطرب كل من حضر وطربت حتى تقدمت إليه .فسألته : يا سيدي ما هذه الدابة؟ فقال لي إنها البربط [العود] فقلت آمنت بالله وبالبربط ، ثم سقوني قدحا آخر فنمت نومة لم توقظني منها إلا حر الشمس من الغد .

يضرب أمه

قال الأصمعي : رأيت أعرابيا يضرب أمه .
فقلت له : يا هذا أتضرب أمك!!!
فقال : اسكت فاني أريد أن تنشأ على أدبي .

ولاية

قدم رجل من فارس على صاحب له ، فسأله صاحبه : قد كنت عند الأمير ، فأي شيء ولاّك؟
فأجاب الرجل : ولاّني قفاه .

الخيط والخيانة

كان الرجل من العرب إذا خرج مسافرا بدأ بالشجرة يعقد خيطا على ساقها أو على غصن من أغصانها فإذا رجع إلى أهله بدأ الى الشجرة فنظر إلى الخيط فإن كان منحلا حكم أن امرأته خانته وإن كان على حاله حكم أنها حفظته

طلقها لوجه الله

عن الأصمعي قال خرج قوم من قريش إلى أرض لهم وخرج معهم رجل من غفار فأصابهم ريح عاصف حتى يئسوا معه من الحياة فسلوا «استسلموا» واعتق كل رجل منهم عبدا له فقال الغفاري : اللهم إنك تعلم أنني لا أملك عبدا فأعتقه ولكن امرأتي طالق ثلاثا إكراما لوجهك الكريم .

عدو الطائفية

سمع أبن الإعرابي رجلا يقول لناس اجتمعوا عليه يضربونه : أتوسل إليكم بحق

علي ومعاوية أن تكفوا عني .
فقال أحدهم وهو يجيد ضربه : لقد جمعت بين الساكنين .

الملك لله

رُمِيَّ رجل أعور بسهم فأصاب عينه السليمة فقال : أمسينا وأمسى الملك لله!

سين وجيم

سئل إعرابي عن اسمه فقال اسمي عبد الله
فقيل ابن من؟
فقال : ابن عبد الله
فقيل ابن من؟
فقال : ابن عبد الرحمن
فقال له السائل : أشهد انك تلوذ بالله تعالى لواذ يتيم جبان

فقيه الأعراب

سئل أعرابي : أتذكر أن الناس حجوا من قبل في رمضان
ففكر طويلا ثم أجاب : نعم . . أظن . . مرتين أو ثلاثاً !

نأكل سُماً

دخل أعرابي على قوم يأكلون ، فقال ما تأكلون؟
فقالوا : سُمًّا ،
فأدخل يده في الجفنة وقال : الحياة بعدكم حرام .

منزل سائل

وقيل لسائل أعرابي : أين منزلك؟
قال : ما لي منزل إنما أشتمل الليل إذا عسعس
وأظهر بالنهار إذا تنفس .

مزارع مع وقف التنفيذ

دخل رجل دكاناً ليحلق ذقنه وكان الحلاق غير بارع فصار كلما جرح الرجل جرحاً يضع عليه قطناً ولّما أتم نصف ذقن الرجل وقف وقال له : كفى خذ أجرتك . . فسأله الحلّاق لماذا لا تصبر حتى تنتهي . . فأجابه : لأنك زرعت نصف ذقني قطناً ومرادي أن أزرع النصف الآخر كتاناً .

بلاهة أعرابي

عن أبي عثمان المازني أنه قال : كنت في البادية فإذا بأعرابي تقدم فقال : الله أكبر سبح اسم ربك الأعلى ، الذي أخرج المرعى ، أخرج منها تيساً أحوى ينزو على المعزى ثم قام في الثانية فقال : وثب الذئب على الشاة الوسطى وسوف يأخذها تارة أخرى . أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ألا بلى ألا بلى فلما فرغ قال : اللهم لك عفرت جبيني وإليك مددت يميني فانظر ماذا تعطيني .

صاحب الحبل

يروى أن رجلاً أحتاج حبلاً فذهب إلى جاره كي يستعيره منه فأعتذر الرجل من تلبية طلبه ، فسأله : هل أنت محتاج إليه لمدّة طويلة فقال صاحب الحبل : سأنشر عليه الحنطة فدهش الرجل وقال : كيف تنشر الحنطة على الحبل فقال صاحب الحبل يا صديقي إنّي أستطيع أن أفعل كل شيء طالما أنا لا أريد أن أعير الحبل لك .

تبدل الأحوال

روي أن رجلاً من الأولين كان يأكل ،
وبين يديه دجاجة مشوية ،
فجاء سائل فرده خائباً . وكان الرجل مترفاً .
فوقعت بينه وبين امرأته فرقة ، وذهب ماله ، وتزوجت ،
فبينما زوجها الثاني يأكل ، وبين يديه دجاجة مشوية ،
إذ جاء سائل
فقال لزوجته : ناوليه الدجاجة ، فناولته

ونظرت فإذا زوجها الأول ، فأخبرته بالقصة

فقال الثاني : وأنا والله ذلك المسكين ، خيبني فحول الله نعمته وأهله إلي لقلة شكره .

بلاغة أعرابي

قال أعرابي لهشام بن عبد الملك[١] : أتت علينا ثلاثة أعوام . فعام أكل الشحم ، وعام أكل اللحم ، وعام انتقى العظم . وعندكم أموال ، فإن كانت لله فادفعوها إلى عباد الله ، وإن كانت لعباد الله فادفعوها إليهم ، وإن كانت لكم فتصدقوا ، فإن الله يجزي المتصدقين .

فقال له هشام : فهل من حاجة غير ذلك؟

قال : ما ضربت إليك أكباد الإبل أدّرع الهجير ، وأخوض الدجى لخاص دون عام .

الأعرابي والأصمعي

قال الأصمعي لأعرابي : أتقول الشعر؟

قال الأعرابي : أنا ابن أمه وأبيه .

فغضب الأصمعي وأراد أن يختبر الإعرابي فلم يجد قافية أصعب من الواو الساكنة المفتوح ما قبلها مثل (لَوْ)

قال فقلت : أكمل

فقال : هات

فقال الأصمعي :

قـــــومٌ عهدناهـــــــم   سقاهـــم الله من النــــــو

فقال الأعرابي :

النـــو تلألأ فـــي دجا ليلةٍ   حالكـــــة مظلمـــةٍ لــــو

---

(١) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء .

فقال الأصمعي : لو ماذا ؟

فقال الأعرابي :

لو سار فيها فــارس لانثنى   علـــى بــه الأرض منطو

قال الأصمعي : منطو ماذا ؟

فقال الأعرابي :

منطـوِ الكشح هضيم الحشا   كالبـــاز ينقــض من الجو

قال الأصمعي : الجو ماذا ؟

فقال الأعرابي :

جو السما والريح تعلـو بـــه   فاشتـم ريح الأرض فاعـلو

الأصمعي : اعلو ماذا ؟

فقال الأعرابي :

فاعلـــوا لما عيل من صبـــره   فصـــار نحـــو القوم ينعـــو

فقال الأصمعي : ينعو ماذا ؟

قال الأعرابي :

ينـعو رجالاً للقنا شرعــت   كفيـــت بما لاقـــوا ويلقـــوا

فقال الأصمعي : يلقوا ماذا ؟

قال الأعرابي :

إن كنــت لا تفهم ما قلتــه   فأنـــت عنـــدي رجــل بـو

قال الأصمعي : بو ماذا ؟

فقال الأعرابي :

البـــو سلخ قد حشي جلـده   بأظلـــف قرنـــين تقـــم أو

قال الأصمعي : أوْ ماذا ؟

فقال الأعرابي :

أو أضـــرب الرأس بصيوانة   تقـــول في ضربتـــها قـــو

قال الأصمعي : فخشيت أن أقول قوٍ ماذا ، فيأخذ العصى ويضربني

ابن عائشة وجعفر التميمي

قال محمد بن زكريا قال : حضرت مجلسا فيه عبيد الله بن محمد بن عائشة

التميمي ، وفيه جعفر بن قاسم الهاشمي ، فقال لابن عائشة :
ههنا آية نزلت في بني هاشم خصوصا .
قال : وما هي؟
قال : قوله تعالى : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾
قال ابن عائشة : قومه قريش ، وهي لنا معكم .
قال : بل هي لنا خصوصا .
قال : فخذ معها : ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾
فسكت جعفر فلم يجد جوابا .

ابن من سجدت له الملائكة

روى سعيد بن يحيى الأموي عن أبيه قال : كان فتيان من قريش يرمون ، فرمى منهم رجل من ولد أبي بكر وطلحة فأصاب فقال : أنا ابن القرنين .
فرمى آخر من ولد عثمان فأصاب ، فقال : أنا ابن الشهيد .
ورمى رجل من الموالي فأصاب ، فقال : أنا ابن من سجدت له الملائكة .
فقالوا : من هو؟
فقال : آدم .

الحسن البصري والمجوسي

روي عن الحسن البصري[١] رضي الله عنه أنه قال : دخلتُ على بعض المجوس وهو يجود بنفسه عند الموت ، وكان منزلهُ بإزاء منزلي ، وكان حسن الجوار ، وكان حسن السيرة ، حسن الخلق ، فرجوتُ الله تعالى أن يوفّقه عند الموت ، ويميتُه على الإسلام ، ،
فقلت له : ما تجد ، وكيف حالك ؟ فقال : لي قلب عليل ولا صحّة لي ،وبدنٌ سقيمٌ ولا قوة لي ، وقبر مُوحش ولا أنيس لي ،وسفر بعيد ولا زاد لي ، وصراطٌ دقيق ولا جواز لي ، ونار حامية ولا بدنَ لي ،وجنَّة عالية ولا نصيب لي ، وربٌّ عادل ولا

(١) الحسن بن يسار البصري إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد وعشرين من الهجرة .

حُجَّةَ لي . قال الحسن : فرجوتُ الله أن يوفّقه ، فأقبلت عليه وقلت له : لم لا تُسلِم حتى تَسلمَ ؟ قال : يا شيخ ، إنَّ المِفتاح بيدِ الفتاح ، والقفُل هاهنا ، وأشار إلى صدره ، وغشيَ عليه . قال الحسن : فقلت : إلهي وسيِّدي ومولاي ، إن كان سبقَ لهذا المجوسيِّ عندك حسنةٌ فعجِّل لها إليه قبل فراق روحه من الدنيا ، وإقطاع الأمل . فأفاق من عشيته ، وفتح عينه ، ثم أقبل وقال : يا شيخ ، إنَّ الفتَّاح أرسل المفتاح ، أمدد يمناك ، فأنا أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهدُ أن محمداً رسول الله ، ثم خرجت روحه وصار إلى رحمة الله .

يموت وصدقة

قال يموت بن المزرع : قال لي سهل بن صدقة يوما . وكانت بيننا مداعبة : ضربك الله باسمك .

فقلت له مسرعا : أحوجك الله إلى اسم أبيك .

من أحاديث الأذكياء

مرّ رجل من الأذكياء برجل قائم في الطريق فقال : ما وقوفك؟

قال : أنتظر انسانا .

فقال : يطول قيامك إذن .

دخل رجل ذكي الى المسجد يصلي ، فسرقوا نعله ، فتركوها في كنيسة بجوار المسجد ، فجعل يفتش عليها ، فرآها في الكنيسة فقال :ويحك ، لمّا أسلمت أنا تنصّرت أنت!

قال بعض الأذكياء : إذا رأيت رجلا في صلاة الغداة على باب داره ، وهو يقول : ﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾ ، فاعلم أن في جواره وليمة لم يدع اليها .

وإذا رأيت قوما يخرجون من مجلس القاضي وهم يقولون : ﴿وما شهدنا الا بما علمنا ﴾ ، فاعلم أن شهادتهم لم تقبل .

وإذا تزوّج الرجل ، فسئل عن حاله ، فإن قال : ما رغبنا إلا في الاصلاح ، فاعلم أن زوجته قبيحة .

تدحرج إلى أعلى!

حكي أن بعض الناس ضاف رجلا ، فانتبه صاحب الدار بالليل ، فسمع ضحك الرجل من الغرفة ، فصاح به : فلان :

قال : لبّيك .

قال : أنت كنت في الدار ، فما الذي رقاك الى الغرفة؟

قال : تدحرجت .

قال : الناس يتحرجون من فوق الى أسفل ، فكيف تدحرجت أنت من أسفل الى فوق؟

قال : فمن هذا أضحك .

أجوبة من القرآن

رؤي فقير في قرية فقيل له : ما تصنع؟

فقال : ما صنع موسى والخضر عليهما السلام . يعني : ﴿استطعما أهلها﴾

**

وسئل بعض السوقة عن سوقهم ، فقال : مثل سوق الجنة .

يعني أنه : لا بيع فيه ولا شراء .

حيلة بنان المتطفل

مر بنان بعرس فأراد الدخول ، فلم يقدر ، فذهب الى بقال فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداح ، وجاء الى باب العرس فقال : يا بوّاب ، افتح لي .

فقال له البواب : من أنت؟

قال : أراك ليس تعرفني؟ أنا الذي بعثوني أشتري لهم الأقداح .

ففتح له البواب ، فدخل فأكل وشرب مع القوم ، فلما فرغ أخذ الأقداح فقال :

يا بوّاب ، افتح لي حتى أرد هذه .

فخرج فردها على البقال وأخذ خاتمه .

**

وجاء بنان الى وليمة لرجل ، فأغلق الباب دونه ، فاكترى سلّما ووضعه على حائط للرجل ، فأشرف على عيال الرجل وبناته ، ، فقال له الرجل :

يا هذا أما تخاف الله؟ رأيت أهلي وبناتي؟
فقال : يا شيخ ، ﴿لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد﴾
فضحك الرجل وقال له : انزل فكل .

ما بقي في صدره من القرآن

وقال بنان : حفظت القرآن كله ثم أنسيته إلا حرفين : ﴿ءاتنا غداءنا﴾

وعطش رجل إلى جنب بنان في دعوة ،
فقال بنان : ارفع نفسك الى فوق وتنفس ثلاثا ، فإنه ينزل ما أكلته من الطعام .

أخبار المتطفلين

قال طفيلي في نفسه :

نحــــن قوم إذا دُعينــا أجبْنا ومتى نُنْسَ يدْعُنا التَّطْفيــل
ونَقُــلْ علَّنا دُعِيْنا فغِبْـــنا وأتانا فلم يجِدْنا الرَّســــول

**

قيل لطفيلي : كم اثنان في اثنين؟ قال : أربعة أرغفة

**

ومرَّ طفيلي بقوم يتغدَّون فقال : سلام عليكم معشر اللئام .
فقالوا : لا والله ، بل كرام .
فثنى رجله وجلس ،
وقال : اللهمَّ اجعلهم من الصادقين ، واجعلني من الكاذبين .

**

جاء طفيلي إلى عرس فمنع من الدخول ، وكان يعلم أن أخا للعروس غائب ، فأخذ ورقة كاغد فطواها وختمها وليس في بطنها شيء ، وجعل في ظاهرها : من الأخ الى العروس .
وجاء فقال : معي كتاب من أخ العروس .
فأذن له ، فدخل فدفع إليهم الكتاب .
فقالوا : ما رأينا مثل هذا العنوان ، ليس عليه اسم أحد .

فقال : وأعجب من هذا أنه ليس في بطن الكتاب ولا حرف واحد لأنه كان مستعجلا!

فضحكوا منه وعرفوا أنه احتال لدخوله ، فقبلوه .

**

قال منصور بن علي الجهضمي : كان لي جار طفيلي ، وكان من أحسن الناس منظرا وأعذبهم منطقا وأطيبهم رائحة وأجملهم ملبوسا ، وكان من شأنه أني إذا دعيت إلى دعوة تبعني ، فيكرمه الناس من أجلي ، ويظنون أنه صاحب لي .

فاتفق يوما أن جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يختن بعض أولاده ، فقلت في نفسي : كأني برسوله وقد جاء ، وكأني بهذا الرجل قد تبعني ، والله لئن تبعني لأفضحنّه .

فأنا على ذلك إذ جاء الرسول يدعوني ، فما زدت على أن لبست ثيابي وخرجت ، فاذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره وقد سبقني للتأهب ، فتقدمت وتبعني ، فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة ، ودعي بالطعام ، وحضرت الموائد ، وكان كل جماعة على مائدة والطفيلي معي ، فلما مدّ يده لتناول الطعام قلت :

حدثنا درست بن زياد ، عن ابان بن طارق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «من دخل دار قوم بغير اذنهم فأكل طعامهم دخل سارقا وخرج مغيرا» .

فلما سمع ذلك قال : ما من أحد من الجماعة الا وهو يظن أنك تعرّض به دون صاحبه . أولا تستحي أن تحدث بهذا الكلام على مائدة سيّد من أطعم الطعام ، وتبخل بطعام غيرك على من سواك؟ ثم لا تستحي أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف ، وعن أبان بن طارق وهو متروك الحديث يحكم برفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمسلمون على خلافه ، لأن حكم السارق القطع ، وحكم المغير أن يعزر على ما يراه الامام؟ وأين أنت من حديث : حدثنا أبو عاصم النبيل ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : «طعام الواحد يكفي اثنين ، وطعام الاثنين يكفي الأربعة ، وطعام الأربعة يكفي الثمانية» ، وهو اسناد صحيح .

قال منصور بن علي : فأفحمني ، فلم يحضرني له جواب ، فلما خرجنا من الموضع للانصراف فارقني من جانب الطريق الى الجانب الآخر بعد أن يمشي ورائي وسمعته يقول :

ومن ظنّ ممن يلاقي الحروب
بأن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

**

صحب طفيلي رجلا في سفر ،
فقال له الرجل : امض فاشتر لنا لحما .
قال : لا والله ما أقدر .
فمضى هو واشترى .
ثم قال له : قم فاطبخ .
قال : لا أحسن .
فطبخ الرجل .
ثم قال له : قم فاثرد .
قال : أنا والله كسلان .
فثرد الرجل .
ثم قال له : قم فاغرف .
قال : أخشى أن ينقلب على ثيابي .
فغرف الرجل .
ثم قال له : الآن فكل .
قال الطفيلي : قد والله استحييت من كثرة خلافي لك .
وتقدّم فأكل .

**

وتطفل رجل مرة على رجل ، فقال له صاحب المنزل : من أنت؟
قال : أنا الذي لم احوجك الى رسول .

**

جاء طفيلي إلى بيت رجل مع جماعة فقال له الرجل : من أنت؟
فقال : إذا كنت لا تدعونا ونحن لا نأتي صار في هذا نوع جفاء .

**

عرّس طفيلي ، فأتاه طفيليّان في أوّل الناس ، فأدخلهما وجاء الى غرفة له يرتقي اليها بسلّم ، فوضع السلّم وقال :

اصعدا لتبعدا من الأذى ، وأخصكما بفائق الطعام .

فصعدا فلما حصّلا في الغرفة نحّى السلّم ووضع المائدة ، وأطعم أصدقاءه وجيرانه ، وهما مطّلعان عليه .

فلما فرغ القوم وضع السلم ، وقال : انزلا . فدفع في أقفائهما ، وقال : انصرفا راشدين قد قضيتما حق أخيكما .

**

وروي عن عبد الرحمن بن عمر الفهري أنه قال ، أمر المأمون[1] أن يحمل إليه عشرة من أهل البصرة كانوا قد رموا بالزندقة فحملوا فرآهم أحد الطفيلية قد اجتمعوا بالساحل فقال ما اجتمع هؤلاء إلاَّ لوليمة فدخل معهم ومضى بهم الموكلون إلى البحر وأطلعوهم في زورق قد أعد لهم ، فقال الطفيلي لا شك أنها نزهة فصعد معهم في الزورق فلم يكن بأسرع من أن قيدوا وقيد الطفيلي معهم فعلم أنه قد وقع ورام الخلاص فلم يقدر

وساروا بهم إلى أن دخلوا بغداد وحملوا حتى دخلوا على المأمون مثلوا بين يديه ، أمر بضرب أعناقهم فاستدعوهم بأسمائهم حتى لم يبق إلاَّ الطفيلي وهو خارج عن العدة

فقال لهم المأمون : من هذا قالوا والله ما ندري يا أمير المؤمنين غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به

فقال له المأمون : ما قصتك

قال يا أمير المؤمنين ، امرأتي طالق إن كنت أعرف من أقوالهم شيئا

ولا أعرف غير لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، إنما رأيتهم مجتمعين فظننت أنهم يدعون إلى وليمة فالتحقت بهم

فضحك المأمون ثم قال : بلغ من شؤم التطفل إن أحلّ صاحبه هذا المحل ، لقد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يؤدب حتى يتوب

**

(١) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ، ولد عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ وتوفي غازيا في ١٩ رجب عام ٢١٨ هـ ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣ بطرسوس ، شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول وذلك لأنه شارك فيها بنفسه .

وقال طفيلي : إياك والكلام على الطعام إلا أن تقول : نعم ، فإنها مضغة .

**

وأوصى طفيلي غلامه ، فقال : اذا ضاق بك الموضع ، فقل للذي الى جانبك : «لعلي ضيّقت عليك ، فانه سيوسّع لك المكان كموضع رجل آخر» .

جواب خارج السؤال

قال طاهرُ بنِ الحُسين(١) لأبي عبد الله المَرْوزِيّ : (٢)
كم لك منذُ نزلتَ بالعراق؟
قال : منذُ عشرين سنةً ،
وأنا أصوم الدهرَ منذ ثلاثين سنة .
قال : أبا عبد الله ، سألتُك عن مسألة فأجبتني عن مسألتين .

**

واحدة من اثنتين

جاء رجل إلى ثمامة بن أشرس(٣) فطلب أن يسلفه ويؤخره ، فقال له : هذه حاجتان ، فأنا أقضي لك أحداهما .
قال : قد رضيت .
قال : فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك

الجزاء من جنس العمل

حدّث رجل من الدقاقين قال :
أورد علي رجل غريب سفتجة بأجل ، فكان يتردد علي الى أن حلّت السفتجة ، ثم قال لي :

---

(١) طاهر بن الحسين اسمه طاهر بن الحسين بن زريق ماهان الخزاعي ولد سنة ١٥٩هـ وهو أحد أشهر قواد الخليفة العباسي المأمون وكان يعرف بذى اليمينين .
(٢) محمد بن نصر بن حجاج المروزي كنيته : أبو عبد الله المَرْوَزِي من علماء الفقه والحديث من مؤلفاته : كتاب القسامة – تعظيم قدر الصلاة – كتاب الإيمان وغيرها .
(٣) هو ثمامة بن الأشرس النميري ، مناظر قوي ، وأديب بارع .

أدعها عندك آخذها متفرّقة .

فكان يجيء كل يوم ، فيأخذ بقدر نفقته ، الى أن نفدت . فصارت بيننا معرفة ، وألف الجلوس عندي ، وكان يراني أخرج من صندوق لي ، فأعطيه منه .

فقال لي يوما : أن قفل الرجل صاحبه في سفره ، وأمينه في حضره ، وخليفته على حفظ ماله ، والذي ينفي الظنة على أهله وعياله . وان لم يكن وثيقا تطرقت الحيل إليه ، وأرى قفلك هذا وثيقا ، فقل لي : ممن ابتعته لأبتاع مثله لنفسي؟

قلت : من فلان الأقفالي .

قال : فما شعلات يوما وقد جئت الى دكاني ، فطلبت صندوقي لأخرج منه شيئا من الدراهم ، فحمل الي ففتحته ، واذا ليس فيه شيء من الدراهم ، فقلت لغلامي وكان غير متهم عندي :

هل انكسر من الدراب شيء؟

قال : لا .

قلت : ففتش هل ترى في الدكان نقبا؟

ففتش ، فقال : لا .

فقلت : فمن السقف حيلة؟

قال : لا .

قلت : فاعلم أن دراهمي قد ذهبت .

فقلق الغلام ، فسكته وأقمت من يومي لا أدري أي شيء أعمل ، وتأخر الرجل عني ، فاتهمته . وتذكرت مسألته لي عن القفل ، فقلت للغلام :

أخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله؟

قال : أحمل الدراب من المسجد دفعتين ثلاثة ثلاثة ، فأقفلها ثم هكذا أفتحها .

قلت : فعلى من تخلي الدكان اذا حملت الدراب؟

قال : خاليا .

قلت : من ههنا دهيت .

فذهبت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت له : جاءك انسان منذ أيام اشترى منك مثل هذا القفل؟

قال : نعم ، رجل من صفته كيت وكيت .

فأعطاني صفة صاحبي ، فعلمت أنه احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت أنا

وبقي الغلام يحمل الدراب ، فدخل هو الى الدكان فاختبأ فيه ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه يقع على قفلي ، وأنه أخذ الدراهم وجلس طوال الليل خلف الدراب ، فلما جاء الغلام ففتح درابين وحملها ليرفعها خرج ، وأنه ما فعل ذلك الا وقد خرج من بغداد .

قال : فخرجت ومعي قفلي ومفتاحه ، فقلت : أبتدىء بطلب الرجل بواسطة ، فلما صعدت من السميرية طلبت خانا أنزله ، فصعدت فاذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت ، فقلت لقيّم الخان :

هذا البيت من ينزله؟

قال : رجل قدم من البصرة أمس .

قلت : ما صفته؟

فوصف صفة صاحبي ، فلم أشك أنه هو وأن الدراهم في بيته .

فاكتريت بيتا الى جانبه ورصدت حتى انصرف قيّم الخان ، ففتحت القفل ، ودخلت ، فوجدت كيسي بعينه ، فأخذته وخرجت ، وأقفلت الباب ونزلت في الوقت ، وانحدرت الى البصرة ، وما أقمت بواسط الا ساعتين من النهار ، ورجعت الى منزلي بمالي بعينه .

استعادة الدنانير

روى ابن الدنانير النمّار قال : حدثني غلام قال لي :

كنت ناقدا بالأبلة لرجل تاجر ، فاقتضيت له من البصرة نحو خمسمئة دينار وورقا ولففتها في فوطة ، وأمسيت على المسير إلى الأبلة ، فما زلت أطلب ملاحا فلا أجد ، إلى أن رأيت ملاحا مجتازا في خيطيّة خفيفة فارغة ، فسألته أن يحملني ، فخفف علي بالأجرة وقال :

أنا أرجع إلى منزلي بالأبلة ، فانزل .

فنزلت ، وجعلت الفوطة بين يدي وسرنا ، فاذا رجل ضرير على الشط يقرأ أحسن قراءة تكون ، فلما رآه الملاح كبّر ، فصاح هو بالملاح :

احملني ، فقد جنّني الليل وأخاف على نفسي .

فشتمه الملاح ، فقلت له احمله .

فدخل إلى الشط فحمله ، فرجع الى قراءته ، فخلب عقلي بطيبها ، فلما قربنا من الأبلة قطع القراءة ، وقام ليخرج في بعض المشارع بالأبلة ، فلم أر الفوطة ،

فاضطربت وصحت واستغاث الملاح ، وقال :

الساعة تنقلب الخيطية .

وخاطبني خطاب من لا يعلم حالي ، فقلت :

يا هذا ، كانت بين يدي فوطة فيها خمسمئة دينار!

فلما سمع ذلك الملاح لطم وبكى وتعرّى من ثيابه وقال :

لم أدجل الشط ولا لي موضع أخبئ فيه شيئا فتتهمني بسرقة ، ولي أطفال وأنا ضعيف ، فالله الله في أمري .

وفعل الضرير مثل ذلك ، وفتشت الخيطية فلم أجد فيها شيئا ، فرحمتهما وقلت : هذه محنة لا أدري كيف التخلص منها .

وخرجنا ، فعملت على الهرب ، وأخذ كل واحد منا طريقا ، وبت في بيت ولم أمض الى صاحبي ، فلما أصبحت عملت على الرجوع الى البصرة لأستخفي بها أياما ، ثم أخرج الى بلد شاسع ، فانحدرت وخرجت في مشرعة بالبصرة ، وأنا أمشي وأتعثر وأبكي قلقا على فراق أهلي وولدي ، وذهاب معيشي وجاهي .

فاعترضني رجل ، فقال : ما لك؟

فأخبرته . فقال : أنا أرد عليك مالك .

فقلت : يا هذا ، أنا في شغل عن طنزك بي .

قال : ما أقول الا حقا . امض الى السجن ببني نمير ، واشتر معك خبزا كثيرا وشواء جيّدا وحلوا ، وسل السجان أن يوصلك الى رجل محبوس هناك يقال له : «أبو بكر النقاش» . قل له : أنا زائره ، فانك لا تمنع ، فان منعت فهب للسجان شيئا يسيرا يدخلك اليه ، فاذا رأيته فسلم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه ما معك ، فاذا أكل وغسل يديه ، فانه يسألك عن حاجتك ، فأخبره خبرك ، فانه سيدلك على من أخذ مالك ويرتجعه لك .

ففعلت ذلك ووصلت الى الرجل ، فاذا شيخ مكبّل بالحديد ، فسلمت وطرحت ما معي بين يديه ، فدعا رفقاء له ، فأكلوا ، فلما غسل يديه قال :

ما أنت وما حاجتك؟

فشرحت له قصتي .

فقال : امض الساعة الى بني هلال ، فادخل الدرب الفلاني حتى تنتهي الى آخره ، فانك تشاهد بابا شعثا ، فافتحه وادخله بلا استئذان ، فتجد دهليزا طويلا

يؤدي الى بابين ، فادخل الأيمن منها فسيدخلك الى دار فيها بيت فيه أوتاد ، وعلى كل وتد واتزر بالمئزر واتشح بالإزار واجلس ، فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت ، ثم يأتون بطعام فكل معهم ، وتعمّد موافقتهم في سائر أفعالهم ، فاذا أوتي النبيذ فاشرب ، وخذ قدحا كبيرا واملأه وقم قائما وقل : هذا ساري لخالي أبي بكر النقاش ، فسيفرحون ، ويقولون : أهو خالك؟ فقل : نعم ، فسيقومون ويشربون لي ، فاذا جلسوا فقل لهم : خالي يقرأ عليكم السلام ويقول : «يا فتيان ، بحياتي ردوا على ابن اختي المئزر الذي أخذتموه بالأمس في السفينة بنهر الابلة» ، فانهم يردونه عليك .

فخرجت من عنده ففعلت ما أمر ، فردّت الفوطة بعينها وما حلّ شدّها ، فلما حصلت لي قلت :

يا فتيان هذا الذي فعلتموه معي هو قضاء لحق خالي ، ولي أنا حاجة تخصني .

قالوا : مقضيّة .

قلت : عرّفوني كيف أخذتم الفوطة؟

فامتنعوا ساعة ، فأقسمت عليهم بحياة أبي بكر النقاش ، فقال لي واحد منهم : أتعرفني؟

فتأملته جيدا فاذا هو الضرير الذي كان يقرأ ، وانما كان متعاميا .

وأومأ الى آخر فقال : أتعرف هذا؟

فتأملته فاذا هو الملاح ، فقلت :

كيف فعلتما؟

فقال الملاح : أنا أدور المشارع في أول أوقات المساء ، وقد سبقت بهذا المتعامي ، فأجلسته حيث رأيت ، فاذا رأيت من معه شيء له قدر ناديته ، وأرخصت له الأجرة وحملته ، فاذا بلغت الى القاري وصاح بي شتمته حتى لا يشك الراكب في براءة الساحة ، فان حملت الراكب فذاك والا رققته عليه حتى يحمله ، فاذا حمله وجلس يقرأ ذهل الرجل كما ذهلت ، فاذا بلغنا الموضع الفلاني ، فان فيه رجلا متوقعا لنا يسبح حتى يلاصق السفينة ، وعلى رأسه قوصرة ، فلا يفطن الراكب به ، فيسلب هذا المتعامي الشيء بخفية ، فيلقيه الى الرجل الذي عليه القوصرة ، فيأخذه ويسبح الى الشط ، واذا أراد الراكب الصعود وافتقد ما معه عملنا كما رأيت ، فلا يتهمنا ونفترق ، فاذا كان الغد اجتمعنا واقتسمناه ، فلما جئت برسالة أستاذنا خالك سلمنا اليك الفوطة .

قال : فأخذتها ورجعت .

طبق من السمك عن الحمار

قال سهل الخلاطي بلغني أن محتالين سرقا حمارا ومضى أحدهما ليبيعه ، فلقيه رجل معه طبق فيه سمك ،

فقال له :تبيع هذا الحمار؟

قال : نعم .

قال : أمسك هذا الطبق حتى أركبه ، وأنظر اليه .

فدفع اليه طبق السمك ، فركبه ورجع ثم ركبه ودخل به زقاقا ففرّ به . فلم يدر أين ذهب . فلقيه رفيقه ، فقال : ما فعل الحمار؟

قال : بعناه بما اشتريناه وربحنا هذا الطبق من السمك .

اللص وصاحب الدكان

كان ببغداد رجل يطلب التلصص في حداثته ، ثم تاب فصار بزازا[1] . فانصرف ليلة من دكانه وقد غلقه ، فجاءه لص محتال متزيّ بزي صاحب الدكان في كمه شمعة صغيرة ومفاتيح ، فصاح بالحارس ، فأعطاه الشمعة في الظلمة ، وقال :

أشعلها وجئني بها ، فان لي الليلة بدكاني شغلا .

فمضى الحارس يشعل الشمعة ، وركب اللص على الأقفال ، ففتحها ودخل الدكان ، وجاء الحارس بالشمعة ، فأخذها من يده ، فجعلها بين يديه ، وفتح سفط الحساب ، وأخرج ما فيه وجعل ينظر الدفاتر ويرى بيده أنه يحسب والحارس يتردد ويطالعه ، ولا يشك في أنه صاحب الدكان ، الى أن قارب السحر ، فاستدعى اللص الحارس ، وكلمه من بعيد وقال :

اطلب لي حمالا .

فجاء بحمال ، فحمل عليه أربع رزم مثمنة ، وقفل الدكان وانصرف ومعه الحمال وأعطى الحارس درهمين .

فلما أصبح الناس جاء صاحب الدكان ليفتح دكانه ، فقام اليه الحارس يدعو له ويقول : فعل الله بك وصنع كما أعطيتني البارحة درهمين .

فأنكر الرجل ما سمعه ، وفتح دكانه ، فوجد سيلان الشمعة وحسابه مطروحا

(١) بائع ثياب .

وفقد الأربع رزم ، فاستدعى الحارس ، وقال له :

من كان حمل الرزم معي من دكاني؟

قال : أما استدعيت مني حمالا فجئتك به؟

قال : بلى ، ولكن كنت ناعسا وأريد الحمال فجئني به .

فمضى الحارس فجاء بالحمّال . وأغلق الرجل الدكان وأخذ الحمّال ومضى ، فقال له :

الى أين حملت الرزم معي البارحة؟

قال : الى المشرعة الفلانية ، واستدعيت لك فلانا الملاح ، فركبت معه .

فقصد الرجل المشرعة ، وسال عن الملاح ، فحضر وركب معه ، وقال :

أين رقيت أخي الذي كان معه الأربع رزم؟

قال : الى المشرعة الفلانية .

قال : اطرحني اليها .

فطرحه .

قال : من حملها معه؟

قال : فلان الحمال .

فدعا به ، فقال له : امش بين يدي .

فمشى فأعطاه شيئا واستدله برفق الى الموضع الذي حمل اليه الرزم ، فجاء به الى باب غرفة في موضع بعيد من الشط قريب من الصحراء ، فوجد الباب مقفلا ، فاستوقف الحمال وفش القفل ودخل ، فوجد الرزم بحالها! واذا في البيت برّكان معلق على حبل ، فلف الرزم فيه ودعا بالحمال ، فحملها عليه وقصد المشرعة .

فحين خرج من الغرفة استقبله اللص ، فرآه وما معه ، فأبلس فأتبعه الى الشط ، فجاء الى المشرعة ودعا الملاح ليعبر ، فطلب الحمّال من يحط عنه ، فجاء اللص فحط الكساء كأنه مجتاز مقطوع ، فأدخل الرزم الى السفينة مع صاحبها ، وجعل البرّكان على كتفه وقال له :

يا أخي استودعك الله ، فقد ارتجعت رزمك ، فدع كسائي .

فضحك وقال : انزل فلا خوف عليك .

فنزل معه واستتابه ووهب له شيئا وصرفه ولم يسيء اليه .

يد اللص

قال محمد بن أبي طاهر ، عن أبي القاسم التنوخي[١] ، عن أبيه :

أن رجلا من بني عقيل مضى ليسرق دابة .

قال : فدخلت الحي ، فما زلت أتعرّف مكان الدابة فاحتلت حتى دخلت البيت ، فجلس الرجل وامرأته يأكلان في الظلمة ، فأهويت بيدي الى القصعة وكنت جائعا ، فأنكر الرجل يدي وقبض عليها ، فقبضت على يد المرأة بيدي الأخرى ، فقالت المرأة :

ما لك ويدي؟

فظن أنه قابض عل يد امرأته فخلى يدي ، فخليت يدي ، فخليت يد المرأة وأكلنا .

ثم أنكرت المرأة يدي فقبضت عليها ، فقبضت على يد الرجل ، فقال لها :

ما لك ويدي .

فخلت عن يدي ، فخليت عن يده ، ثم نام وقمت ، فأخذت الفرس .

أوثقه قبل أن يسرقه

قال أبو القاسم التنوخي ، عن أبيه : أن رجلا نام في مسجد وتحت رأسه كيس فيه ألف وخمسمئة دينار .

قال : فما شعرت الا بإنسان قد جذبه من تحت رأسي فانتبهت ، فاذا شاب قد أخذ الكيس ومرّ يعدو ، فقمت لأعدو خلفه ، فاذا رجلي مشدودة بجيط قنّب في وتد مضروب في آخر المسجد .

مروءة لص

قال محمد بن أبي طاهر ، أنبأنا أبو القاسم التنوخي ، عن أبيه قال : حدثني أبو الحسين عبد الله بن محمد البصري ، حدثني أبي قال : كان بالبصرة رجل من

(١) القاضي العالم المعمر أبو القاسم : علي بن القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي البصري ثم البغدادي ، صاحب كتاب «الطوالات» ، وولد صاحب كتاب «الفرج بعد الشدة» ، وكتاب «النشوار» ، وغير ذلك .

اللصوص يلص بالليل ، فاره جدا مقدام ، يقال له عباس بن الخياطة ، قد غلب الأمراء وأشجع أهل البلد ، فلم يزالوا يحتالون عليه الى أن وقع وكبّل بمئة رطل حديد وحبس .

فلما كان بعد سنة من حبسه أو أكثر ، دخل قوم بالابلة على رجل تاجر وكان عنده مجوهرات بعشرات ألوف الدنانير فسرقوه ، وكان مستيقظا جلدا ، فجاء الى البصرة يتظلم ، وأعانه خلق من التجار ، وقال للأمير :

أنت دست على جوهري وما خصمي سواك .

فورد عليه أمر عظيم وخلا بالبوّابين وتوعّدهم ، فاستنظروه فأنظرهم ، وطلبوا واجتهدوا ، فما عرفوا فاعل ذلك ، فعنفهم الرجل فاستجابوا مرة أخرى .

فجاء أحد البوابين الى الحبس ، فتخادم لابن الخياطة ولزمه نحو شهر ، وتذلل له في الحبس فقال له :

قد وجب حقك عليّ ، فما حاجتك؟

قال : جوهر فلان المأخوذ بالبلة ، لا بد أن يكون عندك منه خبر ، فان دماؤنا مرتهنة به . وحدثه الحديث .

فرفع ذيله ، واذا سفط الجوهر تحته ، فسلمه اليه وقال :

قد وهبته لك .

فاستعظم ذلك وجاء بالسفط الى الأمير ، فسألاه عن القصة ، فأخبره بها .

فقال : عليّ بعباس .

فجاؤوا به ، فأمر بالإفراج عنه وازالة قيوده وادخاله الحمام وخلع عليه وأجلسه في مجلسه مكرما واستدعى الطعام ، فواكله وبيّته عنده ، فلما كان من الغد خلا به ، وقال :

أنا أعلم أنك لو ضربت مئة ألف سوط ما أقررت كيف كانت صورة أخذ الجوهر ، وقد عاملتك بالجميل ليجب حقي عليك من طريق الفتوة ، وأريد أن تصدقني حديث هذا الجوهر .

قال : انني ومن عاونني عليه آمنون ، وانك لا تطالبنا بالذين أخذوه؟

قال : نعم .

فاستحلفه . فقال له :

ان جماعة اللصوص جاؤوني الحبس ، وذكروا حال هذا الجوهر ، وأن دار هذا

التاجر لا يجوز أن يتطرق عليها نقب ولا تسليق ، وعليها باب حديد ، والرجل متيقظ وقد راعوه سنة ، فما أمكنهم . وسألوني ، فساعدتهم ، فدفعت الى السجان مئة دينار وحلفت له بالشطارة والأيمان الغليظة ، أنه ان أطلقني عدت اليه من غد ، وأنه ان لم يفعل ذلك اغتلته ، فقتلته في الحبس . فأطلقني .

فنزعنا الحديد وتركته وخرجت المغرب ، فوصلنا الى الابلة العتمة ، وخرجنا الى دار الرجل ، فاذا هو في المسجد وبابه مغلق ، فقلت لأحدهم : تصدق من الباب . فتصدق ، فلما جاؤوا ليفتحوا قلت له : اختف . ففعل ذلك مرّات ، والجارية تخرج ، فاذا لم تر أحدا عادت ، الى أن خرجت من الباب ، ومشت خطوات تطلب السائل ، فتشاغلت بدفع الصدقة اليه ، فدخلت أنا الى الدار ، فاذا في الدهليز بيت فيه حمار ، فدخلته . ووقفت تحت الحمار وطرحت الجل عليّ وعليه .

وجاء الرجل فغلق الأبواب وفتش ونام على سرير عال والجوهر تحته ، فلما انتصف الليل قمت الى شاة في الدار ، فعركت أذنها فصاحت ، فقال : ويلك أقول لك افتقديها . قالت : قد فعلت . قال : كذبت ، وقام بنفسه ليطرح لها علفا ، فجلست مكانه على السرير ، وفتحت الخزانة ، وأخذت السفط وعدت الى موضعي وعاد الرجل ، فنام .

فاجتهدت أن أجد حيلة أن أنقب الى دار بعض الجيران ، فأخرج فما قدرت ، لأن جميع الدار مؤزرة بالساج ، ورمت صعود السطح ، فما قدرت ، لأن الممارق مقفلة بثلاثة أقفال ، فعملت على ذبح الرجل ، ثم استقبحت ذلك ، وقلت : هذا بين يدي ان لم أجد حيلة غيره . فلما كان السحر عدت الى موضعي تحت الحمار ، وانتبه الرجل يريد الخروج ، فقال للجارية : افتحي الأقفال من الباب ودعيه مترسا ، ففعلت وقربت من الحمار فرفس ، فصاحت ، فخرجت أنا ففتحت المترس وخرجت أعدو حتى جئت المشرعة ، فنزلت في الخيطيّة ووقعت الصيحة في دار الرجل ، فطالبني أصحابي أن أعطيهم شيئا منه ، فقلت لا ، هذه قصة عظيمة ، وأخاف أن ينتبه عليها ، ولكن دعوه عندي ، فان مضى على الحديث ثلاثة أشهر ، فصيروا الي أعطيكم النصف ، وان ظهر خفت عليكم وعلى نفسي ، وجعلته حقنا لدمائكم . فرضوا بذلك ، فأرسل الله هذا البواب بليلة يخدمني ، فاستحييت منه وخفت أن يقتل هو وأصحابه ، وقد كنت وضعت في نفسي الصبر على كل عذاب ، فدخلتم عليّ من طريق أخرى لم أستحسن في الفتوة معها الا الصدق .

فقال له الأمير : جزاء هذا الفعل أن أطلقك ، ولكن تتوب .
فتاب ، وجعله الأمير من بعض أصحابه وأسنى له الرزق ، فاستقامت طريقته .

عادت الحيلة على صاحبها

قال ابو الحسن : قال : كان عندنا بالمدينة ، رجل قد كثر عليه الدين حتى توارى عن غرمائه ولزم منزله ، فأتى غريم له عليه شيء يسير فتلطف حتى وصل إليه ، فقال له : ماتجعل لي : إن أنا دللتك على حيلة تصير بها إلى الظهور والسلامة من غرمائك؟ فقال : أقضيتك حقك وأزيدك مما عندي ، مما تقربه عينك ، فتوثق منه بالإيمان فقال له : إذا كان غدا قبل الصلاة مر خادمك يكنس بابك وفناءك ويرش ويبسط على دكانك حصراً ويضع لك متكأ ، ثم أمهل حتى يصبح ويمر الناس ثم تجلس ، وكل من يمر عليك ويسلم انبح له في وجهه ولاتزيدن على النباح أحداً كائناً من كان ، ومن كلمك من أهلك أو خدمك أو من غيرهم أو غريم أو غيره حتى تصير إلى الوالي فإذا كلمك فانبح له وإياك أن تزيده أو غيره على النباح فإن الوالي إذا أيقن أن ذلك منك جد لم يشك أنه قد عرض لك عارض من مس فيخلي عنك ولا يغري عليك .

قال : ففعل ، فمر به بعض جيرانه فسلم عليه فنبح في وجهه ، ثم مر آخر ففعل مثل ذلك ، حتى تسامح غرماؤه فأتاه بعضهم فسلم عليه ، فلم يزده على النباح ، ثم آخر فتعلقوا به فرفعوه إلى الوالي فسأله الوالي فلم يزده على النباح ، فرفعه معهم إلى القاضي فلم يزده على ذلك فأمر بحبسه أياماً وجعل عليه العيون ، وملك نفسه ، وجعل لاينطق بحرف سوى النباح ، فلما رأى القاضي ذلك أمر بإخراجه ، ووضع عليه العيون في منزله ، وجعل لاينطق بحرف إلا النباح- فلما تقرر ذلك عند القاضي أمر غرماءه بالكف عنه وقال : هذا رجل به لمم- أي لوثة- ثم إن غريمه الذي كان علمه الحيلة أتاه متقاضياً لعدته- أي حسب الموعد المضروب- فلما كلمه جعل لايزيده على النباح فقال له : ويلك يافلان وعلي أيضاً وأنا علمتك هذه الحيلة فجعل لايزيده على النباح فلما يئس منه انصرف يائساً مما يطالبه به .

دين بالقوة

قال أبو الحسين : وحدثني أبي عن طالوت بن عباد الصيرفي قال :
كنت ليلة نائما بالبصرة في فراشي وحراسي يحرسونني وأبوابي مقفلة ، فاذا أنا

بابن الخيّاطة ينبهني من فراشي .
فانتبهت فزعا . فقلت : من أنت؟
فقال : ابن الخياطة .
فتلفت فقال :لا تجزع . قد قمرت الساعة خمسمئة دينار . أقرضني إياها لأردّها عليك .
فأخرجت خمسمئة دينار ، فدفعتها إليه
فقال :نم ولا تتبعني لأخرج من حيث جئت ، وإلا قتلتك .
قال : وأنا والله أسمع صوت حراسي ولا أدري من حيث دخل ، ولا من أين خرج ، وكتمت الحديث خوفا منه ، وزدت في الحرس .
ومضت ليال ، فاذا أنا به قد أنبهني على تلك الصورة ، فقلت : مرحبا ، ما تريد؟
قال : جئت بتلك الدنانير تأخذها مني .
فقلت : أنت في حل منها ، فان أردت شيئا آخر فخذ .
فقال : لا أريد من نصح التجار أشاركهم في أموالهم ، ولو كنت أردت أخذ مالك باللصوصية فعلت ، ولكنك رئيس بلدك ولا أريد أذيتك ، فان ذلك يخرج عن الفتوّة ، ولكن خذها ، فان احتجت إلى شيء بعد هذا أخذت منك .
فقلت : إن عودك لا يفزعني ، ولكن اذا أردت شيئا فتعال إلي نهارا أو رسولك .
فقال : أفعل .
فأخذت الدنانير منه وانصرف ، وكان رسوله يجيئني بعلامة بعد ذلك ، فيأخذ ما يريده ثم يردّه بعد مدة ، فما انكسر لي عنده شيء إلى أن قبض عليه .

توقيع لص

دخل لص دار قوم ، فلم يجد ما يسرق غير دواة مكسورة ، فكتب على الحائط :
عز عليّ فقركم وغناي .

حسن اللصوصية

قال أبو الفتح البصري : اجتمع جماعة من اللصوص اجتاز عليهم شيخ صيرفي معه كيسه ، فقال أحدهم :ما تقولون فيمن يأخذ كيس هذا؟
قالوا : كيف تفعل؟

قال : انظروا .

ثم تبعه الى منزله ، فدخل الشيخ ، فرمى كيسه على الضفة وقال للجارية : أنا حاقن ، فألحقيني بماء في الغرفة .

وصعدت فدخل اللص فأخذ الكيس ، وجاء الى أصحابه ، فحدثهم ، فقالوا :

ما عملت شيئا . تركته يضرب الجارية ويعذبها ، وما ذا مليح .

قال : فكيف تريدون؟

قالوا : تخلص الجارية من الضرب وتأخذ الكيس .

قال : نعم .

فمضى فطرق الباب ، فاذا به يضرب الجارية ، فقال : من؟

قال : غلام جارك في الدكان .

فخرج ، فقال : ماذا تقول؟

فقال : سيدي يسلم عليك ويقول لك : قد تغيّرت : ترمي كيسك في الدكان وتمضي؟ ولولا أننا قد رأيناه كان قد أخذ .

وأخرج الكيس ، وقال : أليس هذا هو؟

قال : بلى والله صدق .

ثم أخذه فقال له : بل أعطنيه وادخل فاكتب في رقعة أنك قد تسلمت الكيس ، حتى أتخلص أنا ويرجع اليك مالك .

فناوله اياه ودخل ليكتب فأخذه ومضى .

العجوز وجبريل

قال أبو جعفر محمد بن الفضل الضميري :

كان في بلدنا عجوز صالحة كثيرة الصيام والصلاة ، وكان لها ابن صيرفي منهمك على الشرب واللعب ، وكان يتشاغل بدكانه أكثر نهاره ، ثم يعود الى منزله ، فيخبئ كيسه عند والدته .

فدخل الى الدار لص وهو لا يعلم ، فاختبأ فيها ، وسلم الابن كيسه إلى أمه وخرج وبقيت هي وحدها في الدار ، وكان لها في دارها بيت مؤزر بالساج عليه باب حديد تجعل قماشها فيه والكيس ، فخبأت الكيس فيه خلف الباب وجلست فأفطرت بين يديه .

فقال اللص : الساعة تقفله وتنام ، وأنزل وأقلع الباب وآخذ الكيس .

فلما أفطرت قامت تصلي ، ومدت الصلاة ، ومضى نصف الليل وتحيّر اللص ، وخاف أن يدركه الصبح ، فطاف في الدار فوجد ازارا جديدا وبخورا ، فاتزر بالإزار ، وأوقد البخور وأقبل ينزل على الدرجة ، ويصيح بصوت غليظ ليفزع العجوز ، وكانت جلدة ، فظنت أنه لص ، فقالت :

من هذا؟ بارتعاد وفزع .

فقال : أنا جبريل رسول رب العالمين ، أرسلني إلى ابنك هذا الفاسق لأعظه وأعامله بما يمنعه عن ارتكاب المعاصي .

فأظهرت أنه قد غشي عليها من الفزع ، وأقبلت تقول :

يا جبريل ، سألتك ألا رفقت به ، فإنه وحيدي .

فقال اللص : ما أرسلت لقتله .

قالت : فيما أرسلت؟

قال : لآخذ كيسه وأؤلم قلبه بذلك ، فاذا تاب رددته عليه .

فقالت : يا جبريل ، شأنك وما أمرت به .

فقال : تنحي عن باب البيت .

وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والقماش ، واشتغل في تكويره ، فمشت العجوز قليلا قليلا وجذبت الباب وجعلت الحلقة في الرزة ، وجاءت بقفل فقفلته .

فنظر اللص إلى الموقف ورام حيلة ، نقبا أو منفذا ، فلم يجد ، فقال :

افتحي لأخرج ، فقد اتعظ ابنك .

فقالت : يا جبريل ما يعوزك أن تخرج من السقف أو تخرق الحائط بريشة من جناحك ، ولا تكلفني أنا لتغوير بصري؟

فأحس اللص أنها جلدة ، فأخذ يرفق بها ويداريها ويبذل التوبة ، فقالت :

دع عنك هذا . لا سبيل إلى الخروج إلا بالنهار .

وقامت فصلت وهو يسألها حتى طلعت الشمس ، وجاء ابنها وعرف خبرها ، وحدثته الحديث ، فأحضر صاحب الشرطة وفتح الباب وقبض على اللص .

أبان وأشعب

كان أبان بن عثمان[١] من أهزل الناس وأعبثهم ، وبلغ من عبثه أنه كان يجيء بالليل إلى منزل رجل في أعلى المدينة له لقب يغضب منه فيقول له : أنا فلان فلان ، ثم يهتف بلقبه ، فيشتمه اقبح شتم وأبان يضحك . فبينما نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب إذ أقبل أعرابي ومعه جمل له ، والأعرابي أشق أزرق أزعر غضوب يتلظى كأنه أفعى ، ويتبين الشر في وجهه ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره ، فقال أشعب لأبان : هذا والله من البادية ادعوه ، فدعي وقيل له : إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك ، فأتاه فسلم عليه ، فسأله أبان عن نسبه فانتسب له ، فقال : حياك الله يا خالي ، حبيب ازداد حبا ، فجلس ، فقال له : إني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة ، وهذه القامة ، واللون ، والصدر ، والورك ، والأخفاف ، فالحم لله الذي جعل ظفري به من عند من أحبه ، أتبيعه ?فقال : نعم أيها الأمير ، فقال : فإني قد بذلت لك به مائة دينار -وكان الجمل يساوي عشرة دنانير- فطمع الأعرابي وسر وانتفخ ، وبان السرور والطمع في وجهه ، فأقبل أبان على أشعب ثم قال له : ويلك يا أشعب إن خالي هذا من أهلك وأقاربك -يعني في الطمع- فأوسع له مما عندك . فقال له : نعم بأبي أنت وزيادة ، فقال له أبان : يا خالي ، إنما زدتك في الثمن على بصيرة وإنما الجمل يساوي ستين دينارا ، ولكن بذلت لك مائة لقلة النفذ عندنا ، وإني أعطيك به عروضا تساوي مائة ، فزاد طمع الأعرابي وقال : قد قبلت ذلك أيها الأمير ، فأسر إلي أشعب ، فأخرج شيئا مغطى فقال له : أخرج ما جئت به ، فأخرج جرد عمامة خز خلق تساوي أربعة دراهم ، فقال له : قومها يا أشعب ، فقال له : عمامة الأمير تعرف به ، ويشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء ؛ خمسون دينارا . فقال : ضعها بين يديه : وقال لابن زبنج ، أثبت قيمتها . فكتب ذلك ، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي ، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظا ، ولم يقدر على الكلام ، ثم قال : هات قلنسوتي ، فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت ، تساوي نصف درهم ، فقال : قوم ، فقال : قلنسوة الأمر تعلو هامته ويصلي فيها الصلوات الخمس ، ويجلس للحكم ؛ ثلاثون دينارا . قال : أثبت ، فأثبت

(١) أبان بن عثمان بن عفان الأموي القرشي أبوعبد الله أو أبو سعيد كان من فقهاء التابعين وعلمائهم ، أمير المدينة . أول من كتب في السيرة النبوية . وهو ابن الخليفة عثمان (أول مؤرخ في الإسلام) .

ذلك ، ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي ، فتربد وجهه وجحظت عيناه وهم بالوثوب ، ثم تماسك وهو متقليل .

ثم قال لأشعب : هات ما عندك ، فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتقا ، فقال له : قوم ، فقال : خفا الأمير ، يطأ بهما الروضة ، ويعلو بهما منبر النبي ﷺ ؛ أربعون دينارا . فقال : ضعها بين يديه فوضعهما . ثم قال للأعرابي : اضمم إليك متاعك ، وقال لبعض الأعوان : اذهب فخذ الجمل ، وقال لآخر : امض مع الأعرابي فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون دينارا ، فوثب الأعرابي فأخذ القماش فرب به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي به ، ثم قال له : أتدري أصلحك الله من أي شيء أموت؟ قال : لا ، قال : لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك ، ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره ، وضحك أبان حتى سقط وضحك كل من كان معه . وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له : هلم إلي بابن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوم ، فيهرب أشعب منه .

دم إلى مكة المكرمة تاجر يماني من قبيلة زبيد ومعه تجارة ، فاشتراها منه رجل من قريش كان معروفاً بالعناد والباطل والظلم ، هو العاص بن وائل السهمي ، والد عمرو بن العاص وهشام بن العاص . وبعد أن قبض العاص البضاعة واستقرت عنده أنكر حق الرجل .

فلما يأس الزبيدي من نصرة قريش ، وقف في وسط المسجد الحرام بجوار الكعبة ، وأنشد بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحِجر والحَجر
البيت هذا لمن تمت مروءته ... وليس للفاجر المأفون والغدر

فقام أحد أشراف بني عبد المطلب واسمه الزبير فقال للزبيدي : لبيك جاءتك النّصفة ، والله إن هذا ظلم لا يصبر عليه ولا يترك ، وسارع في الحال إلى بيت رجل من كرام قريش اسمه عبد الله بن جدعان ، وكان من رهط أبي بكر الصديق ، وكان ممدّحاً جواداً ، الذي قام بدوره ونهض فنادى في أفناء قريش وأحيائها : هلم يا أشراف مكة إلى بيتي نبرم حلفاً ينصر المظلوم ، ويأخذ على يد الظالم .

فاستجاب له نفر من أهل الغيرة والمعروف من بني هاشم وبني المطلب ، وبني أسد وهم قوم خديجة ، وبني زهرة أخوال النبي ﷺ ، وبين تيم ومنهم ابن جدعان نفسه ،

فأبروا حلفاً وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها ومن غيرهم من سائر الناس إلا أقاموا معه حتى يردوا مظلمته ، فسمت قريش ذلك حلف الفضول -يعني الأفاضل- .

وفي الحال توجه أعضاء الحلف إلى بيت العاص ، فدفع حق الزبيدي صاغراً .

وبعدها بقليل غصب أحد القرشيين بنتاً من خثعم ، فاستعدى أبوها الفضول ، فردوها مكرمة لم تصب بسوء ، فأثبت العرب أن لهم أساساً من الفضائل وخلفية من الأخلاق حتى قبل بعثة النبي الكريم ﷺ الذي أعلن أنه إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق . وما أجمل قول النبي ﷺ حين قال : (لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت) .

جد الشاعر الفرزدق[1] صعصعة محيي المؤودات :

عن هاشم بن محمد الخزاعي ، عن أبي عبيدة .عن محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا : حدثنا أبو سعيد السكري ، عن محمد بن حبيب ، عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال : قال صعصعة : خرجت باغياً ناقتين لي فارقتين – والفارق : التي تفرق إذا ضربها المخاض فتندّ على وجهها ، حتى تنتج – فرفعت لي نار سرت نحوها ، وهممت بالنزول ، فجعلت النار تضيء مرة ، وتخبو أخرى ، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت : اللهم لك علي إن بلغتني هذه النار ألا أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد من الناس أن يفرجها إلا فرجتها عنهم ، قال : فلم أسر إلا قليلاً حتى أتيتها ، فإذا حي من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم ، وإذا أنا بشيخ حادر أشعر يوقدها في مقدم بيته ، والنساء قد اجتمعن إلى

امرأة ماخض ، قد حبستهن ثلاث ليال . فسلمت فقال الشيخ : من أنت ؟ فقلت أنا صعصعة بن ناجية بن عقال ، قال : مرحباً بسيدنا ، ففيم أنت يا بن أخي ؟ فقلت : في بغاء ناقتين لي فارقتين عمي عليّ أثرهما ، فقال : قد وجدتهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك ، وقد نتجناهما ، وعطفت إحداهما على الأخرى ،

(١) الفرزدق شاعر من شعراء العصر الأموي واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكنيته ابو فراس وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه ومعناها الرغيف ، ولد الفرزدق في كاظمة لبني تميم ، اشتهر بشعر المدح والفخر وشعر الهجاء .

وهما تانك في أدنى الإبل . قلت : ففيم توقد نارك منذ الليلة؟ قال : أوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال ، وتكلمت النساء فقلن : قد جاء الولد ، فقال الشيخ : إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به ، وإن كانت جارية فلا أسمعن صوتها - أي اقتلها - فقلت : يا هذا ذرها فإنها ابنتك ، ورزقها على الله ، فقال : اقتلنها ، فقلت : أنشدك الله ، فقال : إني أراك بها حفياً ، فاشترها مني ، فقلت : إني أشتريها منك ، فقال : ما تعطيني ؟ قلت : أعطيك إحدى ناقتي قال : لا . قلت : فأزيدك الأخرى ، فنظر إلى جملي الذي تحتي ، فقال : لا ، إلا أن تزيدني جملك هذا ، فإني أراه حسن اللون شاب السن ، فقلت : هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه ، قال : قد فعلت ، فابتعتها منه بلقوحين وجمل ، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ليحسنن برها وصلتها ما عاشت ، حتى تبين منه ، أو يدركها الموت ، فلما برزت من عنده حدثتني نفسي وقلت : إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب ، فآليت ألا يئد أحد بنتاً له إلا اشتريتها منه بلقوحين وجمل ، فبعث الله عز وجل محمداً عليه السلام ، وقد أحييت مائة موءودة إلا أربعاً ، ولم يشاركني في ذلك أحد ، حتى أنزل الله تحريمه في القرآن ، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدة قصائد من شعره .

اختبار الأخلاق

حُكِي أنّ أبا عثمان الحيري دعاهُ إنسانٌ إلى ضيافته ، فلمّا وافَى بابَ الدّار ، قالَ لهُ الرجلَ : يا أستاذ ليس لي وجه في دخولك ، فانصرف رحمكَ الله .

فانصرف أبو عثمان ، فلمّا وافى منزلَهُ عادَ الرّجلُ إليه ، وقال يا أستاذ ندمت .

وأخذَ يعتذرُ له ، وقال : احضرْ السّاعة ، فقام معه فلمّا وافى دارهُ قال له :

مثلَ ما قالَ في الأولى ، ثم فعلَ به ذلك أربعُ مرات ، وأبو عثمان ينصرفُ ويحضر ، ثم قال :يا أستاذ إنما أردتُ بذلك اختباركَ والوقوفَ على أخلاقك ، ثم جعل يعتذرُ له ويمدحهُ ، فقال أبو عثمان : لا تمدحني على خلق تجده عند الكلاب ، فإن دُعي حضَر وإذا زُجر انزجَر .

بسطام بن قيس وبنو ضبة

يحكى أن بسطام بن قيس سيد بني شيبان في زمانه قال لأمه ليلي بنت الاحوص : لقد أخدمتك من كل حي من العرب امة (أي خادمة من كل قبيلة) ولن

انتهي إلا أن أخدمك امرأة من بني ضبة . فقالت له أمه : لا تفعل . . . فبنو ضبة قوم شؤم لا يسلم ولا يغنم من يغزوهم .

لم يستمع بسطام لأمه وأصر على المضي في راية ، وكان معه رجل يسمى نقيداً من بني أسد يتطير (يقرا المستقبل) فلما اقترب بسطام من ديار بني ضبة صعد تل من الرمال يسمى (نقا الحسن) فرأى نعم فيها ألف بعير وقد فقأت عين فحلها (وكانت العرب تفقأ عين الفحل إذا بلغت الإبل ألف بعير خشيت الحسد) وكان صاحب الإبل مالك المنتفق الضبي .

فقام بسطام بالتدحرج على الأرض حتى لا يراه مالك . فلما رأى نقيد الاسدي وجهة بسطام وقد تعفرت لحيته بالتراب قال له : انك مقتول فلا تذهب وارجع فاني اخاف عليك .

لم يهتم بسطام برأي الاسدي وقال له ارجع قد بلغت غايتي . فتفارقا .

قام بسطام وقومه بمهاجمة الإبل واستطاع مالك أن ينجوا على فرسه واتجه إلى قومه صارخا وا صباحاه . فلما سمع بنوا ضبة استصراخ مالك أجابوه .

وكان مما أخر بسطام عن الهروب بالإبل أن بعيرا فحلا لمالك المنتفق وكان أعمى يخالف المسير فكلما وجهه بسطام إلى قومه عاد إلى ديار بني ضبة والإبل تتبع الفحل . فاخذ بسطام يعقل الإبل (أي يضرب أرجلها بالسيف فتسقط حتى إذا رأتها الإبل الأخرى تعود حيث يريد بسطام) . فناداه مالك : ما هذا السفه يا بسطام ؟ لا تعقلها لا أبا لك ، فإما لنا وإما لك .

وكان مع بني ضبة رجل من بني ثعلبة ، فلما تنادى القوم ركب معهم وكان راميا بالنبل . فلما دنا من القوم قال ماذا تريدون مني افعل . قالوا اضرب الجمل الذي عليه ماء القوم ففعل . فاسقط في أيدهم .

وكان في بني ضبة شابا أحمق قليل العقل يقال له عاصم الصباحي . كان يصنع حديده ويزيد في طولها كل يوم . وكان بنو ضبة يسخرون منه ويقولون ماذا تفعل يا عاصم ؟ فيقول اصنع ما ترون لأقتل بها بسطام الشيباني .

وكان والد عاصم الصباحي يسرج فرسه لنجدت قومه فلما سمع عاصم نداء قومه ركب فرس والده فاخذ والده يناديه ولا يرد علية . فلما اقترب من مكان الإبل . سال قومه من كبيرهم . فقالوا : ذلك الفارس الذي يسير خلفه ويحميهم (كان من عادة بسطام أن يكون في آخر قومه لحماية ظهرهم ورد القوم عن ملاحقتهم) .

اقترب عاصم من بسطام حتى حاذاه ثم حمل عليه فضربه في أذنه بالحديدة التي أعدها لذلك فخرجت من الجانب الآخر فسقط بسطام ميتا وتفرقت جموع بني شيبان بين قتيل وطريد .

غلب كل طبع أهله

حكى بعضهم قال : كنت في سفر فضللت عن الطريق ،
فرأيت بيتاً في الفلاة ، فأتيته فإذا به أعرابيّة ، فلما رأتني قالت من تكون ؟
قلت ضيف . قالت أهلاً ومرحباً بالضيف ، انزل على الرحب والسعة .
قال فنزلت فقدمت لي طعاماً فأكلت ، وماءً فشربت ،
فبينما أنا على ذلك إذ أقبل صاحب البيت . فقال من هذا ؟
فقالت ضيف . فقال لا أهلاً ولا مرحباً ، ما لنا وللضيف ،
فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت ،
فلما كان من الغد رأيت بيتاً في الفلاة فقصدته
فإذا فيه أعرابيّة فلما رأتني قالت من تكون ؟
قلت ضيف . قالت لا أهلاً ولا مرحباً بالضيف ،
ما لنا وللضيف ، فبينما هي تكلمني إذ أقبل صاحب البيت ،
فلما رآني قال من هذا ؟ قالت ضيف . قال مرحباً وأهلاً بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت ، وماء فشربت ، فتذكرت ما مر بي بالأمس فتبسمت .
فقال م تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الأعرابيّة وبعلها ، وما سمعته منه ومن زوجته ، فقال لا تعجب ان تلك الأعرابيّة التي رأيتها هي أختي ، وان بعلها أخو امرأتي هذه ، فغلب على كل طبع أهله .

طويل العمر

مرَ المستوغرُ بن ربيعة[1] يوماً بعكاظ يقود شيخاً خرفاً فقال له رجل :

---

(١) المستوغر واسمه عمرو بن ربيعة بن بن كعب بن سعد بن زيدمناة بن تميم . قال أبو عمرو بن العلاء : عاش المستوغر ثلاث مائة وعشرين سنة . وقال المرزباني بين مضر ونزار ، وبين المستوغر تسعة آباء ، ويقال أنه عاش إلى أيام معاوية ، وهو الذي أمر بهدم الببيت الذي كانت ربيعة تعظمه قبل الإسلام .

ياعبد الله أحسن إليه فطالما أحسن إليك عندما كنتَ صغيرا ، قال المستوغر : أو تدري من هــو ؟ قال : نعم هو أبوك أو جدك ، قال : هو والله ابن ابني ، قال الرجل : أراك ولا مستوغر بن ربيعة ؟ قال أنا المستوغر .

ويقال : إنه عاش ثلاثمائة سنة واربعين عاما وأنشد :

ولــقد سئمــتُ من الحياةِ وطولَهَـــا　　وعمــتُ من عــددِ السنينَ مِئيــنا

مائــة حدتهــا بعدها مائتـان لـــي　　وازددتُ مــن بعــدِ الشهورِ سَنينـا

هل مابقـــيَ إلا كما قـــد فاتَنـــي　　يـــومٌ يمــر وليلــة تحدونــــــا

الأعراب وحسن القرى[1]

حكى قيس بن سعد «وهو من وجهاء العرب» : نزلنا بالبادية على امرأة ، فجاء زوجها ، فقالت له : إنه نزل بنا ضيفان . فجاءنا بناقة فنحرها ، وقال : شأنكم . فلما كان من الغد جاءنا بأخرى فنحرها ، وقال : شأنكم . فقلنا : ما أكلنا من التي نحرت البارحة إلا القليل . فقال : إني لا أطعم ضيفاني البائت . فبقينا عنده أياما ، والسماء تمطر وهو يفعل ذلك . فلما نوينا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته ، وقلنا للمرأة : اعتذري لنا إليه ، ومضينا . فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا : قفوا أيها الركب اللئام ، أعطيتمونا ثمن قرانا ، ثم إنه لحقنا ، وقال : خذوها وإلا طعنتكم برمحي هذا . فأخذناها وانصرفنا .

من عجائب ما ذكر في الإيثار

ما حكاهُ أبو محمد الأزدي قال لَمَّا احترقَ المسجد بمرو ظنَّ المسلمونَ أنَّ النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم ، فقبضَ السلطانُ على جماعةٍ من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعاً فيها القطعُ والجلدُ والقتلُ ونثرَها عليهم ، فمنْ وقعَ عليه رقعة فُعل به ما فيها ، فوقعت رقعةٌ فيها القتلُ بيدِ رجلٍ فقال والله ما كنتُ أبالي لولا أم لي وكان بجنبه بعضُ الفتيان ، فقال لهُ في رقعتي الجَلدُ وليس لي أم فخذ أنتَ رقعتي وأعطني رقعتَكَ ففعل فقُتِلَ ذلك الفتى وتخلّص هذا الرجل .

---

(١) القِرى هي الضِيافة .

صحبة السلطان

سُئل عمرو بن كلثوم التغلبي[١] : لم لا تَصحب السلطان على ما فيك من الأدب ؟ قال : لأنّي رأيتُهُ يعطي عشرةَ آلاف من غيرِ شيء ، ويرمي من السُّور من غير شيء ، ولا أدري أي الرجلين أكون .

الأعمى والبصير

جلس أعمى وبصير معا يأكلان تمرا في ليلة مظلمة فقال الأعمى : أنا لا أرى ولكن لعن الله من يأكل اثنتين اثنتين وعندما انتهى التمر صار نوى الأعمى أكثر من نوى البصير فقال البصير : كيف يكون نواك أكثر من نواي .

فقال الاعمى لأني آكل ثلاثا ! فقال البصير أما قلت : لعن الله من يأكل اثنتين اثنتين ؟ قال : بلى ولكني لم أقل ثلاثا .

الزكاة والخلف

سمع رجل الحسن وهو يحث الناس على المعروف ، ويأمر بالصدقة ، ويقول : «ما نقص مال قطّ من زكاة» ، ويعدهم سرعة الخلف . فتصدّق المروزيّ بماله كله فافتقر ، فانتظر سنة وسنة ، فلما لم ير شيئا بكر على الحسن ، فقال : «حسن ما صنعت بي؟

ضمنت لي الخلف ، فأنفقت على عدتك ، وأنا اليوم مذ كذا وكذا سنة أنتظر ما وعدت ، لا أرى منه قليلا ولا كثيرا . هذا يحلّ لك؟ اللص كان يصنع بي أكثر من هذا»؟

علاج الرمد

قال الجمّاز : سمعتُ رجلاً يقول لآخر قد أصاب الرمدُ عينيه : بأي شيء تُداوي عينيك؟

قال : بالقرآن ودعاء الوالدة .

فقال : اجعل معهما شيئا من الدواء . .

---

(١) عمرو بن كلثوم التغلبي ، أبو الأسود ، وهو شاعر جاهلي مجيد من أصحاب المعلقات ، من الطبقة الأولى ، ولد في شمال الجزيرة العربية في بلاد ربيعة وتجوّل فيها وفي الشام والعراق .

المسلمون والكفار

حكى أعـربي فـقـال : رأيتُ بعض الأصـحـاب يأخـذ ثلاثين قطعـة من قطع الشطرنج ، نصفها من السُّود ونصفها من البيض ، ويرصّها رصّا مخصوصًا في صورة دائرة ، ويدّعي أن مركبًا كان على ظهر البحر ، وفيه مسلمون (بيض) وكفّار (سود) . فأشرفوا على الغرق ، وأرادوا أن يرموا إلى البحر نصف عددهم ليخفّ المركب ، فينجو بعضهم ويسلم المركب . فقالوا : نقترع ، ومن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر . فتـأملهم الريّس بعض الوقت وهم جـالس ونفي دائرة ، ثم قـال : ليس هذا حكمًـا مرضيّا . وإنما الحكم أنّا نعدّ الجماعة ، فكل من كان تاسعًا ألقيناه في البحر . فارتضوا بذلك ، ولم يزل يعدّهم ويلقي التاسع فالتاسع فإذا هو قد ألقى الكفار أجمعين ، وسلم المسلمون!

اخرج بالتي هي أحسن

نزل أبو الأغر ، وهو شيخ أعرابي من بني نهـشل ، ضـيـفا على بنت أخت له تسكن البصرة ، وذلك في شهر رمضان . فخرج الناس إلى ضياعهم ، وخرج النساء يصلِّين في المسـجد ، ولم يبـقى في الدار غيـر الإماء وأبي الأغـرّ . ودخل كلب من الطريق إلى الدار ، ثم إلى حجرة فيها ، فانصفق باب الحجرة ولم يتمكن من الخروج .

وسمع الإماءُ الحركة في الحجرة فَظَنَنَّ لصّا دخلها ، فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته ، فأخذ عصا ووقف على باب الحجرة وقال :

يا هذا إنك بي لعارف . أنت من لصوص بني مـازن ، وشـربتَ نبـيـذًا حـامضـا خبيثا حتى إذا دارت الأقداح في رأسك مَنَّتْكَ نفسُك الأماني ، فقلتَ :

أَطْرُقُ دُورَ بني عمرو والرجال في ضياعهم والنساء يصلين في المسجد فأسرِقهن . سَوْءةً لك! والله ما يفعل هذا رجلٌ حرا! وبِئْـسَمَا مَنَّتْك نفسُك! فاخرج بالتي هي أحسن وأنا أعفو عنك وأسامحك وإلا دخلتُ بالعقوبة عليك . وأيم الله لتخرجنّ أو لأهتفن هَتْفَةً فيجيء بنو عمرو بعدد الحصى ، وتسأل عليك الرجال من ها هنا ، وها هنا ولئن فعلتُ لتكوننَّ أشأم مولود في بني مازن .

فلما رأى أنه لا يجيبه أخذ باللين فقال :

أخرج بأبي أنت منصورا مستورا . إني والله ما أراك تعرفني ، ولئن عرفتني لوثقت بقـولي ، واطمـأننت إلـيّ . أنا أبو الأغـر النهـشلي ، وأنا خـالُ القـوم وقُـرّة أعـينهم ، لا

يعصون لي رأيا ، وأنا كفيلٌ بأن أحميك منهم وأن أدافع عنك . فاخرج وأنت في ذمتي ، وعندي فطيرتان أهداهما إليّ ابن أختي البار ، فخذ إحداهما حلالا من الله ورسوله ، بل وأعطيك بعض الدراهم تستعين بها على قضاء حوائجك .

وكان الكلبُ إذا سمع الكلام أطرق ، فإذا سكت أبو الأغرّ وثب الكلب وتحرّك يريد الخروج . فلما لم يسمع أبو الأغرّ ردّا قال :

يا ألأم الناس! أراني في واد وأنت في آخر . والله لتخرجن أو لأدخلن عليك .

فلما طال وقوفه جاءت جاريةٌ وقالت لأبي الأغرّ :

أعرابي جبان! والله لأدخلنَّ أنا عليه!

ودفعت الباب ، فوقع أبو الأغر على الأرض من فرط خوفه ، وخرج الكلبُ مبادرا فهرب من الدار .

واجتمعت الجواري حول أبي الأغرّ فقُلْن له :

قم ويحك! فإنه كلب!

فقام وهو يقول :

الحمد لله الذي مسخه كلبا وكفى العربَ شرَّ القتال!

المروءة والظرف

قال عبيد الله بن محمد التيمي : سمعت ذا النّون يقول بمصر : من أراد أن يتعلم المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد ، قيل له : وكيف ذلك؟ قال : لمّا حملت إلى بغداد ، رمي بي على باب السلطان مقيّداً ، فمرّ بي رجلٌ متزرٌ بمنديل مصري ، معتمٌ بمنديل دبيقي ، بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط ، فسألت : هذا ساقي السلطان؟ فقيل لي : لا [هذا ساقي العامة ؛ فأومأت إليه اسقني ، فتقدّم وسقاني ، فشممت من الكوز رائحة المسك ، فقلت لمن معي : ادفع إليه ديناراً ؛ فأعطاه الدينار ، فأبى ، وقال : لست آخذ شيئاً] فقلت له : ولم؟ فقال : أنت أسيرٌ ، وليس من المروءة أن آخذ منك شيئاً ؛ فقلت : كمل الظرف في هذا .

أعرابي يدافع عن نفسه

قيل لأعرابي : إن فلاناً ليس يعدك شيئاً ، فقال : والله لو كنت أنا أنا ، وأنا ابن من أنا منه ، لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه فكيف وأنا أنا وأنا ابن من أنا منه .

أحاديث أعرابي

قال المعلي بن المثني الشيباني : حدثنا سويد بن منجوف(١) قال : أقبل أعرابي من بني تميم حتى دخل الكوفة من ناحية جبانة السبيع ، تحته أتان له تخب ، وعليها ذلاذل وأطمار من سحق صوف ، قد اعتم بما يشبه ذلك ؛ من أشوه الناس منظرا وأقبحهم شكلا ؛ وهو يهدر كما يهدر البعير وهو يقول ألاسبد ، ألا لبد ألا مؤو ألا مقر ، ألا سعديّ ألا يربوعيّ ، ألا دارميّ! هيهات هيهات! وما يغني أصل حوض الماء صاديا معنى! قال سويد : فدخل علينا في درب الكناسة فلم يجد منفذا وقد تبعه صبيان كثير وسواد من سواد الحي ، قال : فسمعت سواديا يقول له : يا عماه ، يا إبليس! متى أذن لك بالظهور؟ فالتفت إليهم ، فقال منذ سروا آباءكم وفشّوا أمهاتكم! قال : وكان معنا أبو حماد الخياط ، وكان من أطلب الناس لكلام الأعراب وأصبرهم على الإنفاق على أعرابي ، فدخل علينا وكان مع ذلك مولى بني تميم ، فأتيته فأخبرته ؛ فخرج مبادرا كأني قد أفدته فائدة عظيمة ؛ وقد نزل الأعرابي عن الأتان واستند إلى بعض الحيطان وأخذ قوسه بيده ؛ فتارة يشير بها إلى الصبيان ، وتارة يذبّ الشذا عن الأتان- وهو يقول لأتانه :

قد كنت بالأمعز في خصب خصب	ما شئت من حمض وماء منسكب
فربّك اليوم ذليل قد نصب	يرى وجوها حوله ما ترتقب
ولا عليها نور إشراف الحسب	كأنها الزّنج وعبدان العرب
إلى عجيل كالرعيل والسرب	ولو أمنت اليوم من هذا اللّجب
رميت أفواقا قويمات النّصب	الرّيش أولاها وأخراها العقب

قال : فلم يزل أبو حماد يلطفه ويتلطف به ويبجله ، إلى أن أدخله منزله ؛ فمهد له وحطه عن أتانه ، ودعا بالعلف ؛ فجعل الأعرابي يقول : أين الليف والنّئيف والوساد والنجاد؟ يعني بالليف : الحصير ؛ وبالنئيف عشبة عندهم يقال لها البهمى والوساد :

جلد عنز يسلخ ولا يشق ويحشى وبرا وشعرا ويتّكأ عليه ؛ والنجاد : مسح شعر يستظل تحته . قال : فلما نزع القتب عن الأتان إذا ظهرها قد دبر حتى أضرّت بنا رائحته :

---

(١) سويد بْن منجوف هو والد علي بْن سويد الْبَصْرِيّ من رواة الحديث .

فجعل الأعرابي يتنهد ويقول :

إن تنحضي أو تدبري أو تزجري ... فذاك من دءوب ليل مسهر

أنا أبو الزهراء من آل السّري ... مشمّخ الأنف كريم العنصر

إذا أتيت خطّة لم أقسر

وكان يسمى الأعرابي صلتان بن عوسجة من بني سعد بن دارم ، ويكنى بأبي الزهراء ، وما رأيت أعرابيا أعجب منه ؛ كان أكثر كلامه شعرا ؛ وأمثل أعرابي سمعته كلاما ؛ إلا أنه ربما جاء باللفظة بعد الأخرى لا نفهمها ؛ وكان من أضجر الناس وأسوأهم خلقا ، وإذا نحن سألناه عن الشيء قال : ردّوا عليّ القوس والأتان! يظن أنا نتلاعب به ، وكنا نجتمع معه في مجلس أبي حماد ، وما منا إلا من يأتيه بما يشتهيه ، فلا يعجبه ذلك ؛ حتى أتيناه يوما بخربز ، وكانت أمامه ، فلما أبصرها تأملها طويلا وجعل يقول :

بدّلت والدهر قديما بدّلا ... من قيض بيض القفر فقعا حنظلا

أخبث ما تنبت أرض مأكلا

فكنا نقول له : يا أبا الزهراء ، إنه ليس بحنظل ، ولكنه طعام هنيء مريء ، ونحن نبدؤك فيه إن شئت . قال : فخذوا منه حتى أرى! فبدأنا نأكل وهو ينظر لا يطرف ، فلما رأى ذلك بسط يده فأخذ واحدة ، فنزع أعلاها وقوّر أسفلها ، فقلنا له :

ما تريد أن تصنع يا أبا الزهراء؟ فقال : إن كان السم يا ابن أخي ففيما ترون! فلما طعمه استخفّه واستعذبه واستحلاه ، فلم يكن يؤثر عليه شيئا ، وما كنا نأتيه بعد بغيره ، وجعل في خلال ذلك يقول :

هذا طعام طيّب يلين ... في الجوف والحلق له سكون

الشّهد والزبد به معجون

فلما كان إلى أيام ، قلت له : يا أبا الزهراء ، هل لك في الحمام؟ قال : وما الحمام يا ابن أخي؟ قلنا له : دار فيها أبيات : حارّ ، وفاتر ، وبارد ؛ تكون في أيها شئت يذهب عنك قشف السفر ويسقط عنك هذا الشعر . قال : فلم نزل به حتى أجابنا ، فأتينا به الحمام ، وأمرنا صاحب الحمام أن لا يدخل علينا أحدا ، فدخل وهو خائف مترقب ، لا ينزع يده من يد أحدنا ، حتى صار في داخل الحمام ، فأمرنا من طلاه بالنّورة ، وكان جلده أشعر كجلد عنز ، فقلق ونازع للخروج ، وبدأ شعره يسقط ؛ فقلنا

أحين طاب الحمام وبدأ شعرك يسقط تخرج؟ قال : يا بن أخي ، وهل بقي إلا أن أنسلخ كما ينسلخ الأديم في احتدام القيظ! وجعل يقول :

وهــل يطيــب المــوت يا إخوانــي هل لكم فــي القــوس والأتـــان

خذوهمــا منّــي بـــلا أثمـــان وخلّصــوا المهجــة يا صبيـــان

فاليـــوم لو أبصرنـــي جيرانـــي عريـــان بــل أعرى من العريـــان

قد سقــط الشّعــر مـن الجثمـــان حسبــت في المنظر كالشّيطـــان!

قال : ثم خرج مبادرا ، واتبعه أحداث لنا ، لولاهم لخرج بحاله تلك ما يستره شيء ؛ ولحقناه في وسط البيوت ، فأتيناه بماء بارد ، فشرب وصب على رأسه ، فارتاح واستراح ، وأنشأ يقول :

الحمــــد للمستحمـــد القهّـــار أنقذنـــي من حرّ بيــت النـــار

إلــى ظليـــل ساكــــن الأوار مـــن بعد ما أيقنت بالدّمـــار

قال : فدعونا له بكسوة غير كسوته فألبسناه ، وأتينا به مجلس أبي حماد ؛ وكان أبو حماد يبيع الحنطة والتمر وجميع الحبوب ؛ وكان يجاوره قوم يبيعون أنبذة التمر وكان أبو الحسن التّمّار ماهرا ؛ فإذا خضنا في النحو وذكرنا الرؤاسي والكسائي وأبا زيد ، جعل ينظر ، يفقه الكلام ولا يفهم التأويل ؛ فقلنا له : ما تقول يا أبا الزهراء؟ فقال :

يا ابن أخي ، إن كلامكم هذا لا يسد عوزا مما تتعلمونه له . فقال أبو الحسن : إن بهذا تعرف العرب صوابها من خطئها . فقال له : ثكلت وأثكلت! وهل تخطيء العرب؟ قال : بلى . قال : على أولئك لعنة الله وعلى الذين أعتقوا مثلك! قال سويد :

وكنت أحدثهم سنا (قال) فقلت : جعلت فداك ، وأنا رجل من بني شيبان وربيعة ؛ ما تعلم أنّا على مثل الذي أنت عليه من الإنكار عليهم ؛ فقال فيهم :

يسائلنـــي بيّـــاع تمـــر وجـــردق ومـــازج أبـــوال لـــه فـــي إنائـه

عن الرّفع بعد الخفض ، لا زال خافضا ونصب وجزم صيغ من سوء رائــه

فقلـــت لـــه هـــذا كـــلام جهلتـه وذو الجهل يروي الجهل عن نظرائه

فقـــال بهـــذا يعـــرف النحـــو كـلّه يرى أنني في العجم من نظرائـــه

قـــرأت قـــول اللـــه فـــي الكتـاب ما أنزل الرّحمـن فـــي الأحـــزاب

لعظـــم مـــا فيـــها مـــن الثّـــواب الكفر والغلظـــة فـــي الأعـــراب

وأنـــا فاعلـــم من ذوي الألبـــاب أومــــن باللــــه بـــلا ارتيـــاب

في عرشـــه المستـــور بالحجـــاب والمـــوت والبعـــث وبالحســـاب
وجنّـــة فيهـــا مـــن الثيـــاب ما ليـــس بالبصـــرة في حســـاب
وجاحـــم يلفـــح بالتهـــاب أوجـه أهـــل الكفـــر والسّبـــاب
ودفـــع رحـــل الطـــارق المنتـــاب فـــي ليلـــة ساكتـــة الكـــلاب

ولما أحضرناه ذات يوم جنازة ، فقلنا له : يا أبا الزهراء ، كيف رأيت الكوفة؟ قال : يا ابن أخي ، حضرا حاضرا ؛ ومحلا آهلا ؛ أنكرت من أفعالكم الأكيال والأوزان ، وشكل النسوان . ثم نظر إلى الجبانة فقال : ما هذا التلال يا ابن أخي؟

قلت له : أجداث الموتي ، فقال : أماتوا أم قتلوا؟ فقلت : قد ماتوا بآجالهم ميتات مختلفات . قال : فماذا ننتظر نحن يا ابن أخي؟ قلت : مثل الذي صاروا إليه : فاستعبر وبكى ؛ وجعل يقول :

يا لهـــف نفسي أن أموت فـــي بلـــد قـــد غاب عني الاهل فيه والولـــد
وكـــلّ ذي رحـــم شفيـــق معتقـــد يكـــون مـــا كنت سقيما كالرمـد
يا ربّ يا ذا العرش وفّق للرّشد ويسّـــر الخيـــر لشيـــخ مختضـــد

ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى أخذته الحمى والبرسام ؛ فكنا لا نبارحه عائدين متفقدين ؛ فبينا نحن عنده ذات يوم وقد اشتد كربه وأيقن بالموت ، جعل يقول :

أبلـــغ بناتـــي اليـــوم بالصّـــوى قـــد كـــنّ يأملـــن إيابـي بالغنى
وقـــد تمنّـــين ومـــا يغنـــي المنـــى بأنّ نفســـي وردت حـــوض الرّدى
يا ربّ يا ذا العـــرش في أعلا السّمـــا إليك قدّمت صيامي في الظّمـــا
فأمّـــا تميـــم أو سليـــم وعامـــر ومن حلّ غمر الضّالّ أو في إزائـــه
ففيهـــم وعنهـــم يؤثـــر العلـــم كلّـه ودع عنك مـن لا يهتـــدي لخطائه
فمـــن ذا الرّؤاســـي الـــذي تذكرون ومن ذا الكسائـي سالح في كسائه
ومـــن ثالث لم أسمع الدهر باسمـــه يسمّونـــه مـــن لؤمـــه سيبوائـــه
فكيـــف يخلّ القول من كـــان أهلـه ويهـــدى لـــه من ليس من أوليائه
فلســـت لبيّـــاع التّميـــرات مغضـــيا على الضّيم إن واقفت بعد عشائه

ولقد قلنا له : يا أبا الزهراء ، هل قرأت من كتاب الله شيئا؟ قال : أي وأبيك ، آيات مفصلات أردّدهن في الصلوات ، آباء وأمهات ، وعمات وخالات ثم أنشأ يقول :

ومن صلاتي في صباح ومســـا فعد على شيخ كبير ذي انحنا
يكفيه ما لاقاه في الدّنيا كفى

قلنا له : يا أبا الزهراء ، ما تأمرنا في القوس والأتان ، وفيما قسم الله لك عندنا من رزق؟ فقال : يا ابن أخي ، أما ما قسم الله لي عندكم فمردود إليكم ، وأما القوس والأتان فبيعوهما وتصدقوا بثمنهما في فقراء صلبة بني تميم ، وما بقي في مواليهم . ثم جعل يقول : اللهم اسمع دعاء عبدك إليك ، وتضرعه بين يديك ، واعرف له حق إيمانه بك ، وتصديقه برسلك ، صليت عليهم وسلمت ؛ اللهم إني جان مقترف وهائب معترف ، لا أدعي براءة ، ولا أرجو نجاة إلا برحمتك إياي ، وتجاوزك عني ؛ اللهم إنك كتبت على الدنيا التعب والنصب ، وكان في قضائك ، وسابق علمك قبض روحي في غير أهلي وولدي ، اللهم فبدل لي التعب والنصب روحا وريحانا وجنة نعيم ؛ إنك مفضل كريم . ثم صار يتكلم بما لا نفقهه ولا نفهمه حتى مات ، رحمه الله ؛ فما سمعت دعاء أبلغ من دعائه ، ولا شهدت جنازة أكثر باكيا وداعيا من جنازته ؛ رحمه الله .

أولاد نزار والأفعى الجرهمي

لما حضرت نزار بن معد[١] الوفاة دعا أبناءه ليوصيهم

فدعا إياداً وعنده جارية شمطاء (التي خالط بياض رأسها سواده) وقال : هذه الجارية الشمطاء وما أشببها لك

ودعا أنماراً وهو في مجلس له وقال : هذه البدرة والمجلس وما اشبههما لك

ودعا ربيعة وأعطاه حبالاً سوداً من شعر وقال : هذه وما اشبهها لك

وأعطى مضر قبة حمراء وقال : هذه وما اشبهها لك

ثم قال : وإن أشكل عليكم شيء ، فأتوا الأفعى بن الأفعى الجرهمي[٢] (وكان ملك نجران في ذلك الوقت) ، فلما مات نزار ركبوا رواحلهم قاصدين الأفعى تنفيذا لوصية والدهم ، فلما كانوا من نجران على مسافة يوم اذا هم بأثر بعير

---

(١) نزار بن معد ، الجد الثامن عشر للنبي محمد بن عبد الله . قال ابن جرير الطبري : قيل أن نزار كان يكنى أبا إياد ، وقيل بل كان يكنى أبا ربيعة . قال البلاذري : نزار بن معد يكنى أبا حيدة . ويرتقي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

(٢) هو : المقلمس بن عمرو بن قطن بن همدان بن سار بن زيد بن وائل بن عبد شمس بن وائل بن حمير .

فقال إياد : انه أعور (يرى بعين واحده)

فقال أنمار : وإنه لأبتر (مقطوع الذيل)

فقال ربيعة : وإنه لأزْور (أعرج مائل الجسم)

وقال مضر : وإنه لشارد لا يستقر (هارب هائم على وجهه)

فلم يلبثوا حتى جاءهم راكب ، فلما وصلهم قال : هل رأيتم بعير ضال فوصفوه له كما تقدم (أعور ، أبتر ، أزور ، شارد)

فقال الراكب : إن هذه لصفته عينا ، فأين بعيري؟ قالوا : مارأيناه

فقال : أنتم أصحاب بعيري ، وما أخطئتم من نعته شيئا

فأكملوا طريقهم ليحتكموا الى رأي الملك ، فلما أناخوا بباب الأفعى وأستأذنوه واذن لهم صاح الرجل بالباب ، فدعا به الأفعى وقال له ما تقول يا هذا؟

قال : أيها الملك ، ذهب هؤلاء ببعيري فسألهم الأفعى عن شأنه فأخبروه

فقال لإياد :مايدريك انه أعور؟ قال : رأيته قد لحس الكلأ من شق والشق الآخر وافر (يأكل العشب من ناحية دون الأخرى)

وقال أنمار : رأيته يرمي بعره مجتمعا ولو كان أهلب لمصع به فعلمت انه أبتر (يخرج الروث متجمعا وليس متفرقا يمينا ويسارا)

وقال ربيعة : أثرُ احدى يديه ثابت أما الآخر فاسد فعلمت أنه أزور

وقال مضر : رأيته يرعى الشقة من الأرض ثم يتعداها فيمر بالكلأ الغض فلا ينهش منه شيئا فعلمت انه شرود

فقال الأفعى : صدقتم ، وليسوا بأصحابك فالتمس بعيرك يا رجل .

ثم سألهم الأفعى عن نسبهم فأخبروه ، فرحب بهم وحيّاهم ، ثم قصوا عليه قصة أبيهم ، فقال لهم : كيف تحتاجون إليّ وأنتم على ما أرى ؟ قالوا : أمرنا بذلك أبونا ، فأمر خادم دار ضيافته أن يحسن ضيافتهم ويكثر مثواهم ، وأمر وصيفا له ان يلتزمهم ويحفظ كلامهم .

فأتاهم القهرمان بشهد (عسل) فأكلوه ، فقالوا : ما رأينا شهدا أطيب ولا أعذب منه .

فقال إياد : صدقتم لولا ان نحله في هامة جبّار

ثم جاءهم بشاة مشوية ، فأكلوها واستطابوها ، فقال أنمار : صدقتم لولا انها غذيت بلبن كلبه

ثم جاءهم بالشراب فاستحسنوه ، فقال ربيعة : لولا ان كرمته نبتت على قبر

ثم قالوا : ما رأينا منزلا أكرم قِرى ولا أخصب رَحْلاً من هذا الملك
فقال مضر : صدقتم لولا انه لغير أبيه !!!
فذهب الغلام الى الأفعى فأخبره بكل ما سمع مما دار بينهم ، فدخل الأفعى على أمه فقال : أقسمت عليك الا أن تخبرينني من أبي؟؟؟
قالت : أنت الأفعى ابن الملك الأكبر ، قال حقا لتصدقينني ، فلما ألح عليها قالت أي بني : إن الأفعى كان شيخا قد أُثقل ، فخشيت ان يخرج هذا الأمر عن أهل هذا البيت ، وكان عندنا شاب من أبناء الملوك اشتملت عليك منه
ثم بعث الى القهرمان فقال : أخبرني عن الشهد الذي قدمته الى هؤلاء النفر ما خطبه؟
قال : طلبت من صاحب المزرعة أن يأتيني بأطيب عسل عنده فدار جميع المناحل فلم يجد أطيب من هذا العسل الا أن النحل وضعه في جمجمة في كهف ، فوجدته لم يُر مثله قط فقدمته لهم
فقال : وما هذه الشاه ؟ فقال : إني بعثت الى الراعي بأن يأتيني باسمن شاة عنده ، فبعث بها وسألته عنها فقال : انها أول ما ولدت من غنمي فماتت أمها وأنِست بجراء الكلبة ترضع معهم فلم أجد في غنمي مثلها فبعثت بها
ثم بعث الى صاحب الشراب وسأله عن شأن الخمر فقال : هي كرمة غرستها على قبر أبيك فليس في بلاد العرب مثل شرابها
فعجب الأفعى من القوم ، ثم أحضرهم وسألهم عن وصية أبيهم
فقال إياد : جعل لي خادمة شمطاء وما اشبهها ، فقال الأفعى : انه ترك غنما برشاء (عليها بعض بقع بيضاء تخالط لونها) فهي لك ورعاؤها من الخدم
وقال أنمار : جعل إليّ بدرة ومجلسه وما أشبهها ، فقال : لك مارتك من الرقة والأرض .
وقال ربيعة : جعل لي حبالا سودا وما أشبهها ، فقال ترك أبوك خيلا دهما (سوداء) وسلاحا فهي لك وما معها من موالي (فقالت العرب بعد ذلك ربيعة الفرس)
وقال مضر : جعل لي قبة حمراء وما اشبهها ، قال ان أباك ترك ابلاً حمراء فهي لك (فقالت العرب بعد ذلك مضر الحمراء)
و أعطاهم ما لهم وأكرمهم ، ثم رحلوا عنه .

دعاء أعرابي

قال ابن أبي الدنيا[1] : سمعت محمد بن الحسين يقول :

قدمت قدمةً مكة ، فبينا أنا أطوف في السحر ، إذ الناس يقولون : قد جاء ، قد جاء العنبري الزاهد ، فإذا أعرابي جلف المنظر ، دخل الطواف ، فطاف سبعة أشواط ، وركع خلف المقام ، ثم أتى الملتزم ، فرفع يديه وهو يقول : سبحان راحم رنة المساكين ، وقابل التوبة ، والمتفضل بها على المسرفين ، الذين أفاض عليهم من سيوب تفضله ، وأهطل عليهم من سماء بذله ، وفوائد نعمه وجزيل إحسانه ، ما أعجزت البرية عن شكره ، والقيام بأداء حقه إلا بمعونته .

سبحان الذي لم يمنع العباد أسباب التوبة ، ولم يعيرهم لما أنابوا إليه بما أجرموا من الحوبة ، ولم يعجل عليهم بالنقم ، وهو يراهم يتمرسون بمعاصيه لغضبه ، وهو في ذلك يستر عليهم بستره ، ويتوددهم بإنعامه ، ويتحبب إليهم بدوام إحسانه ، ثم فتح لهم برحمته أبواب رحمته ، ودعاهم إلى ما شوقهم إليه بحسن موعظته ، فقال لمسرفي عباده : ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ وقال : ﴿وإذا سألك عبادي عني فأني قريبٌ أجيب﴾ وقال : ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ .

فسبحان من يتقرب إلى من يتباعد منه ، ويتحبب بالنعم إلى من يتبغض بالمعاصي إليه ، فأحب عباده إليه ، أسألهم لما لديه .

إلهي ، أنا عبدك وابن عبيدك ، ها أنا قائمٌ بين يديك ، متوسلٌ بكرمك إليك ، لا ينزلني عن مقام أقمتني فيه ، ولا ينقلني إلى موقف سلامة من نعمك إلا أنت ، أتنصل إليك مما كُنت أواجهك به من قلة استحيائي من نظرك ، وأستغفرك من ذنوبي التي ابتزت قلبي حلاوة ذكرك ، وأطلب العفو منك ، إذ العفو نعتٌ لكرمك .

يا من يعصى ويرضى كأنه لم يعص ، يا حناناً لشفقته على عباده ، ومناناً بلطفه ، ومتجاوزاً بعطفه على خلقه ، طهر قلبي من أوساخ الغفلة ، وانظر إلي نظرك إلى من ناديته فأجابك ، واستعملته بمعونتك فأطاعك

صل على محمد عبدك ورسولك ، وهب لي صبراً ويقيناً ، واغفر ذنبي العظيم ،

---

(١) الحافظ أبو بكر ، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (٢٠٨ هـ - ٢٨١ هـ) الملقب بـ ابن أبي الدنيا (وقد طغى لقبه على اسمه حتى اشتهر به) من علماء الحديث والفقه .

وتجاوز لي عن سيئاتي ، يا أرحم الراحمين

قال : فمشيت معه حتى عرفت موضعه ، فكتبت عنه هذا الدعاء ، وغير هذا مما كان يدعو به عند الملتزم في أوقاته .

قريش وأهل اليمن

لما دخلت قريش على معاوية رضي الله عنه سلم عليهم وقربهم ، وقال : أتدرون يا أهل قريش لِمَ أخرت أهل اليمن وقربتكم؟ قالوا : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : لأنهم لم يزالوا يتطاولون علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم ، وإني أريد إذا دخلوا غدًا وأخذوا أماكنهم من الجلوس أن أقوم فيهم نذيرا وألقي عليهم من المسائل ما أُقلّ به إكرامهم وأُرخص به مقامهم ، فإذا دخلوا وأخذوا أماكنهم من الجلوس وسألوا عن شيء فلا يجبهم أحد غيري . قال الراوي : وكان المقدَّم عليهم رجلًا يقال له الطرمّاح بن الحكم الباهلي ، فأقبل على أصحابه ، وقال : أتدرون يا أهل اليمن لم أخركم ابن هند وقدم قريشًا؟ قالوا : لا . قال : لأنه في غداة غد يقوم فيكم نذيرًا ويلقي عليكم من المسائل ما يقل به إكرامكم ويرخص به مقامكم ، فإذا دخلتم عليه وأخذتم أماكنكم من الجلوس وسألكم عن شيء فلا يجبه أحد غيري . فلما كان من الغد دخلوا عليه وأخذوا أماكنهم ، فنهض معاوية قائمًا على قدميه ، وقال : أيها الناس من تكلم قبل العرب ، وعلى من أنزلت العربية؟ فقام الطرماح وقال : نحن يا معاوية ، ولم يقل يا أمير المؤمنين . فقال : لماذا؟ فقال : لأنه لما نزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كافة أرسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلي ، وهو جدنا فقرأ العربية وتداولها قومه من بعده إلى يومنا هذا ، فنحن يا معاوية عرب بالجنس وأنتم عرب بالتعليم . فسكت معاوية زمانًا ثم رفع رأسه وقال : أيها الناس ، من أقوى العرب إيمانًا ومن شهد له بذلك؟ فقال الطرماح : نحن يا معاوية . قال : ولم؟ قال : لأن الله بعث محمدًا ﷺ فكذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجنونًا ، فآويناه ونصرناه فأنزل الله : ﴿والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقًا﴾ ، وكان النبي ﷺ ، محسنًا لنا متجاوزًا عن سيئاتنا ، فلِمَ لمْ تفعل أنت كذلك؟ كأنك خالفت رسول الله ﷺ . قال : فسكت زمانًا ثم رفع رأسه وقال : أيها الناس ، من أفصح العرب لسانًا ومن شهد له بذلك؟ قال الطرماح : نحن يا معاوية . قال : ولم ذلك؟ قال : لأن امرأ القيس بن حجر الكندي منا قال في بعض قصائده :

يطعمون الناس غبًا
في السنين الممحلات
في جفانٍ كالخوابي
وقــدور راسـيات

وقد تكلم بألفاظ جاء مثلها في القرآن ، وشهد له رسول الله ﷺ بذلك . قال : فسكت معاوية زمانًا وقال : أيها الناس ، من أقوى العرب شجاعة وذكرًا ومن شهد له بذلك؟ قال الطرماح : نحن يا معاوية . قال : ولم ذلك؟ قال : لأن منا عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، كان فارسًا في الجاهلية وفارسًا في الإسلام وشهد له بذلك النبي ﷺ . فقال له معاوية : وأين أنت وقد أتي به مصفّدًا بالحديد؟ فقال له الطرماح : ومن أتى به؟ قال معاوية : أتى به علي . قال الطرماح : والله لو عرفت مقداره لسلمت إليه الخلافة ولا طمعت فيها أبدًا . فقال له معاوية : أتحجّني يا عجوز اليمن؟ قال : نعم أحجّك يا عجوز مُضر ، لأن عجوز اليمن بلقيس آمنت بالله ، وتزوجت بنبيه سليمان بن داود ، عليهما السلام .

حضرمي مع ابن عمه

قال أَبُو بَكْرِ بن دريد : حَدَّثَنَا السكن بن سعيد ، عَنْ محمد بن عباد ، عَنِ العباس بن هشام ، عَنْ أبيه ، قَالَ : كان حضرمي بن عامر عاشر عشرةٍ من إخوته فماتوا فورثهم ، فقَالَ ابن عمه له يُقَال له : جزء : من مثلك ، مات إخوتكَ فورثتهم فأصبحت ناعماً جذلا! فقَالَ حضرمي :

يزعــم جــزء ولــم يقــل ســدداً ... إنـــى تروحــت ناعمــاً جـذلا
إن كنــت أزننتنــى بهــا كذبــاً ... جــزء فلاقيــت مثلهــا عجــلا
أفـــــرح أن أرزأ الكـــــرام وأن ... أورث ذوداً شصائصــــاً نبــلا
كـــم كان فِي إخوتى إذا احتضــن ... الأقـــوام تحت العجاجة الأسـلا
مــــن واجــد ماجــد أخى ثقـــة ... يعطــى جزيلاً ويضـرب البطــلا
إن جئتــه خائفــاً أمنـــت وإنْ ... قَالَ : سأحبــوك نائـــلاً فعــلا

فجلس جزء عَلَى شفير بئر ، وكان له تسعة إخوة فانخسفت بإخوته ونجا هو ، فبلغ ذلك حضرمياً فقَالَ : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كلمةً وافقت قدراً وأبقت حقدًا

رثاء كريم

قال أَبُو بَكْرِ بن الأنباري ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الحسن بن البراء ، قَالَ : قَالَ أَبُو الحسن الأسدي : مات رجل كان يعول اثنى عشر ألف إنسان ، فلما حمل عَلَى النعش صر عَلَى أعناق الرجال ، فقَالَ رجل فِي الجنازة :

وليس صرير النعش ما تسمعونه ... ولكنه أعناق قوم تقصف
وليس فتيق المسك ما تجدونه ... ولكنه ذاك الثناء المخلف

بين أعرابي وامرأته

اشترى أعرابي خمرا بجزة من الصوف فغضبت عليه امرأته فأنشأ يقول :

غضبت عَلَى أن شربت بصوف ... ولئن غضبت لأشربن بخروف
ولئن غضبت لاشربن بنعجة ... دهساء مالئة الإناء سحوف
ولئن غضبت لأشربن بسابح ... نهد أشم المنكبين منيف
ولئن غضبت لأشربن بناقة ... كوماًء ناوية لعظام صفوف
ولئن غضبت لأشربن بواحديً ... ولأجعلن الصبر منه حليفي
ولقد شهدت الخيل تعثر بالقنا ... وأجبت صوت الصارخ الملهوف
ولقد شهدت إذا الخصوم تواكلوا ... بخصام لا نزقٍ ولا علفوف

بين عتبة وأعرابي

حج عتبة سنة إحدى وأربعين ، والناس قريب عهدهم بفتنة ، فصلى بمكة الجمعة ، ثم قَالَ : أيها الناس ، إنا قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر ، وعلى المسيء فيه الوزر ، ونحن عَلَى طريق ما قصدنا ، فلا تمدوا الأعناق إِلَى غيرنا ، فإنها تنقطع دوننا ، وربّ متمن حتفه فِي أمنيته ، فاقبلوا العافية ما قبلناها فيكم وقبلناها منكم ، وإياكم ولواً فإنها أتعبت من كان قبلكم ، ولن تريح من بعدكم ، وأنا أسأل الله أن يعين كلاً عَلَى كل .

فصاح به أعرابي : أيها الخليفة ، فقَالَ : لست به ولم تبعد ، فقَالَ : يا أخاه ، فقَالَ : سمعت فقل ، فقَالَ : تالله أن تحسنوا وقد أسأنا ، خير من أن تسيئوا وقد أحسنا ، فإن كان الإحسان لكم دوننا فما أحقكم باستتمامه وإن كان منا ، فما أولاكم بمكافاتنا ، رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويقرب إليكم

بالخئولة ، قد كثرة العيال ، ووطئه الزمان ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقَالَ عتبة : أستغفر الله منكم ، وأستعينه عليكم ، قد أمرنا لك بغناك ، فليت إسراعنا إليك ، يقوم بإبطائنا عنك .

الأجواد

قال بعضهم : أجود الناس في عصرنا قيس بن سعد بن علقمة

وقال آخر أجود الناس عبد الله بن جعفر[(١)]

وقال آخر : أجود الناس عرابة الأوسي[(٢)]

فتشاجروا في ذلك فأكثروا . فقال لهم الناس : يمضي كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان .

فقام صاحب عبد الله بن جعفر فصادفه في بعض أسفاره على راحلته ، فقال يا بن عم رسول الله ، أنا بن سبيل منقطع أريد رفدك لأستعين به ، وكان قد وضع رجله على ظهر الدابة فأخرج رجله وقال : خذها بما عليها ، فأخذها فإذا عليها مطارف خز وألفا دينار . ومضى صاحب قيس بن سعد فصادفه نائماً فقرع الباب ، فخرجت له جارية فقالت : ما حاجتك فإنه نائم؟ قال : ابن سبيل منقطع أتيت إليه يعينني على طريقي . فقالت له الجارية : حاجتك أهون علي من إيقاظه . ثم أخرجت له صرة فيها ثلاثمائة دينار وقالت له : امض إلى معاطن الإبل فاختر لك منها راحلة فاركبها وامض راشداً . فمضى الرجل فأخذ المال والراحلة .

ولما استيقظ قيس من منامه أخبرته الجارية بالخبر فأعتقها . ومضى صاحب عرابة فوجده قد عمي وقد خرج من منزله يريد المسجد ، وهو يمشي بين عبدين ، فقال : يا عرابة ، ابن سبيل منقطع يريد رفدك فقال : واسوأتاه والله ما تركت الحقوق في بيت عرابة الدراهم الفرد ، ولكن يا بن أخي خذ هذين العبدين ، فقال الرجل : ما كنت بالذي أقص جناحيك . فقال : والله يا بن أخي لابد من ذلك وإن لم تأخذهما

(١) عبد الله بن جعفر هو أبو جعفر عبد الله بن ذي الجناحين جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي .

(٢) عرابة بن أوس بن قيظي الاوسي الحارثي الانصاري رضي الله عنه : من سادات المدينة الأجواد المشهورين . أدرك حياة النبي ﷺ وأسلم صغيرا .وتوفي بالمدينة نحو ٦٠هـ .

فإنهما حران فنزع يديه من العبدين ورجع إلى بيته وهذا الجدار يلطمه وهذا الجدار يصدمه حتى أثر ذلك في وجهه .

فلما اجتمعوا حكموا لصاحب (عرابة) بالجود .

ملهبة الجوع

قال غيلان : حدّثني عمّي قال : توالت على العرب سنون سبع في الجاهلية حصّت كلّ شيء ، فخرجت على بكر لي في العرب ، فمكثت سبعا لا أذوق فيهنّ شيئا إلاّ ما ينال بعيري من حشرات الأرض حتى دنوت إلى حواء عظيم ، فإذا ببيت جحش عن الحيّ ، فملت إليه ، فخرجت إليّ امرأة طوالة حسّانة ، فقالت : من؟ قلت : طارق ليل يلتمس القرى . فقالت : لو كان عندنا شيء آنرناك به ، والدالّ على الخير كفاعله ، جس هذه البيوت فانظر إلى أعظمها ، فإن يك في شيء منها خير ففيه . ففعلت حتى دنوت إليه ، فرحّب بي صاحبه وقال : من؟ قلت : طارق ليل يلتمس القرى . فقال : يا فلان ، فأجابه ، فقال : هل عندك (من) طعام؟ قال : لا ، قال : فو الله ما وقر في أذني شيء كان أشدّ عليّ منه . فقال : هل عندك من شراب؟ قال : لا ، ثم تأوّه وقال : قد أبقينا في ضرع فلانة شيئا لطارق إن طرق ، قال : فأت به ، فأتى العطن فابتعثها ، فحدّثني عمّي أنّه شهد فتح أصفهان وتستر ومهرجان قذف وكور الأهواز وفارس ، وجاهد عند السّلطان وكثر ماله وولده ، قال : فما سمعت شيئا قطّ كان ألذّ إليّ من شخب تلك الناقة في تلك العلبة ، حتى إذا ملأها ففاضت من جوانبها وارتفعت عليها رغوة كجمّة الشّيخ أقبل بها نحوي فعثر بعود أو حجر ، فسقطت العلبة من يده ، فحدّثني أنّه أصيب بأبيه وأمّه وولده وأهل بيته ، فما أصيب بمصيبة أعظم عليه من ذهاب العلبة ، فلمّا رآني كذلك ربّ البيت خرج شاهرا سيفه ، فبعث الإبل ثم نظر إلى أعظمها سناما ، على ظهرها مثل رأس الرّجل الصّعل ، فكشف عن فوّهته ثم أوقد نارا ، واجتبّ سنامها ، ودفع إليّ مدية وقال : يا عبد الله ، اصطل واجتمل فجعلت أهوي بالبضعة إلى النّار ، فإذا بلغت إناها أكلتها ، ثم مسحت ما في يدي من إهالتها على جلدي ، وكان قد قحل على عظمي حتّى كأنّه شنّ ، ثم شربت ماء وخررت مغشيّا علي ، فما أفقت إلى السّحر .

مفاخرة اليمن ومضر

وعن الهيثم بن عدي . قال كان أبو العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال فحضرت ذات ليلة في مسامرة إبراهيم بن مخرمة الكندي وناس من بني الحارث بن كعب وهم أخواله وخالد بن صفوان بن إبراهيم التميمي . فخاضوا في الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، إن اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكاً أرباباً وورثوا ذلك كابراً عن كابر أولاً عن آخر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسيات والتبابعة ، ومنهم من مدحته الزبر ، ومنهم غسيل الملائكة ، ومنهم من اهتز لموته العرش ، ومنهم من كلمه الذئب ، ومنهم الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً . وليس شيء له خطر إلا وإليهم ينسب من فرس رائع أو سيف قاطع أو درع حصينة أو حلة مصونة أو درة مكنونة ، إن سئلوا أعطوا وإن سيموا أبوا ، وإن نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابر ، ولا ينالهم مفاخر ، هم العرب العرباء ، وغيرهم المتعربة .

قال أبو العباس السفاح : ما أظن التميمي يرضى بقولك . ثم قال : ما تقول يا خالد؟ قال : إن أذنت في الكلام تكلمت .

قال : أذنت لك في الكلام فتكلم ولا تهب أحد .

فقال : أخطأ يا أمير المؤمنين المقتحم بغير علم والناطق بغير صواب ، فكيف يكون ما قال ، وإن القوم ليست لهم ألسن فصيحة ولا حجة رجيحة . نزل به كتاب ولا جاءت به اسنة ، وهم منا على منزلتين : إن حادوا عن قصدنا أكلوا ، وإن جازوا حكمنا قتلوا ، يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات وغير ذلك مما سنأتي عليه ، ونفخر عليهم بخير الأنام وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ولله المنة علينا وعليهم لقد كانوا أتباعه فبه غزوا وله أكرموا ، فمنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنا الخليفة المرتضى ، ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم والمقام والمنبر والركن والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء مع ما لا يخفى من المآثر ولا يدرك من المفاخر . فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصي وأسد الله وسيد الشهداء ذو الجناحين وسيف الله ، عرفوا الله وأتاهم اليقين ، فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه .

ثم التفت إلى إبراهيم فقال : أعالم أنت بلغة قومك؟ قال : نعم .

قال : فما اسم العين؟ قال : الجمجمة .

قال : فما اسم السن؟ قال : الميذن .
قال : فما اسم الأذن؟ قال : الصنارة .
قال : فما اسم الأصابع؟ قال : الشناتر .
قال : فما اسم اللحية؟ قال : الذئب .
قال : فما اسم الذئب؟ قال : الكنع .
قال : أفمؤمن أنت بكتاب الله؟ قال : نعم .
قال : فإن الله تعالى يقول : ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ ، وقال تعالى : ﴿بلسان عربي مبين﴾ ، وقال : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ . فنحن العرب والقرآن بلساننا نزل ، ألم تر أن الله تعالى قال : العين بالعين ، ولم يقل : الجمجمة بالجمجمة ؛ وقال : السن بالسن ، ولم يقل الميذن بالميذن ؛ وقال : الأذن بالأذن ، ولم يقل الصنارة بالصنارة ، وقال : ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ ، ولم يقل شناترهم . وقال : لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، ولم يقل بذنبي . وقال تعالى : فأكله الذئب ، ولم يقل فأكله الكنع . ثم قال أسألك عن أربع إن أقررت بهن قهرت وإن جحدتهن كفرت .
قال : وما هن؟ قال : الرسول منا أو منكم؟ قال : منكم .
قال : فالقرآن نزل علينا أو عليكم؟ قال : عليكم .
قال : فالبيت الحرام لنا أو لكم؟ قال : لكم .
قال : فالخلافة فينا أو فيكم؟ قال : فيكم .
قال خالد : فما كان بعد هذه الأربع فهو لكم .

بين أهل مكة وأهل البصرة

قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر[1] : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة . فقال ابن المناذر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم . أنتم تسمون القدر

(١) محمد بن مناذر الشاعر يكنى أبا ذريح ، وقيل : أبا جعفر ، وقيل : أبا عبد اللّه ، كان مولى سليمان القهرماني ، وكان سليمان مولى عبيد الله بن سَمِعَ ، وكان شاعرا فصيحا ، ومدح المهدي ، وكان عالما باللغة .

برمة وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل :

وَجِفانٍ كَالْجَوابِ وَقُدُورٍ راسِيات

. وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت علية ، وتجمعون هذا الاسم على علالي ، ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف . وقال الله تبارك وتعالى : غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ

وقال : وَهُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ . وأنتم تسمون الطلع الكافور والا غريض ونحن نسميه الطلع . وقال الله تبارك وتعالى : وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ

الأعراب ومكة

روي أن سيلاً جاء فدخل البيت فانهدم ، فأعادته جُرهم[1] على بناء إبراهيم ، بناه لهم رجل منهم يقال له أبو الجدرة وأسمه عمر الجارود ، وسمي بنوه الجدرة . قال : ثم استخف جرهم بحق البيت ، وارتكبوا فيه أموراً عظاماً ، وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة ، وكان للبيت خزانة ، وهي بئر في بطنه ، يلقى فيها الحلي والمتاع الذي يهدى له ، وهو يومئذ لا سقف عليه ، فتواعد عليه خمسة من جرهم أن يسرقوا كل مافيه ، فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس ، فجعل الله عز وجل أعلاه أسفله ، وسقط منكساً فهلك ، وفر الأربعة الآخرون .

فلما كثر بغي جرهم بمكة قام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض فقال : يا قوم احذروا البغي ، فإنه لا بقاء لأهله ، وقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم ولم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا ، حتى سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم فتفرقوا في البلاد ، فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ، ولا تظلموا من دخله وجاءه معظماً لحرماته ، أو خائفاً ، أو رغب في جواره ، فإنكم إن فعلتم ذلكم تخوفت أن تخرجوا منه خرج ذل وصغار ، حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرز وأمن ، والطير تأمن فيه .

فقال قائل منهم يقال له مجدع : ومن الذي يخرجنا منه؟ ألسنا أعز العرب وأكثرهم مالاً وسلاحاً؟ فقال مضاض : إذا جاء الأمر بطل ما تذكرون ؛ فقد رأيتم ما صنع الله

---

(١) قبيلة عربيّة شهيرة تربى فيها اسماعيل عليه السلام .

بالعماليق! قالوا : وقد كانت العماليق بغت في الحرم ، فسلط الله عز وجل عليهم الذر فأخرجهم منه ، ثم رموا بالجدب من خلفهم حتى ردهم الله إلى مساقط رؤوسهم ، ثم أرسل عليهم الطوفان– قال : والطوفان : الموت– قال : فلما رأى مضاض بن عمرو بغيهم ومقامهم عليه ، عمد إلى كنوز الكعبة ، وهي غزالان من ذهب ، وأسياف قلعية ، فحفرلها ليلا في موضع زمزم ، ودفنها .

فبيناهم على ذلك إذ سارت القبائل من أهل مأرب ، ومعهم طريقة الكاهنة ، حين خافوا سيل العرم ، وعليهم مزيقياء وهو عمرو بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الزد بين الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فقالت لهم طريقة لما قاربوا مكة : وحق ما أقول ، وما علمني ما أقول إلا الحكيم المحكم ، رب جميع الأمم ، من عرب وعجم . قالوا لها : ما شانك ياطريقة؟ قالت : خذوا البعير الشدقم ، فخضبوه بالدم ، تكن لكم أرض جرهم ، جيران بيته المحرم . فلما انتهوا إلى مكة وأهلها أرسل إليهم عمرو ابنه ثعلبة ، فقال لهم : ياقوم ، إنا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزل بلدةً إلا أفسح أهلها لنا ، وتزحزحوا عنا ، فنقيم معهم حتى نرسل رواداً فيرتادوا لنا بلدا يحملنا ، فافسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ، نرسل روادنا إلى الشأم وإلى الشرق ، فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، وأرجوا أن يكون مقامنا معكم يسيراً ، فأبت ذلك جرهم إباءً شديداً ، واستكبروا في أنفسهم ، وقالوا : لا والله ؛ ما نحب أن تنزلوا فتضيفوا علينا مرابعنا ومواردنا ، فارحلوا عنا حيث أحببتم ، فلا حاجة لنا بجواركم . فأرسل إليهم : إنه لابد من المقام بهذا البلد حولاً ، حتى ترجع إلي رسلي التي أرسلت ، فإن أنزلتموني طوعاً نزلت وحمدتكم وآسيتكم في الرعي والماء ، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترتعوا معي إلا فضلاً ، ولم تشربوا إلا رنقا ، وإن قاتلتموني قاتلتكم ، ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال ، ولم أترك منكم أحداً ينزل الحرم أبداً! فأبت جرهم أن تنزله طوعاً وتعبت لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثة أيام أفرغ عليهم فيها الصبر ، ومنعوا النصر ، ثم انهزمت جرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد . وكان مضاض بن عمرو قد اعتزل حربهم ولم يعنهم في ذلك ، وقال : قد كنت أحذركم هذا . ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قنونى وما حوله ، فبقايا جرهم به إلى اليوم ، وفني الباقون ؛ أفناهم السيف في تلك الحروب .

قالوا : فلما حازت خزاعة أمر مكة وصاروا وأهلها جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا

اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة ، فلم يدخلوا في ذلك ، فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم ، فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة أمر عظيم ، أرسل إلى خزاعة يستأذنها ، ومت إليهم برأيه وتوريعه قومه عن القتال ، وسوء العشرة في الحرم ، واعتزاله الحرب ، فأبت خزاعة أن يقروهم ونفوهم عن الحرم كله ، وقال عمرو بن لحي لقومه : من وجد منكم جرهميا قد قارب الحرم فدمه هدر ! فنزعت إبل لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو ، من قنوني تريد مكة ، فخرج في طلبها حتى وجد أثرها قد دخلت مكة ، فمضى على الجبال نحو أجياد ، حتى ظهر على أبي قبيس يتبصر الإبل في بطن وادي مكة ، فأبصر الإبل تنحر وتؤكل ولا سبيل له إليها ، فخاف إن هبط الوادي أن يقتل ، فولى منصرفا إلى أهله وانشأ يقول :

وقائلة والدمع سكب مبادر ... وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب مني كأنما ... يلجلجه بين الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلها ، فأزالنا ... صروف الليالي ، والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت ... بعز فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا ... فليس لحي غيرنا ثم فاخر
ألم تنكحوا من خير شخص علمته ... فأبناؤه منا ، ونحن الأصاهر
فإن تنثن الدنيا علينا بحالها ... فإن لها حالا ، وفي التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك - يا للناس - تجري المقادر
أقول إذا نام الخلي ، ولم أنم ... إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلت منها أوجها لا أحبها ... قبائل منها حمير ويحابر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة ... بذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكي لبلدة ... بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه ... يظل به أمنا ، وفيه العصافر
وفيه وحوش - لا ترام - أنيسة ... إذا خرجت منه فليست تغادر

خالد بن الوليد ورجل من الحيرة

قال خالد بن الوليد لأهل الحيرة : أخرجوا الي رجلا من عقلائكم أسأله عن بعض الأمور . فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيّان بن بقيلة الغساني ، وهو الذي بنى القصر ، وهو يومئذ ابن خمسين وثلاثمائة سنة فقال له خالد : من أين أقصى أثرك؟ قال من صلب أبي . قال : فمن أين خرجت؟ قال : من بطن أمي . قال : فعلام أنت؟ قال على الأرض . قال :

ففيم أنت؟ قال : في ثيابي .

قال : ما سنّك؟

قال : عظم .

قال : أتعقل ، لا عقلت؟

قال : أي والله وأقيّد .

قال : ابن كم أنت؟

قال : ابن رجل واحد .

قال : كم أتى عليك من الدهر؟

فقال : لو أتى علي شيء لقتلني .

قال : ما تزيدني مسألتك إلا غمّى ؟

قال : ما أجبتك إلا عن مسألتك .

قال : اعرب انتم أم نبط؟

قال : عرب استنبطنا ، ونبط استعربنا .

قال : فحرب انتم أم سلم؟

قال : سلم .

قال : فما بال هذه الحصون؟

قال : بنيناها للسفيه حتى يجيء الحليم فينهاه .

قال : كم أتت عليك سنة؟

قال : خمسون وثلاثمائة .

قال : فما أدركت؟

قال : أدركت سفن البحر ترفأ إلينا في هذا الجرف ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مكتلها على رأسها ولا تتزود إلا رغيفا وغحدا ، فلا تزال في قرى مخصبة

متواترة حتى ترد الشام . ثم قد اصبحت خرابا يبابا ، وذلك دأب الله في العباد والبلاد

نوادر تحكى عن غير الناس

قيل لإبليس : ماذا لقيت من المتعلمين ؟
قال : التعلم ينسيهم وهم يلعنوني .

**

قيل للعقرب : لم لا تشمسين في الشتاء مع الناس ؟
قالت : من كثرة إحساني إليهم في الصيف .

**

كانت أفعى نائمة على حزمة شوك فحملها السيل ، والأفعى عليها ، إذ نظر إليها ثعلب ، فقال : مثل هذا الملاح يصلح لهذه السفينة .

**

أراد ثعلب أن يصعد حائطاً ، فتعلق بعوسجة فعقرت يده .
فقال : أنا أخطأت ، لأني تعلقت بما يتعلق بكل شيء .

**

وقف جدي على مكان فمر به ذئب فشتمه .
فقال له : لم تشتمني ؛ إنما شتمني المكان الذي أنت فيه .

**

قالت الخنفساء لأمها : ما مررت بأحد إلا بصق علي .
قالت : يا بنية ، لحسنك تعوذين .

**

نظر كلب إلى رغيف ، فقال له : إلى أين ؟
قال : إلى النهروان .
قال : فإن تركتك فابلغ إلى مرو .

**

وقف كلب على قصاب فآذاه ، فقال له القصاب : والله لئن قمت إليك لأرمينك بهذا الكرش ، فلم يبرح ؛ فتغافل عنه القصاب ، فلما طال وقوف الكلب قال للقصاب : ترمينا بالكرش أو ننصرف .

**

قيل للبغل : من أبوك ؟

قال : خالي الفرس .

وهذا كقول القائل :

سألته من أبوه ؟ . . . فقال خالي شعيب

وما كنّى عن أبيه . . . إلاّ وثمّ سبيب

طرائف الأمراء والخلفاء

معاوية بن أبي سفيان

عن ربيعة بن ناجد قال : قيل لمعاوية بن أبي سفيان[١] : ما بلغ من عقلك ؟
قال : ما وثقت بأحد قط .

وقال معاوية لعمرو بن العاص[٢] : ما بلغ من عقلك
فقال عمرو بن العاص : إني لا أدخل في أمر إلا وعرفتُ كيف أخرج منه
فقال معاوية : أما أنا فلا أدخلُ في أمر أريدُ الخروج منه !

وقال ثعلب[٣] : نظر معاوية يوم صفين إلى أحدى جنبتي عسكره وقد مالت فلمحها فاستوت ، ثم نظر إلى الجنبة الأخرى وقد مالت فلمحها فاستوت ، فقال له رجل من أصحابه : أهذا كنت دبرته من زمن عثمان ؟

فقال : هذا والله كنت دبرته منذ زمن عمر رضي الله عنهم .

معاوية وعدي:

قال معاوية لعدي بن حاتم[٤] : ما فعلت الطرفات يا أبا طريف؟ يعني أولاده ؛ قال :

قتلوا! قال : ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قتل بنوك معه وبقي له بنوه! قال : لئن كان ذلك لقد قتل هو وبقيت أنا بعده! قال له معاوية : ألم تزعم أنه لا يخنق في قتل

---

(١) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، من أصحاب الرسول محمد وأحد كتّاب الوحي . سادس الخلفاء في الإسلام ومؤسس الدولة الأموية في الشام وأوّل خلفائها .

(٢) عمرو بن العاص السهمي القرشي الكناني ، أبو عبد الله ، ابن سيد بني سهم من قريش العاص بن وائل السهمي .

(٣) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء ، أبو العباس ، المعروف بثعلب : إمام الكوفيين في النحو واللغة .

(٤) عَدَي بن حاتم الطائي ، هو : ابن حاتم الطائي الذي كان يضرب به المثل ، في الجود والكرم وقد كان أبوه من أجود وأكرم العرب . تولى عدي : رئاسة قومه قبيلة طيء بعد وفاة أبيه في أرض الجبلين : أجا وسلمى وهي : منطقة حائل حالياً .

عثمان عنز؟ قال : قد والله خنق فيه التيس الأكبر . قال معاوية : أما إنه قد بقيت من دمه قطرة ولا بد أن أتبعها! قال عدي : لا أبا لك! شم السيف ، فإنّ سلّ السيف يسلّ السيف . فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال : أجعلها في كتابك فإنها حكمة .

حديث الموائد

كان بين يدي معاوية ثريدةٌ كثيرةُ السمن ، ورجلٌ يؤاكله ، فخرقه إليه ، فقال له : ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ . فقال : ﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾

معاوية وصحار:

قال معاوية لصحار بن العباس العبدي : يا أزرق . قال : البازي أزرق . قال : يا أحمر . قال : الذهب أحمر . قال : ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس؟

قال : شيء يختلج في صدورنا فتقذفه ألسنتنا كما يقذف البحر الزّبد .

قال : فما البلاغة عندكم؟

قال : أن نقول فلا نخطئ ، ونجيب فلا نبطئ .

حكمة الشعر والألحان

كان معاوية يعيب على عبد الله بن جعفر[1] سماع الغناء . فأقبل معاوية عاماً من ذلك حاجاً ، فنزل المدينة ، فمر ليلةً بدار عبد الله بن جعفر ، فسمع عنده غناءً على أوتار ، فوقف ساعة يستمع ثم مضى وهو يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله . فلما انصرف من آخر الليل مر بداره أيضاً ، فإذا عبد الله قائم يصلي ، فوقف ليستمع قراءته ، فقال : الحمد لله ، ثم نهض وهو يقول : «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم» فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعد له طعاماً ، ودعاه إلى منزله ، وأحضر ابن صياد المغني ، ثم تقدم إليه يقول : إذا رأيت معاوية واضعا يده في الطعام فحرك أوتارك وغن . فلما وضع معاوية يده في الطعام حرك ابن صياد أوتاره وغنى

(١) عبد الله بن جعفر هو أبو جعفر عبد الله بن ذي الجناحين جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي .

بشعر عدي ابن زيد ، وكان معاوية يعجب به :

يا لبينـــى أوقـــدي النــــــارا إن مـــــن تهويــــن قــد حــارا

رب نـــــــار بــــت أرمقهـــا تقضـــم الهنــــدي والغـــارا

ولهـــــــا ظبــــي يؤججهـا عاقــــد فــي الخصـــر زنــارا

قال : فأعجب معاوية غناؤه حتى قبض يده عن الطعام ، وجعل يضرب برجله الأرض طرباً . فقال له عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الألحان ، فهل ترى به بأساً؟

قال : لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان

بين صعصعة ومعاوية

دخل صعصعة بن صوحان عَلَى معاوية أول ما دخل عليه ، وقد كان يبلغ معاوية عنه ، فقَالَ معاوية ، : ممن الرجل ؟ فقَالَ : رجل من نزار ، قَالَ : وما نزار ؟ قَالَ : كان إذا غزا انحوش ، وإذا انصرف انكمش ، واذا لقي افترش ، قَالَ : فمن أي ولده أنت ؟ قَالَ : من ربيعة ، قَالَ : وما ربيعة ؟ قَالَ : كان يغزو بالخيل ، ويغير بالليل ، ويجود بالنيل ، قَالَ : فمن أي ولده أنت ؟ قَالَ : من أمهر ، قَالَ : وما أمهر ؟ قَالَ : كان إذا طلب أفضى ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا آب أنضى ، قَالَ : فمن أي ولده أنت ؟ قَالَ : من جديلة ، قَالَ : وما جديلة ؟ قَالَ : كان يطيل النجاد ، ويعد الجياد ، ويجيد الجلاد ، قَالَ : فمن أي ولده أنت ؟ قَالَ : من دعمي ، قَالَ : وما دعمي ؟ قَالَ : كان نارا ساطعا ، وشرا قاطعا ، وخيرا نافعا ، قَالَ : فمن أي ولده أنت ؟ قَالَ : من أفصى ، قَالَ : وما أفصى ؟ قَالَ : كان ينزل القارات ، ويكثر الغارات ، ويحمي الجارات ، قَالَ : فمن أي ولده أنت ؟ قَالَ : من عبد القيس ، قَالَ : وما عبد القيس ؟ قَالَ : أبطال ذادة ، جحاجحة سادة ، صناديد قادة ، قَالَ : فمن أي ولده أنت ؟ قَالَ : من أفصى ، قَالَ : وما أفصى ؟ قَالَ : كانت رماحهم مشرعة وقدورهم مترعة ، وجفانهم مفرغة ، قَالَ : فمن أي ولده أنت ؟ قَالَ : من لكيز ، قَالَ : وما لكيز ؟ قَالَ : كان يباشر القتال ، ويعانق الأبطال ، ويبدد الأموال ، قَالَ : فمن أي ولده أنت ؟ قَالَ : من عجل ، قَالَ : وما عجل ؟ قَالَ : الليوث الضراغمة ، الملوك القماقمة ، القروم القشاعمة ، قَالَ : فمن أي ولده أنت ؟ قَالَ : من كعب ، قَالَ : وما كعب ؟ قَالَ : كان يسعر الحرب ، ويجيد الضرب ، ويكشف الكرب ، قَالَ : فمن أي ولده أنت ؟ قَالَ : من مالك ، قَالَ : وما

مالك ؟ قَالَ : هو الهمام للهمام ، والقمقام للقمقام ، فقَالَ معاوية : ما تركت لهذا الحي من قريش شيئا ، قَالَ : بل تركت أكثره وأحبه ، قَالَ : وما هو ؟ قَالَ : تركت لهم الوبر والمدر ، والأبيض والأصفر ، والصفا والمشعر ، والقبة والمفخر ، والسرير والمنبر ، والملك إِلَى المحشر ، قَالَ : أما والله لقد كان يسوءني أن أراك أسيرا ! قَالَ : وأنا والله لقد كان يسوءني أن أراك أميرا ! ثم خرج فبعث إليه فرد ووصله وأكرمه

تغدى صعصعة بن صوحان عند معاوية يوما ، فتناول من بين يدي معاوية شيئا فقال : يا ابن صوحان ، لقد انتجعت من بعيد! فقال : «من أجدب انتجع» .

معاوية واليماني

قال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أبين حمق قومك حين ملَّكوا امرأة!! فقال : كان قومك أشد حماقة ؛ إذ قالوا : ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ هلاَّ قالوا : فاهدنا له وبه!!

سيد الخطباء

لما اجتمع الناس ، وقامت الخطباء لبيعة يزيد ، وأظهر قوم الكراهة قام رجل من عذرة[١] يقال له يزيد بن المقنّع ، فاخترط من سيفه شبرا ثم قال : أمير المؤمنين هذا -وأشار بيده إلى معاوية- فإن مات فهذا- وأشار بيده إلى يزيد -فمن أبى فهذا- وأشار بيده إلى سيفه .

فقال له معاوية : أنت سيد الخطباء .

معاوية وجارية:

قال معاوية بن أبي سفيان لجارية بن قدامة[٢] : ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية!

(١) قبيلة من قبائل العرب عُرفت بالعشق وإليها يُنسب الحب العذريّ

(٢) جارية بن قدامة بن مالك بن زهير بن حصن ، ويقال : حصين بن رزاح وقيل : رياح بن أسعد بن بجير بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي ، يكنى أبا أيوب وأبا يزيد ، يعد في البصريين ، روى عنه أهل المدينة وأهل البصرة .

فقال له جارية : وما كان أهونك أنت على أهلك إذ سموك معاوية

معاوية وميسون الكلبية

ولما اتصلت ميسون بنت بحدل بمعاوية رضي الله عنه ونقلها من البدو إلى الشام كانت تكثر الحنين على ناسها والتذكر لمسقط رأسها ، فاستمع عليها ذات يوم فسمعها تنشد وتقول :

لبيت تخفق الأرواح فيه أحب إلي من قصر منيف
وأكل كسيرة في كسر بيتي أحب إلي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج أحب إلي من نقر الدفوف
ولبس عباءة وتقر عينيً أحب إلي من لبس الشفوف
وكلب ينبح الطراق حولي أحب إلي من قط ألوف
وبكر يتبع الأظعان صعبٌ أحب إلي من بغل زفوف
وخرق من بني عمي نحيفٌ أحب إلي من علج عنيف

قال الراوي : فلما سمع معاوية الأبيات قال : ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجاً عنيفاً .

معاوية والحسن

وروي أن معاوية رضي الله عنه خرج عاماً حاجاً ، فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالاً جزيلة ، ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما[1] ، فلما حضر قال له معاوية : مرحباً مرحباً برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا؟

فقال الحسن رضي الله عنه : كيف ينفد ما عندك ، وخراج الدنيا يجيء إليك؟

فقال له معاوية : قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لأهل المدينة ، وأنا ابن هند .

فقال الحسن : قد رددته عليك ، وأنا ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، سبط نبي الإسلام محمد وحفيده وثاني الأئمة عند الشيعة ، أطلق عليه النبي محمد لقب سيد شباب أهل الجنة ، كنيته أبو محمد ، ولد في النصف من شهر رمضان عام ٣ هـ وتوفي سنة ٥٠ هـ ودفن في البقيع .

معاوية وسودة الأسدية

ومما يروى عن الشعبي[١] قال : استأذنت سودة بنت عمارة بن الأسد[٢] على معاوية بن أبي سفيان ، فأذن لها ، فلما دخلت عليه قال لها : يا بنت الأسد الست القائلة :

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه ... واقعد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخا النبي محمد ... علم الهدى ومنارة الإيمان
وقد الجيوش وسر أمام لوائه ... وارم بأبيض صارم وسنان

قالت : بلى يا معاوية ، وما مثلي من رغب عن الحق واعتذر .

قال : فما حملك على ذلك؟ قالت : حب علي واتباع الحق .

قال : والله ما أرى عليك من أثر علي شيئاً .

قالت : أنشدك الله يا معاوية! لا تذكر ما مضى .

قال : هيهات! وما مثلك ، ومقام أخيك يسيئني ، وما لقيت من أخيك .

قالت : صدقت يا معاوية ، لم يكن أخي ذميم المقام ، ولا خبياً ، وهو والله كقول الخنساء :

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وأنا أسألك يا معاوية إعفائك مما استعفيت به .

قال : قد فعلت ؛ فما حاجتك؟ قالت : يا معاوية ، إنك أصبحت للناس سيداً ولأمورهم والياً ، والله سائلك عن أمرنا ، وما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من يغرك ويبطش بسلطانك ، ويحصدنا حصد السنبل ، ويدرسنا درس العصفر ، ويسومنا الخسف ، ويسلبنا الحيل ، هذا ابن أرطاة قدم علينا فقتل رجالي وأخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فإما عزلته . فشكرناك ، وإما أقررته فعرفناك .

---

(١) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، والمشهور بالإمام الشعبي ٢١ هـ/١٠٠ هـ ، فقيه ومحدث من السلف ,ولد في خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) سودة بنت عمارة الهمدانية شاعرة يمانية من همدان شهدت معركة صفين مع علي بن أبي طالب وهي امرأة عرقت بأنها شجاعة وذات منطق فصيح بليغ

فقال لها : أبقولك تهدديني؟ هممت أن أحملك على قتب جمل أشرس وأسيرك إليه لينفذ فيك أمره .

فأطرقت وبكت وأنشدت تقول :

صلى الإله على روح تضمنها قبر فأصبح فيه الحق مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال : ومن ذاك؟ قالت : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

قال : ولم؟ قالت : أتيته في رجل ولاه علينا ، ولم يكن بيننا وبينه إلا كما بين الغث والسمين ، فوجدته قائماً يصلي ، فلما نظر إلي انفتل من صلاته . ثم قال برأفة ورحمة : ألك حاجة؟ فأخبرته فبكى . ثم قال : اللهم اشهد علي وعليهم أني لم أولهم وآمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك . ثم أخرج من جيبه قطعة من جلد كهيئة طرف الجواب فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم : «قد جاءتكم بينة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ» . إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك حتى يقدم عليك من يقبضه منك ، والسلام .

فأخذته منه وأوصلته إليه فامتثل ورجع عما كان فيه .

فقال معاوية : اكتبوا لها برد مالها والعدل في حالها .

فقال : ألي خاصة أم لي ولقومي؟ قال : بل لك .

قالت : إذا الفحشاء واللؤم ، هي والله إما عدلاً شاملاً وإلا فأنا كسائر قومي .

قال : اكتبوا لها بحاجتها هي وقومها .

مشاتمة في مجلس معاوية

عَن الأبرش الكلبي[١] ، أنه سمع الوليد بن عقبة[٢] ، وعمرو سعيد بن العاص[٣] ، يتلاحيان فِي مجلس معاوية ، رحمه الله ، فتكلم الوليد ، فقَالَ له عمرو :

(١) سعيد بن الوليد الكلبي الأبرش كاتب هشام بن عبد الملك .

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، واسم أبي معيط : أبان بن أبي عمرو ، واسم أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي . وقد قيل : إن ذكوان كان عبداً لأمية فاستلحقه .

(٣) عمرو بن سعيد بن العاص بن أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي ، الملقب بالأشدق لفصاحته .

كَذبت أو كُذبت ، فقَالَ له الوليد : اسكت يا طليق اللسان منزوع الحياء ويا ألأم أهل بيته ، فلعمري لقد بلغ بك البخل الغاية الشائنة المذلة لأهلها ، فساءت خلائقك لبخلك ، فمنعت الحقوق ، ولزمت العقوق ، فأنت غير مشيد البنيان ، ولا رفيع المكان ، فقَالَ له عمرو : والله إن قريش لتعلم أني غير حلو المذاقة ، ولا لذيذ الملاكة ، وإني لك الشجا فِي الحلق ، ولقد علمت أني ساكن الليل داهية النهار ، لا اتبع الأفياء ، ولا أنتمي إِلَى غير أبي ، ولا يجهل حسبي ، حام لحقائق الذمار ، غير هيوبٍ عند الوعيد ، ولا خائف رعديد ، فلم تعير بالبخل وقد جبلت عليه ، فلعمري لقدً أورثتك الضرورة لؤماً ، والبخل فحشاً ، فقطعت رحمك ، وجرت فِي قضيتك ، وأضعت حق من وليت أمره ، فلست ترجى للعظائم ، ولا تعرف بالمكارم ، ولا تستعف عَنِ المحارم ، لم تقدر عَلَى التوقير ، ولم يحكم منك التدبير ، فأُفحم الوليد .

فقَالَ معاوية ، وقد ساءه ذلك : كفا لا أبا لكما لا يرتفع بكما القول إِلَى ما لا نريد ، ثم أنشأ عمرو ، يقول :

وليدا ما كنت فِي القوم جالساً فكن ساكناً منك الوقار عَلَى بال

ولا يبدرن الدهر من فيك منطقٌ بلا نظرٍ قد كان منك وإغفال

بين معاوية وأعرابي ثقيل

قال أعرابي لمعاوية وقد أضجره : قد تحلب الناقة الضجور

فقال معاوية : وقد تكسر الإناء وتدق أنف حالبها

فقال الأعرابي : وقد تلين وتدرّ لبنها

فضحك وأعطاه .

أبو لهبٍ وأم جميل:

قال معاوية رضي الله عنه يوماً لأهل الشام ، وعنده عقيل بن أبي طالب[1] رضي الله عنه : هل سمعتم قول الله عزّ وجل : ﴿تبت يدا أبي لهبٍ وتب﴾ فقال

(١) عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القُرشي ، صحابي من صحابة محمد بن عبد الله نبي الإسلام وابن عمه الذي قال له : «يَا أَبَا يَزِيدَ ، إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبًّا لِقَرَابَتِكَ ، وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ»

الحضور : نعم سمعنا ، فقال معاوية إن أبا لهبٍ عمَ هذا الرجل وأشار إلى عقيل .
فقال عقيل : هل سمعتم قول الله عزّ وجّل : ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ فقال الحضور : سمعنا . فقال عقيل حمالة الحطب عمة هذا الرجل وأشار الى معاوية .

دخل أعرابي رث الهيئة في عباءة بالية على معاوية فأخذ ينظر إلى عباءته فقال الأعرابي : يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك ، إنما يكلمك من فيها

ابن أمك حواء وأبيك آدم

دخل أعرابي على معاوية ، بعد أن استأذن حاجبه وقال له أنا أخوه ابن أمه وأبيه .
فسأله معاوية : تقول أنك أخي ؟!
فقال الأعرابي : نعم أخوك ابن أمك حواء ، وأبيك آدم .
فصاح معاوية : ياغلام . . أعطه درهماً !
فقال الأعرابي : درهم ! أتعطي لأخيك ابن أمك وأبيك درهماً واحداً ؟!
فقال معاوية : يا أخي لو أنني أعطيك كل ما في بيت المسلمين لأخوتنا من آدم وحواء ، لما بلغك هذا الدرهم .

أخذ ورد

وقال معاوية لابن الأشعث بن قيس :
ما كان جدك قيس بن معد يكرب أعطى الأعشى ؟
فقال : أعطاه مالاً وظهراً ورقيقاً ، وأشياء أُنْسِيْتُها
فقال معاوية : لكن ما أعطاكم الأعشى لا ينسى
قال معاوية لسعيد بن مرة الكندي : أأنت سعيد؟
قال :أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة

كان عقيل رجلا قد كف بصره ، وله بعد لسانه وأدبه ونسبه وجوابه ، فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال ، صار لسانه بها أطول . وغاضب عليا وأقام بالشام ، وكان ذلك أيضا مما أطلق لسان الباغي والحاسد فيه . وزعموا أنه قال له معاوية : هذا

أبو يزيد ، لولا أنه علم أني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه . فقال له عقيل : «أخي خير لي في ديني ، وأنت خير لي في دنياي» .

وقال له مرة بصفين : أنت معنا يا أبا يزيد الليلة . قال : ويوم بدر قد كنت معكم .

وقال معاوية يوما : يا أهل الشام ، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى في كتابه : ﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

قالوا نعم . قال : فإن أبا لهب عمه .

فقال عقيل : فهل سمعتم قول الله جل وعز : وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

قالوا : نعم . قال : فإنها عمته . قال معاوية : حسبنا ما لقينا من أخيك .

وذكروا أن امرأة عقيل ، وهي فاطمة ابنة عتبة بن ربيعة قالت : يا بني لا يحبكم قلبي ابدا! أين أبي ، أين عمي ، أين أخي ، كأن أعناقهم أباريق الفضة ، ترد آنفهم قبل شفاههم . قال لها عقيل : إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك .

ودخل رجل على معاوية ، وقد سقطت أسنانه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الأعضاء يرث بعضها بعضا . فالحمد لله الذي جعلك وارثها ولم يجعلها وارثتك

قال أبو عبيدة : سأل معاوية شيخا من بقايا العرب : أيّ العرب رأيته أضخم شأنا؟ قال : حصن بن حذيفة ، رأيته متوكئا على قوسه يقسم في الحليفين أسد وغطفان .

وقال معاوية لعقيل : إن فيكم لشبقاً يا بني هاشم

قال : هو منّا في الرجال ، وهو منكم في النساء .

لما وصل عبد العزيز بن زرارة إلى معاوية قال : يا أمير المؤمنين ، لم أزل أستدل بالمعروف عليك ، وأمتطي النهار إليك ، فإذا ألوى بي الليل فقبض البصر وعفّي الأثر ، أقام بدني وسافر أملي والنفس تلوّم ، والاجتهاد يعذر فإذ قد بلغتك فقطني .

قدم سعيد بن العاص على معاوية فقال : كيف تركت أبا عبد الملك؟

فقال : منفذا لأمرك ، ضابطا لعملك .

فقال له معاوية : إنما هو كصاحب الخبزة كفى إنضاجها فأكلها .

فقال سعيد : كلا إنه بين قوم يتهادون فيما بينهم كلاما كوقع النبل ، سهما لك وسهما عليك . قال : فما باعد بينه وبينك؟

فقال : خفته على شرفي ، وخافني على مثله .

قال : فأي شيء كان له عندك في ذلك؟ فقال : أسوءه حاضرا وأسره غائبا .

قال : يا أبا عثمان ، تركتنا في هذه الحروب .

قال : نعم : تحملت الثقل وكفيت الحزم ، وكنت قريبا لو دعيت لأجبت ، ولو أمرت لأطعت .

قال معاوية : يا أهل الشام : هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

دار الأعرابي

دخل أعرابي على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين أعني على بناء داري

فقال : أين دارك؟

قال : بالبصرة وهي أكثر من فرسخين في فرسخين

فقال له : فدارك في البصرة أم البصرة في دارك!

معاوية وشريك

في عهد معاوية بن أبي سفيان ، كان يوجد فارس ذائع الصيت ،اسمه شريك بن الأعور[١] ، وكان معاوية يتمنى أن يراه ، وذات يوم جاء شريك لمجلس الخلافة ،وعندما رآه معاوية وجده دميم الوجه فقال له :يا شريك أنت دميم والجميل خير من الدميم ، وأنت شريك وما لله من شريك ، وأنت ابن الأعور والسليم خير من الأعور . فقال شريك : وأنت معاوية وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب ، وأنت بن حرب والسلم خير من الحرب ، وأنت ابن أميه وما أمية ألا أمة صُغِرت!!

---

(١) شريك بن الحارث الهمداني ، مشهور بشريك بن الاعور ولكن اسمه الصحيح هو شريك بن الحارث الهمداني ، همدان قبيلة في اليمن اصولها . كان من خيار محبي اهل البيت وهو سيد قبيلته .

تبادل الحاجات

وروي أن معاوية قال لعبد الله بن عامر : ان لي عندك حاجة ، أتقضيها؟
قال : نعم . ولي اليك حاجة أتقضيها؟
قال معاوية : نعم .
قال : سل حاجتك .
قال : أريد أن تهب لي دورك وضياعك بالطائف .
قال عبد الله : فعلت .
فقال معاوية : فسل حاجتك .
قال : أن تردّها عليّ .
قال : قد فعلت .

معاوية ورجل من الأنصار

قال معاوية يوما : أيها الناس ، إن الله فضّل قريشا بثلاث : فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام : وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ، فنحن عشيرته ؛ وقال : وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ، فنحن قومه ؛ وقال : لإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ، ونحن قريش!

فأجابه رجل من الأنصار فقال : على رسلك يا معاوية ، فإن الله يقول : وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ ، وأنتم قومه ؛ وقال : وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ، وأنتم قومه ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ، وأنتم قومه ؛ ثلاثة بثلاثة ، ولو زدتنا لزدناك! فأفحمه .

مع الأحنف بن قيس

مازح معاوية الأحنف ، فقال : يا أحنف ما الشيء الملفف في البجاد؟
قال : هو السخينة . أراد معاوية قول الشاعر :

إذا ما مات ميتٌ من تميم   فسرك أن يعيش فجئ بزادٍ
بخبز أو بسمن أو بزيت   أو الشيء الملفّف في البجادِ

يريد وطبَ اللبن . والبجاد : كساءٌ يلفُّ فيه ذلك .

وأراد الأحنف بـ«السخينة» أن قريشاً كانوا يأكلونها ويعيّرون بها ، وهي أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة ، وإنّما تؤكل في كلب الزمان وشدة الدهر .

كان معاوية يأذن للأحنف أوّل من يأذن ، فأذن له يوما ، ثم أذن لمحمد بن الأشعث حتى جلس بين معاوية والأحنف ، فقال له معاوية : «لقد أحسست من نفسك ذلا . إني لم آذن له قبلك إلا ليكون إلي في المجلس دونك ، وإنّا كما نملك أموركم كذلك نملك تأديبكم ، فأريدوا ما يراد بكم ، فإنه أبقى لنعمتكم ، وأحسن لأدبكم» .

دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان ، فأشار له إلى الوساد فقال له : اجلس . فجلس على الأرض ، فقال له معاوية : وما منعك يا أحنف من الجلوس على الوساد؟

فقال يا أمير المؤمنين ، إن فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقري ولده أن قال : «لا تغش السلطان حتى يملك ، ولا تقطعه حتى ينساك ، ولا تجلس له على فراش ولا وساد ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين ، فإنه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له ، فيكون قيامك زيادة له ، ونقصانا عليك» . حسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين ، لعله إن يأتي من هو أولى بذلك المجلس مني ، فقال معاوية :

«لقد أوتيت تميم الحكمة ، مع رقة حواشي الكلم» . وأنشأ يقول :

يا أيها السائل عما مضى ... وعلم هذا الزمن العائب

إن كنت تبغي العلم أو أهله ... أو شاهدا يخبر عن غائب

فاعتبر الأرض بسكانها ... واعتبر الصاحب بالصاحب

عدّد معاوية بن أبي سفيان على الأحنف ذنوبا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لم تردّ الأمور على أعقابها ؛ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا ؛ ولئن مددت فترا من غدر لنمدّن باعا من ختر ؛ ولئن شئت لنستصفين كدر قلوبنا بصفو حلمك . قال : فإني أفعل! .

وخطب معاوية يوماً فقال : أيها الناس إن الله تعالى قال : «وإن من شيء إلا

عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدرٍ معلوم» ، فعلام تلومونني إذا قصرت عنكم في عطاياكم؟ فقال له الأحنف بن قيس : إنا والله ما نلومك فيما في خزائن الله ، ولكن وضعت يدك على ما أنزل الله من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه .

أخافُ اللهَ إن كَذَبْتُ، وأخافُكم إن صَدَقْتُ

لّما نَصَبَ معاويةُ يزيدَ لولاية الْعَهْد أَقْعَدَه في قُبَّة حمراء ؛ فجعل النّاسُ يسلّمونَ على معاوية ، ثمَّ يميلون إلى يزيد ، حتى جاء رجلٌ ففعلَ ذلك ثمّ رجَعَ إلى معاوية ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ اعلمْ أنّك لو لم تُوَلِّ هذا أمورَ المسلمين لأضَعْتَها! والأحْنَفُ بن قيس جالس . فقال معاويةُ للأحنف : ما بالُك لا تقولُ يا أبا بَحْرٍ؟ فقال : أخافُ اللهَ إن كَذَبْتُ ، وأخافُكم إن صَدَقْتُ ؛ فقال معاوية : جزاك الله عن الطاعة خيرا! وأمر له بألُوف . فلمّا خرج الأحنف لَقيَهُ الرّجلُ بالباب ، فقال : يا أبا بَحْر ، إنّي لأَعْلَمُ أنّ شَرَّ مَنْ خلق الله هذا وابنُه ، ولكنَّهم قد استَوثَقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال ؛ فلسنا نطمعُ في استخراجها إلاّ بما سمعت . فقال له الأحنف : يا هذا ؛ أمْسِكْ ؛ فإنّ ذا الوَجْهَيْنِ خَلِيقٌ ألاّ يكونَ عندَ اللهِ وَجيها .

خلافة معاوية

قالت هند بنت عتبة ، حين أتاها نعي يزيد بن أبي سفيان[1] ، فقال لها بعض المعزين : إنا لنرجو أن يكون معاوية خلف من يزيد ، فقالت هند : «ومثل معاوية لا يكون خلفا من أحد ، فو الله إن لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمي به فيها ، لخرج من أي أعراضها شاء»

قالوا : ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة منذ سقطت ثناياه في الطست .

قال أبو الحسن وغيره : لما شق على معاوية سقوط مقادم فيه قال له يزيد ابن

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي ، . ولد في خلافة الصحابي عثمان بن عفان في عام ٢٦ للهجرة . في قرية الماطرون وأمه هي ميسون بنت بحدل الكلبية ، طلقها معاوية فيما بعد . عاش فترة من حياته في البادية بين أخواله .

معن السلمي : «والله ما بلغ أحد سنك إلا أبغض بعضه بعضا ، ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك» فطابت نفسه .

لما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يفدوا عليه . فوفد عليه من كل مصر قومٌ . وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم فخلا به معاوية وقال له : ما ترى في بيعة يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ما أصبح اليوم على الأرض أحدٌ هو أحب إلي رشداً من نفسك سوى نفسي وإن يزيد أصبح غنياً في المال وسيطاً في الحسب وإن الله سائل كل راع عن رعيته فاتق الله وانظر مَن تولى أمرَ أمة محمد . فأخذ معاويةَ بَهْر حتى تنفّس الصُعداء وذلك في يوم شات ثم قال : يا محمد إنك امرؤ ناصحٌ قلت برأيك ولم يكن عليك إلا ذاك . ثم قال معاوية : إنه لم يَبق إلا ابني وأبناؤهم فابني أحبّ إليّ من أبنائهم اخرُج عني . ثم جلس معاويةُ في أصحابه وأذن للوفود فدخلوا عليه وقد تقدَّم إلى أصحابه أن يقولوا في يَزيد فكان أوَّلَ من تكلَّم الضحاكُ بن قيس فقال : يا أميرَ المؤمنين إنه لا بُد للناس من وال بعدك والأنفس يُغْدَى عليها ويُراح . وإن الله قال : كُلّ يوم هو في شَان . ولا ندري ما يختلف به العصرْان ويزيدُ ابن أمير المؤمنين في حُسن مَعْدنه وقَصْد سيرته من أفضلنا حلما وأحكمنا علماً فولّه عهدك واجعله لنا عَلماً بعدك . وإنّا قد بَلَونا الجماعةَ والأُلفة فوجدناه أحقن لَلدماء وآمَن للسُّبل وخيراً في العاجلة والآجلة . ثم تكلَّم عمرو بن سَعيد فقال : أيها الناس إن يزيدَ أملٌ تأمُلونه وأجل تأمنونه طويل الباع رَحْب الذراع إذا صِرْتم إلى عَدله وَسِعكم وإن طلبتم رِفْده أغناكم جَذَع قارح سُوبق فسَبق ومُوجِد فمَجَد وقُورع فقَرع خلف من أمير المؤمنين ولا خَلف منه . فقال : اجلس أبا أمية فلقد أوسعت وأحَسنت . ثم قام يزيد بن المُقفّع فقال : أمير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية فإن هلك فهذا وأشار إلى يزيد فمن أبي فهذا وأشار إلى سيفه . فقال معاوية : اجلس فإنك سيّد الخطباء . ثم تكلم الأحنف بن قيس فقال : يا أميرَ المؤمنين أنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعَلانيته ومَدخله ومَخرجه فإن كنت تَعلمه لله رضا ولهذه الأمة فلا تُشاور الناسَ فيه وإن كنت تعلم منه غيرَ ذلك فلا تُزوّده الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة . قال : فتفرّق الناس ولم يذكروا إلا كلامَ الأحنف . قال : ثم بايع الناسُ ليزيد بن معاوية فقال رجل وقد دُعي إلى البيعة : اللهم إني أعوذ بك من شر معاوية . فقال له معاوية : تَعوذ من شر نفسك فإنه أشدّ عليك وبايعْ . قال : إني أبايع

وأنا كاره للبَيعة . قال له معاوية : بايع أيها الرجل فإن الله يقول : «فعَسى أن تَكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً» . ثم كتب إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة : أن ادْعُ أهلَ المدينة إلى بيَعة يزيد فإن أهل الشام والعِراق قد بايعوا . فخطبهم مروان فحضّهم على الطاعة وحَذّرهم الفِتنة ودعاهم إلى بيَعة يزيد وقال : سُنه أبي بكر الهادية المهْديَة . فقال له عبدُ الرحمن بن أبي بكر : كذبْتَ! إن أبا بكر ترك الأهل والعشيرة وبايع لرجل من بني عَدي رضي دينَه وأمانته واختاره لأُمة محمد صلى الله عليه وسلم . فقال مروان : أيها الناس إن هذا المُتكلم هو الذي أنزل الله فيه : «والذي قالَ لوالدَيْه أُفٍّ لكما أتعدَانني أن أُخْرَج وقد خَلَت القُرونُ من قَبلي» . فقال له عبدُ الرحمن : يا بن الزرقاء أفينا تتأوَل القرآن! وتكلّم الحُسين بن علي وعبدُ الله بن الزبير وعبدُ الله بن عمرَ وأنكروا بيعةَ يزيد وتفرّق الناس . فكتب مروان إلى معاوية بذلك . فخرج معاويةُ إلى المدينة في ألف فلما قَرُب منها تلقَاه الناس فلما نظر إلى الحُسين قال : مرحباً بسيّد شباب المسلمين قرّبوا دابّةً لأبي عبد اللهّ . وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر : مرحبَاً بشيخ قريش وسيّدها وابن الصدّيق . وقال لابن عمر : مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق . وقال لابن الزُبير : مرحباً بابن حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ودعا لهم بدواب فَحملَهم عليها . وخرج حتى أتى مكة فقضى حَجَّه ولما أراد الشُّخوص أمر بأثقاله فقدِّمت وأمر بالمنبر فقرب من الكعبة وأرسل إلى الحُسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزُبير فاجتمعوا . وقالوا لابن الزبير : اكفنا كلامه فقال : علَى أن لا تُخالفوني . قالوا : لك ذلك ثم أتوا معاويةَ فرحّب بهم وقال لهم : قد علمتم نَظري لكم وتَعطُّفي عليكم وصلتي أرحامَكم ويزيدُ أخوكم وابنُ عَمكم وإنما أردتُ أن أُقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تأمرون وتَنْهون . فسكتوا وتكلّم ابنُ الزبير فقال : نخيرك بين إحدى ثلاث أيّها أخذت فهي لك رغبة وفيها خِيار : فإن شئت فاصنع فينا ما صنع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَبضه الله ولم يَسْتخلف فدع هذا الأمرَ حتى يختارَ الناسُ لأنفسهم وإن شئت فما صنع أبو بكر عَهد إلى رجل من قاصية قُريش وتَرك من ولده ومن رهطه الأدْنين مَن كان لها أهلاً وإن شئت فما صَنع عمر صيرها إلى ستة نفر من قُريش يختارون رجلاً منهم وترك ولده وأهلَ بيته وفيهم من لو وَليها لكان لها أهلاَ . قال معاوية : هل غيرُ هذا قال : لا . ثم قال للآخرين : ما عندكم قالوا : نحن على ما قال ابنُ الزبير . فقال معاوية : إني أتقدّم إليكم وقد أعذر من أنذر إني قائل مقالة فأُقسم باللهّ لئن رَدّ عليَّ

رجلٌ منكم كلمة في مَقامي هذا لا تَرْجع إليه كَلِمته حتى يُضرب رأسُه فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه ولا يُبقى إلا عليها . وأمر أن يقوم على رأس كُلِّ رجل منهم رجلاًن بسَيفيْهما فإن تكّلَم بكلمة يَرُدّ بها عليه قولَه قتلاه . وخرج وأخرجهم معه حتى رَقي المِنبر وحَفّ به أهل الشام واجتمع الناسُ فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إنا وجدنا أحاديث الناس ذاتَ عَوار قالوا : إن حًسيناً وابن أبي بكر وابن عمرِ وابن الزّبير لم يُبايعوا ليزيد وهؤلاء الرهط سادةُ المسلمين وخيارُهم لا نبرم أمراً دونهم ولا نقضي أمراً إلا عن مشورتهم وإني دعوتُهم فوجدتهم سامعين مُطيعين فبايعوا وسَلّموا وأطاعوا . فقال أهلُ الشام : وما يَعْظُم من أمر هؤلاء ائذن لنا فنضربَ أعناقهم لا نرضى حتى يُبايعوا علانيةً! فقال معاوية : سبحان الله! ما أسرعَ الناسَ إلى قُريش بالشرّ وأحلى دماءَهم عندهم! أنصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد . ودعا الناسَ إلى البيعة فبايعوا . ثم قربت رواحله فركب ومضى . فقال الناس للحُسين وأصحابه : قلتم : لا نُبايع فلما دُعيتم وأُرضيتم بايعتم! قالوا لم نَفعل . قالوا : بلى قد فعلتم وبايعتم أفلا أنكرتم! قالوا : خِفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم .

قال رجلٌ لأبي الأسود الدؤلي : أشهد معاوية بدراً؟
فقال : نعم ، من ذاك الجانب .

لّما قدم معاوية حاجاً تلقّته قريشٌ بوادي القرى ، وتلقّته الأنصار بأجزاع المدينة ، فقال لهم : ما منعكم أن تلقوني حيث تلقتني قريشٌ؟
قالوا : لم يكن دوابٌ
قال : فأين النواضحُ؟
قالوا : أنضيناها يوم بدرٍ في طلب أبي سفيان .

مروان بن الحكم وحويطب

كان حويطب بن عبد العزى[١] قد بلغ مئة وعشرين سنة ، ستين في الجاهلية ،

(١) حويطب بن عبد العزى القرشي العامري ، المعمر . من الصحابة الذين أسلموا يوم الفتح .

وستين في الاسلام ، فلما ولي مروان بن الحكم[١] المدينة دخل عليها حويطب ، فقال له مروان :

تأخر اسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث .

فقال : والله لقد هممت بالإسلام غير مرّة ، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك ، وينهاني ، ويقول : «تدع دين آبائك لدين محمد؟» .

فأسكت مروان وندم على ما كان .

عبد الملك بن مروان

قيل لعبد الملك بن مروان[٢] : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين! قال : «وكيف لا يعجل عليّ وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين» . يعني خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الأمور

كان عبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه يعطش ، وقيل له :

إن شربت الماء مت . فأقبل ذات يوم بعض العوّد ، فقال : كيف حال أمير المؤمنين؟ فقال : أنا صالح والحمد لله . ثم أنشأ يقول :

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والدموع سواجم

ويلكم اسقوني ماء وإن كان فيه تلف نفسي . فشرب ثم مات .

قال عبد الملك على المنبر : «ألا تنصفوننا يا معشر الرعية؟ تريدون منا سيرة أبي بكرة وعمر ولم تسيروا في أنفسكم ولا فينا بسيرة رعية أبي بكر وعمر ، أسأل الله أن يعين كلا على حال» .

---

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي رابع خلفاء الدولة الأموية في دمشق .,ومؤسس الدولة الأموية الثانية .

(٢) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

سأل عبد الملك بن مروان أعرابيا فقال : ما بالك مراثيكم هي أشهر أشعاركم؟
قال : لأنّنا نكتبها وقلوبنا تحترق !

علم عبد الملك بن مروان وحُسن خلقه

قال مالك بن عمارة اللخمي : كنت أجالس في ظل الكعبة أيام الموسم عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير(١) ، وكنا نخوض في الفقه مرةً ، وفي الذكر مرةً ؛ وفي أشعار العرب وأمثال الناس مرةً ؛ فكنت لا أجد عند أحد منهم ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنونٍ العلم والفصاحة والبلاغة ، وحسن استماعه إذا حُدِّث ، وحلاوة لفظه إذا حَدَّث ، فخلوت معه ذات ليلة فقلت : والله إني لمسرورٌ بك لما أشاهده من كثرة تصرفك وحسن حديثك ، وإقبالك على جليسك

فقال : إنك إن تعش قليلاً فسترى العيون طامحة إلي والأعناق قاصدةً نحوي ، فلا عليك أن تعمل إلي ركابك .

فلما أفضت إليه الخلافة شخصت أريده ، فوافيته يوم جمعة وهو يخطب الناس ، فتصديت له ، فلما وقعت عينه علي بسر في وجهي ، وأعرض عني ،

فقلت : لم يثبتني معرفةً ولو عرفني ما أظهر نكرة .

لكنني لم أبرح مكاني حتى قضيت الصلاة ودخل ، فلم ألبث أن خرج الحاجب إلي فقال : مالك بن عمارة ، فقمت ، فأخذ بيدي وأدخلني عليه ، فلما رآني مد يده إلي ، وقال : إنك تراءيت لي في موضع لم يجز فيه إلا ما رأيت من الإعراض والانقباض ؛ فمرحباً وأهلاً وسهلاً ، كيف كنت بعدنا؟ وكيف كان مسيرك؟

قلت : بخير ، وعلى ما يحبه أمير المؤمنين .

قال : أتذكر ما كنت قلت لك؟

قلت : نعم ، وهو الذي أعملني إليك ؛

فقال : والله ما هو بميراث ادعيناه ، ولا أثر وعيناه ، ولكني أخبرك عن نفسي خصالاً سمت بها نفسي إلى الموضع الذي ترى ، ما لا حيت ذا ودٍ ولا ذا

(١) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، تابعي جليل ، يُكنى بأبي عبد الله ، عالم أهل المدينة وأحد فقهائها السبعة ، كان ثقة فقيهاً علماً ثبتاً حجة كثير الحديث عالماً بالسير

قرابة قط ، ولا شمت بمصيبة عدو قط ، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي ، ولا قصدت كبيرةً من محارم الله متلذّذاً بها وواثباً عليها ، وكنت من قريش في بيتها ، ومن بيتها في وسطه ، فكنت آمل أن يرفع الله مني ، وقد فعل ؛ يا غلام ، بَوِّئْه منزلاً في الدار .

فأخذ الغلام بيدي وقال : انطلق إلى رحلك ؛ فكنت في أخفض حال ، وأنعم بال ؛ وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه ، فإذا حضر عشاءه أو غداءه أتاني الغلام وقال :

إن شئت صرت إلى أمير المؤمنين فإنه جالس ، فأمشي بلا حذاء ولا رداء فيرفع مجلسي ، ويقبل على محادثتي ، ويسألني عن العراق مرة ، وعن الحجاز مرة ،

حتى مضت لي عشرون ليلة . فتغديت عنده يوماً ، فلما تفرق الناس نهضت للقيام ،

فقال : على رسلك أيها الرجل ، أي الأمرين أحب إليك :

المقام عندنا ، ولك النصفة في المعاشرة والمجالسة مع المواساة ، أم الشخوص ولك الحباء والكرامة؟

فقلت : فارقت أهلي وولدي على أن أزور أمير المؤمنين ، فإن أمرني اخترت فناءه على الأهل والولد ،

قال : بل أرى لك الرجوع إليهم ، فإنهم متطلعون إلى رؤيتك ، فتجدد بهم عهداً ويجددون بك مثله ،والخيار في زيارتنا والمقام فيهم إليك ، وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار ، وكسوناك وحملناك ، أتراني ملأت يدك أبا نصر؟

قلت : يا أمير المؤمنين ، أراك ذاكراً لما رويت عن نفسك .

قال : أجل ، ولا خير فيمن ينسى إذا وعد ؛ ودع إذا شئت صحبتك السلامة

مع ثابت بن عبد الله بن الزبير

وقال عبد الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزّبير[1] : أبوك كان أعلم بك حين شتمك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتدري لم كان يشتمني؟ إني نهيته أن يقاتل بأهل مكة وأهل المدينة ، فإنّ الله لا ينصره بهما ، وقلت له ، أمّا أهل مكّة فأخرجوا

(١) ثابت بن عبد الله بن الزبير أحد رواة الحديث النبوي

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأخافوه ، ثم جاؤوا إلى المدينة فأخرجهم منها وشرّدهم .- فعرّض بالحكم بن أبي العاص- وهو جدّ عبد الملك- وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نفاه .- وأمّا أهل المدينة فخذلوا عثمان حتّى قتل بينهم ، لم يروا أن يدفعوا عنه . فقال له عبد الملك : لحاك الله .

عبد الملك ويحيى بن الحكم وبنت لعبد الرحمن بن هشام:

خطب عبد الملك بن مروان بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقالت : والله لا تزوجني أبو الذباب! فتزوجها يحيى بن الحكم ؛ فقال عبد الله ليحيى : أما والله لقد تزوجت أسود أفوه! قال يحيى : أما إنها أحبّت مني ما كرهت منك! وكان عبد الملك رديء الفم ، يدمي فيقع عليه الذباب ، فسمي أبا الذباب .

العطاء بقدر المعطي لا السائل

دخلت عجوز على عبد الملك بن مروان وشكت له سوء الحال فقال لها عبد الملك كم تحتاجين يا أخت العرب

فقالت يكفيني مائة دينار فامر لها عبد الملك بألف دينار فلما انصرفت قيل لعبد الملك أنها لم تطلب سوى مائة

فقال إنما سألت على قدرها فأعطيناها على قدرنا .

عبد الملك وعطاء

دخل عطاء المضحك على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أما وجدت لك أمك اسما إلا عطاء؟

قال : لقد استكثرت من ذلك ما استكثرته يا أمير المؤمنين ، ألا سمتني باسم المباركة ، صلوات الله عليها ، مريم .

عبد الملك ورجل من قيس

دخل رجل من قيس[1] على عبد الملك بن مروان ؛ فقال : زبيري . والله لا

(١) إحدى قبائل العرب

يحبك قلبي أبدا . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يجزع من الحب النساء ، ولكن عدل وإنصاف .

عبد الملك وابن ظبيان:

دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك :

ما هذا الذي يقول الناس؟ قال : وما يقولون؟ قال : يقولون إنك لا تشبه أباك قال : والله لأنا أشبه به من الماء بالماء ، والغراب بالغراب ؛ ولكن أدلك على من لم يشبه أباه . قال : من هو؟ قال : من لم تنضجه الأرحام ، ولم يولد لتمام ، ولم يشبه الأخوال والأعمام . قال : ومن هو؟ قال : ابن عمي سويد بن منجوف . وإنما أراد عبد الملك ابن مروان ، وذلك لأنه ولد لستة أشهر .

عبد الملك بن مروان وأسماء بن خارجة

قال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجة بن حصن[1] ، وبلغه أنه أتى في ديات فعجز عنها وضمن منها أشياء يسيرة :

يا أسماء بلغني عنك أشياء حِسان ،أحببت أن أسمعها منك .

قال : يا أمير المؤمنين هي من غَيري أحسن ،

قال : لَتَفْعلنّ ،

قال : يا أمير المؤمنين ما قدّمْت ركبتي أمام جليسي

مخافة أن يرى ذلك مني استخفافاً بمجالسته ،

ولا صنعت طعاماً قط فدعوت إليه إنساناً فأجابني

إلا كنت له شاكراً حتى ينصرف

ورأيت له الفضل إذ رآني للإجابة أهلاً ،

ولا بذل لي رجل وجهه في حاجة

---

(١) أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وكنيته أبو حسان الكوفي ، وكان من أشراف العرب وسادتهم ، عرف عنه الجود والسخاء وله قصص كثيرة بالكرم ، وكانت بنته هند زوجاً للحجاج بن يوسف ، وابنه مالك بن أسماء من ولاة الحجاج وعماله

فرأيت أن شيئاً من الدنيا عوض لبذل وجهه .
فقال :
ما أحق من كانت هذه الخصال فيه أن يكون شريفاً !!
وقد بلغني أنك أتيت في دِيّات ولم تكن بالضعيف عنها
فاحتملت منها القليل ،
فقال : يا أمير المؤمنين قد قلت في ذلك ما عذرت به
إلا أن يهجني مهجن ،
قال : وما قلت ؟
قال : قلت : من الطويل
يرى المرء أحياناً إذا قل ماله إلى المجد سورات فلا يستطيعها
وليس به بخل ولكن ماله يقصر عنها والبخيل يضيعها
فقال عبد الملك : هذا النقد الحاضر بالميزان العدل ،
حركناك فظهر الأحسن .

الأيمان أم أسماء الخيل

قاد عياش بن الزبرقان بن بدر ، إلى عبد الملك بن مروان خمسة وعشرين فرسا ، فلما جلس لينظر إليها نسب كل فرس منها إلى جميع آبائه وأمهاته ، وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر ، فقال عبد الملك بن مروان : عجبي من اختلاف إيمانه أشد من عجبي من معرفته بأنساب الخيل .

عبد الملك بن مروان يعيب قولاً على نصيب

وأمّا قول نصيب :

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت فيا ليت شعري من يهيم بها بعدي

فإنّي لم أجد له تأويلاً . وعاب ذلك عليه عبد الملك بن مروان ، وقال لجلسائه : أو لو كنتم قائلين هذا البيت ما كنتم تقولون؟ قالوا : لا ندري ، فكيف كان أمير المؤمنين قائلاً : قال : كان يقول :

أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلّةٍ بعدي

رسول عبد الملك إلى الروم

وجّه عبد الملك بن مروان عامرا الشعيبي الى ملك الروم في بعض الأمر له ، فاستكثر الشعبي فقال له :

من أهل بيت الملك أنت؟

قال : لا .

فلما أراد الرجوع الى عبد الملك حمّله رقعة لطيفة وقال : اذا رجعت الى صاحبك ، فأبلغته جميع ما يحتاج الى معرفته من ناحيتنا ، فادفع اليه هذه الرقعة .

فلما صار الشعبي الى عبد الملك ذكر ما احتاج الى ذكره ونهض من عنده ، فلما ذكر الرقعة ، فرجع فقال : يا أمير المؤمنين ، انه حمّلني اليك رقعة نسيتها حتى خرجت ، وكانت آخر ما حمّلني فدفعها اليه ونهض .

فقرأها عبد الملك فأمر بردّه ، فقال : أعلمت ما في هذه الرقعة؟

قال : لا .

قال : فانه قال فيها : «عجبت من العرب كيف ملّكت غير هذا!» . أفتدري لم كتب الي بمثل هذا؟

فقال : لا .

فقال : حسدني عليك ، فأراد أن يغريني بقتلك .

فقال الشعبي : لو كان رآك يا أمير المؤمنين ما استكثرني .

فبلغ ذلك ملك الروم ، ففكّر في عبد الملك ، فقال : لله أبوه ، والله ما أردت الا ذلك .

حجة مشؤوم

وعن الأصمعي عن أبيه قال : أتي عبد الملك بن مروان برجل كان مع بعض من خرج عليه ، فقال : اضربوا عنقه .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ما كان هذا جزائي منك .

قال : وما جزاؤك؟

قال : والله ما خرجت مع فلان الا بالنظر لك ، وذلك أني رجل مشؤوم ، ما كنت مع رجل قط الا غلب وهزم ، وقد بان لك صحة ما ادّعيت ، وكنت لك خيرا من مئة ألف معك .

فضحك وخلّى سبيله .

في مجلس عبد الملك

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : خبِّروني عن حي من أحياء العرب ، فيهم أشدُّ الناس ، وأسخى الناس ، وأخطب الناس ، وأطوع الناس في قومه ، وأحلم الناس وأحضرهم جواباً . . قالوا : يا أمير المؤمنين ، ما نعرف هذه القبيلة ولكن ينبغي لها أن تكون في قريش . . قال : لا ! قالوا : ففي حِمير وملوكها ! قال : لا ! قالوا : ففي مُضر! قال : لا! قال مصقلة بن رقية العبدي : فهي إذا في ربيعة ونحن هم . . قال : نعم قال جلساؤه : ما نعرف هذا في عبد القيس إلا أن تخبرنا به يا أمير المؤمنين قال : نعم ! أمَّا أشدُّ الناس : فحكيم بن جبلة ، كان معي علي بن أبي طالب فقُطعت ساقه ، فضمها إليه ، حتى مرَّ به الذي قطعها فرماه بها فألقاه عن دابته ، ثم جثى إليه فقتله واتكأ عليه . . فمرَّ به الناس ، فقالوا له : يا حكيم ! من قطع ساقك ! قال : وسادي هذا وأنشأ يقول :

يا ساق لا تُراعي
إن معي ذراعي
أحمي بها كراعي

وأمَّا أسخى الناس : فعبد الله بن سوَّار استعمله معاوية على السِّند ، فسار إليه في أربعة آلاف من الجُند ، وكانت تُوقَدُ معه نار حيثما سار فيطعم الناس ، وبينما هو ذات يوم ، إذ أصر ناراً فقال : ماهذه ، قالوا : أصلح الله الأمير ، اعتلَّ بعض أصحابنا فاشتهى خبيصا فعملنا له ، فأمر خبَّازه أن لا يُطعم الناس إلا الخبيص ، حتى صاحوا وقالوا : أصلح الله الأمير ، رُدَّنا إلى الخبز واللحم ، فسُمِّي مُطْعِم الخبيص !

وأما أطوع الناس في قومه : فالجارود بن بِشر بن العلاء أنه لَمَّا قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدَّت العرب ، خطب قومه فقال : أيها الناس إن كان محمد قد مات ، فإن الله حيٌ لا يموت ، فاستمسكوا بدينكم ، فمن ذهب له في هذه الرِّدة دينار أو درهم ، أو بعير أو شاة ، فله عليَّ مِثلاه ! فما خالفه منهم رجل .

وأما أحضر الناس جوابا : فصعصعة بن صوحان دخل على معاوية في وفد أهل العراق ، فقال معاوية ، مرحباً بكم يا أهل العراق قدمتم أرض الله المقدسة منها المنشر وإليها المحشر ، قدمتم على خير أمير ، يبرُّ كبيركم ، ويرحم صغيركم ، ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء . . فأشار الناس إلى صعصعة ، فقام ، فحمد الله وصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثمَّ قال : أمَّا قولك يامعاوية إنَّا

قدمنا الأرض المُقدَّسة فلعمري ما الأرض تُقدِّس الناس ، ولا يُقدِّس الناس إلا أعمالهم ، وأمَّا قولك : منها المنشر وإليها المحشر ، فلعمري ما ينفع قربها ، ولا يضر بعدها مؤمناً ، وأمَّا قولك لو أنَّ الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء ، فقد ولدهم خيرٌ من أبي سفيان آدم صلوات الله عليه ، فمنهم الحليم والسَّفيه والجاهل والعالِم .

وأمَّا أحلم الناس : فالأشجُّ العبدي فإن وفد عبد القيس ، قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بصدقاتهم ، وفيهم الأشجُّ ، ففرقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أول عطاء فرقه في أصحابه ، ثم قال : يا أشجُّ ادنُ مني فدنا منه . . فقال : إن فيك خلَّتين يحبهما الله : الأناة والحِلم ! وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدا . . ويقال إن الأشجَّ لم يغضب قط .

الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز والحجاج

دخل عمر بن عبد العزيز قبل ان يستخلف على الوليد بن عبد الملك[1] فقال يا أمير المؤمنين إن عندي نصيحة فاذا خلا لك عقلك واجتمع فهمك فسلني عنها . قال : ما يمنعك منها الآن؟ قال : أنت أعلم ، إذا اجتمع لك ما أقول فإنك أحق أن تفهم . فمكث أياماً ، ثم قال : يا غلام من بالباب؟ فقيل له : ناس وفيهم عمر بن عبد العزيز . فقال : أدخله . فدخل عليه ، فقال : نصيحتك يا أبا حفص . فقال عمر : إنه ليس بعد الشِّرك إثم أعظم عند الله من الدم ، وإن عمالك يقتلون ، ويكتبون إن ذنب فلان المقتول كذا وكذا ، وأنت المسئول عنه والمأخوذ به ، فاكتب إليهم ألا يَقتُل أحد منهم أحدًا حتى يكتب بذنبه ، ثم يشهد عليه ، ثم تأمر بأمرك على أمر قد وضح لك . فقال : بارك الله فيك يا أبا حفص ، ومنع فقدَك . عليَّ بكتاب ، فكتب إلى أمراء الأمصار كلهم ومن بينهم الحجَّاج ، فشق ذلك على الحجاج ، وظن أن الوليد لم يكتب إلى أحد غيره ، ثم سأل عن ذلك فأخبر أن عمر بن عبد العزيز هو الذي أشار على الوليد بذلك . فقال : هيهات إن كان عمر فلا نقض لأمره .

(١) الوليد الأول بن عبد الملك الأول الأموي القرشي ، أبو العباس ولد بالمدينة المنورة سنة ٦٦٨ م/٥٠هـ- /٩٦٧١٥هـ وحكم من ٧٠٥ م حتى ٧١٥ م . كان ولي عهد أبيه الخليفة عبد الملك بن مروان وولي عهده أخوه شقيقه سليمان بن عبد الملك .

ثم إن الحجاج أرسل إلى أعرابي حروري -من الخوارج- جاف من بكر بن وائل ، ثم قال له الحجاج : ما تقول في معاوية؟ فنال منه ، قال : ما تقولً في يزيد؟ فسبه ، قال : فما تقول في عبد الملك؟ فظَلَّمه . قال : فما تقول في الوليد؟ فقال : أَجْوَرُهم حين ولاّك ، وهو يعلم عداءك وظلمك . فسكت الحجاج وافترصها -انتهزها- منه ، ثم بعث به إلى الوليد وكتب إليه : أنا أحوط لديني ، وأرعى لما استرعيتني ، وأحفظ له من أن أقتل أحدًا لم يستوجب ذلك ، وقد بعثت إليك ببعض من كنت أقتل على هذا الرأي ، فشأنك وإياه . فدخل الحروري على الوليد ، عنده أشراف أهل الشام وعمر فيهم ، فقال له الوليد : ما تقول فيَّ؟ قال : ظالم جبار . قال : ما تقول في عبد الملك؟ قال : جبار عاتٍ . قال : فما تقول في معاوية؟ قال : ظالم . فقال الوليد لابن الريان : اضرب عنقه . فقاَل : يا غلام ، اردد عليَّ عمر . فرده عليه ، فقال : يا أبا حفص ، ما تقول في هذا : أصبنا أم أخطأنا؟

فقال عمر : ما أصبت بقتله ، ولغير ذلك كان أرشد وأصوب ، كنت تسجنه حتى يراجع الله أو تدركه مَنِيَّتُه . فقال الوليد : شتمني وشتم عبد الملك وهو حروري ؛ أفتستحل ذلك؟ فقال : لعمري ما أستحله ، لو كنت سجنته إن بدا لك أو تعفو عنه . فقام الوليد مغضبًا ، فقال ابن الريان لعمر : يغفر الله لك يا أبا حفص ، لقد رادَدتَ أمير المؤمنين حتى ظننت أنه سيأمرني بضرب عنقك . وهكذا احتال الحجاج على الوليد ليصرفه عن الأخذ برأي عمر بن عبد العزيز في الحدِّ من سرف الحجاج وأمثاله في القتل

الوليد بن عبد الملك والطاعون

قال إسحاق بن أيوب : هرب الوليد بن عبد الملك من الطاعون

فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، إن الله يقول : قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلًا

قال : ذلك القليل نريد .

يخطب بنت الوليد

دخل على الوليد فتى من بني مخزوم ، فقال له : زوجني ابنتك .

فقال له : هل قرأت القرآن؟

قال : لا .

قال أدنوه مني .

فأدنوه فضرب عمامته بقضيب كان في يده ، وقرع رأسه به قرعات ، ثم قال لرجل : ضمّه إليك فإذا قرأ القرآن زوجناه .

سليمان بن عبد الملك(١) بن مروان

فما يذكر من محاسنه : أن رجلاً دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين أنشدك الله والأذان ، فقال سليمان : أما أنشدك الله فقد عرفناه ، فما الأذان؟ قال : قوله تعالى : ﴿فأذن مؤذن بينهم : أن لعنة الله على الظالمين﴾ .

فقال سليمان : ما ظلامتك؟ قال : ضيعتي الفلانية غلبني عليها عاملك فلان .

فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الأرض وقال : والله لا رفعت خدي من الأرض حتى يكتب له برد ضيعته . فكتب الكتاب وهو واضع خده على الأرض ولما سمع كلام ربه الذي خلقه وخوله في نعمه خشي من لعن الله وطرده ، رحمه الله .

سليمان بن عبد الملك والجارية

لبس سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة في ولايته لباسا شهر به ، وتعطّر ودعا بتخت فيه عمائم وبيده مرآة ، فلم يزل يعتمّ بواحدة بعد واحدة ، حتّى رضى منها واحدة فأرخى من سدولها وأخذ بيده مخصرة وعلا المنبر ناظرا في عطفيه ، وخطب خطبته التي أرادها فأعجبته نفسه ، فقال : أنا الملك الشابّ ، السيّد المهاب ، الكريم الوهّاب فتمثّلت أي : صارت ممثّلة له جارية من بعض جواريه كان يتخطّاها فقال لها كيف ترينني ؟ قالت أراك منى النّفس لو لا ما قال الشاعر :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير الاّ بقاء للإنسان

ليس فيما بدا لنا منك عيب ... يا سليمان غير أنّك فان

---

(١) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، الخليفة الأموي السابع ، وهو يعد من خلفاء بني أمية الأقوياء ,ولد ب دمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٩٦هـ . ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور .

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا ، فلّما فرغ دعا بالجارية ، فقال : ما دعاك إلى ما قلت لي ؟ قالت : واللّه ما رأيتك اليوم ولا دخلت عليك ، فأكبر ذلك ودعا بقيّمة جواريه فصدّقتها في قولها ، فراع ذلك سليمان ولم ينتفع بنفسه ، ولم يمكث بعد ذلك إلاّ مدّة حتّى توفّى

سليمان ويزيد ابن أبي مسلم

دخل يزيد بن أبي مسلم [١] على سليمان بن عبد الملك ، فقال : على أمرئ أوطأك رسنه وسلّطك على الأمة لعنة الله . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتني والأمر مدبر عني ولو رأيتني والأمر مقبل عليّ لعظم في عينك ما استصغرت مني . قال : أتظن الحجاج استقر في قعر جهنم أم هو يهوي فيها؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أبيك ، وأخيك فضعه من النار حيث شئت .

من يشتم الحجاج ؟

قال الهيثم بن عدي : قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك ، بعد ما استخلف ، فأمرهم بشتم الحجاج ، فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم إن عدو الله الحجاج ، كان عبدا زبابا ، قنّورا ابن قنّور ، لا نسب له في العرب . فقال سليمان : أي شتم هذا؟ إن عدو الله الحجاج كتب إليّ :

«إنما أنت نقطة من مداد ، فإن رأيت فيّ ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما ، وإلا فأنا الحجاج وأنت النقطة ، فإن شئت محوتك ، وإن شئت أثبتك» . . فالعنوه لعنة الله! فأقبل الناس يلعنون ، فقام ابن أبي بردة بن أبي موسى فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرك عن عدو الله بعلم . قال : هات .

قال : كان عدو الله يتزيّن تزيّن المومسة ، ويصعد على المنبر فيتكلم بكلام الأخيار ، وإذا نزل عمل الفراعنة وأكذب في حديثه من الدجال .

فقال سليمان لرجاء بن حيوة : هذا وأبيك الشتم لا ما تأتي به هذه السّفلة .

---

(١) يزيد بن أبي مسلم أمير المغرب أبو العلاء بن دينار الثقفي مولى الحجاج وكاتبه ومشيره

غيرة سليمان بن عبد الملك

كان سليمان بن عبد الملك من أشدّ النّاس غيرةً . فحكي أبو زيد الأسدي قال : دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو على دكانٍ مبلّطٍ بالرّخام الأحمر ، مفروشٌ بالدّيباج الأصفر في وسط بستانٍ قد أينعت ثماره ، ورنت أطياره ، وأزهر نبت الرّبيع ؛ وعلى رأسه وصائف كلّ واحدة أحسن من صاحبتها ، فقلت : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكان سليمان مطرقاً فرفع رأسه فقال : أبا زيد ، في مثل هذا اليوم يصلب أحدٌ حيّاً . فقلت : يا سيّدي ، يا أمير المؤمنين ، أو قد قامت القيامة؟ قال : نعم على رأس أهل الهوى سرّاً .

أعرابي على مائدة سليمان بن عبد الملك

حضر أعرابي مائدة سليمان بن عبد الملك فجعل يمدّ يديه فقال له الحاجب : كُلْ مما يليك ، فقال : من أخصب تخيّر ، فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه .

سليمان وابن المهلب

وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب(١) : فيمن العزّ بالبصرة؟
قال : فينا وفي حلفائنا من ربيعة .
قال سليمان : الذي تحالفتما عليه أعزّ منكما .

الصدق أم بلاغة الوصف

دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك ، فقال : أصابتك سماء في وجهك يا أعرابي؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سحاء طخياء وطفاء ؛ كأن هواديها الدّلاء ، مرجحنّة النواحي ، موصولة بالآكام ، تكاد تمس هام الرجال ؛ كثير زجلها ، قاصف رعدها ، خاطف برقها ، حثيث ودقها ، بطيء سيرها ؛ مثعنجر قطرها ، مظلم نوؤها ؛ قد لجأت الوحش إلى أوطانها ، تبحث عن أصوله بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ؛ فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بعضاة الشجر ، وتعلقنا بقنن الجبال ، لكنا

---

(١) يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة ، الأمير ، أبو خالد الأزدي . ولي المشرق بعد أبيه ، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك ، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطاة ، وطلبه عمر وسجنه .

جفاء في بعض الأودية ولقم الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونسألها في أجلك ، فهذا ببركتك وعادة الله بك على رعيتك ، وصلى الله على سيدنا محمد . فقال سليمان : لعمر أبيك ، لئن كانت بديهة لقد أحسنت وإن كانت محبرة لقد أجدت .

قال : بل محبرة مزوّرة يا أمير المؤمنين . قال : يا غلام أعطه ؛ فو الله لصدقه أعجب إلينا من صفته .

جابر عثرات الكرام

قيل : كان في أيام سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد ، كان له مروءة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبر بالإخوان ، فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يتفضل عليهم وكان يواسيهم ، فواسوه ثم ملوه ، فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه ، فقال لها : يا ابنة عمي ، قد رأيت من إخواني تغيراً ، وقد عزمت على أن ألزم بيتي إلى أن يأتيني الموت ، فأغلق بابه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائراً وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعي متولي الجزيرة ، وإنما سمي بذلك لأجل كرمه ، فبينما هو في مجلسه إذ ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة الفياض : ما حاله؟ فقالوا : قد صار إلى أمر لا يوصف وإنه أغلق بابه ولزم بيته .

قال : أفما وجد خزيمة بن بشر مواسياً ولا مكافئاً؟ فقالوا : لا .

فأمسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم أمر بإسراج دابته وخرج سراً من أهله . فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال . ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام ، ثم أبعده عنه وتقدم إلى الباب فدفعه بنفسه فخرج إليه خزيمة فناوله الكيس ، وقال : أصلح بهذا شأنك ، فتناوله فرآه ثقيلاً فوضعه عن يده ثم أمسك بلجام الدابة ، وقال له : من أنت؟ جعلت فداك .

فقال له عكرمة : يا هذا ما جئتك في هذا الوقت والساعة أريد أن تعفني؟ قال : فما أقبله إلا أن عرفتني من أنت؟ فقال : أنا جابر عثرات الكرام .

قال : زدني .

قال : لا . ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس إلى ابنة عمه ، فقال لها : أبشري فقد أتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوساً فهي كثيرة . قومي فاسرجي .

قالت : لا سبيل إلى السراج .

فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق ، وأما عكرمة فإنه رجع إلى منزله فوجد امرأته قد فقدته وسألت عنه فأخبرت بركوبه فأنكرت ذلك وارتابت . وقالت له : والي الجزيرة يخرج بعد هدو من الليل منفرداً من غلمانه في سر من أهله إلا إلى زوجة أو سرية .

قالت : فخبرني فيما خرجت؟ قال : يا هذه ما خرجت في هذا الوقت وأنا أريد أن يعلم بي أحد .

قالت : لا بد أن تخبرني؟ قال : تكتمينه إذاً .

قالت : فإني أفعل .

فأخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله ورده عليه . ثم قال أتحبين أن أحلف لك أيضاً؟ قالت : لا فإن قلبي قد سكن وركن إلى ما ذكرت .

وأما خزيمة فلما أصبح صالح الغرماء وأصلح ما كان من حاله ثم إنه تجهز يريد سليمان بن عبد الملك ، وكان نازلاً يومئذ بفلسطين ، فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فأخبره بمكانه ، وكان مشهوراً بمروءته وكرمه . وكان سليمان عارفاً به فأذن له ، فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك : يا خزيمة ، ما أبطأك عنا؟ قال : سوء الحال .

قال : فما منعك من النهضة إلينا؟ قال : ضعفي يا أمير المؤمنين .

قال : فبم نهضت إلينا الآن؟

قال : لم أعلم يا أمير المؤمنين إلا أني بعد هدو من الليل لم أشعر إلا ورجل يطرق الباب وكان من أمره كيت وكيت ، وأخبره بقصته من أولها إلى آخره .

فقال سليمان : هل تعرف هذا الرجل؟ فقال : خزيمة : ما عرفته يا أمير المؤمنين لأنه كان متنكراً وما سمعت من لفظه إلا إني جابر عثرات الكرام .

قال : فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال : لو عرفناه لكافأناه على مروءته ، ثم قال : علي بقناة .

فأتى بها فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملاً عوضاً عن عكرمة الفياض . فخرج خزيمة طالباً الجزيرة ، فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه ، فسلما على بعضهما ثم سارا جميعاً إلى أن دخلا البلد . فنزل خزيمة في دار الإمارة وأمر أن يؤخذ لعكرمة كفيل وأن يحاسب ، فحوسب فوجد عليه فضول أموالٍ كثيرة فطالبه بأدائها قال : ما لي إلى شيء من ذلك سبيل .

قال : لا بد منها .

قال : لست عندي فاصنع ما أنت صانع .

فأمر به إلى الحبس ثم أنفذ إليه من يطالبه فأرسل يقول : إني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت .

فأمر أن يكبل بالحديد فأقام شهراً كذلك أو أكثر فأضناه ذلك وأضر به ، وبلغ ابنة عمه خبره فجذعت واغتمت لذلك ثم دعت مولاة لها ، وكانت ذات عقل ومعرفة ، وقالت لها : امض الساعة إلى باب هذا الأمير خزيمة بن بشر وقولي : عندي نصيحة ، فإذا طلبت منك فقولي : لا أقولها إلا للأمير خزيمة بن بشر ، فإذا دخلت عليه فسليه أن يخليك ، فإذا فعل ذلك فقولي : ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك . كافأته بالحبس والضيق والحديد .

ففعلت الجارية ذلك . فلما سمع خزيمة كلامها نادى برفيع صوته وا سوأتاه ، وإنه لهو؟ قالت : نعم ، فأمر لوقته بدابته فأسرجت وبعث إلى وجوه أهل البلد فجمعهم إليه وأتى بهم إلى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فرآه قاعداً في قاعة الحبس متغيراً أضناه الضر والألم وثقل القيود فلما نظر إليه عكرمة والى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فأقبل خزيمة حتى أكب على رأسه فقبله فرفع عكرمة إليه رأسه وقال : ما أعقب هذا منك؟ قال : كريم فعالك وسوء مكافأتي .

قال : يغفر الله لنا ولك .

ثم أتي بالحداد ففك القيود عنه وأمر خزيمة أن توضع القيود في رجل نفسه .

فقال عكرمة : ماذا تريد .؟ فقال : أريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك .

فقال : أقسم عليك بالله لا تفعل .

فخرجا جميعاً حتى وصلا إلى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد الانصراف عنه . فقال : ما أنت ببارح .

قال : وما تريد؟ قال : أغير حالك وإن حيائي من بنت عمك أشد من حيائي منك .

ثم أمر بالحمام فأهلي ودخلاه معاً فقام خزيمة وتولى أمره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالاً كثيراً ثم سار معه إلى داره واستأذنه في الاعتذار إلى ابنة عمه ، فاعتذر إليها وتذمم من ذلك .

قال : ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلى سليمان بن عبد الملك ، وهو يومئذ

مقيم بالرملة ، فأنعم له بذلك وسارا جميعاً حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال : والي الجزيرة يقدم بغير أمرنا؟ ما هذا إلا لحادث عظيم! فلما دخل قال له قبل أن يسلم : ما وراءك يا خزيمة؟ قال : الخير يا أمير المؤمنين .

قال : فما الذي أقدمك؟ قال : ظفرت بجابر عثرات الكرام ، فأحببت أن أسرك به لما رأيت من تلهفك وتشوقك إلى رؤيته .

قال : ومن هو؟ قال : عكرمة الفياض؟ قال : فأذن له بالدخول .

فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال : يا عكرمة ما كان خيرك له إلا وبالاً عليك . ثم قال سليمان : اكتب حوائجك كلها وما تحتاج إليه في رقعة . ففعل ذلك ، فأمر بقضائها منه ساعته ، وأمر له بعشرة آلاف دينار وسفطين ثياباً ، ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له : أمر خزيمة إليك إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته .

قال بل اردده إلى عمله يا أمير المؤمنين ، ثم انصرفا من عنده جميعاً ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته .

سبحان من قتل الأمير وفك الأسير

وجَّهَ سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد إلى العراق ليطلقَ أهل السجون ويقسمَ الأموال ، فضيَّقَ محمد بن يزيد على يزيد ين أبي مسلم ، فلما وُلي يزيد ابن عبد الملك الخلافة وُلّي يزيد بن أبي مسلم أفريقية وكان محمد ين يزيد والياً عليها فاستخفى محمد بن يزيد ، فطلبهُ يزيد بن أبي مسلم وشدَّدَ في طلبهِ فأُتيَ به إليه في شهرِ رمضان عند المغرب ، وكان في يدِ يزيد ين أبي مسلم عنقودَ . . . عنب فقال لمحمدَ بن يزيد حين رآه يا محمد ين يزيدَ طالما سألتُ الله أن يمكنَني منك ، فقال وأنا والله طالما سألتُ الله أن يجيرَني منك ، فقال والله ما أجارَكَ ولا أعادَك ، وإنْ سبقني ملكُ الموت إلى قبضِ روحك سبقتُهُ ، والله لا آكلَ حبَّةَ العنب حتى أقتلَك ، ثم أمر به فكُتّف ووُضعَ في النَّطع وقام السيافُ ، فأقيمت الصلاة فوضعَ العنقود من يده وتقدّمَ ليصلي ، وكانَ أهلُ أفريقية قد أجمعوا على قتله فلمَّا رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله ، وقيل لمحمد بن يزيد اذهبْ حيثُ شئت فسبحان من قتل الأمير وفك الأسير .

عمر بن عبد العزيز

قال خالد بن عبد الله القسري ، لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته فقد زيّنتها ، ومن كانت شرفته فقد شرّفتها . فأنت كما قال الشاعر :

وتزيديـــن أطيـــب الطيـــب طيبـــا   أن تمسّيــــه أيـــن مثلـــك أينـــا
وإذا الـــدر زان حســـــن وجـــــوه   كـــان للدر حســـن وجهـــك زينا

فقال عمر : إن صاحبكم أعطي مقولا ، ولم يعط معقولا

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيّد قومك؟
قال : أنا . قال : لو كنت كذلك لم تقله!

وذكر أبو المقدام هشام بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال :
دخلت على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه ، فجعلت أحد النظر إليه ، فقال لي : يا ابن كعب ، ما لك تحد النظر إلي؟ قلت : لما نحل من جسمك ، وتغير من لونك . قال : فكيف لو رأيتني بعد ثالثة في قبري ، وقد سالت حدقتاي على وجنتي وابتدر فمي وأنفي صديدا ودودا ، كنت والله أشدّ نكرة لي

أدب عمر بن عبد العزيز

وهمّ السراج ليلة بأن يخمد ، فوثب إليه رجاء بن حيوة[(١)] ليصلحه ،
فأقسم عليه عمر فجلس ، ثم قام عمر فأصلحه .
فقال له رجاء : أتقوم يا أمير المؤمنين
قال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز .

---

(١) رجاء بن حيوة الكندي ابن جرول وقيل : ابن جزل ، وقيل : ابن جندل أبو نصر الكندي الأزدي ، ويقال : الفلسطيني ، الفقيه ، من جلة التابعين ، ولجده جرول بن الأحنف صحبة فيما قيل يكنى بأبي المقدام ,فقيه وخطاط

تقوى عمر بن عبد العزيز

عن عطاء ، قال : دخلت على فاطمة بنت عبد الملك[١] بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ،

فقلت لها : يا بنت عبد الملك ، أخبريني عن أمير المؤمنين .

قالت : أفعل ، ولو كان حيّاً ما فعلت .

إن عمر رحمه الله كان قد فرَّغ نفسه وبدنه للنّاس ، كان يقعد لهم يومه ، فإن أمسى وعليه بقيّة من حوائج يومه وصله بليلته ، إلى أن أمسى مساءً وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجه الذي كان يسرج له من ماله ، ثم قام فصلّى ركعتين ، ثم أقعى واضعاً رأسه على يده تسايل دموعه على خدّه ، يشهق الشّهقة فأقول : قد خرجت نفسه ، أو تصدّعت كبده ؛ فلم يزل كذلك ليلته حتى برق له الصّبح ، ثم أصبح صائماً

قالت : فدنوت منه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، لشيء ما كان منك ما رأيت الليلة؟

قال : أجل ، فدعيني وشأني ، وعليك بشأنك .

قالت : قلت له : إني أرجو أن أتّعظ .

قال : إذن أخبرْك .

قال : إني نظرت إليّ فوجدتني قد وليت هذه الأمّة صغيرها وكبيرها ، وأسودها وأحمرها ، ثم ذكرت الغريب الضّائع ، والفقير المحتاج ، والأسير المفقود ، وأشباههم ، في أقاصي البلاد وأطراف الأرض فعلمت أن الله سائلي عنهم ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم حجيجي فيهم ، فخفت أن لا يثبت لي عند الله عذر ولا يقوم لي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجّة ، فخفت على نفسي خوفاً دمع له عيني ، ووجل له قلبي ؛ فأنا كلّما ازددْت لهذا ذكراً ازددت منه وجلاً ، وقد أخبرتك فاتّعظي الآن أو دعي .

---

(١) فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص وأمها هي أم المغيرة بنت خالد بن العاص . كان أبوها عبد الملك أمير المؤمنين تزوجت بابن عمها عمر بن عبد العزيز بن مروان .

عمر بن عبد العزيز والشعراء

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وفد الشعراء إليه وأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك إذ مر بهم رجاء بن حيوة وكان جليس عمر فلما رآه جرير داخلاً قام إليه وأنشد يقول أبياتاً منها :

يا أيهـا الرجـل المرخـي عمامتـه   هـذا زمانـك فاسـتأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر شيئاً من أمرهم ثم مر بهم عدي بن أرطاة فقال جرير أبياتاً آخرها قوله :

لا تنـس حاجتـنا لقيـت مغفـرة   قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

قال : فدخل عدي على عمر ، وقال : يا أمير المؤمنين ، الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة .

فقال : ويحك يا عدي ما لي وللشعراء؟ قال : أعز الله أمير المؤمنين ، إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد امتدح وأعطي ولك في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة .

قال : كيف .؟ قال : امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه حلة قطع بها لسانه .

قال : أو تروي من قوله .

قال : نعم ، وأنشد :

رأيتـك يا خيـر البريـة كلهـا   نشـرت كتاباً جاء بالحق معلمـا
شرعـت لنا ديـن الهدى بعد جورنا   عـن الحق لما أصبح الحق مظلمـا
ونـورت بالبرهـان أمـراً مدنـساً   وأطفـأت بالإسـلام نـاراً تضرما
فمـن مبلـغ عنـي النبـي محمداً   وكل امرئ يجزى بما كـان قدمـا
أقمـت سبيل الحق بعد اعوجاجـه   وقـد كان قدماً ركنه قد تهدمـا

فقال : ويلك يا عدي ، من بالباب منهم؟ قال : عمر بن أبي ربيعة .

قال : أوليس هو الذي يقول :

ثـم نبهتهـا فمـدت كعابـاً   طفلـةً مـا تبـين رجـع الكلام
ساعـة ، ثـم إنها لي قالـت :   ويلتـي قـد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله إذ فجر كتم على نفسه لكان أستر له : لا يدخل علي والله أبداً ، فمن بالباب سواه؟ قال : الفرزدق .

قال : أوليس هو الذي يقول :

همـــا دلتـــا فـــي من ثمانين قامـــةً   كمـــا انقض باز أقتم الريش كاسره
فما استوت رجلاي في الأرض قالتا :   أحـــي فيرجـــى أم قتيل نحاذره؟

لا يدخل علي والله أبداً ، فمن سواه منهم .

قال : الأخطل .

قال : يا عدي ، أوليس هو الذي قال :

ولســـت بصائـــم رمضـــــان يومـــاً   ولســـت بآكـــل لحـــم الأضاحي
ولســـت بزاجـــر عنســــــاً بكـــوراً   إلـــى بطحـــاء مكـــة للنجـــــاح
ولســـت بقائـــم كالعـــــير أدعـــــو   قبيـــل الصبـــح حي على الفلاح
ولكنـــــــي سأشربهـــــا شمـــــولاً   وأسجـــد عنـــد منبلـــج الصباح

والله لا يدخل علي أبداً وهو كـافـر ، فـمن بالبـاب سـوى من ذكـرت؟ قـال : الأحوص .

قال : أوليس هو الذي يقول :

اللـــــه بينـــــي وبـــــين سيدهـــا   يفـــــر منـــــي بهـــا وأتبعـــــه

فمن بالباب دون من ذكرت أيضاً؟ قال : جميل بن معمر .

قال : أوليس هو الذي يقول :

فيا ليتنا نحيـــا جميعـــاً ، وإن أمـــت   يوافـــق موتـــي موتهـــا وضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد صالحاً لكان أصلح . والله لا يدخل علي بداً ، فهل أحد سوى من ذكرت؟ قال : جرير .

قال : أوليس هو الذي يقول :

طرقتك صائـــدة القلوب وليـــــس ذا   وقـــت الزيـــارة ، فارجعـي بسلام

فإن كان ولا بد فهو الذي يدخل . فلما مثل بين يديه قال : يا جرير اتق الله ولا تقل إلا حقاً .

فأنشد قصيدته الرائية المشهورة التي منها :

إنا لنرجـــــو إذا مـــا الغيـــث أخلفنا   مـــن الخليفـــة ما ترجـو من المطر
جـــاء الخلافـــة ، أو كنـــت له قـدراً   كمـــا أتـــى موســـى علـــى قدر
هـــذي الأرامـــل قد قضيت حاجتها   فمـــن لحاجـــة هذا الأرمل الذكر
الخيـــر ما دمـــت حيـــاً لا يفارقنـــا   بوركت يا عمر الخيرات مـــن عمر

فقال : يا جرير لا أرى لك فيما ههنا حقاً .

قال : بلى يا أمير المؤمنين! أنا ابن سبيل منقطع .

فأعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال : ويحك ، يا جرير ، لقد ولينا هذا الأمر ولم نملك إلا ثلاثمائة درهم ، فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام : أعطه المائة الأخرى .

فأخذها جرير وقال : والله لهي أحب مال اكتسبته في عمري . ثم خرج فقال له الشعراء : ما وراءك يا جرير؟ فقال : ما يسوءكم خرجت من عند خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراض وأنشد يقول :

رأيـــت رقـــي الشيطـــان لا تستـــفزه　　وقد كان شيطاني من الجـن راقيـــا

عمر بن عبد العزيز والمخنث

قال محمد بن إسحاق : قيل لعمر بن عبد العزيز : إنَّ في المدينة مخنّثاً قد أفسد نساءها ؛ فكتب إلى عامله أن يحمله إليه ، فحمل ؛ فأدخل عليه ، فإذا شيخٌ خاضبٌ اللّحية والأطراف معتجرٌ ؛ فدخل ومعه دفٌّ في خريطة ، فلمّا وقف بين يديٍّ عمر صعَّد فيه النَّظر وصوَّبه ، ثمَّ قال : سوأةٌ لهذه السن وهذه القامة ؛ ثمَّ قال له عمر : أتحفظ من المفصَّلُ شيئاً؟ قال : نعم ، وما المفصَّلُ؟ قال : ويلك (أتقرأُ من القرآن شيئاً؟ قال : أقرأُ (الحمد) وأخطئ فيها موضعين أو ثلاثة ، وأقرأُ (قل أعوذ برب الناس) وأخطئ فيها ، وأقرأُ (قل هو الله أحد) مثل الماء الجاري ؛ قال : ضعوه في الحبس ، ووكِّلوا به معلِّماً يعلمه القرآن وما يجبُ عليه من الطَّهارة والصلاة ، وأجروا عليه كلَّ يوم درهماً ، وعلى معلّمه ثلاثةً ، ولا يخرج من الحبس حتّى يحفظ القرآن أجمع ؛ فكان كلّما علَّم سورةً نسيَ الَّتي قبلها ، فبعث رسولاً إلى عمر : يا أمير المؤمنين : وجه إلي من يحملُ إليك ما أتعلمه أولاً فأوّلاً ، فإنِّي لا أقدر أن أحمله ؛ فقال عمر : ما أرى هذه الدَّراهم إلاّ لو أطعمناها جائعاً أو كسونا بها عارياً كان أصلح ؛ ثمَّ دعا به ، فقال : أَقرأ (يا أيها الكافرون) فقال : أسأل الله العافية أدخلت يدك في الجراب ، فأخرجت شرَّ ما فيه وأصعبه ؛ فأمر بوجئ عنقه ، ونفاه .

هشام بن عبد الملك

وقف أعرابي على قبر هشام بن عبد الملك[١] وإذا بعض خدمه يبكي على قبره ويقول : ماذا لقينا بعدك؟

فقال الأعرابي : أما إنه لو نطق لأخبرك أنه لقي أشد مما لقيتم

قال : وقال مسلمة بن عبد الملك لهشام بن عبد الملك : كيف تطمع في الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان؟

قال : لأني حليم وأني عفيف .

وقال المدائنيّ[٢] : قال ابن الضحّاك بن قيس الفهريّ لهشام بن عبد الملك قبل أن يملك– وهو يومئذ غلام شابّ– : يا بن الخلائف ، لم تطيل شعرك وقميصك؟ قال أكره أن أكون كما قال الشاعر : قصير القميص فاحش عند بيته . . . وشرّ غراس في قريش مركّبا

وافتخر قوم من اليمن عند هشام بن عبد الملك ، فقال لخالد بن صفوان : أجبهم .

فقال : هم بين حائك برد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد . ملكتهم امرأة ، دلّ عليهم هدهد ، وغرّقتهم فأرة .

قال هشام بن عبد الملك ذات يوم لجلسائه : أي شيء ألذ؟ قال الأبرش بن حسان : هل أصابك جرب قط فحككته؟ قال : مالك! أجرب الله جلدك ، ولا فرّج الله عنك! وكان آنس الناس به

---

(١) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء . ولد في دمشق .

(٢) هو علي بن محمد المدائني ، مولى عبد الرحمن بن سُمرة القرشي ، أصله من البصرة ، سكن المدائن فنسب إليها ، وقد ولد في أوائل العصر العباسي سنة ١٣٥هـ ، وعاش نحو تسعين عاماً ، ومات سنة ٢٢٥هـ .

ودخل سالم بن عبد الله ، مع هشام بن عبد الملك البيت ، فقال له هشام : سلني حاجتك . فقال : أكره أن أسأل في بيت الله غير الله .

عقد هشام بن عبد الملك لسعيد بن عمرو الجرشيّ أيّام التّرك ، فقال سعيد : يا فتح ، يا نصر ، خذا اللّواء . فقام هشام : أعمدا قلت هذا؟ قال : لا ، ولكنّهما غلاماي دعوتهما . قال هشام : هو الفتح والنّصر إن شاء الله . وكان ذلك كذاك

قال هشام بن عبد الملك يوماً لأصحابه : من يسبني ولا يفحش وهذا المطرف له؟ ، وكان فيهم أعرابي فقال : ألقهِ يا أحول ، فقال خذه قاتلك الله .

رد أعرابي على هشام

جادل أعرابي هشام فقال هشام :أتجادلني وأنا الخليفة؟

قال الرجل : يقول تعالى ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾

أنجادل الله ولا نجادلك!

أكرم أطرافي وأخس أطرافك

دخل الوليد بن يزيد على هشام بن عبد الملك ، وعلى الوليد عمامةٌ وشي ، فقال هشام : بكم أخذتها؟

قال : بألف درهم .

فقال : هذا كثيرٌ

قال : إنّها لأكرم أطرافي ، وقد اشتريت جاريةً بعشرة آلافٍ لأخسّ أطرافك

أعرابي على مائدة هشام

حضرَ أعرابي سُفرة هشام بن عبد الملك ، فبينا هو يأكل إذ تعلّقت شَعْرة في لقمة الأعرابي ، فقال له هشام : عندك شَعْرة في لُقمتك يا أعرابي!

فقال : وإنك لتلاحظني ملاحظة مَن يرى الشَعرة في لُقمتي! والله لا أكلتُ عندك أبداً! وخرج وهو يقول :

وللموتُ خيرٌ من زيارةِ باخلٍ   يُلاحظُ أطرافَ الأكيلِ على عمدِ

درس في الأخلاق

يُروى أن هشاماً غضبَ على رجلٍ من أشراف الناس ، فَشَتَمَه
فَوَبَّخَهُ الرَّجلُ وقال له : أمَا تسْتَحِيٍ أن تشْتُمَني وأنت خليفة الله في أرضه ؟
فأَطْرَقَ هشام واسْتَحْى وقال له : اَقْتَصَّ !
فقال : أنا إذاً سفيهٌ مثْلُكَ !
قال : فخُذْ عن ذلك عِوَضاً من المال .
قال : ما كنتُ لأفعلَ !
قال : فهَبْهَا لله .
قال : هيَ لله ثمَّ لك !
فنَكَس هشام رأسه وقال : والله لا أعود لمثلها

هشام وزيد ابن علي:

دخل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك ، فلم يجد موضعا يقعد فيه : فعلم أن ذلك فعل به على عمد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؟

قال زيد : إنه لا يكبر أحد فوق تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله .

قال له هشام : بلغني أنك تحدّث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها ؛ إنك ابن أمة .

قال : زيد : أما قولك إني أحدّث نفسي بالخلافة ، فلا يعلم الغيب إلا الله ؛ وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة من صلبه خير البشر محمد صلّى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة . أخرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوّت .

قال له : قم .

قال : إذن لا تراني إلا حيث تكره .

فلما خرج من عنده قال : ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل .

قال له حاجبه : لا يسمع هذا الكلام منك أحد .

عروة بن أذنية وهشام بن عبد الملك

قيل : وفد عروة بن أذينة[١] على هشام بن عبد الملك فشكا إله فقره فقال : ألست القائل :

لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعيبني تطلبه وإن قعدت أتاني ليس يعيبني

وخرجت الآن من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، وعظت فأبلغت .

وخرج وركب ناقته وكر إلى الحجاز راجعاً ، فلما كان الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة وقال : رجل من قريش قال حكمة ووفد علي فرددته خائباً . فلما أصبح وجه إليه بألف دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة فأعطاه المال فقال : أبلغ عني أمير المؤمنين السلام ، وقل له : كيف رأيت قولي ، سعت فأكديت ، فرجعت خائباً ، فجلست في داري فأتاني رزقي في منزلي .

ابن عنبسة وإبراهيم في حضرة هشام

كان إبراهيم بن عبد الله بن مطيع جالسا عند هشام ، إذ أقبل عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص ، أحمر الجبة والمطرف والعمامة ؛ فقال إبراهيم ؛ هذا ابن عنبسة قد أقبل في زينة قارون!

قال : فضحك هشام ؛ قال له عبد الرحمن : ما أضحكك يا أمير المؤمنين؟

فأخبره بقول إبراهيم ؛ قال له عبد الرحمن : لولا ما أخاف من غضبه عليك وعليّ وعلى المسلمين لأجبته!

قال : وما تخاف من غضبه؟

قال : بلغني أن الدجال يخرج من غضبة يغضبها . وكان إبراهيم أعور! قال إبراهيم لولا أن له عندي يدا عظيمة لأجبته!

قال : وما يده عندك؟

---

(١) أبو عامر عروة بن أذينة الليثي الكناني تابعي جليل وشاعر غزل وفخر وشريف مقدم من شعراء المدينة المنورة وهو معدود في الفقهاء والمحدثين وأحد ثقات أصحاب حديث رسول الله سمع من ابن عمر وروى عنه مالك بن أنس في الموطأ وعبيد الله بن عمر العدوي .

قال : ضربه غلام له بمدية فأصابه ، فلما رأى الدم فزع ، فجعل لا يدخل عليه مملوك إلا قال له : أنت حر! فدخلت عليه عائدا له ، فقلت له : كيف تجدك؟ قال لي : أنت حر! قلت له : أنا إبراهيم! قال لي :أنت حر ، فضحك هشام حتى استلقى .

هشام وزين العابدين والفرزدق

وقيل : إنه لما حج هشام في أيام أبيه طاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه ، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام ، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أهل الشام . فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين[(١)] بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً فطاف بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى له الناس حتى استلمه ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام : لا أعرفه! مخافة أن يرغب فيه أهل الشام . وكان أبو فراس الفرزدق حاضراً فقال : أنا والله أعرفه ، فقال الشامي : من هذا يا أبا فراس ، فقال :

هـذا الـذي تعـرف البطحاء وطأته ... والبيـت يعرفـه والحـل والحـرم
هـذا ابـن خيـر عباد الله كلهـم ... هـذا التقـي النقي الطاهر العلم
إذا رأتـه قريـش قـال قائلهـا : ... إلـى مكـارم هذا ينتهي الكـرم
ينمـى إلـى ذروة العز التي قصرت ... عـن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكـاد يمسكـه عرفـان راحتـه ... ركـن الحطيـم إذا ما جاء يستلم
فـي كفـه خـيزران ريحـه عبـقٌ ... مـن كف أروع في عرنينه شمـم
يغضـى حيـاءً ويغضى من مهابته ... فمـا يكلـم إلا حـين يبتسـم
ينشـق نـور الهـدى من نور غرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم
مشتقـة مـن رسـول الله نبعتـه ... طابـت مفـارزه والخيـم والشيم
هـذا ابـن فاطمـة إن كنت جاهله ... بجـده أ ، بيـاء اللـه قد ختموا
الله شرفـه قـدماً وعظمـه ... جـرى بـذاك له في لوحه القلم

(١) علي بن الحسين بن علي ، السجاد (٣٨ هـ - ٩٥ هـ) ، ولد في المدينة يوم الجمعة ٥ شعبان ٣٨ هـ ، اشتهر بزين العابدين وهو الإمام الرابع لدى الشيعة بكل طوائفهم وله عده ألقاب منها ذو الثفنات وزين الصالحين ومنار القانتين .

وليـــس قولـــك مـــن هـــذا بضائره	العـــرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتـــا يديـــه غيـــاث عـــم نفعهمـا	يستوكفـــان ولا يعروهمـــا عـــدم
سهـــل الخليقـــة لا تخشـــى بـوادره	يزينه اثنان : حسن الخلق والشيـــم
حمـــال أثقـــال أقـــوام إذا فدحـــوا	حلـــو الشمائـــل تحـــلو عنده نعم
ما قـــال لا قـــط إلا فـــــي تشهـده	لـــولا التشهـــد كانـــت لاءه نعم
عـــــم البرية بالإحسان فانقشعـــت	عنهـــا الغياهب والإملاق والعـــدم
مـــن معشـــر حبهـــم ديـن وبغضهم	كفـــر وقربـــهـم منجـــى ومعتصم
إن عـــد أهـــل التقـــى كانوا أئمتهم	أو قيل من خير أهل الأرض قيل هـم
لا يستطيـــع جـــواد بعـــد غايتهـــم	ولا يدانيهـــم قـــومٌ وإن كرمـــــوا
هـــم الغيـــوث إذا مـــا أزمـــة أزمت	والأسد أسد الشرى والبأس محتـــدم
لا ينقـــص العســـر بسطاً من أكفهم	سيـــان ذلـــك إن أثروا وإن عدموا
مقـــدم بعـــد ذكـــر اللـــه ذكرهـــم	فـــي كل بدء ومختوم به الكلـــــم
يأبـــى لهـــم أن يحـــل الذم ساحتهم	خلـــق كريم وأيـــد بالندى هضـــم
أي الخـــلائق ليســـت في رقابهـــم	لأوليـــة هـــذا أولـــــه نعـــــم
من يعـــرف اللـــه يعـــرف أوليـــة ذا	فالديـــن مـــن بيت هذا ناله الأمم

فلما سمع هشام ذلك غضب وحبس الفرزدق ، فأنفذ له زين العابدين رضي الله عنه ، اثني عشر ألف درهم ، فردها وقال : مدحته لله لا للعطاء والصلات . فقال زين العابدين : إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نعود فيه . فقبلها الفرزدق .

الوليد بن هشام ويونس الكاتب والجارية

قال أبو الفرج الأصفهاني[1] في كتاب الأغاني : قال يونس الكاتب : خرجت إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ومعي جارية غانية وكنت علمتها جميع ما تحتاج إليه ، وأنا أقدر فيها أنها تساوي مائة ألف درهم .

قال : فلما قربنا من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية منه ،

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي : وأُمّه شيعية من آل ثوابة ، من أئمة الأدب العربي ، الاعلام في معرفة التاريخ والانساب والسير والآثار واللغة والمغازي . وله معارف أُخر في علم الجوارح والبيطرة والفلك والأشربة .

وأصبت من طعام كان معي وأخرجت ركوة كان فيها نبيذ . فبينما أنا كذلك ، وإذا بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس أشقر ومعه خادمان فسلم علي وقال : أتقبل ضيفاً؟ قلت : نعم .

فأخذت بركابه ونزل وقال : اسقنا من شرابك فسقيته ، فقال : إن شئت أن تغني صوتاً فغنيته :

حازت من الحسن ما لا حازه البشر فلذ لي في هواها الدمع والسهر

فطرب طرباً شديداً واستعاده مراراً ثم قال : قل لجاريتك فلتغن ، فأمرتها فغنت :

حورية حار قلبي في محاسنها فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طرباً شديداً واستعاده مراراً . ولم يزل مقيماً إلى أن صلينا العشاء ، ثم قال : ما أقدمك علينا في هذا البلد .؟ قلت : أردت بيع جاريتي هذه .

قال : فكم أملت فيها من الثمن؟ قلت : ما أقضي به ديني وأصلح به حالي .

قال : ثلاثون ألفاً .

قلت : ما أحوجني إلى فضل الله والمزيد فيه .

قال : أيقنعك أربعون ألفاً؟ قلت : فيها قضاء ديني وأبقى صفر اليد .

قال : قد أخذناها بخمسين ألفاً من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك وأشركك في حالي أبداً ما بقيت .

فقلت : قد بعتكها .

قال : أفتثق بي أن أوصل ذلك غداً وأحملها معي ، أو تكون عندك إلى أن أحمل ذلك إليك غداً؟ فحملني السكر والحياء مع الخشية منه على أن قلت : نعم قد وثقت بك ، فخذها بارك الله لك فيها .

فقال لأحد غلاميه : احملها على دابتك وارتدف وراءها وامض بها .

ثم ركب فرسه وودعني وانصرف ، فما هو إلا أن غاب عني ساعة فعرفت موضع خطأي وغلطي وقلت : ماذا صنعت بنفسي؟ أسلم جاريتي إلى رجل لا أعرفه ولا أدري من هو ، وهب أني عرفته فمن أين الصلة إليه . فجلست متفكراً إلى أن صليت الصبح . ودخلت أصحابي دمشق وجلست حائراً لا أدري ما أصنع وقرعتني الشمس . وكرهت المقام ، فهممت بالدخول إلى دمشق ثم قلت : لم آمن أن الرسول يأتي فلا يجدني فأكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية . فجلست في ظل جدار هناك فلما أضحى النهار ، وإذا أحد الغلامين اللذين كانا معه قد أقبل علي فما أذكر

أني سررت بشيء أعظم من سروري ذلك الوقت بالنظر إليه فقال لي : يا سيدي ، أبطأنا عليك .

فلم أذكر له شيئاً مما كان بي ثم قال لي : أتعرف الرجل .؟ قلت : لا .

قال : هو الوليد بن هشام ولي العهد .

فسكت عند ذلك ثم قال : قم فاركب .

وإذا معه دابة فركبتها وسرنا إلى أن وصلنا إلى داره فدخلت إليه ، وإذا بالجارية قد وثبت وسلمت علي فقلت : ما كان من أمرك؟ قالت : أنزلني هذه الحجرة وأمر لي بما أحتاج إليه .

فجلست عندها ساعة وإذا أنا قد أتاني خادم له فقال لي : قم .

فقمت فأدخلني على سيده ، فإذا هو صاحبي بالأمس ، وهو جالس على سريره فقال : من تكون؟ فقلت : يونس الكاتب .

قال : مرحباً بك قد كنت والله إليك بضنين وكنت أسمع بخبرك فكيف كان مبيتك في ليلتك؟ قلت : بخير أعزك الله .

قال : فلعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت : دفعت جاريتي إلى رجل لا أعرفه ولا أعرف اسمه ولا من أي البلاد هو؟ فقلت : معاذ الله أيها الأمير أن أندم ولو أهديتها إلى الأمير كانت أقل وأخس ، وما قدر هذه الجارية؟ فقال : والله لكني ندمت على أخذها منك ، وقلت : رجل غريب لا يعرفني وقد دهمته وسفهت عليه في استعجالي لأخذ الجارية .

أفتذكر ما كن بيننا؟ قلت : نعم .

قال : بعتني هذه الجارية بخمسين ألف درهم . قلت : نعم .

قال : هات يا غلام المال . فوضعوه بين يديه فقال : هات يا غلام ألف دينار ، فأؤتي بها ثم قال : يا غلام هات خمسمائة دينار أخرى ، فجاء بها ثم قال هذا ثمن جاريتك فضمه إليك ، وهذه ألف دينار لحسن ظنك بنا ، وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك ، وما تبتاعه لأهلك ، رضيت؟ قلت : رضيت ، وقبلت يديه وقلت : والله قد ملأت عيني ويدي .

ثم قال : والله إني لم أدخل بها ولا شبعت من غنائها ، علي بها فجاءت فأمرها بالجلوس فجلست فقال لها غني ، فأنشدت تقول :

أيا من حاز كل الحسن طراً ... ويا حلو الشمائل والدلال

جميـــع الحســـن فـــي عجـم وعرب وما فـــي الكـــل مثلـــك يا غزالي
تعطـــف يـــا مليـــح علـــى محـــب بوعـــدك أو بطيـــف من خيـــال
حلا لـــي فيـــك ذلـــي وافتضاحـــي وطـــاب لمقلتـــي سهـــر الليالـــي
ومـــــا أنا فيـــك أول مستهـــــامٍ فكـــم قبلـــي قتلـــت من الرجال
رضيـــت لـــي من الدنيـــا نصيبـــاً وأنـــت أعـــز من روحـــي ومالـــي

فطرب طرباً شديداً وشكر حسن تأديبي لها وتعليمي إياها ثم قال : يا غلام قدم له دابة بسرجها وآلتها لركوبه وبغلاً لحمل حوائجه وثقله . ثم قال : يا يونس ، إذا بلغك أن هذا الأمر أفضى إلي فألحق بي ، فوالله لأملأن لك يدك ولأعلين قدرك ولأغينك ما بقيت .

قال : فأخذت المال وانصرفت . فلما أفضت الخلافة إليه سرت إليه فوفى والله بوعده وزاد في إكرامي وكنت معه على أسر حال وأسنى منزلة وقد اتسعت أحوالي وكثرت أموالي وصار لي من الضياع والأملاك ما يكفيني إلى مماتي ويكفي من بعدي ولم أزل معه حتى قتل ، عفا الله عنه .

أشعب والوليد بن يزيد

دخل أشعب الطفيلي على الوليد بن يزيد[1] ، فقال له الوليد : تمن ، فقال أشعب : يتمنى أمير المؤمنين ثم أتمنى ، فقال : إنما أردت أن تغلبني ،فإنني لأتمنى ضعف ما تتمنى به كائنا من كان . فقال أشعب : فإني أتمنى نصيبين من العذاب ، فضحك الوليد ،ثم قال : إذا نوفرها عليك

الخلفاء العباسيون

راعي الذمم

وروي عن الحسن بن الحصين . قال : لما أفضت الخلافة إلى بني العباس كان من

(١) الوليد الثاني بن يزيد الثاني الأموي القرشي ويلقب الوليد الثاني الحاكم الحادي عشر من حكام بني أمية يلقب أبو العباس . حكم سنة واحدة وشهرين من ٧٤٣ إلى ٧٤٤ م . أمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج .

جملة من اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك فلم يزل مختفياً إلى أن أضناه وأضجره الاختفاء ، فأخذ له أمان من السفاح ، فقال له : لقد مكثت زماناً طويلاً مختفياً فحدثني بأعجب ما رأيت في اختفائك ، فإنها كانت أيام تكدير .

فقال : يا أمير المؤمنين ، وهل سمع بأعجب من حديثي؟ لقد كنت مختفياً في منزل أنظر منه إلى البطحاء فبينما أنا على مثل ذلك ، وإذا بأعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في ذهني أنها خرجت تطلبني ، فخرجت متنكراً حتى أتيت الكوفة من غير الطريق ، وأنا والله متحير ، ولا أعرف بها أحداً ، وإذا أنا بباب كبير في رحبة منيعة . فدخلت في تلك الرحبة فوقفت قريباً من الدار ، وإذا برجل حسن الهيئة ، وهو راكب فرساً ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه ، فدخل الحربة فرآني واقفاً مرتاباً فقال لي : ألك حاجة؟ قلت : غريب خائف من القتل .

قال : ادخل فدخلت إلى حجرة في داره ، فقال : هذه لك ، وهيأ لي ما أحتاج إليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب ، وأقمت عنده ووالله ما سألني قط من أنا ، ولا ممن أخاف؟ وهو في أثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود تعباً متأسفاً كأنه يطلب شيئاً فاته ولم يجده ، فقلت له يوماً : أراك تركب في كل يوم وتعون تعباً متأسفاً كأنك تطلب شيئاً فاتك؟ فقال لي : إن إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل أبي وقد بلغني أنه مختف من السفاح ، وأنا أطلبه لعلي أجده وآخذ بثأري منه .

فتعجبت والله يا أمير المؤمنين من هربي وشؤم بختي الذي ساقني إلى منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثأره مني . فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالني من الشدة ، فسألت الرجل عن اسم أبيه وعن سبب قتله ، فعرفني الخبر فوجدته صحيحاً ، فقلت : يا هذا قد وجب علي حقك ، وأن من حقك أن أدلك على قاتل أبيك وقرب إليك الخطوة وأسهل عليك ما بعد .

فقال : أتعلم أين هو؟ قلت : نعم .

فقال : أين هو؟ فقلت : والله هو أنا فخذ بثأرك مني .

فقال لي : أظن أن الاختفاء أضناك فكرهت الحياة .

قلت : نعم والله أنا قتلته يوم كذا وكذا .

فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه إلي وقال لي : أما أبي فسيلقاك غداً يوم القيامة فيحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية ، وأما أنا فلست مخفراً ذمتي ولا مضيعاً نزيلي ، أخرج عني فإني لا آمن من

نفسي عليك بعد هذا اليوم .

ثم وثب يا أمير المؤمنين إلى صندوق فأخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار وقال : خذ هذه واستعن بها على اختفائك .

فكرهت أخذها وخرجت من عنده وهو أكرم رجل رأيت . فبقي السفاح يهتز طرباً ويتعجب .

أبو جعفر المنصور

لقي الخليفة أبو جعفر المنصور سفيان الثوري وهو من تابعي الكوفة وحفاظها فقال له : ما يمنعك أن تأتينا يا أبا عبد الله؟

فقال : إن الله سبحانه نهانا عنكم حيث يقول : «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار»

روي أن معن بن زائدة دخل على أبي جعفر أمير المؤمنين ، فقارب في خطوه ، فقال له أبو جعفر : كبرت سنّك يا معن .

فقال : في طاعتك يا أمير المؤمنين .

قال : وانك لجَلِد[1] .

قال : على أعدائك .

قال : وان فيك لبقيّة .

قال : هي لك .

بليتان : المنصور والطاعون

وخطب المنصور يوماً بالشام ، فقال : أيها الناس ينبغي لكم أن تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم في فإني منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم .

فقال أعرابي : إن الله أكرم من أن يجمعك أنت والطاعون علينا .

(١) جَلِد : أي صبور ، وهنا قد تأتي بمعنى شديد وحازم

أبو دلامة يعزي المنصور

قال أبو العبّاس ثعلب : لّما ماتت حمادةُ بنت عيسى امرأة المنصور ، وقف المنصور والنّاس معه على حفرتها ينتظرون مجيء الجنازة وأبو دلامة فيه ، فأقبل عليه المنصور ، فقال : يا أبا دلامة ، ما أعددت لهذا المصرع؟

قال : حمادة بنت عيسى يا أمير المؤمنين

قال : فأضحك القوم .

الكلب وسيده

قال المنصور العباسي لجنده صدق القائل أجع كلبك يتبعك . فقال بعض الجند نعم ولكن ربما يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك

مظلمة في مجلس المنصور

دخل عمارة بن حمزة يوما على المنصور في مجلسه . فقام رجلٌ وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين .

قال : من ظلمك ؟

قال : عمارة بن حمزة ، غصبني ضيعتي .

فقال المنصور : يا عمارة ، قم فاقعد مع خصمك .

فقال : ما هو لي بخصم . إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له . ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المؤمنين ، وأقعد في أدنى منه لأجل ضيعة

ابن هرمة والمنصور

دخل ابن هرمة[١] على المنصور وامتدحه ، فقال له المنصور : سل حاجتك .

قال : تكتب إلى عاملك بالمدينة إذا وجدني سكران لا يحدني .

فقال له المنصور : هذا حد لا سبيل إلى تركه .

---

(١) إبراهيم بن هرمة : هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي ، أبو اسحاق . شاعر غزل من سكان المدينة . من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية .

فقال : ما لي حاجة غيرها .

فقال لكاتبه : اكتب إلى عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين ، واجلد الذي جاء به مائة .

فكان الشرطة يمرون عليه وهو سكران ويقولون : من يشتري ثمانين بمائة ، فيمرون عليه ويتركونه

حسن الاستعفاء

حدثنا الأصمعي قال : أتي المنصور برجل ليعاقبه على شيء بلغه عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين . فعفا عنه .

بين المنصور وابن هبيرة

لما حاصر أبو جعفر المنصورُ ابنَ هبيرة ، قال : إن ابن هبيرة يُخَنْدِقُ على نفسه مثل النساء ! فبلغ ذلك ابن هبيرة ، فأرسل إلى المنصور : «أنت القائلُ كذا وكذا؟ فاخرج إليّ لتبارزني حتى ترى .» فكتب إليه المنصور : «ما أجد لي ولك مثلاً في ذلك إلا كأسد لقى خنزيراً ، فقال له الخنزير : بارزْني! فقال الأسد : ما أنت لي بكفء ، فإن نالني منك سوء كان ذلك عاراً عليّ وإنَ قتلتُك قَتَلْتُ خنزيراً فلم أحصل على حَمْد ولا في قتلي لك فخر . فقال له الخنزير : إن لم تبارزني لأعَرِّفَنَّ السباعَ أنك جَبُنْتَ عني . فقال الأسد : احتمالُ عارِ كَذِبِك أيسرُ من تلويث راحتي بدمك» .

دخل يزيد بن عمر بن هبيرة على أمير المؤمنين المنصور فقال : يا أمير المؤمنين ، توسَّع توسعاً قرشياً ، ولا تضق ضيقاً حجازياً .

ويروى أنه دخل عليه يوماً فقال له المنصور : حدثنا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن سلطانكم حديث ، وإمارتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنبوهم مرارة جورها . فوالله يا أمير المؤمنين لقد محضت لك النصيحة .ثم نهض معه سبع مئة من قيس ، فأتاره المنصور بصره ، ثم قال : لا يعز ملك يكون فيه مثل هذا .

اللقيط يحتج

دخل شاب على المنصور فسأله عن وفاة أبيه ، فقال : مات رحمه الله يوم كذا وكان مرضه رضي الله عنه كذا وكذا وترك من المال عفا الله عنه كذا وكذا فانتهره الربيع - وكان لقيطا - وقال له : أبين يدي أمير المؤمنين توالي الدعاء لأبيك؟ فقال الشاب : لا ألومك يا هذا فأنت لم تعرف حلاوة الأبوة . فضحك المنصور ضحكا لم سمعه منه أحد من قبل .

الربيع وشاب في حضرة المنصور

دخل شاب من بني هاشم على المنصور ، فاستجلسه ذات يوم ودعا بغدائه ، فقال للفتى : ادنه . قال الفتى : قد تغديت يا أمير المؤمنين . فكف عنه الربيع حتى ظننا أنه لم يفطن لخطابه ، فلما نهض إلى الخروج أمهله ، فلما كان من وراء الستر دفع في قفاه ، فلما رأى ذلك الحجاب منه دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار ، فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الربيع إلى المنصور ، فقال المنصور : إن الربيع لا يقدم على مثل هذا إلا وفي يديه حجة ، فإن شئتم أغضيتم على ما فيها ، وإن شئتم سألته وأنتم تسمعون . قالوا : فسله . فدعا الربيع وقصوا قصته ، فقال الربيع : هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف ، فاستدناه أمير المؤمنين حتى سلم عليه من قريب ثم أمره بالجلوس ، ثم تبذل بين يديه وأكل ، ثم دعاه إلى طعامه ليأكل معه من مائدته ، فبلغ من جهله بفضيلة المرتبة التي صيره فيها أن قال حين دعاه إلى غدائه : قد تغديت! فإذا ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين إلا سد خلّة الجوع ، ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل .

الرجل ثابت الجنان

وحدث أحمد بن موسى قال : ما رأيت رجلاً أثبت جناناً ولا أحسن معرفة ولا أظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بأن عنده أموالاً لبني أمية ، فأمر المنصور حاجبه الربيع أن يحضره ، فلما حضر بين يديه . قال المنصور : رفع إلينا أن عندك ودائع وأموالاً وسلاحاً لبني أمية فأخرجها لنا لنجمع ذلك إلى بيت المال .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، أنت وارث لبني أمية؟ قال : لا .

قال : فلم تسأل إذن عما في يدي من أموال بني أمية ولست بوارث لهم ولا وصي .

فأطرق المنصور ساعة ، ثم قال : إن بني أمية ظلموا الناس وغصبوا أموال المسلمين .

فقال الرجل : يحتاج أمير المؤمنين إلى بينة يقبلها الحاكم تشهد أن المال الذي لبني أمية هو الذي في يدي وأنه هو الذي غصبوه من الناس . وأن أمير المؤمنين يعلم أن بني أمية كانت لهم أموال لأنفسهم غير أموال المسلمين التي اغتصبوها على ما يتهم أمير المؤمنين؟ قال : فسكت المنصور ساعة ، ثم قال : يا ربيع ، صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شيء ، ثم قال للرجل : ألك حاجة؟ قال : نعم .

قال : ما هي؟ قال : أن تجمع بيني وبين من سعى في إليك فوالله يا أمير المؤمنين ما لبني أمية عندي مال ولا سلاح . وإنما أحضرت بين يديك وعلمت ما أنت فيه من العدل والإنصاف واتباع الحق واجتناب المظالم ، فأيقنت أن الكلام الذي صدر مني هو أنجح وأصلح لما سألتني عنه .

فقال المنصور : يا ربيع ، اجمع بينه وبين الذي سعى به فجمع بينهما . فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا أخذ لي خمسمائة دينار وهرب ، ولي عليه مسطور شرعي .

فسأل المنصور الرجل فأقر بالمال . قال : فما حملك على السعي كاذباً؟ قال : أردت قتله ليخلص لي المال .

فقال الرجل : قد وهبتها له يا أمير المؤمنين ، لأجل وقوفي بين يديك وحضوري مجلسك ووهبته خمسمائة دينار أخرى لكلامك لي .

فاستحسن المنصور فعله وأكرمه ورده إلى بلده مكرماً .

وكان المنصور كل وقت يقول : ما رأيت مثل هذا الشيخ قط ، ولا أثبت من جنانه ولا من حجني مثله ولا رأيت مثل حلمه ومروءته .

مسامرة في مجلس المنصور

سمر المنصور الخليفة العباسي ذات ليلة ، فذكر خلفاء بني أمية وسيرتهم ، وأنهم لم يزالوا على استقامة ، حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين ، فكان همهم في عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وإيثار اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله تعالى ، وأمنا من مكره تعالى ، فسلبهم الله الملك والعز ونقل عنهم النعمة .

فقال له صالح بن علي : يا أمير المؤمنين ، إن عبيد الله بن مروان لما دخل النوبة

هاربا فيمن اتبعه ، سأله ملك النوبة عنهم فأخبره ، فركب إلى عبيد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك .

فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قدمت أرض النوبة بأثاث سلم لي ، فافترشته بها ، وأقمت ثلاثا ، فأتاني ملك النوبة ، وقد أخبر أمرنا فدخل عليَّ رجل طوال أقنى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب .

فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا؟ .

فقال : إني ملك ، وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه الله .

ثم قال : لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم؟ .

فقلت : «اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم» .

قال : فلم تطأون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم؟ .

قلت : فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم .

قال : فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو محرم عليكم في كتابكم؟ .

قلت : ذهب منا الملك وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على كره منا .

فأطرق ينكت بيده الأرض ويقول : عبيدنا وأتباعنا ، وأعاجم دخلوا في ديننا ، ثم رفع رأسه إليَّ وقال : ليس كما ذكرت ، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ، ولله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فينالني معكم ، وإنما الضيافة ثلاث فتزود ما احتجت إليه وارتحل عن أرضي .

حاج يعظ المنصور

وذكر الغزالي وابن بليان وغيرهما ، أن أبا جعفر المنصور حج ونزل في دار الندوة ، وكان يخرج سحراً فيطوف بالبيت ، فخرج ذات ليلة سحراً ، فبينما هو يطوف إذ سمع قائلاً يقول : اللهم أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بني الحق وأهله من الطمع . فهرول المنصور في مشيته حتى ملأ سمعه ثم رجع إلى دار الندوة . وقال لصاحب شرطته : إن بالبيت رجلاً يطوف فأتني به . فخر صاحب الشرطة فوجد

رجلاً عند الركن اليمني . فقال : أجب أمير المؤمنين . فلما دخل عليه ، قال : أنا الذي سمعتك آنفاً تشكو إلى الله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني .

فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن الذي داخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغياً وفساداً أنت هو .

فقال له المنصور : ويحك كيف يداخلني الطمع ، والصفراء والبيضاء ببابي وملك الأرض في قبضتي .

فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، وهل داخل أحداً من الطمع ما داخلك؟ استرعاك الله أمور المؤمنين وأموالهم فأهملت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، واتخذت بينك وبين رعيتك حجاباً من الجبس والآجر وحجبة معهم السلاح وأمرت أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان ، نفر استخلصتهم لنفسك وأمرتهم على رعيتك ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الجائع ولا العاري ، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق . فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الأموال وتقسمها ، قالوا : هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه؟ فأجمعوا على أن لا يصل إليك من أموال الناس إلا ما أرادوا . فصار هؤلاء شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل عنهم ، فإذا جاء المظلوم إلى بابك وجدك وقفت رجلاً ينظر في مظالم الناس ، فإن كان الظالم من بطانتك علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوّفَ من وقت إلى وقت ، فإذا اجتهد وظهرت أنت صرخ بين يديك ، فضربه أعوانك ضرباً شديداً ليكون نكالاً لغيره ، وأنت ترى ذلك ولا تنكر . لقد كانت الخلفاء قبلك من بني أمية إذا أتت إليهم الظلامة أزيلت في الحال ، ولقد كنت أسافر إلى الصين يا أمير المؤمنين ، فقدمت مرة فوجدت الملك الذي به قد فقد سمعه ، فبكى ، فقال له وزراؤه : ما يبكيك أيها الملك؟ لا أبكى الله لك عيناً إلا من خشيته .

فقال : والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي وإنما أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمعه . ثم قال : إن كان سمعي ذهب فإن بصري لم يذهب . نادوا في الناس لا يلبس أحد ثوباً أحمر إلا مظلوم . وكان يركب الفيل طرفي النهار ويدور في البلد لعله يجد أحداً لابساً ثوباً أحمر فيعلم أنه مظلوم فينصفه . وهذا الأمير رجل مشرك غلبت عليه رأفته على شح نفسه بالمشركين ، وأنت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

يا أمير المؤمنين! لا تجعل الأموال إلا لإحدى ثلاث : فإن قلت إنما أجمع الأموال لصالح الملك فقد أراك الله عبرةً في الملوك والقرون من قبلك ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والرجال والكراع ، حين أراد الله بهم ما أراد ، وإن قلت إنما أجمع للولد ، فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فيلم يغن ذلك عنهم شيئاً بل ربما مات فقيراً ذليلاً حقيراً ؛ وإن قلت إنما أجمعه لغاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها ، فوالله ما فوق منزلتك إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح .

فبكى المنصور بكاء شديداً ثم قال : وكيف أعمل وقد فرت مني العباد ولم تقربني ، افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ المال مما حل وطاب ، واقسمه بالحق والعدل ، وأنا ضامن من هرب أن يعود إليك .

فقال المنصور : نفعل إن شاء الله تعالى .

وجاء المؤذن فأذن للصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده ، فقال لصاحب الشرطة : علي بالرجل الساعة .

فخرج يتطلبه فوجده عند الركن اليماني فقال له : أجب أمير المؤمنين .

فقال : ليس إلى ذلك من سبيل .

فقال : إذن يضرب عنقي .

فقال : ولا إلى ضرب رقبتك من سبيل . ثم أخرج من مزود كان معه رقاً مكتوباً فقال له : خذه فإن فيه دعاء الفرج من دعا به صباحاً ومات من يومه مات شهيداً ، ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيداً . وذكر له فضلاً عظيماً وثواباً جزيلاً . فأخذه صاحب الشرطة وأتى به المنصور فلما رآه قال له : ويلك أو تحسن السحر؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . ثم قص عليه القصة ، فأمر المنصور بنقله وأمر له بألف دينار ، وهو هذا .

اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء ، وعلمك بما تحت وعلانية القول كالسر في علمك ، وانقاد كل شيء لعظمتك ، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك ، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك ، اجعل لي من كل هم وغم أصبحت أو أميت فيه فرجاً ومخرجاً . اللهم ، إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه ، أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً ، فإنك أنتن المحسن إلي وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك ، تتودد إلي بالنعم وأتبغض إليك بالمعاصي ، ولكن الثقة بك حملتني

على الجراءة عليك ، فجد بفضلك وإحسانك علي ، إنك أنت الرؤوف الرحيم . أرضك كعلمك بما فوق عرشك . وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك .

الأمير الأموي وملك النوبة

وذكر المنصور يوماً في مجلسه زوال ملك بني أمية وما جرى عليهم ، وأنهم عاشوا سعداء وماتوا فقراء ، فقال له إسماعيل بن علي الهاشمي : إن عبد الله بن مروان بن محمد في حبسك ، وله قصة مع ملك النوبة . فأحضره واسأله عنها . فأحضره ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال المنصور : رد السلام أمن ولم تسمح نفسي بذلك ، ولكن اقعد! فقعد ، فقال : ما قصتك مع ملك النوبة؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، كنت ولي عهد أبي فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلماني ودفعت لكل واحد ألف دينار وأوسقت خمس بغال وشددت في وسطي جوهراً له قيمة عظيمة وخرجت هارباً إلى بلاد النوبة ، فلما قربنا بعثت غلاماً لي ، فقلت له : امض إلى هذا الملك وأقرئه السلام وخذ لنا منه الأمان وابتغ لنا ميرة . فمضى وأبطأ حتى أسأت به الظن ، ثم أقبل ومعه رجل فدخل وسلم وقال : الملك يقرئك السلام ويقول لك : من أنت وما جاء بك إلى بلادي؟ أمحارب ، أم راغب في ديني ، أم مستجير بي؟ فقلت له : رد على الملك ، ما أنا بمحارب ولا راغب في دينك ولا ممن يبتغي بدينه بدلاً بل مستجير به .

فذهب الرسول ورجع إلي وقال : الملك يقول لك إني أجيء إليك غداً فلا تحدث نفسك حدثاً ولا شيئاً من الميرة .

فقلت لأصحابي : افرشوا الفراش ، ففرش لي وجلست من الغد أرقبه ، وإذا هو قد أقبل وعليه بردان قد ائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ، حافي الرجلين ، ومعه عشرة معهم الحراب : ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه ، فاستصغرت أمره وسولت لي نفسي قتله ، فلما قرب إذا سواد عظيم ، قلت : ما هذا؟ قالوا : الخيل . فوافى بها عشرة آلاف عنان ، ووافت الخيل عند دخوله فأحدقوا بنا ، فلما دخل جلس على الأرض ، قال : فقلت لترجمانه : لِمَ لمْ يقعد على الموضع الذي وطئ له؟ فسأله ، فقال : قل له إنه ملك وكل ملك حقه أن يكون متواضعاً لله وعظمته إذ رفعه الله على عباده .

ثم نكت بإصبعه الأرض طويلاً ورفع رأسه وقال : قل له كيف سلبتم هذا الملك ،

فأخذ منكم وأنتم أقرب الناس إلى نبيكم؟ فقلت : جاء من هو أقرب منا قرابة إليه ، فسلبنا وغلبنا وطردنا فخرجت إليك مستجيراً بالله ، ثم بك .

قال : فلم كنتم تشربون الخمر وهو محرم عليكم؟ قلت : فعل ذلك عبيد وأعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا من غير رأينا .

قال : فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة وهي محرمة عليكم؟ قلت : فعل ذلك عبيد وأعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا بغير رأينا .

قال : فلم كنتم إذا خرجتم إلى الصيد مررتم على القرى وكلفتم أهلها ما لا طاقة لهم به بالضرب والإهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تحطموا زرعهم في طلب دراج قيمته نصف درهم ، والتكليف والعناء محرم عليكم؟ قلت : فعل ذلك عبيد وغلمان وأتباع .

قال : لا! ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم العز وألبسكم الذل ونصر أعداءكم عليكم ، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد ، وإني أخاف أن تنزل بك النقمة إذ كنت من الظلمة فتشملني معك ، فإن النقمة إذا نزلت شملت ، فاخرج بعد ثلاث ، فإن وجدتك بعدها أخذت ما معك وقتلتك ومن معك .

ثم وثب قائماً وخرج وقمت ثلاثاً ورجعت إلى مصر فأخذني عاملك وبعث بي إليك ، وها أنا ذا والموت أحب إلي من الحياة .

فرق له المنصور وهم بإطلاقه ، فقال له إسماعيل بن علي : في عنقي بيعة هذا .

قال : فما ترى؟ قال : ينزل في دار من دورنا ويجري عليه ما يجري على مثله .

ففعل به ذلك .

فراسة المنصور

ذكر عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجول في الطرقات فأرسل من أتاه به ، فسأله عن حاله فأخبره الرجل أنه خرج في تجارة فاستفاد مالاً وأنه رجع بالمال إلى منزله فدفعه إلى أهله ، فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها ولم تر نقباً ولا تسليقاً فقال له المنصور منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال أفبكراً تزوجتها قال لا قال فلها ولد من سواك قال لا فشابة هي أم مسنة قال بل حديثة ، فدعا له المنصور بقارورة طيب حاد الرائحة غريب النوع فدفعها إليه وقال له تطيب من هذا الطيب فإنه يذهب همك

فلما خرج الرجل من عند المنصور قال المنصور لأربعة من ثقاته ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم فمن مر بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب وأشمهم منه فليأتني به ، وخرج الرجل بالطيب فدفعه إلى امرأته وقال لها وهبه لي أمير المؤمنين ، فلما شمته بعثت إلى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت المال إليه فقالت له : تطيب من هذا الطيب فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي فتطيب منه الرجل ومن مجتاز ببعض أبواب المدينة فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه فأخذه فأتى به إلى المنصور

فقال له المنصور من أين استفدت هذا الطيب فإن رائحته غريبة قال اشتريته قال أخبرنا ممن اشتريته فتلجلج الرجل وخلط كلامه فدعا المنصور صاحب شرطته فقال له خذ هذا الرجل إليك فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخله يذهب حيث شاء وأن امتنع فاضربه ألف سوط فامتنع الرجل عن احضار المال فسجنه صاحب الشرطة فأذعن برد الدنانير وأحضرها بهيئتها ، فاعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير فقال له رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها أتحكمني في امرأتك قال نعم قال فهذه دنانيرك وقد طلقت المرأة عليك وخبره خبرها

الشاعر الظريف

قال عمرو بن عثمان : دخل المنصور قصراً ، فوجد في جداره كتاباً :

(ومالي لا أبكي بعين حزينة وقد قربت للظّاعنين حمول)

وتحته مكتوبٌ : إيه إيه؟ – قالَ أبو عمروٍ : ويروى آه آه – فقال المنصور : أيّ شيءٍ إيه إيه؟ فقال له الربيع ، وهو إذ ذاك تحت يدي أبي الخًصَيب الحاجب : يا أمير المؤمنين : إنّه لّما كتب البيت أحبّ أن يخبر أنّه يبكي ، فقال : قاتله الله ما أظرفه .

المهدي

سعيد بن عبد الرحمن والمهدي

قال داود بن الرشيد قال : قلت للهيثم بن عديّ : أي شيء استحق سعيد بن عثمان أن ولاه المهدي القضاء ، وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة؟

قال : أن خبره في اتصاله بالمهدي ظريف ، فان أحببت شرحته لك .

قال : قلت : والله ما أحببت غير ذلك .

قال : اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة الى المهدي ، فقال : استأذن على أمير المؤمنين .

فقال له الربيع : من أنت وما حاجتك؟

قال : أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة ، وقد أحببت أن تذكروني له .

فقال له الربيع : يا هذا ان القوم لا يصدقون ما يرونه لأنفسهم ، فكيف ما يراه لهم غيرهم؟

فقال له : إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني اليه ، فأخبرته أني سألتك الإذن عليه ، فلم تفعل .

فدخل الربيع على المهدي فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنكم قد أطعمتم الناس في أنفسكم ، فقد احتالوا لكم بكل ضرب .

قال له : هكذا صنع المملوك ، فما ذاك؟

قال : رجل بالباب يزعم أنه قد رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة ، وقد أحبّ أن يقصها عليه .

فقال له المهدي : ويحك يا ربيع ، اني والله أرى الرؤيا لنفسي ، فلا تصح لي ، فكيف اذا دعاها من لعله قد افتعلها؟

قال : والله قلت له مثل هذا ، فلم يقبل .

قال : هات الرجل .

فأدخل اليه سعيد بن عبد الرحمن وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان ، فقال له المهدي : هات بارك الله عليك ، فماذا رأيت؟

قال : رأيت أمير المؤمنين آتيا أتاني في منامي ، فقال لي : أخبر أمير المؤمنين المهدي أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة ، وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلّب يواقيت ، ثم يعدها ، فيجدها ثلاثين ياقوتة ، كأنها قد وهبت له .

فقال المهدي : ما أحسن ما رأيت ، ونحن نمتحن رؤياك في ليلتك المقبلة على ما أخبرتنا به ، فان كان الأمر على ما ذكرته أعطيناك ما تريد ، وان كان الأمر بخلاف ذلك ، لعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت .

فقال له سعيد : يا أمير المؤمنين ، فما أنا أصنع الساعة اذا صرت الى منزلي وعيالي ، فأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفرا؟

قال له المهدي : فكيف نعمل؟

قال : يعجّل لي أمير المؤمنين ما أحب وأحلف له بالطلاق أني قد صدقت .

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يؤخذ منه كفيل ليحضره من غد ذلك اليوم ، فقبض المال ، وقيل من يكفل بك؟

فمدّ عينيه الى خادم فرآه حسن الوجه والزي ، فقال : هذا يكفل بي .

فقال له المهدي : أتكفل به؟

فاحمرّ وخجل وقال : نعم . وكفله ، وانصرف .

فلما كان في تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفا حرفا وأصبح سعيد في الباب واستأذن فأذن له ، فلما وقعت عين المهدي عليه قال : أين مصداق ما قلت لنا؟

فقال سعيد : امرأتي طالق ان لم تكن رأيت شيئا .

قال له المهدي : ويحك ، ما أجرأك على الحلف بالطلاق .

قال : لأنني أحلف على صدق .

قال له المهدي : فقد والله رأيت ذلك مبينا .

فقال له سعيد : الله أكبر! فأنجز يا أمير المؤمنين ما وعدتني .

قال له : حبّا وكرامة . ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار ، وعشرة تخوت ثياب من كل صنف ، وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة .

فأخذ ذلك وانصرف ، فلحق به الخادم الذي كان كفل به ، وقال له : سألتك بالله هل كان لهذه الرؤيا التي ذكرتها من أصل؟

قال له سعيد : لا والله .

قال الخادم : كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له؟

قال : هذه من المخاريق الكبار التي لا يأبه لها أمثالكم ، وذلك أني لما ألقيت اليه هذا الكلام خطر بباله ، وحدّث به نفسه ، وأسرّ به قلبه ، وشغل به فكره ، فساعة نام خيّل له ما حلّ في قلبه ، وما كان شغل به فكره في المنام .

قال له الخادم : قد حلفت بالطلاق!

قال : طلقت واحدة ، وبقيت معي اثنتين فأرد في مهر عشرة دراهم ، وأتخلّص وأتحصّل على عشرة آلاف درهم ، وثلاثة آلاف دينار ، وعشرة تخوت من أصناف الثياب ، وثلاثة مراكب .

فبهت الخادم في وجهه وتعجّب من ذلك ، فقال له سعيد : قد صدقتك وجعلت

صدقي لك فكافأتك على كفالتك بي ، فاستر عليّ ذلك .
ففعل ذلك ، فطلبه المهدي لمنادمته ، فنادمه وحظي عنده وقلّده القضاء على عسكر المهدي ، فلم يزل كذلك حتى مات المهدي .

قعد المهدي قعودا عامّا للناس ، فدخل رجل ، وفي يده نعل ملفوفة في منديل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم قد أهديتها لك .
فقال : هاتها .
فدفعها اليه ، فقبّل باطنها ووضعها على عينيه وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم .
فلما أخذها وانصرف قال لجلسائه :
أترون أني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم لم يرها فضلا عن أن يكون لبسها؟ ولو كذبناه قال للناس : «أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم فردّها عليّ» وكام من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره ، اذ كان من شأن العامّة ميلها الى أشكالها والنصرة للضعيف على القوي ، وان كان ظالما اشترينا لسانه وقبلنا هديّته وصدّقنا قوله ، ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح .

الأعرابي وأمير المؤمنين

خرج المهدي[(١)] يتصيد ، فغار به فرسه حتى وقع في خباء أعرابي ، فقال : يا أعرابي هل من قرى؟
فأخرج له قرص شعير فأكله ، ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ، ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه ، فلما شرب قال : أتدري من أنا؟
قال : لا
قال : انا من خدم أمير المؤمنين الخاصة
قال : بارك الله لك في موضعك ، ثم سقاه مرة أخرى ، فشرب فقال : يا أعرابي : أتدري من انا؟

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله . هو ثالث خلفاء الدولة العباسية بالعراق . ولد بإيذج من كور الأهواز عام ١٢٧ هـ 745\م وتوفي بماسبذان أمه هي أم موسى بنت منصور الحميرية .

قال : زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة
فقال : لا أنا من قواد أمير المؤمنين
قال : رحبت بلادك وطاب مرادك
يا أعرابي : أتدري من أنا؟
قال : زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين .
فقال لا ، ولكني أمير المؤمنين
فقال الأعرابي : إليك عني ، فوالله لو شربت الرابعة ، لادعيت أنك رسول الله .

أبو دلامة والمهدي

قال العتّابي : دخل أبو دلامة على المهديّ ، فقال : أقطعني قطيعةً أعيش فيها أنا وعيالي ؛ قال : قد أقطعك أمير المؤمنين مئة جريب من العامر ومئة جريب من الغامر ؛ قال : وما الغامر؟ قال : الخراب الذي لا ينبت ؛ قال أبو دلامة : قد أقطعت أمير المؤمنين خمس مئة جريب من الغامر من أرض بني أسد ؛ قال : فهل بقي لك حاجةٌ؟ قال : نعم تأذن لي أنْ أقبل يدك؟ قال : ما إلى ذلك سبيلٌ ؛ قال : والله ما رددتني عن حاجة أهون عليّ فقداً منها .

هدية أبو دلامة للمهدي

دخل أبو دلامة على المهدي وبين يديه سلمة الوصيف واقفا (الوصيف الخادم الرشيق) فقال ك إني أهديت إليك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله فإن رأيت أن تشرفني بقبوله فأمره بإدخاله إليه فخرج وأدخل إليه دابته التي كانت تحته فإذا به برذون (حيوان يشبه البغل) محطم أعجف هرم . فقال له المهدي أي شيء هذا ويلك ! ألم تزعم إنه مهر !؟ فقال له : أوليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائما تسميه الوصيف وله ثمانون سنة وهو عندك وصيف !! فإن كان سلمة وصيفا فهذا مهر فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك

أبو دلامة يهجو نفسه لينجو

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم فقال : أنا أعطي الله عهدا لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لأقطعن لسانك ولأضربن عنقك .

فنظر إليه القوم فكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة : فعلمت أني قد وقعت وأنها عزمة من عزماته لا بد منها فلم أر أحدا أحق بالهجاء مني ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي فقلت :

ألا أبلغ إليك أبا دُلامة فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لبس العمامة كان قردا وخنزيرا إذا نزع العمامة
جمعت دمامة وجمعت لؤما كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
فإن تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه .

أبو دلامة في قن الدجاج

يروي أن أبا دلامة سكر ذات ليلة فأتي به إلي المهدي فأمر بان يحبس في بيت الدجاج ، فلما مضي جزء من الليل صحا أبو دلامة من سكره ورأي نفسه بين الدجاج فصاح يا صاحب البيت ، فأجابه السجان قائلا : ما لك يا عدو الله ؟ قال له : ويلك ، من أدخلني مع الدجاج ؟

قال : أعمالك الخبيثة أتي بك إلي أمير المؤمنين وأنت سكران . فأمر بتمزيق طيلسانك الذي كان قد أهداه إليك وبحبسك مع الدجاج . قال أبو دلامة : أو تقدر على أن توقد سراجاً وتجيئني بدواة وورق؟

فأتاه بدواة وورق . فكتب إلي المهدي أبياتا يقول فيها :

أمير المؤمنين فدتك نفسي علام حبستني وخرقت ساجي
أقاد إلى السجون بغير ذنب
كأني بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لهان وجدي
ولكني حبست مع الدجاج

ثم قال أوصلها إلي أمير المؤمنين فأوصلها إليه السجان .

فلما قرأها المهدي أمر بإطلاقه وإحضاره وقال له : اين بت الليلة يا أبا دلامة؟

قال : مع الدجاج يا امير المؤمنين . قال فما كنت تصنع؟

قال : كنت أقاقي معهن حتى أصبحت . فضحك المهدي وامر له بصلة جزيلة وخلع عليه كسوة شريفة

المهدي ومدعي النبوة

قيل : ادعى رجل من الأعراب النبوة في زمن المهدي العباسي
فاعتقله الجند وساقوه الى المهدي فقال له : أأنت نبي؟
قال : نعم قال المهدي : إلى من بعثت؟
قال الأعرابي : أو تركتموني ابعث الى أحد؟
بعثت في الصباح واعتقلتموني في المساء !!

وكان في زمن المهدي رجل ادعى النبوة فأحضروه إلى المهدي . فقال له : ما أنت؟ قال : نبي . قال : إلى من بعثت؟ فقال له : ما أكثر فضولك! إيش عليك؟ قال : قل ، وإلا أمرت بقتلك . قال : بعثت إلى أهل خراسان . قال : ولم لم تسافر إليهم؟ قال : ما معي نفقة ، فضحك منه وأمر له بنفقة ، وقال : هذا قد غلبت عليه المرة .

تزكية أمير المؤمنين

قال المهدي لشريك : لو شهد عندك عيسى كنت تقبله؟ وأراد أن يغري بينهما ؛ فقال : من شهد عندي سألت عنه ، ولا يسأل عن عيسى إلا أمير المؤمنين ، فإن زكّيته قبلته .

أمير المؤمنين أعلم

دخل أعرابي على المهدي ، فأنشده شعراً فقال فيه : وجوار زفرات
فقال المهدي : أي شيء زفرات؟
قال : وما تعرفها يا أمير المؤمنين؟
قال : لا والله
قال : فأنت أمير المؤمنين وسيد المرسلين ما تعرفها أعرفها أنا؟ كلا والله

المهدي ومؤدب الرشيد

كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد فدعاه يوماً المهدي وهو يستاك فقال : كيف تأمر من السواك؟

قال : «استك يا أمير المؤمنين»

فقال المهدي : «إنا لله»

ثم قال : «التمسوا من هو أفهم من هذا»

قالوا : «رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي[1] من أهل الكوفة قدم من البادية قريباً» فلما قدم على الرشيد قال له : «يا علي» قال : «لبيك يا أمير المؤمنين» قال : «كيف تأمر من السواك» قال : «سك يا أمير المؤمنين»

قال : «أحسنت وأصبت .» وأمر له بعشرة آلاف درهم .

الهادي والخارجي

ذكر صاحب الكردان : أن الهادي[٤١] كان يوماً في بستان يتنزه على حمار ، ولا سلاح معه وبحضرته جماعة ، من خواصه وأهل بيته ، فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له بأس ومكايد ، وقد ظفر به بعض القواد فأمر الهادي بإدخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه . فلما أبصر الخارجي الهادي جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما وقصد الهادي ففر كل من كان حوله وبقي وحده ، وهو ثابت على حماره ، حتى إذا دنا منه الخارجي وهم أن يعلوه بالسيف أومأ إلى وراء الخارجي وأوهمه أن غلاماً وراءه وقال : يا غلام اضرب عنقه ، فظن الخارجي أن غلاماً وراءه والتفت الخارجي ، فنزل الهادي مسرعاً عن حماره فقبض على عنق الخارجي وذبحه بالسيف الذي كان معه ، ثم عاد إلى ظهر حماره من فوره ، وأتباع الهادي ينظرون إليه ويتسللون عليه وقد ملئوا منه حياءً ورعباً ، فما عاتبهم ولا خاطبهم في ذلك بكلمة ، ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ، ولم يركب إلا جواداً من الخيل .

حسن الجواب

أُحضِرَ إلى الهادي رجلٌ من أصحابِ عبد الله بن مالك ، فوبخه على ذنب ، فقال : يا أمير المؤمنين إن إقراري يُلزمني ذَنباً لم أفعله ، ويلحق بي جُرماً لم أقف

(١) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكسائي مولى بني أسد من أصول فارسية . كان إمام الكوفيين في اللغة والنحو ، وسابع القراء السبعة . ويعد المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية في النحو .

عليه ، وإنكاري ردٌ عليك ، ومعارضةٌ لك ولكني أقول :

فإنْ كُنتَ تبغي بالعقابِ تشفيّاً	فلا تزهدنَّ عندَ التجاوز في الأجرِ

فقال : لله درّك من معتذرٍ بحق أو باطل ، ما أمضى لسانك ، وأثبتَ جنانك (عقلك) وعفا عنه وخلّى سبيله .

هارون الرشيد

بويع له بالخلافة في الليلة التي توفي فيها أخوه وولد في تلك الليلة المأمون ، وكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها في بني العباس مات فيها خليفة ، وولي فيها خليفة ، وولد فيها خليفة .

أم الرشيد

روي عن الرشيد أنه رأى يوما في داره حزمة خيزران ، فقال لوزيره الفضل بن الربيع[١] : ما هذه؟ فقال : عروق الرماح يا أمير المؤمنين . ولم يرد أن يقول الخيزران لموافقته اسم أم الرشيد .

الرشيد والمستقية

ويحكى أن هارون الرشيد مر في بعض الأيام وبصحبته جعفر البرمكي[٢] وإذا هو بعدة بنات يستقون الماء فعرج عليهن يريد الشرب وإذا إحداهن تقول :

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت المنام

كي أستريح وتنطفي	نار تأجج في العظام

دنفٌ تقلبه الأكف	على بساط من سقام

فأعجب أمير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها . فقال لها : يا بنت الكرام هذا من

---

(١) هو موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم - ويلتقي نسب الهادي مع النبي في عبد المطلب بن هاشم

(٢) وهو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة بن كيسان مولى عثمان بن عفان ، ووزير الأمين الخليفة العباسي ، كان أبوه هو الربيع بن يونس وزيراً في عهد المنصور والمهدي والهادي وقد ولد في مدينة الخليل عام ١٣٨ هجري وتوفي عام ٢٠٨هـ

قولك أم من منقولك؟ قالت : من قولي .

قال : إن كان كلامك صحيحاً فأمسكي المعنى وغيري القافية فأنشدت تقول :

قولـــي لطيفـــك ينثنـــي عـــن مضجعـــي وقـــت الوسن
كـــي أستريـــح وتنطفـــي نـــارٌ تأجـــج فـــي البـــدن
دنـــف تقلبـــه الأكـــف علـــى بســـاط مـــن شجـــن
أمـــا أنـــا فكـــما علـم؟ ت فهـــل لوصلـــك من ثمـــن؟

فقال لها : والآخر مسروق .

قالت : بل كلامي .

فقال : إن كان كلامك أيضاً فأمسكي المعنى وغيري القافية . فقالت :

قولـــي لطيفـــك ينثنـــي عـــن مضجعـــي وقت الرقـــاد
كـــي أستريـــح وتنطفـــي نـــار تأجـــج فـــي الفـــؤاد
دنـــف تقلبـــه الأكـــف علـــى بســـاط مـــن حـــداد
أمـــا أنا فكمـــا علـــم؟ ت فهـــل لوصلـــك مـــن سداد؟

فقال لها : والآخر مسروق .

فقال : بل كلامي .

فقال لها : إن كان كلامك فأمسكي المعنى وغيري القافية . فقالت :

قولـــي لطيفـــك ينثنـــي عـــن مضجعـــي وقـــت الهجـوع
كـــي أستريـــح وتنطفـــي نـــار تأجـــج فـــي الضلـــوع
دنـــف تقلـــبه الأكـــف علـــى بســـاط مـــن دموع
أمـــا أنـــا فكمـــا علـــم؟ ت فهـــل لوصلـــك من رجـــوع؟

فقال لها أمير المؤمنين : أنت من أي هذا الحي؟ قالت : من أوسطه بيتاً ، وأعلاه عموداً .

فعلم أمير المؤمنين أنها بنت كبير الحي . ثم قالت : وأنت من أي راعي الخيل؟ فقال : من أعلاها شجرة وأينعها ثمرة .

فقبلت الأرض وقالت : أيد الله أمير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب .

فقال الخليفة لجعفر : لا بد من أخذها فتوجه جعفر إلى أبيها ، وقال له : أمير المؤمنين يريد بنتك .

فقال : حباً وكرامة ، تهدى جارية إلى أمير المؤمنين مولانا .

ثم جهزها وحملها إليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من أعز نسائه وأعطى والدها ما يستره بين العرب من الأنعام . ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة إلى رحمة الله تعالى ، فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب ، فلما شاهدته وعليه الكآبة ، نهضت ودخلت إلى حجرتها وقلعت ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن وقامت النعي له .

فقيل لها : ما سبب هذا؟ فقالت : مات والدي ، فمضوا إلى الخليفة فأخبروه فقام وأتى إليها وسألها من أعلمها بهذا الخبر؟ قالت : وجهك يا أمير المؤمنين .

قال : كيف ذلك؟ قالت : منذ أنا عندك ما رأيتك هكذا ولم يكن لي من أخاف عليه إلا والدي لكبره ، ويعيش رأسك أنت يا أمير المؤمنين . فترقرقت عيناه بالدموع وعزاها فيه ، وقامت مدة ، وهي حزينة على والدها ثم لحقت به .

منزلة جعفر عند الرشيد

فمن ذلك ما حكاه ابن المهدي عم الرشيد ، وهو إبراهيم المعروف بابن شكلة ، وكانت شكلة أمة سوداء ، وقد ذكر أن إبراهيم كان أسود شديد السواد ، وكان من الطبقة العليا في صنعة العود قال : قال لي جعفر يوماً : يا إبراهيم : إذا كان غد فأبكر إلي .

فلمام كان الغد مشيت إليه بكرة ، فجلسنا نتحدث . فلما ارتفع النهار أحضر حجاماً فحجمنا ، ثم قدم لنا الطعام فطعمنا ثم خلع علينا ثياب المنادمة ، وقال جعفر لخادمه : لا يدخل علينا أحد إلا عبد الملك القهرماني .

فنسي الحاجب ما قال فجاء عبد الملك بن صالح الهاشمي ، وكان رجلاً من بني هاشم ذا ملاحة وعلم وحلم وجلالة قدر وفخامة ذكر وصيانة وديانة ، فظن الحاجب أنه الذي أمره بإدخاله عليهما ، فلما رآه جعفر تغير لونه ورآهم عبد الملك بن صالح على تلك الحالة ، وظهر له أنهم احتشموه فأراد أن يرفع خجله وخجلهم بمشاركته لهم في فعلهم فقال : اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم .

فجاءه الخادم فطرح عليه ثياب المنادمة ثم جلس للشراب ، فلما بلغ ثلاثاً قال للساقي : لتخفف عني فإني ما شربته قط .

فتهلل وجه جعفر فقال له : هل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي

فأقضيها لك مكافأة لما صنعت؟ قال : بلى ، إن أمير المؤمنين علي غاضب ، فسله الرضا عني .

قال : قد رضي عنك أمير المؤمنين .

قال : علي أربعة آلاف دينار .

قال : هي لك حاضرة من مال أمير المؤمنين .

قال : وابني إبراهيم أريد أن أشد ظهره بصهر من أمير المؤمنين .

قال : قد زوجه أمير المؤمنين بابنته عائشة .

قال : وأحب أن تخفق الألوية على رأسه .

قال : نعم ، قد ولاه أمير المؤمنين مصر .

قال إبراهيم بن المهدي ، فانصرف عبد الملك بن صالح وأنا أتعجب من إقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان . فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم نلبث أن دعا بأبي يوسف القاضي ومحمد بن واسع وإبراهيم بن عبد الملك فعقد له النكاح وحملت البدر إلى منزل عبد الملك وكتب سجل إبراهيم على مصر وخرج جعفر فأشار إلي فلما سار إلى منزله ونزلت بنزوله التفت إلي وقال : لعل قلبك معلق بأمر عبد الملك بن صالح فأحببت معرفة خبره .

قلت : نعم .

قال لي : لما دخلت على أمير المؤمنين وتمثلت بين يديه وابتدأت القصة من أولها إلى آخرها ، كما كانت ، قال الرشيد : أحسن والله أحسن والله . ثم قال : ما صنعت؟ فأخبرته عما سأل وبما أجبته في ذلك فقال : أحسنت . وخرج إبراهيم والياً على مصر من يومه

الرشيد والبرمكية

حكى ان امرأة دخلت على هارون الرشيد وعنده جماعه من وجوه أصحابه فقالت : يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما أعطاك لقد حكمت فقسطت فقال : من تكونين أيتها المرأة؟ فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم فقال : أما الرجال فقد مضى فيهم قضاء الله وأما المال فمردود إليك ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه وقال : أتدرون ما قالت هذه المرأة فقالوا : ما نراها قالت إلا خيرا ، قال : ما أظنكم فهمتم ذلك ، أما قولها أقر الله عينك أي أسكتها عن الحركة وإذا سكتت

العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك الله بما أعطاك أخذته من قوله تعالى ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة﴾ وأما قولها : حكمت فقسطت أخذته من قوله تعالى ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ .

الرشيد وإسماعيل بن صالح

وقال الرشيد يوماً للفضل بن يحيى ، وهو بالرقة : قد قدم إسماعيل ابن صالح بن علي ، وهو صديقك ، وأريد أن أراه؟ فقال : إن أخاه عبد الملك في حبسك وقد نهاه أن يجيئك .

قال الرشيد : فإني أتعلل حتى يجيئني عائداً؟ فتعلل ، فقال الفضل لإسماعيل : ألا تعود أمير المؤمنين؟ قال : بلى .

فجاءه عائداً فأجلسه ، ثم دعا بالغداء ، فأكل وأكل إسماعيل بين يديه ، فقال له الرشيد : كأني قد نشطت برؤيتك إلى شرب قدح ، فشرب وسقاه ، ثم أمر فأخرج جوار يغنين وضربت ستارة وأمر بسقيه ، فلما شرب أخذ الرشيد العود من يد جارية ووضعه في حجر إسماعيل وجعل في عنقه سبحة ، وفيها عشرة حبات من در شراؤها بثلاثين ألف دينار ، وقال : عن يا إسماعيل ، وكفر عن يمينك بثمن هذه السبحة ، فاندفع يغني شعر الوليد بن يزيد في غالية أخت عمر بن عبد العزيز ، وكانت تحته ، وهي التي ينسب إليها سوق الغالية ، فقال :

فأقسم ما أدنيت كفي لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبةٌ من الدهر إلا قد أصابت فتى مثلي

فسمع الرشيد أحسن غناء من أحسن صوت . فقال : الرمح يا غلام .

فجيء بالرمح ، فعقد له لواء على إمارة مصر .

قال إسماعيل : فوليتها سنتين فأوسعتها عدلاً . وانصرفت بخمسمائة ألف دينار ، وبلغ أخاه عبد الملك ولايته ، فقال : غني والله الخبيث لهم ، ليس هو بصالح .

هارون والأعرابي

قدم أعرابي حين ولي هارون الخلافة فقيل له : فيم جئت؟ قال : أتيت برسالة .

قال : ائت بها .

قال : أتاني آت في منامي فقال : ائتِ أمير المؤمنين فابلغه هذه الأبيات :

تــوارثـــت الخلافــــة فـــي قريـــشٍ   تـــزف إليكمـــا أبـــداً عروســــــا

إلـــى هـــارون تهـــدي بعد موســـىً   تميـــس ، ومـــا لهـــا أن لا تميســـا

فأعطاه الرشيد عطاء جزيلاً وصرفه .

أعرابي يزاحم الرشيد

يروى أنه لما دخل هارون الرشيد إلى مكة ، شرفها الله تعالى ، وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك لينفرد بالطواف . فسبقه أعرابي ، فشق ذلك على الرشيد فالتفت إلى حاجبه منكراً عليه ، فقال الحاجب للأعرابي : تخل عن الطواف حتى يطوف أمير المؤمنين .

فقال الأعرابي : إن الله قد ساوى بين الإمام والرعية في هذا المقام ، فقال عز وجل : ﴿سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ .

فلما سمع الرشيد من الأعرابي ذلك راعه أمره فأمر حاجبة بالكف عنه ، ثم جاء الرشيد إلى الحجر الأسود ليستلمه فسبقه الأعرابي فاستلمه ، ثم أتى الرشيد إلى المقام للمصلي فسبقه الأعرابي فصلى فيه ، فلما فرغ الرشيد من صلاته قال : لحاجبه : آتني بهذا الأعرابي ، فأتاه الحاجب فقال : أجب أمير المؤمنين .

فقال : ما لي إليه من حاجة إن كان له حاجة فهو أحق بالقيام إلي والسعي .

فقام الرشيد حتى وقف بإزاء الأعرابي وسلم عليه ، فرد عليه السلام ، فقال له الرشيد : يا أخا العرب اجلس هنا بأمرك .

فقال الأعرابي : ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلنا فيه سواء .

فإن شئت تجلس ، وإن شئت تنصرف .

قال الراوي : فعظم ذلك على الرشيد وسمع ما لم يكن في ذهنه ، وما ظن أنه يواجهه أحد بمثل هذا الكلام . فجلس الرشيد وقال : يا أعرابي ، أريد أن أسألك عن فرضك ، فإن أنت قمت به فأنت بغيره أقوم ، وإن أنت عجزت عنه فأنت عن غيره أعجز .

فقال الأعرابي : سؤالك هذا سؤال تعلم أم سؤال تعنت؟ فتعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال : بل سؤال تعلم .

فقال له الأعرابي : قم فاجلس مقام السائل من المسؤول .

قال : فقام الرشيد وجثا على ركبتيه بين يدي الأعرابي ، فقال : قد جلست فاسأل عما بدا لك .

فقال له : أخبرني عما افترض الله عليك؟ فقال له : تسألني عن أي فرض عن فرض واحد ، أم عن خمسة ، أن عن سبعة عشر ، أم عن أربعة وثلاثين ، أم عن خمسة وثمانين ، أم عن واحدة في طول العمر ، أم عن واحدة في أربعين ، أم عن خمسة من مائتين .

قال : فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزاء به ، ثم قال : له : سألتك عن فرضك فأتيتني بحساب الدهر؟ قال : يا هارون لولا أن الدين بالحساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة ، فقال تعالى : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ .

قال : فظهر الغضب في وجه الرشيد واحمرت عيناه حين قال : يا هارون ، ولم يقل له : يا أمير المؤمنين ، وبلغ مبلغاً شديداً غير أن الله تعالى عصمه منه وحال بينه وبينه لما علم أنه هو الذي أنطق الأعرابي بذلك ، فقال له الرشيد : يا أعرابي ، إن فسرت ما قلت نجوت وإلا أمرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة .

فقال له الحاجب : يا أمير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى ولهذا المقام الشريف؟ قال : فضحك الأعرابي من قولهما حتى استلقى على قفاه ، فقال : م تضحك؟ قال : عجباً منكما إذ لا أدري أيكما أجهل الذي يستوهب أجلاً قد حضر أم من يستعجل أجلاً لم يحضر؟

قال : هاك الرشيد ما سمعه منه وهانت نفسه عليه ، ثم قال : الأعرابي : أما سؤالك عما افترض الله علي ، فقد افترض علي فرائض كثيرة ، فقولي لك عن فرض واحد : فهو دين الإسلام ، وأما قولي لك عن خمسة : فهي الصلوات ؛ وأما قولي لك عن سبعة عشرة : فهي سبعة عشرة ركعة ؛ وأما قولي لك عن أربعة وثلاثين : فهي السجدات ؛ وما قولي لك عن خمسة وثمانين : فهي التكبيرات ؛ وأما قولي لك عن واحدة في طول العمر : فهي حجة الإسلام واحدة في طول العمر كله ،

قال : فامتلأ الرشيد فرحاً وسروراً من تفسير هذه المسائل ، ومن حسن كلام الأعرابي وعظم الأعرابي في عينه وتبدل بغضه محبة ، ثم قال : الأعرابي : سألتني فأجبتك وأنا أريد أن أسألك فأجبني .

قال : قل .

فقال الأعرابي : ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة ، فلما كان وقت الظهر حلت له ، فلما كان في وقت العصر حرمت عليه ، فلما كان وقت المغرب حلت له ، فلما كان وقت العشاء حرمت عليه ، فلما كان وقت الصبح حلت له ، فلما كان وقت الظهر حرمت عليه ، فلا كان وقت العصر حلت له ، فلما كان وقت المغرب حرمت عليه ، فلما كان وقت العشاء حلت له .

فقال : والله يا أخا العرب لقد أوقعتني في بحر لا يخلصني منه غيرك .

فقال له : أنت خليفة ليس فوقك شيء ولا ينبغي أن تعجز عن مسألة فكيف عجزت عن مسألتي وأنا رجل بدوي لا قدرة لي؟ فقال الرشيد : قد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك فأشتهي إكراماً لي ، ولهذا المقام تفسير ذلك .

فقال : حباً وكرامة ولكن على شرط أن تجبر الكسير وترحم الفقير ولا تزدري الحقير .

فقال : حباً وكرامة ، ثم قال : إن قولي لك عن رجل نظر إلى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراماً فهو رجل نظر إلى أمة غيره وقت الفجر فهي حرام عليه ، فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلت له ، فلما كان وقت العصر أعتقها ، فحرمت عليه ، فلما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له ، فلما كان وقت العشاء طلقها فحرمت عليه ، فلما كان وقت الفجر رجعها فحلت له ، فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصر أعتق عنها ، فحلت له ، فلما كان وقت المغرب ارتد عن الإسلام فحرمت عليه . فلما كان وقت العشاء تاب ورجع إلى الإسلام فحلت له .

قال : فاغتبط الرشيد وفرح به واشتد إعجابه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما حضرت قال : لا حاجة لي بها ردها إلى أصحابها .

فقال له : أريد أن أجري لك جراية تكفيك مدة حياتك؟ قال : الذي أجرى عليك يجري علي .

---

٤٣ . هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد وحامل خاتم السلطة .كان أبوه قد أرسله إلى القاضي أبو يوسف لتعليمه وتفقيهه . اشتهر بمكانته من هارون الرشيد وعلو قدره ونفاذ كلمته .

قال : فإن كان عليك دين قضيناه عنك؟ قال : لا ، ولم يقبل منه شيئاً ، ثم أنشد يقول :

هب الدنيا توافينا سنينا ... فتكدر ساعة وتلذ حينا

فما أبغي لشيء ليس يبقى ... وأتركه غداً للوارثينا

كأني بالتراب علي يحثى ... وبالإخوان حولي نادبينا

ويوم تزفر النيران فيه ... وتقسم جهرةً للسامعينا

وعزة خالقي وجلال ربي ... لأنتقمن منهم أجمعينا

وقد شاب الصغير بغير ذنبٍ ... فكيف يكون حال المجرمينا

فلما فرغ من إنشاده تأوه الرشيد وسأله عن أهله وبلاده ، فأخبره أنه موسى الرضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وكان يتزيا بزي أعرابي زهداً في الدنيا وتباعداً عنها ، فقام إليه الرشيد وقبل ما بين عينيه ، ثم قرأ «الله أعلم حيث يجعل رسالته» ، وانصرف .

الرشيد ومدعي النبوة

ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد ، فلما مثل بين يديه قال له : ما الذي يقال عنك؟ قال : إني نبي كريم . قال : فأي شيء يدل على صدق دعواك؟ قال : سل عما شئت . قال :

أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى ، فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقال : كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة ، وإنما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا في لحظة واحدة ، فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة

الرشيد والرجل الأموي

من غريب ما يحكى ، ما حكاه القاضي أبو الحسن التنوخي[1] في كتاب الفرجِ بعد الشدة : أن منارة وكان صاحب شرطة الرشيد قال رفع إلى هارون الرشيد أن رجلاً

(١) المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري ، أبو علي : قاض ، من العلماء الأدباء الشعراء . ولد ونشأ في البصرة .

بدمشق من بقايا بني أمية عظيم المال كثير الجاه ، مطاعاً في البلد ، له جماعة وأولاد ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم ، وأنه سمح جواد كثير البذل والضيافة ، وأنه لا يؤمن منه ، فعظم ذلك على الرشيد .

قال منارة : وكان وقوف الرشيد على هذا ، وهو بالكوفة في بعض حججه ، في سنة ست وثمانين ومائة ، وقد عاد من الموسم ، وقد بايع للأمين والمأمون والمعتصم أولاده ، فدعاني ، وهو خال ، وقال : إني دعوتك لأمر يهمني ، وقد منعني النوم ، فانظر كيف يكون؟ ثم قص علي خبر الأموي . وقال : اخرج الساعة فقد أعددت لك الخيول وأزحت علتك في الزاد والنفقة والآلة ، وتضم إليك مائة غلام واسلك البرية ، وهذا كتابي إلى نائب دمشق ، وهذه قيود فابدأ بالرجل ، فإن سمع وأجاع فقديه وجئني به ، وإن عصى فتوكل عليه أنت ومن معك لئلا يهرب ، وانفذ الكتاب إلى أمير دمشق ليكون مساعداً لك ، واقبضا عليه وجئني به ، وأجلت لذهابك ستاً ولإيابك ستاً ويوماً لمقامك ، وهذا محمل تجعله في شقة منه ، إذا قيدته ، وتقعد أنت في الشقة الأخرى ، ولا تكل حفظه إلى غيرك ، حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك . فإذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها من أهله وولده وحاشيته وغلمانه ، وقدر نعمته والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفاً بحرف من ألفاظه منذ يقع طرفك عليه حتى تأتيني به ، وإياك أن يشكل عليك شيء من أمره . انطلق .

قال منارة : فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الإبل وسرت أطوي المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل إلا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس النفس قليلاً إلى أن وصلت إلى دمشق في أول الليلة السابعة ، وأبواب البلد مغلقة فكرهت طروقها ليلاً فبت بظاهر البلد إلى أن فتح بابها من غد ، فدخلت حتى أتيت باب الرجل ، وعليها صف عظيم وحاشية كثير ، فلم أستأذن ودخلت بغير إذن ، فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معي عني . قال : هذا منارة رسول أمير المؤمنين إلى صاحبكم .

قال : فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلساً رأيت فيه قوماً جلوساً فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بين فقلت : أفيكم فلان؟ قالوا : نحن أولاده وهو في الحمام .

فقلت : استعجلوه .

فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والأحوال والحاشية فوجدتها ماجت بأهلها موجاً كبيراً فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال مكثه واستربت منه

واشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى إلى أن رأيت شخصاً بزي الحمام يمشي في صحن الدار وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان ، وهم أولاده وغلمانه ، فقلت : إنه الرجل ، فجاء وجلس وسلم علي سلاماً خفيفاً وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته ، فأخبرته بما وجب وما قضى كلامه حتى جاءوا بأطباق فاكهة فقال : تقدم يا منارة وكل معنا .

فقلت : ما لي إلى ذلك من سبيل .

فلم يعاودني فأكل هو ومن معه ثم غسل يديه ودعا بالطعام ، فجاءوا إليه بمائدة حسنة لم أر مثلها إلا للخليفة ، فقال : يا منارة ساعدنا على الأكل . لا يزيد على أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة ، فامتنعت عليه ، فما عادوني فأكل هو ومن معه ، وكانوا تسعة من أولاده ، فتأملت أكله في نفسه فوجدته يأكل أكل الملوك ووجدت ذلك الاضطراب الذي كان في داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون شيئاً من بين يديه قد وضع على المائدة لا تهيأ غيره حالاً أعظم وأحسن منه . وقد كان غلمانه أخذوا لما نزلت إلى الدار مالي وغلماني وعدلوا بهم إلى دار أخرى فما أطاقوا ممانعتهم ، وبقيت وحدي وليس بين يدي إلا خمس أو ست غلمان وقوف على رأسي فقلت في نفسي : هذا جبار عنيد . فإن امتنع من الشخوص لم أطق إشخاصه بنفسي ولا بمنم معي ولا حفظ إلى أن يلحقني أمير البلد ، وجزعت جزعاً شديداً ورابني منه استخفافه وتهاونه بأمري ، يدعوني باسمي ولا يفكر في امتناعي من الأكل ولا يسأل عما جئت به ويأكل مطمئناً ، وأنا مفكر في ذلك ، فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخر وقام إلى الصلاة وصلى الظهر ، وأكثر من الدعاء والابتهال ، ورأيت صلاته حسنة ، فلما انتقل من المحراب أقبل علي وقال : ما أقدمك يا منارة؟ فأخرجت كتاب أمير المؤمنين ودفعته إليه ، ففضه وقرأه ، فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ فحلف إيماناً غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج والصدقة والوقف أن لا يجتمع اثنان في موضع واحد . وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ، ولا يظهروا إلى أن ينكشف لهم أمر يعتمدون عليه . وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين بالمضي

إليه ، ولست أقيم بعد نظري فيه ساعة واحدة ، فاستوصوا بمن ورائي من الحريم خيراً وما لي حاجة أن يصحبني أحد منكم هات قيودك يا منارة .

فدعوت بها وكانت في سفط ومد يده فقيدته وأمرت غلماني بحمله حتى صار

في المحمل وركبت في الشق الآخر ، وسرت من وقتي ولم ألاق أمير البلد ولا غيره ، وسرت بالرجل وليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة ، فقال لي : أترى هذا؟ قلت : نعم .

قال : إنه لي ، وقال : إن فيه من غرائب الأشجار كيت وكيت . ثم انتهى إلى آخر ، فقال مثل ذلك . ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى ، فقال مثل ذلك! هذا لي ، فاشتد غيظي منه ، وقلت : ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى أرسل إليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك وأخرجك فريداً مقيداً مغلولاً ما تدري إلى ما تصير إليه أمرك ولا كيف يكون ، وأنت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك بعد أن جئتك ؛ وأنت لا تفكر فيما جئت به ، وأنت ساكن القلب قليل التفكر . لقد كنت عندي شيخاً فاضلاً .

فقال لي مجيباً : إنا لله وإنا إليه راجعون . أخطأت فراستي فيك . لقد ظننت أنك رجل كامل العقل وأنك ما حللت من الخلفاء هذا المحل إلا لما عرفوك ، فإذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام ، والله المستعان . أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه إياي إلى بابه على صورتي هذه ، فإني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصية أمير المؤمنين ، ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا بإذن الله عز وجل ، ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه ، وبعد فإذا عرف أمير المؤمنين أمري وعرف سلامتي وصلاح ناصيتي سرحني مكرماً ، فإن الحسدة والأعداء رموني عنده بما ليس في وتقولوا علي الأقاويل ، فإما أن يستحل دمي أو يخرج من إيذائي وإزعاجي ويردني مكرماً ، أو يقيمني ببلاده معظماً مبجلاً؟ وإن كان قد سبق في علم الله عز وجل أن هذا يبدو لي منه سوء وقد اقترب أجلي وكان سفك دمي على يده ، فلو اجتهدت الملائكة والأنبياء وأهل الأرض والسماء على صرف ذلك عني ما استطاعوا ، فلم أتعجل الفكرة فيما فرغ الله منه ، وإني أحسن الظن بالله الذي خلق ورزق وأحيا وأمات ، وإن الصبر والرضا والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة أولى ، وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فإذن قد عرفت مبلغ فهمك ، فإني لا أكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق بيننا أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى .

ثم أعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو طلب ماء أو حاجة حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثلاث عشرة بعد الظهر ، والنجب قد استقبلتني قبل ستة فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري ، فحين رأوني رجعوا عني متقدمين بالخبر

إلى أمير المؤمنين ، فانتهيت إلى الباب في آخر النهار فحططت رحلي ، ودخلت على الرشيد وقبلت الأرض بين يديه ووقفت ، فقال : هات ما عندك يا منارة وإياك أن تغفل منه عن لفظة واحدة .

فسقت الحديث من أوله إلى آخره حتى انتهيت إلى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور وما حدثني به نفسي من امتناعه ، والغضب يظهر في وجه أمير المؤمنين ويتزايد حتى انتهيت إلى فراغ الأمور من الصلاة والتفاته إلي وسؤاله عن سبب قدومي ودفعي الكتاب إليه ومبادرته إلى إحضار ولده وأهله وأصحابه ، وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد وصرفه إياهم ومد رجليه ، فقيدته فما زال وجه الرشيد يسفر ، فلما انتهيت إلى ما خاطبني به عند توبيخي له لما ركبنا في المحمل ، فقال : صدق واله ما هذا إلا رجل محسود على النعمة ، مكذوب عليه ، ولعمري ، لقد أزعجناه وأذيناه ورعنا أهله فبادر بنزع قيوده وائتني به .

قال : فخرجت فنزعت قيوده وأدخلته إلى الرشيد فما هو إلا أن رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد فدنا الأموي وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد رداً جميلاً وأمره بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه الرشيد فسأله عن حاله ، ثم قال له : بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن إليك ، فاذكر حاجتك؟ فأجاب الأموي جواباً جميلاً وشكر ودعا ، ثم قال : ليس لي عند أمير المؤمنين إلا حاجة واحدة .

فقال : مقضية ، فما هي؟ قال : يا أمير المؤمنين ، تردني إلى بلدي وأهلي وولدي .

قال : نفعل ذلك ، ولكن سل ما تحتاج إليه من مصالح جاهك ومعاشك فإن مثلك لا يخرج إلا ويحتاج إلى شيء من هذا .

فقال : يا أمير المؤمنين ، عمالك منصفون وقد استغنيت بعدلهم عن مسألتي فأموري مستقيمة وكذلك أهل بلدي بالعدل الشامل في ظل أمير المؤمنين .

فقال الرشيد : انصرف محفوظاً إلى بلدك واكتب إلينا بأمر إن عرض لك .

فودعه الأموي ، فلما ولى خارجاً قال الرشيد : يا منارة ، احمله من وقتك وسر به .

راجعاً كما سيرته حتى إذا وصلت إلى مجلسه الذي أخذته منه فودعه وانصرف .

قال منارة : فما زلت معه حتى انتهى إلى محله ، ففرح به أهله وأعطاني عطاء جزيلاً وانصرفت .

الرشيد والسماك

قال السماك الزاهد لهارون الرشيد وقد دعاه إلى قدح ماء ليشربه
فقال له يا أمير المؤمنين لو منعت منك هذه الشربة بكم تشتريها
فقال هارون الرشيد بملكي كله
فقال له السماك : فلو منعت خروجها منك (لم تتبول) فبكم تشتريها
فقال هارون : بملكي كله
فقال : لا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة .

المعلم والمتعلم

دخل الأصمعيّ يومًا على هارون الرشيد بعد غيبة كانت منه .
فقال له الرشيد : يا أصمعيّ ، كيف كنتَ بعدي؟
فقال : ما لاقَتْني بعدَكَ أرضٌ . فتبسّم الرشيد . فلما خرج الناس ، قال للأصمعي : ما معنى قولك «ما لاقتني أرض»؟
قال : ما استقرّت بي أرض ، كما يُقال فلان لا يليق شيئًا أي لا يستقرّ معه شيء
فقال الرشيد : هذا حسن . ولكن لا ينبغي أن تكلمني بين يدي الناس إلا بما أفهمه ، فإذا خَلَوتَ فعلِّمني ، فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالمًا : إما أن أسكت فيعلم الناس أني لا أفهم إذا لم أُجِب ، وإما أن أجيب بغير الجواب فيعلم من حولي أني لم أفهم ما قلتَ . قال الأصمعيّ : فَعَلَّمَني الرشيد يومها أكثر مما عَلَّمْتُه .

اقتسام الجائزة والعقوبة

حكي عن هارون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا ، فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكي : إني أرقت هذه الليلة وضاق صدري ولم أعرف ما أصنع ، وكان خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك ، فقال له : ما يضحكك استهزاء بي أم استخفافا؟ فقال : وقرابتك من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما فعلت ذلك عمدا ولكن

خرجت بالأمس أتمشى بظاهر القصر إلى أن جئت إلى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين ، فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلي ، فتفكرت الآن في شيء من حديثه وكلامه ، فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : آتني الساعة به ، فخرج مسرور مسرعا إلى أن جاء إلى ابن المغازلي فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال : سمعا وطاعة ، فقال له : بشرط أنه إذا أنعم عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقية لي ، فقال له : بل اجعل لي النصف ولك النصف ، فأبى ، فقال : الثلث لي ولك الثلثان ، فأجابه إلى ذلك بعد جهد عظيم . فلما دخل على الرشيد سلم ، فأبلغ وترجم فأحسن ، ووقف بين يديه ، فقال له أمير المؤمنين : إن أنت أضحكتني أعطيتك خمسمائة دينار وإن لم تضحكني أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات ، فقال ابن المغازلي في نفسه ، وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب؟ وظن في نفسه أن الجراب فارغ ، فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود ، فلم يضحك الرشيد ، ولم يتبسم ، فتعجب ابن المغازلي وضجر وخاف ، فقال له الرشيد : الآن استحقيت الضرب ، ثم أنه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان ، فضربه ضربة ، فلما وقعت الضربة في رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذي شرطه عليه مسرور ، فقال : العفو يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمتين . قال : قل ما بدالك . قال : إن مسرورا شرط علي شرطا واتفقت أنا وإياه على مصلحة ، وهو أن ما حصل لي من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولي فيه الثلث وما أجابني إلى ذلك إلا بعد جهد عظيم . وقد شرط علي أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبي منها واحدة ونصيبه اثنتان ، وقد أخذت نصيبي وبقي نصيبه ، قال : فضحكا لرشيد ودعا مسرورا ، فضربه ، فصاح ، وقال : يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي . فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار ، فأخذ كل واحد منهما خمسمائة دينار

المجنون ووزير الرشيد

بعث الرشيد وزيره تمامة إلى دار المجانين ليتفقد أحوالهم ، فرأى بينهم شابا حسن الوجه يبدو عليه التعقل ، فأحب أن يكلمه فقاطعه بقوله : أريد أن أسألك سؤالا . قال الوزير : هات ما بالك ؟ قال الشاب : متى يجد النائم لذة النوم ؟

الوزير : حين يستيقظ

الشاب : كيف يجد اللذة وقد فارق سببها ؟
الوزير : حسنا . . . يجد اللذة قبل النوم
الشاب : وكيف يجد اللذة في شيء لم يذقه بعد ؟
الوزير : حيرتني يا رجل . . . يجد اللذة وقت النوم
الشاب : النائم لا شعور له فكيف يجد اللذة من لا شعور له ؟
بهت الوزير ولم يدر ما يقول ، ثم انصرف وأقسم الا يجادل مجنونا .

سخرية متبادلة

قال ابن خلف : حدّثني بعض أصحابنا قال : بلغني أنّ الرشيد خرج متنزهاً ، فانفرد من عسكره والفضل بن الرّبيع خلفه ، فإذا هو بشيخ قد ركب حماراً وفي يده لجامٌ كأنّه مبعرٌ محشوٌ ، فنظر إليه فإذا رطب العينين ، فغمّز الفضل عليه ، فقال له الفضل : أين تريد؟ قال : حائطاً لي . فقال : هل لك أن أدلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة؟ قال : ما أحوجني إلى ذلك }فقال له : خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكمأة ، فصيّره في قشر جوزةٍ واكتحل ، فإنّه يذهب عينيك . قال : فاتكأ على قربوسه ، فضرط ضرطة طويلةً ، ثمّ قال : تأخذ أجرةٌ لصفتك ، فإن نفعتنا زدناك . قال : فاستضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن ظهر دابّته .

يوسف القاضي حكماً

وتحاكم الرشيد وزبيدة[(١)] إلى أبي يوسف القاضي[(٢)] في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب ، فقال أبو يوسف : أنا لا أحكم على غائب ، فأمر الرشيد بإحضارهما ، وقدما بين يدي أبي يوسف ، فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال : يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لأحدهما أتى الآخر بحجته .

---

(١) زبيدة واسمها الحقيقي (أمة العزيز بنت جعفر بن أبي المنصور) أما سبب تسميتها باسم زبيدة فقد كان جدها المنصور يرقصها في طفولتها ويقول لها زبيدة أنت زبيدة ، فغلب عليها ذلك الاسم وأصبحت تعرف باسم زبيدة وهي زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد ، وحفيدة مؤسس الدولة العباسية الخليفة أبو جعفر المنصور من خلال ابنه جعفر .

(٢) يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المشهور بأبي يوسف وهو من تلاميذ الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان .

الاسم والكنية

قال أعرابي للرشيد يا هارون ، فغضب وقال ما حملك ألا تناديني بكنيتي؟
فقال : الله كنّى أعداءه فقال (تبت يدا أبي لهب) وسمّى أحبابه وقال (ياعيسى) !!

الوالي العادل

ومما حُكي عن نصر بن مقبل وكان عامل الرشيد على الرقة أنه أمر بجلد شاة الحد فقالوا إنها بهيمة .
قال : الحدود لا تعطل وإن عطلتها فبئس الوالي أنا
فانتهى خبره إلى الرشيد فلما وقف بين يديه قال : من أنت قال : مولى لبني كلاب فضحك الرشيد وقال :
كيف بصرك بالحكم قال : الناس والبهائم عندي واحد في الحق ولو وجب الحق على بهيمة وكانت أمي
أو أختي لحددتها ولم تأخذني في الله لومة لائم .
فأمر الرشيد أن لا يستعان به .

المعزي الأحمق

ودخل بعض الهاشميين على الرشيد معزياً . فقال : يا أمير المؤمنين ، أحسن الله عزاك ، وربك عزاك ، وأحاله علينا وعليك بخير ، ورحم فلاناً ولا عرفه قليلاً ولا كثيراً ، تأمر بشيء يا أمير المؤمنين؟ قال : نعم ! آمر أهلك أن يدفنوك ؛ فإن موتك حياة وحياتك موت .

قال أبو العالية : لما مات سعيد بن مسلم الباهلي قال لي الرشيد : علم فلاناً تعزية يعزي بها ولد سعيد لفتى من بني هاشم . فقلت للفتى : إذا صرت للقوم فقل : عظم الله أجركم ، وأحسن عزاءكم ، ورحم سعيداً . قال : هذا طويل . فقلت فقل : أعظم الله أجركم ، وختم بالصبر على قلوبكم . قال : هذا أطول من ذاك . قال فقلت : أعظم الله أجركم وكررته عليه يومين ، فلما كان اليوم الثالث ركب وركبنا معه ، فلما قرب من باب القوم خرجوا إليه حفاةً إعظاماً له ، فلما رآهم قال : ما فعل سعيد؟

قالوا : مات ، قال : جيد وما أظن ذلك ، فإيش عملتم به؟ قالوا : دفناه . قال : أحسنتم . ثم انصرف .

الراجز والرشيد

قال إبراهيم بن السندي : دخل العماني الراجز على الرشيد ، لينشده شعرا ، وعليه قلنسوة طويلة ، وخف ساذج ، فقال : إياك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دمالقان .

قال إبراهيم : قال أبو نصر : فبكر عليه من الغد وقد تزيّا بزي الأعراب ، فأنشده ثم دنا فقبّل يده ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت المنصور ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت المهدي ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته . وأنشدت الهادي ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته . هذا إلى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء ، والسادة الرؤساء ، ولا الله إن رأيت فيهم أبهى منظرا ، ولا أحسن وجها ، ولا أنعم كفا ، ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين . وو الله لو ألقي في روعي أني أتحدث عنك ما قلت لك ما قلت .

بهلول والرشيد

خرج الرشيد إلى الحجّ فلمّا كان بظاهر الكوفة إذ أبصر بهلُولاً[(١)] على قصبة ، وخلفه الصبيان وهو يعدو .

فقال : من هذا؟

فقيل لهُ : بهلول

فقال : كنت أشتهي أن أراه ، فادعوه من غير ترويع فذهبوا إليه .

وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فلم يجب ، فذهب إليه الرشيد .

وقال : السلام عليك يا بهلول .

فقال : عليك السلام يا أمير المؤمنين .

---

(١) هو بهلول بن عمرو ، كان من عقلاء المجانين ، ولد ونشأ بالكوفة واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه ، ولهُ كلام مليح ، توفي سنة ١٩٠هـ

فقال : دعوتُك لاشتياقي إليك ، فقال بهلول : لكني لم أشتق إليك . فقال الرشيد : عظني يا بهلول فقال : وبِمَ أعظك؟ هذي قصورهم وهذي قبورهم . فقال الرشيد : زدني فقد أحسنت . فقال يا أمير المؤمنين : من رزقه الله مالاً وجمالاً ، فعفَ في جماله ، وواسى في ماله كُتب في ديوان الأبرار ، فظن الرشيد أنه يريد شيئاً ، فقال : قد أمرنا لك أن تقضي دَينَك ، فقال : لا ، يا أمير المؤمنين ، لا يُقضى الدّين بدَين ، اردُد الحق على أهله ، واقضِ دَين نفسك من نفسك ، قال : فإنه قد أمرنا عليك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أترى الله يُعطيك وينساني ، ثم ولّى هارباً .

اللبيب بالإشارة يفهم

دخل ابن السّماك[1] على الرشيد فلمّا صار بين يديه قال له الرّشيد : عظني يا ابن السّماك وأوجزْ .

قال : كفى بالقرآن واعظا يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ﴿بسم الله الرحمن الرّحيم . ويل للمطفّفين الذين إذا اكتالوا على النّاس يستوفون﴾ إلى قوله ﴿لربّ العالمين﴾ . هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفّف في الكيل فما ظنّك بمن أخذه كلّه؟

خداع الكريم

غضب الرشيد على حميد الطوسي ، فدعا له بالنَّطع والسيف فبكى ، فقال له : ما يبكيك؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت لأنه لا بَدَّ منهُ ، وإنما بكيت أسفاً على خروجي من الدنيا ، وأمير المؤمنين ساخطٌ عليَّ ، فضحك وعفا عنه ، وقال : إن الكريم إذا خادعته انخدع

الرشيد يبكي على البرامكة

قال يحيى بن سلام الأبرش ، قال : حدثني أبي قال : خرج الرشيد للصيد يوماً بعدما أباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدران بني برمك فرأى لوحاً مكتوباً عليه هذه الأبيات :

---

(١) ابن السماك الزاهد القدوة سيد الوعاظ أبو العباس محمد بن صبيح العجلي مولاهم الكوفي , روى عن هشام بن عروة والأعمش ويزيد بن أبي زياد وطائفة ولم يكثر .

يا منــزلاً لعــب الزمــان بأهلــه فأبادهــم بتفــرق لا يجمــع
إن الذين عهدتهــم فيمــا مضــى كــان الزمــان بهــم يضر وينفع
أصبحــت تفــزع مــن رآك ، وطالما كنــا إليــك من المخــاوف نضرع
ذهــب الذيــن يعــاش في أكنافهم وبقــي الذيــن حياتهــم لا تنفع

قال : فبكى الرشيد ، وأقبل على الأصمعي وقال : أتعرف شيئاً من أخبار البرامكة تحدثني به؟ فقال الأصمعي : ولي الأمان .

قال : ولك الأمان .

فقال : أحدثك بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى ، وذلك أنه خرج يوماً للصيد والقنص ، وهو في موكبه ، إذ رأى أعرابياً على ناقة قد أقبل من صدر البرية يركض في سيره ، قال : هذا يقصدني .

فقلت : ومن أعلمك؟ قال : لا يكلمه أحدٌ غيري .

فلما دنا الأعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير ، والجم الغفير ، وسمع الغوغاء والضجة ، ظن أنه أمير المؤمنين ، فنزل وعقل راحلته وتقدم وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

قال : الآن قاربت ، اجلس .

فجلس الأعرابي فقال له الفضل : من أين أقبلت يا أخا العرب؟ قال : من قضاعة .

قال : من أدناها أم من أقصاها؟ قال : من أقصاها .

قال الأصمعي : فالتفت إلي الفضل وقال : كم من العراق إلى أرض قضاعة؟ فقلت : ثمانمائة فرسخ .

فقال : يا أخا العرب ، مثلك لم يقصد من ثمانمائة فرسخ إلى العراق إلا لشيء .

قال : قصدت هؤلاء الأماجد الأنجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد .

قال : من هم؟ قال : البرامكة .

قال الفضل : يا أخا العرب البرامكة خلق كثير ، وفيهم جليل وخطير ، ولكن منهم خاصة وعامة ، فهلا أفردت لنفسك منهم من اخترت لنفسك وأتيته لحاجتك؟ قال : أجل! أطولهم باعاً وأسمحهم كفاً .

قال : من هو؟ قال : الفضل بن يحيى بن خالد .

فقال له الفضل : يا أخا العرب ، إن الفضل جليل القدر عظيم الخطر ، إذا جلس

للناس مجلساً عاماً لم يحضر مجلسه إلا العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم ، أعالم أنت؟ قال : لا .

قال : أفأديب أنت؟ قال : لا .

قال : أفعارفٌ أنت بأيام العرب وأشعارها؟ قال : لا .

قال : هل وردت على الفضل بكتاب وسيلة؟ قال : لا .

فقال : يا أخا العرب غرتك نفسك ، مثلك يقصد الفضل بن يحيى ، وهو كما عرفتك عنه من الجلالة ، بأي ذريعة أو وسيلة تقدم عليه؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما قصدته إلا لإحسانه المعروف وكرمه الموصوف وبيتين من الشعر قلتهما فيه .

فقال الفضل : يا أخا العرب أنشدني البيتين فإن كانا يصلحان أن تلقاه بهما أشرت عليك بلقائه ، وإن كانا لا يصلحان أن تلقاه بهما بررتك بشيء من مالي ورجعت إلى باديتك وإن كنت لم تستحق بشعرك شيئاً . قال : أفتفعل أيها الأمير؟ قال : نعم .

قال : فإني أقول :

ألم تر أن الجود من عهد آدم تحدر حتى صار يملكه الفضل

ولو أن أماً قضها جوع طفلها . . . ونادت على الفضل بن يحيى اغتذى الطفل

قال : أحسنت يا أخا العرب . فإن قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر ، وأخذ الجائزة عليهما ، فأنشدني غيرهما فما تقول؟ قال : أقول :

قد كان آدم حين حان وفاته أوصاك ، وهو يجود بالحوباء

ببنيه أن ترعاهمو ، فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الأبناء

قال : أحسنت يا أخا العرب ، فإن قال لك الفضل ممتحناً : هذان البيتان أخذتهما من أفواه الناس ، فأنشدني غيرهما ما تقول ، وقد رمقتك الأدباء بالأبصار ، وامتدت الأعناق إليك ، وتحتاج أن تناضل عن نفسك؟ قال : إذن أقول :

ملت جهابذ فضل وزن نائله ومل كاتبه إحصاء ما يهب

والله لولاك لم يمدح بمكرمة خلق ، ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال : أحسنت يا أخا العرب ، فإن قال لك هذان البيتان أيضاً أخذتهما من أفواه الناس ما كنت قائلاً؟ قال : أقول :

وللفضل صولات على مال نفسه يرى المال منه بالمذلة والعنا

ولو أن رب المال أبصر ماله لصلى على مال الأمير وأذنا

قال : أحسنت يا أخا العرب ، فإن قال لك الفضل : هذان البيتان مسروقان ، أنشدني غيرهما ما تقول؟ قال : إذن أقول :

ولـو قيـل للمعروف نـاد أخـا العـلا لنادى بأعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو أنفقت جدواك من رمـل عالـج لأصبح من جدواك قد نفد الرمـل

قال : أحسنت يا أخا العرب ، فإن قال لك الفضل : هذان البيتان مسروقان أيضاً أنشدني غيرهما ما تقول؟ قال : أقول :

ومـا الناس إلا اثنان : صـب وباذلٌ وإنـي لذاك الصب والباذل الفضل
علـى أن لـي مثلاً كما ذكر الـورى وليس لفضلٍ فـي سماحتـه مثـل

قال : أحسنت يا أخا العرب ، فإن قال لك الفضل : أنشدني غيرهما ما تقول؟ قال : أقول أيها الأمير :

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالـد فقامـت بـه التقوى وقام به العدل
وقام به المعـروف شرقـاً ومغربـاً ولـم يـك للمعروف بعدٌ ولا قبـل

قال : أحسنت يا أخا العرب ، فإن قال لك : قد ضجرنا من الفاضل والمفضول أنشدني بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول؟ قال : إذن أقول :

ألا يـا أبـا العبـاس يا واحـد الـورى ويـا ملكـاً خـد الملـوك لـه نعـل
إليـك تسيـر النـاس شرقـاً ومغربـاً فـرادى وأزواجـاً كأنهـم نحـل

قال : أحسنت يا أخا العرب ، فإن قال لك الفضل : أنشدنا غير الاسم والكنية والقافية .

قال : والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا لأقولن أربعة أبيات ما سبقني إليها عربي ولا أعجمي ، ولئن زادني بعدها لأجمعن قوائم ناقتي هذه وأجعلها في حر أم الفضل وأرجعن إلى قضاعة خاسراً ، ولا أبالي . فنكس الفضل رأسه ، وقال للأعرابي : يا أخا العرب أسمعني الأبيات الأربعة : قال : أقولك

ولائمـة لامتك ، يا فضل ، في الندى فقلت لها : هل يقدح اللوم في البحر
أتنهين فًضلاً عـن عطايـاه للغنـى فمن ذا الذي ينهى السحاب عن القطر
كأن نوال الفضل فـي كـل بلـدة تحـدر هـذا المـزن فـي مهمة قفـر
كأن وفود الناس فـي كـل وجهـةً إلـى الفضل لاقوا عنده ليلة القـدر

قال : فأمسك الفضل عن فيه ، وسقط على وجهه ضاحكاً ، ثم رفع رأسه وقال : يا أخا العرب ، أنا والله الفضل بن يحيى ، سل ما شئت .

فقال : سألتك بالله أيها الأمير إنك لهو؟ قال : نعم .

قال له : فأقلني .

قال : أقالك الله ، اذكر حاجتك .

قال : عشرة آلاف درهم

قال الفضل : ازدريت بنا وبنفسك ، يا أخا العرب ، تعطى عشرة آلاف درهم في عشرة آلاف .

وأمر بدفع المال ، فلما صار المال إليه حسده وزيره الفضل ، وقال : يا مولاي هذا إسراف يأتيك جلف من أجلاف العرب بأبيات استرقها من أشعار العرب فتجزيه بهذا المال؟ فقال : استحقه بحضوره إلينا من أرض قضاعة .

قال الوزير : أقسمت عليك يا مولاي إلا أخذت سهماً من كنانتك وركبته في كبد قوسك وأومأت به إلى الأعرابي فإن رد عن نفسه ببيت من الشعر ، وإلا استعدت مالك ، ويكون له في بعضه كفاية .

فأخذ الفضل سهماً وركبه في كبد قوسه وأومأ به إلى الأعرابي وقال له : رد سهمي ببيت من الشعر؟ فأنشأ يقول :

لقوسك قوس الجود والوتر والندى ... وسهمك سهم العز فارم به فقري

قال : فضحك الفضل وأنشأ يقول :

إذا ملكت كفي منالاً ولم أنل ... فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي

على الله إخلاف الذي قد بذلته ... فلا مسعدي بخلي ولا متلفي بذلي

أروني بخيلاً نال مجداً ببخله ... وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره : أعط الأعرابي مائة ألف درهم لقصده وشعره ، ومائة ألف درهم ليكفينا شر قوائم ناقته .

فأخذ الأعرابي المال وانصرف ، وهو يبكي فقال له الفضل : م بكاؤك يا أعرابي استقلالاً بالمال الذي أعطيناك؟ قال : لا ، ولكني أبكي على مثلك يأكله التراب وتواريه الأرض ، وتذكرت قول الشاعر :

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا فرس يموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حر ... يموت لموته خلقٌ كثير

وتوجه الأعرابي بالمال مسروراً .

المأمون بن هارون الرشيد واسمه عبد الله

روى خادم المأمون(1) قال : طلبني أمير المؤمنين المأمون ليلةً ، وقد مضى من الليل ثلثه ، فقال لي : خذ معك فلاناً وفلاناً ، وسماهما لي : أحدهما ، علي بن محمد ، والآخر ، دينار الخادم ، واذهب مسرعاً لما أقول لك ، فإنه بلغني أن شيخاً يحضر ليلاً إلى آثار دور البرامكة ، وينشد شعراً ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندبهم ويبكي عليهم ، ثم ينصرف فامض أنت وعلي ودينار حتى تردوا تلك الخرائب فاستتروا خلف بعض الجدران ، فإذا الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتاً فأتوني به .

قال : فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرائب ، فإذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساطٌ وكرسي حديد ، وإذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف ، فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الأبيات :

ولما رأيت السيف جندل جعفراً ونادى مناد للخليفة : يا يحيى

بكيت على الدنيا وزاد تأسفي عليهم وقلت : الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها . فلما فرغ قبضنا عليه ، وقلنا له : أجب أمير المؤمنين ، ففزع فزعاً شديداً وقال : دعوني حتى أوصي بوصية فإني لا أوقن بعدها بحياة .

ثم تقدم إلى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها إلى غلامه ثم سرنا به ، فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين قال : حين رآه : من أنت ، وبم استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم؟ قال الخادم : ونحن نستمع .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن للبرامكة أيادي خضرة عندي ، أفتأذن لي أن أحدثك بحالي معهم؟ قال : قل .

فقال : يا أمير المؤمنين؟؟! أنا المنذر بن المغيرة ، من أولاد الملوك ، وقد زالت عني نعمتي ، كما تزول عن الرجال ، فلما ركبني الدين ، واحتجت إلى بيع ما على رأسي ورؤوس أهلي وبيتي الذي ولدت فيه ، أشاروا علي بالخروج إلى البرامكة ، فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبياً وصبية ، وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب ، حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد ، فدعوت ببعض ثياب كنت

---

(1) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ، ولد عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ وتوفي غازيا في ١٩ رجب عام ٢١٨ هـ ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣ بطرسوس ، شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول وذلك لأنه شارك فيها بنفسه .

أعددتها لأستتر بها ، فلبستها وخرجت وتركتهم جياعاً لا شيء عندهم ، ودخلت شوارع بغداد سائلاً عن البرامكة ، فإذا أنا بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ بأحسن زي وزينة ، وعلى الباب خادمان ، وفي الجامع جماعة جلوس ، فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلست بين أيديهم ، وأنا أقدم رجلاً وأوخر أخرى ، والعرق يسيل مني لأنها لم تكن صناعتي ، وإذا الخادم قد أقبل ودعا القوم فقاموا وأنا معهم ، فدخلوا دار يحيى بن خالد ، فدخلت معهم ، وإذا بيحيى جالس على دكة له وسط بستان ، فسلمنا ، وهو يعدنا مائة وواحداً ، وبين يديه عشرة من ولده ، وإذا بأمرد نبت العذار في خديه قد أقبل من بعض المقاصير ، وبين يديه مائة خادم متمنطقون ، في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ، مع كل خادم مجمرة من ذهب ، في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر ، وقد قرن به مثله من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام ، وجلس إلى جنب يحيى ، ثم قال للقاضي : تكلم وزوج ابنتي عائشة من ابن أخي هذا . فخطب القاضي خطبة النكاح وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر ، فالتقطت ، والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت ، وإذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر ، وإذا بمائة واثني عشر خادماً قد أقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة ، على كل صينية ألف دينار ، فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية ، فرأيت القاضي والمشايخ يضعون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ، ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي لا أجسر على أخذ الصينية ، فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وقمت وجعلت أتلفت إلى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب ، فبينما أنا كذلك إلى أن وصلت إلى صحن الدار ، ويحيى يلاحظني ، فقال للخادم : آتني بهذا الرجل ، فأتيته ، فقال : ما لي أراك تلتفت يميناً وشمالاً؟ فقصصت عليه قصتي فقال للخادم : آتني بولدي موسى ، فأتاه به . فقال له : يا بني! هذا رجل غريب ، فخذه إليك واحفظه بنفسك وبنعمتك .

فقبض موسى ولده على يدي وأدخلني إلى دار من دوره فأكرمني غاية الإكرام ، وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور ، فلما أصبح دعا بأخيه العباس ، وقال له : الوزير أمرني بالعطف على هذا الفتى ، وقد علمت اشتغالي في بيت أمير المؤمنين ، فاقبضه إليك ، وأكرمه .

ففعل ذلك وأكرمني غاية الإكرام ثم لما كان من الغد تسلمني أخوه أحمد ، ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولونني مدة عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الأموات هم أم في الأحياء ، فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا : قم فاخرج إلى عيالك بسلام .

فقلت : وا ويلاه ، أسلب الدنانير والصينية ، وأخرج على هذه الحالة؟ إنا لله وإنا إليه راجعون .

فرفع الستر الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع ، فلما رفع الخادم الستر الأخير قال لي : مهما كان لك من الحوائج فارفعها إلي فإني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به .

فلما رفع الستر الأخير رأيت حجرة كالشمس حسناً ونوراً واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك ، وإذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج ، وحمل إلي مائة ألف درهم ، وعشرة آلاف دينار ، ومنشور بضيعتين ، وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق ، وأقمت يا أمير المؤمنين ، مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب ، فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا أمير المؤمنين ، من الرشيد ما نزل أجحف بي عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به ، فلما تحامل علي الدهر كنت في آخر الليل أقصد خرائب دورهم ، فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم إلي وأبكي على إحسانهم .

فقال المأمون : علي بعمرو بن مسعدة .

فلما أتي به قال له : تعرف هذا الرجل؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هو بعض صنائع البرامكة .

قال : كم ألزمته في ضيعتيه؟ قال : كذا وكذا .

فقال له : رد إليه كل ما أخذته منه في مدته ، وأفرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده .

قال : فعلا نحيب الرجل ، فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له : يا هذا! قد أحسنا إليك ، فما يبكيك؟ قال : يا أمير المؤمنين ، وهذا أيضاً من صنيع البرامكة ، لو لم آت خرائبهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري إلى أمير المؤمنين ، ففعل بي ما فعل من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين؟ قال إبراهيم بن ميمون : فرأيت المأمون ،

وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال : لعمري هذا من صنائع البرامكة ، فعليهم فابك ، وإياهم فاشكر ، ولهم فأوف ولإحسانهم فاذكر .

خشونة المغني ورقة المغنية

قال ثمامة بن أشرس[1] : كنت عند المأمون يوماً إذ جاءه الحاجب يستأذن لعمير المأموني ، فكرهت ذلك ، ورأى الكراهة في وجهي . فقال : يا ثمامة ، ما لك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين إنا إذا غنانا عمير ذكر مواطن الإبل ، وكثبان الرمل ، وإذا غنتنا فلانة انبسط أملي ، وقوي جذلي ، وانشرح صدري ، وذكرت الجنان . كم يا أمير المؤمنين بين أن تغنيك جارية غادة ، كأنها غصن بان ، بمقلة وسنان ، كأنما خلقت من ياقوتة ، أو خرطت من درة ، بشعر عكاشة العمي :

من كفّ جارية كأنّ بنانها ... من فضّة قد طرّزت عنّابا
وكأنّ يمناها إذا ضربت بها ... تلقي على يدها الشمال حسابا

وبين أن يغنيك رجل ملتف اللحية ، غليظ الأصابع ، خشن الكف ، بشعر ورقاء بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كلكل خالد ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

وكم بين من يحضرك من تشتهي النظر إليه ، وبين من لا يقف طرفك عليه؟ فتبسم المأمون . وقال : إن الفرق لواضح ، وإن المنهج لفسيح ، يا غلام ؛ لا تأذن له! وأحضر قينة . قال : فظللنا في أمتع يوم .

المتظلم الفصيح

تظلم رجل إلى المأمون من عامل له فقال :

يا أمير المؤمنين ، ما ترك لي فضّة إلا فضّها ، ولا ذهباً إلا ذهب به ، ولا غلّة إلا

(١) هو ثمامة بن الأشرس النميري ، مناظر قوي ، وأديب بارع ، كان يمثل لوناً مميزاً من ألوان الاعتزال ، فهو ليس بالزاهد - كأبي موسى المردار والجعفران - ولكنه المعتزلي المغامر في شؤون الدنيا ، المتردد على قصور الخلفاء ، يزين مجالسهم بالكلام العذب في الأدب والمناظرة في مسائل الاعتزال وغير الاعتزال ، وقد مُلئت كتب الأدب بأحاديثه الممتعة ونوادره الطريفة .

غلّها ، ولا ضيعةً إلا أضاعها ، ولا عرضاً إلا عرض له ، ولا ماشيةً إلا امتشّها ، ولا جليلاً إلا أجلاه ،

ولا دقيقاً إلا دقه . .

فعجب المأمون من فصاحته ، وقضى حاجته

كانت سبب غضبه عليه وكان سبب رضاه عليها

قال عبيد الله بن المأمون :

غضب المأمون على أمي أم موسى ، فقصدني لذلك ، حتى كاد يتلفني ، فقلت له يوما :

يا أمير المؤمنين ، ان كنت غضبانا على ابنة عمك فعاقبها بغيري ، فاني منك قبلها ، ولك دونها .

قال : صدقت والله يا عبيد الله ، انك مني قبلها ولي دونها ، والحمد لله الذي أظهر هذا منك وبيّن لي هذا الفضل فيك ، لا ترى والله بعد يومك هذا مني سوءا ، ولا ترى الا ما تحب .

فكان ذلك سبب رضاه عن أمي .

حلِم المأمون

قال عبد الله بن البوّاب : كان المأمون يحلم حتى يغيظنا في بعض الأوقات ؛ جلس يستاك على دجلة من وراء ستر ونحن قيامٌ بين يديه ، فمرّ ملاّحٌ وهو يقول : أتظنّون أنّ هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه؟

قال : فوالله ما زاد على أن تبسّم

وقال لنا : ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل؟

وحدث سليمان الوراق قال : ما رأيت أعظم حلماً من المأمون ، دخلت عليه يوماً وفي يده فص مستطيل من ياقوت أحمر له شعاع قد أضاء له المجلس ، وهو يقلبه بيده ويستحسنه ، ثم دعا برجل صائغ وقال له : اصنع بهذا الفص كذا وكذا ونزل فيه كذا وكذا ، وعرفه كيف يعمل به ، فأخذه الصائغ وانصرف ثم عدت إلى المأمون بعد ثلاث فتذكره فاستدعى الصائغ ، فأتي به ، وهو يرعد وقد امتقع لونه . فقال المأمون :

ما فعلت بالفص؟ فتلجلج الرجل ولم ينطق بكلام ، ففهم المأمون بالفراسة أنه حصل فيه خلل ، فولى وجهه عنه ، حتى سكن جأشه ، ثم التفت إليه وأعاد القول .

فقال : الأمان يا أمير المؤمنين .

قال : لك الأمان .

فأخرج الفص أربع قطع وقال : يا أمير المؤمنين ، سقط من يدي على السندال فصار كما ترى .

فقال المأمون : لا بأس عليك ، صنع به أربع خواتم ، وألطف له في الكلام حتى ظننت أنه كان يشتهي الفص على أربع قطع . فلما خرج الرجل من عنده ، قال : أتدرون كم قيمة هذا الفص؟ قلنا : لا ، قل : اشتراه الرشيد بمائة ألف وعشرين ألفاً .

ومن حلمه أيضاً . قال يحيى : كنت أنا والمأمون يوماً في بستان ندور فيه فمشينا في البستان من أوله إلى آخره ، وكنت مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل ، فكان يجذبني أن أكون في الظل وهو في الشمس ، فأمتنع من ذلك ، فإذا رجعنا قال لي : والله يا يحيى لتكونن في مكاني ولأكونن في مكانك ، حتى آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك منها .

فقلت : والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك من هول المطلع لفعلت .

ولم يزل بي حتى تحولت إلى الظل وتحول هو إلى الشمس ، ووضع يده على عاتقي وقال : بحياتي عليك إلا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت ، فإنه لا خير في صحبة من لا ينصف .

ومن حلمه أيضاً ، أنه كان له خادم يسرق طاساته التي يتوضأ فيها فقال له المأمون : إذا سرقت شيئاً فائتني بما تسرقه ، فأشتريه منك .

فقال له الخادم : اشتر مني هذه ، وأشار إلى التي بين يديه .

فقال : بكم .

قال : بدينارين .

قال : على شرط أنك لا تسرقها .

قال : نعم .

فأعطاه دينارين ، فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئاً لما رأى من حلمه .

الطفيلي الأديب والمأمون

وروى بعض أهل الأدب أن فتى من أهل الكوفة قد فاق أهل زمانه في الأدب والبيان والفصاحة ، صبيح الوجه ، مقبول المشاهد ، حلو الشمائل ، وكان مع ذلك لا يتوجه له وجه من العمل إلا عارضه فيه عائق ، وحال دونه حائل وقدر سابق ، فبقي حيناً من الدهر ، وقد برز في القدر والمال والجاه من كان عنده في الصناعة متأخراً ، فضاق صدره وعيل صبره وضلت وّمقاليده ، فخرج إلى بغداد واكترى في بعض خاناتها منزلاً وأجمع رأيه على أن يحمل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكه أو ملكه ، وتربص لذلك أن يرى وجهاً إلى أن عزم أمير المؤمنين أن يشرب يوماً هو وصنوه المعتصم ، فأمر المأمون بالاستعداد ليوم سماه ليخلو فيه مع الجواري ، منفردين عن سائر الندماء ، فظهر خبرهما بذلك . وعرف الناس ذلك اليوم الذي عزم عليه ، فعزم هذا الأديب المذكور على أن يتطفل في ذلك على المأمون وأخيه المعتصم ، فمضى إلى إخوانه وأصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وردية ، ومن آخر منطقة وخفاً وسيفاً ، ومن آخر برذوناً ، ومن آخر ما يحتاج إليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ، ودخل الحمام سحراً ، وتطيب ، ولبس وركب عند طلوع الشمس إلى دار المعتصم وقال للحاجب : عرف الأمير أني رسول أمير المؤمنين واستأذن لي عليه .

فسعى الحاجب عدواً حتى أخبر المعتصم ، فأذن له . فلما دخل عليه ، وتمثل بين يديه ، قال له : سيدي إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك : أنسيت الوعد ، ألم يقدم إليك بالركوب لنخلو ونستريح يومنا هذا؟ قال المعتصم : لا والله ما نسيت ذلك ، ولكن تربصت ساعة . ونمت نوماً لأتقوى بذلك على انتصاب سائر النهار .

فقال الفتى : فعجل الآن أيها الأمير ، فإنه أمرني أن لا أفارقك حتى آتيه بك .

فأمر المعتصم بإسراج مركوبه وأسرع في التأهب ، ولبس ثيابه وتطيب وركب الفتى معه ، والمعتصم لا ينكر شيئاً من كلام الفتى ويتأمل لطافته وهيئته ، ولم يتوهم إلا نه من بعض خواص المأمون ، وأخذ الفتى يحدث المعتصم وأقبل عليه بكليته ، ولم يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه ، حتى بلغ باب الخليفة فألقى الفتى نفسه عن دابته ، وأخذ يمشي بين يديه ، والحجاب لا ينكرون منه شيئاً ويظنون نه من خدم المعتصم ، حتى نزل المعتصم ، وأخذ الفتى بركابه ، ودخل المجلس ، فلما استقر المعتصم في مجلسه جلس الفتى بين يديه ، وهو منهمك في نوادره وأخباره والمعتصم

مصغ إليه تعجباً مما يسمع من حسن كلامه ، وأخبر المأمون أن المعتصم قد وصل ومعه رقيق لا يعرف من هو .

فقال المأمون : أخي قد عرف أن هذا المجلس اتفقنا عليه لا ينبغي أن يحضره أحد من الناس إلا من هو عديل النفس . وقد أحسن أخي إذ جعل لنا ثالثاً ، فإن المجلس إذا لم يحضره أكثر من اثنين تعطل لقيام أحدهما إلى الصلاة وإلى ما لا بد منه ، ثم خرج من ساعته فرحاً وليس له همة إلا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قده وعقله ، فلما استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع في نفس المأمون نهض قائماً فقبل يد المأمون ، وعاد إلى مجلسه وأخذ في نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن أخباره وغرائب أشعاره كأنه يغرف من بحر ، وهو مع ذلك يوهم المأمون أنه من خواص المعتصم . فساعة يكنيه وساعة يسميه حتى غلب على قلب المأمون ، وأظهر الحسد لأخيه في صحبة مثل هذا الغلام وكلامه ، وأمر المأمون بإحضار المائدة ، فنصبت بأنواع الطعام ، فأكلوا وغسلوا أيديهم ، ولمجلس الشراب انتقلوا ، وأمر المأمون بإحضار الجواري من غير ستارة ، فحضرن وأخذن في الغناء ، فما من صوت يمر إلا والفتى عارف به ، وبالغناء ، ومتى قيل وفيمن قيل ، فعز في عين المأمون حتى ملأ عينه ، وتزايد حسده لأخيه في صحبة مثله فمس الفتى بولٌ ، ولم يجد للمدافعة سبيلاً ، فقام وهو متيقن أنهما سيذكرانه ، ويتواصفان أمره وحاله ، إذا خلا المجلس ، فما هو إلا أن غاب من بين أيديهما حتى قال المأمون لأخيه المعتصم يا أبا إسحاق من صاحبك هذا؟ فوالله ما رأيت رجلاً قط أكثر منه أدباً ولا أنظف هيئة ولا أشرف من شمائله .

فقال المعتصم : والله ما أعلم من هو ، وإنما جاءني مبكراً برسالة أمير المؤمنين .

فقال المأمون : سألتك بالله يا أخي أهو كذلك؟ فقال : إي والله الذي لا إله إلا هو .

فقال المأمون : طفيلي ، ورب الكعبة ، وغضب وأمر الجواري بالنهوض ، فنهض وأقبل الفتى راجعاً فلما نظر إلى خلو المجلس من الجواري وإلى تغير وجه المأمون ، وقف على رأس المجلس وأقبل بوجهه على المعتصم وقال : يا أبا إسحاق! كأني بك قد أخذت في نوع الزور والبهتان ، وهذا المجلس من المجالس التي لا تحمل المزاح ، وما هكذا وعدتني . ثم قل : والله يا أمير المؤمنين ، ما بليت من أحد من الناس مثل ما بليت من هذا لأنه دائماً أبداً يعرضني لمثل هذا وأشباهه ، ويغري بي ويوقعني في كل ورطة .

ثم أقبل على المعتصم وقال : يا أبا إسحاق ، سألتك بالله وبحق أمير المؤمنين إلا ما أعفيتني من ملاعبتك التي لا تحتمل وتؤدي إلى مؤاخذة أمير المؤمنين .

ولم يزل يأتي بهذا وأمثاله حتى شك المأمون في أمره والتفت إلى أخيه المعتصم وقال : سألتك بالله يا أخي ، بحياتي عليك إلا ما علمتني بحقيقة أمره؟ فقال المعتصم : يا أمير المؤمنين برئت من ذمة الله ورسوله ومن حياتك وولايتك إن كنت عرفته أو رأيته قط إلا في يومي هذا .

فقال الفتى : كذب والله يا أمير المؤمنين لقد كنت معه دهري الطويل وفي موضع كذا وكذا ، وإن هذا فعله معي أبداً .

فضحك المأمون تعجباً ، وقال : ادخل فدخل ، وأمره بالجلوس فجلس ، ثم قال لك الأمان إن صدقتني .

فصدقه الحديث على وجهه فأعجب من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وأمر بإعادة الجواري إلى مجلسهن ، فطربوا سائر يومهم . فقال له المأمون : أخبرني بأعجب ما لحقك في قدومك من الكوفة إلى بغداد واجعله نظماً ولا تكتم عني شيئاً .

فقال : نعم ، ثم أنشأ يقول :

بينا أنا راقد في البيت مكتئب ... مفكر في حصول الكد والقوت
وليس في البيت لي شيء ألم به ... وبي من الجوع ما يدني إلى الموت
إذا بصوت بباب الدار أسمعه ... والأذن مصغية مني إلى الصوت
ناديت من ذا الذي أرجوه لي فرجاً؟ ... نادى : أنا فرجٌ زن لي كرا البيت

فضحك المأمون حتى استلقى على فراشه ، ثم ضرب برجله الأرض من شدة إعجابه وقال : ثم ماذا؟ قال : يا أمير المؤمنين فخرجت فإذا هو صاحب الخان يطالبني بالكراء ، فوعدته بأن يرجع إلي مرة أخرى ، فمضى ومضيت على وجهي لا أعلم أين أتوجه ، فسألت كل من لقيته من صديق لي كنت أستأنس به فخطر على بالي بيتان من الشعر في ذلك وهما .

غريب الدار ليس له صديقٌ ... جميع سؤاله : أين الطريق؟
تعلق بالسؤال لكل شخص ... كما يتعلق الرجل الغريق

فأشرفت يا أمير المؤمنين علي جارية كأنها البدر ليلة كماله ، وهي تقول :

ترفق يا غريب فكل حر ... يمر بحاله سعةٌ وضيق

وكـــل ملمـــة إن أنـــت فيهـــا   صبـــرت لهـــا أتيـح لهـا طريق

ثم قالت : خذ هذه فادفع بها فاقتك ، فوالله ما هي إلا مؤاساة من قوت ، ورمت إلى صدري بقرطاس ، وإذا فيه عشرة دراهم ، فرجعت من فوري ، فوجدت صاحب الكراء قائماً على الباب ، فدفعت إليه خمسة دراهم ، واستعنت بالباقي إلى أن وقعت هذه القصة ، وهذا الأمر الذي كلفني وحملني على ما فعلت وأنشأ يقول :

لـــم آتِ فعـــلاً غيـــر مستحســـن   جهـلاً بفعـل الأحسـن الأملـح

لكننـــــي فـــي حالـــة أوجبت   ضـــرورة إتيـــــان مستقبـح

فأعجب المأمون أمره واستحسنه وأمر له بمائة ألف درهم يصلح بها شأنه وألحقه بمراتب الخاصة ، ورفعت منزلته ، وصار أقرب الناس إليه ، وآخر خارج من عنده وأول داخل إليه ، وسمي طفيلي المعتصم ، وأنشد للمأمون يوماً يقول :

كانـــت لقلبـــي أهـــواء مفرقـة   فاستجمعت مذ رأتك العين أهوالـي

تركت للناس دنياهـــم ودينهـــم   شغـــلاً بذكرك عن ديني ودنيائـــي

وصار يحسدني من كنت أحسده   وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

فاستحسن المأمون الأبيات ، وأمر بكتبها على الستارة ، وصار الفتى إذا حضر يوم سرور المأمون لم يكن للمأمون هم إلا اقتراح هذه الأبيات إلى أن ينقضي المجلس ، ثم إن الفتى بعد أن حسنت حالته ، أرسل إلى الدار التي أشرفت عليه منها الجارية ، فإذا هي لرجل من أهل بغداد من مباشريها ، وقد مات ولم يخلف ولداً سوى تلك الجارية ، وما مات حتى تضعضع حاله ، فأعلم المأمون بذلك ، فمر بخطبتها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية في نعمة عظيمة بقية عمرهما .

رقة قلب المأمون

وسرق شاب سرقة ، فتي به إلى المأمون فأمر بقطع يده فتقدم لتقطع يديه فأنشد الشاب يقول :

يـــــدي ، يا أمير المؤمنين ، أعيذهـــا   بعفـــوك أن تلقـــى نكالاً يشينهـا

فـــلا خـــير في الدنيـا ولا راحةً بها   إذا مـــا شمـــالٌ فارقتهـــا يمينهـــا

وكانت أم الشاب واقفةً على رأسه ، فبكت وقالت : يا أمير المؤمنين إنه ولدي وواحدي ، ناشدتك الله إلا رحمتني وهدأت لوعتي وجدت بالعفو عمن استحق العقوبة .

فقال المأمون : هذا حد من حدود الله تعالى .

فقالت : يا أمير المؤمنين! اجعل عفوك عن هذا الحد ذنباً من الذنوب التي تستغفر منها .

فرق لها المأمون وعفا عنه .

المأمون ونذير الشؤم

قال أحدهم : رأيت في بعضٍ المجاميع بخط بعض العلماء الأكابر أن المأمون أشرف يوماً من قصره فرأى رجلاً قائماً وبيده فحمة ، وهو يكتب بها على حائط قصره ، فقال المأمون لبعض خدمه : اذهب إلى ذلك الرجل ، فانظر ما كتب وآتني به .

فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً وقبض عليه ، وقال : ما كتبت؟ فإذا هو قد كتب هذين البيتين :

يا قصــر جمــع فيــك الشوم واللوم　　متــى يعشــش في أركانك البوم

يوــم يعشــش فيك البوم من فرحي　　أكوــن أول مــن ينعــاك مرغوم

ثم إن الخادم قال له : أجب أمير المؤمنين .

فقال الرجل : سألتك بالله لا تذهب بي إليه .

فقال الخادم : لا بد من ذلك .

ثم ذهب به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين وأعلم بما كتب قال له المأمون : ويلك ، ما حملك على هذا؟ فقال : يا أمير المؤمنين! إنه لا يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الأموال والحلي والحلل والطعام والشراب والفرش والأواني والأمتعة والجواري والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي . وإني يا أمير المؤمنين قد مررت عليه الآن ، وأنا في غاية من الجوع والفاقة ، فوقفت مفكراً في أمري وقلت في نفسي : هذا القصر عامر عال ، وأنا جائع ولا فائدة لنا فيه ، فلو كان خراباً ومررت به لم أعدم رخامة أو خشبة أو مسماراً أبيعه وأتقوت بثمنه أوما علم أمير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر :

إذا لــم يكــن للمرء في دولة امرئٍ　　نصيــب ولا حــظ تمنــى زوالها

ومــا ذاك مــن بغــض له ، غير أنه　　يزجي سواها ، فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون : يا غلام ، أعطه ألف درهم ، ثم قال : هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامراً بأهله مسروراً في دولته .

وأنشدوا في معنى ذلك :

إذا كنـــت في أمر ، فكن فيه محسـناً   فعمـــا قليـــل أنـت ماض وتاركه
فكـــم دحـــت الأيـــام أربـاب دولةٍ   وقـد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه

المأمون ومدعي النبوة

تنبأ رجل في أيام المأمون وادعى إنه إبراهيم الخليل ، فقال له المأمون : إن إبراهيم كـانت له معجزات وبراهين ، قال : وما براهينه؟ قال : أضرمت له نار وألقي فيها ، فصارت عليه بردا وسلاما ، ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها ، فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك ، قال : أريد واحدة أخف من هذه ، قال : فبراهين موسى ، قال : وما براهينه؟ قال : ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى وضرب بها البحر ، فانفلق ، وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء .

قال : وهذه علي أصعب من الأولى . قال : فبراهين عيسى .

قال : وما هي؟ قال : إحياء الموتى . قال : مكانك قد وصلت . أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة ، فقال يحيى : أنا أول من آمن بك وصدّق .

ويحكى أنه تنبأ رجل في أيام المأمون ، فقل ليحيى بن أكثم القاضي : يا يحيى امض بنا مستترين حتى ننظر إلى هذا المتنبي وإلى دعواه .

فركبا في الليل مستترين ومعهما خادم حتى صارا إلى بابه وكان مستراً بثوبه ، فاستأذنا عليه فخرج إليهما ، فقال : من أنتما؟ فقالا : رجلان يريدان أن يسلما على يديك .

قال : ادخلا . فدخلا وجلس المأمون عن يمينه ، يحيى عن يساره ، فقال المأمون : إلى من بعثت؟ قال : إلى الناس كافة .

قال : أفيوحى إليك ، أم ترى في المنام ، أم ينفث في قلبك؟ قال : بل أناجي وأكلم قال : ومن يأتيك؟ قال : جبريل .

قال : فمتى كان عندك؟ قال : الساعة قبل أن تأتياني بساعة .

قال : فما أوحى إليك؟ قال : أوحى إلي أنه سيدخل عليك رجلان فيجلس أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك ، والذي يجلس عن يسارك ألوط خلق الله تعالى .

فقال له المأمون : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وكان يحيى يعزى إلى ما قاله عنه المتنبي .

وادّعى آخر النبوة في أيام المأمون ،
فقال له : ما معجزتك ؟
قال : سل ما شئت ، وكان بين يديه قفل ،
فقال : خذ هذا القفل فافتحه .
فقال : أصلحك الله ، لم أقل إني حداد .
فضحك منه واستتابه وأجازه .

وتنبأ إنسان ، فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة ، فقال :
أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب . قالوا : رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت ، فقالوا : هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب ، فقال : لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ، ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانا . فضحك المأمون وأجازه .

وتنبأ آخر في زمن المأمون ، فقال المأمون : أريد منك بطيخا في هذه الساعة ، قال : أمهلني ثلاثة أيام ، قال :
ما أريده إلا الساعة ، قال : ما أنصفتني يا أمير المؤمنين إذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ما يخرجه إلا في ثلاثة أشهر ، فما تصبر أنت علي ثلاثة أيام ، فضحك منه ووصله .

وتنبأ آخر في زمن المأمون ، فلما مثل بين يديه . قال له من أنت؟ قال : أنا أحمد النبي قال : لقد ادعيت زورا ، فلما رأى الأعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال :
يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي ، فهل تذمه أنت ، فضحك المأمون منه وخلّى سبيله .

قال سعيد بن حفص المدينيّ : قال أبي : أتي المأمون بأسود قد ادّعى النبّوة ، وقال : أنا موسى بن عمران (فقال له : إنّ موسى أخرج يده من جيبه بيضاء ، فأخرج يدك بيضاء حتى أؤمن بك) فقال الأسود : إنّما فعل موسى ذلك لّما قال فرعون : أنا ربّكم الأعلى }فقل أنت كما قال حتى أخرج يدي بيضاء ، وإلاّ لم تبيضّ .

أُتي المأمون بإنسان متنبيء فقال له : ألك علامة ؟ قال : نعم علامتي اني أعلم ما في نفسك . قال :

قربت علي ، ما في نفسي ؟ قال له : في نفسك أني كذاب ! قال : صدقت ! وأمر به إلى الحبس فأقام به أياما ثم

أخرجه فقال : أُوحى إليك بشيء ؟ قال : لا قال : ولم ؟ قال : لأن الملائكة لا تدخل الحبس ! فضحك وأطلقه

زبيدة والمأمون

لما دخل المأمون على زبيدة ليعزيها في الأمين قالت : أرأيت أن تسليني في غدائك اليوم عندي فتغدى وأخرجت إليه من جواري الأمين من تغنيه فغنت : الطويل هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مرازبه فوثب مغضباً فقالت له : يا أمير المؤمنين حرمني الله أجره إن كنت علمت أو دسست إليها فصدقها .

حكي أن المأمون مر يوماً على زبيدة أم الأمين ، فرآها تحرك شفتيها بشيء لا يفهمه ، فقال لها : يا أماه ، أتدعين علي لكوني قتلت ابنك وسلبته ملكه؟ قالت : لا والله يا أمير المؤمنين .

قال : فما الذي قلته؟ قالت : يعفيني أمير المؤمنين .

فألح عليها وقال : لا بد أن تقوليه؟ قالت له : قلت ، قبح الله اللجاجة .

قال : وكيف ذلك؟ قالت : لأني لعبت يوماً مع أمير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضا ، فغلبني ، فأمرني أن أتجرد من أثوابي وأطوف القصر عريانة ، فاستعفيته ، وبذلت له أموالاً لا تحصى ، فلم يعف عني . فتجردت من أثوابي وطفت القصر عريانة ، وأنا حاقدة عليه ، ثم عاودنا اللعب فغلبته فأمرته أن يذهب إلى المطبخ ، فيطأ أقبح جارية وأشوهها خلقة فاستعفاني عن ذلك فلم أعفه ، فنزل لي عن

خراج مصر والعراق ، أبيت وقلت : والله لتطأنها ، فألححت عليه وأخذت بيده وجئت به إلى المطبخ ، فلم أر جارية أقبح ولا أقذر ولا أشوه خلقة من أمك مراجل ، فأمرته أن يطأها فوطئها فعلقت منه بك ، فكنت سبباً لقتل ولدي وسلبه ملكه .

فولى المأمون وهو يقول : قاتل الله اللجاجة ، أي التي لج بها عليها حتى أخبرته بهذا الخبر .

المأمون والشاعر

وأتى شاعر المأمون فقال : لقد قلت فيك شعراً ، فقال : أنشدنيه . فقال :

حيـــاك رب النـــاس حياكـــا   إذ بجمـــال الوجـــه رقاكـــا
بغـــداد مـــن نورك قد أشرقـــت   وورق العـــود بجدواكـــا

قال : فأطرق المأمون ساعة ، وقال : يا أعرابي ، وأنا قد قلت فيك شعراً ، وأنشد يقول :

حيـــاك ربُّ النـــاس حياكـــا   إن الـــذي أملـــت أخطاكـــا
أتيـــت شخصـــاً قد خلا كيسه   ولـــو حـــوى شيئـــاً لأعطاكـــا

فقال : يا أمير المؤمنين ، الشعر بالشعر حرام ، فاجعل بينهما شيئاً يستطاب .

فضحك المأمون وأمر له بمال .

الأعرابي والمأمون

صاح أعرابي بالمأمون : يا عبدالله يا عبدالله .

فغضب المأمون وقال : أتدعوني بإسمي؟

فقال الأعرابي : نحن ندعوا الله باسمه

فسكت المأمون وأنعم عليه!

التخلص من الوالي

شكا بعض أهل الأمصار والياً إلى المأمون فكذبهم وقال : قد صح عندي عدله فيكم وإحسانه إليكم فاستحيوا أن يردوا عليه ، فقام شيخ منهم وقال : يا أمير المؤمنين : قد عدل فينا خمسة أعوام فاجعله في مصر غير مصرنا حتى يسع عدله جميع رعيتك وتربح الدعاء الحسن ، فضحك المأمون واستحيا منهم وصرف الوالي عنهم

أعرابي يريد الحج

دخل أعرابي على المأمون وقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من الاعراب .
قال : ولا عجب في ذلك .
فقال الاعرابي : أني أريد الحج .
قال المأمون : الطريق واسعة .
قال : ليس معي نفقة .
قال المأمون : سقطت عنك الحج .
قال الاعرابي : أيها الامير جئتك مستجديا لا مستفتيا .
فضحك المأمون وأمر له بصلة

المكان الذي تملكه أفضل

قال المأمون لعبد الله بن طاهر : أيهما أطيب مجلسي أو منزلك؟
قال : ما عدلت به يا أمير المؤمنين .
قال : ليس لي الى هذا ، انما ذهبت الى الموافقة في العيش واللذة .
قال : منزلي يا أمير المؤمنين .
قال : ولم ذلك؟
قال : لأني فيه مالك وأنا ههنا مملوك .
جواب المبرد
قال المبرد : سأل المأمون يحيى بن المبارك عن شيء ، فقال : لا ، وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين ؛ فقال : لله درك! ما وضعت واوٌ قطّ وضعاً أحسن منها في هذا الموضع ؛ ووصله وحمله .

تأويل الرؤيا

دخل أعرابي على المأمون فقال :
رأيت في النوم أني مالك فرسا
ولي وصيف وفي كفي دنانير
فقال المأمون : أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين .

المأمون ويحيى بن أكثم

يحكى أنه كان عند المأمون يوماً ، فقال له المأمون وهو يعرض له باللواط : يا يحيى! من ذا الذي يقول :

قاضي يرى الحد في الزناء ولا يرى   على من يلوط من بأس

فقال له : الذي يقول :

ما أرى الجور ينقضي ، وعلى الأمة   والٍ منكم بني العباس

سليب العقل لا الدين

ويقال : إن المأمون شرب يوماً ومعه القاضي يحيى بن أكثم[١] ، فمال لساقي على القاضي حتى وقع سكران ، فأمر المأمون أن يلقى عليه الورد والرياحين حتى يدفن فيها كأنه ميت ، وصنع بيتين شعراً ، وقال لمغنيته : خذي العود وغني على رأسه فغنت وقالت :

ناديته وهو حي لا حراك به   مزمل في ثياب من رياحين

فقلت : قم! قال : رجلي لا تطاوعني   فقلت : خذ! قال : كفي لا يوافيني

فاستيقظ يحيى لرنة العود والجارية تغني البيتين فقام ، وقال :

يا سيدي وأمير الناس كلهم   قد جار في حكمه من كان يسقيني

سقاني الراح لم يمزج سلافتها   حتى بقيت سليب العقل لا الدين

الخطأ في الشعر

ومن المنقول عن المأمون : قال عمارة بن عقيل[٢] : قال لي ابن أبي حفصة الشاعر : أعلمت أن أمير المؤمنين – يعني المأمون – لا يبصر الشعر؟

فقلت من ذا يكون أفرس منه وانّا لننشد أوّل البيت فيسبق آخره من غير أن يكون سمعه؟

---

(١) يحيى بن أكثم بن مُحمّد التميمي ، عالِم وإمام وفقيه وراوٍ للحديث النبوي وقاضي قضاة أهل البصرة ويُعّد من تبع التابعين .

(٢) عمارة بن عقيل هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية ، من ذرية جرير الشاعر ، شاعر من شعراء العصر العباسي . كان منصرفاً إلى حياة البادية واشتهر بالفصاحة حتى اعتبره البعض أشعر أهل زمانه

قال : فاني أنشدته بيتا أجدت فيه ، فلم أره تحرّك له ، وهذا البيت فاسمعه :

أضحى امــام الهدى المأمون منشغـلا بالدين والناس بالدنيـا مشاغيــل

فقلت له : ما زدته على أن جعلته عجوزا في محرابها في يدها مسبحة ، فمن يقوم بأمر الدنيا اذا كان مشغولا عنها ، وهو المطوق لها . ألا قلت كما قال عمّك جرير لعبد العزيز بن الوليد :

فلا هـــو فـــي الدنيا مضيّع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغلـه

أبو عباد وزير المأمون وضيق صدره

وكان أبو عباد وزير المأمون ضيقاً جداً ، قيل له : إن لقمان قال : ما شيء أشد من حمل الغضب . فقال : ولكنه عندي أخف من الريشة . قيل له : إنما عنى لقمان أن احتـمال الغضب ثقيل . فـقال : والله ما يقوى على الغضب أحد من الناس إلا الجمل .

وغضب يوماً على بعض أصحابه ، فشجه بدواة كانت بين يديه . فقال : صدق الله حيث يقول : والذين إذا ما غضبوا هم يغفرون ، فبلغ ذلك المأمون فضحك . فقال : ويلك ! لا تحسن تقرأ آية من كتاب الله تعالى . قال : يا أمير المؤمنين ؛ والله إني لأحسن أقرأ من سورة واحدة ألف آية . فضحك المأمون وأمر بإخراجه . ولم يكن جاهلاً . وإنما كان يجري عليه الغلط لفرط غيظه .

وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد : صف لي ثابت بن يحيى يريد أبا عباد . فقال : هو والله أحد من سيف سعيد بن العاص . فقال : والله ما أتبين من هذا شيئاً ؟ فقال : إن حركته تبين لك الأمر .

فعرض أبو عباد يوماً عليه كتاباً وخرج ، فلما قرب من الباب أمر المأمون برده ؛ فرجع وقد تغير ، فخاطبه وتركه ينصرف . فلما كاد يركب أمر برده . فلما عرف الرسول تناول الدواة من غلامه ، وقال : الساعة والله أضرب بها وجهك يابن الخبيثة ، كان ينبغي لك أن تقول قد ذهب إلى النار . ورجع ، فقال له المأمون : اعرض فيما تعرض علي حوائج الهاشميين . قال : نعم ! وقل كل ما تريد فلست أرجع إليك اليوم بعد هذا ، ولو قمت أنت بنفسك ! فضحك المأمون ، وقال : قاتل الله دعبلاً يريد قوله :

أولـــى الأمـور بضيعـةٍ وفســاد أمـــرٌ يدبّــره أبــو عبّــاد

وكأنــــه مــن ديــر هرقــل خارجٌ   حرجــاً يجــرّ سلاســل الأقيـاد

وقيل للمأمون : إن دعبلاً هجاك فقال :

أيسومنــــي المأمــــون خطّـة ظالم   أومـا رأى بالأمـس رأس محمّـد
يربــى عــلى رأس الخلائــق مثلمـاً   تربى الجبال على رؤوس القــردد
إنـــي مـــن القــوم الذيــن هـم هم   قتلـــوا أخــاك وشرّفــوك بمقعد
شــادوا بذكــرك بعــد طول خموله   واستنقذوك من الحضيض الأوهـد

فقال : هو يهجو أبا عباد ولا يهجوني يريد أبا عباد حرج حديد ، والمأمون حليم متساهل .

وقال المأمون لما سمع هذا الشعر : ما في الدنيا أصفق وجهاً من دعبل ولا أبهت ، كيف يستنقذني هو وقومه من الحضيض الأوهد ، وأنا في حجر الخلافة ربيت ، وبدرها غذيت ، وإنما قال هذا دعبل : لأن طاهر بن الحسين[1] قتل أخاه ، وطاهر مولى خزاعة قوم دعبل .

أنشد شاعر أبا عباد قصيدة طويلة ، فضاق ضيقاً عظيماً ، ثم تجمل معه في استماعها حتى أتمها ؛ فقام رجل من أصحابه يعرف بالغالبي ؛ فأنشد قصيدة أخرى فسمعها ، وقد بلغ الضيق به منتهاه ؛ فقال فيها :

ثبتــت رحــى ملــك الإمام بثابت   وأفــاض فيهــا العدل والإحسانا
يقـــري الوفــود طلاقــةً وبشاشـةً   والناكثــين مهنّـــداً وسنانـــا

فقال أبو عباد : مهلاً مهلاً ، إنما أنا كاتب ليست هذه صفتي ، هذه صفة حميد الطوسي . فضحك الحاضرون ، وزاد ضيق أبي عباد لضحكهم وخجل الرجل . فقال : ما زلت للعافين غيثاً ممرعاً متخرقاً في جوده . . . . وأنسي من الدهش من غيظه أبي عباد باقي البيت ، فأقبل يردد متخرقاً في جوده . فقل : قل قرننا صفعانا ، ودعنا نستريح . فقال : يا سيدي معواناً ، وخرج مولياً ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

قال إبراهيم بن العباس الصولي : لو وزنت كلمات النبي صلى الله عليه وسلم إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم بكلام أهل الأرض لرجحت ،

(١) طاهر بن الحسين اسمه طاهر بن الحسين بن زريق ماهان الخزاعي ولد سنة ١٥٩هـ وهو أحد أشهر قواد الخليفة العباسي المأمون وكان يعرف بذى اليمينين وقال فيه الشاعر يا ذا اليمنين وعين واحده نقصان عين ويمين زائدة

هذا أبو عباد لم يكن في زمانه أكرم منه ، وما يكاد يرى له شاكراً لسوء خلقه .

كان أبو عباد يقول : ما جلس أحد بين يدي ، إلا ظننت أني سأجلس بين يديه .

المأمون والورد

وقال إسحاق : دخلت يوماً على المأمون في زمن الورد ، فقال لي : يا إسحاق! هل قلت شيئاً في الورد؟ قلت : أقول بسعادة أمير المؤمنين .

وفكرت ساعة فلم تسمح قريحتي في ذلك الوقت بشيء ، فخرجت من عنده وبقيت ليلتي ساهراً متفكراً ، فلم يفتح علي بشيء ، فلما أصبحت غدوت إلى دار الخلافة ، وإذا غلام الفضل بن مروان على باب المأمون ، ومعه سبع وردات على صينية فضة ، ينتظر الإذن في الدخول بها عليه ، فسألته المهلة بها قليلاً ، فامتنع ، سألته ثانياً ، وقلت : أمهل قليلاً ، ولك بكل وردة دينار .

فأجابني إلى ذلك فدفعت له سبعة دنانير ، وأحببت أن لا يصل إليه الورد قبل وصول الشعر ، وخرجت أقصد الأزقة لعلي أسمع شيئاً من أحد أو ينبعث خاطري ولو ببيت واحد ، فبينما أنا كذلك وإذا أنا برجل يغربل التراب وهو ينشد ويقول :

اشرب على ورد الخدود فإنه   أزهى وأبهى ، فالصبوح يطيب
ما الورد أحسن من تورد وجنة   جمراء جاد بها عليك حبيب
صبغ المدام بياضها فكأنه   ذهبٌ بقالب فضة مضروب

فلما سمعته نزلت عن دابتي ، ودخلت مسجداً بالقرب منه وطلبته ، فلما أقبل سألته أن يمليها علي فاعتل ، وقال : إن أردت فاعطني بكل بيت عشرة دنانير ، فدفعتها له واستمليتها منه ثم عدت أنا وغلام الفضل بن مروان ، وإذا بالمأمون يشرب من وراء الستارة ، فلما جسيت العود قال لجواريه : اسكتن ، فقد جاء إسحاق ، فقدمت ذلك الورد بين يديه وأنشدت الأبيات فسمعت الشهيق والزفير من وراء الستارة ثم أخرج إلي بدرةٌ فيها عشرة آلاف درهم ، فأعدت الأبيات ، فأخرج إلي بدرة أخرى ، فأعدت الثالثة فأخرج إلي بدرة ثالثة ، فأخذت في غير الشعر ، فخرج إلي خادم وقال : يقول لك أمير المؤمنين لو دمت على إنشادك لدمنا على البدرة ولو إلى الليل .

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

ويحكى عن العباس صاحب شرطة المأمون ، قال : دخلت إلى مجلس أمير المؤمنين ببغداد يوماً ، وبين يديه رجل مكبل بالحديد ، فقال لي : يا عباس؟ قلت : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : خذ هذا إليك فاستوثق به واحتفظ عليه وبكر به إلي في غد واحترز عليه كل الاحتراز .

قال العباس : فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي : مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب إلا أن يكون معي في بيتي ، فلما تركوه في داري أخذت أساله عن قضيته وحاله ومن هو؟ فقال : أنا من دمشق .

فقلت : جزى الله دمشق خيراً ، فمن أنت من أهلها؟ .

قال : وعمن تسأل؟ قلت : أوتعرف فلاناً؟ قال : ومن أين تعرف ذلك الرجل؟ فقلت : وقعت لي معه قضية .

فقال : ما كنت بالذي أعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه؟ فقلت : ويحك! كنت مع بعض الولاة بدمشق فسمعت أهلها ، وقد خرجوا علينا حتى أن الوالي خرج في زنبيل من قصر الحجاج ، وهرب هو وأصحابه ، وهربت في جملة القوم ، فبينما أنا هارب في بعض الدور ، وإذا بجماعة يعدون ، فما زلت أعدو أمامهم حتى تجاوزتهم ، ومررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك ، وهو جالس على باب داره ، فقلت : يا هذا أغثني أغاثك الله؟ قال : لا بأس عليك ادخل الدار .

فدخلت ، فقالت لي زوجته : ادخل تلك المقصورة .

فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار ، فما شعرت إلا وقد دخل ، والرجال معه يقولون هو والله عندك .

فقال : دونكم الدار فتشوها .

ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها ، فقالوا : ها هو هنا .

فصاحت بهم المرأة ونهرتهم ، فانصرفوا ، وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة ، وأنا قائم أرجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف ، فقالت المرأة : اجلس لا بأس عليك .

فجلست ، فلم ألبث حتى دخل الرجل ، فقال : لا تخف فقد صرف الله عنك

شرهم وصرت إلى الأمن والدعة إن شاء الله .

فقلت : جزاك الله خيراً .

فما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجملها وأفرد لي مكاناً من داره ولم يحوجني إلى شيء ولم يفتر عن تفقد أحوالي ، فأقمت عنده أربعة أشهر في أتم عيش وأرغده إلى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها ، فقلت له : أتأذن لي في الخروج حتى أتفقد حال غلماني ، فلعلي أقف منهم على خبر .

فأخذ علي المواثيق بالرجوع إليه ، فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثراً فرجعت إليه وأعلمته بالخبر ، وهو مع هذا كله لا يعرفني بنفسه ولا يعرف من أنا ، فقال لي : علام تعزم؟ فقلت : عزمت على التوجه إلى بغداد .

قال : إن القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج .

فقلت له : إنك قد تفضلت علي هذه المدة ، لك علي عهد الله إنني لا أنسى لك هذا الفضل ولأوفينك مهما استطعت .

قال : فدعا بغلام أسود وقال له : أنعل الفرس الفلاني ، ثم جهز آلة السفر فقلت في نفسي : ما أشك أنه يريد أن يخرج إلى ضيعة له أو ناحية من النواحي . فأقاموا يومهم ذلك في كد وتعب ، فلما كان يوم خروج القافلة جاء في السحر ، فقال : يا فلان! قم ، فإن القافلة تخرج الساعة ، وأكره أن تنفرد عنها .

فقلت في نفسي : كيف اصنع وليس معي ما أتزود به ولا ما أكتري به مركباً ، ثم قمت ، فإذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر اللباس وخفين جديدين وآلة السفر ، ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ، ثم قدم لي غلاماً وعلى كتفه صرتان وفوقهما مرتبة السفر وسجادة من أفخر ما يكون ، وأعلمني بما في الصرتين أنه خمسة آلاف درهم ، وشد لي الفرس الذي أنعله بسرجه ولجامه ، وقال لي : اركب ، وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس مركوبك ، وأقبل هو وامرأته يعتذران إلي من التقصير في أمري وركب معي من يشيعني ، وانصرفت إلى بغداد ، وأنا أتوقع خبره لأفي بعهدي له في مجازاته ومكافاته ، واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أقدر أن أتفرغ إلى أن أرسل إليه من يكشف خبره ، فلهذا أسأل عنه .

فلما سمع الرجل الحديث قال : قد أمكنك الله من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك .

فقلت : وكيف ذلك؟ قال : أنا ذلك الرجل ، وإنما الضر الذي أنا فيه قد غير

عليك حالي وما كنت تعرفه مني ، ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الأسباب حتى أثبت معرفته ، فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه ، ثم قلت له : فما الذي صيرك إلى ما أرى؟ قال : هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت إلي ، وبعث أمير المؤمنين بجيوش فضبطوا البلد فأخذت أنا وضربت إلى أن أشرفت على الموت ، وقيدت وبعث بي إلى أمير المؤمنين وأمري عنده عظيم ، وهو قاتلي لا محالة ، وقد أخرجت من عند أهلي بلا وصية ، وقد تبعني من ينصرف إليهم بخبري ، وهو نازل عند فلان ، فإن رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن ترسل من يحضره لي حتى أوصيه بما أريد ، فإن أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت بوفاء عهدك .

قال العباس : فقلت يصنع الله خيراً .

ثم أحضر حداداً في الليل وفك قيوده ، وزال ما كان عليه من الإنكال ، وأدخله حمام داره ، وألبسه من الثياب ما احتاج إليه ، ثم سير من أحضر إليه غلامه ، فلما رآه جعل يبكي ويوصيه ، فاستدعى العباس نائبه وقال : علي بفرسي الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ، ثم عشرة من الصناديق ، ومن الكسوة كذا وكذا .

قال ذلك الرجل : وأحضر لي بدرة فيها عشرة آلاف درهم وكيساً فيه خمسة آلاف دينار ، وقال لعامله في الشرطة : خذ هذا الرجل وشيعه إلى حد الأنبار .

فقال له : إن ذنبي عظيم عند أمير المؤمنين وخطبي جسيم ، وإن أنت احتجيت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأرادوا قتلي .

فقال : انج بنفسك ودعني أدبر أمري .

فقال : والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك ، فإن احتجت إلى حضوري حضرت .

فقال لصاحب الشرطة : إن كان الأمر على ما يكون ، فليكن في موضع كذا وكذا ، فإن أنا سلمت في غداة غدٍ أعلمته ، وإن أنا قتلت وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه ، وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم ، وتجتهد في إخراجه من بغداد .

قال الرجل : فأخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان يثق به ، وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفناً .

قال العباس : فلم أفرغ من صلاة الصبح إلا وأرسل المأمون في طلبي يقولون : يقول لك أمير المؤمنين : هات الرجل معك وقم .

قال : فتوجهت إلى دار أمير المؤمنين وإذا هو جالس وعليه كآبة ، فقال : أين الرجل؟ فسكت ، فقال : ويحك أين الرجل؟ فسكت ، فقال ويحك أين الرجل؟ فقلت : يا أمير المؤمنين اسمع مني ما أقول .

فقال : لله علي عهد ، لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك .

فقلت لا والله ، يا أمير المؤمنين إنه ما هرب ، ولكن اسمع حديثي معه كيت وكيت ، وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته أني أريد أن أفي له وأكافئه على ما فعله معي ، وقلت : أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين : إما أن يصفح عني ، وقد وفيت وكافأت ، وإما أن يقتلني فأقيه بنفسي وقد تحنطت ، وها كفني يا أمير المؤمنين .

فلما سمع المأمون الحديث قال : ويحك ، لا جزاك الله خيراً عن نفسك ، إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة ، وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير؟ هلا عرفتني خبره ، فكنت أكافئه عنك ولا أقصر بوفائي له؟ فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ههنا ، وقد حلف أنه لا يبرح حتى يعرف سلامتي ، فإن احتجت إلى حضوره حضر .

فقال المأمون : وهذه منة أعظم من الأولى ، اذهب الآن فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته عنك .

قال : فأتيت إليه وقلت : ليزل عنك حزنك ، إن أمير المؤمنين قال كيت وكيت .

فقال : الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء أحد سواه . ثم قام فصلى ركعتين ، ثم أتيت به إلى أمير المؤمنين ، فلما مثل بين يديه أقبل عليه وأدنى مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى عنها ، فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها ، وعشرة بغال بآلاتها ، وعشر بدر ، وعشرة آلاف دينار ، وعشرة مماليك بدوابهم ، وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية به ، وأطلق خراجه ، وأمر بمكاتبته بأحوال دمشق ، فصارت كتبه تصل إلى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي : يا عباس هذا كتاب صديقك .

المأمون وزنبيل بوران

ويحكى عن إسحاق الموصلي[1] أنه قال : خرجت ليلة من عند المأمون متوجهاً إلى بيتي ، فأحسست بالبول ، فعمدت لزقاق ، وقمت لأتمسح بالحيطان ، وإذا بزنبيل كبير بأربعة آذان ملبس ديباجاً ، فقلت : إن لهذا سبباً وبقيت متحيراً في أمره ، فحملني السكر وقال لي : اجلس فيه ، فجلست ، فلما أحس بي الذين كانوا يرقبونه جذبوه إلى رأس الحائط ، فإذا أنا بأربع جوار يقلن لي : انزل بالرحب والسعة ومشت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت إلى دار ومجالس مفروشة لم أر مثلها إلا في دار الخلافة فجلست ، فما شعرت بعد ساعة إلا بستور قد رفعت في ناحية من الجدران ، وإذا بوصائف يتمشين وفي أيديهن الشمع وبعض مجامر يحرق فيهن العود وبينهن جارية كأنها البدر الطالع ، فنهضت وقالت : مرحباً بك من زائر وجلست ، ثم سألتني عن خبري فقلت : انصرفت من عند بعض إخواني وغرني الوقت وحرقني البول ، فعمدت إلى هذا الزقاق ، فوجدت زنبيلاً معلقاً ، فحملني السكر على أن جلست فيه ، فإن كان خطأ فالنبيذ أكسبنيه .

قالت : لا ضير ، وأرجو أن تحمد عاقبة أمرك ، ثم قالت : فما صناعتك؟ قال : بزازاً ببغداد .

فقالت : هل رويت من الأشعار شيئاً؟ قلت : شيئاً ضعيفاً .

قالت : فذاكرنا شيئاً .

قلت : إن للداخل حشمةً ، ولكن تبدئين أنت .

قالت : صدقت ، فأنشدتني شعراً لجماعة من القدماء والمحدثين من أجود أقاويلهم ، وأنا مستمع لا أدري م أعجب من حسنها أم حسن روايتها؟ ثم قالت : أذهب ما كان فيك من الحصر؟ قلت : إي والله .

قالت : فإن رأيت أن تنشدنا .

فأنشدتها شيئاً لجماعة من القدماء ما فيه مقنع ، فاستحسنت ذلك ، ثم قالت : والله ما ظننت أنه يوجد في أبناء السوقة هذا ، ثم أمرت بالطعام فأحضر ، فجعلت

---

(١) إسحاق الموصلي هو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن الموصلي التّميمي بالولاء ، الأرجانيّ الأصل المعروف بابن النّديم الموصلي نادم الرّشيد والمأمون والمُعتصم والواثق ولد عام ٧٦٧ م في مدينة الري .

تقطع وتضع قدامي ، وفي المجلس من صنوف الرياحين وغريب الفواكه ما لا يكون إلا عند السلطان ، ودعت بالشراب ، فشربت قدحاً ، ثم ناولتني قدحاً ، ثم قالت هذا أوان المذاكرة والأخبار ، فاندفعت أذاكرها وقلت : بلغني أن كذا وكذا ، وكان رجل يقال له كذا ، حتى أتيت على عدة أخبار حسان ، فسرت بذلك وقالت : كثر تعجبي أن يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذا ، وإنما هذه أحاديث ملوك .

فقلت : كان لي جار يحادث الملوك وينادمهم ، وإذا تعطل حضرت معه فربما حدثت بما سمعت .

فقالت : لعمري ، لقد أحسنت الحفظ وما هذه إلا قريحة جيدة .

وأخذنا في المذاكرة ، إذا سكت ابتدأت هي ، وإذا سكتت ابتدأت أنا حتى قطعنا أكثر الليل وبخور العود يعبق ، وأنا في حالة لو توهمها المأمون لطار شوقاً إليها ، فقالت : إنك من أرف الرجال ، وضيء الوجه بارعٌ في الأدب وما بقي إلا شيء واحد؟ قلت : وما هو؟ قالت : لو كنت تترنم ببعض الأشعار؟ قلت : والله لقديماً كنت ألفته ولم أرزقه وأعرضت عنه ، وفي قلبي من حرارة ، ولو كنت أحب في مثل هذا المجلس شيئاً منه لتكمل ليلتي .

قالت : كأنك عرضت .

فقلت : والله ما هو تعريض قد بدأت بالفضل ، وأنت جديرة بذلك .

فأمرت بعود فحضر ، وغنت بصوت ما سمعت بحسنه مع حسن أدبها وجودة الضرب بالكمال الراجح ، ثم قالت : هل تعرف هذا الصوت ومن غنى به؟ قلت : لا .

قالت : الشعر لفلان والغناء لإسحاق .

قلت : وإسحاق هذا جعلت فداك بهذه الصفة؟ قالت : بخ بخ! إسحاق بارع في هذا الشأن .

فقلت : سبحان الله أعطي هذا الرجل ما لم يعطه أحد؟ قالت : فكيف لو سمعت هذا الصوت منه .

ثم لم تزل على ذلك حتى إذا كان الفجر أقبلت عجوزٌ كأنها داية لها ، وقالت : إن الوقت قد حضر ، فنهضت عند قولها ، فقالت : لتستر ما كنا فيه فإن المجالس بالأمانات .

قلت : جعلت فداك لم أكن أحتاج إلى وصية في ذلك .

فودعتها ، وجارية بني يدي إلى باب الدار ففتح لي فخرجت ورحت إلى داري ،

فصليت الصبح ونمت ، فانتهى رسول المأمون غلي فسرت إليه وأقمت عنده نهاري ، فلما كان العشاء تفكرت في ما كنت فيه البارحة ، وهذا شيء لا يصبر عليه إلا جاهل

فخرجت وجئت إلى الزنبيل ، فوجدته على عادته ، فجلست فيه ورفعت إلى موضع البارحة ، وإذا هي قد طلعت ، فقالت : لقد عاودت .

فقل : ولا أظن إلا أنني قد ثقلت .

وأخذنا في المحادثة مثل تلك الليلة السالفة في المذاكرة والمناشدة وغريب الغناء منها إلى الفجر . فانصرفت إلى منزلي ، فصليت الصبح ، ونمت . فانتهى رسول أمير المؤمنين غلي فمضيت إليه وأقمت نهاري عنده ، فلما كانت العشية توجه إلي مخاطباً ، وقال : أقسمت عليك لتجلسن حتى أجيء وأحضر ، فما كان حتى أن غاب وجالت وساوسي ، فلما تذكرت ما كنت فيه هان علي ما يخصني من أمير المؤمنين ، فوثبت مبادراً وخرجت جارياً حتى أتيت الزنبيل ، فجلست فهي فرفعت إلى مجلسي ، فقالت : صديقنا .

قلت : إي والله .

قالت : أجعلتها دار إقامة؟ قلت : جعلت فداك حق الضيافة ثلاثة أيام ، فإن رجعت بعد ذلك ، فأنتم في حل من دمي .

ثم جلسنا على ذلك الحال فلما قرب الوقت علمت بأن المأمون لا بد أن يسألني ، فلا يقنع إلا بشرح القصة فقلت : أنا أراك ممن يعجب بالغناء ولي ابن عم أحسن مني وجهاً ، وأظرف قداً وأكثر أدباً وأطيب أرجاً ، وهو أعرف خلق الله بغناء إسحاق .

فقالت : طفيلي وتقترح .

قلت : لها : أنت المحكمة .

قم قالت : إن كان ابن عمك على ما تصف فما نكره معرفته .

ثم جاء الوقت فنهضت وقمت وذهبت ، فلم أصل إلى داري إلا ورسل أمير المأمون قد هجموا علي وحملوني حملاً عنيفاً فوجدته قاعداً على كرسي وهو مغتاظ فقال : يا إسحاق ، أخروجاً عن الطاعة؟ قلت : لا والله .

قال : فما قصتك أصدقني؟ قلت : نعم في خلوة .

فأومأ إلى من بين يديه فتنحوا ، فحدثته الحديث وقلت له : وعدتها بك .

قال : أحسنت فأخذنا في لذتنا ذلك اليوم ، والمأمون معلق القلب بها ، فما

صدقنا أن جاء الوقت وسرنا ، وأنا أوصيه وأقول له : تجنب واحذر أن تناديني باسمي بحضرتها ، وغن وأنا لك تبع وهو يقول : نعم ، ثم سرنا إلى الزنبيل فوجدناهما اثنين ، فقعدنا فيهما

ورفعنا إلى الموضع المعهود ، فحضرت وأقبلت وسلمت ، فلما رآها المأمون بهت في حسنها وجمالها وأخذت تذاكره وتناشده الأشعار ، ثم أحضرت النبيذ فشربنا ، وهي مقبلة عليه مسرورة به ، وهو أكثر ، فأخذت العود وغنت صوتاً ، ثم قالت : وابن عمك هذا من التجار ، وأشارت إلي .

قلت : نعم .

قال : والله إنكما لقريبان .

فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب ، فصاح وقال : يا إسحاق! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : عن هذا الصوت؟ فلما علمت أنه الخليفة نهضت إلى مكان فدخلته ، فلما فرغت من الصوت قال : انظر من رب هذه الدار؟ فبادرت العجوز وقالت : للحسن بن سهل .

فقال : علي به .

فغابت العجوز ساعة ، وإذا الحسن قد حضر .

فقال له المأمون : ألك ابنة؟ قال : نعم .

قال : ما اسمها؟ قال : بوران .

قال : أمتزوجة؟ قال : لا والله .

قال : فإني أخطبها منك .

قال : هي جاريتك وأمرها إليك .

قال : قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألفاً ، تحمل إليك صبيحة يومنا هذا ، فإذا قبضت المال فاحملها إلينا من ليلتنا .

قال : نعم . ثم خرجنا فقال : يا إسحاق لا توفق على هذا الحديث أحداً .

فسترته إلى أن مات المأمون فما اجتمع لأحد مثل ما اجتمع لي في تلك الأربعة أيام مجالسة المأمون بالنهار وبوران بالليل ، ووالله ما رأيت أحداً من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة تقارب بوران فهماً وعقلاً .

أخلاق المأمون

من محاسن الأخلاق ، ما حكي عن القاضي يحيى بن أكثم قال : كنت نائماً ذات ليلة عند المأمون ، فعطش ، فامتنع أن يصيح لغلام يسقيه ، وأنا نائم فينغص علي نومي ، فرأيته وقد قام يتمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء ، وكان بينه وبين الماء نحو ثلاثمائة خطوة ، ثم رجع يتمشى على أطراف أصابعه حتى وصل إلى الفراش الذي أنا عليه ، وخطا خطوات لطيفة لئلا ينبهني حتى وصل إلى فراشه ، ثم رأيته آخر الليل ، وقد قام يبول ، فقعد طويلاً يحاول أن أتحرك فيصيح للغلام ، فلما تحركت وثب قائماً وصاح بالغلام وتأهب للصلاة ثم جاءني وقال : كيف أصبحت يا أبا محمد ، وكيف مبيتك؟ قلت : بخير مبيت جعلني الله فداك .

قال : لقد استيقظت للصلاة ، فكرهت أن أصيح للغلام فأزعجك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لقد خصك الله بأخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ووهب لك سيرتهم ، فهناك الله بهذه النعمة ، وأتمها عليك .

فأمر لي بألف دينار وانصرفت .

إسحاق وإبراهيم في حضرة المأمون

قال إبراهيم النديم : لما أردنا الانصراف ليلة عن المأمون التفت إلى إبراهيم ابن المهدي فقال : بحقي عليك يا عم لما صنعت أبياتاً وصنعت عليها لحناً ، ثم قال لي مثل ذلك وقال : بكرا علي فقد اشتهيت الصبوح غداً ، قال أبو إسحاق : فقلت والله لأكيدن إبراهيم ولأسرقنه ، فلما صليت العشاء الآخرة ركبت وصرت إلى ساباط لإبراهيم كان له عليه مجلس يقعد فيه فدعوت الحارس فأعطيته ديناراً وقلت له : لا تعلم أحداً بمكاني ، وصرفت غلامي وأمرته أن يأتيني بدابتي سحراً فلم ألبث أن جاء إبراهيم فجلس في مجلسه ذلك ودعا جواريه وجعل يلقنهن الشعر وقد صاغ عليه اللحن فهو يضرب بالعود وأنا أضرب على فخذي إيقاع الصوت حتى أخذته وأحكمته ، فلما كان السحر أتاني غلامي بدابتي فصرت من فوري إلى باب المأمون فقال لي أحمد بن هشام : بكرت ، ثم دخل فأعلمه فأذن لي فدخلت على المأمون فقال : أكلت فقلت : لا ، فدعا لي بالطعام ، وقد كان أكل وشرب ، فغنيته بشعر إبراهيم ولحنه وهو :

قالت نظرت إلى غيري فقلت لها ... وماء دمعي من عيني محدور

نفسي فداؤك طرف العين مشترك والقلب مني عليك الدهر مقصور
العين تنظر أحياناً وباطنه مما يقاسي بظهر الغيب مستور

فطرب المأمون عليه وشرب ، فما لبثنا ساعة واحدة حتى استؤذن لإبراهيم ابن المهدي فأذن له فدخل فدعا له بالطعام وسقي ثم جلس فغنى هذا الشعر في هذا اللحن فقال المأمون : يا هذا أراك تسرق أشعار الناس وتدعيها لنفسك ، واحمرت عيناه وغضب غضباً شديداً وكاد يسطو بإبراهيم ، فقام إبراهيم على قدميه وقال : وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيعتك في عنقي ما سبقني إليه أحد ، فقال المأمون : هذا أبو إسحاق بعينه ، وقال : يا أبا إسحاق غنه ، فغنيته فبقي إبراهيم مبهوتاً لا يحير جواباً ، فلما رأيت المأمون على تلك الحال قلت : يا أمير المؤمنين الشعر واللحن له ولكن سرقته منه اللصوص ، وحدثته الحديث فسكن حينئذ وقال : يا أحمد بن هشام خذ من مال إبراهيم ثلاثين ألف درهم وادفعها إلى أبي إسحاق لتضييع إبراهيم سره ، فغدوت على إبراهيم فقلت : أيها الأمير أقبلها مني ، واعتذرت إليه فقال : لا أقبل منك ما جاد به أمير المؤمنين لكن كدت والله يسفك دمي يا أبا إسحاق فلا تعد في المزاح إلى مثلها فإن الملوك تعفو عن الكثير وتقتل في اليسير .

إبراهيم بن المهدي والمأمون

قال الواقدي : كان إبراهيم بن المهدي ادعى لنفسه الخلافة بالري وأقام مالكها سنة وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً .

فمما حكاه قال : لما دخل المأمون الري في طلبي أثقل علي الطلب وجعل لمن دل علي وأتاه بي مائة ألف درهم ، فخفت على نفسي ، وتحيرت في أمري ، فخرجت من داري وقت الظهر ، وكان يوماً صائفاً ، وما أدري أين أتوجه ، فمررت بزقاق لا ينفذ ، فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وخفت إن رجعت على أثري يعلموا بين فرأيت في صدر الزقاق عبداً أسود قائماً على باب داره ، فتقدمت إليه ، وقلت له : عندك موضع أقيم فيه ساعة من النهار؟ قال : نعم ، وفتح الباب ، فدخلت إلى بيت نظيف فيه حصر نظيفة وبسط ومخدات جلد ، ثم إنه أغلق الباب علي ومضى ، فخفت أن يكون سمع الجعالة في حقي ، وأنه عرفني ومضى ليدلهم علي ، فبقيت مثل الحبة في المقلاة قلقاً ميتاً من الخوف ، فبينما أنا كذلك ، إذ أقبل ومعه حمال حامل كل ما أحتاج إليه من لحم وخبز وقدر جديدة وجرة وكيزان

جدد ، ثم التفت إلي وقال : جعلني لله فداك! أنا رجل حجام ، وأنا أعرف أنك تنفر مني لما أتولاه من معيشتي ، فشأنك بما لم تقع عليه يدي .

وكان لي حاجة إلى الطعام فقمت وطبخت قدراً ما ظننت أني أكلت مثلها قدراً ، فلما قضيت أربي ، قال لي : هل لك أن تشرب شيئاً فإنه يسلي الهم ويزيل الغم ، ويمهد للنفس الفرح؟ قلت : ما أكره ذلك ، رغبة في مؤنسته .

فأتى بقطرميز جديد وأحضر لي نقلاً وفاكهة في أوان جدد من فخار ، ثم قل بعد ذلك : إن أذنت لي ، جعلت فداك أن أقعد بناحية منك وآتي بشراب فأشرب مسروراً بك .

فقلت : افعل .

ففعل وشرب ثلاثاً ، ثم خل إلى خزانة له : فأخرج عوداً مصلحاً ، ثم قال : يا سيدي ليس من قدري أن أسألك أن تغني ، ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي ، فإن رأيت أن تشرف عبدك بأن تغني لنفسك والعبد يسمع فافعل .

فقلت له : ومن أين لك أني أحسن الغناء؟ فقال متعجباً : سبحان الله! أنت أشهر من ذلك ، أنت إبراهيم بن المهدي خليفتنا بالأمس الذي جعل المأمون لمن يدل عليك مائة ألف درهم .

فلما قال ذلك عظمت مروءته عندي ، وعلمت أن نخوته أجل مما بذل ، فتناولت العود فأصلحته ، وقد مر بخاطري ذكر أهلي وولدي ، فقلت :

وعسى الذي أهدى ليوسف أهله ... وأعزه في السجن وهو غريب

أن يستجيب لنا فيجمع شملنا ... فالله رب العالمين قريب

فقال : يا سيدي اجعل ما تغنيه مما أقتضيك به .

قلت : نعم . فقال : غن لي :

إن الذي عقد الذي انعقدت به ... عقد المكاره ، فهو يملك حلها

فاصبر ، فإن الله يعقب راحةً ... فلعلها أن تنجلي ، فلعلها

فحسن عندي اقتراحه وشربت ، ثم قال لي : غن لي :

وراء مضيق الخوف متسع الأمن ... وأول مفروح به آخر الحزن

فلا تيأسن فالله ملك يوسفاً ... خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وشربت ، وقال : غن لي :

إذا الحادثات بلغن النهى ... وكادت لهن تذوب المهج

وحـل البـلاء وقـل العـزاء   فعنـد التناهـي يكـون الفـرج

وغنيته وحسن في نفسي اقتضاؤه ، وأنست به ، واستظرفته ، ثم قال : إن رأيت يا سيدي أن تأذن لي أن أغني ما خطر ببالي ، وإن كنت من غير أهل الصناعة؟ فقلت : يكون ذلك زيادةً في أدبك ومروءتك .

فأخذ العود ، ثم قال : دستور ، ثم ضرب عليه ، وغنى يقول :

شكونـا إلـى أحبابنـا طـول ليلنا   فقالـوا لنـا : ما أقصر الليل عندنا

وذاك لأن النـوم يغشـى عيونهـم   سريعـاً ولا يغشـى لنا النوم أعينا

إذا ما دنـا الليـل المضر بذي الهوى   جزعنـا ، وهـم يستبشرون إذا دنا

فلـو أنهـم كانـوا يلاقون مثـل ما   تلاقـي لكانـوا في المضاجع مثلنا

فقلت : والله ذهب عني كل ما كان عندي من الفزع وسألته أن يغني ، فغنى يقول :

تعيرنـا أنـا قليـلٌ عديدنـا   فقلـت لهـا : إن الكـرام قليـل

ومـا ضرنـا أنـا قليـل وجارنا   عزيـز ، وجـار الأكثريـن ذليـل

وإنا لقـوم لا نـرى المـوت سبـةً   إذا مـا رأتـه عامـرٌ وسلـول

يقـرب حـب المـوت آجالنـا لنـا   وتكرهـه آجالهـم فتطـول

فوالله لقد أجاد وذهب عني كل ما كان من الفزع والجزع ، واستأنست به وأخذني من الطرب ما لا مزيد عليه ، وعاجلني النوم قبل أوانه فنمت ، ولم أستيقظ إلا بعد المغرب ، وجال فكري في هذا الحجام وأدبه وظرفه ، وكيف غناؤه وأدبه وإرادته أن يسليني عما أنا فيه إشارة إلى تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره ، فقعدت وغسلت وجهي ويقظته ، وأخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير ومصاغ لها قيمة فدفعتها إليه ، وقلت له : أنت في وداعة الله وحفظه فإني ماض عنك ، وأسألك أن تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ، ولك عندي ، إذا أمنت ، المزيد ، فأعادها علي مبادراً وقال : يا سيدي! الصعلوك لا قيمة له عند أهل الرياسات ، ويظنون فيه الظنون الرديئة ، أفآخذ على ما وهبني الله من قربك وحلولك في منزلي ثمناً؟ لا والله ، فألححت عليه ، فأخذ موسى بيده وقال : والله إن راجعتني لأنحرن نفسي ، فخشيت عليه وأخذت الخريطة وأثقلني حملها ، فلما انتهيت إلى باب الدار ، قال : يا سيدي إن هذا الموضع أخفى لك من غيره ، وليس عندي في مؤنتك ثقلة ، فأقم عندي إلى أن يفرج الله عنك . فرجعت وسألته أن يكون منفقاً من تلك

الخريطة فلم يفعل ، وكان كل يوم يفعل بي مثل ما فعل في اليوم الأول .

قال : فأقمت أياماً في أطيب عيش وأهناه ، ثم سئمت من الإقامة عنده وخشيت الثقل عليه ، فتركني ومضى يجدد لنا حالنا ، فلبست ثيابي وتزينت بزي النساء بالخف والنقاب ، وخرجت . فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف والفزع أمر شديد ومشيت لأعبر الجسر ، وإذا هو قد رش ، ورجل قائم فأبصرني بعض من كان في خدمتي من الجند فتعلق بين وقال : طلبة أمير المؤمنين ، فدفعته في صدره فوقع في الزلق وصار عبرة وتبادر الناس إليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ، ودخلت زقاقاً فوجدت باباً وامرأة واقفة فيه ، فقلت : يا سيدة النساء ، احقني دمي فإني رجل خائف .

فقالت : ادخل ، فدخلت فأطلعتني إلى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاماً . وقالت : ليهدأ روعك فإنه لا يعلم بك مخلوق ، ولو أقمت سنة ما عليك بأس ، وإذا بالباب يدق ، فخرجت وفتحت الباب ، فإذا هو صاحبي الذي دفعته على الجسر ، وهو مشدوخ الرأس ودمه يسيل على ثيابه ، فقالت له ما دهاك؟ قال : إن حديثي عجيب وأمري غريب ظفرت بالفتى وانفلت من يدي .

قالت : وكيف؟ قال : إبراهيم بن المهدي لقيته فتعلقت به فدفعني فأصابني ما ترين من حالي ولو حملته إلى أمير المؤمنين لأخذت منه مائة ألف درهم .

قال : فأخرجت له حراقاً وذروراً ، وفرشت له بعد كبس جرحه فنام قليلاً وطلعت وقالت لي : أظنك صاحب القصة؟ قلت : نعم .

فقالت لي : إني خائفة عليك ، ثم جددت لي الكرامة وأقمت عندها ثلاثة أيام ، ثم قالت لي : إني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على أمرك فينم عليك فانج بنفسك .

فسألتها إمهالي إلى الليل . فلما دخل لبست زي النساء وخرجت منم عندها وأتيت إلى بيت مولاة لنا ، فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتي وخرجت كأنه تريد كرامتي ، فتوجهت للسوق مظهرة الاهتمام للضيافة فظننت خيراً ، فلم أشعر إلا بإبراهيم الموصلي بخيله ورجاله ، والمولاة معه حتى سلمتني إليه ، فرأيت الموت عياناً ، وحملت مثل ما أنا إلى أمير المؤمنين ، فجلس مجلساً عاماً ، وأمر بإدخالي عليه ، فلما مثلت بين يديه سلمت عليه سلام الخلافة ، فقال : لا سلمك الله ، ولا حفظك ولا رعاك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن ولي الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناولته يد الأقدار ربما مد له من أسباب الرجاء ما يأمن معه عادية الدهر ، وقد جعلك الله فوق خلقه ، وأصبح عفوك فوق كل ذي عفو ، فإن تأخذ فبحقك ، وإن تعف فبفضل ، وأنشدت أقول :

ذنبي إليك عظيم وأنت أعظم منه فخذ بحقك أولا
واصفح بحلمك عنه إن لم أكن في فعالي من الكرام فكنه

قال : فرفع رأسه إلي ، فقلت مبتدراً :

أتيـــت ذنبـــاً عظيماً   وأنـــت للعفـــو أهـل
فـإن عفـــوت فمـــن   وإن جزيـــت فعـــدل

قال : فرق المأمون واسترجع فرأيت روائح الرحمة في شمائله ، ثم أقبل على أخيه أبي إسحاق محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خصته ، وقال : ما ترون في أمره؟ فأشار الكل بقتلي ، إلا أنهم اختلفوا في القتل ، فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد : ما تقول يا أحمد؟ فقال : يا أمير المؤمنين! إن قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله ، وإن عفوت لم نجد مثلك في العفو .

فنكس المأمون رأسه إلى الأرض وجعل يخط في الأرض بإصبعه ، ثم رفع رأسه وقال :

قومـي همـوا قتلـوا أميـم أخـي   فـإذا رميـت يصيبنـي سهمـي

ثم قال المأمون : لا بأس عليك يا عم .

فقلت : ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أن أفوه معه بعذر ، وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر ، ولكن أقول :

إن الـذي خلـق المكـارم حازهـا   فـي صلـب آدم للإمـام السابع
ملئـت قلـوب النـاس منك مهابةً   وتظـل تكلؤهـم بقلـب خاشع
مـا إن عصيتـك والغـواة تمدنـي   أسبابهـا إلا بنيـة طائـع
وعفـوت عمـن لـم يكن عن مثله   عفـو ، ولـم يشفـع إليك بشافع
ورحمـت أشباحـاً كأفـراخ القطا   وحنـين والـدةٍ بقلـب جـازع

فقال المأمون : لا تثريب اليوم عليك ، قد عفوت عنك ، ورددت عليك مالك وضياعك ، فأنشدت أقول :

رددت مالـي ولـم تبخل علي بـه   وقبـل ردك مالي قد حقنت دمـي

أمنـــت منـــك وقـــد خولتني نعمـــاً نعـــم الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلـــت دمعـــي أبغي رضاك بـــه والمال حتى أسل النعل من قدمـــي
وإن جحدتـــك ما وليـــت من نعـــم إني إلى اللؤم أول منـــك بالكـــرم

فقال المأمون : إن من الكلام كلاماً كالدر ، وهذا منه ، وأمر لي بمالي وخلع علي ، وقال : يا عم إن أبا إسحاق والعباس أشار بقتلك .

فقلت : إنهما نصحاك يا أمير المؤمنين ، ولكن فعلت ما أنت أهله ، ودفعت ما خفت أنا بما رجوت .

فقال المأمون : لقد مات حقدي بحياة عذرك ، وقد عفوت عنك .

ثم سجد المأمون طويلاً ، ثم رفع رأسه ، ثم قال : يا عم أتدري لم سجدت؟ قلت له : شكراً لله تعالى على ما أوقعك علي وملكك إياي في ديك تفعل بي ما تشاء .

فقال : أخطأت! ولكن أشكر الله تعالى على ما ألهمني من العفو عنك من قبل نفسي ، ثم قال : وأعظم من عفوي عنك أنني لم أجرعك مرارة امتنان الشافعين ، فحدثني بما كان من أمرك .

فشرحت له ما جرى لي مع الحجام والجندي وزوجته والمولاة التي أسلمتني ، فأمر المأمون بإحضارها ، وهي في دارها تنتظر الجائزة ، فلما حضرت قال لها المأمون : ما حملك على ما فعلت تسليمك إبراهيم مع إنعامه عليك؟ قالت : رغبة في المال .

قال هل لك من ولد أو زوج؟ قالت : لا ، فأمر بضربها مائة سوط وأمر بتخليدها في السجن ، ثم أحضر الجندي وامرأته والحجام ، فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل؟ قال : رغبة في المال .

فقال : إنك أولى في أن تكون حجاماً من أن تكون خداماً ، ووكل من يلزمه الجلوس في مكان الحجام ، ليتعلم الحجامة ، وأحسن إلى امرأته وجعلها قهرمانة قصره وقال : هذه امرأة أديبة تصلح للمهمات ، وسلم للحجام دار الجندي وما فيها ، وخلع عليه وأثبته برزقه في الديوان ، وزيادة ألف دينار في كل سنة ، ولم يزل كذلك إلى أن مات .

المعتصم بالله[1]

انتهز ملك الروم البيزنطيين انشغال الجيوش الإسلامية في بعض الأطراف فخرج في مئة ألف من جنده ، فانقضَّ على مدينة «زِبَطْرَة» وأعمل فيها السيف ، وقتل الصغير والكبير بلا إنسانية ولا رحمة وسبى النساء بعد ذبح أطفالهن ، ثم أغار على «مَلَطْيَة» فأصابها ما أصاب زِبَطْرَة ، فضج المسلمون في مناطق الثغور كلها واستغاثوا في المساجد والطرقات ، ودخل إبراهيم بن المهدي رحمه الله على المعتصم ، وأنشده قصيدة يذكر فيها ما نزل بزِبَطْرَة ومَلَطْيَة والثغور ويحضه على الانتقام ، ويحثه على الجهاد ، فقال :

يا غيرة الله قد عاينت فانتهكي   هتك النساء وما منهن يرتكب
هَبِ الرجال على إجرامها قُتِلَت   ما بال أطفالها بالذبح تُنْتَهبُ

فاستعظم المعتصم ذلك لما بلغه الخبر ، وبلغه أن هاشميَّة صاحت وهي في أيدي الروم : وامعتصماه . فأجاب وهو على سريره : «لبَّيكِ لبَّيكِ» ، ونادى بالنفير العام ، ونهض من ساعته .

ذكر الحافظ ابن كثير[1] -رحمه الله- في البداية والنهاية عن ملك الروم أنه : «سَبَى من المسلمات أكثر من ألف امرأة ، ومثَّل بمن صار في يده من المسلمين ، وسمّل أعينهم وقطع أذانهم وأنافهم» .

فنادى المعتصم في العساكر بالرحيل إلى الغزو ، واستدعى القاضي والشهود ، فأشهدهم أن ما يملكه من الأموال ، ثلثه صدقة ، وثلثه لولده وثلثه لمواليه . وتساءل قائلاً : أيُّ بلاد الروم أمنع وأحصن؟ فقيل له : عمورية ، لم يعرض لها أحد من

---

(١) أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ثامن الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٧٩ هجرية وتوفي بمدينة سامراء في ١٨ من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هجرية (٤ من فبراير سنة ٨٤٢ ميلادية) ، وكان في عهد أخيه المأمون واليا على الشام ومصر وكان المأمون يميل اليه لشجاعته فولاه عهده ، وفي اليوم الذي توفي فيه المأمون بطرسوس بويع أبو اسحاق محمد بالخلافة ولقب بالمعتصم بالله

(٢) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي المعروف بـ(ابن كثير) ، عالم مسلم ، وفقيه ، ومفت ، ومحدث ، وحافظ ، ومفسر ، ومؤرخ

المسلمين منذ كان الإسلام ، وهي عين النصرانية ، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية ، فسار باتجاهها ، بجهاز عظيم من السلاح والعدد وآلات الحصار ، وبجحافل أمثال الجبال ولما دخل الجيش الإسلامي بقيادة المعتصم بلاد الروم ، أقام على نهر اللاّمس ، وهذا النهر كان هو الحد الفاصل بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية في آسية الصغرى ، وعلى ضفتيه كانت تتم مبادلة الأسرى . فبعد أن وصلت الطليعة إلى الموقع المقصود ، حُفرت الخنادق ، فقد كان النظام يقضي بألاّ يعسكر الجنود قبل أخذ الحيطة من الهجوم المفاجئ ، فإذا ما وصل الجيش الرئيسي نُصبت الخيام في نظام بديع رائع وخططت الشوارع والميادين ، وأقيمت الأسواق ، كما لو كان المعسكر مدينة عامرة ، وكانت توزَّع الأرزاق ، فتوقد المطابخ ، وتنصب عليها القدور ، مع بث مفارز الرَّصد والدوريات المتحركة ، ويقسمون الجند إلى عدَّة نوبات ، بحيث يظلّ قسم منهم جاهزاً دوماً على ظهور الخيل ، لمشاغلة العدو ريثما يستعد الباقون ، ويضاف إلى كلٍّ ذلك أفراد الحرس الدَّاخلي الذين كانوا يُفاجَؤُون في محارسهم ليلاً للتأكد من يقظتهم ، وكان هؤلاء يستلمون الحراسة بالمناوبة ، وكانت نوبة حرس أوَّل الليل أطول من نوبة آخره عادة .

اجتمعت كلّ العساكر بقيادة المعتصم عند عمورية ، وهي مدينة عظيمة كبيرة جداً ذات سور منيع وأبراج عالية كبار كثيرة ، فركب ودار حولها دورة كاملة وقسَّمها بين القُوَّاد ، جاعلاً لكل واحد منهم أبراجاً من سورها ، وذلك على قدر كثرة أصحابه وقلَّتهم ، وصار لكل قائد منهم ما بين البُرجَيْن إلى عشرين برجاً . أمَّا أهل عمورية فقد تحصَّنوا داخل أسوار مدينتهم ، متّخذين ما استطاعوا من الحيطة والاحتراز .

وعلم المعتصم من عربي متنصِّر ، تزوج في عمورية وأقام بها ، أن موضعاً من المدينة جاءه سيل شديد ، فانهار السُّور في ذلك الموضع ، فكتب ملك الروم إلى عامله في عمورية أن يبني ذلك الموضع ويعيد تشييده ، فوجّه الصُّنَّاع والبنَّائين ، فبنوا وجه السُّور بالحجارة حجراً حجراً ، وتركوا وراءه من جانب المدينة حشواً ، ثم عقدوا فوقه الشُّرَف ، فبدا كما كان ، ولما علم المعتصم بذلك أمر بضرب خيمته تجاه هذا الموضع ونصب المجانيق عليه .

بدأت المجانيق الضخمة تعمل عملها فانفرج السُّور من ذلك الموضع ، فلما رأى أهل عمورية انفراج السور ، دعَّموه بالأخشاب الضخمة ، كل واحدة إلى جانب الأخرى ، فكان حجر المنجنيق إذا وقع على الخشب تكسَّر ، فيهرَع المحاصَرون لتدعيم

السور بأخشاب ضخمة جديدة ، ليحموا السور من الانهيار . وعندما توالت قذائف المجانيق على هذا الموضع الواهن ، انصدع السور فكتب عامل عمورية إلى ملك الروم كتاباً يعلمه فيه بأمر السور ، وحرج الموقف ، وقوة الحصار ، ووجّه الكِتاب مع رجل يتقن العربية ، ومعه غلام رومي كي لا يُكشف أمره عند اجتياز صفوف الحصار ، فإن تحدَّث معه عربي مسلم أو سأله ، يجيبه بالعربية كي لا يُشَكَّ في أمره . وأخرج الرجلين من مكان مسيل ماء ، فعبرا الخندق الذي يلي السور ، فلما خرجا من الخندق ، أنكرهما الجند ، فسألوهما : من أين أنتما؟ فأجابا : نحن من أصحابكم ، نحن منكم جنديان في جيش أمير المؤمنين المعتصم ، فقالوا لهما : مِنْ أصحاب مَنْ أنتما؟ فلم يعرفا أحداً من قُوَّاد أهل العسكر يسميانه لهم ، فأنكروهما ، وجاؤوا بهما إلى المعتصم ، وفتَّشهما ، فوجد معهما كتاباً إلى ملك الروم يعلمه فيه عامله على عمورية ، أنَّ جند المسلمين أحاطوا بعمورية في جمع كبير ، وقد ضاق به الموضع ، وأنه قد اعتزم على أن يركب ويحمل خاصَّة أصحابه على الدَّوابِّ التي في الحصن ، ويفتح الأبواب ليلاً على حين غرة ويخرج ومن معه ، فيحمل على المسلمين كائناً ما كان بعدها ، أُفلت فيه من أفلت ، وأصيب فيه مَنْ أُصيب ، حتى يتخلَّص من الحصار ، مهما كانت النتائج .

وفي صباح اليوم التالي أمر المعتصم بالرجلين الأسيرين ، فأداروهما حول عمورية ليحدِّدا مقر عاملها ومكان وجوده ، فقالا : يكون في هذا البرج . أمر المعتصم بالاحتياط في الحراسة ليلاً ونهاراً ، وشدَّدها ، وأمر أن تكون بين الجند تناوباً ، في كل ليلة يحضرها الفرسان ، يبيتون على دوابِّهم بكامل أسلحتهم ، تحسُّباً من أن يُفتح باب من أبواب عمورية ليلاً أو أن يتسلَّل من خلالها إنسان ، فلم يزل جند المعتصم يبيتون كذلك بالتناوب على ظهور الدَّوابِّ في السلاح ، ودوابهم بسروجها ، حتى انهدم السور ما بين البرجين ، من الموضع الذي وُصف للمعتصم أنه لم يحكم عمله . ودوَّى في فضاء عمورية صوت اهتز له جنباتها ، إثر تهدم جانب السور ، فطاف رجال بالجند المسلمين يبشرونهم أن الصوت الذي سُمِعَ ، صوت السور قد سقط ، فطيبوا نفساً بالنصر .

وتنبه المعتصم إلى سعة الخندق المحيط بعمورية وطول سورها ، فدفع لكل جندي شاة ، لينتفع من لحمها ، وليحشو جلدها تراباً ، وطرحها في الخندق كي يتمكَّن من الوصول إلى السور .

وفي صباح يوم جديد من الحصار بدأ القتال على الثُّلْمَة التي فُتحت في السور ، ولكن الموضع كان ضيقاً ، لم يمكنهم من اختراق الثُّلْمَةِ ، فأمر المعتصم بالمجانيق الكبار التي كانت متفرقة حول السور ، فجمع بعضها إلى بعض ، وجعلها تجاه الثُّلمة ، وأمر أن يُرمى ذلك الموضع لتتَّسع الثُّلمة ، ويسهل العبور ، وبقي الرَّمي ثلاثة أيام ، فاتَّسع لهم الموضع المنثلم . وكان الموكَّل بالموضع الذي انثلم من السور رجلاً من قوَّاد الرَّوم فقاتل وأصحابه قتالاً شديداً باللَّيل والنهار ، والحرب عليه وعلى أصحابه ولم يمدّه عامل مدينة عمورية ولا غيره بأحد من الروم ، فلما كان بالليل مضى إلى قومه وقال : إن الحرب عليَّ وعلى أصحابي ، ولم يبق معي أحد إلاَّ قد جُرح ، فصَيِّروا أصحابكم على الثُّلمة يرمون قليلاً ، وإلاَّ افتضحتم وذهبت المدينة ، فأبوا أن يمدُّوه بأحد ، وقالوا : سَلِمَ السور من ناحيتنا ، وليس نسألك أن تمدنا ، فشأنك وناحيتك ، فليس لك عندنا مدد ، فاعتزم وأصحابه على أن يخرجوا إلى المعتصم ، ويسألوه الأمان على أهلهم ، ويسلِّموا إليه الحصن بما فيه من المتاع والسلاح . فلما أصبح خرج فقال : إني أريد أمير المؤمنين ، فأوصله بعض الجند المسلمين إليه ، وأعطاه المعتصم ما أراد من أمان له ومن بجهته من الرجال ، ثم ركب حتى جاء فوقف حذاء البرج الذي يقاتل فيه عامل عمورية ، فصاح بعض الجند بالعامل ، هذا أمير المؤمنين ، فصاح الروم من فوق البرج : ليس العامل هاهنا ، فغضب المعتصم لكذبهم وتوعَّدهم ، فصاحوا : هذا العامل ، فصعد جندي على أحد السلالم التي هيِّئت أثناء الحصار ، وقال للعامل : هذا أمير المؤمنين فانزل على حكمه ، فخرج من البرج متقلِّداً سيفاً ، حتى وقف على البرج ، والمعتصم ينظر إليه ، فخلع سيفه من عنقه ، ودفعه إلى الجندي المسلم الذي صعد إليه ، ثم نزل ليقف بين يدي المعتصم ، فضربه المعتصم بالسوط على رأسه ، ثم أُمر به أن يمشي إلى مضرب الخليفة مهاناً ، فأوثق هناك ليعلن سقوط عمورية بيد المعتصم وجنده . وذلك بعد حصار دام خمسة وخمسين يوماً ، من سادس رمضان إلى أواخر شوال سنة ٢٢٣هـ . ثم أمر المعتصم بطرح النار في عمورية من سائر نواحيها فأُحرقت وهدمت ، وأحرق ما بقي بعد ذلك من المجانيق والدبابات وآلات الحرب لئلا يتقوى بها الروم على شيء من حرب المسلمين . وعاد بعدها المعتصم بغنائم كبيرة وكثيرة جداً لا تحد ولا توصف ، منتصراً ظافراً ، رادّاً على ملك الروم فعلته ، كاسراً مخالبه التي تطاولت على زِبَطْرَة ، ومستجيباً لصيحة الهاشمية الحرَّة عندما صرخت «وامعتصماه» ، فخلَّصها وقتل الرومي الذي لطمها .

وكتب أبو تمام قصيدته المشهورة بمناسبة هذا الفتح العظيم لمدينة عمورية وقد كرر إلقاءها ثلاثة أيام أمام المعتصم ، وحوله المهنئون وعلية القوم ، حتى قال له المعتصم : لِمَ تجلو علينا عجوزك؟ ويجيب أبو تمام : حتى أستوفي مهرها يا أمير المؤمنين ، فأمر له بمئة وسبعين ألف درهم ، عن كلٍ بيت منها ألف درهم .

السيف أصدق أنباءً من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في   متونهنّ جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعة   بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما   صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به   نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتحٌ تُفَتَّحُ أبواب السماء له   وتبرُز الأرض في أثوابها القُشُب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت   منك المنى حُفَّلاً معسولة الحلب
أبقيتَ جدَّ بني الإسلام في صَعَد   والمشركين ودار الشرك في صَبَب
لقد تركتَ أمير المؤمنين بها   للنار يوماً ذليل الصخر والخشب
غادَرتَ فيها بهيم الليل وهو ضحىً   يشُلّه وسطها صبحٌ من اللهب
حتى كأن جلابيب الدجى رَغِبت   عن لونها وكأن الشمس لم تَغب
لو يعلم الكفر كم من أعصر كَمَنَت   له العواقب بين السُّمر والقُضُب
تدبير معتصم بالله مُنتقم   لله مرتقِب في الله مُرتَغِب
رمى بك الله برجيها فهدّمها   ولو رمى بك غيرُ الله لم يُصب
لبَّيت صوتاً زبطرياً هَرَقْتَ له   كأس الكرى ورُضابَ الخُرَّد العُرُب
أجبته معلناً بالسيف منصلتاً   ولو أجبت بغير السيف لم تُجب
حتى تركتَ عمود الشرك منعفراً   ولم تُعرّج على الأوتاد والطُّنُب
ولّى وقد ألجم الخطِّيُّ منطقَه   بسكتة تحتها الأحشاء في صخب
والحرب قائمةٌ في مأزقٍ لَجَجٍ   تجثو القيام به صُغراً على الرُّكَب

إلى آخر ما قاله أبو تمام في قصيدته العَصماء التي ما أن يقرأها المسلم حتى يشعر بنشوة الأيام الخالدة التي علا فيها راية الإسلام خفاقة فوق هامات الشرك .

المعتصم ومدعي النبوة

وتنبأ رجل في أيام المعتصم ، فلما حضر بين يديه قال :

أنت نبي؟ قال : نعم ، قال : وإلى من بعثت؟ قال : إليك .

قال : أشهد أنك لسفيه أحمق ، قال : إنما يبعث إلى كل قوم مثلهم ، فضحك المعتصم وأمر له بشيء .

مشورة أدت للطلاق

وروى أبو بكر الصولي[1] عن إسحاق قال : كنا عند المعتصم ، فعرضت عليه جارية ، فقال : كيف ترونها؟ فقال واحد من الحاضرين : امرأتي طالق إن كان الله عز وجل خلق مثلها ، وقال الآخر : امرأتي طالق إن كنت رأيت مثلها ، وقال الثالث : امرأتي طالق . وسكت ، فقال المعتصم : إن كان ماذا؟ فقال : إذا كان لا شيء ، فضحك المعتصم حتى استلقى وقال : ويحك ما حملك على هذا؟ قال : يا سيدي هذان الأحمقان طلقا لعلة ، وأنا طلقت بلا علة .

وجبة للأسد

رأى المعتصم أسداً ، فقال لرجل قد أعجبه قوامه وسلاحه : أفيك خيرٌ؟ فعلم أنّه يريد أن يقدمه إلى الأسد ، فقال : لاً يا أمير المؤمنين ؛ فضحك .

المعتصم وتميم بن جميل

ما روي عن أحمد بن أبي دؤاد القاضي إنه قال : جيء بتميم بن جميل إلى المعتصم أسيراً ، وكان قد خرج عليه فما رأيت رجلاً عرض عليه الموت فلم يكترث به سواه ، ثم دعا بالسيف والنطع ، فلما مثل بين يديه نظر إليه ، فأعجبه حسنه وقده ومشيه إلى الموت غير مكترث ، فأطال الفكر فيه ثم كلمه لينظر أين عقله ولسانه من جماله ، فقال : يا تميم! إن كان لك عذر فائت به .

فقال : أما إذ أذن أمير المؤمنين في الكلام فإني أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه . وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . يا

---

(١) أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله ، نسبته إلى جده «صول تكين» ، الذي كان وأهله ملوكا بجرجان ، كان أحد العلماء بفنون الأدب ، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء . توفي في البصرة سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م

أمير المؤمنين! جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين ، وأخمد بك نار الباطل وأنار بك سبل الحق ، إن الذنوب تخرس الألسنة وتصدع القلوب ، وآيم الله لقد عظمت الجريمة ، وانقطعت الحجة وساء الظن إلا فيك ، وهو أشبه بك وأليق ثم أنشد يقول :

أرى المــوت بين السيف والنطع كامناً ... يلاحظنــي مــن حيث ما أتلفت
وأكبر ظنــي أنــك اليــوم قاتلــي ... وأي امرئٍ مما قضى اللــه يفلــت
ومن ذا الذي يدلــي بعــذر وحجــة ... وسيف المنايا بين عينيــه مصلــت
يعز على الأوس بـن تغلــب موقــف ... يسيل عليه السيف فيه ويسكــت
وما جزعي مــن أن أمــوت وإننـــي ... لأعلم أن المــوت شــيء مؤقــت
ولكــن خلفــي صبيــةً قد تركتهــا ... وأكبادهــم مــن حســرةٍ تتفتت
كأني أراهــم حــين أنعــى إليهــم ... وقــد لطمــوا حمر الوجوهِ وصوتوا
فإن عشــت عاشوا في سرور ونعمــة ... أذود الردى عنهم ، وإن مت موتــوا

قال : فبكى المعتصم ثم قال : إن منَ البيان لسحراً ، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا تميم ، كاد والله أن يسبق السيف العذل . قد غفرت لك الهفوة ووهبتك للصبية .

ثم عقد له ولاية على عمله ، وأعطاه خمسين ألف دينار ، انتهى . من زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام .

الواثق بالله

قال محمد الذي يقال له المهتدي بالله : كان أبي الواثق بالله[1] إذا أراد أن يقتل رجلاً أحضرنا في ذلك المجلس ، فبينما نحن عنده ذات يوم إذ أتي بشيخ مقيد فقال : ائذنوا لأبي عبد الله ، يعني ابن أبي دؤاد وأصحابه ، وأدخل الشيخ مقيداً فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

فقال : لا سلم الله عليك .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين بئسما أدبك المؤدب ، قال الله تعالى : ﴿وإذا حييتم

(١) هو هارون الثاني الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد هو تاسع خلفاء العباسيين في العراق . ولد في بغداد سنة ٢٠٠ هـ . أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس .

بتحية فحيوا بأحسن منْها أو رُدُّها﴾ . وأنت والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها .

فقَال ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين . الرجل متكلم .

فقال الواثق : كلمه .

فقال للشيخ : ما تقول في القرآن؟ فقال الشيخ : لم تسألني ولي السؤال أسأله؟ فقال الأمير : سله .

فقال الشيخ لابن أبي دؤاد : ما تقول في القرآن؟ فقال ابن أبي دؤاد : مخلوق . فقال الشيخ : هذا شيء علمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين والخلفاء الراشدون أم شيء؟ لا يعلمونه؟ فقال : شيء لا يعلمونه .

فقال : سبحان الله! شيء لا يعلمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت .

قال : فخجل ، وقال : أقلني .

فقال : قد فعلت ، والمسألة بحالها .

قال : نعم .

قال : ما تقول في القرآن؟ فقال : مخلوق .

قال : هذا شيء علمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه .

قال : علموه ولم يدعوا الناس إليه .

قال : أفلا وسعك ما وسعهم؟ قال : ثم قام أبي فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول : هذا شيء لم يعلمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت . سبحان الله ، انتهى .

وذكر الحافظ أبو نعيم في حليته . قال الحافظ أبو بكر الآجري بلغني عن المهتدي رحمه الله ، أنه قال : ما قطع أبي . يعني الواثق ، إلا شيخ جيء به من المصيصة ، فمكث في السجن مدة ثم إن أبي ذكره يوماً فقال : علي بالشيخ ، فأُتي به مقيداً ، فلما وقف بين يديه سلم عليه ، فلم يرد عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سلكت بي أدب الله ولا أدب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله تعالى : ﴿وإذا حُيِيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ وأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برد السلام .

قال أبي ، وعليك السلام ، ثم قال لابن أبي دؤاد : سله؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا محبوس مقيد أصلي في الحبس بتيممٍ منعت الماء ، فمر بقيودي تحل ، ومر بماء أتوضأ وأصلي ، ثم سلني .

فأمر به فحلت قيوده وأمر له بماء فتوضأ وصلى . ثم قال لابن بي دؤاد : سله .

فقال الشيخ : المسألة لي ، فمره أن يجبني .

فقال : سل . فأقبل الشيخ على ابن أبي دؤاد فقال له : أعن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه أشيء دعا إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال : لا . قال : أفشيء دعا إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعده؟ قال : لا . قال : أفشيء دعا إليه عمر بن الخطاب بعدهما؟ قال : لا . قال : أفشيء دعا إليه عثمان بن عفان بعدهم؟ قال : لا ، قال : أفشيء دعا إليه علي بن أبي طالب بعدهم؟ قال : لا . قال الشيخ : أفشيء لم يدع إليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي تدعو أنت الناس إليه ليس يخلو أن تقول علموه أو جهلوه ، فإن قلت علموه وسكتوا عنه توسعاً ، وسعنا وإياك من السكوت ، ما وسع القوم ، وإن قلت جهلوه وعلمته أنت ، فيا لكع ابن لكع ، شيء يجهله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، وتعلمه أنت وأصحابك .

قال المهتدي : فرأيت أبي وثب قائماً ودخل الحجرة ، فجعل ثوبه في فيه وجعل يضحك ثم جعل يقول : صدق الشيخ ، إلى آخر ما تقدم ، وقال المهتدي : ما زلت أقول القرآن مخلوقٌ صدراً من خلافة الواثق حتى أقدم علينا أحمد بن دؤاد شيخاً من أهل الشام ، فأدخل الشيخ على الواثق مقيداً وهو جميل الوجه تام القامة ، حسن الشيبة ، فرأيت الواثق قد استحيا منه ورق له فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه ، فسلم عليه الشيخ فأحسن السلام ودعا فأبلغ وأوجز فقال له الواثق : اجلس ، ثم قال : يا شيخ ناظر ابن أبي دؤاد على ما يناظرك .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ابن أبي دؤاد يقل ويصغر ، ويضعف عن المناظرة .

فغضب الواثق وأعاد مكان الرقة له غضباً ، وقال : أبو عبد الله بن أبي دؤاد يقل ويصغر ويضعف عن مناظرتك أنت .

قال الشيخ : هون عليك يا أمير المؤمنين ، ما بك ، وائذن لي في مناظرته .

فقال الواثق : ما دعوتك إلا للمناظرة .

فقال الشيخ : يا أحمد يا ابن أبي دؤاد إلام دعوت الناس ودعوتني إليه؟ فقال :

أن تقول : القرآن مخلوقٌ لأن كل شيء دون الله مخلوق .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن تحفظ علي وعليه ما نقول .

فقال : أفعل . فقال الشيخ : يا أحمد ، أخبرني عن مقالتك هذه أواجبة داخلة في عقد الدين ، فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه ما قلت؟ قال : نعم . فقال الشيخ : أخبرني عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بعثه الله عز وجل إلى عباده ، هل ستر شيئاً مما أمره الله به في دينه .؟ فقال : لا . قال الشيخ : أفدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد فقال الشيخ : تكلم فسكت ، فالتفت الشيخ إلى الواثق فقال : يا أمير المؤمنين قل : واحدة .

فقال الواثق : واحدة .

فقال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن الله عز وجل حين أنزل آخر القرآن على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» . أكان الله صادقاً في إكماله أم أنت الصادق في نقصانه ، فلا يكون كاملاً حتى يقال فيه بمقالتك هذه ، فيكون كاملاً .

فسكت ابن أبي دؤاد فقال الشيخ : أجب يا احمد ، فلم يجبه ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، قل : اثنتان .

فقال : اثنتان . فقال الشيخ : يا احمد أخبرني عن مقالتك هذه أعلمها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم جهلها .؟ فقال ابن أبي دؤاد : علمها . فقال : أفدعا الناس إليها؟ فسكت ابن أبي دؤاد . فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين قل : ثلاثة .

فقال الواثق : ثلاثة . فقال الشيخ : يا أحمد ، أفاتسع لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما زعمت ، ولم يطالب أمته بها؟ قال : نعم : فقال الشيخ : واتسع لأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم؟ فقال ابن أبي دؤاد : نعم . فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قدمت أن أحمد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة ، يا أمير المؤمنين ألم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، فلا وسع الله على من لم يتسع له منا ما اتسع لهم من ذلك .

فقال الواثق : نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأبي بكر وعمر عثمان وعلي رضي الله عنهم ، فلا وسع

الله علينا ، ثم قال : اقطعوا قيد الشيخ . فلما قطع ضرب الشيخ بيده فأخذ القيد فوضعه في كمه ، فقال الواثق : لم فعلت هذا؟ فقال الشيخ : لأني نويت أن أقدم إلى من أوصي إليه إذا مت ، أن يجعله بيني وبين كفني ، حتى أخصم به هذا الظالم عند الله عز وجل يوم القيامة ، وأقول : يا رب سل عبدك هذا لم قيدني وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك علي .

وبكى الشيخ وبكى الواثق وبكينا ، ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وسعة مما ناله منه ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراماً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذ أنت رجل من أهله .

فقال الواثق : لي إليك حاجة .

فقال الشيخ : إن كانت ممكنة فعلت .

فقال الواثق : تقيم عندنا ينتفع بك فتياننا؟ فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، إن ردك إياي إلى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عندك ، فقال : ولم ذلك؟ فقال : لأسير إلى أهلي وولدي فأكف دعاءهم عنك ، فقد خلفتهم على ذلك .

فقال الواثق : أفتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك؟ فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، أنا غني وذو ثروة .

قال : أفتسألنا حاجةٌ .

قال : أو تقضيها؟ قال : نعم .

قال : تخلي سبيلي إلى السفر الساعة وتأذن لي .

قال : أذنت لك .

فسلم عليه الشيخ وخرج .

قال : صالح : فقال المهتدي بالله ، فرجعت عن هذه المقالة من ذلك اليوم .

الواثق بالله وابن أبي دؤاد

وقال أبو العيناء : ما رأيت أفصح لساناً ولا أصوب رأياً ولا أحضر حجة من ابن أبي دؤاد ؛ قال له الواثق : رفعت فيك رقعة فيها كيت وكيت ، فقال : ليس بعجيب أن أحسد بمنزلتي من أمير المؤمنين فيكذب علي ؛ قال : وزعموا أنك وليت القضاء رجلاً أعمى ، قال : بلغني أنه إنما عمي على بكائه على أمير المؤمنين المعتصم

فحفظت ذلك له وأمرته أن يستخلف ؛ قال : وفيها أنك أعطيت شاعراً ألف دينار ، قال : كان دونك ذلك ، وقد أثاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعباً وسلم كعباً وقال في آخر : اقطعوا لسانه عني ، وهذا شاعر طائي مصيب محسن لو لم أدع إلا قوله فيك للمعتصم :

فاشدد بهارون الخلافة إنه ... سكن لوحشتها ودار قرار
ولقد علمت بأن ذلك معصم ... ما كنت تتركه بغير سوار

فقال الواثق : قد وصلته بخمسمائة دينار .

طلب الحاجات من حب الاتصال

حكى أبو مالك جرير بن أحمد بن أبي داود قال : قال الواثق يوماً لأبي تضجراً بكثرة حوائجه : يا أحمد قد اختلت بيوت الأموال بطلباتك للائذين بك والمتوسلين إليك ، فقال : يا أمير المؤمنين نتائج شكرها متصلة بك وذخائر أجرها مكتوبة لك ، وما لي من ذلك إلا عشق اتصال الأنس بعلو المدح فيك ، فقال : يا أبا عبد الله ، لا منعناك ما يزيد في عشقك ويقوي من همتك فينا ولنا .

حسن التأدب

أطال الجلوس يوماً عند الواثق حسينٌ الخادم ، فقال له : ألك حاجةٌ؟ قال : أمّا إلى أمير المؤمنين فلا ، ولكن إلى الله تعالى أن يطيل بقاءه ويديم عزّه .

رؤيا الواثق

قال صاحب كتاب نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق إن الواثق بالله لما رأى في المنام كأن السد الذي بناه ذو القرنين مفتوح ، أحضر سلاما الترجمان وقال له : اذهب فانظر إلى هذا السد وجئني بخبره وحاله وما هو عليه ، ثم أمر له بأصحاب يسيرون معه ، عددهم خمسون رجلا ، ووصله بخمسة آلاف دينار ، وأعطاه ديته عشرة آلاف درهم ، وأمر أن يعطي كل واحد من أصحابه الخمسين ألف درهم ورزق سنة ، وأمر لهم بمائة بغل تحمل الماء والزاد . قال سلام الترجمان : فشخصنا من سامرا بكتاب الواثق إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينية بالنظر إلى تنفيذنا من هناك ؛ فكتب لنا كتابا إلى ملك السرير وأنفذنا إليه . فلما وردنا عليه ، أشخصنا إلى ملك اللان .

فلما وصلنا إليه ، أشخصنا إلى صاحب فيلان شاه . فلما وردنا عليه «أرسلنا إلى ملك الخزر وهو» اختار لنا خمسة أدلاء يدلون على الطريق . فسرنا من عنده سبعة وعشرين يوما في تخوم بلاد بسجرت إلى أن وصلنا إلى أرض سوداء طويلة ممتدة كريهة الرائحة ، فشققناها في عشرة أيام . وكنا قد تزودنا لقطعها أشياء نشمها خوفا من أذى روائحها الكريهة . ثم انفصلنا عنها فسرنا مدة شهر في بلاد خراب قد درست أبنيتها ولم يبق منها إلا رسوم يستدل بها عليها . فسألنا من معنا عن تلك المدن ، فأخبرونا أنها المدن التي كان يأجوج ومأجوج يغزونها ويخربونها . ثم سرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي في شعبة السد وذلك في ستة أيام . وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية . وهناك مدينة يدعى ملكها خاقان بن أدكش ، وأهلها مسلمون لهم مساجد ومكاتب ، فسألونا من أين أقبلنا ، فأخبرناهم أنا رسل أمير المؤمنين الواثق بالله ، فعجبوا منا ومن قولنا أمير المؤمنين ثم سألونا عن أمير المؤمنين : أشيخ هو أم شاب؟ فقلنا : شاب ، فعجبوا أيضا . ثم قالوا : وأين يكون؟ قلنا : هو بالعراق بمدينة سر من رأى . فعجبوا أيضا من ذلك ، وقالوا : ما سمعنا هذا قط . فسألناهم عن إسلامهم من أين وصلهم ومن علمه لهم؟ فقالوا : وصل إلينا منذ أعوام كثيرة رجل راكب على دابة طويلة العنق طويلة اليدين والرجلين ، لها في موضع صلبها حدبة ، «فعلمنا أنهم يصفون الجمل» قالوا : فنزل بنا وكلمنا بكلام فهمناه ، ثم علمنا شرائع الإسلام فقبلناها ، وعلمنا أيضا القرآن ومعانيه فتعلمناه وحفظناه . قال سلام : ثم خرجنا بعد هذا إلى السد لنبصره ، فسرنا عن المدينة نحوا من فرسخين ، فوصلنا إلى السد . فإذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا ، وله في وسط هذا الفناء باب من حديد طوله خمسون ذراعا قد اكتنفه عضادتان ، عرض كل عضادة منهما خمسة وعشرون ذراعا . والظاهر من تحتها عشرة أذرع خارج الباب . وكله مبنى بلبن الحديد مغيب بالنحاس . وارتفاع العضادتين خمسون ذراعا ، وعلى أعلى العضادتين دروند حديد ، طوله مائة وعشرون ذراعا ، والدروند للعتبة العليا ، وقد ركب منها على كل واحدة من العضادتين مقدار عشرة أذرع . ومن فوق الدروند بنيان متصل بلبن الحديد المغيب بالنحاس إلى رأس الجبل ، وارتفاعه مد البصر . وفوقه شرافات حديد ، في طرف كل شرافة قرنتان تنثني أطراف كل واحدة منهما على الأخرى ، وللباب مصراعان مغلقان ، عرض كل مصراع خمسون ذراعا في ثخن خمسة أذرع ؛ وقائمتاهما في دوارة على قدر الدروند . وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ

ذراع في الاستدارة ؛ وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعا . وفوق القفل بخمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف ، وله اثنتا عشرة دنداجة ، كل دنداجة منها كأغلظ ما يكون من دساتخ الهواوين ، معلق كل واحد منها بسلسلة على قدر حلقة المنجنيق . وعتبة الباب السفلى عشرة أذرع بسط مائة ذراع سوى ما تحت العضادتين الظاهر منها خمسة أذرع . وكلها مكتالة بالذراع السوادي . ورئيس ذلك الحصن يركب في كل جمعة مع عشرة فوارس ، مع كل فارس إرزبة حديد ، كل إرزبة خمسة أمنان فيضرب القفل بتلك الإرزبات في كل يوم ثلاثة مرات ليسمع من خلف الباب . فيعلم أن هناك حفظة ، وليعلم هؤلاء أن يأجوج ومأجوج لم يتحدثوا في الباب حدثا وإذا ضرب أصحاب الإرزبات القفل ، وضعوا آذانهم ليسمعوا ما وراء الباب فيسمعون من ورائه دويا يدل على أن خلفه بشرا . وبالقرب من هذا الموضع حصن يكون عشرة «فراسخ» في عشرة «فراسخ» . ومع الباب حصنان يكون كل واحد منهما مائتي ذراع في مائتي ذراع ؛ وبين

هذين الحصنين عين ماء عذبة ، في أحد الحصنين آلة البناء التي بني بها السد من قدور الحديد ومغارف الحديد ؛ والقدور فوق ديكدانات الحصنين عين ماء عذبة ، في أحد الحصنين آلة البناء التي بني بها السد من قدور الحديد ومغارف الحديد ؛ والقدور فوق ديكدانات على كل ديكدان أربع قدور مثل قدور الصابون ؛ وهناك أيضا بقايا من لبن الحديد التي بنى بها السد وقد التصق بعضها ببعض من الصدإ ، وطول اللبنة ذراع ونصف في ارتفاع شبر .

قال سلام الترجمان : وقد سألنا من خاطبناه من أهل تلك الجهات هل رأوا أحدا من يأجوج ومأجوج قط ، فأخبرونا أنهم رأوا منهم «مرة» عددا فوق شرفات الردم ، فهبت عليهم ريح عاصفة ، فرمت منهم ثلاثة إلى ناحيتنا . وكان مقدار الرجل منهم شبرين ونصفا .

قال سلام : فكتبت هذه الصفات كلها ، ثم انصرفنا مع الأدلاء من تلك الحصون فأخذوا بنا على ناحية خراسان . فسرنا إلى مدينة بختان ، إلى غريان ، إلى مدينة برساخان ، إلى انطرار ، إلى سمرقند ، فوصلنا إلى عبد الله بن طاهر ، ثم وصلنا إلى الري ، ثم رجعنا إلى سر من رأى بعد خروجنا عنها . فكان مغيبنا في سفرنا ثمانية وعشرين شهرا .

قال : فهذا جميع ما حدث به سلام .

المتوكل على الله[1]

حكى عنه أنه قال ذات يوم لأبي العيناء : ما أشد ما مر عليك في ذهاب عينيك؟ فقال : فقد رؤيتك يا أمير المؤمنين .

فاستحسن منه هذا الجواب وأمر له بجائزة نفيسة .

قال الجاحظ : ذُكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده . فلما رآني استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني

دخل على موسى بن عبد الملك يوماً صاحب خزانة السلاح فقال له : قد تقدم أمير المؤمنين يعني المتوكل ليبتاع ألف رمح طول كل رمح أربعة عشر ذراعاً ، فقال : هذا الطول فكم يكون العرض؟ فضحك الناس ولم يفطن لما غلط فيه .

فهد للخليفة

كتب الخليفة المتوكل إلى أحد ولاته يطلب منه فهدا فكتب له الوالي يقول : نجوت عند مقام لا إله إلا الله وصلى الله على سيدنا محمد ، فديته إن كان عندي مما طلبته من الفهود وزن دانق ، لا فهد ولا نمر ، وتظن يا سيدي أني أبخل عليك بالقليل .

أحسنت إلى العصفور

رمى المتوكل عصفوراً بالبندق ، فلم يصبه ، وطار العصفور . فقال (ابن حمدون) الذي كان يرافقه : أحسنت يا أمير!

فقال له : أتهزا بي ؟! كيف أحسنت؟

قال : إلى العصفور!

(١) أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور عاش وفترة الخلافة خلفاً لأخية الواثق بالله وخلفه إبنه المُنتصر بالله . أُمّه أم ولد تركية اسمها «شجاع» .

بين المتوكل وابن حمدون

كان ابن حمدون[1] أخف الناس روحاً وأحلاهم دعابةً ، وكان المتوكل يستملحه . فقال يوماً : الزئبق من أين يجاء به؟ فقال ابن حمدون : من الشيز ، وأنا أعرف الناس بها . قال : قد وليتك إياها فاخرج إليها ، فضاقت به الدنيا ، وأنشده :

ولاية الشيز عزلٌ والعزل عنها ولاية
فولّني العزل عنها إن كنت بي ذا عناية

فضحك المتوكل وأعفاه . وذكر الصولي أن أخاه أحمد عمل له البيتين .

جزيرة القرود

قال عافية بن شبيب : لما دخل الجمّاز على المتوكل ، قال له : تكلّم ، فإنّي أريد أن أستبرئك ؛ فقال : له الجَمّاز : بحيضة أو حيضتين؟ فضحك الجماعة . فقال له الفتح [بن خاقان] : قد كلّمت أمير المؤمنين فيك حتى ولاّك جزيرة القرود ؛ فقال الجمّاز : أفلست في السمع والطاعة أصلحك الله؟ فحصر الفتح وسكت ، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم ، فأخذها وانحدر ، فمات فرحاً بها .

الخطبة من بئر جولان

قال المتوكل يوما لجلسائه : أتدرون ما الذي نقم المسلمون من عثمان؟

قالوا : لا .

قال : أشياء ، منها أنه قام أبو بكر دون مقام الرسول بمرقاة ، ثم قام عمر دون مقام أبي بكر بمرقاة ، فصعد عثمان ذروة المنبر .

فقال رجل : ما أحد أعظم منّة عليك يا أمير المؤمنين من عثمان .

قال : وكيف؟ ويلك!

قال : لأنه صعد ذروة المنبر ، فلو أنه كلما قام خليفة نزل عمّن تقدّمه كنت أنت تخطبنا من بئر جلولاء .

فضحك المتوكّل ومن حوله .

---

(١) محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ، أبو المعالي ، بهاء الدين البغدادي عالم بالأدب والأخبار . من أهل بغداد .

المتوكل ومدعي النبوة

تنبأ رجل في زمن المتوكل ، فلما حضر بين يديه قال له : أنت نبي؟ قال : نعم ، قال : فما الدليل على صحة نبوتك؟ قال : القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى : إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وأنا اسمي نصر الله ، قال : فما معجزتك؟ قال : ائتوني بامرأة عاقر أنكحها تحمل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي ، فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته ، فقال الوزير : أما أنا فأشهد أنه نبي الله ، وإنما يعطي زوجته من لا يؤمن به . فضحك المتوكل وأطلقه .

وأتي بامرأة تنبأت في أيام المتوكل ، فقال لها : أنت نبية؟ قالت : نعم . قال : أتؤمنين بمحمد؟ قالت : نعم ، قال : فإنه صلى الله عليه وسلم قال : لا نبي بعدي ، قالت : فهل قال لا نبية بعدي ، فضحك المتوكل وأطلقها .

المتوكل وقطاطة

وركب المتوكل زلالاً ومعه قطاطة وعبادة المخنثان ، وكان قطاطة طويلاً جداً ؛ فجعل يغني إلى أن هبت ريح شديدة وثارت دجلة ، فأمسك عن الغناء . فقال له المتوكل : ما لك؟ قال : يا سيدي ؛ أفزعني ما أرى ؛ فرفع عبادة يده وصفعه ، وقال : يابن الفاعلة! تتوهم أن في دجلة ماءً يطولك .

بين المتوكل والفتح بن خاقان

ورأى الفتح بن خاقان[1] في لحية المتوكّل شيئا فلم يمسه بيده ، ولا قال له شيئا ، ولكنه نادى : يا غلام مرآة أمير المؤمنين .

فجيء بها حتى أخذ المتوكّل ذلك الشيء بيده .

---

(١) أبو محمد الفتح بن أحمد بن غرطوج ، هو وزير وأديب وشاعر ترعر في أحضان الدولة العباسية ، من أصول فارسية ، عينه المتوكل أميراً ونائباً لشؤون مصر وإفريقية . اتخذه المتوكل أخاً ، وكان يقدمه على سائر ولده وأهله ، قتل مع المتوكل .

إسحاق الموصلي والمتوكل

قال أبو عبد الله أحمد بن حمدون النقيب : لقيت إسحاق بن إبراهيم الموصلي بعدما كف بصره فسألني عن أخبار الناس والسلطان فأخبرته ثم شكوت إليه غمي بقطع أذني فجعل يسألني ويعزيني ، ثم قال لي : من المتقدم اليوم عند أمير المؤمنين والخاص من ندمائه قلت : محمد بن عمر ، قال : ومن هذا الرجل وما مقدار أدبه وعلمه فقلت : أما أدبه فلا أدري ، ولكني أخبرك بما سمعت منه منذ قريب ؛ حضرنا الدار يوم عقد المتوكل لأولاده الثلاثة فدخل مروان بن أبي حفصة فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

بيضاء في وجناتها . . . ورد فكيف لنا بشمه فسر بذلك سروراً شديداً وأمر فنثر عليه بدرة دنانير وأن تلقط وتطرح في حجره وأمره بالجلوس وعقد له على اليمامة والبحرين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت كاليوم ولا أرى أبقاك الله ما دامت السموات والأرض ، فقال محمد بن عمر : هذا بعد عمر طويل إن شاء الله ، فقال لي إسحاق : ويلك ، جزعت على أذنك ، رغمك قطعها لمَ حتى تسمع مثل هذا الكلام ولك لو إن لك مكوك آذان أيش كان ينفعك مع هؤلاء

وكان سبب قطع أذنه إن الفتح بن خاقان كان يعشق شاهك خادم المتوكل واشتهر الأمر فيه حتى بلغه ، وله في أشعار منها :

أشاهك ليلي مذ هجرت طويل وعيني دماً بعد الدموع تسيل
وبي منك والرحمن ما أطيقه وليس إلى شكوى إليك سبيل
أشاهك لو يجزى المحب بوده جزيت ولكن الوفاء قليل

وكان أبو عبد الله يسعى فيما يحبه الفتح فعرف المتوكل الخبر فقال : إنما أردتك وأدنيتك لتنادمني ليس لتفسد عليّ غلماني ، فأنكر ذلك وحلف يميناً حنث فيها فطلق كل حرة كانت وأعتق من كانت مملوكة ، ولزمه حج سنتين ، فكان يحج في كل عام ، قال : فأمر المتوكل بنفيه إلى تكريت فأقام بها ثم جاءه زرافة في الليل ، فلما دخل عليه قال : جئت في شيء ما كنت أحب أن أجيء في مثله ، قال : وما هو قال : قال أمير المؤمنين بقطع أذنك وقال : قل له لست أعاملك إلا كما يعمل الفتيان ، فرأى ذلك أسهل مما ظنه من القتل ، فقطع غضروف أذنه في خارج ولم يستقصه وجعله في كافور كان معه وانصرف .

المتوكل ومحمد بن عبد الله والجارية

ومما حكاه أبو القاسم علي بن محمد الذهبي عن أبي عبد الله النحوي ، قال : لما حج محمد بن عبد الله بن طاهر رأى في الطواف جارية في نهاية الحسن فسأل عنها ، فقيل : إنها لرجل من الأدباء قد رواها الأشعار والأخبار والنحو والعروض ، وقد أحسنت ضرب العود وطريق الغناء ، فاشتراها بمائة ألف درهم ، فلما قدم بها مدينة دار السلام شغف بها شغفاً شديداً وأخفى أمرها ، وما يجده منها تخوفاً من أمير المؤمنين المتوكل . وكان من شدة وجده بها يحتبس عندها أياماً لا يظهر للناس ، فيظنون أنه زمن وأمره معها مستور ، ففطن به سويد بن أبي العالية صاحب البريد ، وكان بينه وبين محمد منافرة ، فلم يجد ما يكيده به إلا أن كتب إلى المتوكل وهو نازل على أربعة فراسخ من بغداد ، كتاباً نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد يا أمير المؤمنين ، فإن محمد بن عبد الله اشترى جارية بمائة ألف درهم ، فهو يصطبح معها ويغتبق زمانه كله معها ، وقد اشتغل بها عن النظر في أمور المسلمين وعن التوقيع في قصص المظلومين ، ولا يأمن أمير المؤمنين أن تخرب عليه بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء فيتعب أمير المؤمنين في إصلاحها ، وقد أنهى ذلك المملوك إلى أمير المؤمنين ، أيده الله ، وهو أعلى رأياً والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قال : فلما قرأ المتوكل الكتاب رفع رأسه إلى نرجس الخادم وقال له : امض الساعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر وادخل عليه داره بغتة من غير إذن وانظر إلى ما يصنع؟ ثم خذ منه جاريته فلانة وائت بها من غير تأخير .

فمضى نرجس من ساعته ، وكان محمد قد اصطبح معها في ذلك اليوم ، فدخل عليهما نرجس من غير استئذان ، فلم يشعر محمد إلا وهو واقف عليه ، فتغير وجهه وانتقع لونه ، وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه أن نرجساً ما دخل عليه من غير إذن إلا وقد أضمر له السوء ، فقال له : يا نرجس ما الذي أقدمك؟؟! قال : أمير المؤمنين أمرني أن آخذ جاريتك هذه .

قال : يا نرجس هذا يوم قد حضر شره وغاب خيره ، وقد ترى ما نحن فيه ، وأنا لا أخالف ما أمر به أمير المؤمنين .

ثم أمر للخادم بكرسي فجلس عليه بعد أن امتنع ساعة وقال : إن مثلي لا يجلس مع مثلك ، ثم إن محمداً نظر إلى الجارية وبكى بكاء شديداً ، وقال لها : غني لأتزود منك .

فأخذت العود وغنت بصوت حزين تقول :

للـــــه مـــن لمعذبـــــين رماهمـــا   بشماتـــة العـــــذال والحســـاد
أما الرحيـــل فحـــين جـــد تحملـت   مهـــج النفـــوس بـه من الأجساد
من لـــم يبـــت والبـــين يصدع شمله   لم يـدر كيـــف تفتـــت الأكبـــاد

ثم إنهما أعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق ، فرحمهما الخادم ورق لهما حين عاين ما حل بهما . فقال : أيها الأمير ، إن رأيت أن أمضي وأدعكما على ما أنتما عليه وأتعلل عنكما لأمير المؤمنين فعلت .

فقال : يا نرجس ، من خلفه مثل أبي سويد كيف يمكنه التعلل ، ولكن ارفق بنا .

فقالت الجارية : والله يا سيدي لا ملكني غيرك أبداً ، ولئن دفعتني إليه لأقتلن نفسي .

فقال لها محمد : لو كان غير أمير المؤمنين لكان في ذلك أوسع حيلة ، ولقد وددت أن يأخذ مني أمير المؤمنين جميع ما أملك ويعزلني عن عملي ويبقيك علي ، ولكن هذا قضاء الله وقدره . ثم التفت إلى نرجس وقال : لقد شاهدت مني ومن هذه الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والألفة ، وليس يخفى عن علمك أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء . ومثلك من يصنع المعروف مع مثلي فخذها وامض بها إلى أمير المؤمنين ، وقل ما شئت مما يليق بمروءتك . ثم التفت إليها وقبلها وبكى وبكت وبكى نرجس . ثم أخذها وخرج وهي تبكي وتخمش خدها ووجهها . قالت : ثم حملني نرجس على بغلة أمير المؤمنين وسار حتى دخل على المتوكل . فلما رآه قال : ما وراءك يا نرجس؟ قال : ورائي يا أمير المؤمنين كل بلية . ثم إنه جلس بين يديه وقص عليه حالهما ولم يخف شيئاً .

فقال المتوكل : وكل هذا الوجد يجده محمد من هذه الجارية؟ فقال : يا أمير المؤمنين والذي خفي أكثر مما ظهر وما أظنه يعيش بعدها . فرق عليه قلب المتوكل وقال : يا نرجس ارجع بها إليه الساعة من وقتك ، هذا وأدركه قبل أن تزهق روحه ، وقد أمرت له بمائة ألف درهم ، ولها مع ذلك مثله ، وجعلت أمر بي سويد إليه يصنع به ما يشاء .

ثم كتب له توقيعاً بذلك ودفعه إلى نرجس ، فرجع الخادم بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتى دخل عليه فوجده عرياناً يتقلب على حصر سامان من شدة الكرب والوجد ، وقد أحدقت به الجواري يروحنه بالمراوح . فقال : أبشر يا محمد ، إن أمير

المؤمنين قد رد جاريتك عليك من غير أن يوقع نظره عليها ، وقد حكمك في أبي سويد .

ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه ، فوثب إليها وعانقها وقبلها ساعة . ثم خرج فجلس على باب داره وبعث إلى أبي سويد ، فلما حضر دفع إليه التوقيع ، فلما قرأه قال : أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك ، وأن تهدم مني ركناً أنت شيدته ، وأن تضيع صنيعة اصطنعتها إلى مثلي ، فمثلي من هفا ومثلك من عفا .

ثم قام وقبل البساط فقال له محمد : لا أبدل نعمة الله كفراً ثم أمر به بخمسين ألف درهم فقالت الجارية : وأنا أيضاً أهب له خمسين ألف درهم مما وهبه لي أمير المؤمنين ، شكراً لله تعالى على ذلك .

ثم أقره على ما كان عليه ، وأمر أن يحمل المال بين يديه إلى منزله ، ورجع محمد والجارية إلى ما كانا عليه في أطيب عيش وأحسن حال متظاهراً بذلك غير مستتر ولا خائف

المعتضد بالله[1]

فراسة المعتضد

كان المعتضد بالله يوما جالسا في بيت يبنى له يشاهد الصنّاع ، فرأى في جملتهم غلاما أسود ، منكر الخلقة ، يصعد السلاليم مرقاتين مرقاتين ، ويحمل ضعف ما يحملونه ، فأنكر أمره فأحضره وسأله عن سبب ذلك ، فلجلج ، فقال لابن حمدون _وكان حاضرا :_أي شيء يقع لك في أمره؟

فقال : ومن هذا حتى صرفت فكرك اليه ، ولعلّه لا عيال له ، فهو خالي القلب .

قال : ويحك قد خمّنت في أمره تخمينا ما أحسبه باطلا . . اما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها دفعة من غير وجهها ، أو يكون لصّا يتستر بالعمل في الطين .

فلاحاه ابن حمدون في ذلك ، فقال : عليّ بالأسود .

(١) أبو العباس عبد المجيد المعتضد بالله ، خليفة عباسي . بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله وكان ، شجاعا مهيبا ظاهر الجبروت ، شديدا الوطأة على المفسدين . هو أول خليفة عباسي لم يكن والده خليفة من قبله حيث لم يتول والده طلحة الموافق الخلافة مثل أخوانه الثلاثة

فأحضر ، ونادى بالمقارع فضربه نحو مئة مقرعة وقرّره وحلف ان لم يصدقه ضرب عنقه وأحضر السيف والنطع .

فقال الأسود : لي الأمان .

فقال : لك الأمان الا ما يجب عليك فيه من حدّ .

فلم يفهم ما قال له ، وظنّ أنّه قد أمّنه فقال :

أنا كنت أعمل في أتاتين الآجر سنين وكنت منذ شهور هناك جالسا فاجتاز بي رجل في وسطه هميان فتبعته فجاء الى بعض الأتاتين ، فجلس وهو لا يعلم مكاني ، فحلّ الهيمان وأخرج منه دينارا فتأمّلته فاذا كلّه دنانير فثاورته وكتفته وسددت فاه ، وأخذت الهميان ، وحملت الرجل على كتفي وطرحته في نقرة الأتون وطيّنته ، فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه ، فطرحتها في دجلة والدنانير معي يقوى بها قلبي .

فأمر المعتضد من أحضر الدنانير من منزله ، وإذا على الهيمان مكتوب لفلان ابن فلان ، فنودي في البلدة باسمه ، فجاءت امرأته فقالت : هذا زوجي ولي منه هذا الطفل خرج في وقت كذا ومعه هميان فيه ألف دينار ، فغاب الى الآن .

فسلّم الدنانير اليها ، وأمرها أن تعتدّ ، وضرب عنق الأسود وأمر أن تحمل جثته الى الأتون .

قال المحسن : وبلغني أن المعتضد بالله قام في الليل لحاجة ، فرأى بعض الغلمان المردان قد نهضوا من ظهر غلام أمرد ، ودبّ على أربعته حتى اندّس بين الغلمان ، فجاء المعتضد فجعل يضع يده على فؤاد واحد بعد واحد الى أن وضع يده على فؤاد ذلك الفاعل ، فاذا به يخفق خفقانا شديدا ، فوكزه برجله فقعد واستدعى آلات العقوبة ، فأقرّه فقتله .

قال المحسن : وبلغنا عن المعتضد بالله أن خادما من خدمه جاء يوما فأخبره أنه كان قائما على شاطئ دجلة في دار الخليفة ، فرأى صيّادا وقد طرح شبكته ، فثقلت بشيء ، فجذبها فأخرجها فاذا فيها جراب ، وأنه قدّره مالا فأخذه وفتحه ، فاذا فيه آجر وبين الآجر كف مخضوبة بحنّاء . فأحضر الجراب والكف والآجر .

فهال المعتضد ذلك ، وقال : قل للصياد يعاود طرح الشبكة فوق الموضع وأسفله وما قاربه . قال : ففعل فخرج جراب آخر فيه رجل .

فطلبوا فلم يخرج شيء آخر ، فاغتمّ المعتضد وقال :

معي في البلد من يقتل انسانا ويقطع أعضاءه ويفرّقه ولا أعرف به؟ ما هذا ملك!

وأقام يومه كله ما طعم طعاما ، فلما كان من الغد أحضر ثقة له ، وأعطاه الجراب فارغا وقال له : صف به على كل من يعمل الجرب في بغداد ، فان عرفه منهم رجل ، فسله لمن باعه ، فاذا دلّك عليه ، فسل المشتري من اشتراه منه ولا تقر على خبره أحدا .

فغاب الرجل وجاء بعد ثلاثة أيّام ، فزعم أنه لم يزل يطلب في الدبّاغين وأصحاب الجرب الى أن عرف صانعه ، وسأل عنه فذكر أنه باعه لعطّار بسوق يحيى ، وأنه مضى الى العطّار وعرضه عليه ، فقال : ويحك ، كيف وقع هذا الجراب في يدك؟

فقلت : أو تعرفه؟

قال : نعم اشترى مني فلان الهاشمي منذ ثلاثة أيام عشرة جرب لا أدري لأي شيء أرادها وهذا منها .

فقلت له : ومن فلان الهاشمي؟

فقال : رجل من ولد علي بن ريطة من ولد المهدي يقال له : فلان عظيم ، الا أنه شر الناس وأظلمهم وأفسدهم للحوم المسلمين وأشدّهم تشوّقا الى مكائدهم ، وليس في الدنيا من ينهي خبره الى المعتضد خوفا من شرّه ولفرط تمكّنه من الدولة والمال .

ولم يزل يحدّثني وأنا أسمع أحاديث له قبيحة الى أن قال :

فحسبك أنه كان يعشق منذ سنين فلانة المغنية جارة فلانة المغنية ، وكانت كالدينار المنقوش وكالقمر الطالع في غاية حسن الغناء ، فساوم مولاتها فيها ، فلم تقاربه ، فلما كان منذ أيام بلغه أن سيدتها تريد بيعها لمشتر بذل فيها ألوف الدنانير ، فوجه اليها : لا أقلّ من أن تنفذيها اليّ لتودعني ، فأنفذتها اليه بعد أن أنفذ اليها جذورها لثلاثة أيّام ، فلما انقضت الأيام الثلاثة غصبها عليها وغيّبها عنها ، فما يعرف لها خبر ، وادّعى أنها هربت من داره . وقالت الجيران : انه قتلها ، وقال قوم : لا بل هي عنده . وقد أقامت سيدتها عليها المأتم وجاءت وصاحت على بابه وسوّدت وجهها ، فلم ينفعها شيء .

فلما سمع المعتضد سجد لله شكرا لله تعالى على انكشاف الأمر له ، وبعث في الحال من كبس على الهاشميّ وأحضر المغنّية ، وأخرج اليد والرجل الى الهاشمي ،

فلما رآهما امتقع لونه وأيقن بالهلاك واعترف ، فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية الى مولاتها من بيت المال ، وصرفها ، ثم حبس الهاشمي ، فيقال : انه قتله ، ويقال : مات في الحبس .

الأعرابي والمعتضد

دخل أعرابي على المعتضد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن فلاناً العامل ظلمني ، قال : ومن فلان؟ قال : والله لا أدري اسمه ولكن في خده الأيمن خال أو ثؤلول أو أثر لطمة أو أثر حرق نار أو أثر مسمار أو في خده الأيسر . وكان له مرة غلام يقال له : جرير أو نجم إلا أن في اسمه طاء أو لام ، فضحك المعتضد ، وقال : كأنه موسوس؟ قال : سلني عما شئت حتى أجيبك ، قال : كم أصبع لك؟ قال : ثلاثة أرجل فأمر بإخراجه ، فقال : ما أقول لبنتي إذا دخلت وقد فتحت حجرها لأطرح فيه الجوز يوم العيد؟ فأمر المعتضد أن يحمل معه إلى منزله طعام وجائزة .

سياسية المعتضد

حكى ابن حمدون النديم ان الخليفة المعتضد العباسي كان قد شرط علينا انا اذا راينا منه شيئا ننكره نقول له . وإن اطلعنا على عيب واجهناه به .

فقلت له يوما : يا مولانا . في قلبي شيء أردت سؤالك عنه منذ سنين .

قال : ولم أخرته إلى اليوم؟

قلت : لاستصغاري قدري ولهيبة الخلافة .

قال : قل ولا تخف .

قلت : اجتاز مولانا ببلاد فارس فتعرض الغلمان للبطيخ الذي كان في تلك الأرض فأمرت بضربهم وحبسهم وكان ذلك كافيا ثم أمرت بصلبهم وكان ذنبهم لا يجوز عليه الصلب؟

فقال : أو تحسب أن المصلبين كانوا أولئك الغلمان؟

وبأي وجه ألقى الله تعالى يوم القيامة لو صلبتهم لأجل البطيخ؟ وإنما أمرت بإخراج قوم من قطاع الطريق

كان وجب عليهم الفتل وأمرت أن يلبسوا أقبية الغلمان وملابسهم إقامة للهيبة في قلوب العسكر .

ليقولوا : إذا صلب أخص غلمانه على غصب البطيخ فكيف يكون على غيره؟ وكنت قد أمرت بتلثيمهم ، ليستتر أمرهم على الناس .

المكتفي بالله[1]

قال الحسين بن الحسن بن أحمد بن يحيى الواثقي ، قال : كان جدّي يتقلد شرطة بغداد للمكتفي بالله ، فعمل اللصوص في أيامه عملة عظيمة ، فاجتمع التجار وتظلموا الى المكتفي بالله ، فألزمه بإحضار اللصوص أو غرامة المال ، فتحيّر حتى كان يركب وحده ويطوف بالليل والنهار ، الى أن اجتاز يوما في زقاق خال في بعض أطراف بغداد ، فدخله فرأى على بعض أبواب دور الزقاق شوكة سمكة كبيرة ، وعظم الصلب ، وتقدير ذلك أن تكون السمكة فيها مئة وعشرون رطلا ، فقال لواحد من أصحاب المسالخ :

ويحك ، ما ترى عظام هذه السمكة كم تقدّر ثمنها؟

قال : دينار .

فقال : أهل هذا الزقاق لا تحمل أحوالهم شراء مثل هذه السمكة لأنه زقاق الى جانب الصحراء لا ينزله من معه شيء يخافه ، أو له مال ينفق منه مثل هذه النفقة ، وما هي الا بليّة يجب أن يكشف عنها .

فاستبعد الرجل هذا ، وقال : هذا فكر بعيد .

فقال : اطلبوا امرأة من الدرب أكلمها .

فدق بابا غير الباب الذي عليه الشوك واستسقى ماء ، فخرجت عجوز ضعيفة ، فما زال يطلب شربة بعد شربة وهي تسقيهم ، والواثقي من خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله ، وهي تخبره غير عارفة بعواقب ذلك الى أن قال لها : فهذه الدار من يسكنها؟ وأومأ الى التي عليها عظام السمك .

فقالت : والله ما ندري على الحقيقة من سكّانها الا أن فيها خمسة شباب أعفار ، كأنهم تجار قد نزلوا منذ شهر لا نراهم يخرجون نهارا الا كل مدة طويلة ، وانا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعا ، وهم طول النهار يجتمعون فيأكلون

(١) أبو أحمد علي المكتفي بالله المعتضد بالله بن الموفق طلحة بن المتوكل العباسي . ابن المعتضد أبي العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل . وأمه أم ولد تركيه اسمها جيجك ولد سنة ٢٣٦هـ .

ويشربون ويلعبون بالشطرنج والنرد ، ولهم صبي يخدمهم ، واذا كان الليل انصرفوا الى دار لهم في الكرخ ، ويدعون الصبي في الدار يحفظها ، فاذا كان سحرا بليل جاؤوا ونحن نيام لا نعقل بهم وقت مجيئهم .

قال : فقطع الوالي استسقاء الماء ودخلت العجوز ، وقال للرجل : هذه صفة لصوص أم لا؟

فقال : توكلوا بحوالي الدار ودعوني على بابها .

وأنفذ في الحال واستدعى عشرة من الرجال ، وأدخلهم الى سطوح الجيران ، ودق هو الباب ، فجاء الصبي ففتح فدخل والرجال معه ، فما فاتهم من القوم أحد ، وحملهم الى مجلس الشرطة وقرّرهم ، فكانوا هم أصحاب الخيانة بعينها ، ودلوا على باقي أصحابهم فتبعهم الواثقي ، وكان يفتخر بهذه القصة .

الراضي بالله

حكى الصولي قال : كنت يوماً بين يدي أمير المؤمنين الراضي بالله إذ دخل عليه بعض الخدم برقعة دفعها صاحب الخبر الملازم لمجلس أبي عمر القاضي ، يذكر أن رجلاً أحضر خصماً للقاضي ، وادعى عليه مائة دينار ؛ فألزم القاضي الغريم اليمين ؛ إذ لم يجد الخصم بينة ؛ فأخذ الدواة وكتب بيتين فدفعهما إلى القاضي ، فأمر القاضي غلامه فأحضر مائة دينار ودفعها إلى الرجل ، والبيتان هما :

وإنــــي لـــذو حلـــــف كــــاذب　　إذا مـــا اضطررت وفي الأمر ضيق

وهـــل مـــن جنـــاح علـــى مسلـــم　　يدافـــــع باللّــــــه مـــا لا يطيـق

فعجب الراضي من الرجل وديانته ؛ لخلاصه من الحكم ؛ وعجب من كرم القاضي وحسن ما فعله ، ثم أمرني بالركوب إلى القاضي ومسألته في البحث عن صاحب البيتين وإحضاره إليه . فلم نزل أياماً حتى حصل لنا ، فجئنا به إلى دار السلطان ، فمر له بألف دينار وخمس خلع ومركوب حسن ، وأمره بملازمة الدار ؛ ثم قلده الأهواز وأعمالها .

الحجاج بن يوسف الثقفي

قال عبد الملك بن عمير[٦٤] : بينا نحن جلوس في المسجد الأعظم بالكوفة إذا أتانا آت فقال : هذا الحجاج بن يوسف[٦٥] ، قد قدم أميراً على العراق فاشرأب نحوه الناس ، وأفرجوا له إفراجه عن صحن المسجد ، فإذا نحن به يتبهنس في مشيته ، عليه عمامة خز حمراء ، منتكباً قوساً عربية ، يؤم المنبر ، فما زلت أرمقه ببصري حتى صعد المنبر ، فجلس عليه ، وما يحدر اللثام عن وجهه ، وأهل الكوفة حينئذ لهم حال حسنة ، وهيئة جميلة ، وعز ومتعة ، يدخل الرجل منهم المسجد ومعه عشرة أو عشرون من مواليه ، عليهم الخزور والفوهية ، وفي المسجد رجل يقال له : عمير بن ضابئ البرجمي ، فقال : لمحمد بن عمر التميمي ، هل لك أن أحصبه؟ قال : لا حتى أسمع كلامه ، فقال : لعن الله بني أمية! يستعملون علينا مثل هذا ، ولقد ضيع العراق حين يكون مثل هذا أميراً عليه ، والله لو كان هذا كله كلاماً ما كان شيئاً ، والحجاج ينظر يمنة ويسرة ، حتى غص المسجد بأهله ، فقال : يا أهل العراق! إني لا أعرف قدر اجتماعكم إلا اجتمعتم ، قال رجل : نعم- أصلحك الله- فسكت هنيهة لا يتكلم ، فقالوا : ما يمنعه من الكلام إلا العد والحصر ، فقام فحدر لثامه ، وقال : يا أهل العراق! أنا الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود .

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

أما والله فإني لأحمل الشر بثقله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله ، والله يا أهل العراق إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها ، والله لكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى . ثم قال : والله يا أهل العراق ، إن أمير المؤمنين عبد الملك نثل كنانة بين يديه ، فعجم عيدانها عوداً عوداً ، فوجدني أمرّها عوداً ، وأشدها مكساً ، فوجهني إليكم ، ورماكم بي . يا أهل العراق ، يا أهل النفاق والشقاق

---

٦٤ . ابن سويد بن حارثة القرشي ، ويقال : اللخمي أبو عمرو ، ويقال : أبو عمر الكوفي الحافظ ، ويعرف بالقبطي . رأى عليا -رضي الله عنه- وأبا موسى الأشعري .حدث عن الصحابة وكبار التابعين ، وعمر دهرا طويلا ، وصار مسند أهل الكوفة .

٦٥ . أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، قائد أموي ، داهية ، سفاك ، خطيب . ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته ، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره .

ومساوئ الأخلاق ، إنكم طالما أوضعتم في الفتنة ، واضطجعتم في مناخ الضلال ، وسننتم سنن العي ، وأيم الله لألحونكم لحو العود ، ولأقرعنكم قرع المروة ، ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ، إني والله لا أحلق إلا فريت ، ولا أعد إلا وفيت ، إياي وهذه الزرافات ، وقال وما يقول ، وكان وما يكون ، وما أنتم وذاك؟ . يا أهل العراق! إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرتم بأنعم الله ، فأتاها وعيد القرى من ربها ، فاستوسقوا واعتدلوا ، ولا تميلوا ، واسمعوا وأطيعوا ، وشايعوا وبايعوا ، واعلموا أنه ليس مني الإكثار والإبذار والأهذار ، ولا مع ذلك النفار والفرار ، إنما هو انتضاء هذا السيف ، ثم لا يغمد في الشتاء والصيف ، حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم ، ويقيم له أودكم ، وصغركم ، ثم إني وجدت الصدق من البر ، ووجدت البر في الجنة ، ووجدت الكذب من الفجور ، ووجدت الفجور في النار ، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وإشخاصكم لمجاهدة عدوكم وعدو أمير المؤمنين ، وقد أمرت لكم بذلك ، وأجلتكم ثلاثة أيام ، وأعطيت الله عهداً يؤاخذني به ، ويستوفيه مني ، لئن تخلف منكم بعد قبض عطائه أحد لأضربن عنقه . ولينهبن ماله . ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام! أنتم البطانة والعشيرة ، والله لريحكم أطيب من ريح المسك الأزفر ، وإنما أنتم كما قال الله تعالى : ﴿ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ والتفت إلى أهل العراق فقال : لريحكم أنتن من ريح الأبخر ، وإنما أنتم كما قال الله تعالى : ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾ . اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام : فقال القارئ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله ، فسكتوا فقال الحجاج من فوق المنبر : «أسكت يا غلام» ، فسكت ، فقال : «يا أهل الشقاق ، ويا أهل النفاق ومساوئ الأخلاق . يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون السلام؟ هذا أدب ابن أبيه؟ والله لئن بقيت لكم لأؤدبنكم أدباً سوى أدبٍ ابن أبيه ، ولتستقيمن لي أو لأجعلن لكل امرئ منكم في جسده وفي نفسه شغلاً ، اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام» ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم فلما بلغ إلى موضع السلام صاحوا وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته ، فأنهاه ودخل قصر الإمارة .»

كيف ولد الحجاج

روي أن أم الحجاج ابن يوسف وهي الفارعة بنت همام . ولدته مشوهاً لا دبر له فثقب دبره ، وأبى أن يقبل ثدي أمه وغيرها فأعياهم أمره ، فيقال : إن الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة ، فقال : ما خبركم؟ فقالوا : ولد ليوسف الثقفي من الفارعة ولد وقد أبى أن يقبل ثدي أمه فقال : اذبحوا له تيساً أسود والعقوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخاً ، وأولغوه من دمه واطلوا به وجهه ثلاثة أيام ففعلوا فقبل الثدي في اليوم الرابع فكان لا يصبر عن سفك الدم وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره .

الحجاج وأعرابي

رمى الحجاج حجراً بين يدي أعرابي ، وقال له :
أخبرني أذكر هو أم أُنثى ؟
فقال له الأعرابي : ارفع لي ذنبته وأخبرك !

الحجاج وخارجي

قال الحجاج لرجل من الخوارج : أجمعت القرآن؟ قال : أمتفرقا كان فأجمعه . قال : أتقرأه ظاهرا؟ قال : بل أقرأه وأنا انظر إليه . قال :

أتحفظه؟ ، قال : أخشيت فراره فأحفظه . قال : ما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال : لعنه الله ولعنك معه . قال : إنك مقتول فكيف تلقى الله؟

قال : ألقى الله بعملي وتلقاه أنت بدمي

الحجاج والفتى المحدث

وذكر أهل التواريخ أن الحجاج بن يوسف الثقفي سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة فقال : يا خالد آتني بمحدث من المسجد . والناس إذ ذاك يطلبون المقام في المسجد . فانتهى إلى شاب قائم يصلي فجلس حتى سلم ثم قال : أجب الأمير .

فقال : أبعثك الأمير إلي قاصداً .

قال : نعم فمضى معه حتى انتهى إلى الباب فقال له خالد : كيف أنت ومحادثة الأمير .

قال : سيجدني كما يحب إن شاء الله تعالى .

فلما دخل عليه قال له الحجاج : هل قرأت القرآن؟ قال : نعم وقد حفظته .

قال : فهل تروي شيئاً من الشعر .

قال : وما من شاعر إلا وأروي عنه؟ قال : فهل تعرف من أنساب العرب ووقائعها؟ قال : لا يذهب عني شيء من ذلك .

فلم يزل يحدثه بكل ما أحب حتى إذا هم بالانصراف ، قال : يا خالد ، مر للفتى ببرذون وغلام ووصيفة وأربعة آلاف درهم .

فقال الفتى : أصلح الله الأمير بقي من حديثي أظرفه وأعجبه فأعاده الحجاج إلى مجلسه وقال : حدثني .

فقال : أصلح الله الأمير هلك والدي وأنا طفل صغير فنشأت في حجر عمي وله ابنة بسني ، وكان في التصابي من الصبا وما كنا فيه أعجوبة ، حتى إذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها وبذلوا فيها أموالاً لجمالها وكمالها ، فلما رأيت ذلك خامرني السقم ، وضنيت ورميت على الفراش ثم عمدت إلى خابية عظيمة فملأتها رملاً وصخراً وقبرت رأسها ودفنتها تحت فراشي ، فلما تم على ذلك أيام بعثت إلى عمي فقلت : يا عمي ، إني كنت أريد السفر فوقعت على مال عظيم وخفت أن أموت ولا يعلمه أحد فإن حدث بي أمر فأخرجه وأعتق عني عشر نسمات واحجج عني عشر حجج ، وجهز عني عشر رجال بخيولهم وأسلحتهم ، وتصدق عني بألف دينار ، ولا تبال يا عم! فإن المال كثير .

فلما سمع عمي مقالتي أتى امرأته فأخبرها بقولي فما كان بأسرع من أن أقبلت بجواريها حتى دخلت علي فوضعت يدها على رأسي ثم قالت : والله يا ابن أخي ما علمت بسقمك وما حل بك حتى أخبرني أبو فلان الساعة . وأقبلت تلاطفني وتعالجني بالأدوية وحملت لي لطائف ، وردت الخطاب عن ابنتها ، فلما رأيت ذلك تحاملت ثم بعثت إلى عمي أن الله عز وجل قد أحسن إلي وعافاني فابتغ لي جارية من خصالها وكمالها كيت وكيت ، ولا يسألونك شيئاً إلا أعطيته ، فقال : يا ابن أخي ما يمنعك من ابنة عمك؟ فقلت : هي من أعز خلق الله تعالى علي غير أني قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت .

قال : كلا ، إن الامتناع كان من قبل أمها ، وهي الآن قد سمحت ورضيت بذلك .

فقلت : شأنك .

فرجع إلى امرأته فأخبرها بقولي ، فجمعت عشيرتها فزوجوني إياها فقلت : عجل علي بابنة عمي كيف شئت ثم أريك الخابية . فأهديت إلي ، ولم تدع شيئاً يصنع بأشراف النساء إلا فعلته . ثم زفت ابنتها علي وأحضرتها بكل ما وجدت إليه سبيلاً ، وأخذ عمي متاعاً من التجار بعشرة آلاف درهم ، وكان يأتينا في كل صباح من قبل أبويها لطائف وتحف مدة . فلما كان بعد ذلك بأيام أتاني عمي وقال : يا ابن أخي ، إنا قد أخذنا من التجار متاعاً بعشرة آلاف درهم ، وليسوا صابرين على حبس الثمن .

قلت : شأنك والخابية .

فمر مسرعاً حتى جاء بالرجال والحبال فاستخرجها وحملها ، ومر مسرعاً بها إلى منزله ، فلما فتحها كان فيها ما علمت ، فما كان بأسرع من أن جاءت أمها بجواريها فلم تدع في منزلي كثيراً ولا قليلاً إلا حملته ، فبقيت مهاناً على الأرض وجفتنا كل الجفاء ، فهذا حالي ، أصلح الله الأمير ، فأنا من خجلي وضيق صدري آوي إلى المساجد .

فقال الحجاج : يا خالد ، مر للفتى بثياب ديباج وفرس أرمنية وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم . وقال : يا فتى اغد إلى خالد غداً حتى تستوفي منه المال .

فخرج الفتى من عند الحجاج ، قال : فلما انتهيت إلى باب داري سمعت ابنة عمي تقول : ليت شعري ما أبطأ بابن عمي ، أقتل أم مات أم عرض له سبع؟

قال : فدخلت عليها وقلت : يا ابنة عمي أبشري وقري عيناً فإني أدخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت . وحكيت لها ما كان من أمري ، فلما سمعت الفتاة مقالتي لطمت وجهها وصاحت ، فسمع أبوها وأمها وأخواتها صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها : ما شأنك؟ فقالت لأبيها : لا وصل الله رحمك ولا جزاك عني وعن ابن أخيك خيراً جفوته وضيعته حتى أصابته الخفة وذهب عقله اسمع مقالته .

فقال العم : يا ابن أخي ما حالك؟ فقلت : والله ما بي من بأس إلا أني دخلت على الحجاج وذكر له من أمره ما كان وأنه أمر له بمال جزيل .

فقال العم لما سمع مقالته : هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما أصبحوا بعثوا إلى المعالج فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويسهله أخرى ، فيقول الفتى : والله ما بي من بأس وإنما أدخلت على الحجاج فكان كيت وكيت . فلما رأى الفتى أن ذكر الحجاج لا يزيده إلا بلاء كف عنه وعن ذكره ثم قال له : ما تقول في الحجاج؟

قال : ما رأيته . ثم خرج المعالج فقال لهم قد ذهب عنه الأذى ولكن لا تعجلوا بحل قيده فبقي الفتى مقيداً مغلولاً .

فلما كان بعد أيام ذكره الحجاج فقال : يا خالد ما فعل الفتى؟ فقال : أصلح الله الأمير ما رأيته منذ خرج من حضيرة الأمير .

قال : فابعث إليه أحداً .

قال : فبعث إليه خالد حرسياً ، فمر الحرسي على عم الفتى فقال له : ما فعل ابن أخيك؟ فإن الحجاج يطلبه .

قال : إن ابن أخي لفي شغل عن الحجاج قد ابتلى ببلاء في عقله .

قال : لا أدري ما تقول ، لا بد من الذهاب به الساعة .

فدخل عليه العم فقال : يا ابن أخي ، إن الحجاج قد بعث في طلبك أفأحلك؟ قال : لا ، إلا بين يديه فحمل في قيوده وغله على ظهور الرجال حتى أدخل على الحجاج . فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى إليه فكشف قيده وغله وقال : أصلح الله الأمير ، إن آخر أمري أعجب من أوله ، وحدثه بحديثه فعجب الحجاج وقال : يا خالد ، أضعف للفتى ما كنا قد أمرنا له ، فقبض المال أجمع وحسن حاله ولم يزل مسامراً للحجاج حتى مات . .

تولية الحجاج العراق

روي أنه لما ولي الحجاج الحرمين الشريفين حظي عنده إبراهيم بن محمد بن طلحة[1] فلما أراد الحجاج الرجوع إلى الشام إلى عبد الملك بن مروان ، وفد معه إبراهيم بن محمد بن طلحة وقال : أتيتك برجل الحجاز في الشرف والأبوة والفضل والمروءة يا أمير المؤمنين ، مع ما هو عليه من حسن الطاعة وجميل المناصحة ، والله لم يكن في الحجاز له نظير ، فبالله عليك يا أمير المؤمنين ، إلا فعلت معه من الخير ما هو مستحقه؟ فقال عبد الملك : من هو يا أبا محمد؟ قال له : إبراهيم بن محمد بن طلحة .

قال : يا أبا محمد لقد ذكرتنا بحق واجب ائذن له في الدخول .

---

(١) إبراهيم بن محمد بن طلحة تابعي وأحد رواة الحديث الشريف ، أبوه محمد بن طلحة بن عبيد الله وجده هو أحد العشرة المبشرين بالجنة طلحة بن عبيد الله استشهد أبوه مع جده في معركة الجمل .

فلما دخل على عبد الملك أمر بجلوسه في صدر المجلس ثم قال : إن أبا محمد الحجاج ذكر لنا ما نعرفه من كمال مروءتك وحسن نصيحتك ، فلا تدع في صدرك حاجة إلا أعلمتنا بها حتى نقضيها لك ولا نضيع شكر أبي محمد الحجاج فيك .

قال إبراهيم : إن الحاجة التي نبغي بها وجه الله تعالى والتقرب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القيامة نصيحة أمير المؤمنين . قال : قل! قال : لا أقولها وبيني وبينك ثالث .

قال : ولا صديقك الحجاج؟ قال : لا .

قال : قم .

فقام خجلاً وهو لا يعرف أين تطأ رجله ، فلما مضى قال له : هات نصيحتك .

فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، وليت الحجاج الحرمين الشريفين وفيهما من تعرف من أولاد المهاجرين والأنصار وصحبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ما تعلمه من ظلمه وفسقه وجوره وبعده من الحق وقربه إلى الباطل ، يسومهم الخسف ويطؤهم بالعسف ، فليت شعري أي جواب أعددته لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذا سألك الله في عرصات القيامة عن ذلك؟ فبالله عليك يا أمير المؤمنين ، إلا عزلته وادخرتها قربة إلى الله تعالى .

فقال عبد الملك : لقد ظن الحجاج الخير بغير أهله ، ثم قال : يا إبراهيم! قم .

فقمت على أنحس حال وخرجت من المجلس ، وقد اسودت الدنيا في وجهي فتبعني حاجبه وقبض على زندي وجلس بي في الدهليز ، ثم دعا عبد الملك بالحجاج . فدخل فمكث طويلاً فما شككت إلا أنهما يتشاوران في قتلي . ثم دعاني فقمت ودخلت فوافاني الحجاج خارجاً فعانقني ، وقال : جزاك الله عني خيراً في هذه النصيحة ، أما والله لئن عشت لأرفعن قدرك .

وتركني وخرج ودخلت وأنا أقول : يهزأ بي ، وهو معذور ، فدخلت على عبد الملك فأجلسني مجلسي الأول ثم قال لي : قد علمت صدقك وقد عزلته عن الحرمين ووليته العراق وأعلمته أنك استقللت له الحجاز واستدعيت له العراق ، وأنك تطلب له الزيادة في الأعمال وهو يظن أنك السبب في توليته العراق ، وقد تهلل وجهه فرحاً لذلك ، فسر معه أينما توجه يولك خيراً ، ولا تقطع نصيحتك عنا والله أعلم .

الحجاج وهند بنت النعمان

وحكي أن هند بنت النعمان[١] كانت أحسن نساء زمانها . فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالاً جزيلاً وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ودخل بها .

ثم أنها انحدرت معه إلى بلد أبيها المعرة . وكانت هند فصيحة أديبة ، فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة . ثم إن الحجاج رحل بها إلى العراق فأقامت معه ما شاء الله ، ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرآة ، وتقول :

وما هند إلا مهرةٌ عربيةٌ   سلالة أفراس تحللها بغل

فإن ولدت فحلاً فلله درها   وإن ولدت بغلاً فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعاً ولم يدخل عليها . ولم تكن علمت به ، فأراد الحجاج طلاقها ، فأنفذ إليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم ، وهي التي كانت لها عليه ، وقال : يا ابن طاهر ، طلقها بكلمتين ، ولا تزد عليهما . فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها : يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت . وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله .

من أخبار الحجاج

نظر الحجّاج يوما على المائدة إلى رجل وجأ عنق رجل آخر ، فدعا بهما ، فقال للواجئ : علام صنعت؟ فقال : غصّ بعظم فخفت أن يقتله ، فوجأت عنقه فألقاه ، فسأل الآخر فقال : صدق ، فدعا بالطبّاخ فقال له : أتدع العظام في طعامك حتى يغصّ بها؟ فقال : إنّ الطعام كثير ، وربما وقع العظم في المرق فلا يزال . قال : تصب المرق على المناخل . فكان يفعل .

الحجاج على المنبر

ورووا أن الحجاج قال على المنبر يوما : تزعمون أنّا من بقايا ثمود ، وقد قال الله عز وجل : وَثَمُودَ فَما أَبْقى .

(١) هند بنت النعمان بن بشير الأنصارية . شاعرة فصيحة وأديبة بارزة كانت ذات حسن وجمال كانت عند روح بن زنباع . ثم وصف للحجاج حسنها فأنفذ إليها يخطبها واجزل لها العطاء وشرط لها مئتي الف درهم قيمة صداقها فزُوجت له وهي كارهة .

مالك بن دينار[1] قال : ربما سمعت الحجاج يخطب ، يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم ، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه وأنه صادق ، لبيانه وحسن تخلصه بالحجج .

وجد الحجاج على منبره مكتوباً : «قل تمتع بكفرك إنك من أصحاب النار»
فكتب تحته : «قل موتوا بغيضكم إن الله عليم بذات الصدور»

بين المهلب والحجاج

أوفد المهلب[2] كعب بن معدان الأشقري ، حين هزم عبد ربه الأصغر وأجلي قطرياً حتى أخرجه من كرمان نحو أرض خراسان ، فقَالَ له الحجاج : كيف كانت محاربة المهلب للقوم؟ كان إذا وجد الفرصة سار كما يسور الليث ، وإذا دهمته الطحمة راغ كما يروغ الثعلب ، وإذا ماده القوم صبر صبر الدهر ، قَالَ : وكيف كان فيكم؟ قَالَ : كان لنا منه إشفاق الوالد الحدب ، وله منا طاعة الولد البر ، قَالَ : فكيف أفلتكم قطريٌّ؟ قَالَ : كادنا ببعض ما كدناه به ، والأجل أحصن جنّة وأنفذ عدّة ، قَالَ : فكيف اتبعتم عبد ربه وتركتموه؟ قَالَ : آثرنا الحد عَلَى الفل ، وكانت سلامة الجند أحب إلينا من شجب العدو ، فقَالَ له الحجاج : أكنت أعددت هذا الجواب قبل لقائي؟ قَالَ : لا يعلم الغيب إلا الله .

قال الحجاج للمهلب وهو يماشيه : أأنا أطول أم أنت؟
قال : الأمير أطول ، وأنا أبسط قامة ، أراد الطول وهو الفضل .

يقر بعيوبه

سأل عبد الملك الحجّاج ، عَنْ عيبه فتلكأ عليه ، فأبى إلا أن يخبره ، فقَالَ : أنا

---

(١) علم العلماء الأبرار ، معدود في ثقات التابعين ، ومن أعيان كتبة المصاحف ، كان من ذلك بلغته . ولد في أيام ابن عباس ، وسمع من أنس بن مالك ، فمن بعده ، وحدث عنه ، وعن الأحنف بن قيس ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين ، والقاسم بن محمد ، وعدة .

(٢) المهلّب بن أبي صفرة الأزدي وكنيته أبو سعيد ، هو من ولاة الأمويين على خراسان .

حديدٌ حسودٌ حقودٌ لجوج ذو قسوة ، فبلغ هذا الكلام خالد بن صفوان ، فقَالَ : لقد انتحل الشّر بحذافيره ، والمروق من جميع الخير بزوبره ، ولقد تأنق فِي ذم نفسه ، وتجود فِي الدلالة عَلَى لؤم طبعه ، وفي إقامة البرهان عَلَى إفراط كفره ، والخروج من كنف ربّه ، وشدّة المشاكلة لشيطانه الذي أغواه

عجة الحجاج

أكل الحجاج مع رجل بيضاً ، فأقبل يأكل المح ويرمي إليه بالبياض ؛ فقال الرجل : أيها الأمير ؛ عدل العجة .

الردود المنجية

ذكروا ، أنّه لما قتل الحجّاج عبد الرّحمن بن الأشعث[(١)] ، وأسر من معه ، أمر بضرب رقابهم . فقال رجلٌ منهم : أيّها الأمير إنّي أتيت إليك بشيء . قال : وما هو؟ قال : إنّي كنت جالساً يوماً عند عبد الرّحمن فأخذ في عرضك ، فناضلته عنك . قال : ومن يشهد لك بذلك؟ فقال رجلٌ من الجّماعة يشهد له بما قال فقال : اتركوه . ثمّ قال للرّجل : أفلا كنت مثله؟ قال له : بغضي فيك لم يدعني أتكلّم فيك بمثل ذلك . فقال : واتركوا هذا لصدقه . ثمّ قام رجلٌ آخر فقال : أيّها الأمير لئن كنّا أسأنا في الخطأ لما أحسنت في العفو . فقال الحجّاج : أفٍّ لهذه الجّيف ، أما والله لو كان فيكم من يتكلّم والله ما قتل منكم أحد .

الرجل الشكور

حدّث قُتيبة بن مسلم[(٢)] قال : أُتِي الحجاج بن يوسف بقوم كانوا قد خرجوا عليه ، فأمر بقتلهم وبقي منهم واحد ، فأقيمت الصلاة ، فقال لي الحجاج : ليكن

---

(١) عبد الرحمن بن محمد الكندي كان قائداً عسكرياً أموياً من أهل الكوفة وأشرافها وصاحب أعنف الثورات ضد الدولة الأموية بدأ عبد الرحمن كأي قائد عسكري حليف لبني أمية وضم عددا كبيراً من البلدان لصالح الدولة الأموية ولم تكن أسباب خروجه دينية على الإطلاق

(٢) قتيبة بن مسلم الباهلي قائد إسلامي شهير قاد الفتوحات الإسلامية في بلاد أسيا الوسطى في القرن الأول الهجري .

عندك الليلة وتأتي به إلينا غداً لأقتله . فخرجتُ والرجل معي ، فلما صرنا في الطريق قال الرجل لي : هل لك في خير؟ قلت : وما هو؟ قال : إن عندي ودائع للناس ، وإن صاحبك لقاتلي ، فهل لك أن تُخْلي سبيلي لأودّع أهلي وأعطي كلَّ ذي حق حقّه ، وأوصي بما عليّ ولي ، والله تعالى كفيل لي أن أرجع إليك بُكْرَة . فتعجّبتُ من قوله وضحكت ، فأعاد عليّ القولَ وقال : يا هذا ، الله كفيل أن أعود إليك . وما زال يلحّ إلى أن قلت : اذهب! فلما توارى عني كأنني انتبهت ، فقلت : ما صنعتُ بنفسي؟! ثم أتيت أهلي فباتوا بأطول ليلة . فلما أصبحنا إذا برجل يقرع الباب ، فخرجت فإذا به . فقلت : رجعتَ؟! قال : جعلتُ الله كفيلاً ولا أرجع! فانطلقت ، فلما بصر بي الحجاج قال : أين الأسير؟ قلت : بالباب ، أصلح الله الأمير . فأحضرتُه وقصصتُ على الحجاج القصة ، فجعل يردّد نظره فيه ، ثم قال : وهبتُه لك . فانصرفتُ به . فلما خرج من الدَار قلت له : اذهب أين شئتَ . فرفع بصره إلى السماء وقال : اللهم لك الحمد . فما شكرني ولا قال لي أحسنتَ ولا أسأت . فلما انصرف قلت في نفسي : مجنونٌ ورب الكعبة! فلما كان في اليوم الثاني جاءني وقال : يا هذا ، جزاك الله عني أفضل الجزاء . والله ما ذهب عني أمس ما صنعتَ ولكني كرهتُ أن أشْرِكَ في حمد الله أحدا .

الحجاج والحجام

احتجم الحجّاج ذات يوم ، فلما ركّب المحاجم على رقبته قال له : أُحبّ أيها الأمير أن تخبرني بخبرك مع ابن الأشعث وكيف عصا عليك فقال له : لهذا الحديث وقت آخر ، وإذا فرغتَ من شأنك حدَّثتك . فأعاد الحجّام مسألته وكرّرها ، والحجّاج يدفعه ويعده ويحلف له على الوفاء له . فلما فرغ ونزع المحاجم عنه وغسل الدم ، أحضر الحجّام وقال له . إنّا وعدناك بأن نحدّثك حديث ابن الأشعث معنا ، وحلفنا لك ، ونحن محدِّثوك . ثم نادى : يا غلام ، السِّياط! فأُتي بها . فأمر الحجاج بالحجام فجُرِّد ، وعلَتْه السياط ، وأقبل الحجاج يقصّ عليه قصة ابن الأشعث بأطول حديث . فلما فرغ استوفى الحجامُ خمسمائة سوط ، فكاد يتلف . ثم رفع الضرب وقال له : قد وفّينا لك بالوعد ، وأيّ وقت أحببت أن تسأل خبرنا مع غير ابن الأشعث على هذا الشرط أجبناك!

قوة الجواب وغيظ الحجاج

سأل الحجاج جمع في مجلسه فقال : كيف ترون قبتي هذه وبناؤها ؟

فقالوا :أيها الأمير إنها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها ، قال لم لا تخبروني بنصح ؟ قالو لا يصفها لك إلا الغضبان بن الأشعث وهو في سجنك . . .فبعث إلى الغضبان فأحضره وقال له :كيف ترى قبتي هذه وبناءها ؟

قال :أصلح الله الأمير بنيتها في غير بلدك ، لا لك ولا لولدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها وإرثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها بباق

فقال الحجاج : قد صدق الغضبان ، ردوه الى السجن

فلما حملوه قال ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾

فقال : أنزلوه ، فلما أنزلوه قال ﴿رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين﴾

فقال : اضربوا به الأرض فلما ضربوا به الأرض قال :

﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى﴾

فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول «بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم﴾

فقال الحجاج : ويلكم اتركوه فقد غلني دهاءً وخبثا . ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله .

إنجابك من أعظم الذنوب

عرض على الحجاج يوما أسرى من المسلمين لقتلهم ، فقال : من أقر أنه كافر تركناه ومن لم يقر قتلناه .

فجاءه شيخ ، فقال له : أكافر أنت أم مسلم ؟قال الشيخ : أتخادعني عن نفسى يا حجاج؟ والله لو كان هناك شيء أعظم من الكفر لرضيت به ، فضحك الحجاج وعفى عنه .

ثم عرض عليه رجل فساله الحجاج : أكافر أنت أم مسلم؟ فقال الرجل : على دين إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . فأمر به فقتلوه .

ثم جاءه رجل آخر فعرض عليه نفس السؤال فقال له : على دين أباك يوسف الثقفي ، فقال الحجاج : والله لقد كان صواما قواما ، وعفا عنه .

فجاءه الرجل بعد ذلك وقال له : عندما سألت صاحبي عن دينه قال لك :

على دين إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، فقتلته .

وعندما سألتني قلت لك : على دين أباك ، فقلت أما والله لقد كان صواما قواما ،فعفوت عني . . . والله لو لم يكن لأبيك ذنب غير أنه أنجبك لكفاه .

يأتمنه على سره

حُكِي أن الحجاج خرج يوما متنزها ، فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه ، فإذا هو بشيخ من بني عجل ،

فقال له : من أين أيها الشيخ ؟

قال : من هذه القرية .

قال : كيف ترون عمالكم ؟

قال : شر عمال ؛ يظلمون الناس ، ويستحلون أموالهم .

قال : فكيف قولك في الحجاج ؟

قال : ذاك ، ما ولى العراق شر منه ، قبحه الله ، وقبح من استعمله

قال : أتعرف من أنا ؟

قال : لا . قال : أنا الحجاج

قال : جُعلت فداك

أو تعرف من أنا؟

قال : لا .

قال : فلان بن فلان ، مجنون بني عجل ، أصرع في كل يوم مرتين .

قال : فضحك الحجاج منه ، وأمر له بصِلة

أطعمه وأحياه

أتى الحجاج برجل ليقتله وبيده لقمة ، فقال : والله لا أكلتها حتى أقتلك .

قال : أو خير من ذلك ، تطعمنيها ولا تقتلني ، فتكون قد بررت في يمينك ومننت علي .

فقال : ادن مني . فأطعمه إياه وخلاه .

العفو لحسن البيان

وأتي الحجاج برجل من الخوارج ، فأمر بضرب عنقه ، فاستنظره يوما ، فقال : ما تريد بذلك؟

قال : أؤمل عفو الأمير مع ما تجري به المقادير .

فاستحسن قوله وخلاه .

الحجاج متنكراً

روي أن الحجاج قال لغلام له : تعال نتنكّر وننظر ما لنا عند الناس .

فتنكّرا وخرجا ، فمرّا على المطلب غلام أبي لهب ، فقالا :

يا هذا ، أي شيء على الحجاج؟

قال : على الحجاج لعنة الله .

قالا : فمتى يخرج؟

قال : أخرج الله روحه من بين جنبيه ، ما يدريني؟

قال : أتعرفني؟

قال : لا .

قال : أنا الحجاج بن يوسف .

قال المطلب : أتعرفني أنت .

قال : لا .

قال : أنا المطلب غلام أبي لهب ، أصرع في كل شهر ثلاثة أيام أولها اليوم ، فتركه ومضى .

الحجاج وغلاماه الفصيحان

أمر الحجاج بن يوسف الثقفي اثنين من غلمانه أن يمثلا بين يديه وأمر كل واحد منهما أن يهجوَ الآخر وكان أحدهما أسود البشرة والثاني أبيضها فقال صاحب البشرة السوداء :

أَلَمْ تــرَ أنّ المســكَ لا شــيءَ مثلـه ... وأن بيــاضَ اللفــت حمْل بدرهم

وأنّ ســوادَ العــين لا شــك نورُهــا ... وأنّ بياضَ العين لا شَيءً فاعلــم

فقال صاحب البشرةِ البيضاء :

ألــمْ تــرَ أن البــدرَ لا شــيءَ مثله ... وأن ســواد الفحــم حِمْل بدرهم

وأن رجـــال اللـــه بيـــضٌ وجوهُهـــم ولا شـــك أنّ الســـودَ أهـلُ جهنم
فضحك الحجاج وأعتقهم جميعا .

الحجاج وخارجي:

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : والله إنك من قوم أبغضهم! قال له : أدخل الله أشدّنا بغضا لصاحبه الجنة .

الحجاج والأعرابي ونساؤه الأربع

دخل أعرابي على الحجّاج ، فسمعه يقول : «لا تكمُل النعمة على المرء حتى ينكح أربعَ نسوة يجتمعْن عنده» .

فانصرف الأعرابي فباع متاع بيته ، وتزوج أربع نسوة ، فلم توافقه منهنّ واحدة :

خرجتْ واحدة حمقاء رعناء ، والثانية متبرّجة ، والثالثة فارِك-أو قال : فروك(مبغضة لزوجها) والرابعة مذكّرة .

فدخل على الحجّاج فقال : أصلح الله الأمير ، سمعتُ منك كلامًا أردتُ أن تنمّ لي به قرّة عين ؛ فبعت جميع ما أملك ، حتى تزوجتُ أربع نسوة ، فلم توافقني منهنّ واحدة ، وقد قلتُ فيهنّ شعرًا ، فاسمع مني .

قال : قل .

فقال : تزوجتُ أبغي قرةَ العين أربعًا
فيا ليت أني لم أكن أتزوجُ
ويا ليتني أعمى أصمُّ ولم أكنْ
تزوجتُ ، بل يا ليت أني مُخَدّجُ (ناقص الخَلق)
فواحدةٌ ما تعرفُ اللهَ ربَها
ولا ما التُقى تدري ولا ما التحرُّجُ
وثانية ما إن تقرَّ ببيتها
مذكَّرة مشهورة تتبرجُ
وثالثة حمقاءُ رعنا سخيفةٌ
فكلّ الذي تأتي من الأمر أعوجُ
ورابعةٌ مفروكةٌ ذاتُ شرَّة

فليست بها نفسي مدى الدهر تُبهَجُ
فهنّ طلاقٌ كلهنّ بوائنُ
ثلاثا ثلاثا فاشهدوا لا تلجلجوا
فضحك الحجاج حتى كاد يسقط من سريره ، ثم قال : كم مهورهنّ؟
قال : أربعة آلاف درهم .
فأمر له بثمانية آلاف درهم .

صندوق كسرى

قالوا : أتي الحجاج بصندوق قد أصيب في بعض خزائن كسرى مقفل فأمر بالقفل فكسر فإذا فيه صندوق آخر مقفل فقال الحجاج : من يشتري مني هذا الصندوق بما فيه ؟ فتزايد فيه أصحابه حتى بلغ خمسة آلاف دينار فأخذه الحجاج ونظر فيه فقال : ما عسى أن يكون فيه إلا حماقة من حماقات العجم . ثم أنفذ البيع وعزم على المشتري أن يفتحه ويريه ما فيه ، ففتحه بين يديه ، فإذا فيه رقعة مكتوب فيها : من أراد أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل

يخرجون من دين الله!

قال الحجاج يوما لرجل : اقرأ لنا شيئا من القرآن . فقرأ الرجل الآية ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجا . .﴾ فقاطعه الحجاج مصححا وقال له : بل يدخلون في دين الله أفواجا . فقال الرجل : كان ذلك قبل ولايتك أيها الأمير !

مولى الحجاج ورجل من حيه

خرج أعرابي قد ولاه الحجاج بعض النواحي فأقام بها مدة طويلة ، فلما كان في بعض الأيام ورد عليه أعرابي من حيه فقدم اليه الطعام . وكان إذ ذاك جائعاً فسأله عن أهله وقال : ما حال ابني عمير ، قال على ما تحب قد ملأ الارض والحي رجالاً ونساءً . قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضاً . قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع . قال ملأ الحي نبحاً قال فما حال جملي زريق . قال على ما يسرك . قال فالتفت إلى خادمه ، وقال ارفع الطعام فرفعه ، ولم يشبع الأعرابي ، ثم أقبل عليه

يسأله وقال : يا مبارك الناصية أعد عليّ ما ذكرت . قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبي ايقاع ، قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات . قال : أومات جملي زريق . قال نعم . قال وما الذي أماته ؟ قال كثرة نقل الماء إلى قبر أم عمير ، قال أوماتت أم عمير قال ، نعم . قال وما الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير . قال أومات عمير ؟ . قال نعم . قال وما الذي أماته ؟ قال سقطت عليه الدار . قال أوسقطت الدار قال نعم . قال فقام له بالعصا ضارباً فولى من بين يديه هارباً .

ثأر سعيد بن جبير

في سنة أربع وتسعين قَتَلَ الحجاجُ سعيدَ بن جُبَيْرٍ [1] ،

فذكر عون بن أبي راشد العبدي . . قال : لما ظفَر الحجاج بسعيد بن جبير وأوصل إليه

قال له : ما اسمك .

قال : اسمي سعيد بن جبير

قال : بل شقي بن كسير .

قال : أبي كان أعلم باسمي منك ،

قال : لقد شقيت وشقي أبوك ،

قال له : الغيب إنما يعلمه غيرك ،

قال : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى ،

قال : لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت إلهاً غيرك ،

قال : فما قولك في الخلفاء ،

قال : لست عليهم بوكيل ،

قال : فاختر أي قتلة تريد أن أقتلك ،

قال : بل اختر يا شقي لنفسك ، فواللّه ما تقتلني اليوم بقتلة إلا قتلتك في

---

(١) الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد ، أبو محمد ، ويقال : أبو عبد الله الأسدي الوالبي ، مولاهم الكوفي ،سعيد بن جبير الأسدي تابعي حبشي الأصل ، كان تقياً وعالماً بالدين درس العلم عن عبد الله بن عباس حبر الأمة وعن عبد الله بن عمر وعن السيدة عائشة أم المؤمنين .

الآخرة بمثلها ،

فأمر به الحجاج ، فأخرج ليقتل ،

فلما ولى ضحك ، فأمر الحجاج برده ، وسأله عن ضحكه ،

فقال : عجبت من جراءتك على اللّه وحلم الله عنك ،

فأمر به فذبح ، فلما كبَّ لوجهه

قال : أشهد أن لا إله إلا اللّه وحد لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الحجاج غير مؤمن بالله

ثم قال : اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدي ،

فذبح واحتز رأسه . ولم يعش الحجاج بعده إلا خمس عشرة ليلة

ويروى أنه كان يقول بعد قتل سعيد : يا قوم مالي ولسعيد بن جبير ، كلما عزمت على النوم أخذ بحلقي .

شجاعة رجل

قال أبو الحسن : خطب الحجاج يوم جمعة فأطال الخطبة ، فقال رجل :

«إن الوقت لا ينتظرك ، وإن الرب لا يعذرك» ، فحبسه ، فأتاه أهل الرجل وكلموه فيه وقالوا : إنه مجنون . قال : إن أقرّ بالجنون خليت سبيله . فقيل له : أقر بالجنون . قال : لا والله ، لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني

الحجاج وعبد الملك:

قال عبد الملك بن الحجاج : لو كان رجل من ذهب لكنته . قال له رجل من قريش وكيف ذلك؟ قال : لم تلدني أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجر . فقال له : لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب .

الحجاج وابن ظبيان:

قال : لما قدم الحجاج العراق واليا عليها خرج عبيد الله بن زياد بن ظبيان متوكئا على مولى له وقد ضربه الفالج ، فقال قدم العراق رجل على ديني . فقال له حصين بن المنذر الرقاشي : فهو إذا منافق! قال عبيد الله : إنه يقتل المنافقين! قال له حصين : إذا يقتلك .

عضد الدولة[١]

فراسة عضد الدولة

قدم بعض التجار من خراسان ليحج ، فتأهب للحج وبقي معه ألف دينار لا يحتاج اليها ، فقال : ان حملتها خاطرت بها ، وإن أودعتها خفت جحد المودع .

فمضى الى الصحراء ، فرأى شجرة خروع ، فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد ، ثم خرج الى الحج وعاد ، فحفر المكان فلم يجد شيئا ، فجعل يبكي ويلطم وجهه ، فاذا سئل عن حاله قال : الأرض سرقت مالي .

فلما كثر ذلك منه قيل له : لو قصدت عضد الدولة فان له فطنة .

فقال : أويعلم الغيب؟

فقيل له : لا بأس بقصده .

فأخبره بقصّته ، فجمع الأطباء وقال لهم : هل داويتم في هذه السنة أحد بعروق الخروع؟

فقال أحدهم : أنا داويت فلانا وهو من خواصّك .

فقال : عليّ به .

فجاء فقال له : هل تداويت هذه السنة بعروق الخروع؟

قال : نعم .

قال : من جاءك به؟

قال : فلان الفرّاش .

قال : عليّ به .

فلما جاء قال : من أين أخذت عروق الخروع؟

فقال : من المكان الفلاني .

فقال : اذهب بهذا معك فأره المكان الذي أخذت منه .

فذهب معه بصاحب المال الى تلك الشجرة ، وقال : من هذه الشجرة أخذت .

(١) عضد الدولة بن بويه (٩٣٦-٩٨٣) كان ملكا على بلاد شيراز وما حولها من الأطراف ولد بأصفهان ، فتح قرمان وعمان ، هزم الترك في واسط ، وظفر بالعراق بعد استيلائه على بغداد سنة ٩٥٥م ، غزا جرجان وطبرستان ، عرف برعايته للعلماء واحسانه على الفقراء ، وفد عليه كثير من الشعراء منهم ابن بابك وأبو الطيب المتنبي .

فقال الرجل : ههنا والله تركت مالي ، فرجع الى عضد الدولة فأخبره ، فقال للفرّاش : هلمّ بالمال ، فتلكأ ، فأوعده وهدّده فأحضر المال .

قاضي عضد الدولة وملك الروم

روي أن عضد الدولة بعث القاضي أبا بكر الباقلاني في رسالة الى ملك الروم ، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره ومحلّه من العلم ، ففكر الملك في أمره ، وعلم أنه لا يفكر له اذا دخل عليه كما جرى رسم الرعيّة أن يقبّل الأرض بين يدي الملك ، فتجنبت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أن يدخل أحد منه الا راكعا ليدخل القاضي منه على تلك الحال .

فلما وصل القاضي الى المكان فطن بالقصّة ، فأدار ظهره وحنى رأسه ، ودخل من الباب وهو يمشي الى خلفه ، وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه ، ثم رفع رأسه وأدار وجهه حينئذ الى الملك ، فعلم الملك من فطنته وهابه .

دهاء عضد الدولة

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني(١) في تاريخه أنه بلغ الى عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطريق ، ويقيمون في جبال شاقة ، فلا يقدر عليهم ، فاستدعى أحد التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى قد شيبت بالسم ، وأكثر طيبها ، وأعطاه دنانير ، وأمره أن يسير مع القافلة ، ويظهر أن هذه هدية لإحدى نساء أمراء الأطراف .

ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة ، فنزل القوم وأخذوا الأمتعة والأموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به مع جماعتهم الى الجبل ، وبقي المسافرون عراة ، فلما فتح الصندوق وجد الحلوى يضوع طيبها ، ويدهش منظرها ويعجب ريحها ، وعلم أنه لا يمكنه الاستبداد بها ، فدعا أصحابه ، فرأوا ما لم يروه أبدا قبل ذلك ، فأمعنوا في الأكل عقيب مجاعة ، فانقلبوا فهلكوا عن آخرهم ، فبادر التجار الى أخذ أموالهم وأمتعتهم وسلاحهم ، واستردوا المأخوذ عن آخره .

---

(١) محمد بن عبد الملك الهمذاني هو فقيه ومؤرخ . هو محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد ، أبو الحسن الهمذاني ، يعرف بالمقدسي . سكن بغداد وبها كانت نشأته ووفاته .

فلم أسمع بأعجب من هذه المكيدة ، محت أثر العاتين وحصدت شوكة المفسدين .

العطار والتاجر

أن رجلا من خراسان قدم الى بغداد للحج ، وكان معه عقد من الجواهر يساوي ألف دينار ، فاجتهد في بيعه ، فلم يوفق ، فجاء الى عطّار موصوف بالخير ، فأودعه ايّاه ، ثم حج وعاد فأتاه بهديّة .

فقال له العطار : من أنت وما هذا؟

فقال : أنا صاحب العقد الذي أودعتك .

فما كلّمه حتى رفسه رفسة رماه بها عن دكّانه ، وقال : تدّعي عليّ مثل هذه الدعوى؟

فاجتمع بالناس وقالوا للحاج : ويلك ، هذا رجل خير ، ما لحقت من تدّعي عليه الا هذا؟

فتحيّر الحاج وتردد اليه ، فما زاده الا شتما وضربا ، فقيل له : لو ذهبت الى عضد الدولة ، فله في هذه الأشياء فراسة .

فكتب قصّته وجعلها على قصبة ورفعها لعضد الدولة ، فصاح به ، فجاء ، فسأله عن حاله ، فأخبره بالقصّة ، فقال :

اذهب الى العطار غدا ، واقعد على دكّانه ، فان منعك فاقعد على دكان تقابله ، من الصبح الى المغرب ، ولا تكلّمه ، وافعل هذا ثلاثة أيّام ، فاني أمرّ عليك في اليوم الرابع وأقف وأسلّم عليك ، فلا تقم لي ولا تزدني على ردّ السلام وجواب ما أسألك عنه ، فاذا انصرفت فأعد على ذكر العقد ، ثم أعلمني ما يقول لك ، فان أعطاكه فجيء به اليّ .

فجاء الى دكّان العطّار ليجلس فمنعه ، فجلس بمقابلته ثلاثة أيّام ، فلما كان اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم ، فلما رأى الخراساني وقف وقال : السلام عليك .

فقال الخراساني ولم يتحرّك : وعليكم السلام .

فقال : يا أخي تقدم فلا تأتي الينا ولا تعرض حوائجك علينا؟

فقال كما اتفق ولم يشبعه الكلام ، وعضد الدولة يسأله ويستخفي وقد وقف

ووقف العسكر كله ، والعطار قد أغمي عليه من الخوف .

فلما انصرف التفت العطار الى الحاج فقال : ويحك متى أودعتني هذا العقد؟ وفي أي شيء كان ملفوفا؟ ذكّرني لعلي أذكره .

فقال : من صفته كذا وكذا .

فقام وفتش ، ثم نقض جرّة عنده فوقع العقد ، فقال : قد كنت نسيت ، ولو لم تذكّرني الحال ما ذكرت .

فأخذ العقد وذهب . ثم قال : وأي فائدة لي في أن أعلم عضد الدولة ، ثم قال في نفسه : لعلّه يريد أن يشتريه .

فذهب اليه فأعلمه ، فبعث به مع الحاجب الى دكّان العطّار ، فعلّق العقد في عنق العطار وصلبه بباب الدكان ونودي عليه : هذا جزاء من استودع فجحد .

خطأ الشاعر

حكى السلامي الشاعر(١) قال : دخلت على عضد الدولة ، فمدحته فأجزل عطيّتي من الثياب والدنانير وبين يديه حسام خرواني فرآني ألحظه ، فرمى به اليّ وقال : خذه .

فقلت : وكل خير عندنا من عنده .

فقال عضد الدولة : ذاك أبوك!

فبقيت متحيّرا لا أدري ما أراد ، فجئت أستاذي فشرحت له الحال ، فقال :

ويحك! قد أخطأت عظيمة ، لأن هذه الكلمة لأبي نوّاس يصف كلبا حيث يقول :

أنعت كليا أهله في كدّه ... قد سعدت جدودهم بجدّه

وكل خير عندنا من عنده

قال : فعدت متوشحا بكساء فوقفت بين يدي عضد الدولة فقال : ما بك؟

فقلت : حممت الساعة .

فقال : هل تعرف سبب حمّاك؟

(١) السلامي الشاعر ٣٣٦- ٣٩٣ هـ . أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن خليس بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله ابن الحارث بن عبد الله بن الوليد

قلت : نظرت في ديوان أبي نوّاس .
فقال : لا تخف ، لا بأس عليك من هذه الحمّى .
فشكرته وانصرفت .

معز الدولة

عن أبي الحسن الدامغاني حاجب معز الدولة قال : كنت في دهليز معز الدولة ، فصاح صائحك نصيحة . فاستدعيته

وقلت : ما نصيحتك؟! قال : لا أذكرها إلا للأمير ، فدخلت فعرفته ، فقال : هاته ، فأحضرته بين يديه فقال : ما عندك؟!

قال : أنا رجل صياد بناحية المدائن ، وكنت أصيد فعلقت شبكتي بأسفل جرف ، فاجتهدت في تخليصها فتعذر ذلك علي

حتى نزلت وغصت في الماء ، فإذا هي معلقة بعروة حديد ، فحفرت فإذا قمقم مملوء مالاً فرددته مكانه وناديت لأعرف الأمير

قال الدمغاني : فانحدرت معه في الوقت إلى المدائن العتيقة وقصدنا الجرف فوجدنا القمقم وقلعناه ، وسعيت بنفسي في

تتبع الموضع فتقدمت إلى الصياد استقصاء الحفر ، فوجدنا سبعة قماقم أخر مملوءة مالاً ، فحملنا الجميع إلى معز الدولة

فسر به فأمر للصياد بعشرة آلاف درهم فامتنع من قبولها وقال : الذي أريده غيرها ، قال : ما هو؟!

قال : تجعل لي صيد تلك الناحية وتمنع كل أحد غيري من الصيد ، فضحك الأمير وعجب من جهله وحمقه : وأمر له بما سأل .

جلال الدولة[1]

وروى أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي[2] في تاريخه قال : حدّثني بعض

(١) أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، الملقب جلال الدولة .

(٢) هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ الحراني ، أبو الحسين ، أو أبو الحسن : مؤرخ ، كاتب ، من أهل بغداد . كان أبوه وجده من الصابئة ، وأسلم هو في أواخر عمره . وكان قد تعلم الأدب وهو على دين آبائه . وولي ديوان الإنشاء ببغداد زمنا .

التـجـار ، قـال : كـنـت في المعـسكـر ، واتفق أن ركـب الـسلطان جـلال الدولـة يومـا الى الصيد على عادته ، فلقيه سوادي يبكي ، فقال : ما لك؟

فقال : لقيني ثلاثة غلمان أخذوا حمل بطيّخ معي وهو بضاعتي .

فقـال : امض الى المعسكر فـهناك قبّة حـمراء ، فاقـعد عندها ولا تبـرح الى آخر النهار ، فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك .

فلمـا عـاد السلطان ، قـال لبـعض شـرّائه : قـد اشـتـهـيت بطيّخـا فـفـتش العـسكر وخيمهم على شيء منه .

ففعل وأحضر البطيّخ ، فقال : عند من رأيتموه؟

فقيل : في خيمة فلان الحاجب .

فقال : أحضروه . فقال له : من أين هذا البطيخ؟

فقال : الغلمان جاؤوا به .

فقال : أريدهم الساعة .

فـمضى وقـد أحسّ بالـشر ، فـهرب الغلمـان خوفا من أن يقـتلوا ، وعـاد فـقـال : قـد هربوا لما علموا بطلب السلطان لهم .

فقال : أحضروا السوادي .

قال : نعم .

قال : فخذه وامض مصاحبا السلامة .

الخالدي وسيف الدولة

قال أبو عثمـان الخالدي[1] : عملتُ قصيداً أمدح سيف الـدولة أبا الحسين ابن حمدان ، وعرضتها على جماعة ، أتعرّف ما عندهم فيها ، فاتّفق أن حضر مخنّثٌ وأنا أقرأها ، فلمّا انتهيت إلى قولي :

---

(١) . سعيد بن هاشم بن وعلة بن عرام بن عبد القيس أبو عثمان الخالدي . شاعر ، أديب ، اشتهر هو وأخوه محمد ، بالخالديان ، وكانا آية في الحفظ والبديهة ، يتهمهما شعراء عصرهما بسرقة شعرهم . قال ابن النديم : كانا إذا استحسنا شيئاً غصباه صاحبه ، حياً أو ميتاً ، ليس عجزاً منهما عن قول الشعر ولكن كذا كانت طباعهما . وهما من أهل الخالدية قرب الموصل ، ونسبتهما إليها ، وقيل نسبتهما إلى جدهما واسمه خالد بن منبّه ، أو ابن عبد القيس ، أو ابن عبد عنبة .

(وأنكـــرت شيبـــةً في الرّأس واحدةً   فعـــاد يسخطها ما كان يرضيهـــا)

قال : هذا غلطٌ (يقول للأمير : في الرّأس واحدةً) ألا قلت : في الرّأس طالعةً أو لائحةً؟ فعجبت من فطنته وجودة خاطره وحسن عرافته .

سابور وبهاء الدولة

كان سابور[1] وزير بهاء الدولة يكثر الولاية والعزل ، فولّى بعض العمّال عكبرا ، فقال له : أيّها الوزير كيف ترى؟ أستأجر السفينة مصعداً ومنحدراً؟ فتبسم وقال : امض ساكتاً .

أعرابي أمام الوالي

جيء بأعرابي إلى أحد الولاة لمحاكمته على جريمة أُتهم بارتكابها ، فلما دخل على الوالي في مجلسه ، أخرج كتاباً ضمّنه قصته ، وقدمه له وهو يقول : هاؤم اقرأوا كتابيه . .

فقال الوالي : إنما يقال هذا يوم القيامة .

فقال : هذا والله شرٌّ من يوم القيامة ، ففي يوم القيامة يُؤتى بحسناتي وسيئاتي ، أما أنتم فقد جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي .

أعرابي على مائدة الخليفة

جلس أعرابي على مائدة بعض الخلفاء ، وكان من بين ما قُدم جدي مشوي ، فراح الأعرابي يلتهم أجزاء كبيرة من الجدي ، فقال له الخليفة :

إن من يراك على هذه الحالة ، يعتقد أنه لابد أن تكون أم هذا الجدي قد نطحتك!!

فرد الأعرابي :

وإن من يراك يا مولاي في عطفك على هذا الجدي يظن أن أمه قد أرضعتك !

---

(١) «سابور بن أردشير» هو أبو النصر سابور بن أردشير ، وزير بهاء الدولة أبي نصر ابن عضد الدولة بن بويه الديلمي, كان من أكابر الوزراء ,وأماثل الرؤساء وجمعت فيه الكفاية والدراية وكان بابه محط الشعراء ذكره أبو المنصور الثعالبي في كتابه «اليتيمة» وعقد لمداحه بابا مستقلا لم يذكر فيه غيره

عقوبة الثناء بالباطل

وقف شاعر أعرابي معوج الفم أمام أحد الولاة فألقى عليه قصيدة في الثناء عليه التماساً لمكافأة ، ولكن الوالي لم يعطه شيئاً

وسأله : ما بال فمك معوجاً ؟ فرد الشاعر : لعله عقوبة من الله لكثرة الثناء بالباطل على بعض الناس !!

حكمة أعرابي

قال أعرابي :حق من يصحب السلطان أن يدخل إليهم أعمى ويخرج من عندهم أخرس

دون لف ودوران

اعترض شحاذ أعمى (مطيع بن إياس) . وهو يعبر جسراً على الفرات ظناً منه أنه واحد من الجند . وصاح بعد أن أوقفه بعصاه : اللهم سخر الخليفة لكي يعطي الجند أرزاقهم ، فيشتروا من التجار الأمتعة والأغراض ، ويربح التجار مالاً كثيراً ، فتجب عليهم الزكاة ويتصدقوا بها علي .فقال له مطيع : ياهذا . . سل الله أن يرزقك أفضل من هذا اللف والدوران .

أبو دلامة والرؤى الكاذبة

يُحكى أن الشاعر العباسي : أبا دلامة ، كان من الشعراء الساخرين ، وكان يوهم الخلفاء أن أحلامه رؤيا تتحقق فقد دخل يوما على أحد الخلفاء وانشد قائلا :

إني رأيتك في المنام وأنت تعطيني خيارة مملوءة بدراهم وعليك تأويل العبارة

فقال له الخليفة أمض وأحضر لي خيارة أملأها لك دراهم فمضى أبو دلامة وجاء بقرعة كبيرة واقسم للخليفة بالطلاق أن السوق لم تكن فيها سوى القرع فضحك الخليفة وملأ القرعة دراهم

يحتالان بعلي ومعاوية

قال علي بن المحسن ، عن أبيه :

أخبرني جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها في طرف الجسر سائلان أعميان ،

أحدهما يتوسّل بأمير المؤمنين عليّ ، والآخر بمعاوية ، ويتعصّب لهما الناس ، ويجمعان القطع ، فاذا انصرفا فيقتسمان القطع ، وكانا يحتالان بذلك على الناس .

حجة في حاجة

حدثنا عبد الواحد بن محمد الموصلي ، حدثنا بعض فتيان الموصلي قال :

لما قتل ناصر الدولة أبا بكر بن رايق الموصلي نهب الناس داره بالموصل ، فدخلت لأنهب ، فوجدت كيسا فيه أكثر من ألف دينار ، فأخذته وخفت أن أخرج وهو معي كذلك ، فيبصرني بعض الجند ، فيأخذه مني ، فطفت الدار ، فوقعت على المطبخ ، فعمدت الى قدرة كبيرة فيها سكباج[١] ، فطرحت الكيس فيها ، وحملتها على يدي ، فكل من استقبلني نظر أني ضعيف قد حملني الجوع على أخذ تلك القدرة التي سلمت الى منزلي .

ابن طولون

ورأى ابن طولون[٢] يوما حمّالا يحمل صندوقا وهو يضطرب تحته ، فقال : لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنقه وأنا أرى عنقه بارزة ، وما هذا الا من خوف ما يحمل .

فأمر بحطّ الصندوق ، فوجد فيه جارية قد قتلت وقطّعت ، فقال : اصدقني عن حالها .

فقال : أربعة نفر في الدار الفلانيّة أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة .

فضرب الحمّال مئتي ضربة بعصا ، وأمر بقتل الأربعة .

وكان ابن طولون يبكر ويخرج ، فسمع قراءة الأئمة في المحاريب ، فدعا بعض أصحابه يوما وقال : امض الى المسجد الفلاني ، وأعط امامه هذه الدنانير .

---

(١) مرق يتخذ من اللحم والخل

(٢) الأمير أحمد بن طولون أمير مصر ومؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام ولد سنة ٨٣٥ ميلادية والى مصر . كان والده من أتراك القبجاق .

قال : فمضيت فجلست مع الامام وباسطته حتى شكا أن زوجته ضربها الطلق ، ولم يكن معه ما يصلح به شأنها ، وأنه صلى فغلط مرارا في القراءة ،

فعدت الى ابن طولون فأخبرته .

فقال : لقد صدق ، لقد وقفت أمس ، فرأيته يغلط كثيرا فعلمت أن شيئا شغل قلبه .

ونظر بعض العمّال في ديوانه الى رجل يصغي الى سرّه ، فأمر بضربه وحبسه .

فقال كاتب الحبس : كيف أكتب قصّته؟

قال : اكتب استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب .

ابن المعتز[1]

حدثنا أبو علي بن مقلة[2] قال : كنت أكتب لأبي الحسن بن الفرات أخدم بين يديه ، فكنت كذلك معه الى أن تقلّد الوزارة الأولى ، فلمّا وقعت فتنة ابن المعتز أمر بقبض ما في دور المخالفين الذين بايعوا ابن المعتز ، وكانت أمتعتهم تقبض ونحمل اليه فيراها وينفذها الى خزائن المقتدر .

فجاءوه يوما بصندوقين ، فقالوا له : هذان وجدناهما في دار ابن المعتز .

فقال : أفعلمتم ما فيهما؟

قالوا : نعم ، جرائد من بايعه من الناس بأسمائهم وأنسابهم .

فقال : لا تفتح .

ثم قال : يا غلمان هاتوا نارا ، فجاء الفرّاشون بفحم ، وأمرهم فأججوا النار ، وأقبل عليّ وعلى من كان حاضرا ، فقال : والله لو رأيت من هذين الصندوقين ورقة واحدة

---

(١) عبد الله بن المعتز بالله خليفة عباسي وكنيته أبو العباس ، ولد عام ، في بغداد ، وكان أديبا وشاعرا ويسمى خليفة يوم وليلة ، حيث آلت الخلافة العباسية إليه ، ولقب بالمرتضي بالله ، ولم يلبث يوما واحدا حتى هجم عليه غلمان المقتدر وقتلوه في عام ، وأخذ الخلافة من بعده .

(٢) ابن مقلة ، وهو أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الشيرازي (ولد عام ٢٧٢ هـ/٨٨٦م وتوفي بها ٩٣٩ م/٣٢٨ هـ) خطاط إ?ران? ، وكان من أشهر خطاطي العصر العباسي وأول من وضع أسس مكتوبة للخط العربي . يُعتقد بأنه مخترع خط الثلث ، لكن لم يبق أي من أعماله الأصلية .

لظن كل من له فيها اسم أني قد عرفته ، فتفسد نيّات العالم كلهم عليّ وعلى الخليفة ، وما هذا رأي ، حرّقوهما .

قال : فطرحا بأقفالهما الى النار ، فلما احترقا بحضرته أقبل عليّ فقال : يا أبا علي ، قد أمّنت كل من جنى وبايع ابن المعتز ، وأمرني الخليفة بأمانة ، فاكتب للناس الأمان مني ، ولا يلتمس منك أحد أمانا –كائنا من كان– الا كتبته له وجئني به لأوقع فيه ، فقد أفردتك لهذا العمل .

ثم قال : لمن حضر : أشيعوا ما قلته حتى يأنس المستترون بأبي علي ويكاتبوه في طلب الأمان ، فشكرناه . ودعت الجماعة له وشاع الخبر وكتبت الأمانات ، فكتب في ذلك مئة ألف أو نحوها .

قال ابن عرّابة المؤدّب:

حكى لي محمد بن عمر الضبي أنه حفّظ ابن المعتز وهو يؤدبه سورة (والنازعات)

وقال له :

اذا سألك أمير المؤمنين أبوك «في أي شيء أنت؟» فقل له : في السورة التي تلي (عبس) ، ولا تقل أنا في النازعات .

فسأله أبوه : في أي شيء أنت؟

قال : في السورة التي تلي عبس .

فقال : من علّمك هذا؟

قال : مؤدّبي .

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

من أخبار الملوك والأمراء

كتب بعض ملوك فارس على بابه : «تحتاج أبوابِ الملوك إلى عقلٍ ومالٍ وصبرٍ» فكتب بعض الحكماء تحته : «من كان عنده واحدةٌ من هذه الثلاثٍ لم يحتج إلىً أبواب الملوك» فرفع خبره إلى الملك ، فقال : زه وأمر بإجازته ومحو الكتابة من البـاب .

الأمير والحلاق

نزل أمير بقرية ، فاحتاج الى المزيّن يمسح شعره ، فجاء الأمير وحده اليه ، وقال :

أنا حاجب هذا الأمير الذي قد نزل بكم ، فامسح شعري ، فان كنت حاذقا جاء الأمير فمسحت شعره .

وانما فعل ذلك لئلا يعلم أنه الأمير فينزعج ويجرحه .

الوالي وخادمه

وبلغنا عن بعض ولاة مصر أنه كان يلعب بالحمام فتسابق هو وخادم له فسبقه الخادم ، فبعث الأمير الى وزيره ليعلم الحال ، فكره الوزير أن يكتب اليه أنك قد سبقت ، ولم يدر كيف يكني عن ذلك ، فكان ثمّ كاتب فقال : ان رأيت أن تكتب شعرا :

يا أيها الملك الذي جدّه   لكل جد قاهر غالب

طائرك السابق لكنّه   أتى وفي خدمته حاجب

فاستحسن ذلك وأمر له بجائزة .

طرافة الشكوى

شكا أصحاب هاشم الى أسلم بن الأحنف احتباس أرزاقهم ، فدخل على هاشم ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، لو أن مناديا نادى : «يا مفلس» ما بقي أحد من أصحابك الا التفت .

فضحك ، وأمر بصلة أرزاقهم .

اسم على غير مسمى

دخل مخنّث على العريان بن هيثم[1] ، وهو أمير بالكوفة ، فقال :

يا عدو الله ، أتتخنث وأنت شيخ .

فقال : مكذوب عليّ كما كذب على أمير المؤمنين أعزه الله .

فاستوى جالسا وقال : ما قيل فيّ؟

(١) العريان بن الهيثم بن الاسود بن اقيش بن معاويه النخعي الكوفي الاعور .

قال : يسمّونك العريان ، وأنت صاحب عشرين جبّة .
فضحك وخلّى سبيله .

كلب الملك

مر بعض الكتاب بمقبرة فإذا قبر عليه قبة مكتوب عليها هذا قبر الكلب فمن أحب أن يعلم خبره فليمض إلى قرية كذا وكذا فإن فيها من يخبره فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها فقيل له ما يعلم ذلك إلا شيخ هنا قد جاوز المائة ، فسأله

فقال : كان هنا ملك عظيم الشأن وكان يحب التنزه والصيد وكان له كلب قد رباه لا يفارقه فخرج يوما إلى بعض متنزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثريدة بلبن فجاءوا باللبن إلى الطباخ ونسي أن يغطيه بشيء واشتغل بالطبخ فخرجت من بعض الشقوق أفعى فكرعت في ذلك اللبن ومجته في الثريدة والكلب رابض يرى ذلك ولم يجد له حيلة يصل بها إلى الأفعى وكان هناك جارية زمنة خرساء قد رأت ما صنعت الأفعى ، ووافى الملك من الصيد في آخر النهار

فقال : يا غلمان ادركوني بالثريدة فلما وضعت بين يديه أومأت الخرساء فلم يفهم ما تقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفت إليه ولَجّ في الصياح فلم يعلم مراده فقال للغلمان نحوه عني ومد يده إلى اللبن بعد ما رمى إلى الكلب ما كان يرمي إليه فلم يلتفت الكلب إلى شيء من ذلك ولم يلتفت إلى يغر الملك فلما رآه يريد أن يضع اللقمة من اللبن في فمه وثب إلى وسط المائدة وأدخل فمه وكرع في اللبن فسقط ميتها وتناثر لحمه وبقي الملك متعجبا من الكلب وفعله ، فأومأت الخرساء إليهم فعرفوا مرادها وما صنع الكلب

فقال الملك لحاشيته : هذا الكلب فداني بنفسه وقد وجب أن أكافئه وما يحمله ويدفنه غيري فدفنه وبنى عليه القبة التي رأيتها .

ملك اليونان

حكى أبو سليمان أنّ ثيودسيوس ملك يونان كتب إلى إيبقس الشاعر أن يزوّده بما عنده من كتب فلسفيّة ، فجمع ماله في عيبة ضخمة ، وارتحل قاصدا نحوه ، فلقى في تلك البادية قوما من قطّاع الطريق ، فطعموا في ماله وهمّوا بقتله ، فناشدهم الله ألاّ يقتلوه وأن يأخذوا ماله ويخلّوه ، فأبوا ، فتحيّر ونظر يمينا وشمالا يلتمس معينا

وناصرا فلم يجد ، فرفع رأسه إلى السماء ، ومدّ طرفه في الهواء ، فرأى كراكيّ تطير في الجوّ محلّقة ، فصاح : أيتها الكراكيّ الطائرة ، قد أعجزني المعين والناصر ، فكوني الطالبة بدمي ، والآخذة بثأري . فضحك اللّصوص ، وقال بعضهم لبعض : هذا أنقص الناس عقلا ، ومن لا عقل له لا جناح في قتله ، ثمّ قتلوه وأخذوا ماله واقتسموه وعادوا إلى أماكنهم ، فلمّا اتّصل الحديث بأهل مدينته حزنوا وأعظموا ذلك ، وتبعوا أثر قاتله واجتهدوا فلم يغنوا شيئا ولم يقفوا على شيء ، وحضر اليونانيون وأهل مدينته إلى هيكلهم لقراءة التسابيح والمذاكرة بالحكمة والعظة ، وحضر الناس من كلّ قطر وأوب ، وجاء القتلة واختلطوا بالجمع ، وجلسوا عند بعض أساطين الهيكل ، فهم على ذلك إذ مرّت بهم كراكيّ تتناغى وتصيح ، فرفع اللصوص أعينهم ووجوههم إلى الهواء ينظرون ما فيه فإذا كراكيّ تصيح وتطير ، وتسدّ الجوّ ، فتضاحكوا ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء طالبو دم إيبقس الجاهل- على طريق الاستهزاء- فسمع كلامهم بعض من كان قريبا منهم فأخبر السلطان فأخذهم وشدّد عليهم ، وطالبهم فأقرّوا بقتله ، فقتلهم ، فكانت الكراكيّ المطالبة بدمه ، لو كانوا يعقلون أنّ الطالب لهم بالمرصاد .

ملك فارس والبوم الواعظ له

حكاية أجنبية عن المقام . يحكى أن بهراماً لما ولي الملك بعد أبيه ، أقبل على اللهو واللذات والتنزه والصيد ، لا يفكر في ملكه ولا في رعيته حتى خرجت البلاد عن يده وخربت في أيامه وقلت العمارة وخلت بيوت الأموال . فلما كان في بعض الأيام ركب إلى بعض منازهه وصيده ، وهو يسير نحو المدائن ، وكانت ليلة مقمرة ، فدعا بالموبذان ، وهو عند المجوس كحاخام عند اليهود والقسيس عند النصارى ، لأمر خطر بباله فجعل يحادثه فتوسطا في سيرهما بين خرابات كانت من أمهات الضياع قد خربت في مدة ملكه لا أنيس فيها إلا البوم ، وإذا ببوم يصيح وصاحبته تجاوبه من تلك الخرابات ، فقال بهرام : أترى أن أحداً من الناس أعطي فهم لغة هذا الطائر المصوت في الليل البهيم؟ فقال الموبذان : أيها الملك ، أنا ممن خصه الله بذلك .

قال : فما يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر؟ فقال الموبذان : هذا بوم ذكر يخطب بومة ويقول لها : متعيني بنفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا . فأجابت : أن الذي تدعونني

إليه لي فيه الحظ الأكبر والنصيب الأوفر في العاجل والآجل إلا أني أشترط عليك خصالاً إن أعطيتها أجبتك إلى ذلك .

فقال لها الذكر : وما تطلبينه مني؟ قالت : أن تعطيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما خربت في أيام هذا الملك السعيد .

فقال له الملك فما الذي قال لها الذكر؟ قال الموبذان : كان من قوله لها إن دامت أيام هذا الملك السعيد قطعك منها ألف قرية خراب ، فما تصنعين بها؟ قالت : في اجتماعنا يحصل ظهور النسل وكثرة الذكر ، فنقطع لكل ولد من أولادنا ضيعة من هذه الخرابات .

فقال لها الذكر : هذا أسهل أمر سألتنيه ، وأنا مليء بذلك ما حيى هذا الملك .

فلما سمع الكلام من الموبذان تأثر في نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته ونزل بنزوله الناس وخلا بالموبذان ، فقال : أيها القائم بأمر الدين الناصح للملك والمنبه له عما أغفله من أمور ملكه وإضاعة بلاده ورعيته ، ما هذا الكلام الذي خاطبتني به فقد حركت مني ما كان ساكناً .

فقال الموبذان : صادفت من الملك السعيد وقت سعد العباد والبلاد فجعلت الكلام مثلاً وموعظة على لسان الطائر عند سؤال الملك إياي عما سأل .

فقال له الملك : أيها الناصح ، اكشف لي عن هذا الغرض ، ما المراد منه؟ فقال : أيها الملك ، إن الأمر لا يتم إلا بالشريعة والقيام لله بطاعته ولا قوام للشريعة إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل للمال إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل ، وهو الميزان المنصوب بين الخليقة ، نصبه الرب ، جل وعلا وجعل له قيماً وهو الملك .

فقال الملك : أما ما وصفت فحق فأين لي عما إليه تقصد وأوضح لي في البيان .

قال : نعم أيها الملك ، إنك عمدت إلى الضياع فأقطعتها الخدم وأهل البطالة فعمدوا إلى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع ، وسومحوا في الخراج لقربهم من الملك ، ووقع الحيف على الرعية وعمار الضياع ، فانجلوا عن ضياعهم ، وقلت الأموال وهلكت الجنود والرعية وطمع في ملك فارس من أطاف بها من الملوك والأمم لعلمهم بانقطاع المواد التي بسببها تستقيم دعائم الملك .

فلما سمع الملك ذلك أقام في موضعه ثلاثة أيام وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب

الدواوين فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية وردت إلى أربابها وحملوا على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك وأخصبت وكثرت الأموال عند الجباة وقويت الجنود وانقطعت مواد الأعداء وأقبل الملك يباشر الأمور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى كانت أيامه بعده تدعى بالأعياد بما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل .

كذبة الملك

أعلن أحد الملوك في أرجاء مملكته ما يلي : «إذا تمكن أحد من أن يختلق كذبة تجعلني أقول له :- هذا كذب . . سأعطيه نصف مملكتي»

فجاء إليه راع وقال له : أطال الله عمر ملكنا كان عند أبي عصا طويلة يمدها إلى السماء ويحرك بها النجوم .

فقال الملك : يا له من شيء غريب ، لكنه يحدث ، وجدّي كان له غليون يشعله من الشمس مباشرة ، وذهب الراعي دون أن ينال شيئا

وجاء خياط إلى الملك وقال له : اعذرني أيها الملك لقد تأخرت إذ كنت مشغولا فقد هبت البارحة عاصفة شقق فيها البرق السماء فذهبت لأصلحها .

فأجاب الملك : أحسنت عملا لكنك لم تخطها بشكل جيد فاليوم صباحا تساقط رذاذ من المطر ، وذهب الخياط أيضاً دون أن ينال شيئاً .

فجاء رجل آخر يتأبط برميلاً . . فقال له الملك : ما شأنك انت والبرميل؟

فأجاب : جئت أسترد برميل الذهب الذي أقرضتك إياه

فصاح الملك : أأنا مدين لك ببرميل من الذهب!!!

فأجاب الرجل : نعم

فقال الملك : لا . . هذا كذب

فقال الرجل : إن كان هذا كذبا . . فأعطني نصف مملكتك

فأجاب الملك على الفور : لا لا . . هذا صحيح . .

فقال الرجل : إن كان هذا صحيحا فأعطني برميل الذهب !

رؤيا ملك اليمن

رأى ملك اليمن ربيعة بن نضر[1] رؤيا هالته ، وفظع بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها ، فأخبروني بها وبتأويلها . فقالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها . قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها . فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا ، فليبعث إلى سطيح وشق ، فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه .

من هما شق وسطيح

الأول : هو شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر بن عبقر بن أنمار بن نزار .

وقيل أنه سمي شقا لأنه كان كشق إنسان له عين واحده ويد واحده ورجل واحده .

أما الثاني : سطيح بن ربيع بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسّان .

وكان سطيح هذا كالبضعة الملقاة على الأرض فكأنه سطح عليها .

فبعث إليهما ، فقدم عليه سطيح قبل شق ، فقال له : إني رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها ، فأخبرني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها . فقال سطيح : أفعل ، رأيت حمحمه (أي فحمة فيها نار) خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة (الأرض المتصوبة نحو البحر) فأكلت منها كل ذات جمجمة .

فقال الملك : ما أخطأت منها شيئا يا سطيح ، فما عندك في تأويلها ؟

فقال : أحلف بما بين الحرتين من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش ، فلتملكن ما بين أبين وجرش (وهي من مدن اليمن) .

فقال الملك : وأبيك يا سطيح ، إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ؟ أفي زماني أم بعده ؟

---

(١) أحد ملوك مملكة حمير التبابعة .

قال : لا بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين .

قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟

قال : لا بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون ويخرجون هاربين .

قال الملك : ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟

قال : يليه إرم بن ذي يزن (ويقصد بذلك سيف بن ذي يزن) يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك أم ينقطع ؟

قال : لا بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه ؟

قال : نبي زكي يأتيه الوحي من قِبَلِ العلي .

قال : ومن هذا النبي ؟

قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر .

قال الملك : وهل للدهر من آخر ؟

قال : نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون .

قال : أحق ما تخبرني ؟

قال : نعم والشفق والغسق والفلق إذا اتسق إن ما أنبأتك به لحق .

ثم قدم عليه شق ، فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان .

فقال شق : نعم ، رأيت حمحمه ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة .

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئا فما عندك في تأويلها ؟

قال : أحلف بما في الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طفلة البنان ، وليملكن ما بين أبين ونجران .

فقال له الملك : وأبيك يا شق ، إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن ؟ أفي زماني أم بعده ؟

قال : لا بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ويذيقهم أشد الهوان .

قال : وما هذا العظيم الشأن ؟

قال : غلام ليس بدني ولا مدن ، يخرج عليهم من بيت ذي يزن ، فلا يترك منهم أحدا باليمن .

قال الملك : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟

قال : بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل .

قال : وما يوم الفصل ؟

قال : يوم تجزيء فيه الولاة ، ويدعى فيه من في السماء بدعوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات .

قال : أحق ما تقول ؟

قال : أي ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض (وهي الشك بلغة حمير) .

فوقع في نفس الملك ربيعة بن نضر ما قالا ، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له «سابور بن خرزاذ» فأسكنهم الحيرة .

ابن مقلة واليهودي

كان ابن مقلة وزيرًا لبعض الخلفاء فزوَّر عنه يهودي كتابًا إلى بلاد الكفار وضمَّنه أمورًا من أسرار الدولة ثم تحيَّل اليهودي إلى أنْ وصل الكتاب إلى الخليفة فوقفَ عليه وكان عندَ ابن مقلة جارية هويت هذا اليهودي فأعطتهُ درجًا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطَّهُ ذلك الخط الذي كان في الدرج ، فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكانَ ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى إلى داره وفي موكبه كل من في الدولة ، فلما قُطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحدٌ إليه ولا توجَّع له ثم اتضحت القضية في أثناء النهار للخليفة أنها من جهة اليهودي والجارية فقتلهما شر قتلة ، ثم أرسل إلى ابن مقلة أموالاً كثيرة وخلعًا سنية وندم من فعله واعتذر إليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول :

تحالَــف النَّــاسُ والزَّمــانُ   فحيــثُ كانَ الزَّمانُ كانــوا

عاداني الدَّهرُ نصفَ يومٍ فانكشفَ النَّاسُ لي وبانوا
يا أيُّها المُعرِضونَ عنّي عُودوا فقدْ عادَ ليَ الزَّمانُ

أحمد بن الخصيب ووكيله

كان لأحمد بن الخصيب[1] وكيلٌ في ضياعه ، فرفعت عليه جنايةٌ ، فهرب ، فكتب إليه أحمد يؤنسه ويحلف له على بطلان ما اتصل به ، ويأمره بالرّجوع ، فكتب إليه :

(أنّا لك عبدٌ سامعٌ ومطيعٌ وإنّي بما تهوى إليك سريع)
(ولكن لي كفّاً أعيش بفضلها فما أشتري إلا بها وأبيع)
(أأجعلها تحت الرّحى ثمّ أبتغي خلاصاً لها إنّي إذن لرقيع)

الجواب الحاضر

منع عمرو بن العاص أصحابه ما كان يصل إليهم ؛ فقام إليه رجلٌ ، فقال له : اتّخذ جنداً من الحجارة لا تأكل ولا تشرب ؛ فقال له عمرو : اخسأ أيّها الكلب . فقال له الرجل : أنا من جندك ، فإن كنت كلباً فأنت أمير الكلاب وقائدها .

قال رجلٌ لغلامه : يا فاجر ، فقال : مولى القوم منهم .

قال جعفر بن يحيى لبعض جلسائه : أشتهي والله أن أرى إنساناً تليق به النعّمة ؛ فقال : أنا أريك ؛ قال : هات ؛ فأخذ المرآة وقرّبها من وجهه .

قيل لجمّير : من يحضر مائدة فلانٍ؟ فقال : أكرم الخلق وألأمهم ، يعني : الملائكة والذباب .

---

(١) أحمد بن الخصيب ابن عبد الحميد ، الجرجرائي ، الوزير الكبير ، أبو العباس ابن أمير مصر . استوزره المنتصر ، ثم المستعين . وارتفع شأنه ، ثم نكب ، ونفاه المستعين إلى الغرب في سنة ٢٤٨ .

رأى منصورٌ الفقيه ابنه يلعب ويعدو ، فقال له : لو علمت أنّ رجلك من قلب أبيك لرفقت بها .

قال الصّاحب بن عباد : جئت من دار السلطان ضجراً من أمر عرض لي ؛ فقال لي رجلٌ : من أين أقبلت؟ فقلت : من لعنةِ الله ؛ فقال : ردّ الله عليك غربتك .

قام رجلٌ على رأس ملكٍ ، فقال : لم قمت؟ قال : لأقعد ؛ فولاه .

كان أبو الفضل بن حنزابة ربما رفع أنفه تيهاً ؛ فقال له بعضهم وقد رآه فعل ذلك : أشم الوزير أيده الله رائحة كريهةً فشمر أنفه ؟ فخجل فأطرق .

ابن عياش والزبيري

قال عبد الرّحمن بن صالح : دخل أبو بكر ابن عيّاش على موسى بن عيسى وهو على الكوفة ، وعنده عبد الله بن مصعب الزّبيري ، فأدناه موسى ، ودعا له بتكاء ، فاتّكأ وبسط رجليه ، فقال لزّبيري : من هذا الذي دخل ولم يستأذن له ، ثم اتّكأته وبسطته؟ قال : هذا فقيه الفقهاء والمرأس عند أهل المصر ، أبو بكر ابن عيّاش ؛ قال الزّبيري : فلا كثير ولا طيب ، ولا مستحق لما فعلت به }فقال أبو بكر للأمير : من هذا الذي يسأل عني بجهل ، ثم تتابع بسوء قول وفعل؟ فنسبه له ، فقال له : اسكت مسكتاً {فبأبيك غدر ببيعتنا ، وبقول الزور خرجت أمّنا ، وبابنه هدمت كعبتنا ، وبك أحرى ان يخرج الدّجّال فينا ؛ فضحك موسى حتى فحص برجليه ، وقال للزّبيري : أنا والله أعلم أنّه يحفظ أهلك وأباك ويتولاه ، ولكنّك مشؤوم على آبائك .

أبو دلامة وأم سلمة

قال أبو سعيد عبد الله بن شبيبٍ : حدّثني الزبير[1] ، قال : كانت أمّ سلمة بنت

---

(١) الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، ابن عمة النبي محمد ، وأبو عبد الله بن الزبير . ولد سنة ٢٨ قبل الهجرة ، وأسلم وعمره اثنتين عشرة سنة ، كان ممن هاجر إلى الحبشة ، وهاجر إلى المدينة ، تزوج أسماء بنت أبي بكر وعمته هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد .

يعقوب بن سلمة بعد موت أمير المؤمنين أبي العباس لا تضحك ، فأنشدها أبو دلامة مرثيةً رثاه بها ، فقالت : ما وجدت أحداً حزن على أمير المؤمنين حزني وحزنك{ فقال : لا سواء رحمك الله ، لك منه ولدٌ وليس لي منه ولدٌ! فضحكت وقالت : لو أحدث الشيطان لأضحكته .

القواد وأمير مكة

قال بكّار بن رباح : كان بمكة رجلٌ يجمع بين النساء والرجال ، ويعمل لهم الشراب ، فشكي إلى أمير مكة ، فنفاه إلى عرفات ، فبنى بها منزلاً ، وأرسل إلى حرفائه : ما يمنعكم أن تعاودوا ما كنتم فيه؟ قالوا : وكيفً وأنت بعرفات؟ فقال : حمار بدرهمين ، وقد صرتم إلى الأمن والنّزهة ؛ فكانوا يركبون إليه ، حتى أفسد أحوال أهل مكة ، فعادوا يشكونه إلى الوالي ، فأرسل إليه ، فأتي به ، فقال : يا عدو الله {طردتك من حرم الله فصرت بفسادك إلى المشعر الأعظم }فقال : يكذبون عليّ ؛ فقالوا : دليلنا أن نأمر بحمير مكةّ ، فتجمع ، ويرسل بها مع أمنائك إلى عرفات ، فإن لم تقصد منزله من بين المنازل فنحن مبطلون ؛ فقال الوالي : إن هذا لشاهد ودليل ؛ فجمع الحمر ، ثم أرسلها ، فصارت إلى منزله ، فقال الأمير : ما بعد هذا شيءٌ ؛ فجرّدوه ، فلما نظر إلى السياط ، قال : لا بدّ لك من ضربي؟ قال : نعم ، قال : والله ما عليّ في ذلك أشد من أن يضحك منا أهل العراق ، ويقولون : أهل مكة يجيزون شهادة الحمير {فضحك الوالي .

أعرابي في حضرة الملك

دَخل أعرابي على بعض المُلوك فقال :
إنَّ جهلاً أن يقول المادحُ بخلاف ما يَعْرِف من المَمْدُوح ،
وإنّي واللّه ما رأيتُ أعشق للمكارم في زَمانِ اللؤم منك ،
ثم أنشد :

مالـــي أرى أبْوَابهـــم مَهجُـــــورةً ... وكـــأنّ بابَـــك مَجْمَـــع الأسْـوَاقِ
حابَـــوك أم هابُوك أم شامُوا النَّـدَى ... بيدَيْـــك فاجتمعـــوا من الآفـــاقَ
إنّـــي رأيتُـــك للمكـــارم عاشقـــاً ... والمَكْرُمـــات قليلـــةَ العُشّـــاق

ابن عامر وابن حازم:

وقال عبد الله بن عامر بن كريز لعبد الله بن حازم يا بن عجلى . قال : ذاك اسمها . قال : يا بن السوداء . قال : ذاك لونها . قال : يا بن الأمة . قال : كل أنثى أمة فاقصد بذرعك لا يرجع سهمك عليك ؛ إن الإماء قد ولدنك .

ابن أبي بردة والممرور

بعث بلال بن أبي بردة إلى ابن أبي علقمة الممرور ، فلما أتى قال : أتدري لم بعثت إليك؟ قال لا أدري . قال : بعثت إليك لأضحك بك! قيل : لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه - يعرّض له بجده أبي موسى- فغضب بلال وأمر به إلى الحبس ، فكلّمه الناس وقالوا : إن المجنون لا يعاقب ولا يحاسب . فأمر بإطلاقه وأن يؤتى به إليه ، فأتي به في يوم سبت وفي كمه طرائف أتحف بها في الحبس ؛ فقال له بلال : ما هذا الذي في كمك؟ قال : من طرائف الحبس . قال : ناولني منها . قال : هو يوم سبت ، ليس يعطى فيه ولا يؤخذ! يعرّض بعمة كانت له من اليهود .

كذب المنجمون ولو صدقوا !

أبو شجاع بويه كان رجلا متوسط الحال وماتت زوجته وخلفت له ثلاثة بنين ، فلما ماتت اشتد حزنه عليها ، فحكى شهربان بن رستم الديلمي قال : كنت صديقاً لأبي شجاع بويه فدخلت إليه يوماً فعذلته على كثرة حزنه فقلت له : أنت رجل تحتمل الحزن وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن ، وربما مات أحدهم فيتجدد لك من الأحزان ما ينسيك المرأة ، وسليته بجهدي وأدخلته وأولاده إلى منزلي ليأكلوا طعاماً وشغلته عن حزنه ؛ فبينما هم كذلك إذ اجتاز بنا رجل منجم ليأكلوا طعاماً وشغلته عن حزنه ؛ فبينما هم كذلك إذ اجتاز بنا رجل منجم ومعزم ومعبر للمنامات ويكتب الرقي والطلسمات وغير ذلك ، فأحضره أبو شجاع وقال له : رأيت في منامي كأنني أبو فخرج من ذكري نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ، ثم انفرجت فصارت ثلاثة شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب ، فأضاءت الدنيا بتلك النيران ، ورأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران ، فقال المنجم : هذا المنام

عظيم لا أفسره إلا بخلعة وفرس ومركب ، فقال له أبو شجاع : والله ما أملك إلا الثياب التي على جسدي فإن أخذتها بقيت عرياناً ، فقال المنجم : فعشرة دنانير ، قال : والله ما أملك دينارين فكيف عشرة فأعطاه شيئاً ، فقال المنجم : أعلم أنك يولد لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها ويعلو ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب ؛ فقال أبو شجاع : أما تستحي تسخر منا أنا رجل فقير وأولادي فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكاً ثم قال المنجم : أخبرني توقيت ميلادهم ، فأخبره ، فجعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن علي فقبلها وقال : هذا والله الذي يملك البلاد ، ثم هذا بعده ، وقبض على يد أخيه أبي علي الحسن ، فاغتاظ منه أبو شجاع وقال لأولاده : اصفعوا هذا الحكيم فقد أفرط في السخرية بنا ، فصفعوه وهو يستغيث ونحن نضحك منه ، ثم قال لهم : اذكروا لي هذا إذا قصدتكم وأنتم ملوك ، فضحكنا منه ، وكان من أمرهم ما قد ذكر .

مجاورة

كان لأشمول الإخشيدي دار مشرفة على النيل يتنزه إليها في زمان المد وطيب الهواء ، وكان يجاوره العباس بن البصري في راقوبة له ، فاحتسبت في تلك الدور ، وقيل لكافور : إنها مبنية في فناء النيل فأمر بهدمها ، فدخل ابن البصري على كافور فأنشده :

يأيها الأستاذ يا ذا الّذي	همّته أعلى من الكوكب
انظر إليّ وإلى فاقتي	وارث لضعفي ولما حلّ بي
فإنّ لي بالشطّ راقوبةً	أضيق من قارورة المحلب
صغيرةً ضيقةً عرضها	عرض سرير جاء في مركب
كأنها رجلٌ سماريّةٌ	أخرجها . . . أو زيزب
لو رأيت الزنج في شطّنا	وقد أحاطوا بأبي تغلب
عمّة ذا حمراء مصقولةٌ	وفاس ذا معتدل المحرب
في يد ذا حلب هائلٌ	يا ربّ سلّمني من المحلب
إن أخذتني ضربةٌ منهم	رأيتني أرقص كالأحدب

قــد أحــدق الصّفــع بجيراننـــــا   بالشـــطّ بالأقـــرب فالأقـرب
وإن تماديــــــــت وخلّيتنـــــــي   خشيــت أن أدخـل في اللولـب

فضحك كافور ، والتفت إلى أشمول : وقال : أنت بجواره ؟ قال : أنا ما لي دار أعز الله الأستاذ قد سلمت .

مثلي ومثل أبيك !

تقدم الوزير علي بن عيسى إلى ابن أبي عبد الله بن الجصاص[١] في البكور ، فأتاه نصف النهار . فقال : ما أخرك يا أبا عبد الله ؟ قال بمحلتي أعز الله الأمير كلاب تنبح الليل أجمع ، فأسهرتني البارحة ، فلما كان مع وجه السحر سكن نباحها ، فنمت فغلبتني عيني إلى الآن ، فقال له : وما لك يا أبا عبد الله لا تتقدم في قتلها ؟ قال : ومن يستطيعها أيها الوزير ؟ وكل واحد منها مثلي ومثل أبيك رحمه الله .

لؤم ابن الزيات

وكان محمد بن عبد الملك على علمه وأدبه ألأم الناس ، فمن عجيب لؤمه أنه كان له جار في انخفاض حاله ، وكان بينهما ما يكون بين الجيران من التباعد ؛ فلما بلغ محمد ما بلغ شخص الرجل إلى سر من رأى ، فورد بابه وهو يتغدى ، فوصل إليه وهو على طعامه ، فتركه قائماً لا يرفع طرفه إليه ، فلما فرغ من أكله قال : ما خبرك ؟ قال : قد أصارك الله أيها الوزير إلى أجل الآمال فيك ، وصرف أعناق الناس إليك ، وقد علمت ما كنت تنقمه علي ، وقد غير الدهر حالي ؛ فوردت إليك مستقيلاً عثراتي ، مستعطفاً على خلاتي .

فقال له : قد علمت هذا ، فانصرف وعد إلي في غد . فولى الرجل ؛ فلما صار في صحن الدار دعا به ، فلما صار بين قال له : والله ما لك عندي شيء ، ثم أقبل على بعض من كان بين يديه ، فقال : إنما رددته وآيسته بخلاً عليه بفسحة الأمل بقية يومه .

وهذا كقول بعضهم :

---

(١) بن الجصاص الصدر الرئيس ، ذو الأموال ، أبو عبد الله ، الحسين بن عبد الله بن الجصاص ، البغدادي الجوهري التاجر الصفار . قال ابن طولون : لا يباع لنا شيء إلا على يد ابن الجصاص .

إن قلـت إنّـك كالسحاب لكان ذا وصفـاً لمثلـك زائـداً في الحال
إنّ السحـاب لـذو مواعـد جمّـة وبخلـت بالموعـود والأفعـال

وكان محمد بن عبد الملك واحداً في صناعته ، مفرداً في براعته .

متجسس متماوت

وكان أحمد بن طولون قد نابذ الموفق وباينه بالعداوة وخلعه ، وكان قد ضبط مصر من الجواسيس وكان متيقظاً فهماً ، فأشرف من قصره يوماً ، فإذا بجنازة قد مرت عليه . فقال : علي بالنعش ومن فيه . فأحضروه ، فقال : قم يا متماوت ، ثم دعا بالسياف وقال : اضربه ، فقام الميت من نعشه ، فقال له : أنت متجسس من ناحية أحمد ؟ قال نعم ! قال : لو لم أتقدم إليك لقتلتك وقتلت من معك ، وأمر من أخرجهم عن عمل مصر . فقيل له : من أين علمت ذلك ؟ فقال : رأيت القوم ليس عليهم كآبة من مات له ميت ، ورأيتهم يطوفون بالقصر ، ونظرت إليه في النعش فرأيت رجليه قائمتين ورجل الميت تسترخي ؛ فحكمت أنه حي ، فلما حضر رأيته يسارق النفس فصحت القضية .

تغير الحال

قال أبو علي الصوفي : كنت مع المهلبي في بعض أوقاته ، أماشيه في بعض طرقاته ؛ فضجر لضيق الحال ، فقال :

ألا مـوتٌ يبـاع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن روح حـرّ تصدّق بالوفاة على أخيـه

قال : فاشتريت له رطل لحم وطبخته له . ثم تصرف بنا الدهر وبلغ المهلبي مبلغه ؛ قال أبو علي : فاجتزت البصرة واجتزت بأسلمان ، فإذا أنا بناشطيات وحراقات وزيارب وطيارات في عدة وعدة . فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : للوزير أبي محمد المهلبي ، فنعتوا لي صاحبي ، فتوصلت إليه حتى رأيته ، فكتبت رقعة واحتلت حتى دخلت ، فسلمت وجلست ، حتى إذا خلا المجلس رفعت إليه الرقعة ، وفيها :

ألا قـل للوزير بلا احتشام مقـال مذكّر ما قد نسيـه
أتذكر أن تقول لضيق عيش ألا موتٌ يبـاع فأشتريـه

فنظر إلي ، وقال : نعم ! ونهض وأنهضني معه في مجلس أنسه ، وجعل يذكر

لي كيف توافت حاله ؛ وقدم الطعام فأطعمنا ، وأقبل ثلاثة من الغلمان على رأس أحدهم ثلاث بدر ، ومع آخر تخوت وثياب رفيعة ، ومع آخر طيب وبخور ؛ وأقبلت بغلة رائعة بسرج ثقيل ؛ فقال لي : يا أبا علي ؛ تفضل بقبول هذه ، ولا تتأخر عن حاجة تعرض لك ، فشكرته وانصرفت ؛ فلما هممت بالخروج من الباب استردني وأنشدني بديهاً :

رقّ الزمان لفاقتي ... ورثى لطول تحرّقي
فأنالني ما أرتجي ... وأجار ممّا أتّقي
فلأغفرنّ له القدي ... م من الذنوب السّبّق
إلاّ جنايته لما ... فعل المشيب بمفرقي

الخبيص

ذكروا أن بعض الملوك أتته سلل خبيص فظنها فاكهة ، فبعث إلى مساكين المسجد فحضروا ، ثم فتح السلل فوجد فيها خبيصاً ، فندم وبقي متحيراً ، ثم أمر بهم إلى السجن . فقالوا : ما ذنبنا ؟ فقال : بلغني أنكم تنامون في المسجد ثم تقام الصلاة فتصلون على غير وضوء . فقالوا : خل سبيلنا ، فوالله لا أكلنا خبيصاً أبداً ، فضحك وعلم أنهم علموا بأمره ، فأمر لهم بدراهم وخلى سبيلهم .

المجنون الفصيح

عن علي بن يوسف ، قال : لما قدم أبو دلف[1] بغداد ، أتيناه للسلام عليه ، فبينا أنا عنده إذ أتاه الحاجب ، فقال : جعيفران الموسوس بالباب ، فقال أبو دلف : ما لنا وللمجانين؟ فقلت له : أصلحك الله ، إنه شاعرٌ ظريفٌ ، فأْذن له ، فأذن له ، فوقف بين يدي أبي دلف ، فقال :

يا أكرم الأمة موجوداً ... ويا أعز الخلق مفقوداً
لما سألت الناس عن سيدٍ ... يصبح في الأمة محموداً

(١) أبو دُلف العجلي واسمه القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلي قائد عباسي في زمن المأمون والمعتصم وأيضا هو شاعر وأديب . وكان أمير الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد الأمراء الأجواد .

قالـــوا جميعـــــاً : إنـــــه قاســـمٌ   أشبـــــه آبـــــاءً لـــه صيـــدا
لو عبـــــدوا شيئـــــاً ســـوى ربهـــم   أصبحـــــت فـــي الأمـــة معبودا

فقال أبو دلف : يا غلام ، أدفع إليه عشرة آلاف درهم ، فقال جعيفران : وما أصنع بعشرة آلاف درهم؟ مر الغلام يقبضها إليه ، ومره يدفع إلّي كلما جئته عشرة دراهم حتى تفنى ، فقال أبو دلف : يا غلام ، ادفع إليه العشرة آلاف درهم ، وكلما جاء ادفع إليه عشرة دراهم ، حتى يفرق الموت بيني وبينه .

فأكب جعيفران إلى الأرض ، ثم رفع رأسه فقال :

يمـــوت هـــذا الـــذي أراه   وكـــل شـــيء لـــه نفـــاد
لـــو أن خلقـــاً لـــه خلـودٌ   عمـــر ذا الفاضـــل الجـواد

عبد الله بن معاوية وخاله

كان عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب صديقاً للوليد يأتيه ويؤانسه ، فجلسا يوماً يلعبان بالشطرنج إذ أتاه الآذن فقال : أصلح الله الأمير رجل من أخوالك من أشراف ثقيف قدم غازياً فأحب السلام عليك

فقال : دعه

فقال عبد الله : وما عليك ائذن له فنظل نحن على لعبنا

فادع بمنديل يوضع عليها ونسلم على الرجل ونعود ففعل ، ثم قال : ائذن له

فإذا هو رجل له هيبة وبين عينيه أثر السجود

وهو معتم قد رجل لحيته فسلم ثم قال : أصلح الله الأمير قدمت غازياً فكرهت أن أجوزك حتى أقضى حقك

فقال : حياك الله وبارك عليك ثم سكت عنه

فلما أنس أقبل عليه الوليد فقال :

يا خال هل جمعت القرآن

قال : لا كانت شغلتنا عنه شواغل

قال : أحفظت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه وأحاديثه شيئاً

قال : لا كانت شغلتنا عن ذلك شواغل

قال : فأحاديث العرب وأشعارها

قال : لا

قال : فأحاديث أهل الحجاز ومضحيكها
قال : لا
قال : فأحاديث العجم وآدابها
قال : ذاك شيء ما طلبته
فرفع الوليد المنديل وقال : شاهك
فقال عبد الله بن معاوية : سبحان الله
قال : لا والله ما معنا في البيت أحد
فلما رأى ذلك الرجل خرج وأقبلوا على لعبهم

المهلب بن أبي صفرة

خرج المهلب بن أبي صفره يوما مع ابنه فمرا على عجوز فذبحت لهما عنزا
فقال المهلب لابنه كم معك من النفقة ؟
فقال الابن : مائة دينار
فقال الملهب :ادفعها لها .
فلما ذهبا قال الابن لأبيه : إنها كانت ترضى باليسير
فقال المهلب ان كانت يرضيها اليسير فانا لا يرضيني إلا الكثير وإن كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي .

الحجاج بن أرطأة

كان الحجاج بن أرطأة واليا لبنى العباس على البصرة وكان شديد الاعتزاز بنفسه روى أنه في احد الايام دخل على مسجد البصرة
واقترب من أحد العلماء وجلس مع الطلبة يستمع لحديث الشيخ فقيل له لم لا ترتفع إلى الصدر يا ابن ارطاه مكانك يجب ان يكون
قرب العلماء وعلية القوم فقال الحجاج : أنا صدر حيث جلست .

من الأجوبة المسكتة

أخذ يعقوب بن الليثيّ في أوّل أمره رجلا فاستصفاه ، ثم رآه بعد زمان ، فقال له : أبا فلان ، كيف أنت الساعة؟ قال له : كما كنت أنت قديما . قال : وكيف كنت

أنا؟ فقال : كما أنا الساعة ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

نظر ثابت بن عبد الله بن الزّبير إلى أهل الشام فشتمهم ، فقال له سعيد بن عثمان بن عفّان : أتشتمهم لأنّهم قتلوا أباك؟ فقال : صدقت ، ولكنّ المهاجرين والأنصار قتلوا أباك .

وقال عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد لمعاوية : أما والله لو كنت بمكة لعلمت ، فقال معاوية : كنت أكون ابن أبي سفيان ينشقّ عني الأبطح ، وكنت أنت ابن خالد منزلك أجياد ، أعلاه مدرة ، وأسفله عذرة .

موعظة

قال خطيب من الخطباء ، حين قام على سرير الاسكندر وهو ميت :
«الاسكندر كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس» .

النقص في جانب يتممه الكمال في جانب آخر

عبد الله بن فائد قال : قالت امرأة الحضين بن المنذر للحضين : كيف سدت قومك وأنت بخيل وأنت دميم؟ قال : لأني سديد الرأي ، شديد الإقدام .

الأحنف وعبد الله بن الزبير

لما وفد الأحنف في وجوه أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير ، تكلم أبو حاضر الأسيدي وكان خطيبا جميلا ، فقال له عبد الله بن الزبير :
أسكت ، فو الله لوددت أنّ لي بكل عشرة من أهل العراق رجلا من أهل الشام ، صرف الدينار بالدرهم . قال : يا أمير المؤمنين ، إن لنا ولك مثلا ، أفتأذن في ذكره؟ قال : نعم . قال : مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام ، كقول الأعشى حيث يقول :
علّقتها عرضا وعلقت رجلا غيري وعلّق أخرى غيرها الرجل
أحبك أهل العراق ، وأحببت أهل الشام ، وأحب أهل الشام عبد الملك ابن مروان

بين مسلمة وابن المهلب

كتب مسلمة بن عبد الملك ، إلى يزيد بن المهلب : إنك والله ما أنت بصاحب هذا الأمر ، صاحب هذا الأمر مغمور موتور وأنت مشهور غير موتور .

فقال له رجل من الأزد يقال له عثمان بن المفضل : قدم ابنك مخلدا حتى يقتل فتصير موتورا .

التسبيح معصية

قال طاوس[١] : كنت عند محمد بن يوسف ، فأبلغه رجل عن بعض أعدائه كلاما ، فقال رجل من القوم : سبحان الله! فقال طاوس : ما ظننت أن قول سبحان الله معصية لله حتى كان اليوم . كأنه عنده إنما سبّح ليظهر استعظام الذي كان من الرجل ، ليوقع به

دولة العرجان

دخل الحكم بن عبدل الأسدي وهو أعرج ، على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وهو أمير الكوفة وكان أعرج ، وكان صاحب شرطه اعرج ، فقال ابن عبدل :

ألـق العصـا ودع التخامع والتمس ... عمـلا فهـذي دولـة العرجـان
لأميرنـا وأميـر شرطتنـا معـا ... لكليهمـا يـا قومـنا رجـلان
فـإذا يكـون أميرنـا ووزيرنـا ... وأنـا فـإن الرابـع الشيطان

وقال أبو عبد الحميد : لم أسمع أعجب من قول عمر : «لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما أركب» .

---

(١) ابن كيسان ، الفقيه القدوة عالم اليمن ، أبو عبد الرحمن الفارسي ، ثم اليمني الجندي الحافظ . كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له ، فقيل : هو مولى بحير بن ريسان الحميري ، وقيل : بل ولاؤه لهمدان . سمع من زيد بن ثابت ، وعائشة ، وأبي هريرة ، وزيد بن أرقم ، وابن عباس ، ولازم ابن عباس مدة ، وهو معدود في كبراء أصحابه .

فرعون ورجل مؤمن

روي أن رجلين من آل فرعون سعيا برجل مؤمن الى فرعون ، فأحضره فرعون وأحضرهما وقال للساعيين : من ربّكما؟

قالا : أنت .

فقال للمؤمن : من ربّك .

قال : ربّي ربهما .

فقال فرعون : سعيتما برجل على ديني لأقتله ، فقتلهما .

قالوا : فذلك قوله تعالى : ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ .

الإسكندر ومؤدبه

قال أبو الحسن عتّاب : عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، إن الإسكندر كان لا يدخل مدينة إلا هدمها ، وقتل أهلها ، حتى مر بمدينة كان مؤدبه فيها ، فخرج إليه ، فألطفه الإسكندر وأعظمه ، فقال له : «أيها الملك ، إن أحق من زيّن لك أمرك وواتاك على كل ما هويت لأنا ، وإن أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكاني منك ، وأحب ألا تشفعني فيهم ، وأن تخالفني في كل ما سألتك لهم» . فأعطاه الإسكندر من ذلك ما لا يقدر على الرجوع عنه . فلما توثق منه قال : «فإن حاجتي أن تدخلها وتخربها وتقتل أهلها» . فقال الإسكندر : ليس إلى ذلك سبيل ، ولا بد من مخالفتك

عقل الأمير

وقف معاوية بن مروان على باب طحان فرأى حمارا يدور بالرحى وفي عنقه جلجل فقال للطحان : لم جعلت الجلجل في عنق الحمار ؟ قال : ربما أدركتني سآمة أو نعاس فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه وقف فصحت به فانبعث . قال : أفرأيت إن وقف وحرك رأسه بالجلجل وقال هكذا وهكذا وحرك رأسه . فما علمك أنه واقف ، فقال له : ومن لي بحمار يكون عقله مثل عقل الأمير !

كذب بكذب

يحكى عن وال كان بفارس ، إما أن يكون خالدا خومهرويه ، أو غيره ، قال :

بينا هو يوما في مجلس ، وهو مشغول بحسابه وأمره ، وقد احتجب بجهده ، إذ نجم شاعر من بين يديه ، فأنشده شعرا مدحه فيه ، وقرّظه ، ومجّده . فلمّا فرغ قال : «قد أحسنت» . ثم أقبل على كاتبه فقال : أعطه ألف درهم» . ففرح الشاعر فرحا شديدا ؛ فلما رأى حاله قال : «وإني لأرى هذا القول قد وقع منك هذا الموقع؟ اجعلها عشرة آلاف درهم» . فكاد الشاعر يخرج من جلده ، فلما رأى فرحه قد تضاعف ، قال : «وإن فرحك ليتضاعف على قدر تضاعف القول؟ أعطه يا فلان أربعين ألفا» . فكاد الفرح يقتله .

فلما رجعت إليه نفسه قال له : «أنت ، جعلت فداك ، رجل كريم ؛ وأنا أعلم أنك كلما رأيتني قد ازددت فرحا ، زدتني في الجائزة ، وقبول هذا منك لا يكون إلا من قلة الشكر» . ثم دعا له وخرج .

قال : فأقبل عليه كاتبه فقال : «سبحان الله! هذا كان يرضى منك بأربعين درهما تأمر له بأربعين ألف درهم» ؟ قال : «ويلك! وتريد أن تعطيه شيئا» ؟ قال : «ولم امرت له بذلك» ؟ قال : «يا أحمق ، إنما هذا رجل سرّنا بكلام ، وسررناه بكلام . هو حين زعم أني أحسن من القمر ، وأشدّ من الأسد ، وأن لساني أقطع من السيف ، وأن أمري أنفذ من السّنان هل جعل في يدي من هذا شيئا أرجع به الى بيتي؟ ألسنا نعلم أنه قد كذب؟ ولكنه قد سرّنا حين كذب لنا ، فنحن أيضا نسرّه بالقول ونأمر له بالجوائز ، وإن كان كذبا ، فيكون كذب بكذب وقول بقول . فأما أن يكون كذب بصدق وقول بفعل ، فهذا هو الخسران المبين الذي سمعت به» .

محبة بعد عداوة

قيل للمهلب : إن فلان عينٌ للخوارج فِي عسكرك ، وإنه يتكفن بالسلاح إذا دعوا للحرب ليغتالك ويلحق بالخوارجِ ، فبعث إليه ، فأتى به فقَالَ له : قد تقرر عندنا كيدك لنا ، ولم نقدم من أمرك عَلَى ما عزمنا عليه إلا بعد ما لم يدع اليقين للشك معترضاً ، فاختر أي قتلة تحب أن أقتلك؟ فقَالَ : سيف مجهز أو عطفة كريمة محتقر لضغن ذوي الضغائن ، قَالَ : فإنها عطفة كريم محتقر للذنوب ، فخلى سبيله ، فكانً بعد ذلك من أوثق أصحابه عنده .

الصغيرة للصغير

جاء رجل إلى المهلب بن أبي صفرة
وقال له :
إني أريدك في حويجه !
قال المهلب :
فابحث لها عن رويجل !!

الجود بالموجود

قال : وقدم أبو وجزة السلمي على المهلب بن أبي صفرة
فقال : أصلح الله الأمير ! إني قطعت إليك الدهناء
وضربت إليك أكباد الإبل من يثرب .
فقال : هل أتيتنا بوسيلة أو قرابة أو عشرة ؟
قال : لا ولكني رأيتك لحاجتي أهلاً ، فإن قمت بها فأهل ذلك أنت
وإن يحلْ دونها حائل لم أذمْ يومك ولم أيأسْ من غدك .
فقال المهلب : يُعطى ما في بيت المال .
فوُجد فيه مئة ألف درهم فدُفعت إليه ،
فأنشأ يقول :

يا من على الجود صاغ الله راحته ... فليس يحسن غير البذل والجود
عمّت عطاياك من بالشرق قاطبةً ... وأنت والجود منحوتان من عُود

شعر عروة

أَبُو حاتم ، قَالَ : أتيت أبا عبيدة ومعي شعر عروة بن الورد فقَالَ لي : ما معك؟ فقلت : شعر عروة ، فقَالَ : فارغٌ حمل شعر فقير ليقرأه عَلَى فقير ، فقلت له : ما معي غيره ، فأنشدني أنت ما شئت ، فأنشدني :

يا ربّ ظلّ عقاب قد وقيت بها ... مهري من الشمس والأبطال تجتلد
ورب يوم حمى أرعيت عقوته ... خيلي اقتصارا وأطراف القنا قصد
ويوم لهو لأهل الخفض ظل به ... عنها لهوى اصطلاء الوغى وناره تقد
مشهراً موقفيٍ والحرب كاشفةٌ ... عنها القناع وبحر الموت يطرد

ورب هاجـــرة تغلـــــي مراجلهـــــا مخرتهـــا بمطايـــا غـــــارة تخـــد
تجتــــاب أوديـــة الأفـــزاع آمنـــــة كأنهـــا أســـد تقتادهـــا أُسُـــــد
فـــإن أمـــت حتـــف أنفـــي لا أمت كمداً عَلَى الطعان وقصر العاجز الكمد
ولم أقل لم أساق الموت شاربه فــــــي كأســـه والمنايـــا شُرَّع وُرُدُ
ثم قَالَ : هذا الشعر! لا ما تعللون به أنفسكم من أشعار المخانيث

سوء القول

وخطب الناس عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالمربد عند
ظهور أمر الحجاج عليه فقال : أيها الناس ،
إنه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوزغة
تضرب به يميناً وشمالاً فلا تلبث أن تموت .
فسمعه رجل من بني قشير بن كعب بن عامر بن صعصعة فقال :
قبَّح الله هذا : يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعدهم الغرور .

حكمة عمرو بن العاص

حدثني العباس بن الفرج في إسناد ذكره قال :
نُظِرَ إلى عمرو بن العاص على بغلة قد شَمِط وجهها هرماً ،
فقيل له : أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة بمصر
فقال : لا ملل عندي لدابتي ما حملت رجلي ،
ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي ،
ولا لصديقي ما حفظ سرِّي ، إن الملل من كواذب الأخلاق .

الثناء الحسن

حكى الثعالبي[١] عن إبراهيم بن السندي قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من وجودها كان لا يخف كده ولا يجف قلمه ولا تستريح حركته في طلب

(١) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الذي يُعرف بأبي منصور الثعالبي النيسابوري ، أديب عربي فصيح عاش في نيسابور وضلع في النحو والأدب وأمتاز في حصره وتبيانه لمعاني الكلمات والمصطلحات .

حوائج الناس وإدخال المرافق على الضعفاء ، وكان وجيهاً ذا مروة وفصاحة : خبرني عن الشيء الذي هون عليك هذا المنصب وقواك على تكاليف النصب ما هو فقال : قد والله سمعت تغريد الأطيار بالأسحار وأصوات القيان فما طربت قط كطربي من ثناء حسن من رجل محسن ، قلت : لله درك ولله أنت قد حشيت مروة وكرماً .

المجانين الثلاثة

دعا بعض الملوك بأبي علقمة الممرور وآخر مجنون ليضحك منهما ، فشتماه فغضب . وقال : السياط يا جلادين . فقالا : كنا مجنونين فصرنا ثلاثة ، فضحك وأجزل صلتهما .

المتشائم

وكان بعض الأكاسرة يتطير ، فلقيه رجل أعور ، فأمر بحبسه ، فأقام مدة ثم أطلقه فتعرض له فقال : لم حبستني ؟ قال : تشاءمت بك . قال : فأنت أشأم مني ؛ خرجت من قصرك فلقيتني فلم تر إلا خيراً ؛ وخرجت أنا فلقيتك فحبستني . فقال الملك : صدق وأمر له بصلة .

الأعرابي والمهلب

قيل وقف أعرابي بباب داود بن المُهَلَّب سنة لم يؤذن له .
فلمَّا أُذِن للناس إِذْناً عامًّاً دخل في جُملتهم ،
فقضى داود حوائجَ الناس على طبقاتهم ، وبقي هو ،
فرفع داود رأسه إليه وقال : ألك حاجة يا بدوي ؟
فقال : نعم أصلح الله الأمير أتيْتُك مُمْتَدِحاً بأبيات من الشعر ،
أُؤَمِّلُ بكلِّ بيت منها ألفَ درهم .
قال له داود : قُلْ ،
فاندفع يقول :

آمَنْتُ بداود وجود يمينه ... من الحَدَث المَخْشيِّ والبؤسِ والفقر
وأصبحْتُ لا أخشى بداود نكبة ... ولا حَدَثاناً إذ شدَدْتُ به ظهري
فما طلحةُ الطَّلَحاتِ ساواه في النَّدى . . .

ولا حاتم الطائي ولا خالد القَسْري

لــه حكــمُ لقمــان وصُـورةُ يُوسُف   ومُلْــكُ سليمــان وصدْقُ أبـي ذرِّ
فتــىً تَهْــرُبُ الأموالُ مِنْ جُودِ كَفِّـهِ   كما يهرُبُ الشيطانُ من ليلة القَدْرِ
لــه همَـــــمٌ لا مُنْتَهــى لكبيرهــا   وهمَّتُه الصُغْرى أجلُّ منَ الدَّهـــرِ
وراحتُـــــهُ لــو أنَّ معْشَــارَ عُشْرِهــا   علَى البَرِّ كان البَرُّ أنْدَى من البَحْـرِ

فقال داود : أحسنْتَ يا أعرابيّ ، أيُّمَا أحبُّ إليك أن أُعْطِيَك
على قدْرِك أو على قدْري أو على قدْرِ الشِّعر ،
فقال : بلَ على قدْر شعري ، فأمرَ له على كلِّ بيتٍ بألفِ درهم
فأخذها وانْصَرف ،
فقال بعضُ جُلَسَائه : لو رَدَدْتَه أيُّها الأمير واسْتَخْبَرْتَه لـمَ اخْتَار
على قدْرِ الشِّعر ولَمْ يخْتَرْ على قدْرِك ؟
فأمرَ بِرَدِّهِ واسْتَخْبَرَه عن ذلك ،
فقال : أيُّها الأمير نظرْتُ إلى الدنيا بما فيها فإذا هيَ لا تَفِي
بِمعْشَار عُشْرِ قدْرك ، فأشْفَقْتُ أنْ أسألَكَ ما لـمْ تُطِقْ .
فقَال : أَحسَنْتَ واللهِ ، هذا أحسنُ منْ شِعْرِك ،
وأضْعَفَ له الجائِزَةَ فأخَذَها وانْصرَف .

مسلم بن نوفل

كان مسلم بن نوفلسيد بني كنانة قد ضربه رجل من قومه بسيفه ، فأُخِذَ فأُتِيَ به إليه

فقال له : ما الذي فعلْتَ أما خشيْتَ انتقامي ؟

قال : لا .

قال : فلِمَ ؟

قـال : مـا سَـوَّدْناك إلاّ أن تكْظُمَ الغـيظَ وتعْـفُـوَ عن الجـاني ، وتحْلُمَ على الجـاهل وتحتَمِلَ المكروه في النَّفْس والمال ، فخَلَّى سبيله .

فقال قائلهم :

تَسَـــــوَّدَ أقــوامٌ وليســوا بســـادةٍ   بلِ السيِّدُ المعروفُ سلْمُ بن نوفــلِ

الفضل بن الربيع[1]

حُكي أن رجلاً زَوَّرَ ورقة عن خطِّ الفضل بن الربيع تَتَضمَّنُ أنّه أطلقَ له ألف دينار ، ثمَّ جاء بها إلى وكيل الفضل فلمّا وقف الوكيل عليها لم يشكَّ أنَّها خطُّ الفضل فشرعَ في أنْ يزنَ له الألفَ دينار وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مُهِمٍّ فلمَّا جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوْقَفَهُ على الورقة فنظر الفضل فيها ثمَّ نظرَ في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوَجَلِ والخَجَلَ فأطْرَقَ الفضل بوجهه ثم قال للوكيل : أتدري لِمَ أتَيْتُكَ في هذا الوقت .

قال : لا

قال : جِئْتُ لأسْتَنْهِضَك حتى تُعَجِّلَ لهذا الرجل إعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة ، فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجلُ فقبضَهُ وصار مُتَحَيِّراً في أمره فالْتَفَتَ إليه الفضلُ وقال له : طِبْ نفْساً وامْضِ إلى سبيلك آمناً على نفسك فقبَّل الرجل يده وقال له : سترْتَنِي سَتَرَكَ الله في الدنيا والآخرة ، ثمَّ أخذ المال ومضى .

قال الفضل : ايّاكم ومخاطبة الملوك بما يقتضي الجواب ، فانهم ان أجابوكم شق عليهم ، وان لم يجيبوكم شق عليكم .

قال ثعلب : قلت للحسن بن سهل : وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله : ليس في السرف خير ، فقال : بل ليس في الخير سرف . فرد اللفظ واستوفى المعنى .

الملك والعالم

وكان أحد العلماء مُلمّاً ببعض اللغات الأدبية ، ومتخصّصًا في فقه اللغة ولهجاتها ، ولكنه كان ذميم المنظر ، كريه الوجه!

وذات مرة أراد الملك أن يلاطفه ، فقال له : (أين كنت يوم كان الله يقسّم الجمال بين العباد)؟!!

---

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة بن كيسان مولى عثمان بن عفان ، ووزير الأمين الخليفة العباسي ، كان أبوه هو الربيع بن يونس وزيراً في عهد المنصور والمهدي والهادي وقد ولد في مدينة الخليل عام ١٣٨ هجري وتوفي عام ٢٠٨هـ .

فأجابه العالم ببداهة : (كنت ذاهبًا وراء الكمال)!!
فأكرمه الملك بهدايا سخية بسبب هذه الإجابة الحكيمة .
المكتوب والجواب
عن الحسين بن السميدع الإنطاكي ، قال : كان عندنا بإنطاكية عامل من حلب وكان له كاتب أحمق . فغرق في البحر (شلنديتان) من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدو ، فكتب ذلك الكاتب عن صاحبه إلى العامل بحلب يخبره :
بسم الله الرحمن الرحيم .
اعلم أيها الأمير أعزه الله تعالى أن شلنديتين أعني مركبين قد صفقا من جانب البحر إي : غرقا من شدة أمواجه فهلك من فيهما أي : تلفوا . قال : فكتب إليه أمير حلب : بسم الله الرحمن الرحيم ، ورد كتابك أي : وصل وفهمناه أي : قرأناه أدب كاتبك أي : اصفعه واستبدل به أي : اعزله فإنه مائق أي : أحمق والسلام أي : انقضى الكتاب .

حمصك الله!

في أحد مجالس الخلفاء سأل الخليفة أحدهم : من أين أنت ؟
فأجاب : من حماه حماك الله
فأمر له الخليفة بكيس من الذهب
وسأل الثاني من أين أنت ؟
فأجاب : من حمص حمصك الله
فأمر بجلده

المسكوت عنه

كان لمعاوية عامل «والٍ» من قبيلة كلب فجرى ذكر المجوس في حضرة العامل الكلبي فقال : لعن الله المجوس إنهم ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطوني مائة ألف درهم ما فعلتها! فبلغ خبر ما قاله معاوية فعزله عن منصبه وقال : قاتله الله ، أترونه لو زادوه شيئا على المائة ألف لفعلها؟!

الوالي المثقف

أنشد الوالي عبد اله بن فضلويه والي قرميسين في مجلسه والمجلس غاص بالناس بيتا من الشعر يقول :

يوم القيامة يوم لا دواء له إلا الطلاء وإلا اللهو والطرب .

فقال له أحد الحضور : إنما هو يوم الحجامة . . وليس القيامة .

فقال الوالي : اعذروني فأنا لا أحسن النحو

قوة الحجة

دخل رجل مذنب على سلطان فقال له : بأي وجه تلقاني؟

فقال الرجل : بالوجه الذي ألقى به الله ، وذنوبي إليه أعظم وعقابي أكبر . فعفا عنه .

مدعي النبوة

ادعى رجل النبوة زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فأتي به إلى خالد فقال له : ما تقول؟ قال :

عارضت القرآن . قال : بماذا؟ قال : قال الله تعالى : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، وقلت إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر . فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب ، فمر به خلف بن خليفة الشاعر ، فضرب بيده على الخشبة وقال : إنا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود .

وتنبأ رجل يسمى نوحا ، وكان له صديق نهاه ، فلم يقبل ، فأمر السلطان بقتله ، فمر به صديقه ، فقال له : يا نوح ما حصلت من السفينة إلا على الصاري .

معن بن زائدة الشيباني

كان من الكرماء ، يقال فيه : حدث عن البحر ولا حرج ، وكان عاملاً بالبصرة ، فحضر على بابه شاعر وأقام مدة يريد الدخول فلم يتهيأ له ، فقال يوماً لبعض الخدام : إذا دخل الأمير البستان فعرفني ، فلما دخل أعلمه بذلك ، فكتب الشاعر بيتاً ونقشه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان ، وكان معن جالساً على القناة ، فلما

رأى الخشبة أخذها وقرأها فإذا فيها هذا البيت :

أيا جود معن نـاج معنـاً بحاجتـي فليـس إلـى معـن سواك رسول

فقال : من الرجل صاحب هذه؟ فأتي به إليه . فقال : كيف قلت؟ فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر ، فأخذها وانصرف ، فوضع معن الخشبة تحت بساط . فلما كان في اليوم الثاني أخرجها من تحت بساط ينظر فيها ، ودعا بالرجل فأمر له بمائة ألف درهم ، فلما كان في اليوم الثالث فعل مثل ذلك ، فتفكر الرجل وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما كان معه . فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد ، فقال معن : والله هممت أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار إلا أعطيته له ، وفيه يقول القائل :

يقولـون معـن لا زكـاة لمالـه وكيـف يزكي المال من هو باذلـه

إذا حـال جـولٌ لم يكن في ديـاره مـن المـال إلا ذكـره وجمائلـه

تـراه ، إذا مـا جئتـه ، متهلـلاً كأنـك تعطيـه الـذي أنت آمله

هو البحر مـن أي النواحـي أتيتـه فلجته المعـروف والبـر ساحلـه

تعـود بسـط الكـف حتـى لو نه أراد انقباضـاً لـم تطعه أناملـه

فلو لم يكن فـي كفـه غيـر نفسـه لجاد بهـا فليتـق اللـه سائلـه

ومن قول معن :

دعينـي أنهـب الأمـوال حتى أعـف الأكرمـين عـن اللئام

ويروى أن معن بن زائدة خرج في جماعة يتصيدون ، فاعترضهم قطيع ظباء ، فتفرقوا في طلبه ، وانفرد معن خلف ظبي ، فلما ظفر به نزل فذبحه ، فرأى شخصاً مقبلاً من البرية على حمار ، فركب فرسه واستقبله ، فسلم عليه وقال له : من أين أتيت؟

قال : أتيت من أرض قضاعة وإن لي بها أرضاً ، لها عدة سنين ، مجدبة ، وقد أخصبت في هذه السنة فزرعتها قثاء فطرحت في غير وقتها ، فجمعت منها ما استحسنته وقصدت الأمير معن بن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه المأثور ، وإحسانه المذكور .

فقال له : كم أملت منه؟ قال : ألف دينار .

فقال : فإن قال لك : كثير .

قال : خمسمائة دينار .

قال : إن قال لك : كثير .

قال : ثلاثمائة دينار .

قال : إن قال لك : كثير .

قال : مائتي دينار .

قال : إن قال لك : كثير .

قال : مائة دينار .

قال : إن قال لك : كثير .

قال : خمسين ديناراً .

قال : إن قال لك : كثير .

قال : أفلا أقل من ثلاثين .

قال : إن قال لك : كثير .

قال : أدخل قوائم حماري في حر أمه ، وأرجع إلى أهلي خائباً .

فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل منزله ، وقال لحاجبه : إذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به علي .

فأتى بعد ساعة فلما دخل على الأمير معن لم يعرفه لهيبته وجلالته ، وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر في دست مملكته ، والحفدة قيامٌ عن يمينه وشماله وبين يديه . فلما سلم عليه قال له الأمير معن : ما الذي أتى بك يا أخا العرب؟ قال : أملت الأمير وأتيته بقثاء في غير أوانها .

قال : فكم أملت فينا؟ قال : ألف دينار .

قال كثير .

قال : خمسمائة دينار .

قال : كثير .

قال : ثلاثمائة دينار .

قال : كثير .

قال : مائتي دينار .

قال : كثير .

قال : مائة دينار .

قال : كثير .

قال : والله لقد كان ذلك الرجل الذي قابلني علي مشؤوماً ثم قال : خمسين ديناراً .

قال : كثير .

قال : أفلا أقل من ثلاثين؟ قال : فضحك معن وسكت فعلم الأعرابي أنه صاحبه فقال : يا سيدي إن لم تعطني الثلاثين فالحمار مربوط بالباب ، وها أنا مع معن جالس .

فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال : أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلاثمائة دينار ومائتي دينار ومائة دينار وخمسين ديناراً وثلاثين ديناراً ودع الحمار مربوطاً مكانه .

فبهت الأعرابي وتسلم ألفي دينار ومائةً وثمانين ديناراً ، فرحمة الله عليهم أجمعين .

وقيل : كان معن بن زائدة في بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء ، فبينما هو كذلك ، وإذا بثلاث جوار قد أقبلن حاملات ثلاث قرب فسقينه ، فطلب شيئاً من المال مع غلمانه ، فلم يجده ، فدفع لكل واحدة منهن عشرة أسهم ، من كنانته ، نصولها من ذهب . فقالت إحداهن : ويلكن لم تكًن هذه الشمائل إلا لمعن بن زائدة ، فلتقل كل واحدة منكن شيئاً من الأبيات فقالت الأولى :

يركب في السهام نصول تبر	ويرمي للعدا كرماً وجوداً
فللمرضى علاجٌ من جراحٍ	وأكفانٌ لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية :

ومحارب من فرط جود بنانه	عمت مكارمه الأقارب والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجدٍ	كي لا يقصر في العوارف والندى

وقالت الثالثة :

ومن جوده يرمي العداة بأسهم	من الذهب الإبريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه	ويشتري الأكفان منها قتيلها

وكان مع كرمه صاحب شهامة ، فمن ذلك ، أنه سعى رجل في إفساد دولة المهدي ، وكان من الكوفة فعلم به المهدي فأهدر دمه ، وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم ، فأقام الرجل حيناً مختفياً ثم ظهر في بغداد فبينما هو في بعض الشوارع إذ رآه رجل من الكوفة فعرفه فاخذ بمجامع طوقه ونادى : هذا طلبة أمير المؤمنين فبينما

الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع حوله خلق كثير إذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت فإذا هو بمعن بن زائدة ، فقال : يا أبا الوليد؟ أجرني أجارك الله .

فوقف فقال للرجل الذي تعلق به : ما تريد منه؟ قال : هذا طلبة أمير المؤمنين أهدر دمه ، وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم .

فقال له معن : دعه! ثم قال : يا غلام أردفه ، فأردفه وكر راجعاً إلى داره ، فصاح الرجل : معن حال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين ولم يزل صارخاً إلى أن أتى قصر المهدي ، فأمر المهدي بإحضار معن ، فأتته الرسلُ ، فدعا معن أولاده ومماليكه وقال : لا تسلموا الرجل ، وواحد منكم يعيش .

ثم سار إلى المهدي فدخل وسلم فلم يرد عليه ، ثم قال : يا معن! أتجير علينا عدونا؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال المهدي : ونعم أيضاً .

واشتد غضبه . فقال معن : يا أمير المؤمنين ، بالأمس بعثتني إلى اليمن مقدم الجيش ، فقتلت في طاعتك في يوم واحدٍ عشرة آلاف رجل ، ولي مثل هذا أيام كثيرة فما رأيتموني أهلاً أن أجير رجلاً واحداً استجار بي ، ودخل منزلي .

فسكن غضب المهدي ، وقال : قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد .

قال معن : فإن رأى أمير المؤمنين أن يصله بصلةٍ يعلم منها موقع الرضا ، فإن قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفاً .

قال : قد أمرنا له بخمسين ألف درهم .

قال : يا أمير المؤمنين ، إن صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية .

قال : قد أمرنا له بمائة ألف درهم .

قال : عجلها يا أمير المؤمنين ، فإن خير البر عاجله .

فأحضر معن الرجل وقال له : خذ صلة أمير المؤمنين ، وقبل يده ، وإياك ومخالفة خلفاء الله في أرضه ، «فما كل مرة تسلم الجرة» ، فأرسلها الناس مثلاً ، وأخذ الرجل المال واستغفر الله ، انتهى .

وكان معن لا يغيظ أحداً ، ولا أحد يغيظه ، فقال بعض الشعراء : أنا أغيظه لكم ، ولو كان قلبه من حجر ، فراهنوه على مائة بعير إن أغاظه أخذها ، وإن لم يغظه دفع مثلها . فعمد الرجل إلى جمل فذبحه وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارجٍ والشعر من داخل ، والذباب يقع عليه ، ويقوم ، ولبس برجليه نعلين من جلد الجملٍ ، وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحية رجليه ، وجلس بين يدي

معن على هذه الصورة المشروحة ومد رجليه في وجهه وقال :

أنا والله لا أبدي سلاماً . . . على معن المسمى بالأمير

فقال له معن : السلام لله إن سلمت رددنا عليك ، وإن لم تسلم ما عتبنا عليك .

فقال الشاعر :

ولا آتـي بـلاداً أنـت فيـها ولـو حـزت الشـآم مـع الثغور

فقال له : البلاد بلاد الله إن نزلت فمرحباً بك ، وإن رحلت كان الله في عونك .

فقال الشاعر :

وأرحـل مـن بـلادك ألـف شهـر أجـدُّ السيـر فـي أعلى القفورِ

فقال له : مصحوباً بالسلامة .

فقال الشاعر :

أتذكـر إذ قميصـك جلـد شـاةٍ وإذ نعـلاك مـن جلـد البعير

فقال له : أعرف ذلك ولا أنكره .

فقال الشاعر :

وتهـوى كـل مضطبـة وسـوق بـلا عبـدٍ لديـك ولا وزيـر

فقال له : ما نسيت ذلك ياً أخا العرب .

فقال الشاعر :

ونومـك فـي الشتـاء بـلا رداء وأكلـك دائمـاً خبـز الشعيـر

فقال : الحمد لله على كل حال .

فقال الشاعر :

وفـي يمنـاك عكـاز قـويٌ تـذود بـه الكلابَ عن الهريـرِ

فقال له : ما خفي عليك خبرها اذهبي كعصا موسى .

فقال الشاعر :

فسبحـان الـذي أعطـاك مُلكـاً وعلمـك القعـود علـى السرير

فقال له : بفضل الله لا بفضلك .

فقال الشاعر :

فعجـل يـا بـن ناقصـة بمـالٍ فإنـي قـد عزمـت على المسير

فأمر له بألف دينار .

فقال الشاعر :

قليـــــلٌ مـــا أمـــرت بـــه فإنـــــي   لأطمـــع منـــك بالشـــيء الكثير
فأمر له بألف دينار أخرى .
فقال الشاعر :
فثلـــث ، إذ ملكـــت الملـــك رزقـــاً   بـــلا عقـــلٍ ولا جـــــاهٍ خطيـــر
فأمر له بثلاثمائة دينار .
فقال الشاعر :
ولا أدبٍ كسبـــت بـــــه المعالـــــي   ولا خلـــــــقٍ ولا رأي منـــــــير
فأمر له بأربعمائة دينار .
فقال الشاعر :
فمنـــك الجـــود والإفضـــالُ حقـــاً   وفيـــضُ يديـــك كالبحـــر الغزير

فأمر له بخمسمائة دينار ، وما زال يطلب منه الزيادة حتى استكمل ألف دينار ، فأخذها وانصرف متعجباً من حلم معن وعدم انتقامه منه ثم قال في نفسه : مثل هذا لا ينبغي أن يهجى بل يمدح ، واغتسل ولبس ثيابه ورجع إليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بأن الحامل له على هجوه المائة بعير التي صار الرهن عليها في نظير إغاظته له ، فأمر له بمائة بعير يدفعها في نظير الرهن وبمائة بعير أخرى لنفسه ، فأخذها وانصرف .

إلا هاتين الآيتين

كان أحد الأمراء يصلي خلف إمام يطيل في القراءة ، فنهره الأمير أمام الناس ، وقال له : لا تقرأ في الركعة الواحدة إلا بآية واحدة . فصلى بهم المغرب ، وبعد أن قرأ الفاتحة قرأ قوله تعالى ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ ، وبعد أن قرأ الفاتحة في الركعة الثانية قرأ قوله تعالى ﴿ربنا ءاتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيرا﴾ فقال له الأمير يا هذا : طول ما شئت واقرأ ما شئت ، غير هاتين الآيتين .

عجائب الشافعي

قال الشافعي : رأيت بالعراق أربعة أشياء لم أر مثلها ؛ رأيت جدة بنت إحدى وعشرين سنة ، ورأيت قلنسوة قاض وسعت ثمانية نوى ، ورأيت شيخاً ابن نيف

وتسعين سنة يمشي على القيان يعلمهن الغناء وضرب العود ، وإذا صلى صلى قاعداً ، ورأيت والياً سأل بعض من يلم به : لم لا يجتمع الناس على بابي ؟ فقال : لأنك عدل لا تضرب أحداً ؛ فوجه إلى إمام مسجد الجامع ، فأمر بضربه بالسياط ؛ فاجتمع الناس على بابه وأقبلوا يتزاحمون ، والرجل يقول : ما ذنبي ، أيها الأمير؟ والأمير يقول له : جملني بنفسك قليلاً يا شيخ .

هذا الرجل قد لقن حجته

روي أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه
فأخذ أخا له فقال له : إن أتيتني بأخيك وإلا ضربت عنقك
قال الرجل : أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي
قال : نعم
قال : فإني آتيك بكتاب من العزيز الحكيم : وأقيم عليه شاهدين موسى وإبراهيم عليهما السلام /ثم تلا قوله تعالى : ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ .
فما كان من زياد إلا أن قال : خلو سبيله ، هذا الرجل قد لقن حجته .

حاجة الأعرابي

قال العتبي : أشرف عمرو بن هبيرة يوماً من قصره فإذا هو بأعرابي يرقل قلوصه فقال عمرو لحاجبه : إن أرادني هذا الأعرابي فأوصله إليّ ، فلما وصل الأعرابي سأله الحاجب ، فقال : أردت الأمير ، فدخل عليه فلما مثل بين يديه قال له : ما حاجتك؟ فأنشد الأعرابي يقول :

أصلحك الله قلَّ ما بيدي ولا أطيق العيال إذ كثروا أناخ دهري عليّ كلكله فأرسلوني إليك وانتظروا فأخذت عمرو الأريحية فجعل يهتز في مجلسه ، ثم قال أرسلوك إليّ وانتظروا ، والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم ، ثم أمر له بألف دينار .

الوالي العادل

اختصم رجلان إلى بعض الولاة فلم يحسن أن يقضي بينهما . . فضربهما وقال : الحمد لله الذي لم يفتني الظالم منهما .

الموت خير دواء

حضر بعض حكماء الهند مع وزير ملكهم وكان الوزير ركيكاً فقال للحكيم : ما العلم الأكبر قال : الطب قال : فإني أعرف من الطب أكثره قال : فما دواء المبرسم أيها الوزير قال : دواؤه الموت حتى تقل حرارة صدره .

ثم يعالج بالأدوية الباردة ليعود حياً قال : ومن يحييه بعد الموت قال : هذا علم آخر وجد في كتاب النجوم ولم أنظر في شيء منه ، إلا في باب الحياة فإني وجدت في كتاب النجوم أن الحياة للإنسان خير من الموت .

فقال الحكيم : أيها الوزير الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة .

الوزير الأحمق

الوزير ذو السعادات : قال أبو الحسن بن هلال الصابىء : عرض على الوزير ذي السعادات أبي الفرج صاحبها وطلبها ففتح الوزير الدواة وكتب على هذه بخط غليظ هذه لا تصلح ، وكتب على أخرى وهذه غير مرضية ، وعلى أخرى هذه غالية وقال : ادفعوها إليه فأخذها الرجل وقد تلفت عليه ، قال : وكان إذا أخطأ الفرس تحته يأمر بقطع علفه تأديباً له فإذا قيل له في ذلك قال : أطعموه ولا تعلموه أني علمت بذلك .

أمير مغفل وبياع الثلج

جاز بعض الأمراء المغفلين على بياع الثلج فقال : أرني ما عندك فكسر له قطعة وناوله فقال : أريد أبرد من هذا .

فكسر له من الجانب الآخر فقال : كيف سعر هذا فقال : رطل بدرهم ومن الأول رطل ونصف بدرهم فقال : زن من الثاني .

كتاب الميت في عزائه

وحكى أبو إسحاق الصابي أن رجلاً من كبار كتاب العجم يعرف بأبي العباس بن درستويه حضر مجلس أبي الفرج محمد بن العباس وهو جالس للعزاء بأبيه أبي الفضل وقد ورد نعيه من الأهواز .

وعند أبي الفرج رؤساء الدولة قد ولي الديوان مكان أبيه فلما تمكن ابن درستويه

في المجلس تباكى وقال : لعل هذا إرجاف ورد كتابه فقال له أبو الفرج : قد ورد عدة كتب فقال : دع هذا كله ورد كتابه بخطه ، فقال : لو ورد كتابه بخطه ما جلسنا للعزاء . فضحك الناس .

خطبة قبيصة

خطب قبيصة وهو خليفة أبيه على خراسان فأتاه كتابه
فقال : هذا كتاب الأمير وهو والله أهل أن يطاع وهو أبي وأكبر مني .

سؤال أعرابي

قال ثمامة : جاءني أعرابي فقال : رأيت البارحة أمير المؤمنين يسارك وأنت تنظر إلي ، فبالله أي شيء قال لك في أمري؟

الأعرابي وخالد بن يزيد

قصد أعرابي خالد بن يزيد فقال :
إني امتدحك ببيتين فهل تسمعهما ؟
فقال : إن أحسنت فنعم ولك ثواب ، فأنشد :
سألت النّدى والجود : حُرَّان أنتما ؟ . . . فقالا جميعاً : إننا لَعَبيد
فقلت : ومَنْ مولاكما؟ فتطاولا . . . جميعاً وقالا : خالد ويزيد!
فاهتزَّ طرباً لهما وأمر له بصلة سَنِيَّة .

طرائف الأطباء

مرض لأنه أكل جملاً

عن ابن الرومي[١] قال : قال طبيب لتلميذه : إذا دخلت إلى مريض فانظر إلى أثر ما عنده من طعام أو شراب ، فانهه عما لا يصلح من ذلك ، فدخل الغلام يوماً على مريض فنظر إلى حداجة جمل في الدار . فقال للمريض : أنا والله لا أصف لك دواء ، قال : ولم؟ قال : لأنك قد أكلت جملاً ، قال : لا والله ما أكلت جملاً قط ، فقال : هذه الحداجة من أين؟

وصفة طبيب

دخل بعض الحمقى من الأطباء على عليل ، فشكا إليه العليل ما يجد فقال : خذ مثل رأس الفأرة كلنجبين وصب عليه مقدار محجمة ماء واضربه حتى يصير مثل المخاط واشربه ، فقال العليل : قم لعنك الله ، فقد قذرت إلي كل دواء في الأرض .

شربة تصلح لسنة كاملة

كان طبيب أحمق قد أعطى رجلاً من جيرانه شربة فأقامته قياماً حتى مات منه ، فجاء الطبيب يتعرف خبره فوجده قد مات فقال : لا إله إلا الله من شربة ما كان أقواها ، لو عاش ما كان يحتاج إلى أن يشرب الدواء سنة أخرى .

لا يقدر أحد على مرضاتك في مرضاتك

مرض الأسعد المماتي[٢] فعاده بعض أصحابه فوجده يغسل ويمزق أوراقاً تعاليق

---

(١) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ، وقيل جورجيس ، المعروف بابن الرومي شاعر من شعراء القرن الثالث الهجري في العصر العباسي .

(٢) الأسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا بن مماتي مؤرخ مسلم مصري من أهل القرن السادس الهجري . يرجع أصله إلى أسرة (مّماتي) النصرانية التي تبوأت منزلة رفيعة في عهد الدولة الفاطمية ، وهي أسرة كانت تعيش في أسيوط ثم انتقلت إلى القاهرة للعمل في دواوين الدولة ، إذ انفتح الفاطميون كثيراً على أهل الذمة وعينوهم في مناصب رفيعة ، وقد تبوأ جد الأسعد (أبو المليح مينا) منصب مستوفي الدواوين ونال حظوة عند الفاطميين ، اما أبوه (المهذب) فقد تولى رئاسة ديوان الجيش وأسلم أثناء ذلك .

بخطه ، فسأله عن السبب فقال : إني نظرت في العلوم فوجدتها مواهب من الله تعالى لا بكثرة الفحص والاشتغال ، وذلك إني سألتني جويريتي النوبية عن طعام تصنعه لي اليوم موافق ، فأخذت أعدد لها أنواع المزورات فضجرت ، وقال لي : لا يقدر أحد على مرضاتك في مرضاتك ، فهذا هو السبب الموجب لما تراه .

الموت دواءه

ودخل صاحب المظالم بالبصرة على رجل مبرسم وعنده طبيب يداويه ، فأقبل على الطبيب وأهل المريض ، وقال : ليس دواء المبرسم إلا الموت حتى تقلّ حرارة صدره ، ثم حينئذ يعالج بالأدوية الباردة حتى يستبلّ .

التداوي بالخوف

حكى أن بعض الناس شكا الى طبيب عقم امراته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال : لا حاجه لك الى دواء الولادة فإنك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض علي عليه ، فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة ولم تمت .

فجاء زوجها الى الطبيب وقال له : لم تمت!

فقال الطبيب : قد علمت ذلك ولكنها ستلد انشاء الله .

فقال : كيف ذلك؟

قال : رئتيها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت إنها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة!

الطبيب نعمان

وكان ببغداد طبيب اسمه نعمان لا ينجح مريض على يديه ، فقال فيه بعض الشعراء :

أقول لنعمان وقد ساق طبّه نفوساً نفيسات إلى داخل الأرض

أبا منذر أفنيتَ فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقال كشاجم[١] لعيسى بن نوح النصراني :

عيسى الطبيب ترفّق فأنت طوفان نوح
يأبى علاجك إلاّ فراق جسم لروح
شتّان ما بين عيسى وبين عيسى المسّيح
هذاك محيي لميت وذا مميت صحيح

وهذا منقول من قول رجل من بني تميم ، لما دخل هلال بن أحوز البصرة بعد إيقاعه بني المهلب ، وقد أطافت به بنو تميم ، فقال شيخ من الأزد[٢] : رجالهم يطيفون به كما يطيفون بعيسى ابن مريم . فقال التميمي : هذا ضد عيسى ابن مريم ؛ فإن ذاك يحيي الموتى وهذا يميت الأحياء .

طبيب ماجن ومريض

قال أبو أحمد عبد الله بن عمر بن الحارث الحارثي : اجتزت ببغداد في أيّام المقتدر[٣] وأنّا حدثٌ في جماعةٍ من مجّان أصحاب الحديث ، وإذا بخادم خصي جالس على دكة في الطريق ، وبين يديه أدويةٌ ومكاحل ومباضع ، وعلى رأسه مظلة خرق كما يكون الطبيب ، فتقدّم بعض أصحابنا إليه يعبث به ، فتعاشى وتماوت وتمارضَ وقال : يا أستاذ [يا أستاذ] دفعات ؛ فضجر الخادم ، وقال : فقولي ، لا شفاك الله ؛ إيش أصابك؟ أيّ طاعونٍ ضربك؟ فقال : [يا أستاذ] أجد ظلمةً في أحشائي ،

(١) أبو الفتح محمود بن الحسين الرملي ، المعروف بكشاجم شاعر وأديب ، من كتاب الإنشاء وهو من أصل فارسي . تنقل بين دمشق وحلب والقدس وبغداد وحمص . واستقر أخيرا في حلب بسورية ، فكان من شعراء عبد الله –والد سيف الدولة بن حمدان– ثم ابنه سيف الدولة أمير حلب .

(٢) الأزد ، من قبائل العرب القحطانية وأكثرها شهرة فهم ملوك سبأ وأصحاب الجنتين المذكورة بالقرآن الكريم . ورد اسمها في بعض المصادر الأسْد (بتسكين السين) وهي غير قبيلة بني أسد العدنانية (بفتح السين) ، بطونها كثيرة زادت على ستة وعشرين بطناً كبيراً .

(٣) أبو الفضل جعفر بن المعتضد المقتدر بالله من خلفاء الدولة العباسية . ولد في رمضان سنة ٢٨٢ هـ وعهد إليه أخوه المكتفي بالخلافة ، ووليها بعد وفاة المكتفي وعمره ثلاث عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أصغر منه . واختل النظام كثيرا في أيامه لصغره ، وكان لوالدته السيدة شغب دور كبير في تسيير شئون البلاد وتوليه الوزراء والمسؤولين .

ومغصاً في أطراف شعري ، وما آكله اليوم يخرج غداً مثل الجيفة ؛ فصف لي صفةً لما أنا فيه ؛ فقال الخادم : أمّا ما تجدين من مغص في أطراف شعرك فاحلقي لحيتك ورأسك جميعاً حتى يذهب مغصك ، وأمّا ظلّمةٌ في أحشائك فعلّقي على باب جحرك قنديلاً يضيءُ مثل السّاباط[1] ، وأمّا ما تأكلينه اليوم ويخرج غداً مثل الجيفة فكلي خراك واربحي النفقة .

قال : فعطعط بنا العامّة القيام وضحكوا منّا ، وانقلب الطنز الذي أردنا بالخادم ، فصار طنزاً بنا ، فصار قصارنا الهرب ، فهربنا .

علم الرازي[2] بالطب

حدّث بعض الأطباء الثقات أن رجلا من بغداد قدم الريظو فلحقه في طريقه أنه كان ينفث الدم ، فاستدعى أبا بكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق ، فأراه ما ينفث ووصف له ما يجد ، فنظر الى نبضه وقارورته ، واستوصف حاله ، فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ، ولم يعرف العلّة ، فاستنظر العليل لينظر في حاله ، فاشتدّ امر على المريض ، وزاد ألمه .

وفكّر الرازي ، ثم عاد اليه فسأله عن المياه التي شرب . فقال : إنها من صهاريج ومسقفات ، فثبت في نفس الرازي بحدّة خاطره وجودة ذكائه أن علقة كانت في الماء ، وقد حصلت في معدته ، وذلك الدم من فعلها . فقال :

إذا كان في غد عالجتك ، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيك بما آمرهم .

قال : نعم .

فانصرف الرازي ، فجمع مركنين كبيرين من طحلب ، فأحضرهما في غد معه ،

---

(١) سقيفةٌ بينَ حائطيْن تحتَها مَمَرٌّ نافِذٌ

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي عالم وطبيب فارسي (ح . ٢٥٠ هـ/٨٦٤ م – ٥ شعبان ٣١١هـ/١٩ نوفمبر ٩٢٣ م) ، ولد في مدينة الري . وهو أحد أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق كما وصفته زجريد هونكه في كتابها شمس الله تسطع على الغرب حيث ألف كتاب الحاوي في الطب كان يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام ٩٢٥م وظل المرجع الطبي الرئيسي في أوروبا لمدة ٤٠٠ عام بعد ذلك التاريخ .

وأعطاه إياهما وقال : ابلع جميع ما في هذين المركنين .

فبلع شيئا يسيرا ، ثم وقف .

قال : ابلع .

قال : لا أستطيع .

فقال للغلمان : خذوه فأقيموه .

ففعلوا به ذلك وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه ، فأقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبسا شديدا ويأمره ببلعه ويتهدده بأن يضرب إلى أن بلع كارها أحد المركنين بأسره والرجل يستغيث .

فذرعه القيء ، فتأمّل الرازي ما قذف به فإذا فيه علقة ، وإذا هي لما وصل اليها الطحلب قربت إليه بالطبع وتركت موضعها ، فالتفّت على الطحلب ، ونهض العليل معافى .

نباهة طبيب

حدث علي بن الحسن الصيدلاني قال : كان عندنا غلام حدث ، فلحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه ، فكانت تضرب عليه أكثر الأوقات ضربا عظيما حتى يكاد يتلف ، وقلّ أكله ، ونحل جسمه ، فحمل إلى الأهواز ، فعولج بكل شيء ، فلم ينجح فيه ، وردّ الى بيته وقد يئس منه .

فجاز بعض الأطباء فعرف حاله ، فقال للعليل : اشرح لي حالك في زمن الصحة .

فشرح إلى أن قال : دخلت بستانا فكان في بيت البقر رمّان كثير للبيع ، فأكلت منه كثيرا .

قال : كيف كنت تأكله؟

قال : كنت أعض على رأس الرمّانة بفمي ، وأرمي به واكسرها قطعا وآكل .

فقال الطبيب : غدا أعالجك بإذن الله تعالى .

فلما كان من الغد جاء بقدر اسفيداج قد طبخهما من لحم جرو سمين ، فقال للعليل : كل هذا .

قال العليل : ما هو؟

قال : ان أكلت عرّفتك .

فأكل العليل ، فقال له : امتلئ منه ، فامتلأ ، ثم قال له :
أتدري أيّ شيء أكلت؟
قال : لا .
قال : لحم كلب!
فاندفع يقذف ، فتأمّل القذف الى أن طرح العليل شيئا أسود كالنواة يتحرّك ، فأخذه الطبيب وقال :
ارفع رأسك ، فقد برأت .
فرفع رأسه ، فسقاه شيئا يقطع الغثيان ، وصبّ على وجهه ماء ورد ، ثم أراه الذي وقع فيه فاذا هو قراد ، فقال :
إن الموضع الذي كان فيه الرمّان كان فيه قردان من البقر ، وأنه حصلت منهم واحدة في رأس احدى الرمّانات التي اقتلعت رؤوسها بفيك ، فنزل القراد الى حلقك وعلق بمعدتك يمتصّها ، وعلمت أن القراد تهش الى لحم الكلب ، فان لم يصح الظن لم يضرّك ما أكلت ، فصحّ ، فلا تدخل فمك شيئا لا تدري ما فيه ، والله الموفق .

الملك البدين

كان ملك في الزمان الأوّل ، وكان مثقلا كثير الشحم لا ينتفع بنفسه ، فجمع المتطببين وقال :
احتالوا اليّ بحيلة يخفّ عني لحمي هذا قليلا .
فما قدروا له على شيء ، فبعث له رجل عاقل أديب متطبّب فاره ، فبعث اليه وأشخصه فقال له : عالجني ولك الغنى .
قال : أصلح الله الملك ، أنا متطبّب منجّم . دعني أنظر الليلة في طالعك : أي دواء يوافق طالعك فأسقيك .
فغدا عليه ، فقال : أيها الملك ، الأمان؟
قال : لك الأمان .
قال : رأيت طالعك يدلّ على أن الباقي من عمرك شهر ، فان أحببت عالجتك ، وان أردت بيان ذلك ، فاحبسني عندك ، فان كان لقولي حقيقة فخلّ عني ، والا فاستقص مني .
فحبسه ، ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس ، وخلا وحده مهتما كلما

انسلخ يوم ازداد غمّا حتى هزل وخف لحمه ، ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوما ، فبعث اليه وأخرجه . فقال : ما ترى؟

قال : أعز الله الملك . أنا أهون على الله عز وجلّ من أن أعلم الغيب ، والله ما أعرف عمري ، فكيف أعرف عمرك؟ انما لم يكن عندي دواء إلا الغمّ ، فلم أقدر أن أجلب اليك الغمّ الا بهذه العلّة .

فأجازه وأحسن اليه .

الطبيب القطيعي

حدّث أبو الحسن بن الحسن بن محمّد الصالحي الكاتب قال : رأيت بمصر طبيبا كان بها مشهورا يعرف بالقطيعي يكسب في كل شهر ألف دينار من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ، ومن السلطان ، ومما يأخذه من العامّة . وكان له دار قد جعلها شبه المرستان من جملة داره يأوي إليها الضعفاء والمرضى فيداويهم ويقوم بأغذيتهم وأدويتهم وخدمتهم ، وينفق أكثر كسبه على ذلك .

فاتفق أن بعض فتيان الرؤساء بمصر أسكت ، فجعل إليه أهل الطب ، وفيهم القطيعي ، فأجمعوا على موته إلا القطيعي . وعمل أهله على غسله ودفنه ، فقال القطيعي :

أعالجه وليس يلحقه أكثر من الموت الذي قد أجمع هؤلاء عليه .

فخلاه أهله معه ، فقال : هات غلاما جلدا .

فأتي بذلك ، فأمر به ، فمدّ وضربه عشر مقارع أشدّ الضرب ثم مسّ جسده ، ثم ضربه عشرا أخر ، ثم جسّ مجسّه ، ثم ضربه عشرا أخر ، ثم جسّ مجسّه ، وقال : أيكون للميّت نبض؟

قالوا : لا .

قال : فجسّوا هذا النبض .

فجسّوه فأجمعوا أنه نبض متحرّك .

فضربه عشر مقارع أخر ، ثم قال : جسّوه .

فجسّوه ، فقالوا قد زاد نبضه .

فضربه عشرا أخر ، فتقلّب ، فضربه عشرا فتأوّه ، فضربه عشرا فصاح ، فقطع عنه الضرب . فجلس العليل يتأوّه ، فقال له : ما تجد؟

قال : أنا جائع .

فقال : أطعموه .

فجاؤوا بما أكله ، فرجعت قوّته ، وقمنا وقد برئ .

فقال له الأطباء : من أين لك هذا؟

قال : كنت مسافرا في قافلة فيها أعراب يخفروننا ، فسقط منهم فارس عن فرسه ، فأسكت ، فقالوا : قد مات؟ قال : فعمد شيخ منهم فضربه ضربا شديدا عظيما ، وما رفع الضرب عنه حتى أفاق ، فعلمت أن الضرب جلب اليه حرارة أزالت سكتته ، فقست عليه أمر هذا العليل .

الطبيب ابن نوح

حدّث أبو الحسن المهدي القزويني[1] قال :

كان عندنا طبيب يقال له ابن نوح ، فلحقتني سكتة ، فلم يشك أهلي في موتي ، وغسّلوني وكفنوني وحملوني على الجنازة ، فمرّت الجنازة عليه ونساء خلفي يصرخن ، فقال لهم :

أن صاحبكم حي فدعوني أعالجه . فصاحوا عليه ، فقال لهم الناس :

دعوه يعالجه ، فان عاش والا فلا ضرر عليكم .

فقالوا : نخاف أن تصير فضيحة .

فقال : عليّ ألا تصير فضيحة .

قالوا : فإن صرنا؟

قال : حكم السلطان في أمري ، وإن برئ فأي شيء لي؟

قالوا : ما شئت .

قال : ديته .

قالوا : لا نملك ذلك .

فرضي منهم بمال أجابه الورثة اليه ، وحملني فأدخلني الحمام وعالجني ، وأفقت في الساعة الرابعة والعشرين من ذلك الوقت ، ووقعت البشائر ، ودفع اليه المال ،

(١) الإمام القدوة ، العارف ، شيخ العراق ، أبو الحسن ، علي بن عمر بن محمد ، ابن القزويني البغدادي الحربي الزاهد .

فقلت للطبيب بعد ذلك : من أين عرفت هذا؟

قال : رأيت رجليك في الكفن منتصبتين وأرجل الموتى منبسطة ولا يجوز انتصابها ، فعلمت أنك حيّ ، وخمّنت أنك أسكت وجربت عليك ، فصحّت تجربتي .

قتله الرهان

روى بشر بن المفضل[1] قال : خرجنا حجاجا ، فمررنا بمياه من مياه العرب ، فوصف لنا فيه ثلاث أخوات بالجمال وقيل لنا : انهن يتطببن ويعالجن .

فأحببنا أن نراهنّ ، فعمدنا إلى صاحب لنا ، فحككنا ساقه بعود حتى أدميناه ، ثم رفعناه على أيدينا وقلنا : هذا لديغ[2] فهل من راق؟

فخرجت أصغرهن ، فإذا هي جارية كالشمس الطالعة ، فجاءت حتى وقفت عليه ، فقالت : ليس بسليم .

قلنا : وكيف؟

قالت : لأنه خدشه عود بالت عليه حيّة ذكر ، والدليل أنه إذا طلعت عليه الشمس مات .

فلما طلعت الشمس مات . فعجبنا من ذلك .

كحل لألم البطن

شكا رجل الى طبيب وجع بطنه فقال : ما الذي أكلت؟

قال : أكلت رغيفا محترقا .

فدعا الطبيب بكحل ليكحله ، فقال الرجل :

انما أشتكي من وجع بطني لا عيني .

قال : قد عرفت ، ولكن أكحلك لتبصر المحترق ، فلا تأكله .

---

(١) بشر بن المفضل ع ابن لاحق الإمام الحافظ المجود أبو إسماعيل الرقاشي مولاهم البصري حدث عن أبيه وحميد الطويل ومحمد بن المنكدر وعبد الله ابن محمد بن عقيل وعاصم بن كليب وخالد الحذاء ويحيى بن سعيد الأنصاري .

(٢) اللديغ الذي لدغته أفعى أو عقرب .

الحائك طبيبا

وقف بعض الحاكّة على طبيب ، فرآه يصف لهذا النقوع ولهذا التمر هندي ، فقال : من لا يحسن مثل هذا؟

فرجع الى زوجته فقال : اجعلي عمامتي كبيرة .

فقالت : ويحك أي شيء قد طرأ لك؟

قال : أريد أن أكون طبيبا .

قالت : لا تفعل ، فإنك تقتل الناس فيقتلوك .

قال : لا بد .

فخرج أول يوم فقعد يصف الناس ، فحصل قراريط ، فجاء فقال لزوجته : أنا كنت أعمل كل يوم بحبة ، فانظري ايش[1] يحصل؟

فقالت : لا تفعل .

قال : لا بد .

فلما كان في اليوم الثاني اجتازت جارية ، فرأته فقالت لسيدتها ، وكانت شديدة المرض : اشتهيت هذا الطبيب الجديد يداويك ، فقالت : ابعثي اليه . فجاء ، وكانت المريضة قد انتهى مرضها ومعها ضعف ، فقال :

عليّ بدجاجة مطبوخة ، فجيء بها ، فأكلت ، فقويت ثم استقامت .

فبلغ هذا الى السلطان ، فجاء به فشكا اليه مرضا يشتكيه ، فاتفق أنه وصف له شيئا أصلح به ، فاجتمع الى السلطان جماعة يعرفون ذلك الحائك ، فقالوا له :

هذا رجل حائك لا يدري شيئا .

فقال السلطان : هذا قد صلحت على يديه وصلحت الجارية على يديه ، فلا أقبل قولكم .

قالوا : فنجرّبه بمسائل .

قال : فافعلوا .

فوضعوا له مسائل وسألوه عنها ، فقال : ان أجبتكم عن هذه المسائل لم تعلموا جوابها ، لأن الجواب لهذه المسائل لا يعرفه إلا طبيب ، ولكن أليس عندكم مارستان[2]؟

---

(١) منحوت من (أَيّ شيء) ، بمعناه ، وقد تكلمت به العرب

(٢) مستشفى .

قالوا بلى .

قال : أليس فيه مرضى لهم مدة .

قالوا بلى .

قال : فأنا أداويهم حتى ينهض الكل في عافية في ساعة واحدة، فهل يكون دليل على علمي أقوى من ذلك؟

قالوا : لا .

فجاء إلى باب المارستان وقال : لا يأتي معي أحد .

ثم دخل وحده وليس معه الا قيّم المارستان ، فقال للقيّم : إنك والله إن تحدثت بما أعمل صلبتك ، وإن سكتّ أغنيتك .

قال : ما أنطق .

فأحلفه بالطلاق ، ثم قال : عندك في هذا المارستان زيت؟

قال : نعم .

قال : هاته .

فجاء منه بشيء كثير ، فصبّه في قدر كبير ، ثم أوقد تحته ، فلما اشتد غليانه صاح بجماعة المرضى ، فقال لأحدهم :

انه لا يصلح لمرضك الا أن تنزل هذا القدر ، فتقعد في هذا الزيت .

فقال المريض : الله الله في أمري!

قال : لا بد .

قال : أنا شفيت ، وانما كان بي قليل من صداع .

قال : ايش يقعدك في المارستان وأنت معافى؟

قال : لا شيء .

قال : فاخرج وأخبرهم .

فخرج وأخبرهم ، فخرج يعدو ويقول : شفيت بإقبال هذا الحكيم .

ثم جاء الى آخر فقال : لا يصلح لمرضك الا أن تقعد في هذا الزيت .

فقال : الله الله ، أنا في عافية .

قال : لا بد .

قال : لا تفعل ، فإني من أمس أرددت أن أخرج .

قال : فإن كنت في عافية فاخرج ، وأخبر الناس أنك في عافية .

فخرج يعدو ويقول : شفيت ببركة الحكيم .
وما زال على هذا الوصف حتى أخرج الكل شاكرين له .

قتله بحمقه

كان طبيب أحمق قد أعطى رجلاً من جيرانه شربة فأقامته قياماً حتى مات منه ، فجاء الطبيب يتعرف خبره فوجده قد مات فقال : لا إله إلا الله من شربة ما كان أقواها ، لو عاش ما كان يحتاج إلى أن يشرب الدواء سنة أخرى .

سوء وصف الدواء

دخل بعض الحمقى من الأطباء على عليل ، فشكا إليه العليل ما يجد فقال : خذ مثل رأس الفأرة كلنجبين وصب عليه مقدار محجمة ماء واضربه حتى يصير مثل المخاط واشربه ، فقال العليل : قم لعنك الله ، فقد قذرت إلي كل دواء في الأرض .

حرارة الغم

سرقت ثياب رجل من الحمام فخرج عرياناً وعلى باب الحمام طبيب أحمق ، فقال له : ما قصتك؟ فقال : سرقت ثيابي . قال : بادر وافتصد تخف عنك حرارة الغم .

الموت من سوء التفكير

مرض أعرابي فأتي بطبيب ، فقال الطبيب : إذا كان غداً فاحفظوا البول حتى أجيء وأنظره ، فلما خرج الطبيب من عنده بقي لا يبول إلى الغد ، فلما جاء الطبيب قال له المريض : يا عبد الله قد كادت مثانتي تنشق من حبسي البول فلماذا تأخرت ، فقال : إنما أمرتك أن تحفظ البول في إناء ، فلما كان الغد جاء الطبيب فإذا هو قد أخذ برنية خضراء ، فقال الطبيب : ما هذا ، أخطأت ألم يكن في الدنيا شيء من الزجاج كنت تأخذ في قارورة أو في قدح ، فلما كان من الغد ، أخذ البول في قدح من الخشب فعرضه عليه ، فقال له : أنت في حرج ، ألا نظرت إلى هذا الماء فاصدقني في أمري هل يخاف علي من هذه العلة؟ قال : أما إذا حلفتني فلا بد أن أقول : أنا خائف أن تموت من هذا العقل لا من هذه العلة .

تلميذ في الطب

عن ابن الرومي قال : قال طبيب لتلميذه : إذا دخلت إلى مريض فانظر إلى أثر ما عنده من طعام أو شراب ، فانهه عما لا يصلح من ذلك ، فدخل الغلام يوماً على مريض فنظر إلى حداجة جمل في الدار . فقال للمريض : أنا والله لا أصف لك دواء ، قال : ولم؟ قال : لأنك قد أكلت جملاً ، قال : لا والله ما أكلت جملاً قط ، فقال : هذه الحداجة من أين؟

ما علمت أنك حمار

مر طبيب بأبي واسع فشكا إليه ريحاً في بطنه ، فقال له : خذ الصعتر . فقال : يا غلام دواة وقرطاس ، وقال : قلت ماذا أصلحك الله؟ قلت : كف صعتر ومكوك شعير ، فقال : لم لم تذكر الشعير أولاً؟ قال : ما علمت أنك حمار إلا الساعة .

يوحنا بن ماسويه

كَانَ طَبِيبا ذكيا فَاضلا خَبِيرا بصناعة الطِّبّ وَله كَلَام حسن وتصانيف مَشْهُورَة وَكَانَ مبجلا حظيا عِنْد الْخُلَفَاء والملوك .

قَالَ إِسْحَق بن عَليّ الرهاوي فِي كتاب أدب الطَّبِيب عَن عِيسَى بن ماسه الطَّبِيب قَالَ أَخْبرنِي أَبُو زَكَرِيَّا يوحنا بن ماسويه أَنه اكْتسب من صناعَة الطِّبّ ألف ألف دِرْهَم وعاش بعد قَوْله هَذَا ثَلَاث سِنِين أخر

وَكَانَ الواثق[1] مشغوفا ضنينا بِهِ فَشرب يَوْمًا عِنْده فَسَقَاهُ الساقي شرابًا غير صَاف وَلَا لذيذ على مَا جرت بِهِ الْعَادة وَهَذَا من عَادَة السقاة إِذا قصر فِي برهم .

فَلَمَّا شرب الْقدح الأول قَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ أما المذاقات فقد عرفتها واعتدتها ومذاقة هَذَا الشَّرَاب فخارجة عَن طبع المذاقات كلهَا فَوجدَ أَمِير الْمُؤمنِينَ على السقاة وَقَالَ يسقون أطبائي وَفِي مجلسي مثل هَذَا الشَّرَاب وَأمر ليوحنا بِهَذَا السَّبَب وَفِي

---

(١) هو هارون الثاني الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد (٢٣٢هـ/٨٤٧) هو تاسع خلفاء العباسيين في العراق . ولد في بغداد سنة ٢٠٠ هـ . أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس . وكانوا يسمونه المأمون الصغير لأدبه وفضله ، وكان المأمون يجلسه وأبوه المعتصم واقف ، وكان يقول : يا أبا إسحاق لا تؤدب هارون ، فإني أرضي أدبه ، ولا تعترض عليه في شيء يفعله .

ذَلِك الْوَقْت بمائَة ألف درْهَم ودعا بسمانة الْخَادِم فَقَالَ لَهُ احْملْ إِلَيْهِ الْمَال السَّاعَة .
فَلَمَّا كَانَ وَقت الْعَصْر سَأَلَ سمانة هَل حمل مَال الطَّبِيب أم لاَ فَقَالَ لاَ بعد فَقَالَ يحمل إِلَيْهِ مائَتَا ألف درْهَم السَّاعَة .
فَلَمَّا صلوا الْعَشَاء سَأَلَ عَن حمل الْمَال فَقيل لَهُ لم يحمل بعد فَدَعَا بسمانة وَقَالَ احْملْ إِلَيْهِ ثلثمائة ألف درْهَم .
فَقَالَ سمانة لخازن بَيت الْمَال احملوا مَال يوحنا وَإِلاَّ لم يبْق فِي بَيت الْمَال شَيْء .
فَحمل إِلَيْهِ من سَاعَته .
وَقَالَ سُلَيْمَان بن حسان كَانَ يوحنا بن ماسويه مسيحي الْمَذْهَب سريانيا قَلّدهُ الرشيد تَرْجَمَة الْكتب الْقَدِيمَة مِمَّا وجد بأنقره وعمورية وَسَائِر بِلاَد الرّوم حِين سباها الْمُسلمُونَ وَوَضعه أَمينا على التَّرْجَمَة .
وخدم هَارُون والأمين والمأمون وَبَقِي على ذَلِك إِلَى أَيَّام المتَوَكل .
قَالَ وَكَانَت مُلُوك بني هَاشم لاَ يتناولون شَيْئا من أطعمتهم إِلاَّ بِحَضْرَتِهِ .
وَكَانَ يقف على رؤوسهم وَمَعَهُ البراني بالجوارشنات الهاضمة المسخنة الطابخة المقوية للحرارة الغريزية فِي الشتَاء وَفِي الصَّيف بالأشربة الْبَارِدَة والجوارشنات .
وَقَالَ ابْن النديم الْبَغْدَادِيّ[1] الْكَاتِب إِن يوحنا بن ماسويه خدم بصناعة الطِّبّ الْمَأْمُون والمعتصم والواثق والمتوكل .

ابْن صَفِيَّة

هُوَ أَبُو غَالب بن صَفِيَّة وَكَانَ نَصْرَانِيّا .
وَقَالَ بعض الْعِرَاقِيّين أَن أَبَا المظفر يُوسُف المستنجد بِاللَّه[2] كَانَ خَلِيفَة صَارِمًا

---

(١) ابن النديم هو أبو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق الوراق البغدادي توفي في الأول من شعبان من عام ٤٣٨هـ أو عام ١٠٤٧م وأبوه هو الوراق . وقد كان ابن النديم أديب وكاتب سيرة ومصنف وجامع فهارس صاحب الكتاب المعروف كتاب الفهرست الذي جمع فيه كل ما صدر من الكتب والمقالات العربية في زمنه . لا يعرف الكثير عن حياته ولا سبب كنيته بابن النديم . من أهل بغداد ، وقد عاش في بغداد وعمل كاتباً وخطاطا ونساخا للكتب وهي مهنة ورثها عن أبيه .

(٢) أبو المظفر «المستنجد بالله» يوسف بن محمد المقتفي٥٥٥ه إلى ٥٦٦ه كان الخليفة العباسي الثالث والثلاثين ، حكم في بغداد بين عامي ١١٦٠ و١١٧٠ . كان ابن الخليفة السابق له المقتفي لأمر الله . وصف بالعدل ، حيث كان شديداً على المفسدين .

متيقظا فتاكا وَكَانَ وزيره أَبُو المظفر يحيى بن هُبَيْرَة ثمَّ توفّي فاستوزر شرف الدّين بن الْبَلَدي وَكَانَ يجْري مجْرَاه .

وَكَانَ فِي الدولة أُمَرَاء أكَابِر كَانَ مُتَقَدم الْجَمَاعَة قطب الدّين قايماز وَكَانَ أَصله أرمنيا وَقد عظم شَأْنه وَعلا مَكَانَهُ وَاسْتولى على الْبِلَاد وتحكم فِي الدولة وَلم يبْق لَهُ ضد وَلاَ مناو وَعمد إِلَى أكَابِر أُمَرَاء الدولة فزوجهم ببناته وَكَانَ بَينه وَبَين الْوَزير مماراة .

ثمَّ إِن الْخَلِيفَة مرض وَكَانَ طبيبه ابْن صَفِيَّة أَبُو غَالب النَّصْرَانِي وَكَانَ الْوَزير ابْن الْبَلَدي يحذر الْخَلِيفَة ويخوفه من استطالة قطب الدّين وَمن يجْري مَعَه من الأُمَرَاء فَاطلع الطَّبِيب على بعض الأَحْوَال وَأَرَادَ التَّقَرُّب عِنْد الأَمِير قطب الدّين(١) فَنقل إِلَيْهِ الحَدِيث وَاسْتمرّ الْحَال على ذَلِك .

فَلَمَّا مرض الْخَلِيفَة عزم فِي الْقَبْض على قطب الدّين وجماعته واطلع ابْن صَفِيَّة على ذَلِك فَمضى على قطب الدّين وعرفه الْحَال وَقَالَ لَهُ قد جرى من الْوَزير كَذَا وَكَذَا فتغد بِهِ قبل أَن يتعشى بك .

فَأخذ قطب الدّين يعْمل فكرته ورأيه فِي التَّدْبِير فِي مكايد الْوَزير وَثقل الْخَلِيفَة فِي الْمَرَض واشتغل عَمَّا كَانَ قد دبره مَعَ الْوَزير فِي الْقَبْض على الأُمَرَاء .

فأجمع قطب الدّين رَأْيه على قتل الْخَلِيفَة ثمَّ يتفرغ لهلاك الْوَزير فأسفر رَأْيه على أَنه قرر مَعَ ابْن صَفِيَّة الطَّبِيب أَن يصف للخليفة الْحمام فَدخل الْحَكِيم إِلَى الْخَلِيفَة وَأَشَارَ بالحمام والخليفة يعلم من نَفسه الضعْف فَأبى ذَلِك .

فَدخل قطب الدّين وَبَعض الْجَمَاعَة وَقَالَ يَا مَوْلَانَا الْحَكِيم قد أَشَارَ بالحمام فَقَالَ قد رَأينَا أَن نؤخره فغلبوا على رَأْيه وأدخلوه الْحمام وَقد كَانَ أوقد عَلَيْهِ ثَلَاثَة أَيَّام بلياليهن وردوا عَلَيْهِ بَاب الْحمام سَاعَة فَمَاتَ

وأظهروا الْحزن الْعَظِيم وَأتوا إِلَى وَلَده أبي مُحَمَّد الْحسن فاستخلفوه على مَا أَرَادوا وَبَايَعُوهُ ولقب بالمستضيء بِأَمْر الله وَأقَام مُدَّة وَفِي نَفسه شَيْء مِمَّا فعلوا .

وَكَانَ قد استوزر عضد الدّين أَبَا الْفرج ابْن رَئِيس الرؤساء وَكَانَ ابْن صَفِيَّة الطَّبِيب على حَاله ملازم الْخدمَة فشرع الْخَلِيفَة فِي الاستبداد بالأمور مَعَ وزيره وَكَانَ

---

(١) العالم المسلم الطبيب الفارسي قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي ولد في كازرون بإيران وتعلم الطب على يد والده وعمه ، ثم تتلمذ على نصير الدين الطوسي . وقد زار عدداً من البلدان ، فذهب إلى خراسان والعراق وفارس ومصر .

قطب الدّين قايماز وَابْن صَفيَّة مهما اطلع عَلَيْهِ من الأَحْوَال نَقله إِلَى قطب الدّين وَهُوَ مُتَرَدّد إِلَى الدَّار وَلاَ يْمنَع لكَونه طَبيب الخدْمَة .

فَاسْتَحْضرهُ الخْليفَة لَيْلاً وَقَالَ لَهُ يَا حَكيم عنْدي من أكره رُؤْيَته وَأُريد إبعاده بوَجْه لطيف غير شَفيع فَقَالَ لَهُ نرتب لَهُ شربة قَوِيَّة بَالِغَة يشْربهَا وَقد حصل الخْلاَص مِنْهُ كَمَا تُؤثر .

فَمضى وَركب شربة كَمَا وصف وأحضرها لَيْلاً وَدخل بهَا إِلَى عِنْد الخْليفَة فَفتحهَا وَنظر إِلَيْهَا وَقَالَ يَا حَكيم استف هَذه الشربة حَتَّى نجرب فعلهَا فتلوى من ذَلك وَقَالَ الله الله يَا مَوْلاَنَا فِي فَقَالَ لَهُ الطَّبيب مَتى تعدى حَده وَتجَاوز طوره وَقع فِي مثل هَذَا وَلَيْسَ لَك من هَذَا خلاص إِلاَّ السَّيْف .

فاستف الحْكيم الشربة الَّتِي ركبهَا وفر من الْهَلاَك إِلَى الْهَلاَك .

ثمَّ خرج من دَار الخْليفَة وَكتب إِلَى الأْمِير قطب الدّين يشعره بِالحْال وَيَقُول لَهُ والانتقال من أَمْرِي إِلَى أَمركُم .

ثمَّ هلك .

وَأما قطب الدّين فعزم أَن يُوقع بالخليفة فَرد الله سُبْحَانَهُ كَيده إِلَيْه ونهبت أَمْوَاله وهرب من بَغْدَاد بِنَفسِهِ وَمضى إِلَى الشَّام إِلَى الْملك النَّاصِر صَلاَح الدّين فَلم يقبله .

وَعَاد على طَرِيق الْبَرِيَّة إِلَى الْموصل فَمَرض فِي الطَّرِيق ثمَّ دخل الْموصل فَمَاتَ بهَا .

وضد هَذه الحْكَايَة مَا حَدث به شمس الدّين مُحَمَّد بن الحْسن بن الْكَرِيم الْبَغْدَاديّ عَن بعض الْمشَايخ بِبَغْدَاد قَالَ :

كَانَ السُّلْطَان مُحَمَّد بن مَحْمُود خوارزم شاه قد حضر بَغْدَاد فِي سنة وَخَمْسمائة فَمَرض وَهُوَ بعسكره ظَاهر الْبَلَد وَمرض الخْليفَة المقتفي أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن المستظهر ببَغْدَاد فانفذ السُّلْطَان يلْتَمس الرئيس أَمين الدولة بن التلميذ فَاخْرُج إِلَى ظَاهر الْمدينَة فَكَانَ يداويه بِظَاهر بَغْدَاد ويداوي الخْلَيفَة ببَغْدَاد فَقَالَ لَهُ وَزِير السُّلْطَان أَيهَا الرئيس إِنَّنِي قد كنت عنْد السُّلْطَان وَذكرت لَهُ من فضلك وأدبك ورآستك .

وَقد أَمر لَك بعشْرَة آلاَف دينَار .

فَقَالَ لَهُ يَا مَوْلاَنَا قد أَمر لي من بَغْدَاد بأثني عشر ألف دينَار أفيأذن لي فِي قبُولهَا السُّلْطَان يَا مَوْلاَنَا أَنا رجل طَبيب لاَ أتجاوز وظائف الأَطِبَّاء وَمَا يلْزمهُم وَلاَ أعرف إِلاَّ

مَاء الشّعير والنقوع وشراب البنفسج والنيلوفر وَمَتى أخرجت عَن هَذَا لاَ أعرف شَيْئا .

وَكَانَ الْوَزير قد عرض لَهُ فِي حَديثه بمَا مَعْنَاهُ أَنه يدبر فِي إِتْلاَف الْخَليفَة وَقدر الله سُبْحَانَهُ برْء الْخَليفَة وَالسُّلْطَان وَوَقع الصُّلْح بَينهمَا على مَا اقترحه الْخَليفَة .

وَهَذَا كَانَ من عقل الرئيس أَمين الدولة وَدينه وأمانته فَإِنَّهُ كَانَ يَقُول لاَ يَنْبَغِي للطبيب أَن يداخل الْمُلُوك فِي أسرارهم وَلاَ يتَجَاوَز كَمَا تقدم ذكره مَاء الشّعير والنقوع وَالشرَاب فَمَتى جَاوز هَذَا تلف وَكَانَ سَبَب هَلاَكه .

وَكَانَ ينشد

(وَإِذا أنبت الْمُهَيْمِن للنمل جنَاحا أطارها للتردي)

(وَلكُل امْرِئ من النَّاس حد وهلاك الْفَتى جَوَاز الْحَد)

قسم أبقراط[1]

قَالَ أبقراط إِنِّي أقسم بِاللَّه رب الْحَيَاة وَالْمَوْت وواهب الصِّحَّة وخالق الشِّفَاء وكل علاج .

وَأقسم بأسقليبيوس .

وَأقسم بأولياء الله من الرِّجَال وَالنِّسَاء جَميعًا .

وأشهدهم جَميعًا على أَنِّي أَفِي بِهَذِه الْيَمين وَهَذَا الشَّرْط .

وَأرى أَن الْمعلم لي هَذِه الصِّنَاعَة بِمَنْزِلَة آبَائِي وأواسيه فِي معاشي وَإِذا إحتاج إِلَى مَال واسيته وواصلته من مَالِي .

وَأما الْجِنْس المتناسل مِنْهُ فَأرى أَنه مسَاوٍ لإخوتي وأعلمهم هَذِه الصِّنَاعَة ان احتاجوا إِلَى تعلمهَا بِغَيْر أُجْرَة وَلاَ شَرط .

وأشرك أَوْلاَدي وَأَوْلاَد الْمعلم لي والتلاميذ الَّذين كتب عَلَيْهِم الشَّرْط أَو حلفوا بالناموس الطبي فِي الْوَصَايَا والعلوم وَسَائِر مَا فِي الصِّنَاعَة .

---

(١) أبُقراط أبو الطب وأعظم أطباء عصره ، أول مدون لكتب الطب ، مخلص الطب من آثار الفلسفة وظلمات الطقوس السحرية ، من أشهر الشخصيات على مر التاريخ في كل العصور وكل المجالات ، وعلى الرغم أنه لم يهتم سوى بمجال واحد ولم يبرع في مجالات مختلفة مثل ليوناردو دا فينشي الذي تكلم في مجالات مختلفة ، إلا أنه حظي بشهرة واسعة منقطعة النظير ، ونسبت له الكثير من المؤلفات . صاحب فكرة القسم الشهير الذي يقسمه الأطباء قبل مزاولة مهنة الطب .

وَأما غير هَؤُلاَء فَلاَ أفعل بِهِ ذَلِك وأقصد فِي جَمِيع التدابير بِقدر طاقتي مَنْفَعَة المرضى .
وَأما الْأَشْيَاء الَّتِي تضر بهم وتدني مِنْهُم بالجور عَلَيْهِم فامنع مِنْهَا بِحَسب رَأْيِي .
وَلاَ أعطي إِذا طلب مني دَوَاء قتالا وَلاَ أُشير أَيْضا بِمثل هَذِه المشورة .
وَكَذَلِكَ أَيْضا لاَ أرى أَن أدني من النسْوَة فرزجة تسْقط الْجَنِين .
وأحفظ نَفسِي فِي تدبيري وصناعتي على الزَّكَاة وَالطَّهَارَة وَلاَ أشق أَيْضا عَمَّن فِي مثانته حجَارَة وَلَكِن أترك ذَلِك إِلَى من كَانَت حرفته هَذَا الْعَمَل .
وكل الْمنَازل الَّتِي أدخلها إِنَّمَا أَدخل إِلَيْهَا لمَنْفَعَة المرضى وَأَنا بِحَال خَارِجَة عَن كل جور وظلم وَفَسَاد إرادي مَقْصُود إِلَيْهِ فِي سَائِر الْأَشْيَاء وَفِي الْجِمَاع للنِّسَاء وَالرِّجَال الْأَحْرَار مِنْهُم وَالْعَبِيد .
وَأما الْأَشْيَاء الَّتِي أعاينها فِي أَوْقَات علاج المرضى أَو أسمعها فِي غير أَوْقَات علاجهم فِي تصرف النَّاس من الْأَشْيَاء الَّتِي لاَ ينْطق بهَا خَارِجا فَأمْسك عَنْهَا وَأرى أَن أَمْثَالهَا لاَ ينْطق بِهِ .
فَمن أكمل هَذِه الْيَمين وَلم يفْسد شَيْئا كَانَ لَهُ أَن يكمل تَدْبيره وصناعته على أفضل الْأَحْوَال وأجملها وَأَن يحمده جَمِيع النَّاس فِيمَا يَأْتِي من الزَّمَان دَائِما وَمن تجَاوز ذَلِك كَانَ بضده .

ناموس الطِّبّ لأبقراط

وَهَذِه نُسْخَة ناموس الطِّبّ لأبقراط .
قَالَ أبقراط :
إِن الطِّبّ أشرف الصَّنَائِع كلهَا إِلاَّ أَن نقص فهم من ينتحلها صَار سَببا لسلب النَّاس إِيَّاهَا لأَنَّهُ لم يُوجد لَهَا فِي جَمِيع المدن عيب غير جهل من يدعيها مِمَّن لَيْسَ بِأَهْل للتسمي بهَا إِذْ كَانُوا يشبهون الأشباح الَّتِي يحضرها أَصْحَاب الْحِكَايَة ليلهوا النَّاس بهَا فَكَمَا أَنَّهَا صور لاَ حَقِيقَة لَهَا كَذَلِك هَؤُلاَء الْأَطِبَّاء بِالِاسْمِ كثير وبالفعل قَلِيل جدا .
وَيَنْبَغِي لمن أَرَادَ تعلم صناعَة الطِّبّ أَن يكون ذَا طبيعة جَيِّدَة مؤاتية وحرص شَدِيد ورغبة تَامَّة وَأفضل ذَلِك كُله الطبيعة لأَنَّهَا إِذا كَانَت مؤاتية فَيَنْبَغِي أَن يقبل على التَّعْلِيم وَلاَ يضجر لينطبع فِي فكره ويثمر ثمارا حَسَنَة مثل مَا يرى فِي نَبَات الأَرْض .
أما الطبيعة فَمثل التربة وَأما مَنْفَعَة التَّعْلِيم فَمثل الزَّرْع وَأما تربية التَّعْلِيم فَمثل وُقُوع البزر فِي الأَرْض الجيدة .

فَمَتَى قدمت الْعنَايَة فِي صناعَة الطِّبّ بِمَا ذكرنَا ثمَّ صَارُوا إِلَى المدن لم يَكُونُوا أطباء بِالاسْم بل بِالْفِعْلِ .

وَالْعلم بِالطِّبِّ كنز جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه مَمْلُوء سُرُورًا سرا وجهرا وَالْجَهْل بِهِ لمن انتحله صناعَة سوء وذخيرة ردية عديم السرُور دَائِم الْجزع والتهور .

والجزع دَلِيل على الضعْف والتهور دَلِيل على قلَّة الْخَبَر بالصناعة .

وَصِيَّة أبقراط

وَهَذِه نُسْخَة وَصِيَّة أبقراط الْمَعْرُوفَة بترتيب الطِّبّ .

قَالَ أبقراط :

يَنْبَغِي أَن يكون المتعلم للطب فِي جنسه حرا وَفِي طبعه جيدا حَدِيث السن معتدل الْقَامَة متناسب الْأَعْضَاء جيد الْفَهم حسن الحَدِيث صَحِيح الرَّأْي عِنْد المشورة عفيفا شجاعا غير محب لِلْفِضَّةِ مَالِكًا لنَفسِهِ عِنْد الْغَضَب وَلَا يكون تَارِكًا لَهُ فِي الْغَايَة وَلَا يكون بليدا .

وَيَنْبَغِي أَن يكون مشاركا للعليل مشفقا عَلَيْهِ حَافِظًا للأسرار لِأَن كثيرا من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لَا يحبونَ أَن يقف عَلَيْهَا غَيرهم .

وَيَنْبَغِي أَن يكون مُحْتملا للشتيمة لِأَن قوما من المبرسمين وَأَصْحَاب الوسواس السوداوي يقابلونا بذلك وَيَنْبَغِي لنا أَن نحتملهم عَلَيْهِ ونعلم أَنه لَيْسَ مِنْهُم وَأَن السَّبَب فِيهِ الْمَرَض الْخَارِج عَن الطبيعة .

وَيَنْبَغِي أَن يكون حلق رَأسه معتدلا مستويا لَا يحلقه وَلَا يَدعه كالجمة وَلَا يستقصي قصّ أظافير يَدَيْهِ وَلَا يَتْرُكهَا تعلو على أَطْرَاف أَصَابِعه .

وَيَنْبَغِي أَن تكون ثِيَابه بَيْضَاء نقية لينَة وَلَا يكون فِي مَشْيه مستعجلا لِأَن ذَلِك دَلِيل على الطيش وَلَا متباطئا لِأَنَّهُ يدل على فتور النَّفس .

وَإِذا دعِي إِلَى الْمَرِيض فليقعد متربعا ويختبر مِنْهُ حَاله بِسُكُون وتأن لَا بقلق واضطراب فَإِن هَذَا الشكل والزي وَالتَّرْتِيب عِنْدِي أفضل من غَيره .

قَالَ جالينوس[1] فِي الْمقَالة الثَّالِثَة من كِتَابه فِي أَخْلَاق النَّفس .

(١) جَالِينُوس هو طبيب يوناني ، ويُعتبر أحد أعظم الأطباء في العصور القديمة . يدور مذهبه في الطب على أساس القول بأن الأخلاط الأربعة - الدم والبلغم والصفراء والسّوداء - هي التي تقرِّر صحة الإنسان ومزاجه .

أَن أبقراط كَانَ يعلم مَعَ مَا كَانَ يعلم من الطِّبّ من أَمر النُّجُوم مَا لم يكن يدانيه فِيهِ أحد من أهل زَمَانه .

وَكَانَ يعلم أَمر الْأَركان الَّتِي مِنْهَا تركيب أبدان الْحَيَوَان وَكون جَمِيع الْأَجْسَام الَّتِي تقبل الْكَوْن وَالْفساد وفسادها .

وَهُوَ أول من برهن ببراهين حَقِيقَة هَذه الْأَشْيَاء الَّتِي ذكرنَا .

وَبرهن كَيفَ يكون الْمَرَض وَالصِّحَّة فِي جَمِيع الْحَيَوَان وَفِي النَّبَات .

وَهُوَ الَّذِي استنبط أَجنَاس الْأَمْرَاض وجهات مداواتها .

أَقُول فَأَما معالجة أبقراط ومداواته للأمراض فَإِنَّهُ أبدا كَانَت لَهُ الْعِنَايَة الْبَالِغَة فِي نفع المرضى وَفِي مداواتهم .

وَيُقَال أَنه أول من جدد البيمارستان وأخترعه وأوجده .

وَذَلِكَ أَنه عمل بِالْقربِ من دَاره فِي مَوضِع من بُسْتَان كَانَ لَهُ موضعا مُفردا للمرضى وَجعل فِيهِ خدما يقومُونَ بمداواتهم وَسَماهُ أخسندوكين أَي مجمع المرضى وَكَذَلِكَ أَيْضا معنى لَفْظَة البيمارستان وَهُوَ فَارسي وَذَلِكَ أَن البيمار بالفارسي هُوَ المرضى وستان هُوَ الْموضع أَي مَوضع المرضى .

وَلم يكن لأبقراط دأب على هَذه الوتيرة فِي مُدَّة حَيَاته وَطول بَقَائِهِ إِلَّا النّظر فِي صناعَة الطِّبّ وإيجاد قوانينها ومداواة المرضى وإيصال الرَّاحَة إِلَيْهِم وإنقاذهم من عللهم وأمراضهم .

وَقد ذكر كثيرا من قصَص مرضى عالجهم فِي كتَابه الْمَعْرُوف بأبيديميا .[1]

وَلم يكن لأبقراط رَغْبَة فِي خدمَة أحد من الْمُلُوك لطلب الْغنى وَلَا فِي زِيَادَة مَال يفضل عَن احْتِيَاجه الضَّرُورِيّ .

وَفِي ذَلِك قَالَ جالينوس إِن أبقراط لم يجب أحد مُلُوك الْفرس الْعَظِيم الشَّأْن الْمَعْرُوف عنْد اليونانيين بأرطخششت وَهُوَ أزدشير الْفَارِسِي جد دَارا بن دَارا فَإِنَّهُ عرض فِي أَيَّام هَذَا الْملك للْفرس وباء فَوجه إِلَى عَامله بمَدِينَة فاوان أَن يحمل إِلَى أبقراط مائَة قِنْطَار ذَهَبا ويحمله بكرامة عَظِيمَة وإجلال وَأَن يكون هَذَا المَال تقدمة لَهُ وَيضمن لَهُ إقطاعا بِمِثْلِهَا وَكتب إِلَى ملك اليونانيين يَسْتَعِين بِهِ على إِخْرَاجه إِلَيْهِ وَضمن لَهُ مهادنة سبع سِنِين مَتى أخرج أبقراط إِلَيْهِ .

(١) تَفْسِير أبيديميا الْأَمْرَاض الوافدة .

فَلم يجب أبقراط إِلَى الْخُرُوج عَن بَلَده إِلَى الْفرس .

فَلَمَّا ألح عَلَيْهِ ملك اليونانيين فِي الْخُرُوج قَالَ لَهُ أبقراط لست أبدل الْفَضِيلَة بِالْمَالِ .

وَلما عالج بردقس الْملك من أمراض مَرضهَا لم يقم عِنْده دهره كُله .

وَانْصَرف إِلَى علاج الْمَسَاكِين والفقراء الَّذين كَانُوا فِي بلدته وَفِي مدن أُخْرَى وَإِن صغرت .

وَدَار هُوَ بِنَفسِهِ جَمِيع مدن اليونانيين حَتَّى وضع لَهُم كتابا فِي الأهوية والبلدان .

قَالَ جالينوس وَمن هَذِه حَاله لَيْسَ إِنَّمَا يستخف بالغنى فَقَط بل بالخفض والدعة ويؤثر التَّعَب وَالنّصب عَلَيْهَا فِي جنب الْفَضِيلَة .

وَمن بعض التواريخ الْقَدِيمَة أَن أبقراط كَانَ فِي زمن بهمن بن أزدشير وَكَانَ بهمن قد اعتل فأنفذ إِلَى أهل بلد أبقراط يستدعيه فامتنعوا من ذَلِك وَقَالُوا أَن أخرج أبقراط من مدينتنا خرجنَا جَمِيعًا وقتلنا دونه فرق لَهُم بهمن وَأقرهُ عِنْدهم .

وَظهر أبقراط سنة ستّ وَتِسْعين لبختنصر وَهِي سنة أَربع عشرَة للْملك بهمن .

قَالَ سُلَيْمَان بن حسان الْمَعْرُوف بِابْن جلجل وَرَأَيْت حِكَايَة طريفه لأبقراط استحلينا ذكرهَا لندل بهَا على فَضله وَذَلِكَ أَن أفليمون صَاحب الفراسة كَانَ يزْعم فِي فراسته أَنه يسْتَدلّ بتركيب الْإِنْسَان على أَخْلَاق نَفسه فَاجْتمع تلاميذ أبقراط وَقَالَ بَعضهم لبَعض هَل تعلمُونَ فِي دهرنَا أفضل من هَذَا الْمَرْء الْفَاضِل فَقَالُوا مَا نعلم .

فَقَالَ بَعضهم تَعَالَوْا نمتحن بِهِ أفليمون فِيمَا يَدعِيهِ من الفراسة فصوروا صُورَة أبقراط ثمَّ نهضوا بهَا إِلَى أفليمون .

فَقَالُوا لَهُ أَيهَا الْفَاضِل انْظُر هَذَا الشَّخْص وَاحْكُم على أَخْلَاق نَفسه من تركيبه .

فَنظر إِلَيْهِ وَقرن أعضاءه بَعْضهَا بِبَعْض ثمَّ حكم فَقَالَ رجل يحب الزِّنَا .

فَقَالُوا لَهُ كذبت هَذِه صُورَة أبقراط الْحَكِيم .

فَقَالَ لَهُم لابد لعلمي أَن يصدق فَاسْأَلُوهُ فَإِن الْمَرْء لاَ يرضى بِالْكَذِبِ .

فَرَجَعُوا إِلَى أبقراط وَأَخْبرُوهُ بالْخبر وَمَا صَنَعُوا وَمَا قَالَ لَهُم أفليمون فَقَالَ أبقراط صدق أفليمون أحب الزِّنَا وَلَكِنِّي أملك نَفسِي .

فَهَذَا يدل على فضل أبقراط وَملكه لنَفسِهِ ورياضته لَهَا بالفضيلة .

وَقد تنْسب هَذِه الْحِكَايَة إِلَى سقراط الفيلسوف وتلامذته .

فَأَما تَفْسِير اسْم أبقراط فَإِن مَعْنَاهُ ضَابِط الْخَيل وَقيل مَعْنَاهُ ماسك الصِّحَّة وَقيل ماسك الْأَرْوَاح .

وأصل اسْمه باليونانية أيفوقراطيس وَيُقَال هُوَ بقراطيس وَإِنَّمَا الْعَرَب عَادَتهَا تَخْفيف الْأَسْمَاء واختصار الْمعَانِي فخففت هَذَا الاسْم فَقَالُوا أبقراط وبقراط أَيْضا .

وَقد جرى ذَلِك كثيرا فِي الشّعْر وَيُقَال أَيْضا بِالتَّاء أبقرات وبقرات

وَقَالَ المبشر بن فاتك(١) فِي كتاب مُخْتَار الحكم ومحاسن الْكَلم .

أَن أبقراط كَانَ ربعَة أَبيض حسن الصُّورَة أشهل الْعَينَيْنِ غليظ الْعِظَام ذَا عصب معتدل اللِّحْيَة أبيضها منحني الظّهْر عَظِيم الهامة بطيء الْحَرَكَة .

إِذا الْتفت الْتفت بكليته كثير الأطراق مُصِيب القَوْل متأنيا فِي كَلَامه يُكَرر على السَّامع مِنْهُ .

ونعلاه أبدا بَين يَدَيْهِ إِذا جلس وَإِن كلم أجَاب وَإِن سكت عَنهُ سَأَلَ وَإِن جلس كَانَ نظره إِلَى الأَرْض مَعَه مداعبة كثير الصَّوْم قَلِيل الْأكل بِيَدِهِ أبدا إِمَّا مبضع وَإِمَّا مرود .

وَقَالَ حنين بن إِسْحَاق(٢) فِي كتاب نَوَادِر الفلاسفة والحكماء إِنَّه كَانَ مَنْقُوشًا على فص خَاتم أبقراط الْمَرِيض الَّذِي يَشْتَهِي أَرْجَى عِنْدِي من الصَّحِيح الَّذِي لاَ يَشْتَهِي شَيْئا .

وَيُقَال أَن أبقراط مَاتَ بالفالج وَأوصى أَن يدْفن مَعَه درج من عاج لاَ يعلم مَا فِيهِ فَلَمَّا اجتاز قَيْصر الْملك بقبره رَآهُ قبرا ذليلا فَأمر بتجديده لِأَنَّهُ كَانَ من عَادَة الْمُلُوك أَن يفتقدوا أَحْوَال الْحُكَمَاء فِي حياتهم وَبعد وفاتهم لأَنهم كَانُوا عِنْدهم أجل النَّاس وأقربهم إِلَيْهِم .

فَأمر قَيْصر الْملك بحفره فَلَمَّا حفره لينْظر إِلَيْهِ استخرج الدرج فَوجدَ فِيهِ الْخمس

---

(١) أبو الوفاء المبشر بن فاتك (حكيم طبيب متبحر في العلوم الرياضية فاطمي في القرن ١١ . وصديق الطبيب علي بن رضوان . اشتغل بالطب أيضا ولكنه اشتهر بكتابة مختار الحكم ومحاسن الكلم وهو مجموعة من الأمثال نسبت الى قدماء الحكماء جمعها المبشر بن فاتك وترجمها الى العربية وعلق عليها .

(٢) أبو زَيْد بن إسحق العِبَادي المعروف بحُنَيْن بن إسحق العِبَادي عالم ومترجم وعالم لغات وطبيب مسيحي نسطوري . أصله من الحيرة ولد عام ١٩٤ هـ / ٨١٠م ، لأب مسيحي يشتغل بالصيدلة .

وَالْعشْرين قَضيَّة فِي الْمَوْت الَّتِي لاَ يعلم الْعلَّة فِيهَا لأَنَّهُ حكم فِيهَا بِالْمَوْتِ إِلَى أَوْقَات مُعينَة وَأَيَّام مَعْلُومَة .

وَهِي مَوْجُودَة بالعربي .

وَيُقَال إِن جالينوس فسرهَا وَهَذَا مِمَّا استبعده .

وَإِلاَّ فَلَو كَانَ ذَلِك حَقًا وَوجد تَفْسِير جالينوس لنقل إِلَى الْعَرَبِيّ كَمَا قد فعل ذَلِك بِغَيْرِهِ من كتب أبقراط الَّتِي فَسرهَا جالينوس فَإِنَّهَا نقلت بأسرها إِلَى الْعَرَبِيّ .

وَمن أَلْفَاظ أبقراط الحكيمة ونوادره المفردة فِي الطِّبّ قَالَ أبقراط الطِّبّ قِيَاس وتجربة .

وَقَالَ لَو خلق الإِنْسَان من طبيعة وَاحِدَة لما مرض أحد لأَنَّهُ لم يكن هُنَاكَ شَيْء يضادها فيمرض .

وَقَالَ الْعَادة إِذا قدمت صَارَت طبيعة ثَانِيَة .

والزجر والفأل حس نفساني .

وَقَالَ أحذق النَّاس بِأَحْكَام النُّجُوم أعرفهم بطبائعها وآخذهم بالتشبيه .

وَقَالَ الإِنْسَان مَا دَامَ فِي عَالم الْحس فَلاَ بُد من أَن يَأْخُذ من الْحس بِنَصِيب قل أَو كثر وَقَالَ كل مرض مَعْرُوف السَّبَب مَوْجُود الشِّفَاء .

وَقَالَ إِن النَّاس اغتذوا فِي حَال الصِّحَّة بأغذية السبَاع فأمرضتهم فغذوناهم بأغذية الطير فصحوا .

وَقَالَ إِنَّمَا نَأْكُل لنعيش وَلاَ نَعِيش لنأكل .

وَقَالَ لاَ تَأْكُل حَتَّى تَأْكُل .

وَقَالَ يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه فَإِن الطبيعة تفزع إِلَى عَادَتهَا

وَقَالَ الْخمْرَة صديقَة الْجِسْم والتفاحة صديقَة النَّفس .

وَقيل لَهُ لم أثور مَا يكون الْبدن إِذا شرب الإِنْسَان الدَّوَاء قَالَ لأَن أَشد مَا يكون الْبَيْت غبارا إِذا كنس .

وَقَالَ لاَ تشرب الدَّوَاء إِلاَّ وَأَنت مُحْتَاج إِلَيْهِ فَإِن شربته من غير حَاجَة وَلم يجد دَاء يعْمل فيه وجد صحَة يعْمل فيهَا فَيحدث مَرَضا .

وَقَالَ مثل الْمَنِيّ فِي الظّهْر كَمثل المَاء فِي الْبِئْر إِن نزفته فار وَإِن تركته غَار .

وَقَالَ إِن المجامع يقتدح من مَاء الْحَيَاة .

وَسُئِلَ فِي كم يَنْبَغِي للْإِنْسَان أَن يُجَامع قَالَ فِي كل سنة مرّة قيل لَهُ فَإِن لم يقدر قَالَ فِي كل شهر مرّة .

قيل لَهُ فَإِن لم يقدر قَالَ فِي كل اسبوع مرّة قيل لَهُ فَإِن لم يقدر قَالَ هِيَ روحه أَي وَقت شَاءَ يُخرجهَا .

وَقَالَ أُمَّهَات لذات الدُّنْيَا أَربع لَذَّة الطَّعَام وَلَذَّة الشَّرَاب وَلَذَّة الْجِمَاع وَلَذَّة السماع فاللذات الثَّلَاث لاَ يتَوَصَّل إِلَيْهَا وَلاَ إِلَى شَيْء مِنْهَا إِلاَّ بتعب ومشقة وَلها مضار إِذا استكثر مِنْهَا وَلَذَّة السماع قلت أَو كثرت صَافِيَة من التَّعَب خَالصَة من النصب .

وَمن كَلاَمه قَالَ إِذا كَانَ الْغدر بِالنَّاسِ طباعا كَانَت الثِّقَة بِكُل أحد عَجزا وَإِذا كَانَ الرزق مقسوما كَانَ الْحِرْص بَاطِلا .

وَقَالَ قلَّة الْعيَال أحد اليسارين .

وَقَالَ الْعَافِيَة ملك خَفِي لاَ يعرف قدرهَا إِلاَّ من عدمهَا .

وَقيل لَهُ أَي الْعَيْش خير فَقَالَ الأْمْن مَعَ الْفقر خير من الْغنى مَعَ الْخَوْف .

وَرَأى قوما يدفنون امْرَأَة فَقَالَ نعم الصهر صاهرك .

وَحكي عَنهُ أَنه أقبل بالتعليم على حدث من تلامذته فَعَاتَبَهُ الشُّيُوخ على تَقْدِيمه إِيَّاه عَلَيْهِم فَقَالَ لَهُم أَلا تعلمُوا مَا السَّبَب فِي تَقْدِيمه عَلَيْكُم قَالُوا لاَ .

فَقَالَ لَهُم مَا أعجب مَا فِي الدُّنْيَا فَقَالَ أحدهم السَّمَاء والأفلاك وَالْكَوَاكِب .

وَقَالَ آخر الأَرْض وَمَا فِيهَا من الْحَيَوَانَات والنبات .

وَقَالَ آخر الإِنْسَان وتركيبه .

وَلم يزل كل وَاحِد مِنْهُم يَقُول شَيْئا وَهُوَ يَقُول لاَ .

فَقَالَ للصَّبِيّ مَا أعجب مَا فِي الدُّنْيَا فَقَالَ أَيهَا الْحَكِيم إِذا كَانَ كل مَا فِي الدُّنْيَا عجبا فَلاَ عجب .

فَقَالَ الْحَكِيم لأجل هَذَا قدمته لفطنته .

وَمن كَلاَمه قَالَ محاربة الشَّهْوَة أيسر من معالجة الْعلَّة .

وَقَالَ التَّخَلُّص من الأَمْرَاض الصعبة صناعَة كَبِيرَة .

وَدخل على عليل فَقَالَ أَنا وَالْعلَّة وَأَنت ثَلاَثَة فَإِن أعنتني عَلَيْهَا بِالْقبُولِ مني لما تسمع صرنا اثْنَيْنِ وانفردت الْعلَّة فقوينا عَلَيْهَا والاثنان إِذا اجْتمعَا على وَاحِد غلباه .

وَلما حَضرته الْوَفَاة قَالَ خُذُوا جَامع الْعلم مني من كثر نَومه ولانت طَبِيعَته ونديت جلدته طَال عمره .

وَمن كَلاَمه ممَّا ذكره حنين بن إِسْحَق فِي كتاب نَوَادِر الفلاسفة أَنه قَالَ منزلَة لطافة الْقلب فِي الأَبدَان كمنزلة النواظر فِي الأجفان .

وَقَالَ للقلب آفتان وهما الْغم والهم فالغم يعرض مِنْهُ النّوم والهم يعرض مِنْهُ السهر .

وَذَلِكَ بِأَن الْهم فِيهِ فكر فِي الْخَوْف بِمَا سَيكون فَمِنْهُ يكون السهر .

وَالْغَم لاَ فكر فِيهِ لأَنَّهُ إِنَّمَا يكون بِمَا قد مضى وانقضى .

وَقَالَ الْقلب من دم جامد وَالْغَم يهيج الْحَرَارَة الغريزية فَتلك الْحَرَارَة تذيب جامد الدَّم وَلذَلِك كره الْغم خوف الْعَوَارِض الْمَكْرُوهَة الَّتِي تهيج الْحَرَارَة وتحمي المزاج فَيحل جامد الدَّم فينتقض التَّرْكِيب .

وَقَالَ من صحب السُّلْطَان فَلاَ يجزع من قوته كَمَا لاَ يجزع الغواص من ملوحة الْبَحْر .

وَقَالَ من أحب لنَفسه الْحَيَاة أماتها .

وَقَالَ الْعلم كثير والعمَر قصير فَخذ من الْعلم مَا يبلغك قَلِيله إِلَى كثير .

وَقَالَ إِن الْمحبَّة قد تقع بَين العاقلين من بَاب تشاكلهما فِي الْعقل وَلاَ تقع بَين الأحمقين من بَاب تشاكلهما فِي الْحمق .

لأَن الْعقل يجْرِي على تَرْتِيب فَيجوز أَن يتَّفق فِيهِ اثْنَان على طَرِيق وَاحِد والحمق لاَ يجْرِي على تَرْتِيب فَلاَ يجوز أَن يَقع بِهِ اتِّفَاق بَين اثْنَيْنِ .

وَمن كَلاَمه فِي الْعِشْق قَالَ الْعِشْق طمع يتَولَّد فِي الْقلب وتجتمع فِيهِ مواد من الْحِرْص .

فَكلما قوي ازْدَادَ صَاحبه فِي الاهتياج واللجاج وَشدَّة القلق وَكَثْرَة السهر وَعند ذَلِك يكون احتراق الدَّم واستحالته إِلَى السَّوْدَاء والتهاب الصَّفْرَاء وانقلابها إِلَى السَّوْدَاء وَمن طغيان السَّوْدَاء فَسَاد الْفِكر وَمَعَ فَسَاد يكون الفدامة ونقصان الْعقل ورجاء مَا لم يكن وَتمنى مَا لم يتم حَتَّى يُؤَدِّي ذَلِك إِلَى الْجُنُون .

فَحِينَئِذٍ رُبمَا قتل العاشق نَفسه وَرُبمَا مَاتَ غما .

وَرُبمَا وصل إِلَى معشوقه فَيَمُوت فَرحا أَو أسفا .

وَرُبمَا شهق شهقة فتختفي مِنْهَا روحه أَرْبعا وَعشْرين سَاعَة فيظن أَنه قد مَاتَ فيقبر وَهُوَ حَيّ .

وَرُبمَا تنفس الصعداء فتختنق نَفسه فِي تامور قلبه وَيضم عَلَيْهَا الْقلب فَلاَ تنفرج حَتَّى يَمُوت .

وَرُبمَا ارْتَاحَ وَتَشَوُّق للنَّظَر وَرَأى من يحب فَجْأَة فتخرج نَفسه فَجْأَة دفْعَة وَاحدَة .

وَأَنت ترى العاشق إِذا سمع بِذكر من يحب كَيفَ يهرب دَمه ويستحيل لَونه وَزَوَال ذَلِك عَمَّن هَذِه حَاله بلطف من رب الْعَالمين لاَ بتدبير من الآدميّين .

وَذَلِكَ أَن الْمَكْرُوه الْعَارِض من سَبَب قَائِم مُنْفَرد بِنَفسِهِ يتهيأ التلطف بإزالته بِإِزَالَة سَببه .

فَإِذا وَقع السببان وكل وَاحِد مِنْهُمَا علّة لصَاحبه لم يكن إِلَى زَوَال وَاحِد مِنْهُمَا سَبِيل .

وَإِذا كَانَت السَّوْدَاء سَببا لاتصال الْفِكر وَكَانَ اتِّصَال الْفِكر سَببا لاحتراق الدَّم والصفراء وميلهما إِلَى السَّوْدَاء .

والسوداء كلما قويت قوت الْفِكر والفكر كلما قوي قوى السَّوْدَاء .

فَهَذَا الدَّاء العياء الَّذِي يعجز عَن معالجته الْأَطِبَّاء .

وَمن كَلاَمه قَالَ الْجَسَد يعالج جملَة من خَمْسَة أضْرب مَا فِي الرَّأْس بالغرغرة وَمَا فِي الْمعدة بالقيء وَمَا فِي الْبدن بإسهال الْبَطن وَمَا بَين الجلدين بالعرق وَمَا فِي العمق وداخل الْعُرُوق بإرسال الدَّم .

وَقَالَ الصَّفْرَاء بَيتهَا المرارة وسلطانها فِي الكبد والبلغم بَيته الْمعدة وسلطانه فِي الصَّدْر والسوداء بَيتهَا الطحال وسلطانها فِي الْقلب .

وَالدَّم بَيته الْقلب وسلطانه فِي الرَّأْس .

وَقَالَ لتلميذ لَهُ ليكن أفضل وسيلتك إِلَى النَّاس محبتك لَهُم والتفقد لأمورهم وَمَعْرِفَة حَالهم واصطناع الْمَعْرُوف إِلَيْهِم .

وَمن كتاب مُخْتَار الحكم ومحاسن الْكَلم للمبشر بن فاتك من كَلاَم أبقراط أَيْضا وآدابه قَالَ اسْتِدَامَة الصِّحَّة تكون بترك التكاسل عَن التَّعَب وبترك الامتلاء عَن الطَّعَام وَالشرَاب .

وَقَالَ إِن أَنْت فعلت مَا يَنْبَغِي على مَا يَنْبَغِي أَن يفعل فَلم يكن مَا يَنْبَغِي فَلاَ تنْتَقل عَمَّا أَنْت عَلَيْهِ مَا دَامَ مَا رَأَيْته أول الْأَمر ثَابتا .

وَقَالَ الإقلال من الضار خير من الْإِكْثَار من النافع .

وَقَالَ أما الْعُقَلاَء فَيجب أَن يسقوا الْخمر وَأما الحمقى فَيجب أَن يسقوا الخربق .

وَقَالَ لَيْسَ معي من فَضِيلَة الْعلم إِلاَّ علمي بِأَنِّي لست بعالم وَقَالَ اقنعوا بالقوت والغوا عَنْكُم اللجاجة لتكون لكم قربى إِلَى الله عز وَجل

لأَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غير مُحْتَاج إِلَى شَيْء فَكلما احتجتم أَكثر كُنْتُم مِنْهُ أبعد .

واهربوا من الشرور ذروا المآثم وأطلبوا من الْخيرَات الغايات .

وَقَالَ الْمَالك للشَّيْء هُوَ الْمُسَلط عَلَيْه .

فَمن أحب أَن يكون حرا فَلاَ يهو مَا لَيْس لَهُ وليهرب مِنْهُ وَإِلاَّ صَار لَهُ عبدا .

وَقَالَ يَنْبَغِي للمرء أَن يكون فِي دُنْيَاهُ كالمدعو فِي الْوَلِيمَة .

إِذا أَتَتْهُ الكَأس تنَاولهَا وَإِن جازته لم يرصدها وَلم يقْصد لطلبها .

وَكَذَلِكَ يفعل فِي الأَهْل وَالْمَال وَالْولد .

وَقَالَ لتلميذ لَهُ إِن أَحْبَبْت أَن لاَ تفوتك شهوتك فاشته مَا يمكنك .

وَسُئِلَ عَن أَشْيَاء قبيحة فَسكت عَنْهَا فَقيل لَهُ لم لاَ تجيب عَنْهَا فَقَالَ جوابها السُّكُوت عَنْهَا .

وَقَالَ الدُّنْيَا غير بَاقِيَة فَإِذا أمكن الْخَيْر فاصطنعوه وَإِذا عدمتم ذَلِك فتحمدوا وَاتَّخذُوا من الذّكر أَحْسنه .

وَقَالَ لَوْلاَ الْعَمَل لم يطْلب الْعلم وَلَوْلاَ الْعلم لم يطْلب الْعَمَل .

وَلأَن ادْع الْحق جهلا بِهِ أحب إِلَيّ من أَن أَدَعهُ زهدا فِيهِ .

وَقَالَ لاَ يَنْبَغِي أَن تكون علّة صديقك وَأَن طَالَتْ آلم بِهِ من تعاهدك لَهُ .

وَكَانَ يَقُول الْعلم روح وَالْعَمَل بدن وَالْعلم أصل وَالْعَمَل فرع وَالْعلم وَالِد وَالْعَمَل مَوْلُود وَكَانَ الْعَمَل لمَكَان الْعلم وَلم يكن الْعلم لمَكَان الْعَمَل .

وَكَانَ يَقُول الْعَمَل خَادِم الْعلم وَالْعلم غَايَة وَالْعلم رائد وَالْعَمَل مُرْسل .

وَقَالَ إِعْطَاء الْمَرِيض بعض مَا يشتهيه أَنْفَع من أَخذه بكُل مَا لاَ يشتهيه .

أَقُول وأبقراط هُوَ أول من دون صناعَة الطِّبّ وشهرها وأظهرها كَمَا قُلْنَا قبل .

وَجعل أسلوبه فِي تأليف كتبه على ثَلاَث طرائق من طرق التَّعْلِيم إِحْدَاهَا على سَبِيل اللغز وَالثَّانِيَة على غَايَة الإيجاز والاختصار وَالثَّالِثَة على طَرِيق التساهل والتبيين .

وَالَّذِي انْتهى إِلَيْنَا ذكره ووجدناه من كتب أبقراط الصَّحِيحَة يكون نَحْو ثَلاَثِينَ كتابا .

وَالَّذِي يدرس من كتبه لمن يقْرَأ صناعَة الطِّبّ إِذا كَانَ درسه على أصل صَحِيح وترتيب جيد اثْنَا عشر كتابا وَهِي الْمَشْهُورَة من سَائِر كتبه .

بندقليس

قَالَ القَاضِي صاعد أَن بندقليس كَانَ فِي زمن دَاوُد النَّبِي عَلَيْه السَّلاَم على مَا ذكره الْعلمَاء بتواريخ الأُمَم وَكَانَ أَخذ الْحِكْمَة عَن لُقْمَان الْحَكِيم بِالشَّام ثمَّ انْصَرف إِلَى بِلاَد اليونانيين فتكلم فِي خلق الْعَالم بأَشْيَاء يقْدَح ظَاهرهَا فِي أَمر الْمعَاد فهجره لذَلِك بَعضهم وَطَائِفَة من الباطنية تنتمي إِلَى حكمته وتزعم أَن لَهُ رموزا قَلما يُوقف عَلَيْهَا .

قَالَ وَكَانَ مُحَمَّد بن عبد الله بن مرّة الْجَبلي الباطني من أهل قرطبة كلفا بفلسفته دؤوبا على دراستها .

قَالَ وبندقليس أول من ذهب إِلَى الْجمع بَين مَعَاني صِفَات الله تَعَالَى وَإِنَّهَا كلهَا تُؤَدِّي إِلَى شَيْء وَاحِد وَإِنَّهُ وَإِن وصف بِالْعلمِ والجود وَالْقُدْرَة فَلَيْسَ هُوَ ذَا معَان متميزة تخْتَص بِهَذِهِ الأَسْمَاء الْمُخْتَلفَة بل الْوَاحِد بِالْحَقِيقَةِ الَّذِي لاَ يتكثر بِوَجْه مَا أصلا بِخِلاَف سَائِر الموجودات فَإِن الوحدانيات الْعَالمِيَة معرضة للتكثير إِمَّا بإجزائها وَإِمَّا بمعانيها وَإِمَّا بنظائرها وَذَات الْبَارِي متعالية عَن هَذَا كُله .

قَالَ وَإِلَى هَذَا الْمَذْهَب فِي الصِّفَات ذهب أَبُو الْهُذيْل مُحَمَّد بن الْهُذيْل العلاف الْبَصْرِيّ .

ولبندقليس من الْكتب كتاب فِيمَا بعد الطبيعة كتاب الميامر .

فيثاغورس

وَيُقَال فوثاغوراس وفوثاغوريا وَقَالَ القَاضِي صاعد فِي كتاب طَبَقَات الأُمَم إِن فيثاغورس كَانَ بعد بندقليس بزَمَان وَأخذ الْحِكْمَة عَن أَصْحَاب سُلَيْمَان بن دَاوُد عَلَيْهِمَا السَّلاَم بِمصْر حِين دخلُوا إِلَيْهَا من بِلاَد الشَّام وَكَانَ قد أَخذ الهندسة قبلهم عَن المصريين ثمَّ رَجَعَ إِلَى بِلاَد اليونان وَأدْخل عِنْدهم علم الهندسة وَعلم الطبيعة وَعلم الدّين واستخرج بذكائه علم الأَلحان وتأليف النغم وأوقعها تَحت النّسَب العددية وَادّعى أَنه اسْتَفَادَ ذَلِك من مشكاة النُّبُوَّة .

وَله فِي نضد الْعَالم وترتيبه على خَواص الْعدَد ومراتبه رموز عَجِيبَة وأغراض بعيدَة .

وَله فِي شَأْن الْمعَاد مَذَاهِب قَارب فِيهَا بندقليس من أَن فَوق عَالم الطبيعة عَالما روحانيا نورانيا لاَ يدْرك الْعقل حسنه وبهاءه وَإِن الأَنْفس الزكية تشتاق إِلَيْهِ وَإِن كل

إِنْسَان أحسن تَقْوِيم نَفسه بالتبري من الْعجب والتجبر والرياء والحسد وَغَيرهَا من الشَّهَوَات الجسدانية فقد صَار أَهلا أَن يلْحق بالعالم الروحاني ويطلع على مَا يَشَاء من جواهره من الْحِكْمَة الإلهية .

وَإِن الْأَشْيَاء الملذة للنَّفس تَأتيه حِينَئِذٍ إرْسَالًا كالألحان الموسيقية الْآتِيَة إِلَى حاسة السّمع فَلَا يحْتَاج أَن يتَكَلَّف لَهَا طلبا .

ولفيثاغورس تآليف شَرِيعَة الأرثماطيقي والموسيقي وَغير ذَلِك هَذَا آخر قَوْله .

وَذكر غَيره عَن الْحَكِيم فيثاغورس أَنه كَانَ يرى السياحة وَاجْتنَاب مماسة الْقَاتِل والمقتول .

وَأَنه أَمر بتقديس الْحَواس وَتعلم الْعَمَل بِالْعَدْلِ وَجَمِيع الْفَضَائِل والكف عَن الْخَطَايَا والبحث عَن الْعَطِيَّة الإنسية ليعرف طبيعة كل شَيْء وَأمر بالتحابب والتأدب بشرح الْعُلُوم العلوية ومجاهدة الْمعاصِي وعصمة النُّفُوس وَتعلم الْجِهَاد وإكثار الصّيام وَالْقعُود على الكراسي والمواظبة على قِرَاءَة الْكتب وَأَن يعلم الرِّجَال الرِّجَال وَتعلم النِّسَاء وَالنِّسَاء وَأمر بجودة الْمنطق ومواعظ الْمُلُوك وَكَانَ يَقُول بِبَقَاء النَّفس وَكَونهَا فِيمَا بعد فِي ثَوَاب أَو عِقَاب على رَأْي الْحُكَمَاء الإلهيين وَلما رَأس الْحَكِيم فيثاغورس على الهياكل وَصَارَ رَئِيس الكهنة جعل يغتذي بالأغذية غير المجوعة وَغير المعطشة .

أما الْغذَاء غير المجوع فَكَانَ يهيئه من بزر ميقونيون وسمسم وقشر أسقال مغسول غسلا مستقصى حَتَّى ينبأ قلبه وأنتاريقون وأسفودالن وألفيطون وحمص وشعير من كل وَاحِد جُزْء بالتحرير كَانَ يسحقها ويعجنها بِجِنْس من الْعَسَل يُسمى أميطيو .

وَأما غير المعطش فَكَانَ يهيئه من بزر القثاء وزبيب سمين منزوع الْعجم وزهر قوريون وبزر ملوخيا وبزر أسوفا وأندراخين وَنَوع من الْخبز يدعى فيلطاموس ودقيق أواليس وَكَانَ يعجنها بِعَسَل حابوق .

وَذكر الْحَكِيم أَن هرقلس تعلم هَاتين الصفتين من ديميطر وَكَانَ فيثاغورس قد ألزم نَفسه عَادَة موزونة فَلم يكن مرّة صَحِيحا وَمرَّة سقيما وَلَا كَانَ مرّة يسمن وَمرَّة يهزل .

وَكَانَت نَفسه لَطِيفَة جدا وَلم يكن يفرح بإفراط وَلَا يحزن بإفراط وَلَا رَآهُ أحد قطّ ضَاحِكا وَلَا باكيا وَكَانَ يقدم إخوانه على نَفسه ويحكى أَنه أول من قَالَ إِن أَمْوَال الأخلاء مشاعة غير مقسومة وَكَانَ يحافظ على صِحَة الأصحاء وَيُبرئ المسقومي الْأَبدَان وَكَانَ يُبرئ النُّفُوس الآلمة مِنْهَا بالتكهن وَمِنْهَا بالألحان الآلهية الَّتِي كَانَ يحيي بهَا آلام الْبدن .

وَكَانَ يَأْمر بأَدَاء الأُمَانَة فِي الْوَدِيعَة لاَ المَال فَقَط والكلمة المستودعة المحقة وَصدق الْوَعْد .

كَلمَات حكميَّة

وَكَانَ يرمز حكمته ويسترها فَمن ألغازه أَنه كَانَ يَقُول لاَ تَعْتَد فِي الْمِيزَان أَي اجْتنب الإفراط .

وَلاَ تحرّك النَّار بالسكين لأَنَّهَا قد حميت فِيهَا مرّة أَي اجْتنب الْكَلاَم المحرض عِنْد الغضوب المغتاظ .

وَلاَ تجْلِس على قفيز أَي لاَ تعش فِي البطالة .

وَلاَ تمر بغياض الليوث أَي لاَ تقتد برَأْي المردة .

وَلاَ تعمر الخطاطيف الْبيُوت أَي لاً تقتد بأصحاب الطرمذة والبقبقة من النَّاس غير المالكين لألسنتهم .

وَأَن لاَ يلقي الْحمل عَن حامله لَكِن يعان على حمله أَي لاَ يغْفل أحد أَعمال نَفسه فِي الْفَضَائِل فِي الطَّاعَات .

وَأَن لاَ تلبس تماثيل الْمَلاَئِكَة على فصوص الخواتيم أَي لاَ تجْهر بديانتك وَتَدع أسرار الْعُلُوم الإلهية عِنْد الْجُهَّال .

قَالَ الأُمير المبشر بن فاتك كَانَ لفيثاغورس أَب اسْمه منيسارخوس من أهل صور وَكَانَ لَهُ أَخَوَان اسْم الأُكْبَر مِنْهُمَا أونوسطوس وَالآْخر طورينوس وَكَانَ اسْم أمه بوثايس بنت رجل اسْمه أجقايوس من سكان ساموس وَلما غلب على صور ثَلاَثَة قبائل ليمنون ويمقرون وسقرون واستوطنوها وجلا أَهلهَا مِنْهَا جلا وَالِد فيثاغورس فِيمَن جلا وَسكن الْبحيرَة وسافر مِنْهَا إِلَى ساموس ملتمسا كسبا وَأَقَام بهَا وَصَارَ فِيهَا مكرما وَلما سَافر مِنْهَا إِلَى أنطاكيا أَخذ فيثاغورس مَعَه ليتفرج عَلَيْهَا لأَنَّهَا كَانَت نزهة جدا كَثِيرَة الخصب .

وَذكروا أَن فيثاغورس إِنَّمَا عَاد إِلَيْهَا فسكنها لما رأى من طيبها أول مرّة .

وَلما جلا منيسارخوس عَن صور سكن ساموس وَمَعَهُ أَوْلاَده أونوسطوس وطورينوس وفيثاغورس .

فتبنى أندروقلوس رَئِيس ساموس فيثاغورس وكفله لأَنَّهُ كَانَ أحدث الأُخوة وأسلمه من صغره فِي تَعْلِيم الآْدَاب واللغة والموسيقى فَلَمَّا التحى وَجه بِهِ إِلَى مَدِينَة

ميليطون وأسلمه إِلَى أناكسيماندروس الْحَكِيم ليعلمه الهندسة والمساحة والنجوم فَلَمَّا أحكم فيثاغورس هَاتين الصناعتين اشْتَدَّ حبه للعلوم وَالْحكمَة فسافر إِلَى بلدان شَتَّى طَالبا لذَلِك فورد على الكلدانيين والمصريين وَغَيرهم ورابط الكهنة وَتعلم مِنْهُم الْحِكْمَة وَحذق لُغَة المصريين بِثَلَاثَة أَصْنَاف من الْخط خطّ الْعَامَّة وَخط الْخَاصَّة وَهُوَ خطّ الكهنة الْمُخْتَصر وَخط الْمُلُوك .

وعندما كَانَ فِي أراقليا كَانَ مرابطا لملكها وَلما صَار إِلَى بابل رابط رُؤَسَاء خلذايون ودرس على زارباطا فبصره بِمَا يجب على الصديقين وأسمعه سَماع الكيان وَعلمه أَوَائِل الْكل أَيّمَا هِيَ .

فَمن ذَلِك فضلت حِكْمَة فيثاغورس وَبِه وجد السَّبِيل إِلَى هِدَايَة الْأُمَم وردهم عَن الْخَطَايَا لِكَثْرَة مَا اقتنى من الْعُلُوم من كل أمة وَمَكَان .

وَورد على قاراقوديس الْحَكِيم السرياني فِي بداية أمره فِي مَدِينَة اسْمهَا ديلون من سورية وَخرج عَنْهَا قاراقوديس فسكن ساموس وَكَانَ قد عرض لَهُ مرض شَدِيد حَتَّى أَن الْقمل كَانَ ينتعش فِي جِسْمه فَلَمَّا عظم بِهِ وساء مثواه حمله تلاميذه إِلَى أفسس وَلما تزايد ذَلِك عَلَيْهِ رغب إِلَى أهل أفسس وَأقسم عَلَيْهِم أَن يحولوه عَن مدينتهم فأخرجوه إِلَى ماغانسيا .

وعنى تلاميذه بخدمته حَتَّى مَاتَ فدفنوه وَكَتبُوا قصَّته على قَبره .

وَرجع فيثاغورس إِلَى مَدِينَة ساموس ودرس بعده على أرمودامانيطس الْحَكِيم الْبَهِي المتأله المكنى بقراوفوليو بِمَدِينَة ساموس .

وَلَقي أَيْضا بهَا أرمودامانيس الْحَكِيم المكنى أفروقوليم فرابطه زَمَانا وَكَانَت طرانة ساموس قد صَارَت لفولوقراطيس الأطرون واشتاق فيثاغورس إِلَى الِاجْتِمَاع بالكهنة الَّذين بِمصْر فابتهل إِلَى فولوقراطيس أَن يكون لَهُ على ذَلِك معينا فَكتب لَهُ إِلَى أماسيس ملك مصر كتابا يُخبرهُ بِمَا تاق إِلَيْهِ فيثاغورس ويعلمه أَنه صديق لأصدقائه ويسأله أَن يجود عَلَيْهِ بِالَّذِي طلب وَأَن يتحنن عَلَيْهِ فَأحْسن أماسيس قبُوله وَكتب لَهُ إِلَى رُؤَسَاء الكهنة بِمَا أَرَادَ فورد على أهل مَدِينَة الشَّمْس وَهِي الْمَعْرُوفَة بزماننا بِعَين شمس بكتب ملكهم فقبلوه قبولا كريها وَأخذُوا فِي امتحانه زَمَانا فَلم يَجدوا عَلَيْهِ نقصا وَلَا تقصيرا فوجهوا بِهِ إِلَى كهنة منف كي يبالغوا فِي امتحانه فقبلوه قبولا على كَرَاهِيَة واستقصوا امتحانه فَلم يَجدوا عَلَيْهِ معيبا وَلَا أَصَابُوا لَهُ عَثْرَة فبعثوا بِهِ إِلَى أهل دبوسبولس ليمتحنوه فَلم يَجدوا عَلَيْهِ طَرِيقا وَلَا إِلَى إدحاضه سَبِيلا لعناية ملكهم بِهِ

فعرضوا عَلَيْهِ فَرَائض صعبة مُخَالفَة لفرائض اليونانيين كَيْمَا يمْتَنع من قبُولهَا فيدحضوه ويحرموه طلبه فَقبل ذَلِك وَقَامَ بِهِ فَاشْتَدَّ إعجابهم مِنْهُ وَفَشَا بِمصْر ورعه حَتَّى بلغ ذكره إِلَى أماسيس فَأعْطَاهُ سُلْطَانا على الضَّحَايَا للرب تَعَالَى وعَلى سَائِر قرابينهم وَلم يُعْط ذَلِك لغريب قطّ .

ثمَّ مضى فيثاغورس من مصر رَاجعا إِلَى بِلَاده وَبنى لَهُ بِمَدِينَة أيونية منزلا للتعليم فَكَانَ أهل ساموس يأْتونَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُونَ من حكمته وَأعد لَهُ خَارِجا من تِلْكَ الْمَدِينَة أنطرونا جعله مجمعا خَاصّا لحكمته فَكَانَ يرابط فِيهِ مَعَ قَلِيل من أَصْحَابه أَكثر أوقاته .

الحَرْث بن كلدة الثَّقَفِيّ

كَانَ من الطَّائِف وسافر فِي الْبِلَاد وَتعلم الطِّبّ بِنَاحِيَة فَارس وتمرن هُنَاكَ وَعرف الدَّاء والدواء .

وَكَانَ يضْرب بِالْعودِ تعلم ذَلِك أَيْضا بِفَارِس واليمن .

وَبَقِي أَيَّام رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأَيَّام أبي بكر وَعمر وَعُثْمَان وَعلي بن أبي طَالب وَمُعَاوِيَة رَضِي الله عَنْهُم .

وَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة مَا الطِّبّ يَا حَارِث فَقَالَ الأزم يَعْنِي الْجُوع .

ذكر ذَلِك ابْن جلجل .[١]

وَقَالَ الْجَوْهَرِي[٢] فِي كتاب الصِّحَاح الأزم الْمسك يُقَال أزم الرجل عَن الشَّيْء أمسك عَنهُ .

وَقَالَ أَبُو زيد الأزم الَّذِي ضم شَفَتَيْه .

وَفِي الحَدِيث أَن عمر رَضِي الله عَنهُ سَأَلَ الْحَرْث بن كلدة مَا الدَّوَاء فَقَالَ الأزم . يَعْنِي الحمية .

قَالَ وَكَانَ طَبِيب الْعَرَب .

---

(١) أبو داود سليمان بن حسان المعروف باسم ابن جُلجُل طبيب أندلسي ، صاحب كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» .

(٢) إسماعيل بن حمّاد الجَوْهَري هو عالم ولغوي ، أصله من «فاراب» من بلاد الترك ، وقيل أول من حاول الطيران ومات في سبيله . هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري .

ويروى عَن سعد بن أبي وَقاص رَضِي الله عَنهُ أَنه مرض بِمَكَّة مَرضا فعاده رَسُول الله صلى الله عَلَيْه وَسلم فَقَالَ أدعوا لَهُ الْحَرْث بن كلدة فَإِنَّهُ رجل يتطبب .

فَلَمَّا عَاده الْحَرْث نظر إِلَيْه وَقَالَ لَيْسَ عَلَيْه بَأْس اتَّخذُوا لَهُ فريقة بِشَيْء من تمر عَجْوَة وحلبة يطبخان فتحساها فبرئ وَكَانَت للحرث معالجات كَثِيرَة وَمَعْرِفَة بِمَا كَانَت الْعَرَب تعتاده وتحتاج إِلَيْه من المداواة .

وَله كَلَام مستحسن فِيمَا يتَعَلَّق بالطب وَغَيره .

كَلَام الحَارث مَعَ كسْرَى

من ذَلِك أَنه لما وَفد على كسْرَى[1] أذن لَهُ بِالدُّخُول عَلَيْه .

فَلَمَّا وقف بَين يَدَيْه منتصبا قَالَ لَهُ من أَنْت قَالَ أَنا الْحَرْث بن كلدة الثَّقَفِيّ .

قَالَ فَمَا صناعتك قَالَ الطِّبّ .

قَالَ أعربي أَنْت قَالَ نعم من صميمها وجبوحة دارها قَالَ فَمَا تصنع الْعَرَب بطبيب مَعَ جهلها وَضعف عقولها وَسُوء أغذيتها قَالَ أَيهَا الْملك إِذا كَانَت هَذِه صفتهَا كَانَت أحْوج إِلَى من يصلح جهلها وَيُقِيم عوجها ويسوس أبدانها ويعدل أمشاجها .

فَإِن الْعَاقِل يعرف ذَلِك من نَفسه .

ويميز مَوضِع دائه ويحتزر عَن الأدواء كلهَا بِحسن سياسته لنَفسِه .

قَالَ كسْرَى فَكيف تعرف مَا توروده عَلَيْهَا وَلَو عرفت الْحلم لم تَنْسب إِلَى الْجَهْل قَالَ الطِّفْل يناغي فيداوى والحية ترقى فتحاوى .

ثمَّ قَالَ أَيهَا الْملك الْعقل من قسم الله تَعَالَى قسمه بَين عباده كقسمة الرزق فيهم .

فَكل من قسمته أصَاب وَخص بهَا قوم وَزَاد فَمنهمْ مثر ومعدم وجاهل وعالم وعاجز وحازم وَذَلِكَ تَقْدِير الْعَزِيز الْعَلِيم .

فأعجب كسْرَى من كَلَامه ثمَّ قَالَ فَمَا الَّذِي تحمد من أخلاقها ويعجبك من مذاهبها وسجاياها قَالَ الْحَرْث أَيهَا الْملك لَهَا أنفس سخية وَقُلُوب جرية ولغة فصيحة وألسن بليغة وأنساب صَحِيحَة وأحساب شريفة يَمْرُق من أَفْوَاههم الْكَلَام مروق

---

[1] كسرى الثاني أو خُسرو الثاني ، المعروف أيضاً بلقب برويز ومعناه ، كان ملك الدولة الساسانية في بلاد فارس . كان ابن هرمز الرابع ، وحفيد كسرى الأول .

السهْم من نبعة الرام أعذب من هَوَاء الرّبيع وألين من سلسبيل الْمعِين مطعمو الطَّعَام فِي الجدب وضاربو الْهَام فِي الْحَرْب .

لاَ يرام عزهم وَلاَ يضام جارهم وَلاَ يستباح حريمهم وَلاَ يذل أكْرمهم وَلاَ يقرونَ بِفضل للأنام إِلاَّ للْملك الْهمام الَّذِي لاَ يُقَاس بِهِ أحد وَلاَ يوازيه سوقة وَلاَ ملك .

فَاسْتَوَى كسْرَى جَالِسا وَجرى مَاء رياضة الْحلم فِي وَجهه لما سمع من مُحكم كَلاَمه .

وَقَالَ لجلسائه إِنِّي وجدته راجحا ولقومه مادحا وبفضيلتهم ناطقا وَبِمَا يُورِدهُ من لَفظه صَادِقا .

وَكَذَا الْعَاقِل من أحكمته التجارب .

ثمَّ أمره بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ فَقَالَ كَيفَ بَصرك بالطب قَالَ ناهيك قَالَ فَمَا أصل الطِّبّ قَالَ الأزم .

قَالَ فَمَا الأزم قَالَ ضبط الشفتين والرفق باليدين قَالَ أصبت وَقَالَ فَمَا الدَّاء الدوي قَالَ إِدْخَال الطَّعَام على الطَّعَام هُوَ الَّذِي يفني الْبَرِيَّة وَيهْلك السبَاع فِي جَوف الْبَرِيَّة .

قَالَ أصبت وَقَالَ فَمَا الْجَمْرَة الَّتِي تصطلم مِنْهَا الأدواء قَالَ هِيَ التُّخمَة إِن بقيت فِي الْجوف قتلت وَإِن تحللت أسقمت .

قَالَ صدقت .

وَقَالَ فَمَا تَقول فِي الْحجامَة قَالَ فِي نُقْصَان الْهلاَل فِي يَوْم صحو لاَ غيم فِيهِ وَالنَّفس طيبَة وَالْعُرُوق سَاكنة لسرور يفاجئك وهم يباعدك .

قَالَ فَمَا تَقول فِي دُخُول الْحمام قَالَ لاَ تدخله شبعانا وَلاَ تغش أهلك سكرانا وَلاَ تقم بِاللَّيْلِ عُريَانا وَلاَ تقعد على الطَّعَام غضبانا وارفق بِنَفْسِك يكن أرْخى لبالك وقلل من طَعَامك يكن أهنأ لنومك .

قَالَ فَمَا تَقول فِي الدَّوَاء قَالَ مَا لزمتك الصِّحَّة فاجتنبه فَإِن هاج دَاء فاحسمه بِمَا يردعه قبل استحكَامه فَإِن الْبدن بِمَنْزِلَة الأَرْض إِن أصلحتها عمرت وَإِن تركتهَا خربَتْ .

قَالَ فَمَا تَقول فِي الشَّرَاب قَالَ أطيبه أهنأه وأرقه امرأه وأعذبه إشهاده .

لاَ تشربه صرفا فيورثك صداعا وتثير عَلَيْك من الأدواء أنواعا .

قَالَ فَأَي اللحمان أفضل قَالَ الضَّأْن الفتي .

والقديد المالح مهلك للآكل .

واجتنب لحم الجُزُور وَالْبَقر .

قَالَ فَمَا تَقول فِي الْفَوَاكِه قَالَ كلهَا فِي إقبالها وَحين أوانها واتركها إِذا أَدْبَرت وَوَلَّتْ وانقضى زمانها .

وَأفضل الْفَوَاكِه الرُّمَّان والأترج وَأفضل الرياحين الْورْد والبنفسج وَأفضل الْبُقُول الهندباء والخس .

قَالَ فَمَا تَقول فِي شرب المَاء قَالَ هُوَ حَيَاة الْبدن وَبِه قوامه ينفع مَا شرب مِنْهُ بِقدر وشربه بعد النّوم ضَرَر .

أفضله امرأه وأرقه أصفاه .

وَمن عِظَام أَنهَار الْبَارِد الزلاَل لم يخْتَلط بِمَاء الآجام والآكام ينزل من صرادح المسطان ويتسلل عَن الرضراض وَعظَام الْحَصَى فِي الإيفاع .

قَالَ فَمَا طعمه قَالَ لاَ يُوهم لَهُ طعم إِلاَّ أَنه مُشْتَقٌ من الْحَيَاة .

قَالَ فَمَا لَونه قَالَ اشْتبهَ على الأَبْصَار لَونه لأَنَّهُ يَحْكِي لون كل شَيْء يكون فِيه .

قَالَ أَخْبرنِي عَن أصل الإِنْسَان مَا هُوَ قَالَ أَصله من حَيْثُ شرب المَاء يَعْنِي رَأسه .

قَالَ فَمَا هَذَا النُّور فِي الْعَينَيْنِ مركب من ثَلاَثَة أَشْيَاء فالبياض شَحم والسواد مَاء والناظر ريح .

قَالَ فعلى كم جبل وطبع هَذَا الْبدن قَالَ على أَربع طبائع الْمرة السَّوْدَاء وَهِي بَارِدَة يابسة والمرة الصَّفْرَاء وَهِي حارة يابسة وَالدَّم وَهُوَ حَار رطب والبلغم وَهُوَ بَارد رطب .

قَالَ فَلم لم يكن من طبع وَاحِد قَالَ لَو خلق من طبع وَاحِد لم يَأْكُل وَلم يشرب وَلم يمرض وَلم يهْلك .

قَالَ فَمن طبيعتين لَو كَانَ اقْتصر عَلَيْهِمَا قَالَ لم يجز لأَنَّهُمَا ضدان يقتتلان .

قَالَ فَمن ثَلاَث قَالَ لم يصلح موافقان ومخالف .

فالأربع هُوَ الاعْتدَال وَالْقيَام .

قَالَ فأجمل لِي الْحَار والبَارد فِي أحرف جَامِعَة قَالَ كل حُلْو حَار وكل حامض بَارِد وكل حريف حَار وكل مر معتدل وَفِي المر حَار وبارد .

قَالَ فَاضل مَا عولج بِهِ الْمرة الصَّفْرَاء قَالَ كل بَارد لين قَالَ فالمرة السَّوْدَاء قَالَ لين قَالَ والبلغم قَالَ كل حَار يَابِس قَالَ وَالدَّم قَالَ إِخْرَاجه إِذا زَاد وتطفئته إِذا سخن

بالأشياء الْبَارِدَة الْيَابسَة قَالَ فالرياح قَالَ بالحقن اللينة والأدهان الحارة اللينة .

قَالَ افتأمر بالحقنة قَالَ نعم قَرَأت فِي بعض كتب الْحُكَمَاء أَن الحقنة تنقي الْجوف وتكسح الأدواء عَنهُ وَالْعجب لمن احتقن كَيفَ يهرم أَو يعْدم الْوَلَد .

وَأَن الْجَهْل كل الْجَهْل من أكل مَا قد عرف مضرته ويؤثر شَهْوَته على رَاحَة بدنه .

قَالَ فَمَا الحمية قَالَ الاقتصاد فِي كل شَيْء فَإِن الْأكل فَوق الْمِقْدَار يضيق على الرّوح ساحتها ويسد مسامها .

قَالَ فَمَا تَقول فِي النِّسَاء وإتيانهن قَالَ كَثْرَة غشيانهن رَدِيء وَإِيَّاك وإتيان الْمَرْأَة المسنة فَإِنَّهَا كالشن الْبَالِي تجذب قوتك وتسقم بدنك مَاؤُهَا سم قَاتل ونفسها موت عَاجل تَأْخُذ مِنْك الْكل وَلَا تعطيك الْبَعْض .

والشابة مَاؤُهَا عذب زلال وعناقها غنج ودلال فوها بَارِد وريقها عذب رِيحهَا طيب وهنها ضيق .

تزيدك قُوَّة إِلَى قوتك ونشاطا إِلَى نشاطك .

قَالَ فأيهن الْقلب إِلَيْهَا أميل وَالْعين برؤيتها أسر قَالَ إِذا أصبتها المديدة الْقَامَة الْعَظِيمَة الهامة وَاسِعَة الجبين أقناة الْعرنِين كحلاء لعساء صَافِيَة الخد عريضة الصَّدْر مليحة النَّحْر .

فِي خدها رقة وَفِي شفتيها لعس .

مقرونة الحاجبين ناهدة الثديين لَطِيفَة الخصر والقدمين بَيْضَاء .

فرغاء جعدة غضة بضة .

تخالها فِي الظلمَة بَدْرًا زاهرا تَبَسم عَن أقحوان وَعَن مبسم كالأرجوان كَأَنَّهَا بَيْضَة مكنونة أَلين من الزّبد وَأحلى من الشهد وأنزه من الفردوس والخلد وأزكى ريحًا من الياسمين والورد تفرح بقربها وتسرك الْخلْوَة مَعهَا .

قَالَ فاستضحك كسْرَى حَتَّى اختلجت كتفاه وَقَالَ فَفِي أَي الْأَوْقَات إتيانهن أفضل قَالَ عِنْد إدبار اللَّيْل يكون الْجوف أخلى وَالنَّفس أهْدى وَالْقلب أشهى وَالرحم أدفى .

فَإِن أردْت الاسْتِمْتَاع بهَا نَهَارا تسرح عَيْنك فِي جمال وَجههَا ويجتني فوك من ثَمَرَات حسنها ويعي سَمعك من حلاوة لَفظهَا وتسكن الْجَوَارِح كلهَا إِلَيْهَا .

قَالَ كسْرَى لله دَرك من إعرابي .

لقد أَعْطَيْت علما وخصصت فطنة وفهما .

وَأحسن صلته وَأمر بتدوين مَا نطق بِهِ .

وَقَالَ الواثق بِاللَّه فِي كِتَابه الْمُسَمّى بالبستان أَن الْحَرْث بن كلدة مر بِقوم وهم فِي الشَّمْس فَقَالَ عَلَيْكُم بالظل فَإِن الشَّمْس تنهج الثَّوْب وتنقل الرّيح وتشحب اللَّوْن وتهيج الدَّاء الدفين .

وَمن كَلَام الْحَرْث البطنة بَيت الدَّاء وَالْحمية رَأس الدَّوَاء وعودوا كل بدن مَا اعْتَادَ .

وَقيل هُوَ من كَلَام عبد الْملك بن أبجر .

وَقد نسب قوم هَذَا الْكَلَام إِلَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وأوله الْمعدة بَيت الدَّاء وَهُوَ أبلغ من لفظ البطنة .

وَرُوِيَ عَن أَمِير الْمُؤمنِينَ عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ أَنه قَالَ من أَرَادَ الْبَقَاء وَلاَ بَقَاء فليجود الْغذَاء وليأكل على نقاء وليشرب على ظمأ وَليقل من شرب المَاء ويتمدد بعد الْغَدَاء ويتمشى بعد الْعشَاء .

وَلاَ يبيت حَتَّى يعرض نَفسه على الْخَلاَء .

وَدخُول الْحمام على البطنة من شَرّ الدَّاء ودخلة إِلَى الْحمام فِي الصَّيف خير من عشر فِي الشتَاء .

وَأكل القديد الْيَابِس فِي اللَّيْل معِين على الفناء ومجامعة الْعَجُوز تهدم أَعمار الْأَحْيَاء .

وَرُوِيَ بعض هَذِه الْكَلِمَات عَن الْحَرْث بن كلدة وفيهَا من سره النِّسَاء وَلاَ نسَاء فليكر الْعشَاء وليباكر الْغَدَاء وليخفف الرِّدَاء وَليقل غشيان النِّسَاء .

وَمعنى فليكر يُؤَخر وَالْمرَاد بالرداء الدّين وَسمي الدّين رِدَاء لقَولهم هُوَ فِي عنقِي وَفِي ذِمَّتِي فَلَمَّا كَانَت الْعُنُق مَوضع الرِّدَاء سمي الدّين رِدَاء .

وَقد رُوِيَ من طَرِيق آخر وَفِيه .

وتعجيل الْعشَاء وَهُوَ أصح .

وروى أَبُو عوَانَة عَن عبد الْملك بن عُمَيْر قَالَ قَالَ الْحَرْث بن كلدة من سره الْبَقَاء وَلاَ بَقَاء فليباكر الْغَدَاء وليعجل الْعشَاء وليخفف الرِّدَاء وَليقل الْجِمَاع .

وروى حَرْب بن مُحَمَّد قَالَ حَدثنَا أبي قَالَ قَالَ الْحَرْث بن كلدة أَرْبَعَة أَشْيَاء تهدم الْبدن الغشيان على البطنة وَدخُول الْحمام على الامتلاء وَأكل القديد ومجامعة الْعَجُوز .

وروى دَاوُد بن رشيد عَن عَمْرو بن عَوْف قَالَ لما احْتضرَ الْحُرْث بن كلدة اجْتمع إِلَيْهِ النَّاس فَقَالُوا مرنا بِأَمْر ننتهي إِلَيْهِ من بعْدك .

فَقَالَ لاَ تتزوجوا من النِّسَاء إِلاَّ شَابة وَلاَ تَأْكُلُوا الْفَاكِهَة إِلاَّ فِي أَوَان نضجها وَلاَ يتعالجن أحد منْكُم مَا احْتمل بدنه الدَّاء .

وَعَلَيْكُم بالنورة فِي كل شهر فَإِنَّهَا مذيبة للبلغم مهلكة للمزة منبتة للحم .

وَإِذا تغدى أحدكُم فلينم على إِثْر غدائه وَإِذا تعشى فليخط أَرْبَعينَ خطْوَة .

وَمن كَلاَم الْحُرْث أَيْضا قَالَ دَافع بالدواء مَا وجدت مدفعا وَلاَ تشربه إِلاَّ من ضَرُورَة فَإِنَّهُ لاَ يصلح شَيْئا إِلاَّ أفسد مثله .

وَقَالَ سُلَيْمَان بن جلجل أخبرنَا الْحسن بن الْحُسَيْن قَالَ أخبرنَا سعيد بن الأْمَوِي قَالَ أخبرنَا عمي مُحَمَّد بن سعيد عَن عبد الْملك بن عُمَيْر قَالَ كَانَ أَخَوان من ثَقِيف من بني كنه يتحابان لم ير قطّ أحسن ألفة منْهُمَا .

فَخرج الأْكْبَر إِلَى سفر فأوصى الأْصْغَر بامرأته فَوَقَعت عينه عَلَيْهَا يَوْمًا غير مُعْتَمد لذَلِك فهويها وضني .

وَقدم أَخُوهُ فَجَاءَهُ بالأطباء فَلم يعرفوا مَا بِهِ إِلَى أَن جَاءَهُ بالحرث بن كلدة فَقَالَ أرى عينين محتجبتين وَمَا أَدْرِي مَا هَذَا الوجع وسأجرب فاسقوه نبيذا فَلَمَّا عمل النَّبِيذ فِيهِ قَالَ :

(أَلا رفقا أَلا رفقا   قَلِيلا مَا أكوننه)
(ألما بِي إِلَى الأبيات   بالخيف أزرهنه)
(غزالا مَا رَأَيْت الْيَوْم   فِي دور بني كنه)
(أسيل الخد مربوب   وَفِي منْطقَة غنه)

الهزج

فَقَالُوا لَهُ أَنْت أطب الْعَرَب .

ثمَّ قَالَ رددوا النَّبِيذ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا عمل فِيهِ قَالَ :

(أَيهَا الجيرة أَسْلمُوا   وقفُوا كي تكلمُوا)
(وتقضوا لبانة   وتحبوا وتنعموا)
(خرجت مزنة من   الْبَحْر ريا تحمحم)
(هِيَ ماكنتي وتزعم   أَنِّي لَهَا حم)

قَالَ فَطلقهَا أَخُوهُ ثمَّ قَالَ تزوج بهَا يَا أخي .
فَقَالَ وَالله لاَ تَزَوَّجتهَا .
فَمَاتَ وَمَا تزَوجهَا .

النَّضر بن الحُرْث بن كلدة الثَّقَفِيّ

هُوَ ابْن خَالَة النَّبِي ﷺ وَكَانَ النَّضر قد سَافر الْبِلاَد أَيْضا كأبيه .
وَاجْتمعَ مَعَ الأفاضل وَالْعُلَمَاء بِمَكَّة وَغَيرهَا وعاشر الأَحْبَار والكهنة .
واشتغل وَحصل من الْعُلُوم الْقَدِيمَة أَشْيَاء جليلة الْقدر وأطلع على عُلُوم الفلسفة وأجزاء الْحِكْمَة وَتعلم من أَبِيه أَيْضا مَا كَانَ يُعلمهُ من الطِّبّ وَغَيره .
وَكَانَ النَّضر يؤاتي أَبَا سُفْيَان[١] فِي عَدَاوَة النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لكَونه كَانَ ثقفيا كَمَا قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (قُرَيْش وَالأَنْصَار حليفان وَبَنُو أُميَّة وَثَقِيف حليفان) .
وَكَانَ النَّضر كثير الأَذَى والحسد للنَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَيتَكَلَّم فِيهِ بأَشْيَاء كَثِيرَة كَيْمَا يحط من قدره عِنْد أهل مَكَّة وَيبْطل مَا أَتَى بِهِ بِزَعْمِهِ .
وَلم يعلم بشقاوته أَن النُّبُوَّة أعظم والسعادة أقدر وَالعناية الإلهية أجل والأمور الْمقدرَة أثبت .
وَإِنَّمَا النَّضر اعْتقد أَن بمعلوماته وفضائله وحكمته يُقَاوم النُّبُوَّة وَأَيْنَ الثرى من الثريا والحضيض من الأوج والشقي من السعيد .
وقد ذكر أفلاطون[٢] فِي كتاب النواميس أَن النَّبِي وَمَا يَأْتِي بِهِ لاَ يصل إِلَيْهِ الْحَكِيم بِحِكْمَتِهِ وَلاَ الْعَالم بِعِلْمِهِ .

---

(١) أبو سفيان وهو صخر بن حرب الأموي القرشي الكناني ، سيد قبائل قريش وكنانة وأحد أشراف العرب وساداتهم في الجاهلية وصدر الإسلام ولد في مكة قبل عام الفيل بعشر سنين ، وأسلم يوم فتح مكة .

(٢) أفلاطون ويعني اسمه : فيلسوف يوناني كلاسيكي ، رياضياتي ، كاتب عدد من الحوارات الفلسفية ، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي ، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو ، وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم ، كان تلميذاً لسقراط ، وتأثر بأفكاره كما تأثر بإعدامه الظالم . ظهر نبوغ أفلاطون وأسلوبه ككاتب واضح في محاوراته =

قَالَ أفلاطون وَقد كَانَ مارينون ملك اليونانيين الَّذي يذكرهُ أوميرس الشَّاعِر باسمه وجبروته وَمَا تهَيَّأ لليونانيين فِي سُلْطَانه رمي بشدائد فِي زَمَانه وخوارج فِي سُلْطَانه فَفَزِعَ إِلَى فلاسفة عصره .

فتأملوا مصَادر أُمُوره ومواردها وَقَالُوا لَهُ قد تأملنا أَمرك فَلم نجد فِيهِ من جهتك شَيْئا يَدْعُو إِلَى مَا لحقك وَإِنَّمَا يعلم الفيلسوف الإفراطات وَسُوء النظام الواقعين فِي الْجُزْء .

فَأَما مَا خرج عَنهُ فَلَيْسَ تبحث عَنهُ الفلسفة وَإِنَّمَا يُوقف عَلَيْهِ من جِهَة النُّبُوَّة .

وأشاروا عَلَيْهِ أَن يطْلب نَبِي عصره ليجتمع لَهُ مَعَ علمهمْ مَا يُنبئ بِهِ وَقَالُوا إِنَّه لَا يسكن فِي الْبلدَان العامرة وَإِنَّمَا يكون بَين أقاصي المقفرة بَين فُقَرَاء ذَلِك الْعَصْر فَسَأَلَهُمْ مَا يجب أَن يكون عَلَيْهِ رسله إِلَيْهِ وَمَا يكوت دَلِيلا لَهُم عَلَيْهِ فَقَالُوا أجعَل رسلك إِلَيْهِ من لانت سجيته وَظَهَرت قناعته وصدقت لهجته وَكَانَ رُجُوعه إِلَى الْحق أحب من ظفره بِهِ فَإِن بَين من استولى عَلَيْهِ هَذَا الْوَصْف وَبَينه وصلَة تدلهم عَلَيْهِ .

وَتقدم إِلَيْهِم فِي الْمَسْأَلَة عَنهُ عِنْد مسْقط رَأسه ومنشئه وَسيرَته فِي هَذِه الْمَوَاضِع فَإِنَّك تَجدهُ زاهدا فِي النَّعيم رَاغِبًا فِي الصدْق مؤثرا للخلوة بَعيدا من الْحِيلَة غير حظي من الْمُلُوك .

ينسبونه إِلَى تجَاوز حَده وَالْخُرُوج عَمَّا جرى عَلَيْهِ أهل طبقته .

تتأمل فِيهِ الْخَوْف وتخال فِيهِ الْغَفْلَة .

إِذا تكلم فِي الْأَمر توهمت أَنه عَالم بأصوله وَلَيْسَ يعرف مَا يترقى إِلَيْهِ بِهِ وَإِذا سُئِلَ عَمَّا يصدر عَنهُ ذكر أَنه يلقى على لِسَانه وَفِي خاطره فِي الْيَقَظَة وَبَين النّوم واليقظة مَا لم ير فِيهِ .

وَإِذا سُئِلَ عَن شَيْء رَأَيْته كَأَنَّهُ يَقْتَضِي الْجَواب من غَيره وَلَا يفكر فِيهِ تفكير الْقَادِر عَلَيْهِ والمستنبط لَهُ .

وَإِذا وجدوه فسيجمع لَهُم إِلَى مَا تقرر من وَصفه أَعَاجِيب تظهر على لِسَانه وَيَده .

فَجمع سَبْعَة نفر وأضاف إِلَيْهِم أمثل من وجد من الفلاسفة فَخَرجُوا يلتمسونه .

فوجدوه على مَسَافَة خَمْسَة أَيَّام من مُسْتَقر مارينوس فِي قَرْيَة قد خرج أَكثر أَهلهَا عَنْهَا وَسَكنُوا قَرِيبا من مَدِينَة مارينوس لما آثروه من لين جواره وَكَثْرَة الِانْتِفَاع بِهِ .

= السقراطية (نحو ثلاثين محاورة) التي تتناول مواضيع فلسفية مختلفة : نظرية المعرفة ، المنطق ، اللغة ، الرياضيات ، الميتافيزيقا ، الأخلاق والسياسة .

وَلم يبْق فِيهَا إِلاَّ نفر من الزهاد قد قعدوا عَن الاِكْتِسَاب ومشايخ وزمني خَلفهم الْجهد .

وَهُوَ بَينهم فِي منزل شعث وحول الْمنزل جمَاعَة من هَؤُلاَءِ الْقَوْم قد شغفهم جواره وألهاهم عَن الحظوظ الَّتِي وصل إِلَيْهَا غَيرهم .

فَتَلقاهُمْ أهل الْقرْيَة بالترحيب .

وسألوهم عَن سَبَب دُخُولهمْ قريتهم الشعثة الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَا يحبس أمثالهم عَلَيْهِ فَقَالُوا رغبنا فِي لِقَاء هَذَا الرجل ومشاركتكم فِي فَوَائده .

وسألوهم عَن وَقت خلوته فَقَالُوا مَا لَهُ شَيْء يشْغلهُ عَنْكُم .

فدخلو إِلَيْه فوجدوه مختبيا بَين جمَاعَة قد غضوا أَبْصَارهم من هيبته .

فَلَمَّا رَآهُ السَّبْعَة نفر سبقتهم الْعبْرَة وغمرتهم الهيبة وَمَعَهُمْ الفيلسوف مُمْسك لنَفسه ومتهم لحسه يُريد أَن يستبرئ أمره .

فَسَلمُوا عَلَيْهِ فَرد عَلَيْهِم السَّلَام ردا ضَعِيفا وَهُوَ كالناعس المتحير .

ثمَّ زَاد نعاسه حَتَّى كَادَت حبوته أَن تنْحَل فَلَمَّا تبين من حوله مَا تغشاه غضوا أَبْصَارهم ووقفوا وقُوف الْمُصَلِّي فَقَالَ يَا رسل الخاطئ الَّذِي ملك جُزْءا من عالمي فَنظر إِلَى صَلاحه فِي سوق الْخيرَات الجسدية إِلَيْه فأفسده بِمَا غمره مِنْهَا .

وَكَانَ سَبيله سَبِيل من وكل بجُزْء من بُسْتَان كثير الزهر وَالثِّمَار فصرف إِلَيْه أَكثر من حِصَّته من مَاء ذَلِك الْبُسْتَان وَظن أَنه أصلح لَهُ فَكَانَ مَا زَاده مِنْهُ على صِحَّته نَاقِصا من طعوم ثماره وروائح أزهاره وسببا لجفاف أَشجَار جُزْء جُزْء مِنْهُ وتصويح نبته .

فَلَمَّا سمع السَّبْعَة نفر هَذَا لم يملكُوا أنفسهم حَتَّى قَامُوا مَعَ أُولَئِكَ فوقفوا وقُوف الْمُصَلِّين .

قَالَ الفيلسوف فَبَقيت جَالسا خَارِجا عَن جُمْلَتهمْ لاستبرئ أمره وأتقصى عجائبه فصاح بِي أَيهَا الْحسن الظَّن بِنَفسِهِ الَّذِي كَانَ أَقْصَى مَا لحقه أَن سلك بفكره بَين المحسوسات الْجُزْئِيَّة والمعقولات الْكُلية واستخلص مِنْهَا علما وقف بِهِ على طبائع المحسوسات وَمَا قرب مِنْهَا فَظن أَنه يبلغ بِهِ كل عِلّة ومعلول .

أَنَّك لاَ تصل إِلَيّ بِهَذِهِ الطَّرِيق لَكِن بِمن جعلته بيني وَبَين خلقي ونصبته للدلالة على إرادتي .

فأصرف أَكثر عنايتك إِلَى الاسْتدْلَال عَلَيْه .

فَإِذا أصبته فاردد إِلَيْهِ مَا فضل عَن معرفتك فقد حَملته من جودي مَا فرقت بِهِ

بَينه وَبَين غَيره وَجَعَلته سمة لَهُ يستعرضها إفهام المخلصين للحق .

ثمَّ تماسك وَقوي طرفه فَرجع من حوله إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ وَخرجت من عِنْده .

فَلَمَّا كَانَ العشية عدت إِلَيْهِ فَسَمعته يُخَاطب أَصْحَابه والسبعة نفر بِشَيْء من كَلَام الزهاد ينهاهم فِيهِ عَن طَاعَة الْجَسَد .

فَلَمَّا انْقَضى كَلَامه قلت لَهُ قد سَمِعت مَا سلف لَك فِي صدر هَذَا الْيَوْم وَأَنا أَسأَلك زِيَادَتي مِنْهُ .

فَقَالَ كلما سمعته فَإِنَّمَا هُوَ شَيْء صور فِي نَفسِي وأنطق بِهِ لساني وَلَيْسَ لي فِيهِ إِلاَّ التَّبْلِيغ .

وَإِن كَانَ مِنْهُ شَيْء ستقف عَلَيْهِ .

فأقمت عِنْده ثَلَاثَة أَيَّام أدبر السَّبْعَة نفر على الرُّجُوع إِلَى أوطانهم فيأبون ذَلِك عَليّ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْم الرَّابِع دخلت عَلَيْهِ فَمَا تمكنت من مَجْلِسه حَتَّى تغشاه مَا كَانَ غشيه فِي الْيَوْم الَّذِي دَخَلنَا عَلَيْهِ .

ثمَّ قَالَ يَا رَسُول الخاطئ المستبطئ نَفسه فِي الرُّجُوع لَهُ .

ارْجع إِلَى بلدك فَإنَّك لاَ تلْحق صَاحبك وَإِنِّي أنسخه بِمن يعدل ميل الْجُزْء الَّذِي فِي يَده فَخرجت من عِنْده فلحقت بلدي وَقد قضى نحبه .

وَتَوَلَّى الْأَمر كهل من أهل بَيت مارينوس فَرد الْمَظَالِم وخلص الْأَرْوَاح مِمَّا غشيها من لبوسات الترفه والبطالة .

أَقُول وَلما كَانَ يَوْم بدر والتقى فِيهِ الْمُسلمُونَ ومشركو قُرَيْش كَانَ الْمُقدم على الْمُشْركين أَبُو سُفْيَان وعدتهم مَا بَين التسْعمائَة وَالْألف والمسلمون يَوْمئِذٍ ثلاثمائة وَثَلَاثَة عشر .

وأيد الله الْإِسْلَام وَنصر نبيه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَوَقعت الكسرة على الْمُشْركين .

وَقتلت فِي جُمْلَتهمْ صَنَادِيد قُرَيْش وَأسر جمَاعَة من الْمُشْركين .

فبعضهم استفكوا أنفسهم وَبَعْضهمْ أَمر النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بقَتْلِهِم .

وَكَانَ من جملَة المأسورين عقبَة بن أبي معيط[1] وَالنضْر بن الْحَرْث بن كلدة

(١) عقبة بن أبي معيط من كبار مشركي قريش كان يضع الجزور بطريق الرسول محمد بن عبد الله ، وحاول مرة خنقه بيده .

فَقَتَلَهُمَا عَلَيْه السَّلاَم بعد مُنْصَرفه من بدر .

حَدث شمس الدّين أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن الْحسن بن مُحَمَّد الْكَاتِب الْبَغْدَادِيّ ابْن الْكَرِيم قَالَ حَدثنَا أَبُو غَالب مُحَمَّد بن الْمُبَارك بن مُحَمَّد بن الميمون عَن أبي الْحسن عَليّ بن أَحْمد بن الْحُسَيْن بن محموية الشَّافِعِي اليزدي عَن أبي سعد أَحْمد بن عبد الْجَبَّار بن أَحْمد بن أبي الْقَاسِم الصَّيْرَفِي الْبَغْدَادِيّ عَن أبي غَالب مُحَمَّد بن أَحْمد ابْن سهل بن بَشرَان النَّحْوِيّ الوَاسِطِيّ عَن أبي الْحُسَيْن عَليّ بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحِيم بن دِينَار الْكَاتِب عَن أبي الْفرج عَليّ بن الْحُسَيْن بن مُحَمَّد الْكَاتِب الْأَصْبَهَانِيّ قَالَ حَدثنَا مُحَمَّد بن جرير الطَّبَرِيّ قَالَ حَدثنَا ابْن حميد قَالَ حَدثنَا مسلمة عَن مُحَمَّد بن إِسْحَق قَالَ حَدثنِي عَاصِم بن عمر بن قَتَادَة وَيزِيد بن رُومَان أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْه وَسلم قتل يَوْم بدر عقبَة بن أبي معيط صبرا أما عَاصِم بن ثَابت بن أبي الْأَفْلَح الْأنْصَارِيّ فَضرب عُنُقه .

ثمَّ أقبل من بدر حَتَّى إِذا كُنَّا بالصفراء قتل النَّضر بن الْحَرْث بن كلدة الثَّقَفِيّ أحد بني عبد الدَّار فقد أَمر عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ أَن يضْرب عُنُقه .

فَقَالَت فَتيلَة بنت الْحَرْث ترثيه :

(يَا رَاكِبًا إِن الأثيل مَظَنَّة ... من صبح خَامِسَة وَأَنت موفق)
(بلغ بِهِ مَيتا فَإِن تَحِيَّة ... مَا أَن تزَال بهَا الركائب تخنق)
(مني إِلَيْهِ وعبرة مسفوحة ... جَادَتْ بدرتها وَأُخْرَى يخنق)
(فليسمعن النَّضر أَن ناديته ... إِن كَانَ يسمع ميت أَو ينْطق)
(ظلت سيوف بني أَبِيه تنوشه ... لله أَرْحَام هُنَاكَ تمزق)
(صبرا يُقَاد إِلَى الْمنية متعبا ... رسف الْمُقَيد وَهُوَ عان موثق)
(أمحمد ولأنت نسل نجيبة ... فِي قَومهَا والفحل فَحل معرق)
(مَا كَانَ ضرك لَو مننت وَرُبمَا ... من الْفَتى وَهُوَ المغيظ المحنق)
(وَالنضْر أقرب من أخذت بزلة ... وأحقهم إِن كَانَ عتق يعْتق)
(لَو كنت قَابل فديَة لفديته ... بِأَعَز مَا يفْدي بِهِ من ينْفق)

الْكَامِل

قَالَ أَبُو الْفرج الْأَصْبَهَانِيّ فَبَلغنَا أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ (لَو سَمِعت هَذَا قبل أَن أَقتلهُ مَا قتلته) .

فَيُقَال أَن شعرهَا أكْرم شعر موتورة وأعفه وأكفه وأحلمه .

أَقُول كَأَنَّهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِنَّمَا أخر قتل النَّضر بن الْحَرْث إِلَى أَن وصل الصَّفْرَاء ليتروى فِيه .

ثمَّ أَنه رأى الصَّوَاب قَتله فَأمر بقتْله .

ويروى أَيْضا فِي قَوْلهَا وَالنضْر أقرب من قتلت قرَابَة تُشِير إِلَى أَنه قرَابَة النَّبِي صلى الله عَلَيْه وَسلم .

وَكَانَت وقْعَة بدر فِي السّنة الثَّانِيَة من الْهِجْرَة .

وَبدر مَوضِع وَهُوَ اسْم مَاء .

قَالَ الشّعبِيّ بدر بِئْر كَانَت لرجل يدعى بَدْرًا وَمِنْه يَوْم بدر .

والصفراء من بدر على سَبْعَة عشر ميلاً وَمن الْمَدِينَة على ثَلَاث لَيَال قواصد .

ابْن أبي رمثة التَّمِيمِي

كَانَ طَبِيبا على عهد رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مزاولا لأعمال الْيَد وصناعة الْجراح .

وروى نعيم عَن ابْن أبي عُيَيْنَة عَن ابْن أبجر عَن زِيَاد عَن لَقِيط عَن ابْن أبي رمثة قَالَ أتيت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَرَأَيْت بَين كَتفيهِ الْخَاتم فَقلت إِنِّي طَبِيب فَدَعْنِي أعَالجهُ فَقَالَ أَنْت رَفِيق والطبيب الله .

قَالَ سُلَيْمَان بن حسان علم رَسُول الله أَنه رَفِيق الْيَد وَلم يكن فائقا فِي الْعلم فَبَان ذَلِك من قَوْله والطبيب الله .

عبد الْملك بن أبجر الْكِنَانِي

كَانَ طَبِيبا عَالما ماهرا .

وَكَانَ فِي أول أمره مُقيما فِي الْإسْكَنْدَرِيَّة لِأَنَّهُ كَانَ الْمُتَوَلِي فِي التدريس بهَا من بعد الإسكندرانيين الَّذين تقدم ذكرهم .

وَذَلِكَ عِنْدَمَا كَانَت الْبِلَاد فِي ذَلِك الْوَقْت لملوك النَّصَارَى .

ثمَّ أَن الْمُسلمين لما استولوا على الْبِلَاد وملكوا الْإسْكَنْدَرِيَّة أسلم ابْن أبجر على يَد عمر بن عبد الْعَزِيز وَكَانَ حِينَئِذ أَمِيرا قبل أَن تصل إِلَيْه الْخلَافَة وَصَحبه .

فَلَمَّا أفضت الْخلَافَة إِلَى عمر وَذَلِكَ فِي صفر سنة تسع وَتِسْعين لِلْهِجْرَةِ نقل

التدريس إِلَى أنطاكية وحران وتفرق فِي الْبِلاَد .
وَكَانَ عمر بن عبد الْعَزِيز يستطب ابْن أبجر ويعتمد عَلَيْهِ فِي صناعَة الطِّبّ .
روى الأَعْمَش عَن ابْن أبجر أَنه قَالَ دع الدَّوَاء مَا احْتمل بدنك الدَّاء .
وَهَذَا من قَول النَّبِي صلى الله عَلَيْه وَسلم (سر بدائك مَا حملك) .
وروى سُفْيَان عَن أبن أبجر أَنه قَالَ الْمعدة حَوْض الْجَسَد وَالْعُرُوق تشرع فِيه فَمَا ورد فِيهَا بِصِحَّة صدر بِصِحَّة وَمَا ورد فِيهَا بسقم صدر بسقم .

ابْن أثَال

كَانَ طَبِيبا مُتَقَدما من الأَطبَّاء المتميزين فِي دمشق نَصْرَانِيّ الْمَذْهَب .
وَلما ملك مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان[1] دمشق اصطفاه لنَفسِهِ وَأحسن إِلَيْهِ وَكَانَ كثير الافتقاد لَهُ والاعتقاد فيه والمحادثة مَعَه لَيْلاً وَنَهَارًا .
وَكَانَ ابْن أَثَال خَبِيرا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها وَمَا مِنْهَا سموم قواتل وَكَانَ مُعَاوِيَة يقربهُ لذَلِك كثيرا .
وَمَات فِي أَيَّام مُعَاوِيَة جمَاعَة كَثِيرَة من أكَابِر النَّاس والأمراء من الْمُسلمين بالسم .
وَمن ذَلِك حَدث أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن الْحسن بن مُحَمَّد الْكَاتِب الْبَغْدَادِيّ ابْن الْكَرِيم قَالَ حَدثنَا أَبُو غَالب مُحَمَّد بن الْمُبَارك بن مُحَمَّد بن مَيْمُون عَن أبي الْحسن عَليّ بن أَحْمد بن الْحُسَيْن بن محموية الشَّافِعِي اليزدي عَن أبي سعد أَحْمد بن عبد الْجَبَّار بن أَحْمد بن أبي الْقَاسِم الصَّيْرَفِي الْبَغْدَادِيّ عَن أبي غَالب مُحَمَّد بن أَحْمد بن سهل بن بَشرَان النَّحْوِيّ الوَاسِطِيّ عَن أبي الْحُسَيْن عَليّ بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحِيم بن دِينَار الْكَاتِب عَن أبي الْفَرج عَليّ بن الْحُسَيْن الأَصْبَهَانِيّ الْكَاتِب قَالَ فِي كتَابه الْمَعْرُوف بالأغاني الْكَبِير أَخْبرنِي عمي قَالَ حَدثنَا أَحْمد بن الْحَرْث الخزاز قَالَ حَدثنَا الْمَدَائِنِي عَن شيخ أهل الْحجاز عَن زيد بن رَافع مولى الْمُهَاجِرين خَالِد بن الْوَلِيد عَن أبي ذِئْب عَن أبي سُهَيْل أَن مُعَاوِيَة لما أَرَادَ أَن يظْهر العقد ليزِيد قَالَ لأهل الشَّام إِن أَمِير الْمُؤمنِينَ قد كبرت سنه ورق جلده ودق عظمه واقترب أَجله يُرِيد أَن يسْتَخْلف

(١) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، من أصحاب الرسول محمد وأحد كتّاب الوحي . سادس الخلفاء في الإسلام ومؤسس الدولة الأموية في الشام وأوّل خلفائها .

عَلَيْكُم فَمن ترَوْنَ فَقَالُوا عبد الرَّحْمَن بن خَالِد بن الْوَلِيد .

فَسكت وأضمرها .

ودس ابْن أَثَال النَّصْرَانِي الطَّبِيب إِلَيْه فَسَقَاهُ سما فَمَاتَ وَبلغ ابْن أَخِيه خَالِد بن الْمُهَاجِر ابْن خَالِد بن الْوَلِيد خَبره وَهُوَ بِمَكَّة وَكَانَ أَسْوَأ النَّاس رَأيا فِي عَمه لأَن أَبَاهُ الْمُهَاجِر كَانَ مَعَ عَلِيّ رَضِي الله عَنهُ بصفين وَكَانَ عبد الرَّحْمَن بن خَالِد مَعَ مُعَاوِيَة .

وَكَانَ خَالِد بن الْمُهَاجِر على رَأْي أَبِيه هاشمي الْمَذْهَب .

فَلَمَّا قتل عَمه عبد الرَّحْمَن مر بِه عُرْوَة بن الزبير فَقَالَ لَهُ يَا خَالِد أتدع لابْن أَثَال نقى أوصال عمك بالشَّام وَأَنت بِمَكَّة مسبل إزارك تجره وتخطر فِيه متخائلا فحمي خَالِد ودعى مولى لَهُ يُقَال لَهُ نَافِع فَأعلمهُ الْخَبَر وَقَالَ لَهُ لاَ بُد من قتل ابْن أَثَال .

وَكَانَ نَافِع جلدا شهما فَخرَجَا حَتَّى قدما دمشق وَكَانَ ابْن أَثَال يتمسى عنْد مُعَاوِيَة فَجَلَسَ لَهُ فِي مَسْجِد دمشق إِلَى اسطوانة وَجلسَ غُلاَمه إِلَى أُخْرَى حَتَّى خرج .

فَقَالَ خَالِد لنافع إياك أَن تعرض لَهُ أَنْت فَإِنِّي أضربه .

وَلَكِن احفظ ظَهْري واكفني من ورائي .

فَإِن رَأَيْت شَيْئا يُرِيدنِي من ورائي فشأنك .

فَلَمَّا حاذاه وثب إِلَيْه فقتله .

وثار إِلَيْهِ من كَانَ مَعَه فصاح بهم نَافِع فانفرجوا .

وَمضى خَالِد وَنَافِع وتبعهما من كَانَ مَعَه فَلَمَّا غشوهما حملا عَلَيْهِم فَتَفَرَّقُوا حَتَّى دخل خَالِد وَنَافِع زقاقا ضيقا ففاتا النَّاس .

وَبلغ مُعَاوِيَة الْخَبَر فَقَالَ هَذَا خَالِد بن الْمُهَاجِر انْظُرُوا الزقاق الَّذِي دخل فِيه .

ففتش عَلَيْه وَأتي بِهِ فَقَالَ لَهُ لاَ جَزَاك الله من زائر خيرا قتلت طبيبي فَقَالَ قتلت الْمَأْمُور وَبَقِي الآمر .

فَقَالَ لَهُ عَلَيْك لعنة الله أما وَالله لَو كَانَ تشهد مرّة وَاحِدَة لقتلتك بِهِ .

أَمَعَك نَافِع قَالَ لاَ قَالَ بلَى وَالله وَمَا اجترأت إِلاَّ بِه .

ثمَّ أَمر بِطَلَبه فَوجدَ فَأتي بِه فَضرب مائَة سَوط وَلم ينح خَالدا بِشَيْء أَكثر من أَن حَبسه وألزم بني مَخْزُوم دِيَة ابْن أَثَال اثْنَي عشر ألف دِرْهَم أدخل بَيت المَال مِنْهَا سِتَّة آلاَف وَأخذ سِتَّة آلاَف فَلم يزل ذَلِك يجْرِي فِي دِيَة الْمعَاهد حَتَّى ولي عمر بن عبد الْعَزِيز فَأبْطل الَّذِي يَأْخُذهُ السُّلْطَان لنَفسِهِ وَأثبت الَّذِي يدْخل بَيت المَال .

قَالَ لما حبس مُعَاوِيَة خَالِد بن الْمُهَاجر قَالَ فِي السجْن :

(إِمَّا خطاي تقاربت مشي الْمُقيد فِي الْحصار)
(فِيمَا أَمْشِي فِي الأباطح يقتفي أثري إزَارِي)
(دع ذَا وَلَكِن هَل ترى نَارا تشب بِذِي مرار)
(مَا أَن تشب لقرة بالمصطلين وَلاَ قتار)
(مَا بَال ليلك لَيْسَ ينقص طولهَا طول النَّهَار)
(أتقاصر الأَزْمَان أم غَرَض الأَسير من الإِسار)

الْكَامِل

قَالَ فبلغت أبياته مُعَاوِيَة فَأَطْلقهُ فَرجع إِلَى مَكَّة .

فَلَمَّا قدمهَا لَقِي عُرْوَة بن الزبير فَقَالَ لَهُ أما ابْن أَثَال فقد قتلته .

وهذاك ابْن جرموز نقى أوصال الزبير بِالْبَصْرَةِ فاقتله إِن كنت ثائرا .

فَشَكَاهُ عُرْوَة إِلَى أبي بكر بن عبد الرَّحْمَن بن الْحَرْث بن هِشَام فأقسم عَلَيْهِ أَن يمسك عَنهُ فَفعل .

أَقُول كَانَ الزبير بن الْعَوام مَعَ عَائِشَة يَوْم الْجمل فَقتله ابْن جرموز وَلذَلِك قَالَ خَالِد بن الْمُهَاجر لعروة بن الزبير عَن قتل ابْن جرموز لأَبِيهِ يعيره بذلك .

وَمِمَّا يُحَقّق هَذَا أَن عَاتِكَة بنت زيد بن عَمْرو بن نفَيْل زَوْجَة الزبير بن الْعَوام قَالَت ترثيه لما قَتله ابْن جرموز :

(غدر ابْن جرموز بِفَارِس بهمة يَوْم اللِّقَاء وَكَانَ غير معرد)
(يَا عَمْرو لَو نبهته لوجدته لاَ طائشا رعش الْجنان وَلاَ الْيَد)
(الله رَبك إِن قتلت لمسلما وَجَبت عَلَيْك عُقُوبَة الْمُتَعَمد)
(إِن الزبير لذُو بلاَء صَادِق سمح سجيته كريم الْمشْهد)
(كم غمرة قد خاضها لم يثنه عَنْهَا طرادك يَا ابْن فقع القردد)
(فَاذْهَبْ فَمَا ظَفرت يداك بِمثلِهِ فِيمَا مضى مِمَّا يروح وَيَغْتَدِي)

الْكَامِل

وَقَالَ أَبُو عبيد الْقَاسِم بن سَلام الْبَغْدَادِيّ فِي كتاب الأَمْثَال إِن مُعَاوِيَة ابْن أبي سُفْيَان كَانَ خَافَ أَن يمِيل النَّاس إِلَى عبد الرَّحْمَن بن خَالِد بن الْوَلِيد فاشتكى عبد الرَّحْمَن فَسَقَاهُ الطَّبِيب شربة عسل فِيهَا سم فَأَحْرَقتهُ .

فَعِنْدَ ذَلِك قَالَ مُعَاوِيَة لاَ جد إِلاَّ مَا اقعص عَنْك من تكره .

قَالَ وَقَالَ مُعَاوِيَة أَيْضا حِين بلغه أَن الأشتر[١] سقِي شربة عسل فِيهَا سم فَمَاتَ إِن لله جُنُودا مِنْهَا الْعَسَل .

ونقلت من تَارِيخ أبي عبد الله مُحَمَّد بن عمر الْوَاقِدِيّ قَالَ لما كَانَ فِي سنة ثَمَان وَثَلَاثِينَ بعث عَليّ ابْن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ الأشتر واليا على مصر بعد قتل مُحَمَّد بن أبي بكر وَبلغ مُعَاوِيَة مسيره فَدس إِلَى دهقان بالعريش فَقَالَ أَن قتلت الأشتر فلك خراجك عشْرين سنة فلطف لَهُ الدهْقَان فَسَأَلَ أَي الشَّرَاب أحب إِلَيْهِ فَقيل الْعَسَل .

فَقَالَ عِنْدِي عسل من عسل برقة فسمه وَأَتَاهُ بِه فشربه فَمَاتَ .

وَفِي تَارِيخ الطَّبَرِيّ أَن الْحسن بن عَليّ رَضِي الله[٢] عَنْهُمَا مَاتَ مسموما فِي أَيَّام مُعَاوِيَة وَكَانَ عِنْد مُعَاوِيَة كَمَا قيل دهاء فَدس إِلَى جعدة بنت الْأَشْعَث بن قيس وَكَانَت زَوْجَة الْحسن رَضِي الله عَنهُ شربة وَقَالَ لَهَا إِن قتلت الْحسن زَوجتك بيَزِيد .

فَلَمَّا توفّي الْحسن بعثت إِلَى مُعَاوِيَة تطلب قَوْله فَقَالَ لَهَا فِي الْجَواب أَنا أضن بيَزِيد .

وَقَالَ كثير يرثي الْحسن رَضِي الله عَنهُ :

يَا جعد أبكيه وَلَا تسأمي	بكاء حق لَيْسَ بِالْبَاطِلِ
أَن تستري الْمَيِّت على مثله	فِي النَّاس من حاف وَمن ناعل السَّرِيع

وَقَالَ عوَانَة بن الحكم لما كَانَ قبل موت الْحسن بن عَليّ عَلَيْهِمَا السَّلَام كتب مُعَاوِيَة إِلَى مَرْوَان ابْن الحكم عَامله على الْمَدِينَة إِن أقبل الْمطِي فِيمَا بيني وَبَيْنك بِخَبَر الْحسن بن عَليّ .

قَالَ فَلم يلبث إِلَّا يَسِيرا حَتَّى كتب مَرْوَان بِمَوْتِهِ .

---

(١) مالك بن الحارث الأشتر النخعي زعيم قبيلة وقائد عسكري شارك في فُتوح الشام وكان من أصحاب علي بن أبي طالب حيث شهد معه الجَمَل وصفين اللتان أبدى فيهما شجاعة مفرطة وشهد مع علي مشاهده كلها ، وولاه علي على مصر .

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، سبط نبي الإسلام محمد وحفيده وثاني الأئمة عند الشيعة ، أطلق عليه النبي محمد لقب سيد شباب أهل الجنة ، كنيته أبو محمد ، ولد في النصف من شهر رمضان عام ٣ هـ وتوفي سنة ٥٠ هـ ودفن في البقيع .

وَكَانَ ابْن عَبَّاس إِذا دخل على مُعَاوِيَة أجلسه مَعَه على سَرِيره فَأذن مُعَاوِيَة للنَّاس فَأخذُوا مجَالسهمْ وَجَاء ابْن عَبَّاس فَلم يمهله مُعَاوِيَة أَن يسلم حَتَّى قَالَ يَا ابْن عَبَّاس هَل أَتَاك موت الْحسن بن عَليّ قَالَ لاَ قَالَ مُعَاوِيَة فَإِنَّهُ قد أَتَانَا مَوته .

فَاسْتَرْجع ابْن عَبَّاس وَقَالَ إِن مَوته يَا مُعَاوِيَة لاَ يزِيد فِي عمرك وَلاَ يدْخل عمله مَعَك فِي قبرك .

وَقد بلينا بأعظم فَقدنَا مِنْهُ جده مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فجبر الله مصابنا وَلم يُهْلكنَا بعده .

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة اقعد يَا ابْن عَبَّاس فَقَالَ مَا هَذَا بِيَوْم قعُود .

وَأظْهر مُعَاوِيَة الشماتة بِمَوْت الْحسن رَضِي الله عَنهُ فَقَالَ قثم ابْن عَبَّاس فِي ذَلِك :

(أصبح الْيَوْم ابْن هِنْد شامتا ... ظَاهر النخوة أَن مَاتَ حسن)

(رَحْمَة الله عَلَيْهِ أَنه ... طَال مَا أشجى ابْن هِنْد وَأذن)

(وَلَقَد كَانَ عَلَيْهِ عمره ... عدل رضوى وثبير وحضن)

(وَإِذا أقبل حَيا رَافعا ... صَوته والصدر يغلي بالإحن)

(فارتع الْيَوْم ابْن هِنْد آمنا ... إِنَّمَا يغمص بالعير السّمن)

(وَاتَّقِ الله وأحدث تَوْبَة ... إِن مَا كَانَ كشيء لم يكن)

الرمل

أَبُو الحكم

كَانَ طَبِيبا نَصْرَانِيّا عَالما بأنواع العلاج والأدوية وَله أَعمال مَذْكُورَة وصفات مَشْهُورَة .

وَكَانَ يستطبه مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان ويعتمد عَلَيْهِ فِي تركيبات أدوية لأغراض قَصدهَا مِنْهُ .

وَعمر أَبُو الحكم هَذَا عمرا طَويلا حَتَّى تجَاوز الْمِائَة سنة .

حدث أَبُو جَعْفَر أَحْمد بن يُوسُف بن إِبْرَاهِيم قَالَ حَدثنِي أبي قَالَ حَدثنِي عِيسَى بن حكم الدِّمَشْقِي المتطبب قَالَ حَدثنِي أبي عَن أَبِيه قَالَ ولي الْمَوْسِم فِي أَيَّام مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان يزِيد بن مُعَاوِيَة .

فوجهني أَبوهُ مَعَه متطببا لَهُ .

وَخرجت مَعَ عبد الصَّمد بن عَليّ بن عبد الله بن الْعَبَّاس إِلَى مَكَّة متطببا لَهُ .

وقعدد عبد الصَّمد مثل قعدد يزيد .

وَبَين وفاتهما مائَة ونيف وَعشْرُونَ سنة .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم حَدثنِي عِيسَى بن حكم عَن أَبِيه أَن جده أعلمهُ أَنه كَانَ حمى عبد الْملك ابْن مَرْوَان من شرب المَاء فِي علته الَّتِي توفّي فِيهَا .

واعلمه أَنه مَتى شرب المَاء قبل نضج علته توفّي .

قَالَ فاحتمى عَن المَاء يَوْمَيْنِ وَبَعض الثَّالِث .

قَالَ فَإِنِّي عِنْده لجالس وَعِنْدَه بَنَاته إِذْ دخل عَلَيْهِ الْوَلِيد ابْنه فَسَأَلَهُ عَن حَاله وَهُوَ يتَبَيَّن فِي وَجه الْوَلِيد السرُور بِمَوْتِه فَأَجَابَهُ بِأَن قَالَ :

(ومستخبر عَنَّا يُرِيد بِنَا الردى ... ومستخبرات والدموع سواجم)

الطَّوِيل

وَكَانَ استفتاحه النّصْف الأول وَهُوَ مواجه للوليد ثمَّ واجه الْبَنَات عِنْد قَوْله النّصْف الثَّانِي ثمَّ دَعَا بِالْمَاءِ فشربه فَقضى من سَاعَته

حكم الدِّمَشْقِي

كَانَ يلْحق بِأَبِيهِ فِي مَعْرفَته بالمداواة والأعمال الطبية وَالصِّفَات البديعة

وَكَانَ مُقيما بِدِمَشْق .

وَعمر أَيْضا عمرا طَويلا .

قَالَ أَبُو يُوسُف بن إِبْرَاهِيم حَدثنِي عِيسَى بن حكم أَن وَالِده توفّي وَكَانَ عبد الله بن طَاهِر بِدِمَشْق فِي سنة عشر وَمِائَتَيْنِ وَأَن عبد الله سَأَلَهُ عَن مبلغ عمر أَبِيه فَأعلمهُ أَنه عمره مائَة وَخمْس سِنِين لم يتَغَيَّر عقله وَلم ينقص علمه .

فَقَالَ عبد الله عَاشَ حكم نصف التَّارِيخ .

قَالَ يُوسُف وحَدثنِي عِيسَى أَنه ركب مَعَ أَبِيه حكم بِمَدِينَة دمشق إِذْ اجتازوا بحانوت حجام قد وقف عَلَيْهِ بشر كثير فَلَمَّا بصر بِنَا بعض الْوُقُوف قَالَ أفرجوا هَذَا حكم المتطبب وَعِيسَى ابْنه .

فأفرج الْقَوْم فَإِذا رجل قد فصده الْحجام فِي الْعرق الباسليق وَقد فصده فصدا وَاسِعًا وَكَانَ الباسليق على الشريان فَلم يحسن الْحجام تَعْلِيق الْعرق فَأصَاب الشريان .

وَلم يكن عِنْد الْحجام حِيلَة فِي قطع الدَّم .

واستعملنا الْحِيلَة فِي قطعه بالرفائد ونسج العنكبوت والوبر فَلم يَنْقَطِع بذلك .
فَسَأَلَنِي وَالِدي عَن حِيلَة فأعلمته أَنه لَا حِيلَة عِنْدِي .
فَدَعَا بفستقة فَشَقَّهَا وَطرح مَا فِيهَا وَأخذ أحد نصفي القشر فَجعله على مَوضِع الفصد ثمَّ أَخذ حَاشِيَة من ثوب كتَّان غليظ فلف بهَا مَوضِع الفصد على قشر الفستقة لفا شَدِيدا حَتَّى كَانَ يستغيث المفتصد من شدته ثمَّ شدّ ذَلِك بعد اللف شدا شَدِيدا وَأمر بِحمْل الرجل إِلَى نهر بردى وَأدْخل يَده فِي المَاء ووطأ لَهُ على شاطئ النَّهر ونومه عَلَيْهِ وَأمر فحسى محات بيض نيمرشت ووكل به تلميذا من تلامذته وَأمره بِمَنْعه من إِخْرَاج يَده من مَوضِع الفصد من المَاء إِلاَّ عِنْد وَقت الصَّلاَة أَو يتخوف عَلَيْهِ الْمَوْت من شدَّة الْبرد .
فَإِن تخوف ذَلِك أذن لَهُ فِي إِخْرَاج يَده هنيهة ثمَّ أمره بردهَا فَفعل ذَلِك إِلَى اللَّيْل .
ثمَّ أَمر بِحمْلِهِ إِلَى منزله وَنَهَاهُ عَن تَغْطِيَة مَوضِع الفصد وَعَن حل الشد قبل استتمام خَمْسَة أَيَّام فَفعل ذَلِك .
إِلاَّ أَنه صَار إِلَيْهِ فِي الْيَوْم الثَّالِث وَقد ورم عضده وذراعه ورما شَدِيدا فَنَفْس من الشد شَيْئا يَسِيرا وَقَالَ للرجل الورم أسهل من الْمَوْت .
فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْم الْخَامِس حل الشداد فَوَجَدنَا قشر الفستقة ملتصقا بِلَحْم الرجل .
فَقَالَ وَالِدي للرجل بِهَذَا القشر نجوت من الْمَوْت فَإِن خلعت هَذَا القشر قبل انخلاعه وسقوطه من غير فعل مِنْك تلفت نَفسك .
قَالَ عِيسَى فَسقط القشر فِي الْيَوْم السَّابِع وَبَقِي فِي مَكَانَهُ دم يَابِس فِي خلقَة الفستقة .
فَنَهَاهُ وَالِدي عَن الْعَبَث به أَو حك مَا حوله أَو فت شَيْء من ذَلِك الدَّم .
فَلم يزل الدَّم يتحات حَتَّى انْكَشَفَ مَوضِع الفصد فِي أَكثر من أَرْبَعِينَ لَيْلَة وبرأ الرجل .

عِيسَى بن حكم الدِّمَشْقِي

وَهُوَ الْمَشْهُور بمسيح صَاحب الكناش الْكَبِير الَّذِي يعرف بِهِ وينسب إِلَيْهِ .
قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم حَدثنِي عِيسَى بن الحكم أَنه عرض لغضيض أم ولد

الرشيد قولنج فاحضرته وأحضرت الأُبَح والطبري الحاسبين وَسَأَلت عِيسَى عَمَّا يرى معالجتها بِهِ .

قَالَ عِيسَى فاعلمتها أَن القولنج قد استحكم بهَا استحكاما إِن لم تبادره بالحقنة لم يُؤمن عَلَيْهَا التّلف .

فَقَالَت للأبح والطبري اختارا لي وقتا أتعالج فِيهِ .

فَقَالَ لَهَا الأُبَح علتك هَذه لَيست من الْعِلَل الَّتِي يُمكن أَن يُؤخر لَهَا العلاج إِلَى وَقت يحمده المنجمون وَأَنا أرى أَن تبادري بالعلاج قبل أَن تعملي عملا وَكَذَلِكَ يرى عِيسَى بن حكم .

فسألتني فاعلمتها أَن الأُبَح قد صدقهَا .

فَسَأَلت الطَّبَرِيّ عَن رَأْيه فَقَالَ أَن الْقَمَر الْيَوْم مَعَ زحل وَهُوَ فِي غَد مَعَ الْمُشْتَرِي وَأَنا أرى لَك أَن تؤخري العلاج إِلَى مُقَارنَة الْقَمَر الْمُشْتَرِي .

فَقَالَ الأُبَح أَنا أَخَاف أَن يصير الْقَمَر مَعَ الْمُشْتَرِي وَقد عمل القولنج عملا لاَ يحْتَاج مَعَه إِلَى علاج .

فتطيرت من ذَلِك غضيض ولبنتها أم مُحَمَّد وأمرتا بِإِخْرَاجِهِ من الدَّار وَقبلت قَول الطَّبَرِيّ .

فَمَاتَتْ غضيض قبل موافات الْقَمَر الْمُشْتَرِي .

فَلَمَّا وافى الْقَمَر الْمُشْتَرِي قَالَ الأُبَح لأم مُحَمَّد هَذَا وَقت اخْتِيَار الطَّبَرِيّ للعلاج فَأَيْنَ العليل حَتَّى نعالجه فزادتها رسَالَته غيظا عَلَيْهِ وَلم تزل سَيِّئَة الرَّأْي فِيهِ حَتَّى توفيت قَالَ يُوسُف نزلت على عِيسَى بن حكم فِي منزله بِدِمَشْق سنة خمس وَعشْرين وَمِائَتَيْنِ وَبِي نزلة صعبة فَكَانَ يغذوني بأغذية طيبَة ويسقيني الثَّلج فَكنت أنكر ذَلِك واعلمه إِن تِلْكَ الأغذية مضرَّة بالنزلة .

فيعتل عَليّ بالهواء وَيَقُول أَنا أعلم بهواء بلدي مِنْك وَهَذِه الأَشْيَاء الْمضرَّة بالعراق نافعة بِدِمَشْق .

فَكنت اغتذي بِمَا يغذوني بِهِ .

فَلَمَّا خرجت عَن الْبَلَد خرج مشيعا لي حَتَّى صرنا إِلَى الْموضع الْمَعْرُوف بالرَّاهِب وَهُوَ الْموضع الَّذِي فارقني فِيهِ فَقَالَ لي قد أعددْت لَك طَعَاما يحمل مَعَك يُخَالف الأَطْعِمَة الَّتِي كنت تأكلها .

وَأَنا آمُرك أَن لاَ تشرب مَاء بَارِدًا وَلاَ تَأْكُل من مثل الأغذية الَّتِي كنت تأكلها فِي

منزلي شَيْئا .

فلمته على مَا كَانَ يغذوني بِهِ فَقَالَ إِنَّه لاَ يحسن بالعاقل أَن يلْزم قوانين الطِّبّ مَعَ ضَيفه فِي منزله .

قَالَ يُوسُف وتجاريت وَعِيسَى يَوْمًا بِدِمَشْق ذكر البصل فابترك فِي ذمه وَوصف معايبه .

وَكَانَ عِيسَى وسلمويه بن بَيَان يسلكان طَرِيق الرهبان وَلاَ يحمدان شَيْئا مِمَّا يزِيد فِي الباه ويذكران أَن ذَلِك مِمَّا يتْلف الأْبدَان وَيذْهب الأْنفس .

فَلم استنجد الاحْتِجَاج عَلَيْه بزِيَادَة البصل فِي الباه .

فَقلت لَهُ قد رَأَيْت لَهُ فِي سَفَرِي هَذَا أَعنِي فِيمَا بَين سر من رأى ودمشق مَنْفَعَة .

فَسَأَلَ عَنْهَا فاعلمته إِنِّي كنت أَذُوق المَاء فِي بعض المناهل فاصيبه مالحا فَآكل البصل النيء ثمَّ أعاود شرب المَاء فأجد ملوحته قد نقصت .

وَكَانَ عِيسَى قَلِيل الضحك فاستضحك من قولي ثمَّ رَجَعَ إِلَى إِظْهَار جرح مِنْهُ ثمَّ قَالَ يعز عَليّ أَن يغلط مثلك هَذَا الْغَلَط لأَنَّك صرت إِلَى أسمج نُكْتَة فِي البصل وأعيب عيب فِيهِ فجعلتها مدحا .

ثمَّ قَالَ لي أَلَيْسَ مَتى حدث فِي الدِّمَاغ فَسَاد فَسدتْ الْحَواس حَتَّى ينقص حس الشم والذوق والسمع وَالْبَصَر .

فأعلمته أَن الأْمر كَذَلِك .

فَقَالَ لي إِن خاصية البصل إِحْدَاث فَسَاد الدِّمَاغ فَإِنَّمَا قلل حسك بملوحة المَاء مَا أحدث البصل فِي دماغك من الْفساد .

قَالَ وَقَالَ لي عِيسَى وَقد شيعني إِلَى الراهب وَهُوَ أخر كَلاَم دَار بيني وَبَينه إِن وَالِدي توفّي وَهُوَ ابْن مائَة سنة وَخمْس سِنِين لم يتشنج لَهُ وَجه وَلم ينقص من مَاء وَجهه لأَشْيَاء كَانَ يَفْعَلهَا وَأَنا الآْن مزودكها فاعمل بهَا وَهِي أَن لاَ تذوق القديد وَلاَ تغسل يَدَيك ورجليك عِنْد خُرُوجك من الْحمام أبدا إِلاَّ بِمَاء بَارِد أبرد مَا يمكنك والزم ذَلِك فَإِنَّهُ ينفعك .

فلزمت مَا أَمرنِي بِهِ من هَذَا الْبَاب إِلاَّ إِنِّي رُبمَا مصصت الْقطعَة الصَّغِيرَة من القديد فِي السّنة وَفِي الأَْكْثَر من ذَلِك .

ولعيسى بن حكم من الْكتب كناش كتاب مَنَافِع الْحَيَوَان .

تياذوق

كَانَ طَبيبا فَاضلا وَله نَوَادِر وألفاظ مستحسنة فِي صناعَة الطِّبّ .

وَعمر وَكَانَ فِي أول دولة بني أُميَّة ومشهورا عِنْدهم بالطب .

وَصَحب أَيْضا الْحجَّاج بن يُوسُف الثَّقَفِيّ الْمُتَوَلِي من جِهَة عبد الْملك ابْن مَرْوَان وخدمه بصناعة الطِّبّ وَكَانَ يعْتَمد عَلَيْهِ ويثق بمداواته وَكَانَ لَهُ مِنْهُ الجامكية الوافرة والافتقاد الْكثير .

وَمن كَلَام تياذوق للحجاج[1] قَالَ :

لاَ تنْكح إِلاَّ شَابة وَلاَ تَأْكُل من اللَّحْم إِلاَّ فتيا وَلاَ تشرب الدَّوَاء إِلاَّ من عِلّة وَلاَ تَأْكُل الْفَاكِهَة إِلاَّ فِي أَوَان نضجها .

وَأَجد مضغ الطَّعَام وَإِذا أكلت نَهَارا فَلاَ بَأْس أَن تنام وَإِذا أكلت لَيْلاً فَلاَ تنم حَتَّى تمشي وَلَو خمسين خطْوَة .

فَقَالَ لَهُ بعض من حضر إِذا كَانَ الأَمر كَمَا تَقول فَلم هلك بقراط وَلم هلك جالينوس وَغَيرهمَا وَلم يبْق أحد مِنْهُم قَالَ يَا بني قد احتججت فاسمع إِن الْقَوْم دبروا أنفسهم بِمَا يملكُونَ وغلبهم مَا لاَ يملكُونَ يَعْنِي الْمَوْت وَمَا يرد من خَارج كَالْحَرِّ وَالْبرد والوقوع وَالْغَرق والجراح وَالْغَم وَمَا أشبه ذَلِك .

وَأوصى تياذوق أَيْضا الْحجَّاج فَقَالَ لاَ تأكلن حَتَّى تجوع .

وَلاَ تتكارهن على الْجِمَاع .

وَلاَ تحبس الْبَوْل .

وَخذ من الْحمام قبل أَن يَأْخُذ مِنْك .

وَقَالَ أَيْضا للحجاج أَرْبَعَة تهدم الْعُمر وَرُبمَا قتلن دُخُول الْحمام على البطنة والمجامعة على الامتلاء وَأكل القديد الجاف وَشرب المَاء الْبَارِد على الرِّيق .

وَمَا مجامعة الْعَجُوز ببعيدة مِنْهُنَّ .

وَوجد الْحجَّاج فِي رَأسه صداعا فَبعث إِلَى تياذوق وأحضره فَقَالَ اغسل رجليك بِمَاء حَار وأدهنهما .

(١) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، قائد أموي ، داهية ، سفاك ، خطيب . ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته ، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره .

وَخصي للحجاج قَائِم على رَأسه فَقَالَ وَالله مَا رَأَيْت طَبِيبا أقل معرفَة بالطب مِنْك شكى الْأَمِير الصداع فِي رَأسه فتصف لَهُ دَوَاء فِي رجلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أما أَن عَلامَة مَا قلت فِيك بَيِّنَة .

قَالَ الْخصي وَمَا هِيَ قَالَ نزعت خصيتاك فَذهب شعر لحيتك .

فَضَحِك الْحجَّاج وَمن حضر .

وشكى الْحجَّاج ضعفا فِي معدته وقصورا فِي الهضم إِلَى تياذوق فَقَالَ يكون الْأَمِير يحضر بَين يَدَيْهِ الفستق الْأَحْمَر القشر البراني ويكسره وَيَأْكُل من لبه فَإِن ذَلِك يُقَوي الْمعدة .

فَلَمَّا أَمْسَى الْحجَّاج بعث إِلَى حظاياه وَقَالَ إِن تياذوق وصف لي الفستق .

فَبعثت إِلَيْهِ كل وَاحِدَة مِنْهُنَّ صينية فِيهَا قُلُوب فستق فَأكل من ذَلِك حَتَّى امْتَلَأَ .

وأصابته بعقبه هيضة كَادَت تَأتي على نَفسه .

فَشكى حَاله إِلَى تياذوق وَقَالَ وصفت لي شَيْئا أضرّ بِي وَذكر لَهُ مَا تنَاول فَقَالَ لَهُ إِنَّمَا قلت لَك أَن تحضر عنْدك الفستق بقشره البراني فتكسر الْوَاحِدَة بعد الْوَاحِدَة وتلوك قشرها البراني وَفِيه العطرية وَالْقَبْض فَيكون بذلك تَقْوِيَة الْمعدة .

وَأَنت فقد عملت غير مَا قلت لَك .

وداواه مِمَّا عرض لَهُ .

قيل وَمن أخباره مَعَ الْحجَّاج أَنه دخل عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ الْحجَّاج أَي شَيْء دَوَاء أكل الطين فَقَالَ عَزِيمَة مثلك أَيهَا الْأَمِير .

فَرمى الْحجَّاج بالطين من يَده وَلم يعد إِلَيْهِ أبدا .

وَقيل إِن بعض الْمُلُوك لما رأى تياذوق وَقد شاخ وَكبر سنه وخشي أَن يَمُوت وَلَا يعتاض عَنهُ لِأَنَّهُ كَانَ أعلم النَّاس وأحذق الْأمة فِي وقته بالطب .

فَقَالَ لَهُ صف لي مَا اعْتمد عَلَيْهِ فأسوس بِهِ نَفسِي وأعمل بِهِ أَيَّام حَيَاتِي فلست آمن أَن يحدث عَلَيْك حدث الْمَوْت وَلَا أجد مثلك فَقَالَ تياذوق أَيهَا الْملك بالخيرات أَقُول لَك عشرَة أَبْوَاب إِن علمت واجتنبتها لم تعتل مُدَّة حياتك وَهَذِه عشر كلمَات .

١- لَا تَأْكُل طَعَاما وَفِي معدتك طَعَام .

٢- وَلَا تَأْكُل مَا تضعف أسنانك عَن مضغه فتضعف معدتك عَن هضمه .

٣- وَلاَ تشربِ المَاء على الطَّعَام حَتَّى تفرغ ساعتين فَإِن أصل الدَّاء التُّخمَة وأصل التُّخمَة المَاء على الطَّعَام .
٤- وَعَلَيْك بدُخُول الْحمام فِي كل يَوْمَيْنِ مرّة وَاحِدَة فَأَنَّهُ يخرج من جسدك مَا لاَ يصل إِلَيْه الدَّوَاء .
٥- وَأكْثر الدَّمَ فِي بدنك تحرص بِهِ نَفسك .
٦- وَعَلَيْك فِي كل فصل قيئة ومسهلة .
٧- وَلاَ تحبس الْبَوْل وَإِن كنت رَاكِبًا .
٨- واعرض نَفسك على الْخلاَء قبل نومك .
٩- وَلاَ تكْثر الجْمَاع فَإِنَّهُ يقتبس من نَار الْحَيَاة فليكثر أَو يقل .
١٠- وَلاَ تجامع الْعَجُوز فَإِنَّهُ يُورث الْمَوْت الْفجأَة .

فَلَمَّا سمع الْملك ذَلِك أَمر كَاتبه أَن يكْتب هَذِه الأَلْفَاظ بِالذَّهَب الأَحْمَر ويضعه فِي صندوق من ذهب مرصع .

وَبَقِي ينظر إِلَيْهِ فِي كل يَوْم وَيعْمل بِهِ فَلم يعتل مُدَّة حَيَاته حَتَّى جَاءَهُ الْمَوْت الَّذِي لاَ بُد مِنْهُ وَلاَ محيص عَنهُ .

وَذكر إِبْرَاهِيم بن الْقَاسِم الْكَاتِب قَالَ قَالَ الْحجَّاج لابْنِهِ مُحَمَّد يَا بني إِن تياذوق الطَّبِيب كَانَ قد أَوْصَانِي فِي تَدْبِير الصِّحَّة بوَصِيَّة كنت استعملها فَلم أر إِلاَّ خيرا .

وَلما حَضرته الْوَفَاة دخلت عَلَيْهِ أعوده فَقَالَ الزم مَا كنت وصيتك بِهِ وَمَا نسيت مِنْهَا فَلاَ تنس لاَ تشربن دَوَاء حَتَّى تحْتَاج إِلَيْهِ وَلاَ تأكلن طَعَاما وَفِي جوفك طَعَام وَإِذا أكلت فامش أَرْبَعِينَ خطْوَة .

وَإِذا امْتَلَأت من الطَّعَام فنم على جَنْبك الأَيْسَر .

وَلاَ تأكلن الْفَاكِهَة وَهِي مولية .

وَلاَ تأكلن من اللَّحْم إِلاَّ فتيا .

وَلاَ تنكحن عجوزا .

وَعَلَيْك بالسِّوَاك .

وَلاَ تتبعن اللَّحْم اللَّحْم .

فَإِن إِدْخَال اللَّحْم على اللَّحْم يقتل الأَسود فِي الفلوات .

وَقَالَ أَيْضا إِبْرَاهِيم بن الْقَاسِم الْكَاتِب فِي كتاب أَخْبَار الْحجَّاج أَن الْحجَّاج لما قتل سعيد بن جُبَير رَحمَه الله وَكَانَ من خِيَار التَّابِعين وَجرى بَينهمَا كَلاَم كثير وَأمر بِهِ

فذبح بَين يَدَيْه وَخرج منْهُ دم كثير استكثره وهاله .
فَقَالَ الْحَجَّاج لتياذوق طبيبه مَا هَذَا قَالَ لاِجْتِمَاع نَفسه وَإنَّهُ لم يجزع من الْمَوْت وَلاَ هاب مَا فعلته به .
وَغَيره تقتله وَهُوَ مفترق النَّفس فيقل دَمه لذَلِك .
وَمَات تياذوق بعد مَا أسن وَكبر وَكَانَت وَفَاته بواسط فِي نَحْو سنة تسعين لِلْهِجْرَة .
ولتياذوق من الْكتب كناش كَبِير أَلفه لاِبْنه .
كتاب إيدال الأَدْوِيَة وَكَيْفِيَّة دقها وإيقاعها وإذابتها وَشَيْء من تَفْسِير أَسمَاء الأَدْوِيَة .

زَيْنَب طبيبة بني أود

كَانَت عارفة بِالأَعْمَالِ الطبية خبيرة بالعلاج ومداواة آلام الْعين والجراحات مَشْهُورَة بَين الْعَرَب بذلك .
قَالَ أَبُو الْفرج الأَصْبَهَانِيّ[1] فِي كتاب الأغاني الْكَبِير أخبرنَا مُحَمَّد بن خلف الْمَرْزُبَان قَالَ حَدثنِي حَمَّاد بن إِسْحَق عَن أَبِيه عَن كناسَة عَن أَبِيه عَن جده قَالَ أتيت امْرَأَة من بني أود لتكحلني من رمد كَانَ قد أصابني فكحلتني ثمَّ قَالَت اضْطجع قَلِيلا حَتَّى يَدُور الدَّوَاء فِي عَيْنَيْك فاضطجعت ثمَّ تمثلت قَول الشَّاعِر .
(أمخترمي ريب الْمنون وَلم أزر   طَبِيب بني أود على النأي زينبا)
الطَّوِيل
فَضَحكت ثمَّ قَالَت أَتَدْرِي فِيمَن قيل هَذَا الشّعْر قلت لاَ قَالَت فِي وَالله قيل وَأَنا زَيْنَب الَّتِي عناها وَأَنا طبيبة بني أود .
أفتدري من الشَّاعِر قلت لاَ قَالَت عمك أَبُو سماك الأَسدي .

جورجيوس بن جبْرَائِيل

كَانَت لَهُ خبْرَة بصناعة الطِّبّ وَمَعْرِفَة بالمداواة وأنواع العلاج وخدم بصناعة

(١) المؤرخ المسلم الرحالة أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران مواليد أصفهان عام ٣٣٦ هـ ووفيات سنة ٤٣٠ هـ صاحب كتاب تاريخ أصبهان .

الطِّبّ الْمَنْصُور وَكَانَ حظيا عِنْده رفيع الْمنزلَة ونال من جهَته أَمْوَالاً جزيلة .
وَقد نقل للمنصور كتباً كَثِيرَة من كتب اليونانيين إِلَى الْعَرَبِيّ .
قَالَ فثيون الترجمان إِن أول مَا استدعى أَبُو جَعْفَر الْمَنْصُور[١] لجورجس هُوَ أَن الْمَنْصُور فِي سنة مائَة وثمان وَأَرْبَعين سنة لِلْهِجْرَةِ مرض وفسدت معدته وانقطعت شَهْوَته .
وَكلما عالجه الأَطِبَّاء ازْدَادَ مَرضه فَتقدم إِلَى الرّبيع[٢] بِأَن يجمع الأَطِبَّاء لمشاورتهم .
فَجَمعهُمْ فَقَالَ لَهُم الْمَنْصُور من تعرفُون من الأَطِبَّاء فِي سَائِر المدن طَبِيبا ماهرا فَقَالُوا لَيْسَ فِي وقتنا هَذَا أحد يشبه جورجس رَئِيس أطباء جندي سَابُور فَإِنَّهُ ماهر فِي الطِّبّ وَله مصنفات جليلة .
فانفذ الْمَنْصُور فِي الْوَقْت من يحضرهُ .
فَلَمَّا وصل الرَّسُول إِلَى عَامل الْبَلَد احضر جورجس وخاطبه بِالْخُرُوجِ مَعَه فَقَالَ لَهُ عَليّ هَهُنَا أَسبَاب وَلاَ بُد أَن تصبر عَليّ أَيَّامًا حَتَّى أخرج مَعَك فَقَالَ لَهُ إِن أَنْت خرجت معي فِي غَد طَوْعًا وَإِلاَّ أخرجتك كرها وَامْتنع عَلَيْهِ جورجس فَأمر باعتقاله وَلما اعتقل اجْتمع رُؤَسَاء الْمَدِينَة مَعَ المطران فأشاروا على جورجس بِالْخُرُوجِ فَخرج بعد أَن أوصى ابْنه بختيشوع بِأَمْر البيمارستان وأموره الَّتِي تتَعَلَّق بِهِ هُنَاكَ .
وَأخذ مَعَه إِبْرَاهِيم تلْمِيذه وسرجس تلْمِيذه فَقَالَ لَهُ ابْنه بختيشوع لاَ تدع هَهُنَا عِيسَى بن شهلا فَإِنَّهُ يُؤْذِي أهل البيمارستان .
فَترك سرجس وَأخذ عِيسَى مَعَه عوضا عَنهُ وَخرج إِلَى مَدِينَة السَّلاَم .
وَلما ودعه بختيشوع ابْنه قَالَ لَهُ لم لاَ تأخذني مَعَك فَقَالَ لاَ تعجل يَا بني .
فَإِنَّك ستخدم الْمُلُوك وتبلغ من الأَحْوَال أجلهَا .
وَلما وصل جورجس إِلَى الحضرة أَمر الْمَنْصُور بإيصاله إِلَيْهِ .
وَلما وصل دَعَا إِلَيْهِ بِالْفَارِسِيَّة والعربية فتعجب الْخَلِيفَة من حسن منظره ومنطقه فأجلسه قدامه وَسَأَلَهُ عَن أَشْيَاء فَأَجَابَهُ عَنْهَا بِسُكُون فَقَالَ لَهُ قد ظَفرت مِنْك بِمَا

---

(١) أبو جعفر عبد الله المنصور ، واسمه الكامل عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم .
(٢) الربيع بْن يونس أَبُو الفضل حاجب أبي جعفر المنصور

كنت أحبه واشتاقه وحدثه بعلته وَكَيف كَانَ ابْتِدَاؤُهَا .

فَقَالَ لَهُ جورجس أَنا أدبرك كَمَا تحب .

فَأمر الْخَلِيفَة لَهُ فِي الْوَقْت بخلعة جليلة وَقَالَ للربيع أنزلهُ فِي منزل جليل من دُورنَا وأكرمه كَمَا تكرم أخص الأَهْل .

وَلما كَانَ من غَد دخل إِلَيْهِ وَنظر إِلَى نبضه وَإِلَى قَارُورَة المَاء وَوَافَقَهُ على تَخْفيف الْغذَاء وَدبره تدبيرا لطيفا حَتَّى رَجَعَ إِلَى مزاجه الأول .

وَفَرح بِهِ الْخَلِيفَة فَرحا شَدِيدا وَأمر أَن يُجَاب إِلَى كل مَا يسْأَل .

وَلما كَانَ بعد أَيَّام قَالَ الْخَلِيفَة للربيع أرى هَذَا الرجل قد تغير وَجهه لاَ يكون قد منعته ممَّا يشربه على عَادَته .

قَالَ لَهُ الرّبيع لم نَأْذَن لَهُ أَن يدْخل إِلَى هَذِه الدَّار مشروبا فَأَجَابَهُ بقبيح وَقَالَ لَهُ لاَ بُد أَن تمْضِي بِنَفْسك حَتَّى تحضره من المشروب كل مَا يُرِيدهُ فَمضى الرّبيع إِلَى قطربل وَحمل مِنْهَا إِلَى غَايَة مَا أمكنه من الشَّرَاب الْجيد .

وَلما كَانَ بعد سنتَيْن قَالَ الْخَلِيفَة لجورجس أرسل من يحضر ابْنك إِلَيْنَا فقد بَلغنِي إِنَّه مثلك فِي الطِّبّ .

فَقَالَ لَهُ جورجس جندي سَابُور إِلَيْهِ محتاجة .

وَإِن فَارقهَا إِن فسد أَمر البيمارستان .

وَكَانَ أهل الْمَدِينَة إِذا مرضوا سَارُوا إِلَيْهِ .

وَهَهُنَا معي تلامذة قد ربيتهم وخرجتهم فِي الصِّنَاعَة حَتَّى أَنهم مثلي .

فَأمر الْخَلِيفَة بإحضارهم فِي غَد ذَلِك الْيَوْم ليختبرهم .

فَلَمَّا كَانَ من غَد أَخذ مَعَه عِيسَى بن شهلا وأوصله إِلَيْه .

فَسَأَلَهُ الْخَلِيفَة عَن أَشْيَاء وجده فِيهَا حاد المزاج حاذقا بالصناعة .

فَقَالَ الْخَلِيفَة لجورجس مَا أحسن مَا وصفت هَذَا التلميذ وعلمته .

قَالَ فثيون وَلما كَانَ فِي سنة إِحْدَى وَخمسين وَمِائَة دخل جورجس إِلَى الْخَلِيفَة فِي يَوْم الميلاد فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَة أَي شَيْء آكل الْيَوْم فَقَالَ لَهُ مَا تُرِيدُ .

وَخرج من بَين يَدَيْهِ فَلَمَّا بلغ الْبَاب رده وَقَالَ لَهُ من يخدمك هَهُنَا فَقَالَ لَهُ تلامذتي .

فَقَالَ لَهُ سَمِعت أَنه لَيست لَك امْرَأَة .

فَقَالَ لَهُ لي زَوْجَة كَبِيرَة ضَعِيفَة وَلاَ تقدر تنْتَقل إِلَيّ من موضعهَا .

وَخرج من حَضرته وَمضى إِلَى الْبيعَة .

فَأمر الْخَلِيفَة خادمه سالما أَن يخْتَار من الْجَوَارِي الروميات الحسان ثَلَاثًا ويحملهن إِلَى جورجس مَعَ ثَلَاثَة آلَاف دِينَار فَفعل ذَلِك .

وَلما انْصَرف جورجس إِلَى منزله عرفه عِيسَى بن شهلا بِمَا جرى وَأرَاهُ الْجَوَارِي فَأنْكر أمورهن وَقَالَ لعيسى تِلْمِيذه يَا تلميذ الشَّيْطَان لم أدخلت هَؤُلَاءِ منزلي امْضِ ردهن إِلَى صاحبهن ثمَّ ركب جورجس وَعِيسَى وَمَعَهُ الْجَوَارِي إِلَى دَار الْخَلِيفَة وردهن على الْخَادِم .

فَلَمَّا اتَّصل الْخَبَر بالمنصور أحضرهُ وَقَالَ لَهُ لم رددت الْجَوَارِي قَالَ لَهُ هَؤُلَاءِ لَا يكونُونَ معي فِي بَيت وَاحِد لأَنا نَحن معشر النَّصَارَى لَا نتزوج بِأَكْثَرَ من امْرَأَة وَاحِدَة .

وَمَا دَامَت الْمَرْأَة فِي الْحَيَاة لَا نَأْخُذ غَيرهَا .

فَحسن موقعه من الْخَلِيفَة وَأمر فِي وقته أَن يدْخل جورجس إِلَى حظاياه وَحرمه ويخدمهن .

وَزَاد مَوْضِعه فِي عينه وَعظم مَحَله .

قَالَ فثيون وَلما كَانَ فِي سنة مائَة واثنتين وَخمسين سنة مرض جورجس مَرضا صعبا .

وَكَانَ الْخَلِيفَة يُرْسل إِلَيْهِ فِي كل يَوْم الخدم حَتَّى يعرف خَبره .

وَلما اشْتَدَّ مرض جورجس أَمر بِهِ الْخَلِيفَة فَحمل على سَرِير إِلَى دَار الْعَامَّة وَخرج إِلَيْهِ الْخَلِيفَة مَاشِيا وَرَاءه وَسَأَلَهُ عَن خَبره .

فَبكى جورجس بكاء شَدِيدا وَقَالَ لَهُ إِن رأى أَمِير الْمُؤمنِينَ أَطَالَ الله بَقَاءَهُ أَن يَأْذَن لي فِي الْمصير إِلَى بلدي لأنظر إِلَى أَهلِي وَولَدي وَإِن مت قبرت مَعَ آبَائِي .

فَقَالَ الْخَلِيفَة يَا جورجس اتَّقِ الله وَأسلم وَأَنا أضمن لَك الْجنَّة .

قَالَ جورجس أَنا على دين آبَائِي أَمُوت وَحَيْثُ يكون آبَائِي أحب أَن أكون .

إِمَّا فِي الْجنَّة أَو فِي جَهَنَّم .

فَضَحِك الْخَلِيفَة من قَوْله وَقَالَ لَهُ وجدت رَاحَة عَظِيمَة فِي جسمي مُنْذُ رَأَيْتُك وَإِلَى هَذِه الْغَايَة .

وَقد تخلصت من الْأَمْرَاض الَّتِي كَانَت تلحقني .

قَالَ لَهُ جورجس إِنِّي أخلف بَين يَديك عِيسَى وَهُوَ تربيتي .

فَأمر الخْلِيفَة أَن يخرج جورجس إِلَى بَلَده وَأَن يدْفع إِلَيْهِ عشرَة آلاَف دينَار .
وانفذ مَعَه خَادمًا وَقَالَ إِن مَاتَ فِي طَرِيقه فاحمله إِلَى منزله ليدفن هُنَاكَ كَمَا آثر .
فوصل إِلَى بَلَده حَيا .
وَحصل عِيسَى بي شهلا فِي الخْدمَة وَبسط يَده على المطارنة والأساقفة يَأْخُذ أَمْوَالهم لنَفسه حَتَّى إِنَّه كتب إِلَى مطران نَصِيبين كتابا يلْتَمس مِنْهُ فِيهِ من آلاَت الْبيعَة أَشْيَاء جَلِيلَة الْمِقْدَار ويتهدده مَتى أَخّرهَا عَنهُ .
وَقَالَ فِي كِتَابه إِلَى المطران أَلَسْت تعلم أَن أَمر الْملك بيَدي إِن شِئْت أمرضته وَإِن شِئْت عافيته .
فعندما وقف المطران على الْكتاب احتال فِي التَّوَصُّل حَتَّى وافى الرّبيع وَشرح لَهُ صورته واقرأه الْكتاب .
فأوصله الرّبيع إِلَى الخْلِيفَة حَتَّى عرف شرح مَا جرى .
فَأمر بنَفْي عِيسَى بن شهلا بعد أَن أَخذ مِنْهُ جَمِيع مَا ملكه .
ثمَّ قَالَ الخْلِيفَة للربيع سل عَن جورجس فَإِن كَانَ حَيا فانفذ من يحضرهُ وَإِن كَانَ قد مَاتَ فَاحْضُرْ ابْنه .
فَكتب الرّبيع إِلَى الْعَامِل بجندي سَابُور فِي ذَلِك وَاتفقَ أَن جورجس سقط فِي تِلْكَ الأَيَّام من السَّطْح وَضعف ضعفا فَلَمَّا خاطبه أَمِير الْبَلَد قَالَ لَهُ أَنا أنفذ إِلَى الخْلِيفَة طَبِيبا ماهرا يَخْدمه إِلَى أَن أصلح وأتوجه إِلَيْهِ .
واحضر إِبْرَاهِيم تِلْمِيذه وأنفذه إِلَى الأْمِير مَعَ كتاب شرح فِيهِ حَال جورجس إِلَى الرّبيع .
فَلَمَّا وصل إِلَى الرّبيع أوصله إِلَى الخْلِيفَة وخاطبه الخْلِيفَة فِي أَشْيَاء فَوَجَدَهُ فِيهَا حاد المزاج جيد الجْواب فقربه وأكرمه وخلع عَلَيْهِ ووهب لَهُ مَالا واستخلصه لخدمته وَلم يزل فِي الخْدمَة إِلَى أَن مَاتَ الْمَنْصُور .
ولجورجس من الْكتب كناشه الْمَشْهُور وَنَقله حنين بن إِسْحَاق من السرياني إِلَى الْعَرَبِيّ .

بختيشوع بن جورجس

وَمعنى بختيشوع عبد الْمَسِيح لأَن فِي اللُّغَة السريانية البخت العَبْد ويشوع عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام .

وَكَانَ بختيشوع يلْحق بِأَبِيهِ فِي مَعْرِفَته بصناعة الطِّبّ ومزاولته لأعمالها وخدم هرون الرشيد وتميز فِي أَيَّامه .

قَالَ فثيون الترجمان لما مرض مُوسَى الْهَادِي[1] أرسل إِلَى جندي سَابُور من يحضر لَهُ بختيشوع فَمَاتَ قبل قدوم بختيشوع وَكَانَ من خَبره أَنه جمع الْأَطِبَّاء وهم أَبُو قُرَيْش عِيسَى وَعبد الله الطيفوري وداؤد بن سرابيون وَقَالَ لَهُم أَنْتُم تأخذون أَمْوَالِي وجوائزي وَفِي وَقت الشدَّة تتقاعدون بِي .

فَقَالَ لَهُ أَبُو قُرَيْش علينا الاجْتِهَاد وَالله يهب السَّلامَة .

فاغتاظ من هَذَا فَقَالَ لَهُ الرّبيع قد وصف لنا أَن بنهر صَرْصَر طَبِيبا ماهرا يُقَال لَهُ عبد يشوع بن نصر فَأمر بإحضاره وَبِأَن تضرب أَعْنَاق الْأَطِبَّاء .

فَلم يفعل الرّبيع هَذَا لعلمه باختلال عقله من شدَّة الْمَرَض وَلأَنَّهُ كَانَ آمنا مِنْهُ .

وَوجه إِلَى صَرْصَر حَتَّى أحضر الرجل وَلما دخل على مُوسَى قَالَ لَهُ رَأَيْت الْقَارُورَة قَالَ نعم يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ وَهَا أَنا أصنع لَك دَوَاء تَأْخُذهُ وَإِذا كَانَ على تسع سَاعَات تَبرأ وتتخلص وَخرج من عِنْده وَقَالَ للأطباء .

لاَ تشْغَلُوا قُلُوبكُمْ فَإِنَّكُم فِي هَذَا الْيَوْم تنصرفون إِلَى بُيُوتكُمْ .

وَكَانَ الْهَادِي قد أَمر بِأَن يدْفع إِلَيْهِ عشرَة آلَاف دِرْهَم ليبتاع لَهُ بهَا الدَّوَاء فَأَخذهَا وَوجه بهَا إِلَى بَيته وأحضر أدوية وَجمع الْأَطِبَّاء بِالْقربِ من مَوضِع الْخَلِيفَة وَقَالَ لَهُم دقوا حَتَّى يسمع وتسكن نَفسه فَإِنَّكُم فِي آخر النَّهَار تتخلصون .

وَكَانَ كل سَاعَة يَدْعُو بِهِ ويسأله عَن الدَّوَاء فَيَقُول لَهُ هوذا تسمع صَوت الدق فيسكت .

وَلما كَانَ بعد تسع سَاعَات مَاتَ وتخلص الْأَطِبَّاء وَهَذَا فِي سنة سبعين وَمِائَة .

قَالَ فثيون وَلما كَانَ فِي سنة إِحْدَى وَسبعين وَمِائَة مرض هرون الرشيد من صداع

---

(١) أبو محمد موسى الهادي بن أبو عبد الله محمد المهدي بن أبو جعفر عبد الله المنصور من خلفاء الدولة العباسية ببغداد وهو الخليفة الرابع . ولد الهادي بالري سنة ١٤٤ هـ ٧٦٦م . ولي الخلافة بعد وفاة أبيه الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي سنة ١٦٩ هـ ١٤/سبتمبر ٧٨٦م وخلفه أخيه الخليفة هارون الرشيد وعم كلا من : الخليفة أبو عبد الله محمد الأمين والخليفة أبو العباس عبد الله المأمون والخليفة أبو إسحاق محمد المعتصم بالله أولاد هارون الرشيد . اتبع وصية أبيه أن يقوم بقتل الزندقة فتتبعهم وقتل منهم خلقا كثيرا .

لحقه فَقَالَ ليحيى بن خَالد هَؤُلاَءِ الأُطِبَّاء لَيْسَ يحسنون شَيْئا فَقَالَ لَهُ يحيى يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ أَبُو قُرَيْش طَبِيب وَالدك ووالدتك .

فَقَالَ لَيْسَ هُوَ بَصيرًا بالطب وَإِنَّمَا كَرَامَتِي لَهُ لقديم حرمته .

فَيَنْبَغِي أَن تطلب لي طَبِيبا ماهرا .

فَقَالَ لَهُ يحيى بن خَالِد إِنَّه لما مرض أَخُوك مُوسَى أرسل والدك إِلَى جندي سَابُور حَتَّى أحضر رجلا يعرف ببختيشوع .

قَالَ لَهُ فَكيف تَركه يمْضِي فَقَالَ لما رأى عِيسَى أَبَا قُرَيْش ووالدتك يحسدانه أذن لَهُ فِي الانْصِرَاف إِلَى بَلَده فَقَالَ لَهُ أرسل بالبريد حَتَّى يحملوه إِن كَانَ حَيا .

وَلما كَانَ بعد مُدَّة مديدة وافى بختيشوع الْكَبِير ابْن جورجس ووصل إِلَى هرون الرشيد ودعا لَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ وبالفارسية .

فَضَحِك الْخَلِيفَة وَقَالَ ليحيى بن خَالِد أَنْت منطقي فَتكلم مَعَه حَتَّى اسْمَع كَلاَمه .

فَقَالَ لَهُ يحيى بل نَدْعُو بالأطباء فدعى بهم وهم أَبُو قُرَيْش عِيسَى وَعبد الله الطيفوري وَدَاوُد بن سرابيون وسرجس .

فَلَمَّا رَأَوْا بختيشوع قَالَ أَبُو قُرَيْش يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ لَيْسَ فِي الْجَمَاعَة من يقدر على الْكَلاَم مَعَ هَذَا لأَنَّهُ كون الْكَلاَم هُوَ وَأَبوهُ وجنسه فلاسفة فَقَالَ الرشيد لبَعض الخدم أحضرهُ مَاء دَابَّة حَتَّى نجربه فَمضى الْخَادِم وأحضره قَارُورَة المَاء .

فَلَمَّا رَآهُ قَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ لَيْسَ هَذَا بَوْل إِنْسَان .

قَالَ لَهُ أَبُو قُرَيْش كذبت هَذَا مَاء حظية الْخَلِيفَة .

فَقَالَ لَهُ بختيشوع لَك أَقُول أَيهَا الشَّيْخ الْكَرِيم لم يبل هَذَا إِنْسَان الْبَتَّةَ .

وَإِن كَانَ الأَمر على مَا قلت فلعلها صَارَت بَهِيمَة .

فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَة من أَيْن علمت أَنه لَيْسَ ببول إِنْسَان قَالَ لَهُ بختيشوع لأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ قوام بَوْل النَّاس وَلاَ لَونه وَلاَ رِيحه .

قَالَ لَهُ الْخَلِيفَة بَين يَدي من قَرَأت قَالَ لَهُ قُدَّام أبي جورجس قَرَأت .

قَالَ لَهُ الأَطِبَّاء أَبوهُ كَانَ اسْمه جورجس وَلم يكن مثله فِي زَمَانه وَكَانَ يُكرمهُ أَبُو جَعْفَر الْمَنْصُور إِكْرَاما شَدِيدا ثمَّ الْتفت الْخَلِيفَة إِلَى بختيشوع فَقَالَ لَهُ مَا ترى أَن نطعم صَاحب هَذَا المَاء فَقَالَ شَعِيرًا جيدا .

فَضَحِك الرشيد ضحكا شَدِيدا وَأمر فَخلع عَلَيْهِ خلعة حَسَنَة جليلة ووهب لَهُ

مَالا وافرا .

وَقَالَ بختيشوع يكون رَئِيس الأَطِبَّاء كلهم وَله يسمعُونَ ويطيعون .

ولبختيشوع بن جورجس من الْكتب كناش مُخْتَصر .

كتاب التَّذْكِرَة أَلفه لابْنِهِ جِبْرَائِيل .

جِبْرَائِيل بن بختيشوع بن جورجس

كَانَ مَشْهُورا بِالْفَضْلِ جيد التَّصَرُّف فِي المداواة .

عالي الهمة سعيد الْجد حظيا عِنْد الْخُلَفَاء رفيع الْمنزلَة عِنْدهم كثيري الإِحْسَان إِلَيْهِ .

وَحصل من جهتهم من الأَمْوَال مَا لم يحصله غَيره من الأَطِبَّاء .

قَالَ فثيون الترجمان[1] لما كَانَ فِي سنة خمس وَسبعين وَمِائَة مرض جَعْفَر بن يحيى بن خَالِد بن برمك[2] فتقدم الرشيد إِلَى بختيشوع أَن يتَوَلَّى خدمته ومعالجته .

وَلما كَانَ فِي بعض الأَيَّام قَالَ لَهُ جَعْفَر أُرِيد أَن تخْتَار لي طَبِيبا ماهرا أكْرمه وَأحسن إِلَيْهِ .

قَالَ لَهُ بختيشوع ابْني جِبْرَائِيل أمهر مني وَلَيْسَ فِي الأَطِبَّاء من يشاكله .

فَقَالَ لَهُ أحضرنيه .

وَلما أحضرهُ عالجه فِي مُدَّة ثَلَاثَة أَيَّام وبرأ فَأَحبهُ جَعْفَر مثل نَفسه .

وَكَانَ لاَ يصبر عَنهُ سَاعَة وَمَعَهُ يَأْكُل وَيشْرب .

وَفِي تِلْكَ الأَيَّام تمطت حظية الرشيد وَرفعت يَدهَا فَبَقيت منبسطة لاَ يُمكنهَا ردهَا .

والأطباء يعالجونها بالتمريخ والإدهان وَلاَ ينفع ذَلِك شَيْئا .

---

(١) فثيون الترجمان هو من الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي

(٢) هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد وحامل خاتم السلطة .كان أبوه قد أرسله إلى القاضي أبو يوسف لتعليمه وتفقيهه . اشتهر بمكانته من هارون الرشيد وعلو قدره ونفاذ كلمته .

فَقَالَ الرشيد لجَعْفَر بن يحيى قد بقيت هَذه الصبية بعلتها .

قَالَ لَهُ جَعْفَر لي طَبيب ماهر وَهُوَ ابْن بختيشوع نَدْعُوهُ ونخاطبه فِي معنى هَذَا الْمَرَض فَلَعَلَّ عِنْده حِيلَة فِي علاجه .

فَأمر بإحضاره وَلما حضر قَالَ لَهُ الرشيد مَا اسْمك قَالَ جِبْرَائيل .

قَالَ لَهُ أَي شَيْء تعرف من الطِّبّ فَقَالَ أبرد الْحَار وأسخن الْبَارِد وأرطب الْيَابِس وأيبس الرطب الْخَارِج عَن الطَّبْع .

فَضَحِك الْخَلِيفَة وَقَالَ هَذَا غَايَة مَا يحْتَاج إِلَيْهِ فِي صناعَة الطِّبّ .

ثمَّ شرح لَهُ حَال الصبية فَقَالَ لَهُ جِبْرَائِيل إِن لم يسْخط عَليّ أَمِير الْمُؤمنِينَ فلهَا عِنْدِي حِيلَة .

فَقَالَ لَهُ وَمَا هِيَ قَالَ تخرج الْجَارِيَة إِلَى هَهُنَا بِحَضْرَة الْجمع حَتَّى أعمل مَا أريده وتمهل عَليّ وَلَا تعجل بالسخط .

فَأمر الرشيد بإحضار الْجَارِيَة فَخرجت .

وَحين رَآهَا جِبْرَائِيل عدا إِلَيْهَا ونكس رَأسه ومسك ذيلها كَأَنَّهُ يُرِيد أَن يكشفها فانزعجت الْجَارِيَة وَمن شدَّة الْحيَاء والانزعاج استرسلت أعضاؤها وبسطت يديهَا إِلَى أَسْفَل ومسكت ذيلها .

فَقَالَ جِبْرَائيل قد برئت يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ .

فَقَالَ الرشيد للْجَارِيَة أبسطي يَديك يمنة ويسرة فَفعلت ذَلِك وَعجب الرشيد وكل من كَانَ بَين يَدَيْهِ .

وَأمر الرشيد فِي الْوَقْت لجبرائيل بِخَمْسِمِائَة ألف دِرْهَم وأحبه مثل نَفسه وَجعله رَئِيسا على جَمِيع الْأَطِبَّاء .

وَلما سُئِلَ جِبْرَائِيل عَن سَبَب الْعلَّة قَالَ هَذِه الْجَارِيَة انصب إِلَى أعضائها وَقت المجامعة خلط رَقِيق بالحركة وانتشار الْحَرَارَة وَلأَجل أَن سُكُون حَرَكَة الْجِمَاعَة تكون بَغْتَة جمدت الفضلة فِي بطُون جَمِيع الأعصاب وَمَا كَانَ يحلهَا إِلَّا حَرَكَة مثلهَا .

فاحتلت حَتَّى انبسطت حرارتها وانحلت الفضلة .

قَالَ فثيون وَكَانَ مَحل جِبْرَائِيل يقوى فِي كل وَقت حَتَّى أَن الرشيد قَالَ لأَصْحَابه كل من كَانَت لَهُ إِلَيّ حَاجَة فليخاطب بهَا جِبْرَائِيل لأَنِّي أفعل كل مَا يسألني فِيهِ ويطلبه مني .

فَكَانَ القواد يقصدونه فِي كل أُمُورهم وحاله تتزايد .

ومنذ يَوْم خدم الرشيد وَإِلَى أَن انْقَضتْ خمس عشرَة سنة لم يمرض الرشيد فحظي عِنْده .

وَفِي آخر أَيَّام الرشيد عِنْد حُصُوله بطوس مرض المرضة الَّتِي توفّي فِيهَا .

وَلما قوي عَلَيْه الْمَرَض قَالَ لجبرائيل لم لاَ تبرئني فَقَالَ لَهُ قد كنت أنهَاك دَائِما عَن التَّخْلِيط وَأَقُول لَك قَدِيما أَن تخفف من الْجِمَاع فَلاَ تسمع مني .

والآن سَأَلتك أَن ترجع إِلَى بلدك فَأَنَّهُ أوفق لمزاجك فَلم تقبل وَهَذَا مرض شَدِيد وَأَرْجُو أَن يمن الله بعافيتك .

فَأمر بحبسه .

وَقيل لَهُ إِن بِفَارِس أسقفا يفهم الطِّبّ فَوجه من يحضرهُ إِلَيْهِ وَلما حَضَره وَرَآهُ قَالَ لَهُ .

الَّذِي عالجك لم يكن يفهم الطِّبّ .

فَزَاد ذَلِك أبعاد جِبْرَائِيل .

وَكَانَ الْفضل بَين الرّبيع يحب جِبْرَائِيل وَرَأى أَن الأسقف كَذَّاب يُرِيد إِقَامَة السُّوق فَأَحْسن فِيمَا بَينه وَبَين جِبْرَائِيل .

وَكَانَ الأسقف يعالج الرشيد ومرضه يزِيد وَهُوَ يَقُول لَهُ أَنْت قريب من الصِّحَّة .

ثمَّ قَالَ لَهُ هَذَا الْمَرَض كُله من خطأ جِبْرَائِيل .

فَتقدم الرشيد بقتْله فَلم يقبل مِنْهُ الْفضل بن الرّبيع لأَنَّهُ كَانَ يئس من حَيَاته فاستبقى جِبْرَائِيل .

وَلما كَانَ بعد أَيَّام يسيرَة مَاتَ الرشيد وَلحق الْفضل بن الرّبيع فِي تِلْكَ الأَيَّام قولنج صَعب أيس الأَطِبَّاء مِنْهُ فعالجه جِبْرَائِيل بألطف علاج وَأَحسنه فبرأ الْفضل وازدادت محبته لَهُ وعجبه به .

قَالَ فثيون وَلما تولى مُحَمَّد الأمين وافى إِلَيْه جِبْرَائِيل فَقبله أحسن قبُول وأكرمه .

ووهب لَهُ أَمْوَالاً جليلة أَكثر ممَّا كَانَ أَبوهُ يهب لَهُ .

وَكَانَ الأْمين لاَ يَأْكُل وَلاَ يشرب إِلاَّ بِإِذْنه فَلَمَّا كَانَ من الأْمين مَا كَانَ وَملك الأْمر الْمَأْمُون كتب إِلَى الْحسن بن سهل وَهُوَ يخلفه بالحضرة بِأَن يقبض على جِبْرَائِيل ويحبسه لأَنَّهُ ترك قصره بعد موت أَبِيه الرشيد وَمضى إِلَى أَخِيه الأْمين .

فَفعل الْحسن بن سهل هَذَا .

وَلما كَانَ فِي سنة اثْنَتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ مرض الْحسن بن سهل مَرضا شَدِيدا وعالجه

الأُطِبَّاء فَلم ينْتَفع بذلك فَأخْرج جِبْرَائِيل من الْحَبْس حَتَّى عالجه وبرأ فِي أَيَّام يسيرَة فوهب لَهُ سرا مَالا وافرا .

وَكتب إِلَى الْمَأْمُون يعرفهُ خبر علته وَكَيف برأَ على يَد جبرئيل ويسأله فِي أمره .

فَأَجَابَهُ بالصفح عَنهُ .

قَالَ فثيون وَلما دخل الْمَأْمُون الحضرة فِي سنة خمس وَمِائَتَيْنِ أَمر بِأَن يجلس جِبْرَائِيل فِي منزله وَلاَ يخْدم وَوجه من أحضر ميخائيل المتطبب وَهُوَ صهر جِبْرَائِيل وَجعله مَكَانَهُ وأكرمه إِكْرَاما وافرا كيادا لجبرائيل .

قَالَ وَلما كَانَ فِي سنة عشر وَمِائَتَيْنِ مرض الْمَأْمُون مَرضا صعبا وَكَانَ وُجُوه الأُطِبَّاء يعالجونه وَلاَ يصلح فَقَالَ ليمخائيل الأَدْوِيَة الَّتِي تُعْطِينِي تزيدني شرا فاجمع الأُطِبَّاء وشاورهم فِي أَمْرِي .

فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ أَبُو عِيسَى يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ نحضر جِبْرَائِيل فَإِنَّهُ يعرف مزاجاتنا مُنْذُ الصِّبَا فتغافل عَن كَلاَمه .

وأحضر أَبُو إِسْحَق أَخُوهُ يوحنا بن ماسويه فثلبه ميخائيل طبيبه وَوَقع فِيهِ وَطعن عَلَيْه .

فَلَمَّا ضعفت قُوَّة الْمَأْمُون عَن أَخذ الأَدْوِيَة أذكروه بجبرائيل فَأمر بإحضاره .

وَلما حضر غير تَدْبيره كُله فاستقل بعد يَوْم وَبعد ثَلاَثَة أَيَّام صلح .

فسر بِهِ الْمَأْمُون سُرُورًا عَظِيما .

وَلما كَانَ بعد أَيَّام يسيرَة صلح صلاحا تَاما وَأذن لَهُ جِبْرَائِيل فِي الأَكل وَالشرب فَفعل ذَلِك .

وَقَالَ لَهُ أَبُو عِيسَى أَخُوهُ وَهُوَ جَالس مَعَه على الشّرْب مثل هَذَا الرجل الَّذِي لم يكن مثله وَلاَ يكون سَبيله أَن يكرم .

فَأمر لَهُ الْمَأْمُون بِأَلف ألف دِرْهَم وبألف كرّ حِنْطَة ورد عَلَيْه سَائِر مَا قبض مِنْهُ من الأَمْلاَك والضياع وَصَارَ إِذا خاطبه كناه بِأبي عِيسَى جِبْرَائِيل وأكرمه زِيَادَة على مَا كَانَ أَبوهُ يُكرمهُ .

وانْتهى بِهِ الأَمر فِي الْجلاَلَة إِلَى أَن كَانَ كل من تقلد عملا لاَ يخرج إِلَى عمله إِلاَّ بعد أَن يلقى جِبْرَائِيل ويكرمه .

وَكَانَ عِنْد الْمَأْمُون مثل أَبِيه وَنقص مَحل ميخائيل الطَّبِيب صهر جِبْرَائِيل وانحط .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهيم دخلت على جبْرَائيل دَاره الَّتي بالميدان فِي يَوْم من تموز وَبَين يَدَيْه الْمَائدَة وَعَلَيْهَا فراخ طيور مسرولة كبار وَقد عملت كردناجا بفلفل وَهُوَ يَأْكُل منْهَا وطالبني بِأَن آكل مَعَه .

فَقلت لَهُ كَيفَ آكل منْهَا فِي مثل هَذَا الْوَقْت من السّنة وسني سنّ الشَّبَاب فَقَالَ لي مَا الحمية عنْدك فَقلت تجنب الأغذية الرَّديئَة .

فَقَالَ لي غَلطت لَيْسَ مَا ذكرت حمية .

ثمَّ قَالَ لاَ أعرف أحدا عظم قدره وَلاَ صغر يصل إِلَى الإِمْسَاك عَن غذَاء من الأغذية كل دهره إِلاَّ أَن يكون يبغضه وَلاَ تتوق نَفسه إِلَيْه .

لأَن الإِنْسَان قد يمسك عَن أكل الشَّيْء بُرْهَة من دهره ثمَّ يضطره إِلَى أكله عدم أَدَم سوَاهُ لعلَّة من الْعِلَل أَو مساعدة لعليل يكون عنْده أَو صديق يحلف عَلَيْه أَو شَهْوَة تتجدد لَهُ .

فَمَتَى أكله وَقد أمسك عَن أكله منْهُ الْمدَّة الطَّوِيلَة لم تقبله طَبِيعَته ونفرت منْهُ وأحدث ذَلك فِي بدن آكله مَرضا كثيرا وَرُبمَا أَتَى على نَفسه

والأصلح للأبدان تمرينها على أكل الأغذية الرَّديئَة حَتَّى تألفها .

وَأَن يَأْكُل منْهَا فِي كل يَوْم شَيْئا وَاحدًا وَلاَ يجمع أكل شَيْئَيْن رديئين فِي يَوْم وَاحِد وَإِذا أكل من بعض هَذه الأَشْيَاء فِي يَوْم لم يعاود أكله فِي غَد ذَلك الْيَوْم .

فَإِن الأَبدَان إِذا مرنت على أكل هَذه الأَشْيَاء ثمَّ اضْطر الإِنْسَان إِلَى الإِكْثَار من أكل بَعْضهَا لم تنفر الطبيعة منْهُ .

فقد رَأينَا الأَدْويَة المسهلة إِذا أدمنها مدمن وألفها بدنه قل فعلهَا وَلم تسهل .

وَهَؤُلاَء أهل الأَندلس إِذا أَرَادَ أحدهم إسهال طَبِيعَته أَخذ من السقمونيا وزن ثَلاَثَة دَرَاهم حَتَّى تلين طَبِيعَته مقْدَار مَا يلينها نصف درْهَم فِي بلدنا وَإِذا كَانَت الأَبدَان تألف الأَدْويَة حَتَّى تمنعها من فعلهَا فَهِيَ للأغذية وَإِن كَانَت رَديئَة أَشد إلفا .

قَالَ يُوسُف فَحدثت بِهَذَا الحَدِيث بختيشوع بن جِبْرَائِيل فَسَأَلَنِي إملاءه عَلَيْه وَكتبه عني بخَطِّه .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهيم حَدثنِي سُلَيْمَان الْخَادم الخُرَاسَاني مولى الرشيد إِنَّه كَانَ وَاقفًا على رَأس الرشيد بالْحيرَة يَوْمًا وَهُوَ يتغدى إِذْ دخل عَلَيْه عون الْعَبَّاديّ الْجَوْهَري وَهُوَ حَامل صَحْفَة فِيهَا سَمَكَة منعوتة بالسمن فوضعها بَين يَدَيْه وَمَعَهَا محشي قد اتَّخذهُ لَهَا .

فحاول الرشيد أكل شَيْء مِنْهَا فَمَنعه من ذَلِك جِبْرَائِيل وغمز صَاحب الْمَائِدَة بعزلها لَهُ .

وفطن الرشيد فَلَمَّا رفعت الْمَائِدَة وَغسل الرشيد يَده خرج جِبْرَائيل عَن حَضرته .

قَالَ سُلَيْمَان فَأمرني الرشيد باتباعه وإخفاء شخصي عَنهُ وَأَن اتفقد مَا يعمله وارجع إِلَيْهِ بِخَبَرِهِ فَفعلت مَا أَمرنِي بِهِ وأحسب أَن أَمْرِي لم يسْتَتر عَن جِبْرَائِيل لما تبينت من تحرزه .

فَصَارَ إِلَى مَوضِع من دَار عون ودعا بالطَّعَام فأحضر لَهُ وَفِيه السَّمَكَة ودعا بِثَلَاثَة أقداح من فضَّة فَجعل فِي وَاحِد قِطْعَة مِنْهَا وصب عَلَيْهِ خمرًا من خمر طيرناباذ بِغَيْر مَاء وَقَالَ هَذَا أكل جِبْرَائِيل .

وَجعل فِي قدح آخر قِطْعَة وصب عَلَيْهَا مَاء بثلج وَقَالَ هَذَا أكل أَمِير الْمُؤمنِينَ إِن لم يخلط السّمك بِغَيْرِهِ .

وَجعل فِي الْقدح الثَّالِث قِطْعَة من السّمك وَمَعَهَا قطعا من اللَّحْم من ألوان مُخْتَلفَة وَمن شواء وحلواء وبوارد وفراريج وَبقول وصب عَلَيْهِ مَاء بثلج وَقَالَ هَذَا طَعَام أَمِير الْمُؤمنِينَ إِن خلط السّمك بِغَيْرِهِ .

وَرفع الثَّلَاثَة الأقداح إِلَى صَاحب الْمَائِدَة وَقَالَ احتفظ بهَا إِلَى أَن ينتبه أَمِير الْمُؤمنِينَ من قائلته .

قَالَ سُلَيْمَان الْخَادِم ثمَّ أقبل جِبْرَائِيل على السَّمَكَة فَأكل مِنْهَا حَتَّى تضلع .

وَكَانَ كلما عَطش دَعَا بقدح مَعَ الْخمر الصّرْف فشربه ثمَّ نَام .

فَلَمَّا انتبه الرشيد من نَومه دَعَانِي فَسَأَلَنِي عَمَّا عِنْدِي من خبر جِبْرَائِيل وَهل أكل من السَّمَكَة شَيْئا أم لم يَأْكُل فَأَخْبَرته بالْخَبَر فَأمر بِإِحْضَار الثَّلَاثَة الأقداح فَوجدَ الَّذِي صب عَلَيْهِ الْخمر الصّرْف قد تفتت وَلم يبْق مِنْهُ شَيْء .

وَوجد الَّذِي صب عَلَيْهِ المَاء بالثلج قد رَبًّا وَصَارَ على أَكثر من الضعْف ممَّا كَانَ وَوجد الْقدح الَّذِي السّمك وَاللَّحم فِيهِ قد تَغَيَّرت رَائِحَته وَحدثت لَهُ سهوكة شَدِيدَة .

فَأمرنِي الرشيد بِحمْل خَمْسَة آلَاف دِينَار إِلَى جِبْرَائيل وَقَالَ من يلومني على محبَّة هَذَا الرجل الَّذِي يدبرني هَذَا التَّدْبِير .

فأوصلت إِلَيْهِ المَال .

وَقَالَ إِسْحَق بن عَليّ الرهاوي فِي كتاب أدب الطَّبِيب عَن عِيسَى بن ماسة أَن

يوحنا بن ماسويه أخبرهُ أَن الرشيد قَالَ لجبرائيل بن بختيشوع وَهُوَ حَاج بِمَكَّة يَا جِبْرَائيل علمت مرتبتك عنْدي .

قَالَ يَا سَيِّدي وَكَيفَ لاَ أعلم قَالَ لَهُ دَعَوْت لَك وَالله فِي الْموقف دُعَاء كثيرا ثمَّ الْتفت إِلَى بني هَاشم فَقَالَ عَسى أنكرتم قولي لَهُ فَقَالُوا يَا سيدنَا ذمِّي فَقَالَ نعم وَلَكِن صَلَاح بدني وقوامه بِهِ وَصَلَاح الْمُسلمين بِي .

فصلاحهم بصلاحه وبقائه .

فَقَالُوا صدقت يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ .

وقَالَ جِبْرَائيل بن بختيشوع المتطبب اشْتريت ضَيْعَة بسبعماية ألف دِرْهَم فنقدت بعض الثّمن وَتعذر عَليّ بعضه فَدخلت على يحيى بن خَالِد وَعنْده وَلَده وَأَنا أفكر .

فَقَالَ مَالِي أَرَاك مفكرا فَقلت اشْتريت ضَيْعَة بسبعمائة ألف فنقدت بعض الثّمن وَتعذر عَليّ بعضه .

قَالَ فَدَعَا بالدواة وَكتب يعْطى جِبْرَائيل سَبْعمائة ألف دِرْهَم .

ثمَّ دفع إِلَى كل وَاحِد من وَلَده فَوَقع فِيه ثلثمائة ألف .

قَالَ فَقلت جعلت فدَاك قد أدّيت عَامَّة الثّمن وَإِنَّمَا بَقِي أَقَله .

قَالَ اصرف ذَلِك فِيمَا يَنُوبك ثمَّ صرت إِلَى دَار أَمِير الْمُؤمنِينَ .

فَلَمَّا رَآنِي قَالَ مَا أَبْطَأَ بك قلت يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ كنت عِنْد أَبِيك وأخوتك فَفَعَلُوا بِي كَذَا وَكَذَا وَإِنَّمَا ذَلِك لخدمتي لَك .

قَالَ فَمَا حَالي أَنا ثمَّ دَعَا بدابته فَركب إِلَى يحيى فَقَالَ يَا أَبَت أَخْبرنِي جِبْرَائِيل بِمَا كَانَ فَمَا حَالي أَنا من بَين ولدك فَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ مر بِمَا شِئْت يحمل إِلَيْهِ .

فَأمر لي بِخَمْسمائَة ألف .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم الحاسب الْمَعْرُوف بِابْن الداية كَانَ لأم جَعْفَر بنت أبي الْفضل فِي قصر عِيسَى بن عَليّ الَّذِي كَانَت تسكنه مجْلِس لاَ يجلس فِيه إِلاَّ الْحساب والمتطببون وَكَانَت لاَ تَشْتَكِي علّة إِلَى متطبب حَتَّى يحضر جَمِيع أهل الصناعتين وَيكون مقامهم فِي ذَلِك الْمجْلس إِلَى وَقت جلوسها فَكَانَت تجْلِس لَهُم فِي أحد موضعين إِمَّا عنْد الشباك الَّذِي على الدّكان الْكَبِير المحاذي للشباك وللباب الأول من أَبْوَاب الدَّار أَو عَنْد الْبَاب الصَّغِير المحاذي لمَسْجِد الدَّار .

فَكَانَ الْحساب والمتطببون يَجْلسُونَ من خَارج الْموضع الَّذِي تجْلِس فِيه .

ثمَّ تَشْتَكِي مَا تَجِد فيتناظر المتطببون فِيمَا بَينهم حَتَّى يجتمعوا على الْعلَّة

والعـلاج فَإِن كَـانَ بَينهم اخْـتِـلاَف دخل الحْـسـاب بَينهم وَقَـالُوا بِتَـصْـدِيق المُصِـيب عِنْدهم .

ثمَّ تسْأَل الحْساب عَن اخْتِيَار وَقت لذَلِك العلاج .

فَإِن اجْتَمعُوا على وَقت وَإِلاَّ نظر المتطببون فِيمَا بَين الحْساب وحكموا لألزمهم الْقيَاس فاعتلت عنْد اجتماعها على الحْج آخر حجَّة حجتها علَّة أجمع متطببوها على إِخْرَاج الدَّم من سَاقيهَا بالحجامة وَاخْتَارَ الحْساب لَهَا يَوْمًا تحتجم فِيهِ وَكَانَ ذَلِك فِي شهر رَمَضَان فَلم يُمكن أَن تكون الحْجامَة إِلاَّ فِي آخر النَّهَار .

فَكَانَ ممَّن يخْتَلف إِلَيْهَا من الحْساب الْحسن بن مُحَمَّد الطوسي التَّمِيمِي الْمَعْرُوف بالأبح وَعمر بن الفرخان الطَّبَرِيّ وَشُعَيْب الْيَهُودِيّ .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم وَكنت مَتى عرضت للأبح عِلَّة أَو عاقه عَن حُضُور دَار أم جَعْفَر عائق حضرت عَنهُ .

فَحَضَرت ذَلِك الْمجْلس فِي الْوَقْت الَّذِي وَقع الاخْتِيَار على حجامة أم جَعْفَر فِيهِ فوافيت ابْنا لداؤد بن سرافيون حَدثا يشبه أَن يكون ابْن أقل من عشْرين سنة قد أمرت أم جَعْفَر بإحضاره مَعَ المتطببين ليتأدب بِحُضُور ذَلِك الْمجْلس وَقد تقدّمت إِلَى جَمِيع من يطِيف بهَا من المتطببين فِي تَعْلِيمه وتوقيفه عناية بِهِ لمكَان أَبِيه من خدمتها فوافيته وَهُوَ يلاحي متطببا رَاهِبًا أحضر دارها فِي ذَلِك الْيَوْم من أهل الأهواز فِي شرب المَاء للمنتبه من نَومه لَيْلاً .

فَقَالَ ابْن داؤد مَا الله خلق بأحمق ممَّن يشرب مَاء بعد انتباهه من نَومه .

ووافى جِبْرَائِيل عِنْدَمَا قَالَ الْغُلاَم هَذَا القَوْل بَاب الْبَيْت فَلم يدْخل الْمجْلس إِلاَّ وَهُوَ يَقُول أَحمَق وَالله مِنْهُ من تتضرم نَار على كبده فَلم يطفئها .

ثمَّ دخل فَقَالَ من صَاحب الْكَلاَم الَّذِي سمعته فَقيل لَهُ ابْن داؤد فعنفه على ذَلِك وَقَالَ لَهُ كَانَت لأَبِيك مرتبَة جليلة فِي هَذِه الصِّنَاعَة وتتكلم بِمثل مَا سمعته منْك فَقَالَ لَهُ الْغُلاَم فكأنك أعزّك الله تطلق شرب المَاء بِاللَّيْلِ عنْد الانتباه من النّوم فَقَالَ جِبْرَائِيل المحرور الجاف الْمعدة وَمن تعشى وَأكل طَعَاما مالحا فَأَطْلقهُ لَهُ .

وَأَنــا أمنع مِنْـهُ الرطبي الْمعـد وَأَصْحَـاب البلغم المالح لأَن فِي مَنعهم من ذَلِك شِفَاء من رطوبات معدهم وَأكل بعض البلغم المالح بَعْضًا .

فَسكت عَنهُ جَمِيع من حضر ذَلِك الْمجْلس غَيْرِي فَقلت يَا أَبَا عِيسَى قد بقيت وَاحِدَة .

قَالَ وَمَا هِيَ قلت أَن يكون العطشان يفهم من الطِّبّ مثل فهمك فيفهم عطشه من مرار أَو من بلغم مالح .

فَضَحك جبْرَائيل ثمَّ قَالَ لي مَتى عطشت لَيْلاً فأبرز رجلك من لحافك وتناوم قَليلا فَإِن تزايد عطشك فَهُوَ من حرارة أَو من طَعَام يحْتَاج إِلَى شرب المَاء عَلَيْهِ فَاشْرَبْ .

وَأَن نقص من عطشك شَيْء فَأمْسك عَن شرب المَاء فَإِنَّهُ من بلغم مالح .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم وَسَأَلَ أَبُو إِسْحَق إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي جبْرَائيل عَن علّة الورشكين فَقَالَ هُوَ اسْم ركبته الْفرس من الْكسر والصدر وَاسم الصَّدْر بِالْفَارِسِيَّةِ الفصيحة ور والعامة تسميه بر .

وَاسم الْكسر أشكين فَإِذا جمعت اللفظتين كَانَتَا ورشكين أَي هَذه الْعلَّة من الْعلَل الَّتِي يجب أَن يكسر عَلَيْهَا الصَّدْر وَهِي علّة لاَ تستحكم بِإِنْسَان فيكاد ينْهض مِنْهَا .

وَإِن من نَهَضَ مِنْهَا لم يُؤمن عَلَيْه النكسة سنة إِلاَّ أَن يخرج مِنْهُ استفراغ دم كثير تقذفه الطبيعة من الأْنف أَو من أَسْفَل فِي وَقت الْعلَّة أَو بعْدهَا قبل السّنة فَمَتى حدث ذَلك سلم مِنْهُ .

فَقَالَ أَبُو إِسْحَق كالمتعجب سنة قَالَ نعم جعلني الله فدَاك .

وَعلة أُخْرَى يستخف بهَا النَّاس وَهِي الحصبة .

فَإِنِّي مَا أمنت على من أَصَابَته من النكسة سنة إِلاَّ أَن يُصِيبهُ بعقبها استطلاق بطن يكَاد أَن يَأْتِي على نَفسه أَو يخرج بِهِ خراج كثير فَإِذا أَصَابَهُ أحد هذَيْن أمنت عَلَيْه .

قَالَ يُوسُف وَدخل جبْرَائِيل على أبي إِسْحَق يَوْمًا بعقب علّة كَانَ فِيهَا وَقد أذن لَهُ فِي أكل اللَّحْم الغليظ فحين جلس وضعت بَين يَدَيْه كشكية رطبَة فَأمر برفعها فَسَأَلته عَن السَّبَب فَقَالَ مَا أطلقت لخليفة قطّ حم يَوْمًا وَاحِدًا أكل الكشك سنة كَاملَة .

قَالَ أَبُو إِسْحَق أَي الكشكين أردْت الَّذي بلَبن أم الَّذي بغَيْر لبن قَالَ الَّذي بغَيْر لبن لاَ أطلق لَهُ أكله سنة وعَلى قيَاس مَا يُوجبهُ الطِّبّ فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَن يُطلق لَهُ أكل الكشك الْمَعْمُول بلَبن إِلاَّ بعد استكمال ثَلاَث سِنِين .

حدث مَيْمُون بن هرون قَالَ حَدثنِي سعيد بن اسحق النَّصْرَانِي قَالَ قَالَ لي

جبْرَائِيل بن بختيشوع كنت مَعَ الرشيد بالرقة وَمَعَهُ الْمَأْمُون وَمُحَمّد الأَمين ولداه وَكَانَ رجلا بادنا كثير الأكل وَالشرب فَأكل فِي بعض الأَيَّام أَشْيَاء خلط فِيهَا وَدخل المستراح فَغشيَ عَلَيْهِ وَأخرج فقوي عَلَيْهِ الغشي حَتَّى لم يشك فِي مَوته .

وَأرْسل إِلَيّ فَحَضَرت وجسست عرقه فوَجَدته نبضا خفِيا وَقد كَانَ قبل ذَلِك بأيام يشكو امتلاء وحركة الدَّم فَقلت لَهُم يَمُوت وَالصَّوَاب أَن يحجم السَّاعَة .

فَأجَاب الْمَأْمُون إِلَيْهِ وأحضر الْحجام وَتَقَدَّمت بإقعاده فَلَمَّا وضع المحاجم عَلَيْهِ ومصها رَأَيْت الْموضع قد احمر فطابت نَفسِي وَعلمت أَنه حَيّ .

فَقلت للحجام اشرط .

فَشرط فَخرج الدَّم فسجدت شكرا لله .

وَجعل كلما خرج الدَّم يُحَرك رَأسه ويسفر لَونه إِلَى أَن تكلم .

وَقَالَ أَيْن أَنا فطيبنا نَفسه وغديناه بصدر دراج وسقيناه شرابًا وَمَا زلنا نشمه الروائح الطّيبَة ونجعل فِي أَنفه الطّيب حَتَّى تراجعت قوته وَأدْخل النَّاس إِلَيْهِ ثمَّ وهب الله عافيته فَلَمَّا كَانَ بعد أَيَّام دَعَا صَاحب حرسه فَسَأَلَهُ عَن غَلَّته فِي السّنة فعرفهُ أَنَّهَا ثلثمائة ألف دِرْهَم .

وَسَأَلَ حَاجِبه عَن غَلَّته فعرفهُ أَنَّهَا ألف دِرْهَم .

فَقَالَ مَا انصفناك حَيْثُ غلات هَؤُلاَءِ وهم يحرسوني من النَّاس على مَا ذكرُوا وَأَنت تحرسني من الأَمْرَاض والأسقام وَتَكون غلتك مَا ذكرته وَأمر بإقطاعي غلَّة ألف ألف دِرْهَم .

فَقلت لَهُ يَا سَيِّدي مَالِي حَاجَة إِلَى الإقطاع وَلَكِن تهب لي مَا اشْترِي بِهِ ضيَاعًا غَلَّتهَا ألف ألف دِرْهَم فَجَمِيع ضياعي أَمْلاَك لاَ اقطاع .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم حَدثنِي أَبُو إِسْحَق إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي أَن جبْرَائِيل لجأ إِلَيْهِ حِين انتهبت الْعَوام دَاره فِي خلَافَة مُحَمَّد الأَمين فأسكنه مَعَه فِي دَاره وحماه مِمَّن كَانَ يحاول قَتله .

قَالَ أَبُو إِسْحَق فَكنت أرى من هلع جبْرَائِيل وَكَثْرَة أسفه على مَا تلف من مَاله وَشدَّة اغتمامه مَا لم أتوهم أَن أحدا بلغ بِهِ الوجد بِمَالِه مثل الَّذِي بلغ بجبرائيل .

قَالَ أَبُو إِسْحَق فَلَمَّا ثارت المبيضة فظهرت العلوية بِالْبَصْرَةِ والأهواز أَتَانِي وَهُوَ مسرور كَأَنَّهُ قد وصل بِمِائَة ألف دِينَار فَقلت لَهُ أرى أَبَا عِيسَى مَسْرُورا فَقَالَ إِنِّي وَالله لمسرور عين السرُور .

فَسَأَلته عَن سَبَب سروره فَقَالَ إِنَّه حَاز العلوية ضيَاعًا وضربوا عَلَيْهَا الْمنَار .

فَقلت لَهُ مَا أعجب أَمرك انتهبت لَك الْعَوام جُزْءا من مَالك فَخرجت نَفسك من الْجزع إِلَى مَا خرجت إِلَيْهِ وتحوز العلوية جَمِيع مَا تملك فَيظْهر مِنْك من السرُور مثل الَّذِي ظهر فَقَالَ جزعي بِمَا ركبني بِهِ الْعَوام لأَنِّي أُوتيت فِي مَنَامِي وسلبت فِي عزي وأسلمني من يجب عَلَيْهِ حمايتي .

وَلم يتعاظمني مَا كَانَ من العلوية لأَنَّهُ من أكبر الْمحَال عَيْش مثلي فِي دولتين بِنِعْمَة وَاحِدَة وَلَو لم تفعل العلوية فِي ضياعي مَا فعلوا وَقد كَانَ يجب عَلَيْهِم مَعَ علمهمْ بِصِحَّة طويتي لموَالِي الَّذين أنعم الله عَليّ بنعمتهم الَّتِي ملكونيها أَن يتقدموا فِي حفظ وكلائي والوصاة بضياعي ومزارعي وَإِن يَقُولُوا لم يزل جِبْرَائِيل مائلا إِلَيْنَا فِي أَيَّام دولة أَصْحَابه ومتفضلا علينا من أَمْوَاله وَيُؤَدِّي إِلَيْنَا أَخْبَار سادته .

فَكَانَ الْخَبَر مَتى تأدى بذلك إِلَى السُّلْطَان قتلني فسروري بحيازة ضياعي وبسلامة نَفسِي ممَّا كَانَ هَؤُلَاءِ الْجُهَّال ملكوه مِنْهَا فَلم يهتدوا إِلَيْهِ .

قَالَ يُوسُف وَحَدثني فرخ الْخَادِم الْمَعْرُوف بِأبي خُرَاسَان مولى صَالح بن الرشيد ووصيه قَالَ كَانَ مولَايَ صَالح بن الرشيد على الْبَصْرَة وَكَانَ عَامله عَلَيْهَا أَبُو الرَّازِيّ .

فَلَمَّا أحدث جِبْرَائِيل ابْن بختيشوع عمَارَة دَاره الَّتِي فِي الميدان سَأَلَ مولَايَ أَن يهدي لَهُ خَمْسمِائَة ساجة وَكَانَت الساجة بِثَلَاثَة عشر دِينَارا فَاسْتَكْثر مولَايَ المَال .

وَقَالَ لَهُ أما خَمْسمِائَة فَلَا وَلَكِنِّي أكتب إِلَى ابْن الرَّازِيّ فِي حمل مِائَتي ساجة إِلَيْك .

وَقَالَ جِبْرَائِيل فَلَيْسَتْ بِي حَاجَة إِلَيْهَا .

فال فرخ فَقلت لسيدي أرى جِبْرَائِيل سيدبر عَلَيْك تدبيرا بغيضا .

فَقَالَ جِبْرَائِيل أَهْون عَليّ من كل هَين لأَنِّي لَا أشْرب لَهُ دَوَاء وَلَا أقبل لَهُ علاجا .

ثمَّ استزار مولَايَ أَمِير الْمُؤمنِينَ الْمَأْمُون فَلَمَّا اسْتَوَى الْمجْلس بالمأمون قَالَ لَهُ جِبْرَائِيل أرى وَجهك متغيرا .

ثمَّ قَامَ إِلَيْهِ فجس عرقه وَقَالَ لَهُ يشرب أَمِير الْمُؤمنِينَ شربة سكنجبين وَيُؤَخر الْغَدَاء حَتَّى يفهم الْخَبَر فَفعل الْمَأْمُون مَا أَشَارَ بِهِ وَأَقْبل يجس عرقه فِي الْوَقْت بعد الْوَقْت ثمَّ لم يشْعر بِشَيْء حَتَّى دخل غلْمَان جِبْرَائِيل وَمَعَهُمْ رغيف وَاحِد وَمَعَهُ أَلْوَان قد اتَّخذت من قرع وماش وَمَا أشبه ذَلِك .

فَقَالَ إِنِّي أكره لأمير الْمُؤمنِينَ أَن يَأْكُل فِي يَوْمه هَذَا شَيْئا من لُحُوم الْحَيَوَان فَلْيَأْكُل هَذِه الألوان فَأكل مِنْهَا ونام .

فَلَمَّا انتبه من قائلته قَالَ لَهُ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ رَائِحَة النَّبِيذ تزيد فِي الْحَرَارَة والرأي لَك الانْصِرَاف .

فَانْصَرف الْمَأْمُون وَتَلفت نَفَقَة مولاَيَ كلهَا .

فَقَالَ لي مولاَيَ يَا أَبَا خُرَاسَان التَّمْيِيز بَين مِائَتي ساجة وَخَمْسمِائَة ساجة واستزارة الْخَلِيفَة لاَ يَجْتَمعَان .

قَالَ يُوسُف وحَدثنِي جورجس بن ميخائيل عَن خَاله جِبْرَائِيل وَكَانَ جِبْرَائِيل لَهُ مكرما لِكَثْرَة علمه لأَنِّي لم أر فِي أهل هَذَا الْبَيْت بعد جِبْرَائِيل أعلم مِنْهُ على عجب كَانَ فِيهِ شَدِيدا وسخف كثير إِن جِبْرَائِيل أخبرهُ أَنه أنكر من الرشيد قلَّة الرزء للطعام أول الْمحرم سنة سبع وَثَمَانِينَ وَمِائَة وَأَنه لم يكن يرى فِي مَائه وَلاَ فِي مجسة عرقه مَا يدل على علّة توجب قلَّة الطَّعَام فَكَانَ يَقُول للرشيد يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ بدنك صَحِيح سليم بِحَمْد الله من الْعِلَل وَمَا أعرف لتركك اسْتِيفَاء الْغذَاء معنى .

فَقَالَ لي لما أكثرت عَلَيْهِ من القَوْل فِي هَذَا الْبَاب قد استوخمت مَدِينَة السَّلاَم وَأَنا أكره الاستبعاد عَنْهَا فِي هَذِه الأَيَّام .

أفتعرف مَكَانا بِالْقربِ مِنْهَا صَحِيح الْهَوَاء فَقلت لَهُ الْحيرَة يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ .

فَقَالَ قد نزلنَا الْحيرَة مرَارًا فأجحفنا بعون الْعَبَّادِيّ فِي نزولنا بَلَده وَهِي أَيْضا بعيدَة .

فَقلت يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ فالأنبار طيبَة وظهرها فاصح هَوَاء من الْحيرَة فَخرج إِلَيْهَا فَلم يَزْدَدْ فِي طَعَامه شَيْئا بل نقص وَصَامَ يَوْم الْخَمِيس قبل قَتله جعفرا بيومين وَلَيْلَة .

وأحضر جعفرا عشاءه وَكَانَ أَيْضا صَائِما فَلم يصب الرشيد من الطَّعَام كثير شَيْء .

فَقَالَ لَهُ جَعْفَر يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ لَو استزدت من الطَّعَام فَقَالَ لَو أردْت ذَلِك لقدرت عَلَيْهِ .

إِلاَّ أَنِّي أَحْبَبْت أَن أبيت خَفِيف الْمعدة لأصبح وَأَنا أشتهي الطَّعَام وأتغدى مَعَ الْحرم .

ثمَّ بكر بالركوب غَدَاة يَوْم الْجُمُعَة متنسما وَركب مَعَه جَعْفَر بن يحيى فرأيته وَقد أَدخل يَده فِي كم جَعْفَر حَتَّى بلغ بدنه فضمه إِلَيْهِ وعانقه وَقبل بَين عَيْنَيْهِ وَسَار يَده

فِي يَد جَعْفَر أَكثر من ألف ذرَاع .

ثمَّ رَجَعَ إِلَى مضربه وَقَالَ بحياتي أما اصطبحت فِي يَوْمك هَذَا وَجَعَلته يَوْم سرُور فَإِنِّي مَشْغُول بأهلي .

ثمَّ قَالَ لي يَا جبْرَائيل أَنا أتغدى مَعَ حرمي فَكُن مَعَ أخي تسر بسروره .

فسرت مَعَ جَعْفَر واحضر طَعَامه فتغدينا واحضر أَبَا زكار الْمُغنِي وَلم يحضر مَجْلسه غَيرنَا وَرَأَيْت الْخَادِم بعد الْخَادِم يدْخل إِلَيْنَا فيساره فيتنفس عِنْد مسارتهم إِيَّاه وَيَقُول وَيحك يَا أبي عِيسَى لم يطعم أَمِير الْمُؤمنِينَ بعد وَأَنا وَالله خَائِف أَن تكون بِهِ علّة تَمنعهُ من الْأكل .

وَيَأْمُر كلما أَرَادَ أَن يشرب قدحا أَبَا زكار أَن يُغْنيه .

(إِن بني الْمُنْذر حِين انقضوا بِحَيْثُ شاد الْبيعَة الراهب)
(أضحوا وَلاَ يُرهبهُمْ رَاهِب حَقًا وَلاَ يرجوهم رَاغِب)
(كَانَت من الْخَزّ لبوساتهم لم يجلب الصُّوف لَهُم جَالب)
(كَأَنَّمَا جئتهم لعبة سَار إِلَى لبن بهَا رَاكب)
السَّرِيع

فيغنيه أَبُو زكار هَذَا الصَّوْت وَلاَ يقترح عَلَيْهِ غَيره .

فَلم تزل هَذه حَالنَا إِلَى أَن صليت الْعَتَمَة .

ثمَّ دخل إِلَيْنَا أَبُو هَاشم مسرور الْكَبِير وَمَعَهُ خَلِيفَة هرثمة بن أعين[1] وَمَعَهُ جمَاعَة كَثِيرَة من الْجند .

---

(١) هرثمة بن أعين من مشاهير القادة الأمراء الشجعان في الدولة العباسية الأولى . ولاه الرشيد مصر سنة ١٧٨هـ ، ٧٩٤م ، ثم وجهه إلى إفريقيا لإخضاع العصاة ، فدخل القيروان سنة ١٧٩هـ ، ٧٩٥م ، فرحب به أهلها ، فحسنت سيرته بينهم . قاتل ابن الجارود بتيهرت ، وانتصر عليه . انقادت له قبائل البربر ، فعاد إلى القيروان ، وبنى رباط المنستير ، وبنى سور طرابلس الغرب . وطلب من الرشيد أن يعفيه من ولاية إفريقيا ، فنقله إلى خراسان عام ١٨١هـ ، ٧٩٧م . وولاه غزو الصائفة عام ١٩١هـ ، ٨٠٦م ، وضم إليه ماكان عليه علي بن عيسى (ابن ماهان) ، فانتقل إلى مرو سنة ١٩٢هـ ، ٨٠٧م . انحاز إلى المأمون عندما نشبت الفتنة بينه وبين الأمين . فقاد جيوشه ، حتى سكنت الفتنة واستتب الأمر للمأمون . نقم عليه المأمون ، وقيل : إنه اتهمه بممالأة إبراهيم بن المهدي أو بالتراخي في قتال الطالبيين وأبي السرايا ، فدعاه إليه وحبسه . ودس إليه من قتله في الحبس سرًا بمرو ، كان مجتهدًا في العمران بأرمينيا . وأخباره في الحرب مستفيضة .

فَمد يَده خَليفَة هرثمة إِلَى يَد جَعْفَر ثمَّ قَالَ لَهُ قُم يَا فَاسق قَالَ جِبْرَائِيل وَلم أكلم وَلم يُؤمر فِي بِأَمْر وصرت إِلَى منزلي من سَاعَتي وَأَنا لاَ أَعقل .

فَمَا أَقمت فِيه إلاَّ أقل من مقْدَار نصف سَاعَة حَتَّى صَار إِلَيّ رَسُول الرشيد يَأْمُرني بالمصير إِلَيْه فَدَخلت إِلَيْه وَرَأس جَعْفَر فِي طشت بَين يَدَيْه فَقَالَ لي يَا جبْرَائيل أَلَيْسَ كنت تَسْأَلني عَن السَّبَب فِي قلَّة رزئي للطعام فَقلت بلَى يَا أَمير الْمُؤمنينَ فَقَالَ الفكرة فِيمَا ترى أَصارتني إِلَى مَا كنت فيه وَأَنا الْيَوْم يَا جبْرَائيل عنْد نَفسي كالناقة .

قدم غذائي حَتَّى ترى من الزِّيَادَة على مَا كنت تَرَاهُ عجبا وَإِنَّمَا كنت آكل الشَّيْء بعد الشَّيْء لِئَلَّا يثقل الطَّعَام عَليّ فيمرضني .

ثمَّ دَعَا بطعامه فِي ذَلِك الْوَقْت فَأكل أكلا صَالحا من ليلته .

قَالَ يُوسُف حَدثنِي إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي أَنه تخلف عَن مجْلِس مُحَمَّد الْأمين أَمِير الْمُؤمنِينَ أَيَّام خلاَفَته عَشيَّة من العشايا لدواء كَانَ أَخذه وَإِن جبْرَائيل بن بختيشوع باكره غَدَاة الْيَوْم الثَّانِي وأَبلغه سَلام الْأمين وَسَأَلَهُ عَن حَاله كَيفَ كَانَت فِي دوائه .

ثمَّ دنا مِنْهُ فَقَالَ لَهُ أَمر أَمِير الْمُؤمنِينَ فِي تجهيز عَليّ بن عِيسَى بن ماهان إِلَى خُرَاسَان ليَأْتِيه بالمأمون أَسِيرًا فِي قيد من فضَّة وجبرائيل بَرِيء من دين النَّصْرَانِيَّة إِن لم يغلب الْمَأْمُون مُحَمَّدًا ويقتله ويحوز ملكه فَقلت لَهُ وَيحك وَلم قلت هَذَا القَوْل وَكيف قلته قَالَ لأَن هَذَا الْخَلِيفَة الموسوس سكر فِي هَذه اللَّيْلَة فَدَعَا أَبَا عصمَة الشيعي صَاحب حرسه وَأمر بسواده فَنزع عَنهُ وَأَلبسهُ ثِيَابِي وزناري وقلنسوتي وألبسني أقبيته وسواده وسيفه ومنطقته وأجلسني فِي مجْلِس صَاحب الحرس إِلَى وَقت طُلُوع الْفجْر وَأَجْلسهُ فِي مجلسي وَقَالَ لكل وَاحِد مني وَمن أبي عصمَة قد قلدتك مَا كَانَ يتقلده صَاحبك .

فَقلت إِن الله مغير مَا بِه من نعْمَة لتغييره مَا بِنَفسِهِ مِنْهَا .

وَأَنه إِذا جعل حراسته إِلَى نَصْرَانِيّ .

والنصرانية أذلّ الْأَدْيَان لأَنَّهُ لَيْسَ فِي عقد دين غَيرهَا التَّسْلِيم لما يُرِيد بِه عدوه من الْمَكْرُوه مثل الإذعان لمن سَخَّرَهُ بالسخرة وَأَن يمشي ميلاً أَن يزِيد على ذَلِك ميلاً آخر وَإِن لطم لَهُ خد حول الآخر ليلطم غير ديني .

فَقضيت بِأَن عز الرجل زائل وقضيت أَنه حِين أَجْلس فِي مجْلِس متطببه الْحَافِظ عنْده لحَيَاته والقائم بمصالح بدنه وَالْخَادِم لطبيعته أَبَا عصمَة الَّذِي لاَ يفهم من كل ذَلِك قَلِيلا وَلاَ كثيرا بِأَنَّهُ لاَ عمر لَهُ وَأَن نَفسه تالفة .

قَالَ أَبُو إِسْحَق فَكَانَ على مَا تفاءل جِبْرَائِيل بِهِ .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم وَسمعت جِبْرَائِيل بن بختيشوع يحدث أَبَا إِسْحَق إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي أَنه كَانَ عِنْد الْعَبَّاس بن مُحَمَّد إِذْ دخل عَلَيْهِ شَاعِر امتدحه فَلم يزل جِبْرَائِيل يسمع مِنْهُ إِلَى أَن صَار إِلَى هَذَا الْبَيْت وَهُوَ .

(لَو قيل لِلْعَبَّاس يَا ابْن مُحَمَّد . . . قل لاَ وَأَنت مخلد مَا قَالَهَا) الْكَامِل .

قَالَ جِبْرَائِيل فَلَمَّا سَمِعت هَذَا الْبَيْت لم أَصْبِر لعلمي أَن الْعَبَّاس أبخل أهل زَمَانه .

فَقلت لاَ فَتَبَسَّمَ الْعَبَّاس ثمَّ قَالَ لي اغرب قبح الله وَجهك أَقُول هَذَا الشَّاعِر الَّذِي يشار إِلَيْهِ هُوَ ربيعَة الرقى .

قَالَ يُوسُف وَحدث جِبْرَائِيل أَبَا إِسْحَاق فِي هَذَا الْمجْلس أَنه دخل على الْعَبَّاس بعد فطر النَّصَارَى بِيَوْم وَفِي رَأسه فضلَة من نبيذه بالأمس وَذَلِكَ قبل أَن يخْدم جِبْرَائِيل الرشيد .

فَقَالَ جِبْرَائِيل لِلْعَبَّاس كَيفَ أصبح الأَمِير أعزه الله فَقَالَ الْعَبَّاس أَصبَحت كَمَا تحب .

فَقَالَ لَهُ جِبْرَائِيل وَالله مَا أصبح الأَمِير على مَا أحب وَلاَ على مَا يحب الله وَلاَ على مَا يحب الشَّيْطَان .

فَغَضب الْعَبَّاس من قَوْله ثمَّ قَالَ لَهُ مَا هَذَا الْكَلاَم قبحك الله قَالَ جِبْرَائِيل فَقلت عَليّ الْبُرْهَان .

فَقَالَ الْعَبَّاس لتَأْتيني بِهِ وَإِلاَّ أَحْسَنت أدبك وَلم تدخل لي دَارا فَقَالَ جِبْرَائِيل الَّذِي كنت أحب أَن تكون أَمِير الْمُؤمنِينَ فَأَنت كَذَلِك قَالَ الْعَبَّاس لاَ .

قَالَ جِبْرَائِيل وَالَّذِي يحب الله من عباده الطَّاعَة لَهُ فِيمَا أمرهم بِهِ ونهاهم عَنهُ .

فَأَنت أَيهَا الْملك كَذَلِك فَقَالَ الْعَبَّاس لاَ واستغفر الله .

قَالَ جِبْرَائِيل وَالَّذِي يحب الشَّيْطَان من الْعباد أَن يكفروا بِاللَّه ويجحدوا ربوبيته فَأَنت كَذَلِك أَيهَا الأَمِير فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاس لاَ وَلاَ تعد إِلَى مثل هَذَا القَوْل بعد يَوْمك هَذَا .

قَالَ فثيون الترجمان وَلما عزم الْمَأْمُون على الْخُرُوج إِلَى بلد الرّوم فِي سنة ثَلاَث عشرَة وَمِائَتَيْنِ مرض جِبْرَائِيل مَرضا شَدِيدا قَوِيا .

فَلَمَّا رَآهُ الْمَأْمُون ضَعِيفا التمس مِنْهُ إِنْفَاذ بختيشوع ابْنه مَعَه إِلَى بلد الرّوم .

فَأَحْضرهُ وَكَانَ مثل أَبِيه فِي الْفَهم وَالْعقل والسرو .

وَلما خاطبه الْمَأْمُون وَسمع حسن جَوَابه فَرح بِهِ فَرحا شَدِيدا وأكرمه غَايَة الْإِكْرَام وَرفع مَنْزِلَته وَأخرجه مَعَه إِلَى بلد الرّوم .

وَلما خرج الْمَأْمُون طَال مرض جِبْرَائِيل إِلَى أَن بلغ الْمَوْت وَعمل وَصيته إِلَى الْمَأْمُون وَدفعهَا إِلَى ميخائيل صهره وَمَات .

فَمضى فِي تجميل مَوته مَا لم يمض لأمثاله بِحَسب اسْتِحْقَاقه بأفعاله الْحَسَنَة وخيريته وَدفن فِي دير مارسرجس بِالْمَدَائِنِ .

وَلما عَاد ابْنه بختيشوع من بلد الرّوم جمع للدير رهبانا وأجرى عَلَيْهِم جَمِيع مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ .

وَقَالَ فثيون الترجمان إِن جنس جورجس وَولده كَانُوا أجمل أهل زمانهم بِمَا خصهم الله بِهِ من شرف النُّفُوس ونبل الهمم وَمن الْبر وَالْمَعْرُوف والإفضال وَالصَّدقَات وتفقد المرضى من الْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِين وَالْأَخْذ بأيدي المنكوبين والمرهوقين على مَا يتَجَاوَز الْحَد فِي الصّفة وَالشَّرْح .

وَكَانَت مُدَّة خدمَة جِبْرَائِيل بن بختيشوع للرشيد مُنْذُ خدمه وَإِلَى أَن توفّي الرشيد ثَلَاثًا وَعشْرين سنة .

بختيشوع بن جِبْرَائِيل بن بختيشوع

كَانَ سريانيا نبيل الْقدر .

وَبلغ من عظم الْمنزلَة وَالْحَال وَكَثْرَة المَال مَا لم يبلغهُ أحد من سَائِر الْأَطِبَّاء الَّذين كَانُوا فِي عصره .

وَكَانَ يضاهي المتَوَكل فِي اللبَاس والفرش .

وَنقل حنين بن إِسْحَق لبختيشوع بن جِبْرَائِيل كتبا كَثِيرَة من كتب جالينوس إِلَى اللُّغَة السريانية والعربية .

قَالَ فثيون الترجمان لما ملك الواثق الْأَمر كَانَ مُحَمَّد بن عبد الْملك الزيات وَابْن أبي دَاوُد يعاديان بختيشوع .

ويحسدانه على فَضله وبره ومعروفه وصدقاته وَكَمَال مروءته .

فَكَانَا يغريان الواثق عَلَيْهِ إِذا خلوا بِهِ .

فسخط عَلَيْهِ الواثق وَقبض على أملاكه وضياعه وَأخذ مِنْهُ جملَة طائلة من المَال .

ونفاه إِلَى جندي سَابُور وَذَلِكَ فِي سنة ثَلَاثِينَ وَمائَتَيْنِ .

فَلَمَّا اعتل بالاستسقاء وَبلغ الشدَّة فِي مَرضه انفذ من يحضر بختيشوع .

وَمَات الواثق قبل أَن يوافي بختيشوع .

ثمَّ صلحت حَال بختيشوع بعد ذَلِك فِي أَيَّام المتَوَكل حَتَّى بلغ فِي الْجَلالَة والرفعة وَعظم الْمنزلَة وَحسن الْحَال وَكَثْرَة المَال وَكَمَال الْمُرُوءَة ومباراة الْخلَافَة فِي الزي واللباس وَالطّيب والفرش والصناعات والتفسيح والبذخ فِي النَّفَقَات مبلغا يفوق الْوَصْف فحسده المتَوَكل وَقبض عَلَيْهِ .

ونقلت من بعض التواريخ أَن بختيشوع بن جِبْرَائِيل كَانَ عَظِيم الْمنزلَة عِنْد المتَوَكل .

ثمَّ إِن بختيشوع أفرط فِي إدلاله عَلَيْهِ فنكبه وَقبض أملاكه وَوجه بِهِ إِلَى مَدِينَة السَّلَام .

وَعرض للمتوكل بعد ذَلِك قولنج فَاسْتَحْضرهُ المتَوَكل وَاعْتذر إِلَيْهِ وعالجه وبرأ فانعم عَلَيْهِ وَرَضي عَنهُ وَأعَاد مَا كَانَ لَهُ .

ثمَّ جرت على بختيشوع حيلَة أُخْرَى فنكبه نكبة قبض فِيهَا جَمِيع أملاكه وَوجه بِهِ إِلَى الْبَصْرَة وَكَانَ سَبَبه الْحِيلَة عَلَيْهِ أَن عبد الله استكتب الْمُنْتَصر أَبَا الْعَبَّاس الحصيني وَكَانَ رديئا فاتفقا على قتل المتَوَكل واستخلاف الْمُنْتَصر .

وَقَالَ بختيشوع للوزير كَيفَ استكتبت الْمُنْتَصر الحصيني وَأَنت تعرف رداءته فَظن عبد الله أَن بختيشوع قد وقف على التَّدْبِير .

فَعرف الْوَزير مَا قَالَه لَهُ بختيشوع وَقَالَ أَنْتُم تعلمُونَ كَيفَ محبَّة بختيشوع لَهُ واحسب أَنه يبطل التَّدْبِير فَكيف الْحِيلَة فَقَالُوا للمنتصر إِذا سكر الْخَلِيفَة فخرق ثِيَابك ولوثها بالدَّم وادخل إِلَيْه .

فَإِذا قَالَ مَا هَذَا فَقل بختيشوع ضرب بيني وَبَين أخي فكاد أَن يقتل بَعْضنَا بَعْضًا .

وَأَنا أَقُول يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ يبعد عَنْهُم .

فَإِنَّهُ يَقُول افعلوا .

فتنفيه فَإِلَى أَن يسْأَل عَنهُ نكُون قد فَرغْنَا من الْأَمر .

فَفعل ذَلك ونكب وَقتل المتَوَكل .

وَلما اسْتَخْلف المستعين رد بختيشوع إِلَى الْخدمَة وَأحسن إِلَيْهِ إحسانا كثيرا وَلما ورد الْأَمر إِلَى ابْن عبد الله مُحَمَّد بن الواثق وَهُوَ الْمُهْتَدي جرى على حَال المتَوَكل فِي أنسه بالأطباء وتقديمه إيَّاهُم وإحسانه إِلَيْهِم .

وَكَانَ بختيشوع لطيف الْمحل من الْمُهْتَدي بِاللَّه .

وشكا بختيشوع إِلَى الْمُهْتَدي مَا أَخذ مِنْهُ فِي أَيَّام المتَوَكل فَأمر بِأَن يدْخل إِلَى سَائِر الخزائن فَكل مَا اعْترف بِهِ فليرد إِلَيْهِ بِغَيْر استثمار وَلَا مُرَاجعَة .

فَلم يبْق لَهُ شَيْء إِلَّا أَخذه وَأطلق لَهُ سَائِر مَا فَاتَهُ وحاطه كل الحياطة .

وَورد على بختيشوع كتاب من صَاحبه بِمَدِينَة السَّلَام يصف فِيهِ أَن سُلَيْمَان بن عبد الله بن طَاهِر قد تعرض لَهُ لمنازله فَعرض بختيشوع الْكتاب على الْمُهْتَدي بعد صَلَاة الْعَتَمَة فَأمر بإحضار سُلَيْمَان بن وهب فِي ذَلِك الْوَقْت فَحَضَرَ وَتقدم إِلَيْهِ بِأَن يكْتب من حَضْرَته إِلَى سُلَيْمَان بن عبد الله بالإنكار عَلَيْهِ لما اتَّصل بِهِ من وَكيل بختيشوع وَأَن يتَقَدَّم إِلَيْهِ بإعزاز مَنَازِله وأسبابه بأوكد مَا يكون وانفذ الْكتاب من وقته مَعَ أخص خدمه إِلَى مَدِينَة السَّلَام .

وَقَالَ بختيشوع للمهتدي فِي آخر من حضر الدَّار يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ مَا اقتصدت وَلَا شربت الدَّوَاء مُنْذُ أَرْبَعِينَ سنة وَقد حكم المنجمون بِأَنِّي أَمُوت فِي هَذِه السّنة .

وَلست أغتم لموتي وَإِنَّمَا غمي لمفارقتكم .

فَكَلمهُ الْمُهْتَدي بِكَلَام جميل وَقَالَ قلما يصدق المنجم .

فَلَمَّا انْصَرف كَانَ آخر الْعَهْد بِهِ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيم بن عَليّ الحصري فِي كتاب نور الطّرف وَنور الظّرْف أَنه تنَازع إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي وبختيشوع الطَّبِيب بَين يَدي أَحْمد ابْن داؤد فِي مجْلِس الحكم فِي عقار بِنَاحِيَة السوَاد فأربى عَلَيْهِ إِبْرَاهِيم وَأَغْلظ لَهُ فَغَضب لذَلِك أَحْمد بن أبي داؤد وَقَالَ يَا إِبْرَاهِيم إِذا تنازعت فِي مجْلِس الحكم بحضرتنا أمرا فَلْيَكُن قصدك أمما وطريقك نهجا وريحك سَاكِنة وكلامك معتدلا ووف مجَالِس الْخَلِيفَة حُقُوقهَا من التَّوْقِير والتعظيم والاستطاعة والتوجيه إِلَى الْحق .

فَإِن هَذَا أشكل بك وأجمل بمذهبك فِي محتدك وعظيم خطرك .

وَلَا تعجلن فَرب العجلة تورث رثيا وَالله يَعْصِمك من الزلل وخطل القَوْل وَالْعَمَل وَيتم نعْمَته عَلَيْك كَمَا أتمهَا على آبَائِك من قبل أَن رَبك عليم حَكِيم .

فَقَالَ إِبْرَاهِيم أمرت أصلحك الله بسداد وحضضت على رشاد وَلست بعائد إِلَى مَا يثلم قدري عنْدك ويسقطني من عَيْنك ويخرجني من مقْدَار الْوَاجِب إِلَى الاعْتذَار فها أَنا معتذر إِلَيْك من هَذه البادرة اعتذار مقرّ بذَنبه باخع بجرمه لأَن الْغَضَب لاَ يزَال يستفزني بمراده فيردني مثلك بحلمه وَتلك عَادَة الله عنْدك وَعِنْدنَا فِيك وَهُوَ حَسبنَا وَنعم الْوَكِيل .

وَقد خلعت حظي من هَذَا الْعقار لبختيشوع .

فليت ذَلِك يكون وافيا بِأَرْش الْجِنَايَة عَلَيْهِ وَلنْ يتْلف مَال أَفَادَ موعظة وَبِاللَّهِ التَّوْفِيق .

وحدث أَبُو مُحَمَّد بدر بن أبي الأَصْبع الْكَاتِب قَالَ حَدثنِي جدي قَالَ دخلت إِلَى بختيشوع فِي يَوْم شَدِيد الْحر وَهُوَ جَالس فِي مجْلِس مخيش بعدة طاقات من الخيش طاقان ريح بَينهمَا طَاق أسود وَفِي وَسطهَا قبَّة عَلَيْهَا جلال من قصب مظهر بدبيقي قد صبغ بِمَاء الْورْد والكافور والصندل وَعَلِيهِ جُبَّة يماني سعيدي مثقلة ومطرف قد التحف بِهِ فعجبت من زيه .

فحين حصلت مَعَه فِي الْقبَّة نالني من الْبرد أَمر عَظِيم فَضَحِك وَأمر لي بجبة ومطرف وَقَالَ يَا غُلاَم اكشف جَوَانب الْقبَّة فكشفت فَإِذا أَبْوَاب مَفْتُوحَة من جَوَانب الإيوان إِلَى مَوَاضِع مكبوسة بالثلج وغلمان يروحون ذَلِك الثَّلج فَيخرج مِنْهُ الْبرد الَّذِي لحقني .

ثمَّ دَعَا بطعامه فَأتي بمائدة فِي غَايَة الْحسن عَلَيْهَا كل شَيْء ظريف .

ثمَّ أَتَى بفراريج مشوية فِي نِهَايَة الْحمرَة وَجَاء الطباخ فنفضها كلهَا فانتفضت وَقَالَ هَذه فراريج تعلف اللوز والبزر قطونا وتسقى مَاء الرُّمَّان وَلما كَانَ فِي صلب الشتَاء دخلت عَلَيْه يَوْمًا وَالْبرد شَدِيد وَعَلِيه جُبَّة محشوة وَكسَاء وَهُوَ جَالس فِي طارمة فِي الدَّار على بُسْتَان فِي غَايَة الْحسن وَعَلَيْهَا سمور قد ظهرت بِهِ وفوقه جلال حَرِير مصبغ ولبود مغربية وانطاع أَدَم يَمَانية .

وَبَين يَدَيْه كانون فضَّة مَذْهَب مخرق وخادم يُوقد الْعود الْهِنْدِيّ وَعَلِيهِ غلالة قصب فِي نِهَايَة الرّفْعَة .

فَلَمَّا حصلت مَعَه فِي الطارمة وجدت من الْحر أمرا عَظِيما فَضَحِك وَأمر لي بغلالة قصب وَتقدم يكْشف جَوَانب الطارمة فَإِذا مَوَاضِع لَهَا شبابيك خشب بعد شبابيك حَدِيد وكوانين فِيهَا فَحم الغضا وغلمان ينفخون ذَلِك الفحم بالزقاق كَمَا تكون للحدادين .

ثمَّ دَعَا بطعامه فأحضروا مَا جرت بِهِ الْعَادة فِي السرو والنظافة فأحضرت فراريج بيض شَدِيدَة الْبيَاض فبشعتها وَخفت أَن تكون غير نضيجة ووافى الطباخ فنفضها فانتفضت فَسَأَلته عَنْهَا فَقَالَ هَذِه تعلف الجْوز المقشر وتسقى اللَّبن الحليب .

وَكَانَ يختيشوع بن جِبْرَائِيل يهدي البخور فِي درج وَمَعَهُ درج آخر فِيهِ فَحم يتَّخذ لَهُ من قضبان الأترج والصفصاف وشنس الْكَرم المرشوش عَلَيْهِ عِنْد إحراقه مَاء الْورْد الْمخْلُوط بالمسك والكافور وَمَاء الْخلاف وَالشرَاب الْعَتيق .

وَيَقُول أَنا أكره أَن أهدي بخورا بِغَيْر فَحم فيفسده فَحم الْعَامَّة وَيُقَال هَذَا عمل بختيشوع .

وَحدث أَبُو مُحَمَّد بدر بن أبي الْأَصْبع عَن أَبِيه عَن أبي عبد الله مُحَمَّد بن الْجراح عَن أَبِيه أَن المتَوَكل قَالَ يَوْمًا لبختيشوع ادعني فَقَالَ السّمع وَالطَّاعَة فَقَالَ أُرِيد أَن يكون ذَلِك غَدا قَالَ نعم وكرامة وَكَانَ الْوَقْت صائفا وحره شَدِيدا فَقَالَ بختيشوع لأعوانه وَأَصْحَابه أمرنَا كُله مُسْتَقِيم إِلاَّ الخيش فَإِنَّهُ لَيْسَ لنا مِنْهُ مَا يَكْفِي .

فَاحْضُرْ وكلاءه وَأمرهمْ بابتياع كل مَا يُوجد من الخيش بسر من رأى فَفَعَلُوا ذَلِك وأحضروا كل من وجدوه من النجادين والصناع فَقطع لداره كلهَا صونها وحجرها ومجالسها وبيوتها ومستراحاتها خيشا حَتَّى لاَ يجتاز الْخَلِيفَة فِي مَوضِع غير مخيش .

وَأَنه فكر فِي روائحه الَّتِي لاَ تَزُول إِلاَّ بعد اسْتِعْمَاله مُدَّة فَأمر بابتياع كل مَا يقدر عَلَيْهِ بسر من رأى من الْبِطِّيخ وأحضر أَكثر حشمه وغلمانه وأجلسهم يدلكون الخيش بذلك الْبِطِّيخ ليلتهم كلهَا وَأصْبح وَقد انْقَطَعت روائحه .

فَتقدم إِلَى فراشيه فعلقوا جَمِيعه فِي الْمَوَاضِع الْمَذْكُورَة وَأمر طباخيه بِأَن يعملوا خَمْسَة آلَاف جونة فِي كل جونة بَاب خبز سميد دست رقاق وزن الْجَمِيع عشرُون رطلا وَحمل مشوي وجدي بَارِد وفائقة ودجاجتين مصدرتان وفرخان ومصوصان وَثَلَاثَة ألوان وجام حلواء .

فَلَمَّا وافه المتَوَكل رأى كَثْرَة الخيش وجدته فَقَالَ أَي شَيْء ذهب برائحته فَأَعَادَ عَلَيْهِ حَدِيث الْبِطِّيخ فَعجب من ذَلِك وَأكل هُوَ وَبَنُو عَمه وَالْفَتْح بن خاقَان على مائدة وَاحِدَة .

وأجلس الْأُمَرَاء والحجاب على سماطين عظيمين لم ير مثلهمَا لاَ مثَاله .

وَفرقت الجون على الغلمان والخدم والنقباء والركابية والفراشين والملاحين وَغَيرهم من الْحَاشِيَة لكل وَاحِد جونة وَقَالَ قد أمنت ذمهم لأنني مَا كنت آمن لَو أطعموا على مَوَائِد أَن يرضى هَذَا ويغضب الآخر وَيَقُول وَاحِد شبعت وَيَقُول آخر لم

أشْبع فَإِذا أعْطى كل إِنْسَان جونة من هَذه الجون كفته واستشرف المتَوَكل على الطَّعَام فاستعظمه جدا وَأَرَادَ النّوم فَقَالَ لبختيشوع أُريد أَن تنومني فِي مَوضع مضيء لاَ ذُبَاب فِيه وَظن أَنه يتعنته بذلك وَقد كَانَ بختيشوع تقدم بِأَن تجْعَل أجاجين السيلان فِي سطوح الدَّار ليجتمع الذُّبَاب عَلَيْهِ فَلم يقرب أسافل الدّور ذُبَابَة وَاحدَة .

ثمَّ أَدخل المتَوَكل إِلَى مربع كَبِير سقفه كُله بكواء فِيهَا جامَات يضيء الْبَيْت مِنْهَا وَهُوَ مخيش مظهر بعد الخيش بالدبقي الْمَصْبُوغ بمَاء الْورْد والصندل والكافور .

فَلَمَّا اضْطجع للنوم أقبل يشم رَوَائِح فِي نِهَايَة الطّيب لاَ يدْرِي مَا هِيَ لأَنَّهُ لم ير فِي الْبَيْت شَيْئا من الروائح والفاكهة والأنوار وَلاَ خلف الخيش لاَ طاقات وَلاَ مَوضِع يَجْعَل فِيهِ شَيْء من ذَلِك .

فتعجب وَأمر الْفَتْح بن خاقَان أَن يتتبع حَال تِلْكَ الروائح حَتَّى يعرف صورتهَا .

فَخرج يطوف فَوجدَ حول الْبَيْت من خَارجه وَمن سَائِر نواحيه وجوانبه أبوابا صغَارًا لطافا كالطاقات محشوة بصنوف الرياحين والفواكه واللخالخ والمشام الَّتِي فِيهَا اللفاح والبطيخ الْمُسْتَخْرج مَا فِيهَا المحشوة بالنمام والحماحم الْيَمَانِيّ الْمَعْمُول بِمَاء الْورْد والخلوق والكافور وَالشرَاب الْعَتِيق والزعفران الشّعْر .

وَرَأى الْفَتْح غلمانا قد وكلوا بِتِلْكَ الطاقات مَعَ كل غُلاَم مجمرة فِيهَا ند يسجره ويبخر به .

وَالْبَيْت من دَاخله إِزَار من اسفيداج[(١)] مخرم خروما صغَارًا لاَ تبين تخرج مِنْهَا تِلْكَ الروائح الطّيبَة العجيبة إِلَى الْبَيْت .

فَلَمَّا عَاد الْفَتْح وَشرح للمتوكل صُورَة مَا شَاهده كثر تعجبه مِنْهُ وحسد بختيشوع على مَا رَآهُ من نعْمَته وَكَمَال مروءته وَانْصَرف من دَاره قبل أَن يستتم يَوْمه .

وَادّعى شَيْئا وجده من التياث بدنه وحقد عَلَيْهِ ذَلِك فنكبه بعد أَيَّام يسيرَة وَأخذ لَهُ مَالا كثيرا لاَ يقدر .

وَوجد لَهُ فِي جملَة كسوته أَرْبَعَة آلاَف سَرَاوِيل دبيقي سيتيزي فِي جَمِيعهَا تكك إبريسم أرميني .

---

(١) فارسي معرب ، هو [بياض الوجه] ، ويقال [أسفيداج الرصاص] و[رماد الرصاص] وجاء في كتاب فرنسي عن «الصيدلة التطبيقية» ، لمؤلفه M . Deschamps ، بأن الأسفيداج هذا هو «كاربونات الرصاص» .

وَحضر الحُسَيْن بن مخلد فختم على خزانته وَحمل إِلَى دَار المتَوَكل مَا صلح مِنْهَا وَبَاعَ شَيْئا كثيرا .

وَبَقِي بعد ذَلِك حطب وفحم ونبيذ وتوابل فَاشْتَرَاهُ الحُسَيْن بن مخلد بِستَّة آلَاف دِينَار .

وَذكر أَنه بَاعَ من جملَته بمبلغ ثَمَانِيَة آلَاف دِينَار ثمَّ حسده حمدون ووشى إِلَى المتَوَكل .

وبذل فِيمَا بَقِي فِي يَده ممَّا ابتاعه ستَّة آلَاف دِينَار .

فَأُجيب إِلَى ذَلِك وَسلم إِلَيْه فَبَاعَهُ بِأَكْثَرَ من الضعْف .

وَكَانَ هَذَا فِي سنة أَربع وَأَرْبَعين وَمِائَتَيْنِ لِلْهِجْرَة .

قَالَ فثيون الترجمان كَانَ المعتز بِاللَّه قد اعتل فِي أَيَّام المتَوَكل علّة من حرارة امْتنع مَعهَا من أَخذ شَيْء من الأَدْوِيَة والأغذية .

فشق ذَلِك على المتَوَكل كثيرا واغتم به .

وَصَارَ إِلَيْه بختيشوع والأطباء عنْده وَهُوَ على حَاله فِي الامْتنَاع فمازحه وحادثه فَأدْخل المعتز يَده فِي كم جُبَّة وشي يمَان مثقله كَانَت على بختيشوع وَقَالَ مَا أحسن هَذَا الثَّوْب فَقَالَ بختيشوع يَا سَيِّدي مَا لَهُ وَالله نَظِير فِي الْحسن وثمنه عَليّ ألف دِينَار فَكل لي تفاحتين وَخذ الجُبَّة .

فَدَعَا بتفاح فَأكل اثْنَتَيْنِ ثمَّ قَالَ لَهُ تحْتَاج يَا سَيِّدي الجُبَّة إِلَى ثوب يكون مَعهَا وَعِنْدِي ثوب هُوَ أَخ لَهَا فَاشْرَبْ لي شربة سكنجبين[1] وخذه .

فَشرب شربة سكنجبين .

وَوَافَقَ ذَلِك اندفاع طَبيعَته فبرأ المعتز وَأخذ الجُبَّة وَالثَّوْب وَصلح من مَرضه .

فَكَانَ المتَوَكل يشْكر هَذَا الْفِعْل أبدا لبختيشوع .

وَقَالَ ثَابت بن سنَان بن ثَابت أَن المتَوَكل اشْتهى فِي بعض الأَوْقَات الحارة أَن يَأْكُل مَعَ طَعَامه خردلا فَمَنعه الأَطبَّاء من ذَلِك لحدة مزاجه وحرارة كبده وغائلة الخَرْدَل .

فَقَالَ بختيشوع أَنا أطعمك إِيَّاه وَإِن ضرك عَليّ فَقَالَ افْعَل .

فَأمر بإحضار قرعَة وَجعل عَلَيْهَا طينا وَتركهَا فِي تنور واستخرج ماءها وَأمر بِأَن يقشر الخَرْدَل وَيضْرب بِمَاء القرع .

---

(١) شراب مركَّب من حامِض وحلو فارسيَّته : سركا انكَبين

وَقَالَ إِن الخْرْدَل فِي الدرجَة الرَّابعَة من الحْرَارَة والقرع فِي الدرجَة الرَّابعَة من الرُّطُوبَة فيعتدلان فَكل شهوتك .

وَبَات تِلْكَ اللَّيْلَة وَلم يحس بشَيْء من الأْذَى وَأصْبح كَذَلِك .

فَأمر بِأَن يحمل إِلَيْهِ ثلثمائة أَلف دِرْهَم وَثَلاَثُونَ تختا من أَصْنَاف الثِّيَاب .

وَقَالَ إِسْحَق بن عَليّ الرهاوي عَن عِيسَى بن ماسة قَالَ رَأَيْت بختيشوع بن جِبْرَائِيل وَقد اعتل فَأمر أَمِير الْمُؤمنِينَ المتَوَكل والمعتز أَن يعودهُ وَهُوَ إِذْ ذَاك ولي عهد .

فعاده وَمَعَهُ مُحَمَّد بن عبد الله بن طَاهِر ووصيف التركي قَالَ وَأَخْبرنِي إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد الْمَعْرُوف بِابْن الْمُدبر أَن المتَوَكل أَمر الْوَزير شفاها وَقَالَ لَهُ اكْتُبْ فِي ضيَاع بختيشوع فَإِنَّهَا ضياعي وملكي فَإِن مَحَله منا مَحل أَرْوَاحنَا من أبداننا .

وَقَالَ عبيد الله بن جِبْرَائِيل بن عبيد الله بن بختيشوع هَذَا الْمَذْكُور ممَّا يدل على منزلَة بختيشوع عِنْد المتَوَكل وانبساطه مَعَه قَالَ من ذَلِك مَا حَدثنَا بِهِ بعض شُيُوخنَا أَنه دخل بختيشوع يَوْمًا إِلَى المتَوَكل وَهُوَ جَالس على سدة فِي وسط دَار الخْاصَّة فَجَلَسَ بختيشوع على عَادَته مَعَه على السدة وَكَانَ عَلَيْهِ دراعة ديباج رومي وَقد انفتق ذيلها قَلِيلا فَجعل المتَوَكل يحادث بختيشوع ويعبث بذلك الفتق حَتَّى بلغ إِلَى حد النيفق .

وَدَار بَينهمَا كَلاَم اقْتضى أَن سَأَلَ المتَوَكل بختيشوع بِمَاذَا تعلم أَن المشوش يحْتَاج إِلَى الشد والقيادة قَالَ إِذا بلغ فتق دراعة طبيبه إِلَى حد النيفق شددناه .

فَضَحِك المتَوَكل حَتَّى اسْتلْقى على ظَهره وَأمر لَهُ فِي الحْال بخلع سنية وَمَال جزيل .

وَقَالَ أَبُو الريحان البيروني[1] فِي كتاب الجْمَاهِر فِي الجْوَاهِر أَن المتَوَكل جلس يَوْمًا لهدايا النيروز فَقدم إِلَيْهِ كل علق نَفِيس وكل ظريف فاخر .

وَإِن طبيبه بختيشوع بن جِبْرَائِيل دخل وَكَانَ يأنس بِهِ فَقَالَ لَهُ مَا ترى فِي هَذَا الْيَوْم فَقَالَ مثل جرياشات الشحاذين إِذْ لَيْسَ قدر وَأَقْبل على مَا معي .

ثمَّ أخرج من كمه درج أبنوس مضبب بِالذَّهَب وفتحه عَن حَرِير أَخْضَر انْكَشَفَ عَن ملعقة كَبِيرَة من جَوْهَر لمع مِنْهَا شهَاب ووضعها بَين يَدَيْهِ فَرَأى المتَوَكل مَا لاَ عهد

(١) أبو الريحان محمد بن أحمد البَيْرُوني عالم مسلم كان رحّالةً وفيلسوفًا وفلكيًا وجغرافيًا وجيولوجيًا ورياضياتيًا وصيدليًا ومؤرخًا ومترجمًا لثقافات الهند .

لَهُ بمثله وَقَالَ من أَيْن لَك هَذَا قَالَ من النَّاس الْكِرَام ثمَّ حدث أَنه صَار إِلَى أبي من أم جَعْفَر زبيدة فِي ثَلَاث مَرَّات ثلثمائة ألف دِينَار بِثَلَاث شكايات عالجها فِيهَا واحدتها أَنَّهَا شكت عارضا فِي حلقها منذرة بالخناق فَأَشَارَ إِلَيْهَا بالفصد والتطفئة والتغدي بحشو وَصفه فَاحْضُرْ على نسخته فِي غضارة صينية عَجِيبَة الصّفة وفيهَا هَذِه الملعقة فغمزني أبي على رَفعهَا فَفعلت ولففتها فِي طيلساني وجاذبنيها الْخَادِم .

فَقَالَت لَهُ لاطفه ومره بردهَا وعوضه مِنْهَا عشرَة آلَاف دِينَار .

فامتنعت وَقَالَ أبي يَا ستي إِن ابْني لم يسرق قطّ فَلَا تفضحيه فِي أول كراته لِئَلَّا ينكسر قلبه .

فَضَحكت ووهبتها لَهُ .

وَسُئِلَ عَن الأخرتين فَقَالَ إِنَّهَا اشتكت إِلَيْه النكهة بإخْبَار إِحْدَى بطانتها إِيَّاهَا وَذكرت أَن الْمَوْت أسهل عَلَيْهَا من ذَلِك فجوعها إِلَى الْعَصْر وأطعمها سمكًا ممقورا وسقاها دردي نَبِيذ دقل بإكراه فغثت نَفسهَا وقذفت .

وَكرر ذَلِك عَلَيْهَا ثَلَاثَة أَيَّام ثمَّ قَالَ لَهَا تنكهي فِي وَجه من أخبرك بذلك واستخبريه هَل زَالَ وَالثَّالِثَة أَنَّهَا أشرفت على التّلف من فوَاق شَدِيد يسمع من خَارج الْحُجْرَة فَأمر الخدم بإصعاد خوابي إِلَى سطح الصحن وتصفيفها حوله على الشفير وملأها مَاء وَجلسَ خَادِم خلف كل جب حَتَّى إِذا صفق بِيَدِهِ على الْأُخْرَى دفعوها دفْعَة إِلَى وسط الدَّار فَفَعَلُوا وارتفع لذَلِك صَوت شَدِيد أرعبها فَوَثَبت وزايلها الفواق .

قَالَ أَبُو عَليّ القباني حَدثنِي أبي قَالَ دخلت يَوْمًا إِلَى بختيشوع وَكَانَ من أَيَّام الصَّيف وَجَلَست فَإِذا هُوَ قد رفع طرفه إِلَى خادمه وَقَالَ لَهُ هَات .

فجَاء بقدح فِيهِ نَحْو نصف رَطْل شراب عَتيق وعَلى طرف خلالة ذهب شَيْء أسود فمضغه ثمَّ شرب الشَّرَاب عَلَيْهِ وصبر سَاعَة فَرَأَيْت وَجهه يتقد كالنار .

ثمَّ دَعَا بأطباق فِيهَا خوخ جبلي فِي نِهَايَة الْحسن فَأقبل يقطع وَيَأْكُل حَتَّى انْتهى وَسكن تلهبه وَعَاد وَجهه إِلَى حَاله .

فَقلت لَهُ حَدثنِي بخبرك فَقَالَ اشْتَهَيْت الخوخ شَهْوَة شَدِيدَة وَخفت ضررها فاستعملت الترياق وَالشرَاب حَتَّى نقرت الْحجر ليجيد الطَّحْن .

وَقَالَ أَبُو عَليّ القباني[1] عَن أَبِيه قَالَ حَدثنِي مُحَمَّد بن دَاوُد بن الْجراح قَالَ كَانَ

(١) الإمام ، الحافظ ، الثقة ، شيخ المحدثين بخراسان أبو علي ، الحسين بن محمد بن زياد النيسابوري .

بختيشوع الطَّبيب صديقا لأبي وَكَانَ لنا نديم كثير الأكل عَظِيم الخلق فَكَانَ كلما رَآهُ قَالَ لَهُ أُريد أَن تركب لي شربة وأبرمه إِلَى أَن وصف لَهُ دَوَاء فِيهِ شحم الحنظل وسقمونيا وَقَالَ بختيشوع لأبي ملاك الأَمر كُله أَن يَأْكُل أكلا خَفِيفا ويضبط نَفسه فِيمَا بعد عَن التَّخْلِيط فأطعم يَوْم الحمية فِي دَارنَا وَاقْتصر على اسفيدباج من ثَلَاثَة أَرْطَال خبز فَلَمَّا استوفى ذَلِك طلب زِيَادَة عَلَيْهِ فَمنع واعتقله أبي عِنْده إِلَى آخر الْأَوْقَات وَوجه إِلَى امْرَأَته يوصيها أَن لَا تدع شَيْئا يُؤْكَل فِي دَاره .

وَلما علم أَن الْوَقْت قد ضَاقَ عَلَيْهِ أطلقهُ إِلَى منزله .

فَطلب من امْرَأَته شَيْئا يَأْكُلهُ فَلم يجد عِنْدهَا شَيْئا .

وَكَانَت قد أغفلت برنية فِيهَا فتيت على الرف فَوَجَدَهُ وَأخذ مِنْهُ أرطالا .

ثمَّ أصبح وَأخذ الدَّوَاء فتحير وَورد على الْمعدة وَهِي ملأى فَلم يُؤثر وَتَعَالَى النَّهَار فَقَالَ قد خرف بختيشوع .

وَعمد إِلَى عشرَة أَرْطَال لحم شرائح فَأكلهَا مَعَ عشرَة أَرْطَال خبز وَشرب دورقا مَاء بَارِدًا .

فَلَمَّا مَضَت سَاعَة طلب الدَّوَاء طَرِيقا لِلْخُرُوجِ من فَوق أَو من أَسْفَل فَلم يجد فانتفخت بَطْنه وَعلا نَفسه وكَاد يتْلف .

وصاحت امْرَأَته واستغاثت بِأبي .

فَدَعَا بمحمل وَحمل فِيهِ إِلَى بختيشوع وَكَانَ ذَلِك الْيَوْم حارا جدا .

وَكَانَ بختيشوع حِين انْصَرف من دَاره وَهُوَ ضجر .

فَسَأَلَ عَن حَاله إِلَى أَن علم شرح أمره .

وَكَانَ فِي دَاره أَكثر من مِائَتي طير من الطيطويات والحصانيات والبيضانيات وَمَا يجْرِي مجْراهَا .

وَلها مسقاة كَبِيرَة مَمْلُوءَة مَاء وَقد حمي فِي الشَّمْس وذرقت فِيهِ الطُّيُور .

فَدَعَا بملح جريش وَأمر بطرحه فِي المسقاة كُله وتذويبه فِي المَاء ودعا بقمع وَسَقَى الرجل كُله وَهُوَ لَا يعقل وَأمر بالتباعد عَنهُ .

فَأتى من طَبِيعَته فَوق وأسفل أَمر عَظِيم جدا حَتَّى ضعف .

وحفظت قوته بالرائحة الطّيبَة وبماء الدراج .

وأفاق بعد أَيَّام وعجبنا من صَلَاحه .

وَسَأَلنَا عَنهُ بختيشوع فَقَالَ فكرت فِي أمره فَرَأَيْت أَنِّي أَن اتَّخذت لَهُ دَوَاء طَال

أمره حَتَّى يطْبخ ويسقى فَيَمُوت إِلَى ذَلِك الْوَقْت .
وَنحن نعالج أَصْحَاب القولنج(١) الشَّدِيد بذرق الْحمام وَالْملح .
وَكَانَ فِي المسقاة المَاء فِي الشَّمْس وَقد سخن وَاجْتمعَ فِيهِ من ذرق الْحمام مَا يحْتَاج إِلَيْهِ وَكَانَ أسْرع تناولا من غَيره فعالجته بِهِ ونجع بِحَمْد الله .
ونقلت من بعض الْكتب أَن بختيشوع كَانَ يَأْمر بالحقن وَالْقَمَر مُتَّصِل بالذنب فَيحل القولنج من سَاعَته وَيَأْمُر بِشرب الدَّوَاء وَالْقَمَر على مناظرة الزهرة فصلح العليل من يَوْمه .
وَلما توفّي بختيشوع خلف عبيد الله وَلَده وَخلف مَعَه ثَلَاث بَنَات .
وَكَانَ الوزراء والنظار يصادرونهم ويطالبونهم بالأموال .
فتفَرَّقُوا وَاخْتلفُوا .
وَكَانَ مَوته يَوْم الأحَد لثمان بَقينَ من صفر سنة ستّ وَخمسين وَمِائَتَيْنِ .
وَمن كَلَام بختيشوع بن جبْرَائيل قَالَ .
الشّرْب على الْجُوع رَدِيء وَالْأكل على الشِّبَع أردأ .
وَقَالَ أكل الْقَلِيل مِمَّا يضر أصلح من أكل الْكثير مِمَّا ينفع .
ولبختيشوع بن جِبْرَائِيل من الْكتب كتاب فِي الْحجامَة على طَرِيق الْمسئلَة وَالْجَوَاب

جبْرَائِيل بن عبيد الله

جِبْرَائِيل بن عبيد الله بن بختيشوع كَانَ فَاضلا عَالما متقنا لصناعة الطِّبّ جيدا فِي أَعمالهَا حسن الدِّرَايَة لَهَا .
وَله تصانيف جليلة فِي صناعَة الطِّبّ .
وَكَانَت أجداده فِي هَذِه الصِّنَاعَة كل مِنْهُم أوحد زَمَانه وعلامة وقته .
ونقل عن عبيد الله ولد هَذَا الْمَذْكُور فِي أخباره عَن أَبِيه جِبْرَائِيل مَا هَذَا مِثَاله .
قَالَ أَن جدي عبيد الله بن بختيشوع كَانَ متصرفا وَلما ولي المقتدر رَحْمَة الله عَلَيْهِ الْخلَافَة اسْتَكْتَبَهُ لحضرته وَبَقِي مُدَّة مديدة ثمَّ توفّي .
وَخلف وَالِدي جِبْرَائِيل وأختا كَانَت مَعَه صغيرين .

---

(١) مرضٌ مِعَويّ مؤلمٌ يصعب معه خروج البِراز والريح ، وسببه التهاب القولون

وأنفذ المقتدر لَيْلَة مَوته ثَمَانِينَ فراشا حمل الْمَوْجُود من رَحل وأثاث وآنية .
وَبعد مواراته فِي الْقَبْر اختفت زَوجته وَكَانَت ابْنة إِنْسَان عَامل من أجلاء الْعمَّال يعرف بالحرسون .
فَقبض على والدها بِسَبَبِهَا وَطلب مِنْهُ ودائع بنت بختيشوع وَأخذ مِنْهُ مَالا كثيرا وَمَات عقيب مصادرته .
فَخرجت ابْنَته وَمَعَهَا وَلَدهَا جِبْرَائِيل وَأُخْته وهما صغيران إِلَى عكبراء مستترين من السُّلْطَان .
وَاتفقَ أَنَّهَا تزوجت بِرَجُل طَبِيب وصرفت وَلَدهَا إِلَى عَم كَانَ لَهُ بدقوقاء وأقامت مُدَّة عِنْد ذَلِك الرجل وَمَاتَتْ وَأخذ مَا كَانَ مَعهَا جَمِيعه وَدفع وَلَدهَا .
فَدخل جِبْرَائِيل إِلَى بَغْدَاد وَمَا مَعَه إِلاَّ الْيَسِير النزر .
وَقصد طَبِيبا كَانَ يعرف بترمرة فلازمه وَقَرَأَ عَلَيْهِ وَكَانَ من أطباء المقتدر وخواصه .
وَقَرَأَ على يُوسُف الوَاسِطِيّ الطَّبِيب ولازم البيمارستان وَالْعلم والدرس .
وَكَانَ يأوي إِلَى أخوال لَهُ يسكنون بدار الرّوم وَكَانُوا يسيئون عشرتهم عَلَيْهِ ويلومونه على تعرضه للْعلم والصناعة ويمجنون مَعَه وَيَقُولُونَ يُرِيد أَن يكون مثل جده بختيشوع وجبرائيل وَمَا يرضى أَن يكون مثل أَخْوَاله وَهُوَ لاَ يلْتَفت إِلَى مثل أَقْوَالهم .
وَاتفقَ أَن جَاءَ رَسُول من كرمان إِلَى معز الدولة[1] وَحمل لَهُ الْحمار المخطط وَالرجل الَّذِي كَانَ طوله سَبْعَة أشبار وَالرجل الَّذِي كَانَ طوله شبرين وَاتفقَ أَنه نزل فِي قصر فرخ من الْجَانِب الشَّرْقِي قَرِيبا من الدّكان الَّذِي كَانَ يجلس عَلَيْهِ وَالِدي جِبْرَائِيل وَصَارَ ذَلِك الرَّسُول يجلس عِنْده كثيرا ويحادثه ويباسطه .

(١) هو السلطان البويهي أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي ، الملقب بمعز الدولة ، أول من تملك من سلاطين الدولة البويهية وهي دولة شيعية أهلها من الديالمة ، وبلادهم في الجنوب الغربي لبحر قزوين ، تسلطت هذه الدولة على الخلافة العباسية ابتداءً من عهد الخليفة المطيع لله سنة ٣٣٤هـ ، وهي السنة التي دخل فيها معز الدولة أحمد بن بويه بغداد واستلم السلطة الفعلية في الخلافة ، لقد بلغت الحياة الثقافية في العهده ذروتها فشملت حقل الاداب بما فيها من نثر وشعر وتطورت الدراسات اللغوية وازدهرت الحياة العقلية وتكاملت العلوم الفقهية وظهرت البحوث في التاريخ والجغرافيا والهندسة والطب وعلم الفلك كما برزت الحركة الصوفية والدراسات الدينية على مختلف مواضيعها

فَلَمَّا كَانَ فِي بعض الأَيَّام استدعاه وشاوره بالفصد فَأَشَارَ بِهِ وفصده وَتردد إِلَيْهِ يَوْمَيْنِ فأنفذ لَهُ على رسم الديلم الصينية الَّتِي كَانَت فِيهَا العصائب والطشت والإبريق وَجَمِيع الآلَة .

ثمَّ استدعاه وَقَالَ لَهُ ادخل إِلَى هَؤُلاَءِ الْقَوْم وَانْظُر مَا يصلح لَهُم وَكَانَ مَعَ الرَّسُول جَارِيَة يهواها قد عرض لَهَا نزف الدَّم وَلاَ بَقِي بِفَارِس وَلاَ بكرمان وَلاَ بالعراق طَبِيب مَذْكُور إِلاَّ وعالجها وَلم ينجح فِيهَا العلاج فعندما رَآهَا رتب لَهَا تدبيرا وَعمل لَهَا معجونا وسقاها إِيَّاه فَمَا مضى عَلَيْهَا أَرْبَعُونَ يَوْمًا حَتَّى برِئت وَصلح جسمها وَفرح الرَّسُول بذلك فَرحا عَظِيما .

فَلَمَّا كَانَ بعد مُدَّة استدعاه وَأَعْطَاهُ ألف دِرْهَم ودراعة سقلاطون[1] وثوبا توثيا وعمامة قصب وَقَالَ لَهُ طالبهم بحقك فَأَعْطَتْهُ الْجَارِيَة ألف دِرْهَم وقطعتين من كل نوع من الثِّيَاب وَحمل على بغله بمركب وَاتبع ذَلِك بمملوك زنجي فَخرج وَهُوَ أحسن حَالا من أحد أَخْوَاله .

فَلَمَّا رَأَوْهُ وَثبُوا لَهُ وتلقوه لقيا جميلا فَقَالَ لَهُم للثياب تكرمون لاَ لي .

فَلَمَّا مضى الرَّسُول انْتَشَر ذكره بِفَارِس وبكرمان بِمَا عمل وَكَانَ ذَلِك سَبَب خُرُوجه من شيراز .

فَلَمَّا دخل رفع خَبره إِلَى عضد الدولة[2] وَكَانَ أول تبوئه ولاَيَته شيراز واستدعى بِهِ فَحَضَرَ واحضر مَعَه رِسَالَة فِي عصب الْعين تكلم فِيهَا بِكَلاَم حسن فَحسن موقعه عِنْده وَقرر لَهُ جَار وجراية كالباقين ثمَّ أَنه عرض لكوكين زوج خَالَة عضد الدولة وَهُوَ وَالِي كورة جورقب مرض واستدعى طَبِيبا فأنفذه عضد الدولة فَلَمَّا وصل أكْرم مَوْضِعه وأجله إجلالا عَظِيما .

وَكَانَ بِهِ وجع المفاصل والنقرس وَضعف الأحشاء فَركب لَهُ جوارشن تفاحي وَذَلِكَ فِي سنة سبع وَخمسين وثلثمائة لِلْهِجْرَة فَانْتَفع بِهِ مَنْفَعَة بَيِّنَة عَظِيمَة فأجزل لَهُ

---

(١) نوعٌ من الثّياب

(٢) عضد الدولة بن بويه (٩٣٦–٩٨٣) كان ملكا على بلاد شيراز وما حولها من الأطراف ولد بأصفهان ، فتح قرمان وعمان ، هزم الترك في واسط ، وظفر بالعراق بعد استيلائه على بغداد سنة ٩٥٥م ، غزا جرجان وطبرستان ، عرف برعايته للعلماء واحسانه على الفقراء ، وفد عليه كثير من الشعراء منهم ابن بابك وأبو الطيب المتنبي . كان عضد الدولة ملكا فطنا وذا تدبير .

عطاءه وأكرمه ورده إِلَى شيراز مكرما .

ثمَّ أَن عضد الدولة دخل إِلَى بَغْدَاد وَهُوَ مَعَه من خاصته وجدد البيمارستان وَصَارَ يَأْخُذ رزقين وهما برسم خَاص ثلثمِائة دِرْهَم شجاعية وبرسم البيمارستان ثلثمائة دِرْهَم شجاعية سوى الجراية .

وَكَانَت نوبَته فِي الأسبوع يَوْمَيْنِ وليلتين .

وَاتفقَ أَن الصاحب بن عباد[١] رَحمَه الله تَعَالَى عرض لَهُ مرض صَعب فِي معدته فكاتب عضد الدولة يلْتَمس طبيا .

وَكَانَ عمله وَفعله وفضله مَشْهُورا فَأمر عضد الدولة بِجمع الْأَطِبَّاء البغداديين وَغَيرهم وشاورهم فِيمَن يصلح أَن ينفذ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا جمعهم واستشارهم .

فَأَشَارَ جَمِيع الْأَطِبَّاء على سَبِيل الأبعاد لَهُ من بَينهم وحسدا على تقدمه مَا يصلح أَن يلقى مثل هَذَا الرجل إِلَّا أَبُو عِيسَى جِبْرَائِيل لِأَنَّهُ مُتَكَلم جيد الْحجَّة عَالم باللغة الفارسية .

فَوَقع ذَلِك بوفاق عضد الدولة فَأطلق لَهُ مَالا يصلح بِهِ أمره وَحمل إِلَيْهِ مركوب جميل وبغال للْحَمْل وسيره .

فَلَمَّا وصل الرّيّ تَلقاهُ الصاحب لِقَاء جميلا وأنزله فِي دَار مزاحة الْعِلَل بفراش وطباخ وخازن ووكيل وبواب وَغَيره .

وَلما أَقَامَ عِنْده أسبوعا استدعاه يَوْمًا وَقد أعد عِنْده أهل الْعلم من أَصْنَاف الْعُلُوم .

ورتب لمناظرته إنْسَانا من أهل الرّيّ وَقد قَرَأَ طرفا من الطِّبّ .

فَسَأَلَهُ عَن أَشْيَاء من أَمر النبض فَعلم هُوَ مَا الْغَرَض فِي ذَلِك .

فَبَدَأَ وَشرح أَكثر مِمَّا تحتمله الْمَسْأَلَة .

وَعلل تعليلات لم يكن فِي الْجَمَاعَة من سمع بهَا .

وَأورد شكوكا ملاحا وحلها فَلم يكن فِي الْحُضُور إِلَّا من أكْرمه وعظمه .

وخلع عَلَيْهِ الصاحب خلعا حَسَنَة وَسَأَلَهُ أَن يعْمل لَهُ كناشا يخْتَص بِذكر

(١) أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني ، الطالقاني ، الاصفهاني ، المعروف بالصاحب بن عباد و«كافي الكفاة» ، كان من كبار علماء وأدباء الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، مشارك في مختلف العلوم كالحكمة والطب والمنطق ، وكان محدثاً ثقة .

الأُمْرَاض الَّتِي تعرض من الرَّأْس إِلَى الْقدَم وَلاَ يخلط بهَا غَيرهَا .

فَعمل كناشة الصَّغِير وَهُوَ مَقْصُور على ذكر الأُمْرَاض الْعَارِضَة من الرَّأْس إِلَى الْقدَم حَسْبَمَا أَمر الصاحب بِهِ .

وَحمله إِلَيْهِ فَحسن موقعه عِنْده وَوَصله بشَيْء قيمَته ألف دِينَار .

وَكَانَ دَائِما يَقُول صنفت مائَتي ورقة أخذت عَنْهَا ألف دِينَار .

وَرفع خَبَره إِلَى عضد الدولة فأعجب بِهِ وَزَاد مَوْضِعه عِنْده .

فَلَمَّا عَاد من الرّيّ دخل إِلَى بَغْدَاد بزِي جميل وَأمر مُطَاع وغلمان وحشم وخدم وصادف من عضد الدولة مَا يسره ويختاره .

قَالَ وحَدثني من أَثِق إِلَيْهِ أَنه دخل الأُطِبَّاء ليهنئوه بوروده وسلامته .

فَقَالَ أَبُو الْحُسَيْن بن كشكرايا تلميذ سِنَان يَا أَبَا عِيسَى زرعنا وأكلت وأردناك تبعد فازددت قربا لأَنَّهُ كَانَ كَمَا تقدم ذكره .

فَضَحِك جِبْرَائِيل من قَوْله وَقَالَ لَهُ لَيْسَ الأُمُور إِلَيْنَا بل لَهَا مُدبر وَصَاحب .

وَأَقَام بِبَغْدَاد مُدَّة ثَلَاث سِنِين .

واعتل خسرو شاه بن مبَادر ملك الديلم وآلت حَاله إِلَى المراقبة وَنحل جِسْمه وَقَوي استشعاره .

وَكَانَ عِنْده اثْنَا عشر طَبِيبا من الرّيّ وَغَيرهَا وَكلما عالجوه ازْدَادَ مَرضه .

فأنفذ إِلَى الصاحب يلْتَمس مِنْهُ طَبِيبا .

فَقَالَ مَا أعرف من يصلح لهَذَا الأَمر إِلاَّ أَبُو عِيسَى جِبْرَائِيل .

فَسَأَلَهُ مُكَاتبَته لما بَينهمَا من الإِنْس وَكَاتب عضد الدولة يسْأَل إِنْفَاذه ويعلمه أَن حَاله قد آلت إِلَى أَمر لاَ يحْتَمل الونية فِي ذَلِك .

فأنفذه مكرما .

فَلَمَّا وصل إِلَى الديلمي قَالَ لَهُ مَا أعالجك أَو ينْصَرف من حولك من أطباء .

فصرف الأُطِبَّاء مكرمين وَأَقَام عِنْده وَسَأَلَهُ أَن يعْمل فِي صُورَة الْمَرَض مقَالَة يقف على حَقِيقَته وتدبير يختاره ويعول عَلَيْهِ فَعمل لَهُ مقَالَة ترجمها فِي ألم الدِّمَاغ بمشاركة فَم الْمعدة والحجاب الْفَاصِل بَين آلَات الْغذَاء وآلات التنفس الْمُسَمّى ذيا فرغما .

وَلما اجتاز بالصاحب سَأَلَهُ عَن أفضل استقساط الْبدن فَقَالَ هُوَ الدَّم فَسَأَلَهُ أَن يعْمل لَهُ فِي ذَلِك كتابا يبرهن عَلَيْهِ فِيهِ فَعمل فِي ذَلِك مقَالَة مليحة بَين فِيهَا

الْبَرَاهِين الَّتِي تدل على هَذَا وَكَانَ فِي هَذِه الْمدَّة مستعجلا للْعَمَل كناشة الْكَبِير .
وَلما عَاد إِلَى بَغْدَاد وَكَانَ عضد الدولة قد مَاتَ فَأَقَامَ بِبَغْدَاد سِنِين مشتغلا بالتصنيف فتمم كناشة الْكَبِير وَسَماهُ بالكافي بلقب الصاحب بن عباد لمحبته لَهُ ووقف مِنْهُ نُسْخَة على دَار الْعلم بِبَغْدَاد .
وَعمل كتاب الْمُطَابقَة بَين قَول الْأَنْبِيَاء والفلاسفة وَهُوَ كتاب لم يعْمل فِي الشَّرْع مثله لِكَثْرَة احتوائه على الْأَقَاوِيل وَذكر الْمَوَاضِع الَّتِي استخرجت مِنْهَا وَأكْثر فِيهِ من أَقْوَال الفلاسفة فِي كل معنى لغموضها وَقلة وجودهَا وقلل من الْأَقَاوِيل الشَّرْعِيَّة لظهورها وَكَثْرَة وجودهَا وَفِي هَذِه الْمدَّة عمل مقَالَة فِي الرَّد على الْيَهُود جمع فِيهَا أَشْيَاء مِنْهَا جَوَاز النّسخ من أَقْوَال الْأَنْبِيَاء وَمِنْهَا شَهَادَات على صِحَة مَجِيء الْمَسِيح وَأَنه قد كَانَ وأبطل انتظارهم لَهُ وَمِنْهَا صِحَة القربان بالخبز وَالْخمر وَعمل مقالات أخر كَثِيرَة صغَارًا مِنْهَا لم جعل من الْخمر قرْبَان وَأَصله محرم وَأَبَان علل التَّحْلِيل وَالتَّحْرِيم .
وَعرض لَهُ أَن سَافر إِلَى بَيت الْمُقَدّس وَصَامَ بِهِ يَوْمًا وَاحِدًا وَعَاد مِنْهُ إِلَى دمشق واتصل خَبره بالعزيز رَحمَه الله وكوتب من الحضرة بِكِتَاب جميل فاحتج أَن لَهُ بِبَغْدَاد أَشْيَاء يمْضِي وينجزها وَيعود إِلَى الحضرة قَاصِدا ليفوز بِحَق الْقَصْد فحين عَاد إِلَى بَغْدَاد أَقَامَ بهَا وَعدل عَن الْمُضِيّ إِلَى مصر .
ثمَّ إِن ملك الديلم أنفذ خَلفه واستدعاه فَعِنْدَ حُصُوله بِالريِّ وقف بهَا نُسْخَة من كناشة الْكَبِير .
قَالَ وَبَلغنِي أَن البيمارستان يعْمل بهَا وَأَنه يعرف بِهِ بَين أطبائهم إِذا ذكر أَبُو عِيسَى صَاحب الكناش .
وَأقَام عِنْد ملك الديلم مُدَّة ثَلَاث سِنِين وَخرج من عِنْده على سَبِيل الْغَضَب وَكَانَ قد حلف لَهُ بِالطَّلَاق أَنه مَتى اخْتَار الِانْصِرَاف لَا يمنعهُ فَلم يُمكنهُ رده .
وَجَاء إِلَى بَغْدَاد وَأقَام بهَا مُدَّة .
ثمَّ أَنه استدعي إِلَى الْموصل إِلَى حسام الدولة فعالجه من مرض كَانَ بِهِ .
وَجرى لَهُ مَعَه شَيْء استعظمه وَكَانَ أبدا يُعِيدهُ عَنهُ .
وَذَلِكَ أَنه كَانَت لَهُ امْرَأَة عليلة بِمَرَض حاد فَأَشَارَ بِحِفْظ القارورة وَاتفقَ أَنه عِنْد حسان الدولة وَقَالَ لَهُ هَذِه المرأة تَمُوت فانزعج لذَلِك وَنظرت الْجَارِيَة إِلَى انزعاجه وصرخت وخرقت ثِيَابهَا وَوَلَّتْ فاستدعاها فِي الْحَال وَقَالَ لَهَا جرى فِي أَمر هَذِه المرأة

شَيْء لاَ أعلمهُ فَحَلَفت أَنَّهَا لم تجَاوز التَّدْبير .

فَقَالَ لَعَلَّكُمْ خضبتموها بِالْحِنَّاء قَالَت قد كَانَ ذَلِك .

فحرد وَقَالَ للْجَارِيَة أقوالا ثمَّ قَالَ لحسام الدولة أبشر بعد ثَلاَثَة أَيَّام تَبرأ فَكَانَ كَمَا قَالَ فَعظم هَذَا عِنْده وَكَانَ أبدا يُعيدهُ ويتعجب مِنْهُ .

وَلما عَاد إِلَى بَغْدَاد كَانَ العميد لاَ يُفَارِقهُ ويلازمه ويبايته فِي دَار الوزارة لأجل الْمَرَض الَّذي كَانَ بِهِ وحظي لَدَيْه .

ثمَّ أَنَ الأُمير ممهد الدولة أنفذ إِلَيْه ولاطفه حَتَّى أصعد إِلَى ميافارقين فَلَمَّا وصل إِلَيْه أكْرمه الإِكْرَام الْمَشْهُور عِنْد كل من كَانَ يرَاهُ .

وَمن لطيف مَا جرى لَهُ مَعَه أَنه أول سنة ورد فِيهَا سقى الأُمير دَوَاء مسهلا وَقَالَ لَهُ يجب أَن تَأْخُذ الدَّوَاء سحرًا فَعمد الأُمير وَأَخذه أول اللَّيْل فَلَمَّا أصبح ركب إِلَى دَاره وَوصل إِلَيْه وَأخذ نبضه وَسَأَلَهُ عَن الدَّوَاء فَقَالَ لَهُ مَا عمل معي شَيْئا امتحانا لَهُ فَقَالَ جبْرَائيل النبض يدل على نَفاذ دَوَاء الأُمير وَهُوَ أصدق .

فَضَحك ثمَّ قَالَ لَهُ كم ظَنك بالدواء فَقَالَ يعْمل مَعَ الأُمير خَمْسَة وَعشْرين مَجْلسا وَمَعَ غَيره زَائدا وناقصا .

فَقَالَ لَهُ .

عمل معي إِلَى الْآن ثَلاَثَة وَعشْرين مَجْلسا فَقَالَ وَهُوَ يعْمل تَمام مَا قلت لَك .

ورتب مَا يَسْتَعْمِلهُ وَخرج من عِنْده مغضبا وَأمر أَن يشد رَحْله وَيصْلح أَسبَاب الانْصِرَاف .

فَبلغ ممهد الدولة ذَلِك وانفذ إِلَيْه يستعلم خبر انْصِرَافه .

فَقَالَ مثلي لاَ يجرب لأنني أشهر من أَن احْتَاجَ إِلَى تجربة .

فأرضاه وَحمل إِلَيْه بغلة ودراهم لَهَا قدر .

وَفِي هَذه الْمدَّة كَاتبه ملك الديلم بكتب جميلَة يسْأَله فِيهَا الزِّيَارَة وَكَاتب ممهد الدولة يسْأَله فِي ذَلِك .

فَمنع من الْمضِيّ وَأَقَام فِي الْخدمَة ثَلاَث سِنِين حتى تُوفِّي

خصيب

كَانَ نَصْرَانِيّا من أهل الْبَصْرَة ومقامه بهَا وَكَانَ فَاضلا فِي صناعَة الطِّبّ جيد المعالجة .

حدث مُحَمَّد بن سَلام الجُمَحِي(١) قَالَ مرض الحكم بن مُحَمَّد بن قنبر الْمَازِني الشَّاعِر بِالْبَصْرَة فَأتوهُ بخصيب الطَّبِيب يعالجه فَقَالَ فِيه .

(وَلَقَد قلت لأهلي إِذْ أَتَوْنِي بخصيب)
(لَيْسَ وَالله خصيب لِلَّذي بِي بطبيب)
(إِنَّمَا يعرف دأبي من بِهِ مثل الَّذي بِي)

وَحدث أَيْضا مُحَمَّد بن سَلام قَالَ كَانَ خصيب الطَّبِيب نَصْرَانِيّا نبيلا فسقى مُحَمَّد بن أبي الْعَبَّاس السفاح شربة دَوَاء وَهُوَ على الْبَصْرَة فَمَرض مِنْهَا وَحمل إِلَى بَغْدَاد فَمَاتَ بهَا وَذَلِكَ فِي أول سنة خمسين وَمِائَة .

فأتهم خصيب فحبس حَتَّى مَاتَ .

فَنظر فِي علته إِلَى مائَة وَكَانَ عَالما فَقَالَ قَالَ جالينوس أَن صَاحب هَذه الْعلَّة إِذا صَار هَكَذَا مَاؤُهُ لاَ يعيش فَقيل لَهُ إِن جالينوس رُبَمَا أَخطَأ فَقَالَ مَا كنت إِلَى خطئه قطّ أحْوج مني إِلَيْهِ فِي هَذَا الْوَقْت وَمَات من علته .

عِيسَى الْمَعْرُوف بِأبي قُرَيْش

قَالَ إِسْحَق بن عَليّ الرهاوي(٢) فِي كتاب أدب الطَّبِيب عَن عِيسَى ابْن ماسة قَالَ أَخْبرنِي يوحنا بن ماسويه أَن أَبَا قُرَيْش كَانَ صيدلانيا يجلس على مَوضع نَحْو بَاب قصر الْخَلِيفَة وَكَانَ دينا صَالحا فِي نَفسه وَأَن الخيزران جَارِيَة الْمهْدي وجهت

(١) محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي أبو عبد الله البصري مولى قدامة بن مطعون ، صنف كتاب طبقات فحول الشعراء ، وكان من أهل الفضل والأدب ، قدم بغداد سنة ٢٢٢ هـ واعتل فأهدى إليه الأكابر أطباءهم ، وكان فيمن أهدي إليه ابن ماسويه فلما جس نبضه قال : «ما أرى بك من العلة مثل ما أرى بك من الجزع» ، فقال : «والله ما ذاك لحرص على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة ولكن الإنسان في غفلة حتى يوقظ بعلة ولو وقفت وقفة بعرفات وزرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم زورة وقضيت أشياء في نفسي لسهل علي ما اشتد من هذا» ، فقال ابن ماسويه : «لا تجزع فقد رأيت في عروقك من الحرارة الغزيزية قوة ما إن سلمك الله من العوارض بلغك عشر سنين أخرى» ، فوافق كلامه قدراً فعاش بعد ذلك عشر سنين ومات في سنة ٢٣٢ هـ .

(٢) إسحاق بن علي الرهاوي هو طبيب عربي مسلم . قال ابن أبي أصيبعة في طبقاته «كان طبيباً متميزاً عالماً بكلام جالينوس وله أعمال جيدة في صناعة الطب» . من آثاره : أدب الطبيب .

بمَائِهَا مَعَ جَارِيَة لَهَا إِلَى الطَّبِيب فَخرجت الْجَارِيَة من الْقصر فأرت أَبَا قُرَيْش المَاء فَقَالَ لَهَا هَذَا مَاء امْرَأَة حُبْلَى بِغُلَام فَرَجَعت الْجَارِيَة بالبشارة فَقَالَت لَهَا ارجعي إِلَيْهِ واستقصي الْمَسْأَلَة عَلَيْه .

فَرَجَعت فَقَالَت لَهَا مَا قلت لَك حق وَلَكِن لي عَلَيْك الْبُشْرَى .

فَقَالَت كم تريدين الْبُشْرَى قَالَ جامة فالوذج وخلعة سنية فَقَالَت لَهَا إِن كَانَ هَذَا حَقًا فقد سقت إِلَى نَفسك خير الدُّنْيَا وَنَعِيمهَا .

وانصرفت .

فَلَمَّا كَانَ بعد أَرْبَعِينَ يَوْمًا أحست الخيزران بِالْحملِ فوجهت ببدرة دَرَاهِم وكتمت الْخَبَر عَن الْمهْدي .

فَلَمَّا مَضَت الْأَيَّام ولدت مُوسَى أَخا هرون الرشيد .

فَعنْدَ ذَلِك أعلمت الْمهْدي وَقَالَت لَهُ إِن طَبِيبا على الْبَاب أخبر بِهَذَا مُنْذُ تِسْعَة أشهر .

وَبَلغ الْخَبَر جورجس بن جِبْرَائِيل فَقَالَ كذب ومخرقة .

فَغضبت لَهُ الخيزران وَأمرت فَاتخذ بَين يَديهَا مائَة خوان فالوذج ووجهت بذلك إِلَيْهِ مَعَ مائَة ثوب وَفرس بسرجه ولجامه .

وَمَا مضى بعد ذَلِك إِلاَّ قَلِيل حَتَّى حبلت بأَخيه هرون الرشيد .

فَقَالَ جورجس للمهدي جرب أَنْت هَذَا الطَّبِيب فَوجه إِلَيْهِ بِالْمَاءِ فَلَمَّا نظر إِلَيْهِ قَالَ هَذَا مَاء ابْنَتي أم مُوسَى وَهِي حُبْلَى بِغُلَام آخر .

فَرَجَعت الرسَالَة بذلك إِلَى الْمهْدي وَأثبت الْيَوْم عِنْده فَلَمَّا مَضَت الْأَيَّام ولدت هرون فَوجه الْمهْدي إِلَى أبي قُرَيْش فَأحْضرهُ وأقيم بَين يَدَيْهِ فَلم يزل يطْرَح عَلَيْه الْخلْع ويدر الدَّنَانِير وَالدَّرَاهِم حَتَّى علت رَأسه وسير هرون ومُوسَى فِي حجره وكناه أَبَا قُرَيْش أَي أَبَا الْعَرَب .

وَقَالَ لجورجس هَذَا شَيْء أَنا بنفسي جربته .

فَصَارَ أَبُو قُرَيْش نَظِير جرجس بن جِبْرَائِيل بل أكبر مِنْهُ حَتَّى تقدمه فِي الْمرتبَة .

وَتُوفِّي الْمهْدي واستخلف هارون الرشيد وَتُوفِّي جرجس وَسَار ابْنه تبع أبي قُرَيْش فِي خدمَة الرشيد وَمَات أَبُو قُرَيْش وَخلف اثْنَيْنِ وَعشْرين ألف دينَار مَعَ نعْمَة سنية .

وَقَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم حَدثنِي الْعَبَّاس بن عَليّ بن الْمهْدي أن الرشيد اتخذ مَسْجِدا جَامعا فِي بُسْتَان مُوسَى الْهَادِي وَأمر أخوته وَأهل بَيته بِحُضُورِهِ فِي كل يَوْم جُمُعَة ليتولى الصَّلَاة بهم فِيهِ .

قَالَ فَحَضَرَ وَالِدي عَليّ بن الْمَهْدي ذَلِك الْمَسْجِد فِي يَوْم حَار وَصلى فِيهِ وَانْصَرف إِلَى دَاره بسوق يحيى .

فكسبه حر ذَلِك الْيَوْم صداعا كَاد يذهب ببصره .

فأحضر لَهُ جَمِيع متطببي مَدِينَة السَّلَام وَكَانَ آخر من احضر مِنْهُم عِيسَى أَبُو قُرَيْش فوافاهم قد اجْتَمعُوا للمناظرة .

فَقَالَ لَيْسَ يتَّفق لجَماعَة رَأْي حَتَّى يذهب بصر هَذَا .

ثمَّ دَعَا بدهن بنفسج وَمَاء ورد وخل خمر وثلج فَجعل فِي مضربة من ذَلِك الدّهن بِقدر وزن دِرْهَمَيْنِ وصب عَلَيْهِ شَيْئا من الْخلّ وشيئا من المَاء وفت فِيهِ شَيْئا من الثَّلج وحرك الْمضربة حَتَّى اخْتَلَطَ جَمِيع مَا فِيهَا ثمَّ أَمر بتصبير راحه مِنْهُ وسط رَأسه وَالصَّبْر عَلَيْهِ حَتَّى ينشفه الرَّأْس ثمَّ زِيَادَة رَاحَة أُخْرَى .

فَلم يزل يفعل ذَلِك ثَلَاث مَرَّات أَو أَربع حَتَّى سكن عَنهُ الصداع وعوفي من الْعلَّة .

قَالَ يُوسُف وحدثتني شكْلَة أم إِبْرَاهِيم ابْن الْمَهْدي أَن الْمَهْدي هتف بهَا وَهِي مَعَه فِي مضربه بالربدة من طَرِيق مَكَّة بِلِسَان متغير أنكرته فَصَارَت إِلَيْهِ وَهُوَ مستلق على الْقَفَا فَأمرهَا بِالْجُلُوسِ .

فَلَمَّا جَلَست وثب فعانقها معانقة الْإِنْسَان لمن يسلم عَلَيْهِ ثمَّ عبرها إِلَى صَدره وَزَالَ عَنهُ عقله .

فجهد جَمِيع من حضرها بِأَن يخلص يَدَيْهِ من عُنُقهَا فَمَا وصلوا إِلَى ذَلِك .

وَحضر المتطببون فَأَجْمعُوا على أَن الَّذِي بِهِ فالج .

فَقَالَ عِيسَى أَبُو قُرَيْش الْمَهْدي بن الْمَنْصُور بن مُحَمَّد بن عَليّ بن الْعَبَّاس يضْربهُ فالج لَا وَالله لَا يضْرب أحدا من هَؤُلَاءِ وَلَا نسلهم فالج أبدا إِلَّا أَن يبذروا بذورهم فِي الروميات والصقلبيات وَمَا أشبههن فَيعرض الفالج لمن وَلَده الروميات وأشباههن من نسلهم .

ثمَّ دَعَا بالحجام فحجمه فوَاللَّه مَا أَن خرج من دَمه إِلَّا محجمة وَاحِدَة حَتَّى رد إِلَيْهِ يَدَيْهِ .

ثمَّ تكلم مَعَ المحجمة الثَّانِيَة ثمَّ ثاب إِلَيْهِ عقله قبل فرَاغ الْحجام من حجامته ثمَّ طعم بعد ذَلِك ودعا بِأم أَسمَاء بنت الْمَهْدي فواقعها فأحبلها بأسماء .

قَالَ يُوسُف وَلما اشتدت بإبراهيم بن الْمَهْدي علته الَّتِي توفّي فِيهَا استرخى لحيه وَغلظ لِسَانه فِي فِيهِ فصعب عَلَيْهِ الْكَلَام .

وَكَانَ إِذا تكلم توهمه سامعه مفلوجا .

فدعاني وَقت صَلَاة الْعَصْر من يَوْم الثُّلَاثَاء لست خلون من شهر رَمَضَان سنة أَربع وَعشْرين وَمِائَتَيْنِ فَقَالَ لي أما تعجب من عرض هَذه الْعلَّة الَّتِي لم تعرض لأحد من ولد أبي غير إِسْمَاعِيل بن مُوسَى أَمِير الْمُؤمنِينَ وَمُحَمّد بن صَالح الْمِسْكِين .

وَإِنَّمَا عرضت لمُحَمد لأَن أمه كَانَت رُومِية وَأم أَبِيه كَانَت كَذَلِك . .

وَكَانَت أم إِسْمَاعِيل رُومِية .

وَأَنا فَلم تلدني رُومِية فَمَا الْعلَّة عنْدك فِي عرض هَذه الْعلَّة لي فَعلمت أَنه كَانَ حفظ عَن أمه قَول عِيسَى أبي قُرَيْش فِي الْمهْدي وَولده أَنه لَا يعرف لعقبة الفالج إِلَّا أَن يبذروا بذورهم فِي الروميات وَأَنه قد أمل أَن يكون الَّذِي بِهِ فالجا لَا عَارض الْمَوْت .

فَقلت لَا أعرف لإنكارك هَذه الْعلَّة معنى إِذْ كَانَت أمك الَّتِي قَامَت عَنْك دنباوندية ودنباوند أَشد بردا من كل أَرض الرّوم فَكَأَنَّهُ تفرج إِلَى قولي وصدقني وَأظْهر السرُور بِمَا سمع مني .

ثمَّ توفّي فِي وَقت طُلُوع الْفجْر من يَوْم الْجُمُعَة لتسْع خلون من شهر رَمَضَان .

قَالَ يُوسُف وحَدثني إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي أَن لحم عِيسَى بن جَعْفَر بن الْمَنْصُور كثر عَلَيْهِ حَتَّى كَاد أَن يَأْتِي على نَفسه .

وَأَن الرشيد اغتم لذَلِك غما شَدِيدا أضرّ بِهِ فِي بدنه وَمنعه لَذَّة الْمطعم وَالْمشْرَب وَأمر جَمِيع المتطببين بمعالجته .

فكلهم دفع أَن يكون عِنْده فِي ذَلِك حِيلَة .

فزادوا الرشيد غما إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ .

وَأَن عِيسَى الْمَعْرُوف بِأبي قُرَيْش صَار إِلَى الرشيد سرا فَقَالَ لَهُ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إِن أَخَاك عِيسَى بن جَعْفَر رزق معدة صَحِيحَة وبدنا قَابلا للغذاء أحسن قبُول وَجَمِيع الْأُمُور جَارِيَة لَهُ بِمَا يحب فَلَيْسَ يتَمَنَّى شَيْئا إِلَّا تمّ لَهُ على أَكثر مِمَّا يُحِبهُ .

وَقد وقِي موت أحبته وَدخُول النَّقْص فِي مَاله وَالظُّلم من نَاحيَة سُلْطَانه وَالِاسْتِقْصَاء عَلَيْهِ .

وَالْأَبدَان مَتى لم تختلط على أَصْحَابهَا طبائعهم وأحوالهم فتنالهم الْعِلَل فِي بعض الْأَوْقَات وَالصِّحَّة فِي بَعْضهَا والغموم فِي بَعْضهَا وَالسُّرُور فِي بَعْضهَا ورؤية المكاره فِي بَعْضهَا والمحاب فِي بَعْضهَا وَتدْخلهَا الروعة أَحْيَانًا والفرح أَحْيَانًا لم يُؤمن على صَاحبهَا التّلف .

لأَن لحْمه يزْدَاد حَتَّى تضعف عَن حمله الْعِظَام وَحَتَّى يغمر فعل النَّفس وَتبطل قوى الدِّمَاغ والكبد .

وَمَتى كَانَ هَذَا عدمت الْحَيَاة وأخوك هَذَا إِن لم تظهر موجدة عَلَيْهِ أَو تغير لَهُ أَو تقصده بِمَا ينكي قلبه من حِيَازَة مَال أَو أَخذ عَزِيز عَلَيْهِ من حرمه لم آمن عَلَيْهِ تزايد هَذَا الشَّحْم حَتَّى يتأتي على نَفسه .

فَإِن أَحْبَبْت حَيَاته فافعل ذَلِك بِهِ وَإِلاَّ فَلاَ أَخ لَك .

فَقَالَ الرشيد أَنا أعلم أَن الَّذِي ذكرت على مَا قلت .

غير أَنه لاَ حِيلَة عِنْدِي فِي التَّغَيُّر لَهُ أَو غمه بِشَيْءٍ من الأَشْيَاء فَإِن تكن عنْدك حِيلَة فِي أمره فاحتل بهَا .

فَإِنِّي أكافئك عَنهُ مَتى رَأَيْت لَحْمه قد انحط بِعشْرَة آلاَف دِينَار وآخذ لَك مِنْهُ مثلهَا .

فَقَالَ عِيسَى عِنْدِي حِيلَة إِلاَّ أَنِّي أَتَخَوَّف أَن يعجل على عِيسَى بِالْقَتْلِ فتتلف نَفسِي .

فليوجه معي أَمِير الْمُؤمنِينَ خَادِمًا جَلِيلاً من خدمه وَمَعَهُ جمَاعَة يمنعونه مني إِن أَمر بقتلي .

فَفعل ذَلِك بِهِ وَسَار إِلَيْهِ فجسه وأعلمه أَنه يضْطَر إِلَى مجسة عرقه ثَلاَثَة أَيَّام قبل أَن يذكر لَهُ شَيْئا من العلاج .

فَأمره عِيسَى بالانصراف وَالْعود إِلَيْه .

فَفعل ذَلِك وَعَاد فِي الْيَوْم الثَّانِي وَالثَّالِث .

فَلَمَّا فرغ من مجسة عرقه قَالَ لَهُ إِن الْوَصِيَّة مباركة وَهِي غير مُقَدّمَة وَلاَ مؤخرة وَأَنا أرى للأمير أَن يعْهَد فَإِن لم يحدث حَادث قبل أَرْبَعِينَ يَوْمًا عالجته فِي ذَلِك بعلاج لاَ يمْضِي بِهِ إِلاَّ ثَلاَثَة أَيَّام حَتَّى يخرج من علته هَذِه وَيعود بدنه إِلَى أحسن مِمَّا كَانَ عَلَيْه .

ونهض من مَجْلِسه وَقد أسكن قلب عِيسَى من الْخَوْف مَا امْتنع لَهُ من أَكثر الْغذَاء وَمنعه من النّوم فَلم يبلغ أَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى انحط من منطقته خمس بشيزجات واستتر عِيسَى أَبُو قُرَيْش فِي تِلْكَ الأَيَّام عَن الرشيد خوفًا من إِعْلاَم الرشيد عِيسَى بن جَعْفَر تَدْبِير عِيسَى المتطبب لإسكان الْغم قلبه فيفْسد عَلَيْه تَدْبيره .

فَلَمَّا كَانَ لَيْلَة يَوْم الأَرْبَعين سَار إِلَى الرشيد وأعلمه أَنه لاَ يشك فِي نُقْصَان بدن

عِيسَى وَسَأَلَهُ إِحْضَاره مَجْلسه أَو الرّكُوب إِلَيْه فَركب إِلَيْه الرشيد فَدخل عَلَيْهِ وَمَعَهُ عِيسَى فَقَالَ لَهُ عِيسَى أطلق لي يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ قتل هَذَا الْكَافِر فقد قتلني .

واحضر منطقته فشدها فِي وَسطه وَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ نقص هَذَا الْعَدو وَالله من بدني بِمَا ادخل عَليّ من الروع خمس بشيزجات فَسجدَ الرشيد شكرا لله وَقَالَ لَهُ يَا أخي متعت بك بِأبي عِيسَى وَكَانَ الرشيد كثيرا مَا يَقُول لَهُ بِأبي عِيسَى ردَّتْ إِلَيْك بعد الله الْحَيَاة وَنعم الْحِيلَة احتال لَك وَقد أمرت لَهُ بِعشْرَة آلَاف دِينَار فأوصل إِلَيْه مثلهَا . .

فَفعل ذَلِك لَهُ وَانْصَرف المتطبب إِلَى منزله بِالْمَالِ وَلم يرجع إِلَى عِيسَى بن جَعْفَر ذَلِك الشَّحْم إِلَى أَن فَارق الدُّنْيَا .

قَالَ يُوسُف وحَدثني إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي أَنه اعتل بالرقة مَعَ الرشيد علّة صعبة فَأمر الرشيد بحدره إِلَى والدته بِمَدِينَة السَّلَام فَكَانَ بختيشوع جد بختيشوع الَّذِي كَانَ فِي دَهْرنَا هَذَا لَا يزايله ويتولى علاجه .

ثمَّ قدم الرشيد مَدِينَة السَّلَام وَمَعَهُ عِيسَى أَبُو قُرَيْش فَذكر أَن أَبَا قُرَيْش أَتَاهُ عَائِدًا فَرَأى الْعلَّة قد أذهبت لَحْمه وأذابت شحمه وأسارته إِلَى الْيَأْس من نَفسه وَكَانَ أعظم مَا عَلَيْه فِي علته شدَّة الْحمة .

قَالَ أَبُو إِسْحَق فَقَالَ لي عِيسَى وَحقّ الْمهْدي لأعالجنك غَدا علاجا يكون بِهِ برؤك قبل خروجي من عنْدك .

ثمَّ دَعَا القهرمان[1] بعد خُرُوجه فَقَالَ لَهُ لَا تدع بِمَدِينَة السَّلَام أسمن من ثَلَاثَة فراريج كسكرية تذبحها السَّاعَة وتعلقها فِي ريشها حَتَّى آمُرك فِيهَا بِأَمْرِي غَدَاة غَد .

ثمَّ بكر إِلَيّ وَمَعَهُ ثَلَاث بطيخات رمشية قد بردهَا فِي الثَّلج ليلته كلهَا فَلَمَّا دخل عَليّ دَعَا بسكين فَقطع لي من إِحْدَاهُنَّ قطْعَة ثمَّ قَالَ لي كل هَذه الْقطعَة فأعلمته أَن بختيشوع كَانَ يحميني من رَائِحَة الْبِطِّيخ فَقَالَ لي لذَلِك طَالَتْ علتك فَكل فَإِنَّهُ لَا بَأْس عَلَيْك .

فَأكلت الْقطعَة إلتذاذا مني لَهَا ثمَّ أَمرنِي بِالْأَكْلِ فَلم أزل آكل حَتَّى استوفيت بطيختين .

---

(١) القَهْرَمان هو المُسَيْطِرُ الحَفِيظ على من تحت يديه قال مَجْداً وعِزّاً قَهْرَماناً قَهْقَبا وهي كلمة فارسية

ثمَّ انْتَهَت نَفسِي فَقطع من الثَّالِثَة قِطْعَة وَقَالَ جَمِيع مَا أكلت للذة فَكل هَذِه الْقطعَة للعلاج .

فَأَكَلتهَا بتكره .

ثمَّ قطع قِطْعَة أُخْرَى وَأَوْمَأَ إِلَى الغلمان بإحضار الطشت وَقَالَ لي كل هَذِه الْقطعَة أَيْضا .

فَمَا أكلت ثلثهَا حَتَّى جَاشَتْ نَفسِي وذرعني الْقَيْء فتقيأت أَرْبَعَة أَضْعَاف مَا أكلت من الْبِطِّيخ وكل ذَلِك مرّة صفراء .

ثمَّ أُغمي عَليّ بعد ذَلِك الْقَيْء وَغلب عَليّ الْعرق وَالنَّوْم إِلَى بعد صَلَاة الظّهْر فانتبهت وَمَا أَعقل جوعا وَقد كَانَت شَهْوَة الطَّعَام ممتنعة مني فدعوت بشَيْء آكله فأحضرني الفراريج الثَّلَاثَة وَقد طبخ لي منْهَا سكباج وأجادها طهاتها فَأكلت منْهَا حَتَّى تضلعت ونمت بعد أكلي إِلَى آخر أَوْقَات الْعَصْر ثمَّ قُمْت وَمَا أجد من الْعلَّة قَلِيلا وَلَا كثيرا واتصل بِي الْبُرْء فَمَا عَادَتْ إِلَيّ تِلْكَ الْعلَّة مُنْذُ ذَلِك الْيَوْم

اللَّجْلاَج

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم حَدثنِي إِسْمَاعِيل بن أبي سهل بن نوبخت[1] أَن أَبَاهُ أَبَا سهل حَدثهُ أَن الْمَنْصُور لما حج حجَّته الَّتِي توفّي فِيهَا رافق ابْن اللَّجْلَاج متطبب الْمَنْصُور فَكَانَا مَتى نَام الْمَنْصُور تنادما إِلَى أَن سَأَلَ ابْن اللَّجْلَاج وَقد عمل فِيهِ النَّبِيذ أَبَا سهل عَمَّا بَقِي من عمر الْمَنْصُور .

قَالَ إِسْمَاعِيل فأعظم ذَلِك وَالِدي وَقطع النَّبِيذ وَجعل على نَفسه أَن لَا ينادمه وهجره ثَلَاثَة أَيَّام ثمَّ اصطلحا بعد ذَلِك فَلَمَّا جلسا على نبيذهما قَالَ ابْن اللَّجْلَاج لأبي سهل سَأَلتك عَن علمك بِبَعْض الْأُمُور فبخلت بِهِ وهجرتني وَلست أبخل عَلَيْك بعلمي فاسمعه ثمَّ قَالَ إِن الْمَنْصُور رجل محرور تزداد يبوسة بدنه كلما أسن وَقد حلق رَأسه بالْحيرَة وَجعل مَكَان الشّعْر الَّذِي حلقه غَالِيَة وَهُوَ فِي هَذَا الْحجاز يداوم الغالية وَمَا يقبل قولي فِي تَركهَا وَلَا أَحْسبهُ يبلغ إِلَى قيد حَتَّى يحدث فِي

(١) العلامة أبو سهل إسماعيل بن علي بن نوبخت ، بغدادي من غلاة الشيعة ، وكبار مصنيفهم وكان يقول في المنتظر : مات في الغيبة ، وقام بالأمر في الغيبة ابنه ، ثم مات ابنه ، وقام ابن الابن وهذه دعوى مجردة .

دماغه من اليبس مَا لاَ يكون عنْدي وَلاَ عنْد أحد من المتطببين حيلَة فِي ترطيبه .

فَلَيْسَ يبلغ فيد إِن بلغَهَا إِلاَّ مَرِيضا وَلاَ يبلغ مَكَّة إِن بلغهَا وَبِه حَيَاة .

قَالَ إِسْمَاعِيل قَالَ لي وَالدي فوَاللَّه مَا بلغ الْمَنْصُور فيد إِلاَّ وَهُوَ عليل وَمَا وافى مَكَّة إِلاَّ وَهُوَ ميت فَدفن ببئر مَيْمُون .

قَالَ يُوسُف فَحدثت إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي[1] بِهَذَا الحَدِيث فَاسْتَحْسَنَهُ وسألني عَن اسْم أبي سهل بن نوبخت فأعلمته بِأَنِّي لاَ أعرفهُ .

فَقَالَ إِن الْخَبَر فِي اسْمه أطرف من حَدِيثك الَّذِي حَدَّثتنِي عَن ابْنه فاحفظ عني .

ثمَّ قَالَ لي حَدثنِي أَبُو سهل بن نوبخت أَنه لما ضعف عَن خدمَة الْمَنْصُور أمره الْمَنْصُور بإحضار وَلَده ليقوم مقَامه قَالَ أَبُو سهل فأدخلت على الْمَنْصُور فَلَمَّا مثلت بَين يَدَيْهِ قَالَ لي تسم لأمير الْمُؤمنِينَ فَقلت خرخشا ذماه طيماذاه ماذرياد خسرو بهمشاذ .

فَقَالَ لي كل مَا ذكرت اسْمك قلت نعم فَتَبَسَّمَ ثمَّ قَالَ لي مَا صنع أَبوك شَيْئا فاختر مني خلة من خلتين قلت وَمَا هما قَالَ أما أَن اقْتصر بك من كل مَا ذكرت على طيماذ وَأما أَن أجعَل لَك كنية تقوم مقَام الِاسْم وَهِي أَبُو سهل قَالَ أَبُو سهل قد رضيت بالكنية .

فَثَبت كنيته وَبَطل اسْمه

عبد الله الطيفوري

كَانَ حسن الْعقل طيب الحَدِيث على لكنة سوادية كَانَت فِي لِسَانه شَدِيدَة لأَن مولده كَانَ فِي بعض قرى كسكر كَانَ من أحظى خلق الله عنْد الْهَادِي .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم حَدثنِي الطيفوري أَنه كَانَ متطببا لطيفور الَّذِي كَانَ يَقُول أَنه أَخُو الخيزران وَالنَّاس يَقُولُونَ أَو أَكْثَرهم أَنه مولى الخيزران وَلما وَجه الْمَنْصُور الْمهْدي

(١) إبراهيم بن المهدي أخو هارون الرشيد ويكنى (أبا اسحاق) ، أشهر أولاد الخلفاء ذكراً في الغناء وأتقنهم صنعةً ، ومن أعلم الناس في ذاك الوقت بالنغم والإيقاع ، من المعدودين في طيب الصوت خاصة ، ولكنه كان إذا غنى الغناء القديم عن الأوائل في الأدوار الطوال حذف كثيرا من نغمها وخففها ، وقد عيب عليه ذلك . له مع إسحق الموصلي مجادلات كثيرة في أصول النغم والايقاع لم تكن لتنقطع حتى أفنيا العمر في تنازعهما

إِلَى الرّيّ لمحاربة سنقار حمل الْمهْدي الخيزران وَهِي حَامِل بمُوسَى وَخرج طيفور مَعهَا وأخرجني مَعَه وَلم تكن الخيزران علمت بِمَا رزقت من الْحمل .

وَكَانَ عِيسَى الْمَعْرُوف بِأبي قُرَيْش صيدلانيا فِي الْعَسْكَر فَلَمَّا تبينت الخيزران ارْتِفَاع الْعلَّة بعثت بِمَائِهَا مَعَ عَجُوز مِمَّن مَعهَا وَقَالَت لَهُ أعرضي هَذَا المَاء على جَمِيع المتطببين الَّذين فِي عَسْكَر الْمهْدي وَجَمِيع من ينظر فِي ذَلِك .

فَفعلت الْعَجُوز وَكُنَّا فِي ذَلِك الْوَقْت بهمدان .

واجتازت فِي منصرفها بخيمة عِيسَى فرأت جمَاعَة من غلْمَان أهل الْعَسْكَر وقوفا يعرضون عَلَيْهِ قَوَارِير المَاء فَكرِهت أَن تجوزه قبل أَن ينظر إِلَى المَاء فَقَالَ لَهَا عِنْد نظره إِلَى المَاء هَذَا مَاء امْرَأَة وَهِي حَامِل بغُلَام فأدت الْعَجُوز عَنهُ مَا قَالَ إِلَى الخيزران .

فسجدت شكرا لله وأطلقت عدَّة مماليك وسارت إِلَى الْمهْدي فَأَخْبَرته بِمَا قَالَت الْعَجُوز فأظهر من السرُور بذلك أَكثر من سرورها وَأمر بإحضار عِيسَى وَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَت الْعَجُوز فَأعلمهُ أَن الْأَمر على مَا ذكرت .

فوصله ووصلته الخيزران بِمَال جليل وَأمره بِلُزُوم الْخدمَة وَترك خيمته وَمَا كَانَ فِيهَا من مَتَاع الصيادلة .

قَالَ الطيفوري فَأَرَادَ طيفور أَن يَنْفَعنِي فَأرْسل إِلَى خيزران إِن متطببي ماهر بصناعة الطِّبّ فابعثي إِلَيْهِ بِالْمَاءِ حَتَّى يرَاهُ .

فَفعلت ذَلِك فِي الْيَوْم الثَّانِي فَقَالَ لي قل مثل قَول عِيسَى فأعلمته أَن المَاء يدل على أَنَّهَا حَامِل فَأَما تَمْيِيز الْغُلَام من الْجَارِيَة فَذَلِك مَا لَا أَقُوله .

فجهد بِي كل الْجهد أَن أُجِيبهُ إِلَى ذَلِك فَلم أفعل صِيَانة لنَفْسي عَن الاكْتِسَاب بالمخرقة .

فَأدى قولي إِلَيْهَا فَأمرت لي بِأَلف دِرْهَم وَاحِد وَأمرت بملازمتها .

فَلَمَّا وافت الرّيّ ولدت بهَا الْهَادِي .

وَصَحَّ عِنْد الْمهْدي أَن أَبَا قُرَيْش عنين بعد أَن امتحن بِكُل محنة فسر بذلك وأحظاه وَتقدم عِنْده على جَمِيع الخصيان .

وَكَانَ ذَلِك من أَسبَاب الصنع لي .

فضممت إِلَى أَمِير الْمُؤمنِينَ مُوسَى ودعيت متطببه وَهُوَ رَضِيع وفطيم .

ثمَّ ولدت هرون الرشيد بالريِّ أَيْضا فَكَانَ مولده كَانَ شؤما على الْهَادِي لِأَن الحظوة كلهَا أَو أَكْثَرهَا صَارَت لَهُ دونه .

فأضر بِي ذَلِك فِي جاهي وَمَا كنت فِيهِ من كَثْرَة الدخل إِلَى أَن ترعرع مُوسَى ففهم الْأَمر .

فَكَانَ ذَلِك ممَّا زَاد فِي جاهي وَجَمِيل رَأْيه فِي .

فَكَانَ ينيلني من أفضاله أَكثر ممَّا كَانَت الخيزران تنيلنيه وَفتح الله على الْمهْدي وَقتل سنقار وطراحته شهريار أَبَا مهرويه وخلد وبسخنز أَبَا الْحُرْث بن بنسخنز والربعين وسبى ذَرَارِيهمْ فَكَانَ من ذَلِك السَّبي مهرويه وخلد وقرابتهما شاهك وَكَانَت على مائدة شهريار وَهِي أم السندي ابْن شاهك وَكَانَ مِنْهُم الْحُرْث بن بسخنز وَجَمِيع هَؤُلَاءِ الموَالِي الرازيين .

ثمَّ أدْرك الْهَادِي وأفضت الْخلَافَة إِلَى الْمهْدي فاتصل بِي الْأَمر وَعظم قدري لأَنِّي صرت متطبب ولي الْعَهْد .

ثمَّ ملك الْهَادِي أمة الْعَزِيز فَكَانَت أعز عَلَيْهِ من جلدَة مَا بَين عَيْنَيْه وَهِي أم جَعْفَر وَعبد الله وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَق وَعِيسَى الْمَعْرُوف بالجرجاني ومُوسَى الْأَعْمَى وَأم عِيسَى زوج الْمَأْمُون وَأم مُحَمَّد وَعبيد الله ابْنَتَيْه .

فبناني مُوسَى الْهَادِي جَمِيع وَلَدهَا وَأعلم أمة الْعَزِيز أَنه يتبرك بِي فنلت مها أَكثر من أملي ممَّا كَانَ من الْهَادِي .

ثمَّ دبر الْهَادِي الْبيعَة لِابْنِهِ جَعْفَر ابْن مُوسَى فدعاني قبل الْبيعَة بِيَوْم فَخلع عَليّ وحملني على دَابَّة من دَوَاب رَحْله بسرجه ولجامه وَأمر لي بِمِائَة ألف حملت إِلَى منزلي وَقَالَ لَا تَبْرَح الدَّار بَاقِي يَوْمك وليلتك وَأكْثر نَهَار غدك حَتَّى أبايع لابنك جَعْفَر فتنصرف إِلَى مَنْزِلك وَأَنت أنبل النَّاس لِأَنَّك توليت تربية ابْن خَلِيفَة صَار ولي الْعَهْد وَولي ولي الْعَهْد الْخلَافَة فربيت ابْنه إِلَى أَن صَار ولي عَهده وَبلغ أمة الْعَزِيز الْخَبَر فَفعلت بِي مثل الَّذِي فعل الْهَادِي من الصِّلَة وحملت إِلَى منزلي ثِيَاب صحَاح وَلم تحملنِي على دَابَّة وأقمت فِي الدَّار بعيساباذ إِلَى أَن طلعت الشَّمْس من غَد الْيَوْم الَّذِي نلْت فِيهِ مَا نلْت .

ثمَّ جلس الْهَادِي وَقد أحضر جَمِيع بني هَاشم فَأخذت عَلَيْهِم الْبيعَة لجَعْفَر وأحلفوا عَلَيْهَا وعَلى خلع الرشيد .

ثمَّ آل زَائِدَة فَكَانَ يزِيد بن مزِيد أول من خلع الرشيد وَبَايع جَعْفَر بعده ثمَّ شرَاحِيل بن معن بن زَائِدَة وَأهل بَيته ثمَّ سعيد بن سلم بن قُتَيْبَة بن مُسلم ثمَّ آل مَالك .

وَكَانَ أول من بَايع منْهُم عبد الله ثمَّ الصَّحَابَة وَسَائِر مَشَايِخ الْعَرَب ثمَّ القواد .

فَمَا انتصف النَّهَار إِلاَّ وَقد بَايع أَكثر القواد وَكَانَ فِي القواد هرثمة بن أعين ولقبه المشؤوم وَكَانَ الْمَنْصُور قد قوده على خَمْسمائَة وَلم يكن لَهُ حَرَكَة بعد أَن قود فَتوفي أَكثر أَصْحَابه وَلم يثبت لَهُ مَكَان من توفّي مِنْهُم فأحضروه وأمروه بالبيعة .

فَقَالَ لَهُ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ لمن أبايع فَقَالَ لَهُ لجَعْفَر بن أَمِير الْمُؤمنِينَ . .

قَالَ إِن يَمِيني مَشْغُولَة ببيعة أَمِير الْمُؤمنِينَ وشمالي مَشْغُولَة ببيعة هرون فأبايع بِمَاذَا فَقَالَ لَهُ تخلع هَارُون وتبايع جعفرا .

فَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ أَنا رجل أدين بنصيحتك ونصيحة الأَئمَّة مِنْكُم أهل الْبَيْت وَبِاللَّه لَو تخوفت أَن تحرقني على صدقي إياك بالنَّار لما حجزني ذَلِك عَن صدقك .

إِن الْبيعَة يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إِنَّمَا هِيَ إِيمَان وَقد حَلَفت لهارون بِمثل مَا تستحلفني بِهِ لجَعْفَر .

وَإِن خلعت الْيَوْم هَارُون خلعت جَعْفَر فِي غَد وَكَذَلِكَ جَمِيع من حلف لهرون على هَذَا فغدر بِهِ .

قَالَ فاستشاط مُوسَى من قَوْله وَأمر بوجء عُنُقه .

وتسرعت جمَاعَة من الموَالِي والقواد نَحوه بالجرزة والعمد فنهاهم الْهَادِي عَنهُ .

ثمَّ عاوده الأَمر بالبيعة فَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ قولي هَذَا قولي الأول .

فزبره الْهَادِي وَقَالَ لَهُ اخْرُج إِلَى لعنة الله لاَ بَايَعت وَلاَ بَايع أَصْحَابك ألف سنة .

ثمَّ أَمر بِإِخْرَاجِهِ من الدَّار بعيساباذا وَإِسْقَاط قيادته وَقَالَ أَطْلقُوهُ لينفذ حَيْثُ أحب لاَ صَحبه الله وَلاَ كلأه .

ثمَّ وجم مِقْدَار نصف سَاعَة لاَ يَأْمر وَلاَ ينْهَى ثمَّ رفع رَأسه وَقَالَ ليندون خادمه الْحق الْفَاجِر .

فَقَالَ لَهُ الْحقْهُ فأصنع بِهِ مَاذَا فَقَالَ ترده على أَمِير الْمُؤمنِينَ .

قَالَ فَلحقه يندون فِيمَا بَين بَاب خُرَاسَان وَبَاب بردَان بِالْقربِ من الْموضع الْمَعْرُوف بِبَاب النقب وَهُوَ يُرِيد منزله على نهر الْمهْدي فَرده .

فَلَمَّا دخل قَالَ لَهُ يَا حائك تبَايع أهل بَيت أَمِير الْمُؤمنِينَ فيهم عَم جده وَعم أَبِيه وعمومته وَإِخْوَته وَسَائِر لحْمَته وتبايع وُجُوه الْعَرَب والموالي والقواد وتمسك أَنْت عَن الْبيعَة فَقَالَ هرثمة يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ وَمَا حَاجَتك إِلَى بيعَة الحائك بعد بيعَة من ذكرت من أَشْرَاف النَّاس أَلا إِن الأَمر على مَا حكيت لَك أَنه لاَ يخلع الْيَوْم أحد هرون وَيبقى فِي غَد لجَعْفَر .

قَالَ الطيفوري فَالْتَفت الْهَادِي إِلَى من حضر مَجْلِسه فَقَالَ لَهُم شَاهَت الْوُجُوه صدق وَالله هرثمة وبر وغدرتم .

وَأمر الْهَادِي عِنْد هَذَا الْكَلَام لهرثمة بِخَمْسِينَ أَلف دِرْهَم وأقطعه الْموضع الَّذِي لحقه فِيهِ يندون فَسُمي ذَلِك الْموضع عَسْكَر هرثمة إِلَى هَذِه الْغَايَة .

وَانْصَرف النَّاس كلهم فِي أَمر عَظِيم من أَمر ذِي قدر قد غمه مَا لقِيه بِهِ الْخَلِيفَة .

وَممَّا يتوقعه من الْبلاء إِن حدث بالهادي حَادث لمسارعتهم إِلَى خلع الرشيد وَمن بطانته لجَعْفَر قد كَانُوا أملوا خلاَفَة صَاحبهمْ والغنى بِمَا قد قلد مِنْهَا فصاروا يتخوفون على نفس صَاحبهمْ التّلف .

وعَلى أنفسهم أَن سلمُوا من الْقَتْل وَالْبَلاَء والفقر .

وَدخل مُوسَى الْهَادِي على أمة الْعَزِيز فَقَالَت لَهُ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ مَا أَحسب أحدا عاين وَلاَ سمع بِمثل مَا عاينا وَسَمعنَا فَإِنَّا أَصْبَحْنَا فِي غَايَة الأمل لهَذَا الْفَتى وأمسينا على غَايَة الْخَوْف عَلَيْه .

فَقَالَ إِن الْأَمر لعلى مَا ذكرت وَأَزِيدك وَاحِدَة .

قَالَت وَمَا هِيَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ قَالَ أمرت برد هرثمة لأضرب عُنُقه . .

فَلَمَّا مثل بَين يَدي حيل بيني وَبَينه واضطررت إِلَى أَن وصلته وأقطعته وَأَنا على زِيَادَة وَرفع مرتبته والتنويه باسمه فَبَكَتْ أمة الْعَزِيز فَقَالَ لَهَا أَرْجُو أَن يَسُرك الله .

فتوهمت وتوهم جَمِيع من يطيف بهَا إِنَّه على اغتيال الرشيد بالسم فَلم يُمْهل وَلم تمض بِهِ لَيَال قَلاَئِل حَتَّى توفّي الْهَادِي وَولي الْخلاَفَة هرون الرشيد فوَاللَّه لقد أحسن غَايَة الْإِحْسَان فِي أَمر جَعْفَر وزاده نعما إِلَى نعمه وزوجه أم مُحَمَّد ابْنَته .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم وحَدثنِي أَبُو مُسلم عَن حميد الطَّائِي الْمَعْرُوف بالطوسي وَلم يكن حميد طوسيا وَكَانَت كورته فِي الدِّيوَان مرو وَكَذَلِكَ كورة طَاهِر مرو والطاهر ولي بوشنج ومُوسَى بن أبي الْعَبَّاس الشَّاشِي لم تكن كورته الشاش وكورته هراة وَمُحَمّد بن أبي الْفضل الطوسي كورته نسا وَهُوَ مَنْسُوب إِلَى طوس وَالسَّبَب فِي نسب هَؤُلاَء وعدة من أَصْحَاب الدولة إِلَى غير كورهم أَن مِنْهُم من كَانَ مخرجه فِي كورة فنسب إِلَى الكورة الَّتِي فِيهَا ضيَاعه وَمِنْهُم من ولي بَلَدا طَالَتْ فِيهِ ولاَيَته إِيَّاه فنسب إِلَى ذَلِك الْبَلَد قَالَ أَبُو مُسلم اعتل أَبُو غَانِم يَعْنِي أَبَاهُ علّة صعبة فَتَولّى علاجه مِنْهَا الطيفوري المتطبب وَكَانَ فِي أبي غَانِم حِدة شَدِيدَة تخرجه إِلَى قذف أَصْحَابه وَإِلَى الْإِقْدَام بالمكروه عَلَيْهِم .

فَإِنِّي لواقف على رَأسه وَأَنا غُلاَم فِي قبادر زبيرون إِذْ دخل عَلَيْه الطيفوري فجس عرقه وَنظر إِلَى مَائه ثمَّ ناجاه بِشَيْء لم أفهمهُ فَقَالَ لَهُ كذبت يَا ماص بظر أمه فَقَالَ لَهُ الطيفوري أعض الله أكذبنا بكَذَا وَكَذَا من أمه . .

فَقلت فِي نَفسِي ذهبت وَالله نفس الطيفوري .

فَقَالَ أَبُو غَانم يَا ابْن الْكَافِرَة لقد أقدمت وَيلك كَيفَ اجترأت عَليّ بِهَذَا فَقَالَ لَهُ وَالله مَا احتملت سَيِّدي الْهَادِي قطّ على لقائي بِحرف خشن وَلَقَد كَانَ يقذفني فأرد عَلَيْه مثل قَوْله فيكف احْتمل لَك وَأَنت كلب قذفي فَحلف لي أَبُو مُسلم أَنه رأى أَبَاهُ ضَاحِكا باكيا يفهم فِي بعض أسرة وَجهه الضحك وَفِي بَعْضهَا الْبكاء .

ثمَّ قَالَ لَهُ وَالله إِنَّك كنت ترد على أَمِير الْمُؤمنِينَ الْهَادِي الْقَذْف الَّذِي كَانَ يقذفك بِهِ فَقَالَ لَهُ الطيفوري اللَّهُمَّ نعم .

فَقَالَ لَهُ فأسألك بِاللَّه لما أَحْبَبْت فِي عرض حميد مَا أَحْبَبْت وقذفته بِمَا شِئْت من الْقَذْف مَتى قذفتك ثمَّ بَكَى على الْهَادِي بكاء كثيرا .

قَالَ يُوسُف فَسَأَلت الطيفوري عَمَّا حَدثنِي بِهِ أَبُو مُسلم من ذَلِك فَبكى حَتَّى تخوفت عَلَيْه الْمَوْت ممَّا تداخله من الْجزع عِنْد ذكر حميد وَقَالَ وَالله مَا عاشرت بعد الْهَادِي أحر نَفسا وَلاَ أكْرم طبعا وَلاَ أطيب عشرَة وَلاَ أَشد إنصافا من حميد إِلاَّ أَنه كَانَ صَاحب جَيش فَكَانَ يظْهر مَا يجب على أَصْحَاب الجيوش إِظْهَاره فَإِذا صَار مَعَ إخوانه كَانَ كَأَنَّهُ من المنقطعين إِلَيْهِم لاَ من المفضلين عَلَيْهِم .

قَالَ يُوسُف وحَدثنِي الطيفوري أَنه كَانَ مَعَ حميد الطوسي بقصر ابْن هُبَيْرَة[1] أَيَّام تغلب صاحبنا على مَدِينَة السَّلاَم وَمَا والاها فَقدمت عَلَيْه جمَاعَة من جبل طَيء عَلَيْهِم رَئِيس لَهُم يقدمونه على أنفسهم ويقرون لَهُ بِالْفَضْلِ والسؤدد عَلَيْهِم .

فَأذن لَهُ فِي الدُّخُول عَلَيْه فِي مجْلِس عَام قد احتشد لإِظْهَار عدده فِيهِ ثمَّ قَالَ لذَلِك الرئيس مَا أقدمك يَا ابْن عَم فَقَالَ لَهُ قدمت مدَدا لَك إِذْ كنت على محاربة هَذَا الدعي لما لاَ يجب لَهُ وَلاَ يسْتَحقّهُ يَعْنِي صاحبنا .

فَقَالَ لَهُ حميد لست أقبل مدَدا إِلاَّ من وثقت بصرامته وَقُوَّة قلبه واحتماله لما

(١) الوزير ابن هبيرة . أحد الوزراء المشهورين . هو أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني نسباً ثم الدوري البغدادي الحنبلي . ولد سنة ٤٩٩ هـ وتوفى سنة ٥٦٠هـ .

تصعب على أَكثر النَّاس فِي نصرتي وَلاَ بُد من امتحانك فَإِن خرجت على المحنة قبلتك وَإِلاَّ رددتك إِلَى أهلك .

فَقَالَ لَهُ الطَّائِي فامتحني بِمَا أَحْبَبْت فَأخْرج حميد عمودا من تَحت مُصَلَّاهُ ثمَّ قَالَ لَهُ ابْسُطْ ذراعك .

فَبسط ذراعه فَحمل حميد العمود على عَاتِقه ثمَّ هوى بِهِ إِلَى ذِرَاع الطَّائِي .

فَلَمَّا قرب العمود من ذراعه رفع يَده فأظهر حميد غَضبا عَلَيْهِ ثمَّ قَالَ لَهُ رددت يَدي .

فترضاه الطَّائِي ثمَّ دَعَاهُ إِلَى معاودة امتحانه .

فَأمره حميد بِإِظْهَار ذراعه فَفعل فَرفع حميد العمود ليضْرب بِهِ ذراعه .

فَلَمَّا قرب العمود من ذِرَاع الطَّائِي فعل مثل فعله فِي الْمرة الأولى .

فَلَمَّا جذب ذراعه وَلم يكن حميدا من ضربهَا بالعمود أَمر بسجنه بعد سحبه فِي مَجْلِسه وَأخذ دوابه ودواب أَصْحَابه وطردهم من مُعَسْكَره .

فانصرفوا من عِنْده رجالة بِأَسْوَأ حَال .

قَالَ الطيفوري فلمته على مَا كَانَ مِنْهُ .

فاستضحك ثمَّ قَالَ لي قد أطلقت لَك الضحك مني والاستهزاء بِي وَقذف عرضي مَتى تَكَلَّمت فِي الطِّبّ بحضرتك بِشَيْء تنكره .

فَأَما قيادة الجيوش فَذَلِك مَا لَيْسَ لَك فِيهِ حَظّ فَلاَ تنكرن مُخَالفَة رَأْيك رَأْيِي .

ثمَّ قَالَ لي أَنا رجل من يمن وَكَانَ الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مضريا والخلافة فِي أَيدي مُضر .

فَكَمَا إِنِّي أحب قومِي فَكَذَلِك الْخُلَفَاء تحب قَومهَا وَإِن أظهرت ميلاً إِلَى قومِي فِي بعض الْأَوْقَات وانحرافا عَمَّن هُوَ أمس بهَا رحما مني فَإِنِّي غير شَاك فِي ميلهَا إِلَيْهِم إِذا حقت الْحَقَائِق .

وَمَعِي من أَبنَاء نزار بشر كثير .

وَكَانَ فِي استشعاري من قدم عَليّ من قومِي مفْسدَة لقلوب من قد امتحنته وَعرفت بلاءه من النزارية .

وَلست أَدْرِي لَعَلَّ كل من أَتَانِي من عشيرتي لاَ يُسَاوِي رجلا وَاحِدًا من النزارية فَأَرَدْت بِمَا كَانَ مني استجلاب قُلُوب من معي وَأَن ينْصَرف من أَتَانِي من عشيرتي منذرين لاَ مبشرين .

لأَنهم مَتى انصرفوا منذرين انْقَطَعت عَنَّا مادتهم وَمَتى انصرفوا مبشرين أَتَانِي مِنْهُم من لاَ يَسعهُ مَال مَا فِي أَيْدِينَا من السوَاد .

فَعلمت أَنه قد أصَاب التَّدْبِير وَلم يُخطئ فِيمَا بنى عَلَيْهِ أمره

زكَرِيًّا بن الطيفوري

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم حَدثنِي زَكَرِيَّا بن الطيفوري قَالَ كنت مَعَ الأفشين[1] فِي مُعَسْكَره وَهُوَ فِي محاربة بابك فَأمر بإحصاء جَمِيع من فِي عسكره من التُّجَّار وحوانيتهم وصناعة رجل رجل مِنْهُم فَرفع ذَلِك إِلَيْهِ .

فَلَمَّا بلغت الْقِرَاءَة بالقارئ إِلَى مَوضع الصيادلة قَالَ لي يَا زَكَرِيَّا ضبط هَؤُلاَءِ الصيادلة عِنْدِي أولى مَا تقدم فِيهِ فامتحنهم حَتَّى نَعْرِف مِنْهُم الناصح من غَيره وَمن لَهُ دين وَمن لاَ دين لَهُ .

فَقلت أعز الله الأَمِير إِن يُوسُف لقُوَّة الكيميائي كَانَ يدْخل على الْمَأْمُون كثيرا وَيعْمل بَين يَدَيْهِ .

فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَيحك يَا يُوسُف لَيْسَ فِي الكيمياء شَيْء فَقَالَ لَهُ بلَى يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ وَإِنَّمَا آفَة الكيمياء الصيادلة .

قَالَ لَهُ الْمَأْمُون وَيحك وَكَيف ذَلِك فَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إِن الصيدلاني لاَ يطْلب مِنْهُ إِنْسَان شَيْئا من الأَشْيَاء كَانَ عِنْده أَو لم يكن إِلاَّ أخبرهُ بِأَنَّهُ عِنْده وَدفع إِلَيْهِ شَيْئا من الأَشْيَاء الَّتِي عِنْده وَقَالَ هَذَا الَّذِي طلبت .

فَإِن رأى أَمِير الْمُؤمنِينَ أَن يضع اسْما لاَ يعرف وَيُوجه جمَاعَة إِلَى الصيادلة فِي طلبه ليبتاعه فَلْيَفْعَل .

فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُون قد وضعت الاِسْم وَهُوَ سقطيثا وسقطيثا ضَيْعَة تقرب من مَدِينَة السَّلاَم .

وَوجه الْمَأْمُون جمَاعَة من الرُّسُل يسألهم عَن سقطيثا فكلهم ذكر أَنه عِنْده وَأخذ الثّمن من الرُّسُل وَدفع إِلَيْهِم شَيْئا من حانوته فصاروا إِلَى الْمَأْمُون بأَشْيَاء مُخْتَلفَة .

فَمنهمْ من أَتَى بِبَعْض البزور وَمِنْهُم من أَتَى بِقِطْعَة من حجر وَمِنْهُم من أَتَى بوبر .

---

(١) حيدر بن كاوس المُلقب بـ الأفْشِين قائد عسكري من قوّاد جيش الخليفة المعتصم بالله .

فَاسْتحْسن الْمَأْمُون نصح يُوسُف لقُوَّة عَن نَفسه وأقطعه ضَيْعَة على النَّهر الْمَعْرُوف بنهر الكلبة فَهيَ فِي أَيدي ورثته وَمنْهَا معاشهم .

فَأن رأى الْأَمِير أَن يمْتَحن هَؤُلَاءِ الصيادلة بِمثل محنة الْمَأْمُون فَلْيفْعَل .

فَدَعَا الأفشين بدفتر من دفاتر الأسروشنية فَأخْرج مِنْهَا نَحوا من عشْرين اسْما وَوجه إِلَى الصيادلة من يطْلب مِنْهُم أدوية مُسَمَّاة بِتلْكَ الْأَسْمَاء فبعضهم أنكرها وَبَعْضهمْ أدعى مَعْرفَتهَا وَأخذ الدَّرَاهِم من الرُّسُل وَدفع إِلَيْهِم شَيْئا من حانوته فَأمر الأفشين بإحضار جَمِيع الصيادلة فَلَمَّا حَضَرُوا كتب لمن أنكر معرفَة تِلْكَ الْأَسْمَاء منشورات أذن لَهُم فِيهَا بالْمقَام فِي عسكره وَنفى البَاقِينَ عَن الْعَسْكَر وَلم يَأْذَن لأحد مِنْهُم فِي الْمقَام ونادى الْمُنَادِي بنفيهم وبإباحة دم من وجد مِنْهُم فِي مُعَسْكَره .

وَكتب إِلَى المعتصم يسْأَله الْبعْثَة إِلَيْهِ بصيادلة لَهُم أَدْيَان وَمذهب جميل ومتطببين كَذَلِك فَاسْتحْسن المعتصم ذَلِك وَوجه إِلَيْهِ بِمَا سَأَلَ .

إِسْرَائِيل بن زَكَرِيَّا الطيفوري

متطبب الْفَتْح بن خاقَان[1] كَانَ مقدما فِي صناعَة الطِّبّ جليل الْقدر عِنْد الْخُلَفَاء والملوك كثيري الاحترام لَهُ .

وَكَانَ مُخْتَصًّا بخدْمَة الْفَتْح بن خاقَان بصناعة الطِّبّ وَله مِنْهُ الجامكية الْكَثِيرَة والأنعام الوافرة وَكَانَ المتَوكل بِاللَّه يرى لَهُ كثيرا ويعتمد عَلَيْهِ وَله عِنْد المتَوكل الْمنزلَة المكينة .

وَمن ذَلِك مِمَّا حَكَاهُ إِسْحَق بن عَليّ الرهاوي فِي كتاب أدب الطَّبِيب أَن إِسْرَائِيل بن زَكَرِيَّا ابْن الطيفوري وجد على أَمِير الْمُؤمنِينَ المتَوكل لما احْتجم بِغَيْر إِذْنه فَافْتدى غَضَبه بثَلَاثَة آلَاف دِينَار وضيعة تغل لَهُ فِي السّنة خمسين ألف دِرْهَم وَهبهَا لَهُ وسجل لَهُ عَلَيْهَا .

وَحكي عَن عِيسَى بن ماسة قَالَ رَأَيْت المتَوكل وَقد عَاده يَوْمًا وَقد غشي عَلَيْهِ فصير يَده تَحت رَأسه مخدة ثمَّ قَالَ للوزير يَا عبد الله حَياتِي معلقَة بحياته أَن عدمته لَا أعيش .

---

(١) أبو محمد الفتح بن أحمد بن غرطوج ، هو وزير وأديب وشاعر ترعر في أحضان الدولة العباسية ، من أصول فارسية ، عينه المتوكل أميراً ونائباً لشؤون مصر وإفريقية . اتخذه المتوكل أخاً ، وكان يقدمه على سائر ولده وأهله ، قتل مع المتوكل .

ثمَّ اعتل فَوجه إِلَيْهِ سعيد بن صَالح حَاجِبه ومُوسَى بن عبد الْملك كَاتبه يعودانه .

ونقلت من بعض التواريخ أَن الْفَتْح بن خاقَان كَانَ كثير الْعنَايَة بإسرائيل بن الطيفوري فقدمه عنْد المتَوَكل وَلم يزل حَتَّى أنس بِهِ المتَوَكل وَجعله فِي مرتبَة بختيشوع وَعظم قدره وَكَانَ مَتى ركب إِلَى دَار المتَوَكل يكون موكبه مثل موكب الْأُمَرَاء وأجلاء القواد وَبَين يَدَيْهِ أَصْحَاب المقارع وأقطعه المتَوَكل قطيعة بسر من رأى وَأمر المتَوَكل صقْلاَب وَابْن الْخَيْبَرِيّ بِأَن يركبا مَعَه ويدور جَمِيع سر من رأى حَتَّى يخْتَار الْمَكَان الَّذِي يُريدهُ فركبا حَتَّى اخْتَار من الحيز خمسين ألف ذِرَاع وَضربا الْمنَار عَلَيْهِ وَدفع إِلَيْهِ ثلاثمائة ألف دِرْهَم للنَّفَقَة عَلَيْهِ .

يزيد بن زيد

يزيد بن زيد بن يوحنا بن أبي خَالِد متطبب الْمَأْمُون كَانَ جيد الْعلم حسن المعالجة مَوْصُوفا بِالْفَضْلِ .

وَكَانَ قد خدم الْمَأْمُون بصناعة الطِّبّ وخدم أَيْضا إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي وَكَانَ لَهُ مِنْهُ الْإِحْسَان الْكثير والإنعام الغزير والعناية الْبَالِغَة والجامكية الوافرة .

وَكَانَ يُقَال لَهُ أَيْضا يزِيد بور .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم حَدثنِي أَبُو إِسْحَق إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي أَن ثُمَامَة الْعَبْسِي القعقاعي وَهُوَ أَبُو عُثْمَان بن ثُمَامَة صَاحب الْجَبَّار اعتل من خلفة تطاولت بِهِ وَكَانَ شَيخا كَبِيرا .

قَالَ أَبُو إِسْحَق فَسَأَلَنِي الرشيد عَن علته وَأَيْنَ بلغت بِهِ فأعلمته إِنِّي لاَ أعرف لَهُ خَبرا فأظهر إنكارا لقولي ثمَّ قَالَ رجل غَرِيب من أهل الشّرف قد رغب فِي مصاهرة أَهله عبد الْملك بن مَرْوَان وَقد ولدت أُخْته خليفتين الْوَلِيد وَسليمَان ابْني عبد الْملك وَقد رغب أَبوك فِي مصاهرته فَتزَوج أُخْته ورغبت أَنا أَخُوك فِي مثل ذَلِك مِنْهُ فَتزوّجت ابْنَته وَهُوَ مَعَ ذَلِك صَحَابِيّ لجدك وَأَبِيك ولأختك وأخيك فَلاَ توجب على نَفسك عيادته ثمَّ أَمرنِي بالمصير إِلَيْهِ لعيادته فَنَهَضت وَأخذت معي متطببي يزِيد وصرت إِلَيْهِ .

فَدخلت على رجل توهمت أَنه فِي آخر حشاشة بقيت من نَفسه وَلم أر فِيهِ للمسألة موضعا .

فَأمر يزيد متطببي بإحضار متطببه فَحَضَرَ فَسَأَلَهُ عَن حَاله فَأخْبرهُ أَنه يقوم فِي الْيَوْم وَاللَّيْلَة مائَة مجْلس .

وَأقبل يزيد يسْأَل المتطبب عَن بَاب بَاب من الأدْوِيَة الَّتِي تشرب وَعَن السفوفات والحقن فَلم يذكر لذَلِك المتطبب شَيْئا إِلاَّ أعلمهُ أَنه قد عالجه بِهِ فَلم ينجع فِيهِ .

فَوَجَمَ عِنْد ذَلِك يزيد مِقْدَار سَاعَة ثمَّ رفع رَأسه وَقَالَ قد بَقِي شَيْء وَاحِد أَن عمل بِهِ رَجَوْت أَن يَنْتَفع بِهِ وَإِن لم ينجع فِيهِ فَلَا علاج لَهُ .

قَالَ أَبُو إِسْحَق فَرَأَيْت ثُمَامَة قد قويت نَفسه عِنْدَمَا سمع من يزيد مَا سمع ثمَّ قَالَ وَمَا ذَلِك الشَّيْء الَّذِي بَقِي متعت بك قَالَ لَهُ شربة اصطمخيقون .

فَقَالَ ثُمَامَة أحب أَن أرى هَذِه الشربة حَتَّى أَشمّ رائحتها .

فَأخْرج يزيد من كمه منديلا فِيهِ أدوية وَفِيه شربة اصطمخيقون .

فَأمر بهَا ثُمَامَة فَحلت ثمَّ أَتَى بهَا فَرمى بهَا فِي فِيهِ وابتلعها .

فوَاللَّه مَا وصلت إِلَى جَوْفه حَتَّى سَمِعت مِنْهُ أصواتا لم أَشك فِي إِنِّي لم أبلغ بَاب دَاره إِلاَّ وَقد مَاتَ .

فَنَهَضت ومتطببي معي وَمَا أَعقل غما .

وَأمرت خَادمًا لي كَانَ يحمل معي الاسطرلاب إِذا ركبت بالْمقَام فِي دَاره وتعرف خبر مَا يكون مِنْهُ .

فَتخلف فوافاني كتاب الْخَادِم بعد الزَّوَال يعلمني أَنه قَامَ من بعد طُلُوع الشَّمْس إِلَى زَوَالهَا خمسين مرّة فَقلت تلفت وَالله نفس ثُمَامَة .

ثمَّ وافى كتاب الْخَادِم بعد غرُوب الشَّمْس أَنه قَامَ مُنْذُ زَوَال الشَّمْس إِلَى غُرُوبهَا عشْرين مَجْلسا .

ثمَّ صَار إِلَى الْغُلَام مَعَ طُلُوع الشَّمْس فَذكر أَنه لم يكن مِنْهُ مُنْذُ غرُوب الشَّمْس إِلَى انتصاف اللَّيْل إِلاَّ ثَلَاثَة مجَالِس وَلم يكن مِنْهُ إِلَى وَقت طُلُوع الْفجْر شَيْء .

فركبت إِلَيْهِ بعد أَن صليت الْغَدَاة فَوَجَدته نَائِما وَكَانَ لَا ينَام فأنتبه لي فَسَأَلته عَن خَبره فَأَعْلمنِي أَنه لم يزل فِي وجع من جَوْفه مَانع لَهُ النّوم والقرار مُنْذُ أَكثر من أَرْبَعِينَ لَيْلَة حَتَّى أَخذ تِلْكَ الشربة .

فَلَمَّا انْقَطع فعل الشربة انْقَطع عَنهُ ذَلِك الوجع وَأَنه لم يشته طَعَاما مُنْذُ ذَلِك الْوَقْت وَأَنه مَا يبصرني فِي وقته من غَلَبَة الْجُوع عَلَيْهِ .

وَسَأَلَ الْإِذْن فِي الْأكل فَأذن لَهُ يزِيد فِي أكل أَسفيدباجه قد طبخت من فروج

كسكري سمين ثمَّ اتباعها زيرباجة فَفعل ذَلك .

وصرت إِلَى الرشيد فَأَخْبَرته بِمَا كَانَ من أَمر ثُمَامَة .

فأحضر المتطبب وَقَالَ لَهُ وَيحك كَيفَ أقدمت على إسقائه حب الأصطمخيقون فَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ هَذَا رجل كَانَ فِي جَوْفه كيموس فَاسد فَلم يكن يدْخل فِي جَوْفه دَوَاء وَلاَ غذَاء إِلاَّ أفسدهُ ذَلك الكيموس .

وَكَانَ كلما فسد من تِلْكَ الأَدْوِيَة والأغذية صَار مَادَّة لذَلِك الْفساد فَكَانَت الْعلَّة لهَذَا السَّبَب تزداد .

فَعلمت أَنه لاَ علاج لَهُ إِلاَّ بدواء قوي يقوى على قلع ذَلِك الكيموس .

وَكَانَ أقوى الأَشْيَاء الَّتِي يُمكن أَن يسقاها الأصطمخيقون فَقلت لَهُ فِيهِ الَّذِي قلت .

وَلم أقدم أَيْضا على القَوْل أَنه يُبرئهُ لاَ محَالة وَإِنَّمَا قلت بَقِي شَيْء وَاحِد فَإِن هُوَ لم يَنْفَعهُ فَلاَ علاج لَهُ .

وَإِنَّمَا قلت ذَلِك لأَنِّي رَأَيْت الرجل عليلا قد أضعفته الْعلَّة وأذهبت أَكثر قواه .

فَلم آمن عَلَيْه التّلفَ أَن شربه وَكنت أَرْجُو لَهُ الْعَافِيَة بشربه إِيَّاه .

وَكنت أعلم أَنه إِن لم يشربه أَيْضا تلف .

فَاسْتَحْسن الرشيد مَا كَانَ من قَوْله وَوَصله بِعشْرَة آلاَف دِرْهَم .

ثمَّ عَاد الرشيد ثُمَامَة وَقَالَ لَهُ لقد أقدمت من شرب ذَلِك الدَّوَاء على أَمر عَظِيم وخاصة إِذْ كَانَ المتطبب لم يُصَرح لَك بِأَن فِي شربه الْعَافِيَة .

فَقَالَ ثُمَامَة يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ كنت قد يئست من نَفسِي وَسمعت المتطبب يَقُول إِن شرب هَذَا الدَّوَاء رَجَوْت أَن يَنْفَعهُ فاخترت الْمقَام على الرَّجَاء وَلَو لَحْظَة على الْيَأْس من الْحَيَاة فَشَربته وَكَانَت فِي ذَلِك خيرة من الله عَظِيمَة .

أَقُول وَهَذِه الْحِكَايَة تناسب مَا رُوِيَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْه وَسلم أَنه جَاءَ إِلَيْهِ رجل من الْعَرَب فَقَالَ يَا رَسُول الله إِن أخي قد غلب عَلَيْه الْخَوْف وداويناه وَلم يَنْقَطِع عَنهُ بِشَيْء فَقَالَ لَهُ صلى الله عَلَيْه وَسلم (أَطْعمهُ عسل النَّحْل) .

فراح وأطعمه إِيَّاه فَزَاد الإسهال فَأتى إِلَيْهِ وَقَالَ يَا رَسُول الله كثر الإسهال بِهِ من وَقت أطعمته الْعَسَل فَقَالَ (أَطْعمهُ الْعَسَل) .

فأطعمه فَزَاد الإسهال أَكثر .

فَشَكا ذَلِك إِلَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالَ (أَطْعمهُ أَيْضا الْعَسَل) .

فأطعمه أَيْضا فِي الْيَوْم الثَّالث فتقاصر الإسهال وَانْقطع بِالْكُلِّيَّة .

فَأخْبر النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بذلك فَقَالَ (صدق الله وكذبت بطن أَخيك) .

وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لَهُ ذَلِك لكَونه كَانَ قد علم أَن فِي خمل معدة الْمَرِيض رطوبات لزجة غَلِيظَة قد أزلقت معدته فَكلما مر بهَا شَيْء من الْأَدْوِيَة القابضة لَم يُؤثر فِيهَا والرطوبات بَاقِيَة على حَالهَا والأطعمة تزلق عَنْهَا فَيبقى الإسهال دَائِما .

فَلَمَّا تنَاول الْعَسَل جلا تِلْكَ الرطوبات وأحدرها فَكثر الإسهال أَولا بخروجها وتوالى ذَلِك إِلَى أَن نفدت تِلْكَ الرطوبات بأسرها فَانْقَطع الإسهال وَبرئ الرجل .

فَقَوله صدق الله يَعْنِي بِالْعلمِ الَّذِي أوجده الله عز وَجل لنَبيه وعرفه به وَقَوله وكذبت بطن أَخيك يَعْنِي مَا كَانَ يَظْهر من بَطْنه من الإسهال وكثرته بطرِيق الْعرض وَلَيْسَ هُوَ مرض حَقِيقِيّ فَكَانَت بَطْنه كَاذِبَة فِي ذَلِك

عَبدُوس بن زيد

قَالَ أَبُو عَليّ القباني عَن أَبِيه أَن الْقَاسِم بن عبيد الله مرض فِي حَيَاة أَبِيه مَرضا حادا فِي تموز وَحل بِهِ القولنج الصعب فَانْفَرد بعلاجه عَبدُوس بن زيد وسقاه مَاء أصُول قد طبخ وَطرح فِيهِ أصل الكرفس والرازيانج ودهن الخروع وَجعل فيه شَيْئا من أيارج فيقرا فحين شربه سكن وَجَعه وَأجَاب طبعه مجلسين فأفاق ثمَّ أَعطَاهُ من غَد ذَلِك الْيَوْم مَاء شعير فاستظرف هَذَا مِنْهُ .

وَقَالَ أَبُو عَليّ القباني أَيْضا أَن أَخَاهُ إِسْحَق بن عَليّ مرض وغلبت الْحَرَارَة على مزاجه والنحول على بدنه حَتَّى أَدَّاهُ إِلَى الضعْف ورد مَا يَأْكُلهُ .

فَسَقَاهُ عَبدُوس بن زيد هَذِه الْأُصُول بالأيارج ودهن الخروع فِي حزيران أَرْبَعَة عشر يَوْمًا فَعُوفِيَ وصلحت معدته .

وَقَالَ فِي مثل هَذِه الْأَيَّام تحم حمى حادة فَإِن كنت حَيا خلصتك بِإِذن الله وَإِن كنت مَيتا فعلامة عافيتك لَهُ دائر سنة أَن تَنْطَلق طبيعتك فِي الْيَوْم السَّابِع فَإِن انْطَلَقت عوفيت وَمَعَ هَذَا فقد نقرت معدتك نقرا لَو طرحت فِيهَا الْحِجَارَة لطحنتها فَلَمَّا انْقَضتْ السّنة مرض عَبدُوس وحم أخي كَمَا قَالَ وَكَانَ مرضهما فِي يَوْم وَاحِد .

فَمَا زَالَ عَبدُوس يُرَاعِي أخي وَيسْأل عَن خَبره إِلَى أَن قيل لَهُ قد انْطَلَقت طَبِيعَته فَقَالَ قد تخلص وَمَات عَبدُوس فِي الْغَد من ذَلِك الْيَوْم .

ولعبدوس بن زيد من الْكتب كتاب التَّذْكِرَة فِي الطِّبّ

سهل الكوسج

كَانَ سهل الكوسج أَبُو سَابُور بن سهل صَاحب الأقراباذين الْمَشْهُور من أهل الأهواز وَكَانَ الحى . .

وَإِنَّمَا لقب بالكوسج على سَبِيل التضاد .

وَكَانَ عَالما فِي الطِّبّ إِلاَّ أَنه دون ابْنه فِي الْعلم وَكَانَت فِي لِسَانه لكنه خوزية .

وَكَانَ كثير الْهزْل فغلب هزله جده .

وَكَانَ مَتى اجْتمع مَعَ يوحنا بن ماسوية وجورجس بن بختيشوع وَعِيسَى بن حكم وَعِيسَى بن أبي خَالِد وزكَريا ابْن الطيفوري وَيَعْقُوب صَاحب البيمارستان وَالْحسن بن قُرَيْش وَعِيسَى الْمُسلم وَسَهل بن جُبَير وَهَذِه الطَّبَقَة من المتطببين قصر عَنْهُم فِي الْعبارَة وَلم يقصر عَنْهُم فِي العلاج .

وَكلهمْ كَانَ يخَاف لِسَانه لطول كَانَ فِيهِ وبذاء .

وَكَانَت لَهُ السن على جَمَاعَتهمْ .

وَكَانَ انْقِطَاعه إِلَى سَلام الأبرش وَكَانَ سَلام لاَ يُفَارق هرثمة بن أعين أَيَّام محاصرته مَدِينَة السَّلَام فَكَانَ سهل هَذَا قد خص بهرثمة بن أعين حَتَّى كَانَ يكون مَعَه فِي ليله ونهاره وسمره .

وَكَانَ بدعابته الْكَثِيرَة الَّتِي كَانَت فِيهِ طيب الْعشْرَة .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم وَمن دعابات سهل الكوسج أَنه تمارض فِي سنة تسع وَمِائَتَيْنِ وأحضر شُهُودًا يشهدهم على وَصيته وَكتب كتابا أثبت فِيهِ أَسمَاء أَوْلَاده .

فَأثْبت أَوَّلهمْ جورجس بن ميخائيل وَأمه مَرْيَم بنت بختيشوع أُخْت جِبْرَائِيل وَالثَّانِي يوحنا بن ماسويه وَالثَّالِث وَالرَّابِع وَالْخَامِس سَابُور ويوحنا وخذاهويه ولد سهل المعروفين .

وَذكر أَنه أصَاب أم جورجس وَأم يوحنا بن ماسوية زنا وأحبلهما بجورجس ويوحنا .

قَالَ يُوسُف وَمن دعاباته أَنِّي حَضرته عِنْد أعين بن هرثمة بن أعين وَقد دارت

بَينه وَبَين جورجس ملاحاة فِي حمى ربع قد كَانَت طَالَتْ بأعين فَعرفهُ بِمثل مَا أشهد به فِي وَصيته .

وَكَانَ فِي جورجس تلفت كثير إِلَى من عَن يَمِينه وشماله من النَّاس وأخرجته الحدة إِلَى زمع أَصَابَهُ فصاح سهل صرى وهك المسيه أخروا فِي أُذُنه آيَة خرسي أَرَادَ صرع وَحقّ الْمَسِيح اقرؤوا فِي أُذُنه آيَة الْكُرْسِيّ .

قَالَ يُوسُف وَمن دعاباته أَنه خرج فِي يَوْم الشعانين يُرِيد دير الجاثليق والمواضع الَّتِي تخرج إِلَيْهَا النَّصَارَى فِي يَوْم الشعانين فَرَأى يوحنا بن ماسوية فِي هَيْئَة أحسن من هَيئته وعَلى دَابَّة أفره من دَابَّته وَمَعَهُ غلْمَان لَهُ روقة فحسده على الظَّاهِر من نعْمَته فَصَارَ إِلَى صَاحب مسلحة النَّاحِيَة فَقَالَ لَهُ إِن ابْنِي يعقني وَقد أَعْجَبته نَفسه وَرُبمَا أخرجه الْعجب بنَفسِهِ وبنعمته إِلَى جحود أَبَوي وَأَن أَنْت بطحته وضربته عشْرين درة موجعة أَعطيتك عشْرين دِينَارا .

ثمَّ أخرج الدَّنَانِير فَدَفعهَا إِلَى رجل وثق بِهِ صَاحب المسلحة ثمَّ اعتزل نَاحيَة إِلَى أَن بلغ يوحنا إِلَى الْموضع الَّذِي هُوَ فِيهِ فقدمه إِلَى صَاحب المسلحة وَقَالَ هَذَا ابْني يعقني ويستخف بِي .

فجحد أَن يكون ابْنه فَلم يكلمهُ صَاحب المسلحة حَتَّى بطح يوحنا وضربه عشْرين درة ضربا وجيعا مبرحا .

سَابُور بن سهل

كَانَ ملازما لبيمارستان جندي سَابُور ومعالجة المرضى بِهِ وَكَانَ فَاضلا عَالما بقوى الْأَدْوِيَة المفردة وتركيبها وَتقدم عِنْد المتَوَكل وَكَانَ يرى لَهُ وَكَذَلِكَ عِنْد من تولى بعده من الْخُلَفَاء .

وَتُوفِّي فِي أَيَّام الْمُهْتَدي بِاللَّه .

وَكَانَت وَفَاة سَابُور بن سهل فِي يَوْم الِاثْنَيْنِ لتسْع بَقينَ من ذِي الْحجَّة سنة خمس وَخمسين وَمِائَتَيْنِ .

ولسابور بن سهل من الْكتب كتاب الأقراباذين الْكَبِير الْمَشْهُور جعله سَبْعَة عشر بَابا وَهُوَ الَّذِي كَانَ من الْمَعْمُول عَلَيْهِ فِي البيمارستان ودكاكين الصيادلة وخصوصا قبل ظُهُور الأقراباذين الَّذِي أَلفه أَمِين الدولة بن التلميذ .

كتاب قوى الأَطْعِمَة ومضارها ومنافعها كتاب الرَّد على حنين فِي كِتَابه فِي الْفرق بَين الْغذَاء والدواء المسهل .
القَوْل فِي النّوم واليقظة كتاب إِبْدَال الأَدْوِيَة .

إسرئيل بن سهل

كَانَ مُتَقَدما فِي صناعَة الطِّبّ حسن العلاج خَبِيرا بتركيب الأَدْوِيَة .
وَله كتاب مَشْهُور فِي الترياق وَقد أجَاد عمله وَبَالغ فِي تأليفه .
مُوسَى بن إِسْرَائِيل الْكُوفِي .

متطبب إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم كَانَ مُوسَى هَذَا قَلِيل الْعلم بالطب إِذا قيس إِلَى من هُوَ فِي دهره من مَشَايِخ المتطببين إِلاَّ أَنه كَانَ أملأ لمجلسه مِنْهُم بخصال اجْتمعت فِيهِ مِنْهَا فصاحة اللهجة وَمَعْرِفَة بالنجوم وَعلم بأيام النَّاس وَرِوَايَة الأَشْعَار .
وَكَانَ مولده فِيمَا ذكر لي سنة تسع وَعشْرين وَمِائَة ووفاته فِي سنة اثْنَتَيْنِ وَعشْرين وَمِائَتَيْن .
فَكَانَ أَبُو إِسْحَق يحْتَملهُ لهَذِهِ الْخلال وَلأَنَّهُ كَانَ طيب الْعشْرَة جدا يدْخل فِي كل مَا يدْخل فِيهِ منادمو الْمُلُوك .
وَكَانَ قد خدم وَهُوَ حدث عِيسَى بن مُوسَى بن مُحَمَّد ولي الْعَهْد .
قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم حَدثنِي مُوسَى بن إِسْرَائِيل قَالَ كَانَ لعيسى بن مُوسَى متطبب يَهُودِيّ يُقَال لَهُ فرات بن شحاثا كَانَ تياذوق المتطبب يقدمهُ على جَمِيع تلامذته وَكَانَ شَيخا كَبِيرا قد خدم الْحجَّاج بن يُوسُف وَهُوَ حدث .
قَالَ وَكَانَ عِيسَى يشاور فِي كل أَمر ينوبه هَذَا المتطبب .
قَالَ مُوسَى .
فَلَمَّا عقد الْمَنْصُور لعيسى على محاربة مُحَمَّد بن عبد الله بن حسن الْعلوِي وَصَارَ اللِّوَاء فِي دَاره .
قَالَ للفرات مَا تَقول فِي هَذَا اللِّوَاء .
قَالَ لَهُ المتطبب أَقُول إِنَّه لِوَاء الشحناء بَيْنك وَبَين أهلك إِلَى يَوْم الْقِيَامَة .
إِلاَّ أَنِّي أرى لَك نقل أهلك من الْكُوفَة إِلَى أَي الْبلدَانِ أَحْبَبْت فَإِن الْكُوفَة بلد

شيعَة من تحارب فَإِن فللت لم تكن لمن تخلف بهَا من أهلك بقيا وَإِن فللت وأصبت من تتَوَجَّه إِلَيْهِ زَاد ذَلِك فِي أضغانهم عَلَيْك فَإِن سلمت مِنْهُم حياتك لم يسلم مِنْهُم عقبك بعد وفاتك .

فَقَالَ لَهُ عيسَى وَيحك إِن أَمِير الْمُؤمنِينَ غير مفارق للكوفة فَلم أنقل أَهلِي عَنْهَا وهم مَعَه فِي دَار فَقَالَ لَهُ أَن الفيصل فِي مخرجك فَإِن كَانَت الْحَرْب لَك فالخليفة مُقيم بِالْكُوفَةِ وَإِن كَانَت الْحَرْب عَلَيْك لم تكن الْكُوفَة لَهُ بدار وسيهرب عَنْهَا ويخلف حرمه فضلا عَن حَرمك .

قَالَ مُوسَى فحاول عِيسَى نقل عِيَاله من الْكُوفَة فَلم يسوغه ذَلِك الْمَنْصُور .

قَالَ وَلما فتح الله على عِيسَى وَرجع إِلَى الْكُوفَة وَقتل إِبْرَاهِيم بن عبيد الله انْتقل الْمَنْصُور إِلَى مَدِينَة السَّلَام فَقَالَ لَهُ متطببه بادره بالانتقال مَعَه إِلَى مدينته الَّتِي قد أحدثها وَاسْتَأْذَنَ الْمَنْصُور فِي ذَلِك فَأعلمهُ أَنه لاَ سَبِيل إِلَيْهِ وَأَنه قد دبر استخلافه على الْكُوفَة فَأخْبر بذلك عِيسَى متطببه .

فَقَالَ لَهُ المتطبب استخلافه إياك على الْكُوفَة قد حل لعقدك عَن الْعَهْد لأَنَّهُ لَو دبر تَمام الأْمر لَك لولاك خُرَاسَان بلد شيعتك .

فَأما أَن يجعلك بِالْكُوفَةِ مَعَ أعدائه وأعدائك وَقد قتلت مُحَمَّد بن عبد الله فوَاللَّه مَا دبر فِيك إلاَّ قَتلك وَقتل عقبك .

وَمن الْمحَال أَن يوليك خُرَاسَان بعد الظَّاهِر مِنْهُ فِيك .

فسله توليتك الجزيرتين أَو الشَّام فَأخْرج إِلَيّ أَي الولايتين ولاك فأوطنها فَقَالَ لَهُ تكره لي ولاَيَة الْكُوفَة وَأَهْلهَا من شيعَة بني هَاشم وترغب لي فِي ولاَيَة الشَّام أَو الجزيرتين وَأَهْلهَا من شيعَة بني أُميَّة فَقَالَ لَهُ المتطبب أهل الْكُوفَة وَأَن وَسموا أنفسهم بالتشيع لبني هَاشم فلست وَأَهْلك من بني هَاشم الَّذِي يتشيعون لَهُم .

وَإِنَّمَا تشيعهم لبني أبي طَالب وَقد أصبت من دِمَائِهِمْ مَا قد أكسب أهل الْكُوفَة بغضتك وَأحل لَهُم عِنْد أنفسهم الاقتياد مِنْك .

وتشيع أهل الجزيرتين وَالشَّام لَيْسَ على طَرِيق الدّيانَة وَإِنَّمَا ذَلِك على طَرِيق إِحْسَان بني أُميَّة إِلَيْهِم .

وَإِن أَنْت أظهرت لَهُم مَوَدَّة مَتى وليتهم فأحسنت إِلَيْه كَانُوا لَك شيعَة ويدلك على ذَلِك محاربتهم مَعَ عبد الله بن عَليّ على مَا قد نَالَ من دِمَائِهِمْ لما تألفهم وتضمن لَهُم الإِحْسَان إِلَيْهِم فهم إِلَيْك لسلامتك من دِمَائِهِمْ أميل .

واستعفى عيسَى من ولاَيَة الْكُوفَة وَسَأَلَ تعويضه عَنْهَا فَأعلمهُ الْمَنْصُور أَن الْكُوفَة دَار الْخلاَفَة وَإِنَّهُ لاَ يُمكن أَن تَخْلُو من خَليفَة أَو ولي عهد .

ووعد عيسَى أَن يُقيم بِمَدينَة السَّلاَم سنة وبالكوفة سنة .

وَأَنه إِذا صَار إِلَى الْكُوفَة صَار عيسَى إِلَى مَدينَة السَّلاَم فَأَقَامَ بهَا .

قَالَ مُوسَى فَلَمَّا طلب أهل خُرَاسَان عقد الْبيعَة للمهدي قَالَ لمتطببه مَا تَقول يَا فرات فقد دعيت إِلَى تَقْديم مُحَمَّد بن أَمير الْمُؤمنِينَ على نَفسِي فَقَالَ لَهُ فتدفع بِمَاذَا أرى أَن تسمع وتطيع الْيَوْم وَبعد الْيَوْم .

فَقَالَ لَهُ وَمَا بعد الْيَوْم قَالَ إِذا دعَاك مُحَمَّد بن أَمير الْمُؤمنِينَ إِلَى خلع نَفسك وَتَسْليم الْخلاَفَة إِلَى بعض وَلَده أَن تسارع .

فَلَيْسَتْ عنْدك مَنْعَة وَلاَ يمكنك مُخَالفَة الْقَوْم فِي شَيْء يريدونه منْك قَالَ مُوسَى فَمَاتَ المتطبب فِي خلاَفَة الْمَنْصُور .

فَلَمَّا دعى الْمَهْدي عيسَى إِلَى خلع نَفسه من ولاَيَة الْعَهْد وَتَسْليم الْأَمر إِلَى الْهَادي قَالَ عيسَى بن مُوسَى قَاتلك الله يَا فرات مَا كَانَ أَجود رَأْيك وأعلمك بِمَا تتفوه به كَأَنَّك كنت شَاهدا ليومنا هَذَا قَالَ مُوسَى بن إِسْرَائِيل وَلما رَأَيْت فعل أَبي السَّرَايَا بمنازل العباسيين قلت مثل مَا قَالَ عيسَى ابْن مُوسَى .

وَقَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهيم لما بلغه وَهُوَ بِمصْر مَا ركب الطالبيون وَأهل الْكُوفَة من العباسيين وَقتل عبد الله بن مُحَمَّد بن دَاوُد مثل مَا قَالَ عِيسَى بن مُوسَى ومُوسَى المتطبب .

قَالَ يُوسُف وحَدثني مُوسَى بن إِسْرَائِيل المتطبب أَن عِيسَى بن مُوسَى شكا إِلَى فرات متطببه مَا يُصيبهُ من النعاس مَعَ مسامريه وَأَنه أَن تعشى مَعَهم ثقلت معدته فَنَامَ وَفَاته السمر وَأصْبح وَمَعَهُ ثقلة تَمنعهُ من الْغذَاء وَإِن لم يتعش مَعَهم أضرت بِهِ الشَّهْوَة الكاذبة فَقَالَ لَهُ شَكَوْت إِلَيّ مثل مَا شكا الْحجَّاج إِلَى أستاذي تياذوق فوصف لَهُ شَيْئا أَرَادَ به الْخَيْر فصَارَ شرا .

فَقَالَ لَهُ وَمَا هُوَ قَالَ وصف لَهُ الْعَبَث بالفستق فَذكر ذَلِك الْحجَّاج لحظاياه فَلم يبْق لَهُ حظية إِلاَّ قشرت لَهُ جَاما من الفستق وَبعثت به إِلَيْه .

وَجلسَ مَعَ مَسَاميرهُ فَأقبل يستف الفستق سفا فَأَصَابته هيضة كَادَت تَأتي على نَفسه فَشَكا ذَلِك إِلَى تياذوق .

فَقَالَ إِنَّمَا أَمرتك أَن تعبث بالفستق وَأَرَدْت بذلك الفستق الَّذِي بقشريه جَمِيعًا

لتتولى أَنْت كسر الْوَاحدَة بعد الْوَاحدَة ومص قشرها المصلح لمعدة مثلك من الشَّبَاب الممرورين وَإِصْلَاح الكبد بِمَا يتَأَدَّى إِلَيْهَا من طعم هَذَا الفستق وَذَهَبت إِلَى أَنَّك إِذا أكلت مَا فِي الفستقة من الثَّمَرَة وحاولت كسر أُخْرَى لم يتم لَك كسرهَا إِلَّا وَقد أسرعت الطبيعة فِي هضم مَا أكلت من ثَمَرَة الفستقة الَّتِي قبلهَا .

فَأَما مَا فعلت فَلَيْسَ بعجيب أَن ينالك مَعَه أَكثر ممَّا أَنْت فيه .

وَإِن كنت تَأْخُذ أَيهَا الْأَمِير الفستق على مَا رأى أستاذي أَن يُؤْخَذ انتفعت به .

قَالَ مُوسَى فَلَزِمَ عِيسَى بن مُوسَى أَخذ الفستق أَكثر من عشْرين سنة فَكَانَ يحمده .

ماسرجويه متطبب الْبَصْرَة

وَهُوَ الَّذي نقل كتاب أهرن من السرياني إِلَى الْعَرَبِيّ .

وَكَانَ يَهُودِيّ الْمَذْهَب سريانيا وَهُوَ الَّذِي يعنيه أَبُو بكر مُحَمَّد بن زَكَرِيَّا الرَّازِيّ فِي كِتَابه الْحَاوِي بقوله قَالَ الْيَهُودِيّ .

وَقَالَ سُلَيْمَان بن حسان الْمَعْرُوف بِابْن جلجل أَن ماسرجويه كَانَ فِي أَيَّام بني أُميَّة .

وَأَنه تولى فِي الدولة المروانية تَفْسِير كتاب أهرن بن أعين إِلَى الْعَرَبيَّة الَّذي وجده عمر بن عبد الْعَزِيز رَحمَه الله فِي خَزَائِن الْكتب فَأمر بِإِخْرَاجِه وَوَضعه فِي مُصَلَّاهُ واستخار الله فِي إِخْرَاجه إِلَى الْمُسلمين للإنتفاع بِهِ فَلَمَّا تمّ لَهُ فِي ذَلِك أَرْبَعُونَ صباحا أخرجه إِلَى النَّاس وبثه فِي أَيْديهم .

قَالَ سُلَيْمَان بن حسان حَدثنِي أَبُو بكر مُحَمَّد بن عمر بن عبد الْعَزِيز بِهَذِهِ الْحِكَايَة فِي مَسْجِد التِّرْمِذِيّ .

سنة تسع وَخمسين وثلثمائة .

وَقَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم حَدثنِي أَيُّوب بن الحكم الْبَصْرِيّ الْمَعْرُوف بالكسروي صَاحب مُحَمَّد بن طَاهِر بن الْحُسَيْن وَكَانَ ذَا أدب ومروءة وَعلم بأيام النَّاس وأخبارهم .

قَالَ كَانَ أَبُو نواس الْحسن بن هَانِئ يعشق جَارِيَة لامْرَأَة من ثَقِيف تسكن الْموضع الْمَعْرُوف بحكمان من أَرض الْبَصْرَة يُقَال لَهَا جنان وَكَانَ المعروفان بِأبي عُثْمَان وَأبي أُميَّة من ثَقِيف قريبين لمولاة الْجَارِيَة .

فَكَانَ أَبُو نواس يخرج فِي كل يَوْم من الْبَصْرَة يتلَقَّى من يقدمهُ من نَاحيَة حكمان فيسائلهم عَن أَخْبَار جنان .

قَالَ فَخرج يَوْمًا وَخرجت مَعَه وَكَانَ أول طالع علينا ماسرجويه المتطبب فَقَالَ لَهُ أَبُو نواس كَيفَ خلفت أَبَا عُثْمَان ومية فَقَالَ ماسرجويه جنان صَالِحَة كَمَا تحب .

فَأَنْشَأَ أَبُو نواس يَقُول .

(أسأل القادمين من حكمان كَيفَ خلفتُمْ أَبَا عُثْمَان)
(وَأَبا مية المُهَذّب والمأمول والمرتجى لريب الزَّمَان)
(فَيَقُولُونَ لي جنان كَمَا سرك فِي حَالهَا فسل عَن جنان)
(مَا لَهُم لاَ يُبَارك الله فيهم كَيفَ لم يغن عَنْهُم كتماني)
الْخَفِيف

قَالَ يُوسُف وحَدثني أَيُّوب بن الحكم أَنه كَانَ جَالسا عِنْد ماسرجويه وَهُوَ ينظر فِي قَوَارِير المَاء إِذْ أَتَاهُ رجل من الخوز فَقَالَ لَهُ إِنِّي بليت بداء لم يبل أحد بِمثلِه .

فَسَأَلَهُ عَن دائه فَقَالَ أصبح وبصري عَليّ مظلم وَأَنا أجد مثل لحس الْكلاب فِي معدتي فَلاَ تزَال هَذه حَالي حَتَّى أطْعم شَيْئا فَإِذا طعمت سكن عني مَا أجد إِلَى وَقت انتصاف النَّهَار ثمَّ يعاودني مَا كنت فِيه فَإِذا عاودت الأْكل سكن مَا بِي إِلَى وَقت صَلاَة الْعَتَمَة ثمَّ يعاودني فَلاَ أجد لَهُ دَوَاء إِلاَّ معاودة الأْكل فَقَالَ ماسرجويه على هَذَا الدَّاء غضب الله فَإِنَّهُ أَسَاءَ لنَفسه الاخْتِيَار حِين قرنها بسفلة مثلك ولوددت أَن هَذَا الدَّاء يحول إِلَيّ وَإِلَى صبياني وَكنت أعوضك مِمَّا نزل بك مِنْهُ مثل نصف مَا أملك فَقَالَ لَهُ مَا أفهم عَنْك فَقَالَ لَهُ ماسرجويه هَذِه صِحَة لاَ تستحقها أسأل الله نقلهَا عَنْك إِلَى من هُوَ أَحَق بهَا مِنْك . .

قَالَ يُوسُف وحَدثني أَيُّوب بن الحكم الكسروي قَالَ شَكَوْت إِلَى ماسرجويه تعذر الطبيعة فَسَأَلَنِي أَي الأنبذة أشْرب فأعلمته أَنِّي أدمن النَّبِيذ الْمَعْمُول من الدوشاب البستاني الْكثير الداذي .

فَأمرنِي أَن آكل فِي كل يَوْم من أَيَّام الصَّيف على الرِّيق قثاءه صَغِيرَة من قثاء بِالْبَصْرَة يعرف بالخريبي .

قَالَ فَكنت أُوتيَ بالقثاء وَهُوَ قثاء دَقِيق فِي دقة الأْصَابع وَطول القثاءة مِنْهُ نَحْو من فتر فَآكل مِنْهُ الْخمس والست والسبع فَكثر عَليّ الإسهال فشكوت ذَلِك إِلَيْه فَلم يكلمني حَتَّى حقنني بحقنة كَثِيرَة الشحوم والصموغ والخطمي والأرز الْفَارِسِي وَقَالَ

لي كدت تقتل نَفسك بإكثارك من القثاء على الرِّيق لأَنَّهُ كَانَ يحدر من الصَّفْرَاء مَا يزِيل عَن الأمعاء من الرطوبات اللاصقة بهَا مَا يْمَنع الصَّفْرَاء من سحجها وأحداث الدوسنطاريا فِيهَا .

ولماسرجويه من الْكتب كناش كتاب فِي الْغذَاء كتاب فِي الْعين .

سلمويه بن بنان متطبب المعتصم

لما اسْتخْلف أَبُو إِسْحَق مُحَمَّد المعتصم بِاللَّه وَذَلِكَ فِي سنة ثَمَان عشرَة وَمِائَتَيْنِ اخْتَار لنَفسه سلمويه الطَّبِيب وأكرمه إِكْرَاما كثيرا يفوق الْوَصْف وَكَانَ يرد إِلَى الدَّوَاوِين توقيعَات المعتصم فِي السجلات وَغَيرهَا بِخَط سلمويه وكل مَا كَانَ يرد على الْأُمَرَاء والقواد من خُرُوج أَمر وتوقيع من حَضْرَة أَمِير الْمُؤمنِينَ فبخط سلمويه .

وَولى أَخا سلمويه إِبْرَاهِيم بن بنان خزن بيُوت الْأَمْوَال فِي الْبِلَاد وخاتمه مَعَ خَاتم أَمِير الْمُؤمنِينَ .

وَلم يكن أحد عِنْده مثل سلمويه وأخيه إِبْرَاهِيم فِي الْمنزلَة .

وَكَانَ سلمويه بن بنان نَصْرَانِيّا حسن الِاعْتِقَاد فِي دينه كثير الْخَيْر مَحْمُود السِّيرَة وافر الْعقل جميل الرَّأْي .

وَقَالَ إِسْحَق بن عَليّ الرهاوي فِي كتاب أدب الطَّبِيب عَن عِيسَى بن ماسة قَالَ أَخْبرنِي يوحنا بن مساويه عَن المعتصم أَنه قَالَ سلمويه طبيبي أكبر عِنْدِي من قَاضِي الْقُضَاة لأَن هَذَا يحكم فِي نَفسِي وَنَفْسِي أشرف من مَالِي وملكي وَلما مرض سلمويه الطَّبِيب أَمر المعتصم وَلَده أَن يعودهُ فعاده .

ثمَّ قَالَ أَنا أعلم وأتيقن إِنِّي لاَ أعيش بعده لأَنَّهُ كَانَ يُرَاعِي حَيَاتِي وَيُدبر جسمي وَلم يَعش بعده تَمام السّنة .

وَقَالَ إِسْحَق بن حنين عَن أَبِيه أَن سلمويه كَانَ أعلم أهل زَمَانه بصناعة الطِّبّ .

وَكَانَ المعتصم يُسَمِّيه أبي .

فَلَمَّا اعتل سلمويه عَاده المعتصم وَبكى عِنْده وَقَالَ تُشِير عَليّ بعْدك بِمَا يصلحني فَقَالَ سلمويه يعز عَليّ بك يَا سَيِّدي وَلَكِن عَلَيْك بِهَذَا الْفُضُولِيّ يوحنا بن ماسويه وَإِذا شَكَوْت إِلَيْهِ شَيْئا فقد يصف فِيهِ أوصافا فَإِذا وصف فَخذ أقلهَا أخلاطا .

فَلَمَّا مَاتَ سلمويه امْتنع المعتصم من أكل الطَّعَام يَوْم مَوته وَأمر بِأَن تحضر جنَازَته الدَّار وَيصلى عَلَيْهِ بالشمع والبخور على زِيّ النَّصَارَى الْكَامِل .

فَفعل وَهُوَ بِحَيْثُ يبصرهم ويباهي فِي كرامته وحزن عَلَيْهِ حزنا شَدِيدا .

وَكَانَ المعتصم الهضم فِي جِسْمه قوي وَكَانَ سلمويه يفصده فِي السّنة مرَّتَيْنِ ويسقيه بعد كل مرّة دَوَاء مسهلا ويعالجه بالحمية فِي أَوْقَات .

فَأَرَادَ يوحنا بن ماسويه أَن يريه غير مَا عهد فَسَقَاهُ دَوَاء قبل الفصد وَقَالَ أَخَاف أَن تتحرك عَلَيْهِ الصَّفْرَاء فَعنْدَ مَا شرب الدَّوَاء حمي دَمه وحم جِسْمه وَمَا زَالَ جِسْمه ينقص والعلل تتزايد إِلَى أَن نحل بدنه وَمَات بعد عشْرين شهرا من وَفَاة سلمويه .

وَكَانَت وَفَاة المعتصم فِي شهر ربيع الأول سنة سبع وَعشْرين وَمِائَتَيْنِ .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم قَالَ المعتصم لأبي إِسْحَق إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي فِي أول مقدمه من بلد الرّوم وَهُوَ خَليفَة يَا عَم أمورك مضطربة عَلَيْك مُنْذُ أول أَيَّام الْفِتْنَة لأَنَّك بليت فِي أَولهَا مثل مَا شَمل النَّاس ثمَّ خصك بعد ذَلِك من خراب الضّيَاع وتخرم حُدُودهَا لاستتارك سبع سِنِين من الْخَلِيفَة الْمَاضِي مَا لَو لم يتقدمه شَيْء من الْمَكْرُوه لقد كَانَت فِيهِ كِفَايَة ثمَّ ظهر من سوء رَأْي الْمَأْمُون بعد ذَلِك فِيك مَا طم على كل مَا تقدم من الْمَكْرُوه النَّازِل بك فَزَاد ذَلِك فِي أَمرك .

وفكرت فِيك فَوَجَدتك تحْتَاج إِلَى أَن يرد عَليّ فِي يَوْم خبرك وَمَا تحْتَاج إِلَيْهِ لمصَالح أمورك .

وَرَأَيْت ذَلِك لاَ يتم إِلاَّ بتقليدي عَن الْقيام بِرَفْع حوايجك إِلَـــى خَادِم خَاص بِي .

وَقد وَقع اخْتِيَارِي لَك على خادمين لي يصل كل وَاحِد مِنْهُمَا إِلَيّ فِي مجَالِس جدي وهزلي بل يصل إِلَيّ فِي مرقدي ومتوضئي وهما مسرور سمانه الْخَادِم وسلمويه بن بنان .

فاختر أَيهمَا شِئْت وقلده حوايجك فَوَقع اخْتِيَاره على سلمويه وأحضره أَمِير الْمُؤمنِينَ فَأمره أَن يتَوَلَّى إِيصَال رسائله إِلَيْهِ فِي جَمِيع الْأَوْقَات .

قَالَ يُوسُف فقربني أَبُو إِسْحَق بسلمويه وَكنت لاَ أكاد أفارقه .

وَكَانَ خُرُوج أَمِير الْمُؤمنِينَ عَن مَدِينَة السَّلاَم آخر خرجاته عَن غير ذكر تقدم لخُرُوج إِلَى نَاحيَة من النواحي .

وَكَانَ النَّاس قد حَضَرُوا الدكة بالشماسية لحلية السُّرُوج فِي يَوْم الْأَرْبَعَاء لسبع عشرَة لَيْلَة خلت من ذِي الْقعدَة سنة عشْرين وَمِائَتَيْنِ .

فأخرجت الْخَيل ودعا بالجمازات فركبها وَنحن لاَ نشك فِي رُجُوعه من يَوْمه .

ثمَّ أَمر الموَالِي والقواد باللحاق بِهِ وَلم يخرج مَعَه من أهل بَيته أحد إِلاَّ الْعَبَّاس بن الْمَأْمُون وَعبد الْوَهَّاب ابْن عَليّ .

وَخلف المعتصم الواثق بِمَدِينَة السَّلاَم إِلَى أَن صلى بِالنَّاسِ يَوْم النَّحْر سنة عشْرين وَمِائَتَيْنِ .

ثمَّ أَمر بِالْخرُوجِ إِلَى القاطول فَخرج .

فوجهني أَبُو إِسْحَق بحوائج لَهُ إِلَى بَاب أَمِير الْمُؤمنِينَ فتوجهت فَلم يزل سيارة مرّة بالقاطول ومدية القاطول وَمرَّة بدير بني الصَّقْر وَهُوَ الْموضع الَّذِي سمي فِي أَيَّام المعتصم والواثق بالإيتاخية وَفِي أَيَّام المتوَكل بالمحمدية .

ثمَّ صَار المعتصم إِلَى سر من رأى فَضرب مضاربه فِيهَا وَأَقَام بهَا فِي الْمضَارب .

فَإِنِّي فِي بعض الأَيَّام على بَاب مضرب المعتصم إِذْ خرج سلمويه بن بنان فَأَخْبرنِي أَن أَمِير الْمُؤمنِينَ أمره بالمضي إِلَى الدّور وَالنَّظَر إِلَى سوار تكين الفرغاني والتقدم إِلَى متطببه فِي معالجته من علّة يجدهَا بِمَا يرَاهُ سلمويه صَوَابا .

وَحلف عَليّ أَن لاَ أفارقه حَتَّى نصير إِلَى الدّور وَنَرْجِع فمضيت مَعَه فَقَالَ لي حَدثنِي فِي غَدَاة يَوْمنَا هَذَا نصر بن مَنْصُور بن بسام أنه كَانَ يُسَايِر المعتصم بِاللَّه فِي هَذَا الْبَلَد يَعْنِي بلد سر من رأى وَهُوَ أَمِير قَالَ لي سلمويه قَالَ لي نصر أَن المعتصم أَمِير الْمُؤمنِينَ قَالَ لَهُ يَا نصر أسمعت قطّ بِأَعْجَب مِمَّن اتخذ فِي هَذَا الْبَلَد بنَاء وأوطنه لَيْت شعري مَا أعجب موطنه حزونة أرضه أَو كَثْرَة أخافيفه أم كَثْرَة تلاعه وَشدَّة الْحر فِيهِ إِذا حمي الْحَصَى بالشمس .

مَا يَنْبَغِي أَن يكون متوطن هَذَا الْبَلَد إِلاَّ مُضْطَرّا مقهورا أوردي التَّمْييز .

قَالَ لي سلمويه قَالَ لي نصر بن مَنْصُور وَأَنا وَالله خَائف أَن يوطن أَمِير الْمُؤمنِينَ هَذَا الْبَلَد فَإِن سلمويه ليحدثني عَن نصر إِذْ رمى ببصره نَحْو الْمشرق فَرَأى فِي مَوضِع الْجَوْسَق الْمَعْرُوف بالمصيب أَكثر من ألف رجل يضعون أساس الْجَوْسَقِ .

فَقَالَ لي سلمويه أَحسب ظن نصر بن مَنْصُور قد صَحَّ .

وَكَانَ ذَلِك فِي رَجَب سنة إِحْدَى وَعشْرين وَمِائَتَيْنِ .

وَصَامَ المعتصم فِي الصَّيف فِي شهر رَمَضَان من هَذِه السّنة .

وغدى النَّاس فِيه يَوْم الْفطر وَاحْتَجَمَ المعتصم بالقاطول يَوْم سبت وَكَانَ ذَلِك الْيَوْم آخر يَوْم من صِيَام النَّصَارَى فَحَضَرَ غداءه سلمويه بن بنان واستأذنه فِي الْمصير إِلَى الْقَادِسِيَّة ليقيم فِي كنيستها بَاقِي يَوْمه وَلَيْلَته ويتقرب فِيهَا يَوْم الأَحَد وَيرجع إِلَى

القاطول قبل وَقت الْغَدَاء من يَوْم الأُحَد فَأذن لَهُ فِي ذَلِك وكساه ثيابًا كَثِيرَة ووهب لَهُ مسكا وبخورا كثيرا .

فَخرج منكسرا مغموما وعزم عَليّ بالمصير مَعَه إِلَى الْقَادِسِيَّة فأجبته إِلَى ذَلِك .

وَكَانَت عادتنا مَتى تسايرنا قطع الطَّرِيق إِمَّا بمناظرة فِي شَيْء من الْآدَاب وَأما بدعابة من دعابات المتأدبين فَلم يجارني شَيْء من الْبَابَيْنِ جَمِيعًا وَأَقْبل على الفكرة وتحريك يَده الْيُمْنَى وشفته تهمس من القَوْل بمَا لَا يعلنه فَسبق إِلَى وهمي أَنه رأى من أَمِير الْمُؤمنِينَ فِي أَمر نَفسه شَيْئا أنكرهُ ثمَّ أَزَال ذَلِك الْوَهم عني إقدامه على الاسْتِئْذَان فِي الْمصير إِلَى الْقَادِسِيَّة وَالثيَاب وَالطّيب الَّذِي جِيءَ بِهِ .

فَسَأَلته عَن سَبَب قِرَاءَته وفكرته .

فَقَالَ لي سَمِعتك تحكي عَن بعض مُلُوك فَارس قولا فِي الْعقل وَأَنه وَجب أَن يكون أَكثر مَا فِي الْإِنْسَان عقله فأعده عَليّ وخبرني باسم ذَلِك الْملك قَالَ لَهُ قَالَ أنوشروان إِذا لم يكن أَكثر مَا فِي الرجل عقله كَانَ أَكثر مَا فِيهِ برديه فَقَالَ قَاتله الله فَمَا أحسن مَا قَالَ ثمَّ قَالَ أميرنا هَذَا يَعْنِي الواثق حفظه لما يقْرَأ وَيقْرَأ عَلَيْهِ من الْكتب أَكثر من عقله وَأَحْسبهُ قد وَقع فِي الَّذِي يكره وَأَنا استدفع الله فِي المكاره عَنهُ .

وَبكى .

فَسَأَلته عَن السَّبَب فَقَالَ أَشرت على أَمِير الْمُؤمنِينَ بترك الشّرْب فِي عشيه أمس ليباكر الْحجامَة فِي يَوْمنَا هَذَا على نقاء فَجَلَسَ واحضر الْأَمِير هرون وَابْن أبي داؤد وَعبد الْوَهَّاب ليتحدث مَعَهم فَانْدفع هرون فِي عهد أردشير بن بابك وَأَقْبل يسْرد جَمِيع مَا فِيهِ ظَاهرا حَتَّى أَتَى على الْعَهْد كُله فتخوفت عَلَيْهِ حسد أَبِيه لَهُ على جودة الْحِفْظ الَّذِي لم يرْزق مثله وتخوفت عَلَيْهِ إمْسَاك أَبِيه مَا حد أردشير بن بابك فِي عَهده من ترك إِظْهَار الْبيعَة لوَلِيّ عَهده .

وتخوفت عَلَيْهِ مَا ذكر أردشير فِي هَذَا الْبَاب من ميل النَّاس نَحْو ولي الْعَهْد مَتى عرفُوا مَكَانَهُ وتخوفت عَلَيْهِ مَا ذكر أردشير من أَنه لَا يُؤمن اضطغان ولي الْعَهْد على أَسبَاب وَالِده مَتى علم أَنه الْملك بعد أَبِيه وَأَنا وَالله عَالم بِأَن أقل مَا يَنَالهُ فِي هَذَا الْبَاب التَّضْييق عَلَيْهِ فِي معاشه وَأَنه لَا يظْهر لَهُ بيعَة أبدا فاغتمامي بِهَذَا السَّبَب فَكَانَ جَمِيع مَا تخوف سلمويه عَليّ مَا تخوف .

قَالَ يُوسُف واستبطأ المعتصم أَبُو إِسْحَق إِبْرَاهِيم بن الْمهْدي فِي بعض الْأُمُور واستجفاه .

فَكتب إِلَيْه كتابا أَمرنِي بقرَاءَته على سلمويه ومناظرته فِيه فَإِن استصوب الرَّأْي فِي إيصاله ختمته وأوصلته وَإِن كره ذَلِك رَددته على أبي إِسْحَق .

فَقَرَأته على سلمويه فَقَالَ لي قل لَهُ قد جرى لَك الْمِقْدَار مَعَ الْمَأْمُون والمعتصم أعز الله الْبَاقِي ورحم الْمَاضِي بِمَا يُوجب عَلَيْك شكر رَبك وَإِلاَّ تنكر عَليّ بالخليفتين تنكرهما فِي وَقت من الأْوْقَات لأَنَّك تسميت باسم لم يتسم بِهِ أحد قطّ فكاثر الأْحْيَاء فَإِن كَانَ الْمِقْدَار استعطف عَلَيْك رَحِمك حَتَّى صرت إِلَى الأْمن من الْمَكْرُوه .

فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَن تتعجب من تنكر الْخَلِيفَة فِي وَقت من الأْوْقَات أَن طعن بعض أعدائك عَلَيْك بِمَا كَانَ مِنْك فيظْهر بالجفاء الْيَوْمَيْنِ وَالثَّلاَثَة أَو نَحْو ذَلِك .

ثمَّ يَنْعَطف عَلَيْك وَيذكر ماسة رَحِمك وشابكتها فيؤول أَمرك إِلَى مَا تحب .

وَلَك أَيْضا آفَة يجب عَلَيْك التَّحَرُّز مِنْهَا وَهِي أَنَّك تجْلِس مَعَ الْخَلِيفَة فِي مَجْلِسه وَفِيه جمَاعَة من أَهله وقواده ووجوه موَالِيه فَهُوَ يجب أَن يكون أجل النَّاس فِي عيونهم وَأَمْلأُ لقُلُوبهمْ فَلاَ يجْرِي جَار من القَوْل إِلاَّ ظَهرت لنَفسك فِيهِ قولا يتَبَيَّن نصرتك فِيهِ عَلَيْهِ فَلَو كنت مثل ابْن أبي داؤد أَو مثل بعض الْكتاب لَكَانَ الأْمر فِيهِ أسهل عَلَيْه . .

لأَنَّهُ مَا كَانَ لتلْك الطَّبَقَة فَهُوَ للخليفة لأَنهم من عبيده وَمَا كَانَ لرجل من أَهله لَهُ السن والقعدد عَلَيْه فَهُوَ مُوجب لمن السن والقعدد لَهُ وَذَلِكَ مزر بالخليفة .

وَأَنا أرى أَن لاَ أوصل هَذَا الْكتاب وَأَن يتغافل أعزه الله حَتَّى يتشوق إِلَيْهِ الْخَلِيفَة .

فَإِذا صَار إِلَيْه تحرز بِمَا كرهته لَهُ فَفِي ذَلِك غنى عَن العتاب والاستبطاء .

قَالَ فَانْصَرَفت إِلَى أبي إِسْحَق بِالْكتاب وَلم أوصله فَوجدت سِيمَا الدِّمَشْقِي عِنْد صاحبنا وَقد أبلغه رِسَالَة المعتصم بِوَصْف شوقه إِلَيْه وبالأمر بالركوب إِلَيْه .

فَأَخْبَرته بِمَا دَار بيني وَبَين سلمويه وَركب فَاسْتعْمل مَا أَشَارَ بِهِ فَلم يُنكر بعد ذَلِك مِنْهُ شَيْئا حَتَّى فرق بَينهمَا الْمَوْت .

قَالَ يُوسُف وَجرى بيني وَبَين سلمويه ذكر يوحنا بن ماسويه فأطنبت فِي وَصفه وَذكرت مِنْهُ مَا أعرف من اتساع علمه .

فَقَالَ سلمويه يوحنا آفَة من آفَات من اتَّخذهُ لنَفسه واتكل على علاجه وَكَثْرَة حفظه للكتب وَحسن شَرحه وَوَصفه بِمَا يلجم بِهِ الْمَكْرُوه .

ثمَّ قَالَ لي أول الطِّبّ معرفَة مِقْدَار الدَّاء حَتَّى يعالج بِمِقْدَار مَا يحْتَاج إِلَيْهِ من العلاج .

ويوحنا أَجْهَل خلق الله بِمِقْدَار الدَّاء والدواء جَمِيعًا .

فَإِن زَوَال محرور عالجه من الأدْوِيَة الْبَارِدَة والأغذية المفرطة الْبرد وَبِمَا يزِيل عَنهُ تِلْكَ الْحَرَارَة ويعقب معدته وبدنه برداً يحْتَاج لَهُ إِلَى المعالجة بالأدوية والأغذية الحارة ثمَّ يفعل فِي ذَلِك كَفِعْلِهِ فِي الْعلَّة الأولى من الإفراط ليزول عَنهُ الْبرد ويعتل من حرارة مفرطة .

فصاحبه أبدا عليل إِمَّا من حرارة وَإِمَّا من برودة .

والأبدان تضعف عَن احْتِمَال هَذَا التَّدْبِير .

وَإِنَّمَا الْغَرَض فِي اتِّخَاذ النَّاس المتطببين لحفظ صحتهم فِي أَيَّام الصِّحَّة ولخدمة طبائعهم فِي أَيَّام الْعلَّة .

ويوحنا لجهله بمقادير الْعِلَل والعلاج غير قَائِم بِهَذَيْنِ الْبَابَيْنِ .

وَمن لم يقم بهما فَلَيْسَ بمتطبب .

قَالَ يُوسُف وأصابت إِبْرَاهِيم بن بنان أَخا سلمويه بن بنان هيضة من خوخ أكله فَأَكْثر مِنْهُ فَكَادَتْ تَأتي على نَفسه .

فَسَقَاهُ أَخُوهُ سلمويه شهريارانا كثير السقمونيا فأسهله إسهالا كثيرا زَائِدا على الْمِقْدَار الَّذِي يجب أَن يكون مِمَّن شرب مثل مَا شرب إِبْرَاهِيم من الشهرياران .

وَانْقطع مَعَ انْقِطَاع فعل الشهرياران فعل الهيضة فَقلت لَهُ أحسبك امتثلت فِيمَا فعلت بأخيك من إسقائه الدَّوَاء المسهل طَرِيقَة يزِيد بور فِي ثُمَامَة الْعَبْسِي .

فَقَالَ مَا اسْتعْملت لَهُ طَرِيقَة وَلَكِنِّي اسْتعْملت فكري كَمَا اسْتعْمل فكره فنتج لي من الرَّأْي مَا نتج لَهُ .

قَالَ يُوسُف وَكنت يَوْمًا عِنْد سلمويه وَقد أجرينا حَدِيث أَيَّام الْفِتْنَة بِمَدِينَة السَّلَام أَيَّام مُحَمَّد الْأمين فَقَالَ لي لقد نفعنا الله فِي تِلْكَ الْأَيَّام بجوار بشر وَبشير ابْني السميدع وَذَلِكَ أَنا كُنَّا مَعَهُمَا فِي كل حمى .

ثمَّ قَالَ لي هَل لَك أَن تركب إِلَى بشير فتعوده فقد كنت يئست مِنْهُ أول من أمس ثمَّ أفرق أمس فأجبته إِلَى الرّكُوب مَعَه وركبنا .

فَلَمَّا صرنا إِلَى بَاب الدَّرْب الَّذِي كَانَ بشير ينزله طلع علينا بولس بن حنون المتطبب الَّذِي هُوَ الْيَوْم متطبب أهل فلسطين وَهُوَ منصرف من عِنْد بشير .

فَسَأَلَهُ عَن خَبره فَأَجَابَهُ بِكَلِمَة بالسُّرْيَانيَّة مَعْنَاهَا بئس .

فَقَالَ لَهُ سلمويه ألم تُخبرنِي أمس أَنه قد أفرق فَقَالَ لَهُ بولس قد كَانَ ذَاك إِلاَّ أَنه أكل البارحة دماغ جدي فعاوده الإسهال .

فعطف سلمويه رَأس دَابَّته وَقَالَ انْصَرف بنَا فَلَيْسَ يبيت بشير فِي الدُّنْيَا .

فَسَأَلته عَن السَّبَب فَذكر أَنه رجل مبطون وَأَن أول آفته كَانَت فِي الْبَطن فَسَاد معدته فتطاولت أَيَّامه فِي الْبَطن بفساد الْمعدة إِلَى أَن كَانَ ذَلِك سَببا لفساد كبده .

وَأَن الدِّمَاغ الَّذِي أكله سيعلق بمعدته ويغري مَا بَين غضونها فَلاَ يدخلهَا غذَاء وَلاَ دَوَاء إِلاَّ زلق .

وانصرفنا وَلم يعده سلمويه وَلاَ عدته فَمَا بَات حَتَّى توفّي .

قَالَ يُوسُف وصحبت بعد وَفَاة أبي إِسْحَق أَبَا دلف .

فصحبته وَقد كَانَ مبطونا قبل صحبتي إِيَّاه بِخَمْسَة عشر شهرا .

وَكَانَ مجْلِس أبي دلف مجمعا للمتطببين لأَنَّهُ كَانَ مَعَه من المرتزقة جمَاعَة مِنْهُم يُوسُف بن صليبا وَسليمَان بن داؤد بن بَابَان وَيوسف الْقصير الْبَصْرِيّ وَلاَ أحفظ نسبه وبولس بن حنون متطبب فلسطين وختن كَانَ لَهُ من اللَّجْلاَج وَالْحسن بن صَالح بن بهلة الْهِنْدِيّ .

وَكَانَ يحضر مَجْلِسه من المتطببين غير المرتزقين جمَاعَة فَرُبمَا اجْتمع فِي مَجْلِسه مِنْهُم عشرُون رجلا فَكَانُوا على سَبِيل الاخْتلاَف فِي أصل علته فبعضهم كَانَ يرى أَن يسْقِيه الدرياق وَبَعْضهمْ كَانَ يرى أَن يعالجه بالأدوية الَّتِي يَقع فِيهَا الأبيون مثل المترود يطوس وَغَيره .

وَكلهمْ كَانَ مجمعا على معالجته بالحمية وبالقيء فِي كل بضع عشرَة لَيْلَة لأَنَّهُ كَانَ مَتى تقيأ صلحت حَاله ثَلاَثَة أَيَّام أَو نَحْوهَا .

فأقمت مَعَه عشرَة أشهر لاَ أذكر أَنِّي تشاغلت فِي يَوْم مِنْهَا بِأَمْر من أُمُور الأَْعْمَال الَّتِي أتقلدها .

فَسلمت من رَسُول لَهُ يستنهضني للمسير إِلَيْهِ وللنظر فِيمَا بَين المتطببين من الاخْتلاَف ثمَّ أَمر المعتصم حيدر بن كاوس بالْعقد لأبي دلف على قزوين وزنجان ونواحيها وَإِبْرَاهِيم ابْن البحتري بتقليده خراج النَّاحِيَة وَمُحَمّد بن عبد الْملك بتقليده ضياعها .

فقلد أَبُو دلف ابْنه مَعنا بن الْقَاسِم المعونة وقلدني الْخراج والضياع وأمرنا بِالْخرُوجِ .

فَأتيت سلمويه مودعا ومشاورا .

فَقَالَ لي انقلاعك من بلدك مَعَ رجل منحل بدنه مُنْذُ خَمْسَة وَعشْرين شهرا وَجَميع من يطيف بِهِ مَعَك لاَ يَجْمَعُكَ وإياهم رحم وَإِنَّمَا هم أهل الْجَبَل وأصبهان وَأَكْثَرهم صعاليك .

ولعلك قد استقصيت على بَعضهم بالحضرة وَحَيْثُ كنت تأمن على نَفسك بِمَا لاَ أحبه لَك لأَنَّهُ إِن حدث بِالرجلِ حَادث كنت فِي أَرض غربَة أَسِيرًا فِي أَيدي من لاَ مجانسة بَيْنك وَبينهمْ .

وامتناعك على الرجل بعد أَن أَجَبْته إِلَى أَن تتقدمه تسمج .

وَلَكِن استأجله فِي الْخُرُوج بعد سَبْعَة أَيَّام وأشرف فِي هَذِه الأَيَّام على مطعمه ومشربه حَتَّى لاَ يصل إِلَى جَوْفه فِي هَذَا الأُسْبُوع مَأْكُول ومشروب إِلاَّ عرفت مبلغ وَزنه على الْحَقِيقَة .

ووكل من يعرف وزن مَا يخرج مِنْهُ فِي هَذَا الأُسْبُوع من ثقل وَبَوْل وارفع وزن ذَلِك ليَوْم بعد يَوْم إِلَيْك وصر إِلَيّ بعد هَذَا الأُسْبُوع بمبلغ وزن جَمِيع مَا دخل بَطْنه من الطَّعَام وَالشرَاب وَغير ذَلِك وَوزن مَا يخرج مِنْهُ .

فعنيت بذلك غَايَة الْعِنَايَة وتعرفته حَتَّى صَحَّ عِنْدِي .

فَوجدت مَا خرج من بَدنه قَرِيبا من ضعف مَا دخله من مطعم ومشرب .

فأعلمت ذَلِك سلمويه فَقَالَ لي لَو كَانَ خرج مِنْهُ بوَزْن مَا دخل بدنه لدل ذَلِك على سرعَة تلفه فَكيف ترى الْحَال كائنة وَالْخَارِج مِنْهُ مثل ضعف مَا دخل بدنه الْهَرَب من التلبيس بِأَمْر هَذَا الرجل فَإِن الشوق قد جذبه .

فَمَا لبث بعد هَذَا القَوْل إِلاَّ بضع عشرَة لَيْلَة حَتَّى توفّي أَبُو دلف .

قَالَ أَبُو عَليّ القباني حَدثنِي أبي قَالَ كَانَت بَين جدي الْحُسَيْن بن عبد الله وَبَين سلمويه المتطبب مَوَدَّة فَحَدثني أَنه دخل إِلَيْهِ يَوْمًا إِلَى دَاره وَكَانَ فِي الْحمام ثمَّ خرج وَهُوَ مكمكم والعرق يسيل من جَبينه وجاءه خَادِم بمائدة عَلَيْهَا دراج مشوي وَشَيْء أَخْضَر فِي زبدية وَثَلاَث رقاقات كزمازك وَفِي سكرجة خل .

فَأكل الْجَمِيع واستدعى مَا مِقْدَاره دِرْهَمَانِ شرابًا فمزجه وشربه وَغسل يَدَيْهِ بِمَاء .

ثمَّ أَخذ فِي تَغْيير ثِيَابه البخور .

فَلَمَّا فرغ أَقبل يحادثني فَقلت لَهُ قبل أَن أجيبك إِلَى شَيْء عرفني مَا صنعت .

فَقَالَ أَنا أعالج السل مُنْذُ ثَلاَثِينَ سنة لم آكل فِي جَميعهَا إِلاَّ مَا رَأَيْت وَهُوَ دراج مشوي وهندبا مسلوقة مطجنة بدهن لوز وَهَذَا الْمِقْدَار من الْخبز .

وَإِذا خرجت من الْحمام احتجت إِلَى مبادرة الْحَرَارَة بِمَا يسكنهَا كَيْلا تعطف على بدني فتأخذ من رطوبته فأشغلها بالغذاء ليَكُون عطفها عَلَيْهِ ثمَّ أتفرغ لغيره .

إِبْرَاهِيم بن فزارون

متطبب غَسَّان بن عباد .[1]

وَإِبْرَاهِيم بن فزارون هُوَ شيخ بني فزارون الْكتاب .

قَالَ يُوسُف ابْن إِبْرَاهِيم كَانَ إِبْرَاهِيم بن فزارون قد خرج مَعَ غَسَّان عباد إِلَى السَّنَد .

فَحَدثني أَن غَسَّان بن عباد مكث بِأَرْض السَّنَد من يَوْم النوروز إِلَى يَوْم المهرجان يَشْتَهِي أَن يَأْكُل قطْعَة لحم بَارِدَة فَمَا قدر على ذَلِك .

فَسَأَلته عَن السَّبَب فَقَالَ كُنَّا نطجنه فَلاَ يبرد حَتَّى يروح فَيرمى بِهِ .

قَالَ يُوسُف وَأَخْبرنِي إِبْرَاهِيم بن فزارون أَنه مَا أكل بِأَرْض السَّنَد لَحْمًا استطابه إِلاَّ لُحُوم الطواويس وَإِنَّهُ لم يَأْكُل لَحْمًا قطّ أطيب من لحم طواويس بِلاَد السَّنَد .

وحَدثني إِبْرَاهِيم بن عِيسَى بن الْمَنْصُور الْمَعْرُوف بِابْن نزيهة عَن غَسَّان بن عباد فِي لُحُوم الطواويس بِمثل مَا حَدثنِي إِبْرَاهِيم بن فزارون .

قَالَ يُوسُف وحَدثني إِبْرَاهِيم بن فزارون أَنه رفع إِلَى غَسَّان بن عباد أَن فِي النَّهر الْمَعْرُوف بمهران بِأَرْض السَّنَد سَمَكَة تشبه الجدي وَأَنَّهَا تصاد ثمَّ يطين رَأسهَا وَجَمِيع بدنهَا إِلَى مَوضِع مخرج الثّقل مِنْهَا ثمَّ يَجْعَل مَا لم يطين مِنْهَا على الْجَمْر ويمسكها مُمْسك بِيَدِهِ حَتَّى ينشوي مِنْهَا مَا كَانَ مَوْضُوعا على الْجَمْر وينضج ثمَّ يُؤْكَل مَا نضج أَو يرْمى بِهِ وَتلقى السَّمَكَة فِي المَاء مَا لم ينكسر الْعظم الَّذِي هُوَ صلب السَّمَكَة فتعيش وينبت على عظمها اللَّحْم .

وَأَن غَسَّان أَمر بحفر بركَة فِي دَاره وملأها مَاء وَأمر بامتحان مَا بلغه .

قَالَ إِبْرَاهِيم فَكُنَّا نؤتي كل يَوْم بعدة من هَذَا السّمك فنشويه على الْحِكَايَة الَّتِي

---

(١) غسان بن عباد بن أبي الفرج : وال . من رجال المأمون العباسي . وهو ابن عم الفضل بن سهل . ولي «خراسان» من قِبَل الحسن بن سهل ثم ولاه المأمون السند سنة ٢١٣هـ

ذكرت لنا ونكسر من بعضه عظم الصلب ونترك بعضه لاَ نكسره فَكَانَ مَا يكسر عظمه يَمُوت وَمَا لم يكسر عظمه يسلم وينبت عَلَيْه اللَّحْم وَيَسْتَوِي الجْلد .

إلاَّ أَن جلدَة تِلْكَ السَّمَكَة تشبه جلد الجدي الأَسود وَمَا قشرناه من لحُوم السّمك الَّتي شويناها ورددناها إِلَى المَاء يكون على غير لون الجْلْدَة الأولى لأَنَّهُ يضْرب إِلَى الْبيَاض .

قَالَ يُوسُف وَسَأَلت إِبْرَاهِيم بن فزارون عَن قَول من يزْعم أَن نهر مهْرَان هُوَ نهر النّيل فَقَالَ لي رَأَيْت نهر مهْرَان وَهُوَ يصب فِي الْبَحْر المالح إِلاَّ أَن عُلَمَاء الْهِنْد والسند أعلموني أَن مخرج النّيل ومخرج نهر مهْرَان من عين وَاحدَة عَظِيمَة فنهر مهْرَان يشق أَرض السَّنَد حَتَّى يصب فِي بحرها المالح وَالنّهر الآخر يشق أَرض الْهِنْد وَجَمِيع أَرض السودَان حَتَّى يخرج إِلَى أَرض النّوبَة ثمَّ يصب بَاقِيه فِي أَرض مصر فيرويها ثمَّ يصب بَاقِيه فِي بَحر الرّوم .

قَالَ يُوسُف وحَدثني عَنْبَسَة بن إِسْحَق الضَّبِّيّ من أَمر الْعين الَّتِي منْهَا يخرج نهر مهْرَان والنيل بِمثل مَا حَدثنِي بِهِ إِبْرَاهِيم وَكَانَ يحدثنا بِحَدِيث السّمك فِي كل وَقت .

أَيُّوب المعْرُوف بالأبرش

كَانَ لَهُ نظر فِي صناعَة الطِّبّ وَمَعْرِفَة بِالنَّقْل وَقد نقل كتبا من مصنفات اليونانيين إِلَى السرياني وَإِلَى الْعَرَبِيّ وَهُوَ متوسط النَّقْل وَمَا نَقله فِي آخر عمره فَهُوَ أَجود ممَّا نَقله قبل ذَلِك .

إِبْرَاهِيم بن أَيُّوب الأبرش

قَالَ إِسْحَق بن عَليّ الرهاوي فِي كتاب أدب الطَّبِيب حَدثنِي عِيسَى بن ماسة قَالَ رَأَيْت إِبْرَاهِيم بن أَيُّوب الأبرش وَقد عالج إِسْمَاعِيل أَخا المعتز وَبرئ .

فكلمت أمه قبيحة المتَوكل أَن يُجِيزهُ فَقَالَ لَهَا لاَ تجيزيه لَيْسَ عنْدك مَا تعطيه حَتَّى أعْطِيه أَنا مثله .

وَإِبْرَاهِيم وَاقف بَين أَيْديهمَا فَأمرت قبيحة فأحضرت بدرة دَرَاهِم لإِبْرَاهِيم وَأمر المتَوكل بإحضار مثل ذَلِك فأحضرت قبيحة بدرة أُخْرَى فَأمر بإحضار مثلهَا فَلم يَزَالاَ يأمران بإحضار بدرة وبدرة حَتَّى أحضرت ستّ عشرَة بدرة فأومت قبيحة إِلَى جاريتها

أَن تمسك فَقَالَ لَهَا إِبْرَاهِيم سرا لاَ تقطعي وَأَنا أرد عَلَيْك .

فَقَالَت لَهُ املأ الله عين الآخر .

فَقَالَ لَهَا المتَوَكل وَالله لَو أعطيته إِلَى الصَّباح لأعطيته مثل ذَلِك .

فَحملت الْبَدْر إِلَى منزل إِبْرَاهِيم .

وَقَالَ ثَابت بن سنَان بن ثَابت أَن الْخلاَفَة لما تأدت إِلَى المعتز بِاللَّه كَانَ أخص المتطببين عِنْده إِبْرَاهِيم ابْن الأبرش لمكانه من والدته قبيحة .

وَكَانَت صلاَته أبدا واصلة إِلَيْه .

وخلع أَبُو عبد الله المعتز بِاللَّه بسر من رأى وَقبض عَلَيْهِ صَالح بن وصيف يَوْم الاثْنَيْنِ لثلاث بَقينَ من رَجَب سنة خمس وَخمسين وَمائَتَيْنِ وحبسه خَمْسَة أَيَّام ثمَّ قتل وَقت الْعَصْر من يَوْم الْجُمُعَة لليلتين خلتا من شعْبَانَ من السّنة الْمَذْكُورَة وَله ثَلاَث وَعِشْرُونَ سنة .

جبْرَائيل كَحال الْمَأْمُون

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم كَانَ الْمَأْمُون يستخف يَد جِبْـرَائِيل الكحال وَيذكر أَنه مَا رأى أبدا على عين أخف من يَده .

وَاتخذ مراود ومكاحل ودستجا وَدفعه إِلَيْه فَكَانَ أول من يدْخل إِلَيْهِ فِي كل يَوْم عِنْد تَسْلِيمه فِي صَلاَة الغذاة فَيغسل أجفانه ويكحل عَيْنَيْهِ فَإِذا انتبه من قائلته فعل مثل ذَلِك .

وَكَانَ يجْرِي عَلَيْه ألف دِرْهَم فِي كل شهر .

ثمَّ سَقَطت مَنْزِلَته بعد ذَلِك فَسَأَلته عَن السَّبَب فِي ذَلِك فَأَخْبرنِي أَن الْحُسَيْن الْخَادِم اعتل فَلم يُمكن ياسرا أَخَاهُ عيادته لاشتغاله بِالْخدمَة إِلَى أَن وافى يَاسر بَاب الْحُجْرَة الَّتِي كَانَ فِيهَا الْمَأْمُون وَقد خرج جِبْرَائِيل من عِنْده بعد أَن برد أجفانه وكحل عَيْنَيْه .

فَسَأَلَهُ يَاسر عَن خبر الْمَأْمُون فَأخْبرهُ أَنه أغفى فتغنم يَاسر مَا أخبرهُ بِهِ من نَومه فَصَارَ إِلَى حُسَيْن فعاده .

وَأنتبه الْمَأْمُون قبل انصراف يَاسر من عِنْد حُسَيْن ثمَّ انْصَرف يَاسر فَسَأَلَهُ الْمَأْمُون عَن سَبَب تخلفه فَقَالَ يَاسر أخْبرت بنوم أَمِير الْمُؤمنِينَ فصرت إِلَى حُسَيْن فعدته .

فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُون وَمن أخْبرك برقادي فَقَالَ لَهُ يَاسر جِبْرَائِيل الكحال .

قَالَ جبْرَائيل فأحضرني الْمَأْمُون ثمَّ قَالَ يَا جِبْرَائِيل اتخذتك كحالا لي أَو عَاملا على الْإِخْبَار عني أردد عَليّ مكاحلي وأميالي واخرج عَن دَاري .

فأذكرته خدمتي فَقَالَ إِن لَهُ لحُرْمَة فليقتصر لَهُ على إِجْرَاء مائَة وَخمسين درهما فِي كل شهر وَلاَ يُؤذن لَهُ فِي الدُّخُول .

فَلم يخْدم الْمَأْمُون بعده حَتَّى توفّي .

ماسويه أَبُو يوحنا

قَالَ فثيون الترجمان أَن ماسويه كَانَ يعْمل فِي دق الْأَدْوِيَة فِي بيمارستان جندي سَابُور وَهُوَ لاَ يقْرَأ حرفا وَاحِدًا بلِسَان من الْأَلْسِنَة إِلاَّ أَنه عرف الْأَمْرَاض وعلاجها وَصَارَ بَصيرًا بانتقاد الْأَدْوِيَة فَأَخذه جِبْرَائِيل بن بختيشوع فَأحْسن إِلَيْهِ وعشق جَارِيَة لداود بن سرابيون فابتاعها جِبْرَائِيل بثمانمائة دِرْهَم ووهبها لماسويه ورزق مِنْهَا ابْنه يوحنا وأخاه ميخائيل .

وَقَالَ إِسْحَق بن عَليّ الرهاوي فِي كتاب أدب الطَّبِيب عَن عِيسَى بن ماسة إِن ماسويه أَبَا يوحنا كَانَ تلميذا فِي بيمارستان جندي سَابُور ثَلاَثِينَ سنة فَلَمَّا اتَّصل بِهِ مَحل جِبْرَائِيل من الرشيد قَالَ هَذَا أَبُو عِيسَى قد بلغ السها وَنحن فِي البيمارستان لاَ نتجاوزه .

فَبلغ ذَلِك جِبْرَائِيل وَكَانَ البيمارستان إِلَيْهِ فَأمر بِإِخْرَاجِهِ مِنْهُ وَقطع رزقه .

فَبَقيَ مُنْقَطِعًا بِهِ فَصَارَ إِلَى مَدِينَة السَّلَام ليعتذر إِلَى جِبْرَائِيل ويخضع لَهُ .

فَلم يزل على بَابه دهرا طَويلا فَلم يَأْذَن لَهُ .

فَكَانَ إِذا ركب دَعَا لَهُ واستعطفه فَلاَ يكلمهُ .

فَلَمَّا ضَاقَ بِهِ الْأَمر صَار إِلَى دَار الرّوم بالجانب الشَّرْقِي فَقَالَ للقس أكرز لي فِي الْبيعَة لَعَلَّه أَن يَقع لي شَيْء فأنصرف إِلَى بلدي فَإِن أَبَا عِيسَى لَيْسَ يرضى عني وَلاَ يكلمني .

فَقَالَ لَهُ القس أَنْت فِي البيمارستان مُنْذُ ثَلاَثِينَ سنة وَلاَ تحسن شَيْئا من الطِّبّ فَقَالَ بلَى وَالله أطب وأكحل وأعالج الْجِرَاحَات .

فَأخْرج لَهُ صندوقا وَأَعْطَاهُ إِيَّاه ليداوي وَأَجْلسهُ بِبَاب الْحَرم عِنْد قصر الْفضل بن الرّبيع وَهُوَ وَزِير الرشيد فَلم يزل هُنَاكَ يكْسب الشَّيْء بعد الشَّيْء حَتَّى حسنت حَاله .

واشتكت عين خَادِم للفضل بن الرّبيع فنفذ إِلَيْهِ جِبْرَائِيل بكحالين فعالجوه

بأصناف العلاج فَلم ينْتَفع بِهِ وَاشْتَدَّ وَجَعه حَتَّى عدم النّوم .

فَلَمَّا اشْتَدَّ أرقه وقلقه خرج من الْقصر هائما من الضجر والقلق .

فرأى ماسويه فَقَالَ لَهُ يَا شيخ مَا تصنع هُنَا إِن كنت تحسن شَيْئا فعالجني .

وَإِلاَّ فَقُمْ من هَهُنَا .

فَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدي أحسن وأجيد .

فَقَالَ لَهُ ادخل معي حَتَّى تعالجني .

فَدخل مَعَه وقلب جفْنه وكحله وسكب على رَأسه وسعطه .

فَنَامَ الْخَادِم وهدأ .

فَلَمَّا أصبح أنفذ إِلَى ماسويه جونة فِيهَا خبز سميد وجدي ودجاجة وحلوى ودنانير ودراهم وَقَالَ لَهُ هَذَا لَك فِي كل يَوْم وَالدَّرَاهِم وَالدَّنَانِير رزقك مني فِي كل شهر .

فَبكى ماسويه فَرحا فَتوهم الرَّسُول أَنه قد استقله فَقَالَ لَهُ لاَ تغتم فَإِنَّهُ يزيدك وَيحسن إِلَيْك .

فَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدي رضيت منْهُ بِهَذَا إِن يدره على الأَيَّام .

فَلَمَّا رَجَعَ عرف الْخَادِم مَا كَانَ مِنْهُ فَعجب مِنْهُ وبرأ الْخَادِم على يَدَيْهِ .

وَلم يمض إِلاَّ أَيَّام يسيرة حَتَّى اشتكت عين الْفضل فنفذ إِلَيْهِ جِبْرَائِيل الكحالين فَلم يزَالُوا يعالجونه فَلم ينْتَفع بهم فَأدْخل الْخَادِم ماسويه إِلَيْهِ لَيْلاً فَلم يزل يكحله إِلَى ثلث اللَّيْل ثمَّ سقَاهُ دَوَاء مسهلا فصلح بِهِ .

ثمَّ حضر جِبْرَائِيل فَقَالَ لَهُ الْفضل يَا أَبَا عيسَى أَن هَهُنَا رجلا يُقَال لَهُ ماسويه من أفره النَّاس وأعرفهم بالكحل فَقَالَ لَهُ وَمن هَذَا لَعَلَّه الَّذِي يجلس بِالْبَابِ فَقَالَ لَهُ نعم .

قَالَ جِبْرَائِيل هَذَا كَانَ أكارا لي فَلم يصلح للكروث فطردته وَقد صَار الْآن طَبِيبا وَمَا عالج الطِّبّ قطّ فَإِن شئْت فَأحْضرهُ وَأَنا حَاضر .

وتوهم جِبْرَائِيل أَنه يدْخل وَيقف بَين يَدَيْهِ ويتذلل لَهُ .

فَأمر الْفضل بإحضاره فَدخل وَسلم وَجلسَ بحذاء جِبْرَائِيل .

فَقَالَ لَهُ جِبْرَائِيل يَا ماسويه أصرت طَبِيبا فَقَالَ لَهُ لم أزل طَبِيبا أَنا أخدم البيمارستان مُنْذُ ثَلاَثِينَ سنة تَقول لي هَذَا القَوْل فَفَزعَ جِبْرَائِيل أَن يزِيد فِي الْمَعْنى فبادر وَانْصَرف فِي الْحَال وَهُوَ خجل .

وأجرى الْفضل على ماسويه فِي كل شهر سِتّمائَة دِرْهَم وعلوفة دابتين وَنزل

خَمْسَة غلْمَان وَأمره أَن يحمل عِيَاله من جندي سَابُور وَأَعْطَاهُ نَفَقَة وَاسِعَة .

فَحمل عِيَاله ويوحنا ابْنه حِينَئِذٍ وَهُوَ صبي .

فَمَا مَضَت إِلاَّ أَيَّام حَتَّى اشتكت عين الرشيد فَقَالَ لَهُ الْفضل يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ طبيبي ماسويه من أحذق النَّاس بالكحل .

وَشرح لَهُ قصَّته وَمَا كَانَ من أَمر خادمه وَأمر نَفسه .

فَأمر الرشيد بإحضاره فأحضر ماسويه فَقَالَ لَهُ تحسن شَيْئا من الطِّبّ سوى الْكحل فَقَالَ نعم يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ وَكَيف لاَ أحسن وَأَنا قد خدمت المرضى بالبيمارستان مُنْذُ ثَلاَثِينَ سنة فأدناه مِنْهُ وَنظر عَيْنَيْه فَقَالَ الْحجام السَّاعَة .

فحجمه على سَاقيه وقطر فِي عَيْنَيْهِ فبرأ بعد يَوْمَيْنِ .

فَأمر بِأَن يجْرِي عَلَيْهِ ألفا دِرْهَم فِي الشَّهْر ومعونة فِي السّنة عشرُون ألف دِرْهَم وعلوفة وَنزل وألزمه الْخدمَة مَعَ جِبْرَائِيل وَسَائِر من كَانَ فِي الْخدمَة من المتطببين .

وَصَارَ نظيرا لجبرائيل بل كَانَ فِي ذَلِك الْوَقْت يحضر بِحُضُورِهِ ويصل بوصوله ودونه فِي الرزق لأَن جِبْرَائِيل كَانَ لَهُ فِي الشَّهْر عشرَة آلاَف دِرْهَم ومعونة فِي السّنة مائَة ألف دِرْهَم وصلات دائمة وإقطاعات .

ثمَّ أَنه اعتلت بانوا أُخْت الرشيد فَلم يزل جِبْرَائِيل يعالجها بأنواع العلاج فَلم تنْتَفع فَاغْتَمَّ بهَا فَقَالَ الرشيد ذَات يَوْم قد كَانَ ماسويه ذكر أَنه خدم المرضى بالمارستان وَأَنه يعالج الطبائع فَلْيدْخلْ إِلَى عليلتنا لَعَلَّ عِنْده فرجا لَهَا .

فأحضر جِبْرَائِيل وماسويه فَقَالَ لَهُ ماسويه عرفني حَالهَا وَجَمِيع مَا دبرتها بِهِ إِلَى وقتنا هَذَا .

فَلم يزل جِبْرَائِيل يصف لَهُ مَا عالجها بِهِ فَقَالَ ماسويه التَّدْبِير صَالح والعلاج مُسْتَقيم وَلَكِن احْتَاجَ إِلَى أَن أَرَاهَا .

فَأمر الرشيد أَن يدخلا إِلَيْهَا .

فَدخل وتأملها وجس عروقها بِحَضْرَة الرشيد وَخرجُوا من عِنْده .

وَقَالَ ماسويه للرشيد يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ يكون لَك طول الْعُمر والبقاء هَذِه تقضي بعد غَد مَا بَين ثَلاَث سَاعَات إِلَى نصف اللَّيْل .

فَقَالَ جِبْرَائِيل كذب يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ أَنَّهَا تبرأ وتعيش .

فَأمر الرشيد بِحَبْس ماسويه بِبَعْض دوره فِي الْقصر وَقَالَ لأسبرن مَا قَالَه وأنذرنا بِهِ فَمَا رَأينَا بِعلم الشَّيْخ بَأْسا .

فَلَمَّا حضر الْوَقْت الَّذي حَده ماسويه توفيت .

فَلم يكن للرشيد همة بعد دَفنهَا إِلاَّ أَن أحضر ماسويه فَسَأَلَهُ وأعجب بِكَلَامه .

وَكَانَ أعجمي اللِّسَان وَلكنه كَانَ بَصيرًا بالعلاج كثير التجارب فصيره نَظِيرا لجبرائيل فِي الرزق والنزل والعلوفة والمرتبة وعنى بِابْنِهِ يوحنا ووسع النَّفَقَة عَلَيْهِ فَبلغ الْمرتبَة الْمَشْهُورَة .

قَالَ يُوسُف بن إِبْرَاهِيم عدت جِبْرَائِيل بن بختيشوع بالعلث فِي سنة خمس عشرَة وَمِائَتَيْنِ وَقد كَانَ خرج مَعَ الْمَأْمُون فِي تِلْكَ السّنة حَتَّى نزل الْمَأْمُون فِي دير النِّسَاء .

فَوجدت عِنْده يوحنا ابْن ماسويه وَهُوَ يناظره فِي علته وجبرائيل يستحسن استماعه وإجابته وَوَصفه .

فَدَعَا جِبْرَائِيل بتحويل سنته وسألني النّظر فيه وإخباره بِمَا يدل عَلَيْهِ الْحساب .

فَنَهَضَ يوحنا عِنْد ابتدائي بِالنّظرِ فِي التَّحْوِيل فَلَمَّا خرج من الحراقة قَالَ لي جِبْرَائِيل لَيست بك حَاجَة إِلَى النّظر فِي التَّحْوِيل لأَنِّي أحفظ جَمِيع قَوْلك وَقَول غَيْرك فِي هَذه السّنة وَإِنَّمَا أردْت بدفعي التَّحْوِيل إِلَيْكَ أَن ينْهض يوحنا فأسألك عَن شَيْء بَلغنِي عَنهُ وَقد نَهَضَ .

فأسألك بِحَق الله أهل سَمِعت يوحنا قطّ يَقُول أَنه أعلم من جالينوس بالطب فَحَلَفت لَهُ أَنِّي مَا سمعته قطّ يَدعِي ذَلِك فَمَا انْقَضى كلامنا حَتَّى رَأَيْت الحراقات تنحدر إِلَى مَدِينَة السَّلَام فانحدر الْمَأْمُون فِي ذَلِك الْيَوْم وَكَانَ يَوْم خَمِيس ووافينا مَدِينَة السَّلَام غَدَاة يَوْم السبت وَدخل النَّاس كلهم إِلَى مَدِينَة السَّلَام خلا أبي الْعَبَّاس بن الرشيد فَإِنَّهُ أَقَامَ فِي الْموضع الْمَعْرُوف بالقلائين من الْجَانِب الغربي بِمَدِينَة السَّلَام وَهُوَ بازاء دَار الْفضل بن يحيى بِبَاب الشماسية الَّتِي صَار بَعْضهَا فِي خلَافَة المعتصم لأبي الْعَبَّاس بن الرشيد .

فَكنت وَجَمَاعَة مِمَّن يُرِيد الْمصير إِلَى أبي الْعَبَّاس مِمَّن مَنَازِلهمْ فِي قنطرة البردان ونهر الْمهْدي لاَ نجشم أَنْفُسنَا الْمصير إِلَى الجسر ثمَّ الْمصير إِلَى القلائين لبعد الشقة فنصير إِلَى قصر الْفضل بن يحيى ونقف بِإِزَاءِ مضرب أبي الْعَبَّاس وَكَانَت الزبيديات توافينا فتعبر بنَا فاجتمعت ويوحنا بن ماسويه عِنْد أبي الْعَبَّاس بعد موافاة الْمَأْمُون بِمَدِينَة السَّلَام بِثَلَاثَة أَيَّام .

وجمعتنا الزبيدية عِنْد انصرافنا فَسَأَلَنِي عَن عهدي بجبرائيل فأعلمته إِنِّي لم أره

مُنْذُ اجْتَمَعنَا بالعلث ثمَّ قلت لَهُ قد شنعت عِنْده .

فَقَالَ .

بِمَاذَا فَقلت لَهُ بلغه أَنَّك تَقول أَنا أعلم من جالينوس .

فَقَالَ على من ادّعى عَليّ هَذِه الدعْوَة لَعنه الله وَالله مَا صدق مؤدي هَذَا الْخَبَر وَلاَ بر .

فسرى ذَلِك من قَوْله مَا كَانَ فِي قلبِي وأعلمته أَنِّي أزيل عَن قلب جِبْرَائِيل مَا تأدى إِلَيْه من الْخَبَر الأول .

فَقَالَ لي افْعَل نشدتك الله وَقرر عِنْده مَا أَقُول وَهُوَ مَا كنت أَقُوله فحرف عِنْده .

فَسَأَلته عَنهُ فَقَالَ إِنَّمَا قلت لَو أَن بقراط وجالينوس عاشا إِلَى أَن يسمعا قَولي فِي الطِّبّ وصفاتي لسألا ربهما أَن يبدلهما بِجَمِيع حواسهما من الْبَصَر والشم والذوق واللمس حسا سمعيا يضيفانه إِلَى مَا مَعَهُمَا من حس السّمع ليسمعا حكمي ووصفي .

فأسألك بِاللَّه أما أدّيت هَذَا القَوْل عني إِلَيْهِ .

فاستعفيته من إِلْقَاء هَذَا الْخَبَر عَنهُ فَلم يعفني .

فأديت إِلَى جِبْرَائِيل الْخَبَر وَقد كَانَ أصبح فِي ذَلِك الْيَوْم مفرقا من علته فتداخله من الغيظ والضجر مَا تخوفت عَلَيْهِ مِنْهُ النكسة وَأَقْبل يَدْعُو على نَفسه وَيَقُول هَذَا جَزَاء من وضع الصنيعة فِي غير موضعهَا وَهَذَا جَزَاء من اصْطنع السّفل وَأدْخل فِي مثل هَذه الصِّنَاعَة الشَّرِيفَة من لَيْسَ من أَهلهَا .

ثمَّ قَالَ هَل عرفت السَّبَب فِي يوحنا وَأَبِيهِ فَأَخْبَرته أَنِّي لاَ أَعْرفهُمَا .

فَقَالَ لي إِن الرشيد أمرنِي باتخاذ بيمارستان وأحضرت دهشتك رَئِيس بيمارستان جندي سَابُور لتقليده البيمارستان الَّذي أمرت باتخاذه فَامْتنعَ من ذَلِك .

وَذكر أَن السُّلْطَان لَيست لَهُ عَلَيْهِ أرزاق جَارِيَة وَأَنه إِنَّمَا يقوم ببيمارستان جندي سَابُور وميخائيل ابْن أَخِيه حسبَة .

وَتحمل عَليّ بطيمانيوس الجاثليق فِي إعفاءه وَابْن أَخِيه فأعفيتهما .

فَقَالَ لي أما إِذْ قد أعفيتني فَإِنِّي أهدي إِلَيْك هَدِيَّة ذَات قدر يحسن بك قبُولهَا وتكثر مَنْفَعَتهَا لَك فِي هَذَا البيمارستان .

فَسَأَلته عَن الْهَدِيَّة فَقَالَ لي إِن صَبيا كَانَ مِمَّن يدق الأَْدْوِيَة عندنَا مِمَّن لاَ يعرف لَهُ أَب وَلاَ قرَابَة أَقَامَ فِي البيمارستان أَرْبَعِينَ سنة وَقد بلغ الْخَمسين سنة أَو جاوزها

وَهُوَ لاَ يقْرَأ حرفا وَاحِدًا بِلِسَان من الأَلْسِنَة إِلاَّ أَنه قد عرف الأدواء دَاء دَاء وَمَا يعالج بِهِ كل دَاء .

وَهُوَ أعلم خلق الله بانتقاد الأَدْوِيَة وَاخْتِيَار جيدها وَنفي رديها .

فَأَنا أهديه لَك فاضممه إِلَى من أَحْبَبْت من تلامذتك .

ثمَّ قلد تلميذك البيمارستان فَإِن أُمُوره تخرج على أحسن من مخرجها لَو قلدتني هَذَا البيمارستان .

فأعلمته أَنِّي قد قبلت الْهَدِيَّة وَانْصَرف دهشتك إِلَى بَلَده وأنفذ إِلَيّ الرجل فَأدْخل عَليّ فِي زِيّ الرهبان وكشفته فَوَجَدته على مَا حكى لي عَنهُ .

وَسَأَلته عَن اسْمه فَأَخْبرنِي أَن اسْمه ماسويه .

وَكنت فِي خدمَة الرشيد وداؤد بن سرابيون مَعَ أم جَعْفَر .

وَكَانَ الْمنزل الَّذِي ينزله ماسويه يبعد عَن منزلي وَيقرب من منزل داؤد بن سرابيون .

وَكَانَ فِي داؤد دعابة وبطالة وَكَانَ فِي ماسويه ضعف من ضعف السّفل فيستطيبه كل بطال .

فَمَا مضى بماسويه إِلاَّ يسير حَتَّى صَار إِلَيّ وَقد غير زيه وَلبس الثِّيَاب الْبيض فَسَأَلته عَن خَبره فَأَعْلمنِي أنه قد عشق جَارِيَة لداؤد بن سرابيون صقلبية يُقَال لَهَا رِسَالَة وسألني ابتياعها لَهُ فابتعتها لَهُ بثمانمائة دِرْهَم ووهبتها لَهُ فأولدها يوحنا وأخاه .

ثمَّ رعيت لماسويه ابتياعي لَهُ رِسَالَة وَطَلَبه منْهَا النَّسْل وصيرت وَلَده كَأَنَّهُمْ ولد قرَابَة لي وعنيت برَفْع أقدارهم وتقديمهم على أَبنَاء أَشْرَاف أهل هَذه المهنة وعلمائهم ثمَّ رتبت ليوحنا وَهُوَ غُلاَم الْمرتبَة الشَّرِيفَة ووليته البيمارستان وَجَعَلته رَئِيس تلامذتي

يحيى بن إِسْحَق

كَانَ طَبِيبا ذكيا عَالما بَصيرًا بالعلاج صانعا بيَده وَكَانَ فِي صدر دولة عبد الرَّحْمَن النَّاصِر لدين الله واستوزره وَولي الولايات والعمالاَت وَكَانَ قَائِد بطليموس زَمَانا وَكَانَ لَهُ من أَمِير الْمُؤمنِينَ النَّاصِر مَحل كَبِير .

كَانَ ينزله منزلَة الثِّقَة ويتطلع على الكرائم والخدم .

وَألف فِي الطِّبّ كتابا يشْتَمل على خَمْسَة أسفار ذهب فِيهَا مَذْهَب الرّوم .

وَكَانَ يحيى قد أسلم وَأما أَبوهُ إِسْحَق فَكَانَ نَصْرَانِيّا كَمَا تقدم ذكره .

قَالَ ابْن جلجل حَدثني عَن يحيى بن إِسْحَق ثِقَة أَنه كَانَ عِنْده غُلَام للحاجب مُوسَى أَو للوزير عبد الْملك قَالَ قَالَ بَعثني إِلَيْهِ مولَايَ بكتاب فَأَنا قَاعد عِنْد دَاره بِبَاب الْجَوْز إِذْ أقبل رجل بدوي على حمَار وَهُوَ يَصِيح فَأقبل حَتَّى وقف بِبَاب الدَّار .

فَجعل يتَضَرَّع وَيَقُول أدركوني وَتَكَلَّمُوا إِلَى الْوَزير بخبري .

إِذْ خرج إِلَى صُرَاخ الرجل وَمَعَهُ جَوَاب كِتَابه فَقَالَ للرجل مَا بالك يَا هَذَا فَقَالَ لَهُ أَيهَا الْوَزير ورم فِي أحليلي مَنَعَنِي الْبَوْل مُنْذُ أَيَّام كَثِيرَة وَأَنا فِي الْمَوْت .

فَقَالَ لَهُ اكشف عَنهُ قَالَ فكشف عَنهُ فَإِذا هُوَ ورام .

فَقَالَ لرجل كَانَ أقبل مَعَ العليل أطلب لي حجرا أملس .

فَطَلَبه فَوَجَدَهُ وَأَتَاهُ بِهِ .

فَقَالَ ضَعْهُ فِي كفك وضع عَلَيْهِ الأحليل .

قَالَ فَقَالَ الْمخبر لي فَلَمَّا تمكن أَحليل الرجل من الْحجر جمع الْوَزير يَده وَضرب على الأحليل ضَرْبَة غشي على الرجل مِنْهَا .

ثمَّ انْدفع الصديد يجْرِي فَمَا استوفى الرجل جري صديد الورم حَتَّى فتح عَيْنَيْهِ ثمَّ بَال الْبَوْل فِي أثر ذَلِك .

فَقَالَ لَهُ اذْهَبْ فقد بَرِئت من علتك وَأَنت رجل عائث واقعت بَهِيمَة فِي دبرهَا فصادفت شعيرَة من عَلفهَا لحجت فِي عين الإحليل فورم لَهَا وَقد خرجت فِي الصديد .

فَقَالَ لَهُ الرجل قد فعلت هَذَا .

وَأقر بذلك وَهَذَا يدل على حدس صَحِيح وقريحة صَادِقَة حسناء .

وَقَالَ ابْن جلجل وَله نَادِر مَحْفُوظ فِي علاج النَّاصِر قَالَ عرض للناصر وجع فِي أُذُنه والوزير يَوْمئِذ قَائِد بطليوس فعولج مِنْهُ فَلم يفتر فَأمر النَّاصِر فِي الْخُرُوج فِيهِ فرانقا فَلَمَّا وصل إِلَيْهِ الفرانق استنطقه عَن الْحَاجة الَّتِي أوجبت الْخُرُوج فِيهِ .

فَقَالَ لَهُ أَمِير الْمُؤمنِينَ عرض لَهُ فِي أُذُنه وجع أعيا الْأَطِبَّاء فعرج فِي طَرِيقه إِلَى بعض أديار النَّصَارَى وَسَأَلَ عَن عَالم هُنَاكَ فَوجدَ رجلا مسنا فَسَأَلَهُ هَل عنْدك من تجربة لوجع الْأذن فَقَالَ الشَّيْخ الراهب دم الْحمار حارا فوصل إِلَى أَمِير الْمُؤمنِينَ وعالجه بِدَم الْحمار حارا كَمَا يسفح وَبرا .

سُلَيْمَان أَبُو بكر بن تَاج

كَانَ فِي دولة النَّاصِر وخدمه بالطب .

وَكَانَ طبيا نبيلا وعالج أَمِير الْمُؤمنِينَ النَّاصِر من رمد عرض لَهُ من يَوْمه بشيافه .

وَطلب مِنْهُ نسخته بعد ذَلِك فَأبى أَن يميلها وعالج سععا صَاحب الْبَرِيد من ضيق النَّفس بلعوق فبرأ من يَوْمه بعد أَن أعيا علاجه الْأَطِبَّاء

وَكَانَ يعالج وجع الخاصرة بحب من حبه فَيبرأ الْوَقْت وَكَانَ ضنينا بنسخ الْأَدْوِيَة .

وَله نَوَادِر فِي الطِّبّ كَثِيرَة .

وَكَانَ أديبا فَاضلا حسن المحاضرة والمذاكرة وأدركه فِي آخر أيامة مرض القروح فِي أحليله فَلم يُمكنهُ دواؤه وعرفه الله الْقَادِر عَجزه فَقطع أحليله .

وولاه أَمِير الْمُؤمنِينَ النَّاصِر قَضَاء شذونة .

سعيد بن عبد ربه

هُوَ أَبُو عُثْمَان سعيد بن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن عبد ربه بن حبيب بن مُحَمَّد بن سَالم مولى الْأَمِير هِشَام الرضي بن عبد الرَّحْمَن الدَّاخِل بالأندلس وَهُوَ ابْن أخي أبي عَمْرو وَأحمد بن مُحَمَّد بن عبد ربه الشَّاعِر صَاحب كتاب العقد .

وَكَانَت وَفَاة عَمه هَذَا أَحْمد بن مُحَمَّد بن عبد ربه فِي شهر جُمَادَى الأولى من سنة ثَمَان وَعشْرين وثلاثمائة ومولده فِي سنة سِتّ وَأَرْبَعين وَمِائَتَيْنِ لعشر خلون من شهر رَمَضَان .

وَكَانَ سعيد بن عبد ربه طَبِيبا فَاضلا وشاعرا محسنا وَله فِي الطِّبّ رجز جليل محتو على جملَة حَسَنَة مِنْهُ دلّ بِهِ على تمكنه من الْعلم وتحققه لمذاهب القدماء وَكَانَ لَهُ مَعَ ذَلِك بصر بحركات الْكَوَاكِب وطبائعها ومهاب الرِّيَاح وَتغَير الأهوية وَكَانَ مذْهبه فِي مداواة الحميات أَن يخلط بالمبردات شَيْئا من وَله فِي ذَلِك مَذْهَب جميل وَلم يخْدم بالطب سُلْطَانا .

وَكَانَ بَصيرًا بتقدمة .

الْمعرفَة وتغيير الأهوية ومهب الرِّيَاح وحركة الْكَوَاكِب .

قَالَ ابْن جلجل حَدثنِي عَنهُ سُلَيْمَان ابْن أَيُّوب الْفَقِيه قَالَ قَالَ اعتللت بحمة فطاولتني وأشرفت مِنْهَا إِذْ مر بِأبي وَهُوَ ناهض إِلَى صَاحب الْمَدِينَة أَحْمد بن عِيسَى

فَقَامَ إِلَيْهِ وَقضى وَاجب حَقه بِالسَّلَامِ عَلَيْه وَسَأَلَهُ عَن علتي واستخبر أبي عَمَّا عولجت بِهِ فسفه علاج من عالجني وَبعث إِلَى أبي بثماني عشرَة حَبَّة من حبوب مُدَوَّرَة وَأمر أَن أشْرب مِنْهَا كل يَوْم حَبَّة فَمَا استوعبتها حَتَّى أقلعت الْحمى وبرئت برأ تاما .

وَعمي سعيد فِي آخر أَيَّامه .

وَمن شعر سعيد بن عبد ربه أَنه افتصد يَوْمًا فَبعث إِلَى عَمه أَحْمد بن مُحَمَّد بن عبد ربه الشَّاعِر الأديب رَاغِبًا إِلَيْهِ فِي أَن يحضر عِنْده مؤانسا لَهُ فَلم يجبهُ عَمه إِلَى ذَلِك وَأَبْطَأ عَنهُ فَكتب إِلَيْه .

(لما عدمت مؤانسا وجليسا نادمت بقراطا وجالينوسا)
(وَجعلت كتبهما شفَاء تفردي وهما الشِّفَاء لكل جرح يوسا)
(وَوجدت علمهما إِذا حصلته يذكي وَيحيى للجسوم نفوسا)
الْكَامِل

فَلَمَّا وصل الشّعْر إِلَى عَمه جاوبه بِأَبْيَات مِنْهَا .

(ألفيت بقراطا وجالينوسا لَا يأكلان ويرزآن جَلِيسا)
(فجعلتهم دون الْأَقَارِب جنَّة ورضيت مِنْهُم صاحبا وأنيسا)
(وأظن بخلك لَا يرى لَك تَارِكًا حَتَّى تنادم بعدهمْ أبليسا)

وَقَالَ سعيد بن عبد ربه أَيْضا فِي آخر عمره وَكَانَ جميل الْمَذْهَب منقبضا عَن الْمُلُوك .

(أَمن بعد غوصي فِي عُلُوم الْحَقَائِق وَطول انبساطي فِي مواهب خالقي)
(وَفِي حِين أشرافي على ملكوته أرى طَالبا رزقا إِلَى غير رازقي)
(وَأَيَّام عمر الْمَرْء مُتْعَة سَاعَة تَجِيء حثيثا مثل لمحة بارق)
(وَقد أَذِنت نَفسِي بتقويض رَحلهَا وأسرع فِي سوقي إِلَى الْمَوْت سائقي)
(وَإِنِّي وَإِن أوغلت أَو سرت هَارِبا من الْمَوْت فِي الْآفَاق فالموت لاحقي)

ابْن جلجل

هُوَ أَبُو دَاوُد سُلَيْمَان بن حسان يعرف بِابْن جلجل وَكَانَ طَبِيبا فَاضلا خَبِيرا بالمعالجات جيد التَّصَرُّف فِي صناعَة الطِّبّ .

وَكَانَ فِي أَيَّام هِشَام الْمُؤيد بِاللَّه .(١)

وخدمه بالطب وَله بَصِيرَة واعتناء بقوى الْأَدْوِيَة المفردة وَقد فسر أَسمَاء الْأَدْوِيَة المفردة من كتاب ديسقوريدس الْعين زَرْبِي وأفصح عَن مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها وَهُوَ يَقُول فِي أول كتَابه هَذَا إِن كتاب ديسقوريدس ترْجم بِمَدِينَة السَّلَام فِي الدولة العباسية فِي أَيَّام جَعْفَر المتَوَكل وَكَانَ المترجم لَهُ اصطفن بن بسيل الترجمان من اللِّسَان اليوناني إِلَى اللِّسَان الْعَرَبِيّ وتصفح ذَلِك حنين بن إِسْحَق المترجم فصحح التَّرْجَمَة وأجازها فَمَا علم اصطفن من تِلْكَ الْأَسْمَاء اليونانية فِي وقته لَهُ اسْما فِي اللِّسَان الْعَرَبِيّ فسره بِالْعَرَبِيَّة وَمَا لم يعلم لَهُ فِي اللِّسَان الْعَرَبِيّ اسْما تَركه فِي الْكتاب على اسْمه اليوناني اتكالاً مِنْهُ على أَن يبْعَث الله بعده من يعرف ذَلِك ويفسره بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيّ إِذْ التَّسْمِيَة لاَ تكون بالتواطؤ من أهل كل بلد على أَعْيَان الْأَدْوِيَة بِمَا رَأَوْا وَأَن يسموا ذَلِك إِمَّا باشتقاق وَإِمَّا بِغَيْر ذَلِك من تواطئهم على التَّسْمِيَة فاتكل اصطفن على شخوص يأْتونَ بعده مِمَّن قد عرف أَعْيَان الْأَدْوِيَة الَّتِي لم يعرف هُوَ لَهَا اسْما فِي وقته فيسميها على قدر مَا سمع فِي ذَلِك الْوَقْت فَيخرج إِلَى الْمعرفَة .

قَالَ ابْن جلجل وورد هَذَا الْكتاب إِلَى الأندلس وَهُوَ على تَرْجَمَة اصطفن مِنْهُ مَا عرف لَهُ اسْما بِالْعَرَبِيَّةِ وَمِنْه مَا لم يعرف لَهُ اسْما .

فَانْتَفع النَّاس بِالْمَعْرُوفِ مِنْهُ بالمشرق وبالأندلس إِلَى أَيَّام النَّاصِر عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد وَهُوَ يَوْمئِذٍ صَاحب الأندلس .

فكاتبه أرمانيوس الْملك ملك قسطنطينية فِي سنة سبع وَثَلَاثِينَ وثلاثمائة وهاداه بِهَدَايَا لَهَا قدر عَظِيم فَكَانَ فِي جملَة هديته كتاب دسقوريدس مُصَور الحشائش بالتصوير الرُّومِي العجيب .

وَكَانَ الْكتاب مَكْتُوبًا بالإغريقي الَّذِي هُوَ اليوناني وَبعث مَعَه كتاب هروسيس

(١) أبو الوليد هشام المؤيد بالله عاشر الحكام الأمويين للأندلس وثالث خلفاؤهم في قرطبة ، خلف أباه الخليفة الحكم المستنصر بالله عام ٣٦٦ هـ ، وهو في سن الثانية عشر تحت وصاية أمه صبح البشكنجية .

صَاحب الْقَصَص وَهُوَ تَارِيخ للروم عَجِيب فِيهِ أَخْبَار الدهور وقصص الْمُلُوك الأول وفوائد عَظِيمَة .

وَكتب أرمانيوس فِي كِتَابه إِلَى النَّاصِر إِن كتاب ديسقوريدس لاَ تجتنى فائدَته إلاَّ بِرَجُل يحسن الْعبارَة بِاللِّسَان اليوناني وَيعرف أشخاص تِلْكَ الأَدْوِيَة فَإِن كَانَ فِي بلدك من يحسن ذَلِك فزت أَيهَا الْملك بفائدة الْكتاب وَأما كتاب هروسيس فعندك فِي بلدك من اللطينيين من يقرأه بِاللِّسَانِ اللطيني وَإِن كشفتهم عَنهُ نقلوه لَك من اللطيني إِلَى اللِّسَان الْعَرَبِيّ .

قَالَ ابْن جلجل وَلم يكن يَوْمئِذ بقرطبة من نَصَارَى الأندلس من يقْرَأ اللِّسَان الأغريقي الَّذِي هُوَ اليوناني الْقَدِيم فَبَقِيَ كتاب ديسقوريدس فِي خزانَة عبد الرَّحْمَن النَّاصِر بِاللِّسَانِ الإغريقي وَلم يترجم إِلَى اللِّسَان الْعَرَبِيّ وَبَقِي الْكتاب بالأندلس .

وَالَّذِي بَين أَيدي النَّاس بترجمة أسطفن الْوَارِدَة من مَدِينَة السَّلَام بَغْدَاد .

فَلَمَّا جاوب النَّاصِر أرمانيوس الْملك سَأَلَهُ أَن يبْعَث إِلَيْهِ بِرَجُل يتَكَلَّم بالإغريقي واللطيني ليعلم لَهُ عبيدا يكونُونَ مترجمين فَبعث أرمانيوس الْملك إِلَى النَّاصِر براهب كَانَ يُسمى نقولا فوصل إِلَى قرطبة سنة أَرْبَعِينَ وثلاثمائة وَكَانَ يَوْمئِذ بقرطبة من الأطِبَّاء قوم لَهُم بحث وتفتيش وحرص على اسْتِخْرَاج مَا جهل من أَسمَاء عقاقير كتاب ديسقوريدس إِلَى الْعَرَبيَّة وَكَانَ أبحثهم وأحرصهم على ذَلِك من جِهَة التَّقَرُّب إِلَى الْملك عبد الرَّحْمَن النَّاصِر حسداي بن بِشْرُوط الإسرائيلي وَكَانَ نقولا الراهب عِنْده أحظى النَّاس وأخصهم بِهِ .

وَفسّر من أَسمَاء عقاقير كتاب ديسقوريدس مَا كَانَ مَجْهُولا وَهُوَ أول من عمل بقرطبة ترياق الْفَارُوق على تَصْحِيح الشجارية الَّتِي فِيهِ .

وَكَانَ فِي ذَلِك الْوَقْت من الأطِبَّاء الباحثين عَن تَصْحِيح أَسمَاء عقاقير الْكتاب وَتَعْيِين أشخاصه مُحَمَّد الْمَعْرُوف بالشجار وَرجل كَانَ يعرف بالبسباسي وَأَبُو عُثْمَان الجزار الملقب باليابسة وَمُحَمّد بن سعيد الطَّبِيب وَعبد الرَّحْمَن بن إِسْحَق بن هَيْثَم وَأَبُو عبد الله الصّقليّ وَكَانَ يتَكَلَّم باليونانية وَيعرف أشخاص الأدْوِيَة .

قَالَ ابْن جلجل وَكَانَ هَؤُلاَء النَّفر كلهم فِي زمَان وَاحِد مَعَ نقولا الراهب أدْركته وَأدْركت نقولا الراهب فِي أَيَّام الْمُسْتَنْصر وصحتهم فِي أَيَّام الْمُسْتَنْصر الحكم .

وَفِي صدر دولته مَاتَ نقولا الراهب فصح ببحث هَؤُلاَء النَّفر الباحثين عَن أَسمَاء عقاقير كتاب ديسقوريدس تَصْحِيح الْوُقُوف على أشخاصها بِمَدِينَة قرطبة خَاصَّة

بنَاحيَة الأندلس مَا أَزَال الشَّك فيهَا عَن الْقُلُوب وَأوجب الْمعرفَة بهَا بالْوُقُوف على أَشخَاصها وَتَصْحِيح النُّطْق بأسمائها بِلاَ تَصْحِيف إِلاَّ الْقَلِيل مِنْهَا الَّذِي لاَ بَال بِهِ وَلاَ خطر لَهُ .

وَذَلِكَ يكون فِي مثل عشرَة أدوية .

قَالَ وَكَانَ لي فِي معرفَة تَصْحِيح هيولى الطِّبّ الَّذِي هُوَ أصل الأْدْوِيَة المركبة حرص شَدِيد وَبحث عَظِيم حَتَّى وهبني الله من ذَلِك بفضله بِقدر مَا اطلع عَلَيْه من نيتي فِي إِحْيَاء مَا خفت يدرس وَتذهب منفعَته لأَبدان النَّاس فَالله قد خلق الشِّفَاء وبثه فِيمَا انبتته الأَرْض وَاسْتقر عَلَيْهَا من الْحَيَوَان المشاء والسابح فِي المَاء والمنساب وَمَا يكون تَحت الأَرْض فِي جوفها من المعدنية كل ذَلِك فيه شفَاء وَرَحْمَة ورفق .

وَلاَبْن جلجل من الْكتب كتاب تَفْسِير أَسمَاء الأْدْوِيَة المفردة من كتاب ديسقوريدس[1] أَلفه فِي شهر ربيع الآخر سنة اثْنَتَيْنِ وَسبعين وثلاثمائة بِمَدِينَة قرطبة فِي دولة هشَام بن الحكم الْمُؤيد بِاللَّه .

مقَالَة فِي ذكر الأْدْوِيَة الَّتِي لم يذكرهَا ديسقوريدس فِي كِتَابه مِمَّا يسْتَعْمل فِي صناعَة الطِّبّ وَيَنْتَفع بِهِ وَمَا لاَ يسْتَعْمل لكيلا يغْفل ذكره

وَقَالَ ابْن جلجل أَن ديسقوريدس أغفل ذَلِك وَلم يذكرهُ إِمَّا لأَنَّهُ لم يره وَلم يُشَاهِدهُ عيَانًا وَإِمَّا لأَن ذَلِك كَانَ غير مُسْتَعْمل فِي دهره وَأَبْنَاء جنسه .

ابْن وَافد

هُوَ الْوَزير أَبُو الْمطرف عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن عبد الْكَبِير بن يحيى بن وَافد بن مهند اللَّخْمِيّ أحد أَشْرَاف أهل الأندلس وَذَوي السّلف الصَّالح مِنْهُم والسابقة الْقَدِيمَة فيهم .

(١) دِيُسقُورِيدُوس طبيب يوناني ، ولد في عَيْن زَرْبَة في قيليقية (منطقة بشمال الجزيرة السورية وجنوب شرق تركيا حاليا) حوالي سنة ٤٠م . درس الطب في الإسكندرية ثم في أثينا حيث تتلمذ على ثيوفراسطوس . ثم أتى روما فأصبح طبيباً عسكرياً في الفرقة الأجنبية في عهد الإمبراطور الروماني نيرون وطاف بين سنة ٥٤ و٦٨ في قسم كبير من أوربا واستفاد من رحلاته لتعميق معارفه السريرية والنباتية ، واستمد منها عناصر كتاب يعد أول وصف للأدوية وتحضيرها باستخدام الأعشاب الطبية .

عَنى عناية بَالغَة بِقرَاءَة كتب جالينوس وتفهمها ومطالعة كتب أرسطوطاليس وَغَيره من الفلاسفة .

قَالَ القَاضِي صاعد وتمهر بعلم الأُدْوِيَة المفردة حَتَّى ضبط مِنْهَا مَا لم يضبطه أحد فِي عصره وَألف فِيهَا كتابا جَليلاً لاَ نَظِير لَهُ جمع فِيه مَا تضمن كتاب ديسقوريدس وَكتاب جالينوس المؤلفان فِي الأَدْوِيَة المفردة ورتبه أحسن تَرْتِيب .

قَالَ وَأَخْبرنِي أنه عانى جمعه وحاول ترتيبه وَتَصْحِيح مَا ضمنه من أَسمَاء الأُدْوِيَة وصفاتها وأودعه إِيَّاه من تَفْصِيل قواها وتحديد درجاتها نَحوا من عشْرين سنة حَتَّى كمل مُوَافقا لغرضه وَتمّ مطابقا لبغيته .

وَله فِي الطِّبّ منزع لطيف وَمذهب نبيل وَذَلِكَ أَنه كَانَ لاَ يرى التَّدَاوِي بالأدوية مَا أمكن التَّدَاوِي بالأغذية أَو مَا كَانَ قَرِيبا مِنْهَا فَإِذا دعت الضَّرُورَة إِلَى الأُدْوِيَة فَلاَ يرى التَّدَاوِي بمركبها مَا وصل إِلَى التَّدَاوِي بمفردها فَإِن اضْطر إِلَى الْمركب مِنْهَا لم يكثر التَّرْكِيب بل اقْتصر على الأَقَل مَا يُمكنهُ مِنْهُ .

وَله نَوَادِر مَحْفُوظَة وغرائب مَشْهُورَة فِي الإِبْرَاء من الْعِلَل الصعبة والأمراض المخوفة بأيسر العلاج وأقربه .

واستوطن مَدِينَة طليطلة وَكَانَ فِي أَيَّام ابْن ذِي النُّون .(١)

حسداي بن إسْحَاق

معتن بصناعة الطِّبّ وخدم الحكم بن عبد الرَّحْمَن النَّاصِر لدين الله وَكَانَ حسداي بن إِسْحَاق من أَحْبَار الْيَهُود مُتَقَدما فِي علم شريعتهم وَهُوَ أول من فتح لأهل الأندلس مِنْهُم بَاب علمهمْ من الْفِقْه والتاريخ وَغير ذَلِك .

---

(١) المأمون يحيى بن ذي النون ثاني حكام طائفة طليطلة من بني ذي النون في عصر ممالك الطوائف . حكم المأمون طليطلة بين عامي ٤٣٥ هـ-٤٦٧ هـ ، وأمضاها في حروب متواصلة تارة مع بني هود حكام سرقسطة وأخرى مع بني عباد حكام إشبيلية ، وأحيانًا مع بني الأفطس حكام بطليوس . استطاع المأمون من خلال حروبه ضم طائفة بلنسية عام ٤٥٧ هـ ، ثم طائفة قرطبة عام ٤٦٧ هـ قبيل وفاته . غير أن فرناندو الأول ملك ليون وقشتالة كان غالبًا ما يتهدد أراضي المأمون ، مما أجبر المأمون على الإذعان لمطالبات فرناندو وأداء الجزية له . خلال عهده ، جمع المأمون ثروات طائلة ، وابتنى بعاصمته طليطلة قصورًا باذخة اشتهرت بروعتها وفخامتها .

وَكَانُوا قبل يضطرون فِي فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت أعيادهم إِلَى يهود بَغْدَاد فيستجلبون من عِنْدهم حِسَاب عدَّة من السنين يتعرفون بِهِ مدَاخِل تاريخهم ومبادئ سنيهم .

فَلَمَّا اتَّصل حسداي بالحكم ونال عِنْده نهَايَة الحظوة توصل بِهِ إِلَى استجلاب مَا شَاءَ من تآليف الْيَهُود بالمشرق فَعلم حِينَئِذٍ يهود الأندلس مَا كَانُوا قبل يجهلونه واستغنوا عَمَّا كَانُوا يتجشمون الكلفة فِيهِ .

أَبُو جَعْفَر يُوسُف بن أَحْمد بن حسداي

من الْفُضَلَاء فِي صناعَة الطِّبّ وَله عناية بَالِغَة فِي الِاطِّلَاع على كتب أبقراط وجالينوس وفهمها .

وَكَانَ قد سَافر من الأندلس إِلَى الديار المصرية .

واشتهر ذكره بهَا وتميز فِي أَيَّام الْآمِر بِأَحْكَام الله من الْخُلَفَاء المصريين وَكَانَ خصيصا بالمأمون وَهُوَ أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن نور الدولة أبي شُجَاع الآمري فِي مُدَّة أَيَّام دولته وتدبيره للْملك .

وَكَانَت معدنه فِي ذَلِك ثَلَاث سِنِين وَتِسْعَة أشهر لأَن الْآمر كَانَ قد استوزر الْمَأْمُون فِي الْخَامِس من ذِي الْحجَّة سنة خمس عشرَة وَخَمْسمِائة وَقبض عَلَيْهِ لَيْلَة السبت الرَّابِع من شهر رَمَضَان سنة تسع عشرَة وَخَمْسمِائة فِي الْقصر بعد صَلَاة الْمغرب .

ثمَّ قتل بعد ذَلِك فِي رَجَب سنة اثْنَتَيْنِ وَعشْرين وَخَمْسمِائة وصلب بِظَاهِر الْقَاهِرَة .

وَكَانَ الْمَأْمُون فِي أَيَّام وزارته لَهُ همة عالية ورغبة فِي الْعُلُوم فَكَانَ قد أَمر يُوسُف بن أَحْمد بن حسداي أَن يشْرَح لَهُ كتب أبقراط إِذْ كَانَت أجل كتب هَذِه الصِّنَاعَة وَأَعْظَمهَا جدوى وأكثرها غموضا .

وَكَانَ ابْن حسداي قد شرع فِي ذَلِك وَوجدت لَهُ مِنْهُ شرح كتاب الْأَيْمَان لأبقراط وَقد أجَاد فِي شَرحه لهَذَا الْكتاب واستقصى ذكر مَعَانِيه وتبيينها على أتم مَا يكون وَأحسنه .

وَوجدت لَهُ أَيْضا شرح بعض كتاب الْفُصُول لأبقراط وَكَانَ بَينه وَبَين أبي بكر مُحَمَّد بن يحيى الْمَعْرُوف بِابْن باجة صداقة فَكَانَ أبدا يراسله من الْقَاهِرَة .

وَكَانَ يُوسُف بن أَحْمد بن حسداي مدمنا للشراب وَعنْده دعابة ونوادر .

وَبلغنِي عَنهُ أَنه لما أَتَى من الإسْكَنْدَرِيَّة إِلَى الْقَاهِرَة كَانَ هُوَ وَبَعض الصُّوفِيَّة قد اصْطَحَبَا فِي الطَّرِيق فَكَانَا يتحادثان وَأنس كل وَاحِد مِنْهُمَا إِلَى الآخر وَلما وصلا إِلَى الْقَاهِرَة قَالَ لَهُ الصُّوفِي أَنْت أَيْن تنزل فِي الْقَاهِرَة حَتَّى أكون أَرَاك فَقَالَ مَا كَانَ فِي خاطري أَن أنزل إِلاَّ حانة الخْمار وأشرب فَإِن كنت توَافق وَتَأْتِي إِلَيّ فرأيك .

فصعب قَوْله على الصُّوفِي وَأنكر هَذَا الْفِعْل وَمَشى إِلَى الخانكاه .

وَلما كَانَ فِي بعض الأَيَّام بعد مديدة وَابْن حسداي فِي السُّوق وَإِذا بِجمع من النَّاس وَفِي وَسطهمْ صوفي يُعَزّر وَقد اشْتهر أمره بِأَنَّهُ وجد سَكرَان وَلما قرب إِلَى الْموضع الَّذِي فِيهِ ابْن حسداي وَنظر إِلَيْهِ وجده ذَلِك الصُّوفِي بِعَيْنِه .

فَقَالَ يَا لله قَتلك النامس .

وليوسف بن أَحْمد بن حسداي من الْكتب الشَّرْح المأموني لكتاب الأَيْمَان لأبقراط الْمَعْرُوف بعهده إِلَى الأَطِبَّاء صنفه للْمَأْمُون أبي عبد الله مُحَمَّد الآمري .

شرح الْمقَالة الأولى من كتاب الْفُصُول لأبقراط .

تعاليق وجدت بِخَطِّهِ كتبهَا عِنْد وُرُوده على الإسْكَنْدَرِيَّة من الأندلس .

فَوَائِد مستخرجة استخرجها وهذبها من شرح عَليّ بن رضوَان لكتاب جالينوس إِلَى أغلوقن من القَوْل على أول الصِّنَاعَة الصَّغِيرَة لجالينُوسَ .

كتاب الأجمال فِي الْمنطق .

شرح كتاب الأجمال .

أَبُو الصَّلْت أُميَّة بن عبد الْعَزِيز بن أبي الصَّلْت

هُوَ من بلد دانية من شَرق الأندلس وَهُوَ من أكَابِر الْفُضَلاَء فِي صناعَة الطِّبّ وَفِي غَيرهَا من الْعُلُوم وَله التصانيف الْمَشْهُورَة والمآثر الْمَذْكُورَة .

قد بلغ فِي صناعَة الطِّبّ مبلغا لم يصل إِلَيْهِ غَيره من الأَطِبَّاء وَحصل من معرفَة الأَدَب مَا لم يُدْرِكهُ كثير من سَائِر الأدباء .

وَكَانَ أوحد فِي الْعلم الرياضي متقنا لعلم الموسيقى وَعَمله جيد اللّعب بِالْعودِ .

وَكَانَ لطيف النادرة فصيح اللِّسَان جيد الْمَعَانِي .

ولشعره رونق .

وأتى أَبُو الصَّلْت من الأندلس إِلَى ديار مصر وَأقَام بِالْقَاهِرَةِ مُدَّة .

ثمَّ عَاد بعد ذَلك إِلَى الأندلس .
وَكَانَ دُخُول أَبِي الصَّلْت إِلَى مصر فِي حُدُود سنة عشر وَخَمْسمِائَة .
وَلما كَانَ فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّة حبس بهَا .
وحَدث الشَّيْخ سديد الدّين المنطقي فِي الْقَاهِرَة سنة اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وستمائة أَن أَبَا الصَّلْت أُميَّة بن عبد الْعَزِيز كَانَ سَبَب حَبسه فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّة أَن مركبا كَانَ قد وصل إِلَيْهَا وَهُوَ موقر بالنُّحَاس فغرق قَرِيبا مِنْهَا وَلم تكن لَهُم حِيلَة تخليصه لطول الْمسَافَة فِي عمق الْبَحْر ففكر أَبُو الصَّلْت فِي أمره وأجال النّظر فِي هَذَا الْمَعْنى حَتَّى تلخص لَهُ فِيهِ رَأْي وَاجْتمعَ بالأفضل بن أَمِير الجيوش ملك الْإِسْكَنْدَرِيَّة وأوجده أَنه قَادر أَن تهَيَّأَ لَهُ جَمِيع مَا يحْتَاج إِلَيْهِ من الْآلَات أَن يرفع الْمركب من قَعْر الْبَحْر ويجعله على وَجه المَاء مَعَ مَا فِيهِ من الثّقل فتعجب من قَوْله وَفرح بِهِ وَسَأَلَهُ أَن يفعل ذَلِك .
ثمَّ آتَاهُ على جَمِيع مَا يَطْلُبهُ من الْآلَات وَغرم عَلَيْهَا جملَة من المَال .
وَلما تهيأت وَضعهَا فِي مركب عَظِيم على موازاة الْمركب الَّذِي قد غرق وأرسى إِلَيْهِ حبَالاً مبرومة من الإبريسم وَأمر قوما لَهُم خبْرَة فِي الْبَحْر أَن يغوصوا ويوثقوا ربط الحبَال بالمركب الغارق وَكَانَ قد صنع آلَات بأشكال هندسية لرفع الأثقال فِي الْمركب الَّذِي هم فِيهِ .
وَأمر الْجَمَاعَة بِمَا يَفْعَلُونَهُ فِي تِلْكَ الْآلَات .
وَلم يزل شَأْنهمْ ذَلِك والحبال الإبريسم ترْتَفع إِلَيْهِم أَولا فأولا وتنطوي على دواليب بَين أَيْديهم حَتَّى بَان لَهُم الْمركب الَّذِي كَانَ قد غرق وارتفع إِلَى قريب من سطح المَاء .
ثمَّ عِنْد ذَلِك انْقَطَعت الحبال الإبريسم وَهَبَطَ الْمركب رَاجعا إِلَى قَعْر الْبَحْر .
وَلَقَد تلطف أَبُو الصَّلْت جدا فِيمَا صنعه وَفِي التحيل إِلَى رفع الْمركب إِلَّا أَن الْقدر لم يساعده وحنق عَلَيْهِ الْملك لما غرمه من الْآلَات وَكَونهَا مرت ضائعة وَأمر بحبسه وَأَن يسْتَوْجب ذَلِك .
وَبَقِي فِي الاعتقال مُدَّة إِلَى أَن شفع فِيهِ بعض الْأَعْيَان وَأطلق .
وَكَانَ ذَلِك فِي خلَافَة الْآمِر بِأَحْكَام الله ووزارة الْملك الْأَفْضَل بن أَمِير الجيوش .
وَمن رسائل الشَّيْخ أبي الْقَاسِم عَليّ بن سُلَيْمَان الْمَعْرُوف بِابْن الصَّيْرَفِي فِي مَا هَذَا مِثَاله .
قَالَ وردتني رقْعَة من الشَّيْخ أبي الصَّلْت وَكَانَ معتقلا وَفِي آخرهَا نُسْخَة

قصيدتين خدم بهما الْمجْلس الأفضلي أول الأولى منْهُمَا .

(الشَّمْــس دُونك فِي الْمحل وَالطَّيــب ذكرك بل أجـل)

وَأول الثَّانيَة

(نسخت غرائب مدحـك التشبيبــا وَكفـــى بهَا غزلا لنــا ونسيــبا)

فَكتبت إِلَيْه

(لَئِــن ستَرتـــك الجْــدر عَنَّا فَرُبَمَــا رَأينَا جلابيب السَّحَاب على الشَّمْس)

وردتني مولاَيَ فَأخذت فِي تقبيلها وارتشافها قبل التَّأَمُّل لمحاسنها واستشفافها حَتَّى كَأَنِّي ظَفرت بيد مصدرها وتمكنت من أنامل كاتبها ومسطرها ووقفت على مَا تضمنته من الْفضل الباهر وَمَا أودعتها من الجْوَاهر الَّتِي قذف بهَا فيض الخاطر .

فَرَأَيْت مَا قيد فكري وطرفي وَجل عَن مُقَابلَة تقريظي ووصفي .

وَجعلت أجدد تلاوتها مستفيدا وأرددها مبتدئا فِيهَا ومعيدا .

(نكـــرر طـــورا من قراة فصولـــه فَـــإِن نَحن أتممنا قرَاءَته عدنـــا)

(إِذا مَا نشرنـــاه فكالمسك نشـــــره ونطويه لاَ طي السَّآمَة بــل ضنـــا)

ابْن باجة

هُوَ أَبُو بكر مُحَمَّد بن يحيى بن الصَّائِغ وَيعرف بِابْن باجة من الأندلس .

وَكَانَ فِي الْعُلُوم الْحكمِيَّة عَلامَة وقته وأوحد زَمَانه .

وبلي بمحن كَثِيرَة وشناعات من الْعَوام وقصدوا هَلاَكه مرَّات وَسلمهُ الله مِنْهُم .

وَكَانَ متميزا فِي الْعَرَبيَّة وَالأَدب حَافِظًا لِلْقُرْآنِ .

ويعد من الأفاضل فِي صناعَة الطِّبِّ .

وَكَانَ متقنا لصناعة الموسيقى جيد اللّعب بِالْعودِ .

وَمن كَلاَم ابْن باجة قَالَ الأَشْيَاء الَّتِي ينفع تعلمهَا بعد زمَان طَوِيل لاَ يضيع تذكرها .

وَقَالَ حسن عَمَلك تفز بِخَير من الله سُبْحَانَهُ .

أَبُو الْعَلاَء بن زهر

هُوَ أَبُو الْعَلاَء زهر بن أبي مَرْوَان عبد الْملك بن مُحَمَّد بن مَرْوَان مَشْهُور بالحذق والمعرفة وَله علاجات مختارة تدل على قوته فِي صناعَة الطِّبّ واطلاعه على دقائقها .

وَكَانَت لَهُ نَوَادِر فِي مداواته المرضى ومعرفته لأحوالهم وَمَا يجدونه من الآلام من

غير أَن يستخبرهم عَن ذَلِك بل بنظره إِلَى قواريرهم أَو عِنْدَمَا يجس نبضهم .

وَكَانَ فِي دولة الملثمين ويعرفون أَيْضا بالمرابطين وحظي فِي أيامهم ونال الْمنزلَة الرفيعة وَالذكر والجميل .

وَكَانَ قد اشْتغل بصناعة الطِّبّ وَهُوَ صَغِير فِي أَيَّام المعتضد بِاللَّه أبي عَمْرو عباد بن عباد .

واشتغل أَيْضا بِعلم الْأَدَب وَهُوَ حسن التصنيف جيد التَّأْلِيف .

وَفِي زَمَانه وصل كتاب القانون لِابْنِ سينا إِلَى الْمغرب وَقَالَ ابْن جَمِيع الْمصْرِيّ فِي كتاب التَّصْرِيح بالمكنون فِي تَنْقِيح القانون أَن رجلا من التُّجَّار جلب من الْعرَاق إِلَى الأندلس نُسْخَة من هَذَا الْكتاب قد بولغ فِي تحسينها فأتحف بهَا لأبي الْعَلَاء بن زهر تقربا إِلَيْهِ وَلم يكن هَذَا الْكتاب وَقع إِلَيْهِ قبل ذَلِك فَلَمَّا تَأمله ذمه وأطرحه وَلم يدْخلهُ خزانَة كتبه وَجعل يقطع من طرره مَا يكْتب فِيهِ نسخ الْأَدْوِيَة لمن يستفتيه من المرضى وَقَالَ أَبُو يحيى اليسع بن عِيسَى بن حزم ابْن اليسع فِي كتاب الْمغرب عَن محَاسِن أهل الْمغرب أَن أَبَا الْعَلَاء بن زهر كَانَ مَعَ صغر سنه تصرخ النجابة بِذكرِهِ وتخطب المعارف بشكره .

وَلم يزل يطالع كتب الْأَوَائِل متفهما ويلقى الشُّيُوخ مستعلما والسعد ينهج لَهُ مناهج التَّيْسِير وَالْقدر لاَ يرضى لَهُ من الوجاهة باليسير حَتَّى برز فِي الطِّبّ إِلَى غَايَة عجز الطِّبّ عَن مرامها وَضعف الْفَهم عَن إبرامها وَخرجت عَن قانون الصِّنَاعَة إِلَى ضروب من الشناعة يخبر فَيُصِيب وَيضْرب فِي كل مَا يَنْتَحِلهُ من التعاليم بأوفى نصيب ويشعر سَابق مدى ويغبر فِي وُجُوه الْفُضَلَاء علما ومحتدا ويفوق الجلة سماحة وندى لَوْلاَ بذاء لسَان وعجلة إِنْسَان .

وَأي الرِّجَال تكمل خصاله وتتناسب أوصاله .

ونقلت من خطّ مُحَمَّد بن أَحْمد بن صَالح الْعَبْدي وَهُوَ من أهل الْمغرب وَله نظر وعناية بصناعة الطِّبّ .

قَالَ أَبُو العيناء الْمصْرِيّ وَهُوَ شيخ أَبُو الْعَلاَء بن زهر وَمن قبله انْصَرف من بَغْدَاد وحكايته مَعَه طَوِيلَة قَالَ أَخْبرنِي بِهَذَا الشَّيْخ الطَّبِيب أَبُو الْقَاسِم هِشَام بن إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن صَاحب الصَّلاَة بداره بأشبيلية حرسها الله .

أَقُول وَكَانَ من جملَة تلاميذ أبي الْعَلاَء بن زهر فِي الطِّبّ أَبُو عَامر بن ينق الشاطبي الشَّاعِر .

وَتُوفِّي أَبُو الْعَلاَء بن زهر فِي سنة وَدفن بأشبيلية خَارج بَاب الْفَتْح
وَمن شعر أبي الْعَلاَء بن زهر قَالَ فِي التغزل .
(يَا مــن كلفت بــه وذلــت عزتــي   لغرامــه وَهُــوَ الْعَزِيــز القاهــر)
(رمت التصبــر عِنْدَمَــا أَلْقى الجفا   وَيَقُول ذَاك الْحسن مَالك نَاصــر)
(مَا الجاه إِلاَّ جاه من ملــك القــوى   وإطاعــــه قلب عَزِيز قَــادر)
وَقَالَ أَيْضا :
(يَا راشقــي بسهام مَا لَهَــا غَــرَض   إِلاَّ الْفُــؤَاد وَمَا لَهَــا مِنْهُ عــوض)
(وممرضي بجفــون حشوهــا سقــم   صحت وَمن طبعها التمريض وَالْمَرَض)
(أمنن وَلَو بخيــال منْــك يطرقنــي   فقــد يسد مسد الْجَوْهَر الْعــرض)
وَقَالَ فِي ابْن مَنْظُور[1] قَاضِي قُضَاة أشبيلية وَقد وَصله عَنهُ أَنه قَالَ أيمرض ابْن زهر على جِهَة الاسْتِهْزَاء .
(قَالُوا ابْــن مَنْظُور تعجــب دائــبا   إِنِّي مَرضت فَقلت يعثر من مَشى)
(قد كَانَ جالينــوس يمــرض دهــره   فَمن الْفَقِيه المرتضى أكل الرشــا)
وَقَالَ أَيْضا :
(سَمِعت بِوَصْف النَّاس هندا فَلم أزل   أَخــا صبوة حَتَّى نظرت إِلَى هِنْد)
(فَلَمَّا أَرَانِـي اللــه هنــدا وزيهــا   تمنيــت أَن أزداد بعدا على بعــد)

أَبُو مَرْوَان بن أبي الْعَلاَء بن زهر

هُوَ أَبُو مَرْوَان عبد الْملك بن أبي الْعَلاَء زهر بن أبي مَرْوَان عبد الْملك بن مُحَمَّد بن مَرْوَان بن زهر لحق بِأَبِيهِ فِي صناعَة الطِّبّ وَكَانَ جيد الاسْتِقْصَاء فِي الْأَدْوِيَة المفردة والمركبة حسن المعالجة قد ذاع ذكره فِي الأندلس وَفِي غَيرهَا من الْبِلَاد واشتغل الْأَطِبَّاء بمصنفاته .

وَلم يكن فِي زَمَانه من يماثله فِي مزاولة أَعمال صناعَة الطِّبّ .

وَله حكايات كَثِيرَة فِي تَأتيه لمعْرِفَة الْأَمْرَاض ومداواتها مِمَّا لم يسْبقهُ أحد من الْأَطِبَّاء إِلَى مثل ذَلِك .

وَكَانَ قد خدم الملثمين ونال من جهتهم من النعم وَالْأَمْوَال شَيْئا كثيرا .

---

(١) ابن منظور هو أديب ومؤرّخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية .

وَفِي الْوَقْت الَّذِي كَانَ فِيهِ أَبُو مَرْوَان عبد الْملك بن أبي الْعَلاء بن زهر دخل الْمهْدي إِلَى الأندلس وَهُوَ أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن تومرت وَمَعَهُ عبد الْمُؤمن وَشرع فِي بَث الدعْوَة لعبد الْمُؤمن وتمهيد أمره إِلَى أَن انتشرت كَلمته واتسعت مَمْلَكَته وَملك الْبِلَاد وأطاعه الْخلق .

وحكاية الْمهْدي فِي تَأتيه إِلَى أَن نَالَ الْملك وَصفا لَهُ الْأَمر مَعْرُوفَة مَشْهُورَة .

وَلما اسْتَقل عبد الْمُؤمن بالمملكة وَعرف بأمير الْمُؤمنِينَ وَاسْتولى على خَزَائِن الْمغرب بذل الْأَمْوَال وَأظْهر الْعدْل وَقرب أهل الْعلم وَأكْرمهمْ ووالى إحسانه إِلَيْهِم واختص أَبَا مَرْوَان عبد الْملك بن زهر لنَفسِهِ وَجعل اعْتِمَاده عَلَيْهِ فِي الطِّبّ وأناله من الْأَنْعَام وَالعطَاء فَوق أمْنِيته .

وَكَانَ مكينا عِنْده عالي الْقدر متميزا على كثير من أَبنَاء زَمَانه .

وَألف لَهُ أَبُو مَرْوَان بن زهر الترياق السبعيني وَاخْتَصَرَهُ عشاريا وَاخْتَصَرَهُ سباعيا وَيعرف بترياق الأنتلة .

حَدثنِي أَبُو الْقَاسِم المعاجيني الأندلسي أَن الْخَلِيفَة عبد الْمُؤمن احْتَاجَ إِلَى شرب دَوَاء مسهل وَكَانَ يكره شرب الْأَدْوِيَة المسهلة فتلطف لَهُ ابْن زهر فِي ذَلِك وأتى إِلَى كرمة فِي بستانه فَجعل المَاء الَّذِي يسقيها بِهِ مَاء قد أكسبه قُوَّة أدوية مسهلة بنقعها فِيهِ أَو بغليانها مَعَه .

وَلما تشربت الكرمة قُوَّة الْأَدْوِيَة المسهلة الَّتِي أرادها وطلع فِيهَا الْعِنَب وَله تِلْكَ الْقُوَّة أحم الْخَلِيفَة ثمَّ أَتَاهُ بعنقود مِنْهَا وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَن يَأْكُل مِنْهُ .

وَكَانَ حسن الاعْتِقَاد فِي ابْن زهر فَلَمَّا أكل مِنْهُ وَهُوَ ينظر إِلَيْهِ قَالَ لَهُ يَكْفِيك يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ فَإنَّك قد أكلت عشر حبات من الْعِنَب وَهِي تخدمك عشر مجَالِس .

فاستخبره عَن علّة ذَلِك وعرفه بِهِ .

ثمَّ قَامَ على عدد مَا ذكره لَهُ وَوجد الرَّاحَة فَاسْتحْسن من فعله هَذَا وتزايدت مَنْزِلَته عِنْده .

وحَدثنِي الشَّيْخ محيي الدّين أَبُو عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد بن الْعَرَبِيّ الطَّائِي الْحَاتمِي من أهل مرسية أَن أَبَا مَرْوَان عبد الْملك بن زهر كَانَ فِي وَقت مروره إِلَى دَار أَمِير الْمُؤمنِينَ بأشبيلية يجد فِي طَرِيقه عِنْد حمام أبي الْخَيْر بِالْقربِ من دَار ابْن مُؤَمل مَرِيضا بِهِ سوء قتبه وَقد كبر جَوْفه واصفر لَونه فَكَانَ أبدا يشكو إِلَيْهِ حَاله ويسأله النّظر فِي أمره .

فَلَمَّا كَانَ بعض الأَيَّام سَأَلَهُ مثل ذَلِك فَوقف أَبُو مَرْوَان بن زهر عِنْده وَنظر إِلَيْهِ فَوجدَ عِنْد رَأسه إبريقا عتيقا يشرب مِنْهُ المَاء فَقَالَ اكسر هَذَا الإبريق فَإِنَّهُ سَبَب مرضك .

فَقَالَ لَهُ لاَ بِاللَّه يَا سَيِّدي فَإِنِّي مَا لي غَيره فَأمر بعض خدمه بكسره فَكَسرهُ فَظهر مِنْهُ لما كسر ضفدع وَقد كبر مِمَّا لَهُ فِيهِ من الزَّمَان .

فَقَالَ لَهُ ابْن زهر خلصت يَا هَذَا من الْمَرَض انْظُر مَا كنت تشرب .

وبرأ الرجل بعد ذَلِك .

وحَدثني القَاضِي أَبُو مَرْوَان مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الْملك اللَّخْمِيّ ثمَّ الْبَاجِيّ قَالَ حَدثنِي من أَثِق بِهِ أَنه كَانَ بأشبيلية حَكِيم فَاضل فِي صناعَة الطِّبّ يعرف بالفار وَله كتاب جيد فِي الأَدْوِيَة المفردة سفران وَكَانَ أَبُو مَرْوَان بن زهر كثيرا مَا يَأْكُل التِّين ويميل إِلَيْهِ .

وَكَانَ الطَّبِيب الْمَعْرُوف بالفار لاَ يغتذي مِنْهُ بِشَيْء وَإِن أَخذ مِنْهُ شَيْئا فَيكون وَاحِدَة فِي السّنة فَكَانَ يَقُول هَذَا لأبي مَرْوَان بن زهر أَنه لاَ بُد أَن تعرض لَك نغلة صعبة بمداومتك أكل التِّين والنغلة هُوَ الدُّبَيْلَة بلغتهم .

وَكَانَ أَبُو مَرْوَان يَقُول لَهُ لاَ بُد لكَثْرَة حميتك وكونك لم تَأْكُل شَيْئا من التِّين أَن يصيبك الشناج قَالَ فَلم يمت الْمَعْرُوف بالفار إِلاَّ بعلة التشنج وَكَذَلِكَ أَيْضا عرض لأبي مَرْوَان بن زهر دبيلة فِي جنبه وَتُوفِّي بهَا .

وَهَذَا من أبلغ مَا يكون من تقدمة الإِنْذَار .

قَالَ وَلما عرض لأبي مَرْوَان هَذِه الْعلَّة كَانَ يعالجها ويصنع لَهَا مراهم وأدوية وَلم تُؤثر نفعا يعْتد بِهِ .

فَكَانَ يَقُول لَهُ ابْنه أَبُو بكر يَا أبي لَو غيرت هَذَا الدَّوَاء بالدواء الْفُلاَنِيّ وَلَو زِدْت من هَذَا الدَّوَاء أَو اسْتعْملت دَوَاء كَذَا وَكَذَا فَكَانَ يَقُول لَهُ يَا بني إِذا أَرَادَ الله تَغْيِير هَذِه البنية فَإِنَّهُ لاَ يقدر لي أَن اسْتعْمل من الأَدْوِيَة إِلاَّ مَا يتم بِهِ مَشِيئَته وإرادته .

الحفيد أَبُو بكر بن زهر

هُوَ الْوَزير الْحَكِيم الأديب الحسيب أَبُو بكر مُحَمَّد بن أبي مَرْوَان بن أبي الْعَلاَء بن زهر مولده بِمَدِينَة أشبيلية وَنَشَأ بهَا وتميز فِي الْعُلُوم وَأخذ صناعَة الطِّبّ عَن أَبِيه وباشر أَعمالهَا وَكَانَ معتدل الْقَامَة صَحِيح البنية قوي الأَعْضَاء .

وَصَارَ فِي سنّ الشيخوخة ونضارة لَونه وَقُوَّة حركاته لم يتَبَيَّن فِيهَا تغير وَإِنَّمَا عرض لَهُ فِي أَوَاخِر عمره ثقل فِي السّمع .

وَكَانَ حَافِظًا للْقُرْآن وَسمع الحَدِيث واشتغل بِعلم الْأَدَب والعربية وَلم يكن فِي زَمَانه أعلم مِنْهُ بِمَعْرِفَة اللُّغَة .

ويوصف بِأَنَّهُ قد أكمل صناعَة الطِّبّ وَالْأَدب وعانى عمل الشّعْر وأجاد فِيهِ .

وَله موشحات مَشْهُورَة ويغنى بهَا وَهِي من أَجود مَا قيل فِي ذَلِك .

وَكَانَ ملازما للأمور الشَّرْعِيَّة متين الدّين قوي النَّفس محبا للخير .

وَكَانَ مهيبا وَله جرْأَة فِي الْكَلَام وَلم يكن فِي زَمَانه أعلم مِنْهُ بصناعة الطِّبّ وَذكره قد شاع واشتهر فِي أقطار الأندلس وَغَيرهَا من الْبِلَاد .

وحَدث القَاضِي أَبُو مَرْوَان مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الْملك الْبَاجِيّ من أهل أشبيلية قَالَ قَالَ لي الشَّيْخ الْوَزير الْحَكِيم أَبُو بكر بن زهر أَنه لَازم لجدي عبد الْملك الْبَاجِيّ سبع سِنِين يشْتَغل عَلَيْهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ كتاب الْمُدَوَّنَة لسحنون فِي مَذْهَب مَالك وَقَرَأَ أَيْضا عَلَيْهِ مُسْند ابْن أبي شيبَة .

وحَدث أَيْضا القَاضِي أَبُو مَرْوَان الْبَاجِيّ عَن أبي بكر بن زهر أَنه كَانَ شَدِيد الْبَأْس يجذب قوسا مائَة وَخمسين رطلا بالإشبيلي والرطل الَّذِي بإشبيلة سِتَّة عشر أُوقِيَّة وكل أُوقِيَّة عشرَة دَرَاهِم وَأَنه كَانَ جيد اللّعب بالشطرنج جدا وَلم يكن فِي زَمَانه أحد مثله فِي صناعَة الطِّبّ وخدم الدولتين .

وَذَلِكَ أَنه لحق دولة الملثمين وَاسْتمرّ فِي الْخدمَة مَعَ أَبِيه فِي آخر دولتهم .

ثمَّ خدم دولة الْمُوَحِّدين وهم بَنو عبد الْمُؤمن .

وَذَلِكَ أَنه كَانَ فِي خدمَة عبد الْمُؤمن هُوَ وَأَبوهُ وَفِي أَيَّام عبد الْمُؤمن مَاتَ أَبوهُ وَبَقِي هُوَ فِي خدمته ثمَّ خدم لِابْنِ عبد الْمُؤمن أبي يَعْقُوب يُوسُف ثمَّ لِابْنِهِ يَعْقُوب أبي يُوسُف الَّذِي لقب بالمنصور .

ثمَّ خدم ابْنه أَبَا عبد الله مُحَمَّد النَّاصِر وَفِي أول دولته توفّي أَبُو بكر بن زهر وَكَانَت وَفَاته رَحمَه الله فِي عَام سِتَّة وَتِسْعين وَخَمْسمِائة بمراكش وَقد أَتَاهَا ليزور بهَا وَدفن هُنَاكَ فِي الْموضع الْمَعْرُوف بمقابر الشُّيُوخ وَعمر نَحْو السِّتين سنة .

قَالَ وَكَانَ أَبُو بكر بن زهر صائب الرَّأْي حسن المعالجة جيد التَّدْبِير .

وَقد عرف هَذَا مِنْهُ حَتَّى أَنه يَوْمًا كَانَ قد كتب وَالِده أَبُو مَرْوَان ابْن زهر نُسْخَة دَوَاء مسهل لعبد الْمُؤمن الْخَلِيفَة فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بكر بعد ذَلِك وَكَانَ فِي حَال شبيبته قَالَ

يجب أَن يُبدل هَذَا الدَّوَاء الْمُفْرد مِنْهُ بدواء آخر .

فَلم يتَنَاوَل عبد الْمُؤمن ذَلِك الدَّوَاء .

وَلما رَآهُ أَبوهُ قَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إِن الصَّوَاب فِي قَوْله .

وَبدل الدَّوَاء الْمُفْرد بِغَيْرِه فأثر نفعا بَيِّننَا .

وَألف أَبُو بكر ابْن زهر الترياق الخمسيني للمنصور أَبُو يُوسُف يَعْقُوب .

قَالَ وحَدثني من أَثِق بِهِ أَن رجلا من بني الينَاقي كَانَ صديقا للحفيد أبي بكر بن زهر وَكَانَ يجالسه كثيرا وَيلعب مَعَه بالشطرنج وَأَنه كَانَ عِنْد الْحفيد أبي بكر يَوْمًا وهما يلعبان بالشطرنج فَرَآهُ الْحفيد على غير مَا يعهده بِهِ من الانبساط فَقَالَ لَهُ مَا لخاطرك كَأَنَّهُ مشتغل بِشَيْء عرفني مَا هُوَ فَقَالَ نعم إِن لي بِنْتا زوجتها لرجل وَهُوَ يطْلبهَا وَقد احتجت إِلَى ثلثمائة دِينَار فَقَالَ لَهُ العب وَمَا عَلَيْك فَإِن عِنْدِي فِي وقتنا هَذَا ثلثمائة دِينَار إِلَّا خَمْسَة دَنَانِير تأخذها .

فلعب مَعَه سَاعَة واستدعى بِالذَّهَب وَأَعْطَاهُ لَهُ فَلَمَّا كَانَ عَن قرب أَتَاهُ صَاحبه وَترك بَين يَدَيْهِ ثلاثمائة دِينَار إِلَّا خَمْسَة دَنَانِير تأخذها .

فلعب مَعَ سَاعَة واستدعى بِالذَّهَب وَأَعْطَاهُ لَهُ فَلَمَّا كَانَ عَن قرب أَتَاهُ صَاحبه وَترك بَين يَدَيْهِ ثلاثمائة دِينَار إِلَّا خَمْسَة .

فَقَالَ لَهُ ابْن زهر مَا هَذَا فَقَالَ إِنَّنِي بِعْت زيتونا لي بسبعمائة دِينَار وَقد أتيت مِنْهَا بثلاثمائة دِينَار إِلَّا خَمْسَة عوض الَّذِي تفضلت بِهِ عَليّ وأقرضتني إِيَّاه وَقد بَقِي عِنْدِي حَاصلا أَرْبَعمِائَة دِينَار .

فَقَالَ لَهُ ابْن زهر ارْفَعْ هَذَا عنْدك وانتفع بِهِ فَإِنِّي مَا دفعت لَك الذَّهَب على إِنِّي أَعُود آخذه أبدا .

فَأبى الرجل وَقَالَ إِنَّنِي بِحَمْد الله بِحَال سَعَة وَلَا لي حَاجَة أَن آخذ هَذَا وَلَا غَيره من أحد أصلا .

وتفاوضا فِي ذَلِك فَقَالَ لَهُ ابْن زهر يَا هَذَا أَنْت صديقي أَو عدوي فَقَالَ لَهُ بل صديقك وَأحب النَّاس فِيك .

فَقَالَ لَهُ ابْن زهر وَالله لَئِن لم تَأْخُذهُ لأعادينك بِسَبَبِهِ وَلَا أَعُود أُكَلِّمك أبدا .

فَأَخذه مِنْهُ وشكره على فعله قَالَ القَاضِي أَبُو مَرْوَان الْبَاجِيّ وَكَانَ الْمَنْصُور قد قصد أَن لَا يتْرك شَيْئا من كتب الْمنطق وَالْحكمَة بَاقِيا فِي بِلَاده .

وأباد كثيرا مِنْهَا بإحراقها بالنَّار وشدد فِي أَن لَا يبْقى أحد يشْتَغل بِشَيْء مِنْهَا

وَأَنه مَتى وجد أحد ينظر فِي هَذَا الْعلم أَو وجد عِنْده شَيْء من الْكتب المصنفة فِيهِ فَإِنَّهُ يلْحقهُ ضَرَر عَظِيم .

وَلما شرع فِي ذَلِك جعل أمره مفوضا إِلَى الْحفِيد أبي بكر بن زهر وَأَنه الَّذِي ينظر إِلَيْهِ .

وَأَرَادَ الْخَلِيفَة أَنه إِن كَانَ عِنْد ابْن زهر شَيْء من كتب الْمنطق وَالْحكمَة لم يظْهر وَلاَ يُقَال عَنهُ أَنه يشْتَغل بهَا وَلاَ يَنَالهُ مَكْرُوه بِسَبَبهَا وَلما نظر ابْن زهر فِي ذَلِك وامتثل أَمر الْمَنْصُور فِي جمع الْكتب من عِنْد الكتبيين وَغَيرهم وَأَن لاَ يبْقى شَيْء مِنْهَا وإهانة المشتغلين بهَا .

وَكَانَ بأشبيلية رجل من أعيانها يعادي الْحفِيد أَبَا بكر بن زهر ويحسده وَعِنْده شَرّ فَعمل محضرا فِي أَن ابْن زهر دَائِم الاشْتغَال بِهَذَا الْفَنّ وَالنَّظَر فِيهِ وَأَن عِنْده فِي دَاره شَيْئا كثيرا من كتبه وَجمع فِيهِ شَهَادَات عدَّة وَبعث بِهِ إِلَى الْمَنْصُور وَكَانَ الْمَنْصُور حينَئِذٍ فِي حصن الْفرج وَهُوَ مَوضِع بناه قَرِيبا من أشبيلية على ميلين مِنْهَا صَحِيح الْهَوَاء بِحَيْثُ بقيت الْحِنْطَة فِي ثَمَانِينَ سنة لم تَتَغَيَّر لصحَّته .

وَكَانَ أَبُو بكر بن زهر هُوَ الَّذِي أَشَارَ على الْمَنْصُور أَن يبنيه فِي ذَلِك الْموضع وَيُقِيم فِيهِ فِي بعض الأَوْقَات .

فَلَمَّا كَانَ الْمَنْصُور بِهِ وَقد أَتَاهُ الْمحْضر نظره ثمَّ أَمر بِأَن يقبض على الَّذِي عمله وَأَن يودع السجْن فَفعل بِهِ ذَلِك .

وَانْهَزَمَ جَمِيع الشُّهُود الَّذين وضعُوا خطوطهم فِيهِ .

ثمَّ قَالَ الْمَنْصُور إِنَّنِي لم أول ابْن زهر فِي هَذَا إِلاَّ حَتَّى لاَ ينْسبهُ أحد إِلَى شَيْء مِنْهُ وَلاَ يُقَال عَنهُ .

وَوَاللَّه لَو أَن جَمِيع أهل الأندلس وقفُوا قدامي وشهدوا على ابْن زهر بِمَا فِي هَذَا الْمحْضر لم أقبل قَوْلهم لما أعرفهُ فِي ابْن زهر من متانة دينه وعقله .

وحَدثنِي أَبُو الْعَبَّاس أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد الإشبيلي قَالَ كَانَ الْحفِيد أَبُو بكر بن زهر قد أَتَى إِلَيْهِ من الطّلبَة اثْنَان ليشتغلا عَلَيْهِ بصناعة الطِّبّ فترددا إِلَيْهِ ولازماه مُدَّة وقرآ عَلَيْهِ شَيْئا من كتب الطِّبّ .

ثمَّ أَنَّهمَا أَتَيَاهُ يَوْمًا وبيد أَحدهمَا كتاب صَغِير فِي الْمنطق وَكَانَ يحضر مَعَهُمَا أَبُو الْحُسَيْن الْمَعْرُوف بالمصدوم وَكَانَ غرضهم أَن يشتغلوا فِيهِ فَلَمَّا نظر ابْن زهر إِلَى ذَلِك الْكتاب قَالَ مَا هَذَا ثمَّ أَخذه ينظر فِيهِ فَلَمَّا وجده فِي علم الْمنطق رمى بِهِ نَاحيَة ثمَّ

نَهَضَ إِلَيْهِم حافيا ليضربهم وانهزموا قدامه وتبعهم يعدو على حَالَته تِلْكَ وَهُوَ يُبَالغ فِي شتمهم وهم يتعادون قدامه إِلَى أَن رَجَعَ عَنْهُم عَن مَسَافَة بعيدَة فبقوا منقطعين عَنهُ أَيَّامًا لاَ يجسرون أَن يَأْتُوا إِلَيْه .

ثمَّ أَنهم توسلوا إِلَى أَن حَضَرُوا عنْده وَاعْتَذَرُوا بِأَن ذَلك الْكتاب لم يكن لَهُم وَلاَ لَهُم فِيه غَرَض أصلا وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا رَأَوْهُ مَعَ حدث فِي الطَّرِيق وهم قاصدون إِلَيْه فهزأوا بِصَاحبه وعبثوا به وَأخذُوا منْهُ الْكتاب قهرا وَبَقِي مَعَهم ودخلوا إِلَيْه وهم ساهمون عَنهُ .

فتخادع لَهُم وَقبل معذرتهم واستمروا فِي قراءتهم عَلَيْه صناعَة الطِّبّ .

وَلما كَانَ بعد مديدة أَمرهم أَن يجيدوا حفظ الْقُرْآن وَأَن يشتغلوا بِقرَاءَة التَّفْسِير والْحَديث وَالْفِقْه وَأَن يواظبوا على مُرَاعَاة الأُمُور الشَّرْعِيَّة والاقتداء بهَا وَلاَ يخلوا بِشَيْء من ذَلك .

فَلَمَّا امتثلوا أمره وأتقنوا معرفَة مَا أَشَارَ به عَلَيْهِم وَصَارَت لَهُم مُرَاعَاة الأُمُور الشَّرْعيَّة سجية وَعَادَة قد ألفوها كَانُوا يَوْمًا عنْده وَإِذا به قد أخرج لَهُم الْكتاب الَّذي كَانَ رَآهُ مَعَهم فِي الْمنطق وَقَالَ لَهُم الآن صلحتم لأَن تقرأوا هَذَا الْكتاب وَأَمْثَاله عَليّ .

وأشغلهم فِيه فتعجبوا من فعله .

وحَدث القَاضِي أَبُو مَرْوَان الْبَاجِيّ قَالَ كَانَ أَبُو زيد عبد الرَّحْمَن بن يوجان وَزِير الْمَنْصُور يعادي الْحَفِيد أَبَا بكر بن زهر ويحسده لما يرى من عظم حَاله وعلو مَنْزِلَته وَعلمه فاحتال عَلَيْه فِي سم صيره مَعَ أحد من كَانَ عنْد الْحَفِيد بن زهر فقدمه إِلَى الْحَفِيد بن زهر فِي بيض وَكَانَت مَعَ الْحَفِيد أَيْضا بنت أُخْته وَكَانَت أُخْته وابنتها هَذه عالمتين بصناعة الطِّبّ والمداواة وَلَهُمَا خبْرَة جَيِّدَة بمَا يتَعَلَّق بمداواة النِّسَاء وكانتا تدخلان إِلَى نسَاء الْمَنْصُور وَلاَ يقبل للمنصور وَأَهله ولدا إِلاَّ أُخْت الْحَفِيد أَو بنتهَا لما توفيت أمهَا .

فَلَمَّا أكل الْحَفِيد من ذَلِك الْبيض وَبنت أُخْته مَاتَا جَمِيعًا وَلم ينفع فيهمَا علاج .

قَالَ وَلم يمت أَبُو زيد عبد الرَّحْمَن بن يوجان إِلاَّ مقتولا قَتله مَعَ بعض أَقَاربه .

أَقُول وَكَانَ من أجل تلامذة الْحَفِيد أبي بكر بن زهر فِي صناعَة الطِّبّ والآخذين عَنهُ أَبُو جَعْفَر ابْن الغزال .

وَمن شعر الْحَفِيد أبي بكر بن زهر أَنْشد محيي الدّين أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن عَليّ بن عَليّ بن مُحَمَّد الْعَرَبِيّ الْحَاتِمِي قَالَ أَنْشدني الْحَفِيد أَبُو بكر بن زهر لنَفسه يتشوق إِلَى وَلَده :

(نأت عَنـــهُ دَاري فيـــا وحشتـــي   لــــذاك الشخيص وَذَاكَ الْوَجيــه)
(تشوقنـــــــي وتشوقتــــــــه   فيبكـــي عَلــيّ وأبكـــي عَلَيْـه)
(وَقد تَعـــب الشـــوق مَا بَيْننَــا   فمِنْــهُ إِلَــيّ ومنـــي إِلَيْـــــهِ)

أَنْشد القَاضِي أَبُو مَرْوَان الْبَاجِيّ قَالَ أَنْشدني أَبُو عمرَان بن عمرَان الزَّاهِد المرتلي القاطن بأشبيلية قَالَ أَنْشدني الْحفيد أَبُو بكر بن زهر لنَفسِهِ فِي آخر عمره :

(إِنِّـــي نظـرت إِلَى الْمرْآة إِذْ جليـت   فأنكـــرت مقلتـــاي كلـما رأتـا)
(رَأَيْت فيهَا شييخـــا لســـت أعرفــهُ   وَكنـــت أعرف فِيهَا قبل ذَاك فَتى)
(فَقلت أَيْـــن الَّـــذي مثواه كَانَ هُنَــا   مَتــى ترحل عَن هَذَا الْمَكَان مَتى)
(فاستجهلتني وَقَالَت لي وَمَا نطقـــت   قد كَانَ ذَلِك وَهَذَا بعد ذَاك أَتَـــى)
(هـــون عَلَيْك فَهَذَا لاَ بَقَـــاء لَــــهُ   أما ترى العشب يفنى بَعْدَمَا نبتـا)
(كَانَ الغواني يقلن يَـا أخـــي فقـــد   صَــار الغواني يقلن الْيَوْم يَا أبتـــا)

وأنشدني أَيْضا القَاضِي أَبُو مَرْوَان الْبَاجِيّ عَن الْحفيد بن زهر لَهُ من أَبْيَات :

(أعـــد الحَدِيـــث عَليّ من جنباتـــه   أَن الحَدِيث عَن الحبيب حبيـــب)

أَبُو مُحَمَّد بن الحَفِيد أبي بكر بن زهر

هُوَ أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن الْحفيد أبي بكر مُحَمَّد بن أبي مَرْوَان عبد الْملك بن أبي الْعَلاَء زهر بن أبي مَرْوَان عبد الْملك بن مُحَمَّد بن مَرْوَان بن زهر .

كَانَ جيد الْفطْرَة حسن الرَّأْي جميل الصُّورَة مفرط الذكاء مَحْمُود الطَّرِيقَة محبا للبس الفاخر .

وَكَانَ كثير الاعتناء بصناعة الطِّبّ وَالنَّظَر فِيهَا وَالتَّحْقِيق لمعانيها .

واشتغل على وَالِده وَوَقفه على كثير من أسرار علم هَذِه الصِّنَاعَة وعملها .

وَقَرَأَ كتاب النَّبَات لأبي حنيفَة الدينَوَرِي(١) على أَبِيه واتقن مَعْرِفَته .

(١) أبو حنيفة أو أبو حنيفة الدِينَوَري أو أبو حنيفة أحمد بن داود الدِينَوَري (نسبة إلى الدِينَوَر وهي بين همدان وكرمنشاه في إيران) عالم مسلم من أصل كردي والملقب بشيخ علماء النبات ، ألف كتاب النبات الذي رتب فيه النباتات على حروف المعجم ، واهتم بكل ما قيل فيها نثرا وشعرا حتى أواخر القرن الثالث الهجري . كان منهجه في تأليف كتابه يعتمد على وصف بضع مئات من النباتات =

وَكَانَ الخْلِيفَة أَبُو عبد الله مُحَمَّد النَّاصِر بن الْمَنْصُور أبي يَعْقُوب يرى لَهُ كثيرا ويحترمه وَيعرف مقْدَار علمه وبيوتته .

وحَدث القَاضِي أَبُو مَرْوَان الْبَاجِيّ قَالَ لما توجه أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن الْحفِيد إِلَى الحضرة خرج مِنْهُ فِيمَا اشْتَرَاهُ لسفره وَنَفَقَته فِي الطَّرِيق نَحْو عشرَة آلَاف دِينَار .

قَالَ وَلما اجْتمع بالخليفة النَّاصِر بالمهدية لما فتحهَا النَّاصِر خدمه على مَا جرت بِهِ الْعَادة وَقَالَ لَهُ إِنَّنِي يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ بِحَمْد الله بِكُل خير من إنعامكم وإحسانكم عَليّ وعَلى آبَائِي وَقد وصل إِلَيّ مِمَّا كَانَ بيد أبي من إحسانكم مَا يغنيني مُدَّة حَيَاتِي وَأَكْثر وَإِنَّمَا أتيت لأكون فِي الْخدمَة كَمَا كَانَ أبي وَأَن اجْلِسْ فِي الْموضع الَّذِي كَانَ يجلس فِيهِ بَين يَدي أَمِير الْمُؤمنِينَ .

فَأكْرمه النَّاصِر إِكْرَاما كثيرا وَأطلق إِلَيْهِ من الْأَمْوَال وَالنعَم مَا يفوق الْوَصْف .

وَكَانَ مَجْلِسه إِذا حضر قَرِيبا مِنْهُ فِي الْموضع الَّذِي كَانَ يجلس فِيهِ وَالِده الْحفِيد فَكَانَ يجلس إِلَى جَانب الْخَلِيفَة النَّاصِر الْخَطِيب أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن الْحسن بن أبي يُوسُف حجاج القَاضِي وَكَانَ يجلس تلوه القَاضِي الشريف أَبُو عبد الله الْحُسَيْنِي وَكَانَ يجلس تلوه أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن الْحفِيد أَبُو بكر بن زهر وَكَانَ يجلس إِلَى جَانبه أَبُو مُوسَى عِيسَى بن عبد الْعَزِيز الْجُزُولِيّ صَاحب الْمُقدمَة الْمَشْهُورَة فِي النَّحْو الْمَعْرُوفَة بالجزولية .

وَكَانَ هَذَا فِي النَّحْو يشْتَغل عَلَيْهِ أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن الْحفِيد وَيجْلس بَين يَدَيْهِ ويتعلم مِنْهُ .

وَكَانَ مولد أبي مُحَمَّد عبد الله بن الْحفِيد أبي بكر فِي سنة سبع وَسبعين وَخَمْسمِائة بِمَدِينَة أشبيلية .

وَتُوفِّي رَحمَه الله مسموما فِي سنة اثْنَتَيْنِ وسِتمِائَة فِي مَدِينَة سلا فِي الْجِهَة الْمُسَمَّاة برباط الْفَتْح وَدفن بهَا .

وَكَانَ مُتَوَجها إِلَى مراكش فاخترمه الْأَجَل دونهَا ثمَّ حمل من الْموضع الَّذِي دفن

= التي رآها بنفسه ، أو سمع عنها من الأعراب الثقات ، وأضاف الدينوري إلى ما نقل عن زياسقوريذوس العالم الإغريقي الذي اشتهر بمعرفته بالنباتات الطبية إضافات أساسية ، وأصبح بذلك عمدة الأطباء والعشابين ، ونقلت عنه أكبر كتب الصيدلة كمفردات الأدوية لابن البيطار . توفي سنة ٢٨٢ هـ /٨٩٥م .

فِيهِ إِلَى أشبيلية وَدفن عِنْد آبَائِهِ بأشبيلية خَارج بَاب الْفَتْح فَكَانَت مُدَّة حَيَاته خمْسا وَعشْرين سنة .

وَمن أعجب مَا حَدث القَاضِي أَبُو مَرْوَان الْبَاجِيّ عَنهُ قَالَ كنت يَوْمًا عِنْده وَإِذا بِهِ قد قَالَ لي إِنَّنِي رَأَيْت البارحة فِي النّوم أُخْتِي وَكَانَت أُخْته قد مَاتَت قبله قَالَ وكأنّي قلت لَهَا يَا أُخْتِي بِاللَّه عرفيني كم يكون عمري فَقَالَت لي طابيتين وَنصفا والطابية هِيَ خَشَبَة للْبِنَاء مَعْرُوفَة فِي الْمغرب بِهَذَا الاسْم طولهَا عشرَة أشبار فَقلت لَهَا أَنا أَقُول لَك جد وَأَنت تجيبيني بالهزء فَقَالَت لاَ وَالله مَا قلت لَك إِلاَّ جدا وَإِنَّمَا أَنْت مَا فهمت .

أَلَيْسَ الطابية عشرَة أشبار والطابيتين وَنصفا خَمْسَة وَعِشْرُونَ يكون عمرك خمْسا وَعشْرين سنة .

قَالَ القَاضِي أَبُو مَرْوَان فَلَمَّا قصّ عَليّ هَذِه الرُّؤْيَا قلت لَهُ لاَ تتوهم من هَذَا فَلَعَلَّهُ من أضغاث أَحْلاَم .

قَالَ وَلم تكمل تِلْكَ السّنة إِلاَّ وَقد مَاتَ فَكَانَ عمره كَمَا قيل لَهُ خمْسا وَعشْرين سنة لاَ أَزِيد وَلاَ أنقص وَخلف وَلدين كل مِنْهُمَا فَاضل فِي نَفسه كريم فِي جنسه .

أَحدهمَا يُسمى أَبَا مَرْوَان عبد الْملك وَالآخر أَبَا الْعَلاَء مُحَمَّد والأصغر مِنْهُمَا وَهُوَ أَبُو الْعَلاَء معتن بصناعة الطِّبّ وَله نظر جيد فِي كتب جالنوس .

وَكَانَ مقامهما فِي أشبيلية .

أَبُو جَعْفَر بن هَارُون الترجالي

من أَعْيَان أهل أشبيلية وَكَانَ محققا للعلوم الْحكمِيَّة متقنا لَهَا معتنيا بكتب أرسطوطاليس وَغَيره من الْحُكَمَاء الْمُتَقَدِّمين فَاضلا فِي صناعَة الطِّبّ متميزا فِيهَا خَبِيرا بأصولها وفروعها حسن المعالجة مَحْمُود الطَّرِيقَة .

وخدم لأبي يَعْقُوب وَالِد الْمَنْصُور .

وَكَانَ من طلبة الْفَقِيه أبي بكر بن الْعَرَبِيّ[1] لاَزمه مُدَّة واشتغل عَلَيْهِ بِعلم الحَدِيث .

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري ، المشهور بالقاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي المالكي الحافظ عالم أهل الأندلس ومسندهم ، وهو غير محي الدين بن عربي الصوفي - من حفاظ الحديث .

وَكَانَ أَبُو جَعْفَر بن هَارُون يروي الحَدِيث وَهُوَ شيخ أبي الْوَلِيد بن رشد فِي التعاليم والطب وَأَصله من ترجالة من ثغور الأندلس .

وَهِي الَّتِي أَصَابَهَا الْمَنْصُور خَالِيَة وهرب أَهلهَا وعمرها الْمُسلمُونَ .

وَكَانَ أَبُو جَعْفَر هَارُون أَيْضا عَالما بصناعة الْكحل وَله آثَار فاضلة فِي المداواة .

حَدث القَاضِي أَبُو مَرْوَان مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الْملك اللَّخْمِيّ ثمَّ الْبَاجِيّ أَن أَخَاهُ القَاضِي أَبَا عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد لما كَانَ صَغِيرا أصَاب عينه عود واخترق السوَاد حَتَّى أَنه يئس لَهُ من الْبُرْء فاستدعى أَبوهُ أَبَا جَعْفَر بن هَارُون وَأرَاهُ عين وَلَده وَقَالَ لَهُ أَنا أدفَع لَك ثلاثمائة دينَار وتعالجها .

فَقَالَ وَالله مَا حَاجَة إِلَى هَذَا الَّذِي ذكرته وَإِنَّمَا أداويه وَيصْلح إِن شَاءَ الله تَعَالَى .

وَشرع فِي مداواته إِلَى أَن صلحت عينه وأبصر بهَا وَأصَاب ابْن هَارُون خدر وَضعف فِي أَعْضَائِهِ فالتزم دَاره بأشبيلية وَكَانَ يطب النَّاس وَتُوفِّي بأشبيلية .

أَبُو الْوَلِيد بن رشد

هُوَ القَاضِي أَبُو الْوَلِيد مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن رشد مولده ومنشؤه بقرطبة مَشْهُور بِالْفَضْلِ معتن بتحصيل الْعُلُوم أوحد فِي علم الْفِقْه وَالْخلاف واشتغل على الْفَقِيه الْحَافِظ أبي مُحَمَّد بن رزق .

وَكَانَ أَيْضا متميزا فِي علم الطِّبّ وَهُوَ جيد التصنيف حسن الْمعَانِي

وَله فِي الطِّبّ كتاب الكليات وَقد أجَاد فِي تأليفه .

وَكَانَ بَينه وَبَين أبي مَرْوَان بن زهر مَوَدَّة .

وَلما ألف كِتَابه هَذَا فِي الْأُمُور الْكُلية قصد من ابْن زهر أَن يؤلف كتابا فِي الْأُمُور الْجُزْئِيَّة لتَكون جملَة كِتَابَيْهِمَا ككتاب كَامِل فِي صناعَة الطِّبّ .

وَلذَلِك يَقُول ابْن رشد فِي آخر كِتَابه مَا هَذَا نَصه قَالَ فَهَذَا هُوَ القَوْل فِي معالجة جَمِيع أَصْنَاف الْأَمْرَاض بأوجز مَا أمكننا وأبينه وَقد بَقِي علينا من هَذَا الْجُزْء القَوْل فِي شِفَاء عرض عرض من الْأَعْرَاض الدَّاخلَة على عُضْو عُضْو من الْأَعْضَاء .

وَهَذَا وَأَن لم يكن ضَرُورِيًّا لِأَنَّهُ منطو بِالْقُوَّةِ فِيمَا سلف من الْأَقَاوِيل الْكُلية فَفِيهِ تتميم مَا وارتياض لأَنا ننزل فِيهَا إِلَى علاجات الْأَمْرَاض بِحَسب عُضْو عُضْو وَهِي الطَّرِيقَة الَّتِي سلكها أَصْحَاب الكنانيش حَتَّى نجمع فِي أقاويلنا هَذِه إِلَى الْأَشْيَاء

الْكُلية الأُمُور الجُزْئِيَّة .

فَإِن هَذه الصِّنَاعَة أَحَق صناعَة ينزل فِيهَا إِلَى الأُمُور الجُزْئِيَّة مَا أمكن إِلاَّ أَنا نؤخر هَذَا إِلَى وَقت نَكُون فِيه أَشد فراغا لعنايتنا فِي هَذَا الْوَقْت بِمَا يهم من غير ذَلِك فَمن وَقع لَهُ هَذَا الْكتاب دون هَذَا الجُزْء وَأحب أَن ينظر بعد ذَلِك إِلَى الكنانيش فأوفق الكنانيش لَهُ الْكتاب الملقب بالتيسير الَّذِي أَلفه فِي زَمَاننَا هَذَا أَبُو مَرْوَان بن زهر وَهَذَا الْكتاب سَأَلته أَنا إِيَّاه وانتسخته فَكَانَ ذَلِك سَبِيلا إِلَى خُرُوجه وَهُوَ كَمَا قُلْنَا كتاب الأَقَاوِيل الجُزْئِيَّة الَّتِي قلت فِيه شَدِيدَة الْمُطَابقَة للأقاويل الْكُلية إِلاَّ أَنه مزج هُنَالك مَعَ العلاج العلامات وَإِعْطَاء الأَسْبَاب على عَادَة أَصْحَاب الكنانيش وَلاَ حَاجَة لمن يقْرَأ كتابنَا هَذَا إِلَى ذَلِك بل يَكْفِيه من ذَلِك مُجَرّد العلاج فَقَط .

وَبِالجُمْلَة من تحصل لَهُ مَا كتبناه من الأَقَاوِيل الْكُلية أمكنه أَن يقف على الصَّوَاب وَالخَطَأ من مداواة أَصْحَاب الكنانيش فِي تَفْسِير العلاج والتركيب .

وحَدث القَاضِي أَبُو مَرْوَان الْبَاجِيّ قَالَ كَانَ القَاضِي أَبُو الْوَلِيد بن رشد حسن الرَّأْي ذكيا رث البزة قوي النَّفس وَكَانَ قد اشْتغل بالتعاليم وبالطب على أبي جَعْفَر بن هَارُون ولازمه مُدَّة وَأخذ عَنهُ كثيرا من الْعُلُوم الْحِكمِيَّة .

وَكَانَ ابْن رشد قد قضى مُدَّة فِي أشبيلية قبل قرطبة وَكَانَ مكينا عنْد الْمَنْصُور وجيها فِي دولته وَكَذَلِكَ أَيْضا كَانَ وَلَده النَّاصِر يحترمه كثيرا قَالَ وَلما كَانَ الْمَنْصُور بقرطبة وَهُوَ مُتَوَجّه إِلَى غَزْو ألفنس وَذَلِكَ فِي عَام أحد وَتسْعين وَخَمْسمائة استدعى أَبَا الْوَلِيد بن رشد فَلَمَّا حضر عنْده احترمه كثيرا وقربه إِلَيْه حَتَّى تعدى بِهِ الْموضع الَّذِي كَانَ يجلس فِيه أَبُو مُحَمَّد عبد الْوَاحِد بن الشَّيْخ حَفْص الهنتاتي صَاحب عبد الْمُؤمن وَهُوَ الثَّالِث أَو الرَّابِع من الْعشْرَة وَكَانَ هَذَا أَبُو مُحَمَّد عبد الْوَاحِد قد صاهره الْمَنْصُور وزوجه بابنته لعظم مَنْزِلَته عنْده ورزق عبد الْوَاحِد منْهَا ابْنا اسْمه عَليّ وَهُوَ الْآن صَاحب إفريقية فَلَمَّا قرب الْمَنْصُور ابْن رشد وَأَجْلسهُ إِلَى جَانبه حادثه ثمَّ خرج من عنْده وَجَمَاعَة الطلبه وَكثير من أَصْحَابه ينتظرونه فهنؤوه بمَنْزِلَته عنْد الْمَنْصُور وإقباله عَلَيْه فَقَالَ وَالله إِن هَذَا لَيْسَ مِمَّا يسْتَوْجب الهناء به فَإِن أَمِير الْمُؤمنِينَ قد قربني دفْعَة إِلَى أَكثر مِمَّا كنت أؤمله فِيه أَو يصل رجائي إِلَيْه وَكَانَ جمَاعَة من أعدائه قد شيعوا بِأَن أَمِير الْمُؤمنِينَ قد أَمر بقتْله فَلَمَّا خرج سالما أَمر بعض خدمه أَن يمْضِي إِلَى بَيته وَيَقُول لَهُم إِن يصنعوا لَهُ قطا وفراخ حمام مسلوقة إِلَى مَتى يَأْتِي إِلَيْهِم وَإِنَّمَا كَانَ غَرَضه بذلك تطييب قُلُوبهم بعافيته ثمَّ أَن الْمَنْصُور فِيمَا بعد نقم على أبي

الْوَلِيد بن رشد وَأمر بِأَن يُقيم فِي اليسانة وَهِي بلد قريب من قرطبة وَكَانَت أَولا للْيَهُود وَأَن لاَ يخرج عَنْهَا .

ونقم أَيْضا على جمَاعَة أخر من الْفُضَلاَء الأَْعْيَان وَأمر أَن يكُونُوا فِي مَوَاضع أخر وَأظْهر أَنه فعل بهم ذَلِك بِسَبَب مَا يَدعِي فيهم أَنهم مشتغلون بالحكمة وعلوم الأَْوَائِل .

وَهَؤُلاَء الْجَمَاعَة هم أَبُو الْوَلِيد بن رشد وَأَبُو جَعْفَر الذَّهَبِيّ والفقيه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم قَاضِي بجاية وَأَبُو الرّبيع الكفيف وَأَبُو الْعَبَّاس الْحَافِظ الشَّاعِر القرابي .

وبقوا مُدَّة ثمَّ أَن جمَاعَة من الأَْعْيَان بأشبيلية شهدُوا لابْن رشد أَنه على غير مَا نسب إِلَيْهِ فَرضِي الْمَنْصُور عَنهُ وَعَن سَائِر الْجَمَاعَة وَذَلِكَ فِي سنة خمس وَتِسْعين وَخَمْسمائة .

وَجعل أَبَا جَعْفَر الذَّهَبِيّ مزوارا للطلبة ومزوارا للأطباء .

وَكَانَ يصفه الْمَنْصُور ويشكره وَيَقُول إِن أَبَا جَعْفَر الذَّهَبِيّ كالذهب الإبريز الَّذِي لم يَزْدَدْ فِي السبك إِلاَّ جودة .

قَالَ القَاضِي أَبُو مَرْوَان وَمِمَّا كَانَ فِي قلب الْمَنْصُور من ابْن رشد أَنه كَانَ مَتى حضر مجْلِس الْمَنْصُور وَتكلم مَعَه أَو بحث عِنْده فِي شَيْء من الْعلم يُخَاطب الْمَنْصُور بِأَن يَقُول تسمع يَا أخي .

وَأَيْضًا فَإِن ابْن رشد كَانَ قد صنف كتابا فِي الْحَيَوَان وَذكر فِيهِ أَنْوَاع الْحَيَوَان ونعت كل وَاحِد مِنْهَا .

فَلَمَّا ذكر الزرافة وصفهَا ثمَّ قَالَ وَقد رَأَيْت الزرافة عِنْد ملك البربر يَعْنِي الْمَنْصُور فَلَمَّا بلغ ذَلِك الْمَنْصُور صَعب عَلَيْهِ وَكَانَ أحد الأَْسْبَاب الْمُوجبَة فِي أَنه نقم على ابْن رشد وأبعده .

وَيُقَال إِنَّه مِمَّا اعتذر بِهِ ابْن رشد أَنه قَالَ إِنَّمَا قلت ملك البرين وَإِنَّمَا تصحفت على الْقَارئ فَقَالَ ملك البربر .

وَكَانَت وَفَاة القَاضِي أبي الْوَلِيد بن رشد رَحمَه الله فِي مراكش أول سنة خمس وَتِسْعين وَخَمْسمائة وَذَلِكَ فِي أول دولة النَّاصِر وَكَانَ ابْن رشد قد عمر عمرا طَويلا وَخلف ولدا طَبِيبا عَالما بالصناعة يُقَال لَهُ أَبُو مُحَمَّد عبد الله .

وَخلف أَيْضا أَوْلاَدًا قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا فِي قَضَاء الكور .

وَمن كَلاَم أبي الْوَلِيد بن رشد قَالَ من اشْتغل بِعلم التشريح ازْدَادَ أيمانا بِاللَّه .

أَبُو الحْجَّاج يُوسُف بن موراطير

من شَرْقي الأندلس وموراطير قَرْيَة قريبَة من بلنسية .

كَانَ فَاضلا فِي صناعَة الطِّبّ خَبِيرا بهَا مزاولا لأعمالها مَحْمُود الطَّرِيقَة حسن الرَّأْي عَالما بالأمور الشَّرْعِيَّة وَسمع الحَدِيث وَقَرَأَ الْمُدَوَّنَة .

وَكَانَ أديبا شَاعِرًا محبا للمجون كثير النادرة .

حَدث القَاضِي أَبُو مَرْوَان الْبَاجِيّ قَالَ كُنَّا فِي تونس مَعَ النَّاصِر وَكَانَ فِي الْعَسْكَر غلاء وَقل وجود الشّعير فَعمل أَبُو الْحجَّاج بن موراطير موشحا فِي النَّاصِر وأتى فِي ضمنه تَغْيِير بَيت عمله الْحفِيد أَبُو بكر بن زهر فِي بضع موشحاته وَذَلِكَ أَن ابْن زهر قَالَ :

(مَا الْعِيد فِي حلَّة وطاق وشم طيب   وَإِنَّمَا الْعِيد فِي التلاقي مَعَ الحبيب)

وَكَانَ مفننا وخدم بصناعة الطِّبّ الْمَنْصُور وَكَانَ مكينا عِنْده وجيها فِي دولته .

وَكَانَ الْمَنْصُور فِي عَام ثَمَانِينَ وَخَمْسمائة حمله مَعَه لما ولي الْخلَافَة وَكَانَ ابْن غلندو صَاحب كتب كَثِيرَة وَيكْتب خطين أندلسيين وَتُوفِّي بمراكش وَدفن بهَا .

عَليّ بن رضوَان

هُوَ أَبُو الْحسن عَليّ بن رضوَان بن عَليّ بن جَعْفَر وَكَانَ مولده ومنشؤه بِمصْر وَبهَا تعلم الطِّبّ .

وَقد ذكر عَليّ بن رضوَان فِي سيرته من كَيْفيَّة تعلمه صناعَة الطِّبّ وأحواله مَا هَذَا نَصه .

قَالَ إِنَّه لما كَانَ يَنْبَغِي لكل إِنْسَان أَن ينتحل أليق الصَّنَائِع بِهِ وأوفقها لَهُ وَكَانَت صناعَة الطِّبّ تتاخم الفلسفة طَاعَة لله عز وَجل وَكَانَت دلالات النُّجُوم فِي مولدِي تدل على أَن صناعتي الطِّبّ .

وَكَانَ الْعَيْش عِنْدِي فِي الْفَضِيلَة ألذ من كل عَيْش أخذت فِي تعلم صناعَة الطِّبّ وَأَنا ابْن خمس عشرَة سنة وَالأجود أَن أقتص إِلَيْك أَمْرِي كُله ولدت بِأَرْض مصر فِي عرض ثَلَاثِينَ دَرَجَة وَطول خمس وَخمسين دَرَجَة والطالع بزيج يحيى بن أبي مَنْصُور الْحمل هـ لَو وعاشرة الجدي هـ كح ومواضع الْكَوَاكِب الشَّمْس بالدلو اه

لب وَالْقَمَر بالعقرب ح يه وَعرضه جنوب ح يز وزحل بِالْقَوْسِ كط وَلِلْمُشْتَرِي بالجدي هـ كح والمريخ بالدلو كا مح والزهرة بِالْقَوْسِ كد ك وَعُطَارِد بالدلو يط وَسَهْم السَّعَادَة بالجدي د هـ وجزء الاسْتِقْبَال الْمُتَقَدّم بالسرطان كب ي والجوزهر بِالْقَوْسِ يز يَا والذنب بالجوزاء يز مَا والنسر الْوَاقِع بالجدي اكب والشعرى العبور بالسرطان يب .

فَلَمَّا بلغت السّنة السَّادِسَة أسلمت نَفسِي فِي التَّعْلِيم وَلما بلغت السّنة الْعَاشِرَة انْتَقَلت إِلَى الْمَدِينَة الْعُظْمَى واجهدت نَفسِي فِي التَّعْلِيم

وَلما أَقمت أَربع عشرَة سنة أخذت فِي تعلم الطِّبّ والفلسفة وَلم يكن لي مَال انفق مِنْهُ فَلذَلِك عرض لي فِي التَّعَلُّم صعوبة ومشقة .

فَكنت مرّة أتكسب بصناعة القضايا بالنجوم وَمرَّة بصناعة الطِّبّ وَمرَّة بالتعليم .

وَلم أزل كَذَلِك وَأَنا فِي غَايَة الاجْتِهَاد فِي التَّعْلِيم إِلَى السّنة الثَّانِيَة وَالثَّلَاثِينَ فَإِنِّي اشتهرت فِيهَا بالطب وكفاني مَا كنت أكسبه بالطب بل وَكَانَ يفضل عني إِلَى وقتي هَذَا وَهُوَ آخر السّنة التَّاسِعَة وَالْخمسين .

وكسبت مِمَّا فضل عَن نفقتي أملاكا فِي هَذِه الْمَدِينَة إِن كتب الله عَلَيْهَا السَّلامَة وَبَلغنِي سنّ الشيخوخة كفاني فِي النَّفَقَة عَلَيْهَا .

وَكنت مُنْذُ السّنة الثَّانِيَة وَالثَّلَاثِينَ إِلَى يومي هَذَا أعمل تذكرة لي وأغيرها فِي كل سنة إِلَى أَن قررتها على هَذَا التَّقْرِير الَّذِي أستقبل بِهِ السّنة السِّتين من ذَلِك .

أتصرف فِي كل يَوْم فِي صناعتي بِمِقْدَار مَا يُغني وَمن الرياضة الَّتِي تحفظ صِحَة الْبدن وأغتذي بعد الاسْتِرَاحَة من الرياضة غذَاء أقصد بِهِ حفظ الصِّحَّة وأجتهد فِي حَال تصرفي فِي التَّوَاضُع والمداراة وغياث الملهوف وكشف كربَة المكروب وإسعاف الْمُحْتَاج .

وَأَجْعَل قصدي فِي كل ذَلِك الالتذاذ بالأفعال والانفعالات الجميلة .

وَلاَ بُد أَن يحصل مَعَ ذَلِك كسب مَا ينْفق فأنفق مِنْهُ على صِحَة بدني وَعمارَة منزلي نَفَقَة لاَ تبلغ التبذير وَلاَ تنحط التقتير وَتلْزم الْحَال الْوُسْطَى بِقدر مَا يُوجبهُ التعقل فِي كل وَقت واتفقد آلَات منزلي فَمَا يحْتَاج إِلَى إصْلَاح صلحته وَمَا يحْتَاج إِلَى بدل بدلته وَأعد فِي منزلي مَا يحْتَاج إِلَيْهِ من الطَّعَام وَالشرَاب وَالْعَسَل وَالزَّيْت والحطب وَمَا يحْتَاج إِلَيْهِ من الثِّيَاب فَمَا فضل بعد ذَلِك كُله صرفته فِي وُجُوه الْجَمِيل وَالْمَنَافِع مثل إِعْطَاء الْأَهْل والأخوان وَالْجِيرَان وَعمارَة الْمنزل .

وَمَا اجْتمع من غلَّة أملاكي أدخرته لعمارتها ومرمتها ولوقت الْحَاجة إِلَى مثله .

وَإِذا هَمَمْت لتجديد أَمر مثل تِجَارَة أَو بِنَاء أَو غير ذَلِك فرضته مَطْلُوبا وحللته إِلَى مَوْضُوعَاته ولوازمها .

فَإِن وجدته من الْممكن الْأَكْثَر بادرت إِلَيْهِ وَإِن وجدته من الْممكن الْقَلِيل أطرحته .

وأتعرف مَا يمكنني تَعْرِيفه من الْأُمُور المزمعة وآخذ لَهُ أهبته .

وَأَجْعَل ثِيَابِي مزينة بشعار الأخيار والنظافة وَطيب الرَّائِحَة .

وألزم الصمت وكف اللِّسَان عَن معايب النَّاس .

وأجتهد أَن لاَ أَتكَلّم إِلاَّ بِمَا يَنْبَغِي .

وأتوقى الْأَيْمَان ومثالب الآراء فأحذر الْعجب وَحب الْغَلَبَة وأطرح الْهم الحرصي والاغتمام .

وَإِن دهمني أَمر فادح أسلمت فِيهِ إِلَى الله تَعَالَى وقابلته بِمَا يُوجِبهُ التعقل من غير جبن وَلاَ تهور .

وَمن عاملته عاملته يدا بيد لاَ أَسف وَلاَ أتسلف إِلاَّ أَن أضطر لذَلِك .

وَإِن طلب مني أحد سلفا وهبت مِنْهُ وَلم أرد مِنْهُ عوضا وَمَا بَقِي من يومي بعد فراغي من رياضتي صرفته فِي عبَادَة الله سُبْحَانَهُ بِأَن أتنزه بِالنّظرِ فِي ملكوت السَّمَوَات وَالْأَرْض وتمجيد محكمها وأتدبر مقَالَة أرسطاطاليس فِي التَّدْبِير وآخذ نَفسِي بِلُزُوم وصاياها بالغدة والعشي وأتفقد فِي وَقت خلوتي مَا سلف فِي يومي من أفعالي وانفعالاتي .

فَمَا كَانَ خيرا أَو جميلا أَو نَافِعًا سررت بِهِ وَمَا كَانَ شرا أَو قبيحا أَو ضارا اغتممت بِهِ ووافقت نَفسِي بِأَن لاَ أَعُود إِلَى مثله .

قَالَ وَأما الْأَشْيَاء الَّتِي أتنزه فِيهَا فلأني فرضت نزهتي ذكر الله عز وَجل وتمجيده بِالنّظرِ فِي ملكوت السَّمَاء وَالْأَرْض .

وَكَانَ قد كتب القدماء والعارفون فِي ذَلِك كتبا كَثِيرَة رَأَيْت أَن أقتصر مِنْهَا على مَا أنصه من ذَلِك خَمْسَة كتب من كتب الْأَدَب وَعشرَة كتب من كتب الشَّرْع وَكتب أبقراط وجالينوس فِي صناعَة الطِّبّ وَمَا جانسها مثل كتاب الحشائش لديسقوريدس وَكتب روفس وأريباسيوس وبولس وَكتاب الْحَاوِي للرازي وَمن كتب الفلاحة والصيدلة أَرْبَعَة كتب وَمن كتب التعاليم المجسطي ومداخله وَمَا أنتفع بِهِ فِيهِ والمربعة لبطلميوس وَمن كتب العارفين كتب أفلاطن وأرسطوطاليس والإسكندر وثامطيوس

وَمُحَمّد الفارابي وَمَا أنتفع بِه فِيهَا .
وَمَا سوى ذَلِك إِمَّا أبيعه بِأَيّ ثمن اتّفق وَإِمَّا أَن أخزنه فِي صناديق .
وَبيعه أَجود من خزنه .

افرائيم بَين الزفان

هُوَ أَبُو كثير افرائيم بن الْحسن بن إِسْحَق بن إِبْرَاهِيم بن يَعْقُوب .
إسرائيلي الْمَذْهَب وَهُوَ من الْأَطِبَّاء الْمَشْهُورين بديار مصر وخدم الْخُلَفَاء الَّذين كَانَ فِي زمانهم وَحصل من جهتهم من الْأَمْوَال وَالنعَم شَيْئا كثيرا جدا .
وَكَانَ قد قَرَأَ صناعَة الطِّبّ على أبي الْحسن عَليّ بن رضوَان وَهُوَ من أجل تلامذته وَكَانَت لَهُ همة عالية فِي تَحْصِيل الْكتب وَفِي استنساخها حَتَّى كَانَت عِنْده خَزَائِن كَثِيرَة من الْكتب الطبية وَغَيرهَا .
وَكَانَ أبدا عِنْده النساخ يَكْتُبُونَ وَلَهُم مَا يقوم بكفايتهم مِنْهُ .
وَمن جُمْلَتهمْ مُحَمَّد بن سعيد بن هِشَام الحجري وَهُوَ الْمَعْرُوف بِابْن ملساقه وَوجدت بِخَط هَذَا عدَّة كتب قد كتبهَا لافرائيم وَعَلَيْهَا خطّ افرائيم .
وَمِمَّا روي أَن رجلا من الْعرَاق كَانَ قد أَتَى إِلَى الديار المصرية ليَشْتَرِي كتبا وَيتَوَجَّهُ بهَا وَأَنه اجْتمع مَعَ افرائيم وَاتفقَ الْحَال فِيمَا بَينهمَا أَن بَاعه افرائيم من الْكتب الَّتِي عِنْده عشرَة آلَاف مُجَلد وَكَانَ ذَلِك فِي أَيَّام ولَايَة الْأَفْضَل ابْن أَمِير الجيوش فَلَمَّا سمع بذلك أَرَادَ أَن تلْكَ الْكتب تبقى فِي المصرية وَلَا تنْتَقل إِلَى مَوضع آخر فَبعث إِلَى افرائيم من عِنْده بجملة المَال الَّذِي كَانَ قد اتّفق تثمينه بَين افرائيم والعراقي ونقلت الْكتب إِلَى خزانَة الْأَفْضَل وكتبت عَلَيْهَا أَلْقَابه وَلِهَذَا أنني قد وجدت كتبا كَثِيرَة من الْكتب الطبية وَغَيرهَا عَلَيْهَا اسْم افرائيم وألقاب الْأَفْضَل أَيْضا .
وَخلف افرائيم من الْكتب مَا يزِيد على عشْرين ألف مُجَلد وَمن الْأَمْوَال النعم شَيْئا كثيرا جدا .
ولافرائيم بن الزفان من الْكتب تعاليق ومجريات جعلهَا على جِهَة الكناش وَوجدت هَذَا الْكتاب بِخَطِّه وَقد استقصى فِيهِ ذكر الْأَمْرَاض ومداواتها وَقد ذكر فِي أَوله مَا هَذَا نَصه قَالَ أَقُول وَأَنا افرائيم إِنَّنِي جعلت هَذَا الْكتاب تذكرة على طَرِيق الْمَجْمُوع لَا على جِهَة التصنيف احْتِيَاطًا على من يعالج من السَّهْو .
كتاب التَّذْكِرَة الطبية فِي مصلحَة الْأَحْوَال الْبَدَنِيَّة ألفها لنصير الدولة أبي عَليّ

الْحُسَيْن بن أبي عَليّ الْحسن بن حمدَان لما أَرَادَ الانْفصَال عَن مصر والتوجه إِلَى ثغر الإِسْكَنْدَرِيَّة والبحيرة وَتلك الأَعْمَال مقَالَة فِي التَّقْرِير القياسي على أَن البلغم يكثر تولده فِي الصَّيف وَالدَّم والمرار الأَصْفَر فِي الشتَاء .

ابْن الْعين زَرْبِي

هُوَ الشَّيْخ موفق الدّين أَبُو نصر عدنان بن نصر بن مَنْصُور من أهل عين زربة وَأقَام بِبَغْدَاد مُدَّة واشتغل بصناعة الطِّبّ بالعلوم الْحكمِيَّة وَمهر فِيهَا وخصوصا فِي علم النُّجُوم .

ثمَّ بعد ذَلِك انْتقل من بَغْدَاد إِلَى الديار المصرية إِلَى حِين وَفَاته وخدم الْخُلَفَاء المصريين حظي فِي أيامهم وتميز فِي دولتهم وَكَانَ من أجل الْمَشَايِخ وَأَكْثَرهم علما فِي صناعَة الطِّبّ .

وَكَانَت لَهُ فراسة حَسَنَة وإنذارات صائبة فِي معالجاته .

وصنف بديار مصر كتبا كَثِيرَة فِي صناعَة الطِّبّ وَفِي الْمنطق وَفِي غير ذَلِك من الْعُلُوم .

وَكَانَت لَهُ تلاميذ عدَّة يشتغلون عَلَيْه وكل مِنْهُم تميز وبرع فِي الصِّنَاعَة .

وَكَانَ ابْن الْعين زَرْبِي فِي أول أمره إِنَّمَا يتكسب بالتنجيم .

قيل أَن سَبَب اشتهار جده فِي الديار المصرية واتصاله بالخلفاء أَنه ورد من بَغْدَاد رَسُول إِلَى ديار مصر وَكَانَ يعرف ابْن الْعين زَرْبِي بِبَغْدَاد وَمَا هُوَ عَلَيْه من الْفضل والتحصيل والإتقان لكثير من الْعُلُوم فَلَمَّا كَانَ مارا فِي بعض الطّرق بالْقَاهِرَة وَإِذا به قد وجد ابْن الْعين زَرْبِي جَالِسا وَهُوَ يتكسب بالتنجيم فعرفهُ وَسلم عَلَيْه وَبَقِي مُتَعَجِّبا من كَثْرَة تَحْصِيله للعلوم وَكَونه متميزا فِي علم صناعَة الطِّبّ وَهُوَ على تِلْكَ الْحَال وَبَقِي فِي خاطره ذَلِك .

فَلَمَّا اجْتمع بالوزير وتحدثا أجْرى ذكر ابْن الْعين زَرْبِي وَمَا هُوَ عَلَيْه من الْعلم وَالْفضل والتقدم فِي صناعَة الطِّبّ وَغَيرهَا وكونهم لم يعرفوا قدره وَلَا انْتهى إِلَيْهِم أمره وَإِن الْوَاجِب فِي مثل هَذَا لَا يهمل فاشتاق الْوَزير إِلَى رُؤْيَته والاجتماع بمشاهدته فَاسْتَحْضر وَسمع كَلَامه فأعجب به وَاسْتحْسن مِمَّا سَمعه مِنْهُ وَتحقّق فَضله ومنزلته فِي الْعلم وأنهى أمره إِلَى الْخَلِيفَة فَأطلق لَهُ مَا يَلِيق بِمثلِهِ وَلم تزل أنعامهم تصل إِلَيْهِ ومواهبهم تتوالى عَلَيْهِ .

الشَّيْخ السديد رَئِيس الطِّبّ

هُوَ القَاضِي الأَجَل السديد أَبُو الْمَنْصُور عبد الله بن الشَّيْخ السديد أبي الْحسن عَليّ وَكَانَ لقب القَاضِي أبي الْمَنْصُور شرف الدّين وَإِنَّمَا غلب عَلَيْهِ لقب أَبِيه وَعرف بِهِ وَصَارَ لَهُ علما بِأَن يُقَال الشَّيْخ السديد وَكَانَ عَالما بصناعة الطِّبّ خَبِيرا بأصولها وفروعها جيد المعالجة كثير الدربة حسن الأَعْمَال بِالْيَد .

وخدم الْخُلَفَاء المصريين وحظي فِي أيامهم ونال من جهتهم من الأَمْوَال الوافرة وَالنعَم الجسيمة مَا لم ينله غَيره من سَائِر الأَطِبَّاء الَّذين كَانُوا فِي زَمَانه وَلاَ قَرِيبا مِنْهُ وَكَانَت لَهُ عِنْدهم الْمنزلَة الْعليا والجاه الَّذِي لاَ مزِيد عَلَيْهِ .

وَعمر عمرا طَويلا .

وَكَانَ من بيتوتة صناعَة الطِّبّ .

وَكَانَ أَبوهُ أَيْضا طَبِيبا للخلفاء المصريين مَشْهُورا فِي أيامهم .

حَدث القَاضِي نَفِيس الدّين بن الزبير وَكَانَ قد لحق الشَّيْخ السديد وَقَرَأَ عَلَيْهِ صناعَة الطِّبّ قَالَ قَالَ لي الشَّيْخ السديد رَئِيس الطِّبّ إِن أول من مثلت بَين يَدَيْهِ من الْخُلَفَاء وأنعم عَليّ الآمر بِأَحْكَام الله وَذَلِكَ أَن أبي كَانَ طَبِيبا فِي خدمته وَكَانَ مكينا عِنْده رفيع الْمنزلَة فِي أَيَّامه .

قَالَ وَكنت صَبيا فِي ذَلِك الْوَقْت فَكَانَ أبي يهب لي فِي كل يَوْم دَرَاهِم وأجلس عِنْد بَاب الدَّار الَّتِي لنا واقصد جمَاعَة فِي كل نَهَار حَتَّى تمرنت وَصَارَت لي دربة جَيِّدَة فِي الفصد وَكنت قد شدوت شَيْئا من صناعَة الطِّبّ فذكرني أبي عِنْد الآمِر وَأخْبرهُ بِمَا أَنا عَلَيْهِ وإنني أعرف صناعَة الفصد ولي دربة جَيِّدَة بهَا .

فاستدعاني فتوجهت إِلَيْهِ وَأَنا بِحَالَة جميلَة من الملبوس الفاخر والمركوب الفاره المتحلي بِمثل الطوق الذَّهَب وَغَيره .

وإنني لما دخلت إِلَيْهِ الْقصر مشيت مَعَ أبي حَتَّى صرنا بَين يَدَيْهِ فَقبلت الأَرْض وخدمت .

فَقَالَ لي أفصد هَذَا الأُسْتَاذ وَكَانَ وَاقِفًا بَين يَدَيْهِ .

فَقلت السّمع وَالطَّاعَة .

ثمَّ جيئ بطشت فضَّة وشددت عضده وَكَانَت لَهُ عروق بَيِّنَة الظُّهُور ففصدته وربطت مَوضِع الفصادة .

فَقَالَ لي أَحْسَنت وَأمر لي بأنعام كَثِيرَة وخلع فاخرة وصرت من ذَلِك الْوَقْت

مترددا إِلَى الْقصر وملازما للْخدمَة .

وَأطلق لي من الْجَارِي مَا يقوم بكفايتي على أفضل الْأَحْوَال الَّتِي أؤملها وتواترت عَليّ من الهبات والإطلاقات الشَّيْء الْكثير .

وحَدث أسعد الدّين عبد الْعَزِيز بن أبي الْحسن أَن الشَّيْخ السديد حصل لَهُ فِي يَوْم وَاحِد من الْخُلَفَاء فِي بعض معالجاته لأَحَدهم ثَلَاثُونَ ألف دِينَار .

وَقَالَ القَاضِي نَفِيس الدّين بن الزبير عَنهُ أَنه لما طهر وَلَدي الْحَافِظ لدين الله حصل لَهُ فِي ذَلِك الْوَقْت من المَال نَحْو خمسين ألف دِينَار وَأكْثر من ذَلِك سوى مَا كَانَ فِي الْمجْلس من أواني الذَّهَب وَالْفِضَّة فَإِنَّهَا وهبت جَمِيعهَا لَهُ وَكَانَت لَهُ همة عالية وأنعام عَام .

وحَدث الشَّيْخ رَضِي الدّين الرَّحبِي قَالَ لما وصل الْمُهَذّب بن النقاش إِلَى الشَّام من بَغْدَاد وَكَانَ فَاضلا فِي صناعَة الطِّبّ أَقَامَ بدمَشْق مُدَّة وَلم يحصل لَهُ بهَا مَا يقوم بكفايته وَسمع بالديار المصرية وأنعام الْخُلَفَاء فِيهَا وكرمهم وإحسانهم إِلَى من يقصدهم وَلَا سِيمَا من أَرْبَاب الْعلم وَالْفضل وتاقت نَفسه إِلَى السّفر وتوجهت أمانيه إِلَى الديار المصرية .

فَلَمَّا وَصلهَا أَقَامَ بهَا أَيَّامًا وَكَانَ قد سمع بالشيخ السديد طَبِيب الْخُلَفَاء وَمَا هُوَ عَلَيْهِ من الأفضال وسعة الْحَال والأخلاق الجميلة والمروءة العزيزة .

فَمشى إِلَى دَاره وَسلم عَلَيْهِ وعرفه بصناعته وَأَنه إِنَّمَا أَتَى قَاصدا إِلَيْهِ ومفوضا كل أُمُوره لَدَيْهِ ومغترفا من بَحر علمه ومعترفا بِأَن مهما يصله من جِهَة الْخُلَفَاء فَإِنَّمَا هُوَ من بره وَيكون معتدا لَهُ بذلك فِي سَائِر عمره .

فَتَلقاهُ الشَّيْخ السديد بِمَا يَلِيق بمثله وأكرمه غَايَة الْإِكْرَام .

ثمَّ بعد ذَلِك قَالَ لَهُ وَكم تُؤثر أَن يُطلق لَك من الجامكية إِذا كنت مُقيما بِالْقَاهِرَةِ فَقَالَ يَا مَوْلَانَا يَكْفِينِي مهما ترَاهُ وَمَا تَأمر بِهِ .

فَقَالَ لَهُ قل بِالْجُمْلَةِ .

فَقَالَ وَالله أَن أطلق لي فِي كل شهر من الْجَارِي عشرَة دَنَانِير مصرية فَإِنِّي أَرَاهَا خيرا كثيرا .

فَقَالَ لَهُ لَا هَذَا الْقدر مَا يقوم بكفايتك على مَا يَنْبَغِي وَأَنا أَقُول لوكيلي إِن يوصلك فِي كل شهر خَمْسَة عشر دِينَارا مصرية وقاعة قريبَة مني تسكنها وَهِي بِجَمِيعِ فرشها وطرحها وَجَارِيَة حسناء تكون لَك .

ثمَّ أخرج لَهُ بعد ذَلك خلعة فاخرة ألبسهُ إِيَّاهَا وَأمر الْغُلاَم أَن يَأْتِي لَهُ ببغلة من أَجود دوابه فَقدمهَا لَهُ ثمَّ قَالَ لَهُ هَذَا الْجَارِي يصلك فِي كل شهر وَجَمِيع مَا تحْتَاج إِلَيْهِ من الْكتب وَغَيرهَا فَهُوَ يَأْتِيك على مَا تختاره وَأُرِيد مِنْك أننا لاَ نخلو من الاجْتِمَاع والأنس وَإِنَّك لاَ تتطاول إِلَى شَيْء آخر من جِهَة الْخُلَفَاء وَلاَ تَتَرَدَّد إِلَى أحد من أَرْبَاب الدولة .

فَقبل ذَلك مِنْهُ وَلم يزل ابْن النقاش مُقيما فِي الْقَاهِرَة على هَذِه الْحَال إِلَى أَن رَجَعَ إِلَى الشَّام وَأقَام بِدِمَشْق إِلَى حِين وَفَاته .

وَكَانَ الشَّيْخ السديد قد قَرَأَ صناعَة الطِّبّ واشتغل على أبي نصر عدنان بن الْعين زَرْبِي .

وَلم يزل الشَّيْخ السديد مبجلا عِنْد الْخُلَفَاء وأحواله تنمى وحرمته عِنْدهم تتزايد من حِين الآْمر بِأَحْكَام الله إِلَى آخر أَيَّام العاضد بِاللَّه وَذَلِكَ أَنه كَانَ وَهُوَ صبي مَعَ أَبِيه فِي خدمَة الآْمر بِأَحْكَام الله وَهُوَ أَبُو الْمَنْصُور بن أبي الْقَاسِم أَحْمد المستعلي بِاللَّه بن الْمُسْتَنْصر إِلَى أَن اسْتشْهد الآْمِر فِي يَوْم الثُّلاَثَاء رَابِع ذِي الْقعدَة من سنة أَربع وَعشْرين وَخَمْسمائة بالجزيرة .

وَكَانَت مُدَّة خلاَفَته ثَمَانِيَة وَعشْرين سنة وَتسْعَة أشهر وَأَيَّام .

ثمَّ بَقِي فِي خدمَة الْحَافِظ لدين الله وَهُوَ أَبُو الميمون عبد الْمجِيد بن الأْمير أبي الْقَاسِم مُحَمَّد بن الإِمَام الْمُسْتَنْصر بِاللَّه وبويع لِلْحَافِظِ يَوْم استشهاد الآْمر وَلم يزل فِي خدمَة الْحَافِظ إِلَى أَن انْتقل فِي الْيَوْم الْخَامِس من جُمَادَى الآْخِرَة من سنة أَربع وَأَرْبَعين وَخَمْسمائة .

ثمَّ خدم بعده للظافر بِأَمْر الله وَهُوَ أَبُو مَنْصُور إِسْمَاعِيل بن الْحَافِظ لدين الله وبويع لَهُ فِي لَيْلَة صباحها الْخَامِس من جُمَادَى الآْخِرَة سنة أَربع وَأَرْبَعين وَخَمْسمائة عِنْد انْتِقَال وَالِده وَلم يزل فِي خدمته إِلَى أَن اسْتشْهد الظافر بِأَمْر الله وَذَلِكَ فِي التَّاسِع وَالْعِشْرين من الْمحرم سنة تسع وَأَرْبَعين وَخَمْسمائة .

ثمَّ بعد ذَلِك خدم الفائز بنصر الله وَهُوَ أَبُو الْقَاسِم عِيسَى بن الظافر بِأَمْر الله وبويع لَهُ فِي الثَّلاَثِينَ من الْمحرم سنة تسع وَأَرْبَعين وَخَمْسمائة وَلم يزل فِي خدمته إِلَى أَن انْتقل الفائز بنصر الله فِي سنة وَخَمْسمائة ثمَّ خدم بعده العاضد لدين الله وَهُوَ أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن الْمولى بن أبي الْحجَّاج يُوسُف بن الإِمَام الْحَافِظ لدين الله وَلم يزل فِي خدمَة العاضد لدين الله إِلَى أَن انْتقل فِي التَّاسِع من الْمحرم سنة سبع وَسِتِّينَ

وَخَمْسمائة وَهُوَ آخر الْخُلَفَاء المصريين وخدمهم ونال فِي أيامهم من العطايا السّنيَّة والمنن الوافرة خمس خلفاء الآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد .

ثمَّ لما استبد الْملك النَّاصِر صَلَاح الدّين يُوسُف بن أَيُّوب بِالْملكِ فِي الْقَاهِرَة وَاسْتولى على الدولة كَانَ يفتقد الشَّيْخ السديد بالأنعام الْكثير والهبات المتواترة والجامكية السّنيَّة مُدَّة مقامه بِالْقَاهِرَةِ إِلَى أَن توجه إِلَى الشَّام .

وَكَانَ يستطبه وَيعْمل على وَصفَاته وَمَا يُشِير بِهِ أَكثر من بَقِيَّة الْأَطِبَّاء وَلم يزل الشَّيْخ السديد رَئِيسا على سَائِر المتطببين إِلَى حِين وَفَاته .

وَكَانَ يسكن فِي الْقَاهِرَة عِنْد بَاب زويلة فِي دَار قد اعتنى بهَا وبولغ فِي تحسينها وَجَرت عَلَيْهِ فِي أَوَاخِر عمره محنة .

وَذَلِكَ أَن دَاره قد احترقت وَذهب لَهُ فِيهَا من الأثاث وَالْآلَات والأمتعة شَيْء كثير جدا وَلما تهدم بَعْضهَا من النَّار وَقعت براني كبار وخوابي ممتلئة من الذَّهَب الْمصْرِيّ وتكسرت وتناثر فِيمَا بعد الْحَرِيق وَالْهدم مِنْهَا الذَّهَب إِلَى كل نَاحيَة وَشَاهد النَّاس وَبَعضه قد انسبك من النَّار وَكَانَ مِقْدَار ذَلِك الوفا كَثِيرَة جدا .

وحَدث القَاضِي نَفِيس الدّين بن الزبير إِن الشَّيْخ السديد كَانَ قد رأى فِي مَنَامه قبل ذَلِك بِقَلِيل أَن دَاره الَّتِي هُوَ ساكنها قد احترقت فاشتغل سره بذلك وعزم على الِانْتِقَال مِنْهَا .

ثمَّ أَنه شرع فِي بِنَاء دَار قريبَة مِنْهَا وحث الصناع فِي بنائها وَعند كمالها حَيْثُ لم يبْق مِنْهَا إِلَّا مجْلِس وَاحِد وينتقل إِلَيْهَا احترقت دَاره الَّتِي كَانَ ساكنها وَذَلِكَ فِي السَّادِس وَالْعِشْرين من جُمَادَى الْآخِرَة سنة تسع وَسبعين وَخَمْسمائة وَالدَّار الَّتِي عمرها قَرِيبا مِنْهَا هِيَ الَّتِي صَارَت بعده للصاحب صفي الدّين بن شكر وَزِير الْملك الْعَادِل أبي بكر بن أَيُّوب وَهِي الَّتِي تعرف بِهِ الْآن .

ابْن جَمِيع

هُوَ الشَّيْخ الْمُوفق شمس الرياسة أَبُو العشائر هبة الله بن زين بن حسن بن افرائيم بن يَعْقُوب بن إِسْمَاعِيل بن جَمِيع الإسرائيلي من الْأَطِبَّاء الْمَشْهُورين وَالْعُلَمَاء الْمَذْكُورين والأكابر المتعينين .

وَكَانَ متفننا فِي الْعُلُوم جيد الْمعرفَة بهَا كثير الِاجْتِهَاد فِي صناعَة الطِّبّ حسن المعالجة جيد التصنيف .

وَقَرَأَ صناعَة الطِّبّ على الشَّيْخ الْموفق أبي نصر عدنان بن الْعين زَرْبِي وَلَزِمَه مُدَّة .
وَكَانَ مولد ابْن جَمِيع ومنشؤه بفسطاط مصر .
وخدم الْملك النَّاصِر صَلَاح الدّين يُوسُف بن أَيُّوب وحظي فِي أَيَّامه وَكَانَ رفيع الْمنزلَة عنْده عالي الْقدر نَافِذ الْأَمر يعْتَمد عَلَيْهِ فِي صناعَة الطِّبّ وَركب لَهُ الترياق الْكَبِير الْفَارُوق .
وَكَانَ لِابْنِ جَمِيع مجْلِس عَام للَّذين يشتغلون عَلَيْهِ بصناعة الطِّبّ وَذكر أَنه كَانَ كثير التَّحْصِيل فِي صناعَة الطِّبّ متصرفا فِي علمهَا فَاضلا فِي أَعمالهَا .
وَكَانَ لَهُ نظر فِي الْعَرَبيَّة وَتَحْقِيق للألفاظ اللُّغَوِيَّة .
وَكَانَ لَا يقْرَأ إِلَّا وَكتاب الصِّحَاح للجوهري حَاضر بَين يَدَيْهِ وَلَا تمر كلمة لُغَة لم يعرفهَا حق الْمعرفَة إِلَّا ويكشفها مِنْه .
وحَدث بعض المصريين أَن ابْن جَمِيع كَانَ يَوْمًا جَالِسا فِي دكانه عنْد سوق الْقَنَادِيل بفسطاط مصر وَقد مرت عَلَيْهِ جَنَازَة فَلَمَّا نظر إِلَيْهَا صَاح بِأَهْل الْمَيِّت وَذكر لَهُم أَن صَاحبهمْ لم يمت وَأَنَّهُمْ إِن دفنوه فَإِنَّمَا يدفنوه حَيا .
قَالَ فبقوا ناظرين إِلَيْهِ كالمتعجبين من قَوْله وَلم يصدقوه فِيمَا قَالَ :
ثمَّ إِن بَعضهم قَالَ لبَعض هَذَا الَّذِي يَقُوله مَا يضرنا أننا نمتحنه فَإِن كَانَ حَقًا فَهُوَ الَّذِي نريده وَإِن لم يكن حَقًا فَمَا يتَغَيَّر علينا شَيْء فاستدعوه إِلَيْهِم وَقَالُوا بَين الَّذِي قد قلت لنا فَأَمرهمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْبَيْت وَأَن ينزعوا عَن الْمَيِّت أَكْفَانه وَقَالَ لَهُم احملوه إِلَى الْحمام ثمَّ سكب عَلَيْهِ المَاء الْحَار وأحمى بدنه ونطله بنطولات وغطسه فَرَأَوْا فِيهِ أدنى حس وتحرك حَرَكَة خَفِيفَة .
فَقَالَ أَبْشِرُوا بعافيته ثمَّ تمم علاجه إِلَى أَن أَفَاق وَصلح فَكَانَ ذَلِك مبدأ اشتهاره بجودة الصِّنَاعَة وَالْعلم وَظَهَرت عَنهُ كالمعجزة ثمَّ أَنه سُئِلَ بعد ذَلِك من أَيْن علمت أَن ذَلِك الْمَيِّت وَهُوَ مَحْمُول وَعَلِيهِ الأكفان أَن فِيهِ روحا فَقَالَ إِنِّي نظرت إِلَى قَدَمَيْهِ فوجدتهما قائمتين وأقدام الَّذين قد مَاتُوا منبسطة فحدست أَنه حَيّ وَكَانَ حدسي صائبا أَقُول وَكَانَ بِمصْر ابْن المنجم الْمصْرِيّ[١] وَكَانَ شَاعِرًا مَشْهُورا خَبِيث اللِّسَان وَله

(١) علي بن المنجم أبو الحسن المصري . كان أشعر أهل زمانه ، وأفضل أقرانه ، وكان من أعلام أدباء مصر المشاهير . مدح الملوك والوزراء وفيه فضائل . ولد في المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ومات سنة ست عشرة وستمائة .

أهاجي كَثِيرَة فِي ابْن جَمِيع وَمن ذَلِك مِمَّا أنشدت لَهُ فِيه :

(لاِبْنِ جَمِيع فِي طبه حمق ... يسب طب الْمَسِيح من سَبَبه)
(وَلَيْسَ يدْرِي مَا فِي الزجاجة من ... بَوْل مَرِيض وَلَو تمخض بِه)
(وأعجب الْأَمر أَخذه أبدا ... أُجْرَة قَتل الْمَرِيض من عصبه)

وَله أَيْضا فِيه :

(دعوا ابْن جَمِيع وبهتانه ... ودعواه فِي الطِّبّ والهندسة)
(فَمَا هُوَ إِلاَّ رقيع أَتَى ... وَإِن حل فِي بلد أنحسه)
(وَقد جعل الشّرْب من شَأْنه ... وَلَكِن كَمَا تشرب النرجسه)

وَله أَيْضا فِيه :

(كذبت وصحفت فِيمَا ادعيت ... وَقلت أَبوك جَمِيع الْيَهُودِيّ)
(وَلَيْسَ جَمِيع الْيَهُودِيّ أَبَاك ... وَلَكِن أَبَاك جَمِيع الْيَهُود)

أَبُو الْبَيَان بن المدور

لقب بالسديد وَكَانَ يَهُودِيّا قراء عَالما بصناعة الطِّبّ حسن الْمعرفَة بأعمالها وَله مجريات كَثِيرَة وآثار محمودة .

وخدم الْخُلَفَاء المصريين فِي آخر دولتهم وَبعد ذَلِك خدم الْملك النَّاصِر صَلَاح الدّين وَكَانَ يرى لَهُ ويعتمد على معالجته وَله فِيهِ حسن ظن وَكَانَت لَهُ مِنْهُ الجامكية الْكَثِيرَة والافتقاد المتوفر .

وَعمر الشَّيْخ أَبُو الْبَيَان بن المدور وتعطل فِي آخر عمره من الْكبر والضعف من كَثْرَة الْحَرَكَة والتردد إِلَى الْخدمَة .

فَأطلق لَهُ الْملك النَّاصِر صَلَاح الدّين رَحمَه الله فِي كل شهر أَرْبَعَة وَعشْرين دِينَارا مصرية تصل إِلَيْه وَيكون ملازما لبيته وَلاَ يُكَلف خدمَة .

وَبَقِي على تِلْكَ الْحَال وجامكيته تصل إِلَيْه نَحْو عشْرين سنة .

وَكَانَ فِي مُدَّة انْقِطَاعه فِي بَيته لاَ يخل بالاشتغال فِي صناعَة الطِّبّ وَلاَ يَخْلُو مَوْضِعه من التلاميذ والمشتغلين عَلَيْه والمستوصفين مِنْهُ .

وَكَانَ لاَ يمْضِي إِلَى أحد لمعالجته فِي تِلْكَ الْمدَّة إِلاَّ من يعز عَلَيْه جدا .

وَقيل أَن الْأَمِير ابْن منقذ لما وصل من الْيمن وَكَانَ قد عرض لَهُ استسقاء بعث إِلَيْهِ ليَأْتِيه ويعالجه بالمعالجة فَاعْتَذر إِلَيْهِ على قرب مَوْضِعه مِنْهُ وَلم يمض إِلَيْهِ دون أَن

بعث إِلَيْه القَاضِي الْفَاضِل وَكيله ابْن سناء الْملك وقصده فِي ذَلِك حَتَّى مضى إِلَيْهِ وَوصف لَهُ مَا يعْتَمد عَلَيْه فِي المداواة .

وعاش أَبُو الْبَيَان ابْن المدور ثَلاَثًا وَثَمَانِينَ سنة وَتُوفِّي فِي سنة ثَمَانِينَ وَخَمْسمِائة بِالْقَاهِرَة .

وَكَانَ من تلاميذه زين الحْساب

المُوفق بن شوعة

كَانَ من أَعْيَان الْعلمَاء وأفاضل الأْطِبَّاء إسرائيلي مَشْهُور بإتقان الصِّنَاعَة وجودة الْمعرفَة فِي علم الطِّبّ والكحل والجراح .

كَانَ دمثا خَفِيف الرّوح كثير المجون وَكَانَ يشْعر ويلعب بالقيثارة وخدم الْملك النَّاصِر صَلاَح الدّين بالطب لما كَانَ بِمصْر وعلت مَنْزِلَته عِنْده .

وَكَانَ بِدمَشْق فَقِيه صوفي صحب مُحَمَّد بن يحيى وَسكن خانقاه السميساطي كَانَ يعرف بالخوبشاني[1] ويلقب بِالنَّجْمِ وَله معرفَة بِنَجْم الدّين أَيُّوب وبأخيه أَسد الدّين .

وَكَانَ الخوبشاني ثقيل الرّوح قشفا فِي الْعَيْش يَابسا فِي الدّين يَأْكُل الدُّنْيَا بالناموس وَلما صعد أَسد الدّين مصر تبعه وَنزل بِمَسْجِد عِنْد دَار الوزارة يعرف الْيَوْم بِمَسْجِد الخوبشاني وَكَانَ يثلب أهل الْقصر وَيجْعَل تسبيحه سبهم .

وَكَانَ سلطا وَمَتى رأى ذَمِيمًا رَاكِبًا قصد قَتله فَكَانُوا يتحامونه .

وَلما كَانَ فِي بعض الأْيَّام رأى ابْن شوعة وَهُوَ رَاكب فَرَمَاهُ بِحجر أصَاب عينه فقلعها وَتُوفِّي ابْن شوعة بِالْقَاهِرَة فِي سنة تسع وَسبعين وَخَمْسمائة .

وَمن شعر المُوفق بن شوعة أنْشد القَاضِي نَفِيس الدّين بن الزبير[2] قَالَ

---

(١) نَجْمُ الدِّيْنِ أَبُو البَرَكَاتِ مُحَمَّدُ بنُ مُوَفَّقِ بنِ سَعِيْدٍ الخَبُوْشَانِيُّ الشَّافِعِيُّ الصُّوْفِيُّ ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن السادس الهجري ، قال عنه الذهبي : «الفَقِيْهُ الكَبِيْرُ الزَّاهِدُ» .

(٢) هو القاضي الحكيم نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن صدقة بن عبد الله الكولمي والكولم من بلاد الهند وهو ينسب من جهة أمه إلى ابن الزبير الشاعر المشهور الذي كان بالديار المصرية وهو القائل (يا ربع أين ترى الأحبة يمموا هل أنجدوا من بعدنا أو اتهموا) ومولد القاضي نفيس الدين في سنة =

أَنْشدني الْمُوفق بن شوعة لنَفسه فَمن ذَلِك قَالَ فِي النَّجْم الخوبشاني لما قلع عينه .

(لَا تعجبوا من شُعَاع الشَّمْس إِذْ حسرت مِنْـــهُ الْعُيُون وَهَذَا الشَّأْن مَشْهُور) .

(بل أعجبوا كَيفَ أعمى مقلتي نَظَرِي للنجم وَهُوَ ضئيل الشَّخْص مَسْتُور)

الأسعد المحلي

هُوَ أسعد الدّين يَعْقُوب بن إِسْحَاق .

يَهُودِيّ من مَدِينَة الْمحلة من أَعمال ديار مصر متميز فِي الْفَضَائِل وَله اشْتغَال بالحكمة واطلاع على دقائقها وَهُوَ من الْمَشْهُورين فِي صناعَة الطِّبّ والخبيرين بالمداواة والعلاج .

وَأقَام بِالْقَاهِرَةِ وسافر فِي أول سنة ثَمَان وَتسْعين وَخَمْسمائة إِلَى دمشق .

وَأقَام بهَا مُدَّة وَجَرت بَينه وَبَين بعض الأفاضل من الْأَطِبَّاء بهَا مبَاحث كَثِيرَة ونكد وَرجع بعد ذَلِك إِلَى الديار المصرية وَتُوفِّي بِالْقَاهِرَةِ

وَمن نوادره فِي حسن المداواة أَنه كَانَ بعض من النِّسَاء قد عرض لَهَا مرض وَتغَير مزاج وتطاول بهَا وَلم ينجع فِيهَا علاج فَلَمَّا افتقدها قَالَ لعَمِّي وَكَانَ صديقه عِنْدِي أَقْرَاص قد ركبتها لهَذَا الْمَرَض خَاصَّة وَهِي تَبرأ بهَا إِن شَاءَ الله تكون تتَنَاوَل فِي كل يَوْم بِالْغَدَاةِ مِنْهَا قرصا مَعَ شراب سكنجبين وَأَعْطَاهُ الأقراص فَلَمَّا تناولتها برأت .

الشَّيْخ السديد بن أبي الْبَيَان

هُوَ سديد الدّين أَبُو الْفضل دَاوُد بن أبي الْبَيَان سُلَيْمَان بن أبي الْفرج إِسْرَائِيل بن أبي الطّيب سُلَيْمَان ابْن مبارك إسرائيلي قراء مولده فِي سنة سِتّ وَخمسين وَخَمْسمِائة بِالْقَاهِرَةِ .

= خمس أو ست وخمسين وخمسمائة وقرأ صناعة الطب على ابن شوعة أولا وقرأ بعد ذلك على الشيخ السديد رئيس الطب وتميز في صناعة الطب وحاول أعمالها وأتقن أيضا صناعة الكحل وعلم الجراح . وكثرت شهرته بصناعة الكحل وولاه الملك الكامل ابن الملك العادل رياسة الطب بالديار المصرية ويكحل في البيمارستان الناصري الذي كان من جملة القصر للخلفاء المصريين . وتوفي القاضي نفيس الدين بن الزبير رحمه الله بالقاهرة في سنة ست وثلاثين وستمائة وله أولاد مقيمون في القاهرة وهم من المشهورين بصناعة الكحل والمتميزين في عملها .

وَكَانَ شَيخا محققا للصناعة الطبية متقنا لَهَا متميزا فِي علمهَا وعملها خَبِيرا بالأدوية المفردة والمركبة .

وَكَانَ أقدر أهل زَمَانه من الأَطباء على تركيب الأَدْوِيَة وَمَعْرِفَة مقاديرها وأوزانها على مَا يَنْبَغِي حَتَّى أَنه كَانَ فِي أَوْقَات يَأْتِي إِلَيْهِ من المستوصفين من بِهِ أمراض مُخْتَلفَة أَو قَليلَة الْحُدُوث فَكَانَ يملي صفَات أدوية مركبة بِحَسب مَا يحْتَاج إِلَيْهِ ذَلِك الْمَرِيض من الأقراص والسفوفات والأشربة أَو غير ذَلِك فِي الْوَقْت الْحَاضِر وَهِي فِي نِهَايَة الْجَوْدَة وَحسن التَّأْلِيف .

وَكَانَ شَيْخه فِي صناعَة الطِّبّ الرئيس هبة الله بن جَمِيع الْيَهُودِيّ

جمال الدّين بن أبي الحوافر .

هُوَ الشَّيْخ الإِمَام الْعَالم أَبُو عَمْرو عُثْمَان بن هبة الله بن أَحْمد بن عقيل الْقَيْسِي وَيعرف بِابْن أبي الحوافر .

أفضل الأَطِبَّاء وَسيد الْعلمَاء وأوحد الْعَصْر وفريد الدَّهْر .

قد أتقن الصِّنَاعَة الطبية وتميز فِي أقسامها العلمية والعملية .

وَله اشْتِغَال جيد فِي علم الأَدَب وعناية فِيهِ وَله شعر كثير صَحِيح المباني بديع الْمعَانِي .

واشتغل بصناعة الطِّبّ على الإِمَام مهذب الدّين بن النقاش وعَلى الشَّيْخ رَضِي الدّين الرَّحبِي وخدم بصناعة الطِّبّ الْملك الْعَزِيز عُثْمَان بن الْملك النَّاصِر صَلَاح الدّين وَأقَام مَعَه فِي الديار المصرية وولاه رياسة الطِّبّ وَلم يزل فِي خدمته وَهُوَ كثير الْإِحْسَان إِلَيْهِ والإنعام عَلَيْهِ إِلَى أَن توفّي الْملك الْعَزِيز رَحمَه الله .

وحَدث بعض أصدقائه قَالَ كَانَ يَوْمًا رَاكِبًا فَرَأى فِي بعض النواحي على مصطبة بياع حمص مسلوق وَهُوَ قَاعد وقدامه كحال يَهُودِيّ وَهُوَ وَاقِف وَبِيَدِهِ المكحلة والميل وَهُوَ يكحل ذَلِك البياع .

فحين رَآهُ على تِلْكَ الْحَال سَاق بغلته نَحوه وضربه بالمقرعة على رَأسه وَشَتمه .

وعندما مَشى مَعَه قَالَ لَهُ إِذا كنت أَنْت سفلَة فِي نَفسك أما للصناعة حُرْمَة كنت قعدت إِلَى جَانبي وكحلته وَلَا تبقى وَاقِفًا بَين يَدي عَامي بياع حمص فَتَابَ أَن يعود يفعل من ذَلِك الْفِعْل وَانْصَرف .

أَبُو سُلَيْمَان دَاوُد بن أبي المنى بن أبي فانة

كَانَ طَبِيبا نَصْرَانِيّا بِمصْر فِي زمن الْخُلَفَاء وَكَانَ حظيا عِنْدهم فَاضلا فِي الصِّنَاعَة الطبية خَبِيرا بعلمها وعملها متميزا فِي الْعُلُوم .

وَكَانَ من أهل الْقُدس ثمَّ انْتقل إِلَى الديار المصرية .

وَكَانَت لَهُ معرفَة بَالغَة بِأَحْكَام النُّجُوم .

حَدث الْحَكِيم رشيد الدّين أَبُو حليقة بن الْفَارِس بن أبي سُلَيْمَان الْمَذْكُور قَالَ سَمِعت الْأَمِير مجد الدّين أَخا الْفَقِيه عِيسَى وَهُوَ يحدث السُّلْطَان الْملك الْكَامِل بشر مساح عِنْد حُضُوره إِلَيْهِ بعد وَفَاة الْملك الْعَادِل ونزول الفرنج على ثغر دمياط من أَحْوَال جدي أبي سُلَيْمَان دَاوُد مَا هَذَا نَصه قَالَ .

كَانَ الْحَكِيم أَبُو سُلَيْمَان فِي زمن الْخُلَفَاء وَكَانَ لَهُ خَمْسَة أَوْلَاد فَلَمَّا وصل الْملك مارى إِلَى الديار المصرية أعجبه طبه فَطَلَبه من الْخَلِيفَة بهَا وَنَقله هُوَ وَأَوْلَاده الْخَمْسَة إِلَى الْبَيْت الْمُقَدّس وَنَشَأ للْملك مارى ولد مجذم فَركب لَهُ الترياق الفاروقي بِالْبَيْتِ الْمُقَدّس وترهب وَترك وَلَده الْأَكْبَر وَهُوَ الْحَكِيم الْمُهَذّب أَبُو سعيد خَلِيفَته على منزله وَإِخْوَته .

وَاتفقَ أَن ملك الفرنج الْمَذْكُور بِالْبَيْتِ الْمُقَدّس أسر الْفَقِيه عِيسَى وَمرض فسيره الْملك لمداواته فَلَمَّا وصل إِلَيْهِ وجده فِي الْجب مُثقلاً بالحديد فَرجع إِلَى الْملك وَقَالَ لَهُ إِن هَذَا الرجل ذُو نعْمَة وَلَو سقيته مَاء الْحَيَاة وَهُوَ على هَذَا الْحَال لم يَنْتَفع بِهِ .

قَالَ الْملك فَمَا أفعل فِي أمره قَالَ يُطلقهُ الْملك من الْجب ويفك عَنهُ حديده ويكرمه فَمَا يحْتَاج إِلَى مداواة أَكثر من هَذَا .

فَقَالَ الْملك تخَاف أَن يهرب وقطيعته كَثِيرَة .

قَالَ للْملك سلمه إِلَيّ وضمانه عَليّ .

فَقَالَ لَهُ تسلمه وَإِذا جَاءَت قطيعته كَانَ لَك مِنْهَا ألف دِينَار .

فَمضى وشاله من الْجب وَفك حديده وأخلى لَهُ موضعا فِي دَاره أَقَامَ فِيهِ سِتَّة أشهر يَخْدمه فِيهَا أتم خدمَة .

فَلَمَّا جَاءَت قطيعته طلب الْملك الْحَكِيم أَبَا سعيد ليحضر لَهُ الْفَقِيه الْمَذْكُور فَحَضَرَ وَهُوَ صحبته وَوجد قطيعته فِي أكياس بَين يَدَيْهِ فَأعْطَاهُ مِنْهَا الْكيس الَّذِي وعده بِهِ .

فَلَمَّا أَخذه قَالَ لَهُ يَا مَوْلَانَا هَذِه الْألف دِينَار قد صَارَت لي أتصرف فِيهَا تصرف

الْملاك فِي أملاكهم فَقَالَ لَهُ نعم .

فَأَعْطَاهَا للفقيه فِي الْمجْلس وَقَالَ لَهُ أَنا أعرف أَن هَذِه القطيعة مَا جَاءَت إِلاَّ وَقد تركت خَلفك شَيْئا وَرُبمَا قد تدني لَك شَيْئا آخر فَتقبل مني هَذِه الْألف دِينَار إِعَانَة نَفَقَة الطَّرِيق .

فقبلها الْفَقِيه مِنْهُ وسافر إِلَى الْملك النَّاصِر .

وَاتفقَ أَن الْحَكِيم أَبَا سُلَيْمَان دَاوُد الْمَذْكُور ظهر لَهُ فِي أَحْكَام النُّجُوم إِن الْملك النَّاصِر يفتح الْبَيْت الْمُقَدّس فِي الْيَوْم الْفُلاَنِيّ من الشَّهْر الْفُلاَنِيّ من السّنة الْفُلاَنِيَّة وَأَنه يدْخل إِلَيْهَا من بَاب الرَّحْمَة فَقَالَ لأحد أَوْلاَده الْخَمْسَة وَهُوَ الْفَارِس أَبُو الْخَيْر بن أبي سُلَيْمَان دَاوُد الْمَذْكُور وَكَانَ هَذَا الْوَلَد قد تربى مَعَ الْوَلَد المجذم ملك الْبَيْت الْمُقَدّس وَعلمه الفروسية فَلَمَّا توج الْملك فرسه وَخرج الْمَذْكُور من بَين اخوته الْأَرْبَعَة الْأَطِبَّاء جنديا .

وَكَانَ قَول الْحَكِيم أبي سُلَيْمَان لوَلَده هَذَا بِأَن يمْضِي رَسُولا عَنهُ إِلَى الْملك النَّاصِر ويبشره بِملك الْبَيْت الْمُقَدّس فِي الْوَقْت الْمَذْكُور .

فامتثل مرسومه وَمضى إِلَى الْملك النَّاصِر فاتفق وُصُوله إِلَيْهِ فِي غرَّة سنة ثَمَانِينَ وَخَمْسمائة وَالنَّاس يهنؤنه بهَا وهم على فاميه فَمضى إِلَى الْفَقِيه الْمَذْكُور ففرح بِهِ غَايَة الْفَرح وَدخل بِهِ إِلَى الْملك النَّاصِر وأوصل إِلَيْهِ الرسَالَة عَن أَبِيه ففرح بذلك فَرحا شَدِيدا وأنعم عَلَيْهِ بجائزة سنية وَأَعْطَاهُ علما أصفر ونشابة من رنكة .

وَقَالَ لَهُ مَتى يسر الله مَا ذكرت اجعلوا هَذَا الْعلم الْأَصْفَر والنشابة فَوق داركم فالحارة الَّتِي أَنْتُم فِيهَا تسلم جَمِيعهَا فِي خفارة داركم .

فَلَمَّا حضر الْوَقْت صَحَّ جَمِيع مَا قَالَه الْحَكِيم الْمَذْكُور فَدخل الْفَقِيه عِيسَى إِلَى الدَّار الَّتِي كَانَ مُقيما بهَا ليحفظها وَلم يسلم من الْبَيْت الْمُقَدّس من الْأسر وَالْقَتْل وَوزن القطيعة سوى بَيت هَذَا الْحَكِيم الْمَذْكُور .

وضاعف لأولاده مَا كَانَ لَهُم عِنْد الفرنج وَكتب لَهُ كتابا إِلَى سَائِر ممالكه برا وبحرا بمسامحتهم بِجَمِيعِ الْحُقُوق اللَّازِمَة للنَّصَارَى فأعفوا مِنْهَا إِلَى الْآن .

وَتُوفِّي الْحَكِيم أَبُو سُلَيْمَان الْمَذْكُور بعد أَن استدعاه الْملك النَّاصِر إِلَيْهِ وَقَامَ لَهُ قَائِما وَقَالَ لَهُ أَنْت شيخ مبارك قد وصل إِلَيْنَا بِشِرَاك وَتمّ جَمِيع مَا ذكرته فتمن عَليّ .

فَقَالَ لَهُ أَتَمَنَّى عَلَيْك حفظ أَوْلاَدي .

فَأخذ الْملك النَّاصِر أَوْلاَده وأعتنى بهم وَأَعْطَاهُمْ للْملك الْعَادِل ووصاه بِأَن يكرمهم ويكونوا من الْخَواص عِنْده وَعند أَوْلاَده وَكَانَ كَذَلِك .

صَدَقَة السامري

هُوَ صَدَقَة بن منجا بن صَدَقَة السامري من الأكابر فِي صناعَة الطِّبّ والمتميزين من أَهلهَا والأماثل من أَرْبَابهَا .

كَانَ كثير الاشْتغَال محبا للنَّظَر والبحث وافر الْعلم جيد الْفَهم قَوِيا فِي الفلسفة حسن الدِّرَايَة لَهَا متقنا لغوامضها .

وَكَانَ يدرس صناعَة الطِّبّ وينظم متوسطا وَرُبمَا ضمنه ملحا من الْحِكْمَة وَأكْثر مَا كَانَ يَقُوله دوبيت .

وَله تصانيف فِي الْحِكْمَة وَفِي الطِّبّ .

وخدم الْملك الْأَشْرَف مُوسَى ابْن الْملك الْعَادِل أبي بكر بن أَيُّوب وَبَقِي مَعَه سِنِين كَثِيرَة فِي الشرق إِلَى أَن توفّي فِي الْخدمَة .

وَكَانَ الْملك الْأَشْرَف يحترمه غَايَة الاحترام ويكرمه كل الْإِكْرَام ويعتمد عَلَيْهِ فِي صناعَة الطِّبّ وَله مِنْهُ الجامكية الوافرة والصلات المتواترة .

وَتُوفِّي صَدَقَة بِمَدِينَة حران فِي سنة نَيف وَعشْرين وسِتمِائَة وَخلف مَالا جزيلا وَلم يكن لَهُ ولد .

وَمن كَلَامه مِمَّا نقلته من خطه قَالَ الصَّوْم منع الْبدن من الْغذَاء وكف الْحَواس عَن الخطاء والجوارح عَن الآثام .

وَهُوَ كف الْجَمِيع عَمَّا يلهي عَن ذكر الله .

وَقَالَ اعْلَم أَن جَمِيع الطَّاعَات ترى إِلَّا الصَّوْم لَا يرَاهُ إِلَّا الله فَإِنَّهُ عمل فِي الْبَاطِن بِالصبرِ الْمُجَرّد .

وللصوم ثَلَاث دَرَجَات صَوْم الْعُمُوم وَهُوَ كف الْبَطن والفرج عَن قَضَاء الشَّهْوَة وَصَوْم الْخُصُوص وَهُوَ كف السّمع وَالْبَصَر وَاللِّسَان وَسَائِر الْجَوَارِح عَن الآثام وَأما صَوْم خُصُوص الْخُصُوص فصوم الْقلب عَن الهمم الدنية والأفكار الدنياوية وكفه عَمَّا سوى الله تَعَالَى .

وَقَالَ مَا كَانَ من الرطوبات الْخَارِجَة من الْبَاطِن لَيْسَ مستحيلا وَلَيْسَ لَهُ مقرّ فَهُوَ طَاهِر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط .

وَأما مَا لَهُ مقرّ وَهُوَ مُسْتَحِيل فَهُوَ نجس كالبول والروث .

وَقَالَ اعْلَم أَن الْوَزير مُشْتَقّ اسْمه من حمل الْوزر عَمَّن خدمه وَحمل الْوزر لَا يكون إِلَّا بسلامة من الْوَزير فِي خلقته وخلائقه .

أما فِي خلقته فَإِن يكون تَامّ الصُّورَة حسن الْهَيْئَة متناسب الْأَعْضَاء صَحِيح الْحَواس وَأما فِي خلائقه فَهُوَ أَن يكون بعيد الهمة سامي الرَّأْي ذكي الذِّهْن جيد الحدس صَادِق الفراسة رحب الصَّدْر كَامِل الْمُرُوءَة عَارِفًا بموارد الْأُمُور ومصادرها .

فَإِذا كَانَ كَذَلِك كَانَ أفضل عدد المملكة لِأَنَّهُ يصون الْملك عَن التبذل وَيَرْفَعهُ عَن الدناءة ويغوص لَهُ على الفرصة .

ومنزلته منزلَة الْآلَة الَّتِي يتَوَصَّل بهَا إِلَى نيل البغية ومنزلة السُّور الَّذِي يحرز الْمَدِينَة من دُخُول الآفة ومنزلة الْجَارِح الَّذِي يصيد لطعمة صَاحبه .

وَلَيْسَ كل أحد يصلح لهَذِهِ الْمنزلَة يصلح لكل سُلْطَان مَا لم يكن مَعْرُوفا بالإخلاص لمن خدمه والمحبة لمن استخصه والإيثار لمن قربه .

وَقَالَ صَبر الْعَفِيف ظريف .

مهذب الدّين يُوسُف بن أبي سعيد

هُوَ الشَّيْخ الإِمَام الْعَالم الصاحب الْوَزير مهذب الدّين يُوسُف بن أبي سعيد بن خلف السامري .

قد أتقن الصِّنَاعَة الطبية وتميز فِي الْعُلُوم الْحكمِيَّة واشتغل بِعلم الْأَدَب وَبلغ فِي الْفَضَائِل أَعلَى الرتب .

وَكَانَ كثير الْإِحْسَان غزير الامتنان فَاضل النَّفس صائب الحدس .

وَقَرَأَ صناعَة الطِّبّ على الْحَكِيم إِبْرَاهِيم السامري الْمَعْرُوف بشمس الْحُكَمَاء .

وَكَانَ هَذَا شمس الْحُكَمَاء فِي خدمَة الْملك النَّاصِر صَلَاح الدّين يُوسُف وَقَرَأَ أَيْضا على الشَّيْخ إِسْمَاعِيل بن أبي الْوَقار الطَّبِيب .

وَقَرَأَ على مهذب الدّين بن النقاش .

وَقَرَأَ الْأَدَب على تَاج الدّين النكدي أبي الْيمن .

وتميز فِي صناعَة الطِّبّ واشتهر بِحسن العلاج والمداواة .

وَمن حسن معالجاته أَنه كَانَت ستّ الشَّام أُخْت الْملك الْعَادِل أبي بكر بن أَيُّوب قد عرض لَهَا دوسنطاريا كبدية وَتَرْمِي كل يَوْم دَمًا كثيرا

والأطباء يعالجونها بالأدوية الْمَشْهُورَة لهَذَا الْمَرَض من الْأَشْرِبَة وَغَيرهَا .

فَلَمَّا حضرها وجس نبضها قَالَ للْجَمَاعَة يَا قوم مَا دَامَت الْقُوَّة قَوِيَّة أعطوها الكافور ليصلح كَيْفيَّة هَذَا الْخَلْط الحاد الَّذِي فعل هَذَا الْفِعْل وَأمر بإحضار كافور

قيصوري وسقاها مَعَ حليب بزر بقلة محمصة وشراب رمان وصندل فتقاصر عَنْهَا الدَّم وحرارة الكبد الَّتِي كَانَت وسقاها أَيْضا مِنْهُ ثَانِي يَوْم فَقل أَكثر ولاطفها بعد ذَلِك إِلَى أَن تَكَامل برؤها وصحت .

وحَدث بعض جمَاعَة الصاحب بن شكر وَزِير الْملك الْعَادِل قَالَ كَانَ قد عرض للصاحب ألم فِي ظَهره عَن برد فَأتى إِلَيْهِ الْأَطِبَّاء فوصف بَعضهم مَعَ إصْلَاح الأغذية بغلي يسير جندبيدستر مَعَ زَيْت ويدهن بِهِ .

وَقَالَ آخر دهن بابونج ومصطكى .

فَقَالَ الْمصلحَة أَن يكون عوض هَذِه الْأَشْيَاء شَيْء ينفع مَعَ طيب رَائِحَة فأعجب الصاحب قَوْله وَأمر مهذب الدّين يُوسُف بإحضار غَالِيَة ودهن بَان فَحل ذَلِك على النَّار ودهن بِهِ الْموضع فَانْتَفع بِهِ .

وخدم مهذب الدّين يُوسُف بصناعة الطِّبّ لعز الدّين فرخشاه ابْن شاهان شاه بن أَيُّوب وَلما توفّي عز الدّين فرخشاه وخدم بعده لوَلَده الْملك الأمجد مجد الدّين بهْرَام شاه بن عز الدّين فرخشاه بصناعة الطِّبّ وَأقَام عِنْده ببعلبك وحظي فِي أَيَّامه ونال من جِهَته من الْأَمْوَال وَالنعَم شَيْئا كثيرا .

وَكَانَ يستشيره فِي أُمُوره ويعتمد عَلَيْهِ فِي أَحْوَاله .

وَكَانَ الشَّيْخ مهذب الدّين حسن الرَّأْي وافر الْعلم جيد الْفطْرَة .

فَكَانَ يستصوب آرَاءه ويشكر مقاصده .

ثمَّ استوزره واشتغل بالوزارة وارتفع أمره وارتقت مَنْزِلَته عِنْده حَتَّى صَار هُوَ الْمُدبر لجَمِيع الدولة وَالْأَحْوَال بأسرها لَا تعدل عَن أمره وَنَهْيه .

وَلذَلِك قَالَ فِيهِ الشَّيْخ شهَاب الدّين فتيَان :

(الْملك الأمجد الَّذِي شهِدت ... لَهُ جَمِيع الْمُلُوك بِالْفَضْلِ)
(أصبح فِي السامري مُعْتَقدًا ... مَا اعْتقد السامري فِي الْعجل)

أَنْشد هذَيْن الْبَيْتَيْنِ شمس الدّين مُحَمَّد بن شهَاب الدّين فتيَان قَالَ أنْشد فيهمَا وَالِدي لنَفسه .

أولم تزَلْ أَحْوَال الشَّيْخ مهذب الدّين على سننها وعلو مَنْزِلَته على كيانها حَتَّى كثرت الشكاوي من أَهله وأقاربه السمرَة فَإِنَّهُ كَانَ قد جَاءَهُ إِلَى بعلبك جمَاعَة مِنْهُم من دمشق واستخدمهم فِي جَمِيع الْجِهَات وَكثر مِنْهُم العسف وَأكل الْأَمْوَال وَالْفساد .

وَكَانَ لَهُ الجاه العريض بالوزير مهذب الدّين السامري فَلاَ يقدر أحد أَن يقاومهم بِالْجُمْلَة .

فَإِنَ الْملك الأمجد لما تحقق أَن الأَمْوَال قد أكلوها وَكثر فسادهم ولامته الْمُلُوك فِي تَسْلِيم دولته للسمرة قبض على الْمُهَذّب السامري وعَلى جَمِيع السمرَة المستخدمين واستقصى منْهُم أَمْوَال عَظِيمَة .

وَبَقِي الْوَزير معتقلا عَنْده مُدَّة إِلاَّ أَن لم يبْق لَهُ شَيْء يعْتد بِهِ .

ثمَّ أطلقهُ وعاد إلى دمشق

وَمن شعر مهذب الدّين يُوسُف :

(إِن سَاءَنِـــي الدَّهْــر يَوْمًا فَإِنَّـــــهُ ســـر دهـــــرا)
(وَإِن دهانـــي بِمَــــال فقـــد تعوضـــت أجـرا)
(اللـــه أغْنـــى وأقنـــى وَالْحَمْــد للـــه شكـــرا)

طرائف الأمثال

إنَّ منَ الْبَيَانِ لَسِحْراً

قاله النبي ﷺ حين وَفَدَ عليه عَمْرو بن الأهتم[١] والزِّبْرِقَانُ بن بدر[٢] وقَيْسُ بن عاصم[٣] ، فسأل عليه الصلاة والسلام عمرَو بن الأهتم عن الزِّبْرقان ، فقال عمرو : مُطَاع في أَدْنَيْه ، شديدُ العارضة ، مانعٌ لما وَرَاء ظهره ، فقال الزبرقان : يا رسول اللّه إنه لَيَعْلَم مني أكثَرَ من هذا ، ولكنه حَسَدني ، فقال عمرو : أما واللّه إنه لَزَمِرُ المروءة ، ضَيِّق العَطَن ، أحمق الوالد ، لئيم الخال ، واللّه يا رسول اللّه ما كَذَبْتُ في الأولى ، ولقد صدقْتُ في الأخرى ، ولكني رجل رَضيت فقلت أحسنَ ما علمت ، وسَخطْتُ فقلت أقبحَ ما وجدت ، فقال عليه الصلاة والسلام «إنَّ منَ الْبَيَانِ لَسِحْراً» يعني أن بعض البيان يعمل عمل السحر ، ويضرب في استحسان المنطق وإيراد الحَجَّة البالغة .

إنَّ المُنْبَتَّ لاَ أرْضاً قَطعَ ولاَ ظَهْراً أبْقَى.

المنبتُّ : المنقطع عن أصحابه في السفَر ، والظَّهْرُ : الدابة .

قاله عليه الصلاة والسلام لرجل اجتَهَد في العبادة حتى هَجَمت عيناه : أي غارَتَا ، فلما رآه قال له «إنَّ هذَا الدينَ مَتينٌ فأوْغلْ فيه برفْق ، إنَّ الْمُنْبَتَّ» أي الذي يجدُّ في سيره حتى ينبتَّ أخيراً ، سماه بما تؤول إليه عاقبتُه كقوله تعالى ﴿إنَّكَ مَيِّت وإنهم ميتون﴾ .

يضرب لمن يُبالغ في طلب الشيء ، ويُفْرِط حتى ربما يُفَوِّته على نفسه

إنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ البَرَاجِمِ

قاله عمرو بن هند الملك[٤] ، وكان سُوَيْدُ ابن ربيعة التميمي قتلَ أخاه وهَرَب ،

---

(١) عمرو بن سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر ، من بني تميم . أحد السادات والشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام وسمي أبوه سنان بالأهتم لأن قيس بن عاصم المنقري ضربه بقوس فهتم أسنانه وقيل هتمت أسنانه أثناء القتال في يوم الكلاب الثاني (أحد أيام العرب في الجاهلية) .

(٢) الزبرقان بن بدر التميمي أحد رجال وفد بني تميم الذين وفدوا على الرسول في عام الوفود .

(٣) قيس بن عاصم بن سنان المنقري التميمي صحابي جليل ، وهو الذي قدم على رسول الله سنة ٩ هـ في وفد بني تميم فأكرمه وقال له : «هذا سيد أهل الوبر» .

(٤) عمرو بن المنذر بن امرؤ القيس بن النعمان اللخمي المشهور بـ ، الملقب بمُضَرِّط الحجارة او بالمحرق الثاني امه هي هند بنت عمرو بن حجر الكندي آكل المرار .

فأحرق به مائةً من تميم : تسعةً وتسعين من بني دارم وواحداً من البَرَاجم ، فلقِّبَ بالمحرِّق ، وكان الحارث بن عمرو ملك الشأم من آل جَفْنة يدعى أيضا بالمحرِّق ، لأنه أول من حَرَّق العرب في ديارهم ، ويدعى امرؤ القيس بن عمرو بن عَدِيٍّ اللَّخمي محرِّقاً أيضا . يضرب لمن يُوقع نفسه في هَلَكة طمعا

إنَّ البُغَاثَ بأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ

البغاث : ضربٌ من الطير ، وفيه ثلاث لغات : الفتح ، والضم ، والكسر ، والجمع بِغْثَان ، قالوا : هو طير دون الرَخمة ، واستنسر : صار كالنسر في القوّة عند الصيد بعد أن كان من ضعاف الطير

يضرب للضعيف يصير قويا ، وللذليل يعزّ بعد الذل

إنَّ الجبانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ

قال ابن الكلبي[1] : أولُ من قاله عمرو (الشعر في اللسان منسوب لعامر ابن فهيرة) ابن أمامة في شعر له ، وكانت مُرَادٌ قتلته ، فقال هذا الشعر عند ذلك ، وهو قوله :

لَقَدْ حَسَوْتُ المـوتَ قبل ذَوْقِهِ ... إنَّ الجبانَ حَتْفُه مِنْ فَوْقِهِ

كُلُّ امْرِئٍ مُقَاتِلٌ عَنْ طَوْقِهِ ... وَالثَّوْرُ يَحْمِي أنْفَهُ بِرَوْقِهِ

يضرب في قلة نفع الحذر من القدر

إنَّ المُعَافَى غيرُ مَخْدُوعٍ

وأصلُ المثل أن رجلا من بني سُلَيم يسمى قادحا كان في زمن أمير يكنى أبا مظعون ، وكان في ذلك الزمن رجل آخر من بني سليم أيضا يقال له سُلَيْط ، وكان عَلِقَ[2] امرأة قادح ، فلم يزل بها حتى أجابته وواعدته ، فأتى سُلَيْطٌ قادحاً وقال : إني علقت جارية لأبي مظعون ، وقد واعدتني ، فإذا دخلتَ عليه فاقْعُدْ معه في المجلس ، فإذا أراد القيامَ فاسبقه ، فإذا انتهيت إلى موضع كذا فاصفر حتى أعلم بمجيئكما

---

(١) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي ، يكنى ابن الكلبي ، مؤرخ ، وعالم أنساب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها .

(٢) عشق وأحبّ .

فآخذ حَذَري ، ولك كل يوم دينار ، فخدعه بهذا ، وكان أبو مظعون آخر الناس قياما من النادي ففعل قادح ذلك ، وكان سُلَيْط يختلف إلى امرأته ، فجرى ذكر النساء يوما ، فذكر أبو مظعون جواريه وعَفَافهن ، فقال قادح وهو يعرض بأبي مظعون : ربما غُرّ الواثق ، وخُدِع الْوَامق ، وكذب الناطق ، ومَلَّتِ العاتق ، ثم قال :

لا تَنْطِقَنَّ بأمر لا تَيَقَّنُهُ ياعمرو ، إنَّ المُعَافى غيرُ مخدوع

وعمرو : اسم أبي مظعونٍ ، فعلم عمرو أنه يعرّض به ، فلما تفرق القوم وثَبَ على قادح فخنقه وقال : اصدقني ، فحدثه قادح بالحديث ، فعرف أبو مظعون أن سُلَيطا قد خدَعه ، فأخذ عمرو بيد قادح ثم مر به على جَوَاريه فإذا هن مُقْبلات على ماوكلن به لم يفقِدْ منهن واحدةً ، ثم انطلق آخذا بيد قادح إلى منزله فوجد سُلَيطا قد افترش امرأته ، فقال له أبو مظعون : إن المعافى غير مخدوع ، تهكما بقادح ، فأخذ قادح السيفَ وشدَّ على سُلَيط ، فهرب فلم يدركه ، ومال إلى امرأته فقتلها .

إن للّه جُنُوداً منْهَا العَسَلُ

قاله معاوية[1] لما سمع أن الأشْتَرَ[2] سُقِيَ عسلاً فيه سم فمات .

يضرب عند الشَّماتة بما يصيب العدو

إنَّ المَعَاذِيرَ يَشُوبُهَا الكَذِبُ

يحكى أن رجلا اعتذر إلى إبراهيم النَّخَعي[3] ، فقال إبراهيم : قد عذرتك غير معتذر ، إن المعاذير ، المثلَ .

---

(١) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، من أصحاب الرسول محمد وأحد كتّاب الوحي . سادس الخلفاء في الإسلام ومؤسس الدولة الأموية في الشام وأوّل خلفائها .

(٢) مالك بن الحارث الأشتر النخعي زعيم قبيلة وقائد عسكري شارك في فُتوح الشام وكان من أصحاب علي بن أبي طالب حيث شهد معه الجَمَل وصفين اللتان أبدى فيهما شجاعة مفرطة وشهد مع علي مشاهده كلها ، وولاه علي على مصر .

(٣) إبراهيم بن يزيد النخعي . وهو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع ، وهو فقيه وتابعي من مدينة الكوفة وأحد الأئمة المعروفين بالفقه في الإسلام

إنَّ وَرَاءَ الأكَمةِ مَا وَرَاءَهَا

أصله أن أَمَةً واعدت صديقها أن تأتيه وراء الأكمة إذا فرغَت من مهنة أهلها ليلا ، فشغلوها عن الإنجاز بما يأمرونها من العمل ، فقالت حين غلبها الشوقُ : حبستموني وإن وراء الأكَمَة ما وراءها .

يضرب لمن يُفْشِي على نفسه أَمْرَاً مستوراً .

إنَّ فِي المُعَارِيضِ لمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ

هذا من كلام عِمْرَان بن حصين[1] .

والمعاريض : جمع المِعْرَاض ، يقال : عرفتُ ذلك في معراض كلامه ، أي فَحْوَاه . قلت : أجود من هذا أن يَقال : التعريض ضدُّ التصريح ، وهو أن يُلْغِزَ كلامه عن الظاهر ، فكلامه مَعْرِض ، والمعاريض جمعه . ثم لك أن تثبت الياء وتحذفها ، والمَنْدُحة : السَّعَة ، وكذلك النُّدْحَة ، يقال : إن في كذا نُدْحَةً : أي سَعَة وفُسْحة .

يضرب لمن يحسب أنه مضطر إلى الكذب

إنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ

قال المفضل : أول من قال ذلك الأفْعَى الجُرْهُمي[2] ، وذلك أن نِزَاراً لما حَضْرَتْه الوفاة جَمَع بنيه مضر وإيادا وربيعة وأنمارا ، فقال : يا بني ، هذه القبة الحمراء – وكانت من أدَم – لمضر ، وهذا الفرس الأدهم والخِباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم – وكانت شَمْطَاء – لإياد ، وهذه البدرة والمجلس لأَنمار يجلس فيه ، فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون فائتوا الأفعى الجرهمي ، ومنزلُه بنَجْرَان . فتشاجروا في ميراثه ، فتوجَّهُوا إلى الأفعى الجرهمي ، فبيناهم في مسيرهم إليه إذ رأى مُضَر أثَرَ كلأ قد رُعِيَ فقال : إن البعير الذي رَعَى هذا لأعْوَر ، قال ربيعة : إنه لأزْوَرُ ، قال إياد : إنه لأَبتَرُ (الأزور : الذي اعوج صدره أو أشرف أحد جانبي صدره على الآخر ، والأبتر : المقطوع الذنب) قال أنمار : إنه لَشَرُود ، فساروا قليلا فإذا هم برجل يَنْشُد جَمَله ، فسألهم عن البعير ،

---

(١) عمران بن حصين صحابي أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت واحد سنة ٧ هـ ، في عام خيبر .

(٢) المقلمس بن عمرو بن قطن بن همدان بن سار بن زيد بن وائل بن عبد شمس بن وائل بن حمير .كان ملكاً على نجران .

فقال مضر : أهو أعور؟ قال : نعم ، قال ربيعة : أهو أزور؟ قال : نعم ، قال إياد : أهو أبتر؟ قال : نعم ، قال أنمار : أهو شَرُود؟ قال : نعم ، وهذه واللّه صفة بعيري فدُلوني عليه ، قالوا : واللّه ما رأيناه ، قال : هذا واللّه الكذبُ . وتَعَلَّق بهم وقال : كيف أصَدِّقكم وأنتم تَصفون بعيري بصفته؟ فساروا حتى قَدموا نَجْران ، فلما نزلوا نادى صاحبُ البعير : هؤلاء أَخَذوا جَمَلي ووصَفوا لي صفته ثم قالوا : لم نَرَهُ ، فاختصموا إلى الأفْعَى ، وهو حَكَم العرب فقال الأفعى : كيف وصفتموه ولم تَرَوْه؟ قال مضر : رأيته رَعَى جانبا وتَرَكَ جانبا فعلمتُ أنه أعور ، وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثَر والأخرى فاسدته ، فعلمت أنه أَزْوَر ، لأنه أفسَده بشدة وَطْئه لازوراره ، وقال إياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بَعَره ، ولو كان ذَيَّالا لَمصَع به ، وقال أنمار : عرفت أنه شَرُود لأنه كان يرعى في المكان الملتفِّ نَبْتُه ثم يَجُوزُه إلى مكان أرقَّ منه وأخبثَ نَبْتاً فعلمت أنه شَرُود ، فقال للرجل : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ، ثم سألهم : مَنْ أنتم؟ فأخبروه ، فرحَّب بهم ، ثم أخبروه بما جاء بهم ، فقال : أتحتاجون إليَّ وأنتم كما أرى؟ ثم أنزلهم فَذَبَحَ لهم شاة ، وأتاهم بخَمْر : وجلس لهم الأفعى حيث لا يُرَى وهو يسمع كلامهم ، فقال ربيعة : لم أَرَ كاليوم لحماً أطيبَ منه لولا أن شاته غُذيت بلبن كلبة ! فقال مضر : لم أر كاليوم خمراً أطيَبَ منه لولا أن حُبْلَتَها نبتت على قَبر ، فقال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسْرَى منه لولا أنه ليس لأبيه الذي يُدْعَى له ! فقال أنمار : لم أر كاليوم كلاما أَنْفَعَ في حاجتنا من كلامنا ، وكان كلامُهم بأذُنه ، فقال : ما هؤلاء إلا شياطين ثم دعا القَهْرَمَان فقال : ما هذه الخمر؟ وما أمرها؟ قَال : هي من حُبْلَة غرستُها على قبر أبيك لم يكن عندنا شرابٌ أطيبُ من شرابها ، وقال للراعي : ما أمر هذه الشاة؟ قال : هي عَنَاق أرضَعْتُها بلبن كلبة ، وذلك أن أمها كانت قد ماتت ولم يكن في الغنم شاة ولدت غيرها ، ثم أتى أمه فسألها عن أبيه ، فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال ، وكان لا يولد له ، قالت : فخفتُ أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك ، فأمكنت من نفسي ابنَ عم له كان نازلا عليه ، فخرج الأفعى إليهم ، فقصَّ القومُ عليه قصتهم وأخبروه بما أوصى به أبوهم ، فقال : ما أشْبَهَ القبة الحمراء من مال فهو لمضر ، فذهب بالدنانير والإبل الحمر ، فسمى «مضر الحمراء» لذلك ، وقال : وأما صاحب الفرس الأدهم والخِباء الأسود فله كل شيء أسود ، فصارت لربيعة الخيلُ الدُّهْمُ ، فقيل «ربيعة الفرس» وما أشبه الخادمَ الشمطاء فهو لإياد ، فصار له الماشية البُلْقُ من الحَبَلَّقِ والنَّقَدِ (الحبلق : غنم صغار لا تكبر ، والنقد : جنس من الغنم قبيح

الشكل) ، فسمى «إياد الشَّمْطَاء» وقضى لأنمار بالدراهم وبما فَضَل فسمى «أنمار الفضل» فصَدَروا من عنده على ذلك ، فقال الأفعى : إن العصا من العُصَية ، وإن خُشَيْناً من أخْشَن ، ومُسَاعدة الخاطل تعد من الباطل ، فأرسلهن مُثُلاً ، وخُشَيْن وأخشن : جَبَلاَن أحدهما أصغر من الآخر ، والخاطل : الجاهل ، والخَطَل في الكلام : اضطرابه ، والعُصَيَّة : تصغير تكبير مثل «أنا عُذَيْقُها المرَجَّبُ وجُذَيْلُها المُحَكَّكُ» والمراد أنهم يشبهون أباهم في جَوْدة الرأي ، وقيل : إن العصا اسم فرس ، والعُصَيَّة اسم أمه ، يراد أنه يحكي الأم في كَرَم العِرْق وشرف العِتْق .

إنَّ الْبَلاَءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

قال المفضل : يقال : إن أول من قال ذلك أبو بكر الصديق رضي اللّه تعالى عنه فيما ذكره ابن عباس ، قال : حدثني علي ابن أبي طالب رضي اللّه تعالى عنه لما أمرَ رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن يَعْرِضَ نفسَه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر ، فَدُفِعْنَا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر وكان نَسَّابة فسَلَّم فردُّوا عليه السلام ، فقال : ممن القوم؟ قالوا : من ربيعة ، فقال : أمنْ هامتها أم من لَهَازمها؟ قالوا : من هامتها العظمى ، قال : فأيُّ هامتها العظمى أَنتم؟ قالوا : ذُهْلٌ الأكبر ، قال : أفمنكم عَوْف الذي يقال له لا حُرّ بوَادي عَوْف؟ قالوا : لا ، قال : أفمنكم بِسْطَام ذُو اللَّواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا : لا؟ قال : أفمنكم جَسَّاس بن مُرَّةَ حامي الذِّمار ومانعُ الجار؟ قالوا : لا ، قال : أفمنكم الحَوْفَزَان قاتل الملوك وسالبها أنفَسها؟ قالوا : لا ، قال : أفمنكم المزدَلف صاحب العِمَامة الفَرْدة؟ قالوا : لا ، قال : أفأنتم أخوال الملوك من كِنْدَة؟ قالوا : لا ، قال : فلستم ذُهْلا الأكبر ، أنتم ذهل الأصغر ، فقام إليه غلام قد بَقَلَ وَجْهُهُ يقال له دغفل ، فقال :

إنَّ عَلَى سائلنا أنْ نَسْأَلَه   وَالْعبْءُ لاَ تَعْرِفُهُ أوْ تَحْمِلَهُ

يا هذا ، إنك قد سألتنا فلم نكتمك شيئاً فمن الرجل أنت؟ قال : رجل من قريش ، قال : بخ بخ أهل الشرف والرياسة ، فمن أي قرش أنت؟ قال : من تَيْم بن مُرَّة ، قال : أمْكَنْتَ واللّه الرامي من صفاء الثغرة ، أفمنكم قُصَيّ بن كلاب الذي جَمَعَ القبائل من فِهْر وكان يُدْعَى مُجَمِّعاُ؟ قال : لا ، قال : أفمنكم هاشم الذي هَشَم الثريدَ لقومه ورجالُ مكة مُسْنتُونَ عِجَاف؟ قال : لا ، قال : أفمنكم شَيْبَةُ الحمد مُطْعم طير السماء الذي كأن في وجهه قمراً يضيء ليل الظلام الداجي؟ قال : لا ، قال :

أفمن المُفيضينَ بالناس أنت؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل النَّدْوَة أنت؟ قال : لا ، قال : أفمن أهلِ الرِّفادة أنت؟ قال : لا ، قال : أفمن أهلِ الحِجَابة أنت؟ قال : لا ، قال : أفمن أهل السِّقَاية أنت؟ قال : لا ، قال : واجتذبَ أبو بكر زمام ناقته فرجع إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فقال دغفل : صادَفَ دَرأ السيلَ دَرْأً يصدعُهُ ، أما واللّه لو نبتَّ لأخبرتك أنك من زَمَعَات قريش أو ما أنا بدغفل ، قال ، : فتبسَّم رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، قال علي : قلت لأبي بكر : لقد وقَعْتَ من الأعرابي على باقِعَةٍ ، قال : أجَلْ إن لكل طامة طامة ، وإن البلاء مُوَكَّل بالمنطق

إنَّ الْبَيْعَ مُرْتَخَصٌ وَغَالٍ

قالوا : أول مَنْ قال ذلك أُحَيْحَةُ بن الجُلاَح الأوْسِيُّ سيد يثرب ، وكان سبب ذلك أن قيس بن زهير العبسي[1] أتاه – وكان صديقا له – لما وقع الشر بينه وبين بني عامر ، وخرج إلى المدينة ليتجَهَّز لقتالهم حيث قتل خالدُ بن جعفر زهيرَ بن جَذِيمة ، فقال قيس لأحَيْحَة : يا أبا عمرو ، نُبِّئت أن عندك درْعا فبِعْنيهَا أو هَبْها لي ، فقال : يا أخا بني عَبْس ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه ، ولَولا أني أكره أن أستلئم إلى بني عامر لوهبتها لك ولحملتك على سَوَابق خيلي ، ولكن اشْتَرِها بابن لَبُون فإن البيع مرتخص وغال ، فأرسلها مثلا ، فقال له قيس : وما تكره من استلآمك إلى بني عامر؟ قال : كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول :

إذا ما أرَدْتَ العزَّ في دار يثرب ... فنادِ بصوت يا أحَيْحَةُ تُمْنَعِ
رأينا أبا عَمْرٍ وأحَيْحَةَ جَارُهُ ... يَبيتُ قريرَ العين غيرَ مُرَوَّعَ
ومن يأته من خائفٍ يَنْسَ خوفَه ... ومن يأته من جائع البطنِ يَشْبَعَ
فضائلُ كانت للجُلاَح قديمة ... وأكْرِمْ بفَخْرٍ من خصالك أربعَ

أتَتْك بحَائنٍ رِجْلاَهُ

كان المفضَّل يخبر بقائل هذا المثل فيقول : إنه الحارث بن جَبَلَة الغَسَّاني[2] ،

(١) قيس بن زهير بن جَذِيمة العبسي : هو الفارس المشهور الذي كان على يده حرْب داحس والغبراء بين بني عَبْس وبني فزارة في الجاهلية .

(٢) الحارث بن جبلة هو أحد ملوك غسان هو فارس يوم حليمة حيث انتصر جيشه على جيش المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة .

قاله للحارث بن عيف العبدي ، وكان ابن العيف قد هَجَاه ، فلما غزا الحارث بن جَبَلة المنذرَ ابن ماء السماء كان ابن العيف معه ، فقُتِل المنذر ، وتفرقت جموعُه ، وأسِرَ ابنُ العيف ، فأتى به إلى الحارث بن جَبَلة ، فعندها قال : أتتك بحائن رجلاه ، يعني مسيرَه مع المنذر إليه ، ثم أمر الحارث سيافه الدلامص فضربه ضربةً دقت منكبه ، ثم برأ منها وبه خَبَل وقيل : أول مَنْ قاله عَبيدُ بن الأبْرَصِ حين عَرَض للنعمان بن المنذر في يوم بؤسه ، وكان قَصده ليمدحه ، ولم يعرف أنه يومُ بؤسه ، فلما انتهى إليه قال له النعمان : ما جاء بك يا عَبيد؟ قال : أتتك بحائن رجلاه ، فقال النعمان : هلا كان هذا غَيْرَك؟ قال : الْبَلاَيا على الحْوَايا ، فذهبت كلمتاه مثلا .

إنَّما أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الأَبْيَضُ

يورى أن أمير المؤمنين عليا رضي اللّه تعالى عنه قال : إنما مَثَلي ومثلُ عثمان كمثل أنوار ثلاثة كنَّ في أَجَمةٍ أبيضَ وأسودَ وأحمرَ ، ومعهن فيها أسد ، فكان لا يقدِرُ منهن على شيء لاجتماعهن عليه ، فقال للثور الأسود والثور الأحمر : لا يُدلُّ علينا في أَجَمتنا إلا الثورُ الأبيضُ فإن لونه مشهور ولوني على لونكما ، فلو تركتماني آكُلُه صفَتْ لنا الأَجمة ، فقالا : دونَكَ فكُلْه ، فأكله ، ثم قال للأحمر : لوني على لونك ، فَدَعْني آكل الأسود لتصفو لنا الأجَمة ، فقال : دونَكَ فكُلْه ، فأكله ، ثم قال للأحمر : إني آكِلُكَ لا مَحالَة ، فقال : دعني أنادي ثلاثا ، فقال : افْعَلْ ، فنادى ألاَ إني أكِلْتُ يوم أكِلَ الثورُ الأبيض ، ثم قال علي رضي اللّه تعالى عنه : ألا إني هُنْتُ – ويروى وَهَنْتُ – يوم قتل عثمان ، يرفع بها صوته .

يضربه الرجل يُرْزَأ بأخيه

إذَا حَكَكْتُ قَرْحَةً أدْمَيْتُها

يحكى هذا عن عمرو بن العاص ، وقد كان اعتزل الناسَ في آخر خلافة عثمان بن عفان رضي اللّه تعالى عنه ، فلما بلغة حَصْره ثم قَتْله قال : أنا أبو عبد اللّه إذا حككتُ قَرْحَةً أدميتها .

إنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لاَ يَبْغِ عَلَيْكَ القَمَرُ

قال المفضل بن محمد : بلغنا أن بني ثعلبة ابن سعد بن ضبة[١] في الجاهلية تَرَاهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة ، فقالت طائفة : تطلع الشمس والقمر يُرَى ، وقالت طائفة : بل يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس فتراضَوْا برجل جَعَلوه بينهم ، فقال رجل منهم : إن قومي يبغون علي ، فقال العَدْل : إِنْ يَبْغ عليك قومُك لا يبغ عليك القمر ، فذهب مثلاً .

يضرب للأمر المشهور

إحْدَى حُظَيَّاتِ لُقْمَانَ

ولقمان هذا هو : لُقْمان بن عاد ، وحديثه أنه كان بينه وبين رجلين من عاد ، يقال لهما عمرو وكعب ابنا تِقْن بن معاوية قتال ، وكانا رَبَّيْ إبل ، وكان لقمان ربّ غنم فأعجبت لقمانَ الإبلُ ، فراودهما عنها ، فأبَيَا أن يبيعاه ، فعمد إلى ألبان غَنَمه من ضأن ومِعْزًى وأنافحَ من أنافح السَّخْل ، فلما رأيَا ذلك لم يلتفتا إليه ولم يرغبا في ألبان الغنم ، فلما رأى ذلك لقمان قال : اشتَرِياها ابْنَيْ تِقْن ، أقبلَتْ مَيْسا ، وأدبَرتْ هَيْسا ، وملأت البيتَ أقطاً وحَيْسا . اشتريَاها ابْنَيْ تِقْن ، إنها الضأن تُجَزّ جفَالاَ ، وتُنْتَج رِخَالا ، وتحلب كَثَباً ثقالا . فقالا : لا نشريها يالُقْمَ ، إنها الإبل حملْنَ فاتسقْنَ ، وجرَيْنَ فأَعْنَقْنَ ، وبغير ذلك أفلتن ، يَغْزُرْن إذا قطن . فلم يبيعاه الإبل ولم يشريا الغنم ، فجعل لقمان يُدَاورهما ، وكانا يَهَابانه ، وكان يلتمس أن يغفلا فيشدّ على الإبل ويَطْرُدها ، فلما كانَ ذاتَ يوم أصابا أرنباً وهو يَرْصُدهما رجاء أن يصيبهما فيذهب بالإبل ، فأخذا صفيحة من الصَّفا ، فجعلها أحدُهما في يده ، ثم جعل عليهما كومةً من تراب قد أَحْمَيَاه فملأ الأرنب في ذلك التراب فلما أَنْضَجَاها نَفَضَا عنها التراب فأكلاها ، فقال لقمان : ياويله أنيئةً أكلاها ، أم الريح أَقْبَلاَها ، أم بالشِّيح اشتَوَيَاها ، ولما رآهما لقمان لا يغفلان عن إبلهما ، ولم يجد فيهما مطمعاً لقيهما ومع كل واحد منهما جَفير مملوء نَبْلاً وليس معه غير نَبْلَين ، فخدعهما فقال : ما تصنعان بهذه النبل الكثيرة التي معكما؟ إنما هي حَطَب ، فوالله ما أحمل معي غير نَبْلِين ، فإن لم أُصِبْ

---

(١) بطن من ضبّة ، من طابخة ، من العدنانية ، وهم : بنو ثعلبة ابن سعد بن ضبة . من أيامهم نقا الحسن لبني ثعلبة هؤلاء على بكر بن وائل .

بهما فلستُ بمصيب ، فعمدا إلى نبلهما فنثَراها غير سهمين ، فعمد إلى النبل فحواها ، ولم يُصب لقمان منهما بعد ذلك غرّة وكان فيما يذكرون لعمرو بن تقْن امرأة فطلقها ،فتزوجها لقمان ، وكانت المرأة وهي عند لقمان تكثر أن تقول : لَافَتَى إلا عمرو ، وكان ذلك يغَيظ لقمان ، ويسوءه كثرة ذكرها ، فقال لقمان : لقد كثَرْتِ في عمرو ، فوالله لأقتلنَّ عمراً ، فقالت : لا تفعل . وكانت لابني تقْن سمُرة يستظلاَّنَ بها حتى ترد إبلهما فيسقيانها ، فصعدها لقمان ، واتخذ فيها عُشًّا رجاء أن يصيب من ابني تقْن غِرَّة ، فلما وردت الإبل تجرَّد عمرو وأَكَبَّ على البئر يستقي ، فرماه لقمان من فوقه بسَهْم في ظهره ، فقال : حَسّ ، إحدى حُظَيات لقمان ، فذهب مثلا ، ثم أَهْوَى إلى السهم فانتزعه ، فوقع بصره على الشجرة ، فإذا هو بلقمان ، فقال : انزل ، فنزل ، فقال : اسْتَقِ بهذه الدلو فزعموا أن لقمان لما أراد أن يرفع الدلو حين امتلأت نَهَضَ نهضةً فضَرَطَ ، فقال له عمرو : أَضرَط آخِرَ اليوم وقد زال الظهر؟ فأرسلها مثلاً . ثم إن عمراً أراد أن يقتل لقمان ، فتبَّسم لقمان : فقال عمرو : أضَاحك أَنْت؟ قال لقمان : ما أَضْحَكُ إلا من نفسي ، أما إني نُهيتُ عما ترى ! فقال : ومَنْ نهاك؟ قال : فلانة ، قال عمرو : أَفَلِي عليك إن وَهَبْتُك لها أن تُعْلمها ذلك؟ قال : نعم ، فخلّى سبيله ، فأتاها لقمان فقال : لا فَتًى إلا عمرو ، فقالت : أقد لقيته؟ قال : نعم لقيته فكان كذا وكذا ثم أَسَرَني فأراد قتلي ثم وَهَبني لك ، قالت : لا فَتًى إلا عمرو .

يضرب لمن عُرِف بالشر ، فإذا جاءت هَنَةٌ من جنس أفعاله قيل : إحْدَى حُظَيات لقمان أي أنه فَعْلَةَ من فَعَلاَته

إنَّكَ خَيْرٌ منْ تفَاريقِ العَصا

قالوا : هذا من قول غُنَيَّة الأعرابية لابنها وكان عَارما كثيرَ التلفت إلى الناس مع ضعف أَسْرٍ ودقة عظم ، فواثب يوماً فتى فقطع الفتى أَنفه ، فأخذت غُنيَة ديةَ أنفه ، فحَسُنت حالها بعد فقر مُدْقع ، ثم واثب آخر فقطع أذنه ، فأخذت دِيَتَها ، فزادت حُسْنَ حال ، ثم واثب آخر فقطع شَفَته ، فأخذت الدية ، فلما رأت ما صار عندها من الإبل والغنم والمَتَاع ، وذلك من كَسْب جوارح ابنها حَسُن رأيها فيه وذكرته في أرجوزتها فقالت :

أَحْلِفُ بالْمَرْوَة حَقّاً وَالصَّفَا ... أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا

يضرب فيمن نَفْعُه أَعَمَّ من نفع غيره

إنَّ العَصا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْم

قيل : إن أول من قُرعت له العصا عمرُو بن مالك بن ضُبَيْعة[١] أخو سعد بن مالك الكناني ، وذلك أَن سعداً أتى النعمانَ بن المنذر[٢] ومعه خيل له قادها ، وأخرى عَرَّاها ، فقيل له : لم عَرّيت هذه وقُدْت هذه؟ قال : لم أقد هذه لأمْنَعَهَا ولم أعر هذه لأهَبَهَا . ثم دخل على النعمان ، فسأله عن أرضه ، فقال : أما مَطَرها فغَزير ، وأما نَبْتها فكثير ، فقال له النعمان : إنك لَقَوَّال ، وإن شئت أتيتك بما تَعْيا عن جوابه ، قال : نعم ، فأمر وَصيفاً له أن يَلْطمَهُ ، فلطَمه لَطْمة ، فقال : ما جواب هذه؟ قال : سَفيه مأمور ، قال : الْطمْه أخرى ، فلطمه ، قال : ما جوابُ هذه؟ قال : لو أَخذ بالأولى لم يعد للأخرى ، وإنما أراد النعمان أن يتعدَّى سعد في المنطق فيقتله ، قال : الطمه ثالثة ، فلطمه ، قال : ما جواب هذه؟ قال : رَبٌّ يؤدب عبده ، قال : الْطمْه أخرى ، فلطمه ، قال : ما جواب هذه؟ قال : مَلَكْتَ فأَسْجِحْ ، فأرسلها مثلاً ، قال النعمان : أصَبْتَ فامكُثْ عندي ، وأعجبه ما رأى منه ، فمكث عنده ما مكث . ثم إنه بَدَا للنعمان أن يبعث رائداً ، فبعث عمراً أخا سَعْد ، فأبطأ عليه ، فأغضبه ذلك فأقسم لئن جاء ذامّاً للكلأ أو حامداً له ليقتلنه ، فقدم عمرو ، وكان سعد عند الملك ، فقال سعد : أتأذن أن أُكلمه؟ قال : إذَنْ يقطع لسانك ، قال : فأشير إليه؟ قال : إذن تقطع يدك ، قال : فأقرع له العصا؟ قال : فَاقْرَعْها ، فتناول سعد عَصَا جليسه وقَرَع بعصاه قرعةً واحدة ، فعرف أنه يقول له : مكانك ، ثم قرع بالعصا ثلاث قرعات ، ثم رفعها إلى السماء ومَسَح عَصَاه بالأرض ، فعرف أنه يقول له : لم أَجد جَدْباً ، ثم قرع العصا مراراً ثم رفعها شيئاً وأومأ إلى الأرض ، فعرف أنه يقول : ولا نَبَاتاً ، ثم قرع العصا قرعةً وأقبل نحو الملك ، فعرف أنه يقول : كَلِّمه ، فأقبل عمرو حتى قام بين يدي الملك ، فقال له : أخْبِرْني هل حمدت خِصْباً أو ذممت جَدْبا؟ فقال عمرو : لم أذم هُزْلا ، ولم أحمد بَقْلا ، الأرضُ مُشْكِلة لا خِصْبُها يعرف ، ولا جَدْبُها يوصف ،

---

(١) عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وهو المرقش الأكبر شاعر جاهلي من الطبقة الأولى له قصيدة تدخل في المعلقات ، وسمي المرقش لقوله : الدار قفر والرسوم كما . . . رقش في ظهر الأديم قلم

(٢) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي ، الملقب بأبي قابوس كان مسيحيا نسطوريا تسلم مقاليد الحكم بعد أبيه ، وهو من أشهر ملوك المناذرة قبل الإسلام .

رائدُها واقف ، ومُنْكِرِها عارف ، وآمنُها خائف . قال الملك : أَوْلى لك ، فقال سعد بن مالك يذكر قَرْع العصا :

قَرَعْتُ العَصَا حتى تبيَّنَ صاحِبِي ... ولم تَكُ لولا ذاك في القوم تُقْرَعُ
فقال : رأيتُ الأرضَ ليس بمُمْحِل ... ولا سارح فيها على الرعْي يَشْبَعُ
سَوَاء فلا جَدْب فيعرفَ جَدْبُهَا ... ولا صَابَهَا غَيْثٌ غَزِيرَ فتُمْرِعُ
فَنَجَّى بها حَوْبَاء نَفْس كريمة ... وقد كاد لولا ذَاكَ فيهِمْ تقطعُ

هذا قول بعضهم . وقال آخرون في قولهم «إن العصا قرعت لذي الحلم» : إن ذا الحلم هذا هو عامر بن الظَّرِب العَدْوَاني ، وكان من حكماء العرب ، لا تَعْدِل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً ، فلما طَعَنَ في السن أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبنيه : إنه قد كبرَتْ سنِّي وعرض لي سَهْو ، فإذا رأيتموني خرجْتُ من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي المِجَنَّ بالعصا ، وقيل : كانت له جارية ، يقال لها خصيلة ، فقال لها : إذا أنا خُولِطْتُ فاقرعي لي العصا ، وأُتيَ عامر بخُنْثَى ليحكم فيه ، فلم يَدْرِ ما الحكم ، فجعل ينحَر لهم ويُطعمهم ويدافعهم بالقضاء ، فقالت خصيلة : ما شأنك؟ قد أتلفْتَ مالك ، فخبرها أنه لا يدري ما حكم الخنثى ، فقالت : أَتْبِعْهُ مَبَاله . قال الشعبي : فحدثني ابن عباس به قال : فلما جاء الله بالإسلام صارت سنة فيه .

وعامر هو الذي يقول :

أرى شَعَرات على حاجِبَيّ ... بيضاً نبتن جميعاً تُؤَامَا
ظَلْلتُ أهاهي بهنَّ الكلا ... ب أَحْسَبُهُنَّ صِوَاراً قياما
وأَحْسِبُ أَنْفِي إذا ما مَشَيْـ ... ـتُ شَخْصاً أمامي رآني فقاما

يقال : إنه عاش ثلثمائة سنة ، وعو الذي يقول :

تقول ابنتي لما رأتني كأنني ... سَلِيمُ أَفَاع ليلُهُ غير مودع
وما الْمَوْتُ أفناني ، ولكن تتابَعَتْ ... على سنُونٌ منْ مَصيف ومَرْبَع
ثَلاَثُ مئينَ قد مَرَرْنَ كواملاً ... وها أنا هذا أرتجي مرّ أَرْبَعَ
فأصبحتُ مثلَ النَّسْر طارَتْ فراخُه ... إذا رام تَطْياراً يقال له : قَعَ
أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القرون التي مَضَتْ ... ولا بدَّ يوماً أن يُطَار بمَصْرَعِي

قال ابن الأعرابي : أول من قرعت له العصا عامر بن الظَّرِب العَدْوَاني ، وربيعة تقول : بل هو قيس بن خالد بن ذي الجَدَّيْن وتميم تقول : بل هو ربيعة بن مُخَاشِن

أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، واليمن تقول : بل هو عمرو بن حُمَمَة الدوسيّ .

لِـذي الحِلْم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصَا   ومـا عُلِّـم الإنسـان إلا لِيَعْلَمَـا

والمثل يضرب لمن إذا نُبِّه انتبه

آكلُ لحمِي ولاَ أدَعُهُ لآكِلٍ

أول من قال ذلك العَيَّار بن عبد الله الضبيّ ثم أحد بني السِّيد بن مالك بن بكر بن سَعْد بن ضبة ، وكان من حديثه فيما ذكر المفضل أن العَيَّار وفَد هو وحُبَيْش ابن دُلَف وضِرَار بن عَمْرو الضَّبِّيَّان على النعمان ، فأكرمهم وأجرى عليهم نُزُلاً ، وكان العيار رجلا بطالا يقول الشعر ويضحك الملوك ، وكان قد قال :

لا أذْبَـحُ النـازيَ الشَّبـوب ولا   أسْلَـخُ يـومَ المُقَامـة العُنُقَـا

وكان منزلهم واحدا ، وكان النعمان باديا فأرسل إليهم بجُزُر فيهن تيس فأكلوهن غير التيس فقال ضِرار للعَيَّار وهو أحدثهم سنا : إنه ليس عندنا من يسلخ هذا التيس فلو ذبحته [وسلخته] وكفيتنا ذلك ، قال العيار : ما أبالي أن أفعل ، فذبح التيس وسَلَخه ، فانطلق ضِرار إلى النعمان فقال : أبيت اللعن ! إن العيار يسلخ تيسا ، قال : أبعد ما قال؟ قال : نعم ، فأرسل إليه النعمان فوجَده الرسولُ يسلخ تيسا فأتى به ، فقال له : أين قولك * لا أذبح النازي الشبوب*؟ وأنشده البيت ، فخجِل العَيَّار ، وضحك النعمان منه ساعة ، وعَرَف العيار أن ضِرارا هو الذي أخبر النعمان بما صنع ، وكان النعمان يجلس بالهاجرة في ظل سُرَادقه ، وكان كسا ضرار حلةً من حُلَله ، وكان ضرار شيخا أعرج بادنا كثير اللحم ، قال : فسكت العيار حتى كانت ساعة النعمان التي يجلس فيها في [ظل] سُرَادقه ويؤتى بطعامه عمد العيار إلى حُلَّة ضرار فلبسها ، ثم خرج يتعارج حتى إذا كان بحيال النعمان كشف عنه فخرئ ، فقال النعمان : ما الضرار قاتله الله لا يَهَابُني عند طعامي؟ فغضب على ضرار ، فخلف ضرار ما فعل ، قال : ولكني أرى أن العَيَّار فعل هذا من أجل أني ذكرت سَلْخه التيسَ ، فوقع بينهما كلام حتى تشاتما عند النعمان ، فلما كان بعد ذلك ووقع بين ضرار وبين أبي مَرْحَب أخي بني يَرْبُوع ما وقع تناول أبو مَرْحَب ضرارا عند النعمان والعيار شاهد ، فشتم العيار أبا مرحب وزجَره فقال النعمان : أتشتم أبا مَرْحَب في ضرار وقد سمعتك تقول له شرا مما قال له أبو مرحب؟ فقال العيار : أبيت اللعن

وأسعدك إلهك ، آكل لحمي ولا أدعه لآكل ، فأرسلها مثلا ، فقال النعمان : لا يملك مَوْلىً لمولى نصرا ، فأرسلها مثلا .

إنَّ أخِي كانَ مَلَكي

قال أبو عمرو : إن أبا حَنَش التغلبي لما أدْرَكَ شَرَحْبيل عمّ امرئ القيس ، وكان شَرَحْبيل قتل أخا أبي حَنَش قال : يا أبا حَنَش اللَّبَن اللَّبَن ، أي خُذْ مني الديَةَ ، فقال له أبو حنش : هَرَقْتَ لبناً كثيراً ، أي قتلت أخي ، فقال له شرحبيل : أمَلِكاً بسُوقة؟ أي أتقتلُ ملكا بدل سوقة ، فقال أبو حنش : إن أخي كان مَلِكِي

إلَيْكَ يُسَاقُ الحدِيثُ

زعموا أن رجلا أتى امرأةً يخطُبها ، فأنعظ وهي تكلمه ، فجعل كُلَّما كلمتْهُ ازداد إنعاظا ، وجعل يستحي ممن حضرها من أهلها ، فوضع يده على ذكره وقال : إلَيْكَ يُسَاقُ الحديثُ ، فأرسلها مثلا . وقال ابن الكلبي : جَمَع عامر بن صَعْصَعَة بنيه ليُوصِيَهم عند موته ، فمكث طويلاً لا يتكلم ، فاستحثهُ بعضهم ، فقال له : إليك يساق الحديث

أنَا النذِّيرُ الْعُرْيانُ

قال ابن الكلبي : من حديث النذير العريان أن أبا دُوَاد الشاعرَ كان جاراً لْلمُنْذر ابن ماء السماء[1] ، وأن أبا دُوَاد نازَع رجلا بالحِيرة من بَهْراء يقال له رقبة بن عامر ، فقال له رقبة : صالحني وحالفني ، قال أبو داود : فمن أين تعيش أبا داود؟ فواللّه لولا ما تصيب من بَهْرَاء لهلكت ، ثم افترقا على تلك الحالة ، وإن أبا دُوَاد أخرج بَنِينَ له ثلاثةً في تجارة إلى الشام ، فبلغ ذلك رقبة ، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دُوَاد عند المنذر ، وأخبرهم أن القوم وَلَدُ أبي دُوَاد ، فخرجوا إلى الشام فقتلوهم وبعثوا برءوسهم

(١) المنذر بن امرئ القيس بن النعمان (الملقب بابن ماء السماء) أحد ملوك الحيرة ، حكم في الفترتين الأولى (٥١٤-٥٢٤) والثانية (٥٢٨-٥٥٤) ، أمه هي مارية بنت عوف بن جشم ابن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن الخزرج بن تيم الله بن النمر ابن قاسط ، وقد سميت بماء السماء لجمالها وحسنها .

إلى رقبة ، فلما أتته الرءوس صنَع طعاماً كثيراً ، ثم أتى المنذر فقال له : قد اصطنعت لك طعاماً فأنا أحب أن تَتَغَدّى ، فأتاه المنذر وأبو دُوَاد معه ، فبينا الجفان تُرْفَع وتوضع إذ جاءت جَفْنة عليها أحد رؤس بني أبي دُوَاد ، فقال أبو داود : أَبَيْتَ اللَّعْنَ إني جارُكَ وقد ترى ما صنع بي ، وكان رقبة جارا للمنذر ، قال فوقعَ المنذر منهما في سوأة ، وأمر برقبة فحبس ، وقال لأبي دُوَاد : ما يرضيك؟ قال : أن تبعث بكتيبتيك الشَّهْباء والدَّوْسَر إليهم ، فقال له المنذر : قد فعلْتُ ، فوجَّه إليهم الكتيبتين ، قال : فلما رأى ذلك رقبة مِنْ صُنْع المنذر قال لامرأته : الْحَقِي بقومك فأنذريهم ، فعمدت إلى بعض إبل البَهْرَاني فركبته ثم خرجت حتى أتت قومها فعرّفت ، ثم قالت : أنا النَّذيرُ العُرْيَان ، فأرسلتها مثلا ، وعرف القومُ ما تريد ، فَصَعدوا إلى علياء الشام ، وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحدا ، فقال المنذر لأبي دواد : قد رأيتَ ما كان منهم ، أفيُسْكِتك عني أن أعطيك بكل رأس مائتي بعير؟ قال : نعم ، فأعطاه ذلك ، وفيه يقول قيس بن زهير العبسي :

سأفْعَلُ مَا بَدا لِيَ ثُمَّ آوي إلى جار كَجَارِ أبي دُوَاد

وقال غيره : إنما قالوا «النذير العريان» لأن الرجل إذا رأى الغارةَ قد فَجَأَتْهم وأراد إنذار قومه تجرَّد من ثيابه وأشار بها ليعلم أنه قد فجاءهم أمر ، ثم صار مثلاً لكل أمر تُخَاف مفاجأته ، ولكل أمر لا شبهة فيه .

إيَّاكِ أعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَهْ

أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفَزَاري ، وذلك أنه خرج يريد النعمان ، فمر ببعض أحياء طيء ، فسأل عن سيد الحي ، فقيل له : حارثة بن لأم ، فأَمَّ رَحْلَه فلم يُصِبْه شاهدا فقالت له أخته : انْزِلْ في الرَّحْب والسَّعَة ، فنزل فأكرمته ولاطفته ، ثم خرجت من خِبائها فرأى أجْمَلَ أهل دهرها وأكملهم ، وكانت عَقيلَةَ قومها وسيدة نسائها ، فرقع في نفسه منها شيء ، فجعل لا يَدْري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك ، فجلس بفناء الخباء يوماً وهي تسمع كلامه ، فجعل ينشد ويقول :

يَا أخْتَ خَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارَهْ كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فَتَى فَزَارَهْ
أصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً معْطَارَهْ إيَّاكِ أعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَهْ

فلما سمعت قوله عرفت أنه إياها يعني ، فقالت : ماذا بِقَوْلِ ذي عقل أريب ، ولا رأيٍ مصيب ، ولا أنف نجيب ، فأَقِمْ ما أقَمْتَ مكرَّما ثم ارْتَحِلْ متى شئت مسلماً ،

ويقال أجابته نظماً فقالت :

إنِّــي أقُــولُ يَــا فَتَــى فَــزَارَهْ لاَ أبْتَغِــي الــزَّوْجَ وَلاَ الدَّعَـارَهْ

وَلاَ فِــرَاقَ أَهْــلِ هــذِي الجَْــارَهْ فَارْحَــلْ إلــىَ أهْلــكَ باسْتِخَارَهْ

فاسْتَحْيا لفتى وقال : ما أردتُ منكرا واسوأتاه ، قالت : صدقْتَ ، فكأنها اسْتَحْيَتْ من تسرُّعها إلى تُهمَته ، فارتحل ، فأتى النعمان فَحَبَاه وأكرمه ، فلما رجع نزل على أخيها ، فبينا هو مقيم عندهم تطلَّعت إليه نفسُها ، وكان جميلا ، فأرسلت إليه أنِ اخْطُبني إن كان لك إليَّ حاجة يوما من الدهر فإني سريعة إلى ما تريد ، فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه .

يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً غيره .

أبِي يَغْزو، وأُمِّي تُحَدِّثُ.

قال ابن الأعرابي : ذكروا أن رجلا قدم من غَزَاة ، فأتاه جيرانُه يسألونه عن الخبر ، فجعلت امرأته تقول : قَتَل من القوم كذا ، وهَزَم كذا ، وجُرِح فلان ، فقال ابنها متعجبا : أبي يغزو وأُمي تحد

إنْ كنْتِ غضْبَى فعَلَى هَنِك فاغْضَبِي.

قال يونس بن حبيب : يقال : زَنَتْ ابنةٌ لرجل من العرب وهي بكر ، فناداها أبوها يا فلانة ، فقالت : إني غَضْبَى ، قال لها أبوها : ولم؟ قالت : إني حُبَيْلى ، قال : إن كنت غضبى ، المَثَلَ ، أي هذا ذنبك .

يضرب في موضع قولهم «يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَ»

إنّ غداً لناظِرِه قَرِيبُ.

وأول من قال ذلك قُرَاد بن أجْدَعَ[1] ، وذلك أن النعمان بن المنذر خرج يتصيد على فرسه اليَحْمُوم ، فأجراه على أثَر عَيْر ، فذهب به الفرس في الأرض ولم يقدر

(١) قُراد بن أجدع الكلبي . شاعر جاهلي من بني الحداقية ، من بني جشم بن بكر بن عامر الأكبر ، كان نصرانياً ، ومن مجالسي ملوك الحيرة .وهو صاحب قصة الوفاء المعروفة التي كفل فيها حنظلة الطائي يوم عزم النعمان بن المنذر (أو المنذر بن ماء السماء) قتله في يوم بؤسه .

عليه ، وانفرد عن أصحابه ، وأخذته السماء ، فطلب مَلْجأ ياجأ إليه ، فدُفع إلى بناء فإذا فيه رجل من طيء يقال له حَنْظَلة ومعه امرأة له ، فقال لهما : هل من مَأوًى ، فقال حنظلة : نعم ، فخرج إليه فأنزله ، ولم يكن للطائي غير شاة وهو لا يعرف النعمان ، فقال لامرأته : أرى رجلاً ذا هيئة وما أخْلَقَه أن يكون شريفاً خطيراً فما الحيلة؟ قالت : عندي شيء من طَحين كنت ادّخرته فاذبح الشاةَ لأتخذ من الطحين مَلَّة ، قال : فأخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه مَلَّة ، وقام الطائيّ إلى شاته فاحتلبها ثم ذبحها فاتخذ من لحمها مَرَقة مَضِيرة ، وأطعمه من لحمها ، وسقاه من لبنها ، واحتال له شراباً فسقاه وجعل يُحَدثه بقية ليلته ، فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه ، ثم قال : يا أخا طيء اطلب ثَوَابك ، أنا الملك النعمان ، قال : أفعل إن شاء الله ، ثم لحق الخيل فمضى نحو الحِيرة ، ومكث الطائي بعد ذلك زماناً حتى أصابته نَكْبة وجَهْد وساءت حاله ، فقالت له امرأته : لو أتيتَ الملك لأحسن إليك ، فأقبلَ حتى انتهى إلى الحِيرَة فوافق يومَ بؤس النعمان ، فإذا هو واقف في خَيْله في السلاح ، فلما نظر إليه النعمان عرفه ، وساءه مكانه ، فوقف الطائيّ المنزولُ به بين يدي النعمان ، فقال له : أنت الطائيّ المنزول به؟ قال : نعم ، قال : أفلا جئْتَ في غير هذا اليوم؟ قال : أَبَيْتَ اللعن ! وما كان علمي بهذا اليوم؟ قال : والله لو سَنَحَ لي في هذا اليوم قابوسُ ابني لم أجد بُدّا من قتله ، فاطلب حاجَتَكَ من الدنيا وسَلْ ما بدا لك فإنك مقتول ، قال : أَبَيْتَ اللعنَ ! وما أصنع بالدنيا بعد نفسي . قال النعمان : إنه لا سبيل إليها ، قال : فإن كان لا بدّ فأجِّلْني حتى أُلِمَّ بأهلي فأوصي إليهم وأهيئ حالهم ثم أنصرف إليك ، قال النعمان : فأقم لي كَفيلاً بموافاتك ، فالتفت الطائي إلى شريك بن عمرو بن قيس من بني شيبان ، وكان يكنى أبا الحَوْفَزَان وكان صاحب الردافة ، وهو واقف بجنب النعمان ، فقال له :

يا شريكا يا ابن عمرو هل من الموت مَحَالة
يا أخا كل مُضَاف يا أخا مَنْ لا أخا له
يا أخا النعمان فُكَّ الـ ـيوم ضَيْفاً قد أتى له
طالما عالج كرب الـ ـموت لا ينعم باله

فأبى شريك أن يتكفل به ، فوثب إليه رجل من كلب يقال له قُرَاد بن أجْدَع ، فقال للنعمان : أبيت اللَّعْن ! هو عليّ ، قال النعمان : أفعلت؟ قال : نعم ، فضمّنه إياه ثم أمر للطائي بخمسمائة ناقة ، فمضى الطائيّ إلى أهله ، وجَعَلَ الأجَلَ

حولا من يومه ذلك إلى مثل ذلك اليوم من قابل ، فلما حال عليه الحولُ وبقي من الأجل يوم قال النعمان لقُرَاد :

ما أراك إلا هالكاً غداً ، فقال قُرَاد :

فإن يَكُ صَدْرُ هذا اليوم وَلى فإنَّ غَداً لناظره قَريبُ

فلما أصبح النعمان ركب في خيله ورَجْله متسلحاً كما كان يفعل حتى أتى الغَرِيَّيْنِ فوقف بينهما ، وأخرج معه قُرَادا ، وأمر بقتله ، فقال له وزراؤه : ليس لك أن تقتله حتى يستوفي يومه ، فتركه ، وكان النعمان يشتهي أن يقتل قُرَادا ليُفْلَتَ الطائي من القتل ، فلما كادت الشمس تَجِبُ وقُرَاد قائم مُجَرَّد في إزار على النِّطَع والسيافُ إلى جنبه أقبلت امرأته وهي تقول :

أيا عَيْنُ بكى لي قُرَاد بن أجْدَعَا رَهينا لقَتْل لا رهينا مُوَدّعا

أتته المنايا بَغْتةً دون قومه فأمسى أسيراً حَاضر البَيْت أضْرَعَا

فبينا هم كذلك إذ رفع لهم شخص من بعيد ، وقد أمر النعمان بقتل قراد ، فقيل له : ليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو ، فكفَّ حتى انتهى إليهم الرجلُ فإذا هو الطائي ، فلما نظر إليه النعمان شَقَّ عليه مجيئه ، فقال له : ما حملك على الرجوع بعدَ إفلاتك من القتل؟ قال : الوفاء ، قال : وما دَعَاك إلى الوفاء؟ قال : دِيني ، قال النعمان : فاعْرِضْهَا عليّ ، فعرضها عليه ، فتنصر النعمان وأهلُ الحِيرة أجمعون ، وكان قبل ذلك على دين العرب ، فترك القتلَ منذ ذلك اليوم ، وأبطل تلك السُّنَّة وأمر بهدم الغَريّيْن ، وعفا عن قُرَاد والطائي ، وقال : والله ما أدري أيها أوفى وأكرم ، أهذا الذي نجا من القتل فعاد أم هذا الذي ضمنه؟ والله لا أكون ألأمَ الثلاثة ، فأنشد الطائيّ يقول :

ما كُنْتُ أُخْلِفُ ظنه بعد الذي أسْدَى إليّ من الفَعَال الخالي

ولقد دَعَتْني للخلاف ضَلاَلَتي فأبَيْتُ غيرَ تمجُّدي وفعالي

إني امرؤ منّي الوفاءُ سَجِية وجزاء كل مكارم بَذَّالِ

وقال أيضاً يمدح قُرَادا :

ألا إنما يسمو إلى المجد والعُلا مَخاريقُ أمثال القُرَاد بْن أجْدَعَا

مخاريقُ أمثال القراد وأهله فإنهمُ الأخيار من رَهْطِ تبعا

إِنّ أَخاكَ مَنْ آسَاكَ.

يضـرب في الحثّ على مـراعـاة الإخـوان وأول من قـال ذلك خُـزَيم بن نَوْفل الهَمْداني ، وذلك أن النعمان بن ثَوَاب العبديّ ثم الشنيّ كان له بنون ثلاثة : سعد ، وسعيد ، وساعدة ، وكان أبوهم ذا شرف وحكمة ، وكان يوصي بنيه ويحملهم على أدَبه ، أما ابنه سعد فكان شجاعاً بطلاً من شياطين العرب لا يُقَام لسبيله ولم تَفُتْه طَلِبَتهُ قطّ ، ولم يفرَّ عن قِرْن . وأما سعيد فكان يشبه أباه في شرفه وسؤدده . وأما ساعدة فكان صاحب شراب ونَدَامى وإخوان ، فلما رأى الشيخ حالَ بنيه دعا سعدا وكان صاحب حرب فقال : يا بُنَي إن الصارم يَنْبو ، والجواد يَكْبُوُ ، والأثر يعفو ، فإذا شهدت حرباً فرأيت نارها تستعر ، وبطلها يحظر ، وبحرها يزخر ، وضعيفها ينصر ، وجبانها يجسر ، فأقْلِل المكث والانتظار ، فإن الفرار غير عار ، إذا لم تكن طالبَ ثار ، فإنما ينصرون هم ، وإياكَ أن تكون صَيْدَ رماحها ، ونطيح نطاحها ، وقال لابنه سعيد وكان جوادا : يا بني لا يبخل الجواد ، فابذل الطارف والتِّلاد ، وأقلل التَّلاح ، تُذْكَرُ عند السماح ، وأبْلُ إخوانك فإن وَفِيَّهم قليل ، واصنع المعروف عند محتمله . وقال لابنه ساعدة وكان صاحب شراب : يا بني إن كثرة الشراب تفسد القلب ، وتقلل الكسب ، وتجدّ اللعب ، فأبصر نَديمك ، واحْمِ حريمك ، وأعِنْ غريمك ، واعلم أن الظمأ القامح ، خير من الري الفاضح ، وعليك بالقَصْد فإن فيه بلاغا . ثم إن أباهم النعمان بن ثَوَاب توفي ، فقال ابنه سعيد وكان جوادا سيدا : لآخذنّ بوصية أبي ولأبلُوَنَّ إخواني وثقاتي في نفسي ، فعمد إلى كبش فذبحه ثم وضعه في ناحية خِبائه ، وغَشَّاه ثوباً ، ثم دعا بعض ثقاته فقال : يا فلان إن أخاك مَنْ وفَى لك بعهده ، وحاطك بِرِفده ، ونصرك بوده ، قال : صدقت فهل حدث أمر؟ قال : نعم ، إني قتلت فلاناً ، وهو الذي تراه في ناحية الخِباء ، ولابد من التعاون هليه حتى يُوَارَى ، فما عندك؟ قال : يالَهَا سَوْأة وقعتَ فيها ، قال : فإني أريد أن تعينني عليه حتى أغيبه ، قال : لستُ لك في هذا بصاحب ، فتركه وخرج ، فبعث إلى آخر من ثقاته فأخبره بذلك وسأله مَعُونته ، فردّ عليه مثل ذلك ، حتى بعث إلى عَدَد منهم ، كلهم يردّ عليه مثل جواب الأول ، ثم بعث إلى رجل من إخوانه يقال له خُزَيم بن نَوْفل ، فلما أتاه قال له : يا خُزَيم مالي عندك؟ قال : ما يسرّك ، وما ذاك؟ قال : إني قتلت فلاناً وهو الذي تراه مُسَجًّى ، قال : أيْسَرُ خَطْب ، فتريد ماذا؟ قال : أريد أن تعينني حتى أغيبه ، قال : هان ما فَزِعْتَ فيه إلى أخيك ، وغلامٌ لسعيد قائم معهما ، فقال له خزيم : هل اطلع على هذا الأمر أحدٌ

غير غلامك هذا؟ قال : لا ، قال : انظر ما تقول ، قال : ما قلت إلا حقا ، فأهْوَى خزيم إلى غلامه فضربه بالسيف فقتله ، وقال : ليس عبدٌ بأخ لك ، فأرسلها مثلا ، وارتاع سعيد وفزع لقتل غلامه ، فقال : ويحك ! ما صنعت؟ وجَعل يلومه ، فقال خزيم : إن أخاك من آساك ، فأرسلها مثلا ، قال سعيد : فإني أردْتُ تجربتك ، ثم كشف له عن الكَبْش ، وخبره بما لقي من إخوانه وثقاته وما ردوا عليه ، فقال خزيم : سَبَقَ السيفُ العَذَلَ ، فذهبت مثلا

ألاَ مَنْ يَشْتَرِي سَهَراً بِنَوْمٍ.

قالوا : إن أول مَنْ قال ذلك ذو رُعَيْن الحِمْيَري[1] ، وذلك أن حِمْيَر تفرقت على ملكها حسان ، وخالفت أمره لسوء سيرته فيهم ، ومالوا إلى أخيه عمرو ، وحملوه على قَتْل أخيه حَسَّان وأشاروا عليه بذلك ورغبوه في المُلْك ، ووَعَدوه حسن الطاعة والموازرة ، فنهاه ذو رُعَيْن من بين حمير عن قتل أخيه ، وعلم أنه إن قتل أخاه ندم ونَفَر عنه النوم وانتقض عليه أموره ، وأنه سيعاقبُ الذي أشار عليه بذلك ، ويعرف غشهم له ، فلما رأى ذو رُعَيْن أنه لا يقبل ذلك منه وخشي العواقب قال هذين البيتين وكتبهما في صحيفة وختم عليها بخاتم عمرو ، وقال : هذه وديعة لي عندك إلى أن أطلبها منك ، فأخذها عمرو فدَفَعها إلى خازنه وأمَرَه برفعها إلى الخزانه والاحتفاظ بها إلى أن يَسْأل عنه ، فلما قَتَلَ أخاه وجلس مكانه في الملك مُنعَ منه النومُ ، وسُلِّط عليه السهر ، فلما اشتد ذلك عليه لم يَدَعْ باليمن طبيبا ولا كاهنا ولا منجما ولا عرّافا ولا عائفا إلا جمعهم ، ثم أخبرهم بقصته ، وشكا إليهم ما به ، فقالوا له : ما قَتَلَ رجل أخاه أو ذا رَحِم منه على نحو ما قتلت أخاك إلا أصابه السهر ومنع منه النوم ، فلما قالوا له ذلك أَقبل على مَنْ كان أشار عليه بقتل أخيه وساعده عليه من أقْيَال حِمْير فقتلهم حتى أفناهم ، فلما وصل إلى ذي رُعَين قال له : أيها الملك إن لي عندك بَرَاءة مما تريد أن تصنع بي ، قال : وما براءتك وأمانك؟ قال : مُرْ خازنك أن يخرج الصحيفة التي استودعتكها يوم كذا وكذا ، فأمر خازِنه فأخرجها فنظر إلى خاتمه عليها ثم فَضَّها فإذا فيها :

---

(١)ذو رعين الحميري هو أحد (أقيال اليمن) و(القيل)هو أمير المقاطعة ، ، أقل رتبه من الملك ، ، وعادة هم من أهل الملك وقبيلته .

ألاَ مَــنْ يَشْتَــري سَهَـــراً بِنَـــوْمٍ   سَعِيــدُ مَــنْ يبيــتُ قَريرَ عَيْــنِ
فإمَّــا حمْيَــر غَـــدَرَتْ وخانَـــتْ   فَمَعْـــذِرَةُ الإلــه لـــذي رُعَيْـــنَ

ثم قال له : أيها الملك قد نَهيتك عن قتل أخيكَ ، وعلمتُ أنكَ إن فعلت ذلك أصابك الذي قد أصابك ، فكتبت هذين البيتين بَرَاءة لي عندك مما علمت أنك تصنع بمن أشار عليك بقتل أخيك ، فقبل ذلك منه ، وعفا عنه ، وأحسن جائزته .

يضرب لمن غمط النعمة وكره العافية .

بَدَلٌ أَعْوَرُ.

قيل : إن يزيد بن المُهَلَّب(١) لما صُرِفَ عن خُرَاسان بقُتَيْبة بن مُسْلم الباهلي(٢) – وكان شَحِيحاً أعور – قال الناس : هذا بَدَل أَعْوَر فصار مثلاً لكل من لا يُرْتَضَى بدلاً من الذاهب ، وقد قال فيه بعض الشعراء :

كانَــتْ خراسانُ أرضاً إذْ يَزِيـدُ بهــا   وكــلُّ بــاب من الخيـرات مَفْتُوحُ
حتــى أتانــا أبــو حَفص بأسْرَتِــهِ   كأنمــا وَجْهُــه بالخَــلِّ مَنْضُــوحُ

بَرْدُ غَدَاةٍ غَرَّ عَبْداً مِنْ ظَمإٍ.

هذا قيل في عبد سَرَحَ الماشية في غداة باردة ولم يتزود فيها الماء ، فهلك عَطَشاً ، و«مِن» في قوله «من ظمأ» صِلَة غَرَّ ، يقال : مَنْ غرك مِنْ فلان؟ أي مَنْ أَوْطَأَك عَشْوة من جهته؟ يعني أن البرد غره من إهلاك الظمأ إياه فَاغْتَرَّ ، ويجوز أن يكون التقدير : غر عبداً مِنْ فقد ظمأ ، أي قَدَّر في نفسه أنه يفقد الظمأ فلا يظمأ . يضرب في الأخذ بالحزم

بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى.

قال المؤرج : حدثني سعيد بن سماك بن حَرْب عن أبيه عن ابن النعتنر قال :

---

(١) ابن أبي صفرة ، الأمير ، أبو خالد الأزدي . ولي المشرق بعد أبيه ، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك ، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطاة ، وطلبه عمر وسجنه .

(٢) قتيبة بن مسلم الباهلي قائد إسلامي شهير قاد الفتوحات الإسلامية في بلاد أسيا الوسطى في القرن الأول الهجري .

أُتِيَ مُعاذُ بن جبل(١) بثلاثة نَفَر فتلهم أسد في زُبْيَة فلم يدر كيف يفتيهم ، فسأل علياً رضي الله عنه وهو مُحْتَب بفناء الكعبة ، فقال : قُصُّوا عليَّ خبركم ، قالوا : صِدْنا أَسَداً في زُبْية ، فاجتمعنا عليه ، فتدافع الناسُ عليها ، فَرَمَوْا برجل فيها ، فتعلق الرجل بآخَرَ ، وتعلق الآخر بآخر ، فَهَوَوْا فيها ثلاثتهم ، فقضَى فيها عليٌّ رضي الله عنه أن للأول رُبُعَ الدية ، وللثاني النصف ، وللثالث الدية كلها ، فأخبر النبي ﷺ بقضائه فيهم ، فقال : لقد أَرْشَدَكَ الله للحق .

بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي.

هما الداهية الكبيرة والصغيرة ، وكَنَى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيهاً بالحيَّة ، فإنها إذا كثر سمها صغرت لأن السم يأكل جَسَدها ، وقيل : الأصل فيه أن رجلاً من جَديس تزوج امرأة قصيرة ، فقاسى منها الشدائد ، وكان يعبر عنها بالتصغير ، فتزوج امرأة طويلة ، فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة ، فطلقها ، وقال : بعد اللَّتَيَّا والَّتي لا أتزوج أبدا ، فجرى ذلك على الداهية ، وقيل : إن العرب تصغِّر الشيء العظيم ، كالدُّهَيْم واللُّهَيْم ، وذلك منهم رَمْز

بِأَبِي وُجُوهَ الْيَتَامَى.

يضرب في التحنن على الأقارب .

وأصله أن سعد القَرْقَرة – وهو رجل من أهل هَجَر – كان النعمان بن المنذر يضحك منه ، وكان للنعمان بن المنذر فرس يقال له اليحموم يُرْدِي من ركبه ، فقال يوماً لسعد : ارْكَبْهُ واطلب عليه الوحْشَ ، فامتنع سعد ، فقهره النعمان على ذلك ، فلما ركبه نظر إلى بعض ولَده وقال هذا القول ، فضحك النعمان وأعفاه من ركوبه ، فقال سعد :

نَحْنُ بغَرْسِ الوَدِيِّ أعْلَمُنَا ... منَّا بجَرْي الجِْيَادِ في السَّلَفِ
يَا لَهْفَ أمِّي فَكَيْفَ أطْعَنُهُ ... مُسْتَمْسِكاً وَالْيَدَانَ في العُرُفِ

ويروى «بجر الجياد في السَّدَفِ» ويروى «السُّدَف» والسُّلَف ، والسُّدَف ،

(١) معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس ، يكنى أبا عبد الرحمن ، إمام فقيه ، وعالم ، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع الرسول محمد ﷺ .

فالسَّدَف : الضوء والظلمة أيضاً ، والحرفُ من الأضداد ، والسَّدَفُ : جمع سُدْفَة : وهي اختلاط الضوء والظلمة ، والسَّلَفَ : جمع سالف مثل خادم وخَدَم وحارس وحَرَس ، وهو آباؤه المتقدمون ، والسُّلَفُ : جمع سُلْفة وهي الدبرة (هي القطعة المستوية من الأرض) من الأرض ، وقوله «أعلمنا» أراد أعلم منا وهى لغة أهل هَجَر ، يقولون : نحن أعلمنا بكذا منا ، وأجود هذه الروايات هذه الأخيرة أعني «في السُّلَف» لأن سعدا كان من أهل الحِراثة والزِّراعة ، فهو يقول : نحن بغرس الوديّ في الديار والمشارات أعلم منا بِجَرْىِ الجياد

بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ.

هذا من قول طَرَفة بن العبد[1] حين أمَر النعمان بقتله ، فقال :

أبا مُنْـذِرٍ أفْنَيْـتَ فاسْتَبْـقِ بَعْضَنَا ... حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشر أهْوَنُ من بَعْضِ

يضرب عند ظهور الشرين بينهما تفاوت

بِبَطْنِهِ يَعْدُو الذَّكَرُ.

يقال : إن الذكر من خيل يَعْدُو على حسب ما يأكل ، وذلك أن الذكر أكثر أكلا من الأنثى فيكون عَدْوُهُ أكثر ، ويقال : إن أصله أن رجلا أتى امرأته جائعا ، فتهيأت له ، فلم يلتفت إليها ولا إلى ولدها ، فلما شبع دعا ولده فقرّبهم ، وأراد الباءة ، فقالت المرأة : ببطنه يعدو الذكر . وقال أبو زيد : زعموا أن امرأة سابَقَتْ رجلا عظيمَ البطنِ فقالت له ترهبه بذلك : ما أعظَمَ بطنك ! فقال الرجل : ببطنه يَعْدُو الذكر

بِمِثْلِ جَارِيَةَ فَلْتَزْنِ الزَّانِيَةَ.

هو جارية بن سُلَيط[2] ، وكان حَسَنَ الوجه ، فرأته امرأة فمكنته من نفسها

(١) طرفة بن العبد هو شاعر جاهلي بحراني من شعراء المعلقات . وقيل اسمه طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد أبو عمرو لُقّب بطَرَفَة ، وهو من بني قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل ، ولد حوالي سنة ٥٤٣ من أبوين شريفين وكان له من نسبه العالي ما يحقق له هذه الشاعرية فجده وأبوه وعماه المرقشان وخاله المتلمس كلهم شعراء .

(٢) جارية بن سليط بن الحارث بن يربوع بن حنظلة بن مالك – وسليط هو كعب ، وإنما سمي سليطاً لسلاطة لسانه – كان أحسن الناس وجهاً وأمدهم جسماً .

وحملت ، فلما علمت به أمها لامتها ، ثم رأت الأم جمالَ ابن سُلَيط فعذرت بنتها وقالت : بمثل جارية ، فلتزن الزانية ، سراً أو علانية .

يضرب في الكريم يَخْدُمُه مَنْ هو دُونَه

بَقِيَ أَشَدُّهُ.

ويروى «بقى شدُه» قيل : كان من شأن هذا المَثَل أنه كان في الزمان الأول هرّ أَفْنَى الجِرْذَانَ وشَرَّدها ، فاجتمع ما بقي منها فقالت : هل من حيلة نحتال بها لهذا الهر لعلنا ننجو منه؟ فاجتمع رأيُهَا على أن تعلق في رقبته جُلْجُلا إذا تحرَّك لها سمعن صوت الجُلْجُل فأخَذْنَ حَذَرهن ، فجئن بالجُلْجُل ، فقال بعضهن : أينا يُعَلِّق الآن ، فقال الآخر : بقي أشَدُه أو قال شَدُّه .

يضرب عند الأمر يبقى أصعبه وأهوله .

وهذا مما تمثل به العرب عن ألسُنِ البهائم

أَبَرَماً قَرُوناً.

وأصله أن رجلا كان لا يدخل في الميسر لبخله ، ولا يشتري اللحم ، فجاء إلى امرأته وبين يديها لحم تأكله ، فأقبل يأكُلُ معها بَضْعَتين بضعتين ويَقْرِن بينهما ، فقالت امرأته : أبَرَماً قَرُوناً ، أي أراك بَرَما وقَرُونا . يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

قال عمرو بن معدي كرب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو قوما نزل بهم : أبرَامٌ يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ذاك؟ قال : نزلتُ بهم فما قَرَوْني غيرَ ثور وقَوْس وكَعْب ، فقال عمر : إن في ذلك لشبَعاً . الثور : قطعة من الأقطِ ، والقوس : بقية التمر يبقى في الجِلَّة ، والكعب : قطعة من السمن ، أراد عمرو أَنهم لم يذبحوا لي حين نزلتُ بهم .

بَعْضُ البِقاعِ أَيْمَنُ مِنْ بَعْضٍ.

قاله أعرابي تعرض لمعاوية في طريق وسأله ، فقال معاوية : مالك عندي شيء ، فتركه ساعة ثم عاوده في مكان آخر ، فقال : ألم تسألني آنفاً ، قال : بلى ، ولكن بعضُ البقاع أيْمَنُ من بعض ، فأعجبه كلامه ووصَله .

بَعْدَ اطِّلاَعٍ إينَاسٌ.

قاله قَيْس بن زُهَير حين قال له حذيفة ابن بدر يوم داحس : سبقتُكَ يا قيس ، فقال قيس : بعد اطلاع إيناس ، يعني بعد أن يظهر أتعرف الخَبر ، أي إنما يحصل اليقين بعد النظر ، أنشد ابن الأعرابي :

لبس بما ليس به بأسٌ باسُ ولا يَضيرُ البر ما قال الناسُ
وإنه بعد اطِّلاَعٍ اينَاسُ و«يورى» بعد طلوع

بِمِثْلِي زابِنِي.

قيل : مرَّ مُجَاشع بن مسعود السلمي بقريةٍ من قُرَى كَرْمَان ، فسأل أهلُها القوم : أين أميركم؟ فأشاروا إليه ، فلما رأوه ضحكوا منه – وكان دميما – وازدرَوْه ، فلعنهم وقال : إن أهلي لم يريدوني ليُحَاسِنوا بي ، وإنما أرادوني ليُزَابنوا بي ، أي ليدافعوا بي ، أنشد ابن الأعرابي :

بمثْلي زَابِني حلما وجُودا إذا التَقَت المجامعُ والخُطُوبُ
بعيد حُوَّلِيٌّ قُلَّبِيٌّ عظيمُ القَدْر مِتْلاف كَسُوبُ
فإن أهْلِكْ فقد أبلَيْتُ عُذْرا وإن أمْلِكْ فمن عَضْبي قضيب
أي أن فرعي من أصلي ، يريد أنه من أصل كريم

ابْنُ زَانِيَةٍ بِزَيْتٍ.

أصله أن قوماً من اللصوص جَلَبوا قَحْبة ، فلما قَضَوْا منها أوطارهم أَعْطَوْها قِرْبَةَ زيت كانت عندهم إذ لم يحضرهم غيرها ، فقالت المرأة : لا أريدها لأني أَحْسِبَني عَلِقْتُ من أحدكم ، وأَكْرَه أن يكون مولودي ابنَ زانية بزيت ، فذهب قولها مثلاً ، قال الشاعر :

إذا ما الحيُّ هاجى حَشْوَ قبرٍ فَذَلِكُمُ ابنُ زانيةٍ بزَيْتِ

بَنِيكِ حَمِّرِي وَمَكِّكِينِي.

قيل : أصاب الناسَ جَدْبٌ ومجاعة ، وإن رجلاً من العرب جمع شيئاً من تمر في بيته ، وله بَنُونَ صِغار وامرأة ، فكانت المرأة تَقُوتهم من ذلك التمر ، تسوِّي بينهم وتعطي كل واحد جمعة من التمر مثل الحُمَّرَة ، وإن الرجل لا يغني ذلك عنه شيئاً ،

فأرادت المرأة يوماً أن تَقْسِم بينهم ، فقال : حَمِّري بنيك ومككيني ، أي أعطيني مثل المُكَّاء ، وهو طائر أكبر من الحُمَّرة .

يضرب لمن يُسَوِّي بين أصحابه في العطاء ويختص به قوم فيطمعون في تخصيصه إياهم بأكثَرَ من ذلك

بَخٍ بَخٍ سَاقٌ بِخَلْخَالٍ

يضرب في التهكم والهزء من شيء لا موضع للتهكم فيه .

وأول من قال ذلك الورْثَةُ بنت ثَعْلَبَة امرأة ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة ، وذلك أن رَقَاشِ بنتَ عمرو بن عثمان من بني ثعلبة طلقَّها زوجُها كعبُ بن مالك بن تَيْم الله بن ثعلبة بن عُكَايَةَ ، فتزوجها ذهل بن شيبان زوج الورْثَة ودخل بها ، وكانت الورْثَةُ ، لا تترك له امرأة إلا ضَرَبَتْها وأَجْلَتْها ، فخرجت رقاشِ يوماً وعليها خلخالان ، فقالت الورْثَة : بخ بخ ساق بخلخال ، فذهبت مثلا ، فقالت رقاش : أَجَلْ ساقٌ بخَلْخَال ، لا كخالك المُخْتَال ، فوثبت عليها الورْثَةُ لتضربها ، فضبَطَتْها رقاشِ وضربتها وغلبتها حتى حُجزَتْ عنها ، فقالت الورْثَةُ :

يا وَيْحَ نَفْسِي اليومَ أدركَني الكبر أأبْكِي على نَفْسي العشيَّةَ أم أَذَرْ
فواللّه لو أدركْت فيَّ بقيةً لَلاقَيْت ما لاقى صَوَاحِبُكِ الأخَرْ

فولدت رقاشِ لذُهْل بن شَيبان : مُرَّة ، وأبا ربيعة ، ومحلِّما ، والحارث بن ذهل

أبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ اليَمَامَةِ

واليَمَامة : اسمُها ، وبها سمي البلد ، وذكر الجاحظ أنها كانت من بنات لُقْمَان ابن عاد ، وأن اسمها عنز ، وكانت هى زَرْقَاء وكانت الزبَّاء زَرْقَاء ، وكانت البَسُوس زرقاء ، قال محمد بن حبيبَ : هى امرأة من جَديس ، يعني زرقاء ، كانت تُبْصِر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، فلما قَتَلَتْ جَديس طَسْماً خرج رجل من طَسْم إلى حَسَّان بن تُبَّع ، فاستجاشه ورَغَّبه في الغنائم ، فجهَّز إليهم جيشا ، فلما صاروا من جَوّ على مسيرة ثلاث ليالٍ صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش وقد أُمِرُوا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستترٍ بها ليلبِّسُوا عليها ، فقالت : يا قوم قد أتتكم الشَّجَر ، أو أتتكم حمير ، فلم يصدقوها ، فقالت على مثال رجز :

أقْسِمُ باللّه لقد دَبَّ الشَّجَرْ أو حِمْيَر قد أخَذَتْ شيئا يجر

فلم يصدقوها ، فقالت : أحلف باللّه لقد أرى رَجُل ، يَنْهَسُ كتْفاً أو يَخْصِفُ النعل فلم يصدقوها ، ولم يستعدُّوا حتى صَبَّحهم حَسَّان فاجتاحهم ، فأخذ الزرقاء فشقّ عينيها فإذا فيهما عُرُوق سود من الإثمِد ، وكانت أولَ من اكتحل بالإثمد من العرب ، وهي التي ذكرها النابغة في قوله :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحيِّ إذْ نَظَرَتْ إلى حمامٍ سِرَاعٍ وارِدِ الثَّمَدِ

أَبْصَرُ مِنْ عُقَاب مَلاعٍ.

قال محمد بن حبيب : مَلاَع اسم هَضْبة ، وقال غيره : مَلاَع اسم للصحراء ، قال : وإنما قالوا ذلك لأن عُقَاب الصحراء أبْصَرُ وأسْرَع من عقاب الجبال ، ويقال للأرض المستوية الواسعة : مَلِيع ، ومَيْلَع أيضا ، قال الشاعر (هو امرؤ القيس بن حجر الكندي) يصف إبلا أُغيرَ عليها فذهبت :

كان دِثَارًا حَلَّقَتْ بلَبُونِه عُقَابُ مَلاَعٍ لا عُقَابُ الْقَوَاعِلِ

العرب تقول : أنت أخَفُّ يداً من عُقَيِّبِ ملاع ، وهي عُقَاب تصطاد العصافير والجُرْذَانَ

أَبْصَرُ مِنْ غُرَابٍ.

زعم ابن الأعرابي أن العرب تسمي الغراب أعْوَر لأنه مُغْمِض أبدا إحدى عينيه مقتصر على إحداهما من قوة بَصَره ، وقال غيره : إنما سَمَّوه أعور لحدة بصره على طريق التفاؤل له ، وقال بشار بن برد :

وقد ظَلَمُوه حين سَمَّوه سيدا كما ظلم الناسُ الغرابَ بأعْوَرَا

قال أبو الهيثم : يقال : إن الغُرَاب يُبْصر من تحت الأرض بقَدْر منقاره

أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرَ.

قالوا : إن دَوْسر إحدى كَتَائب النعمان بن المنذر ملك العرب ، وكانت له خمس كتائب : الرهائن ، والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر ، وأما الرهائن فإنهم كانوا خمسمائة رجل رَهَائن لقبائل العرب ، يُقيمون على باب الملك سنةً ثم يجيء بدلَهم خمسُمائة أخرى ، وينصرف أولئك إلى أحيائهم ، فكان الملكُ يغزو بهم ويُوَجِّههم في أموره . وأما الصنائع فبنو قَيْس وبنو تَيْم اللاَّتِ ابني ثعلبة ، وكانوا

خَوَاصَّ الملك لا يَبْرَحُون بابه . وأما الوضائع فإنهم كانوا ألفَ رجلٍ من الفُرْس يضعهم ملكُ الملوك بالحِيرة نَجْدَةً لملك العرب ، وكانوا أيضاً يقيمون سنةً ثم يأتي بدلَهم ألفُ رجلٍ ، وينصرف أولئك . وأما الأشاهب فإخْوَةُ ملك العرب وبنو عمه ومَنْ يتبعهم من أعوانهم ، وسموا الأشاهب لأنهم كانوا بيضَ الوجوه . وأما دَوْسَر فإنها كانت أخْشَنَ كتائبه وأشدَّها بطشاً ونكاية ، وكانوا من كل قبائل العرب ، وأكثرهم من ربيعة ، سميت دوسر اشتقاقا من الدَّسْر ، وهو الطعن بالثقل ، لثقل وطأتها ، قال الشاعر :

ضَرَبَتْ دَوْسَرُ فيهم ضربةً   أثبتَتْ أَوْتادَ مُلْكٍ فاستقر

وكان ملك العرب عند رأس كل سنة - وذلك أيام الربيع - يأتيه وُجُوه العرب وأصحاب الرهائن ، وقد صير لهم أكلا عنده ، وهو ذوو الآكال ، فيقيمون عنده شهراً ، ويأخذون آكالهم ، ويُبَدِّلون رهائنهم ، وينصرفون إلى أحيائهم

أَبْوَلُ مِنْ كَلْبٍ.

قالوا : يجوز أن يُرَاد به البول بِعَيْنه ، ويجوز أن يراد به كثرة الولد ، فإن البول في كلام العرب يكنى به عن الولد .

قلت : وبذلك عَبَّرَ ابْنُ سيرين[١] رؤيا عبد الملك بن مروان[٢] حين بَعَثَ إليه : إني رأيتُ في المنام أني قمتُ في محراب المسجد وبُلْت فيه خمس مرات ، فكتب إليه ابنُ سيرين : إن صَدَقَت رؤياك فسيقومُ من أولادك خمسة في المحراب ، ويتقلدون الخلافة بعدك ، فكان كذلك

تَجُوعُ الحُرَّةُ وَلاَ تَأكُلُ بِثَدْيَيْهَا.

أي لا تكون ظِئْراً وإنْ آذاها الجوع ، ويروى «ولا تأكل ثدييها» وأول من قال ذلك

(١) ابن سيرين هو أبوبكر محمد بن سيرين البصري . التابعي الكبير والإمام القدير في التفسير ، والحديث ، والفقه ، وتعبير الرؤيا ، والمقدم في الزهد والورع وبر الوالدين ، توفي ١١٠ هـ بعد الحسن البصري بمائة يوم ، وكان عمره نيفاً وثمانين سنة .

(٢) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

الحارث بن سليل الأسَدي ، وكان حليفا لعَلْقَمَة بن خَصَفة الطائي ، فزارَه فنظر إلى ابنته الزَّبَّاء - وكانت من أجمل أهل دهرها - فأعْجِبَ بها ، فقال له : أتيتُكَ خاطبا ، وقد ينكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنح الراغب ، فقال له علقمة : أنت كُفْءٌ كريم ، يقبل منك الصَّفْو ، ويؤخذ منك العَفْو ، فأقِمْ ننظر في أمرك ، ثم انكفأ إلى أمها فقال : إن الحارث بن سليل سيدُ قومه حَسَبا ومَنْصباً وبيتا ، وقد خطب إلينا الزبَّاء فلا ينصرفَنَّ إلا بحاجته ، فقالت امرأته لابنتها : أيُّ الرجال أحبُّ إليك : الكَهْلُ الجَحْجَاح ، الواصِلُ المَنَّاح ، أم الفتى الوَضَّاح؟ قالت : لا ، بل الفتى الوضاح ، قالت : إن الفتى يُغيرُك ، وإن الشيخ يَميرُك ، وليس الكَهْل الفاضل ، الكثيرُ النائل ، كالحديث السنِّ ، الكثير المَنِّ ، قالت : يا أمتاه إن الفَتَاة تحبُّ الفتى كحبِّ الرعاء أَنيقَ الكَلاَ ، قالت : أي بُنَية إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت : إن الشيخ يُبْلِي شبابي ، ويدنس ثيابي ، ويُشْمت بي أترابي ، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم ، فابْتَنَى بها ثم رَحَل بها إلى قومه ، فبينا هو ذاتَ يوم جالسٌ بفناء قومه وهي إلى جانبه إذ أقبَلَ إليه شَبَابٌ من بني أسد يعتلجون فتنفَّست صُعَداء ، ثم أرْخَتْ عينيها بالبكاء ، فقال لها : ما يُبْكيك؟ قالت : مالي وللشيوخ ، الناهضين كالفُرُوخ ، فقال لها : ثَكِلَتْك أمُّك تَجُوع الحرة ولا تأكل بثدييها .

قال أبو عبيد : فإن كان الأصل على هذا الحديث فهو على المثل السائر «لا تأكل ثدييها» وكان بعضُ العلماء يقول : هذا لا يجوز ، وإنما هو «لا تأكل بثدييها» .

قلت : كلاهما في المعنى سَوَاء ، لأن معنى «لا تأكل ثدييها» لا تأكل أجْرَةَ ثدييها ، ومعنى «بثدييها» أي لا تعيش بسبب ثَدْييها وبما يُغلاَّن عليها .

ثم قال الحارث لها : أما وأبيك لرُبَّ غارة شهدتها ، وسَبِيَّة أردفتها ، وخَمْرة شربتها ، فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك ، وقال :

تَهَزَّأت أنْ رَأتْني لابساً كِبَراً ... وغايةُ الناس بين المَوْتِ والكِبَرِ
فإن بقيت لَقيت الشَّيْبَ راغمَةً ... وفي التعرُّف ما يمضي من العِبَرِ
وإن يكن قد عَلاَ رأسي وغَيَّره ... صَرْفُ الزمانِ وتغييرٌ من الشَعَرِ
فقد أرُوحُ للذَّاتِ الفَتَى جَذِلا ... وَقَدْ أصيبُ بها عيناً من البَقَرِ
عَنِّي إليكِ فإني لا تُوَافِقُني ... عُورُ الكلام ولا شُرْبٌ على الكَدَرِ

يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال

تَحْسَبُها حَمْقَاءَ وَهْيَ باخِسٌ.

يقال : إن المثل تكلم به رجلٌ من بني العَنْبَر من تميم ، جاورته امرأة فنظر إليها فحسبها حمقاء لا تعقل ولا تحفظ ولا تعرف مالها ، فقال العنبري : ألا أخْلِطُ مالي ومَتَاعي بمالها ومتاعها ثم أقاسمها فآخذ خيرَ متاعها وأعطيها الرديء من متاعي ، فقاسمها بعد ما خَلَط متاعه بمتاعها ، فلم ترض عند المُقَاسَمة حتى أخَذَتْ متاعها ، ثم نازعته وأظهرت له الشكوى حتى افْتَدَى منها بما أرادت ، فعُوتِبَ عند ذلك ، فقيل له : اخْتَدَعْتَ امرأة ، وليس ذلك بِحَسَنٍ ، فقال : تحسَبُها حَمْقَاء وهي باخسة .

يضرب لمن يتباله وفيه دهاء

تَشَمَّرَتْ مَعَ الجارِي.

يضرب في الشيء يُسْتَهان به ويُنْسَى . وقائله كعب بن زُهَير بن أبي سُلْمى[1] ، قال ابن دريد : ليس في العرب سُلْمى بالضم إلا هذا ، وزاد غيره وأبو سُلْمى رَبِيعَةُ بن رَبَاح بن قُرْط من بني مازن ، قلت : والمحدِّثُون يَعُدُّون غيرهما قوما يطول ذكرهم ، وإنما قال هذا المثلَ كعبٌ حين ركب هو وأبوه زُهَير سفينةً في بعض الأسفار ، فأنشد زهير قصيدته المشهورة وهي * أمِنْ أمِّ أوْفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّم * وقال لابنه كعب : دُونَكَ فَاحْفَظْها ، فقال : نعم وأمْسَيَا فلما أصبحا قال له : يا كَعبُ ما فعلَت العقيلةُ؟ يعني القصيدة ، قال : يا أبتِ إنها تشمّرَتْ مع الجاري ، يعني نَسِيتُهَا فَمرَّتْ مع الماء ، فأعادها عليه ، وقال : إن شَمَّرْتها يا كعب شَمّرْتُ بك على أثرها

تَطْلُبُ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ.

يضرب لمن ترك شيئا يَرَاه ثم تبع أثره بعد فوت عينه .

قال الباهلي : أولُ من قال ذلك مالك ابن عمرو العاملي ، قال : وذلك أن بعض ملوك غَسَّان كان يطلب في عاملَةَ ذَحْلاً ، فأخذ منهم رجلين يقال لهما مالك وسمَاك ابنا عمرو ، فاحتبسهما عنده زمانا ، ثم دعاهما فقال لهما : إني قاتل أحَدَكما فأيكما أقتل ، فجعل كل واحد منهما يقول : اقتلني مكان أخي ، فلما رأى ذلك قتل سماكا

(١) كعب بن زهير هو كعب بن زهير بن أبي سلمى ، المزني ، أبو المضرَّب . شاعر مخضرم من أشهر قصائده اللامية التي مطلعها بانت سعاد .

وخلى سبيل مالك ، فقال سماك حين ظن أنه مقتول :

ألا من شَجَتْ ليلة عامــدَهْ　　كما أبداً ليلَةٌ واحدَهْ
فأبْلغْ قُضَاعة إن جئْتَهــــم　　وخُــصَّ سَرَاة بني ساعـدة
وأبلــغ نزَاراً علــى نأيهــا　　بأنَّ الرِّمَــاحَ هــي الْعَائـدْه
وأقْســـمُ لـــو قَتَلُـوا مالكا　　لكُنْـــتُ لهــم حَيَّةً رَاصدَهْ
برأس سبيـــل عَلَى مَرْقَـب　　ويومــاً عـــلى طُـرُق وَارِدَهْ
فأمَّ سمَاك فَـــلاَ تَجْزَعِـــي　　فَلِلْمَـــوْتِ مَـــا تلـدُ الْوالِدَه

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زمانا ، ثم إن رَكْباً مروا وأحدهم يتغنى بهذا البيت

وأقْســـمُ لـــو قتلـــوا مالكا　　لكنـــت لهـــم حَيَّةً رَاصدَهْ

فسمعت بذلك أم سماك فقالت : يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك ، اخْرُجْ في الطلب بأخيك ، فخرج في الطلب ، فلقى قاتل أخيه يسيرُ في ناس من قومه ، فقال : من أحَسَّ لي الجمل الأحمر ، فقالوا له وعرفوه : يا مالك لك مائة من الإبل فكُفَّ ، فقال : لا أطلب أثر بعد عين ، فذهبت مثلا ، ثم حمل على قاتل أخيه فقتله ، وقال في ذلك :

يـــا راكبـــاً بَلِّغـــاً ولا تَدَعـــاً　　بنـــي قُمَيْـــر وإنْ هُـــمُ جَزعُـــو
فَلْيَجِـــدُوا مثـــلَ مـــا وَجَدْتُ فقـــد　　كُنْـــتُ حَزينـــاً قد مَسَّني وَجَـــعُ
لا أسمـــع اللهـــوَ فـــي الحديث ولا　　ينفعنـــي في الفـــرَاشِ مُضْطَجَـــعُ
لا وَجْـــدُ ثَكْلَى كمـــا وَجَـــدْتُ ولا　　وَجْـــدُ عَجُـــول أضَلَّهـــا رُبَـــعُ
ولا كبيـــر أضَـــلَّ ناقَتَـــهُ　　يـــوم تَوَافَـــى الحَجيـــجُ واجْتَمَعُوا
ينظـــر فـــي أوْجـــهُ الرِّكـــاب فـــلا　　يَعْـــرفُ شيئـــاً والوَجْـــهُ ملتمـــع
جَلَّلْتُـــه صـــارمَ الحديـــدة كالـــ　　ـــملَح (كالملح) وفيه سَفَاسقُ لُمَـــعُ
بـــين ضُمَيْـــر وبـــاب جلِّـــقَ فـــي　　أثوابـــه مـــن دمَائـــه دُفَـــعُ
أضْرِبُـــهُ باديـــاً نَوَاجِـــذُه　　يدعـــو صَـــدَاه والـــرأسُ مُنْصَدعُ
بنـــي قُمَيـــر قَتَلْـــتُ سيدَكـــم　　فاليـــومَ لا رَنَّـــةٌ ولا جَـــزِعُ
فاليوم قُمْنَـــا علـــى السِّـــوَاءِ فَـــإنْ　　تجـــرُوا فـــدهري ودهركم جَـذع

تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَرَاهُ.

قال المفضل : أولُ مَنْ قال ذلك المنذر ابن ماء السماء ، وكان من حديثه أن كُبَيْشَ ابن جابر أخا ضَمْرَةَ بن جابر من بني نَهْشَل كان عَرَضَ لأمة لزرارة بن عُدُس يقال لها رُشَيَّة كانت سَبِيَّةً أصابها زُرَارة من الرُّفَيْدَات ، وهو حي من العرب ، فولدت له عمرا وذُؤَيْبا وبُرْغوثا ، فمات كُبَيْش . وترعرع الغِلْمَة ، فقال لقيط بن زرارة : يا رُشَيَّة مَنْ أبو بَنيك؟ قالت : كُبَيْش بن جابر ، قال : فاذهبي بهؤلاء الغِلْمة فغَلِّسي بهم وجه ضمرة وخَبِّرِيه مَنْ هم ، وكان لقيط عدوا لضَمْرة ، فانطلقت بهم إلى ضَمْرة فقال : ما هؤلاء؟ قالت : بنو أخيك ، فنتزع منها الغِلْمَة ، وقال : الْحَقِي بأهلك ، فرجعت فأخبرت أهلها بالخبر ، فركب زُرَارة وكان رجلا حليما حتى أتى بني نَهْشَل فقال : رُدُّوا على غِلْمتي ، فسبّه بنو نهشل ، وأهْجَرُوا له ، فلما رأى ذلك انصرف ، فقال له قومه : ما صنعت؟ قال : خيرا ، ما أحْسَنَ مالقيني به قومي ، فمكث حولا ثم أتاهم فأعادوا عليه أسْوَأ ما كانوا قالوا له ، فانصرف ، فقال له قومه : ما صنعت؟ قال : خيرا قد أحْسَنَ بنو عمي وأجملوا ، فمكث بذلك سبعَ سنين يأتيهم في كل سنة فيردونه بأسوأ الرد ، فبينما بنو نهشل يسيرون ضُحًى إذ لحق بهم لاحِقٌ فأخبرهم أن زرارة قد مات ، فقال ضمرة : يا بني نهشل ، إنه قد مات حليم إخوتكم اليوم فاتقوهم بحقهم ، ثم قال ضمرة لنسائه : قِفْنَ أقْسِمْ بينكن الثكل ، وكانت عنده هند بنت كرب بن صفوان وامرأةٌ يقال لها خُلَيْدَة من بني عجل وسَبِية من عبد القيس وسَبِية من الأزد من بني طَمَثان ، وكان لهنَّ أولاد غيرَ خُليدة ، فقالت لهند وكانت لها مُصَافية : ولى الثكلَ بنتَ غيرِك ، ويروى وَلِّى الثكل بنت غيرك ، على سبيل الدعاء ، فأرسَلَتْها مثلا ، فأخذ ضمرة شِقَّةَ بن ضمرة وأمه هند وشهابَ بن ضمرة وأمه العبدية وعَنْوَة بن ضمرة وأمه الطمثانية ، فأرسل بهم إلى لَقيط بن زُرَارة وقال : هؤلاء رُهُن لك بغِلْمَتك حتى أرضيك منهم ، فلما وقع بنو ضمرة في يَدَيْ لقيط أساء ولايتهم وجفاهم وأهانهم ، فقال في ذلك ضمرة بن جابر :

صرمْتُ إخاء شِقَّةَ يوم غَوْلٍ وإخْوَته فلا حَلَّتْ حلالي
كأني إذ رَهَنْتُ بنيَّ قَوْمِي دفعتهمُ إلى الصُّهْبِ السِّبَالِ
ولم أرْهَنْهُمُ بدم ، ولكن رهنتهمُ بصُلْحٍ أو بمالِ
صرمْتُ إخاء شقة يوم غَوْلٍ وحق إخاء شقَّةَ بالْوِصَالِ

فأجابه لقيط :

أبـــا قَطَـــن إنّـــي أراكَ حزينـــاً　　وإن العَجُـولَ لا تبالـي حنينـا
أفـي أنْ صَبَرتُم نصفَ عـامٍ لحقنـا　　ونحـنُ صبرنـا قَبْلُ سَبْعَ سنينا

فقال ضمرة [بن جابر] :

لعمـرك إنـني وطِـلاَبَ حُبَّـي　　وتـرك بنـيّ في الشُّرَط الأعادي
لَمِـنْ نَوْكَـى الشيـوخ وكَـانَ مثلي　　إذا مـا ضَـلَّ لـم يُنْعَشْ بهـاد

ثَم إن بني نَهْشَل طلبوا إلى المنذر بن ماء السماء أن يطلبهم من لَقيط ، فقال لهم المنذر : نَحُّوا عني وجوهكم ، ثم أمر بخمر وطعام ودعا لقيطا فأكلا وشربا ، حتى إذا أخذت الخمر منهما قال المنذر للقيط : ياًّ خير الفتيان ، ما تقول في رجل اختارَكَ الليلَةَ على نَدَامى مُضَرَ؟ قال : وما أقول فيه؟ قال : إنه لا يسألني شيئاً إلا أعطيته إياه غير الغِلْمة ، قال المنذر : أما إذا استثنيت فلستُ قابلا منك شيئاً حتى تعطيني كلَّ شيء سألتك ، قال : فذلك لك ، قال : فإني أسألك الغلمة أن تَهَبهم لي ، قال : سَلْني غيرَهم ، قال : ما أسألك غيرهم ، فأرسل لقيط إليهم فدفَعهم إلى المنذر ، فلما أصبح لقيط لامه قومُه ، فندم فقال في المنذر :

إنـك لـو غَطَّيْـتَ أَرْجَـاء هـوة　　مُغَمَّسَـة لا يُسْتَثَـار تُرَابُهَـا
بثَوْبكَ في الظلمـاء ثـم دَعَوْتَنـي　　لجئْـتُ إليهـا سَـادراً لا أهابُهَا
فأصْبَحْـتُ مَوْجُـوداً علـى مُلَوَّمـاً　　كأنْ نُضيَتْ عن حائضٍ لي ثيَابُهَا

قال : فأرسل المنذر إلى الغِلْمة وقد مات ضَمْرة وكان صديقاً للمنذر ، فلما دخل عليه الغلْمة وكان يسمع بِشقَّةَ ويعجبه ما يبلغه عنه فلما رآه قال : تَسْمَعُ بالمعيديِّ خَيْرٌ من أن تراه ، فأرسلها مثلا ، قال شقة : أَبَيْتَ اللعن وأسعدك إلهُكَ إن القوم ليْسُوا بِجُزْرٍ ، يعني الشاء ، وإنما يعيش الرجلُ بأصْغَرَيْهِ لسانِه وقلبه ، فأعجب المنذر كلامه ، وسره كل مارأى منه ، قال : فسماه ضَمْرة باسم أبيه ، فهو ضَمْرة بن ضمرة ، وذهب قوله «يعيش الرجل بأصغريه» مثلا ، وينشد على هذا :

ظننـت بـه خَيْـراً فقصَّـرَ دونـه　　فيارُبَّ مظنون بـه الخيـرُ يُخْلفُ

قلت : وقريبٌ من هذا ما يُحْكَى أن الحجاج أرسل إلى عبد الملك بن مروان بكتاب مع رجل ، فجعل عبد الملك يقرأ الكتاب ثم يسأل الرجل فيَشْفيه بجواب ما يسأله ، فيرفع عبد الملك رأسه إليه فيراه أَسْوَدَ ، فلما أعجبه ظَرْفه وبيانه قال متمثلاً :

فإن عَـرَاراً إن يكُـنْ غَيْـرَ وَاضِـحٍ　　فإني أُحِبُّ الجُوْنَ ذَا الْمنكِبِ الْعَمَمْ

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين هل تدري مَنْ عَرَار؟ أنا والله عرار بن عمرو بن شأس الأسدي الشاعر .

تَرَكْتُه تُغَنِّيه الجُرَادَتَان.

يضرب لمن كان لاهياً في نعمة ودَعَة . والجرادتان : قَيْنَتَا[1] معاوية بن بكر أَحَد العماليق ، وإن عادا لما كَذَّبُوا هوداً عليه السلام توالَتْ عليهم ثلاثُ سنوات لم يروا فيها مطراً ، فبعثوا من قومهم وَفْداً إلى مكة ليستسقوا لهم ، ورأسوا عليهم قَيْلَ بن عنق ولُقَيْم بن هزال ولقمان بن عاد ، وكان أهل مكة إذ ذاك العماليق وهم بني عَمْلِيق بن لاوذ بن سام ، وكان سيدهم بمكة معاوية بن بكر ، فلما قدموا نَزَلُوا عليه ، لأنهم كانوا أَخْوَالَه وأصهاره ، فأقاموا عنده شهراً ، وكان يكرمهم والجرادتان تغنيانهم ، فَنَسُوا قومهم شهراً ، فقال معاوية : هَلَكَ أخوالي ، ولو قلت لهؤلاء شيئاً ظنوا بي بخلا ، فقال شعراً وألقاه إلى الجرادتين فأنشدتاه وهو :

ألا يا قَيْلُ وَيْحَكَ قم فَهَيْنِمْ ... لعلَّ اللّه يَبْعَثُها غَمَاما
فَيَسْقِيَ أرضَ عادٍ إنَّ عادا ... قَدَ امْسَوْا لا يُبِينُونَ الكلاما
من العَطَش الشديد فليس تَرْجُو ... لها الشيخَ الكبيرَ ولا الغُلاَما
وقد كانت نساؤُهُم بخير ... فقد أَمْسَتْ نساؤهم أيامَى
وإن الوحش يأتيهِمْ جهَاراً ... ولا يَخْشَى لعاديٍّ سِهَاما
وأنتم ههُنا فيما اشتهيتم ... نهارَكُمُ وليلكم التماما
فقبح وَفْدُكم من وفد قوم ... ولا لُقُّوا التحيةَ والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهمٍ لبعض : يا قوم إنما بعثكم قومُكم يتغوَّثون بكم ، فقاموا لِيَدْعُوا ، وتخلف لقمان ، وكانوا إذا دعوا جاءهم نِدَاء من السماء : أَنْ سَلُوا ما شئتم فتعطون ما سألتم ، فدعوا ربهم ، واستسقوا لقومهم ، فأنشأ الله لهم ثلاثَ سحاباتٍ بيضاء وحمراء وسوداء ، ثم نادى مناد من السماء : يا قَيْلُ اخْتَرْ لقومك ولنفسك واحدة من هذه السحائب ، فقال : أما البيضاء فجفل ، وأما الحمراء فعارض ، وأما السوداء فهطلة وهي أكثرها ماء ، فاختارها ، فنادى مناد : قد اخترت لقومك رماداً رمداً ، لا تبقى من عاد أحداً ، لا والداً ولا ولداً ، قال : وسير الله

(١) مغنّيتان .

السحابة التي اختارها قَيْلٌ إلى عاد ، ونودي لقمان : سل ، فسأل عُمْرَ ثلاثة أَنْسُر ، فأعطى ذلك ، وكان يأخذ فَرْخَ النسر من وَكْره ، فلا يزال عنده حتى يموت ، وكانَ آخرها لُبَد ، وهو الذي يقول فيه النابغة :

أَضْحَتْ خَلاَء وأَضْحَى أهلُها احْتَلَمُوا   أخْنَى عليها الذي أخْنَى على لُبَـدِ

تأْبَى لهُ ذَلكَ بَنَاتُ أَلْبُبِي.

قالوا : أصل هذا أن رجلا تزوج امرأة وله أُمّ كبيرة ، فقالت المرأة للزوج : لا أنا ولا أنت حتى تُخْرِجَ هذه العجوز عنا ، فلما أكثَرَتْ عليه احتملها على عُنقه ليلا ، ثم أتى بها وادياً كثير السباع فرمى بها فيه . ثم تنكر لها ، فمرَّ بها وهي تبكي ، فقال : ما يبكيك يا عجوز؟ قالت : طَرَحَنِي ابني ههنا وذهب وأنا أخاف أن يفترسه الأسد ، فقال لها : تبكين له وقد فعل بك ما فعل؟ هلا تدعين عليه ، قالت : تأبى له ذلك بَنَاتُ أَلْبُبي .

قالوا : بناتُ أَلْبُب عُرُوقٌ في القلب تكون منها الرِّقَّة ، قال الكُمَيْت :

إليكـم ذَوى آل النَّبِـيِّ تطَلَّعْـت   نَـوَازُع مـن قلبـي ظماءٌ وأَلْبُب

والقياس أَلُبٌّ ، فأظهر التضعيف ضرورة . يضرب في الرقة لذوي الرحم

أَتْبِعِ الفَرَسَ لِجَامَها والنَّاقَةَ زِمَامَهَا.

قال أبو عبيد : أرى معناه أنك قد جُدْتَ بالفرس واللجامُ أيسرُ خَطْباً فأتِمَّ الحاجة ، لما أن الفرس لا غنَى به عن اللجام ، وكان المفضَّلُ يذكر أن المَثَلَ لعمرو بن ثعلبة الكلبي أخي عَدِيٍّ بن جناب الكلبي ، وكان ضِرار (في نسخة «خوار بن عمرو») ابن عمرو الضبي أغار عليهم فسَبَى يومئذ سَلْمَى بنت وائل الصائغ ، وكانت يومئذ أمةً لعمرو بن ثعلبة ، وهي أم النعمان بن المنذر فمضى بها ضِرار مع ما غنم ، فأدركه عمرو ابن ثعلبة ، وكان له صديقا ، فقال : أنشدك الإخاء والمودة إلا رَدَدْتَ عَلَيَّ أهلي ، فجعل يرد شيئا شيئا ، حتى بقيت سَلْمَى وكانت قد أعجبت ضرارا ، فأبى أن يردها ، فقال عمرو : يا ضرار أَتْبع الفرسَ لجامها ، فأرسلها مثلا .

وقال غيره : أصلُ هذا أن ضرار بن عمرو قاد ضَبَّة إلى الشام ، فأغار على كلب بن وَبْرة ، فأصاب فيهم وغنم وسَبَى الذَّرارى ، فكانت في السبي الرائعة قَيْنَة كانت لعمرو ابن ثعلبة وبنت لها يقال لها سَلْمَى بنت عطية ابن وائل ، فسار ضِرار بالغنائم والسبي إلى أرض نجد ، وقدم عمرو بن ثعلبة على قومه ولم يكن شَهِدَ غارةَ ضرارٍ

عليهم ، فقيل له : إن ضرار بن عمرو أغار على الحي فأخذ أموالهم وذَرَاريهم ، فطلب عمرو بن ثعلبة ضرارا وبني ضبة فلَحِقهم قبل أن يَصِلُوا إلى أرض نجد ، فقال عمرو بن ثعلبة لضرار : رُدَّ علي مالي وأهلي ، فرد عليه ماله وأهله ، ثم قال : رُدَّ علي قَيْناتي ، فرد عليه قينته الرائعة ، وحبس ابنتها سلمى ، فقال له عمرو : يا أبا قَبيصة أتبع الفرسَ لجامها ، فأرسلها مثلا .

تَطْلُبُ ضَبّاً وَهَذَا ضَبٌّ بَادٍ رَأسُهُ؟

ويروى «مُخْرِجٌ رأسَه» قال عطاء ابن مصعب : زعموا أن رجلين وَتَرا رجلا وكل واحد منهما يسمى ضبا ، فكان الرجل يتهدَّد النائي عنه ويترك المقيم معه جُبْنا ، فقيل له : تطلب ضبا يعني الغائب وهذا ضب بادٍ رأسُه يعني الحاضر . يضرب لمن يجبن عن طلب ثأره .

تَحْمِلُ عِضَةٌ جَنَاهَا.

أصل ذلك أن رجلا كانت له امرأة ، وكانت لها ضَرَّة ، فعمدت الضرة إلى قَدَحَيْن مشتبهين فجعلت في أحدهما سَوِيقا وفي الآخر سما ، ووضعت قَدَحَ السويق عند رأسها والقدحَ المسمومَ عند رأس ضرتها لتشربه ، ففطنت الضرة لذلك ، فلما نامت حَوَّلت القدحَ المسمومَ إليها ، ورفعت قدحَ السويق إلى نفسها ، فلما انتبهت أخذت قدحَ السم على أنه السويق فشربته ، فماتت ، فقيل : تحمل عِضَة جَنَاها . الجنى : الحمل ، والعِضَة : واحدة العِضَاه وهي الأشجار ذواتُ الشَّوْك ، يعني أن كل شجرة تحمل ثمرتها ، وهذا مثل قولهم «مَنْ حَفَرَ مَهْوَاةً وَقع فيها» .

التَّجَرُّدُ لِغَيْرِ النِّكَاحِ مُثْلَةٌ.

قالته رَقَاشِ بنتُ عمرو[1] لزوجها حين قال لها : اخْلَعِي دِرْعَكِ لأنظر إليك ، وهي التي قالت أيضاً : خَلْعُ الدرع بيد الزوج ، فأرسلتهما مثلين .

يضرب في الأمر بِوَضْعِ الشيء موضعه

(١) رقاش بنت ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . أم جاهلية ينسب إليها بنو ((رقاش)) وهم بنوها من زوجها شيبان بن ذهل من بني بكر بن وائل من ربيعة .

تَرَى الفِتْيَانَ كالنَّخْلِ ومَا يدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ.

يضرب لِذِي المَنْظَر لا خَيْر عنده .

قال المفضل : أولُ من قال ذلك عَثْمَة بنت مَطْرود البُجَيْلِيَّة ، وكانت ذاتَ عقلٍ ورأى مستمع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خودٌ ، وكانت ذات جَمَال وميسَم وعَقْل ، وأن سبعة إخوة غلمة من بطن الأزْد خطَبوا خودا إلى أبيها ، فأتوه وعليهم الحُلَل اليمانية ، وتحتهم النَّجَائبُ الفُرَّهُ ، فقالوا : نحن بنو مالك بن غُفَيْلة ذي النحيين فقال لهم : انزلوا على الماء ، فنزلوا ليلَتَهم ثم أصبحوا غادِينَ في الحُلَل والهَيْأة ومعهم رَبيبة لهم يقال لها الشعثاء كاهنة ، فمروا بوَصِيدها يتعرَّضُون لها وكلهم وَسِيم جميل ، وخرج أبوها فجلسوا إليه فرحَّب بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتا ونحن كما ترى شَبَاب ، وكلنا يَمْنَع الجانب ، ويمنح الراغب ، فقال أبوها : كلكم خِيار فأقيموا نَرَى رأينا ، ثم دخل على ابنته فقال : ما ترين فقد أتاك هؤلاء القوم؟ فقالت أنْكِحْني على قَدْري ، ولا تُشْطط في مَهْري ، فإن تُخْطِئني أحلامهم ، لا تخطئني أجسامهم ، لعي أصيب ولدا ، وأكثر عَدَدا ، فخرج أبوها فقال : أخبروني عن أفضلكم ، قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة : اسمع أخبرك عنهم ، هم إخوة ، وكلهم أسْوَة ، أما الكبير فمالك ، جريء فاتك ، يتعب السَّنَابك ، ويستصغر المَهَالك ، وأما الذي يليه فالغَمْر ، بحر غَمْر ، يقصر دونه الفَخْر ، نَهْد صَقْر ، وأما الذي يليه فعَلْقَمَة ، صليب المَعْجَمَة ، مَنِيع المشتمة ، قليل الجمجمة ، وأما الذي يليه فعاصم ، سَيِّدٌ ناعم ، جَلْد صارم ، أبيٌّ حازم ، جيشُه غانم ، وجاره سالم ، وأما الذي يليه فثَوَاب ، سريع الجَوَاب ، عَتيد الصَّوَاب ، كريم النِّصَاب ، كلَيْث الغاب ، وأما الذي يليه فَمُدْرك ، بَذْول لما يَمْلك ، عَزُوب عما يترك ، يُفْنِى ويُهْلك ، وأما الذي يليه فجَنْدَل ، لقِرْنه مُجَدِّل ، مقل لما يَحْمل ، يُعْطي ويَبْذُل ، وعن عدوه لا يَنْكُل ، فشاورت أختها فهيم ، فقالت أختها عَثْمَةُ : ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدَّخْل ، اسمعي مني كلمة ، إن شرّض الغريبة يُعْلَن ، وخيرها يُدْفَن ، انكِحِي في قومك ولا تغررك الأجسام ، فلم تقبل منها ، وبعثت إلى أبيها أنكِحْني مدركا ، فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورُعَاتها ، وحَمَلَها مدرك ، فلم تَلْبث عنده إلا قليلا حتى صَبَّحهم فوارسُ من بني مالك بن كنانة ، فاقتتلوا ساعة ثم إن زوجها وإخوته وبني عامر انكَشَفُوا فَسَبَوْهَا فيمن سَبَوْا ، فبينا هي تسير بكَتْ ، فقالوا : ما يبكيك؟ أعلى فراق زوجك؟ قالت : قَبَّحه الله ! قالوا : لقد كان جميلا ، قالت : قبح الله جمالا لا نَفْع معه ، إنما أبكي على عصياني

أختي وقولها «ترى الفيان كالنخل وما يدريك ما الدخل» وأخبرتهم كيف خطبوها ، فقال لها رجل منهم يكنى أبا نُوَاس شاب أسود أَفْوَهُ مضطرب الخلق : أَتَرْضَيْنَ بي على أن أمنعك من ذئاب العرب ، فقالت لأصحابه : أكذلك هو؟ قالوا : نعم إنه مع ما تَرَيْنَ لَيَمْنَعُ الحَلِيلة ، وتَتَّقِيه القبيلة ، قالت : هذا أجمل جمال ، وأكمل كمال ، قد رضيت به ، فزوجوها منه

تَعِسَتِ العَجَلَةُ

أول من قال هذا فِنْدٌ مولَى عائشةَ بنتِ سعد بن أبي وقاص ، وكان أحد المغنين المجيدين ، وكان يجمع بين الرجال والنساء ، وله يقول ابن قَيْس الرُّقَيَّات :

قُــلْ لفنْــد يُشَيِّع الأظْعَانا طالمــا سَرَّ عَيْشَنَا وكَفَانــا

وكانت عائشة أَرسَلَتْه يأتيها بنار ، فوجد قوماً يخرجون إلى مصر ، فخرج معهم فأقام بها سنةً ، ثم قدم فأخذ ناراً وجاء يَعْدُو فعثَرَ وتبدَّد الجمر ، فقال : تعست العجلة! وفيه يقول الشاعر :

مـا رأينــا لغُــرَاب مثَــلاَ إذ بَعَثْنَــاه يَجِــي بالمشملة

غَيْــرَ فِنْد أرسلـوه قَابِســاً فَثَوَى حَوْلا وَسَبَّ العَجَلَــهْ

المشملة : كساء تجمع فيه المقدحة بآلاتها وقال بعضهم الرواية «المشملة» بفتح الميم وهي مَهَبُّ الشمال ، يعني الجانب الذي بعث نوح عليه السلام الغراب إليه ليأتيه بخبر الأرض أَجَفَّتْ أم لا؟

تَجْمَعِينَ خِلاَبَةً وَصُدُوداً.

يضرب لمن يجمع بين خَصْلَتَيْ شَرٍّ .

قالوا : هو من قول جرير بن عطية(١) ، وذلك أن الحجاج بن يوسف(٢) أراد قتله ،

(١) جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي شاعر من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد ، ولد في بادية نجد من أشهر شعراء العرب في فن الهجاء وكان بارعًا في المدح أيضًا .

(٢) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، قائد أموي ، داهية ، سفاك ، خطيب . ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته ، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره .

فمشت إليه مُضَرُ فقالوا : أصلح الله الأمير ! لسانُ مضر وشاعرُها ، هَبْه لنا ، فوهَبه لهم ، وكانت هند بنت أسماء بن خارجة ممن طلب فيه ، فقالت للحجاج : ائذن لي فأسْمَعَ من قوله ، قال : نعم ، فأمر بمَجْلِسٍ له وجلس فيه هو وهند ، ثم بعث إلى جرير فدخل وهو لا يعلم بمكان الحجاج ، فقالت : يا ابن الخَطَفى أنْشِدْني قولَك في التشبيب ، قال : واللّه ما شَبَّبْتُ بامرأة قطُّ ، وما خلَق اللّه شيئاً أبْغَضَ إليّ من النساء ، ولكني أقول في المديح ما بلغكِ ، فإن شئت أسمعتُكِ ، قالت : يا عدوَّ نفسه فأين قولك :

يَجْري السواكُ على أغرَّ كأنَّهُ ... بَرَدٌ تحدَّرَ من مُتُونِ غَمامِ
طَرَقَتْكَ صائدةُ القلوبِ ولَيْسَ ذا ... وَقْتَ الزيارة فَارْجعي بسلامَ
لو كُنْتِ صَادقَةَ الذي حَدَّثْتَنا ... لَوَصَلْتِ ذاك فكان غيرَ رِمَامِ

قال جرير : لا والله ما قلت هذا ، ولكني أقول :

لقد جَرَّدَ الحجاجُ بالحقِّ سيفَه ... ألا فاسْتَقيمُوا لا يَميلَنَّ مَائلُ
ولا يَسْتَوي دَاعي الضلالة والْهُدَى ... ولاَ حُجَّة الخصمين حَقٌّ وبَاطِلُ

فقالت هند : دَعْ ذا عنك ، فأين قولك

خليليّ لاَ تَسْتَشْعِرَا النومَ ، إنني ... أعيذُكُما باللّه أن تَجدَا وَجْدي
ظَمِئْتُ إلى بَرْدِ الشَّرَابِ وغَرَّني ... جَدَامُزْنَةٍ يُرْجَى جَدَاها وَمَا تُجْدِي

قال جرير : بل أنا الذي أقول :

ومَنْ يأمَنِ الحجَّاجَ ، أما عقَابُهُ ... فَمُرّ ، وأما عَقْدُه فَوَثيقُ
لخَفْتُكَ حَتَّى أنْزَلَتْني مَخَافَتي ... وَقَدْ كانَ مِنْ دُوني عَمَايَة نيق
يُسَرُّ لك البَغْضَاء كلُّ مُنَافِقٍ ... كما كلُّ ذِي دِينٍ عليك شَفِيقُ

قالت : دَعْ ذا عنك ، ولكن هات قولك :

يا عاذليّ دَعَا المَلامَةَ وَاقْصِرَا ... طَالَ الهَوَى وأطَلْتُمَا التَّفنيدَا
إني وَجَدْتُك لَوْ أرَدْت زِيَارةً ... فِي الحبِّ منِّي ما وَجَدْت مَزِيدَا
أخَلَبْتِنَا وَصَدَدْت أمَّ محمد ... أفَتَجْمَعِيَن خلابةً وصُدُودَا
لا يستطيعُ أخو الصبابة أن يُرَى ... حَجَراً أصمَّ وأن يكون حَدِيدَا

أَتْجَرُ مِنْ عقْرَبٍ.

ويقال أيضاً «أمْطَلُ من عَقْرَب » وهذا من أمثال أهل المدينة ، حكاه الزُّبير بن بَكَّار[١] . وعقرب اسم تاجر من تجارها ، قال الزبير : وكان رَهْط أبي عَقْرب أكْثَرَ مَنْ هُنَاك تجارة ، وأشدَّهم تسويفاً ، حتى ضَرَبوا بِمَطْله المثلَ ، فاتفق أنْ عاملَ الفضلَ بن عباس بن عُتْبة بن أبي لَهَب ، وكان أشدَّ أهلِ زمانه اقْتضَاءً ، فقال الناس : ننظر الآنَ ما يصنعان ، فلما حلَّ المالُ لزم الفضلُ بابَ عقرب ، وشدّ ببابه حماراً له يسمى السَّحَاب ، وقعد يقرأ على بابه القرآن ، فأقام عقرب على المَطْل غيرَ مكترثٍ به ، فعدل الفضلُ عن مُلاَزمة بابه إلى هجاء عِرْضه ، فمما سار عنه فيه قولُه :

قد تَجَرَتْ في سُوقِنَا عقربٌ ... لا مَرْحَباً بِالْعَقْرَبِ التاجِرَهْ
كلُّ عدوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلاً ... وعقربٌ يُخْشَى من الدَّابِرَهْ
كل عدوٍّ كيدُهُ في اسْته ... فغيرُ مَخْشِيٍّ ولا ضَائِرَهْ
إن عَادَتِ العقربُ عُدْنَا لَهَا ... وكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهْ

أَتْيَمُ مِنَ المُرَقِّشِ.

يعنون المُرَقِّشَ الأصْغَر ، وكان متيما بفاطمة بنت الملك المنذر ، وله معها قصة طويلة ، وبلَغ من أمره أخيرا أنْ قَطَع المرقش إبهامه بأسنانه وَجْدا عليها ، وفي ذلك يقول :

ومَنْ يَلْقَ خيراً يَحْمَد الناسُ أمرَه ... وَمَن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائما
ألم تَرَ أن المَرْءَ يَجْذِمُ كَفُّه ... ويَجْشَمُ من لَوْم الصَّدِيقِ المَجَاشِمَا

أي يكلف نفسه الشدائدَ مخافةَ لوم الصديق إياه ، وأتيَم : أفعلَ من المَفعول ، يقال : تَامَهُ الحبُّ وتَيَّمه ، أي عَبَّده وذلله ، وتَيْمُ الله مثلُ قولك عبد الله ، قال لَقيط :

تَامَتْ فُؤَادَكَ لم يَحْزُنْكَ ما صَنَعَتْ ... إحْدَى نِسَاءِ بَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا

---

(١) الزبير بن بكار الأسدي القرشي من نسل عبد الله بن الزبير ، ولد في المدينة المنورة سنة ١٧٢هـ من مشاهير العلماء والأدباء في العصر العباسي ، وحامل علم المدائني في التاريخ ، وقد عدّ له ابن النديم ٣١ كتاباً ، بعضها في التاريخ وبعضها في الأدب ، وكان مؤدب ولد محمد بن طاهر بن عبد الله حيناً ، وتوفي وهو قاضٍ بمكة سنة ٢٥٦هـ ، وعمره أربع وثمانون سنة .

أَتْيَهُ مِنْ فَقِيدِ ثَقِيف.

قالوا : كان بالطائف في أول الاسلام أَخَوَانِ فتزوَّج أحدُهما امرأةً من كُنَّة ثم رامَ سفَرا فأوصى الأخَ بها ، فكان يتعهَّدُها كل يوم بنفسه ، وكانت من أحسن الناس وَجْهاً ، فذهبت بقلبه فَضَنِيَ وأخذت قوته حتى عجز عن المشي ، ثم عجز عن القعود ، وقَدِمَ أخوه فلما رآه بتلك الحال قال : مالك يا أخي؟ ما تجد؟ قال : ما أجد شيئاً غير الضعف فبعث أخوه إلى الحارث بن كَلْدَةَ طبيبِ العرب ، فلما حضر لم يجد به علَّة من مرض ، ووقع له أن ما به من عشق ، فدعا بخمر وفَتَّ فيها خبزا ، فأطعمه إياه ثم أتبعه بشَرْبة منها ، فتحرك ساعةً ثم نغض رأسه ورفع عَقيرتَه بهذه الأبيات :

أَلِمَّا بي على الأَبْيَا ت بِالْخَيف نَزُرْهُنَّهْ
غَزَالٌ ثَمّ يَحْتَلُّ بها دُورَ بنـدَي كُنَّهْ
غَزَال أَحْوَرُ الْعَيْنَيْن في مَنْطقة غُنَّهْ

فعرف أنه عاشق ، فأعاد عليه الخمر ، فأنشأ يقول :

أيها الجيَرةُ اسْلَمُوا وَقِفُوا كي تَكَلَّمُوا
خرجت مزنة من الـ ـبَحْر (البحر) رَيًّا تُحَمْحِمُ
هِيَ مَا كُنَّتي وتز عُمُ أَنِّي لَهَا حَمُ

فعرف أخوه ما به ، فقال : يا أخي هي طالق ثلاثا فتزوجْهَا ، فقال : هي طالق يوم أتزوجها ، ثم ثاب إليه ثائب من العقل والقوة ففارق الطائف حضرا ، وهامَ في البر فما رُؤي بعد ذلك ، فمكث أخوه أياما ثم مات كَمَداً على أخيه ، فضرب به المثل ، وسمى فقيد ثقيف .

ثُكْلٌ أَرْأَمَهَا وَلَداً.

قاله بَيْهس الملقب بِنَعَامة لأمه حين رجَع إليها بعد إخوته الذين قُتلوا .

قال المفضل : كان من حديث بَيْهس أنه كان رجُلاً من بني فَزَارة بن ذُبْيَان بن بَغيض ، وكان سابعَ إخْوَة . فأغار عليهم ناسٌ من أَشْجَع بينهم وبينهم حرب وهو في إبلهم ، فَقتَلوا منهم ستة وبقي بَيْهَسٌ وكان يُحَمَّقُ ، وكان أَصْغَرَهم ، فأرادوا قتله ، ثم قالوا : وما تريدون من قتل هذا؟ يُحْسَبُ عليكم برجل ولا خير فيه ، فتركوه ، فقال : دعوني أتوصَّلُ معكم إلى الحي ، فإنكم إن تركتموني وَحْدِي أكلتني السباع وقَتَلَنِي

العطش ، ففعلوا ، فأقبل معهم فلما كان من الغدِ نزلوا فَنَحَروا جَزُوراً في يوم شديدِ الحر ، فقالوا : ظَلِّلُوا لَحْمكم لا يفسد . فقال بيهس : لكنَّ بالأثَلاَث لحماً لا يُظَلَّل ، فذهبت مثلا ، فلما قال ذلك قالوا : إنه لَمُنْكَر وَهَمُّوا أن يَقْتلوه ، ثم تركوه وظلُّوا يَشْوُون من لحم الجزور ويأكلون ، فقال أحدهم : ما أَطْيَبَ يومَنَا وأَخْصَبَه ، فقال بيهس : لكنْ على بَلْدَح قومٌ عَجْفَى ، فأرسلها مثلا ، ثم انْشَعَبَ طريقَهم فأتى أُمَّه فأخبرها الخبر . قالت : فما جاءَني بك من بين إخوتك؟ فقال بيهس : لو خُيِّرْتِ لاخْتَرْتِ فذهبت مثلا ، ثم إن أمه عَطَفت عليه ورقَّتْ له فقال الناس : لقد أحبَّتْ أم بيهس بيهساً . فقال بيهس : ثكلٌ أَرْأَمَهَا ولدا ، أي عَطَفها على ولد ، فأرسلها مثلا ، ثم إن أمه جَعَلت تُعطيه بعد ذلك ثيابَ إخوته فَيَلْبَسُها ويقول : يا حَبَّذَا التراثُ لولا الذلَّة فأرسلها مثلاً ، ثم إنه أتى على ذلك ما شاء الله فمر بنسوة من قومه يُصْلحْنَ امرأةً منهن يُرِدْنَ أن يُهْدِينَهَا لبعض القوم الذين قَتَلُوا إخوته ، فكشَف ثوبه عن اسْتِه وغطى به رأسه فقلن له : ويحك ! ما تصنع يا بيهس؟ فقال :

أَلْبَسْ لكلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا ... إمَّا نعيمَهَا وإما بُوسَهَا

فأرسلها مثلا ، ثم أمر النساء من كنانة وغيرها فصنَعْنَ له طعاماً ، فجعل يأكل ويقول : حَبَّذَا كثرةُ الأيْدِي في غير طعام فأرسلها مثلاً ، فقالت أمه : لا يطلبُ هذا بثأر أبداً ، فقالت الكنانية : لا تأْمَني الأحْمَقَ وفي يَده سكين ، فأرسلتها مثلا ، ثم إنه أُخبر أن ناساً من أَشْجَعَ في غارٍ يشربون فيه ، فانطلق بخالٍ له يقال له : أبو حَنَش ، فقال له : هل لك في غارٍ فيه ظباء لعلنا نصيبُ منها ، ويروى : هل لك في غَنيمة باردة ، فأرسلها مثلاً ، ثم انطَلق بَيْهَس بخاله حتى أَقَامَهُ على فَمِ الغار ثم دفع إبا حَنَش في الغار فقال : ضَرْباً أبا حَنَش ، فقال بعضهم : إن أبا حَنَش لَبَطَل ، فقال : أبو حنش : مُكْرَهٌ أَخُوكَ لا بَطَل ، فأرسلها مثلا ، قال المتَلمِّسُ في ذلك :

وَمنْ طَلَبِ الأوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ ... قَصيُر وَخَاضَ المَوْتَ بالسَّيْف بَيْهَسُ

نَعَامةُ لمَّا صَرَّعَ القومُ رَهْطَهُ ... تبيَّنَ في أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ

جَزَاءَ سنمَّار

أي جَزَاني جزاءَ سنمار ، وهو رجل رومي بَنَى الخَوَرْنَقَ الذي بظَهْر الكوفة للنعمان بن امرئ القيس ، فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فَخَرَّ ميتاً ، وإنما فعل ذلك لئلا يبني مثلَه لغيره ، فضربت العرب به المثلَ لمن يجزي بالإحسان الإساءة ، قال الشاعر :

جَزَتْنَا بنــو سَعْد بحُسْــــن فَعَالنَــا   جَزَاء سنمَّار ومـــا كانَ ذَا ذَنْــب

ويقال : هو الذي بنى أطمَ أحَيْحَةَ ابن الجُلاَح ، فلَمَا فرَغ منه قال له أُحَيْحَة : لقد أحكمتَه ، قال : إني لأعرفُ فيه حجرا لو نُزع لتقوَّضَ من عند آخره ، فسأله عن الحجر ، فأراه موضعه . فدفعه أحيحة من الأطم فخرّ ميتا .

جَرَحَهُ حَيْثُ لاَ يَضَعُ الرَّاقِي أنْفَهُ.

قالته جَنْدَلَة بنت الحارث ، وكانت تحت حَنْظَلة بن مالك وهي عَذْراء ، وكان حنظلة شيخا ، فخرجت في ليلة مَطِيرة فبَصُرَ بها رجل فوثَب عليها وافتضَّها ، فصاحت ، فقال لها رجل : مالك؟ فقالت : لُسِعْتُ ، قال : أين؟ قالت : حيث لا يضع الراقي أنفه .

يضرب لمن يقع في أمرٍ لا حيلَةَ له في الخروج منه

جاوِرِينَا وَاخْبُرِينَا.

قال يونس : كان رجلان يتعشَّقان امرأةً ، وكان أحدُهما جميلا وَسيما ، وكان الآخر دَميما تقتحمه العين ، فكان الجميلُ منهما يقول : عاشرينا وانظري إلينا ، وكان الدميم يقول : جاورينا واخْبُرينا ، فكانت تُدْنِي الجميلَ ، فقالت : لأختبرنَّهما ، فقالت لكل واحد منهما أَن يَنْحَر جَزُورا ، فأتتهما متنكرة ، فبدأت بالجميل فوجَدَتْه عند القدْر يَلْحَس الدسَم ويأكل الشحم ، ويقول : احتفظوا كلَّ بيضاء ليَهْ ، يعني الشحم ، فاستَطعمته فأمر لها بثَيْلِ الجَزور ، فوضع في قصعتها ، ثم أتت الدَّمِيم فإذا هو يَقْسِم لحم الجزور ويُعْطي كل مَنْ سأله ، فسألته فأمر لها بأطايبِ الجزور ، فوضع في قصعتها ، فرفعت الذي أعطاها كلُّ واحد منهما على حدَة ، فلما أصبحا غَدَوَا إليها فوضَعَت بين يدي كل واحد منهما ما أعطاها ، وأقصت الجميل ، وقربت الدميم ، ويقال : إنها تزوجته .

يضرب في القبيح المنظر الجميل المَخْبَر

جارٌ كَجَارِ أَبِي دُاوُدٍ.

يَعْنُون كَعْبَ بن مَامَةَ ، فإن كعبا كان إذا جاوره رجُلٍ فمات وَدَاه ، وإن هلك له بعيرُ أو شاة أخْلَفَ عليه ، فجاءه أبو دُوَاد الشاعر مجاوراً له ، فكان كعبٌ يفعل به

ذلك ، فضربت العرب به المثلَ في حسن الجِوار ، فقالوا : كجار أبي دُوَاد ، قال قيس ابن زهير :

أطَوِّفُ ما أطَوِّفُ ثم آوِى ... إلى جَارٍ كجَارِ أبي دُوَاد

وقال طَرَفَة بن العبد :

إنِّي كَفَانِيَ مِنْ أمْرٍ هَمَمْت بِه ... جار كَجَارِ الحُذَاقِيِّ الَّذِي اتَّصَفَا

جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْك.

ويروى «أجِعْ كلبك» وكلاهما يضرب في معاشرة اللئام وما ينبغي أن يعاملوا به .

قال المفضل : أول من قال ذلك مَلك من ملوك حِمْيَر كان عنيفا على أهل مملكته : يَغْصِبُهم أموالهم ، ويَسْلُبهم ما في أيديهم ، وكانت الكَهَنة تخبره أنهم سيقتلونه ، فلا يَحْفل بذلك ، وإن امرأته سمعت أصوات السؤال فقالت : إني لأرْحَم هؤلاء لما يَلْقَوْن من الجَهْد ، ونحن في العيش الرَّغد ، وإني لأخاف عليك أن يصيروا سِبَاعا ، وقد كانوا لنا أتباعا ، فرد عليها «جَوِّعْ كلبك يتبعك» وأرسلها مثلا ، فلبث بذلك زمانا ، ثم أغزاهم فغنموا ولم يَقْسِمْ فيهم شيئا ، فلما خرجوا من عنده قالوا لأخيه وهو أميرهم : قد ترى ما نحن فيه من الجَهْد ، ونحن نكره خروجَ المُلْكِ منكم أهلَ البيت إلى غيركم فساعِدْنا على قتل أخيك ، واجلس مكانه ، وكان قد عَرَف بَغْيه واعتداءه عليهم ، فأجابهم إلى ذلك ، فوثَبوا عليه فقتلوه ، فمر به عامر بن جذيمة وهو مقتول وقد سمع بقوله «جوع كلبك يتبعك» فقال : ربما أكل الكلب مؤدِّبه إذا لم ينل شبعه ، فأرسلها مثلا

أَجْنَاؤُهَا أَبْنَاؤُهَا.

وأصل المثل أن ملكا من ملوك اليمن غزا وخَلَّف بنتاً ، وأن ابنته أَحْدَثَتْ بعده بنياناً قد كان أبوها يكرهه ، وإنما فعلت ذلك برأي قوم من أهل مملكته أشاروا عليها وزَيَّنوه عندها ، فلما قدم الملك وأخبر بمَشُورَة أولئك ورأيهم أمرهم بأعيانهم أن يَهْدِموه ، وقال عند ذلك : أَجْنَاؤُهَا أبناؤها ، فذهبت مثلا .

يضرب في سُوءِ المَشُورَةِ والرأي ، وللرجل يعمل الشيء بغير روِيَّة ثم يحتاج إلى نقض ما عمل وإفساده .

ومعنى المثل : إن الذين جَنَوْا على هذه الدار بالهَدْم هم الذين عَمَروها بالبناء

جاءَ أَبُوهَا بِرُطَبٍ.

قالوا : إن أول من قال ذلك شيهم بن ذي النابين العبدي ، وكان فيه فَشَل وضَعْفُ رأي ، فأتى أرض النَّبيطِ في نَفَر من قومه فهوِيَ جارية نَبَطية حسناء فتزوجها فنهاه قومه وقَّال في ذلك أخوه محارب :

لـم يَعْـدُ شيهـم أن تزوج مثلـه   فهمـا كشَيْهَمـة عَلاَهـا شَيْهَم

ورَسُولُـه الساعِـي إليهـا تـارةً   جُعَـلٌ وطَـوْرا عَضْـرَ فُوطٌ ملجم

في أبيات بعدهما لا فائدة في ذكرها ، ثم إن شيهما صار وحمل معه امرأته حتى أتى قومه وما فيهم إلا ساخر منه ، لائم له ، فلما رأى ذلك أنشأ يقول

ألـم تَرَنـي أُلاَمُ علـى نكاحـي   فَتَـاةً حُبُّهَـا دَهْـراً عَنَانـي

رَمَتْنـي رَمْيَـة كَلَمَـتْ فـؤادي   فأوْهَى القَلْـبَ رَمْيَـةُ مـن رَمَاني

فلـو وجـد ابنُ ذي النَّابَيْنِ يَوْمـاً   بأخْـرَى مثـلَ وَجْدِي ما هَجَانِي

ولَكِـنْ صَدَّ عنـه السَّهْـم صـدّاً   وعَـنْ عُـرْضٍ على عَمْـد أتاني

فلما سمع القومُ ذلك منه كَفُّوا عنه ، ثم إن أباها قدِم زائراً لها من أرضه ، وحمل معه هدايا منها رُطَب وتمر ، فلما ذاق شَيْهم الرطبَ أعجبته حلاوته ، فخرج إلى نادي قومه وقال :

مـا مراء القـوم فـي جمع النَّـدِى   ولقـد جـاء أبوُهـا بِرُطَـبْ

فذهبت مثلا . يضرب لمن يرضى باليسير الحقير

جَفَّ حجْرُكِ وطابَ نَشْرُكِ، أَكلْتِ دَهَشاً وحَطَبْتِ قمْشاً.

قال يونس بن حَبيب : كان من حديث هذين المثلين أن امرأة زَارَتْها بنتُ أخيها وبنت أختها ، فأحسنت تزويرهما ، فلما كان عند رجوعهما قالت لابنة أخيها : جفَّ حجْرُكِ وطاب نَشْرُكِ ، فسُرَّتِ الجارية بما قالت لها عمتها ، وقالت لابنة أختها : أكَلْتِ دَهَشاً وحَطَبْتِ قمْشاً ، فوجدتَ بذلك الصبية وشق عليها ما قالت لها خالتها ، فانطلقت بنت الأخ إلى أمَها مسرورة ، فقالت لهما أمها : ما قالت لك عمتك؟ فقالت : قالت لي خيرا ودَعَتْ لي ، قالت : وكيف قالت لك؟ قالت : قالت جَفَّ

حجْرُك وطاب نَشْرك ، قالت : أي بنية ، ما دَعَتْ لك بخير ، ولكن دعت بأن لا تشمي ولدا أبدا فيبل حجرك ويغير نَشْرَكِ ، وانطلقت الأخرى إلَى أمها ، فقالت لها أمها : ما قالت لك خالتك؟ قالت : وما عَسَى أن تقول لي؟ دعَتْ الله علي ، قالت :

وكيف قالت لك؟ قالت : قالت أكَلْت دَهَشاً وحَطَبْت قِمْشاً ، قالت : بل دعت الله لك يا بنية أن يكثر ولَدُكِ فينازعوك في المال ويقمشوك حَطبا

جَدَّ صَفِيرُ الحُنْظَلِيِّ.

أصلُ هذا أن رجلين أحدهما من بني سعد والآخر من بني حنظلة ، خرجا فاحتفرا زُبْيَتَين ، فجلس كل واحد منهما في واحدة ، وجعلا أمارة ما بينهما الصفير إذا أبْصَرَا صيدا ، فزعموا أن أسدا مرَّ بالحَنْظَلى ، فأخَذَ برجله ، فَخَبطه الأسد بيده ، فَغوَّثَ وصاح صِياحاً شديداً فقال السعدي : جَدَّ صفيرُ الحنظلى ، أي اشتد ، أي فالهرب فإن قربه شر .

يضرب لمن قرب منه الشر ودَنَا

جَلَوْا قَمّاً بِغَرفَة.

وأصل هذا أن رجلا سأل أعرابيا عن قوم كانوا في محلة ، فقال له : جَلَوْا قَمًّا بِغَرَفَة ، أي جَلَوْا وتحوّلوا عن محلتهم فخلا ذلك لموضُع منهم وعَفَتْ آثارهم كما يُقَمّ المكان بالغَرَفَة ، ونصب «قما» على المصدر ، كأنه قال : جَلَوا جَلاَءَ كاملا تاما ، فكأن مكانهم قُمّ منهم قما بمكنسة .

جَهِلَ مِنْ لَغَانِينَ سُبُلاَت.

وأصل المثل أن عمرو بن هند الملك قال : لأجَلِّلَنَّ مواسل الرَّبْط ، مصبوغا بالزيت ، ثم لأشْعِلَنَّه بالنار ، فقال رجل : جَهِلَ من لَغَانين سُبُلات ، أي لم يَعْلم مشقة الدخول من سُبُلات لَغَانين ، يريد المضَايق منها ، ومواسل (في القاموس أن اسمه مويسل) : في رأس جبل من جبال طيء يضرب مثلا لمن يُقْدم على أمر وقد جهل ما فيه من المشقة والشدة .

أَجْبَنُ مِنَ المُنْزُوفِ ضَرِطاً.

قالوا : كان من حديثه أن نسوة من العرب لم يكن لهنَّ رجلٌ ، فزوجْنَ إحداهن رجلا كان ينام الضحى ، فإذا أتينه بصَبُوح قُلْنَ : قم فاصْطَبِحْ ، فيقول : لو نَبَّهْتنني لعاديةٍ ، فلما رأين ذلك قال بعضهن لبعض : إن صاحبنَا لشُجاع ، فتعالَيْنَ حتى

نجربه ، فأتينه كما كنَّ يأتينه فأيقظنه ، فقال : لو لعادية نبهتنني ، فقلن : هذه نَوَاصي الخيل ، فجعل يقول : الخيل ، الخيل ، ويَضْرُط ، حتى مات وفيه قول آخر ، قال أبو عبيدة : كانت دَخْتَنُوس بنتُ لقيط بن زُرَارة تحت عمرو بن عمرو ، وكان شيخاً أبْرَصَ ، فوضع رأسه يوماً في حِجْرها فهي تهمهم في رأسه إذ جَخَفَ عمرو وسال لُعابه ، وهو بين النائم واليقظان ، فسمعها تؤفِّف ، فقال : ما قلت؟ فحادت عن ذلك ، فقال لها : أيَسُرُّك أن أفارقك؟ قالت : نعم ، فطلقها فنكحها فتى جَميل جسيم من بني زُرَارة ، قال محمد بن حبيب : نكحها عمير بن عمارة ابن معبد بن زرارة ، ثم إن بكر بن وائل أغاروا على بني دارم ، وكان زوجها نائما يَنْخَر ، فنبهته وهي تظن أن فيه خيراً ، فقالت : الغارة ، فلم يزل الرجل يَحْبق حتى مات ، فسمى المنزوف ضرطا ، وأخذَت دَخْتَنُوس ، فأدركهم الحى فطلب عمرو بن عمرو أن يَرُدُّوا دختنوس ، فأبوا ، فزعم بنو دارم أن عمرا قتل منهم ثلاثة رَهْطٍ ، وكان في السَّرْعَان ، فردوها إليه ، فجعلها أمامه ، وقال :

أيَّ خَلِيلَيْكِ وَجَدْتِ خَيْرَا ... أألْعَظِيدم فَيْشَةً وأيْرَا

أم الذي يأتِي العَدُوَّ سَيْرا ... وردها إلى أهلها .

ويَقال في حديثه غير هذا ، زعموا أن رجلين من العرب خَرَجا في فَلاَة ، فلاحت لهما شجرة ، فقال واحد منهما لرفيقه : أرى قوما قد رَصَدُونا ، فقال الرفيق : إنما هو عُشَرة ، فظنَّه يقول عَشَرَة ، فجعل يقول : وما غَنَاء اثنين عن عَشَرة؟ ويضرط حتى مات .

ويقال فيه وجه آخر ، زعموا أنه كانت تحت لُجَيم بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل امرأةٌ من غنزة بن أسد بن ربيعة يقال لها حَذَام بنت العتيك بن أسلم بن يذكر ابن عنزة بن أسد بن ربيعة ، فولدت له عجل ابن لجَيم والأوقص بن لجيم ، ثم تزوج بعد حذام صفية بنت كاهل بن أسد بن خزيمة ، فولدت له حَنيفة بن لجيم ، ثم إنه وقع بين امرأتيه تنازع فقال لجيم :

إذا قالت حَذَام فصدِّقوها ... فإن القول ما قالت حَذَام

فذهبت مثلا ، ثم إن عَجل بن لجيم تزوج الماشرية بنت نهسر بن بدر بنَ بكر ابن وائل ، وكانت قبله عند الأحرز بن عون العبدي فطلقها وهي نُسَءْ لأشهر ، فقالت لعجل حين تزوجها : احفظ عليّ ولدي ، قال : نعم ، فلما ولدت سماهُ عجلً سعدا ، وشبَّ الغلامُ فخرج به عجل ليدفعه إلى الأحرز بن عون وينصرف ، وأقبل

حنيفة بن لجيم من سفر فتلقاة بنو أخيه عجل فلم يَرَ فيهم سعدا ، فسألهم عنه ، فقالوا : انْطَلَقَ به عجل إلى أبيه ليدفعه إليه ، فسار في طلبه فوجده راجعا قد دفعه إلى أبيه ، فقال : ما صنعت يا عشمة؟ وهل للغلام أب غيرك؟ وجمع إليه بني أخيه ، وسار إلى الأحرز ليأخذ سعدا ، فوجده مع أبيه ومولًى له ، فاقتتلوا فخَذَله مولاهُ بالتنحِّي عنه ، فقال له الأحرز : يا بنيّ ، ألا تعينني على حنيفة؟ فكعّ الغلام عنه ، فقال الأحرز : ابنُكَ ابنُ بوحك ، الذي يشرب من صَبُوحك ، فذهبت مثلا ، فضرب حنيفة الأحرز فجَذَمه بالسيف ، فيومئذ سمى جَذِيمة ، وضرب الأحرز حنيفة على رجله فحَنَفَها ، فسمى حنيفة ، وكان اسمه أثال بن لجيم ، فلما رأى مولى الأحرز ما أصاب الأحرز وقع عليه الضراط فمات ، فقال حنيفة : هذا هو المنزوف ضرطا ، فذهبت مثلا ، وأخذ حنيفة سعدا فردَّه إلى عجل ، فإلى اليوم ينسب إلى عجل .

ووجه آخر ، زعموا أن المنزوف ضرطا دابة بين الكلب والذئب ، إذا صِيحَ بها وَقَع عليها الضراط من الجُبْن

أجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ

هو حاتم بن عبد الله بن سَعْد بن الحَشْرَج ، كان جواداً شجاعاً شاعراً مُظَفراً ، إذا قاتل غَلَب ، وإذا غنم نهب ، وإذا سُئِل وهب ، وإذا ضَرَب بالقِداح سَبَق ، وإذا أسَرَ أطلق ، وإذا أثْرى أنفق ، وكان أقسم باللّه لا يقتل واحدَ أمه .

ومن حديثه أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة ، فلما كان بأرض عنزة ناداه أسيرٌ لهم : يا أبا سَفَّانة ، أكَلَني الإسار والقمل ، فقال : ويحك ! ما أنا في بلاد قومي ، وما معي شيء وقد أسَأْتَني إذ نَوَّهْتَ باسمي ومالَكَ مَتْرَك ، ثم ساوم به العَنَزيين ، واشتراه منهم ، فخلاَّه وأقام مكانه في قِدِّه حتى أتى بفدائه ، فأدَّاه إليهم .

ومن حديثه أن ماويَّةَ امرأةَ حاتم حدَّثت أن الناس أصابتهم سَنَة فأذهبت الخُفَّ والظلف ، فبتنا ذاتَ لَيلة بأشدِّ الجوع ، فأخذ حاتم عديًا وأخذْتُ سفَّانة فعلَّلْنَاهما حتى ناما ، ثم أخذ يُعَللني بالحديث لأنام ، فرققت له لما به من الجَهْد ، فأمسكت عن كلامه لينام ويظن أني نائمة ، فقال لي : أنِمْت؟ مراراً ، فلم أجبه ، فسكت ونظر من وراء الخِباء فإذا شيء قد أقبل فرفَع رأسَه ، فإذا امرأة تقول : يا أبا سَفَّانة أتيتُكَ من عند صِبْية جِياع ، فقال : أحضريني صبيانَك فواللّه لأشْبعَنَّهم ، قالت : فقمتُ مُسْرِعة ، فقلت : بماذا يا حاتم؟ فوالله ما نام صِبْيَانك من الجوع إلا بالتعليل ، فقام إلى

فَرَسه فذبَحه ، ثم أجَّجَ نارا ودفع إليها شَفْرة ، وقال : اشْتَوِي وكُلِي وأطْعمِي ولدك ، وقال لي : أيْقظِي صبيتَكَ ، فأيقظتهما ثم قال : واللّه إن هذا للؤم أنْ تأكُلُوا وأهلُ الصِّرْم (الصرم - بالكسر - جماعة البيوت) حالُهم كحالكم ، فجعل يأتي الصِّرْم بيتا بيتا ويَقول : عليكم النار ، فاجتمعوا وأكلوا ، وتَقَنَّع بكسائه وقَعَد ناحيةً حتى لم يَوجد من الفرس على الأرض قليل ولا كثير ، ولم يَذُقْ منه شيئاً .

وزعم الطائيون أن حاتما أخذ الجودَ عن أمِّهِ غنية بنت عفيف الطائية ، وكانت لا تليق شيئاً سَخَاء وجودا .

أَجْوَدُ مِنْ كَعْبِ بْنِ مَامَةَ.

هو إيادي ، ومن حديثه أنه خرج في رَكْب فيهم رجل من النَّمِر بن قاسط في شهر نَاجِر فَضَلُّوا فتصافَنُوا ماءهم ، وهو أن يُطْرَح في القَعْبِ حَصَاة ثم يُصَب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحْصَاة ، وتلك الحصاة هي المَقْلة ، فيشرب كل إنسان بقدر واحد ، فقعدوا للشرب ، فلما دار القَعْبُ فانتهى إلى كعب أَبْصَرَ النمريَّ يحدِّد النظر إليه ، فآثره بمائه ، وقال للساقي : اسْقِ أخاكَ النمري ، فشرب النمري نصيبَ كعب ذلك اليوم من الماء ، ثم نزلوا من غدهم المنزلَ الآخر ، فتصافَنُوا بقية مائهم ، فنظر إليه النمري كنَظَره أمسه ، فقال كعبَ كقوله أمس ، وارتحل القوم وقالوا : يا كعب ارْتَحِلْ ، فلم يكن به قوة للنهوض ، وكانوا قد قربوا من الماء ، فقيل له : رِدْ كعبُ إنك وَرَّاد ، فعجز عن الجواب ، فلما يئسوا منه خَيَّلوا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله ، وتركوه مكانه ، ففَاظَ ، فقال أبوه مامةُ يرثيه :

ما كان من سُوقَة أَسْقَى على ظَمَإٍ ... خمراً بماء إذا ناجُودُها بَرَدَا
منَ ابن مَامَةَ كعبٍ حين عَيَّ به ... زَوُّ المنية إلا حرة وَقَدَا
أَوفى على الماء كعبٌ ثم قيل له : رِدْ كعبُ إنَّكَ وَرَّادٌ فما وَرَدَا

زو المنية : قدرها ، وعَيَّ به : أي عيت به الأحداث إلا أن تقتله عَطشا .

أَجْسَرُ مِنْ قَاتِلِ عُقْبَةَ.

قال أبو عمرو القعيني : هو عُقْبة بن سلم من بني هُنَاءة من أهل اليمن صاحب دار عُقْبة بالبصرة ، وكان أبو جعفر وَجَّهه إلى البحرين ، وأهل البحرين ربيعة ، فقتل ربيعة قتلا فاحشاً ، قال : فانْضَمَّ إليه رجل من عبد القيس ، فلم يزل معه سنين ،

وعزل عُقْبة فرجَعَ إلى بغداد ، ورحل العَبْدِي معه ، فكان عقبة واقفاً على باب المهدي بعد موت أبي جعفر ، فشدَّ عليه العبدِيُّ بسكين فوجأه في بطنه فمات عقبة ، وأُخذَ العبديُّ فأدخل على المهدي ، فقال : ما حملك على ما فعلت؟ فقال : إنه قَتَلَ قومي ، وقد ظَفِرْتُ به غير مرة ، إلا أني أَحْبَبْتُ أن يكون أمره ظاهراً حتى يعلم الناس أني أدركْتُ ثأري منه ، فقال المهدي : إن مثلك لأهل أن يستَبقى ، ولكن أكره أن يجترئ الناس على القُوَّاد فأمر به فضُرِبت عنقه ، ويقال : إن الوَجْأة وقعت في شرجة منطقة عقبة ، قال : فجعل المهديُّ يسائل العبدي ، والعبدي يبكي ، إلى أن دخلَ داخل فقال : يا أمير المؤمنين مات عقبة ، فضحك العبدي ، فقال له المهدي : مِمَّ كنت تبكي؟ قال : من خوف أن يعيش . فلما مات أيقنتُ أني أدركت ثأري .

أَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ

قال أبو عبيد : الصَّافِرُ كلُّ ما يصفر من الطير ، والصفير لا يكون في سباع الطير وإنما يكون في خَشَاشها وما يُصَاد منها ، وذكر محمد بن حبيب أنه طائر يتعلّق من الشجر برجليه ، وينكِّس رأسَه خوفا من أن ينام فيؤخذ ، فيصفر منكوساً طول ليلته وذكر ابن الأعرابي أنهم أرادوا بالصافر المصفورَ به ، فقلبوه أي إذ صُفِرَ به هرب .

ويقولون في مثل آخر «جبان ما يلوي على الصفير» وأرادوا بالمصفور به التُّنَوِّطَ ، وهو طائر يحمله جُبْنه على أن ينسج لنفسه عُشًا ، كأنه كِيسٌ مدلى من الشجر ضيق الفم واسع الأسفل ، فيحترز فيه خوفا من أن يقع عليه جارحٌ ، وبه يضرب المثل في الحِذْق ، فيقال «أَصْنَعُ من تُنَوِّط» وذكر أبو عبيدة أن الصافر هو الذي يصفر بالمرأة المريبة ، وإنما يجبن لأنه وَجِل مخافة أن يظهر عليه ، وأنشد بيتي الكميت على هذا ، وهو قوله :

أرجُوُ لكم أن تكونوا في مودتكم*

أَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلَ

هذه امرأة من العرب ، كانت تُجِيعُ كلبةً لها وهي تحرسها ، فكانت تَرْبطها بالليل للحراسة وتطردها بالنهار ، وتقول : الْتَمِسي لنفسك لا مُلْتَمَسَ لك ، فلما طال ذلك عليها أكلت ذَنَبها من الجوع ، قال الشاعر ، وهو الكميت ، يذكر بني أمية ويذكر أن رِعايتهم للأمة كرعاية حَوْمَل لكلبتها :

كما رضيَـــتْ جُوعــاً وســوءَ رعايـة لكَلْبتهــا فـي سالف الدهر حَوْمَلُ
نُبَاحــاً إذا مــا الليــلُ أَظْلَمَ دونَهَــا وغنمــا وتَجْوِيعاً ، ضَلاَلٌ مضلــل

أَجْشَعُ مِنْ أَسْرَى الدُّخَان.

ذكر أبو عبيدة أنهم الذين كانوا قَطَعوا على لَطِيمة كسرى ، وكانوا من تميم ، وذكر ابن الأعرابي أنهم كانوا من بني حَنْظلة خاصة وأن كسرى كَتَب إلى المُكَعْبر مرْدان به عامله على البحرين : أَن ادْعُهم إلى المُشَقَّر وأظهر أنك تدعوهم إلى الطعام ، فتقدم المُكَعْبَر في اتخاذ طعام على ظهر الحِصْن بحَطَب رَطْب ، فارتفع منه دخان عظيم ، وبعث إليهم يَعْرِض الطعام عليهم ، فاغتروا بالدخان ، وجاءوا فدخلوا الحصن ، فأصفق البابَ عليهم ، فغبروا هناك يُستعملون في مِهَن البناء وغيره ، فجاء الإسلام وقد بقي البعض منهم ، فأخرجهم العَلاَء بن الحَضْرَمي في أيام أبي بكر رضي اللّه عنه ، فسار بهم المثل فقيل فيمن قتل منهم : ليس بأول من قتله الدخان ، وأَجْشَع من أسرى الدخان ، وأجشع من الوافدين على الدخان ، وأجشع من وَفْد تميم ، وقال الشاعر في ذلك :

إذا مــا مــات مَيْــتٌ مــن تميــم فَسَــرَّكَ أن يعيــشَ فجِــيء بزاد
بخُبْــــز أو بسَمْــدن أو بتَمْــــر أو الشــيء المُلَفَّــف فــي البِجَاد
تَــرَاهُ يطــوف فــي الآفاق حِرْصــاً ليأكــل رأسَ لقمــانَ بــن عــاد

ومازح معاوية الأحنف فما رُئي مازحان أوقَرَ منهما ، فقال له : يا أَحْنَفُ ما الشيء المُلَفَّفُ في البِجاد؟ فقال الأحنف : السَّخِينة يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر :

أو الشيء المُلَفَّفُ في البِجــاد* وهو الوَطْب من اللبن ، وأراد الأحْنَفُ بقوله «السخينة» قولَ عبد الله بن الزِّبَعْرَي :

زَعَمَــتْ سَخِينَةُ أن سَتَغْلِــب رَبَّهَــا ولَيُغْلَبَـــــنَّ مُغَالِــبُ الغَــــلاَّبِ

وذلك أن قريشاً كانت تُعَيَّر بأكل السخينة ، وهي حِساء من دقيق يُتَّخذ عند غلاء السعر

أَجْمَلُ مِنْ ذِي العِمَامَةِ.

هذا مثل من أمثال أهل مكة ، وذو العمامة : سعيد بن العاص بن أمية[١] ، وكان في الجاهلية إذا لبس عمامةً لا يلبس قرشيٌّ عمامة على لَوْنها ، وإذا خرج لم تبق امرأة إلا بَرَزَتْ للنظر إليه من جماله ، ولما أَفْضَت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان خطب بنتَ سعيد هذا إلى أخيها عَمْرو بن سعيد الأَشدق ، فأجابه عمرو بقوله :

فَتَاةٌ أبوها ذو العِمَامَة ، وابنُهُ ... أخوها ، فما أَكْفَاؤُها بكثير

وزعم بعض أصحابِ المعاني أن هذا اللقب إنما لزم سعيدَ بن العاص كنايةً عن السيادة ، قال : وذلك لأن العرب تقول «فلان مُعَمَّم» يريدون أن كل جناية يجنيها من تلك القبيلة والعشيرة فهي مَعْصُوبة برأسه ، فإلى مثل هذا المعنى ذهبوا في تسميتهم سعيد بن العاص ذا العصابة وذا العمامة

أَجْوَدُ مِنْ هَرِمٍ.

هو هَرِمُ بن سِنان بن أبي حارثة المُرِّيُّ وقد سار بذكر جوده المثل ، قال زُهَيْر بن أبي سُلْمى فيه :

إنَّ البَخيلَ مَلُومٌ حيث كان ولـ ... ـكنَّ (ولكن) الجوادَ على علاَّته هَرِم

هُوَ الجواد الَّذي يُعْطيكَ نائلَه ... عَفْواً ، ويُظْلَم أحْيَاناً فَيَظَّلمُ

ووفَدَت ابنةُ هرم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال لها : ما كان الذي أعطى أبوك زهيرا حتى قابله من المديح بما قد سار فيه؟ فقالت : قد أعطاه خَيْلاً تنضى ، وإبلا تَتْوَى ، وثيابا تَبْلَى ، ومالاً يفنى ، فقال عمر رضي اللّه تعالى عنه : لكن ما أعطاكم زُهَير لا يُبْليه الدهر ، ولا يفنيه العصر ، ويروى أنها قالت : ما أعطى هَرِمٌ زهيراً قد نسى ، قال : لكن ما أعطاكم زهير لا يُنْسَى .

حتْفَهَا تَحْمِلُ ضَأْنٌ بِأَظْلاَفِهَا.

يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة .

---

(١) سعيد بن العاص هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي ، كنيته أبو عبد الرحمن ، مات أبوه يوم بدر في جيش قريش ، وهو صحابي صغير مات النبي محمد وله تسع سنين أو نحوها ، كان أحد أشراف قريش وأجوادها وفصحائها الممدّحين .

وأصله أن رجلا وجَد شاة ، ولم يكن معه ما يَذْبَحها به ، فضربَتْ بأظلافها الأرض فظهر سكين ، فذبحها به .

وهذا المثل لحريث بن حَسَّان الشيباني تمثل به بين يدي النبي ﷺ لقيلة التميمية ، وكان حريث حملها إلى النبي ﷺ ، فسأله إِقْطَاع الدهناء ، ففعل ذلك رسول الله ﷺ ، فتكلمت فيه قَيْلَة ، فعندها قال حريث : كنت أنا وأنت كما قيل : حَتْفَها تحمل ضأن بأظلافها

حَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهُ.

قال أبو عبيد : أخبرني هشام بن الكلبي أن المثل لأم الربيع بن زياد العبسي[١] ، وذلك أن ابنها الربيع كان أَخَذَ من قيس بن زهير ابن جَذِيمة دِرْعاً ، فعرض قيس لأم الربيع وهي على راحلتها في مَسِيرٍ لها ، فأراد أن يذهب بها ليرتهنها بالدرع ، فقالت له : أين عَزَبَ عنك عَقْلُك يا قيسُ؟ أترى بني زياد مُصَالحيك وقد ذهبتَ بأمهم يميناً وشمالاً ، وقال الناس ما قالوا وشاءوا؟ وإن حسْبَك من شر سماعه ، فذهبت كلمتها مثلا ، تقول : كَفَى .

بالمَقَالة عاراً وإن كان باطلا.

يضرب عند العار والمقالة السيئة ، وما يخاف منها .

وقال بعض النساء الشواعر : (هي عاتكة بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله ﷺ)

سَائِلْ بنا فِي قَوْمِنَا ... وَلْيَكْفِ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهْ

وكان المفضل فيما حكى عنه يذكر هذا الحديث ويسمي أم الربيع ويقول : هي فاطمة بنت الخُرْشُب من بني أنمار بن بَغيض .

حَدِيثُ خُرَافَةَ.

هو رجل من عُذْرة استهوته الجن كما توعم العرب مدةً . ثم لما رجع أخبر بما رأى

(١) فاطمة بنت الخرشب ، واسم الخرشب عمرو بن النضر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وهي إحدى المنجبات ، كان يقال لبنيها الكملة ، وهم : الربيع ، وعمارة ، وأنس .

منهم ، فكذبوه حتى قالوا لما لا يمكن : حديث خرافة ، وعن النبي عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : خرافة حق ، يعني ما تحدَّث به عن الجِنِّ حَقّ .

الحَدِيثُ ذُو شُجُون.

يضرب هذا المثل في الحديث يُتَذَكر به غيره .

وقد نظم الشيخ أبو بكر علي بن الحسين القهستاني هذا المَثَلَ ومثلاً آخر في بيت واحد ، وأحسن ما شاء ، وهو :

تَذَكَّـرَ نَجْـداً والحديـثُ شُجُـونُ فَجُـنَّ اشْتِيَاقـاً والجُنُـوُنُ فُنُـونُ

وأول من قال هذا المثل ضَبَّة بن أدّ ابن طابخة بن إلياس بن مُضَر ، وكان له ابنان يقال لأحدهما سَعْد وللآخر سعيد ، فنفرت إبل لضبة تحت الليل ، فَوَجَّه ابنيه في طَلَبها ، فتفرقا فوجَدَها سَعْد ، فردَّها ، ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب ، وكان على الغلام بُرْدَان فسأله الحارث إياهما ، فأبى عليه ، فقتله وأخذ بُرْدَيْه ، فكان ضبة إذا أمسى فرأَى تحت الليل سَوَادا قال : أسَعْد أم سعيد؟ فذهب قوله مثلا يضرب في النجاح والخيبة ، فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنه حجَّ فوافى عُكَاظ فلقي بها الحارث بن كعب ورأى عليه بُرْدَيْ ابنه سعيد ، فعرفهما ، فقال له : هل أنت مُخْبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال : بلى لقيتُ غلاما وهما عليه فسألتهُ إياهما فأَبى علي فقتلته وأخذتُ بُرْدَيه هذين ، فقال ضبة : بسيفك هذا؟ قال : نعم ، فقال : فأعْطِنيه أنظر إليه فإني أظنه صارما ، فأعطاه الحارث سيفه ، فلما أخَذَه من يده هَزَّهُ ، وقال : الحديثُ ذو شجون ، ثم ضربه بِهِ حتى قتله ، فقيل له : يا ضبة أفي الشهر الحرام؟ فقال : سَبَقَ السيف العذل ، فهو أول مَنْ سار عنه هذه الأمثال الثلاثة . قال الفرزدق .

لا تأمنَـنَّ الحـربَ إنَّ اسْتِعَارَهـا كَضَبَّـةَ إذ قـال : الحْدِيثُ شُجُونُ

حَمِيمُ المْرءِ وَاصِلُهُ.

يقال : إن أول مَنْ قال ذلك الخنابس ابن المقنع ، وكان سيداً في زمانه ، وإن رجلا من قومه يقال له كلاب بن فارع ، وكان في غنم له يَحْميها ، فوقَع فيها لَيْث ضار ، وجعل يحطمها ، فَانْبَرَى كلاب يَذُبُّ عنها ، فحمل عليه الأسدُ فخبطَه بمخالبه خبطَة ، فانكَبَّ كلاب وجَثَم عليه الأسد ، فوافق ذلك من حاله رجلان : الخنابر بن

مرة ، وآخر يقال له حَوْشَب ، وكان الخنابر حميمَ كلاب ، فاستغاث بهما كلاب ، فحاد عنه قريبُه وخَذَله ، وأعانه حَوْشَب فحمل على الأسد وهو يقول :

أعَنْتُــهُ إذْ خَــذَلَ الخنابِــرُ   وقَدْ عَــلاَه مُكْفَهِرٌّ خَــادرُ
هرامس جَهْمٌ لَــهُ زَمَاجِــرُ   وَنَابــه حَــرْداً عليه كَاشِـرُ
ابْرُزْ فإنِّــي ذو حُسَام حَاسِرُ   إنــي بهــذَا إنْ قتلت ثابر

فعارضه الأسدُ وأمكن سيفَه من حِضْنَيْه ، فمر بين الأضلاع والكتفين ، فخرَّ صريعا ، وقام كلاب إلى حوشب وقال : أنت حَميمي دون الخنابر ، وانطلق كلاب بحَوْشب حتى أتى قومه وهو آخذ بيد حَوْشب يقول : هذا حميمي دون الخنابر ، ثم هلك كلاب بعد ذلك ، فاختصم الخنابر وحَوْشَب في تركته ، فقال حَوْشَب : أنا حميمه وقريبه ، فلقد خذلتَه ونصرتُه ، وقطعتَه ووصلتهُ ، وصَمِمْتُ عنه وأجَبْتُه ، واحتكَما إلى الخنابس فقال : وما كان من نُصْرَتك إياه؟ فقال :

أجَبْــتُ كلاَبــاً حــينَ عَــرِّد إلْفُــه   وخَــلاَّه مَكْبُوبــاً عَلَى الوَجْه خنْبَرُ
فلمَّــا دعانــي مُسْتغيثــا أجَبْتُــه   عليه عَبُــوس مكفَهِــرٌّ غَضَنْفَــرُ
مَشَيْــتُ إليــه مَشْيَ ذي العز إذْ غَدَا   وأقْبَــلَ مختــالَ الخُطَــا يَتَبَخْتَـرُ
فلمَّــا دنا من غَرْبِ سَيْفِي حَبَوْتُــه   بأبْيَــضَ مَصْقُــولِ الطَّرَائِــق يَزْهَرُ
فقطَّــعَ ما بَيْــنَ الضُّلُــوعِ وحضْنُــهُ   إلــى حضْنــه الثَّاني صَفِيحٌ مُذَكَّرُ
فخَــرَّ صَرِيعــاً فِي التــرابِ مُعَفَّــراً   وقَــدْ زَارَ منــه الأرْضَ أنفٌ وَمِشْفَرُ

فشهد القومُ أن الرجل قال : هذا حميمي دون الخنابر ، فقال الخنابس عند ذلك : حميمُ المرء وَاصِلهُ ، وقضى لحَوْشَب بتركته ، وسارت كلمته مثلا

حِينَ تَقْلِينَ تَدْرِينَ.

أصل هذا أن رجلا دخَلَ إلى قَحْبَة وتمَتَّع بها وأعطاها وسرق مِقْلًى لها فلما أراد الانصرافَ قالت له : قد غَبَنْتُكَ ، لأني كنتُ إلى ذلك العمل أَحْوَجَ منك وأخذتُ دراهمك ، فقال لها : حينَ تَقْلِينَ تدرين . يضرب للمَغْبُون يظن أنه الغابن غيره

الحُمَّى أَضْرَعَتْنِي لَكَ.

قال أبو عبيد : يضرب هذا في الذل عند الحاجة تنزل .

ويروى «الحمى أضرعتني للنوم» قال المفضل : أول من قال ذلك رجل من كَلْب

يقال له مرير ، ويروى مرين ، وكان له أَخَوَان أكبر منه يقال لهما مرارة ومرَّة ، وكان مرير لصاً مُغيراً ، وكان يقال له الذئب ، وإن مرارة خرج يتصيّد في جبل لهم فاختطفه الجن ، وبلغ أهلَه خَبَرُه فانطلق مُرَّة في أثره حتى إذا كان بذلك المكان اخْتُطف ، وكان مرير غائباً ، فلما قدم بلغه الخبر ، فأقسم لا يشرب خمراً ولا يمس رأسَه غَسْلٌ حتى يطلب بأخويه ، فتنكَّب قوسَه وأخذ أسْهُما ثم انطلق إلى ذلك الجبل الذي هلك فيه أخَوَاه ، فمكث فيه سبعة أيام لا يرى شيئاً ، حتى إذا كان في اليوم الثامن إذا هو بظَليم ، فرماه فأصابه واسْتَقَلَّ الظَّليمُ حتى وقع في أسفل الجبل ، فلما وَجَبَت الشمسُ بصر بشخص قائم على صَخْرة ينادي :

يا أيهـا الرامـي الظَّليـمِ الأَسْـودِ   تَبَّـتْ مَرَامِيـكَ التـي لم تَرْشُدِ

فأجابه مرير :

يـا أيهـا الهاتِـفُ فَـوْقَ الصَّخْـرَهْ   كـم عَبْـرَةٍ هَيَّجْتَهـا وَعَبْـرَهْ

بقتلكـم مـرارة ومُـرَّهْ   فَرَّقْـتَ جمعـاً وتركْدتَ حَسْـرَهْ

فتوارى الجني عنه هويّاً من الليل ، وأصابت مريراً حُمَّى فغلبته عيناه ، فأتاه الجني فاحتمله ، وقال له : ما أَنَامَكَ وقد كنتَ حَذِراً؟ فقال : الحمى أضْرَعَتْنِي للنوم ، فذهبت مثلا . وقال مرير :

أَلاَ مَـنْ مُبْلِـغٌ فتيـانَ قَوْمـي   بمـا لاَقَيْـتُ بعـدهُمُ جميعا

غـزوْتُ الجـنَّ أطلُبهـم بثـأرِي   لأسْقِيَهُـمْ بـه سمّـاً نَقيعـاَ

فَيَعْـرِضُ لـي ظَليـمٌ بعـد سبـع   فأرْمِيـهِ فأتْرُكُـهُ صَريعـاَ

في أبيات أخر يطول ذكرها (ويروى أن عمر بن معد يكرب الزبيدي قال هذا المثل لأمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب .)

الحُصْنُ أدْنَى لَوْ تَأَيَّيْتِهِ.

قيل : كانت لامرأة ابنة فرأتها تَحْثو التراب على راكب ، فقالت لها : ما تصنعين؟ قالت : أريه أني حَصَان أتعفف ، وقالت :

يـا أمَّـتَا أبْصَرنـي راكـبٌ   فـي بلـد مُسْتَحْقـرٍ لاحـبِ

فصـرتُ أحثْـو التُّـرب فِي وَجْهِـهِ   عنـي وأنْفِـي تُهَمَـةَ العائـبِ

فقالت أمها :

الحُصْنُ أوْلى لَوْ تأيَّيْتِه   من حَثْيك التُّربَ عَلَى الرَّاكِبِ .

فأرسلتها مثلاً ، وتأيِّا : معناه تعمَّد ، وكذلك تآيا ، على تَفَعَّل وتَفَاعل .

يضرب في ترك ما يشوبه ريبة وإن كان حسنَ الظاهر .

حُقَّ لِفَرَسٍ بِعِطْرٍ وأُنُسٍ.

قال يونس : كانت امرأة من العرب لها زوج يقال له فَرَس ، وكان يكرمها ، وكان سَخِيّاً ، فمات وخَلَفه عليها شيخٌ ، فبينا هو ذاتَ يوم يَسُوق بها إذ مرت بقبر فَرَس فقالت : يا فرس ، يا ضَبُع أهله وأسد الناس ، كسر الكبش بجفَرْ ، وتركت العاقر أنْ تنحر ، وبابات أخر ، فقال الزوج : وما هن؟ قالت : كام لا يبيت بغَمْر كفيه ، ولا يتشبَّع بخلَلَ سنيه ، قال : فدَفَعها عن البعير وقَشْوَتها بين يديها ، فسقطت القَشْوَة على القبر ، فقالت : حُقَّ لفرسٍ بعطْرٍ وأنُس .

يضرب للرجل الكريم يثني عليه بما أُولى وتقدير المثل : حق لفرس أن يُتْحَف بعِطْر وأنْس ، فثقل للازدواج .

الحَرْبُ سِجَالُ.

المُسَاجلة : أن تَصْنَع مثلَ صنيع صاحبك من جرى أو سقى ، وأصله من السَّجْل وهو الدَّلْو فيها ماء قل أو كثر ، ولا يقال لها وهي فارغة سَجْل ، قال الفضل بن العباس بن عُتْبة ابن أبي لَهَب :

مَنْ يُسَاجِلْني يُسَاجِلْ ماجدا   يَمْلأَ الدَّلْوَ إلى عَقْد الكَرَبْ

وقال أبو سفيان[1] يوم أُحد بعد ما وقعت الهزيمة على المسلمين : اعْلُ هُبَلُ اعْلُ هُبَلُ ، فقال عمر : يا رسول اللّه ألا أجيبه؟ قال : بلى يا عمر ، قال عمر : اللّه أعْلى وأجَلّ ، فقال أبو سفيان : يا ابن الخطاب إنه يومُ الصَّمْت يوما بيوم بدر ، وإن الأيام دُوَل ، وإن الحرب سِجَال ، فقال عمر : ولا سَوَاء ، قَتْلاَنا في الجنة وقَتْلاَكم في النار ، فقال أبو سفيان : إنكم لتزعمون ذلك ، لقد خِبْنَا إذَنْ وخَسِرْنا .

(١) أبو سفيان وهو صخر بن حرب الأموي القرشي الكناني ، سيد قبائل قريش وكنانة وأحد أشراف العرب وساداتهم في الجاهلية وصدر الإسلام ولد في مكة قبل عام الفيل بعشر سنين ، وأسلم يوم فتح مكة .

حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ.

قاله صلى اللّه عليه وسلم لأعرابي قال : إنما أسأل اللّه الجنة ، فأما دَنْدَنَتُكَ ودَنْدَنَةُ مُعَاذ فلا أُحْسِنُهَا ، قال أبو عبيد : الدَّنْدَنَةُ أن يتكلم الرجلُ بالكلام تَسْمَع نغمته ولا تفهمه عنه ، لأنه يُخْفيه ، أراد صلى اللّه عليه وسلم أن ما تسمعه منا هو من أجْلِ الجَنَّة أيضاً .

حَتَّى يَؤُوبَ المُثَلَّمُ.

هذا من أمثال أهل البصرة ، يقولون : لا أفعل كذا حتى يؤوب المُثَلَّم ، وأصل هذا أن عُبَيد اللّه بن زياد أمَرَ بخارجِيٍّ أن يقتل ، فأقيم للقتل ، فتحاماه الشرط مخافَةَ غِيلَة الخوارج ، فمر به رجل يعرف بالمُثَلَّم – وكان يتَّجر في اللِّقاح والبَكارة – فسأل عن الجمع ، فقيل : خارجيّ قد تحاماه الناس ، فانتدب له ، فأخذ السيفَ وقتله به ، فرصَده الخوارج ودسُّوا له رجلين منهم ، فقالا له : هل لك في لِقْحَة من حالها وصفتها كذا؟ قال : نعم ، فأخَذَاه معهما إلى دار قد أعدَّا فيها رجالا منهم ، فلما توسَّطها رفعوا أصواتهم أنْ لا حكم إلا اللّه ، وعَلَوْه بأسيافهم حتى بَرَد ، فذلك حين قال أبو الأسود الدؤلي :

وآلَيْتُ لا أسْعَى إلى ربِّ لِقْحَة ... أساومه حتى يَؤوبَ المثلَّمُ
فأصْبَحَ لا يدرِي امرؤ كيف حالُه ... وقد بات يَجْرِي فوق أثوابه الدمُ

أَحْمَقُ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ.

كان من حديثه أن خُزَاعة حَدَث فيها موت شديد ورُعَاف عَمَّهم بمكة ، فخرجوا منها ونزلوا الظَّهْرَان فرفع عنهم ذلك ، وكان فيهم رجل يقال له حليل بن حبشية ، وكان صاحبَ البيت ، وكان له بَنُون وبنت يقال لها حُبَّى ، وهي امرأة قصيّ بن كلاب[1] ، فمات حليل ، وكان أوصى ابنَتَه حُبَّى بالحجابة وأشْرَكَ معها أبا غَبْشَان الملكاني[2] ، فلما رأى قُصَيُّ بن كلاب أن حليلا قد مات ، وبَنُوه غُيَّب ، والمفتاحُ في يد امرأته ، طلب إليها أن تدفع المفتاح إلى ابنها عبدِ الدار بن قصي ، وحمل بنيه على

(١) قصي بن كلاب بن مرة هو الجد الثاني لشيبة بن هاشم المشهور باسم عبد المطلب ، وهو الجد الرابع للنبي محمد . حصل على نفوذ واسع في مكة .

(٢) سليم بن عمرو بن بوي بن ملكان (بن خزاعة) .

ذلك ، فقال : اطلبوا إلى أمكم حجابة جدكم ، ولم يزل بها حتى سَلسَتْ له بذلك ، وقالت : كيف أصنع بأبي غَبْشان وهو وَصِيٌّ معي؟ فقال قُصَي : أنا أكفيك أمره ، فاتفق أن اجتمع أبو غَبْشان مع قصي في شَرْب بالطائف ، فخدَعَه قصي عن مفاتيح الكعبة بأن أسْكره ثم اشترى المفاتيحَ منه بزقّ خمر ، وأشهد عليه ، ودفَع المفاتيح إلى ابنه عبد الدار بن قصي ، وطَيَّره إلى مكة ، فلما أشرف عبدُ الدار على دور مكة رفع عَقيرته وقال : معاشرَ قريش ، هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد رَدَّها اللّه عليكم من غير غَدْر ولا ظلم ، فأفاق أبو غَبْشَان من سكره أنْدَمَ من الكُسَعي ، فقال الناس : أحمق من أبي غَبْشَان ، وأنْدَمُ من أبي غَبْشان ، وأخْسَرُ صَفْقَه من أبي غَبْشَان ، فذهبت الكلمات كلها أمثالا ، وأكْثَر الشعراء فيه القولَ ، قال بعضهم :

إذا فَخَـرَتْ خُزَاعـة فـي قديـم ... وجَدْنـا فَخْرَهـا شُـرْبَ الخُمُـورِ
وبيعـا كَعْبَـةَ الرحمـنِ حُمْقـاً ... بِـزِقٍّ ، بئـس مُفْتَخَـرُ الفَخُـورِ

وقال آخر :

أبـو غَبْشَـان أَظْلَـمُ مـن قُصَـي ... وأَظْلَـمُ مـن بنـي فِهْر خُزَاعَـهْ
فـلا تَلْحُـوْا قُصَيّـاً فـي شِـراه ... ولومـوا شَيْخَكُـم أن كانَ بَاعَـهْ

أَحْمَقُ مِنْ هَبَنَّقَة.

هو ذو الوَدَعَات ، واسمه يزيد بن ثَرْوَان أحدُ بني قيس بن ثعلبة ، وبلغ من حُمْقه أنه ضلَّ له بَعير ، فجعل ينادي : مَنْ وجَد بعيري فهو له ، فقيل له : فلم تَنْشُده؟ قال : فأين حلاوة الوجْدَان !؟

ومن حُمْقه أنه اختصمت الطّفاوَة وبنو رَاسِب إلى عرباض في رجل ادَّعَاه هؤلاء وهؤلاء ، فقالت الطفاوة : هذا من عرافتنا ، وقالت بنو راسب : بل هو من عرافتنا ، ثم قالوا : رضينَا بأول من يطلع علينا ، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم هَبَنَّقة ، فلما رأوه قالوا : إنَّا لِلَّه ! مَنْ طلع علينا؟ فلما دنا قَصُّوا عليه قصتهم ، فقال هبنقة : الحُكْمُ عندي في ذلك أن يذهب به إلى نهر البَصْرة فيُلْقَى فيه ، فإن كان راسبيا رسَب فيه ، وإن كان طفاويا طَفَا ، فقال الرجل : لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين ، ولا حاجة لي بالديوان .

ومن حُمْقه أنه جعل في عُنُقه قِلادة من وَدَع وعِظام وخَزَف ، وهو ذو لحية طويلة ، فسُئِل عن ذلك ، فقال : لأعرف بها نفسي ، ولئلا أَضل ، فبات ذات ليلة

وأخَذَ أخوه قلادتَه فتقلَّدها ، فلما أصبح ورأى القلادة في عنق أخيه قال : يا أخي أنت أنا فمن أنا؟ .

ومن حُمْقه أنه كان يرعى غنم أهله فيرعى السِّمَان في العشب ويُنَحِّى المهازيلَ ، فقيل له : ويحك ! ما تَصْنَع؟ قال : لا أفسد ما أصلحه اللّه ، ولا أصلح ما أفسده ، قال الشاعر فيه :

عِشْ بَجدٍّ ولَنْ يَضُرَّكَ نَوْكٌ ... إنما عَيْشُ مَنْ تَرَى بجُدود
عِشْ بِجَدٍّ وكُنْ هَبَنَّقَةَ الْقَيْسيَّ (القيسي) نوكاً أوْ شَيْبَةَ بنَ الوليدِ
رُبَّ ذِي إربةٍ مُقِلٍ مِنَ المالِ وَذِي عنجهيةٍ مَجْدودِ

العنجهية : الجهل ، وشيبة بن الوليد : رجل من رجالات العرب .

أَحلَمُ منَ الأَحْنَفِ

هو الأحْنَفُ بن قَيْس ، وكنيته : أبو بَحْر ، واسمه صَخْر ، من بني تميم ، وكان في رجله حَنَفٌ ، وهو الميلُ إلى إنْسيِّها ، وكانت أمه تُرَقصه وهو صغير وتقول :

واللّه لولا ضَعْفُهُ مِنْ هزله ... وحَنَفٌ أو دقَّةٌ في رِجْلِه

ما كان في صِبْيانكم مِنْ مِثْله * وكان حليما موصوفا بذلك ، حكيماً معترفا له به ، قالوا : فمن حلمه أنه أشرف عليه رجل وهو يعالج قدراً له يطبخها ، فقال الرجل :

وقدر كَكَفِّ القِرْد لا مُسْتَعيرها * يُعَار ، ولا مَنْ يأتِهَا يَتَدَسَّمُ

فقيل ذلك للأحنف ، فقال : يرحمه اللّه لو شاء لقال أحسن من هذا . وقال : ما أحب أن لي بنصيبي من الذل حُمْرَ النَّعم ، فقيل له : أنت أعز العرب ، فقال : إن الناس يَرَوْنَ الحلم ذلا . وكان يقول : رُبَّ غَيْظ قد تَجَرَّعته مخافة ما هو أشد منه . وكان يقول : كثرة المزاح تَذْهَبُ بالهيبة ، ومَنْ أكثر مِنْ شيء عُرف به . والسؤدد كرم الأخلاق وحسن الفعل . وقال : ثلاث ما أقولهن إلا ليعتبر مُعْتبر : لا أَخْلُفُ جليسي بغير ما أحضر به ، ولا أُدْخِلُ نفسي فيما لا مَدْخَلَ لي فيه ، ولا آتي السلطان أو يرسلَ إليَّ . وقال له رجل : يا أبا بحر ، دُلَّني على مَحْمَدة بغير مَرْزئة ، قال : الخُلُق السَّجِيح ، والكف عن القبيح ، واعلم أن أَدْوَأَ الداء اللسان الْبذِي والخُلُقُ الرَّدي . وأبلغ رجل مُصْعَبا عن رجل شيئاً ، فأتاه الرجل يعتذر ، فقال مصعب : الذي بلَّغنيه ثِقة ، فقال الأحنف : كلا أيها الأمير ، فإن الثقة لا يبلغ .

وسئل : هل رأيتَ أحْلَمَ منك؟ قال : نعم ، وتعلمت منه الحلم ، قيل : ومَنْ هو؟

قال : قَيْس ابن عاصم المِنْقَرِيُّ ، حَضَرْتُه يوماً وهو مُحْتَبٍ ، يحدثنا إذ جاءوا بابنٍ له قتيل ، وابن عم له كَتِيف ، فقالوا : إن هذا قتلَ ابنَكَ هذا ، فلم يقطع حديثه ، ولا نَقَضَ حَبْوَتَه ، حتى إذا فرغ من الحديث التفت إليهم فقال : أين ابني فلان؟ فجاءه ، فقال : يا بني قُمْ إلى ابن عمك فأطْلِقْه ، وإلى أخيك فادْفِنْهُ ، وإلى أم القتيل فأعْطِهَا مائةَ ناقة فإنها غريبة لعلها تسلو عنه ، ثم اتَّكأ على شقه الأيسر وأنشأ يقول :

إنــي امْــرُؤٌ لا يَعْتَــري خلقــي دَنَــس يُفَنِّــده ولا أَفْــنُ
مــن مَنْقَــر مــن بيــت مَكْرُمــة والغُصْــنُ يَنْبُــتُ حَوْلَـه الغُصْنُ
خُطَبــاء حــين يقــومُ قائلُهــم بيــضُ الوجــوه مَصَاقــع لُسْــنُ
لا يَفْطِنُــونَ لعَيــبِ جارهــمُ وَهُــوُ لحسـن جِــواره فُطْــن

أَحْمَي مِنْ مُجِيرِ الجُرَادِ.

قالوا : هو مُدْلج بن سُوَيد الطائي .

ومن حديثه - فيما ذكر ابن الأعرابي عن ابن الكلبي - أنه خلا ذاتَ يوم في خَيْمته ، فإذا هو بقوم من طيء ، ومعهم أوعيتهم ، فقال : ما خطبكم؟ قالوا : جَراد وقع بفنائك فجئنا لنأخذه ، فركب فرسَه وأخذ رمحه وقال : والله لا يعرضَنَّ له أحد منكم إلا قتلته ، إنكم رأيتموه في جِوَاري ثم تريدون أخذه ، فلم يزل يَحْرُسه حتى حميت عليه الشمسُ وطار ، فقال : شأنكم الآن فقد تحول عن جِوَاري .

ويقال : إن المجير كان حارثة بن مر أبا حنبل ، وفيه يقول شاعر طيء .

ومنَّــا ابــنُ مُــرٍّ أبو حَنْبَــل أجــار مــن الناس رَجْلَ الجُرَادْ
وزَيْــدٌ لــنا ، وَلَنَــا حاتِــمٌ غِيــاث الْوَرَى في السِّنِينَ الشِّدَادْ

خُذْهُ وَلَوْ بِقُرْطَيْ مارِيَة.

هي مــارية بنت ظالم بن وَهْب ، وأختُــهـا هِنْد الهُنُود امـرأة حُـجْـرٍ آكِلِ المُرَار الكندي ، قال أبو عبيد : هي أم ولد جَفْنَة ، قال حسان :

أولاَدُ جَفْنَــةَ حَــوْلَ قَبْــر أبيهــمُ قَبْــر ابــن مارِيَــةَ الْكَرِيم المُفْضِلِ

يقال : إنها أهدت إلى الكعبة قُرْطَيْها وعليهما دُرَّتان كبيضَتَي حمامَ لم ير النَاسُ مثلهما ، ولم يدروا ما قيمتهما .

يضرب في الشيء الثّمين ، أي لا يفوتَنَّكَ بأي ثمن يكون

خَالِفْ تُذْكَرْ.

قال المفضل بن سلمة : أول من قال ذلك الحُطَيئة[١] ، وكان ورَد الكوفة فلقي رجلا فقال : دُلَّني على أفتى المصر نائلا ، قال : عليك بعُتَيْبَةَ بن النَّهَاس العجْلي ، فمضى نحو داره . فصادفه ، فقال : أنت عتيبة؟ قال : لا ، قال : فأنت عَتَّابَ؟ قال : لا ، قال : إن اسمك لشَبيه بذلك ، قال : أنا عتيبة فمن أنت؟ قال : أنا جَرْوَل ، قال : ومن جَرْوَل؟ قال : أبو مُلَيكة ، قال : والله ما ازْدَدْت إلا عَمًى ، قال : أنا الحُطَيئة ، قال : مرحَباً بك ، قال الحطيئة : فحدِّثْني عن أشعر الناس مَنْ هو ، قال : أنت ، قال الحطيئة : خالفْ تُذْكَرْ ، بل أشعر مني الذي يقول :

ومَـنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ من دون عِرْضه يَفِـرْهُ ، ومَنْ لا يَتَّقِ الشتمَ يُشْتَـمِ
ومـن يَـكُ ذا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بفَضْلِهِ على قومِـه يُسْتَغْـنَ عنه ويُذْمَمِ

قال : صدقت ، فما حاجتك؟ قال : ثيابك هذه فإنها قد أعجبتني ، وكان عليه مُطْرَف خزوجبة خز وعمامة خز . فدعا بثياب فلبسها ودفع ثيابه إليه ، ثم قال له : ما حاجتك أيضاً؟ قال : ميرَةُ أهلي من حَبٍّ وتمرٍ وكسوة ، فدعا عَوْناً له فأمره أن يَميرَهم وأن يكسو أهله ، فقال الحطيئة : العَوْدُ أَحْمَدُ ثم خرج من عنده وهو يقول :

سُئِلْـتَ فلـم تَبْخَـلْ ولَمْ تُعْطِ طَائِلاً فسِيَّانِ لا ذَمٌّ عَلَيْـكَ ولا حَمْـدُ .

خُذِي وَلاَ تُنَاثِرِي.

هذا المثل من قول دُغَة ، وذلك أن أمها قالت لها حين رَحَلوا بها إلى بني العَنْبر : يُوشِك أن تزورينا مُحْتَضِنة اثنين ، فلما ولدت في بني العنبر استأذنت في زيارة أمها ، فجهزت مع ولدها ، فلما كانت قريبة من الحي أَخَذَتْ وَلَدَهَا فشقَّته باثنين ، فلما جاءت الأم قالت لها : أين ولدك؟ فقالت : دُونَك ، وأومأت إليه ، ثم قالت : يا أمّه ، خُذِي ولا تُنَاثِري ، إنهما اثنان بحمد اللّه .

يضرب في سَتْرِ العيوب وترك الكَشْف عنها .

---

(١) أبو مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك العبسي المشهور بـ الحطيئة . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر .

خَيْرٌ قَلِيلٌ وَفَضَحْتُ نَفْسِي.

ويروى «نَفْعٌ قليل» .

قالوا : إن أول من قال ذلك فاقرة امرأة مُرَّة الأسدي ، وكانت من أجمل النساء في زمانها ، وإن زوجها غاب عنها أعواماً فهويَتْ عبداً لها حامياً كان يَرْعَى ماشيَتَهَا ، فلما هَمَّتْ به أقبلت على نفسها ، فقالت : يا نفسُ لا خير في الشِّرَّة ، فإنها تَفْضَح الحُرَّة ، وتحدث العَرَّة ، ثم أعرضت عنه حينا ثم هَمَّت به فقالت : يا نفس مَوْتة مُريحة ، خير من الفَضيحة ، وركوبِ القبيحة ، وإياك والعار ، ولَبُوس الشَّنار ، وسوء الشِّعار ، ولؤم الدِّثَار ، ثم هَمَّت به وقالت : إن كانت مرة واحدة ، فقد تصلح الفاسدة ، وتكرم العائدة ، ثم جَسَرَت على أمرها فقالت للعبد : احْضَر مَبيتي الليلة ، فأتاها فواقَعَها ، وكان زوجُها عائفا ماردا ، وكان قد غاب دهرا ثم أقبل آئبا ، فبينا هو يَطْعم إذ نَعَبَ غراب فأخبره إن امرأته لم تَفْجُر قط ، ولا تفجر إلا تلك الليلة ، فركب مُرَّة فرسَه وسار مسرعا رجاء إن هو أحسها أمنها أبدا ، فانتهى إليها وقد قام العبد عنها ، وقد ندمت وهي تقول : خَيْرٌ قليلٌ وفضحت نفسي ، فسمعها مرة فدخل عليها وهو يُرْعَد لما به من الغيظ ، فقالت له : ما يرعدك؟ قال مرة ليعلم أنه قد علم : خيرٌ قليل وفضحت نفسي ، فشهقت شهقة وماتت ، فقال مرة :

لحا اللّه ربُّ الناس فاقر ميتة ... وأهْونْ بها مَفْقُودَةً حين تُفْقَدُ
لَعَمْرُكِ ما تَعْتَادُني مِنْكِ لَوْعَةٌ ... ولا أنا من وجدٍ عَلَيْكِ مُسَهَّدُ

ثم قام إلى العبد فقتله

أَخْطَبُ مِنْ سَحْبَانِ وَائِلٍ.

وهو رجل من باهلَةَ ، وكان من خطبائها وشعرائها ، وهو الذي يقول :

لَقَدْ عَلِمَ الحيُّ اليَمانُونَ أَنَّني ... إذا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أني خَطِيبُهَا

وهو الذي قال لطلحة الطلحات الخُزَاعي :

يَا طَلْحُ أكْرَمَ مَنْ بِهَا ... حَسَباً وَأَعْطَاهُمْ لتَالِدْ
مِنْكَ الْعَطَاءُ فأَعْطِني ... وَعَلَيَّ مَدْحُكَ فِي المَشَاهِدْ

فقال له طلحة : احْتَكِمْ ، فقال : بِرْذَوْنك الأشهب الوَرْد ، وغلامك الخباز ، وقصرك بزرنج (زرنج : قصبة سجستان) وعشرة آلاف ، فقال له طلحة : أُفٍّ لم تسألني على قدري ، وإنما سألتني على قدرك وقدر باهلة ، ولو سألتَنِي كلَّ قصر لي وعبد ودابة

لأعطيتك ، ثم أمر له بما سأل ولم يزده عليه شيئاً ، وقال : تاللَه ما رأيت مسألة مُحَكَّم ألأمَ من هذا .

وطلحة هذا : هو طَلْحَة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، وأما طلحة الطلحات الذي يقال له طلحة الخير وطلحة الفَيَّاض ، فهو طلحة بن عُبَيْد الله التَّيْمي ، من الصحابة ، ومن المهاجرين الأولين ، ومن العشرة المسمَّيْنَ للجنة ، وكان يكنى أبا محمد ، رضي اللَه عنه ! .

أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ شَيْخ مَهْوٍ

مَهْو : بطنٌ من عبد القيس ، واسم هذا الشيخ عبد الله بن بيدرة .

ومن حديثه أن إياد كانت تُعَير بالفَسْو وتُسَبُّ به ، فقام رجل من إياد بسوق عكاظ ذاتَ سنة ومعه بُرْدَا حِبَرَة ، ونادى ألا إني من إياد ، فمن الذي يشتري عار الفَسْو مني ببُرْدَيَّ هذين ، فقام عبد الله هذا الشيخ العبدي وقال : هاتهما ، فاتَّزَرَ بأحدهما وارْتَدَى بالآخر ، وأشهد الإياديُّ عليه أهلَ القبائل بأنه اشترى من إياد لعبد القيس عار الفَسْو ببردين ، فشهدوا عليه ، وآبَ إلى أهله ، فسُئل عن البُرْدَيْن ، فقال : اشتريت لكم بهما عارَ الدهر ، فقال عبد القيس لإياد :

إن الفُسَاةَ قَبلنا إيَادُ ... ونَحْنُ لا نَفَسُو ولا نَكَادُ

فقالت إياد :

يَالَ لُكَيْز دَعْوَةٌ نُبْديهَا ... نُعْلنُهَا ثُمَّتَ لاَ نُخْفِهَا

كُرُّوا إلى الرِّحَال فَافْسُوا فيها

وقال بعض الشعراء في ذلك :

يَامَنْ رَأَى كَصَفْقَة ابْن بَيْدَرَةْ ... من صَفْقَة خَاسرَة مُخَسِّرَةْ

المُشْتَرِي الْعَارَ بِبُرْدَيْ حِبَرَهْ ... شَلَّتْ يمينٌ صَافَقٍ ما أخْسَرَهْ

وكان المنذر بن الجارود العبدي رئيسَ البصرة ، فقال يوماً : مَنْ يشتري مني عارَ الفسوة ينحكم على في السَّوْم ، وكانت قبائل البصرة حاضرة ، فقال رجل من مَهْو : أنا ، فقال له المنذر : أثانيةً لا أم لك قد اشْتَرَيْتُموه في الجاهلية وجئتم تشترونه في الإسلام أيضاً ، اعْزُبْ أقام اللَه ناعيكَ .

وقدم إلى عبد الملك بن مروان رجلان كلاهما مستحق للعقوبة ، فبطَحَ أحدَهما فضَرَط الآخر ، فضحك الوليد بن عبد الملك ، فغضب عبدُ الملك وقال : أتضحك من

حَدٍّ أقيمه في كجلسي؟ خذوا بيده ، فقال الوليد : على رِسْلكَ يا أمير المؤمنين ، فإن ضحكي كان من قول بعض ولاة الأمر على مِنْبَر البصرةَ : واللّه لئن غَمَزْتُ حنيفةَ لَتَضْرطَنَّ عبدُ القيسِ ، والمبطوح حنفي ، والضارط عَبْدي ، فضحك عبد الملك ، وخَلَّى عنهما

أَخْيَبُ مِنْ حُنَيْنٍ

قد اختلف النسابون فيه ، وقد ذكرت قول أبي عبيد وابن السِّكِّيت فيه في حرف الراء عند قولهم «رَجَع بخُفَّيْ حُنَين» وأما الشَّرْقي بن القطامي فإنه قال : كان حُنَين من قريش ، وزعم أن أصل المثل أن هاشم ابن عبد مناف كان رجلا كثيرَ التقلُّبِ في أحياء العرب للتجارات والوفادات على الملوك وكان نُكَحَة ، فكان أوصى أهلَه أنه متى أتوا بمولود معه علامته قَبِلوه ، وتصير علامة قبولهم إياه أن يَكْسُوه ثيابا ، ويلبسوه خُفّاً ، ثم إن هاشما تزوج في حيٍّمن أحياء اليمن ، وارتحل عنهم ، فوُلِد له غلام فسماه جَدُّه أبو أمه «حُنَيْناً» وحمله إلى قريش مع رَجُل من أهله ، فسأل عن رهط هاشم ، فَدُلَّ عليهم ، فأتاهم بالغلام ، وقال : إن هذا ابنُ هاشم ، فطالبوه بالعلامة ، فلم تكن معه ، فلم يقبلوه ، فرد الغلام إلى أهله فحين رَأَوْه قالوا : جاء بخُفِّ حُنَيْنٍ ، أي جاء خائبا حين جاء في خف نفسه ، أي لو قُبِل لألبس خف أبيه .

وقال غيره : كان حنينا رجلاً عباديا من أهل دومة الكوفة وهي النجف محلة منها ، وهو الذي يقول :

أنَا حُنَيْنٌ وَدَارِي النَّجَـفُ   وما نَديمي إلا الْفَتَى القصف
ليس نَدِيمِي المنجَلُ الصلف

وكان من قصته أن دَعَاه قومٌ من أهل الكوفة إلى الصحراء ليغنيهم ، فمضى معهم ، فلما سَكِر سَلَبوه ثيابه وتركوه عُرْيانا في خُفَّيْه ، فلما رجع إلى أهله وأبصروه بتلك الحالة قالوا : جاء حنين بِخُفَّيْه ، ثم قالوا : أخَيْبُ من حُنَين ، فصار مثلا لكل خائب وخاسر ، ثم قالوا : أصحب لليأس من خفي حنين ، فصار مثلا لكل يائس وقانط ومكدٍ

أَدْهَى مِنْ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ

هو سيد عَبْس ، وذكر من دَهَائه أشياء كثيرة : منها أنه مَرَّ ببلاد غَطَفان فرأى ثروة

وعديداً ، فكره ذلك ، فقال له الربيع ابن زياد العبسي : إنه يَسُوءك ما يسرُّ الناس فقال له : يا ابن أخي إنك لا تَدْرِي أن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وأن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . ومنها قوله لقومه : إياكم وصَرَعَات البغي ، وفضحات الغدر ، وفَلَتَات المزح . وقوله : أربعة لا يُطَاقون : عبد مَلَكَ ، ونذل شبع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجَتْ . وقوله : المنطق مَشْهرة ، والصمت مَسْتترة . وقوله : ثمرة اللَّجَاجة الحيرة ، وثمرة العجلة الندامة ، وثمرة العُجْب البغضة ، وثمرة التواني الذلة

ذَهَبَ أَمْسِ بِمَا فِيهِ

أول من قال ذلك ضَمْضَم بن عمرو اليَرْبُوعي ، وكان هَوِيَ امرأةً ، فطلبها بكل حيلة ، فأبت عليه ، وقد كان غر بن ثعلبة ابن يربوع يختلف إليها ، فاتبع ضمضمٌ أثَرَهما وقد اجتمعا في مكان واحد فصار في خَمَرٍ إلى جانبهما يراهما ولا يريانه ، فقال غر :

قديماً تُوَاتِينِي وتأبى بنفسها … على المرء جَوّاب التَّنُوفَةِ ضَمْضَمِ

فشد عليه ضمضم فقتله ، وقال :

ستعلم أني لست آمن مبغضا … وأنَّكَ عَنْهَا إن نأيْتَ بَمَعْزِلِ

فقيل له : لِمَ قتلت ابن عمك؟ قال : ذهب أمس بما فيه ، فذهب قولُه مثلاً

ذَكَّرْتَنِي الطَّعْنَ وكُنْتُ نَاسِياً

قيل : إن أصله أن رجلا حَمَلَ على رجل ليقتله ، وكان في يد المحمول عليه رُمْح فأنساه الدهش والجزَعُ ما في يده ، فقال له الحامل : أَلْقِ الرمْحَ ، فقال الآخر : إنَّ معي رمحا لا أشعر به؟ ذكَّرْتَنِي الطَّعْنَ - المثلَ ، وحمل على صاحبه فطعنه حتى قتله أو هَزَمه ، يضرب في تذكر الشيء بغيره .

يقال : إن الحامل صَخْر بن مَعَاوية السُّلَمي ، والمحمول عليه يزين بن الصَّعِق .

وقال المفضل : أول من قاله رهيم بن حزن الهلالي ، وكان انتقل باهله وماله من بلده يريد بلدا آخر ، فاعترضه قوم من بني تغلب فعرفوه وهو لا يعرفهم ، فقالوا له : خَلِّ ما معك وانجُ ، قال لهم : دونَكم المال ولا تعرضوا للحُرَم ، فقال له بعضهم : إن أردْتَ أن نفعل ذلك فألقِ رمحك ، فقال : وإنَّ معي لَرُمْحاً؟ فشدَّ عليهم فجعل يقتلهم واحداً بعد واحد وهو يرتجز ويقول :

رُدُّوا علي أقْرَبهَا الأقاصيَـــاإنَّ لها بالْمُشْرَفِّي حَادِيــاَ
ذكَّرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيَا

رُوَيْدَ الغَزْوَ يَنْمَرِقُ.

هذه مقالة امرأة كانت تغزو ، وتسمى رَقَاشِ ، من بني كِنانة ، فحملت من أسير لها ، فذُكر لها الغَزْوُ ، فقالت : رُوَيْدَ الغزو ، أي أمهل الغزو ، حتى يخرج الولد . يضرب في التمكث وانتظار العاقبة .

ذكر المفضل أن امرأة كانت من طيء يقال لها رقاش ، فكانت تغزو بهم ويَتَيَمَّنُونَ برأيها ، وكانت كاهنةً لها حَزْم ورأي ، فأغارت طيء وهي عليهم على إياد بن نِزَار ابن مَعَدّ يوم رحى جابر ، فظفرت بهم وغنمت وسَبَتْ ، فكان فيمن أصابت من إياد شاب جميل ، فاتخذته خادماً ، فرأت عَوْرَته فأعجبها فدَعَتْه إلى نفسها فحملت فأتيَتْ في إبَّان الغزو ، فقالوا : هذا زمانُ الغزو فاغزي إن كنت تريدين الغزو ، فجعلت تقول : رويد الغزو ينمرق ، فأرسلتها مثلا ، ثم جاؤا لعادتهم فوجَدَوها نُفَساء مُرْضِعا قد ولَدَتْ غلاماً ، فقال شاعرهم :

نُبِّئْـــتُ أنَّ رَقَــاشِ بَعْـــدَ شمَاسِهَــا	حَبِلَـــتْ وقـد ولَدَتْ غلاما أكْحَلاَ
فاللّــه يُحْظِيهَــا وَيَرْفَــــعُ بُضْعَهَــا	واللّــه يُلْقِحُهَــا كشافــا مقبــلا
كَانَتْــ رَقَاشِ تقودُ جَيْشــاً جَحْفَــلاً	فَصَبَتْ وأَحْرِ بِمَنْ صَبَا أن يَحْبَــلاَ

أَرْجُلَكُمْ والعُرْفُطَ.

قالوا : حديثه أن عامر بن ذُهْل بن ثَعْلبة كان من أشدِّ الناس قوةً ، فأسَنَّ وأقعد ، فاستهزأ منه شَبَابٌ من قومه ، وضحكوا من ركوبه ، فقال : أجَلْ واللّه إني لضعيف فَادْنُوا مني فاحملوني ، فَدَنَوْا منه ليحملوه ، فضم رجلين إلى إبطه ورجلين بين فَخذَيْه ثم زَجَر بَعيره فنهض بهم مسرعا ، وقال : بني أخي أرْجُلَكم والعُرْفُطَ ، فأرسلها مثلا ، وضمهم حتى كادوا يموتون .

يضرب لمن يَسْخَر ممن هو فوقه في المال والقوة وغيرهما

أُرِيهَا اسْتَهَا وَتُرِينِي القَمَرَ.

قال الشَرْقي بن القطامي : كانت في الجاهلية امرأة أكملت خَلَقا وجمالا ،

وكانت تزعم أن أحداً لا يقدر على جماعها لقوتها ، وكانت بكراً ، فخاطرها ابنُ أَلْغَزَ الإيادي – وكان واثقاً بما عنده – على أنه إن غلبها أعطته مائة من الإبل وإن غلبته أعطاها مائة من الإبل ، فلما واقعها رأت لُمحاً باصراً ورَهْزاً شديداً وأمْراً لم تر مثله قط ، فقال لها : كيف تَرَيْن ، قالت : طَعْناً بالركبة يا ابن أَلْغز ، قال : فانظري إليه فيك ، قالت : القَمَرَ هذا ، فقال : أريها اسْتَهَا وتريني القمر ، فأرسلها مثلا ، وظفر بها ، وأخذ مائة من الإبل ، وبعضهم يرويه : أريها السُّهَا وتُرِينِي القَمَرَ . يضرب لمن يُغَالط فيما لا يخفى

رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ.

يروى هذا المثلُ لِلُقْمَان بن عَاد[1] ، وذلك أنه أقبل ذاتَ يوم فبينا هو يسير إذ أصابه عَطَش ، فهجَم على مظَلَّة في فنائها امرأة تُدَاعب رجلا ، فاستسقى لقمان ، فقالت المرأة : اللبَنَ تَبْغِي أم الماء؟ قال لقمان : أيهما كان ولا عِدَاء ، فذهبت كلمته مثلا ، قالت المرأة : أما اللبن فخَلْفك وأما الماء فأمامَكَ ، قال لقمان : المَنْعُ كان أَوْجَزَ ، فذهبت مثلا ، قال : فبينا هو كذلك إذ نظر إلى صبي في البيت يَبْكي فلا يُكْتَرَث له ويَسْتَسقِي فلا يُسْقى ، فقال : إنْ لم يكن لكم في هذا الصبي حاجة دفَعْتُمُوه إلي فكَفَلْته ، فقالت المرأة : ذاك إلى هانئ ، وهانئ زوجها ، فقال لقمان : وهانئ من العَدَد؟ فذهبت كلمته مثلا ، ثم قال لها : مَنْ هذا الشاب إلى جَنْبك فقد علمته ليس ببَعْلك؟ قالت : هذا أخي ، قال لقمان : رُبَّ أخ لك لم تلده أمك ، فذهبت مثلا ، ثم نظر إلى أثر زوجها في فَتْل الشعر فعرف في فتله شَعْرَ البناء أنه أعْسَر ، فقال : ثكلَتْ الأعَيْسرَ أمه ، لو يعلم العِلْمَ لطال غَمُّه ، فذهب مثلا ، فذُعِرَت المرأة من قوله ذعراً شديداً ، فعرضت عليه الطعَام والشراب ، فأبى وقال : المبيتَ على الطَّوَى حتى تَنَالَ به كريمَ المَثْوَى خيرٌ من إتيان ما لا تَهْوَى ، فذهبت مثلا ، ثم مضى حتى

---

(١) تنسب شخصية لقمان بن عاد وفق الموروث العربي إلى قبيلة عاد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، «وأما عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية» . وعاد قبيلةٌ قديمةٌ ، وصلت أصداء أخبارها إلى عصر ما قبل الإسلام ، وجاء ذكرها في بعض أشعارهم ، لكن ما ورد عنها من أخبارٍ أقرب إلى الخرافة والأحداث الخيالية ، من التاريخ الدقيق .

إذا كان مع العشاء إذا هو برجل يسوق إبلَه وهو يرتجز ويقول :

رُوحي إلى الحيِّ فإنَّ نَفْسِي رَهينَـــةٌ فيهم بخَيْرِ عـــرْسِ
حُسَّانَةُ المُقْلَة ذَاتُ أنْـــسِ لاَ يُشْتَرَى اليومُ لها بأَمْـسِ

فعرف لقمان صوته ولم يَرَه ، فهتف به :

يا هانئ ، يا هانئ ، فقال : ما بالُكَ؟ فقال :

يَا ذَا البجَـــاد الحلكـــة والزَّوْجَـــة المُشْتَركَـــهْ
عِـــشْ رُوَيْـــداً أبْلُكَـــهْ لَسْـــتَ لَمَـــنْ لَيْسَتْ لَكَـهْ

فذهبت مثلا ، قال هانئ : نَوِّرْ نَوِّرْ ، لله أبوك ، قال لقمان : عليَّ التنوير ، وعليك التَّغيير ، إن كان عندك نكير ، كل امرئ في بيته أمير ، فذهبت مثلا ، ثم قال : إني مَرَرْتُ وبي أُوَام فَدُفعْتُ إلى بيت فإذا أنا بامرأتك تغازل رجلا ، فسألتها عنه ، فزعَمَتْهُ أخاها ، ولو كان أخاها لجلَّى عن نفسه وكفاها الكلام ، فقال هانئ : وكيف علمت أن المنزل منزلي والمرأة امرأتي؟ قال : عرفت عَقَائقَ هذه النوق في البناء ، وبوهدة الخلية في الفناء ، وسَقْب هذه الناب ، وأثَر يدك في الأطناب ، قال : صدقتني فِدَاك أبي وأمي ، وكذبتني نفسي ، فما الرأي؟ قال : هل لك علم؟ قال : نعم بشأني ، قال لقمان : كل امرئ بشأنه عليم ، فذهبت مثلا ، قال له هانئ : هل بقيَتْ بعد هذه؟ قال لقمان : نعم ، قال : وما هو؟ قال : تَحْمِي نفسك ، وتحفظ عِرْسَك ، قال هانئ : أفعل ، قال لقمان : مَنْ يَفْعلِ الخير يَجد الخبر ، فذهبت مثلا ، ثم قال : الرأيُ أن تقلب الظهرَ بَطْناً والبَطْنَ ظهراً ، حتى يستبين لك الأمر أمراً ، قال : أفلا أعاجِلُها بِكَيَّة ، توردها المنية ، فقال لقمان : آخر الدَّوَاء الكَيُّ ، فأرسلها مثلا ، ثم انطلَقَ الرجلُ حتى أتَى امرأته فقصَّ عليها القصة ، وسل سيفه فلم يزل يضربها به حتى بَرَدَتْ .

ربَّ عَجلَةٍ تَهَبُ رَيْثاً.

وأول من قال ذلك – فيما يحكي المفضل – مالكُ بن عوف بن أبي عمرو بن عوف بن مُحَلِّم الشَّيْباني ، وكان سنان بن مالك بن أبي عمرو ابن عوف بن ملحم شَامَ غَيْماً ، فأراد أن يرحل بامرأته خماعة بنت عوف بن أبي عمرو ، فقال له مالك : أين تظعن يا أخي؟ قال : أطلب موقع هذه السحابة ، قال : لا تفعل فإنه ربما خَيَّلَتْ وليس فيها قَطْر ، وأنا أخاف عليك بعضَ مقانب العرب ، قال : لكني لست أخاف ذلك ، فمضى ، وَعَرَضَ له مروان القرظ بن زِنْبَاع بن حُذَيفة العَبْسي فأعجله عنها

وانطلق بها وجعلها بين بناته وأخواته ولم يكشف لها ستْراً ، فقال مالك ابن عوف لسنان : ما فعلَتْ أختي؟ قال : نفتني عنها الرماح ، فقال مالك : رُبَّ عجلة تهبُ رَيْثاً ، ورب فَرُوقَة يُدْعَى لَيْثاً ، ورب غَيْث لم يكن غَيْثاً ، فأرسلها مثلا .

يضرب للرجل يشتدُّ حرصه على حاجةٍ ويخرق فيها حتى تذهب كلها .

رُبَّ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكْلاتٍ.

يضرب في ذم الحرص على الطعام .

قال المفضل : أول من قال ذلك عامر ابن الظَّرِب العَدْوَاني ، وكان من حديثه أنه كان يدفع بالناس في الحج ، فرآه ملك من ملوك غَسَّان ، فقال : لا أترك هذا العَدْوَاني أو أُذلَّهُ ، فلما رجع الملك إلى منزله أرسل إليه : أُحبُّ أن تزورني فأحْبُوَكَ وأكرمك وأتخذك خلاً ، فأتاه قومه فقالوا : تَفِدُ ويَفِدُ معك قومُك إليه ، فيصيبون في جَنْبك ويَتَجَيَّهُونَ بجاهك ، فخرج وأخرج معه نَفَراً من قومه ، فلما قدم بلادَ الملك أكرمه وأكرم قومه ، ثم انكشف له رأيُ الملك فجَمَع أصحابه وقال : الرأيُ نائم والهوى يَقْظَان ، ومن أجل ذلك يغلبُ الهوى الرأيَ ، عَجِلْتُ حين عجلتم ، ولن أعود بعدها ، إنا قد تَوَرَّدْنَا بلاد هذا الملك ، فلا تسبقوني بريْثِ أمرٍ أقيم عليه ولا بعَجَلَةِ رأي أخفُّ معه ، فإن رأيي لكم ، فقال قومه له : قد أكرمَنَا كما ترى ، وبعد هذا ما هو خير منه ، قال : لا تَعْجَلوا فإن لكل عام طعاما ، ورب أَكْلَة تمنَعُ أكلات ، فمكثوا أياماً ، ثم أرسل إليه الملك فتحدَّثَ عنده ثم قال له الملك : قد رأيتُ أن أجعلك الناظِرَ في أموري ، فقال له : إنَّ لي كَنْزَ علم لستُ أعلم إلا به ، تركتُه في الحي مدفوناً ، وإن قومي أَضِنَّاء بي ، فاكتب لي سجِلاًّ بجباية الطريق ، فيرى قومي طَمَعاً تطيبُ به أنفسُهم فأستخرج كنزي وأرجع إليك وافراً ، فكتب له بما سأل ، وجاء إلى أصحابه فقال : ارْتَحلُوا ، حتى إذا أدبروا قالوا : لم يُرَ كاليوم وافدُ قوم أقل ولا أبعد من نَوَال منك ، فقال : مهلا ، فليس على الرزق فَوْت ، وغَنِمَ من نجا من الموت ، ومَنْ لا يُر باطنًا يَعِش واهنا ، فلما قدم على قومه أقام فلم يَعُدْ

اسْتَرَاحَ مَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ.

يقال : إن أول مَنْ قال ذلك عمرو بن العاص[1] لابنه ، قال : يا بني ، والٍ عادلٌ خير من مطر وابل ، وأسد حَطومٌ خير من والٍ ظلوم ، ووالٍ ظلومٌ خير من فتنة تدوم . يا بني عَثْرَة الرِّجْلِ عَظْم يُجْبَرُ ، وعثرة اللسان لا تُبْقِي ولا تَذَر ، وقد استراح من لا عقل له .

رُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ.

وأول من قال ذلك الحُكَم بن عَبْد يَغُوث المنقري ، وكان أرمى أهلِ زمانه ، وآلى يمينا ليذبَحَنَّ على الغَبْغَبِ مَهَاة ، ويروى ليدجنَّ ، فحمل قوسَه وكِنانته ، فلم يصنع يومه ذلك شيئاً ، فرجع كئيباً حزيناً ، وبات ليلته على ذلك ، ثم خرج إلى قومه فقال : ما أنتم صانعون فإني قاتلُ نفسي أسفاً إن لم أذبحها اليوم؟ ويروى أدجها ، فقال له الحُصَيْن بن عبد يَغُوث أخوه : يا أخي دج مكانها عَشْراً من الإبلِ ولا تقتل نفسك ، قال : لا واللاتِ والعُزَّى لا أظلم عاترة ، وأترك النافرة ، فقال ابنه المُطْعِمُ بن الحكم : يا أبة احملني معك أرْفِدْكَ ، فقال له أبوه : وما أحمل من رعش وَهِلٍ ، جَبَان فشل ، فضحك الغلام وقال : إن لم تر أوْدَاجَها تخالط أمشاجها فاجعلني وداجها ، فانطلقا ، فإذا هما بمَهَاة فرماها الحكمُ فأخطأها ، ثم مرت به أُخرى فرماها فأخطأها ، فقال : يا أبة أعْطِنِي القوسَ ، فأعطاه فرماها فلم يخطئها ، فقال أبوه : رُبَّ رمية من غير رَامٍ

رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي.

يضرب في النهي عن الإكثار مخافة الإهجار .

ذكروا أن نلكا من ملوك حِمْيَر خرج مُتَصَيِّداً معه نديم له كان يُقَرِّبه ويكرمه ،

---

(١) عمرو بن العاص السهمي القرشي الكناني (٥٩٢م - ٦٨٢م) ، أبو عبد الله ، ابن سيد بني سهم من قريش العاص بن وائل السهمي ، أرسلته قريش قبل إسلامه إلى الحبشة ليطلب من النجاشي تسليمه المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة فرارا من الكفار وإعادتهم إلى مكة لمحاسبتهم وردهم عن دينهم الجديد فلم يستجب له النجاشي . وبعد إسلامه فتح مصر بعد أن قهر الروم وأصبح والياً عليها بعد أن عينه عمر بن الخطاب .

و أبرز ما عرف عن عمرو بن العاص أنه كان أدهى دهاة العرب في عصره ، فقد نقلت عن سعة حيلته وعبقرية تدبيره روايات تشبه الأساطير ، حتى ان الخليفة عمر بن الخطاب لقبه بأرطبون العرب .

فأشرف على صخرة مَلْساء ووقَف عليها ، فقال له النديم : لو أن إنسانا ذُبِحَ على هذه الصخرة إلى أين يبلغ دمه؟ فقال الملك : اذبحوه عليها ليرى دمه أين يبلغ ، فذبح عليها ، فقال الملك : رُبَّ كلمة تقول لصاحبها دعني .

رُبَّ زَارِعٍ لِنَفْسِهِ حاصِدٌ سِوَاهُ.

قال ابن الكلبي : أول مَنْ قال ذلك عامر بن الظَّرب ، وذلك أنه خَطَب إليه صَعْصَعَة بن معاوية[1] ابنَته ، فقال : يا صعصعة إنك جِئْتَ تشتري مني كَبِدِي وأرْحَمَ ولدي عندي منَعْتُك أو بعتك ، النكاحُ خيرٌ من الأيْمَة ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح يعد أبا ، وقد أنكحتك خَشْيَةَ أن لا أجد مثلك ، ثم أقبل على قومه فقال : يا معشرَ عَدْوَان أخرجت من بين أظهركم كريمَتكم على غير رَغْبة عنكم ، ولكن مَنْ خُطَّ له شيء جاءه ، رب زارع لنفسه حاصد سواه ، ولولا قَسْم الحظوظ على غير الحدود ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ، ولكن الذي أرسل الحْيَا أنبت المَرْعَى ثم قسمه أكْلاً لكل فَم بَقْلَة ومن الماء جرعة ، إنكم ترون ولا تعلمون ، لن يرى ما أصفُ لكم إلا كلُّ ذي قَلب وَاع ، ولكل شيء راع ، ولكل رزق ساع ، إما أكْيَسُ وإما أحْمَق ، وما رأيت شيئاً قط إلا سَمعت حسَّه ، ووجَدْتُ مَسَّه ، وما رَأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جائيا إلا داعيا ولا غانما إلا خائبا ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يميت الناسَ الداءُ لأحياهم الدواء ، فهل لكم في العلم العليم؟ قيل : ما هو؟ قد قلتَ فأصبت ، وأخبرتَ فصدقت ، فقال : أموراً شَتَّى ، وشيئاً شيا ، حتى يرجعع الميت حياً ، ويعود لاشيء شيئاً ، ولذلك خلقت الأرض والسماء ، فتولوا عنه راجعين ، فقال : وَيْلُمِّها نصيحةً لو كان مَنْ يقبلها

ازْلأَمَّ المُعَيْدِيُّ وَنَفَرَ

وأصله أن مياد بن حن بن ربيعة بن حَرَام العُذْري من قُضَاعة نافر رجلا من أهل اليمن إلى حَكَم عُكاظ ، فأقبل مياد ابن حن على فرسه وعليه سلاحُه ، فقال : أنا مياد بن حن ، أنا ابن حباس الظعن ، وأقبل اليماني عليه حُلّة يمانية فقال مياد :

---

(١) صعصعة بن معاوية بن حصين بن عبادة بن نزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرة عم الأحنف بن قيس .

احكم بيننا أيها الحكم ، فقال الحكم : ازْلأَم المعيدِيُّ ونفر ، فأرسلها مثلا ، وقضى لمياد على صاحبه

يضرب في فَوْز أحد الخصمين .

زَوْجُ مِنْ عُودٍ، خَيْرُ مِنْ قعُودٍ

هذا المثل لبعض نساء الأعراب ، قال المبرد : حدثني علي بن عبد اللّه عن ابن عائشة قال : كان ذو الإصبع العَدْوَانيّ[1] رجلا غَيُوراً وله بنات أربع ، وكان لا يزوجهن غَيْرَةً فاستمع عليهن يوما وقد خَلَوْنَ يتحدثْنَ ، فقالت : قائلة منهن : لِتَقُلْ كلُّ واحدة منا ما في نفسها ، ولنصدق جميعا ، فقالت كُبْرَاهُن :

ألا لَيْتَ زوجي من أناس ذَوِي غِنىً　　حديثُ شباب طَيِّبُ النَّشْرِ والذِّكْرِ
لَصُوق بأكْبَادِ النساء كأنه　　خَلِيفَةُ حان لاً يقيم على هَجْرِ

وقالت الثانية :

ألا ليته يُعْطى الجمال بَديهَةً　　له جَفْنة تَشْقَي بها النِّيبُ وَالْجزْرُ
له حكمات الدهر من غير كبْرَةِ　　تَشينُ ، فلا وَانٍ ولا ضَرِعٌ غَمْرُ

فقلن لها : أنت تريدين سيدا ، وقالت الثالثة :

ألا هَلْ تراها مَرّةً وحليلُها　　أشَمّ كنصْلِ السيف عَيْنِ المُهَّند
عليمٌ بأدْوَاءِ النِّساء ورَهْطُهُ　　إذا ما انتْمَى مِنْ أهْلِ بيتي ومَحْتدِي

فقلن لها : أنت تريدين ابنَ عَمٍّ لك قد عرفته ، وقلن للصغرى : ما تقولين؟ قالت : لا أقول شيئاً ، فقلن : لا نَدَعُك وذاك ، إنك قد اطَّلعت على أسرارنا وتكتمين سرك ، فقالت : زَوْجٌ من عود خير من قعود ، فخُطِبْنَ فزوجن جُمَع ، ثم أمهلهن حولا ، ثم زار الكبرى فقال لها : كيف رأيتِ زوجَك؟ فقالت : خير زوج ، يُكْرِم أهْلَه ، وينسى فضله ، قال : فما مالُكم؟ قالت الإبلَ ، قال : وما هي؟ قالت : نأكل لحمانها مزعا ، ونشرب ألبانها جرعا ، وتحملنا وضَعَفَتنا معا ، فقال : زوج كريم ، ومال عميم . ثم زار الثانية فقال :

---

(١) حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة من قيس بن عيلان . شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية ، وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة قيل له ذو الإصبع لأن أفعى ضربت إبهام رجله فقطعتها . وقيل لأن له إصبعاً زائدة في رجله . وهو أحد الحكماء ، عمر طويلاً حتى قيل أنه بلغ ١٧٠ سنة .

كيف رأيتِ زوجَك؟ قالت : يكرم الحْليلة ، ويُقَرِّبُ الوَسيلة ، قال : فما مالُكم؟ قالت : البقر ، قال وما هيَ؟ قالت : تألف الفناء ، وتملأ الإناء ، وتُودك السِّقاء ، ونساء مع نساء فقال : رَضيت فحَظِيت . ثم زار الثالثة فقال : كيف رأيتِ زوجَك؟ فقالت : لا سَمْح بذر ، ولا بَخيل حكر ، قال : فما مالكم؟ قالت المِعْزَى ، قال : وما هي؟ قالت لو كنا نولدها فطما ، ونسلخها أدما ، لم نبع بها نَعَما ، فقال : جذو مُغْنية . ثم زار الرابعة فقال كيف رأيتِ زوجَك؟ قالت : شر زوج ، يكرم نفسه ، ويهين عِرْسَه ، قال : فما مالكم؟ قالت : شر مال الضأن ، قال : وما هي؟ قالت : جُوفٌ لا يَشْبَعْن ، وهِيم لا يَنْقَعْن ، وصُمٌّ لا يسمعن وأمْرَ مُغْوِيتهن يَتْبَعْن ، فقال أشبه امرؤ بعضَ بزه .

قال علي بن عبد اللّه : قلت لابن عائشة : ما قولها «وأمْرَ مغويتهن يتبعن»؟ قال أما تراهُنَّ يمررن فتسقُطُ الواحدةُ منهن في ماء أو وحَل أو غير ذلك فيتبعنها عليه ، وقوله «جذو مغنية» جمع جذوة ، وهي القطعة .

زُرْغِباًّ تَزْدَدْ حُبّاً

قال المفضل : أول من قال ذلك مُعَاذ بن صِرْم الخُزَاعي ، وكانت أمه من عَكٍّ ، وكان فارس خزاعة ، وكان يكثر زيارة أخواله ، قال : فاستعار منهم فرسا ، وأتى قومه ، فقال له رجل يقال له جُحَيش بن سودة وكان له عدوا : أتسابقني على أن مَنْ سبق صاحبَه أخذ فرسه؟ فسابقه ، فسبق معاذ ، وأخذ فرسَ جُحَيش ، وأراد أن يغيظه فطَعَن وأخذ فرسَ جُحَيش ، وأراد أن يغيظه فطَعَن أيْطَلَ الفرسِ بالسيف فسقط ، فقال جُحَيش : لا أم لك قتلت فرساً خيرا منك ومن والديك؟ فرفع معاذ السيف فضرب مَفْرِقه فقتله ثم لحق بأخواله ، وبلغ الحيَّ ما صنع ، فركب أخٌ لجحيش وابن عم له ، فلحقاه فشدَّ على أحدها فطعنه فقتله ، وشد على الآخر فضربه بالسيف فقتله ، وقال في ذلك :

ضربتُ جُحَيْشاً ضربةً لالئيمةً ... ولكن بصاف ذي طَرَائق مُسْتَكِّ
قَتَلْتُ جُحَيشاً بعد قَتْل جَوَاده ... وكنتُ قديما في الحوادث ذافَتْك
قصدتُ لعمرو بعد بَدْر بضربة ... فَخَرَّ صريعا مثل عائرة النُّسْك
لكي يَعْلَم الأقوامُ أنيَ صارمٌ ... خُزَاعة أجْدَادي وأنْمى إلى عَكِّ
فقد ذُقْتَ يا جَحْشُ بنَ سَوْدَةَ ضَرْبَتِي ... وجَرَّبتني إنْ كنتَ من قبلُ في شَكِّ

تركْـــتُ جُحَيشْـــاً ثاويـــاً ذا نَوَائـــح ‏ ‏ ‏ خَضِيــبَ دم جَارَاتُــه حولَه تَبْكي
تـــرِنُّ عليـــــه أمُّـــــهُ بانْتحَابِهَـــا ‏ ‏ ‏ وتقشر جلْدَيْ مَحْجرِيْها من الحَكِّ
ليرفَـــعَ أقوامـــاً حُلُولـــــيَ فيهـــــمُ ‏ ‏ ‏ ويُزْرى بقوم – إنْ تركتهُم – تَرْكـــي
وحصْني سرَاة الطِّرف وَالسَّيْفُ مَعْقلي ‏ ‏ ‏ وَعطْري غبارُ الحرْبِ لاعَبَقُ المسْـكَ
تَتُوقُ غَدَاةَ الرَّوع نَفْسي إلى الْوَغَــــى ‏ ‏ ‏ كتَوْقَ الْقطَا تَسْمُوإلى الوَشَلِ الـرَّكِّ
ولَسْـــتُ برِعْديَـــد إذَا راعَ مُعْضِـــــلٌ ‏ ‏ ‏ وَلا فِي نَوادي الْقَوْم بالضَّيِّق المَسْك
وكَـــمْ مَلـــك جَدَّلْتُــــــهُ بِمُهَنَّـــــد ‏ ‏ ‏ وَسَابِغَة بَيْضَاءَ مُحْكَمــة السَّــكِّ

قال : فأقام في أخواله زمانا ، ثم إنه خرج مع بني أخواله في جماعة من فتيانِهِمْ يتصيَّدون ، فحمل معاذ على عِير فلحقه ابنُ خال له يقال الغضبان فقال : خَلِّ عن العير ، فقال : لا ، ولا نعمت عين ، فقال له الغضبان : أما واللّه لو لكان فيك خَيْرٌ لما تركْتَ قومك فقال معاذ : زُرْغِبّاً تَزْدَدْ حبا فأرسلها مثلا ، ثم أتى قومَه فأراد أهلُ المقتول قتلَه فقال لهم قومه : لا تقتلوا فارسَكم وإن ظلم ، فقَبِلُوا منه الدِّيَةَ .

ومن هذا المثل قال الشاعر :

إذا شئـــتَ أن تُقْلَـــى فَـــزُرْ مُتَواتِـــراً ‏ ‏ ‏ وإن شئـــتَ أن تَزْدَادَ حُبًّا فـــزُرْ غِبًّا

وقال آخر :

عليـــك بإغبـــابِ الزِّيـــارة ، إنَّهَـــا ‏ ‏ ‏ إذا كَثُرَتْ كانَتْ إلى الْهَجْرِ مَسْلَكَا
ألـــم تَـــرَ أن القَطْـــرَ يُسْـــأمُ دائمـــاً ‏ ‏ ‏ ويُسْـــأل بالأيـــدِي إذَا هُوَ أمْسكا

زِدْهُمْ أعنُزاً

زعم أبو عمرو أن كَعْبَ بن ربيعة اشترى لأخيه كلابِ بن ربيعة بقَرة بأربعة أعْنُز . فركبها كلاب وألجمها من قبل اسْتهَا وحَوَّل وجهه إليها ، ثم أجراها ، فأعجبه عَدْوُها ، فالتفت إلى أخيه وقال : زِدْهم أَعنُزا ، فذهبت مثلا حين أمر بالزيادة بعد البيع .

يضرب للأحمق

أَزْكَنُ مِنْ إياسٍ

هو إياسُ بن مُعَاوية بن قُرَّة المُزَني ، كان قاضياً فائقاً زَكِنا ، تولى قضاء البصرة سنةً لعمر بن عبد العزيز رحمه اللّه تعالى

فمن نوادر زَكَنه أنه سمع نُبَاح كلب لم يَرَه ، فقال : هذا نُبَاح كلب مربوط على شَفِير بئر ، فنَظَروا فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : سمعت عند نُبَاحه دَوِيّاً من مكان واحد ، ثم سمعت بعده صَدىً يُجيبه ، فعلمت أنه عند بئر .

ومن نوادر زكَنه أيضاً أنه رأى أثر اعتلاف بعير ، فقال : هذا بعير أعْوَر ، فنظروا فكان كما قال ، فقيل له : من أين قلت ذاك؟ فقال : لأني وَجَدْت اعتلافَه من جهة واحدة .

قالوا : ومن نوادر زكَنه أنه رأى قوما يأكلون تمراً ويلقون النوى متفرقا ، فرأى الذباب يجتمعن في موضع من التمر ، ولا يقربن موضعاً آخر ، فقال إياس : إن في هذا الموضع حية ، فنظروا فوجَدُوا الأمر كما قال ، فقيل له : من أين علمت؟ قال : رأيت الذبابَ لا يقربْنَ هذا الموضع ، فقلت : يَجِدن ريحَ سمّ فقالت حية .

ونظر إلى ديك يَنْقُر ولا يقرقر ، فقال هذا هَرِم ، لأن الشاب إذا وجَد حبّاً نقره وقرقر لتجمع الدجاج إليه .

ورأى جاريةً في المسجد وعلى يدها طَبَق مُغَطًّى بمنديل ، فقال : معها جَرَاد . فكان كما قال ، فسئل ، فقال : رأيته خفيفاً على يدها

ومن نوادر زكَنه أن رجلين احتكَمَا إليه في مال فجَحَد المطلوبُ إليه المالَ ، فقال للطالب : أين دفعت إليه المالَ ، فقال : عند شجرة في مكان كذا ، قال : فانطلق إلى هذا الموضع لعلك تتذكر كيف كان أمر هذا المال ، ولعل اللّه يوضح لك سبباً ، فمضى الرجلُ وحَبَس خصمه ، فقال إياس بعد ساعة : أترى خصمَكَ قد بلغ موضع الشجرة؟ قال : لا بعد [ساعة] ، قال : قم يا عَدُوَّ اللّه ، أنت خائن ، قال : فأقِلْنِي أقالك اللّه ، فاحتفظ به حتى أقرَّ وردَّ المال .

قال حمزة : ونوادر إياس كثيرة قد كتب المدايني عليه كتاباً وسماه «كتاب زَكَن إياس» .

ويقال : مات مُعَاوية بن قُرَّة أبو إياس وهو ابن ست وسبعين سنة ، فقال إياس في العام الذي مات فيه أبوه : رأيتُ في المنام كأني وأبي على فرسَيْن فجَرَياً جميعاً ، فلم أسبقه ولم يسبقني ، فعاش إياس أيضاً ستا وسبعين سنة .

وذكر بعض الشعراء (هو أبو تمام خبيب بن أوس الطائي) إياسا في شعْره فلم يستقم له أن يذكره بالزكن فوضع مكانه الذكاء ، فقال :

إقْدَامُ عَمْروفي سَمَاحِة حاتمٍ ... في حِلْم أحْنَفَ في ذَكَاءِ إ يَاسِ

سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ

قاله ضَبَّة بن أدّ لما لامه الناسُ على قتله قاتلَ ابنه في الحرم ، وقد مر تمامُ القصة فيما تقدم عند قوله «إنَّ الحديثَ ذو شُجُون» ويقال : إن قولهم «سبق السيف العذل» لخزيم بن نَوْفل الهَمْدَاني .

اسْتُ البَائِنِ أَعْلَمُ

وهذا المثل يروى أن قائله الحارث بن ظالم ، وذلك أن الجُمَيْح وهو مُنْقذ بن الطَّمَّاح خرج في طلب إبل له ، حتى وقع عليها في قبيلة مرة ، فاستجار بالحارث بن ظالم المُرِّي ، فنادى الحارث مَنْ كان عنده شيء من هذه الإبل فليردَّها ، فردَّتْ جميعاً غير ناقة يقال لها اللِّفَاع ، فانطلق يَطُوف حتى وجدها عند رجلين يَحْلُبانها ، فقال لهما : خَلِّيا عنها فليست لكما ، وأهْوَى إليهما بالسيف ، فضَرَط البائنُ ، فقال المعلى : واللّه ما هي لك ، فقال الحارث : اسْتُ البائن أعلم ، فأرسلها مثلا .

يضرب لمن ولى أمراً وصلى به فهو أعلم به ممن لما يمارسه ولم يصل به .

اُسْتٌ لَمْ تُعَوَّدِ المْجمَرَ

يقال : إن أول مَنْ قال ذلك حاتم بن عبد اللّه الطائي ، وذلك أنَّ ماوية بنت عَفْزَر كانت ملكة ، وكانت تتزَّوج مَنْ أرادت ، وربما بعثت غلْمانا لها ليأتُوها بأوْسَم مَنْ يجدونه بالحِيرة ، فجاؤها بحاتم ، فقالت له : استقدم إلى الفِراش ، فقال : اسْتٌ لم تُعَوَّدِ المجمر ، فأرسلها مثلا .

سَاعِدَايَ أحْرَزُ لَهُمَا

أول من قال ذلك بن زيد مَنَاة بن تَميم ، وكان أحمق ، فزوَّجه أخوه سعدُ بن زيد نَوَار بنت حُلّ بن عديّ بن عبد مَنَاة ابن أد ، ورجا سعد أن يولَد لأخيه ، فلما بَنَى مالك بيته وأدخلت عليه امرأته انطلق به سعد حتى إذا كان عند باب بيته قال له سعد : لِجْ بيتَكَ ، فأبى مالك ، مرارا ، فقال : لِجْ مَالِ ولجُتَ الرَّجْمَ ، والرجم : القبر ، ثم إن مالكا ولَجَ ونعلاه معلقتان في ذراعيه ، فلما دنا من المرأة قالت : ضَعْ نعليك ، قال ساعداي أحْرَزُ لهما ، فأرسلها مثلا ، ثم أتى بطِيبٍ ، فجعل يجعله في استه ، فقالوا : ما تصنع؟ فقال : استي أخْبَثِي ، فأرسلها مثلا

السَّلِيمُ لاَ يَنَامُ وَلاَ يُنِيمُ

قال المفضل : أول مَنْ قال ذلك إلياس ابن مُضَر ، وكان من حديث ذلك – فيما ذكر الكلبي عن الشَّرْقي بن القطامي – أن إبل إلياس نَدَّتْ ليلاً ، فنادى ولدَه وقال : إني طالب الإبل في هذا الوجه ، وأمر عَمْرا ابنه أن يطلب في وَجْه آخر ، وترك عامراً ابنه لعلاج الطعام ، قال : فتوجه إلياس وعمرو وانقطع عمير ابنه في البيت مع النساء ، فقالت ليلى بنت حُلْوان امرأتُه لإحدى خادميها : اخرجي في طلب أهلك ، وخرجت ليلى فلقيها عامر محتقباً صيداً قد عالجه ، فسألها عن أبيه وأخيه فقالت : لا علم لي ، فأتى عامر المنزل وقال للجارية : قُصِّي أثر مولاك ، فلما ولَّت قال لها : تَقَرْصَعِي ، أي اتئدي وانقبضي ، فلم يَلْبَثوا أن أتاهم الشيخ وعمرو ابنه قد أدرك الإبل ، فوضع لهم الطعام ، فقال إلياس : السليم لا ينام ولا ينيم ، فأرسلها مثلاً ، وقالت ليلى امرأته : والله إن زِلْتُ أخَنْدفُ في طلبكما والهة ، قال الشيخ : فأنت خِنْدِف ، قال عامر : وأنا والله كنت أدْأَبُ في صَيْد وطَبْخ ، قال : فأنت طَابِخَةٌ قال عَمرو : فما فعلت أنا أفضل ، أدْرَكْتُ الإبلَ ، قال : فأنتَ مُدْرِكة ، وسمي عميراً قمعَةً ، لانقماعه في البيت ، فغلبت هذه الألقاب على أسمائهم

اسْعَ بِجَدِّكَ لاَ بِكَدِّكَ

قالوا : إن أول من قال ذلك حاتم بن عميرة الهَمْدَاني ، وكان بَعَثَ ابنيه الحِسْلَ وعاجنة إلى تجارة ، فلقي الحِسْلَ قومٌ من بني أسد ، فأخذوا ماله وأسروه ، وسار عاجنة أياما ثم وقع على مالٍ في طريقه من قبل أن يبلغ موضع مَتْجَره ، فأخذه ورجع وقال في ذلك :

كَفَائــي اللّــه بُعْــدَ السَّيْر ، إنــي ... رَأيــتُ الخَــيْرَ في السفر الْقَرِيـبِ
رأيــتُ الْبُعْــدَ فيــه شَقَــاً وَنــأيٌ ... ووَحْشَــة كــلِّ مُنْفَــرِد غَرِيــبِ
فأسْرَعْــتُ الإيــابَ بخَــيْر حــال ... إلــى حَــوْرَاء خُرْعبُــةَ لَعُــوبِ
وإنــي لَيْــسَ يَثْنينــي إذا مــا ... رَحَلــتُ سنــوحُ شَحَّاجٍ نَعُــوبِ

فلما رجع تباشر به أهلُه ، وانتظروا الحِسْل ، فلما جاء إبَّانُه الذي كان يجيء فيه ولم يرجع رَابَهم أمرُهُ ، وبعث أبوه أخاً له لم يكن من أمه يقال له شاكر في طلبه والبحث عنه ، فلما دنا شاكر من الأرض التي بها الحِسْلُ وكان الحسل عائفاً يَزْجُر الطيرَ فقال :

تُخَبِّرُنِـــي بالنجـــاة القَطَـاةُ   وقَـــوْلُ الْغُـــرَابِ بها شَاهدُ
تقول : ألاَ قَـدْ دَنَـــا نَـــازِحٌ   فِـــدَاء له الطـــرف وَالتَّالِـدُ
أخ لـــم تكُـــنْ أمُّنَـــا أمَّـهُ   ولكـــن أبوُنـــا أبٌ واحِـــدُ
تداركَنِـــي رأفَـــةً حَاتِـــمٌ   فَنعْـــمَ المربِّـــبُ وَالوَالِـــدُ

ثم إن شاكراً سأل عنه ، فأخبر بمكانه فاشتراه ممن أسَره بأربعين بعيراً ، فلما رجع به قال له أبوه : اسْعَ بجَدِّك لا بكدك ، فذهبت مثـــلا .

سِرْ عَنْكَ

قالوا : إن أول من قال ذلك خِدَاش بن حابس التَّميمي ، وكان قد تزوج جارية من بني سَدوس يقال لها الرَّباب وغاب عنها بعد ما مَلَكها أعواما ، فعلقها آخر من قومها يقال سلم ، ففضحها ، وإن سلما شَرَدَت له إبل فركب في طلبها ، فوافاه خداش في الطريق ، فلما علم به خداش كتَمَه أمرَ نفسه ليعلم علم امرأته ، وسارا ، فسأل سلم خداشا : ممن الرجل؟ فخبره بغير نسبه ، فقال سلم :

أغبْـــتَ عَنِ الرَّبَـــابِ وَهَـــامَ سَلْـــمٌ   بِهَـــا وَلَـــها بعِرْسِـــكَ يَاخِـــدَاشُ
فَيَـــلَكَ بَعْـــلَ جاريـــة هَوَاهَـــا   صَبُـــورٌ حِـــينَ تَضْطَـــرِبُ الْكِبَاشُ
وَيَا لَـــكَ بَعْـــلَ جاريـــة كَعُـــوب(*)   تَزِيـــدُ لـــــذاذةً دُونَ الرِّيَـــاشِ
وَكُنْـــتَ بهـــا أخَا عَطَـــشٍ شَدِيـــدٍ   وَقَـــدْ يَـــرْوَى عَلَى الظَّمَأ العطَاشُ
فَـــإن أرْجِـــعْ وَيَأْتِيهَـــا خِـــدَاشٌ   سَيُخْبِـــرُهُ بِمَـــا لاقـــى الفِـــرَاشُ

فعرف خداش الأمر عند ذلك ، ثم دنا منه فقال : يا أخا بني سَدوس ، فقال سلم : علقتُ امرأةً غاب عنها زوجُها ، فأنا أنْعَمُ أهلِ الدنيا بها ، وهي لذة عيشي ، فقال خداش : سر عنك ، فسار ساعة ، ثم قال : حدثنا يا أخا بني سَدوس عن خليلتك ، قال : تَسَدَّيتُ خِباءها ليلا فبتُّ بأقر ليلة أعلُو وأعْلى وأعانِق وأفْعَلُ ما أهوى ، فقال خداش : سر عنك ، وعرف الفضيحةَ ، فتأخرَّ واخترط سيفه وغَطّاه بثوبه ، ثم لحقه وقال : ما آية ما بينكما إذا جئْتَها ، قال : أذهَبُ ليلا إلى مكان كذا من خبائها وهي تخرج فتقول :

يالَيْـــلُ هَلْ مِنْ ساهرٍ فيكَ طالـــبٍ   هَـــوَى خلَّـــةٍ لا يَنْزَحَنْ مُلْتَقَاهُمَـا

(*) كذا ، ولعله «لعوب» أو «كعاب» .

فأجاوبها :

نَعَمْ سَاهِرٌ قَدْ كَابَدَ الليلَ هائِم بِهائِمَةٍ مَا هَوَّمَتْ مُقْلَتَاهُمَا

فتعرف أني أنا هو ، ثم قال خداش : سر عنك ، ودنا حتى قَرَن ناقته بناقته ، وضربه بسيفه فأطار قِحْفَهُ وبقي سائره بين سرخي الرَّحْل يضطرب ، ثم انصرف فأتى المكانَ الذي وصَفه سلم ، فقعد فيه ليلا ، وخرجت الرَّباب وهي تتكلم بذلك البيت ، فجاوبها بالآخر ، فدنَتْ منه وهي ترى أنه سلم ، فقنَّعها بالسيف ففلَق ما بين المفرق إلى الزور ، ثم ركب وانطلق .

يضرب في التغابي والتغاضي عن الشيء

السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بغَيْرِه.

قيل : إن أول من قال ذلك مَرْثَد بن سَعْد أحد وَفْد عاد الذين بُعِثُوا إلى مكة يَسْتَسْقُون لهم ، فلما رأى ما في السحابة التي رُفعت لهم في البحر من العَذَاب أَسْلَم مرثد ، وكتم أصحابَه إسلامه ، ثم أقبل عليهم فقال : ما لكم حَيَارى كأنكم سَكَارى ، إن السعيد من وُعِظ بغيره ، ومن لم يعتبر الذي بنفسه يلقى نَكَال غيره ، فذهبت من قوله أمثالا

أَسْرِعْ بِذَاكمْ صَابَةً نِقَاباً.

يقال إن امرأةً خرجَتَ من بيتها لحاجة فلما رجعت لم تهتدِ إلى بيتها ، فكانت تردد بين الحي على تلك الحال خمسا ، ثم أشرفت فرأت بيتها إلى جنبها فعرفته فقالت : أسْرِعْ بذاكم صابة نقابا ، يقال : لقيت فلانا نقَابا ، أي فجأة ، وتعني بقولها «صَابَةً» إصابة وهي مثل الطَّاقَة والطَّاعة والجابة ، أي ما أَسْرَعَ الإصابة مفاجئة .

يضرب لمن بالغ في إبطائه ويَرَى أنه أسرع فيما أمر به

أَسْرَعُ مِنْ نِكاحِ أُمِّ خَارِجَةَ.

هي عَمْرَة بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة ، كان يأتيها الخاطبُ ، فيقول : خِطْبٌ ، فتقول نِكْحٌ ، فيقول : انزلي ، فتقول : أَنِخْ ، ذكر أنها كانت تسير يوماً وابنٌ لها يقود جملَها فرفع لها شخص فقالت لابنها : مَنْ ترى ذلك الشخص؟ فقال :

أراه خاطباً ، فقالت : يابنيَّ تراه يعجلنا أن نحل؟ ماله؟ أُلَّ وغلَّ .

وكانت ذَوَّاقَةً تُطَلِّقُ الرجلَ إذا جربته وتتزوج آخر ، فتزوجت نيفا وأربعين زوجا وولدت عامة قبائل العرب ، تزوجت رجلا من إياد فخلَعها منه ابنُ أختها خلف بن دعج ، فخلف عليها بعد الإيادي بكر بن يَشْكُر بن عَدْوَان بن عمرو بن قَيْس عَيْلان فولدت له خارجة ، وبه كنيت ، وهو بطن ضخم من بطون العرب ، ثم تزوجها عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مُزَيْقيا ، فولدت له سعداً أبا المُصْطَلق والحيا ، وهما بَطْنان في خُزَاعة ، ثم خَلَف عليها بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة ، فولدت له لَيْثاً والدِّيلَ وعريجا ، ثم خَلَفَ عليها مالك بن ثعلبة بن دُودَان بن أسد ، فولدت له غَاضِرَةَ وعَمْراً ، ثم خلَفَ عليها جُشَمُ بن مالك بن كعب بن القَيْن بن جَسْر من قُضَاعة ، فولدت له عرنية بطناً ضخما ، ثم خلَفَ عليها عامر ابن عمرو بن الحيون البَهْرَاني من قُضَاعة فولدت له ستة : بَهْرَاء ، وثعلبة ، وهلالا ، وبيانا ، ولخوة ، والعنبر ، ثم خلَفَ عليها عمروبن تميم ، فولدت له أسيدا والهُجَيْم .

قال المبرد : أم خارجة قد ولَدَت في العرب في نيف وعشرين حيا من آباء متفرقين

قال حمزة : وكانت أم خارجة هذه ومارية بنت الجعيد العَبْدية وعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمية وفاطمة بنت الخُرْشُب الأنمارية والسوّاء العَنْزية ثم الهَزَّانية وسلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد أحد بني النجار وهي أم عبد المطلب بن هاشم ، إذا تزوجت الواحدةُ منهنَّ رجلا وأصبحت عنده كان أمرُها إليها ، إن شاءت أقامت ، وإن شاءت ذهبت .

ويكون علامة ارتضائها للزوج أن تعالج له طعاما إذا أصبح

شُغِلَ عَنِ الرَّامِي الكِنَانَةَ بالنَّبْلِ

أصله أن رجلا من بني فَزَارة ورجلا من بني أسد كانا متواخين ، وكانا راميين لا يسقط لهما سهم ، ومع الفزاري كنانة جديدة ، ومع الأسدي كنانة رَثَّةٌ ، فأعجبته كنانة الفزاري ، فقال الأسدي : أَينا ترى أرمي أنا أم أنت؟ قال الفزاري : أنا أرمى منك ، وأنا عَلَّمتك ، قال الأسدي : انْصِبْ لي كِنانتك وأنْصِبُ لك كِنانتي ، فقال له الفزاري : انْصِبْ لي كِنانتك ، فعلق الأَسدي كَنانَتَه على شجرة ، ورماها الفزاري فجعل لا يرمى بسهم إلا شكلها حتى قَطَّعها بسهامه فلما نَفِدَتْ سهامُه قال :

انْصِبْ لي كنانَتَكَ حتى أرميها ، فرمى فسدد السهم نحوه ، فشَكَّ كبدَ الفزاري ، فسقط الفزاري ميتاً ، فأخذ الأسدي قوسَه وكنانته ، قال الفرزدق :

فَقُلْتُ أظَنُّ ابنُ الخبيثَة أنني شُغِلتُ عن الرامِي الكنَانَةَ بالنَّبْلِ

يريد بهذا جريراً ، يقول : أراد جرير بهجائه البَعيثَ غيرَه وهو أنا ، أي أرادني ولم يرد البعيثَ ، كما أن الأسدي أراد رَمْيَ الفزازي ولم يرد رَمْيَ الكنانة .

قلت : ومعنى المثل شغل فلان عن الذي يرمي الكنانة بالنبل ، يعني أنه لم يعلم أن غَرَضَ الرامي أن يرميه لا أن يرمي كنانته .

يضرب لمن يغفل عما يراد به ويُكاد له

أَشْرَى الشَّرِّ صِغَارُهُ.

قالوا : إن صياداً قدم بنِحْيٍ من عسل ومعه كلب له ، فدخل على صاحب حانوت ، فعرض عليه العسل ليبيعَه منه ، فقطَر من العسل قطرة ، فوقع عليها زنبور ، وكان لصاحب الحانوت ابنُ عرس فوثَبَ ابنُ عرس على الزنبور ، فأخذه فوثَبَ كلبُ الصائد على ابن عرس فقتله . فوَثَبَ صاحبُ الحانوت على الكلب فضربه بعصاً ضربةً فقتله ، فوثب صاحبُ الكلب على صاحب الحانوت فقتله ، فاجتمع أهلُ قرية صاحب الحانوت فقتلوه ، فلما بلغ ذلك أهلَ قرية صاحب الكلب اجتمعوا فاقتتلوا هم وأهلُ قرية صاحب الحانوت حتى تفانوا ، فقيل هذا المثل في ذلك .

أَشْأَمُ مِنَ البَسُوسِ

هي بَسُوس بنت منقذ التميمية خالَةُ جَسَّاس بن مُرَّة[١] بن ذُهْل الشيباني قاتل كليب[٢] ، وكان من حديثه أنه كان للبسوس جارٌ من جَرْم يقال له سعد بن شمس ،

(١) جساس بن مرة الشيباني البكري ، شاعر شجاع من أمراء العرب في الجاهلية ، وهو الذي يسمى الحامي الجار المانع الذمار لقتله كليب بن ربيعة بسبب ناقة البسوس بنت المنقذ بن سلمان المنقذي خالة جساس ، وكان ذلك سبب نشوب الحرب بين تغلب وبكر .

(٢) كليب بن ربيعة التغلبي . حسب الكتب التاريخية وهو شقيق المهلهل عدي بن ربيعة التغلبي ، وأول من ملك قومه تغلب وبكر أبناء وائل وبعضا من قبائل ربيعة من العدنانيين ، وقد جعل للعرب العدنانية السيطرة على الجزيرة العربية بعد سنين طويلة من السيطرة القحطانية .

وكانت له ناقة يقال لها سَرَاب ، وكان كليب قَدْ حَمَى أرضاً من أرض العالية في أنف الربيع ، فلم يكن يرعاه أحدٌ إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما ، وذلك أن جليلة بنت مرة أختَ جَسَّاس كانت تحت كليب ، فخرجت سَرَابُ ناقةُ الجرمي في إبل جَسَّاس ترعى في حمى كليب ، ونظر إليها كليبٌ فأنكرها فرماها بسَهْم فاختلَّ ضَرْعها فولَّت حتى بركَتْ بفناء صاحبها وضَرْعُها يَشْخُب دماً ولبناً ، فلما نظر إليها صرخ بالذل ، فخرجت جارية البَسُوس ونظرت إلى الناقة فلما رأت ما بها ضَرَبَتْ يدها على رأسها ونادت : وَا ذُلاَّه ، ثم أنشأت تقول :

لعمــرك لو أصْبَحْتَ فــي دار مُنْقــذ   لما ضيــمَ سعدٌ وهو جارٌ لأبْيَاتــي
ولَكِنَّنــي أصْبَحْــتُ في دار غُرْبَــةً   مَتَى يَعْدُ فيها الذئبُ يَعْدُ على شَاتِي
فيــا سعدُ لا تُغْرَرْ بنفسكَ وَارْتَحــلْ   فإنَّك في قوم عن الجــار أمْــوَاتِ
ودُونَــكَ أذْوَادي فإنــيَ عنهــمُ   لَرَاحلــةٌ لا يُفْقدنــي بُنَيَّاتــي

فلما سمع جساس قولها سكنها وقال : أيَّتُهَا المرأة ليقتلَنَّ غداً جملٌ هو أعظم عَقْراً من ناقة جارك ، ولم يزل جساس يتوقَّع غِرَّةَ كليب حتى خَرَجَ كليبٌ لا يخاف شيئا ، وكان إذا خرج تباعَدَ عن الحي ، فبلغ جساسا خروجُه ، فخرج على فرسه وأخذ رمحه واتبعه عمرو بن الحارث فلم يدركه حتى طعن كليبا ودَقَّ صُلْبه ، ثم وقف عليه فقال : يا جساس اغثني بشَرْبَة ماء . فقال جساس : تركْتَ الماء وراءك ، وانصرف عنه ، ولحقه عمرو فقال : يا عمرو أغثني بشربة ، فنزل إليه فأجْهَزَ عليه ، فضرب به المثل فقيل :

المستجيــرُ بَعْمــرو عنــد كربيــه   كالمستجيــر مــن الرَّمْضَــاء بالنار

قال : وأقبل جساسٌ يركُضُ حتى هَجَم على قومه ، فنظر إليه أبوه وركبته بادية فقال لمن حوله : لقد أتاكم جساس بداهية ، قالوا : ومن أين تَعْرف ذلك؟ قال : لظهور ركبتيه فإني لا أعلم أنها بَدَتْ قبل يومها ، ثم قال : ما وراءك يا جساس؟ فقال : واللّه لقد طَعَنْتُ طعنةً لتجمعن منها عجائز وائل رقصا ، قال : وما هي ثكلتك أمك؟ قال : قتلت كليبا ، قال أبوه : بئس لعمر اللّه ما جَنَيْتَ هلى قومك ! فقال جساس :

تأهَّــبْ عنــكَ أهْبَــةَ ذي امتنــاع   فــإن الأمْــرَ جَــلَّ عن التَّلاَحِي
فإنــي قــد جَنَيْــتُ عليــك حَرْبــاً   تُغــصُّ الشيــخَ بالمــاءِ القَــرَاحِ

فأجابه أبوه

فإن تَــكُ قَــدْ جَنَيْــتَ علي حَرْبــاً   فَــــلاَ وَانٍ وَلا رَثُّ السِّــلاَحِ

سألبسُ ثَوْبَهَا وأذبّ عَنِّي ... بها يَوْمَ المَذَلَّةِ والفضاح

قال : ثم قَوَّضُوا الأبنية ، وجمعوا النَّعَم والخيول ، وأزمعوا للرحيل ، وكان همام بن مرة أخو جساس نديماً لمهلهل بن ربيعة أخي كليب ، فبعثوا جاريةً لهم إلى همام لتعلمه الخبر ، وأمروها أن تسره من مهلهل ، فأتتهما الجارية وهما على شَرَابهما ، فسارَّت هماما بالذي كان من الأمر ، فلما رأى ذلك مهلهل سأل هماما عما قالت الجارية ، وكان بينهما عهد أن لا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً ، فقال له : أخبرتني أن أخي قتل أخاك ، قال مهلهل : أخوك أضْيَقُ اسْتاً من ذلك ، وسكت همام ، وأقبلا على شَرَابهما ، فجعل مهلهل يشرب شُرْبَ الآمنِ ، وهمام يشرب شرب الخائف ، فلم تلبث الخمرُ مهلهلا أن صَرَعَتْه ، فانْسَلَّ همام فرأَى قومه وقد تحملوا فتحمل معهم ، وظهر أمرُ كليب ، فقال مهلهل لنسوته : ما دها كن؟ قلن : العظيم من الأمر ، قَتَلَ جساسٌ كليبا ، ونَشبَ الشر بين تغلب وبكر أربعين سنة كلها يَكون لتغلب على بكر ، وكان الحارث بن عُبَاد البكري قد اعْتَزَل القومَ ، فلما استحَرَّ القتلُ في بكر اجتمعوا إليه وقالوا : قد فَنِيَ قومُك ، فأرسَلَ إلى مهلهل بجيراً ابْنَه وقال : قل له أبو بُجَيْر يقرئك السلام ، ويقول لك : قد علمتَ أني اعتزلْتُ قومي ، لأنهم ظَلَموك وخَلَّيتك وإياهم وقد أدركت وِتْرَكَ فأنشدك اللّه في قومك ، فأتى بجيرٌ مهلهلاً وهو في قومه ، فأبلغه الرسالَةَ فقالَ : من أنت ياغلام؟ قال : بجير بن الحارث بن عُبَاد ، فقتله ، ثم قال : بُؤْبِشِسْع كليب ، فلما بلغ الحارثَ فعلُه قال : نعم القتيلُ بجير إن أصْلَح بين هذين الغارين قتلُه وسكنت الحرب به ، وكان الحارثُ من أحلم الناسِ في زمانه فقيل له : إن مهلهلا قال له حين قتله بُؤْبِشِسْع كليب فلما سمع هذا خرجَ مع بني بكر مقاتلا مهلهلا وبني تغلب ثائراً ببجير وأنشأ يقول :

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي ... إنّ بَيْعَ الكريم بالشِّسْع غَالِي

قَرِّبَا مَرْبِطَ النعامةَ مِنِّي ... لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حَيَالِ

لم أكن من جُنَاتِهَا عَلِمَ اللّـ ... ـهُ وإنِّي بِشَرِّهَا اليَوْمَ صَالِي

ويروى «بِحَرِّهَا» والنعامة : فرسُ الحارث ، وكان يقال للحارث : فارس النَّعَامة ، ثم جمع قومه والتقى وبنو تغلب على جبل يقال له قضة فهزمَهم وقتلهم ولم يقوموا لبكر بعدها .

أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النِّحْيَيْنِ.

هي امرأة من بني تَيْم اللّه بن ثعلبة ، كانت تبيع السمن في الجاهلية ، فأتاها خَوَّات بن جُبَير الأنصاري يبتاع منها سَمْنا ، فلم يَرَ عندها أحدا ، وساوَمَها فحَلَّت نِحْياً ، فنظر إليه ثم قال : أمسكيه حتى أنظر إلى غيره ، فقالت : حُلَّ نِحْياً آخر ، ففعل ، فنظر إليه فقال : أريد غير هذا فأمسكيه ، ففعلت ، فلما شَغَلَ يديها ساوَرَها فلم تقدر على دَفْعه حتى قضي ما أراد وهرب ، فقال :

وَذَاتِ عِيَالٍ وَاثقِينَ بعقْلِهَا ... خَلَجْتُ لهَا جَارَاسْتِها خَلَجَاتِ
شَغَلْتُ يَدَيْهَا إِذْا أَرَدْتُ خِلاَطَهَا ... بِنِحْيَيْنِ مِنْ سَمْنٍ ذَوَيْ عجَرَاتِ
فأخْرَجْتُه رَيَّانَ ينطف رَأسه ... مِنَ الرامِك المدموم بالمقرات
فكان لها الويلات من ترك سمنها ... ورَجْعَتها صِفْراً بغير بَتَاتِ
فَشَدَّتْ على النِّحْيَيْنِ كَفّاً شَحِيحَةً ... على سَمْنِهَا وَالْفَتْكُ من فَعَلاَتي

ثم أسلم خَوَّات رضي اللّه عنه ، وشهد بَدْراً ، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : يا خَوَّات كيف شِرَادُك؟ ويروى كيف شراؤك ، وتَبَسَّم صلوات اللّه عليه ، فقال : يا رسول اللّه قد رَزَقَ اللّه خيرا ، وعوذ باللّه من الحور بعد الكور ، وفي رواية حمزة فقال له النبي صلى اللّه عليه وسلم : ما فَعَلَ بعيرُك؟ أيشرد عليك؟ فقال : أما منذ أسلمت - أو منذ قَيَّده الإسلام - فلا ، ويَدَّعِى الأنصار أنه عليه السلام دعا بأن تسكن غُلْمته ، فسكنت بدعائه ، وهجا رجل بني تيم اللّه فقال :

أنَاسٌ رَبَّةُ النِّحْيَيْنِ منهم ... فَعُدُّوها إذا عُدَّ الصَّمِيمُ

وزعموا أن أم الورد العَجْلاَنية مَرَّتْ في سوق من أسواق العرب ، فإذا رجل يبيع السمن ، ففعلت به كما فَعَل خَوَّاتٌ بذات النحيين من شَغْل يديها ثم كشفت ثيابه وأقبلت تضربُ شقَّ استه بيديها ، وتقول : يا ثارات ذاتِ النِّحْيَيْنِ

أشْأمُ مِنْ خَوْتَعَة.

وهو أحد بني غُفَيلة بن قاسط بن هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمِيٍّ بن جَديلة .

ومن حديثه أنه دلَّ كُثَيْفَ بن عمرو التَّغْلَبي [وأصحابَه] على بني الزَّبَّان الذُّهْلي لتِرَة (الترة - بوزن عدة وصفة - الثأر ، وأصل تائها واو) كانت له عند عمرو بن الزَّبَّان ، وكان سبب ذلك أن مالك بن كومة الشيباني لقي كُثَيِّفَ بن عمرو في بعض حروبهم ، وكان مالك نحيفا قليل اللحم ، وكان كُثَيف ضَخْما ، فلما أراد مالك أسْرَ

كُثَيف اقتحم كثيف عن فرسه لينزل إليه مالك ، فأوْجَرَه مالك السِّنَانَ ، وقال : لتسأسِرَنَّ أو لأقتلنك ، فاحْتَقَّ فيه هو وعمرو بن الزَّبَّان ، وكلاهما أدركه ، فقالا : قد حكمنا كُثَيفا ، يا كثيف مَنْ أسَرَك؟ فقال : لولا مالك بن كومة كنت في أهلي ، فلطَمه عمرو بن الزَّبَّان ، فغضب مالك ، وقال : تَلْطم أسيري؟ إن فداءك يا كثيف مائة بعير ، وقد جعلتُهَا لك بلَطْمة عمرو وَجْهَك ، وجَزَّ ناصيته وأطلقه ، فلم يزل كُثَيف يطلب عمرا باللَّطْمة حتى دلَّ عليه رجل من غُفَيلة يقال له خَوْتَعة ، وقد بَدَّتْ لهم إبل ، فخرج عمرو وإخوته في طَلَبها فأدركوها فذبَحُوا حُوَارا فاشْتَوَوْهُ وجلسوا يَتَغَدَّون ، فأتاهم كُثَيف بضِعْف عددهم ، وأمرهم إذا جلسوا معهم على الغدَاء أن يكتنف كلَّ رجلٍ منهم رجلان ، فمروا بهم مجتازين ، فدُعُوا فأجابهم ، فجلسوا كما ائتمروا فلما حَسَرَ كُثَيف عن وجهه العمامةَ عرفه عمرو ، فقال : ياكثيف إن في خَدِّي وَفَاء من خدك ، وما في بكر بن وائل خد أكْرَمُ منه ، فلا تشبَّ الحربَ بيننا وبينك ، فقال : كلا بل أقتلك وأقتل إخْوَتَكَ ، قال : فإن كنت فاعلا فأطلق هؤلاء الفتية الذين لم يتلبسوا بالحروب ، فإن وراءهم طالباً أطْلَبَ مني ، يعني أباهم ، فقتلهم وجعل رؤوسهم في مِخْلاَة وعلَّقها في عنق ناقة لهم يقال لها الدُّهَيْم ، فجاءت الناقة والزبَّان جالسٌ أمام بيته حتى بركت ، فقال : يا جارية هذه ناقة عمرو ، وقد أبطأ هو وإخوتُه ، فقامت الجارية فجَسَّت المخلاة ، فقالت : قد أصاب بَنُوكَ بَيْضَ نعام ، فجاءت بها إليه ، وأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو أولَ ما أخرجت ، ثم رؤوسَ إخوته ، فَغَسلها ووضَعها على تُرْسٍ وقال : آخرُ البَزِّ على القَلُوص ، وقال أبو الندى : معناه هذا آخر عهدي بهم ، لا أراهم بعده ، فأرسلها مثلا ، وضرب الناس بحمل الدُّهَيْم المثلَ ، فقالوا : أثْقَلُ من حمل الدهيم ، فلما أصبح نادى : يا صَبَاحاه ، فأتاه قومه ، فقال : واللّه لأحَوِّلَنَّ بيتي ثم لا أردُّه إلى حاله الأول حتى أدرك ثاري ، وأطفى ناري فمكث بذلك حيناً لا يدري مَنْ أصاب ولده ومَنْ دَلَّ عليهم ، حتى خُبِّر بذلك ، فحلف لا يحرِّمُ دم غُفَلِيٍّ حتى يدلُّوه كما دلُّوا عليه ، فجعل يغزو بني غُفَيلة حتى أثْخَن فيهم ، فبينما هو جالس عند ناره إذ سمع رُغَاء بعير ، فإذا رجل قد نزل عنه حتى أتاه فقال : من أنت؟ فقال : رجل من بني غُفَيلة ، فقال : أنت وقد آن لك ، فأرسلها مثلا ، فقال : هذه خمسة وأربعون بيتاً من بني تَغْلب بالإقطانتين ، يعني موضعا بناحية الرقة ، فسار إليهم الزَّبَّان ومعه مالك بن كومة ، قال مالك : فَنَعِسْتُ على فرسي وكان ذريعا فتقدم بي ، فما شَعَرْتُ إلا وقد كرع في مقراة القوم ، فجذبته فمشى على عقبيه فسمعت

جارية تقول : ياأبت هل تمشي الخيل على أعقابها؟ فقال لها أبوها : وما ذاك يا بنية؟ قالت : رأيت الساعة فرسا كَرَعَ في المقراة ثم رجع على عقبيه ، فقال لها : ارْقُدي فإني أبغض الجاريةَ الكَلُوء العينِ ، فلما أصبحوا أتتهم الخيل دَوَاسَّ ، أي يتبع بعضُها بعضا فقتلوهم جميعا .

قوله «دَوَاسَّ» كذا أورده حمزة في كتابه ، والصواب «دوائس» يقال : داستهم الخيلُ بحَوَافرها ، وأتتهم الخيل دَوَائسَ ، أي يتبع بعضُها بعضا ، ووجدت في بعض النسخ يقال : دَسَّت الخيلُ تدسُّ دَسّاً إذا تبع بعضها بعضا ، وأنشد :

خَيْلاً تَدُسُّ إليهمُ عجلا ... وَبَنُو رَحَائِلهَا ذَوُو بَصَرِ

أي ذوو حزم

أَشْبَهُ بِهِ مِنَ التَّمْرَةِ بالتَّمْرَةِ.

في هذا حديث وذلك أن عُبَيد اللّه ابن زياد بن ظبيان أحَدَ بني تَيْم اللات بن ثَعْلبة دخل على عبد الملك بن مروان ، وكان أحدَ فُتَّاك العرب في الإسلام ، وهو الذي احْتَزَّ رأسَ مُصْعَب بن الزبير[1] ، فدخل به على عبد الملك بن مروان ، وألقاه بين يديه ، فسَجَد عبدُ الملك ، وكان عبيد اللّه هذا يقول بعد ذلك : ما رأيت أعْجَزَ مني أن لا أكون قتلتُ عبدَ الملك فأكونَ قد جمعتُ بين قتلي ملك العراق وملك الشام في يوم واحد ، وكان يجلس مع عبد الملك على سريره بعد قتله مُصْعَبَ بن الزبير ، فبَرِمَ به . فجعل له كرسياً يجلس عليه ، فدخل يوماً وسُوَيْدُ بن مَنْجُوف السَّدُوسي جالسٌ على السرير مع عبد الملك ، فجلس على الكرسي مُغْضَبا ، فقال له عبد الملك : يا عبيدَ اللّه بلَغني أنك لا تشبه أباك ، فقال : لأَنَا أشبه بأبي من التمرة بالتمرة ، والبيضة بالبيضة ، والماء بالماء ، ولكني أخبرك يا أمير المؤمنين عَمَّنْ لم تنضجه الأرحام ، ولا وُلِدَ لتَمَام ، ولا أشبه الأخوال والأعمام ، قال : ومن ذلك؟ قال : سُوَيْد بن مَنْجُوف ، فقال عبد الملك : سُوَيْدُ أكذلك أنت؟ فقال : إنه ليقال ذلك ، وإنما عَرَّضَ بعبد الملك لأنه وُلد لسبعة أشهر ، فلما خرجا قال له عبيد اللّه : واللّه يا ابن

(١) مصعب بن الزبير ابن العوام القرشي الأسدي أمير العراقين كان فارسا شجاعا جميلا وسيما حارب المختار وقتله وكان سفاكا للدماء سار لحربه عبد الملك بن مروان وأمه هي الرباب بنت أنيف الكلبية وكان يسمى من سخائه آنية النحل .

عمي ما يَسُرُّني بحلْمِكَ عليَّ حمر النعم ، فقال له سويد : وأنا واللّه ما يسرني بجَوَابك إياه سُودُ النَّعَم

أَشْبَقُ مِنْ حُبَّى.

هي امرأة مَدَنية ، كانت مِزْوَاجاً ، فتزوجت على كبر سنها فَتًى يقال له ابن أم كلاب ، فقام ابن لها كهل فمشى إلى مروان ابن الحكَم وهو والي المدينة ، وقال : إن أمي السفيهة على كبر سنها وسِنِّي تزوجت شاباً مُقْتَبَلَ السِّنِّ فصيرتني ونفسَهَا حديثاً ، فاستحضرها مروان وابنها ، فلم تكترث لقوله ، ولكنها التفتت إلى ابنها وقالت : يا برذعة الحمار ، أما رأيت ذلك الشاب المَقْدُود العَنَطْنَطَ ، فليشفيَنَّ غَليلَهَا ولتخرجَنَّ نفسُها دونه ، ولوددْتُ أنه ضَبٌّ وأني ضُبَيْبَتُه ، وقد وجدنا خَلاَء ، فانتشر هذا الكلام عنها ، فضُربت بها الأمثال ، فمن ضرب في الشعر المثل بها هُدْبَة بن الخَشْرَم العذري قال :

فَمَا وَجَدَتْ وَجْدي بها أمٌّ وَاحد ... وَلا وَجْدُ حُبَّى بابن أمِّ كلاَبِ
رَأَتْهُ طَوِيلَ الساعِدَيْنِ عَنَطْنَطَاً ... كَمَا انْبَعَثَتْ مِنْ قُوَّةٍ وَشَبَابِ

وكانت نساء المدينة تسمين حبى «حواء أم البشر» لأنها علمتهنَّ ضروبا من هيآت الجماع ، ولقبت كل هيئة منها بلقب ، منها القبع والغربلة والنَّخير والرَّهْز ، فذكر الهيثم ابن عدي أنه زَوَّجَتْ بنتاً لها من رجل ، ثم زارتها وقالت : كيف تَرَيْنَ زوجَك؟ قالت خير زوج ، أحسن الناس خُلُقا ، وخَلْقا ، وأوسعُهم رَحْلا وصَدْراً ، يملأ بيتي خَيراً وحِرى أيرا ، إلا أنه يكلفني أمراً صعباً ، قد ضِقْتُ به ذَرْعاً ، قالت : وما هو؟ قالت : يقول عند نزول شهوته وشهوتي انخري تحتي ، فقالت حُبَّى : وهل يطيب نيك بغير رهز ونخير؟ جاريتي حرة إن لم يكن أبوك قدم من سفر وأنا على سطح مُشْرِفة على مِرْبَد إبل الصدقة ، وكلُّ بعير هناك قد عُقل بعِقَالين ، فصرعني أبوك ورفع رجلي وطعنني طعنة نَخَرْتُ لها نخرة نفرت منها إبل الصدقة نفرة قطعت عُقُلَها وتفرقت فما أخذ منها بعيران في طريق ، فصار ذلك أول شيء نقم على عثمان ، وما له في ذلك ذنب ، الزوجُ طعَنَ ، والزوجة نخرت ، والإبل نَفَرت ، فما ذنبه؟

صَبْراً عَلَى مَجامِرِ الكِرَامِ.

قال قوم : راودَ يَسَار الكواعب[1] مولاتَه عن نفسها ، فنهته ، فلم ينته ، فقالت : إني مُبَخَّرَتُكَ ببخور ، فإن صَبَرْتَ عليه طاوعتُكَ ، ثم أتته بمِجْمَرَة فلما جعلتها تحته قبضت على مَذَاكيره فقطعتها وقالت : صَبْراً على مَجَامر الكرام .

يضرب لمن يؤمَرُ بالصبر على ما يكره تهكما .

وقال المفضل : بلغنا ان أعرابياً قدم الحَضَر بإبل ، فباعها بمال جَمٍّ وأقام لحوائج له ، ففطن قومٌ من جيرته لما معه من المال ، فعرضوا علَيه تزويجَ جارية وصَفُوها بالجمال والحَسَب والكمال طمعاً في ماله ، فرغب فيها ، فزوَّجُوه إياها ، ثم إنهم اتخذوا طعاما وجمعوا الحيَّ وأجلس الأعرابي في صَدْر المجلس ، فلما فرغوا من الطعام ، ودارت الكؤوسُ ، وشرب الأعرابي ، وطابت نفسُه ، أتَوْه بكسوة فاخرَة وطيب ، فألبس الخلعَ ووُضعت تحته مجمرة فيها بخور لا عهد له بذلك ، وكان لَا يَلْبَسُ السراويل ، فلما جلس عليها سَقَطَتْ مذاكيره في المجمرة ، فاستحيا أن يكشفَ ثوبه ، وظن أن تلك سُنة لا بدَّ منها ، فصبر على النار وهو يقول : صَبْراً على مجامر الكرام ، فذهبت مثلا ، وارتحل الأعرابي إلى البادية ، وترك امرأته وماله ، فلما قصَّ على قومه ما أرى قالوا : أُسْتٌ لم تعود المجمر ، فذهبت قولهم مثلا أيضاً .

يضرب لمن لم يكن له عهد قديم

صَارَتِ الْفِتْيَانُ حُمَمَاً.

هذا من قول الحمراء بنت ضَمْرة بن جابر وذلك أن بني تميم قتلوا سعد بن هند أخا عمرو بن عبد الملك ، فنَذَر عمرو ليقتلَنَّ بأخيه مائةً من بني تميم ، فجمع أهلَ مملكته فسار إليهم ، فبلغهم الخبر ، فتفرقوا في نواحي بلادهم ، فأتى دارهم فلم يجد إلا عجوزاً كبيرة وهي الحمراء بنت ضمرة ، فلما نظر إليها وإلى حُمْرَتها قال لها : إني لأحْسَبُك أعجمية ، فقالت لا ، والذي أسأله أن يخفض جَنَاحَك ويهدَّ عمادك ، ويَضَع وسادك ، ويَسْلبك بلادك ، ما أنا بأعجمية ، قال : فمن أنت؟ قال : أنا بنت ضمرة بن جابر ، ساد معدّاً كابرا عن كابر ، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة ، قال : فمن زوجك؟ قالت : هَوْذَة بن جَرْوَل ، قال : وأين هو الآن؟ أما تعرفين مكانه؟ قالت : هذه كلمة أحمق ، لو كنت أعلم مكانه حال بينك وبيني ، قال : وأي رجل هو؟ قالت :

(١) كان يسار الكواعب عبداً أسوداً لأناس من بني الحرث بن سعد بن قضاعة ، وكان راعياً في إبلهم .

هذه أحمق من الأولى ، أعَنْ هَوْذة يُسأل؟ هو واللّه طيب العرْق ، سمين العَرْق لا ينام ليلة يَخَاف ، ولا يشبع ليلة يُضَاف ، يأكل ما وجَدَ ، ولا يَسأل عما فَقَد ، فقال مرو : أما واللّه لولا أني أخاف أن تَلدي مثلَ أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتك ، فقالت : وأنت واللّه لا تقتل إلا نساءً أَعليها ثُديّ وأسافلها دُميّ ، واللّه ما أدركت ثأراً ، ولا مَحَوْت عاراً ، وما مَنْ فعلتَ هذه به بغافلٍ عنك ، ومع اليوم غد ، فأمر بإحراقها فلما نظرت إلى النار قالت : ألا فتى مكانَ عَجُوزٍ؟ فذهبت مثلاً ، ثم مكثت ساعة فلم يَفْدهَا أحدٌ فقالت : هيهات ! صارت الفتيانُ حُمَماً ، ولبث عمرو عامةَ يومه لا يقدر على أحد حتى إذا كان في آخر النهار أقبل راكبٌ يسمى عمارا تُوضع به راحلتُه حتى أناخ إليه ، فقال له عمرو : مَنْ أنت قال أنا رجل من الْبَرَاجم؟ قال : فما جاء بك إلينا؟ قال : سطع الدخان ، وكنت قد طَويتَ

منذ أيام فظننته طعاماً ، فقال عمرو : إن الشقيّ وافدُ البراجم ، فذهبت مثلا ، وأمر به فألقى في النار ، فقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غيره ، وإنما أحرق النساء والصبيان ، وفي ذلك يقول جرير :

وأخزاكُمُ عمرٌو كما قد خَزِيتُمُ   وأدرك عَمَّارا شقيَّ الْبَرَاجِمِ

ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام لما لقي هذا الرجل ، قال الشاعر :

إذا ما مَاتَ مَيْتٌ من تميم   فَسَرَّكَ أن يعيش فجيء بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر   أو الشيء الملَفَّف في البِجَاد
تراه ينقِّبُ الآفاقَ حَوْلاً   ليأكُلَ رأسَ لقمانَ بْنَ عَادَ

صُغْرَاهُنَّ شُرَّاهُنْ.

ويروى «صُغْرَاها شُرَّاها» ويروى «مُرَّاهَا» .

وأول من قال ذلك امرأة كانت في زمن لقمان بن عاد ، وكان لها زوج يقال له الشَّجِي ، وخليل يقال له الخَلِيُّ ، فنزل لقمان بهم ، فرأى هذه المرأة ذات يوم انْتَبَذَتْ من بيوت الحي ، فارتاب لقمان بأمرها ، فتبعها ، فرأى رجلا عَرَضَ لها ومَضَيَا جميعا وقَضَيَا حاجتهما ، ثم إن المرأة قالت للرجل : إني أتَمَاوَتُ فإذا أسندوني في رَجَمي فأْتني ليلا فأخْرجيني ثم اذهب إلى مكان لا يعرفنا أهلُه ، فلما سمع لقمان ذلك قال : ويل للشَّجِيِّ من الخلي ، فأرسلها مثلا ، ثم رجعت المرأة إلى مكانها وفعلت ما قالت ، فأخرجها الرجل وانطلق بها أياماً إلى مكان آخر ، ثم تحولت إلى الحي بعد

بُرْهة ، فبينا هي ذاتَ يوم قاعدةُ مرت بها بناتها ، فنظرت إليها الكبرى فقالت : أمي والله ، قالت الوُسْطَى : صدقتِ والله ، قالت المرأة : كذبتما ما أنا لكما بأم ، ولا لأبيكما بامرأة ، فقالت لهما الصغرى : أما تعرفان محياها ، وتعلقت بها وصرخَتْ ، فقالت الأم حين رأت ذلك : صغراهن شراهن ، فذهبت مثلا ، ثم إن الناس اجتموا فعرفوها فرفعوا القصة إلى لقمان بن عاد ، وقالوا له : اقض بيننا ، فلما نظر لقمان إلى المرأة عرفها فقال : عند جُهَيْنَةَ الخبرُ اليقين ، يعني نفسه وما عاين منها ، فأخبر لقمان الزوجَ بما عرف ، وأقبل على المرأة فقصَّ عليها قصتها كيف صنعت ، وكيف قالت لصديقتها ، فلما أتاها بما لا تنكر قالت : ما كان هذا في حسابي ، فأرسلتها مثلا ، فقيل للقمان : احكم فيها ، فقال : ارجُمُوهَا كما رَجَمَتْ نفسها في حياتها ، فرجمت ، فقال الشجي : احكم بيني وبين الخلي ، فقد فرق بيني وبين أهلي ، فقال : يفرق بين ذكره وأنثييه كما فرق بينك وبين أنثاك فأخذ الخلي فجُبَّ ذكره

صَوْتُ امْرِيءٍ وَاسْتُ ضَبُعٍ.

وذلك أن رجلا من بني عَقيل كان أسيراً في عَنَزَة اليمن ، فيقي أربَعَ حِجَج ، فعلق النساء يُرْسِلْنه فيَحْطبُهُنَّ ويَسْقيهن من الماء ، فإذا أقبل نظرن إلى صدره وإذا ما نهض تضاعف ، فقلن يا أبا كليب ، أمَّا حينَ تقوم فصدرة أم أسد ، وأما إذا أدبرت فرجلا أم ضبع ، وأنه كره أن يهرب نهاراً فتأخذه الخيل ، فأرسلنه عشية مع الليل ، فمر من تحت الليل ، فأصبح وقد استحرز

يضرب للداهي الذي يُخَادع القومَ

أَصْبِحْ لَيْلُ.

ذكر المفضل بن محمد بن يعلى الضبي أن امرأ القَيْس بن حُجْر الكِنْديَّ[1] كان رجلا مفرَّكاً لا تحبه النساء ، ولا تكاد امرأة تصبر معه ، فتزوج امرأة من طَيِّء فابتنى بها ، فأبغضته من تحت ليلتها ، وكرهت مكانها معه ، فجعلت تقول : يا خَيْرَ الفِتْيَانِ

(١) امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث ال ندي (٥٢٠ م - ٥٦٥ م) كان شاعرا عربيا جاهليا عالي الطبقة من قبيلة كندة ، يُعد رأس شعراء العرب وأعظم شعراء العصر الجاهلي يُعرف في كتب التراث العربية باسم «الملك الضليل» و«ذي القروح» .

أصْبَحْتَ أصبحت ، فيرفع رأسه فينظر فإذا الليل كما هو ، فتقول : أصْبَحْ لَيْلُ ، فلما أصبح قال لها : قد علمتُ ما صنعت الليلَةَ ، وقد عرفتُ أن ما صنعت كان من كراهية مكاني في نفسك ، فما الذي كرهت مني؟ فقالت : ما كرهتُك ، فلم يَزَلْ بها حتى قالت : كرهت منك أنك خفيف العَزَلة ثقيل الصدر ، سريع الإراقة ، بطيء الإفاقة ، فلما سمع ذلك منها طَلَّقها ، وذهب قولها «أَصْبِحْ ليل» مثلا ، قال الأعشى :

وحتى يبيت القوم كالضَّيْفِ لَيْلة ... يَقُولُونَ أَصْبِحْ لَيْلُ والليلُ عَاتِمُ

وإنما يقال ذلك في الليلة الشديدة التي يَطُول فيها الشر ، ومعنى بيت الأعشى حتى يبيت القوم غيرَ مطمئنين

صَرَّ عَلَيْهِ الغَزْوُ اسْتَهُ.

يضرب لمن ضَيَّقَ تصرفُه عليه أمره

قال المؤرج : دخل رجل على سليمان ابن عبد الملك ، وكان سليمان أولَ مَنْ أخذ الجار بالجار ، وعلى رأس سليمان وَصِيفة رُوقَة .

فنظر إليها الرجل ، فقال له سليمان : أَتُعْجِبُكَ؟ فقال : بارك اللّه لأمير المؤمنين فيها ، فقال : أخبرني بسبعة أمثال قيلت في الاست وهي لك ، فقال الرجل : اسْتُ البائِن أعْلَم ، قال سليمان : واحد ، قال : صَرَّ عليه الغَزْوُ اسْتَه ، قال سليمان : اثنان ، قال : اسْتٌ لم تُعَوَّد المِجْمَرَ ، قال سليمان : ثلاثة ، قال : اسْتُ المَسْؤُل أضْيَقُ ، قال سليمان : أربعة ، قال : الحرُّ يُعْطِي والعبدُ يألم اسْتُه ، قال سليمان : خمسة ، قال الرجل : اسْتِي أخْبَثِي ، قال سليمان : ستة ، قال : لا مَاءَك أَبْقَيْتَ ولا حِرَكَ أنْقَيْتَ ، قال سليمان : ليس هذا في هذا ، قال : بلى أخَذْتُ الجارَ بالجار كما يأخذ أميرُ المؤمنين ، قال : خُذْهَا لا بارَكَ اللّه لَكَ فيها .

صَكّا وَدِرْهَمَاكَ لَك

قال المفضل : إن امرأة بَغِيّاً كانت تؤاجر نفسَها من الرجال بدرهمين لكل من طَلَبها ، فاستأجرها يوما رجل بدرهمين ، فلما جامعها أعجبها جِمَاعُه وقوته وشدة رَهْزه فجعلت تقول «صكا» أي صُكَّ صكا «ودرهماك لك» فذهبت مثلا .

وروى ابن شميل «غَمْزاً ودرهماك لك ، فإن لم تغمز فبُعْدٌ لَكَ» رفعت البعد .

قال : يضرب مثلاً للرجل تراه يعمل العمل الشديد .

وَأَصْبَرُ مِنْ ذِي ضَاغِطٍ مُعَرَّك.

قال محمد بن حبيب : كان من حديث هذين المثلين أن كلباً أوقَعَتْ ببني فزارة يوم . العاه قبل اجتماع الناس على عبد الملك بن مروان ، فبلغ ذلك عبدَ العزيز بن مروان ، فأظهر الشماتة ، وكانت أمه كليبة ، وهي ليلى بنت الأصبع بن زبان . وأم بشر بن مروان قطبة بنت بشر بن عامر بن مالك بن جعفر ، فقال عبد العزيز لبشر أخيه : أما علمت ما فَعَلَ أخوالي بأخوالك؟ قال بشر : وما فعلوا؟ فأخبره الخبر ، فقال : أخوالُكَ أضْيَقُ أسْتَاهاً من ذلك ، فجاء وَفْدُ بني فَزَارة إلى عبد الملك يخبرونه بما صُنِعَ بهم ، وأن حُرَيْث بن بَجْدل الكلبي أتاهم بعهدٍ من عبد الملك أنه مصدق ، فسمعوا له وأطاعوا ، فاغْتَرَّهم فقتل منهم نَيِّفًا وخمسين رجلا ، فأعطاهم عبدُ الملك نصف الحَمَالات ، وضَمِنَ لهم النصف الباقي في العام المقبل ، فخرجوا ودَسَّ إليهم بشر ابن مروان مالا فاشْتَرَوُا السلاح والكُرَاع ، ثم اغْتَرُّوا كلبا ببني فزارة فَلَقُوهم ببنات قين ، فتعدَّوْا عليهم في القتل ، فخرج بشر حتى أتى عبدَ الملك وعندهُ عبدُ العزيز بن مروان فقال : أما بلغك ما فعل أخوالي بأخوالك؟ فأخبره الخبر ، فغضب عبدُ الملك لإخفارهم ذمتَهُ وأخْذهم مالَه ، وكتب إلى الحجاج يأمره إذا فَرَغَ من أمر ابن الزُّبير أن يُوقع ببني فَزَارة إن امتنعوا ، ويأخُذَ مَنْ أصاب منهم ، فلما فرغ الحجاجُ من أمر ابن الزبير نَزَلَ ببنب فزارة ، فأتاهم حَلْحَلَةُ ابن قيس بن أشْيَمَ وسعيد بن أبان بن عُيَينة ابن حِصْن بن حُذَيفة بن بدر ، وكانا رئيسي القوم ، فأخبرا الحجاج أنهما صاحبا الأمر ، ولا ذنْبَ لغيرهما ، فأوثقهما وبَعَثَ بهما إلى عبد الملك ، فلما أدْخلاَ عليه قال : الحمدُ لله الذي أقاد منكما ، قال حلحلة : أما واللّه ما أقادمني ، ولقد نَقَضْتُ وِتْرَي ، وشَفَيْتُ صَدْرِي ، وبردت وَحْرِي ، قال عبد الملك : مَنْ كان له عند هذين وِتر يَطلبه فليقم إليهما ، فقام سفيان بن سُوَيْد الكلبي – وكان أبوه فيمنقتل يوم بنات قين – فقال : يا حلحلة هل حست لي سُوَيدا ، قال : عهدي به يوم بنات قن وقد انقطع خُرْؤه في بطنه ، قال : أما واللّه لأقتلنك ، قال : كذبت واللّه ما أنت تَقْتُلني وإنما يقتلني ابنُ الزرقاء ، والزرْقَاء إحدى أمهات مَرْوَان بن الحكم ، وكانت لها راية ، وكانوا يُسَبُّون بالزرقاء ، فقال بشر : صَبْراً حَلْحَلُ ، فقال : إي واللّه .

أصْبَرُ مِن عَوْدٍ بجنبه جُلَبْ قد أثَّرَ البطَانُ فيه وَالحقَبْ

ثم التفت إلى ابن سُوَيد فقال : يا ابن استها أجد الضربَةَ فقد وقعت مني بأبيك ضربةٌ أسْلَحَتْهُ ، فضرب عنقَه ، ثم قيل لسعيد نحو ما قيل لحلحلة ، فردَّ مثلَ جواب

حلحلة ، فقام إليه رجل من بني عليم ليقتله فقال له بشر : اصْبِرْ ، فقال :

أصْبَرُ مِنْ ذِي ضَاغِطٍ مُعَرَّكٍ ... أَلْقَى بَوَانِي زَوْرِهِ لِلْمَبْرَكِ

ويروى «من ذي ضاغطٍ عَرَكْرَكٍ» وهو البعير الغليظ القويُّ ، والضاغط : الْوَرَمُ في إبط البعير ، شِبْهُ الكيس ، يضغطه ، أي يضيقه ، ويقال «فلان جيد البَوَانِي» إذا كان جيدَ القوائم والأكتاف .

أَصَبُّ مِنَ المُتَمَنِّيَةِ

هذا مثل من أمثال أهل المدينة سار في صدر الإسلام ، والمتمنية : امرأة مَدَنية عَشقت فتىً من بني سُلَيم يقال له : نَصْر بن حَجَّاج ، وكان أحْسَنَ أهل زمانه صُورة ، فَضَنِيَتْ من حبه ، ودَنِفَتْ من الوَجْد به ، ثم لَهِجَتْ بذكره ، حتى صار ذكره هِجِّيرَاهَا ، فمرَّ عُمَر بن الخطاب رضي اللّه عنه ذات ليلة بباب دارها ، فسمعها تقول رافعةً عَقيرَتهَا :

ألا سَبِيلَ إلى خَمْرٍ فأشْرَبَهَا ... أم لاَ سَبِيلَ إلى نَصْر بن حَجَّاجِ

فقال عمر رضي اللّه عنه : مَنْ هذه المتمنية؟ فعرف خَبَرَها ، فلما أصبح استحضر الفتى المتمنَّى ، فلما رآه بَهَرَه جمالُه ، فقال له : أأنت الذي تتمناكَ الغانياتُ في خدورهن؟ لا أمَّ لك ! أما واللّه لأزيلَنَّ عنك رداء الجمال ، ثم دعا بحجَّام فحَلَقَ جُمَّته ، ثم تأمَّله فقال له : أنت مَحْلُوقاً أَحْسَنُ ، فقال : وأيُّ ذنب لي في ذلك؟ فقال : صدقت ، الذنْبُ لي أَنْ تركتُكَ في دار الهجرة ، ثم أركَبَهُ جملاً وسَيَّره إلى البَصْرة ، وكتب إلى مُجَاشع ابن مسعود السُّلَمي : إني قد سَيَّرْتُ المتمنَّي نصرَ بن حجَّاج السُّلمي إلى البصرة ، فاسْتَلَبَ نساءُ المدينة لفظةَ عمر ، فضربْنَ بها المثل ، وقلن «أصَبُّ من المتمنية» فسارت مثلاً .

قال حمزة : وزْعم النسابون أن المتمنية كانت الفريعة بنت هَمَّام أم الحجاج بن يوسف ، وكانت حين عَشقَتْ نصراً تحت المُغيرة بن شُعْبة ، واحتجوا في ذلك بحديث رَوَوْه ، زعموا أن الحجاج حضَرَ مجلس عبد الملك يوماً وعُرْوَة بن الزبير عنده يحدثه ويقول : قال أبو بكر كذا ، وسمعت أبا بكر يقول كذا ، يعني أخاه عَبْدَ اللّه بن الزبير ، فقال له الحجاج : أعند أمير المؤمنين تَكْنَي أخاك المنافق؟ لا أم لك ! فقال له عروة : يا ابن المتمنية ألي تقول هذا؟ لا أم لك وأنا ابن عجائز الجَنَّة صفِيَّة وخَدِيجة وأسماء وعائشة رضي اللّه عنهن .

وكما قالوا بالمدينة «أصب من المتمنية» قالوا بالبصرة «أدْنَفُ من المتمنَّى» وذلك أن نصر بن حجاج لما وردَ البصرةَ أخذ الناسُ يسألون عنه ، ويقولون : أين هذا المتمني الذي سَيَّرهُ عمر رضي اللّه عنه؟ فغلب هذا الاسم عليه بالبصرة كما غلب ذلك الاسم على عشيقته بالمدينة .

ومن حديث هذا المثل أن نصراً لما ورد البصرة أنزله مُجَاشع بن مسعود السُّلَمي منزلَه من أجل قَرَابته ، وأَخْدَمَه امرأته شُمَيْلة ، وكانت أجملَ امرأة بالبصرة ، فعلقته وعَلِقها ، وخفي على كل واحد منهما خبرُ الآخر ، لملازمة مُجَاشع لضَيْفه ، وكان مجاشع أمياً ونَصْر وشُمَيلة كاتبين ، فَعيلَ صبرُ نصر ، فكتب على الأرض بحضرة مجاشع : إني قد أحببتك حباً لو كان فَوْقَك لأظَلَّك ، ولو كان تحتك لأقَلَّك ، فوقَّعَتْ تحته غير محتشمة : وأنا ، فقال لها مجاشع : ما الذيَ كَتَبه؟ فقالت : كتب كَم تَحْلب ناقتكم؟ فقال : وما الذي كتبت تحته؟ فقالت : كتبت وأنا ، فقال مجاشع : كم تَحْلب ناقتكم ، وأنا ، ما هذا لهذا بطبق ، فقالت : أصدقك إنه كتب كم تغلُّ أرضكم؟ فقال مجاشع : كم تغل أرضكم ، وأنا ، ما بين كلامه وجوابك قرابة ، ثم كَفَأ على الكتابة جَفْنة ودعا بغلام من الكُتَّاب ، فقرأ عليه ، فالتفت إلى نَصْر فقال له : يا ابن عم ما سَيَّرَكَ عمر من خير فقم ، فإنَّ وراءك أوسعَ ، فنهض مستحيياً ، وعَدَلَ إلى منزل بعض السَّلَمين ، ووقع لجنبه ، فضَنِيَ من حب شُمَيْلة ، ودَنِفَ حتى صار رَحْمَة ، وانتشر خبره ، فضرب نساء البصرة به المثل ، فقلن «أَدْنَفُ من المتمنَّى» ثم إن مجاشعاً وقف على خبر علة نصر بن حجاج ، فدخل عليه فلحقته رقَّة ، لما رأى به من الدنف ، فرجع إلى بيته وقال لشُمَيْلة : عَزَمْتُ عليكِ لما أخذت خُبْزَة فَلَبَكْتِهَا بسمن ثم بادرتِ بها إلى نصر ، فبادت بها إليه ، فلم يكن به نهوض ، فضمته إلى صَدْرها ، وجعلت تلقمه بيدها ، فعادت قُوَاه وبرأ كأنْ لم يكن به قَلَبة

فقال بعض عُوَّاده : قاتل اللّه الأعشى فكأنه شَهِدَ منهما النجوى حيث قال :

لو أَسْنَدَتْ مَيْتاً إلى صَدْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إلى قَابِرِ

فلما فارقته عاود النُّكْس ، فلم يزل يتردد في علته حتى مات فيها .

أضْبَطُ منْ عائشةَ بْنِ عَثْم.

من بني عَبْشَمْس بن سعد ، وكان من حديثه أنه سَقَى إبله يوماً وقد أنزل أخاه في الركيَّةِ يَميحُه ، وازدحمت الإبل فهَوَتْ بَكْرة منها في البئر ، فأخذ بذَنَبها ، وصاح به

أخـوه : يا أخـي الموت ، قـال : ذاك إلى ذَنَب البَكْرَة ، يريد إذا انقطع ذَنَبُـهـا وقـعـت ، ثم اجتذبها فأخرجها ، فضرب به المثل في قوة الضَّبْطِ ، فقيل «أضْبَطُ من عائشة بن عثم» .

أَضَلُّ مِنْ قَارِظِ عَنَزَةَ.

هو يذكر بن عنزة ، واقتصَّ ابنُ الأعرابي حديثه فذكر أن بسببه كان خروج قُضَاعة من مكة ، وذلك أن جـزيمة بن مـالك بن نَهْـد هَوْيَ فـاطمـة بنت يذكـر بن عنزة ، فطرد عنها ، فخرج ذاتَ يوم هو وأبوها يذكر يطلبان القَرَظَ ، فمرا بقليب فيه مُعَسَّلُ النَّحْلِ ، فتـقارَعَا للنزول فيه ، فوقعت القرعة على يذكر ، فنزل واجْتَنَى العسَلَ حتى رفع منه حاجته ، ثم قال : أخْرِجْنِي ، فقال جزيمة كلا أخرجك أو تُزَوِّجَنِي فاطمة ، فقال : أما وأنا على هذه الحالة فلا ، ولكن أخرجني ثم اخطبها فإني أزوجكها ، فأبى وتركه ومضى ، فلما انصرف إلى الحي سألوه عنه فقال : أخذ طريقاً وأخذت أخرى ، فلم يقبلوا منه ، ثم سمعوه يترنم بهذا الشعر :

فَتَـــاةٌ كـــأنَّ فُتَـاتَ الْعَبِير ... بفيهَـــا يُعَـــلُّ به الزَّنْجَبِيلْ
قَتَلْتُ أبَاهَـــا عَلَـــى حُبِّهَـــا ... فَيَمنَعُنـي نَيْلَهَـــا أوْ تُنيـــلْ

فاتهموه وأرادوا قتله ، فمنعه قومُه ، فاحتربت بكر وقُضَاعة بسببه ، فكان أول سبب لتفرقهم عن تهامة ، فلما أخذوا يتفرقون قيل لجزيمة : إن فاطمة قد ذُهِبَ بها فلا سبيل إليها ، فقال : أما ما دامت حية فإني أطمع فيها ، وقال في ذلك :

إذَا الجَـــوزَاءُ أرْدَفَـــــت الثريَّـــــا ... ظَنَنْـــــتُ بآلِ فَاطمَـــةَ الظُّنُونَـــا
وَأعـــرضُ دُونَ ذَلِـــكَ مِنْ هُمُومِي ... هُمُـــــوم تُخْـرِجُ الـــدَّاءَ الدَّفِيـــنَا

قـال أبو الندى : أي إذا كـان الصـيفُ ورجع الناسُ إلى المياه ظننت بهـا على أيّ المياه هي .

أَطْمَعُ مِنْ أَشْعَبَ.

هو رجل من أهل المدينة يقـال له «أشْـعَبُ الطَّمَّاع» وهو أشْعَبُ بن جُبَيـر مـولَى عبدِ الله بن الزبير[1] ، وكتنه أبو العـلاء ، سأل أبو السـمراء أبا عبـيـدة عن طَمَعه ،

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، صحابي جليل وابن الصحابي الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وكنيته أبو بكر وأبو خبيب .

فقال : اجتمع عليه يوماً غِلْمان من غِلْمان المدينة يُعَابثونه ، وكان مَزَّاحاً ظريفاً مغنياً ، فآذاه الغِلْمة ، فقال لهم : إن في دار بني فلان عُرْساً ، فانْطَلِقُوا إلي ثَمَّ فهوا أنْفَعُ لكم ، فانْطَلَقُوا وتركوه ، فلما مَضَوْا قال : لعل الذي قلتُ من ذلك حَقٌّ ، فمضى في أثرهم نحو الموضع ، فلم يجد شيئاً ، وظفر به الغلمانُ هناك فآذَوْه .

وكان أشعب صاحبَ نوادر وإسناد ، وكان إذا قيل له حدثنا ، يقول : حدثنا سالم بن عبد الله - وكان يبغضني في الله - فيقال له : دَعْ ذا ، فيقول : ما عَنِ الحقِّ مَدْفَع ، ويروى : ليس للحق مَتْرَك ، وكانت عائشة بنت عثمان كَفَلَته وكفلت معه ابن أبي الزناد فكان يقول أشعب : تربيت أنا وابن أبي الزناد في مكان واحد ، فكنْتُ أسْفُلُ ويعلو ، حتى بلغنا إلى ما ترون .

وقيل لعائشة : هل آنَسْتِ من أشْعَبَ رُشْداً؟ فقالت : قد أسلمتُه منذ سَنَة في البز فسألته بالأمس : أين بلغت في الصناعة؟ فقال : يا أُمَّه قد تعلمْتُ نصفَ العمل ، وبقي على نصفه ، فقلت : كيف؟ فقال : تعلمت النَّشْرَ في سنة ، وبقي على تعلم الطيِّ ، وسَمِعْتُهُ اليومَ يخاطب رجلا وقد ساوَمَه قوس بندق ، فقال : بدينار ، فقال : والله لو كنت إذا رميت عنها طائراً وقع مَشْوِياً بين رغيفين ما اشتريتها بدينار ، فأيَّ رشد يؤنس منه؟ .

قال مصعب بن الزبير خرج سالم بن عبد الله بن عمر[(١)] إلى ناحية من نواحي المدينة هو وحُرَمُه وجَوَاريه ، وبلغ أشعبَ الخبرُ ، فوافى الموضع الذي هم به ، يريد التطفل ، فصادف البابَ مُغْلقاً فتسوَّرَ الحائط ، فقال له سالم : وَيْلَكَ يا أشعب من بناتي وحُرَمي؟ فقال : لقد علمْتَ ما لنا في بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد ، فوجَّهَ إليه من الطعام ما أَكلَ وحَمَلَ إلى منزله .

وقال أشعب : وَهِبَ لي غلامٌ ، فجئت إلى أمي بحمار موقور من كل شيء والغلام ، فقالت أمي : ما هذا الغلام؟ فأشفقت عليها من أن أقول : وهب لي ، فتموت فرحا ، فقلت : وهب لي غين ، فقالت : وما غين؟ قلت : لام ، قالت : وما لام؟ قلت : ألف ، قلت : وما ألف؟ قلت : ميم ، قالت : وما ميم؟ قلت : وهب لي غلام ، فغشى عليها فَرَحاً ، ولو لم أقطع الحروف لماتت .

---

(١) هو سالم بن عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، الإمام الزاهد ، الحافظ ، مفتي المدينة ، أبو عمر ، وأبو عبد الله ، ولد في خلافة عثمان .

وقال له سالم بن عبد الله : ما بلغ من طَمَعِك؟ قال : ما نظرتُ قَطُّ إلى اثنين في جنازة يتساران إلا قَدَّرْتُ أن الميتَ قد أوصى ليَ من ماله بشيء ، وما أدخل أَحَدٌ يده في كمه إلا أظنه يعطيني شيئاً .

وقال له ابن أبي الزناد : مابلغ من طمعك؟ فقال : ما زُفَّتْ بالمدينة امرأة إلا كَسَحْتُ بيتي رجاء أن يغلط بها إلي .

وبلغ من طمعه أنه مَرَّ برجل يعمل طَبَقاً فقال : أحبُّ أن تزيدَ فيه طوقا ، قال : ولم؟ قال : عسى أن يُهْدَي إلى فيه شيء .

ومن طمعه أنه مر برجل يمضغ علكا ، فتبعه أكثر ن ميل حتى علم أنه علك .

وقيل له : هل رأيتَ أطمَعَ منك؟ قال : نعم ، خرجت إلى الشام مع رفيق لي ، فنزلنا عند دَيْر فيه راهب ، فتلاحَيْنَا في أمر ، فقلت : الكاذب منا كذا من الراهب في كذا منه ، فنزل الراهبُ وقد أنعظ ، وقال : أيكما الكاذب؟ ثم قال أشعب : ودَعُوا هذا ، امرأتي أَطْمَعُ مني ومن الراهب ، قيل له : وكيف؟ قال : إنها قالت لي كما يخطر على قلبك من الطمع شيء يكون بين الشك واليقين إلا و]أنا [أتيقنه

أظُنُّ ماءَكُمْ هَذَا ماءَ عِنَاقٍ.

قالوا : كان من حديثه أن رجلا بينا هو يَسْتَقي وبيتُه تِلْقَاء وجهه ، فنظر فإذا هو برجل مُعَانق امرأته يُقَبلها ، فأخذ العَصَا وأقبل مُسْرعاً لا يَشكُّ فيما رأى ، فلما رأته امرأتُه جعلت الرجلَ في خالفه البيت بين الخالفة والمتاع ، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً ، وخرج فنظر في الأرض فلم ير شيئاً ، فكذب بصره ، فقالت المرأة كأنها تريه أنها قد استنكرت من أمره شيئاً ما دهاك يا أبا فلان؟ أرعبك شيء؟ فكتَمَها الذي رأى ، ومضى لحاجته ، فلما كان في الورْد الثاني قالت : ياأبا فلان ، هل لك أن أكفيك السَّقْيُ وتودع اليوم فإني قد أشفقتُ عليك؟ قال : نعم إن شئتِ ، فأقام في المنزل ، فانطلقت تسقي وتحيَّنَتْ منه غفلة فأخذت العَصَا ثم أقبلت حتى تفلقَ بها رأسَه فشجَّتْه ، فقال : ويلك ! مالك؟ وما دهاك؟ قالت : وما دهاني يا فاسق؟ أين المرأة التي رأيتُهَا معك تعانقها؟ فقال : لا ، والله ما كانت عندي امرأة ، وما عانَقْتُ اليومَ امرأة ، قالت : بلى أنا نظرت إليها بعيني وأنا على الماء ، فتحالَفَا فلما أكثرت قال : إن تكوني صادقة فإن ماءكم هذا ماء عناق .

يضرب مثلا في الدواهي ، قاله أبو عمرو وروى غيره : عَنَاق بفتح العين ، وقال :

العَنَاق والعَنَاقة الخيبةُ ، وأنشد :

سَـــرَى لَـــكَ بالْعَنَاقَـــة مِنْ سُعَـــاد   خَيَـــالٌ فَاجْتَنَـــي ثَمَـــرَ الْفُـــؤَادِ

وهما مستعار للخيبة والأمر لقيت منه أُذنَىْ عَنَاق ، لأنهما مسودَّانِ ولا يفارقهما السواد .

عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى

قال المفضل : إن أول مَنْ قال ذلك خالد بن الوليد لما بَعَثَ إليه أبو بكر رضي الله عنهما وهو باليمامة : أن سِرْ إلى العراق ، فأرادَ سُلوكَ المَفازة ، فقال له رافع الطائي : قد سلكتها في الجاهلية ، وهي خمسٌ للإبل الواردة ، ولا أظنك تقدرُ عليها إلا أن تحمل من الماء ، ثم سَقَاها الماء حتى رَويت ، ثم كتبَها وكَعَم أفواها ، ثم سلك المَفَازة حتى إذا مضى يومان وخاف العطَشَ على الناس والخيل ، وخشى أن يذهب ما في بطونه الإبل نحَرَ الإبلَ واستخرج ما في بطونها من الماء ، ومضى ، فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع : «انْظُرُوا هل تَرَوْنَ سِدْرا» عظاماً؟ فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك ، فنظر الناسُ فرأوا السِّدْر ، فأخبروه ، فكبَّر ، وكَبَّر الناس ، ثم هجموا على الماء ، فقال خالد :

لِلّـــــه دَرُّ رَافِـــــع أَنَّـــــي اهْتَـدَى   فَـــوَّزَ مِـــن قُرَاقِـــر إلـــى سُـــوَى

خمْســـاً إذا ســـار بـــه الجيشُ بَكَى   مـــا سَارَهَـــا من قبله إنْسٌ يُرَى

عِنْدَ الصَّبَـــاح يَحْمَدُ القَوْمُ السُّـــرَى   وَتَنْجلِـــي عَنهُمُ غَيَابَاتُ الْكَـــرَى

يضرب للرجلَ يحتمل الشَّقةَ رَجَاءَ الراحة

عِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِينُ

قال هشام بن الكلبي : كان من حديثه أن حُصَيْن بن عَمْرو بن مُعَاوية بن كلاب ، خرج ومعه رجل من جُهَينة يقال له : الأخْنَس بن كعب ، وكان الأخنس قد أَحدثَ في قومه حَدَثاً ، فخرج هارباً ، فلقيه الحُصَيْنُ فقال له : مَن أنت ثكلتك أمك؟ فقال له الأخنس : بل مَن أنت ثكلتك أمك ، فردد هذا القول حتى قال الأخنس بن كعب ، فأخبرني مَن أنت وإلاَّ أنقذتُ قلبك بهذا السنان ، فقال له الحصين : أنا الحصين ابن عمرو الكلابي ، ويقال : بل هو الحصين بن سبيع الغطفاني ، فقال له الأخنس : فما الذي تريد؟ قال خرجت لما يخرج له الفتْيَانُ ، قال الأخنس : وأنا خرجتُ لمثل ذلك ، فقال له الحصين : هل لك أن نتعاقَدَ أن لا نلقى أحداً من

عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه؟ قال : نعم ، فتعاقدا على ذلك وكلاهما فاتكٌ يَحْذَر صاحبه ، فلقيا رجلا فسلَباه ، فقال لهما : لكما أن تردَّا على بعض ما أخذتما منى وأدلكما على مغنم؟ قالا : نعم ، فقال : هذا رجل من لخْم قد قدم من عند بعض الملوك بمغنم كثير ، وهو خَلْفي في موضع كذا وكذا ، فردَّا عليه بعضَ ماله وطلبا اللَّخميَّ فوجَدَاه نازلا في ظل شجرة ، وقُدَّامه طعام وشراب ، فَحَيَّيَاه وحَيَّاهما ، وعرض عليهما الطعام ، فكره كل واحد أن ينزل قبل صاحبه فيفتك به ، فنزلا جميعاً فأكلا وشربا مع اللخميُّ يتشحَّطُ في دمه ، فقال الجهني - وهو وسَلَّ سيفه لإن سيف صاحبه كان مَسلُولا : وَيْحَكَ فتكتَ برجل قد تحرَّمْنَا بطعامه وشرابه خرجْنَا ، فشربا ساعةً وتحدثا ، ثم إن الحصين قال : يا أخا جهينة أتدري ما صعلة وما صعل؟ قال الجهني : هذا يوم شُرْب وأكل ، فسكت الحصين ، حتى إذا ظن أن الجهنى قد نسى ما يُرَاد به ، قال : يا أخا جهينة ، هل أنت للطير زاجر؟ قال : وما ذاك؟ قال : ما تقول هذه العُقَاب الكاسر ، قال الجهني : وأين تراها؟ قال : هي ذه ، وتطاوَلَ ورفع رأسه إلى السماء ، فوضع الجهني بادرةَ السيف في نَحْره ، فقال : أنا الزاجر والناحرُ ، واحتوى على مَتَاعه ومتاع اللخمي ، وانصرف راجعاً إلى قومه ، فمر ببطنين من قيس يقال لهما : مراح وأنمار ، فإذا هو بامرأة تَنْشُدُ الحصينَ ابن سبيع ، فقال لهما ، من أنت؟ قالت أنا صخرة امرأة الحصين ، قال أنا قتلته ، فقالت : كذبت ما مثْلُك يقتل مثله ، أما لو لم يكن الحي خلواً ما تكلمتَ بهذا ، فانصرف إلى قومه فأصلحَ أمرهم ثم جاءهم ، فوقف حيث يسمعهم ، وقال :

وكم من ضَيْغَم وَرد هَمُوس	أبي شِبْلَيْن مَسْكَنُهُ العَرينُ
عَلَوْتُ بَيَاضَ مَفْرِقه بعَضْبٍ	فأضْحى في الفَلاة له سُكُونُ
وَضْحَتْ عِرْسُه ولَهاً عليه	بُعَيْدَ هُدُوء ليلتها رَنينُ
وكَمْ من فارس لا تَزْدَريه	إذا شَخَصَتْ لموقعه العُيُونُ
كصخرة إذا تسائلُ في مَرَاجٍ	وأنْمَار وعلمهُمَا ظُنُونُ
تُسَائلَ عن حُصَيْن كُلَّ رَكْبٍ	وعنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقينُ
فَمَنْ يَكُ سائلاً عَنْهُ فَعنْدى	لصَاحِبه البَيَانُ المُسْتَبِينُ
جُهَيْنَةُ مَعْشَرِي وَهُمُ مُلُوكُ	إذَا طَلَبُوا المَعَاليَ لم يَهُونُوا

قال الأصمعي وابن الأعرابي : هو جُفَينة - بالفاء - وكان عنده خبر رجل مقتول ، وفيه يقول الشاعر :

تسائل عن أبيها كل ركـب   وعند جُفَيْنةَ الخَبَرُ اليقـــنُ

قال : فسألوا حفينة ، بالحاء المهملة

يضرب في معرفة الشيء حقيقةً .

العَيْرُ أَوْقَى لِدَمِه

يضرب للموصوف بالحذر . وذلك أنهُ ليس شَيء من الصيد يحْذَر حَذَرَ العير إذا طلب .

ويقَال : هذا المثل لزرقاء اليمامة لما نظرت إلى الجيش ، وكان كل فارس منهم قد تناول غُصْنَاً من شجرة يستتر به ، فلما نظرت إليه قَالت : لَقَد مَشَى الشَجَرُ ، ولقد جائتكم حمير ، فكذبوها ، ونظرت إلىٍ عَيْرٍ قد نَفَر من الجيش ، فَقَالت : العير أوقى لدمه ، من راعٍ في غَنَمِه ، فذهبت مَثَلاً .

عَلَى أَهْلِهَا تَجْنِي بَرَاقِشُ

كانت بَرَاقِشُ كلبةً لقوم من العرب ، فأغير عليهم ، فهَرَبُوا ومعهم بَرَاقش ، فاتبع القومُ آثارَهُم بنُبَاح بَرَاقش ، فهَجموا عليهم فاصطلموهم ، قَال حمزة بن بيض :

لــم تكــن عــن جنايــة لحَقَتْنــي   لا يَســاري ولا يَمينــي رَمَتْنــي

بــل جَنَاهــا أخٌ علــيَّ كَريـــمٌ   وعلــى أهلهـــا بَرَاقِشُ تَجْنــي

وروى يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء قَال : إن براقش امرَأة كانت لبعض الملوك ، فسافر الملك واستخلفها ، وكان لهم موضع إذا فَزعوا دخَّنُوا فيه ، فإذا أبصره الجند اجتمعوا ، وإن جواريها عبثن ليلة فَدخَّنَّ فجاء الجند ، فلما اجتمعوا قَال لها نصحاؤها : إنك إن رَدّدْتهم ولم تستعمليهم في شَيء ودخّنتهم مرة أخرى لمِ يأتك منهم أحد ، فأمرتهم فبنوا بناء دون دارها ، فلما جاء الملك ، سَألَ عنْ البناء فأَخبَروه بالقصة ، فَقَال : على أهْلِها تَجنِي بَرَاقش ، فصارت مَثَلاً وقَال الشرقي بن القطَامي : براقش امرَأة لقمان بن عاد ، وكان لقمان من بني ضد ، وكانوا لا يأكلون لحوم الإبل ، فأصاب من براقش غلاما ، فنزل مع لقمان في بني أبيها ، فأولموا ونَحَرُوا الجزر ، فراح بن براقش إلى أبيه بعرقَ من جزور ، فأكله لقمان ، فَقَال : يا بني ما هذا؟ فما تَعَرَّقْتُ قط طيباً مثله ، فَقَال : جذور نَحَرَها أخوالي فَقَال : وإن لحوم الإبل في الطيب كما أرى؟ فَقَالت براقش : جَمِّلْنَا واجْتَمِلْ ، فأرسلتها مَثَلاً ، والجميل الشحْمُ

المُذَاب ، ومعنى جَمِّلْنا أي أطْعِمْنَا الجميل ، واجْتَمِلْ : أي أُطْعِم أنت نفُسك منه ، وكانت براقش أكثر قومها إبلاً فأقبل لقمان على إبلها فأسرع فيها وفي إبل قومها ، وفَعَلَ ذلك بنو أبيه لما أكلوا لحوم الجزور ، فقيل : على أهلها تجنى براقش يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره إليه .

عَجِلَتْ الكَلْبَةُ أنْ تَلِدَ ذَا عَيْنَيْنَ

وذلك أن الكبةُ تُسرع الولادة حتى تأتي بولد لا يبصر ، ولو تأخر ولادها لخرج الولد وقد فتح يضرب للمستَعْجِل عن أن يستتِّم حاجته .

عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً

قَالوا من حديثه : إن الحارث بن عُبَاد بن قيس بن ثَعْلَبة طلَّق بَعض نسائه من بعد ما أسنَّ وخَرِف ، فخَلَفَ عليها بعده رجل كانت تُظْهر له من الوَجْد به مالم تكن تظهر للحارث ، فلقي زوجُها الحارثَ فأخبره بمنزلته منها ، فَقَال الحارث : عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً ، فأرسلها مَثَلاً . قَال أبو الحسن الطوسي : يريد عِشْ رَجَباً بعد رجب ، فحذف ، وقيل : رجب كناية عن السَّنَة لأنه يحدث بحدوثها ، ومن نَظَر في سنةٍ واحدة ورأى تغير فصولها قاس الدهر كله عليها ، فكأنه قَال : عِشْ دهراً تَرَ عجائب .

عَبِيدُ العَصا

قَال المفضل : أول من قيل لهم ذلك بنو أسد ، وكان سبب ذلك أن أبناً لمعاوية بن عمرو حَجَّ ففُقد ، فاتُّهم به رجل من بني أسد يُقَال له حبال بن نصر بن غاضرة ، فأخبر بذلك الحارث ، فأقبل حتى وردَ تِهامة أيام الحج وبنو أسد بها فطلبهم ، فهربوا منه ، فأمر منادياً ينادي : مَنْ آوى أسديا فَدمُه جُبَار ، فَقَالت بنو أسد : إنما قتل صاحبهم حبال بن نصر وغاضرةُ منهم من السكون فانطلقُوا بنا حتى نخبرهُ ، فإن قتل الرجل فهو منهم ، وإن عفا فهو أعلم ، فخرجوا بحبال إليه ، فَقَالوا : قد أتيناك بطلَبتك فأخبره حبال بمقَالتهم ، فعفا عنه وأمر بقتلهم ، فَقَالت له امرَأة من كِنْدَةَ من بني وهب بن الحارث يُقَال لها عُصَيَّة وأخوالها بنو أسد : أَبَيْتَ اللَّعنَ هَبْهم لي فإنهم أخوالي قَال : هم لك ، فأعتقيهم ، فَقَالوا إنا لا نأمن إلا بأمان الملك فأعطى كلَّ واحد منهم عصاً ، وبنو أَسَد يومئذٍ قليل ، فأقبلوا إلى تهامة ومع كل رجل منهم عصا ، فلم يزالوا

بتهامة حتى هلك الحارث ، فأخرجتهم بنو كنانة من مكة ، وسموا «عَبِيدَ العصا» بعُصَيَّةَ التي أعتقتهم وبالِعصِيِّ التي أخذوها ، قَالالحارث بن ربيعة بن عامر يهجو رجلاً منهم :

اشْدُدْ يَدَيْكَ عَلَى العصا ؛ إن العصــا جُعِلَــتْ أمارَتَكُــمْ بِكُــل سَبِيلِ
إن العَصَا إنْ تُلْقِهَا يــا ابْــنَ اسْتِهَــا تُلْفَــى كفَقْــعٍ بالفَــلاَة محيــلِ

وقَال عتبة بن الوعل لأبي جهمة الأسدي :

أعَتِــيقَ كِنْــدَةَ كَيْفَ تَفْخَرُ سَــادراً وَأَبُــوكَ عَــنْ مجد الكِرَام بمَعْـزِلِ
إن العصــا ، لادرَّ درُّكَ ، أحْــــرَزَتْ أشْيَــاخَ قَوْمِكَ في الزمــانِ الأوَّلِ
فأشْكُــرُ لِكِنْــدَةَ مَا بَقِيــتَ فَعَالَهُـمْ ولتكــفرنَّ اللــه إن لَــمْ تَفْعَــلِ

وهذا المثل يضرب للذليل الذي نفعه في ضره وعزُّه في إهانته .

أَعْرَضَ ثَوْبُ المِلْبَسِ

قَال أبو عمرو : كان أبو حاضر الأسدي أسيد بن عمرو بن تميم من أجمل الناس وأكملهم منظراً ، فرآه عبد الله بن صَفْوَان بن أمية الجُمَحِيُّ يطوف بالبيت ، فراعَهُ جماله ، فَقَال الغلام له : وَيْحَكَ أدنِنِي من الرجل ، فإني أخاله امرأ من قريش العراق ، فأدناه منه ، وكان عبد الله أعرج ، فَقَال ممن الرجل؟ فَقَال أبو حاضر : أنا امرؤ من نِزَار ، فَقَال عبدُ الله (أعرض ثَوْبُ الملبس ، نزار كثير ، أيهم أنت؟) قَال : امرؤ من مضر ، قَال : مضر كثير ، أيهم أنت؟ قَال أحد بني عمرو بني تميم ثم أحد بني أسيد بن عمرو ، وأنا أبو حاضر ، فَقَال ابن صَفْوان : أفه لك عُهَيْرَةَ تَيَّاس ، والعُهَيْرة : تصغير العُهر وهو الزنا . قلت : لعله أدخل الهاء في عُهَيْرَة للمبالغة ، أو إرادة القبيلة ، ونصبه على الزم ، أو أراد يا عهيرة تياس .

قَال أبو عمرو : وتزعم العربُ أن بني أسد تيَّاسُو العرب ، وقَال الفرذدقَ في أبي حاضر وبعضُهم يرويها لزياد الأعجم ، وكان أبو حاضر أحد المشهورين بالزنا :

أبا حاضــرٍ مَابَــالُ بُرْدَيْكَ أصْبَحَــا علــى ابنــة فَــرُّوج ردّاءً ومَئْــزَرَا
أبا حاضَــرٍ مــن يَــزْنِ يَظْهَرْ زنَــاؤُهُ ومَنْ يَشْرَبْ الصَّهْبَاء يُصْبِحُ مُسْكِرَا

وبنت فروج اسمها حمامة ، وكان أبو حاضر يُتَّهم بها .

عَرَفَ النَّخْلُ أَهْلَهُ

أصله أن عبد القيس وشَنَّ بن أفْصَى لما ساروا يطلبون المتَّسَع والريف وبعثوا بالرُّوَّاد والعيون ، فبلغوا هَجَر وأرض البحرين ، ومياها ظاهرة وقرى عامرة ونخلاً وريفاً وداراً أفضل وأريَفَ من البلاد التي هم بها ؛ ساروا إلى البحرين وضاموا مَنْ بها من إياد ولأزد وشَدَّوا خيولهم بكرانيف النخل ، فَقَالت إياد : عَرَفَ النخلُ أهْلَه ، فذهبت مثلاً .

يضرب عند وكول الأمر إلى أهله

عِنْدَ النَّوَى يَكْذِبُكَ الصَّادِقُ

قَال المفضل : إن رجلا كان له عبد لم يكذب قَطُّ ، فبايَعَهُ رجل ليكذبنه ، أي يحملنه على الكذب ، وجعلا الخُطَر بينهما أهلهما وما لهما ، فَقَال الرجل لسيد العبد : دَعْه يَبِيت عندي الليلَةَ ، ففعل ، فأطعمه الرجلُ لحمَ حُوَار وسَقَاه لبناً حليباً ، وكان في سقاء حازر ، فلما أصبحوا تحمَّلُوا وقَال للعبد : الحَق بأهلك ، فلما تَوَارى عنهم نزلوا ، فأتى العبدُ سيدَه ، فسأله فَقَال : أطعموني لحماً لاغَثًّا ولا سَميناً وسَقَوْني لبناً لا مَخْضَاً ولا حقيناً ، وتركتهم قد ظعنوا فاستقلُّوا ، ولا أعلم أساروا بعدُ أو حلُّوا ، وفي النوى يكذبك الصادق ، فأرسلها مَثَلاً ، وأحرز مولاه مالَ الذي بايعه وأهله .

يضرب للصَّدُوقَ يحتاج إلى أن يكذب كذبة . وقَال أبو سعيد : يضرب للذي ينتهي إلى غاية ما يعلم ، ويكف عما وراء ذلك ، لا يزيد عليه شيئاً .

ويروى «وفي النوى ما يكذبك» «وما» صلة ، والتقدير وفي نَوَاهم يكذب الصادقَ إن أخبر أن آخر عهدي بهم كان هذا .

عَلَى الخَبِيرِ سَقَطْتَ

يُقَال : إن المثل لمالك بن جُبَيـر العامري وكان من حكماء العرب ، وتمثل به الفرزدقَ[1] للحسين بن علي رضي الله عنهما حين أقبل يريد العراق ، فلقيه وهو يريد

(١) الفرزدق شاعر من شعراء العصر الأموي واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكنيته ابو فراس وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه ومعناها الرغيف ، ولد الفرزدق في كاظمة لبني تميم ، اشتهر بشعر المدح والفخر وشعر الهجاء .

الحجاز ، فَقَال له الحسين رضي الله عنه : ما وراءك؟ قَال : على الخبير سَقَطْت ، قلوب الناس معك ، وسيوفُهم مع بني أمية ، والأمر ينزل من السماء ، فَقَال الحسين رضي الله عنه : صَدَقْتَنِي .

العَجَبَ كُلُّ العَجَبِ، بيْنَ جُمَادى وَرَجَبَ

أول من قَال ذلك عاصم بن المُقْشَعِرِّ الضبى وكان أخوه أبَيْدَةُ علِقَ امرأة الخُنَيْفسُ بن خَشرَم الشَيباني وكان الخنيفس أغْيَرَ أهل زمانه وأشجَعَهم ، وكان أُبَيْدَةُ عزيزاً مَنيعاً ، فبلغ الخنيفس أن أُبَيْدَةَ مضى إلى امرأته ، فركب الخنيفسُ فرسه وأخذ رمحه وانطلقَ يرصُدُ أُبيدة ، وأقبل أبيدة وقد قضى حاجتَه راجعاً إلى قومه ، وهو يقول :

ألا إنَّ الخُنَيْفسَ فَاعْلَمُوهُ ... كما سمَّاهُ والدُهُ اللَّعينُ
بَهيمُ اللَّون مُحْتقرٌ ضَئيلٌ ... لئيماتٌ خلائقهُ ، ضَنينُ
أيوعدُني الخُنَيْفَسُ منْ بَعيد ... ولَمَّا يَنْقَطعْ منْهُ الوَتينُ
لَهَوْتُ بجارَتَيه وَحادَ عَنِّي ... وَيزْعُمُ أَنَّهُ أَنِفٌ شَنُونُ

قَال : فشدَّ عليه الخُنَيفَسُ ، فَقَال أبيدة : أذكِّرُكَ حرمةَ خَشْرم ، فَقَال وحُرْمة خَشْرَم لأقتلنك ، قَال : فأمْهلْني حتى أستلئم قَال : أو يستلئم الحاسر؟ فقتله ، وقَال :

أيَا ابْنَ المُقْشَعِرِّ لَقيْتَ لَيْثاً ... لَه في جَوف أيكَته عَرينُ
تقولُ صَدَدْتُ عَنْكَ خناً وجُبْناً ... وإنَّكَ مَاجِدٌ بَطَلٌ مَتينُ
وَإنَّكَ قَد لَهَوتَ بجارَتَينَا ... فَهَاكَ أُبَيْدُ لاَ قَاكَ القَرِينُ
سَتَعْلَمُ أيُّنا أَحْمى ذماراً ... إذا قَصُرَتْ شمَالُكَ واليَمَينُ
لَهَوْتَ بها فقَدْ بُدِّلْتَ قَبْراً ... وَنَائحَةً عَلَيْكَ لَهَا رَنينُ

قَال : فلماَ بَلَغ نَعيه أخاه عاصماً لبس أطمَاراً من الثياب ، وركب فرسه ، وتقلَّد سيفه ، وذلك في آخر يوم من جُمادى الآخرة وبادر قَتْلَه قبل دخول رجب ؛ لأنهم كانوا لا يقتلون في رجب أحَداً ، وانطلقَ حتى وقف بفناء خباء الخُنَيفس ، فنادى : يا ابن خَشْرَم ، أَغثْ المُرْهقَ فطالما أَغَثتَ ، فَقَال : ما ذاك؟ قَال : رجل من بني ضبة ، غصَبَ أخى امرأته فشدَّ عليه فقتله ، وقد عجزت عنه فأخذ الخنيفسُ رمحه وخرج معه ، فانطلقا فلما عَلمَ عَاصم أنهُ قَد بَعَدَ عَن قَومه داناه حتى قارنه ثم قَنَّعه بالسيف فأطار رأسه ، وقَال : العجَبُ كل العجب بين جمادى ورجب ، فأرسلها مَثَلاً ، ورجع إلى قومه

أَعْرِفُ ضَرِطِى بِهِلاَلٍ

قَال يونس بن حبيب : زعموا أن رُقية بنت جُشَم بن معاوية وَلَدَت نميراً وهلالا وسُواءة ، ثم اعتاطت ، فأتت كاهنة بذي الخلصة فأرتها بطنها ، وقَالت : إني قد وَلَدُتْ ثم اعْتَطْتُ ، فنظرتْ إليها ومَسَّت بطنها ، وقَالت : رب قبائل فَرِق ، ومجالس حلق ، وظعن خرق ، في بَطِنِك زق ، فلما مخضت بربيعة بن عامر ، قَالت : إني أعرف ضَرِطى بهلال ، أي هو غلام ، كما أن هلالا كان غلاما . يضرب هذا المثل حين يحدثك صاحبك بخبر فتقول : ما كان من هذا شَيء ، فيقول صاحبك : بلى ، إني أعرفُ بعضَ الخبر ببعض ، كما قَالت القائلة : أعرف ضَرِطى بهلال .

العَوْدُ أَحْمَدُ

يجوز أن يكون «أحمد» أفعل من الحامد ، يعني أنه إذا ابتدأ العُرْفَ جَلب الحمد إلى نفسه ، فإذا عاد كان أحمد له ، أي أكسب للحمد له ، ويجوز أن يكون أَفعَلَ من المفعول ، يعني أن الابتداء محمود والعود أحقَ بأن يحمد منه .

وأول من قَال ذلك خِدَاش بن حابس التميمى ، وكان خطب فتاة من بني ذَهل ثُمَ مِنْ بَني سَدُوس يُقَال لها الرَّباب ، وهام بها زماناً ، ثم أقبل يخطبها ، وكان أبواها يتمنَّعان لجمالها وَمِيسَمِها ، فردَّا خداشاً ، فأضرب عنها زماناً ، ثم أقبل ذاتَ ليلةٍ راكباً ، فانتهى إلى محلتهم وهو يتغنى ويقول :

أَلا لَيْتَ شعْري يا رَبَابُ مَتَى أرى … لَنَا منك نُجْحاً أَوْشفاء فأشْتَفِي
فقد طالمَا عَنَّيْتنِي وَرَدَدْتنِي … وأنت صَفِيِّي دون مَنْ كُنْتُ أَصْطَفِي
لَحَى الله مَنْ تسمو إلى المال نَفْسُهُ … إذا كان ذَا فَضْل به لَيْسَ يَكْتَفِي
فَيُنْكِح ذَا مال دَميماً مُلَوَّماً … وَيَتْرُك حُرَّاً مثله لَيْسَ يَصْطَفِي

فعرفت الرباب منطقه ، وجعلت تتسمَّع إليه ، وحفظت الشعر ، وأرسلت إلى الركب الذين فيهم خداش أن انزلوا بنا الليلة ، فنزلوا ، وبعثت إلى خداش أن قد عرفت حاجتك فاغْدُ على أبي خاطباً ، ورجعت إلى أُمُها ، فَقَالت : يا أُمَّه ، هل أنكح إلا مَنْ أهوى وألتحف إلا من أرضى؟ قَالت : لا ، فما ذاك؟ قَالت : فأنكحيني خداشاً ، قَالت : وما يدعوك إلى ذلك مع قلة ماله؟ قَالت : إذا جمع المالَ السيءُ الفَعَال فقبحاً للمال ، فأخبرت الأم أباها بذلك ، فَقَال : ألم نكن صرَفْناه عنا ، فما بدا له؟ فلما أصبحوا غدا عليهم خِداش فسلَّم وقَال : العَوْدُ أحمد ، والمرء يرشد ، والورد

يحمد ، فأرسلها مَثَلاً . ويقَال : أول من قَال ذلك وأخذ الناسُ منه مالكُ بن نُوَيرة حين قَال :

جَزَيْنَا بني شَيْبَان أمس بقَرْضِهِمْ   وَعُدْنَا بمثل البَدْءِ والعَوْدُ أَحْمَدُ

فَقَال الناس : العود أحمد

أَعْطِنِي حَظِيَّ مِنْ شُوَايَةَ الرَّضْفِ

قَال يونس : هذا مثل قَالته امرَأة كانت غريرة ، وكان لها زوج يكرمها في المطعم والملبس ، وكانت قد أوتيت حظاً من جمال فَحُسِدتْ على ذلك ، فابتدرت لها امرَأة لتَشينها ، فسألتها عن صنيع زوجها ، فأخبرتها بإحسانه إليها ، فلما سمعت ذلك قَالَت ، وما إحسانه ، وقد منعك حظك من شُواية الرضف؟ قَالت : وما شُوَاية الرضف؟ قَالَت : هي من أطيب الطعام ، وقد استأثر بها عليك فاطْلُبيها منه ، فأحبَّتْ قولها لغَرارَتها ، وظنت أنها قد نصحت لها ، فتغيرت على زوجها ، فلما أتاها وجدها على غير ما كان يعهدها ، فسألها ما بالها ، قَالت : يا ابن عمٍّ تزعم أني عليك كريمة ، وأنَّ لي عندك مزية ، كيف وقد حرمتني شُوَاية الرَّضْف؟ بَلِّغْني حظي منها فلما سمع مقَالتها عرف أنها قد دُهِيَتْ ، فأصاخ وكره أن يمنعها فترى أنه إنما منعها إياها ضَنّاً بها ، فَقَال : نعم وكرامة ، أنا فاعل الليلة إذا راح الرعاء ، فلما راحوا وَفَرَغُوا من مهنهم وَرَضَفُوا غَبُوقهم دعاها فاحتمل منها رضفة فوضعها في كفها ، وقد كانت التي أوردتها قَالت لها : إنك ستجدين لها سخنا في بطن كفك فلا تطرحيها فتفسد ، ولكن عَاقِبِي بين كفيك ولسانك ، فلما وضعها في كفها أحرقتها فلم تَرْمِ بها ، فاستعانت بكفها الآخَرى فأحرقتها ، فاستعانت بلسانها تبردها به فاحترق ، فمجلت يديها ، ونفطت لسانها ، وخاب مطلبها ، فَقَالت : قد كان عيٌّ وشيٌّ يَصْرِيني عن شر ، فذهبت مَثَلاً . يضرب في الذرابة على العاثر الذي يتكلَّفُ ما قد كُفِيَ .

ومعنى المثل قد كان عجزى من الكلام وسكوني يدفع عني هذا الشر ، تَنْدَمُ على ما فَرَطَ منها .

أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ

هو رجل من إياد ، قال أبو عبيدة : باقل رجل من ربيعة ، بلغ من عيِّه أنه اشترى ظبياً بأحدَ عشَرَ درهماً ، فمر بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبي؟ فمد يده ودلعَ

لسانه يريد أحد عشر ، فَشَرَدَ الظبي وكان تحت إبطه ، قال حميد الأرقط في ضَيْف له أكثر من الطعام حتى منعه ذلك من الكلام :

أَتَانَا وَمَا دَانَاهُ سَحْبَانُ وَائِلٍ ... بَيَاناً وَعلماً بالَّذي هُوَ قَائلُ
فمَا زَالَ منهُ اللَّقْمُ حتى كَأَنَهُ ... منَ الْعَيِّ لما أن تَكَلَّمَ بَاقِلُ
يَقُولُ وَقَدْ أَلْقَى المَرَسِيَ لِلْقُرى ... أَبِنْ لِيَ مَا الحَجَّاجُ بالناس فَاعِلُ
يدلل كفاه ويحدر حلقه ... إلى الْبَطْنِ ما ضُمَّتْ عليه الأَنَامِلَ
فَقُلْتُ : لَعَمْرِي مَا لِهَذَا طَرَقْتَنَا ... فَكُلْ وَدَعِ الإرْجَافَ مَا أَنْتَ آكِلُ

أَعَزُّ مِنَ الزَّبَّاءِ

هي امرأة من العماليق ، وأمها من الروم وكانت ملكة الحِيرة تغزو بالجيوش ، وهي التي غزت مارداً والأبلق ، وهما حصانان كانا للسَّمَوأل بن عاديا اليهودي[1] ، وكان ماردا مبنيّاً من حجارة سُود ، والأبلقَ من حجارة سود وبيض ، فاستصعبا عليها ، فَقَالت : تَمَّرد مارد وعَزَّ الأبلقُ ، فذهبت مَثَلاً ، وقد تقدمت قصتها مع جَذِيمة قَبْل .

أَعْدَى مِنَ الشَّنْفَرَى

هذا من العَدْو ، ومن حديثه – في ما ذكر أبو عمرو الشيباني – أنه خرج هو وتأبَّطَ شراً : وعمرو بن برَّاق فأغارو على بجيلة فوجدوا له رَصَداً على الماء ، فلما مالوا له في جوف الليل قَال لهما تأبط شراً : إن بالماء رَصَداً ، وإني لأسْمَعُ وجيبَ قلوب القوم ، فَقَال : ما تسمع شيئاً ، وما هو إلا قَلْبك يَجِبُ ، فوضع أيديَهُمَا على قلبه وقَال : والله ما يَجِبُ وما كان وَجَّابا ، قَالوا : فلا بُدَّ لنا من ورود الماء ، فخرج الشنفرى ، فلما رآه الرصَدُ عَرَفُوه فتركوه حتى شرب من الماء ، ورَجَع إلى أصحابه فَقَال : والله ما بالماء أحد ، ولقد شربت من الحوض ، فَقَال تأبط شراً للشنفرى : بلى ، ولكن القوم لا يريدونك ، وإنما يريدونني ، ثم ذهب ابْنُ بَرَّاقَ فشرب ورجع ولم يَعْرِضوا له ، فَقَال تأبط شراً للشنفرى : إذا أنا كَرِعْتُ في الحوض ، فإن القوم سيشدون علي فيأسرونني ، فاذْهَبْ كأنك تهرب ، ثم كُنْ في أصل ذلك القَرْنِ فإذا سمعتَنِي أقول : خذوا خذوا ،

(١) السموأل بن غريض بن عادياء بن رفاعة بن الحارث الأزدي . شاعر جاهلي يهودي عربي ، ذو بيان وبلاغة ، كان واحدا من أكثر الشعراء شهرة في وقته .

فتعال فأطْلِقْني ، وقَال لابن براق : إني سآمُرُكَ أن تستأسر للقوم ، فلا تَنْأَ عنهم ولا تمكنهم من نفسك ، ثم مر تأبط شراً حتى وَرَدَ الماء فحين كَرَعَ في الحوض شَدُّوا عليه فأخذوه وكتفوه بوتر ، وطار الشنفرى ، فأتى حيث أمره ، وانحاز ابنُ براقَ حيث يَرَوْنه ، فَقَال تأبط شرا : يا معشر بَجيلة ، هل لكم في خير أن تُيَاسرونا في الفِدَاء ويستأسر لكم ابنُ براق؟ قَالوا : نعم ، فَقَال : ويلك يا بن براقَ أما الشنفرى فقد طار ، وهو يصطلى نارَ بنى فلان ، وقد علمت مابينَنَا وبين أهلك ، فهل لك أن تستأسر ويُيَاسرونا في الفداء؟ قَال : لا والله حتى أَرُوزَ نفسي شَوْطاً أوْشوطين فجعلَ يَسْتَنُّ نحو الجبل ويرجع حتى إذا رأوا أنه قد أَعْيى طَمعُوا فيه فاتبعوه ونادى تأبط شراً : خذوا خذوا ، فخالف الشنفرى إلى تأبط شراً فقطعَ وَثاقه مال إلى عِنْده فناداهم تأبط شراً : يا معشر بجيلة أعجبكم عَدْوُ ابن براق؟ أما والله لأَعْدوَنَّ لكم عدوا ينسيكم عَدْوَّه ، ثم احضروا ثلاثتهم ، فَنَجوا وفي ذلك يقول تأبط شراً :

لَيلَةَ صاحوا وَأَغْرَوا بي سرَعَهم ... بلعبيتين لدى مَعْدَى ابن بَرَّاق
كأنَّما حَثْحَثُوا حُصَّاً قَوَدمُه ... أوْأمَّ خَشْف بذى شَثٍّ وَطبَّاقَ
لا شَيْءَ أَسْرَعُ منيَّ غَيْرُ ذِي عذر ... أوْذي جَنَاح بجَنْبِ الَّريْدِ خَفَّاقِ

فكل هؤلاء الثلاثة كانوا عدَّئين ، ولم يَسرِ المثل إلا بالشَّنفرى

غُدَّةٌ كغُدَّةِ البعَيرِ وَمَوْتٌ في بيْت سَلُولِيَّة

ويروى «أغدة وموتاً» نصبا على المصدر ، أي أَؤُغَدُّ إغْدَاداً وأموت موتاً ، يُقَال «أَغَدَّ البعيرُ» إذا صار ذا غُدَّة ، وهي طاعونة ، ومن روى بالرفع فتقديره : غدتى كغدة البعير وموتى موت في بيت سلولية ، وسلول عندهم أقلُّ العرب وأذَلُّهم وقَال :

إلى الله أَشْكُو أنَنَّي بتُّ طَاهراً ... فَجَاء سَلُولي فبَالَ عَلى رِجْلي
فقلت : اقطعُوهَا بارَكَ الله فيكُمُ ... فإنِّي كَريمٌ غيرُ مُدْخلهَا رَحْلي

وهذا من قول عامر بن الطُّفَيْل ، قَدمَ على النبي ﷺ وقدم معه أَرْبَدُ بن قيس أخو لَبيد ابن ربيعة العامري الشاعر لأمه ، فَقَال رجل : يا رسول الله هذا عامر بن الطُّفَيل قد أقبل نحوك ، فَقَال دعْهُ فإن يُرد الله تعالى به خيراً يَهْده ، فأقبل حتى قام عليه ، فَقَال : يا محمد مالي إن أسلمت؟ قَال : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ، قَال : تجعل لي الأمر بعدك ، قَال : لا ، ليس ذاك إلي ، إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء ، قَال : فتجعلني على الوَبَر وأنت على المَدَرْ ، قَال : لا ، قَال : فماذا تجعل

لي؟ قَال ﷺ : أجعلُ لك أَعنَّةَ الخيل تغزو عليها قَال : أو ليس ذلك إليَّ اليومَ؟ وكان أوصى إلى أربد بن قيس إذا رأيتني أكلمه فدُرْ من خَلْفه فاضربه بالسيف ، فجعل عامر يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه ، فدار أربد خلف النبي ﷺ ليضربه ، فاخترط من سيفه شبرا ، ثم حبَسَه الله تعالى فلم يقدر على سَلِّه ، وجعل عامر يُومئ إليه ، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما يصنع بسيفه ، فَقَال ﷺ : اللهم اكفينيهَما بما شئت ، فأرسل الله تعالى على أربد صاعقةً في يوم صائف صاح فأحرقته ، وولى عامر هارباً وقَال : يا محمدُ دعوتَ رَبَكَ فقتل أربد ، والله لأملأنَّهَا عليك خيْلاً جُرْداً وفتياناً مُرْداً ، فَقَال رسول الله ﷺ : يمنعُكَ الله تعالى من ذلك وابنا قَيْلَةَ – يريد الأوس والخزرج – فنزل عامر ببيت امرَأة سَلُولِيَّة ، فلما أصبح ضَمَّ عليه سلاحَهُ وخرج وهو يقول : واللات لئن أصْحَرَ محمد إلى وصاحبه – يعني ملك الموت – لأنفذنَّهما برمحي ، فلما رأى الله تعالى ذلك منه أرسل ملكاً فَلَطَمه بجناحه ، فأذرأه في التراب وخرجت على ركبته غُدَّة في الوقت عظيمة ، فعاد إلى بيت السَّلولية وهو يقول : غُدَّة كغُدَّةِ البعير وموت في بيت سلولية ، ثم مات على ظهر فرسه .

يضرب في خَصْلَتين إحداهما شر من الأخرى .

فِي الصَّيفِ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ

ويروى «الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللبن» والتاء من «ضيعت» مكسور في كل حال إذا خوطب به المذكر والمؤنث والاثنان والجمع ؛ لأن المَثَلَ في الأصل خوطبت به امرَأة ، وهي دَخْتَنُوس بنت لقيط بن زرارة كانت تحت عمرو بن عُدَاس ، وكان شيخاً كبيراً فَفَرَكَتْهُ (فركته : كرهته) فطلقها ، ثم تزوجها فتى جميل الوجه ، أجْدَبَتْ فبعثت إلى عمرو تطلب منه حَلُوبة ، فَقَال عمرو «في الصيف ضيعت اللبن» فلما رجع الرسُولُ وقَال لها ما قَال عمرو ضربَتْ يَدَها على منكب زوجها ، وقَالت «هذا ومَذْقُه خَيرٌ» تعني أن هذا الزوج مع عدم اللبن خيرٌ من عمرو ، فذهبت كلماتها مَثَلاً .

فالأول يضرب لمن يطلب شيئاً قد فَوَّته على نفسه ، والثاني يضرب لمن قَنَع باليسير إذا لم يجد الخطير .

وإنما خص الصيف لأن سؤالها الطلاقَ كان في الصيف ، أو أن الرجل إذا لم يطرق ماشيته في الصيف كان مضيعاً لألبانها عند الحاجة .

فِي بَيتِه يُؤتَى الحَكَمُ

هذا مما زعمت العرب عن ألسُنِ البهائم قَالوا : إن الأرنب التقطتْ ثمرةً ، فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان إلِى الضب فَقَالت الأرنب : يا أبا الحسْل فَقَال : سميعاً دَعَوْت ، قَالت : أتيناك لنختصم إليك ، قَال : عادلاً حَكَّمْتُما ، قَالت : فاخرج إلينا ، قَال : في بيته يُؤتى الحكم ، قَالت : إني وجدت ثمرة ، قَال : حُلْوَة فكُليها ، قَالت : فاخْتَلَسَها الثعلب ، قَال : لنفسه بغَى الخَيْرَ ، قَالت : فَلَطَمْتُه ، قَال : بحقِّك أخَذْت ، قَالت : فَلَطَمَني ، قَال : حُرٌّ انتصر ، قَالت : فاقْضِ بيننا ، قَال : قد قَضَيْتُ ، فَذهبت أَقواله كلها أمثالاً قلت : ومما يشبه هذا ما حكى أن خالد بن الوليد لما توجَّه من الحجاز إلى أطراف العراقَ دخل عليه عبد المسيح بن عمرو بن نُفَيلَة ، فَقَال له خالد : أين أقصى أثَرِكَ؟ قَال : ظَهْرُ أبي ، قَال : من أين خرجت ، قَالَ : من بطن أمي ، قَال عَلاَمَ أنت؟ قَال : على الأرض ، قَال : فيمَ أنت؟ قَال : في ثيابي ، قَال : فمن أينَ أقبَلْتَ؟ قَال : من خَلْفي ، قَال : أين تريد؟ قَال : أمامي ، قَال : ابنُ كمْ أنت؟ قَال : ابن رَجُلٍ واحد ، قَال : أتعقل؟ قَال : نعم وأقيِّدُ ، قَال : أحَرْبٌ أنت أم سَلْم؟ قَال : سَلْم ، قَال : فَما بال هذه الحصون؟ قَال : بنيناها لسفيه حتى يجيء حليم فينهاه . ومثل هذا أن عَديَّ بن أرْطَاةَ أتى إياسَ بن مُعاوية قاضيَ البصرة في مجلس حكمه ، وعَديٌّ أمير البصرة ، وكان أعرابيَّ الطبع ، فَقَال لإياس : ياهناه أين أنت؟ قَال : بينك وبين الحائط ، قَال : فاسْمَع مني ، قَال : للاستماع جَلَسْتُ ، قَال : إني تزوجْتُ امرأة ، قَال : بالرِّفَاء والبَنين ، قَال : وشَرَطْتُ لأهلها أن لا أخرجها من بينهم ، قَال : أوْفِ لهم بالشرط ، قَال : فأنا أريد الخروج ، قَال : في حفْظ الله ، قَال : فاقضِ بيننا ، قَال : قد فعلْتُ ، قَال : فَعَلى مَنْ حكمت؟ قَال : على ابنَ أخي عمك ، قالَ بشهادة مَنْ؟ قَال : بشهادة ابن أختِ خالتك .

في نَظْمِ سَيْفِكَ ما تَرَى يَا لُقَيْمُ

حديثه أن لقمان بن عاد كان إذا اشتدَّ الشتاء وكَلبَ كان أشدَّ ما يكون ، وله راحلة لا تَرْغُو ولا يُسْمع لها صوت ، فيشدُّها برَحْله ثم يقول للناس حين يكاد البردُ يقتلُهم : ألا من كان غازياً فَلْيَغْزُ ، فلا يلحقَ به أحد ، فلما شبَّ لقيم ابنُ أخته اتَّخذ راحلة مثل راحلته ، فلما نادى لقمان «ألا من كان غازياً فليغز» قَال له لقيم : أنَاَ معك إذا شئت ، ثم إنهما سارا ، فأغارا ، فأصابا إبلا ، ثم انصرفا نحو أهلهما ، فنزلا فنحرا ناقةً فَقَال لقمان للقيمُ :

أتعشِّى أم أعشِّي لك؟ قَال لقيم : أي ذلك شئت ، قَال لقمان : اذهب فَعَشِّها حتى ترى النجم قمَّ رأس ، وحتى ترى الجوزاء كأنها قطار ، وحتى ترى الشِّعْرَى كأنها نار ، فإلا تكن عَشِّيت فقد أنَيْت ، قَال له لقيم : نعم واطْبُخْ أنت لحم جَزُورك حتى ترى الكَرَاديسَ كأنها رؤوسُ رجال صُلْع ، وحتى ترى الضُّلُوع كأنها نساء حَوَاسر ، وحتى ترى الوَذْرَ كأنه قَطاً نَوَافر ، وحتى ترى اللحم كأنه غَطَفان يقول غط غط ، فإلا تكن أنْضَجْتَ فقد أنْهَيْتَ ، ثم انطلقَ في إبله يُعَشيها ، ومكث لقمان يطبخ لحمه ، فلما أظلم لقمان وهو بمكان يُقَال له شَرْجٌ قَطَع سَمُرَ شَرْج فأوقد به النار حتى أنضج لحمه ، ثم حفر دونه فملأه ناراً ، ثم واراها ، فلما أقبل لقيم عَرَفَ المكان وأنكر ذهاب السَّمُرِ فَقَال : أَشْبَهَ شَرْجٌ شَرْجاً لو أنَّ أُسَيْمِراً ، فأرسلها مَثَلاً ، وقد ذكرتُه في حرف الشين ، ووقَعَتْ ناقة من إبله في تلك النار فنفرت ، وعرف لُقَيْم أنه إنما صنع لقمان ذلك ليصيبه وأنه حَسَده ، فسكتَ عنه ، ووجد لقمان قد نَظَم في سيفه لحماً من لحم الجُزُور وكَبداً وسَنَاما حتى توارى سيفهُ ، وهو يريد إذا ذهب لقيمٌ ليأخذه أن ينحره بالسيف ، فَفَطِنَ لقيم فَقَال : في نظْم سيفك ما ترى يا لقيم ، فأرسلها مَثَلاً ، فحسد لقمان الصحبة ، فَقَال له لقيم : القسمة ، فَقَال له لقمان : ما تطيبُ نفسي أن تقسم هذه الإبلَ إلا وأنا مُوثَقٌ ، فأوثقه لقيم ، فلما قَسَمها لقيم نَقَّي منها عشراً أو نحوها ، فَجَشعَتْ نفسُ لقمان ، فنَحَطَ نَحْطة (نحط نحطة : زفر زفرة ، وتقضبت : تقطعت) تقضَّبَت منها الأنْسَاع التي هو بها مُوثَق ، ثم قَال : الغادرة والمتغادرة ، والأفيلُ النادرة ، فذهب قوله هذا مَثَلاً ، وقَال لقيم : قبح الله النفس الخبيثة . قوله «الغادرة» من قولهم : غَدَرَت الناقة ، إذا تخلَّفت عن الإبل ، والأفيلُ : الصغير منها ، يريد اقسم جميع ما فيها . والمثل الأول يضرب في المماكرة والخداع والثاني في الخسة والاستقصاء في المعاملة .

فَرَقاً أَنْفَعُ منْ حُبٍّ

أولُ من قَال ذلك الحجاجُ للغَضْبَان بن الْقَبَعْثَرَى الشَّيْبَاني ، وكان لما خلع عبدُ الله بنُ الجارُود وأهلُ البصرة الحجاجَ وانتهبوه قَال : يا أهل العراقَ تَعَشَّوُا الجُدْيَ قبل أن يتغداكم ، فلما قَتَلَ الحجاجُ ابنَ الجارود أخذ الغَضْبَان وجماعةً من نُظَرائه فحبسهم ، وكتب إلى عبد الملك بن مروان بقتل ابن الجارود ، وخَبَرِهم ، فأرسل عبدُ الملك عبدَ الرحمن بن مسعود الفَزَارِيَّ ، وأمره بأن يؤمِّنَ كلَّ خائف ، وأن يخرج

المحبوسين ، فأرسل الحجاج إلى الغَضْبَان ، فلما دخل عليه قَال له الحجاج : إنك لَسَمين ، قَال الغضبان : مَنْ يَكُنْ ضيفَ الأمير يَسْمَنْ ، فَقَال : أأنْتَ قلت لأهل العراقَ تَعَشَّوُا الجدْىَ قبل أن يتغداكم؟ قَال : ما نفَعَتْ قائلَها ولا ضَرّتْ من قِيلَتْ فيه ، فَقَال الحجاج : أوْفَرَقاً خيرٌ من حُبٍّ ، فأرسلها مَثَلاً .

يضرب في موضع قولهم «رَهَبُوتٌ خير من رَحَمُوت» أي لأن يُفْرَقَ منك فرقاً خيرٌ من أن تُحَبَّ .

فِي دونِ هذا ما تُنْكِرُ المَرْأَةُ صَاحِبَهَا

قَالوا : إن أول مَنْ قَال ذلك جارية من مُزَينة ، وذلك أن الحَكَم بن صَخْر الثَّقَفِي قَال : خرجت منفرداً ، فرأيت بإمَّرَة - وهي مَوْضع - جاريتين أختين لم أر كجَمَالهما وظَرْفهما ، فكسوتهما وأحسنت إليهما ، قَال : ثم حَجَجْت من قابل ومعي أهلي ، وقد أعْتَلَلْتُ ونَصَلَ خضابي ، فلما صِرْتُ بإمَّرَة إذا إحداهما قد جاءت فسألت سُؤَال منكرة ، قَال : فقلت : فلانة؟ قَالت : فدىً لك أبي وأمي ، وأنى تعرفني وأنكرك؟ قال : قلتُ : الحكم بن صخر ، قَالت : فدىً لك أبي وأمي ، رأيتُكَ عامَ أولَ شاباً سُوقَةً ، وأراك العامَ شيخاً ملكا ، وفي دون هذا ما تنكر المرأةُ صاحبَهَا ، فذهبت مَثَلاً ، قَال : قلت : ما فعلَتْ أختُك ، فتَنَفَّسَتِ الصُّعَدَاء وقَالت : قَدِمَ عليها ابنُ عم لها فتزوجها وخرج بها ، فذاك حيث تقول :

إذا ما قَفَلْنَا نَحْوَ نَجْد وأَهْلِه فحَسْبِى منَ الدُّنْيا قُفُولي إِلَى نَجْدِ

قَال : قلت : أما إني لو أدركتها لتزوجتها ، قَالت : فَدَىً لك وأبي وأمي ما يمنعك من شريكتها في حَسَبها وجَمَالها وشقيقتها؟ قَال : قلت : يَمْنَعُني من ذلك قول كُثَيْر :

إذا وَصَلَتْنَا خُلَّةٌ كَيْ تُزيلَهَا أبَيْنَا وَقُلْنَا : الحَاجِبِيَّةُ أوَّلُ

فَقَالت : كُثَير بيني وبينك ، أليس الذي يقول

هَلْ وَصْلُ عَزَّةَ إلاَّ وَصْلُ غَانِيَةٍ فِي وَصْلِ غَانيَةٍ مِنْ وَصْلِها خَلَفُ

قَال الحكم : فتركت جَوَابها وما يمنعني من ذلك إلا العِيّ .

أفْرَغُ مِنْ حَجَّامِ سَابَاط

فإنه كان حجَّاماً ملازما لساباط المدئن فإذا مر به جند قد ضُرِبَ عليهم البعثُ

حجمهُم نسيئةً بدانقَ واحد إلى وقْت قُفُولهِمْ وكان مع ذلك يعبُر الأسبوعُ والأسبوعان فلا يدنو منه أحد ، فعندها يُخرجُ أمَّهُ فيحجمها حتى يُرىَ الناس أنه غير فارغ ، فما زال ذلك دأبه حتى أنزَفَ دمَ أمه فماتت فجأة فسار مَثَلاً ، قَال الشاعر :

مطْبِخُهُ قَفْرٌ وطَبَّاخه أفْرَغُ مِنْ حَجَّام سَابَاطِ

وقيل : إنه حجمَ كِسْرَى أبرويز مرةً في سفره ولم يعد لأنه أغناه عن ذلك .

أفْرَسُ مِنْ عَامِرٍ

هو عامر بن الطُّفَيل ، وهى ابن أخي عامر مُلاعِبِ الأسنَّة ، وكان أَفْرَسَ وأسْوَدَ أهلِ زَمَانِه ، ومر حيَّانُ ابن سلمى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بقبرِه ، وكان غابَ عن موته فَقَال : ما هذه الأنصابُ؟

فَقَالوا : نَصبْناها على قبر عامر فَقَال : ضَيَّقْتُم على أبى على ، وأفضلتم منه فضلا كثيراً ، ثم وقف على قبره وقَال : أُنْعَمْ ظَلاَمَا ما أبا على فوالله لقد كنتَ تَشُنُّ الغارةَ ، وتَحْمِى الجارة ، سريعاً إلى المولى بوعدكَ ، بطيئاً عنه بوعيدك ، وكنت لا تضلُّ حتَّى يضلَّ النَجْم ، ولا تهابُوا حتى يهابِ السيلُ ، ولا تعطَش حتى يعطش البعير ، وكنتَ والله خيرَ ما كنت تكون حين لا تَظُنُّ نَفْسٌ بنفس خيرا ، ثم التفت إليهم فَقَال : هلا جعلتم قبر أبى على ميلا في ميل ، وكان مُنَادى عامر بن الطفيل ينادى بعكاظ : هل من راجلٍ فأحْمِلَه ، أو جائع فأطعِمَهُ ، أو خائف فأؤمنه

أفْتَكُ مِنَ البرَّاضِ

فهو البَرَّاضُ بن قيس الكناني

ومن خبر فَتْكه أنَهُ كان وهو في حيَّه عَيَّاراً فاتكاً يجني الجنايات على أهله ، فخَلَعه قومُه وتبرؤا من صنيعه ، ففارقهم ، وقدم مكة فحالف حَرْب بن أمية ، ثم نَبَابه المقام بمكة أيضاً ، ففارقَ أرضَ الحجاز إلى أرض العراق ، وقدم على النعمان بن المنذر الملك فأقام ببابه ، وكان النعمان يبعث إلى عكاظ بلَطِيمة (اللطيمة – بفتح أوله – جماعة الإبل تحمل الطيب والبز وعروض التجار)

كلَّ عام تُباعُ له هناك ، فَقَال وعنده البراض والرحَّال – وهو عُرْوَة بن عُتْبَة بن جعفر بن كلَاب ، سمى رَحَّالاً لأنه كان وَفَاداً على الملوك – مَنْ يُجيز لي لطيمتى هذه حتى يقدمها عكاظ؟ فَقَال البراض : أبَيْتَ اللعنَ أنا أجيزها على كنانة ، فَقَال

النعمان : ما أريد إلا رجلا يجيزها على الحيين قيس وكنانة ، فَقَال عروة الرحَّال : أَبَيْتَ اللعن أهذا العَيَّار الخليعُ يكمل لأن يجيز لطيمة الملك؟ أنا المجيزها على أهل الشِّيح والقَيصُوم من نَجْد وتهامة ، فَقَال : خُذهَا ، فرحل عُروة بها ، وتبع البراض أثَرَه ، حتى إذا صار عُروة بين ظَهْرَاني قومه بجانب فَدَك نزلت العيرُ فأخرج البَرَّاض قدَاحا يستقسم بها في قَتْل عُروة ، فمر عروة به وقَال : ما الذي تصنع يا بَرَّاض؟ قَال : أستخبر القِدَاح في قتلى إياك فقال اسْتُكَ أضْيَقَ من ذاك ، فوَثَبَ البراض بسيفه إليه فضربه ضربةً خَمَدَ منها ، واستاقَ العير ، فبسببه هاجت حربُ الفجَار بين حي خنْدف وقيس ؛ فهذه فَتكَة البَرَّاض التي بها المثل قد سار ، وقَال فيها بعضُ شعراء الإسلام :

والفَتَى مَن تَعَرَّفَتْهُ الليالي ... وَالفَيَافِي كَالحَيَّةِ النَّضْنَاضِ
كُلَّ يَوْمٍ لـه يصْرِفِ الليالي ... فَتْكَةٌ مِثْلُ فَتْكَةِ البَرَّاضِ

أفْتَكُ مِنَ الجَحَّافِ

هو الجَحَّافُ بن حَكيم السُّلَمى

ومن خبر فَتكه أن عُمَير بن الحُبَاب السُّلْمى كان ابن عمه ، فَنَهضَ في الفتنة التي كانت بالشأم بين قَيْس وكَلْب بسبب الزُّبَيْرية والمَرْوانية ، فلقى في بعض تلك المُغاورات خيلاً لبنى تغلب فقتلوه ، فلما اجتمع الناسُ على عبد الملك بن مروان ووضَعَتْ تلك الحروبُ أوْزَارَها دخل الجَحَّاف على عبد الملك والأخطلُ عنده ، فالتفتَ إليه الأخطلُ فَقَال :

ألا سَائِلِ الجَحَّافَ هَلْ هُوَ ثائر ... لقَتْلَى أصِيبَتْ من سُلَيمٍ وَعَامِرِ

فَقَال الجحاف مُجيباً له :

بَلَى سَوفَ أبكيهِمْ بكُلِّ مُهَنَّد ... وأبْكَى عُمَيراً بالرِّمَاح الخَواطِرِ

ثم قَال : يا ابن النصرانية ما ظننتك تُجترىء عليَّ بمثل هذا ، ولو كنت مأسورا ، فحُمَّ الأخطلُ فَرَقاً من الجَحَّاف ، فَقَال عبد الملك : لا تُرَعْ فإني جارُكَ منه ، فَقَال الأخطل : يا أمير المؤمنين هَبْكَ تجيرني منه في اليقَظَة فكيف تجيرني في النوم؟ فنهض الجَحَّاف من عند عبد الملك يَسْحَبُ كساءه فَقَال عبد الملك : إن في قفاه لَغَدْرَةً ، ومر الجَحَّاف لطيَّته وجمع قومَه وأتى الرُصَافه ، ثم سار إلى بنى تغلب ، فصادف في طريقة أربعَمَائة منهم ، فقتلهم ، ومضى إلى البِشْر – وهو ماء لبنى تغلب

– فصادف عليه جمعاً من تغلب فقتل منهم خمسمائة رجل ، وتَعَدَّى الرجالَ إلى قتل النساء والولدان ، فيقَال : إن عجوزاً نادته فَقَالت : حربك الله يا جحاف ! أتقتلُ نساءً أعلاهن ثُديٌّ وأسفلُهن دُمِيٌّ ، فانحزل ورجع ، فبلغ الخبرُ الأخطلَ فدخل على عبد الملك وقَال :

لَقَدْ أوْقَعَ الجَحَّافُ بالبِشْرِ وَقْعَةً إلى اللهِ منْها المُشْتَكَى وَالمُعولُ

فأهدرَ عبدُ الملك دم الجحَّاف ، فهربَ إلى الروم ، فكانَ بها سبع سنين ، ومات عبدُ الملك وقام الوليد ابن عبد الملك فاستؤمن للحجاف فأمنه فرجع

قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ

أصله أن قوما اجتمعوا يخطبون في صُلح بين حيين قتل أحدُهُما من الآخَر قتيلا ، ويسألون أن يرَضوا بالدِّية ، فبيناهم في ذلك إذ جاءت أمة يُقَال لها «جهيزة» فَقَالت : إن القاتل قد ظَفرَ به بعضُ أولياء المقتول فقتله ، فَقَالوا عند ذلك «قَطَعَتْ جهِيزةُ قول كل خطيب» أَي قد استغنى عن الخُطَب .

يضرب لمن يقط على الناس ما هم فيه بَحَمَاقةً يأتي بها .

قَوِّرِى وَالطُفي

قَاله رجل لامرأته ، وكان لها صديقَ طَلبَ إليها أن تَقَدَّ له شراكين من شَرج أست زوجها ، فلما سمعت ذلك استعظمته وزَجَرته ، فأبى إلا أن تفعل ، فاختارت رضاه على صلاح زوجها ، فنظرت فلم تَجدْ له وَجْهاً ترجو به إليه السبيل إلا أن عَصَبَتْ على مَبَالِ ابن لها صغير بقصبة وأخفتها ، فَعَسُرَ عليه البولُ ، فاستغاث بالبكاء ، فلما سمعَ أبوهُ البكاء سألها : ما يُبْكه؟ فَقَالت : أخذه الأسْرُ وقد نُعت لي دَوَاؤُه طريدة تُقَدُّ له من شَرْج استك ، فأعظَم الرجلُ ذلك ، وجعل الأمرُ لاَ يزداد بالصبي إلا شدة فلما رأى أبوه ذلك اضطجع وقَال : دونَكِ يأمَّ فلان قَوِّرِى وَالطُفي ، فاقتطعت منه طريدةً لتُرْضى صديقها ، وأطلقت عن الصبي

يضرب للرجل الغمر الغر ليحذر

قَدْ يَضْرَطُ العَيْرُ وَالمكْوَاةُ في النَّار

أول من قَال ذلك عُرْفُطة بن عَرْفَجة الهَزَّاني ، وكان سيد بنى هِزَّان ، وكان حُصَين بن نبيت العُكْلى سيد بنى عُكْل ، وكان كل واحد منهما يغير على صاحبه ، فإذا أسرت بنو عكل من بنى هِزَّان أسيراً قتلوه ، وإذا أسرت بنو هِزَّان منهم أسيراً فَدَوْه ، فقدم راكب لبنى هِزَّان عليهم فرأى ما يصنعون ، فقال لبنى هِزَّان : لم أر قوماً ذوى عَدَد وعُدَّة وجَلَد وثَرْوَة يلجئون إلى سيد لا ينقض بهم وتْراً ، أرضيتم أن يَفْنَى قومُكم رغبةً في الدِّيةِ ، والقومُ مثلكم تؤلمهم الجِرَاح ، ويَعضُّهم السلاح؟ فكيف تقتلون ويسلمون؟ ووبخهم توبيخاً عنيفاً ، وأعلمهم أن قوماً من بنى عُكْل خرجوا في طلب إبل لهم ، فخرجوا إليهم فأصابوهم ، فاستاقوا الإبل وأسَروهم ، فلما قدموا محلتهم قَالوا : هل لكم في اللّقَاح ، والأمة الرَّدَاح ، والفَرَس الوَقَاح؟ قَالوا : لا ، فضربوا أعناقهم ، وبلغ عُكْلاً الخبرُ ، فساروا يريدون الغارة على بنى هِزَّان ونذرت بهم بنو هِزَّان ، فالتفوا فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى فَشَتْ فيهم الجراح ،

وقتل رجل من بنى هِزَّان ، وأسرَ رجلان من بنى عُكْلٍ وانهزمت عكل ، وإن عرفطة قَال للأسيرين : أي كما أفضل لأقتله بصاحبنا؟ وعسى أن يفادى الآخَر ، فجعل كل واحد منهما يخبر أن صاحبه أكرم منه ، فأمر بقتلهما جميعاً ، فقدِّم أحدُهما ليقتل ، فجعل الآخَر يَضْرَطُ ، فَقَال عرفطة : قد يضْرَطُ العيرُ والمكواة في النار ، فأرسلها مَثَلاً .

يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه .

وقَال أبو عبيد : إذا أعطى البخيل شيئاً مخافة ما هو أشد منه قَالوا : قد يَضْرَطُ العَيْرُ والمكواة في النار .

ويقَال : إن أول من قَاله مُسَافر بن أبى عمرو بن أمية ، وذلك أنه كان يَهْوَى بنت عتبة ، وكانت تهواه فَقَالت له : إن أهلي لا يزوجونني منك لأنك مُعَسِر ، فلو قد وَفَدْتَ إلى بعض الملوك لعلك تصيب مالا فتتزوجني ، فرحل إلى الحِيرَة وافداً على النعمان ، فبينما هو مُقيم عندهُ إذ قَدِم عليه قادم من مكة ، فسأله عن خبر أهل مكة بعده فأخبره بأشياء وكان فيها أن أبا سفيان تزوج هندا ، فطُعِنَ مسافر من الغم ، فأمر النعمان أن يكوى ، فأتاه الطبيب بمَكَاويه فجعلها في النار ، ثم وضع مكواة منها عليه وعِلْجٌ من عُلُوج النعمان واقف ، فلما رآه يُكْوَى ضَرِط ، فَقَال مسافر : قد يَضْرَطُ العيرُ والمكواة في النار ، ويقَال : إن الطبيب ضَرِطَ .

قَدْ قَلَيْنَا صَفِيرَكُم

أصله أن رجلاً كان يعتاد امرأة ؛ فكان يجئ وهى جالسةٌ مع بنيها وزوجها فيصفر لها ، فتُخرج عجزها من وراء البيت وهي تُحْدِثُ ولَدَها ، فيقضى الرجلُ حاجته وينصرف ، فعلم ذلك بعضُ بنيها ، فغاب عنها يومَه ، ثم جاء في ذلك الوقت فَصَفَر ومعه مِسْمَار مُحْمىً ، فلما أن فعلت كعادتها كَوَاها به ، فَجاء خِلُّها بعد ذلك فصفر فَقَالت : قد قلينا صفيركم ، قَال الكميت[1] :

أَرْجُو لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي مَوَدَّتِكُمْ كَلْبَا كَوَرْهَاء تَقْلَى كُلَّ صَفَارِ
لَّمَا أَجَابَتْ صَفِيراً كَانَ آتِيهَا مِنْ قَابِسٍ شَيَّطَ الوَجْعَاءَ بالنَّارِ

قَدْ كَانَ ذَلكَ مَرَّةً فَاليَوْمَ لاَ

أولُ من قَال ذلكَ فاطمة بنت مُرٍّ الخَثْعَمية ، وكانت قد قرأت الكُتُبَ ، فأقبل عبدُ المطلب ومعه ابنه عبدُ الله يريد أن يزوِّجه آمنة بنت وَهَب بن عبد مناف بن زُهْرَة بن كلاب ، فمرَّ على فاطمة وهى بمكة ، فرأت نُورَ النبوة في وَجْه عَبْد الله ، فَقَالت له : مَنْ أنت يافتى؟ قَال : أنا عبدُ الله بن عبد المطلب ابن هاشم ، فَقَالت : هَلْ لك أن تَقَع على وأعطيك مائةً من الإبل؟ فَقَال :

أَمَّا الحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالحِلُّ لاَ حِلَّ فأستَبِينَهُ
فَكَيفَ بِالأمْرِ الَّذي تَنْوِينَهُ يَحْمِدى الكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ

ومضى مع أبيه ، فزوَّجه آمنة ، وظَل عندها يومَه وليلته ، فاشتملت بالنبي ﷺ ، ثم انصَرَفَ وقد دَعَتْه نفسه إلى الإبل ، فأتاها فلم ير منها حِرْصاً ، فَقَال لها : هل لك فيما قلت لي؟ فَقَالت : قد كان ذلك مرة فاليوم لا ، فأرسلتها مَثَلاً .

يضرب في الندم والإنابة بعد الأجترام ثم قَالت له : أي شَيء صَنَعْتَ بعدي ، قال : زوجني أبي آمنة بنت وهب ، فكنت عندها ، فقَالت : رأيتُ في وجهك نورَ النبوة فأردت أن يكون ذلك في فأبى الله تعالى إلاَّ أنْ يَضَعه حيث أحَبَّ ، وقَالت :

بَنِى هاشم قَدْ غَادَرَتْ مِنْ أخيكُمُ أمينَةُ إذ للبَاه يَعتَلِجَانِ
كَمَا غَادَرَ المِصْبَاحُ بَعْدَ خُبُوِّهِ فَتَائِلَ قَدْ مِيثَتْ لَهُ بِدِهَانَ

(١) الكميت بن زيد الأسدي شاعر عربي من قبيلة بني أسد ومن أشهر شعراء العصر الأموي ، سكن الكوفة واشتهر بالتشيع وقصائده في ذلك المسماة بالهاشميات

ومَــا كُلُّ ما نالَ الفتَى مــنْ نَصيبِــه بحَــزْم ، ولاَ مَافَاتَـــهُ بتَـــوَانِ
فأجْمـــلْ إذا طالَبْــتَ أَمْـــراً فَإنَّـــهُ سَيَكْفِيكَـــهُ جَــدَّانِ يَصْطَرِعَــانِ

وقَالت في ذلك أيضاً :

إنِّـــى رَأيْــتُ مَخيلَـــةً نَشَـــأتْ فَتَـــلألأتْ بخَاتـــم القَطْـــرِ
للهـــ مَــــا زُهْرِيَّـــة سَلَبَــــــتْ ثَوْبَيْــكَ مَا اسْتَلَبَــتْ وَمَا تَــدْرِى

أقْبَحُ هَزِيلينِ الفَرَسُ والمَرْأةُ

يحكى أن عمرو بن اللّيث عُرِضَ عليه الجند يوماً يعطي فيه أرزاقهم ، فعرض عليه رجل له فرس عَجْفاء ، فَقَال عمرو : هؤلاء يأخذون دَرَاهمي ويُسَمِّنون بها أكْفَالَ نسائهم ، فَقَال الرجل : لو رأى الأميرُ كَفْلها لاستسمن كَفَلَ دابتي ، فضحك عمرو ، وأمر له بِصِلة ٍ، وقَال : سَمِّنْ بها مركوبك

أَقْوَدُ مِنْ ظُلْمَةَ

هي امرَأة من هزيل ، وكانت فاجرة في شبابها حتى عجزت ، ثم قادت حتى أقعدت ، ثم التخذت تَيْسا فكانت تطرقه الناس ، فَسُئلت عن ذلك ، فَقَالت : إني أرتاح إلى نَبِيبه على ما بي من الهرم ، وسئلت : مَنْ أنكَح الناس؟ فَقَالت : الأعمى العفيف ، فحدث عَوَانة بهذا الحديث وكان مكفوفا ، فَقَال : قاتلها الله من عالمة بأسباب الطروقة .

قَال الجاحظ : لما قدم أشْعَبُ الطمَّاع من المدينة بغداد في أيام المهدى تلقاه أصحابُ الحديث ؛ لأنه كان إذا إسناد ، فَقَالوا له : حدثنا ، فَقَال : خُذُوا ، حدثني سالم بن عبد الله – وكان يبغضني في ًالله – قَال : خصلتان لا تجتمعان في مؤمن ، وسكت ، فَقَالوا : اذكرهما ، قَال : نسى إحداهما سالم ونسيتُ الآخَرى ، فَقَالوا : حدثنا عافاك الله بحديث غيره ، فَقَال : خذوا ، سمعتُ ظُلْمة – وكانت من عجائزنا – تقول : إذا أنا متُّ فأحرقوني بالنار ، ثم اجمعوا رَمَادِي في صُرَّة ، وأتربوا به كتبَ الأحباب ؛ فإنهم يجتمعون لا محالة ، وأتوا به الخاتنات ليذرون منه على أجراح الصبيات ، فإنهن يلهجن بالزب ما عِشْنَ ، وقَال ابن يسار الكوَاعب يَضْرب بظلمة المثل :

بُلِيْتُ بِوَرْهَاءَ ذَنْمَرْدَة(*) تكاد تقطرها الغُلمَهْ
تَنِمُّ وتَعضَهُ جارَاتِهَا وأقْوَدُ باللَّيْلِ مِنْ ظُلْمَهْ
فَمن كلِّ ساعٍ لَهَا رَكْلَةٌ ومِنْ كُلِّ جَارٍ لَهَا لَطْمَهْ

أقْرَى مِنْ آكِلِ الخُبْزْ

المثل تميمي ، وآكل الخبز : عبدُ الله بن حَبيب العنبري أحد بني سَمُرَة ، سمى آكل الخبز لأنه كان لا يأكل التَّمْر ، ولا يرغب في اللَّبن ، وكان سيد العَنْبر في زمانه ، وهم إذا فخروا قَالوا : منا آكِلُ الخبز ومنا مُجيرُ الطير ، فأما مُجيرُ الطير فهو نور بن شحمة العَنْبَرِي ، وأما السبب في تلقبيهم عبدَ الله بن حبيب بآكل الخبز ، فلأن الخبزَ نفسه عندهم ممدوح ، وذكر أبو عبيدة : أنَّ هَوْذَةَ بن علي الحَنَفي دخل على كسرى أبرَويزَ فقَال له : أي أولادكَ أحبُّ إليكَ؟ قال : الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدَم ، والمريض حتى يبرأ ، قَال : ماغذاؤك ببلدك؟ قَال الخبز ، فقال كسرى : هذا عَقْل الخبز ، لا عَقْلُ اللبن والتمر ، فصار الخبز عندهم ممدوحاً كما صار ما يناسبه بعض المناسبة ممدوحاً ، وهو الفالوذ ج لأنه أشرف طَعَام وقع إليهم ، ولم يطعم الناس الطعامَ أحدٌ من العرب إلا عبد الله بن جُدْعَان فمدَّحه أبو الصلت بذلك ، وما يناسبه كلَّ المناسبة يعني الثريد ، وهو في أشرافهم عام ، وغلب عليه هاشم حين هَشَم الخبز لقومه ، فمدح به في قول الشاعر :

عَمْرُو العُلا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمه وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

قَال حمزة : فهذا المثل مع ما يتلوه حكاه عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه الموسوم بـ«كتاب أطْعِمَةِ العرب» .

كلُّ فَتَاةٍ بِأبِيهَا مُعْجَبَة

يضرب في عُجْب الرجل برهطه وعشيرته وأول من قال ذلك العَجْفَاء بنت عَلْقَمة السعدى ، وذلك أنها وثَلاثَ نسوة من قومها خَرَجْنَ فاتَّعَدْنَ بروضة يتعدثن فيها ، فوافَيْنَ بها ليلاً في قمر زاهر ، وليلة طَلْقَة ساكنة ، وروضة مُعْشِبة خَصْبة ، فلما جلسن قلن : ما رأينا كالليلة ليلة ، ولا كهذه

(*) الذنمرة : السحاقة .

الروضة روضة ، أطيب ريحاً ولا أنْضَر ، ثم أفَضْنَ في الحديث فقلن : أي النساء أفضل؟ قَالت إحداهن : الخَرُود الوَدُود الوَلُود ، قَالت الأخرى : خَيْرُهن ذات الغناء وطيب الثناء ، وشدة الحياء ، قَالت الثالثة : خيرهن السَّمُوع الجَمُوع النَّفُوع ، غير المنوع ، قَالت الرابعة : خيرهن الجامعة لأهلها ، الوادعة الرافعة ، لا الواضعة ، قلن : فأي الرجال أفضل؟ قالت إحداهن : خيرهم الحَظِيُّ الرّضِيُّ غير الحظال (الحظال : المقتر المحاسب لأهله على ما ينفعه عليهم .)

ولا التبال ، قَالت الثانية : خيرهم السيدُ الكريم ، ذو الحسب العميم ، والمجد القديم ، قَالت الثالثة : خيرهم السخِيُّ الوفي الذي لا يُغيرُ الحرة ، ولا يتخذ الضرة ، قَالت الرابعة : وأبيكن إن في أبي لَنَعْتَكُنَّ كرم الأخلاق ، والصدقَ عند التلاق ، والفلج عند السباق ، ويحمده أهل الرفاق ، قَالت العَجْفَا عند ذلك : كلُّ فتاة بأبيها مُعْجَبَة

وفي بعض الروايات أن إحداهن قَالت : إن أبي يُكْرِمُ الجار ، ويعظم النار ، ويَنْحَر العشَار ، بعد الحوار ، ويحل الأمور الكبار ، فَقَالت الثانية : إن أبي عظيم الخَطر ، منيع الوَزَر ، عزيز النفر ، يُحْمَدُ منه الوِرْدُ والصَّدَر ، فَقَالت الثالثة : إن أبي صدوقَ اللسان ، كثير الأعْوَان ، يُرْوى السِّنَان ، عند الطعان ، قَالت الرابعة : إن أبي كريم النِّزَال ، منيف المقَال ، كثير النَّوَال ، قليل السؤال ، كريم الفَعَال ، ثم تنافَرْنَ إلى كاهنة معهن في الحي فقلن لها : اسمعي ما قلنا ، واحكمي بيننا ، واعدلي ، ثم أَعَدْنَ عليها قولَهن ، فقالت لهن : كل واحدة منكن ماردة ، على الإحسان جاهدة ، لصواحباتها حاسدة ، ولكن اسْمَعنَ قولي : خيرُ النساء المبقية على بعلها ، الصابرة على الضراء ، مخافة أن ترجع إلى أهلها مطلقة ، فهي تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها ، فتلك الكريمة الكاملة ، وخير الرجال الجَواد البَطَل ، القليل الفشل ، إذا سأله الرجل ألفاه قليل العلل ، كثير النَّفَل ، ثم قَالت : كل واحدةٍ منكن بأبيها مُعْجَبَة .

كَبُرَ عَمروٌ عن الطّوْق

قَال المفضل : أولُ من قَال ذلك جَذيمة الأبرش[1] ، وعمرو هذا : ابن أخْتِهِ ، وهو

---

(١) جذيمة الأبرش هو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك =

عمرو بن عديٍّ بن نصر وكان جَذيمة ملك الحيرةَ ، وجَمَع غِلْمانا من أبناء الملوك يخدمونه منهم عديٌّ بن النصر ، وكان له حظ من الجَمَال ، فعشقته رَقَاش أخت جَذيمة ، فَقَالت له : إذا سقيت الملك فسَكِرَ فاخطبني إليه ، فسقى عديٌّ جَذيمَةَ ليلة وألطَف له في الخدمة ، فأسرعت الخمر فيه ، فَقَال له : سَلْني ما أحبَبت ، فَقَال : أسألُك أن تُزَوجْني رَقَاش أخْتَك ، قَال : ما بها عنك رغبة ، قد فعَلْتُ ، فعلمت رَقَاش أنه سينكر ذلك عند إفاقته ، فَقَالت للغلام : أُدْخُل على أهلكَ اللَيلةَ ، فدخلَ بها وأصبح وقد لبث ثياباً جُدُدا ، وتَطَيَّبَ ، فلما رآه جَذيمة قَال : يا عَديُّ ما هذا الذي أرى؟ قَال : أنكحْتَني أخْتَكَ رَقَاش البَارحَة ، قَال : ما فعلتُ؟ ثم وضَعَ يَده في التراب وجعل يضرب بها وجهه ورأسَه ، ثم أقبَل على رُقاش فَقَال :

حدِّثيني وأنتِ غَيْرُ كَذُوب(*) أبحُرٍّ زَنَيْتِ أم بهَجين
أمْ بِعَبْد وأنتِ أهلٌ لعَبْد أم بِدُون وأنتِ أهلٌ لِدُونَ

قَالت : بلْ زوجتني كُفُؤا كريما من أبنَاء الملوك ، فأطْرَقَ جذيمة فلما رآه عدي قد فعل ذلك خافه على نفسه فهرب منه ولحقَ بقومه وبلاده ، فمات هُناك ، وعَلقت منه رقاش فولدت غلاما فسماه جذيمة عمرا ، وتبنَّاه ، وأحبه حباً شديدا وكان جذيمة لا يولد له ، فلما بلغ الغلام ثمان سنين كان يخرج في عدة من خدم الملك يجتنون له الكمأة ، فكانوا إذا وجدوا كمأة خيارا أكلوها وراحوا بالباقي إلى الملكَ ، وكان عمرو لا يأكل مما يجني ويأتي به جذيمة فيضعه بين يديه ، ويقول :

هَذا جَنايَ وخيَارُهُ فيه إذْ كَلُّ جَانٍ يَدُهُ إلى فيه

فذهبت مَثَلاً ، ثم إنه خرج يوما وعليه ثيابٌ وحُلي فاستطِيرَ ففُقِدَ زَمانا ، فضرب في الآفاق فلم يوجد ، وأتى على ذلك ما شاء الله ثم وجده مالك وعقيل ابنا فارج ، رجلان من بلْقَيْن كانا يتوجَّهان إلى الملك بهدايا وتحف ، فبينما هما نازلان في بعض أودية السَّمَاوة انتهى إليهما عمرو بن عدي ، وقد عفتْ أظْفَارَهُ وشعره ، فَقَالا له : مَنْ

= بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان هو ثالث ملوك تنوخ وأول ملك في بالحيرة حكم في الفترة ٢٣٣ -٢٦٨ ، وقيل له الأبرص والوضاح لبرص كان به ، ويعظم أن يسمى بذلك فجعل مكانه الأبرش ، قيل فيه أنه كان أعظم ملوك العرب في الجاهلية ، ومن أفضلهم رأياً وحزماً وشجاعة .

(*) حِفظي ، حدثيني رقاش لا تُكذبيني .

أنت؟ قَال : ابنُ التَّنُوخية فلَهَيَا عنه وقَالا لجارية معهما : أطعمينا ، فأطعمتهما ، فأشار عمرو إلى الجارية أن أطعميني ، فأطعمته ثم سقتهما ، فَقَال عمرو : اسقني ، فَقَالت الجارية لا تُطْعم العبدَ الكُرَاع فيطْمَع في الذِّراع فأرسلتها مَثَلاً ، ثم إنهما حَمَلاَهُ إلى جذيمة فعرفه ، ونظر إلى فتى ما شاء من فتى فَضمَّه وقَبلَهُ وقَال لهما : حكَّمْتُكما ، فسألاه منادمته ، فلم يزالا نديميه حتى فرَّقَ الموت بينهم ، وبعث عمراً إلى أمه ، فأدخلته الحمام وألبسته ثيابه ، وطوَّقته طَوْقَاً كان له من ذهب ، فلما رآه جذيمة قَال : كَبُرَ عمرو عن الطَّوقِ ، فأرسلها مَثَلاً ، وفي ملك وعقيل يقولوا مُتَمِّمُ بن نُويرة يرثي أخاه مالك بن نُوَيرة

وكُنَّا كَنَدْمانَيّ جَذِيمة حقْبَةً ... مِنَ الدَّهر حتَّى قيل لَنْ نَتَصَدَّعا
وعِشْنَا بخَيْرٍ فِي الحَيَاة وَقَبْلَنَا ... أَصَابَ المَنَايَا رَهْطَ كسْرَى وَتُبَّعا
فَلَمَّا تفرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكاً ... لِطُول اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبَتْ لَيْلَةً معاً

قلت : اللام في «لطول اجتماع» يجوز أن تتعلَقَ بتفرقَنَّا أي تفرقنا لاجتماعنا ، يشير إلى أن التفرقَ سببه الاجتماع ويجوز أن تكون اللام بمعنى على .

وقَال أبو أَخراش الهذلى يذكرهما : ألم تَعْلَمي أن قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا خليلاَ صفاءِ مالكٌ وعقيلُ قَال ابن الكلبي : يضرب المثل بهما للمُتَوَاخِيَين فيقَال : هما كنَدْمَانَيّ جَذِيمةَ .

قَالوا : دامت لهما رُتبت المنادمة أربعين سنة .

كلُّ شَاةٍ بِرِجْلِهَا مُعَلَّقَةٌ

قَال ابن الكلبي : أولُ مَنْ قَال ذلك وَكِيعُ بن سلمة بن زهير بن إياد ، وكان وَلِيَ أمْرَ البيت بعد جُرْهُم ، فبنى صَرْحاً بأسفل مكة عند سُوقَ الخَيَّاطين اليوم ، وجعل فيه أمةً يُقَال لها حَزْورَة ، وبها سميت حَزْوَرة مكة ، وجعل في الصَّرح سُلَّما ، فكان يَرْقَاهُ ويزعم أنه يناجي الله تعالى ، وكان ينطقَ بكثير من الخبر ، وكان علماء العرب يزعمون أنه صِدِّيقَ من الصِّديقين ، وكان من قوله مُرْضِعَة أو فاطمة ، ووادعة وقاصمة ، والقَطيعة والفجيعة ، وصلة الرحم ، وحسن الكَلام ، ومن كلامه : زعَمَ رَبكم ليجزين بالخير ثواباً ، وبالشر عقاباً ، إن مَنْ في الأرض عَبيدٌ لمن في السماء ، هلكت جرهم وربلت إياد (ربلت إياد : كثرت ونمت وزادت) .

وكذلك الصلاح والفساد ، فلما حضرته الوفاة جمع إياداً فَقَال له : اسمعوا وصيتي ، الكلم كلمتان ، والأمر بعد البَيَان ، من رَشَدَ فاتَبِعُوه ، ومن غوَى فارفُضُوه ،

وكل شاة برجلها مُعَلَّقة ، فأرسلها مَثَلاً ، قَال : ومات وكيع فنعى على الجبال ، وفيه يقول بشير بن الحجير الإيادي :

وَنَحْـنُ إيَـادُ عبَـادُ الإلـه وَرَهْـط مُنَاجـديه فـي سُلَّـم
وَنَحْـدنُ وُلاةُ حجَـابِ العَتيـق زَمَـانَ النُّخَـاعَ علـى جُرْهُـم

يُقَال : إن الله سلط على جرهم داء يُقَال له النخاع ، فهلك منهم ثمانون كهلاً في ليلة واحدة سوى الشبان ، وفيهم قَال بعض العرب :

هَلَكـتْ جُرْهُـمُ الكِـرَامُ فعَـالاً وَولاَةُ البَنيِّـدة الحُجَّـابُ
نُخعُـوا لَيلَـةً ثَمَانُـونَ كَهْـلاً وشَبَابـاً كَفَى بهم من شَبَـابِ

كالخَرُوف أَيْنَما مَالَ اتَّقَى الأرضَ بِصَوَاف
يضرب لمَن يجد مُعْتَمَداً كلما اعتمد

كالْكَبْشِ يَحْمِلُ شَفْرَةً وَزِنَاداً

يضرب لمن يتعرَّض للهَلاك وأصله أن كسرى بن قُبَاذ مَلَّك عمرو بن هند الملكَ الحيرةَ وما يلي مُلكَ فارس من أرض العرب ، فكان شديد السلطان والبطش ، وكانت العرب تسميه «مُضَرِّطَ الحِجارة» فبلغ من ضبطه الناس وقهره لهم واقتداه في نفسه عليهم أن سَنَةً اشْتدَّت على الناس حتى بلغت بهم كلٍّ مبلغ من الجهد والشدة ، فعمد إلى كبش فَسمَّنه حتى إذا امتلأ سمناً علَّقَ في عنقه شَفْرة وزناداً ثم سَرَّحه في الناس لينظر هل يجترئ أحد على ذبحه فلم يتعرض له أحد ، حتَّى مرَّ ببني يَشْكر ، فَقَال رجل منهم يُقَال له «عِلْبَاء بن أرقَمَ اليَشْكَري» ما أراني إلا آخذ هذا الكبش فآكله ، فَلامَهُ أصحابه ، فأبى إلا ذِبْحه ، فذكروا ذلك لشيخ له ، فَقَال : إنكَ لا تعدم الضار ، ولكن تعدم النافع ، فأرسلها مَثَلاً ، وقَال قائل آخر منهم : إنك كائن كقُدَار على إرم ، فأرسلها مَثَلاً ، ولما كثرت اللائمة قَال : فإني أذبحُه ثم آتى الملك فواضع يدي في يَدِهِ ومُعْتَرِف له بذنبي ، فإن عفَا عني فأَهْلُ ذلك هو ، وإن كانت منه عقوبة كانت بي ودونكم ، فذبحه وأكله ، ثم أتى الملك عمرو بن هند ، فَقَال له : أَبيتَ اللَّعنَ ، وأسْعَدكَ إلهُكَ ، ياخير الملوك إني أّذْنبْتُ ذنبا عظيما إليك ، وعفوك أعظم منه ، قَال : وما ذنبك؟ قَال : إنك بَلَوتَنا بكبش سَرَّحْتُه ونحن مَجْهُودون ، فأكلْته ، قَال : أو فعلت؟ قَال نعَم ، قَال : إذن أقتلك ، قَال : مليك شَيء حكمه ، فأرسلها مَثَلاً ، ثم أنشده قصيدةً في تلك الخطة ، فخَلَّى عنه ، فجعلت العربُ ذلك الكبش مَثَلاً

كَمُجِيرِ أُمِّ عَامِرٍ

كان من حديثه أن قوماً خَرَجُوا إلى الصيد في يوم حار ، فإنهم لكَذَلك إذ عَرَضَتْ لهم أُمَّ عامر ، وهي الضبع ، فطَرَدُوها وأتبعهم حتى ألجؤوها إلى خباء أعرابي ، فاقتحمته ، فخرج إليهم الأعرابي ، وقَال : ما شأنكم؟ قَالوا : صَيْدُنا وطَريدتنا ، فَقَال : كلا ، والذي نفسي بيده لا تصلون إليها ما ثَبَتَ قائمُ سيفي بيدي ، قَال : فرجَعُوا وتركوه ، وقام إلى لِقْحَة فحلَبَهَا وماء فقرب منها ، فأقبلت تَلغُ مرةً في هذا ومرة في هذا حتى عاشت واستراحت ، فبينا الأعرابي نائم في جَوْف بيته إذ وَثَبَتْ عليه فبَقَرَتْ بطنه ، وشربت دَمَه وتركته ، فجاء ابن عم له يطلبه فإذا هو بَقيرٌ في بيته ، فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها ، فَقَال : صاحبتي والله ، فأخذ قوسه وكنانته واتبعها ، فلم يزل حتى أدركها فقتلها ، وأنشأ يقول :

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ معْ غَير أَهْلِه ... يُلاَقَ الَّذي لاَقَى مُجِيرُ امِّ عَامِرِ
أدامَ لها حِيْنَ استَجَارَتْ بقُرْبِه ... لها محْضَ أَلبَانِ اللقَاحِ الدَّرَائِرِ
وَأَسْمَنَهَا حَتَّى إذَا مَا تَكَامَلَتْ ... فَرَتْهُ بأنْيَابٍ لَهَا وَأَظَافِرِ
فَقُلْ لِذوِي المَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ ... بَدَا يَصْنَعُ المَعرُوفَ فِي غَيْرِ شَاكِرِ

كَرِهَتِ الخَنَازِيرُ الحَمِيمَ المُوغَرَ

وأصله أن النصارى تَغْلِي الماء للخنازير
فتلقيها فيه لتنضج ، فذلك هو الإيغار ، قَال أبو عبيد : ومنه قول الشاعر :

وَلَقَدْ رَأَيتُ مَكَانَهُمْ فَكَرِهْتُهُمْ ... كَكَرَاهَةِ الخِنزِيرِ للإِيْغَارِ

قَال ابن دُرَيْد : يغلي الماء للخنزير فيسمط وهو حي ، قَال : وهو فعل قوم

كذَلِكَ النُّجَارُ يَخْتَلِفُ

يضرب مَثَلاً للمختلفين

وأصله أن ثعلبا اطلع في بئر ، فإذا في أسفلها دَلْو ، فركِبَ الدلو الأخرى ، فانحدرت به ، وعلت الأخرى ، فشرب ، وبقي في البئر ، فجاءت الضبع فأشرفَتْ فَقَال لها الثعلب : انزلي فاشربي ، فقعدت في الدلو ، فانحدرت بها وارتفعت الأخرى بالثعلب ، فلما رأته مُصْعِداً قَالت له : أين تذهب؟ قَال : كذلك النُّجار يختلف ، فذهبت مَثَلاً ، وروى أبو محمد الديمري «كذاك التِّجَار تَخْتَلِفُ» جمع تاجر بالتاء .

كالأرقَم إنْ يُقْتَلُ يَنْقِمْ، وإنْ يُتْرَكْ يَلْقَم

كانوا في الجاهلية يزعمون أن الجن تطلبُ بثأر الجانِّ ، فربما مات قاتله ، وربما أصابه خَبل ، وفي حديث عمر رضي الله عنه ، أن رجلاً كسر منه عَظم فأتى عمر يطلب القَوَدَ فأبى أن يُقيده ، فَقَال الرجل : هو كالأرقم إن يُقْتَل ينقم وإن يترك يلقم ، فَقَال عمر رضي الله عنه : هو كذلك ، يعني نفسه .

كيفَ أُعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأْسِكَ

أصلُ هذا المثل على ما حَكَتْه العرب على لسان الحية أن أخوين كانا في إبل لهما فأجْدَبَتْ بلادهما ، وكان بالقرب منهما واد خَصيبٌ وفيه حية تَحْميه من كل أحد ، فَقَال أحدهما للآخر : يا فلان ، لو أنى أتيتُ هذا الوادي المُكْلِئ فرَعَيْتُ فيه إبلي وأصلحتها فَقَال له أخوه : إني أخاف عليك الحية ، ألا ترى أن أحداً لا يهبط ذلك الوادى إلا أهلكته ، قَال : فوالله لأفعَلَنَّ ، فهبط الوادى ورعى به إبله زماناً ، ثم إن الحية نَهَشَتْه فقتلته ، فَقَال أخوه : والله ما في الحياة بعد أخي خير ، فلأطلبَنَّ الحية ولأقتلنها أو لأتبعنَّ أخي ، فهبط ذلك الوادى وطلب الحية ليقتلها ، فَقَالت الحية له : ألست تَرَى أنِّى قتلت أخاك؟ فهل لك في الصلح فأدعَكَ بهذا الوادى تكون فيه وأعْطِيك كل يوم ديناراً ما بقيت؟ قال أو فاعله أنت؟ قَالت : نعم ، قَال : إني أفعل ، فحلف لها وأعطاها المواثيقَ لا يضرها ، وجعلت تُعْطيه كلَّ يوم ديناراً ، فكثر مالُه حتى صار من أحسن الناس حالا ، ثم إنه تَذَكَّر أخاه فَقَال : كيف ينفعني العيشُ وأنا أنظر إلى قاتل أخي؟ فعَمدَ إلى فأسٍ فأخذها ثم قَعَدَ لها فمرَّت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجُحْرَ ، ووقعت الفأسُ بالجبلِ فوقَ جُحْرها فأثرت فيه ، فلما رأت ما فَعَلَ قطعت عنه الدينار ، فخاف الرجل شَرَّها وندم ، فَقَال لها : هل لك في أن نَتَوَاثقَ ونَعُودَ إلى ما كنا عليه؟ فَقَالت : كيف أعاودك وهذا أَثَرُ فأسِك؟

يضرب لمن لا يَفِي بالعهد

وهذا من مشاهير أمثال العرب ، قَال نابغة بن ذبيان :

وإنِّـــي لألقَــى من ذَوىِّ الغَيِّ مِنْهُـمُ	وما أصْبَحَتْ تَشْكُو منَ الشَّجْو سَاهِرَهْ
كما لَقِيَتْ ذاتُ الصَّفَا مِــنْ حَلفِهَــا	وكانَــتْ تُريــه المَــالَ غبّاً وَظَاهِرَهْ
فَلَمَّــا رأى أنْ ثَمَّــرَ اللَــه مَالَـــهُ	وَأَثَّــلَ مَوْجُــوداً وَسَــدَّ مَفَاقِــرَهْ
أكَـــبَّ عَــلَى فــأسٍ يُحِـدُّ غُرَابَهَــا	مُذَكَّــرَةٍ مِــنَ المَعَـــاوِلِ بَاتِــرَه

فَقَـامَ لَهَـا مَنْ فَوْقَ جُحْـرٍ مُشَيَّـدٍ   لِيَقْتُلَهَـا أوْ يُخْطِـئ الكَفُّ بَـادِرَهْ
فَلَمَّـا وَقَاهَـا اللـه ضَرْبَـةَ فأسِـهِ   وَللشَّـرِّ عَيْـنٌ لا تُغَمِّضُ نَاظِـرَهْ
فَقَـال : تَعَالَـى نَجْعَلِ اللـه بَيْنَنَـا   عَلَـى مَالَنَـا أوْ تُنْجزى ليَ آخِـرَهُ
فَقَالَـت : يَمِينُ الله أفعَلُ ؛ إننـي   رَأَيْتُـكَ مَشْؤمـاً يمِينُكَ فَاجِـرَهْ
أبَـى لـي قَبـر لا يـزال مُقَابِلِـى   وَضَرْبَـةُ فأسٍ فَـوْقَ رَأسِيَ فَاقِـرَهْ

أكُلُّ شِوَائِكُمْ هَذا جُوفَانُ

أصله أن رجلا من بني فزارة ورجلا من بني عَبْس ورجلا من بني عبد الله بن غَطَفَان صادروا عَيْراً ، فأوقدوا ناراً ، وخرج الفَزَارى لحاجة ، فاجتمع رأى العَبْدى والعَبِسِي على أن يقطعا أيْرَ الحمار ثم دسَّاه بين الشِّوَاء ، فلما رجَع الفَزَاري جعل العبدى يحرك الجمر بالمِسْعَر ويستخرج القِطْعَة الطبية فيأكلها ويُطْعمها صاحبه ، وإذا وقع في يده شَيء من الجُوفَان - وهو ذكر الحمار - دفعه إلى الفزَاري ، فجعل الفَزَاري كلما مَضَغَ منه شيئا امتدَّ في يده ، وجعل ينظر فيه فيرى فيه ثقباً ، فيقول : ناولْني غَيرَها ، فيناوله مثلَها فلما فعل ذلك مرارا قَال : أكُلُّ شوائكم هذا جُوفان ، فأرسلها مَثَلاً .

يضرب في تساوي الشَيء في الشَّرَارة .

كِلاَهُمَا وَتَمْراً

ويروى : «كليهما»

أولُ من قَال ذلك عمرو بن حُمْرَان الجَعْدِي ، وكان حمرتن رجلا لَسِنَاً ماردا وإنه خَطَب صَدُوفَ ، وهي امرَأة كانت تؤيد الكلام وتشجع في المنطق ، وكانت ذاتَ مال كثير ، وقد أتاها قوم يخطبونها فردَّتهم ، وكانت تتعنَّتُ خُطَّابها في المسألة ، وتقول : لاأتزوجً إلا مَنْ يعلم ما أسأله عنه ويجيبني بكلام على حده لا يَعْدُوه ، فلما انتهى إليهَا حُمْرَان قام قائماً لا يجلس ، وكان لا يأتيها خاطبٌ إلا جلس قبل إذنها ، فَقَالت : ما يمنعك من الجلوس؟ قَال : حتى يُؤْذَنَ لي ، قَالت : وهل عليك أمير؟ قَال رَبُّ المنزِل أحقُ بفنَائه ، ورب الماء أحَقُ بسقَائه ، وكل له ما في وعائه ، فَقَالت : اجلس ، فجلس ، قَالت له : ما أردت؟ قَالَ : حَاجة ، ولم آتك لحاجة ، قَالت : تُسِرُّها أم تعلنها؟ قَال : تُسَرُّ وتُعْلَن ، قَالت : فما حاجتك؟ قَال قضاؤها هَيِّن ، وأمرها بين ،

وأنت بها أخْبَر ، وبنُجْحها أبصر ، قَالت : فأخبرني بها ، قَال : قد عَرَّضْتُ وإن شئت بينتُ ، قَالت : مَنْ أنتَ؟ قَال : أنا بَشَر ، ولدت صغيراً ، ونشأت كبيراً ، ورأيت كثَيراً ، قَالت : فما اسمك؟ قَال : مَنْ شاء أحْدَثَ اسما ، وقَال ظُلْما ، ولم يكن الاسم عليه حتَمْا ، قَالت : فَمَنْ أبوك؟ قَال : والدي الذي وَلَدني ، ووالده جَدِّي ، فلم يعش بَعْدِي ، قَالت : فما مالُك؟ قَال : بعضُه وَرِثته ، وأكثره اكتسبته ، قَالت : فمن أنت؟ قَال : من بشر كثير عدده ، معروف ولده ، قليل صعده ، يفنيه أبده ، قَالت : ماوَرَّثك أبوك عن أوليه؟ قَال : حسن الهمم ، قَالت : فأين تنزل؟ قَال : على بساط واسع ، في بلد شاسع ، قريبُه بعيد ، وبعيده قريب ، قَالت : فمن قومك؟ قَال : الذين أنتمي إليهم ، وأجني عليهم ، وولدت لديهم ، قَالت : فهل لك امرَأة؟ قَال : لو كان لي لم أطلب غيرها ، ولم أضَيِّعْ خَيْرَها ، قَالت : كأنك ليست لك حاجة ، قَال : لو لم تكن لي حاجة لم أُنِخْ ببابك ، ولم أتَعَرضْ لجوابك ، وأتعلق بأسبابك ، قَالت : إنك لحمران بن الأقرع الجَعْدي ، قَال : إن ذلك ليقَال ، فأنكحته نفسها ، وفَوَّضَتْ إليه أمرها .

ثم إنها ولدت له غلاما فسماه عمرا ، فنشأ ماردا مُفَوَّها ، فلما أدركَ جَعَله أبوه راعياً يرعى له الإبل ، فبينما هو يوما إذ رُفِعَ إليه رجل قد أَضَرَّ به العطشُ والسغوب ، وعمرو قاعد ، وبين يديه زُبْد تمر وتامك (التامك : السنام) ، فدنا منه الرجل فقال : أطعمنى من هذا الزبد والتامك ، فَقَال عمرو : نعم ، كلاهما وتمراً ، فأطعم الرجل حتى انتهى ، وسقَاه لبنا حتى رَوِي ، وأقام عنده أياماً ، فذهبت كلمته مَثَلاً . ورفع «كلاهما» أى لك كلامهما ، ونصب تمراً على معنى : أزيدك تمراً ، ومن روى «كليهما» فإنما نصبه على معنى : أطعمك كليهما وتمراً ، وقَال قوم : مَنْ رفع حكى أن الرجل قَال : أنلني مما بين يديك ، فَقَال عمرو : أيما أحبُّ إليك زُبْد أم سَنَام؟ فَقَال الرجل : كلاهما وتمراً ، أى مطلوبى كلاهما وأزِيدُ معهما تمراً ، أو وزدني تمراً .

كُفِيتَ الدَّعْوَة

أصلُ هذا المثل أن بعض المُجَّان نَزَلَ براهب في صَوْمعته ، وساعَدَه على دينه ، وجعل يقتدى به ، ويزيد عليه في صلاته وصيامه ، ثم إنه سَرَقَ صليب ذهب كان عنده ، واستأذنه لمفارقته ، فأذنَ له وزَوَّدَه من طعامه ، ولما وَدَّعه قَال له : صحبَكَ الصليبُ ، على رسْم لهم فيمن يريدون الدعاء له بالخير ، فَقَال الماجن : كُفِيتَ الدَّعْوَةَ ، فصار مَثَلاً لمن يدعو بشَيء مفروغ منه

كالمُصْطَادَة بِاسْتِهَا

قَالوا : ولج ضب بين رجلى امرَأة فضمَّتْ رجليها وأخذته ، فضرب مَثَلاً لكل من أصاب شيئاً من غيره وجهه ، وقَدَرَ عليه بأهوَنِ سَعْيٍ .

أَكْفَرُ مِنْ حِمَار

رجل من عاد يُقَال له : حمار بن مويلع ، وقَال الشرقى : هو حمار بن مالك بن نصر الأزدى ، كان مسلما ، وكان له وادٍ طولُه مسيرة يوم في عرض أربعة فراسخ ، لم يكن ببلاد العرب أخصَبُ منه ، فيه من كل الثمار ، فخرج بنوه يتصَيَّدُون فأصابتهم صاعقة فهلكوا ، فكفر ، وقَال : لا أعبد مَنْ فَعَلَ هذا ببنىَّ ، ودعا قومه إلى الكفر ، فمن عَصَاه قَتَلَه ، فأهلكه الله تعالى ، وأخرب واديه ، فضربت به العربُ المثلَ في الكفر ، قَال الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أنَّ حَارِثَةَ بنْ بَدْرٍ   يُصلِّى وهو أَكفَرُ مِنْ حِمَارٍ

لَوْ كُنْتِ مِنّا حَذَوْنَاكِ

قَاله مُرَّةُ بن ذُهْل لابنه هَمَّام ، وقد قطع رجله ، وذلك أن مُرَّة أصابت رجله أَكِلة ، فأمر بقطعها ، فدعا بنيه ليقطعوها ، فكلهم كره ذلك ، فدعا ابنَه نَقيذا وهو همام بن مُرَّة وكان أجْسَرَهم ، فَقَال : اقطعها يا بني ، فقطعها همام ، فلما رآها مُرَّة بانت قَال : لو كنت منا حَذَّوْنَاك ، فأرسلها مَثَلاً ، يقول : لو كنت صحيحة جعلنا لك حِذَاء .

يضرب لمن أَهْمَلَ إكرامَهُ لخَصْلَةِ سوء تكون فيه

لَوْ كَانَ ذَا حِيلَةٍ لَتَحَوَّلَ

يُقَال : جلس رجل في بيت ، وأوقدَ فيه نارا ، فكثر فيه الدخان حتى قتله ، فَقَالت امرأته : أي فتى قتله الدخان؟ فَقَال لها رجل : لو كان ذا حيلة لَتَحَوَّل ، أي لو كان عاقلا لتحول من ذلك البيت فسلم ، قَال الصمعي : أي تحوَّل في الأمر الذي هو فيه ، يريد لتصرَّفَ فيه واستَعْمَلَ الحيلَةَ .

لَيْسَ لِعَيْنٍ ما رأَتْ وَلَكِنْ لِيَدٍ ما أَخَذَتْ

أصله أن رجلا أبصَرَ شيئاً مطروحاً فلم يأخذه ورآه آخر فأخذه ، فقال الذي لم

يأخذه : أنا رأيته قبلك ، فتحاكما ، فَقَال الحكم : ليس لعينٍ ما رأت ، ولكن ليدٍ ما أخَذَتْ .

لَنْ يَهْلِكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ

قَال المفضل : إن أول مَنْ قَال ذلك أكْثم بن صيفي[1] في وصية كتب بها إلى طيء ، كتب إليهم : أوصيكم بتَقْوَى الله وصلَة الرحم ، وإياكم ونكَاحَ الحمقاء ، فإن نكاحها غَرَر وولَدَهَا ضَيَاع ، وعليكم بالخيل فأكرِمُوهَا فإنها حُصُونُ العربِ ، ولا تَضَعُوا رقاب الإبل في غير حقها فإن فيها ثمن الكريمة ، ورَقُوء الدم ، وبألبانهَا يتحف الكبير ويغذى الصغير ، ولو أن الإبل كُلِّفَت الطَّحْنَ لطحنت ، ولنَ يهلك امرؤ عَرَفَ قدرهُ ، والعدم عدم العقل لاعدم المال ، ولَرَجُلٌ خير من ألف رجل ، ومَنْ عَتَب على الدهر طالت مَعْتبَته ، ومن رضي بالقسم طابت معيشته ، وآفة الرأي الهوى ، والعادة أمْلَكُ ، والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى ، والدنيا دُوَل ، فما كان لك أتاك على ضَعْفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك ، والحسد داء ، والشماتة تُعْقب ، ومن يريد يوما يره ، قبل الرِّماء تُمْلأ الكَنَائن ، الندامة مع السفاهة ، دعامة العقل الحلم ، خير الأمور مَغَّبةً الصَّبْرُ ، بقاء المودة عدل التعاهد ، مَنْ يَزُرْ غبّاً يزدد حبا ، التغرير مفتاح البؤس ، من التواني والعجز نتجت الهلكة ، لكل شَيء ضَرَاوة فضر لسانك بالخير ، عِيُّ الصمت أحسن من عي المنطق ، الحزمُ حفْظُ ما كلفت وترك ما كُفيت ، كثير التنصح يهجم على كثير الظَّنة ، مَنْ ألْحَفَ في المسألة ثقل ، من سأل فوقَ قدره استحق الحرمان ، الرفق يُمْنٌ ، والخرقَ شؤم ، خير السخاء ما وافقَ الحاجة ، خير العفو ما كان بعد القدرة ، فهذه خمسة وثلاثون مَثَلاً في نظام واحد .

قَطَعَتْ جهيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ

أصله أن قوما اجتمعوا يخطبون في صُلح بين حيين قتل أحدُهُما من الآخَر قتيلا ، ويسألون أن يرضوا بالدِّية ، فبيناهم في ذلك إذ جاءت أمة يُقَال لها «جهيزة»

(١) أكثم بن صيفي هو أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروه بن أسيد بن عمرو المضري ، من مضر من عدنان . عرف بلقب حكيم العرب ، واشتقاق كلمة أكثم من الكثمة وهو عظم البطن ، رجل أكثم وامرأة كثماء .

فَقَالت : إن القاتل قد ظَفرَ به بعضُ أولياء المقتول فقتله ، فَقَالوا عند ذلك «قَطَعَتْ جهيزةُ قول كل خطيب» أَي قد استغنى عن الخُطَب .

يضرب لمن يقط على الناس ما هم فيه بَحَمَاقَةً يأتي بها .

قَوِّرِي وَالطُفي

قَاله رجل لامرأته ، وكان لها صديقَ طَلبَ إليها أن تَقَدَّ له شراكين من شَرج أست زوجها ، فلما سمعت ذلك استعظمته وزَجَرته ، فأبى إلا أن تفعل ، فاختارت رضاه على صلاح زوجها ، فنظرت فلم تَجِدْ له وَجْهاً ترجو به إليه السبيل إلا أن عَصَبَتْ على مَبَالِ ابن لها صغير بقصبة وأخفتها ، فَعَسُرَ عليه البولُ ، فاستغاث بالبكاء ، فلما سمع أبوهً البكاء سألها : ما يُبْكِه؟ فَقَالت : أخذه الأسْرُ وقد نُعت لي دَوَاؤُه طريدة تُقَدُّ له من شَرْج استك ، فأعظَم الرجلُ ذلك ، وجعل الأمرُ لاَ يزداد بالصبي إلا شدة فلما رأى أبوه ذلك اضطجع وقَال : دونَكِ يأمَّ فلان قَوِّرِى وَالطُفي ، فاقتطعت منه طريدةً لتُرْضى صديقها ، وأطلقت عن الصبي .

يضرب للرجل الغمر الغر ليحذر .

قد استَنْوَقَ الجَملُ

وكان بعض العلماء يخبر أن هذا المثل لطرَفة بن العبد ، وذلك أنه كان عند بعض الملوك والمُسَيَّبُ بن عُلَس ينشد شعراً في وصف جَمل ، ثم حوَّله إلى نعت ناقة ، فَقَال طرفه «قد استَنْوَقَ الجمل» ويقَال : إن المنشد كان المتلمس ، أنشد في مجلس لبنى قيس بن ثعلبة ، وكان طرفة يلعب مع الصبيان ويتسمَّع ، فأنشد المتلمس :

وَقَدْ أتَنَاسَى الهمَّ عنْدَ احْتضَاره ... بنَاجِ عَلَيْه الصَّيْعَرِيَّةُ مكدم

كُمَيْت كَنَازِ اللَّحْم أوْحَمَيَرِيَةَ ... مُوَاشكَةَ تَنْفِى الحَصَى بمُلَثَّمِ

كأن على أنْسَائهَا عِذْقَ خَصْبَةَ ... تدَلَّى منْ الكَافُور غَيْرَ مُكَمَّمَ

والصيعرية : سمَة تُوسَم بها النوقَ باليمن ، فلما سمع طَرَفة البيتَ قَال : استَنوقَ الجمل ، قَالوا : فدعاه المتلمس وقَال له : أخْرِجْ لسانَكَ ، فأخرجه فإذا هو أسْوَد ، فَقَال : وَيْلٌ لهذا من هذا .

قَال أبو عبيد : يضرب هذا في التخليط

أقبح هزيلين الفرس والمرأة

يحكى أن عمرو بن اللّيث عُرِضَ عليه الجند يوماً يعطي فيه أرزاقهم ، فعرض عليه رجل له فرس عَجْفاء ، فَقَال عمرو : هؤلاء يأخذون دَرَاهمي ويُسِّمُنون بها أكْفَالَ نسائهم ، فَقَال الرجل : لو رأى الأميرُ كَفَلها لاستسمن كَفَلَ دابتي ، فضحك عمرو ، وأمر له بِصِلةٍ ، وقَال : سَمِّنْ بها مركوبك .

لمَّا اشْتَدَّ سَاعدهُ رَمَاني

يضرب لمن يسئ إليك وقد أحسنت إليه قَال الشاعر :

فَيَا عَجَباً لمن رَبَّيْتُ طفْــلاً ... أُلَقِّمُــهُ بأطْــرَاف الْبَنَــان

أعلِّمهُ الرِّمَايَــةَ كُــلَّ يــوَم ... فَلَمَّــا اشتَدَّ ساعَدُهُ رَمَاني

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافــيَ ... فَلَمَّا قَال قَافيَــةً هَجَانــي

أعلِّمهُ الْفُتُوَّةَ كُــلَّ وَقْــتٍ ... فَلَمَّــا طَــرَّ شارِبُهُ جَفَاني

لَيْسَ المَزَكْزِكُ بِأَنْيَئِهِنَّ

أصله أن بعض الأعراب أصاب فراخَ المُكَّاء (الماء – كرمان – طائر ، ويجمع على مكاكى) فدَفَنَها في رَمَاد سُخْن ، وجعل يخرجهن ويأكلهن ، فنهض واحد منها حيًّا ، فعَدَا خلفه ، فأخذه وجعل يأكل ، فَقَال له صاحبه : إنه نيء ، فَقَال : ليس المزكْزَكُ بأنْيَئِهِنَّ . يضرب في تساوي القوم في الشر .

والمزكزك : من قولهم «زَكَّ الدَّرَّاجُ» وهو مثل «زَّافّ الحمام» وذلك إذا تبختر حول الحمام واستدار عليها ساحباً ذناباه ، ويقَال «لحم نيءٌ» على وزن نيع بيِّنُ النُّيُوأة ، وناء اللحم يَنِيء نَيْأً ، وكذلك نَهِؤ اللحم ونَهِيءَ نُهُوأة ، إذا لم ينضج .

لَوْ غَيْرُ ذاتِ سِوارٍ لَطَمَتْني

يَرْوي الأَصمَعي المثلَ على هذا الوجه ، وذلك أن حاتماً الطائي مَرَّ ببلاد عَنَزَةَ في بعض الأَشهر الحُرُم ، فناداه أسير لهم يا أبا سَفَّانة أكَلَني الإسارُ والقمل ، فقال : وَيْحَكَ ! أسأتَ إذا نَوَّهْتَ باسمي في غير بلاد قومي ، فساوَمَ القومَ به ، ثم قَال : أطْلقُوه واجعلوا يَدي في القد مكانه ، ففعلوا ، فجاءته امرأة بغير ليَفْصدَهُ فقام فنَحَره ، فلطَمَتْ وَجْهَه ، فَقَال : لو غَيْرُ ذاتِ سِوَارٍ لطمتني ، يعنى أنى لا أقتَصّ من النساء ، فعُرِفَ ، ففَدَى نفسه فداء عظيما .

لَيْتَ حَفْصَةَ مِنْ رِجَالِ أمٍّ عَاصِمٍ.

هذا من أمثال أهل المدينة .

وأصله أن عمر رضي الله عنه مر بسُوق الليل وهي من أسواق المدينة ، فرأى امرَأةً معها لبن تبيعه ، ومعها بنت لها شابة ، وقد همت العجوز أن تَمْذُقَ لبَنَهَا ، فجعلت الشابة تقول : يا أمه ، لا تَمْذُقيه ولا تَغُشيِّه ، فوقفَ عليها عمر فَقَال : مَنْ هذه منك؟ قَالت : ابنتى ، فأمر عاصماً فتزوجها ، فولدت له أم عاصم وحفصة ، فتزوج عبد العزيز بن مَرَوَان أم عاصم ، فكانت حَسَنَة العِشْرة لينة الجانب محبوبة عند أحمائها ، فولدت له عمر ، فلما ماتت خلف على حفصة ، فكانت سيئة الخلق تؤذى أحماءها ، فسئل مخنَّثٌ من موالي مروان عن حفصة وأم عاصم ، فَقَال : ليت حَفْصَة من رجال أم عاصم ، فذهبت مَثَلاً .

يضرب في تفضيل بعض الخلق على بعضٍ .

لَيْسَ لِرَجُلٍ لُدغَ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ عُذْرٌ

قَالوا : إن أول مَنْ قَال ذلك الحارث بن خَزَاز ، وكان من قَيْس بن ثعْلَبة ، وكان أَخْطَبَ بَكْرِيٍّ بالبصرة ، فخطب الناس لما قتل يزيد بن المهلب ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قَال : أيها النَّاسُ إن الفتنة تُقْبِلُ بشُبْهة وتُدْبر ببَيَان ، وليس لرجل لُدغَ من جُحْر مرتين عذر ، فاتقوا عَصَائبَ تأتيكم من قبل الشأم كالدِّلاَء قد انقطعت أوذامها ، ثم نزل ، فروَى الناس خطبته ، وصار قوله مَثَلاً .

لا مَخْبَأَ لِعِطْرٍ بَعْدَ عَرُوسٍ

ويروى «لا عِطْرَ بعد عَرُوس» قَال المفضل : أولُ من قَال ذلك امرَأة من عُذْرَةَ يُقَال لها أسماء بنت عبد الله ، وكان لها زوج من بنى عمها يُقَال له عروس ، فمات عنها ، فتزوجها رجل من غير قومها يُقَال له نَوْفَل ، وكان أعْسَرَ أبخَرَ بخيلا دميما ، فلما أراد أن يظعن بها قَالت له : لو أذِنْتَ لي فرثَيْتَ ابنَ عمى وبكيت عند رَمْسه ، فَقَال افعلى ، فَقَالت : أبكيك يا عروسَ الأعراس ، يا ثعلبا في أهله وأسَداً عند البَاس مع أشياء ليس يعلمها الناس قَال : وما تلك الأشياء؟ قَالت : كان عن الهمة غير نَعَّاس ، ويُعْمِل السيف صبيحات الْبَاس ، ثم قَالت : يا عروس الأغر الأزهر ، الطيب الخيم الكريم المَخْبَر مع أشياءَ له لا تذكر ، قَال : وما تلك الأشياء؟ قَالت : كان عَيْوفاً للخَنَا

والمنكر ، طيب النَّكْهة غير أبخر ، أيسر غير أعسر ، فعرف الزوج أنها تُعْرِض به ، فلما رَحَل بها قَال : ضُمِّي إليك عِطْرَك ، وقد نظر إلى قَشْوَةِ (قشوة العطر : وعاؤه) عطرها مطروحةً ، فَقَالت : لا عِطْرَ بعد عَرُوس ، فذهبت مَثَلاً .

ويقَال : إن رجلا تزوج امرأة ، فأهْديَتْ إليه ، فوجَدَها تَفلة ، فَقَال لها :
أين الطيب؟ فَقَالت : خبأته ، فَقَالَ لها لا مخبأ لعطر بعد عروس ، فذهبت مَثَلاً .
يضرب لمن لا يُدَّخَرُ عنه نَفَيْسُ .

لاتَعْدَمُ الحَسْنَاءُ ذَاماً

وأول من تكلم بهذا المثل - فيما زعم أهل الأخبار - حُبَّى بنتُ مالك بن عمرو العَدْوَانية ، وكانت من أجمل النساء ، فسمع بجمالها مَلكُ غَسَّان فخطبها إلى أبيها ، وحكَّمه في مهرها ، وسأله تعجيلها ، فلما عَزَم الأمر قَالَت أمها لُتبَّاعها : إن لنا عند الملامسة رَشْحَة فيها هَنَة ، فإذا أَرَدْتُنَّ إدخالها على زوجها فَطَيِّبْنهَا بما في أصدافها ، فلما كان الوقت اعْجَلَهُنَّ زوجُها ، فأغفلن تطيبها ، فلما أصبح قيل له : كيف وجدت أهلَكَ طروقتك البارحة؟ فَقَال : ما رأيت كالليلة قط لولا رُوَيْحة أنكرتها؟ فَقَالت هي مِنْ
خلف الستر : لا تعدم الحسناء ذاما ، فأرسلتها مَثَلاً .

لاَ يَمْلِكُ مَوْلًى لِمَوْلًى نَصْراً

قَال المفضل : إن أول من قَاله النعمانُ بن المنذر ، وذلك أن العَيَّار بن عبد الله الضَّبي كان يعادي ضرار بن عمر ، وهو من أسرته ، فاختصم أبو مَرْحَب اليَرْبُوعي وضِرَار بن عمرو عند النعمان في شَيء فنَصَر العيارُ ضِرارا ، فَقَال له النعمان : أتفعل هذا بأبي مَرْحَب في ضرار وهو مُعَاديك؟ فَقَال العيار : آكل لحْمِى ولا أدَعُه لآكِل ، فعندها قَال النعمان : لا يملك مولًى لمولًى نصرا ، وتقديره : لا يملك مولًى تَرْكَ نصرٍ أَو ادِّخَارَ نصر لمولاه ، يعني أنه يَثُور به الغضبُ له ، فلا يملك نفسَه في ترك نصرته .

لا يُرْسِلُ السَّاقَ إلاَّ مُمْسِكاً سَاقا

أصل هذا في الحِرْبَاء يشتدُّ عليه حَرُّ الشمس فَيَلْجَأ إلى ساق الشجرة يستظلُّ بظلها ، فإذا زالت عنه تحوَّلَ إلى أُخْرَى أعدَّهَا إلى نفسه ، ويقَال بخلاف هذا ، قَال

بعضهم : لا ، بل كلما اشتد حر الشمس ازداد نَشَاطا وحركة ، يعنى الحرباء فإذا سقط قرص الشمس سقط الحرباء كأنه ميت ، وإذا طَلَعَتْ تحرك وحيى ، وإنما يتحوَّلُ من غصن إلى آخر لزوال الشمس عنه

يضرب لمن لا يَدَعُ له حاجة إلا سأل أخرى .

وقَال :

بلت بأشْوَسَ مِنْ حِرْبَاء تَنْضُبَة لا يُرْسِلُ السَّاق إلا مُمْسِكاً سَاقَا(*)

لا مَاءَكِ أَبْقَيْتِ، وَلا حِرَكِ أَنْقَيْتِ

ويروى «ولا دَرَنَك»

أصله أن رجلا كان في سفَر ومعه امرأته ، وكانت عَارِكًا فَطَهُرَتْ ، وكان معها ماء يسير فاغتسلت ، فلم يكن يكفها لغسلها وأنْفَذَتِ الماء فبَقيا عطشانين ، فعندها قَال لها هذا القول

وقَال المفضل : أول من قال ذلك الضب بن أروى الكلاعى ، وذلك أنه خرج تاجرا من اليمن إلى الشام ، فسار أياماً ، ثم حاد عن أصحابه ، فبقى مفردا في تيه من الأرض حتى سقط إلى قوم لا يَدْرى من هم ، فسأل عنهم ، فأخبر أنهم هَمَدَان ، فنزل بهم ، وكان طريراً ظريفاً ، وأن امرَأة منهم يُقَال لها عمرة بنت سبيع هَويتَه وهَوِيَهَا ، فخطبها الضب إلى أهل بيتها ، وكانوا لا يزوِّجُون إلا شاعراً أو عائفاً أو عالماً بعيون الماء ، فسألوه عن ذلك فلم يعرف منهم شيئاً ، فأبوا تزويجه ، فلم يزل بهم حتى أجابوه ، فتزوجها ثم إن حَيًّا من أحياء العرب أرادوا الغارة عليهم ، فتطيروا بالضب فأخرجوه وامرأته وهى طامث ، فانطلقا ، ومع الضب سقَاء من ماء ، فسار يوماً وليلة ، وأمامهما عين يظنان أنهما يصبحانها ، فقَالت له : ادفع إلىَّ هذا السقاء حتى أغتسل فقد قاربنا العين ، فدفَعَ إليها السقاء ، فاغتسلت بما فيه ، ولم يكفها ، ثم صبحا العين فوجداها نَاضبة ، وأدركهما العطش ، فقال لها الضب : لا ماءك أبقيت ولا حرَكِ أنقيت ، ثم استظلا بشجرة حيال العين ، فأنشأ الضب يقول : (هذا ليس بشعر ؛ لأنه ليس مستقيم الوزن على بحر واحد .)

تَاللهِ مَا طَلَّةٌ أصَابَ بِهَا بَعْلاً سِوَاى قَوَارِعُ العَطَبِ

(*) المحفوظ في صدر هذا البيت : أنى أتيح له حرباء تنضبة .

وأيُّ مَهْـــر يَكُـــونُ أثْـــقَلَ مـــــــــنْ مَـــا طَلَبُـــوه إذاً مـــنَ الضـــــب
أنْ يَعْرِفَ المَاء تحْـــتَ صُـــمِّ الصَّفـــا وَيُخْبِـــرَ النَّـــاسَ مَنْطقَـــا الخطبِ
أخْرَجَنِـــي قَوْمُهَـــا بـــأنَّ الرَّحَـــــى دَارَتْ بِشُـــؤُم لَهـــم عَلـــى القُطْبِ

فلما سمعت امرأته ذلك فرحت وقَالت : ارجع إلى القَوم فإنك شاعرٌ ، فانطلقا راجعين فلما وصلا خرج القوم إليهما وقصَدُوا ضربهما وردُّوهما ، فَقَال لهما الضب : اسمعوا شعري ثم اقتلوني ، فأنشدهم شعره ، فنجا وصار فيهم آثَرَ من بعضهم . قَال الفرزدق :

وكُنْتُ كَذَاتِ الحَيْضِ لَمْ تُبقِ ماءَهَـــا ولا هِـــي مِنْ مَـــاءِ العَذَابةِ طاهِـــرِ

لاَ أبُوكَ نُشِرَ وَلاَ التُّرَابُ نَفِدَ

قَال الأحمر : أصلُ هذا أن رجلاً قَال : لو علمت أين قُتِل أبى لأخَذْتُ من تراب موضعه فجعلتُهُ على رأسي ، فقيل له هذه المقَالة ، أي أنك لَا تُدْرِكُ بهذا ثأرَ أبيك ولا تقدر أن تنفد التراب .

يضرب في طلب ما يُجْدِ

لاَ أُحسِنُ تَكْذَابك وَتَأثَامَكَ، تَشُولُ بلِسَانكَ شَوَلاَن البَرُوقِ

يُقَال : البَرُوق الناقة التي تَشُولُ بذنبها فيظن بها لَقَح وليس بها ، ويقَال : أبرقَتِ الناقةُ فهى بَرُوقٌ ، كما يُقَال : أعَقَّت الفرسُ فهي عَقُوق ، وأنتجَت فهي نَتُوج .

وأصل هذا أن مُجَاشع بن دَارِم وفَدَ على بعض الملوك ، فكان يُسَامره ، وكان أخوه نَهْشَل بن دارم رجلا جميلا ، ولم يك وَفاداً إلى الملوك ، فسأله الملكُ عن نَهْشَل ، فَقَال : إنه مُقيم في ضَيْعته ، وليس ممن يَفدُ على الملوك ، فَقَال : أوْفِدْهُ ، فلما أوفَدَه اجتهره (اجتهره : رآه جميل المنظر ، وجهره أيضاً)

ونظر إلى جَمَاله فَقَال له : حدثني يا نهشل ، فلم يجبه ، فقال له مجاشع : حدث الملكَ ، فَقَال : إني والله لا أحسن تَكْذَابَكَ وتأثامك تشول بلسانك شوَلان البروق .

يضربه من يقل كلامُه لمن يكثر

لاَ ناقتي في هذا ولا جملي

أصل المثل للحارث بن عُباد حين قَتَلَ جَسَّاسُ بن مرةَ كليباً وهاجت الحربُ بين الفرقين ، وكان الحارثُ اعتزلها ، قَال الراعي :

وَمَا هَجْرتُــكِ حَتَّــى قُلْــتِ مُعْلنَــةً   لا نَاقَــةٌ لــي فِــي هذَا ولاَ جَمَلُ

يضرب عند التبري من الظلم والإساءة وذكروا أن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب شرور لما خرج الناس على الحجاج فَقَال : لا ناقتي في ذا ولا جَمَلي ، فلما دخل بعد ذلك على الحجاج قَال : أنت القائل لا ناقتي في ذا ولا جملي؟ لا جَعَلَ الله لك فيه ناقة ولا جملا ولا رَحْلا ، فشمتَ به حجار ابن أبجر العجلى وهو عند الحجاج ، فلما دعا بَغدَائه جاؤا بِفُرْنِيةٍ(*) .

وقال الهذلى :

نقابــل جوعهــم بمكللات   من الفرنى يرغبها الجميــل

فَقَال ضعوها بين يَدَي أبى عبد الله فإنه لَبَنِيٌّ يحبُّ اللبن ، أراد أن يدفع عنه شَمَاتة حجار .

وقَال بعضهم : إن أول مَنْ قَال ذلك الصَّدوف بنت حُلَيْس العُذرية ، وكان من شأنها أنها كانت عند زيد بن الأخنس العُذري ، وكان لزيد بنتٌ من غيرها يقَال لها الفارعة ، وإن زيداً عَزَلَ ابنتَه عن امرأته في خباء لها ، وأخْدَمها خادماً ، وخرج زيدٌ إلى الشام ، وإن رجلا من عُذْرَة يُقَال له شَبَث هَوِيَها وهويَتْه ، ولم يزل بها حتى طاوعته ، فكانت تأمر راعىَ أبيها أن يُعَجِّلَ ترويحَ إبله ، وأن يحلب لها حلبة إبلها قَيْلاً ، فتشرب اللبن نهاراً ، حتى إذا أمست وهَدأ الحيُّ رُحِلَ لها جمل كان لأبيها ذَلُول فقعدت عليه وانطلقا حتى كانا ينتهيان إلى مَتْيَهة من الأرض فيكونان بها ليلتهما ، ثم يقبلان في وَجْه الصبح ، فكان ذلك دَأْبَهُما ، فلما فَصَلَ أبوهَا من الشأم مَرَّ بكاهنة على طريقه ، فسألها عن أهله ، فنظرت له ثم قَالت : أرى جَمَلَكَ يُرْحَلُ ليلا ، وحلَبَةَ تَحْلب إبلَكَ قَيْلا ، وأرى نعما وخيلا ، فلا لبث ، فقد كان حدث ، بأل شيث ، فأقبل زيد لا يلوى على شَيء حتى أتى أهلَه ليلا ، فدخل على امرأته وخَرَجَ من عندها مُسْرعاً حتى دخل خِباء ابنته ، فإذا هي ليست فيه ، فقَال لخادمها : أين الفارعة ثَكَلَتْك أمك؟ قَالت : خرجت تمشى وهى حرود ، زائرة تعود ، لم تر بعدك شَمْسا ، ولا شهدت عرسا ، فانفتل

(*) الفرنية : نوع من الخبز غليظ نسبوه إلى الفرن .

عنها إلى امرأته ، فلما رأته عَرَفَت الشَّر في وجهه ، فَقَالت : يازيد ، لا تَعْجَلْ وَاقْفُ الأثر فلا ناقة لي في هذا ولا جمل ، فهي أول من قَال ذلك .

لاَ تَقَسْطِ عَلَى أبى حِبَالٍ

كان حِبال بن طُلَيْحة بن خُويلد لقى ثابت بن الأفرم وعُكَاشة بن مِحْصِن ، وكان طليحة تنبأ على عهد رسول الله ﷺ ، فقتل ثابت وعكاشة حِبَالاً ، فجاء الخبر إلى طليحة ، فتبعهما وقتلهما ، وقَال :

فَــإنْ تَــكُ أذوَادٌ أصِبْــنَ وَنَسْــوَةٌ ... فَلَــنْ يَذْهَبُــوا فَرْغاً بقَتْــلِ حِبَالِ

وَمَــا ظنكــم بالقَــوْم إذْ تَقْتُلُونَــــهُ ... أَلَيْسُــوا وَإنْ لَــمْ يُسْلِمُــوا بِرجَالِ

عَشِيَّــةَ غَــادَرْتُ ابــنَ أفْــرَمَ ثَاوِياً ... وَعُكَّاشَــةَ الغنمــى عَنْــهُ بِحَالِ

فلما رأت بنو أسد صنيعَ طليحة وطَلبه بثأر ابنه قَالوا : لا تَقْسِطْ على أنى حَبال فذهبت مَثَلاً .

يضرب لمن يُحْذَر جانبه ويُخْشَى وتْرُه .

لاَ فِي ولاَ فِي النَّفير

قَال المفضل : أولُ من قَال ذلك أبو سفيان بن حَرْب ، وذلك أنه أقْبَلَ بعِير قريش ، وكان رسول الله ﷺ قد تَحَيَّنَ انصرافها من الشأم فَنَدَب المسلمين للخروج معه ، وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفاً شديداً ، فَقَال لمجدىّ بن عمرو : هل أحْسَسْتَ من أحد من أصحاب محمد؟ فَقَال : ما رأيت من أحد أنكره إلا راكبين أتيَا هذا المكَانَ ، وأشار له إلى مكان عديٍّ وبسبس عيني رسول الله ﷺ ، فأخذ أبو سفيان أبْعَاراً من أبعار بعيريهما ففَتَّها فإذا فيها نوىً ، فَقَال : علائفُ يَثْرب ، هذه عيون محمد ، فضرب وجوه عِيْرِه فسَاحَلَ بها وترك بَدْراً يساراً ، وقد كان بَعَثَ إلى قريش حين فَصَلَ من الشأم يخبرهم بما يخافه من النبي ﷺ ، فأقبلت قريش من مكة ، فأرسل إليهم سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العير ، ويأمرهم بالرجوع ، فأبَتْ قريش أن تَرْجع ورَجَعَتْ بنو زهرة من ثنيَّة أجدى ، عدلوا إلى الساحل مُنْصَرفين إلى مكة ، فصادفهم أبو سفيان فَقَال : يابنى زهرة لا في العير ولا في النفير ، قَالوا : أنت أرسَلْتَ إلى قريش أن ترجع ، ومضت قريش إلى بدر ، فواقعهم رسول الله ﷺ ، فأظفره الله تعالى بهم ، ولم يشهد بدراً من المشركين من بنى زهرة أحد .

قَال الأَصمَعي : يضرب هذا للرجل يحطُّ أمره ويصغر قدره .

وروى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالداً فَقَال : يا أخى لقد هممت اليوم أن أَفْتكَ بالوليد ابن عبد الملك ، فَقَال له : والله بئسما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولَى عـهـد المسلمين ، فَـقَـال : إن خـيلى مَـرَّتْ به فـتـعـبـث بهـا وأصـغـرها وأصغرنى ، فَقَال خالد : أنا أَكْفيكَهُ ، فدخل خالد إلى عبد الملك والوليد عنده فَقَال : يا أمير المؤمنين إن الوليد مَرَّتْ به خيلُ ابن عمه عبد الله بن يزيد بن معاوية فتبعث بها وأصغره ، وعبدُ الملك مُطرق ، فرفع رأسَه وقَال : إن المُلُوك إذا دخَلوا قرية أَفْسَدُوها ، وجَعَلُوا أعزَّةَ أهلها أذلَّةً ، إلى آخر الآية ، فَقَال خالد : وإذ أَرَدْنَا أن نُهْلكَ قـريةً أمـرنا مُترفيها ، إلى آخر الآية ، فَقَال عبد الملك : أفي عبد الله تكلمي؟ والله لَقد دَخَلَ عَلَىَّ فما أقام لسانه لحنا ، فَقَال خالد : أفَعَلَى الوليد تعول؟ فَقَال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان لا ، فَقَال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالدا لا ، فَقَال له الوليد : اسكُتْ يا خالدُ فوالله ما تعدُّ في العيرِ ولا في النَّفير ، فَقَال خالد : اسْمَعْ يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل عليه فَقَال : ويْحَكَ ! مَنْ في العيـر والنفير غيـري؟ جَدِّى أبو سفيان صاحبُ العير ، وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النَّفير ، ولكن لو قلت «غُنَيْـمات وجُبَيْلاَت والطائف ورحم الله عـثـمـان» قلنا : صـدقت ، عَنَى بذلك طَرْدَ رسـول ﷺ الحكَم إلى الطائف إلى مكان يدعى غَنيـمـات ، وكـان يأوي إلى حُبْلَةَ وهى الكَرْمة ، وقوله «رَحِمَ الله عثمان» لردِّهِ إياه .

لاَ أفْعَلُ كَذَا مَا أَرْزَمَتْ أُمُّ حائلٍ

أَرْزَمَتِ الناقة ؛ إذا حَنَّتْ ، والحائل : الأنثى من أولادها ، أي لا أفعلُه أبداً

لاَ تُراهِنْ عَلَى الصَّعْبَةِ وَلاَ تَنْشد القَرِيضَ

هذا المثل للحُطَيئة ، لما حَضَرَته الوَفَاة اكْتَنَفَهُ أهلُهُ وبنو عمه ، فقيل : يا حًطَىءْ أوْصِ ، قَال : وبِمَ أوصى؟ مالي بين بنىَّ ، قَالوا : قد علمنا أن مـالك بيني وبنيك فأوْصِ ، فقال : وَيْل للَشِّعْر من راوية السوء ، فأرسلها مَثَلاً ، فقَالوا : أوصِ ، فَقَال : أخبرُوا أهلَ ضابئ بن الحارث أنه كان شاعراً حيث يقول :

لكُـلِّ جَديـد لَـذَة ، وغيـرَ أَنَّني وَجَـدْتُ جَديـدَ المَوْتِ غيرَ لذيذ

ثم قَال : لاَ تُرَاهِنْ على الصَّعبة ولاَ تنشد القريض ، فأرسلها مَثَلاً .

يضرب في التحذير

وفي بعض الروايات أنه قيل له : يا أبا مُلَيْكَةَ أوْصِهْ ، قَال : مالي للذكور دون الإناث ، قَالوا : إن الله لم يأمر بذا ، قَال : فآتى آمر ، قَالوا : أوْصِهْ ، قَال : أخبروا آل الشماخ أن أخاهم أشْعَرُ العرب حيث يقول :

وظلت بأعراف صياماً كأنَّهَا رمَاحٌ نَحَاهَا وجهة الريح رَاكِزُ

قَالوا : أوْصِيهْ فإن هذا لا يُغْنِى عنك شيئاً ، قَال : أبلِغُوا كِنْدَة أن أخاهم أَشْعَرُ العرب يقول :

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كأنَّ نُجُومَهُ بأمْرَاسِ كتَّان إلى صُمِّ جَنْدَلِ

يعنى امرؤ القيس ، قَالوا : أوْصِهْ فإن هذا لا يغنى عنك شيئاً ، قَال : أخْبِرُوا الأنصارَ أن أخاهم أمْدَحُ العرب حيث يقول :

يُغْشُونَ حَتَّى مَا تَهِرُّ كِلابُهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ

قَالوا : أوصه فإن هذا لا يغنى عنك شيئاً قَال : أوصيكم بالشعر خيراً ، ثم أنشأ يقول :

الشعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلَّمُهْ إذا ارْتَقَى إلى الَّذي لاَ يَعْلَمُه
زَلَّتْ بِهِ إلَى الحَضِيضِ قَدَمُهْ وَالشِّعْرُ لاَ يُطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهْ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهْ ولَمْ يَزَلْ منْ حَيْثُ يأتي يَخْرِمُهْ
مَنْ يَسِمِ الأعْدَاء يبقى مِيسَمُهُ

قَالوا : أوْصهْ فإن هذا لا يبقى عنكَ شيئاً ، قَال :

قد كُنْتُ أحْيَانَاً شَدِيدَ المُعْتَمَدْ وَكُنْتُ أحياناً عَلَى خَصْمِى ألَدْ
قَدْ وَرَدَتْ نَفْسِى وَمَا كَادَتْ تَرِدْ

قَالوا : أوْصِهْ فإن هذا لا يغنى عنكَ شيئاً ، قَال : واجَزَعَاهُ على المديح الجيد يُمْدَح به من ليس من أهله ، قَالوا : أوْصِهْ فإن هذا لا يغنى عنك شيئاً ، فبكى ، قَالوا : وما يبكيك؟ قَال : أبكى الشعرَ الجيدَ ، من راوية السوء ، قَالوا : أوص للمساكين بشَيء ، قَال : أوصيهم بالمسألة وأوصِ الناسَ أن لا يُعْطُوهم ، قَالوا : أعتِقْ غُلامك فإنه قد رَعَى عليك ثلاثين سنة ، قَال : هو عبد ما بقى على الأرض عبسي ، ثم قَال : احملوني على حماري ودُورُوا بي حول هذا التل فإنه لَم يَمُتْ على الحمار كريم ، فعسى ربي أن يرحمني ، فحمله ابناه وأخذا بضبْعَيه ثم جَعَلاَ يسوقان الحمار حول التل ، وهو يقول :

قَـدْ عَجَّلَ الدَّهْرُ والأَحْدَاثُ يتمكما   فَاسْتَغْنَيَـا بوشَيـك إنَّنـي عَـان
وَدَلِّيَانـي فـي غَبْـرَاءَ مُظْلِمَـة   كَمَـا تدلـى دلاءٌ بَيْـنَ أشْطَـانِ

قَالوا : يا أبا مليكة ، مَنْ أشْعَرُ العرب؟

قَال : هذا الجُحَير ، إذا طمع بخير ، وأشار بيده إلى فيه ، وكان آخر كلامه ، فمات وكان له عشرون ومائة سنة ، منها سبعون في الجاهلية ، وخمسون في الإسلام .

ويروى أنه أراد سَفَراً ، فلما قَدَّم راحلته قَالت له امرأته : متى ترجع؟ فَقَال :

عُـدِّي السِّنِـينَ لغيبتـي وتصبري   ودعـي الشُّهـورَ فَإنَّهُـنَّ قِصَـارُ

فَقَالت :

اذْكُـرْ صَبَابَتَنَـا إلَيْـكَ وَشَوْقَنَـا   وَارْحَـمْ بَنَاتِـكَ إنَّهُـنَّ صِغَـارُ

قَالوا : وما مدح قوماً إلا رفعهم ، وما هجا قوماً إلا وضعهم . وقال يهجو نفسه وقد نظر في المرآة ، وكان دَميماً :

أبَـتْ شَفَتَـاي اليَـوْمَ إلاَّ تَكَلُّمـاً   بسُـوء ، فَمَـا أدرى لِمَـنْ أنَا قَائلُهْ
أرَى لـيَ وَجْهـاً شَـوَّهَ اللـه خَلْقَهُ   فَقُبِّـحَ مِـنْ وَجْـه وَقُبِّحَ حَامِلُـهْ

لاَ تَكُنْ أَدْنَى العَيْرَيْنِ إلَى السَّهْمِ

أي لا تكن أدنى أصحابك من التَّلَفِ يضرب في التحذير .

لا تَحْبَقُ في هذا الأمرِ عَنَاقٌ حَوْلِيَّةٌ

قَاله عدى بن حاتم حين قُتل عثمان رضي الله عنه ، فلما يومُ الجمل فقُئت عين عدى وقُتل ابنه بصفِّين ، فقيل له : يا أبا طريف ، ألم تزعُم أنه لا تحبق في هذا الأمر عَنَاقٌ حولية؟ فَقَالَ : بَلَى والله ، التَّيْسُ الأعظَم قد حَبَق فيه ، قَالوا : ولما كان بعد ذلك دخَلَ على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير ، فَقَال ابن الزبير : يا أمير المؤمنين هجْهُ فإنَّ عنده جواباً ، فَقَال معاوية : أما أنا فلا ، ولكن دونك إن شئت ، فَقَال له ابن الزَبير : أي يوم فقئت عينك يعادى ، قَال : في اليوم الذي قُتلَ فيه أبوك مُدْبِراً وضُرِبْتَ على قفاك مُوَالِّيا ، فأفحَمَهُ .

يضرب المثل في الأمر لا يُعْبَأَ به ولا غِيَرَ له ، أي لا يدرك فيه ثأر .

لاَ عِتَابَ عَلَى الجَنْدَلِ

ذكر بعضُهم أن مَلِكة كانت بسبأ ، فأتاها قوم يخطبونها ، فَقَالت : لِيَصِفْ كلُّ رجلٍ منكم نفسه ، وليصْدُقْ وليُوجِزْ ، لأتقدم إن تقدمت أو أدَعَ إن تركت على عِلْم ، فتكلَّم رجل منهم يُقَال له مُدْرِك فَقَال : إن أبي كان في العز الباذخ ، والحسَبِ الشامخ ، وأنا شرس الخليقة ، غَيرُ رِعْدِيد عند الحقيقة ، قَالت : لا عتابَ على الجندل ، فأرسلتها مَثَلاً .

يضرب في الأمر الذي إذا وَقَعَ لا مَرَدَّ له قَال أبو عمرو .

ثم تكلم آخر منهم يُقَال له ضَبِيسُ بن شرس ، فَقَال : أنا في مال أثيث ، وخُلُق غير خبيث ، وحسَب غير عَثيث ، وأخذُو النعلَ بالنعل ، وأجْزَى القَرْضَ بالقَرض ، فَقَالت : لا يَسُرُّكَ غائبا من لا يسرك شاهدا ، فأرسلتها مَثَلاً .

ثم تكلم آخر منهم يُقَال له شَمَّاس بن عبَّاس ، فَقَال : أنا شَمَّاس بن عباس ، معروف بالنَّدَى والباس ، حُسْنُ الخلق في سجيته ، والعدل في قضيتي ، مالي غير مَحْظُور على القُلِّ والكُثْر ، وبابي غيرُ محجوبٍ على العُسْر واليُسْر ، قَالت : الخير مُتَّبَع والشرُّ محذور ، فأرسلتها مَثَلاً .

ثم قَالت : اسمع يا مُدْرِك وأنت يا ضَبيس ، لن يستقيم معكما مُعاشرة لعشير حتى يكون فيكما لين عَريكة ، وأما أنت يا شَمَّاس فقد حَلَلْتَ منى محلَّ الأهزَع (الهزع : آخر ما يبقى من السهام في الكنانة ، والكنانة : وعاء السهام) . من الكنَانة والواسطة من القلادة ؛ لدَمَاثة خُلُقك وكَرَم طِبَاعك ، ثم اسْعَ بِجِدٍّ أودَعْ ، فأرسلتها مَثَلاً ، وتزوجت شماسا .

لا أفْعَلُ كَذَا ما أنَّ السَّماءُ سَمَاءٌ

أي ما كان السماء سماء .

لاَ يُجْمَعُ سَيْفَانِ فِي غِمْدٍ

قَال أبو ذؤيب :

تُرِيدِينَ كَيمَا تَجْمَعينِى وَخَالِدَاً   وَهَلْ تُجْمَعُ السِّيْفَانِ وَيْحَكِ فِي غِمْدِ؟

لاأكُونُ أوَّلَ مَنِ التَبَأَ لِبأَهُ

يُقَال : ألبَأتِ الشاة ولَدَها ، أي أرضعته الِّلبأ ، والْتَبَأها وَلَدها .

وأصل المثل أن حكيم بن مُعَّية بن ربيعة الجوع كانت عنده امرَأة من بنى سَليط ، وكان حكيم راجزاً ، وكان جرير يهجو بنى سليط ، فَقَالت بنو سليط لحكيم : قَبَحَك الله من صهر قوم ، هذا الغلام يقطع أعراضنا – يعنون جريرا – وأنت راجز بنى تميم لا تعينُ أبا زوجك ، فخرج حكيم نحوه ، وأقبل مع بنى سليط ، ودون الموقف الذي به جرير والجماعة نَجْفَة – وهي ما ارتفع من الأرض كالأكَمة – قَال حكيم : فلما وافيتها سمعتُه يقول

لا تَحسَبَنِّي عَنْ سَليط غَافلاَ   إنْ تَغشَ لَيْلاً بسَليط نازلاَ
لاَ تَلْقَ أفْرَاساً وَلاً صَوَاهِلاَ   وَلاَ قِرَى لِلْنازلينَ عَاجِلاَ
لا يتقى حُولاً ولا حَوَامِلاَ   يترك أصْفَانَ الخُصَي جَلاً جلاَ

فنكصتُ على عَقبى ، فَقَالت لي بنو سليط : أين تريد؟ فقلت : والله لقد جلجل الحصى جلجلةً لا أكون أولَ من التَبَأ لِبَأة فعرفتُ أنه بحر لا يُنكش ولا يُفْثَج ، (لا ينكش : لا ينزف ولا يغيض ، ولا يفثج : لا ينزح)

فنكصْتُ وانصرفت عنه ، وقلت : ايم الله لا جلجلتني اليوم ، فأرسلها مَثَلاً ، ومعنى قوله «لا أكون أول من التَبَأَ لِبَاه» أي لا أعرض نفسى لهجائه ولا أتحكك به .

لاَ يَكْذِبُ الرائِدُ أَهْلَهُ

وهو الذي يُقَدِّمُونه لَيرْتاد منزلاً أو ماء أو موضع حِرْز يَلْجَؤن إليه من عدو يطلبهم ، فإن كَذَبهم صار تدبيرهم على خلاف الصواب ، وكانت فيه هَلَكتهم ، أي أنه وإن كان كذاباً فإنه لاَ يكذب أهله .

يضرب فيما يُخَاف من غِبِّ الكذب .

قَالَ ابنُ الأعرابي : بعثَ قوم رائداً لهمْ فلما أتاهُم قَالُوا : ما وراءك؟ قَالَ : رأيت عُشْباً يشبعْ منهُ الجملُ البروكْ ، وَتَشكَت منه النساء ، وهَمَّ الرَجلُ بأخيه ، يقول : العشب قليل لاَ يناله الجمل من قصره حتى يبرك ، وقوله «تشكت منهُ النساء» أي منْ قلَّته تحلب الغنم في شَكْوَة ، وقوله «وهمَّ الرجُلُ بأخيه» أي تقاطَعَ النَاسُ فهمَّ الرجَلُ أَنْ يدعو أخاه ويصله من قلة العشب .

لاَ حِسَاسَ مِنَ ابْنِي مُوقِدِ النَّارِ

يُقَال : إنَ رَجُلين كانَ يُقَال لَهُما ابنا موقد النار ، كانا يُوقِدَان على الطريق ، فإذا

مرَّ بهما قومٌ أضافاهم ، فمضيا ومر بهما قوم فلمْ يَرُوهما ، فقيل : لاَ حِساس منْ ابني موقد النار ، والحِسَاس : ما يُحَسْ أي يُرَى ، يعنى لاَ أثر منهُما يُبْصَر .
يَضرب في ذَهاب الشيء البتة حتى لاَ يرى منهُ عَيْن ولاَ أثَر .

لاَ تُعلِّم اليتيمَ البُكَاءَ

أولَ مَنْ قَالَ ذَلكَ زُهَير بِن جَنَاب الكلبي وكانَ منْ حَديثَهُ أنَ عَلْقَمة بن جِذْل الطِّعَان بن فِرَاس بن غَنم بن ثعلبة أغار على بنى عبد الله بن كنانة بن بكر وهم بُعْسفَانَ ، فقَتل عبد الله بِن هبل عبيدَةَ بِن هُبل ومالكَ بِن عُبَيدة وصَريم بن قيس بن هُبَل ، وأسَرَ مالك بن عبد الَله بن هُبل ، فلما أصيبوا وأَفْلَتَ من أفْلَتَ أقبلت جارية من بنى عبد الله بن كنانة فَقَالَت لزهير ولمْ تَشهد الوقعة : يا عماه ، ما تَرَى فَعَلَ أبى؟ قَالَ : وعلى أي شيء كان أبوكِ قَالَت : على شَقَّاء نَقَّاء ، طويلة الأنقاء ، تَمَطَّق بالعرق ، تَمَطَّقَ الشيخ بالمرق ، قَالَ : نجا أبوكِ؟ ثم أتته أخرى فَقَالَت : يا عماه وما ترى فَعَلَ أبى؟
قَالَ : وعلى أي شيء كان أبوكِ؟ قَالَتْ : على طويل بَطْنُها ، قصير ظَهُرها ، هاديها شَطْرها ، يكُبُّها خَصْرُها ، قَالَ : نجا أبوكِ ، ثم أتتهُ بِنتُ مالك بن عُبيدة بن هُبَل فَقَالَت : يا عماه ، وما ترى فَعَلَ أبى؟ قَالَ : وعلى أي شيء كان أبوكِ؟ قَالَتْ : على الكَزَّة الأَنُوحِ ، التي يكفيها لَبَنُ الَّلقُوح ، قَالَ : هَلكَ أبوكِ ، قَالَ : فَبَكَتَ ، فَقَالَ رجل : ما أسوأ بُكَاءها ، فَقَالَ زهير : لاَ تُعَلِّم اليتيم البُكاء .

لاَ حُرَّ بِوَادِي عَوْف

هو عَوْف بن مُحَلِّم بن ذُهلِ بن شَيْبَان ، وذلك أن بعض الملوك - وهو عمرو بن هند - طلب منه رَجُلاً ، وهو مروان القَرظ ، وكان قد أجارَه ، فمنعه عوف وأبىَ أن يُسْلمه ، فَقَالَ الملك : لاَ حُرَّ بوادي عَوْفَ ، أي أنه يقهر مَنْ حَلَّ بواديه ، فكلُ مَنْ فيه كالعبد له لطاعتهم إياه .
وقَالَ بعضهم : إنما قيل ذلكَ لأنه كَانَ يَقْتُل الأَسارىَ ، وقد ذكرت قصة مروان مع عوف في حرف الواو عند قولهم «أوْفَى من عَوْف بن محلِّم» .
وقَالَ أبو عبيد : كان المفضل يخبر أن المثل للمنذر بن ماَء السماء قَالَه في عوف بن محلِّمٍ ، وذلك أن المُنذر كان يطلب زهير بن أمية الشيباني بذَحْل ، فمَنَعَه عوف ،

فعندها قَالَ المنذر : لاَ حُرَّ بوادي عوف .

وكان أبو عبيدة يقول : هو عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاة بن تميم .

لا يُحْسْنُ العَبْدُ الكَرَّ إلاَ الحلْبَ والصَّرَّ

يُقَال : إن شَدَّاداً العيسيِّ قَالَ لاَبنه عنترة في يوم لقاء ورآه يتقاعَسُ عن الحرب وقد حَميتْ فقال : كر عَنْتَر ، فَقَالَ عنترة : لاَ يُحْسنُ العبدُ الكَرَّ إلاَ الحلب والصَّرَّ ، وكانت أَمه حَبَشية ، فكان أبوه كأنه يستخفّ به لذَلك ، فلما قَالَ عنترة لاَ يحسن العبد الكر قَالَ له : كر وقد زوجتك عَبْلَة ، فكرّ وأبْلَى ، ووَفى له أبوه بذلك فزوجه عبلة ، والصَّرُّ : شد الصِّرَار وهو خيط يشد فوق الخِلْفِ والتَّوْدية (الخلف للناقة كالثدي للمرأة ، والتودية : خشبة تشد على خلف الناقة إذا صرت ، وجمعه توادى .)

لئلاَ يرضعَ الفيصلُ أمه ، ونصب الحلب على أنه استثناء منقطع كأنه قال : لا يحسن العبدُ الكرَّ لكن الحلب والصر يحسنهما .

يضرب لمن يكلَّف مالاَ يطيق .

لاَ تُهْدِي إلى حمَاتِكِ الكَتِفِ

يضرب لمن يُباسط إخوانَهُ بالحقير الرديء .

وأصله أَن امرأة وصَّتْ بنتها فَقَالَت : لاَ تهدي إلى حماتك الكتفَ ، فإن الماء يجرى بين أَلَيْها قَالَ أبو عبد الله : الأللان هما اللحمتان المطارقتان من على يمين البعير ويساره ، وقَالَ أبو الهيثم : لاَن بينهما رَجْرَجَةً أي ماء غليظاً .

أَلْهَفُ مِنْ قَضِيبِ

هَذا رجُلٌ منَ العربِ كانَ تَمَّاراً باليحرينِ وكانَ يأتي تاجراً فيَشتري منهُ التمرَ ، ولم يكنْ يُعاملُ غَيرهُ ، وإن ذلكَ التاجرُ اجتمعَ عندهُ حَشَف كثيرٌ من التمرِ الذي كانَ يبَيعَهُ ، فَدَخَل يَوماً ومَعهُ كيسٌ له فيه دَنانير كثيرةٌ ، فَطرحهُ بَين ذلكَ الحشَف ، وأُنْسِيَ رَفْعَة منْ هُناكَ ، وأتاه الأَعرَبي كما كانَ يأتيه يشتري منهُ التَمرَ ، فَقَالَ في نفسه : هذا أعرابي وليسَ يدري ما أعطيه ، فلاَ صيرن هذا الحشفَ فيما يبتاعه ، فلما ابتاعَ منهُ التمر عَدَّ عليه قَوْصَرَّةَ الحشَفِ التي فيها الدَنانير ، ومضى قضيب بما اشترى منَ التمرِ ، فباع جميعَ ما معه من التمر غير الحشف ، فإنه لم يقدر على بيعهِ ولمْ

يأخذه منهُ أحدٌ ، وتذكر التمار كيسَه ، وعلم أنه باع القَوصَرَّةَ غلطاً ، فأخذ سكيناً وتبع الأَعرَبي فلحقهُ وقَالَ : إنكَ صديقٌ لي وقد أعطيتكَ تمراً غير جيد فَرُدَّه علي لأعوضك الجيد ، فأخرجَ الجلدة إليه ، فنَثَرها وأخرجَ منها دنانيرهُ ، وقَالَ للأعرابي : أتدري لم حملتُ هذا السكين معي؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : لأشق بها بَطني إن لَمْ أجد الدنانير ، فَتَنَفَّسَ الأَعرَبي وقَالَ : أرني السكين ، ناولنيه ، فناوله إياه ، فشقَّ به بطن نفسه تلهفاً ، فضربت به العربُ المثل فَقَالَوا : ألهف من قضيب ، وهو أفعل من لَهِفَ يَلْهَفُ لهفاً ، وليس من التلهف ؛ لاَن أفعل لاَ ينبني من المنشعبة إلاَ شاذاً .

وفي هذا الرجل يقول عروة بن حُزام :

ألاَ لاَ تَلُومَا لَيْسَ في اللوم رَاحةٌ ... فَقَدْ لُمْتُ نَفْسي مِثْلَ لَوْمِ قَضِيب

ما وَرَاءِكَ يَا عِصَام؟

قَالَ المفضل : أولُ من قَالَ ذلك الحارث بن عمرو مَلِكُ كِنْدَةَ ، وذلك أنه لما بلغه جَمَالُ ابنة عَوْف بن مُحَلِّم الشَّيْبَاني وكمَالُها وقوة عَقْلها دعا امرأةً من كِنْدَة يُقَال لها عِصَام ذاتَ عقل ولسان وأدَب وبَيَان ، وقَالَ لها : اذهبي حتى تعلمي لي عِلْم ابنَة عَوْف ، فمضَتْ حتى انتهت إلى أمها ، وهي أمامَةُ بنةُ الحارث ، فأعلمتها ما قدمَتْ له ، فأرسلت أمامة إلى ابنتها ، وقَالَت : أي بنية ، هذه خالتُك أتَتْك لتنظر إليك ، فلاَ تستُري عنها شيئاً إن أرادت النظر من وجه أو خلق ، وناطقيها إن استنطقتك ، فدخلت إليها فنظرت إلى ما لم ترقَطُ مثله ، فخرجت من عندها وهي تقول : ترك الخدَاعَ مَنْ كَشَفَ القَناع ، فأرسلتها مثلاً ، ثم انطلقت إلى الحارث فلما رآها مقبلة قَالَ لها : ما وراءك ياعصام؟ قَالَت : صَرَّحَ المَخْضُ عن الزُّبْد ، رأيت جَبْهة كالمِرْآة المصقولة ، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل ، إن أرْسَلَتْه خلْته السلاَسل ، وإن مشطته قلت عناقيد جَلاَها الوابل . وحاجبين كأنما خُطّا بقلم ، أو سُوِّدا بحمم ، تقوَّسا على مثل عَيْن ظبية عَبْهَرَة ، بينهما أنف كحدِّ السيف الصَّنيع ، حَفَّتْ به وَجْنَتَان كالأرجُوان ، في بياض كالجُمَان ، شُقَّ فيه فم كالخاتم ، لذيذ المبتسم ، فيه ثَنَايا غُر ذات أشَر ، تقلَّبَ فيه لِسَان ، ذو فصاحة وبيان ، بعقل وافر ، وجواب حاضر ، تلتقي فيه شَفَتَان حَمْرَاوان .

تحلبان ريقاً كالشهد إذا دلك ، في رقبة بيضاء كالفضة ، ركبت في صَدرْ كصَدْر تمثال دُمْية ، وعَضُدان مُدْمَجَان يتصل بها ذراعان ليس فيهما عظم يُمَسُّ ، ولاَ عرق يجس ، ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما لين عَصَبُهُما ، تعقد إن شيءت منهما

الأنامل ، نتأ في ذلك الصدر ثَدْيان كالرمَّانتين يخرقان عليها ثيابها ، تحت ذلك بطن طُوى طيَّ القَبَاطيِّ المدمجة كسر عُكَناً كالقَرَاطيس المدرجة ، تُحيطُ بتلك العكن سُرَّة كالمُدْهُن المجلوِّ ، خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ، ينتهي إلى حضر لولاَ رحمة الله لاَ نَبَتَرَ ، لها كفَلُ يُقْعدها إذا نهضَت وينهضها إذا قعدت ، كأنه دعْصُ الرَّمْل لَبَّده سقوط الطَّلَّ ، يحمله فَخذَان لُفَّا كأنما قلبا على نَضَد جُمَان ، تحتهما ساقان خَدْلَتَان كالبرديتين وُشِّيتا بشعر أسود كأنه حلق الزرد ، يحمل ذلك قَدَمَان كحذو اللسان ، فتبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما ، فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها ، فزوجها إياه ، وبعث بصداقها ، فجهزت ، فلما أراد أن يحملوها إلى زوجها قَالَت لها أمها : أي بنية ، إن الوصية لو تُركت لِفَضلِ أدب تُركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومَعُونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لِغنَي أبويها وشدَّة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلَقْنَ ، ولهن خلق الرجال . أي بنية ، إنكَ فَارقْتِ الجوَّ الذي منه خَرَجْتِ ، وخَلَّفْتِ العُشَّ الذي فيه دَرَجْتِ ، إلى وَكْر لم تعرفيه ، وقَرِين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكا ، فكوني له أمَةً يكُنْ لك عبداً وَشِيكا ، يا بنية احْمِلِي عنى عَشْرَ خِصَالٍ تكن لك ذُخْراً وذِكْراً :

الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهُّد لموقع عينه ، والتفقُّد لموضع أنفه ، فلاَ تَقَع عينُه منك على قبيح ، ولاَ يشم منك إلاَ طيبَ ريح ، والكحلُ أحسنُ الحسن ، والماء أطيبُ الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدو عنه عند منامه ، فإن حَرَارة الجوع مَلْهبة ، وتنغيص النوم مَبْغَضَة والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولاَ تُفْشِي له سراً ، ولاَ تعصي له أمراً ، فإنك إن أفشيت سرَّه لم تأمني غَدْرَه ، وإن عصيت أمره أوغَرْتِ صَدْره ثم اتَّقِي مع ذلك الفرح إن كان تَرِحًا ، والاكتئاب عنده إن كان فَرِحًا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشَدَّ ما تكونين له إعظاماً يكن أشد ما يكون لك إكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطولَ ما تكونين له مرافقة ، واعلمي أنك لاَ تَصْلِين إلى ما تحبين حتى تُؤْثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت وكرهت ، والله يَخيرُ لك ، فحملت فسُلِّمَت إليه ، فعَظُم مَوْقِعُها منه ، وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن .

وروى أبو عبيد «ما وَرَاءَكَ» على التذكير وقَالَ : يُقَال : إن المتكلم به النابغة الذُبْيَاني قَالَه لعصام بن شهبر حاجب النعمان ، وكان مريضاً ، وقد أُرْجِفَ بموته ، فسأله النابغة عن حال النعمان ، فَقَالَ : ما وراءك يا عصام؟

ومعناه ما خَلْفَكَ من أمر العليل ، أو ما أمامك من حاله ، ووَرَاء : من الأضداد .

قلت : يجوز أن يكون أصل المثل ما ذكرت ، ثم اتفق الاَسمان ، فخُوطِبَ كلٌّ بما استحق من التذكير والتأنيث .

مَا جُعِلَ العَبْدُ كَرَبِّهِ

قَالَوا : إن أول مَنْ قَالَ ذلك رَبيعة بن جراد الأسلميُّ ، وذلك أن القَعْقَاع بن مَعْبَد بن زُرَارة بن عُدُس ابن زيد بن عبد الله بن دارِم وخالدَ بن مالك بن رِبْعِيٍّ بن سَلْم بن جَنْدَل بن نَهْشَل تَنَافَرَا إلى أكثَمَ ابن صَيْفي أيُّهما اكرم ، وجعلاَ بينهما مائةً من الإبل لمن كان أكْرَمَهُمَا ، فَقَالَ أكثم بن صَيْفي :

سفيهان يُريدان الشر ، وطلب إليهما أن يرجعا عما جاآله ، فأبَيَا ، فبعث معهما رجلاً إلى ربيعة بن جراد وحَبَس إبلهما التي تنافَرَا عليهما مائة ومائة ، وقَالَ انطلقا مع رسولي هذا فإنه قَتَلَ أرْضاً عالِمُهَا وقَتَلَتْ أرضٌ جاهلها ، فأرسلها مثلاً ، فلما قَدمَا على ربيعة وأخبراه بما جاآله قَالَ ربيعة للقعقاع : ما عندك يا قعقاع؟ قَالَ : أنا ابن مَعْبَد بن زُرَارة ، وأمي مُعَاذة بنت ضِرَار ، رَأَسَ من اعمامي عشرة ، ومِنْ أخوالي عشرة ، وهذه قَوْسُ عمي رهَنَها عن العرب ، وجَدِّي زُرَارة أجار ثلاَثة أملاك بعضَهم من بعض ، قَالَوا : وفي ذلك يقول الفرزدق

منَّا الَّذِي جَمَعَ الْمُلُوكَ وَبَيْنَهُمْ   حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضِرَام

ثم قَالَ ربيعة لخالد بن مالك : ما عندك ياخالد؟ قَالَ أنا ابن مالك ، قَالَ : لم تصنع شيئاً ، ثم ابن مَنْ؟ قَالَ : ابن رِبْعي ، قَالَ : لَمْ تَصنَع شيئاً ، ثم ابن مَنْ؟ قال : ابن سَلْم؟ قَالَ : الآن ، فمن أمُّكَ؟ قَالَ : فرعة ، قَالَ ابنة مَنْ؟ قَالَ : ابنة مندوس ، قَالَ ربيعة للقَعْقَاع : قد نَفَّرْتُكَ يا ابن الضبنة ، فَقَالَ خالد : أتجعل معبد بن زُرَارة كمثل سَلْم بن جندل؟ فَقَالَ ربيعة : ماجُعِلَ العبدُ كربة ! فأرسلها مثلاً

مَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ

هي حليمة بنت الحارث بن أبي شمر ، وكان أبوها وَجَّهَ جيشاً إلى المنذر بن ماء

السماء ، فأخرجت لهم طِيباً من مِرْكَن فطَيَّبتهم ، وقَالَ المبرد : هو أشْهَرُ أيام العرب ، يُقَال : ارتفع في هذا اليوم من العَجَاج ما غَطَّى عَيْنَ الشمس حتى ظهرت الكواكبُ يضرب مثلاً في كل أمر مُتَعَالم مشهور ، قَالَ النابغة يصف السيوفَ :

تُخُيِّـرْنَ مِـنْ أزْمَـانِ عَهْـدِ حَليمَةَ   إلَى اليَوْم قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَـارِبِ
تَقُـدُّ السَّلُوقِـيَّ الْمُضَاعَـفَ نَسْجُـهُ   وَيُوقِـدْنَ بالصُّفَّـاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ

وذكر عبد الرحمن بن المفضل عن أبيه قَالَ : لما غزا المنذرُ بن ماء السماء غَزَاته التي قُتِلَ فيها ، وكان الحارثُ بن جَبَلَة الأكبر ملك غسان يخاف ، وكان في جيش المنذر رجل من بني حنيفة يُقَال له شمرُ بن عمرو ، وكانت أمه من غسان ، فخرج يتوصل بجيش المنذر يريد أن يلحق بالحارث ، فلما تدانَوْا سار حتى لحق بالحارث ، فَقَالَ : أتاك مالاَ تُطيق ، فلما رأى ذلك الحارثُ نَدَبَ من أصحابه مائةَ رجل اختارهم رجلاً رجلاً ، فَقَالَ : انطلقوا إلى عسكر المنذر فأخْبِرُوهُ أنا نَدينُ له ونُعْطيه حاجته ، فإذا رأيتم منه غِرَّةً فاحملوا عليه ، ثم أمر ابنته حَليمة فأخرجَتْ لهم مِرْكَناً فيه خَلُوق ، فقَالَ : خَلِّقِيهِمْ ، فخرجت إليهم وهي من أجمل ما يكون من النساء ، فجعلت تخلِّقهم ، حتى مر عليها فتىً منهم يُقَال له لبيد

ابن عمرو ، فذهبت لتُخَلِّقه ، فلما دنَتْ منه قَبَّلَها ، فلطمته وبكت ، وأتَتْ أباها فأخبرته الخبر ، فَقَالَ لها : وَيْلَك اسْكُتي عنه فهو أرْجَاهُمْ عندي ذكاءَ فؤادٍ ، ومَضَى القومُ ومعهم شمر بن عمرو الحَنَفِّي حتى أتوا المنذر فَقَالُوا له :

أتيناك من عند صاحبنا وهو يَدينُ لك ويعطيك حاجتك ، فتباشَرَ أهلُ عسكر المنذر بذلك ، وغَفَلُوا بعضَ غَفْلة ، فحملوا على المنذر فقتلوه : ليس يومُ جليمة يسر ، فذهبت مثلاً .

قَالَ أبو الهيثم : يُقَال إن العرب تسمي بَلْقِيسَ حليمة

يَسَارُ الكَوَاعِبِ

كان من حديثه أنه كان عبداً أسْوَدَ يرعى لأهله إبلاً ، وكان معه عبد يراعيه ، وكان لمولى يَسَار بنتٌ فمرت يوماً بإبله وهي ترتع في رَوْض مُعْشب ، فجاء يسار بعُلبة لبن فسقاها ، وكان أفْحَجَ الرجلين ، فنظرت إلى فَحَجِه فَتَبَسَّمت ثم شربت ، وَجَزَتْه خيرًا ، فانطلق فَرِحاً حتى أتى العبد الراعي وقص عليه القصة ، وذكر له فَرَحَها وتبسمها ، فَقَالَ له صاحبه : يا يسار كل من لحم الحِوَار ، واشرب من لبن العِشَار ،

وإياك وبنات الأحرار ، فَقَالَ : دحكَتْ إلى دحكة لاَ أخيبها ، يقول : ضحكت ضحكة ، ثم قام إلى عُلْبَة فملأَها وأَتى بها ابنَةَ مولاَها ، فنبهها ،

فشربت ثم اضطجعت ، وجلس العبد حذاءها ، فَقَالَت : ما جاء بك؟ فَقَالَ : ماخفى عليك ما جاء بي ، فَقَالَت : وأي شيء هو؟ قَالَ : دحكك الذي دَحكْت إلي ، فَقَالَت : حياك الله ، وقامت إلى سَفَط لها فأخرجت منه بَخُورا ودُهْنا ، وتعمدت إلى مُوسى ، ودعت مجْمَرَة وقَالَت له : إن ريحك ريحُ الإبل ، وهذا دهن طيب ، فوضعت البخور تحتهُ وطأطأت كأنها تصلح البخور ، وأخذت مَذَاكيره وقطعتها بالموسى ، ثم شمته الدهن فسلتت أنفه وأُذُنيه ، وتَرَكتهُ ، فَصَارَ مثلاً لكل جانٍ على نفسه ومُتَعَدٍّ طَوْرَه ، قَالَ الفرزدق لجرير :

وإنِّـي لأخْشَى إنْ خَطَبْتَ إليهمُ عَلَيْكَ الَّذي لاَقَى يَسَارُ الكَوَاعِبِ

ويُقَال أيضاً «يسار النساء» وكان من العبيد الشعراء ، وله ابن شاعر يُقَال له : إسماعيل بن يَسَار النساء ، وكان مفلقا

يَحْمِلُ شَنٌّ وَيَفَدَّى لُكَيْزٌ

قَالَ المفضل : هما ابنا أفصَى بن عبد القَيْس ، وكانا مع أمهما في سفر ، وهي ليلى بنت قُرَّانَ بن بَلِّي حتى نزلت ذا طُوىً ، فلما أرادت الرحيلَ فَدَّتْ لُكَيْزاً ودعت شنا ليحملها ، فحملهاً وهو غضبان ، حتى إذا كانوا في الثنية رَمَى بها عن بعيرها فماتت ، فَقَالَ : يَحْمِلُ شن ويفدى لكيز ، فأرسلها مثلاً (يضرب للرجلين يهان أحدهما ويكرم الآخر ، ويضرب أيضاً في وضع الشيء في موضعه)

ثم قَالَ : عَلَيْكَ بجعرات أمِّكَ يا لُكيز ، فأرسلها مثلاً

ومثلُ هذا قولُ الشاعر :

وإذا تَكُونُ كَرِيهَةٌ أدْعَى لَهَا وَإذا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدبُ

يَدَاكَ أوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخَ

قَالَ المفضل : أصله أن رَجُلاً كان في جزيرة من جزائر البحر ، فأراد أن يُعْبُر على زق نفخ فيه فلم يحسن إحكامه ، حتى إذا توسّطَ البحرَ خرجت منه الريح فغرق ، فلما غَشيه الموتُ استغاث برجل ، فَقَالَ له : يدَاكَ أو كَتَا وفُوكَ نفخ

يضرب لمن يجني على نفسه الحَيْنَ

اليَوْمَ خَمرٌ، وغَداً أمْرٌ

أي يشغلنا اليوم خمر ، وغدا يشغلنا أمر ، يعني أمر الحرب .

وهذا المثل لامرئ القيس بن حجر الكنديُّ الشاعر ، ومعناه اليوم خَفْضٌ ودَعَة وغدا جدٌّ واجتهاد ، وكان أبو امرئ القيس

حُجْرٌ طَرَدَ امرأ القيس للشعر والغزل ، وكانت الملوك تأنَفُ من الشعر ، فلحق امرؤ القيس بدَمُّون من أرض اليمن ، فلم يزل بها حتى قتل أبوه ، قتله بنو أسدَ بن خزيمة ، فجاءه الأعور العجلي فأخبره بقتل أبيه ، فَقَالَ امرؤ القيس :

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ   دَمُّونُ إنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ

وَإننا لِقَوْمِنَا مُحِبُّونْ

ثم قَالَ : ضَيَّعني صغيراً ، وحَمَّلَني دَمَه كبيراً ، لاَ صَحْوَ اليوم ، ولاَ شُرْبَ غدا ، اليوم خَمْرٌ وغَداً أمر ، فذهب قوله مثلاً .

يضرب للدول الجالبة للمحبوب والمكروه .

ثم شرب سبعة أيام ، ثم قَالَ :

أتَانــي وَأصْحَابِــي عَلَى رَأْسِ صَيْلَع   حَديــثٌ أطَــارَ النَّوْمَ عَنَّى وَأنْعَمَا

وَقُلْــتُ لعجْلــيٍّ بَعَيــد مَآبُــــهُ   تَبَيَّــنْ وبَيِّــنْ لِى الحَديثَ المُعَجَّمَا

فَقَالَ : أبَيْــتَ اللَّعْــنَ عَمْرٌو وَكَاهِــلٌ   أبَاحُوا حِمَى حُجْرٍ فأصْبَحَ مُسْلَمــا

أما القصة التي أبدعها العرب لتبرير عدد كبير من الأمثال فهي قصة احتكام الأرنب والثعلب إلى الضب ، وتكاد كل جمل الحوار فيها تكون أمثالا وتميزت بالحيوية ، ومرح الموقف ، وقصر العبارة ، وسلاستها ، ودقة وعمق ما فيها من أمثال ، إلى جانب تعدد شخوصها وصدق التعبير عن سماتها النفسية .

أشأم من طويس

اول من غنى بالعربي في المدينة طويس وهو أول من ألقى الخنث والتثني والاسترخاء فيها وكان مغنيا طويلا أحول يكنى أبا عبد المنعم مولى بني مخزوم وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنساب أهلها وكان تقى للسانه ، قالوا وسئل عن مولده فذكر أنه ولد في اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ ، وفطم في اليوم الذي مات فيه أبوبكر رضي الله عنه وخُتن في اليوم الذي قُتل فيه عمر رضي الله عنه وزوج في

اليوم الذي قتل فيه عثمان رضي الله عنه وولد له يوم قتل علي رضي الله عنه .

كيف أعاودك وهذا أثَرُ فأسِك؟

حُكي أن أخوين كانا في إبل لهما فأجْدَبَتْ بلادهما ، وكان بالقرب منهما واد خَصيبٌ وفيه حية تَحْميه من كل أحد ، فَقَال أحدهما للآخر : يا فلان ، لو أنى أتيتُ هذا الوادي المكلأ فرَعَيْتُ فيه إبلي وأصلحتها فَقَال له أخوه : إني أخاف عليك الحية ، ألا ترى أن أحداً لا يهبط ذلك الوادي إلا أهلكته ، قَال : فوالله لأفعَلَنَّ ، فهبط الوادي ورعى به إبله زماناً ، ثم إن الحية نَهَشَتْه فقتلته .

فَقَال أخوه : والله ما في الحياة بعد أخي خير ، فلأطلبَنَّ الحية ولأقتلنها أو لأتبعنَّ أخي ، فهبط ذلك الوادي وطلب الحية ليقتلها ، فَقَالت الحية له : ألست تَرَى أنِّى قتلت أخاك؟ فهل لك في الصلح فأدعَكَ بهذا الوادي تكون فيه وأعْطِيك كل يوم ديناراً ما بقيت؟ قال أو فاعله أنت؟ قَالت : نعم ، قَال : إني أفعل ، فحلف لها وأعطاها المواثيقَ لا يضرها ، وجعلت تُعْطِيه كلَّ يوم ديناراً ، فكثر مالُه حتى صار من أحسن الناس حالا .

ثم إنه تَذَكَّر أخاه فَقَال : كيف ينفعني العيشُ وأنا أنظر إلى قاتل أخي؟ فعَمدَ إلى فأس فأخذها ثم قَعَدَ لها فمرَّت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجُحْرَ ، ووقعت الفأس بالجبل فوقَ جُحْرها فأثرت فيه ، فلما رأت ما فَعَلَ قطعت عنه الدينار ، فخاف الرجل شَرَّها وندم ، فَقَال لها : هل لك في أن نَتَوَاثقَ ونَعُودَ إلى ما كنا عليه؟ فَقَالت : كيف أعاودك وهذا أثَرُ فأسك؟

قَال نابغة بن ذبيان في هذا المَثل :

وإنِّي لألقَى من ذَويّ الغَيِّ منْهُمُ ... وما أصْبَحَتْ تَشْكُو منَ الشَّجْو سَاهِرَهْ
كما لَقيَتْ ذاتُ الصَّفَا منْ حَلَفِهَا ... وكانَتْ تُريه المَالَ غبّاً وَظَاهِرَهْ
فَلَمَّا رأى أنْ ثَمَّرَ الله مَالَهُ ... وَأثَّلَ مَوْجُوداً وَسَدَّ مَفَاقِرَهْ
أكَبَّ عَلَى فأس يُحِدُّ غُرَابَهَا ... مُذَكَّرَة منَ المَعَاول بَاتِرَه
فَقَامَ لَهَا مَنْ فَوْقَ جُحْر مُشَيَّد ... لِيَقْتُلَهَا أوْ يُخْطِئ الكَفُّ بَادرَهْ
فَلَمَّا وَقَاهَا الله ضَرْبَةً فأسه ... وَللشَّرِّ عَيْنٌ لا تُغَمِّضُ نَاظرَهْ
فَقَال : تَعَالَى نَجْعَل الله بَيْنَنَا ... عَلَى مَالَنَا أوْ تُنْجزى ليَ آخرَهُ
فَقَالت : يَمِينُ الله أفعَلُ ؛ إنني ... رَأيْتُكَ مَشْؤماً يمينُكَ فَاجِرَهْ

أَبَــى لــي قــبر لا يــزال مُقَابِلِـى   وَضَرْبَةُ فأسٍ فَوْقَ رَأسِيَ فَاقِرَهْ
وهذا من مشاهير أمثال العرب ، يضرب لمن لا يَفِي بالعهد!
إذا قالت حذام فصدقوها . . . فإن القول ما قالت حذام

يقال نزل عمرو بن أمامة على قوم من مراد ، فطرقوهم ليلاً فأثاروا القطا من أماكنها ، فرأتها امرأة يقال لها حذام ، فلما رأت القطا طار ليلاً نبهت زوجها مع رجالٍ من قومها فقالت لهم : ولو ترك القطا ليلاً لناما . فلم يلتفتوا إلى قولها وأخلدوا إلى مضاجعهم فقام رجل منهم وقال :

إذا قالت حذام فصدقوها . . . فإن القول ما قالت حذام

فنفر القوم والتجئوا إلى واد قريب منهم ، واعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا من عدوهم ، فضرب به المثل .

وافق شن طبقة

كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له «شن» فقال : والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي أتزوجها .

فبينما هو في بعض مسير إذا وافقه رجل في الطريق

فسأله شن : أين تريد

فقال : موضع كذا

يريد القرية التي يقصدها شن فوافقه حتى أخذا في مسيرهما قال له شن : أتحملني أم أحملك؟

فقال له الرجل : يا جاهل أنا راكب وأنت راكب فكيف أحملك أو تحملني

فسكت عن شن وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا بزرع قد استحصد

فقال شن : أترى هذا الزرع أكل أم لا؟

فقال له الرجل : يا جاهل ترى نبتاً مستحصداً فتقول أكل أم لا

فسكت عنه شن حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة

فقال شن : أترى صاحب هذا النعش حياً أو ميتاً؟

فقال له الرجل : ما رأيت أجهل منك ترى جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حي

فسكت عنه شن فأراد مفارقته فأبى الرجل أن يتركه حتى يصبر به إلى منزله

فمضى معه فكان للرجل بنت يقال لها «طبقة» فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياه وشكا إليها جهله وحدثها بحديثه

فقالت : يا أبت ما هذا بجاهل . أما قوله «أتحملني أم أحملك» فأراد أتحدثني أم أحدثك حتى

نقطع طريقنا .

وأما قوله «أترى هذا الزرع أكل أم لا» فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا .

وأما قوله في الجنازة فأراد هل ترك عقباً يحيا بهم ذكره أم لا .

فخرج الرجل فقعد مع شن فحادثه ساعة ثم

قال : أتحب أن أفسر لك ما سألتني عنه

قال : نعم فسره .

ففسره

قال شن : ما هذا من كلامك فأخبرني عن صاحبه .

قال : ابنة لي .

فخطبها إليه فزوجه إياها وحملها إلى أهله فلما رأوها

قالوا :

وافق شن طبقة

فذهبت مثلاً . يضرب للمتوافقين .

الفهرس

طرائف الأمراء والخلفاء 179

طرائف الأمثال

طرائف العرب

طرائف

أدهم شرقاوي
قسّ بن ساعدة

المجلد الثاني

2021

kalemat

طرائف الأنبياء والصحابة

قابيل وهابيل[1]

ذَكَرَ السُّدِّيُّ عَنْ أَبِي مَالك وَأَبِي صَالح ، عَن ابْن عَبَّاس ، وَعَنْ مُرَّةَ عَن ابْن مَسْعُود وَعَنْ نَاس منَ الصَّحَابَة ، أَنَّ آدَمَ[2] كَانَ يُزَوِّجُ ذَكَرَ كُلِّ بَطْن بأُنْثَى الآخر وَأَنَّ هَابيلَ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ بأُخْت قَابيلَ ، وَكَانَ أكبر من هابيل وَأُخْت هابيل أَحْسَنُ ، فَأَرَادَ قَابيلُ أَنْ يَسْتَأْثرَ بهَا عَلَى أَخيه ، وَأَمَرَهُ آدَمُ عَلَيْه السَّلاَمُ أَنْ يُزَوِّجَهُ إيَّاهَا فَأَبَى ، فَأَمَرَهُمَا أَنْ يُقَرِّبَا قُرْبَانًا ، وَذَهَبَ آدم ليحج إلَى مَكَّة ، واستحفظ السَّمَوَات عَلَى بَنيه فَأَبَيْنَ ، وَالأَرَضينَ وَالجْبَال فَأَبَيْنَ ، فَتَقَبَّلَ قابيل بحفْظ ذَلك .

فَلَمَّا ذهب قربا قربانهما ؛ فَقَرَّبَ هَابيلُ جَذَعَةً سَمينَةً ، وَكَانَ صَاحبَ غَنَم ، وَقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زَرْعه ، فَنَزَلَتْ نَارٌ فَأَكَلَتْ قُرْبَانَ هَابيلَ وَتَرَكَتْ قُرْبَانَ قَابيلَ ، فَغَضبَ وَقَالَ : لأَقْتُلَنَّكَ حَتَّى لاَ تَنْكحَ أُخْتي ، فَقَالَ : إنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ منَ الْمُتَّقينَ .

وَرُويَ عَن ابْن عَبَّاسٍ من وجوه أُخَرَ ، وَعَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرٍو .

وَقَالَ

عَبْدُ اللَّه بْنُ عَمْرو ، وَايْمُ اللَّه إنْ كَانَ الْمَقْتُولُ لأَشَدَّ الرَّجُلَيْن ، وَلَكنْ مَنْعَهُ التَّحَرُّجُ أَنْ يَبْسُطَ إلَيْه يَدَهُ! وَذَكَرَ أَبُو جَعْفَر الباقر أَن آدم كَانَ مباشرا لتقريبهما الْقُرْبَانَ وَالتَّقَبُّلُ منْ هَابيلَ دُونَ قَابيلَ ، فَقَالَ قَابيلُ لآدَمَ : إنَّمَا تَقُبِّلَ منْهُ لأَنَّكَ دَعَوْتَ لَهُ وَلَمْ تَدْعُ لي .

وَتَوَعَّدَ أَخَاهُ فيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ .

فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَة أَبْطَأَ هَابيلُ في الرَّعْي ، فَبَعَثَ آدَمُ أَخَاهُ قَابيلَ ليَنْظُرَ مَا أَبْطَأَ به ، فَلَمَّا ذَهَبَ إذَا هُوَ به ، فَقَالَ لَهُ : تُقُبِّلَ منْكَ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ منِّي .

فَقَالَ : إنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ منَ الْمُتَّقينَ .

فَغَضبَ قَابيلُ عنْدَهَا وَضَرَبَهُ بحَديدَة كَانَتْ مَعَهُ فَقَتَلَهُ .

وَقيلَ : إنَّهُ إنَّمَا قَتَلَهُ بصَخْرَة رَمَاهَا عَلَى رَأْسه وَهُوَ نَائمٌ فَشَدَخَتْهُ .

وَقيلَ : بل خنقه خنقا شَديدًا وعضه كَمَا تَفْعَلُ السِّبَاعُ فَمَاتَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

---

(١) قابيل وهابيل هما شخصيتان ذكرتا في العهد القديم ، وهما أول ابنين لآدم وحواء .

(٢) آدم في الديانات الصابئية واليهودية والمسيحية والإسلام هو أول مخلوق من البشر خلقه الله وخلق حواء من ضلعه الأيسر ولا يشترك الصابئة مع غيرهم في هذا المعتقد . ووضعه في الأرض قال تعالى : ﴿اني جاعل في الأرض خليفة﴾ .

وَفَاة آدَمَ ووَصيتّه إلى ابْنه شيثَ عليْه السَّلَام

وَمَعْنَى شيثَ : هبَةُ اللَّه ، وَسَمَّيَاهُ بذَلكَ لأَنَّهُمَا رُزقَاهُ بَعْدَ أَنْ قُتلَ هَابيلُ .

قَالَ أَبُو ذَرٍّ في حَديثه عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ : «إنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مائَةَ صَحيفَة وَأَرْبَعَ صُحُف ، عَلَى شيث خَمْسينَ صَحيفَةً» .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ : وَلَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ الْوَفَاةُ عَهدَ إلَى ابْنه شيثَ وَعَلَّمَهُ سَاعَات اللَّيْلِ وَالنَّهَار ، وَعَلَّمَهُ عبَادَات تلْكَ السَّاعَات ، وَأَعْلَمَهُ بوُقُوع الطُّوفَان بَعْدَ ذَلكَ .

قَالَ : وَيُقَالُ إنَّ أَنْسَاب بنى آدم الْيَوْم كلهَا تنْهى إلَى شيث ، وَسَائرُ أَوْلَاد آدَمَ غَيْرَهُ انْقَرَضُوا وَبَادُوا .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَلَمَّا تُوُفِّيَ آدَمُ عَلَيْه السَّلَامُ - وَكَانَ ذَلكَ يَوْمَ الْجُمُعَة - جَاءَتْهُ الْمَلائكَةُ بحنوط ، وكفن من عنْد الله عز وجل من الْجَنَّة ، وعزوا فيه فيه ابْنه ووصيه شيثا عَلَيْه السَّلَامُ .

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَكَسَفَت الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ سَبْعَةَ أَيَّام بليا ليهن .

وَقد قَالَ عبد الله ابْن الإِمَام أَحْمَدَ : حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالد ، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلَمَةَ ، عَنْ حُمَيْد ، عَن الْحَسَن ، عَن يحيى - هُوَ ابْنُ ضَمْرَةَ السَّعْديُّ - قَالَ : رَأَيْتُ شَيْخًا بالْمَدينَة يَتكَلَّمُ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقَالُوا هَذَا أُبَيُّ بْنُ كَعْب ، فَقَالَ : إنَّ آدَمَ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لبَنيه : أَيْ بَنيَّ! إنِّي أَشْتَهي منْ ثمَار الْجَنَّة .

قَالَ : فَذَهَبُوا يَطْلُبُونَ لَهُ ، فاستقبلتهم الْمَلائكَةَ وَمَعَهُمْ أَكْفَانه حنوطه ، وَمَعَهُمْ الفؤوس وَالْمَسَاحي وَالْمَكَاتلُ ، فَقَالُوا لَهُمْ : يَا بَني آدَمَ مَا تُريدُونَ وَمَا تَطْلُبُونَ؟ أَوْ مَا تُريدُونَ وأيت تَطْلُبُونَ؟ قَالُوا : أَبُونَا مَريضٌ وَاشْتَهَى منْ ثمَار الْجَنَّة ، فَقَالُوا لَهُمْ : ارْجعُوا فَقَدْ قُضيَ أَبُوكُمْ .

فَجَاءُوا فَلَمَّا رَأَتْهُمْ حَوَّاءُ عَرَفَتْهُمْ فَلاذَتْ بآدَمَ ، فَقَالَ : إلَيْك عَنِّي فَإنِّي إنَّمَا أُتيتُ منْ قبلك ، فخلى بينى وَبَين مَلائكَة ربى عزوجل .

فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه ، وحفروا لَهُ ولحدوه وصلوا عَلَيْه ثمَّ أدخلوه قَبْرَهُ فَوَضَعُوهُ في قَبْره ، ثُمَّ حَثَوْا عَلَيْه ، ثُمَّ قَالُوا : يَا بَني آدَمَ هَذه سُنَّتُكُمْ .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكر[1] منْ طَريق شَيْبَانَ بْن فَرُّوخَ ، عَنْ مُحَمَّد بْن زيَاد ، عَنْ

(١) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي الإمام والعلامة الحافظ الكبير محدث الشام .

مَيْمُون بْنِ مِهْرَانَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس ، أَن رَسُول اله ﷺ قَالَ : «كَبَّرَت الْمَلاَئكَةُ عَلَى آدَمَ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ أَبُو بَكْر عَلَى فَاطمَةَ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ عُمَرُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ صُهَيْبٌ عَلَى عُمَرَ أَرْبَعًا» قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : وَرَوَاهُ غَيْرُهُ عَنْ مَيْمُون فَقَالَ عَنِ ابْن عمر .

واختلفوا فِي مَوْضع دَفْنه : فَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ دُفِنَ عِنْدَ الْجَبَل الذي أهبط فِيه[1] فِي الْهِنْد ، وَقيلَ بِجَبَلِ أَبِي قُبَيْس بمَكَّةَ .

وَيُقَالُ إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا كَانَ زَمَنُ الطُّوفَانِ حَمَلَهُ هُوَ وَحَوَّاءُ فِي تَابُوتٍ ، فَدَفَنَهُمَا بِبَيْت الْمَقْدس .

حَكَى ذَلكَ ابْنُ جَرِير .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ : رَأْسُهُ عِنْدَ مَسْجِدِ إِبْرَاهِيمَ وَرِجْلَاهُ عِنْدَ صَخْرَة بَيت الْمَقدّس .

وَقد مَاتَت بعده حَوَّاء بسنه وَاحِدَة .

إِدْرِيس عَلَيْه السَّلَامُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نبيا ۞ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانا عليا﴾ فَإِدْرِيسُ عَلَيْه السَّلَامُ قَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْه وَوَصَفَهُ بِالنُّبُوَّة وَالصِّدِّيقِيَّة ، وَهُوَ فِي عَمُود نَسَبِ رَسُول اللَّه ﷺ عَلَى مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحد منْ عُلَمَاء النَّسَبِ .

وَكَانَ أَوَّلَ بَنِي آدَمَ أُعْطِيَ النُّبُوَّةَ بَعْدَ آدَمَ وَشِيثَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ ، وَقَدْ أَدْرَكَ مِنْ حَيَاةِ آدَمَ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ وَثَمَانِي سِنِينَ .

وَقَدْ قَالَ طَائفَةٌ منَ النَّاس إِنَّهُ الْمُشَارُ إِلَيْه فِي حَديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَم السُّلَمِيِّ لَمَّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَنِ الْخَطِّ بِالرَّمْلِ فَقَالَ : «إِنَّهُ كَانَ نَبِيٌّ يَخُطُّ بِه فَمَنْ وَافق خَطه فَذَاكَ» .

ويزعم كثير من عُلَمَاء التَّفْسِير وَالأَحْكَام أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي ذَلكَ ، وَيُسَمُّونَهُ هَرْمَسَ الْهَرَامسَة ، وَيَكْذِبُونَ عَلَيْه أَشْيَاءَ كَثِيرَةً كَمَا كَذَبُوا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاء وَالْحُكَمَاءِ وَالأَوْلِيَاء .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًا﴾ هُوَ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي حَدِيثِ الإِسْرَاء : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ .

---

(١) قمة جبل في سرنديب التي تعرف اليوم بجزيرة سيلان أو سريلانكا .

هُود عَلَيْهِ السَّلَامُ[١]

وَكَانَ من قَبيلَة يُقَال لَهُم عَاد بن عوض بن سَام بن نوح .

وَكَانُوا عَرَبًا يَسْكُنُونَ الأَحْقَافَ[٢] وَكَانَت بِالْيمن بَين عمان وَحضر موت ، بِأَرْضٍ مُطِلَّة عَلَى الْبَحْر يُقَالُ لَهَا الشِّحْرُ ، وَاسْمُ وَاديهمْ مُغيثٌ .

وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَسْكُنُونَ الْخِيَامَ ذَوَات الأَعْمدَة الضِّخَام ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بعَاد ۞ إرَمَ ذَات الْعِمَاد﴾ أي عَاد إرم وهم عَاد الاولى .

وَيُقَالُ إِنَّ هُودًا عَلَيْه السَّلَامُ أول من تكلم بالْعَرَبيَّة ، وَزعم وهب ابْن مُنَبِّه أَنَّ أَبَاهُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَا ، وَقَالَ غَيْرُهُ : أَوَّلُ مَنْ تكَلَّم بِهَا نُوحٌ ، وَقِيلَ آدَمُ وَهُوَ الأَشْبَهُ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلكَ .

وَأَنَّ عَادًا – وَهُمْ عَادُ الأُولَى – كَانُوا أَوَّلَ مَنْ عَبَدَ الأَصْنَامَ بَعْدَ الطُّوفَانِ .

وَكَانَت أصنامهم ثَلاثَة : صدا وصمودا ، وَهرَا .

فَبَعَثَ اللَّهُ فيهِمْ أَخَاهُمْ هُودًا عَلَيْه السَّلامُ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّه

وأن عادا كَانُوا جُفَاةً كَافرينَ ، عُتَاةً مُتَمَرِّدِينَ في عبَادَة الأَصْنَام ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ فيهِمْ رَجُلاً منْهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّه وَإِلَى إفْرَاده بِالْعبَادَةِ وَالإِخْلاصِ لَهُ ، فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ وَتَنَقَّصُوهُ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ أَخْذَ عَزِيز مُقْتَدر .

فَلَمَّا أَمَرَهُمْ بعبَادَة اللَّه وَرَغَّبَهُمْ في طَاعَته وَاسْتغْفَاره ، وَوَعَدَهُمْ عَلَى ذَلكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخرَة ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى مُخَالَفَة ذَلكَ عُقُوبَةَ الدُّنْيَا وَالآخرَة «قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا منْ قَوْمه إنَّا لنراك في سفاهة» أَي هَذَا الامر الذي تدعونا إِلَيْه سفه بالنِّسْبَة إِلَى مَا نَحن عَلَيْه من عبَادَة هَذه الاصنام التي يرتجى منْهَا النَّصْر والرزق ، وَمَعَ هَذَا نظن أَنَّك تكذب في دعواك

أن الله أرسلك .

«قَالَ يَا قَوْم لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكنِّي رَسُول من رب الْعَالمين» ، أَي لَيْسَ الامر كَمَا تظنون وَلاَ كَمَا تَعْتَقدُونَ «أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَت رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصحٌ أَمين» وَالْبَلاَغُ يَسْتَلْزِمُ

(١) هود بن رباح بن عاد بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام عاد قوم سيدنا هود بعد نجاه المؤمنين مع سيدنا نوح في السفينة .

(٢) وَهِيَ جِبَالُ الرَّمْلِ .

عَدَمَ الْكَذِبِ فِي أَصْلِ الْمُبَلِّغ ، وَعدم الزِّيَادَة فيه وَالنَّقْص منْهُ ، ويستلزم أداءه بِعِبَارَةٍ فَصِيحَة وَجِيزَة جَامعَة مَانعَة لاَ لَبْسَ فيهَا وَلاَ اخْتلاَف وَلاَ اضْطِرَاب .

وَهُوَ مَعَ هَذَا الْبَلاَغ عَلَى هَذه الصِّفَة في غَايَة النُّصْح لقَوْمه وَالشَّفَقَة عَلَيْهِمْ وَالحِرْص عَلَى هدَايَتهمْ ، لاَ يَبْتَغِي منْهُمْ أَجْرًا وَلاَ يَطْلُبُ منْهُمْ جعلا ؛ بل هُوَ مخلص لله عز وجل فِي الدَّعْوَة إِلَيْه وَالنُّصْح لخَلْقه ، لاَ يَطْلُبُ أَجْرَهُ إِلاَّ منَ الَّذي أَرْسَلَهُ ، فَإِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخرَة كُلَّهُ فِي يَدَيْه وَأَمْرَهُ إِلَيْه

وَقَالَ : ﴿يَا قَوْم لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذي فَطَرَني أَفَلاَ تَعْقلُونَ﴾ أَي أما لَكُمْ عَقْلٌ تُمَيِّزُونَ به وَتَفْهَمُونَ أَنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى الْحَقِّ الْمُبِين الَّذي تَشْهَدُ به فطَرُكُمُ الَّتي خُلقْتُمْ عَلَيْهَا ، وَهُوَ دِينُ الْحَقِّ الَّذي بَعَثَ اللَّهُ بِه نُوحًا وَأَهْلَكَ مَنْ خَالَفَهُ منَ الْخَلْق .

وَهَا أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْه وَلاَ أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا عَلَيْه ، بَلْ أَبْتَغِي ذَلكَ عنْدَ اللَّه مَالكُ الضُّرِّ وَالنَّفْع .

وَلِهَذَا قَالَ مُؤْمنُ ﴿يس﴾ : ﴿اتَّبعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * ومالي لاَ أعبد الذي فطرني وَإِلَيْه ترجعون؟﴾ وَقَالَ قوم هود لَهُ فيمَا قَالُوا : ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا ببَيِّنَة وَمَا نَحْنُ بتَاركي آلهَتنَا عَنْ قَوْلكَ ، وَمَا نَحْنُ لَكَ بمُؤْمنينَ * إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلهَتنَا بسوء﴾ ، يَقُولُونَ مَا جئْتَنَا بخَارق يَشْهَدُ لَكَ بصدْق

ماجئت به ، وَمَا نَحْنُ بالَّذين نَتْرُكُ عبَادَةَ أَصْنَامنَا عَنْ مُجَرَّد قَوْلكَ ؛ بلاَ دَليلٍ أَقَمْتَهُ وَلاَ بُرْهَان نَصبْتَهُ ، وَمَا نَظُنُّ إِلاَّ أَنَّكَ مَجْنُونٌ فيمَا تزعمه .

وَعنْدنَا أَنه إِنَّمَا أَصَابَك هَذَا لأَن بَعْضَ آلهَتنَا غَضبَ عَلَيْكَ فَأَصَابَكَ فِي عَقْلكَ فَاعْتَرَاكَ جُنُونٌ بسَبَب ذَلكَ .

وَهُوَ قَوْلُهُمْ : ﴿إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلهَتنَا بسُوء﴾ .

﴿قَالَ إِني أشهد الله واشهدوا أَنى برِئ ممَّا تشركون منْ دُونه ، فَكيدُوني جَميعًا ثُمَّ لاَ تُنْظرُون﴾ .

وَهَذَا تحد منْهُ لَهُم ، وتبرأ من آلهَتهم وتنقص منْهُ لَهَا ، وَبَيَان أَنَّهَا لاَ تَنْفَع شَيْئا وَلاَ تضر ، وَأَنَّهَا جماد حكمهَا حكمه وفعلها فعله .

فَإِن كَانَت كَمَا تَزْعُمُونَ من أَنَّهَا تنصر وَتَنْفَع وتضر فها أَنا برِئ منْهَا .

مولد إسْمَاعِيل عَلَيْه السَّلاَم[١]

قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ[٢] سَأَلَ اللَّهَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، وَأَنَّ اللَّهَ بَشَّرَهُ بِذَلِكَ .

وَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ لإِبْرَاهِيمَ بِبِلاَدِ بَيت الْمُقَدّس عشرُون سنة قَالَت سارة[٣] لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلاَم : إِن لرب قَدْ أَحْرَمَنِي الْوَلَدَ ، فَادْخُلْ عَلَى أَمَتِي هَذِهِ لَعَلَّ الله يرزقني مِنْهَا وَلَدًا .

فَلَمَّا وَهَبَتْهَا لَهُ دَخَلَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْه السَّلاَمُ ، فَحِينَ دَخَلَ بهَا حَمَلَتْ مِنْهُ .

قَالُوا : فَلَمَّا حَمَلَت ارْتَفعَتْ نَفْسُهَا وَتَعَاظَمَتْ عَلَى سَيِّدَتهَا ، فَغَارَتْ مِنْهَا سَارَةُ فَشَكَتْ ذَلكَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ لَهَا : افْعَلِي بِهَا مَا شِئْتِ ، فَخَافَتْ هَاجَرُ فَهَرَبَتْ فَنَزَلَتْ عِنْدَ عَيْن هُنَاكَ .

فَقَالَ لَهَا مَلَكٌ منَ الْمَلائكَة : لاَ تَخَافي فَإِنَّ اللَّهَ جَاعلٌ منْ هَذَا الْغُلاَم الَّذي حَمَلْت خَيْرًا وَأَمَرَهَا بالرُّجُوع وَبَشَّرَهَا أَنَّهَا سَتَلدُ ابْنًا وَتُسَمِّيه إِسْمَاعِيلَ ، وَيَكُونُ وَحْشَ النَّاس ، يَده على الْكل ، وَيَده الْكُلِّ به ، وَيَمْلكُ جَميعَ بِلاَدِ إِخْوَته .

فَشَكَرَت الله عز وجل عَلَى ذَلكَ .

وَهَذه الْبِشَارَةُ إِنَّمَا انْطَبَقَتْ عَلَى وَلَده مُحَمَّد صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلاَمُهُ عَلَيْه ؛ فَإِنَّهُ الذي به سَادت الْعَرَبُ ، وَمَلَكَتْ جَميعَ الْبَلاَد غَرْبًا وَشَرْقًا ، وَأَتَاهَا اللَّهُ منَ الْعلْمَ النَّافع وَالْعَمَلِ الصَّالحِ مَا لم تؤت أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ قَبْلَهُمْ ، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ بِشَرَفِ رَسُولِهَا عَلَى سَائِرِ

---

(١) إسماعيل بن إبراهيم شخصية مذكورة في كل من التوراة والقرآن . يؤمن المسلمون بنبوته ، بينما يعتقد اليهود والمسيحيون أنه شخصية تاريخية ورد ذكره في العهد القديم . يعتقد البعض بأنه أبو العرب الحجازية .

(٢) ولد إبراهيم عليه السلام بأرض بابل في العراق في عهد النمرود الذي كان حاكما لتلك البلاد مستبدا جبارا وقد نصّب نفسه الها لقومه الذين كانوا يعيشون في دياجير الجهل والضلال وعبادة الأصنام . وكان أب ابراهيم وهو ازر نجارا وينحت الأصنام ويبيعها . ولما شبّ إبرهيم عليه السلام تزوج امرأة اسمها «سارة» وكانت عقيما لا تلد . ولد لازر ابراهيم عليه السلام وهاران وولد لهاران لوط عليه السلام .

(٣) سارة هي زوجة النبي إبراهيم وأم النبي إسحاق أبو النبي يعقوب الذي ينحدر من نسله أنبياء بني إسرائيل . وسارة بالأصل اسم عبري ، ويعني بالعربية «البهجة والسرور» .

الرُّسُلِ ، وَبَرَكَةِ رِسَالَتِهِ ويمن سفارته وَكَمَالِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ ، وَعُمُومِ بَعْثَتِهِ لِجَمِيعِ أهل الارض .

وَلَمَّا رَجعَتْ هَاجَرُ[١] وَضَعَتْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْه السَّلاَمُ .

قَالُوا : وولدته وَلِإِبْرَاهِيمَ مِنَ الْعُمُرِ ستٌّ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، قَبْلَ مَوْلِدِ إِسْحَاقَ[٢] بِثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً .

وَلَمَّا وُلِدَ إِسْمَاعيل أوحى الله إِلَى إِبْرَاهيم يبشره بإسحاق مِنْ سَارَةَ ، فَخَرَّ للَّه سَاجدًا ، وَقَالَ لَهُ : قَد اسْتَجَبْتُ لَكَ في إِسْمَاعِيلَ وَبَارَكْتُ عَلَيْهِ وكثرته ونميته ، وَيُولَدُ لَهُ اثْنَا عَشَرَ عَظِيمًا ، وَأَجْعَلُهُ رَئِيسًا لشَعْب عَظِيم .

وَهَذه أَيْضًا بشَارَةٌ بهَذه الأُمَّة الْعَظِيمَة ، وَهَؤُلاَء الاثْنَا عَشَرَ عَظِيمًا هُمُ الْخُلَفَاءُ الراشدونَ[٣] الاثْنَا عَشَرَ ، الْمُبَشَّرُ بِهِمْ في حَدِيث عَبْد الْمَلك بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَميرًا» .

ثُمَّ قَالَ كَلمَةً لَمْ أَفْهَمْهَا ، فَسَأَلْتُ أَبِي مَا قَالَ .

قَالَ «كُلُّهُمْ منْ قُرَيْش» .

وَفي روَايَة : «لاَ يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ قَائِمًا ، وَفِي رِوَايَةٍ عَزِيزًا ، حَتَّى يَكُونَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ منْ قُرَيْش» .

فَهَؤُلاَء منْهُمُ الأَئمَّةُ الأَرْبَعَةُ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ ، وَمِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَيْضًا ، وَمِنْهُمْ بَعْضُ بَنِي الْعَبَّاس .

---

(١) شخصية تراثية ورد ذكرها في سفر التكوين وجاء ذكرها باسمها في الأحاديث النبوية وذكرها النبي محمد أيضاً بلفظ أُم إسماعيل ,وأُشير إليها دون تسمية في القرآن الكريم . حسب سفر التكوين ، هاجر أمة أو جارية مصرية لسارة ويوجد في التراث الإسلامي ما يؤيد ذلك وهي امرأة مكرمة في الإسلام فهي والدة نبي وفق معتقدات المسلمين وهو إسماعيل وإن كان المسيحيون واليهود لا يؤمنون بنبوته

(٢) اسحق هو ابن ووريث إبراهيم وهو أبو يعقوب وعيسى كما هو مكتوب في سفر التكوين من كتاب التوراة سُميَ اسحق لأن أمه سارة ضحكت عندما سمعت بأنها حامل بولد بينما كانت طاعنة جداً بالسن .

(٣) الخلفاء الراشدون هم الخلفاء الأربعة الأول الذين تعاقبوا على إمرة المسلمين بعد وفاة النبي محمد .

مولد إسْحَاق عَلَيْه السَّلَام

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿وبشرناه بإسحق نَبِيا من الصَّالِحِين * وباركنا عَلَيْهِ وعَلى إسْحَق وَمن ذريتهما محسن وظالم لنَفسه مُبين﴾ .

وَقد كَانَت الْبشَارَة به من الملائكة لإبراهيم وَسَارة لما مروا بهما مُجْتَازِينَ ذَاهِبِينَ إِلَى مَدَائِن قَوْم لُوط ، ليُدَمِّرُوا عَلَيْهِمْ لكُفْرهمْ وَفُجُورهمْ .

يَذْكُرُ تَعَالَى : «أَنَّ الْمَلائكَة * قَالُوا : وَكَانُوا ثَلاَثَةً : جبْريلَ وَميكَائيلَ وَإِسْرَافيلَ – لَمَّا وَرَدُوا عَلَى الْخَلِيلِ حسبهم أَولا أضيافا ، فعاملهم مُعَامَلَة الضيوف ، وشوى لَهُم عجلا سمينتا منْ خيَار بَقَره ، فَلَمَّا قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَرَ لَهُمْ همَّةً إِلَى الأَكْلِ بِالْكُلِّيَّة ، وَذَلكَ لأَنَّ الْمَلاَئكَةَ لَيْسَ فيهِمْ قُوَّةُ الْحَاجَة إِلَى الطَّعَام «فَنَكرَهُمْ» إِبْرَاهيمُ «وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خيفَةً ، قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قوم لوط» أَيْ لِنُدَمِّرَ عَلَيْهِمْ .

فَاسْتَبْشَرَتْ عنْدَ ذَلكَ سَارَةُ غَضبا لله عَلَيْهِم ، وَكَانَت قَائِمَة على رُؤُوس الأَضْيَاف كَمَا جَرَتْ به عَادَةُ النَّاس منَ الْعَرَبِ وَغَيْرهمْ .

فَلَمَّا ضَحكَت اسْتَبْشَارًا بذَلكَ ، قَالَ الله تَعَالَى : ﴿فبشرناها بإسحق وَمن وَرَاء إسْحَق يَعْقُوب﴾ أَيْ بَشَّرَتْهَا الْمَلاَئكَةُ بذَلكَ «فَأَقْبَلَت امْرَأَتُهُ في صرة» أَي في صرخة «فصكت وَجهها» أَيْ كَمَا يَفْعَلُ النِّسَاءُ عنْدَ التَّعَجُّب وَقَالَتْ : «يَا وَيْلَتَى أَأَلدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلي شَيخا» أَيْ كَيْفَ يَلدُ مثْلي وَأَنَا كَبيرَةٌ وَعَقيمٌ أَيْضا ، وَهَذَا بعلى ، أَيْ زَوْجي ، شَيْخًا؟ تَعَجَّبَتْ منْ وُجُود وَلَد وَالْحَالَة هَذه .

وَلهَذَا قَالَت : «إِن هَذَا لشيء عَجِيبٌ * قَالُوا : أَتَعْجَبِينَ منْ أَمْرِ اللَّهِ! رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْت إِنَّهُ حَميدٌ مجيد» .

وَكَذَلكَ تَعَجَّبَ إِبْرَاهيمُ عَلَيْه السَّلاَمُ اسْتبْشَارًا بهَذه الْبشَارَة وَتَثْبيتًا لَهَا وَفَرَحًا بهَا ، «قَالَ أَبَشَّرْتُمُوني على أَن مسنى الْكَبير فَبمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بالْحَقِّ فَلاَ تَكُنْ من القانطين» أَكَّدُوا الْخَبَرَ بِهَذِه الْبِشَارَة وَقَرَّرُوهُ مَعَهُ ، فَبَشَّرُوهُمَا «بغُلاَم عليم» ؛ وَهُوَ إِسْحَق أَخُو إِسْمَاعيل .

غُلاَم عليم مُنَاسبٌ لمَقامه وَصَبْره ، وَهَكَذَا وَصَفَهُ رَبُّهُ بصدْق الْوَعْد وَالصَّبْر .

وَقَالَ في الآيَة الأُخْرَى : ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بإسحق وَمن وَرَاء إِسْحَق يَعْقُوب﴾ .

وَهَذَا ممَّا اسْتَدَلَّ به مُحَمَّدُ بْنُ كَعْب الْقُرَظيُّ وَغَيْرُهُ عَلَى أَنَّ الذَّبيحَ هُوَ إِسْمَاعيلُ ، وَأَن إِسْحَق لاَ يَجُوزُ أَنْ يُؤْمَرَ بِذَبْحه بَعْدَ أَنْ وَقَعَت الْبِشَارَةُ بِوُجُوده وَوُجُود

وَلَده يَعْقُوب[١] الْمُشْتَقّ منَ الْعَقب منْ بَعْده .

فَقَوله تَعَالَى : ﴿فبشرناها بإسحق وَمن وَرَاء إسْحَق يَعْقُوب﴾ دَلِيل على أَنَّهَا تستمتع بِوُجُود وَلَدهَا إسْحَق ، ثُمَّ منْ بَعْده يُولَدُ وَلَدُهُ يَعْقُوبُ .

أَيْ يُولد في حياتهما لنقر أعينهما به كَمَا قرت بولده .

وَلَوْ لَمْ يُرِدْ هَذَا لَمْ يَكُنْ لِذِكْرِ يَعْقُوبَ وَتَخْصِيصِ التَّنْصِيصِ عَلَيْهِ مِنْ دُونِ سَائِرِ نسل إسْحَق فَائِدَة .

بناء البيت العتيق

الْبَيْتَ الْعَتِيقَ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَسْجد وُضعَ لعُمُوم النَّاسِ ، يَعْبُدُونَ اللَّهَ فِيهِ .

وَبَوَّأَهُ اللَّهُ مَكَانَهُ ، أَيْ أَرْشَدَهُ إِلَيْه وَدَلَّهُ عَلَيْه .

وَقَدْ رُوِّي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَغَيْرِهِ : أَنَّهُ أُرْشِدَ إِلَيْهِ بوحي من الله عز وجل .

وَقد ذكرنَا فِي صفة خلق السَّمَوَات : أَنَّ الْكَعْبَةَ بحيَال الْبَيْت الْمَعْمُور ، بِحَيْثُ أَنَّهُ لَو سقط لسقط عَلَيْهَا ، وَكَذَلكَ معابد السَّمَوَات السَّبْع ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَف : إنَّ فِي كُلِّ سَمَاء بَيْتًا يَعْبُدُ اللَّهَ فيه أَهْلُ كُلِّ سَمَاء ، وَهُوَ فِيهَا كَالْكَعْبَة لأَهْل الأَرْض .

فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْه السَّلاَمُ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا يَكُونُ لأَهْلَ الأَرْض كَتلْكَ المعابد لملائكة السَّمَوَات ، وَأَرْشَدَهُ اللَّهُ إِلَى مَكَانِ الْبَيْت الْمُهَيَّأ لَهُ ، الْمعين لذَلك مُنْذُ خلق السَّمَوَات وَالأَرْضَ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْن : «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خلق الله السَّمَوَات وَالأَرْضَ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَة اللَّه إِلَى يَوْم الْقيَامَة» .

وَلَمْ يَجِئْ فِي خَبَرٍ صَحِيحٍ عَنْ مَعْصُومٍ أَنَّ الْبَيْتَ كَانَ مَبْنِيًّا قَبْلَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ .

وَمَنْ تَمَسَّكَ فِي هَذَا بِقَوْله : «مَكَان الْبَيْت» فَلَيْسَ بناهض وَلاَ ظَاهر ، لأَنَّ الْمُرَادَ مَكَانُهُ الْمُقَدَّرُ فِي علم الله ، الْمُقَرّر فِي قَدَرِهِ ، الْمُعَظَّمُ عِنْدَ الأَنْبِيَاءِ مَوْضِعُهُ ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى زَمَانِ إِبْرَاهِيمَ .

---

(١) يعقوب أو ياكوف (بالعبرية) معناه «ماسك كعب القدم» ويُعرف أيضاً بإسرائيل أي «الله قد كافح» . أبوه إسحاق وجّده إبراهيم . كان ليعقوب دور رئيسي في الأحداث الأخيرة من سفر التكوين في العهد القديم .

وَقَدْ ذَكَرْ أَنَّ آدمَ نَصبَ عَلَيْه قُبَّةً ، وَأَنَّ الْمَلاَئكَةَ قَالُوا لَهُ : قَدْ طُفْنَا قَبْلَكَ بِهَذَا الْبَيْت ، وَأَنَّ السَّفينَةَ طَافَتْ به أَرْبَعينَ يَوْمًا أَوْ نَحْوَ ذَلكَ .

وَلَكنْ كُلُّ هَذه الأَخْبَار عَنْ بنى إِسْرَائيل .

وأَنَّهَا لا تصدقَ وَلاَ تُكَذَّبُ فَلاَ يُحْتَجُّ بهَا ، فَأَمَّا إِنْ رَدَّهَا الْحَقُّ فَهِيَ مَرْدُودَةٌ .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْت وُضعَ للنَّاسِ لَلَّذي ببَكَّةَ مُبَارَكًا وَهدى للْعَالَمين﴾ .

أَيْ أَوَّلُ بَيْت وُضعَ لعُمُوم النَّاسِ للْبَرَكَة وَالْهدى ، الْبَيْت الذي ببكة .

وَقيل مَحل الْكَعْبَة ﴿فيه آيَات بَيِّنَات﴾ أَيْ عَلَى أَنَّهُ بنَاءُ الْخَليلِ ، وَالِدِ الأَنْبِيَاءِ منْ بَعْده وَإِمَام الْحُنَفَاء منْ وَلَده ، الَّذينَ يَقْتَدُونَ به وَيَتَمَسَّكُونَ بسُنَّته .

وَلهَذَا قَالَ : ﴿مَقَامُ إِبْرَاهيم﴾ أَيِ الْحَجَرُ الَّذي كَانَ يَقفُ عَلَيْه قَائمًا لَمَّا ارْتَفَعَ الْبنَاءُ عَنْ قَامَته ، فَوضَعَ لَهُ وَلَدُهُ هَذَا الْحَجَرَ الْمَشْهُورَ ، ليَرْتَفعَ عَلَيْه لَمَّا تَعَالَى الْبناء وَعظم الفناء .

كَمَا ذكر في حَديث ابْن عَبَّاس الطَّويل .

وَقَدْ كَانَ هَذَا الْحَجَرُ مُلْصَقًا بحَائط الْكَعْبَة عَلَى مَا كَانَ عَلَيْه منْ قَديم الزَّمَان إِلَى أَيَّام عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَأَخَّرَهُ عَن الْبَيْت قليلا ، لئَلَّا يشغَل المصلي عنْدَهُ الطَّائفينَ بالْبَيْت ، وَاتَّبَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا ، فَإِنَّهُ قَدْ وَافقه ربه فِي أَشْيَاء : منْهَا قَوْله لرَسُوله .

ﷺ : لَو اتَّخَذْنَا منْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿وَاتَّخذُوا من مقَام إِبْرَاهِيم مصلى﴾ .

وَقَدْ كَانَتْ آثَارُ قَدَمَي الْخَلِيلِ بَاقِيَةً فِي الصَّخْرَةِ إِلَى أَوَّلِ الإِسْلاَمِ .

غير عتبة بابك

قال ابن عباس[١] : لّما شبّ اسماعيل تزوّج امرأة من جرهم ، فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل ، فسألا عنه امرأته فقالت :

خرج يبتغي لنا .

ثم سألها عن عيشهم فقالت :

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، صحابي جليل ، وابن عم النبي محمد ، حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير وترجمان القرآن ، ولد ببني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان النبي محمد دائم الدعاء لابن عباس فدعا أن يملأ الله جوفه علماً وأن يجعله صالحاً .

نحن بشر في ضيق وشدّة ، وشكت إليه ، فقال :
فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له :
يغيّر عتبة بابه .
فلما جاء أخبرته فقال : ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك .

صِفَةُ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ[١] : حَدَّثَنَا يُونُسُ وَحُجَيْنٌ قَالاَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِذا أقرب من رَأَيْت شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دِحْيَةُ» .
تَفَرَّدَ بِهِ الإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَبِهَذَا اللَّفْظِ .
وَقَالَ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ ، حَدثنَا إِسْرَائِيل ، عَن عُثْمَان –يَعْنِي ابْنَ الْمُغِيرَةِ –عَنْ مُجَاهِد ، عَن ابْنِ عَبَّاس ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «رَأَيْتُ عِيسَى بن مَرْيَمَ وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ ؛ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ ، وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسِيمٌ» .
قَالُوا لَهُ : فَإِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ : «انْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ» يَعْنِي نَفسه .

ففهمناها سليمان[٢]

أن رجلين دخلا على داود عليه السلام[٣] أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي فقيه ومحدِّث مسلم ، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي .
(٢) سليمان هو أحد ملوك مملكة إسرائيل حسب الوارد في سفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الأول وحسب التلمود ، هو أحد الأنبياء الثمانية والأربعين وابن داود وثالث ملوك مملكة إسرائيل الموحدة قبل انقسامها إلى مملكة إسرائيل الشمالية وهي المملكة التي بقي يحكمها قبائل إسرائيل الاثنا عشر ومملكة يهوذا في الجنوب والتي حكمها أبناء قبيلة يهوذا وهي القبيلة الوحيدة الباقية من القبائل الاثنا عشر حسب كتابات اليهود .
(٣) داوُود أو داؤود ، وتلفظ بالعبرية الحديثة : دافيد) معناه «محبوب» ، هو ثاني ملك على مملكة إسرائيل الموحدة (١٠١١ ق .م . – ٩٧١ ق .م .) وأحد أنبياء بني إسرائيل بحسب المعتقد الإسلامي ، =

حرث فقال أحدهما إن هذا دخلت غنمه بالليل إلى حرثي فأهلكته وأكلته ولم تبق لي فيه شيئا فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره إذ ذاك على ما نقله أئمة التفسير إحدى عشر سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا إلى داود عليه السلام وقالا له ما قاله ولده سليمان عليه السلام فدعاه داود عليه السلام وقال له ما هو الأرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم إلى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده في قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الأغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم إلى صاحب الأغنام ليقوم به فإذا عاد الكرم إلى هيئته وصورته التي كان عليها ليلة دخلت الغنم إليه سلم صاحب الكرم الغنم إلى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالى ﴿وداود وسليمان إن يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾ .

قلب الأم

عن أبي هريرة[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال :

خرجت امرأتان ومعهما صبيّان ، فعدا الذئب على أحدهما ، فأخذتا تختصمان في الصبي الباقي ، فاختصمتا الى داود عليه السلام ، فقضى به للكبرى منهما ، فمرّتا على سليمان عليه السلام ، فقال ما أمركما؟

فقصّتا القصّة .

= إلا أنه في اليهودية يعتبر ملكًا وليس نبيًا جاء بعد إش-بوشيت (أو إشباعل) ، الابن الرابع للملك شاول . يتم وصفه على أنه أحق وأنزه ملك من بين ملوك إسرائيل التاريخيين – ولكن ليس بلا خطأ – وأيضاً هو محارب ممتاز ، موسيقي وشاعر (ويعتبره التراث اليهودي والمسيحي مؤلف العديد من المزامير) .

(١) الصحابي أبو هُرَيْرَة عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة صحابي من صحابة رسول الله ، قد أجمع أهل الحديث السُنَّة أن أبا هريرة أكثر الصحابة روايةً وحفظاً لحديث رسول الله .

فقال : ائتوني بالسكين أشق الغلام بينكما .
فقالت الصغرى : أتشقه؟
قال : نعم .
قالت : لا تفعل ، حظي منه لها .
فقال : هو ابنك . فقضى به لها .

ريش الأوز

وعن محمد بن كعب القرظي[1] قال : جاء رجل الى سليمان النبي عليه السلام فقال : يا نبيّ الله! ان لي جيرانا يسرقون أوزي .
فنادى الصلاة جامعة .
ثم خطبهم ، فقال في خطبته : وأحدكم يسرق أوز جاره ، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه!
فمسح رجل برأسه ، فقال سليمان : خذوه فإنه صاحبكم .

هدهد سليمان

وذكروا في الإسرائيليات أنّ الهدهد جاء إلى سليمان ، فقال : أريد أن تكون في ضيافتي ، فقال سليمان : أنا وحدي؟ فقال : لا بل أنت والعسكر ، في يوم كذا ، على جزيرة كذا ؛ فلمّا كان ذلك اليوم ، جاء سليمان وعسكره ، فطار الهدهد ، فصاد جرادةً ، فخنقها ، ورمى بها في البحر ، وقال : كلوا ، فمن لم ينل من اللّحم نال من المرقة ؛ فضحك سليمان من ذلك وجنوده حولاً كاملاً .

موسى عليه السلام

يَذْكُرُ تَعَالَى مُلَخَّصَ الْقِصَّةِ ، ثُمَّ يَبْسُطُهَا بَعْدَ هَذَا ، فَذكر أَنه يَتْلُو عَلَى نَبِيِّهِ خَبَرَ

---

(١) القرظي محمد بن كعب بن سليم وقال ابن سعد محمد بن كعب بن حيان بن سليم الإمام العلامة الصادق أبو حمزة وقيل أبو عبد الله القرظي المدني من حلفاء الأوس وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة سكن الكوفة ثم المدينة .

مُوسَى وَفِرْعَوْنَ[١] بِالْحَقِّ ، أَيْ بِالصِّدْقِ الَّذِي كَأَنَّ سَامِعَهُ مُشَاهِدٌ لِلْأَمْرِ مُعَايِنٌ لَهُ .

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعًا﴾ ، أَيْ تَجَبَّرَ وَعَتَا وَطَغَى وَبَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَأَعْرَضَ عَنْ طَاعَةِ الرَّبِّ الأَعْلَى .

وَجَعَلَ أَهلهَا شيعًا ، أَيْ قَسَّمَ رَعِيَّتَهُ إِلَى أَقْسَام ، وفِرَق وَأَنْوَاع ، يستضعف طَائِفَة مِنْهُم ، وَهُمْ شَعْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ سلالَة نَبِي اللَّه يَعْقُوب ابْن إِسْحَق بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّه ، وَكَانُوا إِذْ ذَاكَ خيَار أهل الارض .

وَقد سلط عَلَيْهِمْ هَذَا الْمَلِكَ الظَّالِمَ الْغَاشِمَ الْكَافِرَ الْفَاجِرَ ، يستعبدهم ويستخدمهم فِي أخس الصَّنَائع والحرف وأرداها وَأَدْنَاهَا وَمَعَ هَذَا «يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ المفسدين» .

وَكَانَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ الْقَبِيحِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَتَدَارَسُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَا يأثرونه عَن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، مِنْ أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ غُلاَمٌ يَكُونُ هَلاَكُ مَلك مِصْرَ عَلَى يَدَيْه .

وَذَلِكَ - وَالله أعلم - حِين كَانَ جَرَى عَلَى سَارَّةَ امْرَأَةِ الْخَلِيلِ مِنْ مَلِكِ مِصْرَ ، مِنْ إِرَادَته إِيَّاهَا عَلَى السُّوءِ وَعِصْمَةَ اللَّه لَهَا .

وَكَانَتْ هَذه الْبِشَارَةُ مَشْهُورَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَتَحَدَّث بِهَا الْقِبْطُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، ووصلت إِلَى فِرْعَوْنَ فَذكرهَا لَهُ بعض أُمَرَائه وَأَسَاوِرَته وَهُمْ يَسْمُرُونَ عِنْدَهُ ، فَأَمَرَ عِنْدَ ذَلكَ بِقَتْلِ أَبْنَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ ، حَذَرًا مِنْ وُجُود هَذَا الْغُلاَم ، وَلَنْ يُغْنِيَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ!

وَذَكَرَ السُّدِّيُّ عَنْ أَبِي صَالِح وَأَبِي مَالِك ، عَن ابْن عَبَّاس ، وَعَن مُرَّةَ عَن ابْنِ مَسْعُود ، وَعَنْ أُنَاس مِنَ الصَّحَابَة : أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَى فِي مَنَامه ، كَأَنَّ نَارًا قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ نَحْوِ بَيْتِ الْمَقْدِس ، فَأَحْرَقَتْ دَوْرَ مِصْرَ وَجَمِيعَ الْقِبْطِ وَلَمْ تَضُرَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ هَالَهُ ذَلكَ ، فَجَمَعَ الكهنة والحذقة والسحرة .

وسألهم عَن ذَلك ، فَقَالُوا : هَذَا غُلاَم يُولد من هَؤُلاَءِ ، يَكُونُ سَبَبَ هَلاَكِ أَهْلِ مِصْرَ عَلَى يَدَيْهِ ، فَلِهَذَا أَمَرَ بِقَتْلِ الْغِلْمَانِ وَتَرْكِ النِّسْوَانِ .

---

(١) رمسيس الثاني (حوالي ١٣٠٣ ق .م ـ يوليو أو أغسطس ١٢١٣ ق .م) يُشار إليه أيضًا رمسيس الأكبر ، كان فرعون الثالث من حكام الأسرة التاسعة عشر (حكم ١٢٧٩ - ١٢١٣ ق .م) . ينظر إليه على أنه الفرعون الأكثر شهرة والأقوى طوال عهد الإمبراطورية المصرية . سماه خلفائه والحكام اللاحقين له بالجد الأعظم .

وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الارض﴾ وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ أَي الَّذِينَ يَئُولُ مُلْكُ مِصْرَ وَبِلاَدُهَا إِلَيْهِمْ .

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وجنودهما مِنْهُم مَا كَانُوا يحذرون﴾ أي سنجعل الضَّعيف قويا والمقهور قاهر وَالذَّليل عَزيزًا .

وَقَدْ جَرَى هَذَا كُلُّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل بِمَا صَبَرُوا﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ ومقام كريم * كَذَلِك وأورثناها بني إِسْرَائِيل﴾ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ فِرْعَوْنَ احْتَرَزَ كُلَّ الاحْتِرَازِ أَنْ لاَ يُوجَدَ مُوسَى ، حَتَّى جَعَلَ رِجَالاً وَقَوَابِلَ يَدُورُونَ عَلَى الْحَبَالَى ، وَيَعْلَمُونَ مِيقَاتَ وَضْعِهِنَّ ، فَلاَ تَلِدُ امْرَأَةٌ ذَكَرًا إِلاَّ ذَبَحَهُ أُولَئِكَ الذَّبَّاحُونَ من سَاعَته .

وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ : أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَأْمُرُ بقتل الْغِلْمَانِ ، لِتَضْعُفَ شَوْكَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلاَ يُقَاوِمُونَهُمْ إذا غالبوهم أو قاتلوهم .

وَهَذَا فيه نظر ، بل هُوَ بَاطِل .

وَإِنَّمَا هَذَا في الامر بقتل الْوِلْدَان بعد بعثة مُوسَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ واستحيوا نِسَاءَهُمْ﴾ وَلِهَذَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ .

فَالصَّحِيحُ أَنَّ فِرْعَوْنَ إِنَّمَا أَمَرَ بِقَتْلِ الْغِلْمَان أولا ، حذرا من وجود مُوسَى .

هَذَا ، وَالْقدر يَقُول : يَا هذا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ ، الْمَغْرُورُ بِكَثْرَةِ جُنُوده وَسُلْطَة بَأْسه وَاتِّسَاعِ سُلْطَانه : قَدْ حَكَمَ الْعَظِيمُ الَّذِي لاَ يُغَالَبُ وَلاَ يُمَانَعُ ، وَلاَ تُخَالَفُ أَقْدَارُهُ : أَنَّ هَذَا الْمَوْلُودَ الَّذِي تَحْتَرِزُ مِنْهُ ، وَقَدْ قَتَلْتَ بِسَبَبِه مِنَ النُّفُوس مَا لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحْصَى ، لاَ يَكُونُ مُرَبَّاهُ إِلاَّ فِي دَارِكَ وَعَلَى فِرَاشِكَ ، وَلاَ يُغَذَّى إِلاَّ بِطَعَامِكَ وَشَرَابِكَ فِي مَنْزلك وَأَنت الَّذي تتبناه وتربية وتتفداه ، وَلاَ تَطَّلِعُ عَلَى سِرِّ مَعْنَاهُ ، ثُمَّ يَكُونُ هَلاَكُكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ عَلَى يَدَيْه ، لِمُخَالَفَتِكَ مَا جَاءَكَ بِه مِنَ الْحَقِّ الْمُبِين ، وَتَكْذِيبِكَ مَا أُوحِيَ إِلَيْه ، لِتَعْلَمَ أَنْتَ وَسَائِرُ الْخَلْقَ ، أَن رب السَّمَوَات وَالأَرْض هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ ، وَأَنَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ ، ذُو الْبَأْسِ الْعَظِيمِ ، وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، والمشيئة الَّتِي لاَ مرد لَهَا!

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحد منَ الْمُفَسِّرِينَ : أَنَّ الْقبْطَ شَكَوْا إِلَى فرْعَوْنَ قلَّةَ بَني إِسْرَائيلَ ، بسَبَب قتل ولدانهم الذُّكُور ، وخشي أَنْ تَتَفَانَى الْكبَارُ مَعَ قَتْلِ الصِّغَار ، فَيَصيرُونَ هم الَّذين يلون مَا كَانَ بَنو إِسْرَائيل يعالجون فَأَمَرَ فرْعَوْنُ بقَتْلِ الأَبْنَاء عَامًا وَأَنْ يُتْرَكُوا عَاما فَذكرُوا أَن هرون عَلَيْه السَّلاَم ولد في عَام الْمُسَامحَة عَن قتل الابناء ، وَأَن مُوسَى عَلَيْه السَّلاَم ولد في عَام قَتْلهمْ ، فَضَاقَتْ أُمُّهُ بِهِ ذَرْعًا واحترزت من أول مَا حبلت ، وَلم يكن يظْهر عَلَيْهِم مَخَايلُ الْحَبَلِ .

فَلَمَّا وَضَعَتْ أُلْهِمَتْ أَنِ اتَّخَذَتْ لَهُ تَابُوتًا ، فَرَبَطَتْهُ فِي حَبْلٍ وَكَانَتْ دَارُهَا مُتَاخمَةً للنِّيلِ ، فَكَانَتْ تُرْضعُهُ ، فَإِذَا خَشيَتْ منْ أَحَد وَضَعَتْهُ فِي ذَلكَ التَّابُوتِ ، فَأَرْسَلَتْهُ فِي الْبَحْرِ ، وَأَمْسَكَتْ طَرَفَ الْحَبْلِ عنْدَهَا ، فَإِذَا ذَهَبُوا اسْتَرْجَعَتْهُ إِلَيْهَا به .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضعيه ، فَإِذَا خفْت عَلَيْه فَأَلْقيه في الْيَمِّ وَلاَ تَخَافي وَلاَ تَحْزَني إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْك وَجَاعلُوهُ منَ الْمُرْسَلينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فرْعَوْنَ ليَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ، إِنَّ فرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطئينَ ۞ وَقَالَت امْرَأَةُ فرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لي وَلَكَ ، لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفعَنَا أَوْ نَتَّخذَهُ وَلَدًا وهم لاَ يَشْعُرُونَ﴾ .

هَذَا الْوَحْيُ وَحيُ إِلْهَام وَإِرْشَاد كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَن اتَّخذي منَ الْجبَال بُيُوتًا وَمنَ الشَّجَر وَممَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلي منْ كُلِ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكي سُبُلَ رَبك ذللا يخرج من بطونها﴾ .

قَالَ السُّهَيْليُّ : وَاسْمُ أُمِّ مُوسَى «أيارخا» ، وَقيلَ «أَيَاذَخْتُ» .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهَا أُرْشدَتْ إِلَى هَذَا ، وَأُلْقيَ فِي خَلَدهَا وَرُوعهَا أَنْ لاَ تَخَافي وَلاَ تَحْزَني ، فَإِنَّهُ إِنْ ذَهَبَ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَرُدُّهُ إِلَيْكِ ، وَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُهُ نَبيًّا مُرْسَلاً ، يُعْلي كَلمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخرَة ، فَكَانَتْ تَصْنَعُ مَا أُمرَتْ به فَأَرْسَلَتْهُ ذَاتَ يَوْم وَذَهلَتْ أَنْ تَرْبُطَ طَرَفَ الْحَبْلِ عنْدَهَا فَذَهَبَ مَعَ النِّيلِ فَمَرَّ عَلَى دَارِ فرْعَوْنَ «فَالتقطه آل فرْعَوْن» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ليَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : هَذه لاَمُ الْعَاقبَة ، وَهُوَ ظَاهرٌ إِنْ كَانَ مُتَعَلِّقًا بقَوْله فَالْتَقَطَهُ .

وَأَمَّا إِنْ جُعلَ مُتَعَلِّقًا بمَضْمُون الْكَلاَم ، وَهُوَ أَنَّ آلَ فرْعَوْنَ قُيِّضُوا لالْتقَاطه ليَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ، صَارَت اللَّام معللة كَغَيْرهَا ، وَالله أعلم .

ويقوى هَذَا التَّقْدير الثَّاني قَوْله : ﴿إِن فرْعَوْن وهامان﴾ وَهُوَ الْوَزير السوء «وجنودهما «التَّابعين لَهُمَا» كَانُوا خَاطئينَ» ، أَيْ كَانُوا عَلَى خلاَف الصَّوَابِ ، فَاسْتَحَقُّوا هَذه الْعُقُوبَةَ وَالْحَسْرَةَ .

وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ : أَنَّ الْجَوَارِيَ الْتَقَطْنَهُ مِنَ الْبَحْرِ فِي تَابُوت مُغْلَق عَلَيْه ، فَلَمْ يَتَجَاسَرْنَ عَلَى فَتْحه ، حَتَّى وَضَعْنَهُ بَيْنَ يَدَي امْرَأَة فِرْعَوْنَ «آسيَةَ[1]» بِنْتِ مُزَاحِمِ بْنِ عُبَيْد بْنِ الرَّيَّان بْنِ الْوَلِيد ، الَّذي كَانَ فِرْعَوْنَ مصْرَ فِي زَمَنِ يُوسُفَ .

وَقِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سِبْط مُوسَى .

وَقِيلَ بَلْ كَانَتْ عَمَّتَهُ ، حَكَاهُ السُّهَيْلي ، فَالله أعلم

فَلَمَّا فَتَحَت الْبَابَ وَكَشَفَت الْحِجَابَ ، رَأَتْ وَجْهَهُ يَتَلأْلأُ بِتِلْكَ الأَنْوَارِ النَّبَوِيَّةِ وَالْجَلالَة الْمُوسَوِيَّة ، فَلَمَّا رَأَتْهُ وَوَقَعَ نَظَرُهَا عَلَيْه أَحَبَّتْهُ حبا شَديدا

فَلَمَّا جَاءَ فِرْعَوْنُ قَالَ : مَا هَذَا؟ وَأَمَرَ بِذَبْحِه ، فَاسْتَوْهَبَتْهُ مِنْهُ وَدَفَعَتْ عَنْهُ وَقَالَتْ : «قُرَّةُ عين لِي وَلَك» .

فَقَالَ لَهَا فِرْعَوْن : أما لَك فَنعم وأما لي فَلاَ .

أَيْ لاَ حَاجَةَ لِي به .

وَالْبَلاَءُ مُوكل بِالْمَنْطق! وَقَوْلها : «عَسى أَن ينفعنا» قد أَنَالَهَا اللَّهُ مَا رَجَتْ مِنَ النَّفْع : أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَهَدَاهَا اللَّهُ به ، وَأَمَّا فِي الآخرَة فَأَسْكَنَهَا جَنَّتَهُ بسَبَبِه .

«أَوْ نَتَّخذَهُ وَلَدًا » وَذَلكَ أَنَّهُمَا تَبَنَّيَاهُ ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ .

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿وهم لاَ يَشْعُرُونَ﴾ أَيْ لاَ يَدْرُونَ مَاذَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِمْ ، أَنَّ قَيَّضَهُمْ لالْتقَاطه ، منَ النِّقْمَة الْعَظِيمَة بفرْعَوْنَ وَجُنُوده؟ وَعند أهل الْكتاب أَن الَّتِي التقطت مُوسَى «دربتة» ابْنَةُ فِرْعَوْنَ وَلَيْسَ لامْرَأَتِه ذِكْرٌ بِالْكُلِّيَّةِ وَهَذَا من غلطهم على كتاب الله عز وجل .

قَالَ ابْنُ عَبَّاس وَمُجَاهدٌ وَعكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْر وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُمْ : «وَأَصْبح فؤاد أم مُوسَى فَارغًا» أَي من كل شيء من أُمُور الدُّنْيَا إلاَّ من مُوسَى «إِن كَادَت لتبدى به» أَيْ لَتُظْهِرُ أَمْرَهُ وَتَسْأَلُ عَنْهُ جَهْرَةً «لَوْلاَ أَن ربطنا على قَلبهَا» أَيْ صَبَّرْنَاهَا وَثَبَّتْنَاهَا «لتَكُونَ منَ الْمُؤْمنينَ * وَقَالَتْ لأخته» وَهِي ابْنَتهَا الْكَبِيرَة : «قصيه»[2] «فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جنب» .[3]

---

(١) آسية بنت مزاحم زوجة فرعون موسى . التي تلقت النبي موسى من اليم وآمنت به وأسندت رضاعته لأمه .

(٢) أَي اتَّبِعِي أَثَرَهُ ، وَاطْلُبِي لِي خَبَرَهُ .

(٣) قَالَ مُجَاهِدٌ : عَنْ بُعْد . وَقَالَ قَتَادَةُ : جَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَكَأَنَّهَا لاَ تُرِيدُهُ .

وَلهَذَا قَالَ : «وهم لاَ يَشْعُرُونَ» ، وَذَلكَ لأَنَّ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ لَمَّا اسْتَقَرَّ بدَارِ فِرْعَوْنَ أَرَادُوا أَنْ يُغَذُّوهُ برَضَاعَة فَلَمْ يَقْبَلْ ثَدْيًا وَلاَ أَخذَ طَعَامًا ، فَحَارُوا في أمره ، واجتهدوا عَلَى تَغْذيَته بكُلِّ مُمْكن فَلَمْ يَفعَلْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْه الْمَرَاضعَ منْ قَبْلُ﴾ فَأَرْسَلُوهُ مَعَ الْقَوَابلِ وَالنِّسَاءِ إِلَى السُّوقِ ، لَعَلَّهُمْ يَجدُونَ مَنْ يُوَافقُ رَضَاعَتَهُ .

فَبَيْنَمَا هُمْ وُقُوفٌ به وَالنَّاسُ عُكُوفٌ عَلَيْه إذْ بَصُرَتْ به أُخْتُهُ ، فَلَمْ تُظْهِرْ أَنَّهَا تَعْرِفُهُ بَلْ قَالَتْ : «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْت يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وهم لَهُ ناصحون؟» .

قَالَ ابْنُ عَبَّاس : لَمَّا قَالَتْ ذَلكَ ، قَالُوا لَهَا : مَا يُدْرِيك بِنُصْحِهِمْ وَشَفَقَتِهِمْ عليْه؟ فَقَالَتْ : رَغْبَة في سرُور الْملك وَرَجَاءَ مَنْفَعَته .

فَأَطْلَقُوهَا وَذَهَبُوا مَعَهَا إِلَى مَنْزلهِمْ ، فَأَخَذَتْهُ أُمُّهُ .

فَلَمَّا أَرْضَعَتْهُ الْتَقَمَ ثَدْيَهَا وَأَخَذَ يَمْتَصُّهُ وَيَرْتَضعُهُ ، فَفَرحُوا بذَلكَ فَرَحًا شَديدًا ، وَذهب البشير إِلَى «آسيَةَ» يُعْلمُهَا بذَلكَ ، فَاسْتَدْعَتْهَا إِلَى مَنْزلهَا وَعَرَضَتْ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ عنْدَهَا ، وَأَنْ تُحْسنَ إِلَيْهَا ، فَأَبَتْ عَلَيْهَا وَقَالَتْ : إِنَّ لِي بَعْلاً وَأَوْلاَدًا ، وَلَسْتُ أَقْدرُ عَلَى هَذَا إلاَّ أَنْ تُرْسليه مَعي .

فَأَرْسَلَتْهُ مَعَهَا ، وَرَتَّبَتْ لَهَا رَوَاتبَ ، وَأَجْرَتْ عَلَيْهَا النَّفَقَاتِ وَالْكُسَاوى وَالْهبَاتِ ، فَرَجَعَتْ به تَحُوزُهُ إِلَى رَحْلهَا وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ بشَمْلهَا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّه كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ ، وَلتَعْلَمَ أَنَّ وعد الله حق﴾ أَيْ كَمَا وَعَدْنَاهَا بِرَدِّهِ وَرِسَالَتِه ، فَهَذَا رَدُّهُ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ الْبِشَارَةِ بِرِسَالَته .

﴿وَلَكنَّ أَكْثَرهم لاَ يعلمُونَ﴾ .

وَقد امتن على مُوسَى بهَذَا لَيْلَة كَلمه ، فَقَالَ لَهُ فيمَا قَالَ : ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَن اقْذفيه في التَّابُوت فَاقْذفيه في الْيَمِّ ، فَلْيُلْقه الْيَمُّ بالسَّاحلِ ، يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لي وَعَدُوٌّ لَهُ ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ محبَّةً مني﴾ وَذَلكَ أَنه كَانَ لاَ يَرَاهُ أَحَدٌ إلاَّ أَحَبَّهُ «وَلتُصْنَعَ عَلَى عيني»(١) وَتُغَذَّى بأَطْيَبِ الْمآكلِ ، وَتَلْبَسَ أَحْسَنَ الْملابسِ بمَرْأًى منِّي ، وَذَلكَ كُلُّهُ بحفْظِي وَكَلاَءَتي لَكَ فيمَا صَنَعْتُ بِكَ وَلَكَ ، وَقَدَّرْتُهُ منَ الأُمُور الَّتي لاَ يَقْدرُ عَلَيْهَا غَيْري .

---

(١) قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحدٍ منَ السَّلَف : أَيْ تُطْعَمَ وَتُرَفَّهَ .

«إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يكفله؟ فرددناك إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ ، وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا» .

﴿وَلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ : هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ، فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَى أُمِّهِ برده لَهَا وَإِحْسَانِهِ بِذَلِكَ وَامْتِنَانِهِ عَلَيْهَا ، شَرَعَ فِي ذِكْرِ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ، وَهُوَ احْتِكَامُ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ ، وَهُوَ سِنُّ الأَرْبَعِينَ فِي قَوْلِ الأَكْثَرِينَ ، آتَاهُ اللَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ، وَهُوَ النُّبُوَّةُ والرسالة التي كَانَ بشر بهَا أمه حِينَ قَالَ : ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

ثُمَّ شَرَعَ فِي ذِكْرِ سَبَبِ خُرُوجِهِ مِنْ بِلاَدِ مِصْرَ ، وَذَهَابِهِ إِلَى أَرْضِ مَدْيَنَ وَإِقَامَتِهِ هُنَالِكَ ، حَتَّى كَمَلَ الأَجَلُ وَانْقَضَى الأَمَدُ ، وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ كَلاَمِ اللَّهِ لَهُ ، وَإِكْرَامِهِ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةُ وَقَتَادَة والسدى : وَلذَلِك نصف النَّهَارِ ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : بَيْنَ الْعِشَائَيْنِ .

«فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يقتتلان» أَي يتضاربان ويتهارشان «هَذَا من شيعته» أَي إسرائيلى ، «وَهَذَا من عدوه» أَيْ قِبْطِيٌّ .

قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ .

«فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ على الذى من عدوه» وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، كَانَتْ لَهُ بِدِيَارِ مِصْرَ صَوْلَةٌ ، بِسَبَبِ نِسْبَتِهِ إِلَى تَبَنِّي فِرْعَوْنَ لَهُ وَتَرْبِيَتِهِ فِي بَيْتِهِ ، وَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدْ عَزُّوا وَصَارَتْ لَهُمْ وَجَاهَةٌ ، وَارْتَفَعَتْ رؤوسهم بِسَبَبِ أَنَّهُمْ أَرْضَعُوهُ ، وَهُمْ أَخْوَالُهُ أَيْ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، فَلَمَّا اسْتَغَاثَ ذَلِكَ الإِسْرَائِيلِيُّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى ذَلِكَ الْقِبْطِيِّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ مُوسَى «فَوَكَزَهُ» .

قَالَ مُجَاهِدٌ : أَيْ طَعَنَهُ بِجُمْعِ كَفِّهِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ : بِعَصًا كَانَتْ مَعَهُ ، «فَقَضَى عَلَيْهِ» أَيْ فَمَاتَ مِنْهَا .

وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْقِبْطِيُّ كَافِرًا مُشْرِكًا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلَمْ يُرِدْ مُوسَى قَتْلَهُ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ زَجْرَهُ وَرَدْعَهُ .

وَمَعَ هَذَا ، «قَالَ» مُوسَى : ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ❋ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ❋ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أَيْ مِنَ الْعِزِّ وَالْجَاه «فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلمجرمين» .

«فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ، قَالَ لَهُ مُوسَى : إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ❋ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ .

بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ، قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ؟ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلحِينَ ❋ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ، قَالَ يَا مُوسَى إِن الملأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصحِينَ ❋ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، قَالَ رَبِّ نجني من الْقَوْمِ الظَّالِمين» يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ مُوسَى أَصْبَحَ بِمَدِينَةِ مِصْرَ خَائِفًا – أَيْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه – أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقَتِيلَ الَّذِي رُفِعَ إِلَيْه أَمْرُهُ ، إِنَّمَا قَتَلَهُ مُوسَى فِي نُصْرَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَتَقْوَى ظُنُونُهُمْ أَنَّ مُوسَى مِنْهُمْ ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ .

فَصَارَ يَسِيرُ فِي الْمَدِينَةِ فِي صَبِيحَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ «خَائِفًا يَتَرَقَّبُ» أَيْ يَتَلَفَّتُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا ذَلِكَ الرَّجُلُ الإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ، أَيْ يَصْرُخُ بِه وَيَسْتَغِيثُهُ عَلَى آخَرَ قَدْ قَاتَلَهُ ، فَعَنَّفَهُ مُوسَى وَلاَمَهُ عَلَى كَثْرَةِ شَرِّه وَمُخَاصَمَته ، قَالَ لَهُ : «إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ» ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِذَلِكَ الْقِبْطِيِّ ، الَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لِمُوسَى وَلِلإِسْرَائِيلِيِّ ، فَيَرْدَعُهُ عَنْهُ وَيُخَلِّصُهُ مِنْهُ ، فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْقِبْطِيِّ «قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تكون من المصلحين» .

قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا قَالَ هَذَا الْكَلاَمَ الإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي اطَّلَعَ عَلَى مَا كَانَ صَنَعَ مُوسَى بِالأَمْسِ ، وَكَأَنَّهُ لَمَّا رَأَى مُوسَى مُقْبِلاً إِلَى الْقِبْطِيِّ اعْتَقَدَ أَنَّهُ جَاءَ إِلَيْهِ ، لَمَّا عَنَّفَهُ قبل ذَلك بقوله : «إِنَّك لغَوِيّ مُبِين»

فَقَالَ مَا قَالَ لِمُوسَى ، وَأَظْهَرَ الأَمْرَ الَّذِي كَانَ وَقَعَ بِالأَمْسِ .

فَذَهَبَ الْقِبْطِيُّ فَاسْتَعْدَى فِرْعَوْنَ على مُوسَى

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ قَائِلَ هَذَا هُوَ الْقِبْطِيُّ ، وَأَنَّهُ لَمَّا رَآهُ مُقْبِلاً إِلَيْهِ خَافَهُ ، وَرَأَى من سجيته انتصارا جَديدا لِلإِسْرَائِيلِيِّ .

فَقَالَ مَا قَالَ مِنْ بَابِ الظَّنِّ وَالْفِرَاسَة : أَنَّ هَذَا لَعَلَّهُ قَاتِلُ ذَاكَ الْقَتِيلِ بِالأَمْسِ ، أَوْ لَعَلَّهُ فَهِمَ مِنْ كَلاَمِ الإِسْرَائِيلِيِّ حِينَ اسْتَصْرَخَهُ عَلَيْهِ مَا دَلَّهُ عَلَى هَذَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ فِرْعَوْنَ بَلَغَهُ أَنَّ مُوسَى هُوَ قَاتِلُ ذَلِكَ الْمَقْتُولِ بِالأَمْسِ فَأَرْسَلَ فِي طَلَبِه .

وَسَبَقَهُمْ رَجُلٌ نَاصِحٌ مِنْ طَرِيقٍ أقرب .

«وَجَاء من أَقْصَى الْمَدِينَة» سَاعِيا إِلَيْه مشفقا عَلَيْه فَقَالَ : «يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُج» أَيْ مِنْ هَذِهِ الْبَلْدَةِ «إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» أَيْ فِيمَا أَقُولُهُ لَكَ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «فَخرج منْهَا خَائفًا يترقب» ، أَيْ فَخَرَجَ مِنْ مَدِينَة مِصْرَ مِنْ فَوْرِهِ عَلَى وَجْهِه لاَ يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقٍ وَلاَ يَعْرِفُهُ ، قَائلاً : «رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ * وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ، قَالَ مَا خَطْبُكُمَا؟ قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ، فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيّ من خير فَقير» .

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ خُرُوجِ عَبْده وَرَسُوله وَكَليمه مِنْ مِصْرَ خَائفًا يَتَرَقَّبُ ، أَيْ يَتَلَفَّتُ ، خَشْيَةَ أَنْ يُدْرِكَهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ، وَهُوَ لاَ يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ ، وَلاَ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ مِصْرَ قَبلهَا .

«وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ» أَيْ اتَّجَهَ لَهُ طَرِيقٌ يَذْهَبُ فِيه ، «قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يهديني سَوَاء السَّبِيل» أَيْ عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذه الطَّرِيقُ مُوَصِّلَةً إِلَى الْمَقْصُود .

وَكَذَا وَقَع ، فقد أَوْصَلَتْهُ إِلَى مَقْصُود وَأَيَّ مَقْصُود .

«وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدين» وَكَانَتْ بِئْرًا يَسْتَقُونَ منْهَا ، وَمَدْيَنُ هِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي أَهْلَكَ اللَّهُ فِيهَا أَصْحَابَ الأَيْكَة ، وَهُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَقَدْ كَانَ هَلاَكُهُمْ قَبْلَ زَمَنِ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ فِي أَحَد قَوْلَي الْعُلَمَاء .

وَلَمَّا وَرَدَ الْمَاءَ الْمَذْكُورَ «وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ * وَوَجَدَ مِنْ دونهم امْرَأَتَيْنِ تذودان أَي تكفكفان عَنْهُمَا غَنَمَهُمَا أَنْ تَخْتَلطَ بِغَنَم النَّاس» .

وَعِنْدَ أَهْلِ الْكتَابِ أَنَّهُنَّ كُنَّ سَبْعَ بَنَات ، وَهَذَا أَيْضًا من الْغَلَط ، ولعلهن كن سبعا ، وَلَكِنْ إِنَّمَا كَانَ تَسْقِي اثْنَتَان منْهُنَّ ، وَهَذَا الجْمع مُمكن إِن كَانَ ذَاك مَحْفُوظًا ، وَإِلاَّ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ سوَى بِنْتَيْنِ «قَالَ مَا خَطْبُكُمَا؟ قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبيرٌ» أَي لاَ نقدر على وُرُود الْمَاءِ إِلاَّ بَعْدَ صُدُورِ الرِّعَاءِ ، لِضَعْفِنَا ، وَسَبَبُ مُبَاشَرَتِنَا هَذِهِ الرَّعِيَّةَ ضَعْفُ أَبِينَا وَكِبَرُهُ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «فَسَقَى لَهُمَا» .

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : وَذَلِكَ أَنَّ الرِّعَاءَ كَانُوا إِذَا فَرَغُوا مِنْ وِرْدِهِمْ ، وضعُوا على فَم الْبِئْر صَخْرَة عَظِيمَة ، فتجيء هَاتَان الْمَرْأَتَان فَيَشْرَعَان غَنَمَهُمَا فِي فَضْل أَغْنَام النَّاس ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ ، جَاءَ مُوسَى فَرفع تِلْكَ الصَّخْرَة وَحْدَهُ ، ثُمَّ اسْتَقَى لَهُمَا وَسَقَى غَنَمَهُمَا ، ثُمَّ رد الْحجر كَمَا كَانَ .

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ : وَكَانَ لاَ يَرْفَعُهُ إِلاَّ عَشَرَةٌ ، وَإِنَّمَا اسْتَقَى ذَنُوبًا وَاحِدًا فَكَفَاهُمَا .

ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ، قَالُوا : وَكَانَ ظِلَّ شَجَرَة مِنَ السَّمُر وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُود ، أَنَّهُ رَآهَا خَضْرَاءَ تَرِفُّ «فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير» .

قَالَ ابْنُ عَبَّاس : سَارَ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَدْيَنَ لَمْ يَأْكُلْ إِلاَّ الْبَقْلَ وَوَرَقَ الشَّجَر ، وَكَانَ حَافِيًا فَسَقَطَتْ نَعْلاً قَدَمَيْه مِنَ الْحُفَاء وَجَلَسَ فِي الظِّلِّ – وَهُوَ صَفْوَةُ اللَّه مِنْ خلقه – وَإِنَ بَطْنه للاصق بِظَهْرِهِ مِنَ الْجُوعِ ، وَإِنَّ خُضْرَةَ الْبَقْلِ لَتُرَى مِنْ دَاخِلِ جَوْفِهِ ، وَأَنَّهُ لَمُحْتَاجٌ إِلَى شِقِّ تَمْرَة .

قَالَ عَطَاء ابْن السَّائِبِ[1] لَمَّا قَالَ : «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيّ من خير فَقِير» أَسْمَعَ الْمَرْأَةَ .

«فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء ، قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ، فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْه الْقَصَصَ ، قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْم الظَّالِمِينَ ﴿ قَالَت إِحْدَاهمَا يَا أَبَت اسْتَأْجِرهُ ، إِن خير مَن اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْن ، عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَج ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيّ ، وَاللَه على مَا نَقُول وَكِيل» .

لَمَّا جَلَسَ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ فِي الظِّلِّ وَقَالَ : «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خير فَقير» سَمِعَتْهُ الْمَرْأَتَان فِيمَا قِيلَ ، فَذَهَبَتَا إِلَى أَبِيهِمَا ، فَيُقَال إِنَّه استنكر سرعَة رجوعهما ، فأخبرتاه بِمَا كَانَ مِنْ أَمْر مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ .

فَأَمَرَ إِحْدَاهُمَا ، أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ فَتَدْعُوهُ ، «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تمشي على استحياء»

---

(١) الإمام الحافظ ، محدث الكوفة أبو السائب ، وقيل : أبو زيد ، وقيل : أبو يزيد ، وأبو محمد الكوفي .

أَي مَشى الحْرَائر ، «قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سقيت لنا» .

صَرَّحَتْ لَهُ بِهَذَا لِئَلَّا يُوهِمَ كَلامُهَا رِيبَةً ، وَهَذَا مِنْ تَمَام حَيَائِهَا وَصِيَانَتِهَا .

فَلَمَّا جَاءَهُ وقص عَلَيْهِ الْقَصَص «وَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ ، وَمَا كَانَ مَنْ أَمْرِه فِي خُرُوجِه مِنْ بِلاَدِ مِصْرَ فِرَارًا مَنْ فِرْعَوْنِهَا» ، قَالَ «لَهُ ذَلِكَ الشَّيْخُ» لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِن الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أَيْ خَرَجْتَ مِنْ سُلْطَانِهِمْ فَلَسْتَ فِي دَوْلَتِهِمْ .

وَقَد اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الشَّيْخ مَنْ هُوَ؟ فَقِيلَ هُوَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ[1] .

وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ كَثِيرِينَ وَمِمَّنْ نَصَّ عَلَيْهِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ[2] وَمَالِكُ بْنُ أَنَس[3] ، وَجَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي حَدِيث ، وَلَكِنْ فِي إِسْنَادِه نَظَرٌ .

وَصَرَّحَ طَائِفَةٌ بِأَنَّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَاشَ عُمْرًا طَوِيلاً بَعْدَ هَلاَكِ قَوْمِهِ ، حَتَّى أَدْرَكَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَتَزَوَّجَ بِابْنَته .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِم وَغَيره من الْحَسَن الْبَصْرِيِّ : أَنَّ صَاحِبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ هَذَا ، اسْمُهُ شُعَيْبٌ ، وَكَانَ سَيِّدَ الْمَاء ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِالنَّبِيِّ صَاحِب مَدْيَنَ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ ابْنُ أَخِي شُعَيْب ، وَقِيلَ : ابْنُ عَمِّه ، وَقِيلَ : رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ ، وَقِيلَ : رَجُلٌ اسْمُهُ «يَثْرُونُ» هكَذَا هُوَ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ : يثرون كَاهِن مَدين .

---

(١) هو نبي الله شعيب (عليه السلام) . يعتقد انه قد عاش بعد إبراهيم ، ويقال أنه ابن ميكيل بن يشجن ، ويقال له بالسريانية يثرون ، ويقال أن جدته أو أمه هي بنت لوط والثابت هو أنه من مَدْيَن الواقعة في أطراف الشام شمال غربي الحجاز بمنطقة البدع بالمملكة العربية السعودية ، يعتقد أنه عاش ٢٤٢ سنة . ذُكر شعيب في القرآن الكريم ١١ مرة . حسب النص القرأني بعث الله تعالى نبيه شعيباً في قومه (مدين) .

(٢) الحسن بن يسار البصري إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بـأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد وعشرين من الهجرة ، كانت أم الحسن تابعة لخدمة أم سلمة ، فترسلها في حاجاتها فيبكي الحسن وهو طفل فترضعه أم سلمة لتسكته وبذلك رضع من أم سلمة ، وتربى في بيت النبوة . كانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له ، ودعا له عمر بن الخطاب ، فقال «اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس» . حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره .

(٣) أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني فقيه ومحدِّث مسلم ، وثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي .

أي كبيرها وعالمها .
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : اسْمُهُ يَثْرُونُ .
زَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَهُوَ ابْنُ أخي شُعَيْب .
وَزَاد ابْنُ عَبَّاس : صَاحِبُ مَدْيَنَ .
وَالْمَقْصُودُ : أَنَّهُ لَمَّا أَضَافَهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ منْ أَمْرِه بَشَّرَهُ بِأَنَّهُ قَدْ نَجَا ، فَعِنْدَ ذَلكَ قَالَتْ إِحْدَى الْبِنْتَيْنِ لأَبِيهَا : «يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرهُ» أَيْ لِرَعْي غَنَمِكَ ، ثُمَّ مَدَحَتْهُ بِأَنَّهُ قَوِيٌّ أَمِينٌ .
قَالَ عُمَرُ وَابْنُ عَبَّاس وَشُرَيْحٌ الْقَاضِي وَأَبُو مَالك وَقَتَادَة وَمُحَمّد بن إِسْحَق وَغَيْرُ وَاحد : لَمَّا قَالَتْ ذَلكَ ، قَالَ لَهَا أَبُوهَا : وَمَا عِلْمُك بِهَذَا؟ فَقَالَتْ إِنَّهُ رَفَعَ صَخْرَةً لاَ يُطِيقُ رَفْعَهَا إِلاَّ عَشَرَةٌ ، وَإِنَّهُ لَمَّا جِئْتُ مَعَهُ تَقَدَّمْتُ أَمَامَهُ ، فَقَالَ : كُونِي مِنْ وَرَائِي ، فَإِذَا اخْتَلَفَ الطَّرِيقُ فَاحْذِفي لِي بِحَصَاة أَعْلَمْ بِهَا كَيْفَ الطَّرِيقُ .
قَالَ ابْنُ مَسْعُود[١] : أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلاَثَةٌ : صَاحِبُ يُوسُفَ حِينَ قَالَ لامْرَأَته أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ، وَصَاحِبَةُ مُوسَى حِينَ قَالَتْ : «يَا أَبَت اسْتَأْجِرهُ إن خير من اسْتَأْجَرت الْقوي الامين» ، وَأَبُو بَكْر حِينَ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب .
«قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَج ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِين» .
اسْتدلَّ بِهَذه جَمَاعَةٌ منْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَلَى صِحَّة مَا إِذَا بَاعَهُ أَحَدَ هَذَيْن الْعَبْدَيْنِ أَو الثَّوْبَيْنِ وَنَحْوَ ذَلِكَ ، أَنَّهُ يَصِحُّ ، لِقَوْلِه : «إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ» .
وَفِي هَذَا نَظَرٌ ، لأَنَّ هَذه مُرَاوَضَةٌ لاَ مُعَاقَدَةٌ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وَاسْتَدَلَّ أَصْحَابُ أَحْمَدَ عَلَى صِحَة الاِسْتِئْجَار بِالطُّعْمَةِ وَالْكُسْوَةِ ، كَمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ .
وَاسْتَأْنَسُوا بِالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِه مترجما عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ :

---

(١) عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ، فقيه الأمة ، حليف بني زهرة وأحد أوائل المهاجرين حيث هاجر الهجرتين وصلى على القبلتين ، وأول من جهر بقراءة القرآن . تولى قضاء الكوفة وبيت المال في خلافة عمر وصدر من خلافة عثمان .

«بَابُ اسْتِئْجَارِ الأَجِيرِ عَلَى طَعَامِ بَطْنِه» حَدثنَا مُحَمَّد ابْنِ الْمُصَفَّى الحمصي ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ ، عَنْ مَسْلَمَةَ بْنَ عَلِيّ ، عَن سعيد ابْن أَبِي أَيُّوبَ ، عَن الْحَارِث بْن يَزِيدَ ، عَنْ عَلِيّ بن رَبَاح ، قَالَ : سَمعت عتبَة ابْن النُّدَّر يَقُولُ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَقَرَأَ طسم ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ قِصَّةَ مُوسَى قَالَ : «إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ آجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِيَ سنِينَ أَو عشر سنين على عفة فرجه وَطَعَام بَطْنه» .

وَهَذَا الحَديث مِنْ هَذَا الْوَجْه لاَ يَصِحُّ ، لأَنَّ مَسْلَمَةَ بْنَ عَلِيٍّ الْخُشَنِيَّ الدِّمَشْقِيَّ الْبَلاَطِيَّ ضَعِيفٌ عِنْدَ الأَئمَّة لاَ يُحْتَجُّ بِتَفَرُّده .

وَلَكِنْ قَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْه آخَرَ ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْد الله ابْن بكر ، حَدَّثَني ابْنُ لَهِيعَةَ .

وَحَدَّثَ أَبُو زُرْعَةَ ، عن صَفْوَانُ ، عن الْوَلِيدُ ، عن عَبْدُ اللَّه بن لَهِيعَة ، عَن الْحَارث بن يزيد الْحَضْرَمِيّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبَاح اللَّخْمِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عتبَة ابْن النُّدَّر السُّلَمِيَّ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّه ﷺ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : «إِن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَم آجر نَفسه بعفة فرجه وطعمة بَطْنه» .

أيما الأجلين قضيت

قال عتبة بن المنذر السلميّ : سئل رسول ﷺ أيّ الأجلين قضى موسى- عليه السلام-؟ فقال : أكثرهما وأوفاهما ، ثم قال رسول الله ﷺ : «إنّ موسى- عليه السلام- لما أراد فراق شعيب أمر امرأته تسأل أباها أن يعطيها من نتاج غنمه ما يعيشون به ، فأعطاها ما وضعت غنمه من قالب لون ذلك العام ، فلما وردت الحوض وقف موسى بإزاء الحوض فلم تصدر منها شاة إلاّ ضرب جنبها بعصاه ، فوضعت قوالب ألوان كلّها ووضعت اثنتين أو ثلاثة كلّ شاة ، ليس فيهنّ فشوش(١) ولا ضبوب(٢) ولا ثعول(٣) ولا كميشة(٤) تفوت الكفّ ، فإن افتتحتم الشام وجدتم بها بقايا منها ، فاتّخذوها ، وهي السامريّة

(١) التي يَنْفَشُّ لبنُها من غير حَلْب .

(٢) الشاةُ الضيقةُ الإحليل .

(٣) من ذوات الضَّرْع : الزائدة الحلمات .

(٤) صغيرة الضرع .

وَقَدْ رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَابْنُ أَبِي حَاتِم من حَدِيث عُوَيْد ابْن أَبِي عِمْرَانَ الْجُوْنِيِّ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ ، عَنْ أَبِيه عَنْ عَبْد اللَّه بْن الصَّامت ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سُئِلَ أَيَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قَالَ : «أَوْفَاهُمَا وَأَبَرهمَا» قَالَ : «وَإِن سُئِلت أَيَّ الْمَرْأَتَيْنِ تَزَوَّجَ؟ فَقُلِ الصُّغْرَى مِنْهُمَا» .

قَالَ ابْنُ جَرِير : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هشَام ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالك قَالَ : «لَمَّا دعَا نَبِيُّ اللَّه مُوسَى صَاحِبَهُ إِلَى الأَجَلِ الَّذي كَانَ بَيْنَهُمَا ، قَالَ لَهُ صَاحِبه : كل شَاة ولدت على غير لَوْنهَا فلك وَلَدهَا ، فعمد مُوسَى فوضع حبَالاً على المَاء فَلَمَّا رَأَتْ الحبال فَزِعَتْ فَجَالَتْ جَوْلَةً فَوَلَدْنَ كُلُّهُنَّ بُلْقًا إِلاَّ شَاة وَاحدَة ، فذهب بأولادهن كُلهنَّ ذَلك الْعَام» .

فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الاجل «وَعَنْ مُجَاهد[1] أَنَّهُ أَكْمَلَ عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا» .

وَقَوْلُهُ : «وَسَارَ بِأَهْله» أَيْ منْ عنْد صهْره ، زاعما - فيمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحد منَ الْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ - أَنَّهُ اشْتَاقَ إِلَى أَهْلَه ، فَقَصَدَ زيَارَتَهُمْ ببلاد مصْرَ في صُورَة مُخْتَف ، فَلَمَّا سَارَ بِأَهْله وَمَعَهُ ولْدَانٌ منْهُمْ وَغَنَمٌ قَد اسْتَفَادَهَا مُدَّةَ مُقَامه .

قَالُوا : وَاتَّفَقَ ذَلكَ في لَيْلَة مُظْلمَة بَاردَة ، وتَاهوا في طريقهم فَلَم يهتدوا إِلَى السُّلُوك في الدَّرْب الْمَأْلُوف ، وَجَعَلَ يُوري زَنَادَهُ فَلاَ يُوْري شَيْئًا ، وَاشْتَدَّ الظَّلاَمُ وَالْبَرَدُ .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلكَ إِذْ أَبْصَرَ عَنْ بُعْد نَارًا تَأَجَّجُ في جَانب الطُّور[2] «فَقَالَ لأَهْله امْكُثُوا إِنِّي آنست نَارا» وَكَأَنَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ رَآهَا دُونَهُمْ ، لأَنَّ هَذه النَّار هيَ نور في الْحَقيقَة ، وَلاَ يصلح رُؤْيَتُهَا لكُلِّ أَحَد ، «لَعَلِّي آتيكُمْ منْهَا بخَبَر» أَيْ لَعَلِّي أَسْتَعْلمُ منْ عنْدهَا عَنِ الطَّريق «أَو جذوة من النَّار لَعَلَّكُمْ تصطلون» فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ تَاهُوا عَنِ الطَّرِيق في لَيْلَة بَاردَة وَمُظْلمَة ، لقَوْله في الآيَة الأُخْرَى : «وَهَلْ أَتَاكَ حَديثُ مُوسَى ✽ إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْله امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ، لَعَلِّي آتيكُمْ منْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجدُ على النَّار هدى» فَدَلَّ عَلَى وُجُود الظَّلاَم وَكَوْنهمْ تَاهُوا عَنِ الطَّرِيق .

وَجَمَعَ الْكُلَّ فِي سُورَةِ النَّمْلِ فِي قَوْلَه : «إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْله إِنِّي آنَسْتُ نَارًا

(١) «مُجاهِد بْن جَبْر» مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي . ويعرف اختصاراً في المصادر والكتب التراثية بمجاهد . وهو إمامٌ وفقيه وعالمُ ثقة وكثير الحديث ، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي .

(٢) وَهُوَ الْجَبَلُ الْغَرْبِيُّ مِنْهُ عَنْ يَمِينِهِ .

سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَر ، أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تصطلون» وَقَدْ أَتَاهُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ وَأَيَّ خَبَر ، وَوَجَدَ عِنْدَهَا هُدًى وَأَيَّ هُدًى ، وَاقْتَبَسَ مِنْهَا نُورًا وَأَيَّ نُورٍ؟ ! .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنا الله رب الْعَالمين﴾ .

وَقَالَ فِي النَّمْلِ : ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّه رب الْعَالمين﴾ أَيْ سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيحكم مَا يُرِيد ﴿يَا مُوسَى إِنَّه أَنا الله الْعَزِيز الْحَكِيم﴾ .

قَالَ غَيْرُ وَاحِد مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَف : لَمَّا قَصَدَ مُوسَى إِلَى تِلْكَ النَّارِ الَّتِي رَآهَا فَانْتَهَى إِلَيْهَا ، وَجَدَهَا تَأَجَّجُ فِي شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ مِنَ الْعَوْسَجِ[١] ، وَكُلُّ مَا لِتِلْكَ النَّارِ فِي اضْطِرَامٍ ، وَكُلُّ مَا لِخُضْرَةِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ فِي ازْدِيَاد .

فَوَقَفَ مُتَعَجِّبًا ، وَكَانَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ فِي لحف جَبَلٍ غَرْبِيٍّ مِنْهُ عَنْ يَمِينه ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ ، وَمَا كنت من الشَّاهدين﴾ وَكَانَ مُوسَى فِي وَاد اسْمُهُ «طُوًى» فَكَانَ مُوسَى مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَة ، وَتِلْكَ الشَّجَرَةُ عَنْ يَمِينه مِنْ نَاحِيَة الْغَرْبِ ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ، فَأُمِرَ أَوَّلاً بِخَلْعِ نَعْلَيْه تَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَتَوْقِيرًا لِتِلْكَ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَة ، وَلاَ سِيَّمَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَة .

وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ[٢] : أَنَّهُ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ النُّورِ ، مَهَابَةً لَهُ وَخَوْفًا عَلَى بَصَرِه .

ثُمَّ خَاطَبَهُ تَعَالَى كَمَا يَشَاءُ قَائِلاً لَهُ : ﴿إِنِّي أَنا الله رب الْعَالمين﴾ ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فاعبدني وأقم الصَّلاَةَ لذكري﴾ أَي أَنا رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، الَّذِي لاَ تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ وَإِقَامَةُ الصَّلاَة إِلاَّ لَهُ .

ثُمَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ هَذه الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَار قَرَار ، وَإِنَّمَا الدَّارُ الْبَاقِيَة يَوْم الْقِيَامَة ، الَّتِي لابد مِنْ كَوْنِهَا وَوُجُودهَا ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْس بِمَا تَسْعَى﴾ أَيْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ .

وَحَضَّهُ وَحَثَّهُ عَلَى الْعَمَلِ لَهَا ، وَمُجَانَبَةَ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا مِمَّنْ عَصَى مَوْلاَهُ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ .

---

(١) العوسج : الشوك .

(٢) أهل الكتاب هو اسم يطلق ، في الإسلام على اليهود والنصارى بالدرجة الأولى ، والصابئة والمجوس بدرجة أقل . وأهل الكتاب هم أصحاب كتب مقدسة ، تمييزاً لهم عن الوثنيين .

ثُمَّ قَالَ لَهُ مُخَاطِبًا وَمُؤَانِسًا وَمُبَيِّنًا لَهُ أَنَّهُ الْقَادر على كل شيء ، الَّذي يَقُول للشيء كن فَيكون : ﴿وَمَا تِلْكَ بيمينك يَا مُوسَى؟﴾ أَيْ أَمَّا هَذه عَصَاكَ الَّتي تَعْرفُهَا مُنْذُ صحبتهَا؟ ﴿قَالَ هِيَ عصاي أتوكأ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مآرب أُخْرَى﴾ .

أَي بلَى هَذه عَصَايَ الَّتي أَعْرفُهَا وَأَتحَقَّقُهَا ، ﴿قَالَ أَلْقهَا يَا مُوسَى . فألقاها فَإذا هِيَ حَيَّة تسْعَى﴾ وَهَذَا خَارقٌ عَظِيمٌ وَبُرْهَانٌ قَاطعٌ عَلَى أَنَّ الَّذِي يكلمهُ هُوَ الَّذي يَقُول للشيء كُنْ فَيَكُونُ ، وَأَنَّهُ الْفَعَّالُ بالاخْتيَار .

وَعنْدَ أَهْلِ الْكتاب : أنه سَأَلَ برهانا صَادقا عَلَى صدْقه عنْدَ مَنْ يُكَذِّبُهُ من أَهْلِ مصر ، فَقَالَ لَهُ الرب عز وجل : مَا هَذه الَّتي فِي يَدكَ؟ قَالَ عَصَايَ ، قَالَ أَلْقهَا إِلَى الأَرْض ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ فَهَرَبَ مُوسَى منْ قُدَّامهَا ، فَأَمَرَهُ الرب عز وجل أَنْ يَبْسُطَ يَدَهُ وَيَأْخُذَهَا بذَنَبها ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ منْهَا ارْتَدَّتْ عَصًا في يَده .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الآيَةِ الأُخْرَى : «وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدبرا وَلم يعقب» أَي قد صَارَتْ حَيَّةً عَظِيمَةً لَهَا ضَخَامَةٌ هَائلَةٌ وَأَنْيَابٌ تصك ، وَهِيَ مَعَ ذَلكَ فِي سُرْعَة حَرَكَة الْجَانِّ ، وَهُوَ ضَرْبٌ منَ الْحيَّات يُقَالُ لَهُ الْجَانُّ والجنان ، وَهُوَ لطيف وَلَكن سَرِيعُ الاضْطِرَابِ وَالْحركَةِ جداً ، فَهَذه جَمَعَت الضَّخَامَةَ وَالسُّرْعَةَ الشَّديدَةَ .

فَلَمَّا عَايَنَهَا مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ «وَلَّى مُدَبِّرًا» أَيْ هَاربًا منْهَا ، لأَنَّ طَبيعَتَهُ الْبَشَرِيَّةَ تَقْتَضِي ذَلكَ «وَلَمْ يُعَقِّبْ» (١) ، فناداه ربه قَائلا لَهُ : «يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخفْ إِنَّكَ منَ الآمنينَ» .

فَلَمَّا رَجعَ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُمْسكَهَا «قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعيدُهَا سيرَتَهَا الأُولَى» فَيُقَالُ إِنَّهُ هَابَهَا شَديدًا ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي كُمِّ مدْرَعَته ،

ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي وَسَط فمها .

وَعند أهل الْكتاب : أَمسك بذَنَبهَا ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ منْهَا إذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ عَصًا ذَاتَ شُعْبَتَيْن ، فَسُبْحَانَ الْقَدير الْعَظيم ، رَبِّ الْمَشْرقَيْن وَالْمَغْربَيْن! ثُمَّ أَمَرَهُ تَعَالَى بإدْخَال يَده في جَيْبه ، ثُمَّ أَمَرَهُ بنَزْعهَا فَإِذَا هِيَ تَتَلأْلأُ كَالْقَمَر بَيَاضًا منْ غَيْر سُوء ، أَيْ منْ غَيْر بَرَصٍ وَلاَ بَهَقٍ ، وَلهَذَا قَالَ : «اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ

---

(١) أَيْ وَلَمْ يلْتَفت .

مِنْ غَيْرِ سُوء ، وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ» قِيلَ مَعْنَاهُ : إِذَا خِفْتَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى فُؤَادِكَ يَسْكُنْ جَأْشُكَ .

وَهَذَا وَإِنْ كَانَ خَاصًّا بِهِ ، إِلاَّ أَن بركَة الايمان بِهِ حق بِأَن ينفع مَنِ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الاقْتِدَاءِ بِالأَنْبِيَاء .

وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّمْلِ : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قوما فاسقين﴾ .

أي هَاتَان الآيَتَان وهما : الْعَصَا وَالْيَد ، هما الْبُرْهَانَان الْمُشَارُ إِلَيْهِمَا فِي قَوْلِهِ : «فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قوما فاسقين» وَمَعَ ذَلِكَ سَبْعُ آيَاتٍ أُخَرُ .

فَذَلِكَ تِسْعُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي آخِرِ سُورَةِ سُبْحَانَ ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاَءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ ، وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ وَهِيَ الْمَبْسُوطَةُ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ، آيَاتٍ مُفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مجرمين﴾ وَهَذِهِ التسع الآيَات غير الْعَشْرِ الْكَلِمَات ، فَإِن التسع من كَلِمَاتِ اللَّهِ الْقَدَرِيَّةِ ، وَالْعَشْرَ مِنْ كَلِمَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ

موسى وفرعون

أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَمَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون * وَأَخِي هرون هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ، فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمن اتبعكما الغالبون﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَكَلِيمِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَم ، فِي جَوَابِهِ لِرَبِهِ عز وجل حِينَ أَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى عَدُوِّهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ فِرَارًا مِنْ سَطْوَتِهِ

وَظُلْمه ، حينَ كَانَ منْ أَمْره مَا كَانَ في قَتْلِ ذَلكَ الْقبْطيِّ وَلهذَا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ منْهُمْ نَفسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون * وَأَخي هرون هُوَ أَفْصَحُ منِّي لسَانًا فَأَرْسلْهُ مَعيَ ردْءًا يصدقني إِنِّي أَخَاف أَن يكذبُون﴾ أَيْ اجْعَلْهُ مَعي مُعينًا وَردْءًا ووَزيرًا يُسَاعدُني ، وَيُعينُني عَلَى أَدَاء رسَالَتكَ إِلَيْهِمْ فَإِنَّهُ أَفْصَحُ منِّي لسَانًا وَأَبْلَغُ بيَانًا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُجيبًا لَهُ إِلَى سُؤَاله : ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأَخيكَ ونجعل لَكمَا سُلْطَانا﴾ أَي برهانا ﴿فَلاَ يصلونَ إِلَيْكُمَا﴾ أَيْ فَلا يَنَالُونَ منْكُمَا مَكْرُوهًا بِسَبَبِ قيَامكُمَا بآيَاتنَا ، وَقيلَ ببَرَكَة آيَاتنَا .

﴿أَنْتُمَا وَمَن اتَّبَعَكُمَا الغَالبون﴾ .

وَقَالَ في سُورَة طه : ﴿اذْهَبْ إِلَى فرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لي صَدْري * وَيَسِّرْ لي أَمْري * وَاحْلُلْ عُقْدَةً منْ لسَاني يفقهوا قولي﴾ قيلَ إِنَّهُ أَصَابَهُ في لسَانه لُثْغَةٌ ، بسَبَب تلْكَ الجُمْرَة الَّتي وَضعها على لسَانه ، وَالَّتي كَانَ فرْعَوْنُ أَرَادَ اخْتبَارَ عَقْله ، حينَ أَخَذَ بلحْيَته وَهُوَ صَغيرٌ فَهمَّ بقَتْله ، فَخَافَتْ عَلَيْه آسيَةُ وَقَالَتْ : إِنَّهُ طفْلٌ ، فَاخْتَبَرَهُ بوَضْع تَمْرَة وَجَمْرَة بَيْنَ يَدَيْه فَهَمَّ بأَخْذ التَّمْرَة فصَرَفَ الْمَلَكُ يَدَهُ إِلَى الجُمْرَة ، فَأَخَذَهَا فَوَضَعَهَا عَلَى لسَانه فَأَصَابَهُ لُثْغَةٌ بسَبَبهَا .

فَسَأَلَ زَوَالَ بَعْضهَا بمقْدَار مَا يَفْهَمُونَ قَوْلَهُ ، وَلَمْ يَسْأَلْ زَوَالَهَا بالْكُلِّيَّة .

قَالَ الحْسَنُ الْبَصْريُّ : وَالرُّسُلُ إِنَّمَا يَسْأَلُونَ بِحَسَبِ الحْاجَةِ ، وَلهَذَا بَقيَتْ فِي لِسَانه بَقيَّةٌ .

وَلهَذَا قَالَ فرْعَوْنُ ، قَبَّحَهُ اللَّهُ ، فيمَا زَعَمَ إِنَّهُ يَعيبُ بِهِ الْكَلِيمَ : «وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ» أَيْ يُفْصحُ عَنْ مُرَاده ، وَيُعَبِّرُ عَمَّا في ضَميره وَفُؤَاده .

ثُمَّ قَالَ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ : ﴿وَاجعَل لي وزيرا من أَهلي * هرون أخي * اشْدُد بن أَزْرِي * وَأَشْركْهُ في أَمْري * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بنَا بَصيرًا * قَالَ قد أُوتيت سؤلك يَا مُوسَى﴾ أَيْ قَدْ أَجَبْنَاكَ إِلَى جَميع مَا سَأَلْتَ ، وَأَعْطَيْنَاكَ الَّذي طَلَبْتَ .

وَهَذَا منْ وَجَاهَته عنْدَ ربه عز وجل ، حينَ شَفَعَ أَنْ يُوحيَ اللَّهُ إِلَى أَخيه فَأَوْحَى إِلَيْه .

وَهَذَا جَاهٌ عَظيمٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَكَانَ عنْد الله وجيها﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ منْ رَحْمَتنَا أَخَاهُ هرون نَبيا﴾ .

وَقَدْ سَمعَتْ أُمُّ الْمُؤْمنينَ عَائشَةُ رَجُلاً يَقُولُ لأناس وهم سائرون في طَرِيقِ الحْجِّ : أَيُّ أَخٍ

أَمَنُّ عَلَى أَخيه؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَتْ عَائشَةُ لمَنْ حَوْلَ هَوْدَجِهَا : هُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ حِينَ شَفَعَ فِي أَخيه هرون فأوحى إِلَيْه .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ووَهَبْنَا لَهُ منْ رَحْمَتنَا أَخَاهُ هرون نَبيا﴾ .

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فينَا منْ عُمُركَ سنينَ ۞ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتي فَعَلْتَ وَأَنْتَ منَ الْكَافرينَ» تَقْدير الْكَلَام : فَأَتيَاهُ فَقَالاَ لَهُ ذَلك ، وبلغاه مَا أرسلا به منْ دَعْوَته إِلَى عبَادَة اللَّه تَعَالَى وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ ، وَأَنْ يَفُكَّ أُسَارَى بَني إِسْرَائيلَ منْ قَبْضَته وَقَهْره وَسَطْوَته ، وَيَتْرُكُهُمْ يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ حَيْثُ شَاءُوا ، وَيَتَفَرَّغُونَ لتَوْحيده وَدُعَائه وَالتَّضَرُّع لَدَيْه .

فَتَكَبَّرَ فرْعَوْنُ في نَفْسه وَعَتَا وطغى ، وَنظر إِلَى مُوسَى بعَين الازدراء والنقص قَائلاً لَهُ : «أَلَمْ نُرَبِّكَ فينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فينَا من عمرك سنين؟» أَيْ أَمَا أَنْتَ الَّذي رَبَّيْنَاهُ فِي مَنْزلنَا؟ وَأَحْسَنَّا إِلَيْه وَأَنْعَمْنَا عَلَيْه مُدَّةً منَ الدَّهْر؟

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فرْعَوْنَ الَّذي بُعثَ إِلَيْه هُوَ الَّذي فر منْهُ ، خلافًا لمَا عنْدَ أَهْل الْكتَاب : منْ أَنَّ فرْعَوْنَ الَّذي فَرَّ منْهُ مَاتَ في مُدَّة مُقَامه بمَدْيَنَ ، وَأَنَّ الَّذي بُعثَ إِلَيْه فرْعَوْنُ آخَرُ .

وَقَوْلُهُ : «وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتي فَعَلْتَ وَأَنْتَ منَ الْكَافرين» أَيْ وَقَتَلْتَ الرَّجُلَ الْقبْطيَّ ، وَفَرَرْتَ منَّا وَجَحَدْتَ نعْمَتَنَا .

«قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا منَ الضَّالِّينَ» أَيْ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَى وَيَنْزلَ عَلَى ، «فَفَرَرْتُ منْكُمْ لَمَّا خفْتُكُمْ فَوَهَبَ لي رَبِّي حكما وَجَعَلَني من الْمُرْسلين» .

ثُمَّ قَالَ مُجيبًا لفرْعَوْنَ عَمَّا امْتَنَّ به منَ التَّرْبيَة وَالإِحْسَان إِلَيْه : «وَتلْكَ نعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَليّ أَن عبدت بني إِسْرَائيل» أَيْ وَهَذه النِّعْمَةُ الَّتي ذَكَرْتَ ، منْ أَنَّكَ أَحْسَنْتَ إِلَيَّ وَأَنَا رَجُلٌ وَاحدٌ منْ بَني إِسْرَائيلَ تُقَابلُ مَا اسْتَخْدَمْتَ هَذَا الشَّعْبَ الْعَظيمَ بكَمَاله ، وَاسْتَعْبَدْتَهُمْ في أَعْمَالكَ وَخدْمَتكَ وَأَشْغَالكَ .

﴿قَالَ فرْعَوْن ومارب الْعَالمين؟ ۞ قَالَ رب السَّمَوَات وَالأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقنينَ ۞ قَالَ لمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائكُمُ الأَوَّلينَ ۞ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذي أُرْسلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۞ قَالَ رَبُّ الْمَشْرق وَالْمَغْرب وَمَا بينهمَا إِن كُنْتُم تعقلون﴾ .

وَهُوَ في هَذه الْمَقَالَة مُعَاندٌ ، يَعْلَمُ أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالقُ الْبَارئُ الْمُصَوِّرُ ، الإِلَهُ الْحَقُّ كمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَجَحَدُوا بهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًا ،

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَت عَاقِبَة المفسدين﴾ .

وَلِهَذَا قَالَ لمُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ عَلَى سَبِيلِ الإِنْكَار لرِسَالَته ، وَالإِظْهَار أَنَّهُ مَا ثَمَّ رَبٌّ أَرْسَلهُ : ﴿وَمَا رب الْعَالمين؟﴾ لأَنَّهمَا قَالاَ لَهُ : ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمَا : وَمَنْ رَبُّ الْعَالمِينَ؟ الَّذي تَزْعُمَان أَنَّهُ أَرْسَلَكُمَا وَابْتَعَثَكُمَا؟ فَأَجَابَهُ مُوسَى قَائلاً : ﴿رب السَّمَوَات والارض وَمَا بَينهمَا إِن كُنْتُم موقنين﴾ يَعْنِي رب الْعَالمين خَالق هَذه السَّمَوَات والارض الْمُشَاهدَة ، وَمَا بَينهمَا من الْمَخْلُوقَات المتعددة ، من السَّحَابِ وَالرِّيَاح وَالْمَطَر وَالنَّبَات وَالْحَيَوَانَات الَّتي يَعْلَمُ كُلُّ مُوقن أَنَّهَا لَمْ تَحْدُثْ بِأَنْفُسهَا ، وَلاَ بُدَّ لَهَا منْ مُوجِدٍ وَمُحْدِثٍ وَخَالِقٍ وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

«قَالَ « أَيْ فِرْعَوْنُ» لِمَنْ حَوْلَهُ» منْ أُمَرَائه وَمَرَازِبَته وَوُزَرَائه ، عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّم والتنقص مَا قَرَّرَهُ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ : «أَلاَّ تَسْتَمعُونَ» يَعْني كَلاَمَهُ هَذَا .

«قَالَ» مُوسَى مُخَاطِبًا لَهُ وَلَهُمْ : ﴿ربكُم وَرب آبائكم الاولين﴾ أَيْ هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ وَالَّذينَ منْ قَبْلكُمْ ، منَ الآبَاء وَالأَجْدَاد ، وَالْقُرُون السَّالفَة في الآبَاد ، فَإِنَّ كُلَّ أَحَد يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ نفسه ، وَلاَ أَبوهُ وَلاَ أمه ، وَلاَ يَحْدُثْ منْ غَيْرِ مُحْدِثٍ ، وَإِنَّمَا أَوْجَدَهُ وَخَلَقَهُ رب الْعَالمين .

يَذْكُرُ تَعَالَى مَا كَانَ بَيْنَ فرْعَوْنَ وَمُوسَى منَ الْمُقَاوَلَة وَالْمُحَاجَّة وَالْمُنَاظَرَة ، وَمَا أَقَامَهُ الْكَليمُ عَلَى فرْعَوْنَ اللَّئيم ، منَ الْحُجَّة الْعَقْليَّة الْمَعْنَويَّة ثُمَّ الْحِسِّيَّة .

وَذَلكَ أَنَّ فرْعَوْنَ أَظْهَرَ جَحْدَ الصَّانع تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الإِلَهُ فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى .

﴿وَقَالَ فرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلمْتُ لَكُمْ منْ إِلَه غَيْري﴾ .

وَمَعَ هَذَا كُلِّه لَمْ يَسْتَفقْ فرْعَوْنُ منْ رَقْدَته ، وَلاَ نَزَعَ عَنْ ضَلاَلَته ، بَل اسْتَمَرَّ عَلَى طُغْيَانه وَعنَاده وَكُفْرَانه : ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذي أُرْسلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرق وَالْمَغْرب وَمَا بَينهمَا إِن كُنْتُم تعقلون﴾ أَيْ هُوَ الْمُسَخِّرُ لهَذه الْكَوَاكب الزَّاهرَة الْمُسَيَّرَ للأَفْلاَك الدَّائرَة ، خَالقُ الظَّلاَم وَالضِّيَاء ، وَرَبُّ الأَرْض وَالسَّمَاء ، رَبُّ الأَوَّلينَ وَالآخرينَ ، خَالقُ الشَّمْس وَالْقَمَر ، وَالْكَوَاكب السَّائرَة ، وَالثَّوَابت الْحَائرَة ، خَالقُ اللَّيْل بظَلاَمه ، وَالنَّهَار بضيَائه ، وَالْكُلُّ تَحْتَ قَهْره وَتَسْخيره وَتَسْييره سَائرُونَ ، وَفي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ، يَتَعَاقَبُونَ في سَائر الأَوْقَات وَيَدُورُونَ .

فَهُوَ تَعَالَى الْخَالقُ الْمَالكُ الْمُتَصرِّفُ في خَلْقه بمَا يَشَاءُ .

فَلَمَّا قَامَت الحُجَجُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَانْقَطَعَتْ شُبَهُهُ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ قَوْلٌ سِوَى الْعِنَاد ، عَدَلَ إِلَى اسْتِعْمَال سُلْطَانه وجاهه وسطوته ﴿قَالَ لَئِن اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ منَ المسجونين * قَالَ أولو جئتك بشيء مُبين * قَالَ فَأْت به إنْ كُنْتَ منَ الصَّادقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنزع يَده فَإذا هِيَ بَيْضَاء للناظرين﴾ .

وَهَذَان هُمَا الْبُرْهَانَان اللَّذَان أَيَّدَهُ اللَّهُ بِهمَا ، وَهمَا الْعَصَا وَالْيَدُ ، وَذَلكَ مَقَامٌ أَظْهَرَ فيه الخَارقَ الْعَظيمَ ، الَّذي بَهَرَ به الْعُقُولَ وَالأَبْصَارَ ، حين أَلْقَى عَصَاهُ فَإذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ، أَيْ عَظيمُ الشَّكْل ، بَديعٌ فِي الضَّخَامَة وَالْهَوْل ، وَالْمَنْظَر الْعَظيم الْفَظيع الْبَاهر ، حَتَّى قيلَ إنَّ فِرْعَوْنَ لما شَاهد ذَلك وعاينه ، أَخذه رهب شَديدٌ وَخَوْفٌ عَظيمٌ ، بِحَيْثُ إِنَّهُ حَصَلَ لَهُ إِسْهَالٌ عَظيمٌ أَكْثَرَ منْ أَرْبَعينَ مَرَّةً في يَوْم ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلكَ لاَ يَتَبَرَّزُ في كُلِّ أَرْبَعينَ يَوْمًا إلاَّ مَرَّةً وَاحدَةً ، فَانْعَكَسَ عَلَيْه الْحَالُ .

وَهَكَذَا لَمَّا أَدْخَلَ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ يَدَهُ في جَيْبه وَاسْتَخْرَجَهَا ، أَخْرَجَهَا وَهيَ كَفلْقَة الْقَمر تَتَلأْلأُ نُورًا يَبْهَرُ الأَبْصَارَ ، فَإذَا أَعَادَهَا إلَى جيبه واستخرجها رَجَعَتْ إِلَى صفَتهَا الأُولَى .

وَمعَ هَذَا كُلِّه لم ينْتَفع فرْعَوْن بشيء منْ ذَلكَ ، بَل اسْتَمَرَّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْه ، وَأَظْهَرَ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ سحْرٌ ، وَأَرَادَ مُعَارَضَتَهُ بِالسَّحَرَة ، فَأَرْسَلَ يَجْمَعُهُمْ منْ سَائِر مَمْلَكَته وَمن هم في رَعيَّته وَتَحْتَ قَهْره وَدَوْلَته

وَقَالَ تَعَالَى في سُورَة طه : ﴿فَلَبِثْتَ سنينَ في أَهْل مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَر يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لنَفْسي ، اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتي وَلاَ تَنيَا في ذكْري ، اذْهَبَا إِلَى فرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالاَ رَبَّنَا إنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لاَ تخافا إنَّني مَعَكُمَا أسمع وَأرى﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطبًا لمُوسَى فيمَا كَلَّمَهُ به لَيْلَة أوحى إلَيْه ، وأنعم بِالنُّبُوَّة عَلَيْه ، وَكَلَّمَهُ منْهُ إلَيْه : قَدْ كُنْتُ مُشَاهدًا لَكَ وَأَنْتَ في دَار فرْعَوْنَ ، وَأَنْتَ تَحْتَ كَنَفي وَحفْظي وَلُطْفي ، ثُمَّ أَخْرَجْتُكَ منْ أَرْض مصْرَ إلَى أَرْض مَدْيَنَ بمَشيئَتي وَقُدْرَتي وَتَدْبيري ، فَلَبثْتَ فيهَا سنينَ «ثُمَّ جئْتَ عَلَى قَدَر» أَيْ منِّي لذَلكَ ، فَوَافَقَ ذَلكَ تَقْديري وَتَسْييري «وَاصْطَنَعْتُكَ لنَفْسي» أَيْ اصْطَفَيْتُكَ لنَفْسي برسَالَتي وَبكَلاَمي .

«اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بآيَاتي وَلاَ تَنيَا في ذكري» ، يَعْني وَلاَ تفترا في ذكري إذا قَدمْتُمَا عَلَيْه وَوَفَدْتُمَا إلَيْه ، فَإنَّ ذَلكَ عَوْنٌ لَكمَا على مخاطبته ومجاوبته ، وَأَدَاء النَّصيحَة إلَيْه وَإقَامَة الحُجَّة عَلَيْه .

وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الأَحَادِيث : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِي الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قرنه﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا الله كثيرا لَعَلَّكُمْ تفلحون﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَو يخْشَى﴾ وَهَذَا مِنْ حِلْمِه تَعَالَى وَكَرَمِه وَرَأْفَته وَرَحْمَته بِخَلْقِه ، مَعَ عِلْمِه بِكُفْرِ فِرْعَوْنَ وَعُتُوِّهِ وَتَجَبُّرِه ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ أَرْدَى خَلْقِه ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْه صَفْوَتَهُ مِنْ خَلْقِهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَان ، وَمَعَ هَذَا يَقُولُ لَهُمَا وَيَأْمُرُهُمَا أَنْ يَدْعُوَاهُ إِلَيْه بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ بِرِفْقٍ وَلِين ، وَيُعَامِلاهُ بِأَلطف مُعَامِلَة من يرجوا أَن يتَذَكَّر أَو يخْشَى

قَالَ يزيد الرَّقَاشِيّ (١) عِنْد هَذِه الآيَة : يامن يَتَحَبَّبُ إِلَى مَنْ يُعَادِيه ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَوَلاَّهُ وَيُنَادِيه؟ ! «قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ علينا أَو أَن يطغى» ، وَذَلِكَ أَن فِرْعَوْن كَانَ جبارا عنيدا وشيطانا مَرِيدًا ، لَهُ سُلْطَانٌ فِي بِلَادِ مِصْرَ طَوِيلٌ عَرِيضٌ ، وَجَاهٌ وَجُنُودٌ ، وَعَسَاكِرُ وَسَطْوَةٌ ، فَهَابَاهُ مِنْ حَيْثُ الْبَشَرِيَّةُ ، وَخَافَا أَنْ يَسْطُوَ عَلَيْهِمَا فِي بَادِئِ الأَمْر ، فَثَبَّتَهُمَا تَعَالَى وَهُوَ الْعَلِيُّ الأَعْلَى فَقَالَ : «لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى» ، كَمَا قَالَ فِي الآيَة الأُخْرَى : «إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ» .

" فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَة مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ على من كَذَّبَ وَتَوَلَّى «يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَمَرَهُمَا أَنْ يَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ فَيَدْعُوَاهُ إِلَى اللَّه تَعَالَى ، أَنْ يَعْبُدَهُ وَحده لاَ شريك لَهُ وَأَن يُرْسل مَعَهُمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيُطْلِقَهُمْ مِنْ أَسْرِهِ وَقَهْرِه وَلاَ يعذبهم» .

«قد جِئْنَاك بِآيَة من رَبك» وَهُوَ الْبُرْهَانُ الْعَظِيمُ فِي الْعَصِيِّ وَالْيَد ، «وَالسَّلاَمُ على من اتبع الْهدى» تَقْيِيدٌ مُفِيدٌ بَلِيغٌ عَظِيمٌ ، ثُمَّ تَهَدَّدَاهُ وَتَوَعَّدَاهُ عَلَى التَّكْذِيبِ فَقَالاَ : «إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَن الْعَذَاب على من كذب وَتَوَلَّى» أَيْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ بِقَلْبِهِ ، وَتَوَلَّى عَنِ الْعَمَلِ بِقَالَبِهِ .

---

(١) يزيد بن أبان الرقاشي اسمه يزيد بن أبان الرقاشى ، أبو عمرو البصري ، القاص (من زهاد أهل البصرة ، و هو عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى) كنيته أبو عمرو وقيل :الرقاشى البصري يعتبر يزيد بن أبان الرقاشي من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ضعيف زاهد ،وعند الإمام شمس الدين الذهبي ضعيف .

وَقَدْ ذَكَرَ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ : أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ مِنْ بِلاَدِ مَدْيَنَ ، دَخَلَ عَلَى أُمِّهِ وأخيه هرون ، وهما يتعشيان من طَعَام فيه «الطفشيل»[٢] ، فَأَكَلَ مَعَهُمَا .

ثُمَّ قَالَ يَا هرون : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي وَأَمَرَكَ أَنْ نَدْعُوَ فِرْعَوْنَ إِلَى عِبَادَتِهِ ، فَقُمْ مَعِي .

فَقَامَا يَقْصدَان بَابَ فِرْعَوْنَ فَإِذَا هُوَ مُغْلَقٌ .

فَقَالَ مُوسَى لِلْبَوَّابِينَ وَالْحَجَبَةِ : أَعْلِمُوهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْبَابِ .

فَجَعَلُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ به .

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمَا عَلَيْهِ إِلاَّ بَعْدَ حِينٍ طَوِيلٍ .

وَقَالَ مُحَمَّد بن إِسْحَق : أَذِنَ لَهُمَا بَعْدَ سَنَتَيْنِ ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُ أَحَدٌ يَتَجَاسَرُ عَلَى الاسْتِئْذَانِ لَهُمَا .

وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ مَشَايِخَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى عِنْدِ فِرْعَوْنَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُظْهِرَ مَا آتَاهُ من الآيَات وَقَالَ لَهُ إِنِّي سَأُقَسِّي قَلْبَهُ فَلاَ يُرْسِلُ الشَّعْبَ ، وَأَكْثَرُ آيَاتِي وأعاجيبي بِأَرْض مصر .

وَأوحى الله إِلَى هرون أَنْ يَخْرُجَ إِلَى أَخِيهِ يَتَلَقَّاهُ بِالْبَرِّيَّةِ عِنْدَ جَبَلِ حُورِيبَ ، فَلَمَّا تَلْقَاهُ أَخْبَرَهُ مُوسَى بِمَا أَمَرَهُ به رَبُّهُ .

فَلَـمَّا دَخَلاَ مصْرَ جَمْعَا شُيُوخَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَذَهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ ، فَلَمَّا بَلَّغَاهُ رِسَالَةَ اللَّه قَالَ : مَنْ هُوَ اللَّهُ لاَ أَعْرِفُهُ وَلاَ أُرْسِلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ : أَنَّهُ أَنْكَرَ إِثْبَاتَ الصَّانع تَعَالَى قَائِلاً : «فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبنَا الَّذِي أَعْطى كل شيء خلقه ثمَّ هدىَ» أَيْ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ وَقَدَّرَ لَهُمْ أَعْمَالاً وَأَرْزَاقًا وَآجَالاً ، وَكَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي كِتَابِهِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظ ، ثُمَّ هَدَى كُلَّ مَخْلُوق إِلَى مَا قدره لَهُ ، فطابق عمله فيهم على الْوَجْه الَّذِي قَدره وَعلمه ، وَقدرته وَقدره لكَمَالِ علمه .

«قَالَ فَمَا بَال الْقُرُون الاولى» يَقُولُ فِرْعَوْنُ لمُوسَى : فَإِذَا كَانَ رَبُّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْمُقَدِّرُ الْهَادِي الْخَلاَئِقَ لِمَا قَدَّرَهُ ، وَهُوَ بِهَذِه الْمَثَابَةِ مِنْ أَنَّهُ لاَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ ، فَلِمَ عَبَدَ الأَوَّلُونَ غَيْرَهُ؟ وَأَشْرَكُوا به مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالأَنْدَاد مَا قَدْ عَلِمْتَ؟ فَهَلَّا اهْتَدَى إِلَى مَا ذَكَرْتَهُ الْقُرُونُ الأُولَى؟ «قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ ربي وَلاَ ينسى» أَيْ هُمْ وَإِنْ عَبَدُوا غَيْرَهُ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِحُجَّةٍ لَكَ ، وَلاَ يَدُلُّ عَلَى خِلاَفِ مَا أَقُول لأنهم جهلة

(١) وَهُوَ اللِّفْتُ .

مثلك ، وكل شيء فَعَلُوهُ مُسْتَطَرٌ عَلَيْهِمْ فِي الزُّبُر ، مِنْ صَغِير وكبير ، وسيجزيهم على ذَلِك ربى عز وجل ، وَلاَ يَظْلِمُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّة ، لأَنَّ جَمِيعَ أَفْعَال الْعِبَادِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ فِي كتَاب لاَ يضل عَنهُ شيء وَلاَ يَنْسَى رَبِّي شَيْئًا .

ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ عَظَمَةَ الرَّبِّ وَقُدْرَتَهُ عَلَى خَلْق الأَشْيَاء ، وَجَعْلَهُ الأَرْضَ مهَادًا وَالسَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ، وَتَسْخِيرَهُ السَّحَابَ وَالأَمْطَارَ لِرِزْق الْعِبَاد وَدَوَابِّهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ

ثُمَّ طَلَبَ مِنْ مُوسَى أَنَّ يُوَاعِدَهُ إِلَى وَقْت مَعْلُوم وَمَكَان مَعْلُوم .

وَكَانَ هَذَا مِنْ أَكْبَر مَقَاصِدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ : أَنْ يُظْهِرَ آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجَهُ وَبَرَاهِينَهُ جَهْرَةً بِحَضْرَة النَّاس .

وَلِهَذَا «قَالَ : مَوْعدكُمْ يَوْم الزِّينَة» وَكَانَ يَوْمَ عِيد مِنْ أَعْيَادهِمْ وَمُجْتَمَع لَهُمْ «وَأَن يحْشر النَّاس ضحى» أَيْ مِنْ أَوَّل النَّهَار فِي وَقْت اشْتِدَاد ضِيَاء الشَّمْس ، فَيَكُونُ الْحَقُّ أَظْهَرَ وَأَجْلَى ، وَلَمْ يَطْلُبْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَيْلاً فِي ظَلاَم ، كَيْمَا يروج عَلَيْهِم محالا وَبَاطلاً ، بَلْ طَلَبَ أَنْ يَكُونَ نَهَارًا جَهْرَةً ، لأنه على بَصِيرَة من ربه ، ويقين بِأَن اللَّهَ سَيُظْهِرُ كَلمَتَهُ وَدِينَهُ ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ۞ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّه كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَاب وَقَدْ خَابَ مَن افْتَرَى ۞ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ۞ قَالُوا إِنْ هَذَان لَسَاحِرَان يُرِيدَان أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ، وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ۞ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلح الْيَوْم من استعلى﴾ .

يخبر تَعَالَى عَن فِرْعَوْن أَنه فَجَمَعَ مَنْ كَانَ بِبِلاَده مِنَ السَّحَرَة ، وَكَانَتْ بِلاَدُ مصْرَ فِي ذَلِكَ الزَّمَان مَمْلُوءَةً سَحَرَةً فُضَلاَء ، فِي فَنِّهِمْ غَايَةٌ ، فَجَمَعُوا لَهُ مَنْ كُلِّ بَلَد وَمِنْ كُلِّ مَكَان فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ خُلُقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ ، فَقِيلَ : كَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفًا – قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْب .

وَقِيلَ سَبْعِينَ ألفا قَالَه الْقَاسِم بن أبي بردة ، وَقَالَ السُّدِّيُّ : بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا ، وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَق : خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا .

وَقَالَ كَعْبُ الأَحْبَار : كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس : كَانُوا سَبْعِينَ رَجُلاً ، وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعِينَ غُلاَمًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَمَرَهُمْ فِرْعَوْنُ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْعُرَفَاءِ فَيَتَعَلَّمُوا السِّحْرَ .

وَلِهَذَا قَالُوا : «وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْه من السحر» .

وَحَضَرَ فِرْعَوْنُ وَأُمَرَاؤُهُ وَأَهْلُ دَوْلَته وَأَهْلُ بَلَده عَنْ بَكْرَة أَبِيهِمْ .

وَذَلكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ نَادَى فِيهِمْ أَنْ يَحْضُرُوا هَذَا الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ ، فَخَرَجُوا وَهُمْ يَقُولُونَ : «لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هم الغالبين» .

وَتَقَدَّمَ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ إِلَى السَّحَرَةِ فَوَعَظَهُمْ ، وَزَجَرَهُمْ عَنْ تَعَاطِي السِّحْرِ الْبَاطِلِ ، الَّذي فيه مُعَارَضَةٌ لآيَات اللَّه وَحُجَجِه فَقَالَ : ﴿وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ من افترى * فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ .

قِيلَ : مَعْنَاهُ أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَقَائِلٌ يَقُولُ : هَذَا كَلاَمُ نَبِيٍّ وَلَيْس بِسَاحِرٍ ، وَقَائِلٌ مِنْهُمْ يَقُولُ : بَلْ هُوَ سَاحِرٌ

«فَأَجْمِعُوا كيدكم» أَيْ جَمِيعَ مَا عِنْدَكُمْ «ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا» أَي جملَة وَاحِدَة ، ثمَّ حضوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى التَّقَدُّمِ فِي هَذَا الْمَقَامِ ، لأَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ قَدْ وَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ ، وَمَا يعدهم الشَّيْطَان إِلاَّ غُرُورًا .

ولما اصطف السَّحَرَة ووقف مُوسَى وهرون عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ تُجَاهَهُمْ - قَالُوا لَهُ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ قَبْلَنَا ، وَإِمَّا أَنْ نُلْقِيَ قَبْلَكَ «قَالَ بَلْ أَلْقُوا» أَنْتُمْ ، وَكَانُوا قَدْ عَمَدُوا إِلَى حِبَال وَعِصِيٍّ ، فَأَوْدَعُوهَا الزِّئْبَقَ وَغَيْره ، منَ الآلاَت الَّتي تضطرب بسببها تِلْكَ الْحِبَالُ وَالْعِصِيُّ اضْطِرَابًا يُخَيَّلُ للرَّائي أَنَّهَا تَسْعَى باخْتِيَارِهَا ، وَإِنَّمَا تَتَحَرَّكُ بِسَبَبِ ذَلكَ ، فَعِنْدَ ذَلكَ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ، وَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ، وَهُمْ يَقُولُونَ : «بِعزَّة فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغالبون» .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاس واسترهبوهم وَجَاءُوا بِسحر عَظِيم﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْه من سحرهم أَنَّهَا تسْعَى * فأوجس فِي نَفسه خيفة مُوسَى﴾ أَيْ خَافَ عَلَى النَّاس أَنْ يَفْتَتِنُوا بِسِحْرِهِمْ وَمِحَالِهِمْ ، قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَ مَا فِي يَده ، فَإِنَّهُ لاَ يصنع شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْه فِي السَّاعَة الرَّاهنَة : «لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا . إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ، وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِر حَيْثُ أَتَى» فَعِنْدَ ذَلكَ أَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ وَقَالَ : «مَا جِئْتُمْ به السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحق بكلماته وَلَو كره المجرمون» .

وَذَلِكَ أَن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَم لما أَلْقَاهَا ، صَارَتْ حَيَّةً عَظِيمَةً ذَاتَ قَوَائِمَ ، فِيمَا

ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحد منْ عُلَمَاء السَّلَف ، وَعُنُق عَظيم وَشَكْل هَائل مُزْعج ، بحَيْثُ إنَّ النَّاسَ انْحَازُوا منْهَا وَهَرَبُوا سرَاعًا ، وَتَأَخَّرُوا عَنْ مَكَانهَا وَأَقْبَلَتْ هيَ عَلَى مَا أَلْقَوْهُ منَ الحْبَال وَالْعصيِّ ، فَجَعَلَتْ تَلَقَّفَهُ وَاحدًا وَاحدًا في أَسْرَع مَا يَكُونُ منَ الحْرَكَة ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إلَيْهَا وَيَتعَجَّبُونَ منْهَا ، وَأَمَّا السَّحَرَةُ فَإنَّهُمْ رَأَوْا مَا هَالَهُمْ وَحَيَّرَهُمْ في أَمْرهمْ ، وَاطَّلَعُوا عَلَى أَمْر لَمْ يَكُنْ في خَلَدهمْ وَلاَ بَالهمْ وَلاَ يَدْخلُ تَحت صناعاتهم وأشغالهم ، فَعنْدَ ذَلك وهنالك تَحَقَّقُوا بمَا عنْدَهُمْ منَ الْعلْم أَنَّ هَذَا لَيْسَ بسحر وَلاَ شعوذة ، وَلاَ محَال وَلاَ خَيَال ، وَلاَ زُور وَلاَ بُهْتَان وَلاَ ضَلاَل ، بَلْ حَقٌّ لاَ يَقْدرُ عَلَيْه إلاَّ الحْقُّ ، الَّذي ابْتَعَثَ هَذَا المُؤَيَّدَ به بالحْقِّ .

وَكَشفَ اللَّهُ عَنْ قُلُوبهمْ غشَاوَةَ الْغَفْلَة ، وَأَنَارَهَا بمَا خَلَقَ فيهَا منَ الْهُدَى وأراح عَنْهَا الْقَسْوَةَ ، وَأَنَابُوا إلَى رَبِّهمْ

وَخَرُّوا لَهُ سَاجدينَ ، وَقَالُوا جَهْرَةً للْحَاضرينَ وَلَمْ يَخْشَوْا عُقُوبَةً وَلاَ بلوى : «آمنا برَبّ مُوسَى وهرون» كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿فَأُلْقيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمنا برَبّ هرون وَمُوسَى﴾ .

قَالَ سَعيدُ بْنُ جُبَيْر [1] وَعكْرمَةُ وَالْقَاسمُ بْنُ أبي بردة وَالأَوْزَاعيُّ وَغَيْرُهُمْ : لَمَّا سَجَدَ السَّحَرَةُ رَأَوْا مَنَازلَهُمْ وَقُصُورَهُمْ في الجْنَّة تُهَيَّأُ لَهُمْ ، وَتُزَخْرَفُ لقُدُومهمْ وَلهَذَا لَمْ يَلْتَفتُوا إلَى تَهْويل فرْعَوْنَ وَتَهْديده وَوَعيده .

وَذَلكَ لأَنَّ فرْعَوْنَ لَمَّا رَأَى هَؤُلاَء السَّحَرَة قد أَسْلمُوا وأشهروا ذكر مُوسَى وهرون في النَّاس عَلَى هَذه الصِّفَة الجْميلَة ، أَفْزَعَهُ ذَلكَ ، وَرَأَى أَمْرًا بَهرَهُ ، وَأَعْمَى بَصيرَتَهُ وَبَصَرَهُ ، وَكَانَ فيه كَيْدٌ وَمَكْرٌ وَخدَاعٌ ، وَصَنْعَةٌ بَليغَةٌ في الصَّدِّ عَنْ سَبيل اللَّه ، فَقَالَ مُخَاطبًا للسَّحَرَة بحَضْرَة النَّاس : «آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذن لكم» أَيْ هَلاَّ شَاوَرْتُمُوني فيمَا صَنَعْتُمْ منَ الأَمْر الْفَظيع بحَضْرَة رَعيَّتي؟ ! ثُمَّ تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ وَأَبْرَقَ وَأَرْعَدَ ، وَكَذَبَ فَأَبْعَدَ قَائلاً : «إنَّهُ لَكَبيرُكُمُ الَّذي علمكُم السحر» ، وَقَالَ في الآيَة الأُخْرَى : «إنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ في المْدينَة لتُخْرجُوا منْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تعلمُونَ» .

وَهَذَا الَّذي قَالَهُ منَ الْبُهْتَان الَّذي يَعْلَمُ كُلُّ فَرْد عَاقل مَا فيه منَ الْكُفْر وَالْكَذب وَالْهَذَيَان ، بَلْ لاَ يَرُوجُ مثْلَهُ عَلَى الصِّبْيَان ، فَإنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ منْ أَهْل دَوْلَته وَغَيْرهمْ

---

(١) الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد ، أبو محمد ، ويقال : أبو عبد الله الأسدي الوالبي ، مولاهم الكوفي ،سعيد بن جبير الأسدي تابعي حبشي الأصل ، كان تقياً وعالماً بالدين درس العلم عن عبد الله بن عباس حبر الأمة وعن عبد الله بن عمر وعن السيدة عائشة أم المؤمنين .

يَعْلَمُونَ أَنَّ مُوسَى لَمْ يَرَهُ هَؤُلاَءِ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ كَبِيرَهُمُ الَّذِي عَلَّمَهُمُ السِّحْرَ؟ ثُمَّ هُوَ لَمْ يَجْمَعْهُمْ وَلاَ عِلْمَ بِاجْتِمَاعِهِمْ ، حَتَّى كَانَ فِرْعَوْنُ هُوَ الَّذِي اسْتَدْعَاهُمْ ، وَاجْتَبَاهُمْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، وَوَادٍ سَحِيقٍ ، وَمِنْ حَوَاضِرِ بِلاَدِ مِصْرَ وَالأَطْرَافِ ، وَمِنَ الْمُدُنِ وَالأَرْيَافِ .

احتجاج آدم وموسى

حَاجَّ مُوسَى آدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاسَ بِذَنْبِكَ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَشْقَيْتَهُمْ .

قَالَ آدَمُ : «يَا مُوسَى أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي ، أَوْ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي؟» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» .

حكمة عيسى عليه السلام(١)

ومن المنقول عن عيسى عليه السلام : أن إبليس جاء إليه ، فقال له : ألست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك؟

قال : بلى .

قال : فارم بنفسك من هذه الجبل ، فانه ان قدر لك السلامة تسلم .

فقال له : يا ملعون ، إن لله عز وجلّ أن يختبر عباده ، وليس للعبد أن يختبر ربّه عز وجلّ .

قصة المائدة

أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَمَرَ الْحَوَارِيِّينَ بِصِيَامِ ثَلاَثِينَ يَوْمًا ، فَلَمَّا أَتَمُّوهَا سَأَلُوا مِنْ عِيسَى إِنْزَالَ مَائِدَةٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ لِيَأْكُلُوا مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ بِذَلِكَ قُلُوبُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَبَّلَ صِيَامَهُمْ وَأَجَابَهُمْ إِلَى طَلِبَتِهِمْ ، وَتَكُونَ لَهُمْ عِيدًا يُفْطِرُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ فِطْرِهِمْ وَتَكُونَ كَافِيَةً لأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ لِغَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ .

---

(١) عيسى بن مريم ويُعرف أيضاً بيسوع في العهد الجديد ، هو رسول الله والمسيح في الإسلام ، ويعتبر من أولو العزم من الرسل ، أُرسل ليقود بني إسرائيل إلى كتاب مقدس جديد وهو الإنجيل .

فَوَعَظَهُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي ذَلِكَ وَخَافَ عَلَيْهِمْ أَنْ لاَ يَقُومُوا بِشُكْرِهَا وَلاَ يُؤَدُّوا حَقَّ شُرُوطِهَا فَأَبَوْا عَلَيْهِ إِلاَّ أَنْ يَسْأَلَ لَهُمْ ذَلِكَ مِنْ ربه عزوجل .

فلما لم يُقْلِعُوا عَنْ ذَلِكَ قَامَ إِلَى مُصَلاَّهُ وَلَبِسَ مِسْحًا مِنْ شَعْرٍ وَصَفَّ بَيْنَ قَدَمَيْهِ وَأَطْرَقَ رَأْسَهُ وَأَسْبَلَ عَيْنَيْهِ بِالْبُكَاءِ وَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ وَالسُّؤَالِ أَنْ يُجَابُوا إِلَى مَا طلبُوا .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَائِدَةَ مِنَ السَّمَاءِ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا تَنْحَدِرُ بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ ، وَجَعَلَتْ تَدْنُو قليلا قليلا ، وَكلما دنت سَأَلَ عِيسَى ربه عز وجل أَنْ يَجْعَلَهَا رَحْمَةً لاَ نِقْمَةً وَأَنْ يَجْعَلَهَا بَرَكَةً وَسَلاَمَةً .

فَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو حَتَّى اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ يَدَيْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَهِيَ مُغَطَّاةٌ بِمَنْدِيلٍ فَقَامَ عِيسَى يَكْشِفُ عَنْهَا وَهُوَ يَقُولُ : «بِسْمِ اللَّهِ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» فَإِذَا عَلَيْهَا سَبْعَةٌ مِنَ الْحِيتَانِ وَسَبْعَةُ أَرْغِفَةٍ .

وَيُقَالُ : وَخَلٌّ وَيُقَالُ : وَرُمَّانٌ وَثِمَارٌ ، وَلَهَا رَائِحَةٌ عَظِيمَةٌ جِداً ، قَالَ اللَّهُ لَهَا كُونِي فَكَانَتْ .

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالأَكْلِ مِنْهَا ، فَقَالُوا : لاَ نَأْكُلُ حَتَّى تَأْكُلَ .

فَقَالَ : إِنَّكُمُ الَّذِينَ ابْتَدَأْتُمُ السُّؤَالَ لَهَا .

فَأَبَوْا أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا ابْتِدَاءً ، فَأَمَرَ الْفُقَرَاءَ وَالْمَحَاوِيجَ وَالْمَرْضَى والزمنى وَكَانُوا قريبا مِنْ أَلْفٍ وَثَلاَثِمِائَةٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا فَبَرَأَ كُلُّ مَنْ بِهِ عَاهَةٌ أَوْ آفَةٌ أَوْ مَرَضٌ مُزْمِنٌ ، فَنَدِمَ النَّاسُ عَلَى تَرْكِ الأَكْلِ مِنْهَا لَمَا رَأَوْا مِنْ إِصْلاَحِ حَالِ أُولَئِكَ .

ثُمَّ قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ تَنْزِلُ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً فَيَأْكُلُ النَّاسُ مِنْهَا ، يَأْكُلُ آخِرُهُمْ كَمَا يَأْكُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى قِيلَ إِنَّهَا كَانَ يَأْكُلُ مِنْهَا نَحْوُ سَبْعَةِ آلاَفٍ .

ثُمَّ كَانَتْ تَنْزِلُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، كَمَا كَانَتْ نَاقَةُ صَالِحٍ يَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ عِيسَى أَنْ يَقْصُرَهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ أَوِ الْمَحَاوِيجِ دُونَ الأَغْنِيَاءِ .

فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَتَكَلَّمَ مُنَافِقُوهُمْ فِي ذَلِكَ ، فَرُفِعَتْ بِالْكُلِّيَّةِ وَمُسِخَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ خَنَازِيرَ .

صِفَةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَشَمَائِلُهُ وَفَضَائِلُهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صديقَة﴾ .

قِيلَ سُمِّيَ الْمَسِيحَ لِمَسْحِهِ الأَرْضَ وَهُوَ سِيَاحَتُهُ فِيهَا وَفِرَارُهُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ فِي

ذَلِكَ الزَّمَان ، لشدَّة تَكْذِيبِ الْيَهُود لَهُ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمِّهِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ .

وَقِيلَ لأَنَّهُ كَانَ مَمْسُوحَ الْقَدَمَيْن .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ برسلنا وقفينا بعيسَى بن مَرْيَم وَآتَيْنَاهُ الانجيل فيه هدى وَنور﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَآتينا عيسَى بن مَرْيَم﴾ وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا ثَبَتَ في الصَّحيحَيْن : «مَا منْ مَوْلُود إلاَّ وَالشَّيْطَانُ يَطْعَنُ في خَاصرَته حينَ يُولَدُ فَيَسْتَهلُّ صَارخًا إلاَّ مَرْيَمَ وَابْنَهَا ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ في الْحِجَاب» وَتَقَدَّمَ حَديثُ عُمَيْر بْن هَانئ]عَنْ جُنَادَةَ ، عَنْ عُبَادَةَ عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ أَنَّهُ قَالَ «مَنْ شَهدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شريك لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عبد الله وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عيسَى عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ وَكَلمَتُهُ الَّتي أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منْهُ ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ منَ الْعَمَل» .

قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثير ، أَنْبَأَنَا إسْرَائيلُ ، عَنْ عُثْمَانَ بْن الْمُغيرَة ، عَنْ مُجَاهد ، عَن ابْن عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «رَأَيْتُ عيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهيمَ .

فَأَمَّا عيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ[1] عَريضُ الصَّدْر .

وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسيمٌ سَبْطٌ[2] كَأَنَّهُ منْ رجَال الزُّطِّ» .

مولد رسول الله ﷺ

أخبر أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببغداد ثنا يحيى بن معين ثنا حجاج بن محمد عن يونس بن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل .

قال أبو حاتم : ولد النبي ﷺ عام الفيل يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في اليوم الذي بعث الله طيرا أبابيل على أصحاب الفيل ، وكان من شأن الفيل أن ملكا كان باليمن غلب عليها وكان أصله من الحبشة يقال له «أبرهة»[3] بنى كنيسة بصنعاء فسماها «القليس» وزعم أنه مات «أبو رغال» وهو

---

(١) الْمُتَوَسّط بَين الطول وَالْقصر .

(٢) السبط : المسترسل الشّعْر .

(٣) أبرهة الحبشي ويقال له أيضاً أبرهة الأشرم هو قائد عسكري من مملكة أكسوم وأعلن نفسه ملكا على حِميَّر .

الذي رجم قبره ، وبعث أبرهة من المغمس رجلا يقال له الأسود بن مقصود على مقدمة خيله ، فجمع إليه أهل الحرم ، وأصاب لعبد المطلب[1] مائتي بعير بالأراك ، ثم بعث أبرهة حناطة الحميري إلى أهل مكة فقال : سل عن شريفها ثم أبلغه أني لم آت لقتال ، إنما جئت لأهدم هذا البيت ، فانطلق حناطة حتى دخل مكة ، فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال : إن الملك أرسلني إليك ليخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه ، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم ، فقال عبد المطلب ما عندنا له قتال ، فقال : سنخلي بينه وبين البيت ، فإن خلى الله بينه وبينه فو الله ما لنا به قوة! قال : فانطلق معي إليه ، قال : فخرج معه حتى قدم المعسكر وكان «ذو نفر» صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال : يا ذا نفر! هل عندكم من غناء فيما نزل بنا؟ فقال :

ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة وعشية ، ولكن سأبعث لك إلى أنيس سائس الفيل فأمره أن يضع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده ، قال : فأرسل إلى أنيس فأتاه ، فقال : إن هذا سيد قريش ، صاحب عين مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير ، فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لي ، فدخل أنيس على أبرهة فقال : أيها الملك! هذا سيد قريش وصاحب عين مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له ، فقد جاءك غير ناصب لك ولا مخالف عليك . فأذن له ، وكان عبد المطلب رجلا عظيما جسيما وسيما ، فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه ، وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته ، فهبط إلى البساط فجلس عليه معه ، فقال له عبد المطلب : أيها الملك إنك قد أصبت لي مالا عظيما فأردده عليّ ، فقال له : لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك ، قال : ولم؟ قال : جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وعصمتكم ومنعتكم لأهدمه فلم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك! قال : أنا رب هذه الإبل ، ولهذا البيت رب سيمنعه! قال : ما كان ليمنعه مني! قال : فأنت وذاك! قال : فأمر بإبله فردت عليه ، ثم خرج عبد المطلب وأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ، وأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وعبّى جيشه وقرّب فيله وحمل عليه ما أراد أن يحمل وهو قائم ، فلما حرّكه وقف وكاد أن يرزم إلى الأرض فيبرك ،

---

(١) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، جد رسول الله .

فضربوه بالمعول في رأسه فأبى ، فأدخلوا محاجنهم تحت أقرانه ومرافقه فأبى ، فوجهوه إلى اليمن فهرول ، فصرفوه إلى الحرم فوقف ، ولحق الفيل بجبل من تلك الجبال ، فأرسل الله الطير من البحر كالبلسان ، مع كل طير ثلاثة أحجار : حجران في رجليه ، وحجر في منقاره ، ويحملن أمثال الحمص والعدس من الحجارة ، فإذا غشين القوم أرسلنها عليهم ، فلم تصب تلك الحجارة أحد إلا هلك ، وليس كل القوم أصاب فذلك قول الله تعالى أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ السورة كلها ، وبعث الله على أبرهة داء في جسده ، ورجعوا سراعا يتساقطون في كل بلد ، وجعل أبرهة تتساقط أنامله ، كلما سقطت أنملة اتبعها مدة من قيح ودم فانتهى إلى اليمن وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه ثم مات ، فلما هلك استخلف ابنه يكسوم بن أبرهة ، وسميت هذه السنة «سنة الفيل» .

خروج النبي ﷺ إلى الشام

الحسن بن سفيان[(١)] قال : خرج أبو طالب[(٢)] إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ وأشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب طووا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب . وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت ، فأتاهم وهم يحلون رواحلهم وأحلاسهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال هذا سيد العالمين! هذا رسول رب العالمين! هذا يبعثه الله رحمة للعالمين! فقال له أشياخ من قريش : ما علمك؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ، ولا يسجدون إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ؛ ثم رجع فصنع لهم طعاما ، فلما أتاهم به وكان هو ﷺ في رعية الإبل قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله ، فقال : انظروا إليه ، عليه غمامة تظله!

---

(١) الحسن بن سفيان بن عامر الشيباني النسوي ، أبو العباس : مصنف (المسند) في الحديث . كان محدث خراسان في عصره ، مقدما في الفقه والأدب .

(٢) أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب الهاشمي القرشي الكناني ، يُكنّى بأبي طالب ، هو عم النبي محمد وكافله (٥٤٠ م - ٦١٩ م) . قال عنه ابنه الإمام علي : «والله ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطّلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطّ» ، قيل له : فما كانوا يعبدون؟ قال : «كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم متمسّكين به» .

فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال عليه ، قال : فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم لو رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم؟ قالوا : جئنا إن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا وقد بعث إليه ناس ، وإنا أخبرنا بخبره فبعثنا إلى طريقك هذا ، فقال لهم : «أفرأيتم أمرا إذا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟» قالوا : لا ، فتابعوه وأقاموا معه ، قال :

فأتاهم فقال لهم : «أنشدكم بالله! أيكم وليه؟» قال»

أبو طالب : أنا ، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت .

قال أبو حاتم : فقدم رسول الله ﷺ بمكة ، وكانت سفرته الثانية بعدها مع ميسرة غلام خديجة[1] ، ثم تزوج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد وهو ابن خمس وعشرين سنة وخويلد هو ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن معيص عامر بن لؤي بن غالب وكانت قبل أن يتزوج بها رسول الله ﷺ تحت أبي هالة أخي بني تميم ، ثم كانت تحت عتيق ابن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان السبب في ذلك أن خديجة كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه ، وكانت قريش قوما تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظيم أمانته وكريم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا ، وتعطيه

---

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية (٦٨ ق .هـ - ٣ ق .هـ/ ٥٥٦م - ٦٢٠م) أم المؤمنين وأولى زوجات النبي محمد وأم كل أبنائه ما عدا ولده إبراهيم ،]تزوجت خديجة قبل زواجها بالنبي مرتين ، الأولى من عتيق بن عابد المخزومي الذي مات عنها ، ثم تزوجت بأبي هالة بن النباش بن زرارة التميمي حليف بني عبد الدار فمات عنها أيضاً ، وأنجبت من كليهما ، كانت خديجة من أغنياء قريش وأكرمهم نسبًا ، وعُرف عنها طيب أخلاقها ورجاحة عقلها ، وكانت تلقب بالطَّاهرة ، تزوجت خديجة من الرسول وهي في عمر الأربعين وكان في عمر الخامسة والعشرين ، وأنجبت له ستة أبناء : القاسم وعبد الله وزينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة .

أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له «ميسرة» فقبله منها رسول الله ﷺ ، وخرج في مالها معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام ، نزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فأطلع الراهب إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحريري ظلا على رأس رسول الله ﷺ من الشمس وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به ، وأخبرها ميسرة عن قول الراهب وعن ما كان من أمر الإضلال ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ؛ فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها بعثت إلى رسول الله ﷺ وقالت : إني قد رغبت فيك وفي قرابتك وفي أمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك ﷺ لأعمامه ، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب[١] عمه حتى دخل على خويلد ابن أسد فخطبها إليه ، فزوجها من رسول الله ﷺ ؛ فولد له منها زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، والقاسم وكان به يكنى والطاهر والطيب فهلكوا قبل الوحي .

وأما البنات فكلهن أسلمن وهاجرن إلى المدينة ، وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد[٢]- وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس- ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان من الإظلال عليه ، فقال ورقة : إن كان هذا حقا يا خديجة إن محمدا لنبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن بهذه الأمة سيظهر في هذا الوقت .

---

(١) حمزة بن عبد المطلب الهاشمي القرشي صحابي من صحابة رسول الإسلام محمد ، وعمُّه وأخوه من الرضاعة وأحد وزرائه الأربعة عشر ، وهو خير أعمامه لقوله : «خَيْرُ إِخْوَتِي عَلِيٌّ ، وَخَيْرُ أَعْمَامِي حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» .

(٢) ورقة بن نوفل الأسدي القرشي شخصية تاريخية ، ورد ذكره في أكثر من مؤلف سواء عند مؤرخين مسلمين ومسيحيين . أتفق معظمها أنه كان يقرأ الإنجيل . كان حنيفا موحدا في عصر الجاهلية . وتقول روايات أنه كان نصرانيا .

الإسراء برسول الله ﷺ ليلة المعراج

أخبر الحسن بن سفيان الشيباني وأحمد بن علي بن المثنى التميمي وعمران بن موسى بن مجاشع السختياني قالوا : حدثنا هدبة بن خالد القيسي حدثنا همام ابن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال : «بينا أنا في الحطيم- وربما قال في الحجر- مضطجع إذ أتاني جبريل[1] فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبي ثم أعيد ، ثم أتيت بدابّة دون البغل وفوق الحمار ، يضع خطوة عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟

قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتح ، فلما»

خلصت إذا»

فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه ، فرد علي السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح! ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل : ما هذا؟

قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتح له فلما خلصت إذا نحن بعيسى ويحيى وهما ابنا الخالة ، قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، قال : فسلمت وردا ، ثم قالا : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح! ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل؟ قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبا

(١) جبريل أو جبرائيل ومعناها بالعبرية رجل الله فكلمة جبرَ تعني رجل وكلمة إل تعني الله ، فهو كخادم الله الخاص ولله المثل الأعلى . يؤمن المسلمون بأن جبريل (وتكتب وتنطق كما في بعض القراءات القرآنيه هكذا : جبرائيل) هو ملك سماوي مخلوق من نور نزل بالوحي على الأنبياء بأمر الله كما هو الحال مع القرآن الذي نزل به على الرسول محمد بن عبد الله . ومعنى كلمة جبريل فهي عبد الله ، أخرج البخاري عن عكرمة قال : جبر وميك وسراف : عبد ، إيل الله

بالأخ الصالح والنبي الصالح! ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتح ، فلما خلصت فإذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح! ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال :

محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتح ، فلما خلصت إذا بهارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، قال :

فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح! ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل :

ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به! فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد وقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح! فلما تجاوزت بكى ، قال : ما يبكيك؟ قال : أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ، ثم صعد بي حتى أتى السماء السابعة فاستفتح ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل مرحبا به! فنعم المجيء جاء! ففتحت ، فلما خلصت إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح! ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال :

هذه سدرة المنتهى ، قال ، فإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان ، فقلت : ما هذان يا جبريل قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ؛ ثم رفع إلى البيت المعمور ، ثم أتى بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال : هي الفطرة وأنت عليها وأمتك ، ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت بموسى فقال : بما أمرت؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت؟

قلت : أمرت بأربعين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، إني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت؟

قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، فإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عشرا ، فرجعت إلى موسى ، قال : بما أمرت؟ قلت : أمرت بعشرين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، ثم رجعت إلى موسى ، فقال :

بما أمرت؟ قلت : أمرت بعشر صلوات كل يوم ؛ قال : إن أمتك لا تستطيع عشر صلاة كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة . فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم ، فلما جاوزت ناداني مناد : أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي .

قال أبو حاتم : أسرى النبي ﷺ إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السماء ، وفرض عليه خمس صلوات ، ثم بعث الله جبريل ليؤم رسول الله ﷺ عند البيت ويعلمه أوقات الصلوات ، فلما كان الظهر نودي : إن الصلاة جامعة ، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم ، فصلى بهم حين زالت الشمس على مثل الشراك ، يؤم جبريل محمدا ويؤم محمد الناس ، ثم صلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى به المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى به العشاء حين غاب الشفق ، ثم صلى به الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم .

ثم صلى به الظهر من الغد حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثليه ، ثم صلى به المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى به

العشاء حين ذهب ثلث الليل ، ثم صلى به الفجر حين أسفر ، ثم التفت جبريل إلى محمد ﷺ ثم قال : يا محمد! هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك ، الوقت فيما بين هذين الوقتين .

هجرة رسول الله ﷺ إلى يثرب

عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما حرتان» ، فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر رسول الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين ، وتجهز أبو بكر مهاجرا ، فقال له رسول الله ﷺ : على رسلك ، فإني أرجو أن يؤذن ، فقال أبو بكر : وترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال : نعم ، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ لصحبته وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر ؛ قالت عائشة : فبينا نحن جلوس يوما في بيتنا في نحر الظهيرة فقال قائل لأبي : هذا رسول الله ﷺ مقبل متقنعا ، في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، قال أبو بكر : فداه أبي وأمي! إن جاء به في هذه الساعة إلا لأمر! قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن ، فأذن له فدخل ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : «أخرج من عندك» ، قال أبو بكر : إنما هو أهلك بأبي أنت يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ : «فإنه قد أذن لي بالخروج» ، فقال أبو بكر : فالصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ : «نعم» ، فقال أبو بكر : بأبي أنت يا رسول الله! خذ إحدى راحلتيّ هاتين ، فقال رسول الله ﷺ : «بالثمن» ؛ قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر من نطاقها فأوكت به الجراب ، فلذلك كانت تسمى ذات النطاق ، ولحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل يقال له : ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال .

قال أبو حاتم : لما أمر الله جل وعلا رسوله ﷺ بالهجرة استأجر رسول الله ﷺ رجلا من بني الديل وهو من بني عدي هاديا خريتا[1] قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش ، فأمناه ودفعا إليه راحلتيهما وأوعداه بغار ثور بعد ثلاث ، وخرج ﷺ وأبو بكر حتى أتيا الغار في جبل ثور كمنا فيه ، وخرج

(١) الخريت : الماهر بالهداية

المشركون يطلبونهما حتى جاءوا إلى الجبل وأشرفوا على الغار، فقال أبو بكر: يا رسول الله! لو أبصر أحدهم تحت قدمه لأبصرنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، فأعمى الله أعينهم عن رسول الله ﷺ، فلما أيسوا رجعوا، ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاث ليال؛ يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر الصديق وهو غلام شاب، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح بمكة مع قريش كبائت بها، فلا يسمع أمرا يكاد به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط للكلام؛ ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منيحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل، يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث؛ ثم خرج النبي ﷺ بعد ثلاث، معه أبو بكر وعامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم الدليل طريق الساحل فاجتنوا ليلتهم حتى أظهروا وقام الظهيرة رمى أبو بكر بصره هل يرى ظلا يأوون إليه، فإذا هم بصخرة فانتهوا إليها فإذا بقية ظلها، فسوى أبو بكر ثم فرش لرسول الله ﷺ ثم قال: اضطجع يا رسول الله! فاضطجع، ثم ذهب ينظر هل يرى من الطلب أحدا، فإذا هو براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي يريدون من الظل، فسأله أبو بكر: لمن أنت يا غلام؛ قال: لفلان–رجل من قريش، فعرفه أبو بكر فقال: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، فقال: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فأمره فاعتقل شاة من غنمه وأمره أن ينفض عنها من الغبار، فحلب له كثبة من لبن، وكان معه إداوة لرسول الله ﷺ على فمها خرقة، فصب اللبن حتى برد أسفله ثم ملأها، فانتهى بها إلى رسول الله ﷺ وقد استيقظ فقال: اشرب يا رسول الله! فشرب وشرب أبو بكر، فقال أبو بكر: قد أتى الرجل يا رسول الله! قال: لا تحزن، والقوم يطلبونهم؛ قال سراقة بن مالك بن جعشم[1]: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل

---

(١) سراقة بن مالك المدلجي الكناني، سيد بني مدلج وأحد أشراف قبيلة كنانة وصحابي جليل قائف يقتص الأثر لحق بالرسول محمد وصاحبه أبي بكر الصديق في الهجرة وهو يومئذ مشرك طمعا في جائزة قريش، فلما وصل للرسول انغرست قدما فرسه في الوحل فطلب من رسول الله أن يدعوا الله لينجيه مما هو فيه على أن يرجع عنهم ويعمي عنهم الطلب فدعا له رسول الله ثم قال له: سراقة بن مالك المدلجي كيف بك إِذا لبست سِوَارَيْ كسرى ومِنْطَقَتَه وتاجه، فقال سراقة: كسرى بن هرمز؟ فقال رسول الله نعم ثم انصرف سراقة، فلما فتح سعد بن أبي وقاص المدائن في زمن خلافة =

واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فقال سراقة : فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل فقال : يا سراقة! إني رأيت آنفا أسودة بالساحل ، أراها محمدا وأصحابه ، قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت لهم : إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في مجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحططت بزجة الأرض حتى أتيت فرسي ، فركبتها ودفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم ، فعرد بي[١] فرسي فخررت عنها ، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي ، فاستخرجت منها الأزلام فاستسقمت بها أخرج أم لا! فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصيت الأزلام ، فقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت فلم تكن تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم بأخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم بالزاد والمتاع فلم يرزءاني[٢] ولم يسألاني إلا أنهما قالا :

أخف علينا ، فسألته أن يكتب لي كتاب موادعة وأمن ، فأمر أبا بكر ، فكتب لي في رق من أدم ، قال سراقة : والله لأعمين على من ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي فخذ منها سهما فإنك ستمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك ، فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا في إبلك وغنمك ، وانطلق راجعا إلى أصحابه ، ومضى رسول الله ﷺ فلقي الزبير بن العوام في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابا بيضاء .

ثم ساروا إلى خيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي وتجلس

= عمر بن الخطاب ، أرسل سواري كسرى وتاجه ضمن الغنائم إلى الخليفة فتحقق لسراقة وعد النبي له حيث ألبسه عمر سواري كسرى .

(١) أي هرب وفر .

(٢) أي لم يأخذ مني شيء .

بفناء الخيمة ثم تسقي وتطعم ، فينالونها تمرا ويشترون ، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ، فإذا ، القوم مرملون مسنتون ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر خيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت : فاحلبها ، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله عليه وقال :

«اللهم! بارك لها في شاتها» ، فتفاجت ودرت واجترت ، فدعا بإناء لها يربض الرهط ، فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقا أصحابه فشربوا حتى رووا وشرب آخرهم ، وقال : «ساقي القوم آخرهم شربا» ، فشربوا جميعا عللا بعد نهل حتى أراضوا ، ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء ، فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها ، فقل ما لبثت فجاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا له حفلا عجافا يتساوكن[١] هزلا ، مخهن قليل ، لا نقى بهن .

فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لك هذا والشاء عازب ولا حلوبة في البيت؟ فقالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، قال :

والله إني أراه صاحب قريش الذي نطلبه ، صفيه لي يا أم معبد! قالت : رأيت

خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن؟ قالت هي أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لي أن ، أحلبها»؟ قالت : نعم بأبي أنت وأمي! إن رأيت بها حلبا رجلا ظاهر الوضاءة مليح الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزره صلعة ، وسيم جسيم ، قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صهل ، أحور أكحل ، أزج أقرن ، رجل شديد سواد الشعر ، في عنقه سطع ، وفي لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرون ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا يتثنى من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا ، وله رفقاء يحفون ، به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تسارعوا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند ؛ قال : هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره! لو كنت وافقت لالتمست إلى أن أصحب ،

(١) أي يسرن سيرا ضعيفا .

ولأفعلنه إن وجدت إلى ذلك سبيلا . وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعونه ولا يدرون من يقوله ، وهو يقول :

جــزى اللهـــ رب الناس خير جزائـه ... رفيقـــين حـــلاّ خيمتـــي أم معبد
همـــا نزلا بالبـــــر وارتحـــلا بـــــه ... فأفلـــح مـــن أمسى رفيق محمـد
فيـــال قصـــى مـــا زوى الله عنكـم ... بـــه مـــن فعال لا تجازى وســودد
سلـــوا أختكـــم عن شاتهـــا وإنائهـا ... فإنكـــم إن تسألـــوا الشـــاة تشهد
دعاهـــا بشـــاة حائـــل فتحلبـــــت ... لـــه بصريـــح ضـــرة الشاة مزيـد
فغـــــادره رهنـــــا لديـــها لحالـــب ... يرددهـــا فـــي مصـــدر ثم مـــورد

فأجابه حسان بن ثابت

لقـــد خـــاب قوم زال عنهم نبيّهـــم ... وقـــد سرّ مـن يسري إليه ويغتدي
ترحّـــل عـــن قوم فضلّت عقولهـــم ... وحـــلّ علـــى قـــوم بنـــور مجدّد
وهـــل يستوي ضلال قـــوم تسكعـــوا ... عمـــي وهـــداة يهتـــدون بمهتدي
نبـــيّ يـــرى ما لا يرى الناس حولـه ... ويتلـــو كتـــاب الله في كل مشهد
وإن قـــال فـــي يـــوم مقالـــة غائـب ... فتصديقهـــا في ضحوة اليوم أو غد
ليهنـــئ أبـــا بكـــر سعـــادة جـــدّه ... بصحبتـــه من يسعد الله يسعـــد
ليهنـــئ بنـــي كعـــب مقـــام فتاتهم ... ومقعدهـــا للمؤمنـــــين بمرصـــد

فلما سمع المسلمون الأبيات خرج المسلمون سراعا فوجا فوجا يلحقون برسول الله ﷺ فأخذوا على خيمة أم معبد .

وسمع المسلمون بالمدينة بخروج النبي ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرون قدومه حتى يردّهم حرّ الظهيرة فكان أول من قدم عليهم من المهاجرين مصعب بن عمير[1] أخو بني عبد الدار بن قصي ، فقالوا : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال : هو وأصحابه على إثري ، ثم أتاهم بعده عمرو بن أم مكتوم الأعشى أخو بني

---

(١) مصعب بن عمير العبدري القرشي ، يكنى أبا محمد . كان من فضلاء الصحابة وخيارهم ، ومن السابقين إلى الإسلام ، أسلم في دار الأرقم ، وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه ، وكان يلتقي برسول الله سرا ، فبصر به عثمان بن طلحة العبدري يصلي ، فأعلم أهله وأمه ، فأخذوه فحبسوه ، فلم يزل محبوسا إلى أن هاجر إلى أرض الحبشة ، وعاد من الحبشة إلى مكة ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن الكريم ، ويصلي بهم .

فهر ، فقالوا : ما فعل من وراءك رسول الله وأصحابه؟ فقال : هم الآن على أثري ، ثم أتاهم بعده عمار بن ياسر[1] وسعد بن أبي وقاص[2] وعبد الله بن مسعود وبلال[3] ، ثم أتاهم عمر بن الخطاب في عشرين راكبا ، وكان رسول الله ﷺ حيث خرج من الغار سلك بهم الدليل أسفل من مكة ، ثم مضى بهم حتى جاوز بهم الساحل أسفل عسفان ، ثم استجاز بهم على أسفل أمج حتى عارض بهم الطريق ، ثم أجاز بهم فسلك بهم الخرار ، ثم أجاز بهم ثنية المرة ، ثم سلك بهم القفا ، ثم أجاز بهم مدلجة لفف ، ثم استبطن بهم مدلجة لفف ، ثم استبطن بهم مدلجة مجاج ، ثم سلك مرجح من ذي العضوين ثم بطن ذي كشد ، ثم أخذ بهما الجداجد ثم الأجرد ، ثم سلك بهم بطن أعداء ثم مدلجة تعهن ثم العبابيد ثم الفاجة ثم العرج ثم بطن العائر ثم بطن ريم ، ثم رحلوا من بطن ريم ونزلوا بعض حرار المدينة ؛ وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، وبعثوا رجلا من أهل البادية يؤذن بهم الأنصار ، فجاء البدوي وآذن بهم الأنصار ، وصعد رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فنظر إلى رسول الله ﷺ مبيضين؟ فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب! هذا جدكم الذي تنتظرون! فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة وهم خمسمائة رجل من الأنصار ، فتلقى الناس والعواتق فوق الأجاجير ، والصبيان والولائد يقولون :

طلع البدر علينـــا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا للــــه داع

وأخذت الحبشة يلعبون بحرابهم لقدوم رسول الله ﷺ فرحا بذلك .

---

(١) عمار بن ياسر العنسي المذحجي ، هو صحابي من أصحاب النبي محمد ومن السابقين إلى الإسلام .

(٢) سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي صحابي من أوائل من دخلوا في الإسلام وكان في السابعة عشر من عمره ، ولم يسبقه في الإسلام إلا أبو بكر وعلي وزيد وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٣) بلال بن رباح الحبشي ، أبو عبد الله ، صحابي من السابقين إلى الإسلام كان مولى أو عبدا لبني جمح من قريش أعلن إسلامه فعذبه سيده أمية بن خلف الجمحي القرشي ، فابتاعه أبو بكر الصديق وأعتقه ، اشتهر بصبره على التعذيب وقولته الشهيرة تحت التعذيب «أحد أحد» .

عجوز في الجنة

كان النبي ﷺ يداعب أصحابه ويقابلهم بالابتسامة وكان لا يقول إلا حقاً وإن كان مازحاً .

وفي يوم من الأيام جاءت امرأة عجوز من الصحابيات إلى رسول الله ﷺ وقالت له : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة ، فداعبها ﷺ قائلاً : إن الجنة لا تدخلها عجوز ، فانصرفت العجوز باكية ، فقال النبي ﷺ للحاضرين : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، إن الله تعالى يقول ﴿إنَّا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً﴾ أي أنها حين تدخل الجنة سيعيد الله إليها شبابها وجمالها .»

بعينيه بياضاً

وقال زيد بن أسلم[1] : إن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلي النبي –صلي الله عليه وسلم– فقالت : إن زوجي يدعوك ، قال : «ومن هو ؟ أهو الذي بعينه بياض»؟ قالت : والله ما بعينه بياض فقال : «بلي إن بعينه بياضا» فقالت : لا والله ، فقال –ﷺ– : «ما من أحد إلا بعينه بياض» (أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح ، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف ، كما ذكر العراقي في تخريج الإحياء) . وأراد به البياض المحيط بالحدقة .

وحدّثنا القرشيّ قال : دخلت امرأة على رسول الله ﷺ فقال : «من زوّجك»؟ فسمّته له ، فقال : «الذي في عينيه بياض»؟

---

(١) زيد بن أسلم هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني ، والده أسلم مولى عمر بن الخطاب ، من أئمة العلم والحديث ، كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الإسلام محمد بن عبد الله يدرس فيها الناس الفقة والحديث ، روى الحديث عن عبدالله بن عمر وجابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وعطاء بن يسار ، وتلقى على يديه مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي وسفيان بن عيينة . وصفه الإمام الذهبي بأنه الإمام الحجة القدوة الفقيه ، وقال البخاري : كان زين العابدين علي بن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم في المدينة ، فكلم في ذلك فقال : إنما يجلس الرجل إلى مَن ينفعه في دينه ، ظهر لزيد بن أسلم في مسند الإمام أحمد بن حنبل أكثر من مئتي حديث ، توفي سنة ١٣٦هـ .

فرجعت فجعلت تنظر الى زوجها ، فقال : ما لك؟
قالت : قال رسول الله ﷺ : «زوجك فلان»؟
قلت : نعم . قال : «الذي في عينيه بياض»؟
قال : أوليس البياض في عيني أكثر من السواد؟

لسان حسان

قال النبي صلّى الله عليه وآله لحسان بن ثابت[1] : ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته . ثم قال : «والله ما يسرني به مقول من معد ، والله إن لو وضعته على حجر لفلقه ، أو على شعر لحلقه»

أعرابي على قبر الرسول

وقف أعرابيٌ على قَبْر رسول الله ﷺ
فقال : قُلتَ فَقَبِلْنا ، وأمرتَ فحَفظنا ،
وبلَّغت عن ربك فسَمعْنا .
«ولَو أنهم إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهم جاءُوك
فاستَغْفرُوا الله واسْتَغْفر لهم الرَّسولُ لَوَجَدُوا الله تواباً رَحيَماً» .
وقد ظَلمنا أنفسنا وجِئْناك فاستَغفر لنا .
فما بَقِيت عينٌ إلا سالَتْ .

وصف السحابة

عَنْ مُوسَى بْنِ مُحَمَّد بْنِ إبْرَاهيمَ التَّميميِّ ، عَنْ أَبيه ، عَنْ جَدِّه قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ ذَاتَ يَوْم جَالسٌ مَعَ أَصْحَابه إذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ ، فَقَالُوا : يا رَسُولَ الله ، هَذه سَحَابَةٌ ، فَقَالَ : «كَيْفَ تَرَوْنَ قَوَاعدَهَا؟» .
قَالُوا : مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ تَمَكُّنَهَا! قَالَ : «وَكَيْفَ تَرَوْنَ رَحَاهَا؟» .

---

(١) حسان بن ثابت الأنصاري شاعر عربي وصحابي من الأنصار ، ينتمي إلى قبيلة الخزرج من أهل المدينة ، كما كان شاعرًا معتبرًا يفد على ملوك آل غسان في الشام قبل إسلامه ، ثم أسلم وصار شاعر الرسول بعد الهجرة . توفي أثناء خلافة علي بن أبي طالب بين عامي ٣٥ و٤٠ هـ .

قَالُوا : مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ اسْتِدَارَتَهَا! قَالَ : «وَكَيْفَ تَرَوْنَ بَوَاسِقَهَا؟» .

قَالُوا : مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ اسْتِقَامَتِهَا! قَالَ : «وَكَيْفَ تَرَوْنَ بَرْقَهَا أَوَمِيضًا أَمْ خَفِيًّا أَمْ يَشُقُّ شَقًّا؟» .

قَالُوا : بَلْ يَشُقُّ شَقًّا ، قَالَ : «فَكَيْفَ تَرَوْنَ جَوْنَهَا؟» .

قَالُوا : مَا أَحْسَنَهُ وَأَشَدَّ سَوَادَهُ! فقَالَ عَلَيْه السَّلامُ : «الْحَيَا» فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه ، مَا رَأَيْنَا الَّذي هُوَ منْكَ أَفْصَحُ ، قَالَ : «وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِي لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ»

ولد الناقة

حدّثنا أنس بن مالك[1] قال : جاء رجل الى النبي ﷺ ليستحمله فقال : «أنا حاملك على ولد ناقة» .

قال : يا رسول الله ، وما أصنع بولد ناقة؟

قال : «وهل تلد الإبل الا النوق؟» .

نحن من ماء

قال محمد بن إسحاق[2] : لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ، خرج هو ورجلٌ آخر تبعه ، فرأيا رجلاً ، فسألاه عن قريش وعن محمد وأصحابه ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما ؛ فقال رسول الله ﷺ : «إذا أخبرتنا أخبرناك» فقال الشيخ : بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا . ثم قال : ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ : «نحن من ماء» وكان العراق يسمى ماءً ، فأوهمه أنّه من العراق ، وإنّما أراد أنّه خلق من نطفة .

---

(١) أنس بن مالك النجاري الخزرجي خادم رسول الله محمد وصاحبه ، كان يتسمى بخادم رسول الله ويفتخر بذلك .

(٢) ابن إسحاق وهو الإمام أبو بكر محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار المدني . كان مولى لقيس بن مخرمة بن المطلب القرشي ، ولد في المدينة سنة ٨٥ هـ/٧٠٣م ، وبها نشأ ، وكان فتى جميلا وقرأ على علمائها ومحدثيها .

ما فعل شراد جملك؟

قال خوّات بن جبير[١] : نزلت مع رسول الله ﷺ مرّ فقال : «أبا عبد الله! ما فعل شرادُ جملك؟» ثمّ ارتحلنا ، فجعل لا يلحقني في الميسـر إلا قال : «السلام عليكم أبا عبد الله ، ما فعل شراد جملك؟» .

قال : فتعجلت إلى المدينة ، فاجتنبت المسجد ومجالسة رسول الله ﷺ ، فلما طال ذلك عليّ تحيّنت ساعة خلوة المسجد ، ثم أتيت المسجد ، فجعلت أصلي ، فخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره ، فجاء ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم جلس ، وطولت رجاء أن يذهب ويدعني ، فقال : «طوّل أبا عبد الله ما شئت ، فلست بقائم حتّى تنصرف» فقلت : والله لأعتذرنّ إلى رسول الله ﷺ ، ولأبرئن صدره ؛ فانصرفت ، فقال : «السلام عليكم أبا عبد الله ، ما فعل شرادُ الجمل؟» . فقلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذاك الجمل منذ أسلمت ، فقال : «رحمك الله» مرتين أو ثلاثاً ، ثم أمسك عني ، فلم يعد .

نعيمان يمازح النبي

عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : كان بالمدينة رجلٌ يقال له : نعيمان[٢] ، وكان لا يدخل المدينة طرفة إلاّ اشترى منها ، ثمّ جاء بها إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله هذا أهديته لك ؛ فإذا جاء صاحبه ، فطالب نعيمان

---

(١) خوات بن جبير بن أمية بن امرئ القيس ، وهو البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس ، الأنصاري الأوسي ، يكنى أبا عبد الله ، وقيل : أبو صالح . أصاب ساقه حجر فرجع ، فضرب له رسول الله بسهمه . وقال ابن إسحاق : لم يشهد خوات بدراً ، ولكن رسول الله ضرب له بسهمه مع أصحاب بدر ، ومثله قال ابن الكلبي . وهو صاحب ذات النحيين ، وهي امرأة من بني تيم الله كانت تبيع في الجاهلية ، وتضرب العرب المثل بها فتقول : أشغل من ذات النحيين ، وقد روي عن النبي ، صلاة الخوف ، و«ما أسكر كثيره فقليله حرام» . وتوفي بالمدينة سنة أربعين ، وعمره أربع وتسعون سنة ، وكان يخضب بالحناء ، والكتم .

(٢) النعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن النجار الأنصاري ، قال ابن سعد شهد بدرا وأحد والخندق والمشاهد كلها . وكان من صفاته كذلك حب الفكاهة والطرفة وخاصة مع النبي قالت أم سلمة : (كان الضحاك مضحاكا مزاحا) .

بثمنه ، جاء به إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله اعطِ هذا ثمن متاعه ، فيقول رسول الله ﷺ : «أو لم تهده لي؟» فيقول : يا رسول الله! والله لم يكن عندي ثمنه ، ولقد أحببت أن تأكله ؛ فيضحك رسول الله ﷺ ، ويأمر لصاحبه بثمنه .

بعينيه رمداً

عن عبد الجبار بن صيفي ، عن جدّه ، قال : إنّ صهيباً[1] قدم على النبيّ ﷺ ، وبين يديه تمرٌ وخبزٌ ، فقال : «ادن فكل» .

قال : فأخذ يأكل من التمر ، فقال النبي ﷺ : «إنّ بعينك رمداً» فقال : يا رسول الله! أنا آكل من الناحية الأخرى ؛ فتبسم النبي ﷺ .

عدد القوم

وعن على رضي الله عنه قال :

لما سار رسول الله ﷺ الى بدر وجدنا عندها رجلين : رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط . فأما القرشي فأفلت ، وأما مولى عقبة فأخذناه ، فجعلنا نقول له : كم القوم؟ فيقول : هو والله كثير عددهم ، شديد بأسهم .

فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به الى النبي ﷺ ، ثم ان النبي ﷺ سأله : كم ينحرون من الجزر؟

فقال : عشرا لكل يوم .

فقال رسول الله ﷺ : القوم ألف ، كل جزور لمئة وتبعها .

الجار المؤذي

وعن أبي هريرة قال :

قال رجل : يا رسول الله ، ان لي جارا يؤذيني .

فقال : انطلق وأخرج متاعك الى الطريق .

---

(١) صهيب الرومي وهو صهيب بن سنان النمري الربعي ، صحابي من صحابة النبي محمد أسلم مبكرا في دار الأرقم وجهر بإسلامه ولقي في ذلك تعذيبا من قريش . شهد جميع مشاهد وغزوات النبي محمد معه .

فانطلق وأخرج متاعه فاجتمع الناس عليه ، فقالوا ما شأنك؟

قال : لي جار يؤذيني ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : «انطلق وأخرج متاعك الى الطريق» .

فجعلوا يقولون : اللهم العنه ، اللهم اخزه .

فبلغه فأتاه ، فقال : ارجع الى منزلك فوالله لا أؤذيك .

العفو عن القاتل

وعن الحسن[1] أن رجلا أتى رسول الله ﷺ برجل قد قتل حميما له ، فقال له النبي ﷺ : «أتأخذ الدية؟»

قال : لا

قال : أفتعفوا؟

قال : لا .

قال : اذهب فاقتله!

فلما جاوزه الرجل قال رسول الله ﷺ : إن قتله فهو مثله .

فلحق الرجل رجلا فقال له : إن رسول الله ﷺ قال كذا ، فتركه وهو يجر نسعه في عنقه .

قال ابن قتيبة : لم يرد رسول الله ﷺ أنه مثله في المأثم واستيجاب النار ان قتله . وكيف يريد هذه وقد أباح الله عز زجلّ قتله بالقصاص ، ولكن كره رسول الله أن يقتص وأحب له العفو ، فعرّض تعريضا أوهمه به أنه ان هو قتله كان مثله في الاثم ليعفو عنه ، وكان مراده أن يقتل نفسا كما قتل الأوّل نفسا ، فهذا قاتل وهذ قاتل ، فقد استويا في قاتل وقاتل ، الا أ ، الأوّل ظالم والآخر مقتصّ .

---

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، سبط نبي الإسلام محمد وحفيده وثاني الأئمة عند الشيعة ،أطلق عليه النبي محمد لقب سيد شباب أهل الجنة ، كنيته أبو محمد ، ولد في النصف من شهر رمضان عام ٣ هـ وتوفي سنة ٥٠ هـ ودفن في البقيع .

شهادة بصدق النبي

عن خزيمة بن ثابت[١] أن النبي ﷺ ابتاع فرسا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه ، فأسرع النبي ﷺ في المشي ، وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي ، فيساومون الفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابي في السّوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي ﷺ ، فنادى الأعرابي النبي فقال :

إن كنت مبتاعا هذا الفرس فابتعه وإلا بعته .

فقام النبي فقال : أليس قد ابتعته منك؟

قال لا .

فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان . فطفق الأعرابي يقول : هلمّ شهيدا يشهد أني قد بايعتك .

فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : ويلك ، ان النبي ﷺ لا يقول إلا حقا ، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ومراجعة الأعرابي . فطفق الأعرابي يقول : هلمّ شهيدا يشهد أنى قد بايعتك .

فقال خزيمة : أنا أشهد أنك قد بايعته .

فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال : بما تشهد؟

فقال : بتصديقك يا رسول الله .

فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين .

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال لخزيمة : لم تشهد ولم تكن معنا؟ قال : يا رسول الله أنا أصدّقك بخبر السماء ، أفلا أصدّقك بما تقول؟

الحرب خدعة

ومن المنقول عن نعيم بن مسعود[٢] : بينما الناس على خوفهم يوم الأحزاب أتى

---

(١) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غيان بن عامر بن خطمة ابن جشم بن مالك بن الأوس ، الأنصاري الأوسي ، صاحب لقب ذو الشهادتين . ثم من بني خطمة ، وأمه كبشة بنت أوس من بني ساعدة ، يكنى أبا عمارة .

(٢) نعيم بن مسعود الأشجعي الغطفاني . صحابي أسلم قبل غزوة الخندق ثم عمل على التفريق بين قريش و اليهود وقومه غطفان .

نعيم بن مسعود رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ولم يعلم بي أحد من قومي ، مرني أمرك .

فقال له رسول الله ﷺ : انما أنت منا رجل واحد ، فخذّل عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة .

فانطلق نعيم حتى أتى بني قريظة فقال لهم : يا معشر قريظة _وكان لهم نديما في الجاهلية _اني لكم نديم وصديق ,قد عرفتم ذلك . قالوا صدقت ,قال : تعلمون والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة ,ان البلد لبلدكم ,به أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم ,وان قريشا وغطفان بلادهم غيرها ,وانما جاؤوا حتى نزلوا معكم, فان رأوا فرصة انتهزوها ,وان رأوا غير ذلك رجعوا الى بلادهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم ,وخلوا بينكم وبين الرجل فلا طاقة لكم به ,فان هم فعلوا ذلك فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم تستوثقون به ,ولا تبرحوا حتى تناجزوا محمدا .

فقالوا : لقد أشرت برأي ونصح .

ثم ذهب الى قريش فأتى أبا سفيان(١) وأشراف قريش ، فقال : يا معشر قريش ، انكم قد عرفتم ودّي ايّاكم وفراقي محمدا ودينه ، واني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا علي .

فقالوا : نفعل ، ما أنت عندما بمتهم .

فقال : تعلمون أن بني قريظة من يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، فبعثوا اليه : ألا يرضيك أن نأخذ لك من القوم رهنا من أشرافهم ، فندفعهم اليك ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك حتى نخرجهم من بلادك؟ فقال : بلى ، فان بعثوا اليكم يسألونكم نفرا من رجالكم ، فلا تعطوهم رجلا واحدا فاحذروا .

ثم جاء غطفان فقال : يا معشر غطفان ، قد علمتم أني رجل منكم .

قالوا : صدقت .

قال لهم كما قال لهذا الحي من قريش .

---

(١) أبو سفيان وهو صخر بن حرب الأموي القرشي الكناني ، سيد قبائل قريش وكنانة وأحد أشراف العرب وساداتهم في الجاهلية وصدر الإسلام ولد في مكة قبل عام الفيل بعشر سنين ، وأسلم يوم فتح مكة .

فلما أصبحوا بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل[١] في نفر من قريش : ان أبا سفيان يقول لكم يا معشر يهود ان الكراع والخف قد هلكا ، انا لسنا بدار مقام ، فاخرجوا الى محمد حتى نناجزه ، فبعثوا اليه أن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم ، لا تذهبوا وتدعونا نناجز محمدا .

فقال أبو سفيان : قد والله حذرنا نعيم . فبعث إليهم أبو سفيان : انا لا نعطيكم رجلا واحدا ، فان شئتم أن تخرجوا فتقاتلوا وإن شئتم فاقعدوا ، فقالت يهود : هذا والله الذي قال لنا نعيم . والله ما أراد القوم الا أن يقاتلوا محمدا فان أصابوا فرصة انتهزوها والا مضوا بلادهم وخلوا بيننا وبين الرجل ، فبعثوا إليهم : انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فأبوا ، فبعث الله تعالى الريح على أبي سفيان وأصحابه وغطفان فخذلهم الله عز وجلّ .

الراوي أشعب[٢]

قيل لأشعب : قد لقيت رجالاً من الصحابة رضي الله عنهم فلو حفظت أحاديث تتحدث بها ؟!!

فقال : أنا أعلم الناس بالحديث !!

قالوا : فحدثنا .

قال حدثني عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال رسول الله : «خلتان لا يجتمعان في مؤمن إلا دخل الجنة» ، ثم سكت !!

قالوا : هات ، ما الخلتان ؟!!!

قال : نسي عكرمة أحدهما . . ونسيت أنا الأخرى .

---

(١) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي الكناني كان سيدا من سادات بني قريش من قبيلة كنانة وكان من أشد المعادين لنبي المسلمين محمد وكنيته أبا الحكم ولكن أبو جهل كناه بها الوليد بن المغيرة وقيل محمد ﷺ وكان أبوه هشام بن المغيرة سيد بني مخزوم من كنانة في حرب الفجار ضد قبائل قيس عيلان .

(٢) شعيب بن جبير ، وقد ولد في سنة تسع من الهجرة ، وكان أبوه من مماليك عثمان بن عفان ، وقد عمر أشعب حتى أيام خلافة المهدي . وهو أحد ظرفاء أهل المدينة ، عرف بالطمع وكان له طرائف كثيرة ما زالت تروى في القصص الشعبية .

استخلاف أبي بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنه

قال الشيخ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي : واسمه عبد الله ولقبه عتيق ، واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأم أبي بكر أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب -أخو عمرو بن كعب- بن سعد بن تيم بن مرة بن لؤي بن غالب .

قال محمد بن الحسن بن قتيبة اللخمي بعسقلان : حدثنا محمد بن المتوكل ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : كنت عند عبد الرحمن بن عوف[١] في خلافة عمر بن الخطاب ، فلما كان في آخر حجة حجها عمر أتاني عبد الرحمن بن عوف في منزلي عشاء فقال : لو شهدت أمير المؤمنين اليوم وجاءه رجل وقال : يا أمير المؤمنين! إني سمعت فلانا يقول : لو مات أمير المؤمنين لبايعت فلانا ، فقال عمر : إني لقائم العشية في الناس ومحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا المسلمين أمرهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين :

إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، وإنهم الذين يغلبون على مجلسك ، وإني أخشى أن تقول فيهم اليوم مقالة لا يعونها ولا يضعونها مواضعها ، وأن يطيروا بها كل مطير ، ولكن أمهل يا أمير المؤمنين حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ودار الهجرة فتخلص بالمهاجرين والأنصار وتقول ما قلت متمكنا فيعون مقالتك ويضعونها مواضعها ، قال عمر : أما والله لأقومن به في أول مقام أقومه بالمدينة! قال ابن عباس : فلما قدمنا المدينة وجاء يوم الجمع هجّرت لما حدثني عبد الرحمن ابن عوف فوجدت سعيد بن زيد بن نفيل[٢] قد سبقني بالهجرة جالسا إلى جنب المنبر فجلست إلى جنبه تمس ركبتي ركبته ، فلما زالت الشمس خرج علينا عمر فقلت وهو مقبل : أما والله ليقولن اليوم أمير المؤمنين على هذا المنبر مقالة لم يقل عليه أحد قبله ، قال : فغضب سعيد بن زيد فقال : وأيّ مقال يقول لم يقل قبله؟ فلما ارتقى عمر المنبر أخذ

---

(١) الصحابي عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٢) الصحابي سعيد بن زيد العدوي القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، أسلم قبل أن يدخل النبي دار الأرقم .

المؤذن في أذانه فلما فرغ من أذانه قام عمر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد! فإني أريد أن أقول مقالة قد قدر لي أن أقولها ، لا أدري لعلها بين يدي أجلي ، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته ، ومن خشي أن لا يعيها فإني لا أحل لأحد أن يكذب عليّ : إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب ، وكان مما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، وإني خائف أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، ألا! وإن الرجم على من أحصن إذا زنى وقامت عليه البينة أو كان الحمل أو الاعتراف ، ثم إنا قد كنا نقرأ ولا ترغبوا عن آبائكم ثم إن رسول الله ﷺ قال : «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله» . ثم إنه بلغني أن فلانا منكم يقول : لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلانا ، فلا يغتر امرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك ، ألا وإن الله وقى شرها ودفع عن الإسلام والمسلمين ضرها ، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر وإنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله ﷺ ، إن عليا والزبير ومن تبعهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة وتخلفت عنا الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت : يا أبا بكر! انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم فلقينا رجلين صالحين من الأنصار شهدا بدرا فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء الأنصار ، قالا : فارجعوا فامضوا أمركم بينكم ، فقلت : والله لنأتينهم! فأتيناهم فإذا هم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة بين أظهرهم رجل مزمل ، قلت : من هذا؟ قالوا : سعد بن عبادة[1] ، قال : قلت : ما شأنه؟ قالوا : وجع» ، فقام خطيب الأنصار فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد! فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رهط منا وقد دفت إلينا دافة منكم وإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويحضنونا بأمر دوننا ، وقد كنت زورت في نفسي مقالة أريد أن أقوم بها بين يدي أبي بكر وكنت أداريء من أبي بكر بعض الحد وكان أوقر مني وأحلم ، فلما أردت الكلام قال : على رسلك! فكرهت أن أغضبه ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ووالله ما ترك

(١) سعد بن عبادة الأنصاري الساعدي الخزرجي أبو ثابت ، وقيل أبو قيس . زعيم الخزرج قبل الإسلام . صحابي أسلم مبكرا ، وشهد بيعة العقبة ، وعاش إلى جوار الرسول محمد .

كلمة قد كنت زورتها إلا جاء بها أو بأحسن منها في بديهته ثم قال : أما بعد! وأما ما ذكرتم فيكم من خير يا معشر الأنصار فأنتم له أهل ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب دارا ونسبا ، ولقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح ، فوالله ما كرهت مما قال شيئا غير هذه الكلمة ؛ كنت لأن أقدم فتضرب عنقي ، لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إليّ من أن أتأمرعلى قوم فيهم أبو بكر ، فلما قضى أبو بكر مقالته قام رجل من الأنصار فقال : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وإلا أجلنا الحرب فيما بيننا وبينكم خدعة ، قال معمر : فقال قتادة : قال عمر : فإنه لا يصلح سيفان في غمد ، ولكن منا الأمراء ومنكم الوزراء ، قال معمر عن الزهري في حديثه : فارتفعت الأصوات بيننا وكثر اللغط حتى أشفقت الاختلاف فقلت : يا أبا بكر! ابسط يدك أبايعك ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار ، قال : ونزونا على سعد بن عبادة حتى قال قائل منهم : قتلتم سعدا ، قال قلت : قتل الله سعدا! وأنا والله ما رأينا فيما حضرنا أمرا كان أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فأما أن نتابعهم على ما لا نرضى ، وإما أن نخالفهم فيكون فسادا فلا يغرن امرأ يقول : كانت بيعة أبي بكر فلتة ، وقد كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها وليس فيكم من يقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر ، فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فإنه لا يبايع هو ولا الذي بايعه بعده ؛ قال الزهري : وأخبرني عروة أن الرجلين اللذين لقياهما من الأنصار عويم بن ساعدة ومعن بن عدي ، والذي قال «أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب» الحباب بن المنذر .

قال أبو حاتم[1] : نظر المسلمون إلى أعظم أركان الدين وعماد الإسلام للمؤمنين فوجدوها الصلاة المفروضة ، وإن رسول الله ﷺ ولّى أبا بكر إقامتها في الأوقات المعلومات ، فرضي المسلمون للمسلمين ما رضي لهم رسول الله ﷺ فبايعوه طائعين

(١) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران ، الحنظلي الغطفاني ، من تميم بن حنظلة بن يربوع ، وقيل : عرف بالحنظلي لأنه كان يسكن في درب حنظلة ، بمدينة الري ، بدأ كتابة الحديث سنة تسع ومائتين أي وعمره أربع عشرة سنة ، ورحل في طلبه وهو صغير ، فرحل إلى الكوفة والبصرة وبغداد ودمشق وحمص ، ورحل إلى مصر وبقي في الرحلة زمانا .

في سائر الأركان، وبايعوه في السر والإعلان.

فلما كان اليوم الثاني قام عمر بن الخطاب على المنبر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس! إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا مني وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدا عهده إليّ رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيأمرنا بقول يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان قد هدى به أهله، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم: صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا إليه فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس! فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم بالبلاء، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم؛ قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

فلما فرغ الناس من بيعة أبي بكر وهو يوم الثلاثاء أقبلوا على جهازه ﷺ فاختلفوا في غسله فقالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم السبات حتى ما منهم أحد إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت- لا يدرى من هو- أن اغسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا فغسلوه وعليه قميصه، فأسنده عليّ إلى صدره، فكان العباس والفضل والقثم يقلبونه، وكان أسامة بن زيد وشقران مولياه يصبان عليه الماء وعليّ يغسله ويدلكه من ورائه لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: بأبي أنت وأمي! ما أطيبك حيا وميتا! ولم ير من رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، أدرج فيها إدراجا. ثم دخل الناس يصلون عليه أرسالا، بدأ به الرجال حتى إذا فرغوا أدخل»

النساء ثم أدخل الصبيان ثم أدخل العبيد، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد. وكان أبو عبيدة بن الجراح يحفر كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد ابن

سهل يحفر كحفر أهل المدينة وكان يلحد ، فدعا العباس بن عبد المطلب رجلين فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة ، وقال للآخر : اذهب إلى أبي طلحة ، فقال :

اللهم! خر لرسولك ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ . وكان المسلمون اختلفوا في دفنه فقائل يقول : ندفنه في مسجده ، وقائل يقول : ندفنه مع أصحابه ؛ فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض» ، فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه ، فحفر أبو طلحة تحته . ثم دفن ﷺ ليلة الأربعاء حين زاغت الشمس ، ونزل في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله ﷺ وطرح تحته قطيفة ، وكان آخرهم عهدا به قثم بن العباس ، وكان المغيرة بن شعبة يقول : لا بل أنا ، وكان يحكي قصة .

ثم قام أبو بكر في الناس خطيبا بعد خطبته الأولى فقال : الحمد لله أحمده وأومن بوحدانيته وأستعينه على أمركم كله سره وعلانيته ، ونعوذ بالله مما يأتي به الليل والنهار ، وترتكب عليه السر والجهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله حافظا ونصيرا ، وأن محمدا عبده ورسوله بالحق بشيرا ونذيرا قدام الساعة ، فمن أطاعه رشد ، ومن عصاه هلك وشرد ، فعليكم أيها الناس بتقوى الله! فإن أكيس الكيس التقوى ، وإن أحمق الحمق الفجور ، فاتبعوا كتاب الله واقبلوا نصيحته ، واقتدوا بسنة رسوله وخذوا شريعته ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وهو الحكيم العليم ، وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا واحذروا الخطايا التي لكل بني آدم فيها نصيب ، وتزودوا للآخرة فإن المصير إليها قريب ، ولكن خيركم من اتبع طاعة الله واجتنب معصيته ، فاحذروا يوما لا ينفع فيه من حميم ولا شفيع ، ولا حميم يطاع ، وليعمل عامل ما استطاع من عمل يقربه إلى ربه ، واعملوا من قبل أن لا تقدروا على العمل ، وإنّ الله لو شاء لخلقكم سدى ، ولكن جعلكم أئمة هدى ، فاتبعوا ما أمركم الله به واجتنبوا ما نهاكم عنه ، واعملوا الخير فإن قليله كثير نام مبارك ، واتقوا الله حق تقاته ، واحذروا ما حذركم في كتابه ، وتوقوا معصيته خشية من عقابه ، فليس فيها رغبة لأحد ، واستعفوا عما حرم الله وأمر باجتنابه ، وإياكم والمحقرات فإنها تقرب إلى الموجبات ، واعملوا قبل أن لا تعملوا ، وتوبوا من الخطايا التي لا يغسلها إلا الله برحمته ، وصلوا على نبيكم كما أمركم ربكم ؛ ثم قال : أيها الناس! إن الذي رأيتم مني لم يكن على حرص على ولايتكم ، ولكني خفت الفتنة والاختلاف فدخلت

فيها ، وهأنذا وقد رجع الأمر إلى أحسنه وكفى الله تلك الثائرة ، وهذا أمركم إليكم تولوا من أحببتم من الناس وأنا أجيبكم على ذلك ، وأكون كأحدكم ، فأجابه الناس : رضينا بك قسما وحظا إذ أنت ثاني اثنين مع رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر :

اللهم! صل على محمد والسلام على محمد ورحمة الله وبركاته ، اللهم! إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونؤمن بك ونخلع من يكفرك .

ثم نزل واستقام له الأمر بعد رسول الله ﷺ وبايعه الناس ورضوا به وسموه «خليفة رسول الله ﷺ» إلا شرذمة مع علي بن أبي طالب ، تخلفوا عن بيعته .

وكان أسامة بن زيد(١) يقول : أمرني رسول الله ﷺ أن أغير صباحا على أهل أبني(٢) ثم أمر أبو بكر أن يبعثوا بعث أسامة بن زيد فقال له الناس : إن العرب قد انتقضت عليك ، وإنك لا تصنع بتفرق المسلمين عنك شيئا ، قال : والذي نفس أبي بكر بيده! لو ظننت أن السباع أكلتني بهذه القرية لأنفذت هذا البعث الذي أمر رسول الله ﷺ بإنفاذه ، ثم قال أبو بكر لأسامة : إن تخلف معي عمر بن الخطاب فافعل ، فأذن له أسامة فتخلف عمر مع أبي بكر ومضى أسامة حتى أوطأهم ، ثم رجع فسمع به المسلمون فخرجوا مسرورين بقدومه ولواءه معقود حتى دخل المسجد فصلى ركعتين ثم دخل بيته ولواءه معقود ، ويقال : إنه لم يحل اللواء حتى توفي و وضعه في بيته .

ثم كتب أبو بكر الصديق كتابا إلى معاذ بن جبل(٣) يخبره بموت رسول الله ﷺ ، وبعثه مع عمار بن ياسر ، وقد كان معاذ أتى اليمن فبينا هو ذات ليلة على فراشه إذا هو

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي هو وأبوه صحابيان ، كنيته أبو محمد ، ويقال : أبو زيد . وأمه أم أيمن حاضنة محمد بن عبد الله نبي الإسلام ، ومولاه ، وابن مولاه ، قال ابن سعد : ولد أسامة في الإسلام ومات النبي وله عشرون سنة .

(٢) أبني : موضع بالشام من جهة البلقاء جاء ذكره في قول النبي ﷺ لأسامة بن زيد حيث أمره بالمسير إلى الشام وشن الغارة على أبني .

(٣) معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس ، يكنى أبا عبد الرحمن ، إمام فقيه ، وعالم ، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع الرسول محمد ﷺ ، وأردفه الرسول وراءه ، وشيعه ماشيًا في مخرجه وهو راكب ، وبعثه قاضيًا إلى الجند من اليمن بعد غزوة تبوك وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة ليعلِّم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم ، وكان له من الولد عبد الرحمن وأم عبد الله وولد آخر لم يذكر اسمه .

بهاتف يهتف عند رأسه : يا معاذ! كيف يهنئك العيش ومحمد في سكرات الموت؟ فوقف فزعا ، ما ظن إلا أن القيامة قد قامت ، فلما رأى السماء مصحية والنجوم ظاهرة استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم نودي الليلة الثانية : يا معاذ! كيف يهنئك العيش ومحمد بين أطباق الثرى؟ فجعل معاذ يده على رأسه وجعل يتردد في سكك صنعاء وينادي بأعلى صوته : يا أهل اليمن! ذروني لا حاجة لي في جواركم ، فما شر الأيام يوم جئتكم وفارقت رسول الله ﷺ! فخرج الشبان من الرجال والعواتق من النساء وقالوا : يا معاذ! ما الذي دهاك؟ فلم يلتفت إليهم وأتى منزله وشد على راحلته وأخذ جرابا فيه سويق وأداوة من ماء ثم قال : لا أنزل عن ناقتي هذه إن شاء الله إلا لوقت صلاة حتى آتي المدينة ، فبينا هو على ثلاثة مراحل من المدينة إذ لقيه عمار فعرفه بالبعير ، قال : اعلم يا معاذ أن محمدا قد ذاق الموت وفارق الدنيا ، فقال معاذ : يا أيها الهاتف في هذا الليل القار من أنت يرحمك الله! قال : أنا عمار بن ياسر ، قال : وأين تريد؟ قال : هذا كتاب أبي بكر إلى معاذ يعلمه أن محمدا قد مات وفارق الدنيا ، قال معاذ : فإلى من المهتدى والمشتكى؟ فمن لليتامى والأرامل والضعفاء؟ ثم سار ورجع عمار معه وجعل يقول : نشدتك بالله كيف أصحاب محمد قال : تركتهم كنعم بلا راع ، قال : كيف تركت المدينة ، قال : تركتها وهي أضيق على أهلها من الخاتم ، فلما كان قريبا من المدينة سمعت عجوزا وهي تذكر رسول الله ﷺ وهي تبكي ، فقالت : يا عبد الله! لو رأيت ابنته فاطمة وهي تبكي وتقول : يا أبتاه! إلى جبريل ننعاه! يا أبتاه! انقطع عنا أخبار السماء ، ولا ينزل الوحي إلينا من عند الله أبدا ، فدخل معاذ المدينة ليلا وأتى باب عائشة فدق عليها الباب فقالت : من هذا الذي يطرق بنا ليلا؟ قال : أنا معاذ بن جبل ، ففتحت الباب فقال : يا عائشة! كيف رأيت رسول الله ﷺ عند شدة وجعه؟

قالت : يا معاذ! لو رأيت رسول الله ﷺ يصفار مرة ويحمار أخرى ، يرفع يدا ويضع أخرى لما هنأك العيش طول أيام الدنيا! فبكى معاذ حتى خشي أن يكون الشيطان قد استفزه ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأتى أصحاب محمد ﷺ .

ثم ظهر طليحة في أرض بني أسد ومالت فزارة فيها عيينة بن حصن بن بدر مرتدين عن الإسلام وبايعه بنو عامر على مثل ذلك ، وتربصوا ينظرون الوقعة بين المسلمين وبين بني أسد وفزارة . وقد كان أمر رسول الله ﷺ الذين بعثهم على الصدقات قد جمعوا ما كان على الناس منها ، فلما بلغهم وفاة رسول الله ﷺ فأما

عدي بن حاتم فتمسك بالإسلام وبقي في يده الصدقات ، وكذلك الزبرقان بن بدر ، وأما مالك بن نويرة فأرسل ما في يده وقال لقومه : قد هلك هذا الرجل فشأنكم بأموالكم ، وقد كانت طيء وبنو سعد كلمهما عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فقالا - وهما كانا أحزم رأيا وأفضل في الإسلام رغبة من مالك بن نويرة- لقومهما : لا تعجلوا فإنه ليكونن لهذا الأمر قائم ، فإن كان ذلك كذلك ألقاكم ولم تبدلوا دينكم ولم تعزلوا أمركم ، وإن كان الذي تطلبون فلعمري إن ذلك أموالكم بأيديكم ، لا يغلبنكم عليها أحد غيركم ، وسكناهم بذلك حتى أتاهم خبر الناس واجتماعهم على أبي بكر بعد رسول الله ﷺ وبيعة المسلمين إياه فبعثا ما بأيديهم من الصدقة إلى أبي بكر ، فلم يزل أبو بكر يعرف فضلهما على من سواهما من المسلمين .

ثم جهز أبو بكر الجيش ليقاتل من كفر من العرب ، فترك إعطاء الصدقات وارتد عن الإسلام ، فقال له عمر : كيف تقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» ، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والذي نفس أبي بكر بيده! لو منعوني عقالا أو عناقا- كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه حتى آخذها ، قال عمر : فلما رأيت شرح صدر أبي بكر لقتالهم علمت أنه الحق . فأمر أبو بكر على الناس خالد بن الوليد وأمر ثابت بن قيس بن شماس على الناس الأنصار»

وجمع أمر الناس إلى خالد بن الوليد[(١)] ، ثم أمرهم أن يسيروا وسار معهم مشيعا حتى نزل ذا القصة من المدينة على بريد وأميال فضرب معسكره وعبأ جيشه ثم تقدم إلى خالد بن الوليد وقال : إذا غشيتم دارا من دور الناس فسمعتم أذانا للصلاة فأمسكوا عنها حتى تسألوهم ما الذي يعلمون ، وإن لم تسمعوا الأذان فشنوا الغارة واقتلوا وحرقوا ، ثم أمر خالد بن الوليد أن يصمد لطليحة وهو على ماء من مياه بني أسد ؛ وكان طليحة يدعي النبوة وينسج للناس الأكاذيب والأباطيل ويزعم أن جبريل يأتيه ، وكان يقول للناس : أيها الناس! إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئا ، واذكروا الله قعودا و قياما ، وجعل يعيب الصلاة ويقول : إن الصريح تحت

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي صحابي وقائد عسكري مسلم ، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول .

الرغوة ، وكان أول ما ابتلى من الناس طليحة أنه أصلب هو وأصحابه العطش في منزلهم فيه ، فقال طليحة فيما شجع لهم من أباطيله : اركبوا علالا يعني فرسا ، واضربوا أميالا تجدوا قلالا ؛ ففعلوا فوجدوا ماء ، فافتتن الأعراب به ، ثم قال أبو بكر لخالد بن الوليد : لآتيك من ناحية خيبر إن شاء الله فيمن بقي من المسلمين ، وأراد بذلك أبو بكر أن يبلغ الخبر الناس بخروجه إليهم ، ثم ودع خالدا ورجع إلى المدينة . ومضى خالد بالناس وكانت بنو فزارة وأسد يقولون : والله! لا نبايع أبا الفصيل – يعنون أبا بكر ، وكانت طيء على إسلامها ، لم تزل عنه مع عدي بن حاتم ومكنف بن زيد الخيل ، فكانا يكالبانها ويقولان لبني فزارة : والله! لا نزال نقاتلكم إن شاء الله ، فلما قرب خالد بن الوليد من القوم وبعث عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم أخا بني العجلان طليعة أمامه ، وخرج طليحة بن خويلد[1] المتنبىء وأخوه سلمة بن خويلد أيضا طليعة لمن وراءهما فالتقيا عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم فانفرد طليحة بعكاشة ، وسلمة بن خويلد بثابت ، فأما سلمة فلم يلبث ثابتا أن قتله ؛ ثم صرخ طليحة وقال : يا سلمة! أعني على الرجل فإنه قاتلي ، فاكتنفا عكشاة حتى قتلاه ، وكرا راجعين إلى من وراءهما ، فلما وصل خالد والمسلمون إلى ثابت بن أقرم وعكاشة بن محصن وهما قتيلان عظم ذلك على المسلمين وراءهم ، ثم مضى خالد حتى نزل على طيء في خللهم سلمى ؛ فضرب معسكره وانضم إليه من كان من المسلمين في تلك القبائل ، ثم تهيأ للقتال وسار إلى طليحة وهو على مائة ، والتقى معه طليحة في سبعمائة رجل من بني فزارة ، فاقتتلوا قتالا شديدا وطليحة متلفف في كساء له بفناء بيت له من شعر ، يتنبأ ويسجع ، فهز عيينة بن حصن الحرب وشد القتال ثم كر على طليحة فقال : هل جاءك جبريل بعد؟ قال : لا ، فرجع عيينة وقاتل حتى إذا هزته الحرب كر عليه ثانيا وقال : لا أبا لك! هل جاءك جبريل بعد؟ قال : نعم! قال : فماذا قال لك ، قال :

قال لي : إن لك رحى كرحاه ، وحديثا لا تنساه ، قال عيينة : أظن الله أنه قد علم أنه سيكون لك حديث لا تنساه يا بني فزارة هكذا ، فانصرفوا فهذا والله كذاب ،

(١) طليحة بن خويلد الأسدي من قادة حروب الردة بعد وفاة النبي محمد سنة ١١ هـ . ادّعى النبوة في قومه بني أسد وتبعه بعض طيء وغطفان في أرض نجد ، إلا أنه هزم مع أتباعه على يد خالد بن الوليد في معركة بزاخة ودخل الإسلام على إثر ذلك .

فانصرف وانصرفت معه فزارة وانهزم الناس ، وكان طليحة قد أعد فرسا له عنده وهيأ بعيرا لا مرأته النوار ، ثم اجتمعت إليه فزارة وهم مبارزون فقالوا : ما تأمرنا فلما سمع منهم ذلك استوى على فرسه وحمل امرأته على البعير ثم نجابها ، وقال لهم : من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت وينجو بأهله فليفعل . ثم سلك الحوشية حتى لحق بالشام وانصرفت فزارة ، وقتل منهم من قتل ، ثم دخلت القبائل في الإسلام على ما كانوا عليه من قبل .

الهادي

من المنقول عن أبي بكر رضي الله عنه :

لّما هاجر رسول الله ﷺ يركب ، وأبو بكر رديفه . وكان أبو بكر يعرف الطريق لاختلافه الى الشام .

فكان يمرّ بالقوم فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر؟

فيقول : هاد يهديني .

وعن الحسن قال :

لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر من الغار لم يستقبلهما أحد يعرف أبا بكر الا قال له : من هذا معك يا أبا بكر؟ فيقول : دليل يدلّني الطريق .

صاحب رسول الله

عن أبي الدرداء[١] رضي الله عنه قال : كنت جالسا عند النبي ﷺ ، إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبي ﷺ : «أما صاحبكم فقد غامر» . فسلم ، وقال : «إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ ، فأقبلت إليك» . فقال عليه الصلاة والسلام : «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثا . ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر ، فسأل : «أثمّ أبو بكر؟» فقالوا : لا . فأتى إلى النبي ﷺ فسلم ، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعرّ ،

(١) أبو الدرداء الانصاري هو عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي ، صحابي من الأنصار يلقب بحكيم الأمة ، أسلم يوم بدر ، كان تاجرا في المدينة المنورة وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي . ولاه معاوية بن أبي سفيان قضاء دمشق بأمر من عمر بن الخطاب .

حتى أشفق أبو بكر ، فجثا على ركبتيه فقال : «يا رسول الله ، والله أنا كنت أظلم مرتين» . فقال النبي ﷺ : «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» . مرتين ، فما أوذي بعدها

لا عافاك الله

مرّ رجل بأبي بكر ومعه ثوب ، فقال : أتبيع الثوب؟ فقال : لا عافاك الله . فقال أبو بكر رضي الله عنه : لقد علّمتم لو كنتم تعلمون . قل :

لا ، وعافاك الله .

على فراش الموت

قال أبو العباس : ومما يؤثر من حكيم الأخبار ، وبارع الآداب ، ما حدثنا به عن عبد الرحمن بن عوف وهو أنه قال :

دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رحمة الله عليه في علته التي مات فيها ،
فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله ،
فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ،
ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي .
إني ولّيْتُ أموركم خيركم في نفسي ،
فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه ،
والله لتتخذن نضائد الديباج ، وستور الحرير ،
ولتألمن النوم على الصوف الأذربي كما يألم أحدكم
النوم على حسك السعدان ،
والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه
في غير حدٍّ خير له من أن يخوض غمرات الدنيا .
يا هادي الطريق جرت ، إنما هو والله الفجر أو البحر .
فقلت : خفض عليك يا خليفة رسول الله ،
فإن هذا يهيضك إلى ما بك ، فوالله ما زلت صالحاً مصلحاً ،
لا تأس على شيء فاتك من أمر الدنيا ،
ولقد تخليت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً

استخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو حفص العدوي ، وأم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أخت أبي جهل بن هشام .

عن محمد بن القاسم الدقاق قال : حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا هارون بن زياد الحنائي حدثنا الحارث بن عمير عن حميد عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر» .

قال أبو حاتم : فلما حانت منية أبي بكر رحمة الله عليه اغتسل قبلها يوم الإثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما حتى قطعته العلة عن حضور الصلاة وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس ، وكان الناس يعودونه وهو في منزله الذي أقطع له النبي صلى الله عليه وسلم وجاه دار عثمان بن عفان اليوم ، فبينا هو في ليلة من الليالي عند نسائه أسماء بنت عميس وحبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير وبناته أسماء وعائشة وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر إذ قالت عائشة : أتريد أن تعهد إلى الناس عهدا؟ قال : نعم ، قالت : فبين للناس حتى يعرفوا الوالي بعدك ، قال : نعم ، قالت عائشة : إن أولى الناس بهذا الأمر بعدك عمر ، وقال عبد الرحمن بن أبي بكر : إن قريشا تحب ولاية عثمان بن عفان ، وتبغض ولاية عمر لغلظه ، فقال أبو بكر : نعم الوالي عمر ، وما هو بخير له أن يلي أمر أمة محمد ، أما إنه لا يقوى عليهم غيره ، إن عمر رآني لينا فاشتد ، ولو كان واليا لـلان لأهل اللين واشتد على أهل الريب ، فلما أصبح دعا نفرا من المهاجرين والأنصار يستشيرهم في عمر ، منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فقال لعبد الرحمن بن عوف :

يا أبا محمد! أخبرني عن عمر ، فقال : يا خليفة رسول الله! هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة ، فقال لعبد الرحمن بن عوف :

ذلك لأنه رآني لينا فاشتد ، ولو آل إليه الأمر لترك كثيرا مما هو عليه اليوم ، إني إذا غضبت على الرجل أراني الرضا عنه وإذا لنت له أراني الشدة عليه ، لا تذكر يا أبا محمد مما ذكرت لك شيئا ، قال : نعم ، ثم دعا عثمان بن عفان فقال :

يا أبا عبد الله! أخبرني عن عمر ، فقال : أنت أخبر به ، فقال أبو بكر : فعليّ ذلك ، قال : إن علمي أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله ، قال : يرحمك الله يا أبا عبد الله! لا تذكر مما ذكرت لك شيئا ، قال : أفعل ، فقال له أبو بكر : لو تركته ما عدوتك ، وما أدري لعلي تاركه ، والخيرة له ألا يلي أمركم ، ولوددت أني خلو من أمركم ، وأني كنت فيمن مضى من سلفكم ؛ ثم قال لعثمان : اكتب : هذا ما عهد عليه أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ، أما بعد ؛ ثم أغمي عليه فذهب عنه فكتب عثمان : أما بعد ، فقد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا ، ثم أفاق أبو بكر فقال : اقرأ عليّ ، فقرأ عليه ذكر عمر ، فكبر أبو بكر فقال : جزاك الله عن الإسلام خيرا! ثم رفع أبو بكر يديه فقال : اللهم! وليته بغير أمر نبيك ، ولم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به ، وقد حضر من أمري ما قد حضر ، فاجتهدت لهم الرأي فوليت عليهم خيرهم لهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على رشدهم ، ولم أرد محاباة عمر ، فاجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وهدى الصالحين بعده وأصلح له رعيته ، وكتب بهذا العهد إلى الشام إلى المسلمين إلى أمراء الأجناد أن قد وليت عليكم خيركم ولم آل لنفسي ولا للمسلمين خيرا .

وأوصى أن تغسله أسماء بنت عميس[1] ، ثم نادى عمر بن الخطاب فقال له :

إني مستخلفك على أصحاب رسول الله ﷺ ، يا عمر : إن لله حقا في الليل لا يقبله في النهار ، وحقا في النهار لا يقبله في الليل ، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، يا عمر! إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الحق أن يكون ثقيلا ، يا عمر! إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الباطل أن يكون خفيفا ، يا عمر! إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا ، فلا ترغب رغبة فتتمنى على الله فيها ما ليس لك ، ولا ترهب رهبة تلقى فيها يديك ، يا عمر! إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم ردا عليهم ما كان من خير ، فإذا ذكرتهم قلت : لأرجو ألا أكون منهم ، وإنما ذكر أهل الجنة

(١) أسماء بنت عميس الخثعمية صحابية كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب ثم لأبي بكر الصديق ثم لعلي بن أبي طالب . هاجرت أسماء للحبشة ثم إلى يثرب ، لذا فتُكنّى بصاحبة الهجرتين .

بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء ، فإذا ذكرتهم قلت : أي عمل من أعمالهم أعمل! فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من الحاضر من الموت ولست بمعجزه .

وتوفي أبو بكر ﷺ ليلة الإثنين لسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة ، وله يوم مات اثنتان وستون سنة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوما ، وكان مرضه خمس عشرة ليلة ، وغسلته أسماء بنت عميس ، وكفن في ثلاثة أثواب ، ونزل في قبره عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ودفن ليلا بجنب رسول الله ﷺ ، وأراد ابن عمر أن ينزل قبر أبي بكر مع أبيه فقال له عمر : قد كفيت ، وكان أبو قحافة بمكة فسمع الهائعة[1] فقال : ما هذا؟ فقيل : مات ابنك ، فقال : رزء جليل ، فإلى من عهد؟ قالوا : لعمر ، قال : صاحبه ؛ وورثه أبو قحافة السدس ، وكان من عمال أبي بكر يوم توفي عتاب بن أسيد على مكة ، وعثمان بن أبي العاص على الطائف ، والعلاء بن الحضرمي على البحرين ، ويعلى بن أمية على خولان ، ومهاجر بن أبي أمية على صنعاء ، وزياد بن لبيد على حضر موت ، وعمرو بن العاص[2] على فلسطين ، وعلى الشام أربعة نفر من الأجناد : خالد بن الوليد ، وأبوعبيدة بن الجراح[3] ، وشرحبيل بن حسنة[4] ، ويزيد بن أبي

---

(١) الصَّوتُ المفزع .

(٢) عمرو بن العاص السهمي القرشي الكناني (٥٩٢م - ٦٨٢م) ، أبو عبد الله ، ابن سيد بني سهم من قريش العاص بن وائل السهمي ، أرسلته قريش قبل إسلامه إلى الحبشة ليطلب من النجاشي تسليمه المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة فرارا من الكفار وإعادتهم إلى مكة لمحاسبتهم وردهم عن دينهم الجديد فلم يستجب له النجاشي . وبعد إسلامه فتح مصر بعد أن قهر الروم وأصبح والياً عليها بعد أن عينه عمر بن الخطاب . و أبرز ما عرف عن عمرو بن العاص أنه كان أدهى دهاة العرب في عصره ، فقد نقلت عن سعة حيلته و عبقرية تدبيره روايات تشبه الأساطير ، حتى ان الخليفة عمر بن الخطاب لقبه بأرطبون العرب .

(٣) أبو عبيدة بن الجراح الفهري القرشي ، صحابي جليل وأمين الأمة الإسلامية .

(٤) شُرَحبيل بن حسَنة يعتقد أنه نسب إلى أمه حسنة العدوية ولا يعرف شيء عن أبيه صحابي من صحابة النبي محمد صلى الله عليه و سلم ومن مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية وكان من قادة جيش أبي عبيدة بن الجراح وفاتح غور الأردن .

سفيان[١] ؛ ومات أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ في اليوم الذي دفن فيه أبو بكر .

ثم قام عمر بن الخطاب في الناس خطيبا وهي أول خطبة خطبها بعد ما استخلف ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس! إني لا أعلمكم من نفسي شيئا تجهلونه ، أنا عمر بن الخطاب وقد علمتم من هيئتي وشأني ، وإن بلاء الله عندي في الأمور كلها حسن ، وقد فارقني رسول الله ﷺ وهو عني راض بحمد الله ، ولم يجد عليّ في شيء من خلقي وأنا أسعد الناس بذلك إن شاء الله ، وقمت لخليفته من بعده بحق الطاعة وأحسنت له المؤازرة ، ولم أحرص على القيام عليكم كالذي حرص عليّ ولكن خليفتكم المتوفى أوصى إليّ بالخلافة عليكم برضى منكم ، وآلوه الهمة ، ذلكم وإياكم ، ولولا الذي أرجو أن يأجرني الله في قيامي عليكم لم أقم عليكم و لنحيته عن نفسي ووليته غيري ، وقد كنت أرى فيكم أمورا على عهد نبيكم ﷺ كدت أكرهها ، ويسوءني منكم ، فقد رأيتم تشددي فيها ، والأمر الذي أمر به من فوقي ، أريد طاعة الله وإقامة الدين فأطعتكم ، قد علمتم- أو من علم ذلك منكم- أني قد كنت أفعل ذلك وليس لي عليكم من سلطان وأكن أهن في شيء منه ، وقد ولاّني الله اليوم أمركم ولقد علمت أني أنفع بحضرتكم لكم ، فإني أسأل الله ربي أن يعينني عليه وأن يحرسني عندما بقي كما حرسني عند غيره ، وأن يلقنني العقل في قسمكم كالذي أمر به ، ثم إني مسلم وعبد من عبيده ضعيف إلا ما أعان الله ، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئا إن شاء الله ، وإنما العظمة لله ، ليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحد منكم : إن عمر بن الخطاب تغير لما ولي أمر المسلمين ، فمن ظلمته مظلمة فإني أعطيه الحق من نفسي وأتقدم عليكم وأبين لكم أمري ، أيما رجل كانت له حاجة إلى أمير المؤمنين أو ظلم بمظلمة أو عتب علينا في حق فليؤذني ، فإنما أنا امرؤ منكم ، ولم يحملني سلطاني الذي أنا عليه أن أتعظم عليكم ، وأغلق بابي دونكم ، وأترك مظالمكم بينكم ، وإذا منع الله أهل الفاقة منكم اليوم شيئا»

بعد اليوم فإنما هو فيء الله الذي أفاءه عليكم ، لست وإن كنت أمير المؤمنين ولن

---

(١) يزيد بن أبي سفيان الأموي القرشي ، أبو خالد ، صحابي جليل من فضلاء الصحابة استعمله النبي محمد على صدقات بني فراس من قبيلة كنانة وكانوا أخواله ، وهو أحد القادة الذين ارسلهم الخليفة أبو بكر الصديق لفتح بلاد الشام ويقال له يزيد الخير .

أخفى إبقاء ، إن كان بيني وبين أحد منكم خصومة أقاضيه إلى أحدكم ثم أقنع بالذي يقضي بيننا فاعلموا ذاك ، وإنكم قوم مسلمون على شريعة الإسلام ، ثم عليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم وحرماتكم التي حرم الله عليكم من دمائكم وأموالكم وأعراضكم ، وأعطوا الحق من أنفسكم ، ولا يحملن بعضكم بعضا إلى أن يوقع إلى السلطان شأنه ، فليستعد بي فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة ، من منع من نفسه حقا واجبا عليه أو استحل من دماء المسلمين وأعراضهم وأبشارهم فأنا أقتص منه وإن كان يدلي إليّ بقرابة قريبة ، ثم إنكم- معشر العرب- في كثير منكم جفاء في الدين وخرق في الأمور إلا من عصمه الله برحمة ، وإني قد جعلت بسبيل أمانة عظيمة أنا مسؤول عنها ، وإنكم- أيها الناس- لن تغنوا عني من الله شيئا ، وإني حثيث على صلاحكم ، عزيز عليّ ما عنتم ، حريص عليّ معافاتكم وإقامة أموركم ، وإنكم إناء من حصل في سبيل الله ، عامتكم أهل بلد لا زرع فيها ولاضرع إلا ما جاء الله به إليه ، وإن الله قد وعدكم كرامة كبيرة ودنيا بسيطة لكم ، وإني مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه ، ولا أستطيع ما بعد منها إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للشاهد والغائب ، ولست أجعل أمانتي إلى أحد ليس لها بأهل ، ولن أوليه ذلك ولا أجعله إلا من تكون رغبته في أداء الأمانة والتوقير للمسلمين ، أولئك أحق بها ممن سواهم ؛ اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولما ورد كتاب أبي بكر الشام على أمراء الأجناد باستخلاف عمر بايعوه وأطاعوه ؛ ثم ساروا إلى فحل من أرض الأردن وقد اجتمع بها الروم والمسلمون عليهم الأمراء الأربعة وخالد بن الوليد على مقدمة الناس ، فلما نزلت الروم بيسان بثقوا أنهارها وهي أرض سبخة فكانت وحلة فغشيها المسلمون ولم يعلموا بما فعلت الروم ، فزلقت فيها خيولهم ، ثم سلمهم الله ، والتقوا هم والروم بفحل فاقتتلوا فهربت الروم ودخل المسلمون فحلا ، وانكشفت الروم إلى دمشق ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة .

وكتب خالد بن الوليد إلى عمر أن الناس قد اجترأوا على الشراب ، فاستشار عمر أصحابه عليا وعثمان والزبير وسعدا فقال علي : إذا شرب سكر ، وإذا سكر افترى ، وإذا افترى فعليه ثمانون ، فأثبت عمر الحد ثمانين .

الفاروق والصديق

دخل عمر بن الخطاب على أبي بكرٍ الصديق
رضي الله عنهما في مرض موته ،
فقال : يا خليفة رسول الله ﷺ ،
لقد كلفت القوم بعدك تعباً ، ووليتهم نصباً ،
فهيهات من شق غبارك! وكيف باللحاق بك! .
وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأبوها يغمض :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل
فنظر إليها وقال : ذاك رسول الله ﷺ .
ثم أغمي عليه ، فقالت :
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فنظر إليها كالغضبان وقال : قولي :
«وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد» .
ثم قال : انظروا ملاءتيّ فاغسلوهما وكفنوني فيهما ،
فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت .
ووقفت رضي الله عنها على قبره رضي الله عنه
فقالت : نضّر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ،
فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها ،
وكنت للآخرة معزّاً بإقبالك عليها ،
ولئن كان أجلَّ الحوادث بعد رسول الله
ﷺ رُزْءُك ،
وأعظم المصائبِ بعده فقْدُك ،
إن كتاب الله لَيَعِدُ بحسن الصبر فيك
وحسن العوض منك ،
فإنا لَنَنْتَجِزُ موعود الله بحسن العزاء عليك ،
ونسْتَعيضه منك بالاستغفار لك .
أما لئن كانوا أقاموا بأمور الدنيا
لقد قمت بأمر الدين حين وهي شعبه ، وتفاقم صدعه ، ورجفت جوانبه .

فعليك السلام ورحمة الله توديع غير قالية ٍلك ، ولا زارية ٍعلى القضاء فيك . ثم انصرفت .

عن الخطاب

ذكر المغيرة بن شعبة[1] عمر بن الخطاب رحمه الله فقال : «كان والله أفضل من أن يَخدع ، وأعقل من أن يُخدع» .

فراسة عمر

وعن ابن عمر قال :

بينما عمر رضي الله عنه جالس إذ رأى رجلا ، فقال : قد كنت مرّة ذا فراسة ، وليس لي رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة شيئا . ادعوه لي .

فدعوه فقال : هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئا؟

قال : نعم .

موعظة عمرية

قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :

كان الرجل يظلم في الجاهلية فيدعو على من ظلمه

فيجاب عاجلاً ولا يرى ذلك في الإسلام ؛

فقال : هذا حاجز بينهم وبين الظلم ، وإن موعدكم الآن الساعة ، والساعة أدهى وأمر .

عمر والعجوز المدينية

قيل : لما رجع عمر ، رضي الله عنه ، من الشام إلى المدينة ، انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته ، فمر بعجوز في خباء لها فقصدها .

فقالت : ما فعل عمر رضي الله عنه ؟ قال : قد أقبل من الشام سالماً .

(١) أبو عبد الله هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ولد في ثقيف بالطائف ، وبها نشأ ، وكان كثير الأسفار ، أسلم عام الخندق بعدما قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك وفدوا معه على المقوقس في مصر ، وأخذ أموالهم ، فغرم دياتهم عمه عروة بن مسعود .

فقالت : يا هذا! لا جزاه الله خيراً عني! وقال : ولِمَ؟ قالت : لأنه ما أنالني من عطائه منذ ولي أمر المسلمين ديناراً ولا درهماً .

فقال : وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع؟ فقالت : سبحان الله! والله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس ، ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها .

فبكى عمر ﵁ ، وقال : وا عمراه ، كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر .

ثم قال لها : يا أمة الله! بكم تبيعيني ظلامتك من عمر ، فإني أرحمه من النار؟ فقالت : لا تهزأ بنا ، يرحمك الله .

فقال عمر : لست أهزأ بك .

ولم يزل حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً .

فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب ، ﵁ ، وعبد الله بن مسعود ، ﵁ ، فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين! فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت : وا سوأتاه! شتمت أمير المؤمنين في وجهه؟ فقال لها عمر ﵁ : لا بأس عليك ، يرحمك الله ، ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة إلى يوم كذا ، بخمسة وعشرين ديناراً . فما تدعي عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر بريء منه ، شهد على ذلك علي وابن مسعود .

ثم دفعها إلى ولده وقال له : إذا أنا مت فاجعلها في كفني ألقى بها ربي .

عمر والشاب القاتل وأبو ذَرّ[(١)]

قال شرف الدين حسين بن ريان : أغرب ما سمعته من الأخبار ، وأعجب ما نقلته عن الأخيار ، ممن كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين ، ويسمع كلامه قال : بينما الإمام جالس في بعض الأيام ، وعنده أكابر الصحابة ، وأهل الرأي والإصابة ، وهو يقول في القضايا ، ويحكم بين الرعايا ، إذ أقبل شاب نظيف

(١) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري الكناني ، أحد أكابر أصحاب رسول الله ، وهو رابع من دخل في الإسلام وقيل الخامس ، وأول من حيا رسول الله بتحية الإسلام ، وأحد الذين جهروا بالإسلام في مكة قبل الهجرة .

الأثواب ، يكتنفه شابان من أحسن الشبان ، نظيفا الثياب ، قد جذباه وسحباه وأوقفاه بين يدي أمير المؤمنين ، ولبباه . فلما وقفوا بين يديه ، نظر إليهما وإليه ، فأمرهما بالكف عنه . فأدنياه منه وقالا : يا أمير المؤمنين ، نحن أخوان شقيقان ، جديران باتباع الحق حقيقان . كان لنا أب شيخ كبير ، حسن التدبير ، معظم في قبائله ، منزه عن الرذائل ، معروف بفضائله ، ربانا صغاراً ، وأعزنا كباراً ، وأولانا نعماً غزاراً ، كما قيل :

لنا والدٌ لو كان للناس مثله أبٌ آخرٌ أغناهم بالمناقب

خرج اليوم إلى حديقة له يتنزه في أشجارها ، ويقطف يانع ثمارها ، فقتله هذا الشاب ، وعدل عن طريق الصواب . ونسألك القصاص بما جناه ، والحكم فيه بما أراك الله .

قال الراوي : فنظر عمر إلى الشاب وقال له : قد سمعت ، فما الجواب؟

والغلام مع ذلك ثابت الجأش ، خال من الاستيحاش ، قد خلع ثياب الهلع ، ونزع جلباب الجزع ، فتبسم عن مثل الجمان ، وتكلم بأفصح لسان ، وحياه بكلمات حسان ثم قال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد وعيا ما ادعيا ، وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى ، وعبرا بما ترى ، وسأنهي قصتي بين يديك والأمر فيها إليك : اعلم ، يا أمير المؤمنين ، أني من العرب العرباء ، أبيت في منزل البادية ، وأصيح على أسود السنين العادية ، فأقبلت إلى ظاهر هذا البلد بالأهل والمال والولد ، فأفضت بي بعض طرائقها ، إلى المسير بين حدائقها ، بنياق حبيبات إلي ، عزيزات علي ، بينهن فحل كريم الأصل ، كثير النسل ، مليح الشكل ، حسن النتاج ، يمشي بينهن كأنه ملك عليه تاج . فدنت بعض النوق إلى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها ، فتناولته بمشفرها ، فطردتها من تلك الحديقة . فإذا شيخ قد زمجر ، وزفر ، وتسور الحائط ، وظهر وفي يده اليمنى حجر ، يتهادى كالليث إذا خطر ، فضرب الفحل بذلك الحجر ، فقتله وأصاب مقتله . فلما رأيت الفحل قد سقط لجنبه وانقلب ، توقدت في جمرات الغضب ، فتناولت ذلك الحجر بعينه ، فضربته به ، فكان سبب حينه ، ولقي سوء منقلبه ، والمرء مقتول بما قتل به بعد أن صاح صيحة عظيمة ، وصرخ صرخة أليمة فأسرعت من مكاني فلم يكن بأسرع من هذين الشابين ، فأمسكاني وأحضراني كما تراني .

فقال عمر : قد اعترفت بما اقترفت ، وتعذر الخلاص ، ووجب القصاص ، ولات حين مناص .

فقال الشاب : سمعاً لما حكم به الإمام ، ورضيت بما اقتضته شريعة الإسلام ،

لكن لي أخ صغير ، كان له أب كبير ، خصه قبل وفاته بمالٍ جزيل ، وذهب جليل ، وأحضره بين يدي ، وأسلم أمره إلي ، وأشهد الله علي ، وقال : هذا لأخيك عندك ، فاحفظه جهدك ، فاتخذت لذلك مدفناً ، ووضعته فيه ، ولا يعلم به إلا أنا ، فإن حكمت الآن بقتلي ، ذهب الذهب ، وكنت أنت السبب ، وطالبك الصغير بحقه ، يوم يقضي الله بين خلقه ، وإن أنظرتني ثلاثة أيام ، أقمت من يتولى أمر الغلام ، وعدت وافياً بالذمام ، ولي من يضمنني على هذا الكلام .

فأطرق عمر ، ثم نظر إلى من حضر ، وقال : من يقوم على ضمانه والعود إلى مكانه؟ قال : فنظر الغلام إلى وجوه أهل المجلس الناظرين ، وأشار إلى أبي ذَرّ دون الحاضرين ، وقال : هذا يكفلني ويضمنني .

قال عمر : يا أبا ذر ، تضمنه على هذا الكلام؟ قال : نعم ، أضمنه إلى ثلاثة أيام .

فرضي الشابان بضمانة أبي ذرّ وأنظراه ذلك القدر . فلما انقضت مدة الإمهال وكاد وقتها يزول أو قد زال ، حضر الشابان إلى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر ، وأبو ذرّ قد حضر والخصم ينتظر . فقالا : أين الغريم يا أبا ذرّ؟ كيف يرجع من فر ، لا تبرح من مكاننا حتى تفي بضماننا .

فقال أبو ذَرّ : وحق الملك العلام ، إن انقضى تمام الأيام ، ولم يحضر الغلام ، وفيت بالضمان وأسلمت نفسي ، وبالله المستعان .

فقال عمر : والله ، إن تأخر الغلام ، لأمضين في أبي ذرّ ، ما اقتضته شريعة الإسلام .

فهمت عبرات الناظرين إليه ، وعلت زفرات الحاضرين عليه ، وعظم الضجيج وتزايد النشيج ، فعرض كبار الصحابة على الشابين أخذ الدية واغتنام الأثنية ، فأصرا على عدم القبول ، وأبيا إلا الأخذ بثأر المقتول .

فبينما الناس يموجون تلهفاً لما مر ، ويضجون تأسفاً على أبي ذرّ إذ أقبل الغلام ووقف بين يدي الإمام وسلم عليه أتم السلام ووجهه يتهلل مشرقاً ويتكلل عرقاً وقال : قد أسلمت الصبي إلى أخواله ، وعرفتهم بخفي أمواله وأطلعتهم على مكان ماله . ثم اقتحمت هاجرات الحر ، ووفيت وفاء الحر .

فعجب الناس من صدقه ووفائه ، وإقدامه على الموت واجترائه .

فقال : من غدر لم يعف عنه من قدر ، ومن وفى ، رحمه الطالب وعفا ، وتحققت

أن الموت إذا حضر ، لم ينج منه احتراس ، كيلا يقال : ذهب الوفاء من الناس .

فقال أبو ذَرّ : والله ، يا أمير المؤمنين ، لقد ضمنت هذا الغلام ، ولم أعرفه من أي قوم ، ولا رأيته قبل ذلك اليوم . ولكن نظر إلي دون من حضر فقصدني وقال : هذا يضمنني ، فلم أستحسن رده ، وأبت المروءة أن تخيب قصده ، إذ ليس في إجابة القاصد من بأس ، كيلا يقال : ذهب الفضل من الناس .

فقال الشابان عند ذلك : يا أمير المؤمنين ، قد وهبنا هذا الغلام دم أبينا ، فبدل وحشته بإيناس ، كيلا يقال : ذهب المعروف من الناس .

فاستبشر الإمام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه ، واستفزر مروءة أبي ذرّ دون جلسائه ، واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف ، وأثنى عليهما أحسن ثنائه . وتمثل بهذا البيت :

من يصنع الخير لم يعدم جوائزه   لا يذهب العرف بين الله والناس

ثم عرض عليهما أن يصرف من بيت المال دية أبيهما . فقالا : إنما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ، ومن نيته هكذا لا يتبع إحسانه مناً ولا أذى .

عمر والهرمزان(١)

وأحضر الهرمزان بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه مأسوراً فدعاه إلى الإسلام ، فأبى ، فأمر بضرب عنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قبل أن تقتلني اسقني شربة من الماء ، ولا تقتلني ظمآن .

فأمر له عمر بقدح مملوء ماء ، فلما صار القدح في يد الهرمزان ، قال : أنا آمن حتى أشربه؟ قال : نعم لك الأمان .

فألقى الهرمزان الإناء من يده فأراقه ، ثم قال : الوفاء يا أمير المؤمنين .

فقال عمر رضي الله عنه : دعوه حتى أنظر في أمره .

فلما رفع السيف عنه ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

قال عمر ، رضي الله عنه : لقد أسلمت خير الإسلام فما أخرك؟ قال : خشيت أن يقال إني أسلمت خوفاً من السيف .

---

(١) الهُرمُزان أحد قادة الفرس إبان الفتح الإسلامي ، وكان قائد الجيش الفارسي في الأحواز . الهرمزان حا م الأهواز . أثناء فتح فارس في عهد يزدجرد الثالث .

فقال عمر : إنك لفارس حكيم ، استحققت ما كنت فيه من الملك .

ثم إن عمر رضي الله عنه ، بعد ذلك كان يشاوره في إخراج الجيوش إلى أرض فارس ويعمل برأيه .

صفة عمر رضي الله عنه

قال الأصمعي(١) : قال العمري : كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى . ثم يجمع جراميزه ويثب ، فكأنما خلق على ظهر فرسه . وفعل مثل ذلك الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو يومئذ وليّ عهد هشام ، ثم أقبل على مسلمة بن هشام فقال له : أبوك يحسن مثل هذا؟ فقال مسلمة : لأبي مائة عبد يحسنون مثل هذا . فقال الناس : لم ينصفه في الجواب .

زهد عمر

ودخل عمير بن سعد(٢) على عمر بن الخطاب ، حين رجع إليه من عمل حمص ، وليس معه إلا جراب وإداوة وقصعة وعصا ، فقال له عمر : ما الذي أرى بك ، من سوء الحال أو تصنع؟ قال : وما الذي ترى بي ، ألست صحيح البدن ، معي الدنيا بحذافيرها؟ قال : وما معك من الدنيا؟ قال : معي جرابي أحمل فيه زادي ، ومعي قصعتي أغسل فيها ثوبي ، ومعي إداوتي أحمل فيها مائي لشرابي ، ومعي عصاي إن لقيت عدوا قاتلته ، وإن لقيت حية قتلتها ، وما بقي من الدنيا فهو تبع لما معي .

---

(١) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان .

(٢) عمير بن سعد بن عبيد الأنصاري -- ، الذي بايع الرسول وهو ما زال غلامًا ، وأبوه هو الصحابي الجليل سعد القارئ_الذي شهد بدرا مع رسول الله والمشاهد بعدها و ظلّ أمينا على العهد حتى لقي الله شهيدا في موقعة القادسية .

جبلة بن الأيهم[1] وتنصره

ومما ذكره عبد الملك بن بدرون ، شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون ، عما وقع لجبلة بن الأيهم حين لطم الفزاري على وجهه لما داس على ردائه ، وقال له عمر رضي الله عنه : دعه يقتص منك ، أو ما هذا معناه ، فقال لعمر : وهل استوي أنا وهو في ذلك؟ فقال له : نعم ، الإسلام ساوى بينكما . فقال : أجلني إلى غد . فلما أصبح مضى إلى قيصر ملك الروم ، وارتد ثم ندم وقال أبياتاً ، وهي هذه :

تنصرت الأشراف من أجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة ... فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى الأمر الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة ... أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الأيهم ولحق بهرقل ، صاحب القسطنطينية ، أقطعه هرقل الأموال والضياع ، وبقي ما شاء الله .

ثم أن عمر رضي الله عنه بعث إلى قيصر رسولاً يدعوه إلى الإسلام أو إلى الجزية . فلما أراد الانصراف قال هرقل للرسول : ألقيت ابن عمك هذا الذي عندنا؟ يعني جبلة الذي أتانا راغباً في ديننا .

قال : لا! قال : فالقه ثم ائتني أعطك جواب كتابك .

قال الرسول : فذهبت إلى دار جبلة فإذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثلً ما على باب هرقل فلم أزل أتلطف بالإذن حتى أذن لي فدخلت عليه ، فرأيته أصهب اللحية ذا سبال ، وكان عهدي به أسود اللحية والرأس ، فأنكرته ، فإذا هو قد دعا بسحالة الذهب ، فذرها على لحيته حتى أصهبت ، وهو قاعد على سرير من قوارير على قوائمه أربعة أسود من ذهب . فلما عرفني رفعني معه على السرير ، فجعل يسألني عن المسلمين ، فذكرت له خيراً وقلت له : قد أضعفوا أضعافاً

(١) جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر ، واسمه المنذر بن الحارث ، وهو آخر ملوك الغساسنة في الشام . حكم ما بين عامي ٦٣٢ و ٦٣٨ ميلادية . وكان بذلك الملك السادس والثلاثين في سلالة الغساسنة الذين كانوا متحالفين مع الروم قبل الإسلام ، وهم من النصارى العرب .

على ما تعرف . فقال : وكيف عمر بن الخطاب؟ قلت : بخير . قال : فرأيت الغم في وجهه لما ذكرت له منه سلامة عمر .

ثم انحدرت عن السرير فقال : لم تأبى الكرامة التي أكرمناك بها؟ فقلت : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا . فقال : نعم! نهى ﷺ ولكن نقّ قلبك ولا تبال على ما قعدت .

فلما سمعته يقول ما قاله ﷺ ، طمعت فيه فقلت له : ويحك يا جبلة ، ألا تسلم ، وقد عرفت الإسلام وفضله؟ فقال : أبعد ما كان مني؟ قلت : نعم ، قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت ، ارتد عن الإسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع إلى الإسلام وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلماً .

وإنما ذكرت له أن الذي فعل هذه الفعلة من فزارة ، وأنه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع إلى الإسلام لأن الرجل الذي كان تنصر جبلة من أجله لما لطمه وأراد عمر أن يقتص منه كان فزارياً أيضاً . فقلت له : أمرك أخف من أمره إن رجعت إلى الإسلام ، فإنك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل . فقال : ذرني من هذا إن كنت تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته ويوليني الأمر من بعده رجعت إلى الإسلام .

فضمنت له التزويج ولم أضمن له تولية الأمر .

قال : ثم أومأ إلى خادم كان على رأسه واقفاً فذهب مسرعاً ، فإذا خدم قد جاؤوا يحملون الصناديق فيها طعام . فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحائف الفضة ، وقال لي : كل ؛ فقبضت يدي ، وقلت : رسول الله ﷺ نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة .

قال : نعم! نهى ﷺ ولكن نقِّ قلبك وكل فيما أحببت .

قال : فأكل في الذهب ، وأكلت أنا في الخلنج ، ثم دعا بطسوت الذهب وأباريق الفضة ، فغسل يديه في الذهب ، وغسلت في الصفر . ثم أومأ إلى خادم بين يديه فمر مسرعاً . فسمعت حساً ، فإذا خدم معهم كراسي مرصعة بالجواهر ، فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ، ثم جاءت الجواري وعليهم تيجان الذهب ، فقعدن عن يمنيه وعن يساره على تلك الكراسي ، ثم جاءت جارية أيضاً كأنها الشمس حسناً على رأسها تاج ، وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه ، وفي يدها جامة فيها مسك فتيت ، وفي يدها الأخرى جامة فيها ماء ورد ، فأومأت تلك الجارية وصفرت بالطائر الذي على

تاجها فوقع في جامة المسك ، فاضطرب فيها ، ثم صفرت به ثانياً فوقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيها ، ثم أومأت إليه فطار ، ثم نزل على صليب في تاج على جبلة ، فلم يزل يرفرف حتى نفض ما في ريشه عليه . فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ، ثم التفت إلى الجواري اللواتي عن يمينه . فقال لهن : أضحكننا ، فاندفعن يغنين فجعلن يخفقن عيدانهن ويقلن :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول

إلى قوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال : فضحك جبلة حتى بدت أنيابه ، ثم قال : أتدري من يقول هذا؟ قلت : لا ، قال : حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ ، ثم أشار إلى الجواري اللواتي عن يساره ، وقال : أبكيننا ، فاندفعنا يغنين وتخفق عيدانهن ويقلن :

لمن الدار أوحِت بمعان بين أعلى اليرموك فالجمان

إلى قوله :

ذاك مغنىً من آل جفنة في الده؟ . . . رِ وحق تعاقب الأزمان

قال : فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ، ثم قال : أتدري من يقول هذا؟ قلت : لا ، قال : حسان . ثم أنشد الأبيات التي أولها : تنصرت الأشراف إلى آخرها . ثم سألني عن حسان : أحي هو؟ قلت : نعم فأمر له بكسوة ولي أيضاً كذلك . ثم أمر لحسان بمال ونوق موقرة براً ، ثم قال لي : إن وجدته حياً فادفع إليه الهدية واقرئه مني السلام ؛ وإن وجدته ميتاً فادفعها إلى أهله وانحر النوق على قبره .

قال : فلما أخبرت عمر ، رضي الله عنه ، بخبره وما اشترطه علي وما ضمنت له . قال : فهلا ضمنت له الأمر؟ فإذا أفاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ما كان إلا ما أراد .

ثم جهزني عمر ثانياً إلى هرقل وأمرني أن أضمن له ، أي لجبلة ، ما اشترط . فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أم الكتاب .

القوي الفاجر

وقيل : إنه قدم أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعد بن أبي وقاص ، فقال : من يعذرني من أهل الكوفة؟ إن وليتهم التقي ضعفوه ، وإن وليتهم القوي فجروه . فقال له المغيرة بن شعبة : يا أمير المؤمنين ، إن التقي الضعيف له تقاه ولك ضعفه ، وإن القوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره . قال : صدقت أنت القوي الفاجر فاخرج إليهم .

فلم يزل عليهم أيام عمر وعثمان رضي الله عنهما وأيام معاوية حتى مات المغيرة .

يقتلع ذنب البعير

قيل : أتى رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يستحمله فقال له : خذ لك بعيراً من إبل الصدقة فتناول ذنب بعير فجذبه فاقتلعه . فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته ، فقال له : هل رأيت أقوى منك من أحد؟ قال : نعم . خرجت بامرأة من أهلي أريد بها زوجها فنزلت على حوض ، فأقبل رجل معه ذود ، فضرب ذوده إلى الحوض فساورها . يعني المرأة ، فنادتني فما انتهيت إليها حتى خالطها . فجئت لأدفعه عنها فأخذ رأسي بين عضديه وجنبه . فما استطعت التحرك حتى قضى وطره منها . فقلت : أي فحل هذا لو كنت منيحة فأمهلته حتى امتلأ نوماً . فقمت له بالسيف فضربت ساقه ، فانتبه ، فتناول رجله فرماني بها فأخطأني ، أي فاتني ، وأصاب رأس بعير فقتله .

فقال عمر رضي الله عنه : ما فعلت بالمرأة؟ فقلت : هذا حديث الرجل .

فكرر عليه السؤال فلم يزده على هذا ففطن أنه قتلها .

ذكاء عمر

وقد روّينا عن عمر رضي الله عنه أنه خرج يعسّ المدينة بالليل ، فرأى نارا موقدة في خباء .

فوقف وقال : يا أهل الضوء .

وكره أن يقول : «يا أهل النار» . وهذا من غاية الذكاء .

قسمة عادلة

عن أسلم عن أبيه قال : (قَدِمَت على عمر بن الخطَّاب حُلَلٌ من اليمن ،

فقسَّمها بين النَّاس ، فرأى فيها حُلَّة رديئة ، فقال كيف أصنع بهذه ، إذا أعطيتها أحدًا ، لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها ، قال : فأخذها فطواها ، فجعلها تحت مجلسه ، وأخرج طرفها ، ووضع الحُلَل بين يديه ، فجعل يقسم بين النَّاس ، قال فدخل الزُّبير بن العوَّام ، وهو على تلك الحال ، قال : فجعل ينظر إلى تلك الحلَّة ، فقال له : ما هذه الحلَّة؟ قال عمر : دع هذه عنك . قال : ما هيه؟ ما هيه؟ ما شأنها؟ قال : دعها عنك . قال : فأعطنيها . قال : إنَّك لا ترضاها . قال : بلى ، قد رضيتها . فلمَّا توثَّق منه ، واشترط عليه أن يقبلها ولا يردَّها ، رمى بها إليه ، فلمَّا أخذها الزُّبير ونظر إليها ، إذا هي رديئة ، فقال : لا أريدها . فقال عمر : هيهات ، قد فرغت منها ، فأجازها عليه ، وأبى أن يقبلها منه) .

وعن جرير (عن عمر قال له -قال لجرير - والنَّاس يتحامون العراق وقتال الأعاجم- : سِر بقومك ، فما قد غلبت عليه فلك ربعه ، فلمَّا جُمعت الغنائم -غنائم جلولا- ادعى جرير أنَّ له ربع ذلك كلِّه ، فكتب سعد إلى عمر بذَلك ، فكتب عمر : صدق جرير قد قلت ذلك له ، فإن شاء أن يكون قَاتَل هو وقومه على جُعْلٍ فأَعْطُوه جُعْلَه ، وإن يكن إنَّما قاتل لله ولدينه ولحبيبه ، فهو رجل من المسلمين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم . فلمَّا قَدِم الكتاب على سعد ، أخبر جرير بذلك ، فقال جرير : صدق أمير المؤمنين ، لا حاجة لي به ، بل أنا رجل من المسلمين) .

وعن مجاهد قال : بينما رسول الله ﷺ في أصحابه أذ وجد ريحا ، فقال : ليقم صاحب هذا الريح فليتوضأ ، فاستحيا الرجل .

ثم قال : ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ، فان الله لا يستحي من الحق .

فقال العباس : ألا نقوم جميعا؟

جرير وعمر

عن الشعبي[(١)] : أن عمر كان في بيت ومعه جرير بن عبد الله[(٢)] ، فوجد عمر

---

(١) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، والمشهور بـ الإمام الشعبي ٢١ هـ/ ١٠٠ هـ ، تابعي وفقيه ومحدث من السلف ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) جرير بن عبد الله البجلي صحابي جليل أسلم وقومه في رمضان من السنة العاشرة للهجرة ، فبعثه الرسول ﷺ على رأس فرسان من بني أحمس من بجيلة لهدم ذي الخلصة (صنم بالسراة =

ريحا فقال : عزمت على صاحب هذه الريح أن قام فتوضأ .
فقال جرير : يا أمير المؤمنين : أو يتوضأ القوم جميعا .
فقال عمر : رحمك الله ، نعم السيّد كنت في الجاهلية ، ونعم السيّد أنت في الاسلام .

سؤال وجواب

وقال عمر بن الخطاب ﷺ لابنة هرم بن سنان المري[٣] :
ما وهب أبوك لزهير ؟
فقالت : أعطاه مالاً وأثاثاً أفناه الدَّهر .
فقال عمر : لكن ما أعطاكُمُوهُ لا يُفْنِيه الدَّهر .

ظلم وسرقه في اسم واحد

سأَل عُمر بن الخطاب ﷺ رجلاً أراد أن يَسْتعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه .
فقال : ظالم بن سُراقة ،
فقال : تَظْلم أنت ويَسْرِق أبوك؟
ولم يَسْتَعِن به في شيء .

= كانت قبائل بجيلة وخثعم وباهلة ودوس والأزد يعبدونه) ، وروي عنه مايزيد عن ٣٠٠ حديث ورد ذكرهم بكتب الصحاح التسعة .

(١) هَرِم بنُ سِنَان بنِ أبي حارثة المرِّي ، من مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، فهو مُرّي ذبياني غطفاني قيسي . كان رئيس قومه في الجاهلية ، وعُدَّ واحداً من أجواد العرب ؛ علماً أن قصته مع الشاعر المشهور زهير بن أبي سُلْمى مشهورة بين الناس في عصره وإلى يوم الناس هذا . فقد آلى على نفسه أنه لا يُسَلِّم عليه زهير إلا أعطاه : عبداً أو أمة أو فرساً أو بعيراً ؛ فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فجعل يمرُّ بالجماعة فيهم هَرِم فيقول : عِمُوا صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وقوفه عن كتاب الله

لّما قَـدم عُيَيْنـةُ بـن حصـن[1] على ابن أخيـه الحُرِّ بن قيس[2] وكان من النَّفر الذين يُدْنيهم عمر رضي الله عنه وكان القُرَّاء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ، لك وجهٌ عند هذا الأمير

فاستأذِنْ لي عليه ، فاسْتَأذَنَ ، فأَذنَ له عمر

فلما دخل قال : هيه يا ابن الخطاب ،

فوالله ما تُعطينا الجَزْل ولا تحكم فينا بالعدل

فغضب عمر حتى همَّ أن يوقعَ به

فقال له الحُرُّ : يا أمير المؤمنين إنَّ الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة السلام : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإنَّ هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه ، وكان وَقَّافاً عند كتاب الله تعالى

عمر والحكيم

نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى هرم بن قطبة ، ملتفا في بتّ في ناحية المسجد ، ورأى دمامته وقلته ، وعرف تقديم العرب له في الحكم والعلم ، فأحب أن يكشفه ويسبر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا إليك اليوم أيهما كنت تنفر؟ يعني علقمة بن علاثة[3] ،

---

(١) عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيْفَة الفَزَاري : والفزاري هو فزارة ، واسمه عمرو ، وكان ضربه أخ له فَفَزَرَه فسُمي فَزَارة ، وكان اسم عُيَيْنة حُذَيفة ؛ فأصابته لَقْوَة فَجَحَظَت عيناه فَسُمِّيَ عُيَيْنَة ، ويُكْنَى أبا مالك ، وكان جَده حُذيفة بن بدر يقال له : رَبّ معدّ ، وَجَدُّ جَدّه زيد بن عمرو ، وهو ابن اللقيطة ؛ وذاك أن بني فَزَارَة انتجعوا مرة ــ يعني : طلبوا الكلأ والخير في موضع آخر ــ وأمه صبية فسقطت ، فالتقطها قوم فردوها عليهم فسُميت اللقِيطة ، ونسب ولدها إليها بهذا ، فقيل : بنو اللقيطة .

(٢) الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان الفزاري . وهو ابن أخي عيينة بن حصن . وهو أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله مرجعه من تبوك .

(٣) علقمة بن علاثة : بن عَوَف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري . ثبت ذكْرُه في الصحيح في حديث أبي سعيد ، مِنْ رواية عبد الرحمن بن أبي نعيم عنه ، قال : بعث عليٌّ بن أبي طالب إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلم بذُهَيْبَة في تُرْبتها فقسمها بين أربعة نفَر : عيينة بن حِصْن والأقرع بن حابس ، وعلقمة بن عُلاثة ، وزيد الخيل . . . الحديث .

وعامر بن الطفيل[١] . فقال : يا أمير المؤمنين : لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جذعة . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لهذا العقل تحاكمت العرب إليك .

أجبن وأحيل وأشجع الناس

دخل عمر بن معد يكرب الزبيدي[٢] على عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه فقال عمر : أخبرني عن أجبن من لقيت وأحيل من لقيت وأشجع من لقيت . قال : نعم يا أمير المؤمنين .

خرجت مرة أريد الغارة ، فبينما أنا سائر إذا بفرس مشدود ورمح مركوز ، وإذا رجل جالس كأعظم ما يكون من الرجال خلقاً ، وهو محتب بحمائل سيفه ، فقلت له : خذ حذرك فإني قاتلك . فقال : ومن أنت؟ قلت : أنا عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فشهق شهقة فمات . فهذا يا أمير المؤمنين أجبن من رأيت .

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى حي فإذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز ، وإذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته ، فقلت : خذ حذرك فإني قاتلك . فقال : ومن أنت؟ فأعلمته بي ، فقال : يا أبا ثور ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا على الأرض ، فأعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي . فأعطيته عهداً فخرج من الموضع الذي كان فيه واحتبى بحمائل سيفه ، وجلس .

فقلت : ما هذا؟

فقال : ما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك فإن نكثت عهدك فأنت أعلم بناكث العهد . فتركته ومضيت .

---

(١) عامر بن الطفيل الكلابي العامري الهوازني شاعر جاهلي وفارس فتاك وسيد من سادات بني جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن . قيل إنه أدرك الإسلام وناوء النبي محمد ولم يسلم .

(٢) أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدي المذحجي وأحد صحابة محمد . بعد وفاة النبي محمد ارتد عمرو بن معد يكرب ثم رجع إلى الإسلام وحسن إسلامه ، وهو شاعر وفارس اشتهر بالشجاعة والفروسية حتى لُقِبَّ بفارس العرب ، وكان له سيف اسمه الصمصامة ,وقد شارك في معارك الفتح الإسلامي في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب في الشام والعراق وشهد معركة اليرموك والقادسية وكان عمرو بن معد الزبيدي طويل القامة وقوي البنية وحتى إن عمر بن الخطاب قال فيه : الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمرواً تعجبا من عظم خلقه .

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت .

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه الطريق فلم أر أحداً ، فأجريت فرسي يميناً وشمالاً وإذا أنا بفارس ، فلما دنا مني ، فإذا هو غلام حسن نبت عذاره من أجمل من رأيت من الفتيان ، وأحسنهم . وإذا هو قد أقبل من نحو اليمامة ، فلما قرب مني سلم علي ورددت عليه السلام وقلت : من الفتى؟ قال : الحرث بن سعد فارس الشهباء .

فقلت له : خذ حذرك فإني قاتلك! فقال : الويل لك ، فمن أنت؟ قلت : عمرو بن معد يكرب الزبيدي .

قال : الذليل الحقير ، والله ما يمنعني من قاتلك إلا استصغارك .

فتصاغرت نفسي ، يا أمير المؤمنين ، وعظم عندي ما استقبلني به .

فقلت له : دع هذا وخذ حذرك فإني قتلك ، والله لا ينصرف إلا أحدنا .

فقال : اذهب ، ثكلتك أمك ، فأنا من أهل بيت ما أثكلنا فارس قط .

قلت : هو الذي تسمعه .

قال : اختر لنفسك فإما أن تطرد لي ، وإما أن أطرد لك .

فاغتنمتها منه فقلت له : أطرد لي .

فأطرد وحملت عليه فظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه فإذا هو صار حزاماً لفرسه ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسي وقال : يا عمرو خذها إليك واحدةً ، ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك .

قال : فتصاغرت نفسي عندي ، وكان الموت ، يا أمير المؤمنين أحب إلي مما رأيت ، فقلت له : والله لا ينصرف إلا أحدنا . فعرض علي مقالته الأولى فقلت له : أطرد لي ، فأطرد فظننت أني تمكنت منه فاتبعته حتى ظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه . فإذا هو صار لبباً لفرسه ، ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسي وقال : خذها إليك يا عمرو ثانية .

فتصاغرت علي نفسي جداً ، وقلت : والله لا ينصرف إلا أحدنا فاطرد لي ، فاطرد حتى ظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه ، فإذا هو على الأرض فأخطأته فاستوى على فرسه واتبعني حتى قنع بالقناة رأسي! وقال : خذها إليك يا عمرو ثالثة ، ولولا كراهتي لقتل مثلك لقتلتك .

فقلت : اقتلني أحب إلي ولا تسمع فرسان العرب بهذا .

فقال : يا عمرو ، إنما العفو عن ثلاث ، وإذا استمكنت منك في الرابعة قتلتك وأنشد يقول :

وكِدت إغلاظاً من الإيمان

إنْ عدت يا عمرو الى الطعان

لتجدن لهب السنان

أولاً فلست من بني شيبان

فهبته هيبة شديدة ، وقلت له : إن لي إليك حاجة .

قال : وما هي؟ قلت : أكون صاحباً لك .

قال : لست من أصحابي .

فكان ذلك أشد علي وأعظم مما صنع ، فلم أزل أطلب صحبته حتى قال : ويحك أتدري أين أريد؟

قلت : لا والله .

قال : أريد الموت الأحمر عياناً .

قلت : أريد الموت معك .

قال : امض بنا .

فسرنا يومنا أجمع حتى أتانا الليل ومضى شطره . فوردنا على حي من أحياء العرب ، فقال لي : يا عمرو في هذا الحي الموت الأحمر فإما أن تمسك علي فرسي فأنزل وآتي بحاجتي ، وإما أن تنزل وأمسك فرسك فتأتيني بحاجتي .

فقلت : بل أنزلت أنت . فأنت أخبر بحاجتك مني .

فرمى إلي بعنان فرسه ورضيت والله يا أمير المؤمنين بأن أكون له سائساً ، ثم مضى إلى قبة فأخرج منها جارية لم تر عيناي أحسن منها حسناً وجمالاً ، فحملها على ناقة ثم قال : يا عمرو ، فقلت : لبيك! قال : إما أن تحميني وأقود الناقة أو أحميك وتقودها أنت ؟قلت : لا بل أقودها وتحميني أنت .

فرمى إلي بزمام الناقة ثم سرنا حتى أصبحنا . قال : يا عمرو

قلت : ما تشاء؟

قال : التفت فانظر هل ترى أحداً؟

فالتفت فرأيت رجالاً فقلت : اغذو في السير[١] .

---

(١) أسرع فيه .

ثم قال : يا عمرو انظر إن كانوا قليلاً فالجلد والقوة وهو الموت الأحمر . وإن كانوا كثيراً فليسوا بشيء .

فالتفت وقلت : وهم أربعة أو خمسة .

قال : اغذو في السير .

ففعلت . ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال : يا عمرو . كن عن يمين الطريق وقف وحول وجه دوابنا إلى الطريق .

ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا وإذا هم ثلاثة أنفار : شابان وشيخ كبير ، وهو أبو الجارية والشابان أخواها . فسلموا فرددنا السلام .

فقال الشيخ : خل عن الجارية يا ابن أخي .

فقال : ما كنت لأخليها ولا لهذا أخذتها .

فقال لأحد ابنيه : اخرج إليه ، فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحرث وهو يقول :

من دون ما ترجوه خضب الذابل
من فارس ملثم مقاتل
ينمي الى شيبأن خير وائلٍ
ما كان يسري نحوها بباطلٍ

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه ، فسقط ميتاً ، فقال الشيخ لابنه الآخر : اخرج إليه فلا خير في الحياة على الذل ، فأقبل الحرث وهو يقول :

لقد رأيت كيف كانت طعنتي
والطعن للقرم الشديد الهمةِ
والموت خيرٌ من فراق خلتي
فقتلتي اليوم ولا مذلتي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتاً ، فقال له الشيخ : خل عن الظعينة يا ابن أخي ، فإني لست كمن رأيت ،

فقال : ما كنت لأخليها ، ولا لهذا قصدت .

فقال الشيخ : يا ابن أخي اختر لنفسك فإن شئت نازلتك وإن شئت طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول :

ما أرتجي عند فناء عمري

سأجعل التسعين مثل شهر
تخافني الشجعان طول دهري
إن استباح البيض قصم ظهري
فأقبل الحرث وهو ينشد ويقول :
بعد ارتحالي ومطال سفري
وقد ظفرت وشفيت صدري
فالموت خير من لباس الغدر
والعار أهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ : يا ابن أخي إن شئت ضربتك ، فإن أبقيت فيك بقية فيَّ فاضربني ، وإن شئت فاضربني .

فإن أبقيت بقية ضربتك .

فاغتنمها الفتى وقال : أنا أبدأ .

فقال الشيخ : هات .

فرفع الحرث يده بالسيف فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه ضرب بطنه بطعنة قد منها أمعاءه ووقعت ضربة الفتى على رأس الشيخ فسقطا ميتين .

فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف ثم أقبلت إلى الناقة فقالت الجارية : يا عمرو : إلى أين ولست بصاحبتك ولست لي بصاحب ولست كمن رأيت؟

فقلت : اسكتي .

قالت : إن كنت لي صاحباً فأعطني سيفاً أو رمحاً فإن غلبتني فأنا لك وإن غلبتك قتلتك .

فقلت : ما أنا بمعط ذلك . وقد عرفت أهلك وجراءة قومك وشجاعتهم .

فرمت نفسها عن البعير ثم أقبلت تقول :

أَبَعْد شيخي ثم بعد أخوتي　　يطيب عيشي بعدهم ولذتي
وأصحبن من لم يكن ذا همةٍ　　هلا تكون قبل ذا منيتي

ثم أهوت إلى الرمح وكادت تنزعه من يدي . فلما رأيت ذلك منها خفت إن ظفرت بي قتلتني . فقتلتها .

فهذا يا أمير المؤمنين أشجع من رأيت .

عمر وكاهن تائب

وفد سواد بن قارب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فسلم عليه فرد السلام ، فقال عمر : يا سواد! قال : لبيك يا أمير المؤمنين! قال : ما بقي من كهانتك؟ فغضب ثم قال : يا أمير المؤمنين ما أظنك استقبلت بهذا الكلام غيري فلما رأى عمر الكراهية في وجهه قال : يا سواد ، إن الذي كنّا عليه من عبادة الأوثان أعظم من الكهانة ، فحدثني بحديث كنت أشتهي ان أسمعه منك .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينما أنا في إبلي بالسراة ، وكان لي نجي من الجن ، إذ أتاني في ليلة وأنا كالنائم ، فركضني برجله ، ثم قال : قم يا سواد ، فقد ظهر بتهامة نبي يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، قلت : تنح عني فإني ناعس ، فولّى عني وهو يقول :

عجبت للجن وتطلابها　　وشدها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى　　ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم　　بين روابيها وأحجارها

ثم لما كان في الليلة الثانية أتاني ، فقال مثل ذلك القول : فقلت : تنح عني فإني ناعس ، فولى عني وهو يقول :

عجبت للجن وتخبارها　　وشدها العيس بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى　　ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم　　ليس قداماها كأذنابها

ثم أتاني في الليلة الثالثة ، فقال مثل ذلك ، فقلت : إني ناعس ، فولى عني وهو يقول :

عجبت للجن وإيجاسها　　وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى　　ما مؤمنو الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم　　واسم بعينيك إلى رأسها

قال سواد : فلما أصبحت يا أمير المؤمنين أرسلت لناقة من إبلي ، فشددت عليه ، وأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وبايعت ، وأنشأت أقول :

أتاني نجي بعد هدء ورقدة　　ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة　　أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيلي الإزار وأرقلت　　بي الذعلب الوجناء بين السباسب

فأشهـــد ان اللـــه لا رب غيـــره وأنـــك مأمـــون علـى كل غائب
وأنـــك أنـــدى المرسلـــين وسيلـــة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايـب
فمرنـــي بمـــا أحببت يا خير مرســل وإن كان فيما قلت شيب الذوائـب
وكـــن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعـــة بمغـــن فتيـــلاً عن سواد بن قارب

ففرح رسول الله وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً حتى رأي الفرح في وجوههم ، فوثب إليه عمر فالتزمه ، وقال : قد كنت أحب أن أسمع هذا الحديث منك ، فهل يأتيك رأيك اليوم؟ فقال : منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن!

التخلص من المغيرة

وعن زيد بن أسلم ، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين فكرهوه وأبغضوه ، فعزل عنهم ، فقال دهقانهم : إن فعلتم ما آمركم به لم يردّ علينا .

قالوا : أمرنا بأمرك .

قال : تجمعون مئة ألف درهم حتى أذهب بها الى عمر ، وأقول : ان المغيرة اختار هذا فدفعه اليّ .

فدعا عمر المغيرة فقال : ما يقول هذا؟

قال : كذب أصلحك الله ، إنما كانت مئتي ألف .

قال : فما حملك على ذلك؟

قال : العيال والحاجة .

فقال عمر للعلج : ما تقول؟

قال : لا والله ، لأصدّقنّك أصلحك الله ، والله ما دفع اليّ قليلا ولا كثيرا .

فقال عمر للمغيرة : ما أردت الى هذا العلج؟

قال : الخبيث كذب عليّ فأحببت أن أخزيه .

وفاة عمر رضي الله عنه

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف يومًا في السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال : يا أمير المؤمنين أعدني على المغيرة بن شعبة فإن علي خراجًا كثيرًا .

قال : وكم خراجك قال : درهمان كل يوم .

قال : وأيش صناعتك قال : نجار نقاش حداد .

قال : فما أرَى خراجك كثيرًا على ما تصنع من الأعمال وقد بلغني أنك تقول : لو أردت أن أصنع رحى تطحن بالريح لفعلت! قال : نعم .

قال : فاعمل لي رحى .

قال : لئن سلمت لأعملن لك رحىً يتحدث بها من بالمشرق والمغرب! ثم انصرف عنه .

فقال عمر : لقد أوعدني العبد الآن .

ثم انصرف عمر إلى منزله فلما كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال له : يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاث ليال .

قال : وما يدريك قال : أجده في كتاب التوراة .

قال عمر : الله! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة قال : اللهم لا ولكني أجد حليتك وصفتك وأنك قد فني أجلك .

قال : وعمر لا يحس وجعًا! فلما كان الغد جاءه كعب فقال : بقي يومان .

فلما كان الغد جاءه كعبٌ فقال : مضى يومان وبقي يوم .

فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالاً فإذا استوت كبر ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي وكان خلفه وقتل جماعة غيره .

فلما وجد عمر حر السلاح سقط وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس وعمر طريح فاحتمل فأدخل بيته ودعا عبد الرحمن فقال له : إني أريد أن أعهد إليك .

قال : أتشير علي بذلك قال : لا . قال : والله لا أدخل فيه أبدًا .

قال : فهبني صمتًا حتى أعهد إلى النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

ثم دعا عليًا وعثمان والزبير وسعدًا فقال : انتظروا أخاكم طلحة ثلاثًا فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم أنشدك الله يا علي إن وليت من أمور الناس شيئًا ألا تحمل بني هاشم على رقاب الناس أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئًا ألا تحمل

بني أبي معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئًا ألا تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم وليصل ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فقال : قم على بابهم فلا تدع أحدًا يدخل إليهم .

وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذي تبوأوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم ويعفو عن مسيئهم وأوصي الخليفة بالعرب فإنهم مادة الإسلام أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم وأوصي الخليفة بذمة رسول الله - ﷺ - أن يوفي لهم بعهدهم اللهم هل بلغت لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر اخرج فانظر من قتلني .

قال : يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة .

قال : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدةً واحدةً! يا عبد الله بن عمر اذهب إلى عائشة فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي - ﷺ - وأبي بكر .

يا عبد الله إن اختلف القوم فكن مع الأكثر فإن تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف يا عبد الله ائذن للناس . فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم : أهذا عن ملإٍ منكم فيقولون : معاذ الله! قال : ودخل كعب الأحبار مع الناس فلما رآه عمر قالً : توعدني كعبٌ ثلاثًا أعدها ولا شك أن القول ما قال لي كعب وما بي حذار الموت إني لميتٌ ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب ودخل عليه علي يعوده فقعد عند رأسه وجاء ابن عباس فأثنى عليه فقال له عمر : أنت لي بهذا يا ابن عباس فأومأ إليه علي أن قل نعم .

فقال ابن عباس : نعم .

فقال عمر : لا تغرني أنت وأصحابك .

ثم قال : يا عبد الله خذ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب لعل الله جل ذكره ينظر إلي فيرحمني والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع .

ودعي له طبيب من بني الحرث بن كعب فسقاه نبيذًا فخرج غير متغير فسقاه لبنًا فخرج كذلك أيضًا فقال له : اعهد يا أمير المؤمنين .

قال : قد فرغت .

ولما احتضر ورأسه في حجر ولده عبد الله قال : ظلومٌ لنفسي غير أني مسلمٌ أصلي

الصلاة كلها وأصوم ولم يذكر الله تعالى ويديم الشهادة إلى ان توفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين .

استخلاف عثمان بن عفان رضي الله عنه

وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وكنيته أبو عمرو ، وقد قيل : أبو عبد الله ، ويقال : أبو ليلى ، وأم عثمان أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي بالبصرة ثنا علي بن هاشم عن جعفر بن نجيح المديني ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن أحدا ارتج وعليه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «اثبت أحد! فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان» .

قال أبو حاتم : لما دفن عمر رضي الله عنه تعمد عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن وسعد يتشاورون ، فأشار عثمان على عبد الرحمن بالدخول في الأمر ، فأبى عبد الرحمن وقال : لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر ، وإن شئتم اخترت لكم منكم واحدا ، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، فلما ولي ذلك مال الناس كلهم إليه وتركوا أولئك الآخرين ، فأخذ عبد الرحمن يتشاور في تلك الليالي الثلاث حتى إذا كان من الليلة التي بايع عثمان بن عفان من غدها جاء إلى باب المسور بن مخرمة بعد هويّ من الليل فضرب الباب وقال : ألا أراك نائما؟ والله ما كحلت منذ الليلة بكثير نوم ، ادع لي الزبير وسعدا» ، فدعاهما فشاورهما ، ثم أرسله إلى عثمان بن عفان فدعاه فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن ، فلما صلوا الصبح اجتمعوا ، وأرسل عبد الرحمن إلى من حضر من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد ، ثم خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإني نظرت في أحوال الناس وشاورتهم فلم أجدهم يعدلون بعثمان ، ثم قال : يا عثمان! نبايعك على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين من بعده! قال : نعم ، فبايعه عبد الرحمن وبايعه المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون ، وذلك لغرة المحرم .

وبعد دفن عمر بثلاثة أيام في هذه السنة كان فتح همذان ثانيا . وكانت قد انتقضت على أميرها المغيرة بن شعبة على رأس ستة أشهر من مقتل عمر ، وفي هذه السنة سار إليها أبو موسى الأشعري[1] بأهل البصرة حتى فتحها صلحا ، معه البراء ابن عازب[2] وقرظة بن كعب[3] ، وكان عمر بن الخطاب قد قتل وحذيفة قد افتتحها وجيشه كان عليها ، ثم انتقضوا حتى غزاهم أبو موسى ، وخرج عثمان بن عفان يوم الفطر إلى المصلى يكبر ويجهر بالتكبير حتى صلى العيد وانصرف ، وبعث على الحج عبد الرحمن بن عوف فخطبهم عبد الرحمن قبل التروية بيوم بمكة بعد الظهر ، فلما زاغت الشمس خرج إلى منى وحج ونفر النفر الأول ، وكان قد ساق معه بدنات فنحرها في منحر رسول الله ﷺ .

فلما دخلت السنة الخامسة والعشرون غزا معاوية أرض الروم وفتح الحصون ، وولد له ابن يزيد بن معاوية ؛ ثم نقضت الإسكندرية الصلح الذي صالحهم عمرو بن العاص عليه فغزاهم عمرو ، وظفر بهم وسباهم وبعث السبي إلى المدينة ، فردهم عثمان إلى ذمتهم وقال : إنهم كانوا صلحا ، والذرية لا تنقض الصلح ، وإنما تنقض الصلح المقاتلة ، ونقض المقاتلة الصلح ليس يوقع السبي على ذراريهم .

ثم عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن الإسكندرية ومصر ، وولاهما عبد

---

(١) أبو موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري خرج وخمسون نفرا من قومه من اليمن أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله محمد بن عبد الله بخيبر .

(٢) البراء بن عازب هو ابن الحارث ، الفقيه الكبير أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني ، نزيل الكوفة ، من أعيان الصحابة . روى أحاديث كثيرة ، وشهد معارك كثيرة مع النبي – واستصغر يوم بدر ، قال : كنت أنا وابن عمر لدة .

(٣) قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو بن كعب بن الإطنابة الأنصاري الخزرجي من بني الحارث بن الخزرج حليف بني عبد الأشهل يكنى أبا عمرو شهد أحداً وما بعدها من المشاهد ثم فتح الله على يديه الري في زمن عمر سنة ثلاث وعشرين ، وهو أحد العشرة الذين وجهم عمر إلى الكوفة من الأنصار وكان فاضلاً ولاه علي بن أبي طالب على الكوفة .

الله بن سعد بن أبي سرح[١] ، فوجد عمرو من ذلك ، وكان بدء الشر بينه وبين عثمان عزله عن مصر والإسكندرية ، وكان عمرو قد بعث جيشه إلى المغرب فأصابوا غنائم كثيرة ، فلما دخل عبد الله بن سعد مصر واليا بعث جرائد الخيل إلى المغرب واستشار عثمان في إفريقية ، وعزل عثمان سعدا عن الكوفة وولى عليها الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٢] ، فبعث الوليد سلمان بن ربيعة الباهلي في اثني عشر ألفا إلى برذعة فافتتحها عنوة وقتل وسبى ، وغزا البلقان فصالحوه قبل أن يجيء إلى برذعة ، وبعث خيله إلى جرزان فصالحوه ، وفي هذه السنة كانت غزوة سابور الأولى ؛ ثم حج عثمان بالناس .

أمنية عثمان

نظر عثمان بن عفان رحمه الله إلى عير مقبلة ، فقال لأبي ذرّ : ما كنت تحب أن تحمل هذه؟ قال أبو ذر : رجالا مثل عمر .

مقتل عثمان

قال أبو الحسن : خاض جلساء عبد الملك يوما في قتل عثمان ، فقال رجل منهم : يا أمير المؤمنين ، في أي سنيك كنت يومئذ؟ قال : كنت دون المحتلم ، قال : فما بلغ من حزنك عليه؟ قال : شغلني الغضب له عن الحزن عليه

استخلاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن الهاشمي ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام

---

(١) أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي السرح العامري القرشي ,صحابي وقائد عسكري وهو أخ عثمان بن عفان من الرضاعة ووالي مصر في عهد خلافته وهو فاتح إفريقيا وهزم الروم في معركة ذات الصواري وشارك في فتح مصر حيث كان صاحب الميمنة في جيش عمرو بن العاص .

(٢) عقبة بن أبي معيط من كبار مشركي قريش كان يضع الجزور بطريق الرسول محمد بن عبد الله ، وحاول مرة خنقه بيده .

بن عبد مناف ، وهاشم أخو هشام ، ومن زعم أنه أسد بن هاشم بن عبد مناف فقد وهم .

أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : كان علي قد تخلف عن رسول الله ﷺ في خيبر وكان به رمد فقال : أنا أتخلف»

عن رسول الله ﷺ! فخرج فلحق بالنبي ﷺ ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ : «لأعطين الراية- أو ليأخذن الراية- غدا رجل يحبه الله ورسوله ، يفتح الله عليه» ، فإذا نحن بعليّ وما نرجوه ، فقالوا : هذا عليّ ، فأعطاه رسول الله ﷺ ، ففتح الله عليه .

قال أبو حاتم : لما كان من أمر عثمان ما كان قعد علي في بيته وأتاه الناس يهرعون إليه . كلهم يقولون : أمير المؤمنين عليّ ، حتى دخلوا عليه داره وقالوا :

نبايعك ، فإنه لا بد من أمير وأنت أحق ، فقال عليّ : ليس ذلك إليكم ، إنما ذلك لأهل بدر ، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا يطلبون البيعة وهو يأبى عليهم ، فجاء الأشتر مالك بن الحارث النخعي إلى عليّ فقال له : ما يمنعك أن تجيب هؤلاء إلى البيعة؟ فقال : لا أفعل إلا عن ملأ وشورى ، وجاء أهل مصر فقالوا : ابسط يدك نبايعك ، فو الله! لقد قتل عثمان ، وكان قتله لله رضى ، فقال عليّ : كذبتم ، والله ما كان قتله لله رضى! لقد قتلتموه بلا قود ولا حد ولا غيره ؛ وهرب مروان فطلب فلم يقدر عليه ، فلما رأى ذلك علي منهم خرج إلى المسجد وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : يا أيها الناس! رضيتم مني أن أكون عليكم أميرا؟ فكان أول من صعد إليه المنبر طلحة فبايعه بيده ، وكان إصبع طلحة شلاء فرآه أعرابي يبايع فقال : يد شلاء وأمر لا يتم ، فتطير علي منها وقال : ما أخلقه أن يكون كذلك ، ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب رسول الله ﷺ ؛ ثم بلغ عليا أن سعدا وابن عمر ومحمد بن مسلمة يذكرون هنات ، فقام علي خطيبا فحمد الله وأثنى عليه فقال : أيها الناس! إنكم بايعتموني على ما بايعتم عليه أصحابي ، فإذا بايعتموني فلا خيار لكم عليّ ، وعلى الإمام الاستقامة ، وعلى الرعية التسليم ، وهذه بيعة عامة ، فمن ردها رغب عن دين المسلمين واتبع غير سبيلهم ، ولم تكن بيعته إياي فلتة ، وليس أمري وأمركم واحدا ، أريد الله وتريدونني لأنفسكم ، وأيم الله! لأنصحن الخصم ولأنصفن المظلوم .

وقد أكثر الناس في قتل عثمان ، فمنهم من قد زعم أنه قتل ظالما ، ومنهم من قد زعم أنه قتل مظلوما ، وكان الإكثار في ذلك على طلحة والزبير ، قالت قريش : أيها الرجلان! إنكما قد وقعتما في ألسن الناس في أمر عثمان فيما وقعتما فيه ، فقام طلحة في الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال : أيها الناس! ما قلنا في عثمان أمس إلا نقول لكم فيه اليوم مثله أنه خلف الدنيا بالتوبة ، ومال عليه قوم فقتلوه ، وأمره إلى الله ؛ ثم قام الزبير فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي ﷺ ثم قال : يا أيها الناس! إن الله اختار من كل شيء شيئا ، واختار من الناس محمدا ﷺ ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، واختار من الشهور رمضان وأنزل فيه القرآن وفرض فيه الصيام ، واختار من الأيام يوم الجمعة فجعله عيدا لأهل الإسلام ، واختار من البلدان هذين الحرمين : مكة والمدينة ، فجعل بمكة البيت الحرام ، وجعل بالمدينة حرم رسول الله ﷺ ، وجعل ما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة ، واختار من الشورى التسليم كما اختار هذه الأشياء ، فأذهبت الشورى بالهوى والتسليم بالشك ، وقد تشاورنا فرضينا عليا ، وأما إن قتل عثمان فأمره إلى الله .

فلما رأى علي اختلاف الناس في قتل عثمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس! أقبلوا عليّ بأسماعكم وأبصاركم ، إن الناس بين حق وباطل ، فلئن علا أمر الباطل لقديما ما فعل ، وإن يكن الحق قد غاب فلعل ، وإني أخاف أن أكون أنا وأنتم قد أصبحنا في فتنة ، وما علينا فيها إلا الاجتهاد ، الناس اثنان وثلاثة لا سادس لهم : ملك طار بجناحيه ، أو نبي أخذ الله بيده ، أو عامل مجتهد ، أو مؤمل يرجو ، أو مقصر في النار ؛ وإن الله أدب هذه الأمة بأدبين : بالسيف والسوط ، لا هوادة عند السلطان فيهما ، فاستتروا واستغفروا الله فأصلحوا ذات بينكم .

ثم نزل وعمد إلى بيت المال وأخرج ما فيه وفرقه على المسلمين ، ثم بعث إلى سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة فقال : لقد بلغني عنكم هنات ، فقال سعد : صدقوا! لا أبايعك ، ولا أخرج معك حيث تخرج حتى تعطيني سيفا يعرف المؤمن من الكافر ، وقال له ابن عمر : أنشدك الله والرحم أن تحملني على ما لا أعرف ، والله! لا أبايع حتى يجتمع المسلمون على من جمعهم الله عليه ، وقال محمد بن مسلمة : إن رسول الله ﷺ أمرني إذا اختلف أصحابه ألا أدخل فيما بينهم ، وأن أضرب بسيفي صخر أحد ، فإذا انقطع أقعد في بيتي حتى تأتيني يد خاطئة أو منية قاضية ، وقد

فعلت ذلك ؛ ثم دعا عليّ أسامة بن زيد وأراده على البيعة فقال أسامة : أما البيعة فإنني أبايعك ، أنت أحب إليّ وآثرهم عندي ، وأما القتال فإني عاهدت رسول الله ﷺ ألا أقاتل رجلا يشهد أن لا إله إلا الله ، فلما رآهم علي مختلفين قال : أخرجوني من هذه البيعة واختاروا لأنفسكم من أحببتم ، فسكتوا وقاموا وخرجوا ، فدخل عليه المغيرة بن شعبة فقال : يا أمير المؤمنين! إني مشير عليك بخلال ثلاث فافعل أيها شئت ، فقال : ما هي يا أعور؟

فقال : إني أرى من الناس بعض التثاقل فيك ؛ فأرى أن تأتي بحمل ظهر فتركبه وتركض في الأرض هاربا من الناس ، فإنهم إذا رأوا ذلك منك ابتاعوا جمالا أظهر من جمالك وخيولا ، ثم ركضوا في أثرك حتى يدركوك حيث ما كنت ويقلدوك هذا الأمر على اجتماع منهم شئت أو أبيت ، فإن لم تفعل هذا فأقرّ معاوية على الشام كله واكتب إليه كتابا بذلك تذكر فيه من شرفه وشرف آبائه وأعلمه أنك ستكون له خيرا من عمر وعثمان ، واردد عمرو بن العاص على مصر ، واذكر في كتابك شرفه وقدمه ، فإنه رجل يقع الذكر منه موقعا ، فإذا ثبت الأمر أذنت لهما حينئذ في القدوم عليك تستخبر هما عن البلاد والناس ، ثم تبعث بعاملين وتقرهما عندك ؛ فإن أبيت فاخرج من هذه البلاد فإنها ليست ببلاد كراع وسلاح .

فقال علي : أما ما ذكرت من فراري من الناس فكيف أفر منهم وقد بايعوني ، وأما أمر معاوية وعمرو بن العاص فلا يسألني الله عن إقرارهما ساعة واحدة في سلطاني وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ، وأما خروجي من هذه البلاد إلى غيرها فإني ناظر في ذلك . فخرج من عنده المغيرة ثم عاد وهو عازم على الخروج إلى الشام واللحاق بمعاوية ، فقال له : يا أمير المؤمنين! أشرت عليك بالأمس في رأيي بمعاوية وعمرو ، إن الرأي أن تعاجلهم بالنزع ، فقد عرف السامع من غيره ، وتستقبل أمرك ، ثم خرج من عنده فلقيه ابن عباس خارجا وهو داخل ، فلما انتهى إليه قال : رأيت المغيرة خارجا من عندك ، فيم جاءك؟ قال : جاءني أمس برأي واليوم برأي ، وأخبره بالرأيين ، فقال ابن عباس : أما أمس فقد نصحك ، وأما اليوم فقد غشك ، قال : فما الرأي؟ قال ابن عباس : كان الرأي قبل اليوم ، قال علي :

عليّ ذلك! قال : كان الرأي أن تخرج إلى مكة حتى تدخلها وتدخل دارا من دورها وتغلق عليك بابك ، فإن الناس لم يكونوا ليدعوك ، وإن قريشا كانت تضرب الصعب والذلول في طلبك ، لأنها لا تجد غيرك ، فأما اليوم فإن بني أمية يستحسنون

الطلب بدم صاحبهم ، ويشبهون على الناس أن يلزموك شعبة من أمره ويلطخونك من ذلك ببعض اللطخ . فهمّ علي بالنهوض إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما رأى معاوية وما هو صانع ، فجاءه أبو أيوب الأنصاري[١] فقال له : يا أمير المؤمنين! لو أقمت بهذه البلاد! لأنها الدرع الحصينة ومهاجرة للنبي ﷺ ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام ، فإن استقامت لك العرب كنت فيها كمن كان ، وأن تشعب»

عليك قوم رميتهم بأعدائهم ، وإن ألجئت حينئذ إلى المسير سرت وقد أعذرت ، فقال علي : إن الرجال والأموال بالعراق ، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، ثم أخذ بما أشار عليه أبو أيوب الأنصاري وعزم على المقام بالمدينة ؛ وبعث العمال على الأمصار ، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة أميرا ، وعمارة بن حسان ابن شهاب على الكوفة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد[٢] على مصر ، وسهل بن حنيف[٣] على الشام ؛ فأما سهل بن حنيف فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيه خيل من أهل الشام فقالوا له : من أنت؟ قال : أمير ، قالوا : على أي شيء؟ قال : على الشام ، قالوا : إن كان عثمان بعثك فحي هلا بك ، وإن كان بعثك غيره فارجع ، قال : ما سمعتم بالذي كان؟ قالوا : بلى ، ولكن ارجع إلى بلدك ، فرجع إلى علي وإذا القوم أصحاب .

وأما قيس بن سعد فإنه انتهى إلى إيلة فلقيه طلائع فقالوا له : من أنت؟ فقال :

أنا من الأصحاب الذين قتلوا وشردوا من البلاد ، فأنا أطلب مدينة آوي إليها ، فقالوا : ومن أنت؟ قال : أنا قيس بن سعد بن عبادة ، فقالوا : امض بنا ، فمضى

---

(١) أبو أيوب الأنصاري ، خالد بن زيد بن كليب الخزرجي النجاري ، صحابي من الأنصار ، شهد بيعة العقبة وغزوة بدر وغزوة أحد وسائرَ المشاهد مع رسول الإسلام محمد ، وهو الذي خصَّه الرسولُ محمدٌ بالنزول في بيته عندما قدم المدينة المنورة مهاجراً ، وأقام عنده حتى بنى حجره ومسجده وانتقل إليها .

(٢) قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الخزرجي صحابي جليل من أكرم بيوت العرب وأعرقها نسبًا ، فأبوه هو الصحابي الجليل سعد بن عبادة سيد الخزرج .

(٣) أبو أمامة سهل بن حنيف ، الأنصاري الأوسي المدني ، ولد في حياة محمد بن عبد الله–صلى الله عليه واله وسلم – ، ورآه وحدث عن أبيه وعمر وعثمان وزيد بن ثابت ومعاوية وابن عباس . وعنه الزهري وأبو حازم وجماعة .

قيس حتى دخل مصر وأظهر لهم حاله . وأخبرهم أنه ولي على مصر ، فافترق عليه أهل مصر فرقا : فرقة دخلت في الجماعة وبايعت ، وفرقة أمسكت واعتزلت ، وفرقة قالت : إن قيد من قتلة عثمان فنحن معه وإلا فلا ، فكتب قيس بن سعد بجميع ما رأى من أهل مصر إلى علي .

وأما عبيد الله بن عباس[1] فإنه خرج منطلقا إلى اليمن ، لم يعانده أحد ولم يصدّه عنها صاد حتى دخلها فضبطها لعلي ، وأما عمارة بن حسان بن شهاب فإنه أقبل عامدا إلى الكوفة حتى إذا كان بزبالة لقيه طليحة بن خويلد الأسدي وهو خارج إلى المدينة يطلب دم عثمان ، فقال طليحة : من أنت؟ قال : أنا عمارة بن حسان بن شهاب ، قال : ما جاء بك؟ قال : بعثت إلى الكوفة أميرا ، قال : ومن بعثك؟ قال : أمير المؤمنين علي ، قال : الحق بطيّتك ، فإن القوم لا يريدون بأميرهم أبي موسى الأشعري بدلا ، فرجع عمارة إلى علي وأخبره الخبر ، وأقام طليحة بزبالة .

وأما عثمان بن حنيف فإنه مضى يريد البصرة وعليها عبد الله بن عامر بن كريز ، وبلغ أهل البصرة قتل عثمان ، فقام ابن عامر فصعد المنبر وخطب وقال : إن خليفتكم قتل مظلوما ، وبيعته في أعناقكم ، ونصرته ميتا كنصرته حيا ، واليوم ما كان أمس ، وقد بايع الناس عليا ونحن طالبون بدم عثمان ، فأعدوا للحرب عدتها ، فقال له حارثة بن قدامة : يا ابن عامر! إنك لم تملكنا عنوة وقد قتل عثمان بحضرة المهاجرين والأنصار وبايع الناس عليا ، فإن أقرك أطعناك ، وإن عزلك عصيناك ، فقال ابن عامر : موعدك الصبح ، فلما أمسى تهيأ للخروج وهيأ مراكبه وما يحتاج إليه ، واتخذ الليل جملا يريد المدينة ، واستخلف عبد الله بن عامر الحضرمي على البصرة ، فأصبح الناس يتشاورون في ابن عامر وأخبروا بخروجه ، فلما قدم ابن عامر المدينة أتى طلحة والزبير فقالا له : لا مرحبا بك ولا أهلا! تركت العراق والأموال ، وأتيت المدينة خوفا من علي ، ووليتها غيرك ، واتخذت الليل جملا ، فهلا أقمت حتى يكون

(١) عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، ابن عم النبي ﷺ ، وكان أصغر من أخيه عبد الله بسنة ، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية . وكان عبيد الله كريما جميلا وسيما يشبه أباه في الجمال ، وروي أن رسول الله ﷺ كان يصف عبد الله وعبيد الله وكثيرا صفا ويقول : «من سبق إليّ فله كذا» فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم .

لك بالعراق فئة ، قال ابن عامر : فأما إذا قلتما هذا فلكما عليّ مائة ألف سيف وما أردتما من المال .

ثم أتت أم كلثوم بنت علي[١] أباها وكانت تحت عمر بن الخطاب ، فقالت له : إن عبد الله بن عمر رجل صالح ، وأنا أتكفل ما يجيء منه لك ، فلما كان من قدوم ابن عامر المدينة جاء ابن عمر إليها فقال : يا أماه! إنك قد كفّلت فيّ وأنا أريد الخروج إلى العمرة الساعة ، ولست بداخل في شيء يكرهه أبوك غير أني ممسك حتى يجتمع الناس ، فإن شئت فأذني ، وإن شئت فابعثيني إلى أبيك ، قالت : لا ، بل اذهب في حفظ الله وتحت كنفه ، فانطلق ابن عمر معتمرا .

فلما أصبح الناس أتوا عليّا فقالوا : قد حدث البارحة حدث هو أشد من طلحة والزبير ومعاوية ، قال علي : وما ذاك؟ قالوا : خرج ابن عمر إلى الشام ، فأتى علي السوق وجعل يعد طلابا ليرد ابن عمر ، فسمعت أم كلثوم بذلك فركبت بغلتها حتى أتت أباها فقالت : إن الأمر على غير ما بلغك ، وحدثته بما ذكر لها ابن عمر ، فطابت نفس علي بذلك ، فما انصرفوا من السوق حتى جاءهم بعض القدام من العمرة وأخبروه أنهم رأوا ابن عمر وآخر معه على حمارين محرمين بكساءين .

ثم كتب علي إلى معاوية : «بسم الله الرحمن الرحيم – من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد! فإنه قد بلغك ما كان من مصاب عثمان وما اجتمع الناس عليه من بيعتي فادخل في السلام كما دخل الناس وإلا فأذن بحرب كما يؤذن أهل الفرقة– والسلام . وبعث كتابه مع سبرة الجهني والربيع بن سبرة ، فلما قدم سبرة بكتاب علي ودفعه إلى معاوية جعل يتردد في الجواب مدة ، فلما طال ذلك عليه دعا معاوية رجلا من عبس يدعى قبيصة فدفع إليه طومارا مختوما عنوانه «من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب» وقال له : إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار وأبرزه– وأوصاه بما يقول ، وبعثه مع سبرة رسول علي فقدما المدينة ، فرفع العبسي الطومار كما أمر معاوية ، فخرج الناس ينظرون إليه وعلموا حينئذ أن معاوية معترض

(١) هي أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة الزهراء وتسمى أيضاً زينب الصغرى تمييزا لها عن أختها زينب الكبرى إذ تشتركان بالاسم واللقب ، فهي بذلك حفيدة رسول الله محمد بن عبد الله . تزوجت من عمر بن الخطاب ثم ابن عمها محمد بن جعفر بن أبي طالب .

معاند ؛ فلما دخلا على علي دفع إليه العبسي الطومار ففض عن خاتمه فلم يجد في جوفه شيئا ، فقال لسبرة : ما وراءك؟ قال : تركت قوما لا يرضون إلا بالقود ، وقد تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان ، فقال علي : أمني يطلبون دم عثمان .

ثم كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على الكوفة «بسم الله الرحمن الرحيم- من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعري ، سلام عليك! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد! فإنه قد بلغك ما كان من مصاب عثمان وما اجتمع الناس عليه من بيعتي ، فادخل فيما دخل فيه الناس ورغب أهل ملكك في السمع والطاعة ، واكتب إلي بما كان منك ومنهم إن شاء الله- والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» . وبعث الكتاب مع عبد الأسلمي ، فلما قدم معبد الكوفة دعا أبو موسى الأشعري الناس إلى طاعة علي فأجابوه طائعين ، وكتب إلى علي بن أبي طالب «بسم الله الرحمن الرحيم- لعبد الله علي أمير المؤمنين من عبد الله بن قيس ، سلام عليك! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد! فقد قرأت كتابك ودعوت من قبلي المسلمين فسمعوا وأطاعوا- والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» ودفع كتابه إلى معبد .

وكانت عائشة خرجت معتمرة ، فلما قضت عمرتها نزلت على باب المسجد واجتمع إليها الناس فقالت : أيها الناس! إن الغوغاء من أهل الأمصار وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول بالأمس ظلما ، واستحلوا البلد الحرام وسفكوا الدم الحرام . فقال عبد الله ابن عامر : ها أنا ذا أول طالب بدمه ، فكان أول من انتدب لذلك .

ولما كثر الاختلاف بالمدينة استأذن طلحة[١] والزبير عليا في العمرة ، فقال لهما : ما العمرة تريدان ، وقد قلت لكما قبل بيعتكما لي : أيكما شاء بايعته ، فأبيتما إلا بيعتي ، وقد أذنت لكما ، فاذهبا راشدين ، فخرجا إلى مكة وتبعهما عبد الله بن عامر بن كريز[٢] فلما لحقهما قال لهما : ارتحلا فقد بلغتكما حاجتكما ، فاجتمعوا مع

(١) الصحابي طلحة بن عبيد الله التَّيمي القُرشي الكناني .

(٢) عبد الله بن كريز العبشمي القرشي صحابي جليل فتح جميع إقليم خراسان وكان واليا في عهد عثمان حتى عزله معاوية وهو شريفا في قومه بارا بهم جوادا كريما من أجود رجال قريش والعرب .

عائشة بمكة وبها جماعة من بني أمية .

ثم جمع معاوية أهل الشام على محاربة علي والطلب بالقود من دم عثمان ، واحتال في قيس بن سعد بن عبادة وكان واليا على مصر ، وكتب إلى علي كتابا يمرغ فيه معاوية ، فلما قرأ علي الكتاب عزل قيسا وولى عليها محمد بن أبي بكر .

وخرج قسطنطين بن هرقل[1] بالمراكب يريد المسلمين ، فسلط الله عليهم ريحا قاصفا فغرقهم ، ونجا قسطنطين بن هرقل حتى انتهى إلى صقلية ، فصنعت الروم حماما ، فلما دخله قتلوه فيه وقالوا له : قتلت رجالنا .

ثم حج بالناس عبد الله بن عباس ، أمره علي على الحج ، فلما انصرف أجمع طلحة والزبير على المسير بعائشة ، فقال طلحة : ما لنا أمر أبلغ في استمالة الناس إلينا من شخوص ابن عمر معنا ، وكان من أمره في عثمان وخلافه له على ما يعلمه من يعلمه ، فأتاه طلحة فقال : يا أبا عبد الرحمن! إن عائشة قصدت الإصلاح بين الناس فاشخص معنا فإن لك بنا أسوة ، فقال ابن عمر : أتخدعونني لتخرجوني كما تخرج الأرنب من جحرها! إن الناس إنما يخدعون بالوصيف والوصيفة والدنانير والدراهم ، ولست من أولئك ، قد تركت هذا الأمر عيانا وأنا أدعى إليه في عافية ، فاطلبوا لأمركم غيري ، فقال طلحة : يغني الله عنك .

وقدم يعلى بن أمية من اليمن وقد كان عاملا عليها بأربعمائة من الإبل ، فدعاهم إلى الحملان ، فقال له الزبير : دعنا من إبلك هذه ، ولكن أقرضنا من هذا المال ، فأعطاه ستين ألف دينار ، وأعطى طلحة أربعين ألف دينار ، فتجهزوا وأعطوا من خف معهم .

---

(١) قسطنطين أو كونستانتينوس الثالث (٦١٢ - ٦٤١) هو الابن الأكبر للإمبراطور البيزنطي هرقل (هيراكليوس) وزوجته الأولى يودوكيا . حكم قسطنطين لمدة أربعة أشهر عام ,٦٤١ بعدما توفي والده هرقل عام ٦٤١ ، عين قسطنطين كإمبراطور أول للبيزنطيين ، وقد كان أخوه هرقلوناس ، ابن مارتينا (زوجة هرقل الأخرى) ، إمبراطوراً أيضاً . بعد أربعة أشهر من اعتلائه العرش الإمبراطوري توفي بسبب مرض السل ، الأمر الذي أدى بأن يحكم هيراكلوناس لوحده الإمبراطورية البيزنطية . يقال بأن قسطنطين توفي جراء سم وضعته زوجة أبيه ووالدة أخيه هيراكلوناس مارتينا .

حسن جواب علي

قال رجل من اليهود لعلي بن أبي طالب : ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير .

فقال له عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أنتم ما جفّت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم : ﴿اجعل لنا الها كما لهم آلهة﴾ .

ومن المنقول عن علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عن البحتري قال :

جاء رجل الى عليّ ابن أبي طالب ، فأطراه وكان يبغضه ، فقال له :

إني ليس كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك .

فراسة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

أخبر سمّاك بن حرب[1] ، عن خبش بن المعتمر أن رجلين أتيا امرأة من قريش ، فاستودعاها مئة دينار وقالا : لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع .

فلبثا حولا ، فجاء أحدهما إليها ، فقال : ان صاحبي قد مات ، فادفعي إليّ الدنانير ، فأبت وقالت : انكما قلتما لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه ، فلست بدافعتها اليك .

فتثقل عليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها اليه .

ثم لبثت حولا فجاء الآخر ، فقال : ادفعي اليّ الدنانير .

فقالت : إن صاحبك جاءني ، فزعم أنك مت فدفعتها اليه .

فاختصما الى عمر بن الخطاب ، فأراد أن يقضي عليها ، فقالت : أنشدك الله ألا تقضي بيننا ، ارفعنا الى عليّ .

فرفعهما الى علي ، فعرف أنهما قد مكرا بها ، فقال للرجل : أليس قد قلتما : لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه؟

قال : بلى .

قال : فان مالك عندها ، فاذهب فجئ بصاحبك حتى ندفعها اليهما .

---

(١) ابن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة . الحافظ الإمام الكبير أبو المغيرة الذهلي البكري الكوفي أخو محمد وإبراهيم .

تزويج الحسن بن علي

خَطَبَ أَميرُ الْمُؤْمنينَ عَليُّ بْنُ أَبي طَالب عَلَيْه السَّلامُ عَلَى الْحَسَنِ ابْنه ، أُمَّ عمْرَانَ بنْتَ سَعيد بْنِ قَيْسٍ الْهَمْدَانيِّ ، فَقَالَ : فَوْقي أَميرٌ أُوَامرُهُ ، يَعْني أُمَّهَا ، فَقَالَ : قُمْ فَوَامرْهَا ، فَخَرَجَ منْ عنْده فَلَقيَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْس بِالْبَاب ، فَأَخْبَرَهُ الخبر ، فَقَالَ : مَا تُريدُ إِلَى الْحُسَنِ يَفْخَرُ عَلَيْهَا وَلا يَنْصفُهَا ، وَيُسيءُ إِلَيْهَا ، فَيَقُولُ : ابْنُ رَسُول اللَّه ﷺ وَابْنُ أَمير الْمُؤْمنينَ ، وَلَكنْ هَلْ لَكَ في ابْنِ عَمِّهَا فَهيَ لَهُ وَهُوَ لَهَا ؟ قَالَ : وَمَنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدُ بْنُ الأَشْعَث ، قَالَ : قَدْ زَوَّجْتُهُ ، وَدَخَلَ الأَشْعَثُ عَلَى أَمير الْمُؤْمنينَ عَليٍّ عَلَيْه السَّلامُ ، فَقَالَ : يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ خَطَبَ الْحُسَنُ ابْنَةَ سَعيد ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ لَكَ في أَشْرَفَ منْهَا بَيْتًا ، وَأَكْرَمَ منْهَا حَسَبًا ، وَأَتَمَّ جَمَالاً ، وَأَكْثَرَ مَالا ؟ قَالَ : وَمَنْ هيَ ؟ قَالَ : جَعْدَةُ بنْتُ الأَشْعَث بْن قَيْس ، قَالَ : قَدْ قَاوَلْنَا رَجُلا لَيْسَ إِلَى ذَلكَ الَّذي قَاوَلْتُهُ سَبيلٌ ، قَالَ : إِنَّهُ فَارَقَهُ ليُؤَامرَ أُمَّهَا ، قَالَ : فَزَوَّجَهَا منْ مُحَمَّد بْنِ الأَشْعَث ، قَالَ : مَتَى ؟ قَالَ : السَّاعَةَ بِالْبَاب ، قَالَ : فَزَوَّجَ الْحُسَنُ جَعْدَةَ ، فَلَمَّا لَقيَ سَعيدٌ الأَشْعَثَ ، قَالَ : يَا أَعْوَرُ خَدَعْتَني ؟ قَالَ : أَنْتَ يا أَعْوَرُ حَيْثُ تَسْتَشيرُني في ابْنِ رَسُول اللَّه ﷺ ، أَلَسْتَ أَحْمَقُ ، ثُمَّ جَاءَ الأَشْعَثُ إِلَى الْحُسَن ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّد أَلا تَزُورُ أَهْلَكَ ، فَلَمَّا أَرَادَ ذَلكَ ، قَالَ : لا تَمْشي وَاللَّه إِلا عَلَى أَرْديَة قَوْمي ، فَقَامَتْ لَهُ كنْدَةُ سمَاطَيْنِ ، وَجَعَلَتْ لَهُ أَرْديَتَهَا بُسُطًا منْ بَابه إِلَى بَابِ الأَشْعَث .

فطنة الحسن

ومن المنقول عن الحسن بن علي رضي الله عنهما :

لمل جيء بابن ملجم الى الحسن قال له : أريد أن أسارّك بكلمة .

فأبى الحسن وقال : إنه يريد أن يعض أذني .

فقال ابن ملجم : والله لو مكّنني منها لأخذتها من صماخه .

الحسين والحالف كذباً

ومن المنقول عن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلا ادّعى عليه مالا وقدّمه الى القاضي ، فقال الحسين :

ليحلف على ما ادّعى ويأخذه .

فقال الرجل : والله الذي لا إله إلا هو .

فقال : قل والله والله والله ان هذا الذي تدّعيه لك قبلي .
ففعل الرجل وقام ، فاختلفت رجلاه وسقط ميّتا .
فقيل للحسين في ذلك فقال :
كرهت أن يمجّد الله فيحلم عنه!

منازل الخلفاء

قال أحد الرواة :

كان في زمن المهدي رجل صوفي ، وكان عاقلا عاملا ورعا ، فتحمّق ليجد السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وكان يركب قصبة في كل جمعة يومين : الأثنين والخميس ، فإذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة ، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان ، فيصعد تلّا وينادي بأعلى صوته : ما فعل النبيون والمرسلون ، أليسوا في أعلى عليين؟ فيقولون : نعم .

قال : هاتوا أبا بكر الصديق . فأخذ غلام فأجلس بين يديه ؛ فيقول : جزاك الله خيرا أبا بكر عن الرعية ، فقد عدلت وقمت بالقسط ، وخلفت محمدا عليه الصلاة والسلام فأحسنت الخلافة ، ووصلت حبل الدين بعد حلّ وتنازع ، وفرغت منه إلى أوثق عروة وأحسن الخلافة ، ووصلت حبل الدين بعد حلّ وتنازع ، وفرغت منه إلى أوثق عروة وأحسن ثقة ؛ اذهبوا به إلى أعلى عليين .

ثم ينادي : هاتوا عمر . فأجلس بين يديه غلام ، فقال : جزاك الله خيرا أبا حفص عن الإسلام ، قد فتحت الفتوح ، ووسعت الفيء ، وسلكت سبيل الصالحين ، وعدلت في الرعية ؛ اذهبوا به إلى أعلى عليين بحذاء أبي بكر .

ثم يقول : هاتوا عثمان . فأتي بغلام فأجلس بين يديه ، فيقول له : خلطت في تلك السنين ، ولكن الله تعالى يقول : خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

ثم يقول : اذهبوا به إلى صاحبيه في أعلى عليين! ثم يقول : هاتوا عليّ بن أبي طالب . فأجلس غلام بين يديه ، فيقول : جزاك الله عن الأمة خيرا أبا الحسن ، فأنت الوصي ووليّ النبي ، بسطت العدل وزهدت في الدنيا ، واعتزلت الفيء فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر ، وأنت أبو الذرية المباركة ، وزوج الزكية الطاهرة ؛ اذهبوا به إلى أعلى عليين الفردوس .

ثم يقول : هاتوا معاوية . فأجلس بين يديه صبيّ ، فقال له : أنت القاتل عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، وحجر بن الأدبر الكندي الذي أخلقت وجهه العبادة ؛ وأنت الذي جعل الخلافة ملكا ، واستأثر بالفيء ، وحكم بالهوى ، واستنصر بالظلمة ؛ وأنت أول من غيّر سنة رسول الله ﷺ ، ونقض أحكامه ، وقام بالبغي ، اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة! ثم قال : هاتوا يزيد . فأجلس بين يديه غلام ، فقال له : يا قوّاد! أنت الذي قتلت أهل الحرةّ ، وأبحت المدينة ثلاثة أيام ، وانتهكت حرم رسول الله ﷺ ، وآويت الملحدين ، وبؤت باللعنة على لسان رسول الله ﷺ ، وتمثلت بشعر الجاهلية .

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وقتلت حسينا ، وحملت بنات رسول الله ﷺ سبايا على حقائب الإبل ؛ اذهبوا به إلى الدرك الأسفل من النار .

ولا يزال يذكر واليا بعد وال ، حتى بلغ إلى عمر بن عبد العزيز ، فقال : هاتوا عمر . فأتى بغلام فأجلس بين يديه ، فقال : جزاك الله خيرا عن الإسلام ، فقد أحييت العدل بعد موته ، وألفت القلوب القاسية ، وقام بك عمود الدين على ساق ، بعد شقاق ونفاق ؛ اذهبوا به فألحقوه بالصديقين .

ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء إلى أن بلغ دولة بني العباس ، فسكت فقيل له :

هذا أبو العباس أمير المؤمنين . قال : فبلغ أمرنا إلى بني العباس؟ ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعا .

أدب العباس

ومن المنقول عن العباس[1] رضي الله عنه أنه سئل : أنت أكبر أم النبي ﷺ ؟ فقال : هو أكبر مني ، وأنا ولدت قبله .

---

(١) العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي صحابي من صحابة رسول الإسلام محمد ، وعمُه ، وكنيته أبو الفضل ، وقد وُلد قبل عام الفيل بثلاث سنين (٥٦٧م) ، وضاع وهو صغير ، فنذرت أمه نتيلة بنت جناب بن كليب النمرية إن وجدته أن تكسو البيت الحرير ، فوجدته فكست البيت الحرام حريرا ، فهي أوّل من كساه كذلك . وذريته هم من أسس الدولة العباسية ، وقد حدث عن النبي بأحاديث ، وروى عنه أولاده ، وعامر بن سعد ، والأحنف بن قيس ، وعبد اللّه بن الحارث ، وغيرهم .

من أخبار الصحابة

عن خبيب بن عبد الرحمن[١] ، عن أبيه ، عن جده ، قال : شهدت مع رسول الله ﷺ ، فقتلت رجلاً ، وضربني ضربةً ، فتزوّجت بابنته بعد ، فكانت تقول : لا عدمتُ رجلاً وشحك هذا الوشاح ؛ فأقول : لا عدمت رجلاً عجّل أباك إلى النار .

روى سعيدُ المقبري ، عن أبي هريرة ، أنّه قال : «لا يزالُ العبدُ في صلاة ما لم يحدث» فقال رجلٌ من القوم أعجمي : ما الحدثُ يا أبا هريرة؟ قال : الصوت ، قال : وما الصوت؟ فجعل أبو هريرة يضرط بفيه حتى أفهمه .

عن أبي مليكة ، قال : قال ابن الزبير لابن جعفر : أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ ، أنا وأنت وابن عباس ، قال : نعم ، فحملنا وتركك .

مناظرة لابن القيم[٢]

قول ابن القيم رحمه الله

جرت لي «مناظرة» بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة ، فقلت له في أثناء الكلام : أنتم بتكذيبكم محمدا ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة .

فعجب من ذلك ، وقال : مثلك يقول هذا الكلام! فقلت له : اسمع الآن تقريره ، إذا قلتم : إن محمدا ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس برسول من عند الله ، وقد أقام ثلاثا وعشرين سنة يدعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة ، ويقول : أمرني الله بكذا ، ونهاني عن كذا ، وأوحى إلى كذا ؛ ولم يكن من ذلك شيء ، ويقول : أنه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم ، وغنيمة أموالهم ، وقتل رجالهم ؛ ولم يكن من ذلك شيء ، وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء ، ومعاداة أممهم ، ونسخ

---

(١) خبيب بن عبد الرحمن رجل من الأنصار مدني ثقة وهو خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشام بن الحارث الأنصاري .

(٢) ابن قيّم الجوزية من علماء المسلمين في القرن الثامن الهجري وصاحب المؤلفات العديدة ، عاش في دمشق ودرس على يد ابن تيمية الدمشقي ولازمه قرابة ١٦ عاما وتأثر به . وسجن في قلعة دمشق في أيام سجن ابن تيمية وخرج بعد أن توفى شيخه عام ٧٢٨ هـ .

شرائعهم ، فلا يخلو إما أن تقولوا أن الله سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه ، أو تقولوا أنه خفي عنه ولم يعلم به ، فإن قلتم لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل ، وكان من علم ذلك أعلم منه .

وإن قلتم بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه ، فلا يخلو إما أن يكون قادرا على تغييره ، والأخذ على يديه ومنعه من ذلك ، أولا ، فإن لم يكن قادرا فقد نسبتموه إلى .

أقبح العجز المنافي للربوبية ، وإن كان قادرا ، وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعليه ويعلي كلمته ، ويجيب دعاءه ، ويمكنه من أعدائه ، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف ، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به ، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له .

فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء فضلا عن رب الأرض والسماء ؛ فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه ، وهذه عندكم شهادة زور وكذب ، فلما سمع ذلك . قال :

معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد ، قلت : فما لك لا تدخل في دينه؟ قال : إنما بعث إلى الأميين الذي لا كتاب لهم ، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه .

قلت له : غلبت كل الغلب ، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق ، وأن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم ، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب ، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به ؛ فأمسك ولم يحر جوابا .

وقريب من هذه المناظرة ما جرى لبعض علماء المسلمين مع بعض اليهود ببلاد المغرب قال له المسلم : في التوراة التي بأيديكم إلى اليوم أن الله قال لموسى : «إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبيا مثلك ، أجعل كلامي على فِيه ، فمن عصاه انتقمت منه» قال له اليهودي : ذلك يوشع بن نون ، فقال المسلم :

هذا محال من وجوه :

(أحدها) : أنه قال عندك في آخر التوراة (أنه لا يقوم في بني إسرائيل نبي مثل موسى) .

(الثاني) : أنه قال (من إخوتهم) وأخوة بني إسرائيل ، إما العرب و إما الروم ،

فإن العرب بنو إسماعيل والروم بنو العيص وهؤلاء أخوة بني إسرائيل ، فأما الروم فلم يقم منهم نبي سوى أيوب ، وكان قبل موسى فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة ، فلم يبق إلا العرب وهم بنو إسماعيل وهم أخوة بني إسرائيل .

وقد قال الله في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب «أنه يضع فسطاطه في وسط بلاد أخوته» وهم بنو إسرائيل ، وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد الذي نصب فسطاطه وملك أمته في وسط بلاد بني إسرائيل ، وهي الشام التي هي مظهر ملكه كما تقدم من قوله : «وملكه بالشام» فقال له اليهودي : فعندكم في القرآن (وإلى مدين أخاهم شعيبا) (وإلى عاد أخاهم هودا) (وإلى ثمود أخاهم صالحا) والعرب تقول : يا أخا بني تميم للواحد منهم ، فهكذا قوله : «أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم» .

قال المسلم : الفرق بين الموضعين ظاهر ؛ فإنه من المحال أن يقال : إن بني إسرائيل إخوة بني إسرائيل ، وبني تميم إخوة بني تميم ، وبني هاشم إخوة بني هاشم ، هذا ما لا يعقل في لغة أمة من الأمم ، بخلاف قولك : زيد أخو بني تميم ، وهو عاد ، وصالح أخو ثمود ، أي واحد منهم ، فهو أخوهم في النسب .

ولو قيل عاد أخو عاد وثمود أخو ثمود ، ومدين أخو مدين لكان نقصا ، وكان نظير قولك : بنو إسرائيل إخوة بني إسرائيل ، فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ صريح ، قال اليهودي : فقد أخبر أنه سيقيم هذا النبي لبني إسرائيل ، ومحمد إنما أقيم للعرب ، ولم يقم لبني إسرائيل فهذا الاختصاص يشعر بأنه مبعوث إليهم لا إلى غيرهم .

قال المسلم : هذا من دلائل صدقه ، فإنه ادعى أنه رسول الله إلى أهل الأرض كتابيهم وأميهم ، ونص الله في التوراة على أنه يقيمه لهم ، لئلا يظنوا أنه مرسل إلى العرب والأميين خاصة ، والشيء يخص بالذكر لحاجة المخاطب إلى ذكره ، لئلا يتوهم السامع أنه غير مراد باللفظ العام ، ولا داخل فيه ، وللتنبيه على أن ما عداه أولى بحكمه ولغير ذلك من المقاصد ، فكان في تعيين بني إسرائيل بالذكر إزالة لوهم من توهم أنه مبعوث إلى العرب خاصة ، وقد قال تعالى :

﴿لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ وهؤلاء قومه ولم ينف ذلك أن يكون نذيرا لغيرهم ، فلو أمكنك أن تذكر عنه أنه ادعى أنه رسول إلى العرب خاصة ، لكان ذلك حجة ، فأما وقد نطق كتابه وعرف الخاص والعام بأنه ادعى أنه مرسل إلى بني إسرائيل وغيرهم فلا حجة لك .

قال اليهودي : إن أسلافنا من اليهود كلهم على أنه ادعى ذلك ، ولكن العيسوية منا تزعم أنه نبي العرب خاصة ، ولسنا نقول بقولهم ، ثم التفت إلى يهودي معه ، فقال : نحن قد جرى شأننا على اليهودية ، وتالله ما أدري كيف التخلص من هذا العربي ؛ إلا أنه أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهي عن ذكره بسوء .

رؤيا صحابي

قدم أبو عمرو النخعي[(١)] على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني رأيت في طريقي هذه رؤيا رأيت أتاناً تركتها في الحي ولدت جدياً أسفع أحوى فقال رسول الله ﷺ : هل لك من أمة تركتها مصرة حملاً قال : نعم تركت أمة لي أظنها قد حملت قال : فقد ولدت غلاماً وهو ابنك قال : فما له أسفع أحوى قال : ادن مني فدنا منه .

فقال : هل بك برص تكتمه قال : نعم والذي بعثك بالحق نبياً ما رآه مخلوق ولا علم به قال : فهو ذلك .

قال : ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان قال : ذلك ملك العرب عاد إلى أفضل زيه وبهجته .

قال : ورأيت عجوزاً شمطاء تخرج من الأرض قال : تلك بقية الدنيا .

قال : ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورأيتها تقول : لظى لظى بصير وأعمى أطعموني آكلكم آكلكم أهلككم وما لكم .

فقال النبي ﷺ : تلك فتنة في آخر الزمان : قال : وما الفتنة يا رسول الله قال : يقتل الناس إمامهم ثم يشتجرون اشتجار أطباق الرأس – وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه – يحسب المسيء أنه محسن ودم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء .

---

(١) الأسود بن يزيد ابن قيس الإمام القدوة أبو عمرو النخعي الكوفي وقيل يكنى أبا عبد الرحمن وهو أخو عبد الرحمن بن يزيد ووالد عبد الرحمن بن الأسود وابن أخي علقمة بن قيس وخال إبراهيم النخعي فهؤلاء أهل بيت من رؤوس العلم والعمل ، كان الأسود مخضرما أدرك الجاهلية والإسلام وحدث عن معاذ بن جبل وبلال وابن مسعود وعائشة وحذيفة بن اليمان وطائفة سواهم حدث عنه ابنه عبد الرحمن وأخوه وإبراهيم النخعي وعمارة بن عمير وأبو إسحق السبيعي والشعبي وآخرون وهو نظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسن ويضرب بعبادتهما المثل

اليرموك

شهد اليرموك ألف من أصحاب رسول الله فيهم نحو من مائة من أهل بدر وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك اللهم إن هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك

وقال رجل لخالد ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال خالد ما أقل الروم وأكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه وأنهم أضعفوا في العدد وكان فرسه قد حفي في مسيره قالا فأمر خالد عكرمة والقعقاع وكانا على مجنبتي القلب فأنشبا التقال وارتجز القعقاع وقال . . . يا ليتني ألقاك في الطراد . . . قبل اعترام الجحفل الوراد . . . وأنت في حلبتك الوراد . . .

وقال عكرمة . . . قد علمت بهكنة الجواري . . . أني على مكرمة أحامي . . .

فنشب القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان فإنهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة فأخذته الخيول وسألوه الخبر فلم يخبرهم إلا بسلامة وأخبرهم عن أمداد وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله وتأمير أبي عبيدة فأبلغوه خالدا فأخبره خبر أبي بكر أسره إليه وأخبره بالذي أخبر به الجند قال أحسنت فقف وأخذ الكتاب وجعله في كنانته وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند فوقف محمية بن زنيم مع خالد وهو الرسول وخرج جرجة حتى كان بين الصفين ونادى ليخرج إلي خالد فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما وقد أمن أحدهما صاحبه فقال جرجة يا خالد أصدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم قال لا قال فبم سميت سيف الله قال إن الله عز و جل بعث فينا نبيه صلى الله عليه و سلم فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا ثم إن بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا باعده وكذبه فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه فقال أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين قال صدقتني ثم أعاد عليه جرجة يا خالد أخبرني إلام تدعوني قال إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله قال فمن لم يجبكم قال فالجزية ونمنعهم قال فإن لم يعطها قال نؤذنه

بحرب ثم نقاتله قال فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا ثم أعاد عليه جرجة هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر والذخر قال نعم وأفضل قال وكيف يساويكم وقد سبقتموه قال إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه و سلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا قال جرجة بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني قال بالله لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة وإن الله لولي ما سألت عنه فقال صدقتني وقلب الترس ومال مع خالد وقال علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى ركعتين وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة والحارث بن هشام

وركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى الناس فثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما . .

عمرو بن العاص

ولما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل على غزة ، فبعث اليه علجها[١] أن أرسل اليّ رجلا من أصحابك أكلّمه ، ففكر عمرو وقال : ما لهذا العلج أحد غيري .

فقام حتى دخل على العلج فكلّمه ، فسمع كلاما لم يسمع مثله قط .

فقال له العلج : حدّثني ، هل من أصحابك من أحد مثلك؟

قال لا تسأل عن هواني عندهم اذ بعثوني اليك وعرّضوني لما عرّضوني ، فلا يدرون ما تصنع بي .

(١) أَيْ مِنَ الرِّجَالِ الضِّخَامِ الأَقْوِيَاءِ الْمُنْحَدِرِ مِنَ الْكُفَّارِ الْعَجَمِ ، كَمَا كَانَ يُطْلَقُ الْعِلْجُ عَلَى الْكَافِرِ مُطْلَقاً .

فأمر له بجائزة وكسوة ، وبعث الى البوّاب : إذا مرّ بك فاضرب عنقه وخذ ما معه .

فمرّ برجل من النصارى من غسان فعرفه ، فقال : يا عمرو ، قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج .

فرجع ، فقال له الملك : ما ردّك الينا؟

قال : نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك ليسع بني عمّي ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطيّة ، فيكون معروفك عند عشرة خيرا من أن يكون عند واحد .

قال صدقت ، أعجل بهم . . وبعث الى البوّاب أن خل سبيله . فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا أمن قال : لا عدت لمثلها أبدا .

فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج فقال له : أنت هو؟ قال : على ما كان من غدرك .

سويبط[١] والنعيمان

وقالت أم سلمة[٢] رضي الله عنها : خرج أبو بكر رضي الله عنه في تجارة إلى البصرة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سويبط بن حرملة والنعيمان ، وكان سويبط قد شهد بدرا والنعيمان رضي الله عنه مزّاحا ، وكان سويبط على الزاد فقال له نعيمان أطعمني فقال حتى يجيء أبو بكر . فقال له النعيمان أما لأغيظنك ، فمروا بقوم فقصدهم النعيمان فقال أتشترون مني عبدا . فقالوا نعم . . فقال لهم إن له كلام وإنه قائل لكم إنه حر ، فإذا قال هذه المقالة كنتم تاركيه فلا تفسدوا علي عبدي ، قالوا بل نشتريه فدفعوا له عشر قلائص ، ثم اخذوه فوضعوا في عنقه حبلا وهموا بأخذه فقال لهم إني حر ولست بعبد إنما استهزأ هذا بكم ، فأخذوه وقالوا لقد خبرنا خبرك . . وانطلقوا به . . فلما جاء

---

(١) سُوَيْبِط بن حَرْمَلَة ، وقيل : سويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عُمَيلة بن السبَّاق بن عبد الدار بن قُصَي بن كلاب القرشي العَبْدَرِيّ ، كان سُويبط من مهاجرة الحبشة ، وكان مَّزاحًا يُفْرِط في الدّعابة .

(٢) أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية إحدى زوجات النبي محمد . تزوجت أم سلمة من أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وأسلما مبكرًا وهاجرت معه إلى الحبشة ، ثم إلى يثرب وظلت معه إلى أن توفي سنة ٤ هـ إثر جرح لم يندمل منذ غزوة أحد ، فتزوجها النبي محمد .

ابو بكر رضي الله عنه فأخبروه الخبر ، تبع القوم فرد عليهم القلائص وردوا عليه سويبطا ، . . فلما أتوا النبي ﷺ أخبروه بما كان ، فضحك رسول الله ومعه أصحابه من حوله .

قتل حمزة

عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري[(١)] قال : «خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار[(٢)] فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله بن عدي : هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت : نعم ، وكان وحشي[(٣)] يسكن حمص فسألنا عنه فقيل لنا : هو ذاك في ظل قصره كأنه حميت قال : فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير فسلمنا فرد السلام قال : وعبيد الله معتجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه فقال عبيد الله : يا وحشي أتعرفني؟ قال : فنظر إليه ثم قال : لا والله ، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص ، فولدت له غلاما بمكة فكنت أسترضع له ، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه ، فلكأني نظرت إلى قدميك . قال : فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال : ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال : جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر قال : فلما أن خرج الناس عام عينين - وعينين جبل بحيال أحد بينه وبينه واد - خرجت مع الناس إلى القتال فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز؟ قال فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب

---

(١) عمرو بن أمية الضمري الكناني ، صحابي جليل وأحد أَنجاد العرب ورجالها نجدةً وجراءَةً وشجاعة وإقداما وفاتكا من فتاكهم في الجاهلية بعثه الرسول محمد في سرية لوحده إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة كما بعثه في سرية لقريش وكان الناجي الوحيد من الصحابة الذين خرجوا في سرية بئر معونة .

(٢) ابن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي النوفلي . ولد في حياة النبي - ﷺ - وكان أبوه من الطلقاء . ما ذكره في الصحابة أحد سوى ابن سعد ، حدث عبيد الله عن : عمر ، وعثمان ، وعلي ، وكعب ، وطائفة .

(٣) الصحابي وحشي بن حرب ، وحشي بن حرب الحبشي ، أبو دسمة مولى طعيمة بن عدي ، وقيل مولى جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي ، قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد ، وشارك في قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة ، وكان يقول : قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام .

فقال : يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله ﷺ ؟ قال : ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب . قال : وكمنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا منى رميته بحربتي فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه قال : فكان ذاك العهد به فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ، ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلاً فقيل لي : إنه لا يهيج الرسل ، قال : فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال : أنت وحشي قلت : نعم . قال : أنت قتلت حمزة؟ قلت : قد كان من الأمر ما بلغك . قال : فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ قال : فخرجت فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت : لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة قال : فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان ، قال : فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس ، قال : فرميته حربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ، قال : ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته» .

أبو عبيدة

لـما تكامل للمسلمين فتوح الشام أقاموا على دمشق شهراً ، فجمع أبو عبيدة رضي الله عنه أمراءهم واستشارهم في المسير إلى «قيسارية» أو إلى «بيت المقدس»؟ فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه : «أيها الأمير اكتب لأمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله» فرد أبو عبيدة : «أصبت الرأي يا معاذ» . ثم كتب إلى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك ، عند وصول الكتاب إلى عمر رضي الله عنه قرأه على المسلمين واستشارهم فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «يا أمير المؤمنين مُرْ صاحبك ينـزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس ، فإذا فتح الله بيتَ المقدس صرف وجهه إلى قيسارية فإنها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى ، كذا أخبرنا رسول الله ﷺ » . فقال عمر رضي الله عنه : «صدق رسول الله ﷺ وصدقت يا أبا الحسن» . ثم دعا بدواة وبياض وكتب :

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى عامله بالشام أبي عبيدة أما بعد ، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه ، وقد وصلني كتابك إلى أي ناحية تتوجه ، وقد أشار أبن عم رسول الله ﷺ بالمسير إلى بيت المقدس فإن الله يفتحها على يديك . . . . والسلام» .

معاشر المؤمنين : لما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا

بالمسير إلى بيت المقدس ، وتقدم الجيش ، وأقام المسلمون في القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح بعدم الخوف ، فلما كان يوم الحادي عشر أشرفت عليهم راية أبي عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن يساره ، وضج الناس بالتهليل والتكبير ، فوقع الرعب في أهل بيت المقدس ، فاجتمعوا بين يدي «البطرك» الذي قال لهم : «ما هذه الضجة التي أسمع» قالوا : «يا أبانا قد قدم أمير المؤمنين ببقية المسلمين»؟ فلما سمع البطرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال : «إنا وجدنا في علمنا الذي ورثناه أن الذي يفتح الأرض هو الرجل الأحمر صاحب نبيهم محمد ، فإن كان قدم عليكم فلا سبيل إلى قتاله ولا بد أن أُشرف عليه وأنظر إلى صفته فإن كان هو أجبته إلى ما يريد وإن كان غيره فلا بأس عليكم» . ثم صعدوا السور إلى أن ورد أبو عبيدة فناداهم رجل من الروم بإذن البطرك : «يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسألكم» فأمسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربي : «إن الرجل الذي يفتح بلدتنا هذه وجميع الأرض صفته عندنا فإن كانت في أميركم لم نقاتلكم بل نسلم إليكم ، وإن لم تكن هذه صفته فلا نسلم إليكم أبداً» .

فأعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك فخرج إليهم إلى أن حاذاهم ، فنظر البطرك وحقق في صورته ثم قال لأصحابه : «ليس هو الرجل ، فأبشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم» .

كان نزول المؤمنين على بيت المقدس في فصل الشتاء والبرد ، فأقاموا عليها أربعة أشهر في أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج . فلما نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار في ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من المسلمين ، وقفوا بين يدي البطرك وقالوا له : «قد عظم الأمر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسأل ما الذي يريدون ، فإن كان أمراً صعباً فتحنا الأبواب وخرجنا إليهم فإما أن نقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا» . فأجابهم البطرك إلى ذلك ، وصعد السور وقال رجل من الروم بلسان عربي : «يا معشر الفرسان فليدن منا أميركم»؟ فقام أبو عبيدة يمشي ومعه جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وترجمان فلما وقف بإزائهم قال : «ما الذي تريدون؟ هذا أمير العرب»؟ فقال البطرك : «إنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا إلى فتح بلدتنا أبداً ، وإنما يفتحها رجل موصوف وليست الصفة معكم»؟ قال أبو عبيدة : «وما صفة من يفتح بلدكم»؟ قال البطرك : «لا نخبركم بصفته ولكن قرأنا أن هذا البلد يفتحه

صاحب محمد يعرف بالفاروق وهو رجل شديد ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولسنا نرى صفته فيكم»؟ فلما سمع أبو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال : «فتحنا البلد ورب الكعبة» .

وكتب أبو عبيدة إلى الخليفة عمر رضي الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق ، فلما وصل الكتاب إلى عمر فرح وقرأه على المسلمين وقال : «ما ترون ، رحمكم الله ، فيما كُتب إلينا ، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «إن القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذل ، وهو على المسلمين فتح ، وقد أصابهم جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام ، وإن سرت إليهم فتح الله على يديك هذه المدينة ، وكان لك في مسيرك الأجر العظيم ، ولست ءامن منهم أنهم إذا أيسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل بذلك ضرر للمسلمين ، والصواب أن تسير إليهم«؟ ففرح عمر بمشورة علي وقال : «ولست ءاخذ إلا بمشورة علي فما عرفناه إلا محمود المشورة ميمون الطلعة» .
ثم أمر سيدنا عمر رضي الله عنه الناس أن يأخذوا الأهبة للمسير معه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب ، وخرج منها وهو على بعير أحمر عليه غرارتان في إحداهما سويق والأخرى تمر ، وبين يديه قربة ، وخلفه حفنة للزاد ، وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس .

وصل الفاروق عمر إلى بيت المقدس واستقبله أبو عبيدة وسلم عليه المسلمون ، ثم نزل وصلى بهم صلاة الفجر ، ثم خطب فيهم ، فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم إلى أن حضرت صلاة الظهر ، فلما فرغوا من الصلاة أمرهم الفاروق عمر بالركوب ، ولـمّا هَمّ ركوب بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها أربع عشرة رقعة ، قال المسلمون : «يا أمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جواداً ، ولبست ثياباً لكان ذلك أعظم لهيبتك في قلوب أعدائك»؟ وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به إلى أن أجابهم إلى ذلك ، ونزع مرقعته ولبس ثياباً بيضاً وطرح على كتفيه منديلاً من الكتان دفعه إليه أبو عبيدة ، وقدم له جواداً أشهب ، فلما صار عمر فوقه جعل الجواد يهملج أي يحسن السير في سرعة وبخترة ، فلما نظر عمر إلى ذلك نزل مسرعاً وقال : «أقيلوني عثرتي أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة ، لقد كاد أميركم يهلك مما داخَلَه من الكبر» ثم نزع البياض وعاد إلى لبس مرقعته وركوب بعيره ، وعندها علت ضجة المسلمين بالتكبير والتهليل ، فقال البطرك : «انظروا ما شأن العرب» فقال رجل من على السور : «يا معشر العرب ما قضيتكم؟» فقالوا : «إن عمر بن الخطاب قد قدم

علينا من مدينة نبينا ﷺ» فرجع الرجل وأعلم البطرك بذلك، فأطرق البطرك ولم يتكلم.

فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين ثم قال لأبي عبيدة: «تقدم إلى القوم وأعلمهم أني قد أتيت» فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال: «إن أمير المؤمنين عمر قد أتى فما تصنعون فيما قلتم»؟ فأُعلم البطرك بذلك فخرج ومن حوله الرهبان والقساوسة ثم علا السور وأشرف على أبي عبيدة وقال: «من هذا أيها الشيخ؟» قال أبو عبيدة: «هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» فقال البطرك: «قل له يدنو مني فإني أعرفه بصفاته ونعوته وأفردوه من بينكم حتى نراه»؟ فرجع أبو عبيدة إلى عمر فأخبره بما قال البطرك، فهمّ عمر بالقيام فقال له أصحاب رسول الله ﷺ: «يُخشى عليك من الانفراد بلا عدة» فقال الفاروق عمر: «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون» ثم ركب بعيره وأبو عبيدة سائر بين يديه إلى أن أتى بإزاء البطرك قريباً من الحصن فقال أبو عبيدة: «هذا أمير المؤمنين» فمدّ البطرك[1] عنقه ونظر إليه فزعق زعقة وقال: «هذا والله هذا والله الذي صفته ونعته في كتبنا» ثم قال: «يا أهل بيت المقدس انزلوا وخذوا منه الأمان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله»؟ فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار، وفتحوا الباب وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضي الله عنه في تلك الحالة أقبل عليهم وقال: «ارجعوا ولكم العهد»؟ فرجع القوم إلى البلد ولم يغلقوا الباب، ورجع عمر.

فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل إليها وأقام بها إلى يوم الجمعة، وخطَّ بها محراباً وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام في بيت المقدس عشرة أيام، وأسلم كعب الأحبار على يديه وارتحل معه إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ.

---

(١) بَطْريك، بطْرَيْرك، لقب يُطلق في المسيحيّة على رئيس رؤساء الأساقِفة على أقطار معيّنة أو في طائفة من الطوائف، ودونه المطران، البطريرك (ج بطاركة أو بطارقة) كلمة يونانية مكونة من شطرين، ترجمتها الحرفية «الأب الرئيس»؛ ومن حيث المعنى فهي تشير إلى من يمارس السلطة بوصفه الأب، على امتداد الأسرة، ولذلك فإن النظام المعتمد على سلطة الأب، يدعى «النظام البطريركي». أما في المسيحية، فتتخذ الكلمة معنى رئيس الأساقفة في الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية؛ ويدعى مكتب البطريرك البطريركية. أما المؤرخون العرب فقد اصطلحوا على الكلمة لفظ «بطريق».

الخوارج

لما قتل علي رضي الله عنه أهل النهروان[١] وكان بالكوفة زهاء الفين ممن لم يخرجوا معه . فقام عبد الرحمن بن ملجم المرادي[٢] والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي وقيل اسم البرك الحجاج وعمرو بن بكر التميمي السعدي وهم من الخوارج فاجتمعوا وتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد! فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم عليًا وكان من أهل مصر .

وقال البرك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاوية .

وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص .

فتعاهدوا ألا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان وقصد كل رجل منهم الجهة التي يريد فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بالكوفة وكتمهم أمره ورأى يومًا أصحابًا له من تيم الرباب وكان علي قد قتل منهم يوم النهر عدة فتذاكروا قتلى النهر ولقي معهم امرأة من تيم الرباب اسمها قطام .

وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر وكانت فائقة الجمال .

فلما رآها أخذت قلبه فخطبها .

فقالت : لا أتزوجك حتى تشتفي لي .

فقال : وما تريدين قالت : ثلاثة آلاف وعبدًا وقينةً وقتل علي .

فقال : أما قتل علي فما أراك ذكرته وأنت تريدينني .

قالت : بلى التمس غرته فإن أصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها .

قال : والله ما جاء بي إلا قتل علي فلك ما سالت .

---

(١) النهروان هو المكان الذي حصل به معركة النهروان بين علي رضي الله عنه والخوارج . وتلت هذه المعركة معركة صفين . وتقع النهروان على بعد ما يقارب ٣٥ كم من بغداد عاصمة العراق وتسمى اليوم أيضاً مدينة أمير المؤمنين .

(٢) عبد الرحمن بن ملجم المرادي هو الخارجي الذي اغتال علي بن أبي طالب في ١٨ من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ .

قالت : : سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك .

وبعثت إلى رجل من قومها اسمه وردان وكلمته فأجابها وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال له : هل لك في شرف الدنيا والآخرة قال : وماذا قال : قتل علي .

قال شبيب : ثكلتك أمك! لقد جئت شيئًا إدًا! كيف تقدر على قتله قال : أكمن له في المسجد فإذا خرج إلى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فإن نجونا فقد شفينا أنفسنا وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها .

قال : ويحك! لو كان غير علي كان أهون قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الإسلام وما أجدني أنشرح لقتله .

قال : أما تعلمه قتل أهل النهر العباد الصالحين قال : بلى .

قال : فنقتله بمن قتل من أصحابنا .

فأجابه .

فلما كان ليلة الجمعة وهي الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل علي ومعاوية وعمرو أخذ سيفه ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي للصلاة فلما خرج علي نادى : أيها الناس الصلاة الصلاة . فضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف وقال : الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك! وهرب وردان فدخل منزله فأتاه رجل من أهله فأخبره وردان بما كان فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان حتى قتله وهرب شبيب في الغلس وصاح الناس فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر وفي يد شبيب السيف فأخذه وجلس عليه فلما رأى الحضرمي الناس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي على نفسه فتركه ونجا وهرب شبيب في غمار الناس .

ولما ضرب ابن ملجم عليًا قال : لا يفوتنكم الرجل .

فشد الناس عليه فأخذوه وتأخر علي وقدم جعدة بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانىء يصلي بالناس الغداة وقال علي : أحضروا الرجل عندي .

فأدخل عليه .

فقال : أي عدو الله! ألم أحسن إليك قال : بلى .

قال : فما حملك على هذا قال : شحذته أربعين صباحًا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه .

فقال علي : لا أراك مقتولاً به ولا أراك إلا من شر خلق الله .

ثم قال : النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلني وإن بقيت رأيت فيه رأيي يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلا قاتلي انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربةً بضربة ولا تمثلن بالرجل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) .

هذا كله وابن ملجم مكتوف .

فقالت له أم كلثوم ابنة علي : أي عدو الله! لا بأس على أبي والله مخزيك! قال : فعلى من تبكين والله إن سيفي اشتريته بألف وسممته بألف ولو كانت ودخل جندب بن عبد الله على علي فقال : إن فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن قال : ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شيء زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصيمًا وللمظلوم ناصرًا واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم .

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية فقال : هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال : نعم . قال : فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك فاتبع أمرهما ولا تقطع أمرًا دونهما .

ثم قال : أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه .

وقال للحسن : أوصيك أي بني بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش .

ثم كتب وصيته ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى مات رضي الله عنه وأرضاه .

وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات .

فلما قبض بعث الحسن إلى ابن ملجم فأحضره فقال للحسن : هل لك في خصلة إني والله قد أعطيت الله عهدًا ألا أعاهد عهدًا إلا وفيت به وإني عاهدت الله عند الحطيم أن اقتل عليًا ومعاوية أو أموت دونهما فإن شئت خليت بيني وبينه فلك

الله علي إن لم أقتله أو قتلته ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك .

فقال له الحسن : لا والله حتى تعاين النار .

ثم قدمه فقتله وأخذه الناس فأدرجوه في بواري وأحرقوه بالنار .

قال عمرو بن الأصم : قلت للحسن بن علي : إن هذه الشيعة تزعم أن عليًا مبعوث قبل القيامة! فقال : كذب والله هؤلاء الشيعة لو علمنا أنه مبعوث قبل القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله أما قوله : هذه الشيعة فلا شك أنه يعني طائفة منها فإن كل شيعة لا تقول هذا إنما تقوله طائفة يسيرة منهم ومن مشهوري هذه الطائفة : جابر بن يزيد الجعفي الكوفي وقد انقرض القائلون بهذه المقاتلة فيما نعلمه

ثعلبة بن حاطب الانصاري[1]

كان ثعلبة بن حاطب الانصاري من أنصار النبي فجاءه يوما وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله يا ثعلبة أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق نبيا لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله اللهم ارزق ثعلبة ما قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلي مع رسول الله والعصر ويصلي بقية الصلوات في غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس ويسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله ذات يوم فقال مافعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله رجلين

---

(١) ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف بن مالك الأنصاري الأوسي هو صحابي جليل ، آخى الرسول ﷺ بينه وبين معقب بن الحمراء . شهد غزوة بدر .

رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله فقال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا قال خذاه فإن نفسي به طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا أخت الجزية إذهبا حتى أرى رأيا قال فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله فلما رآهما قال قبل أن يتكلما يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى : ﴿ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾ ﴿فلما أتاهم من فضله بخلوا وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾ وكان عند رسول الله رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد نزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي فسأله أن يقبل صدقته فقال إن الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله أن يقبل صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله ولم يقبل منه شيئا ثم أتى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله وموضعي من الانصار فأقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله تعالى عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين أقبل صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله ولا أبو بكر رضي الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان ابن عفان رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله ولا ابو بكر ولاعمر رضي الله عنهما فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه .

رفيع النسب والخلق

قال شبيب بن شيبة[1] :

حججت عام هلك هشام بن عبد الملك[2] فبينما أنا مريح ناحية المسجد إذا طلع علي من بعض أبوابه فتى أسمر رقيق السمرة موقر اللمة خفيف اللحية رحب الجبهة كأن عينيه لسانان ناطقان عليه أبهة الأملاك في زي النساك تقبله القلوب وتتبعه العيون يعرف الشرف في تواضعه والعفو في صورته واللب في مشيته فما ملكت نفسي أن نهضت في أثره سائلا عن خبره فتحرم بالطواف فلما قضى طوافه قصد المقام ليركع وأنا أرعاه ببصري ثم نهض منصرفا فكأن عينا أصابته فكبا كبوة دميت منها أصبعه فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به أمسح عن رجله عفر التراب لا يمتنع علي ثم شققت حاشية ثوبي فعصبت على رجله فلم ينكر ذلك ثم نهض متوكئا علي وانقدت له حتى أتى بناء بأعلى مكة فابتدره غلامان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته ففتحا له الباب فدخل واجتذبني فدخلت بدخوله فخلي يدي وأقبل على القبلة فصلى ركعتين ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال : لم يخف علي مكانك منذ اليوم فمن تكون ، فقلت : شبيب بن شيبة التميمي .

فقال : الأهتمي ، فقلت : نعم .

فرحب وقرب ووصف قومي بأبين وصف وأفصح لسان فقلت أصلحك الله أحب المعرفة وأجل عن المسألة فتبسم وقال بلطف أهل العراق : أنا عبد الله بن محمد بن علي بن عباس .

فقلت : بأبي أنت وأمي ما أشبهك بنسبك وأدلك على سفلك وقد سبق إلى قلبي من محبتك ما لا أبلغه بوصفي لك .

قال : فاحمد الله يا أخا تميم فإنا قوم يسعد بحبنا من يحبنا ويشقي ببغضنا من

---

(١) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي خطيب البصرة في زمن العباسيين . امتاز بخطبه البليغة والقصيرة والتي وصفها أحمد الهاشمي في كتاب جواهر الأدب بالقريبة من حد الإعجاز .

(٢) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء . ولد في دمشق .

يبغضنا ولن يصل الإيمان إلى قلب أحدكم حتى يحب الله ورسوله ومهما ضعفنا عن جزائه الله على أدائه .

فقلت له : أنت توصف بالعلم وأنا من حملته وأيام الموسم ضيقة وشغل أهله كثير وفي نفسي أشياء أحب أن أسأل عنها أفتأذن فيها جعلت فداك .

قال : نحن من أكثر الناس مستوحشون وأرجو أن تكون للسر موضعا وللأمانة .

واعيا فإن كنت على ما رجوت فهات على بركة الله .

فقدمت إليه من وثقائق الأيمان ما سكن إليه فتلا قول الله (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم) .

ثم قال : سل .

فقلت : ما ترى فيمن على الموسم وكان عليه يوسف بن محمد الثقفي[١] خال الوليد بن زيد فتنفس الصعداء ثم قال :

عن الصلاة خلفه تسأل أم استنكرت أن يتأمر على آل الرسول من ليس منهم .

قلت : عن كلا الأمرين أسأل .

قال : إن هذا عند الله عظيم أما الصلاة ففرض الله على عباده فأد عليك في كل وقت فإن الذي ندبك لحج بيته ومجاهدة عدوه وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك في كتابه أنه لا يقبل منك نسكا إلا مع أكمل المؤمنين إيمانا رحمة لك ولو فعل ذلك بك ضاق الأمر عليك فأسمح يسمح لك .

ثم كررت عليه السؤال فما احتجت إلى أن أسأل عن أمر ديني أحدا بعده .

ثم قلت له : يزعم أهل العلم بالكتاب أنها ستكون لكم دولة لا شك فيها تطلع مطلع الشمس وتظهر بظهورها فاسأل الله خيرها ونعوذ به من شرها .

قال : فخذ بحظ لسانك ويدك منها إن أدركتها .

قلت : أو يتخلف عنها أحد من العرب وأنتم سادتها قال نعم قوم يأبون إلا الوفاء لمن اصطنعهم ونأبى إلا طلبا لحقنا فننصر ويخذلون كما نصر أولنا بأولهم وخذل لمخالفتنا من خذل منهم فاسترجعت .

---

(١) يوسف بن محمد الثقفي أمير المدينة المنورة من (عام ١٢٥هـ إلى ١٢٦هـ) . هو يوسف بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي . وهو ابن أخي الحجاج بن يوسف وخال الخليفة الوليد بن يزيد .

قال : هون عليك الأمر سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا وليس ما يكون منهم بحاجز لنا عن صلة أرحامهم وحفظ أعقابهم فقلت كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم فقال نحن قوم حبب إلينا الوفاء وإن كان علينا وبغض إلينا الغدر وإن كان لنا وإنما يشذ عنا منهم الأقل فأما أنصار دولتنا ونقباء شيعتنا وأمراء جيوشنا فهم ومواليهم معنا فإذا وضعت الحرب أوزارها صفحنا للمحسن عن المسيء ووهب للرجل قومه ومن اتصل بأسبابه فتذهب المثابرة وتخمد الفتنة وتطمئن القلوب .

فقلت : ويقال إنه يبتلي بكم من أخلص لكم المحبة .

فقال : قد روي أن البلاء أسرع إلى محبينا من الماء إلى قراره .

قلت : لم أرد هذا .

قال : فما الذي تريد قلت توقعون بالولي وتحظون العدو .

فقال : من يسعد بنا من الأولياء أكثر ومن يسلم معنا من الأعداء أقل إنما نحن بشر ولا يعلم الغيب إلا الله وربما استترت عنا الأمور فنوقع بمن لا نريد وإن لنا لإحسانا يجازي الله به مداواة ما تكلم ورتق ما تثلم فنستغفر الله بما يعلم وما أنكر من ألا يكون الأمر على ما بلغك ومع الولي التعزز والإدلال والثقة والاسترسال ومع العدو التحرز والتذلل والاحتيال وإنك مسؤول يا أخا بني تميم .

قلت : إني أخاف ألا أراك بعد اليوم .

قال : لكن أرجو أن أراك وتراني قريبا إن شاء الله .

قلت : عجل الله ذلك ووهب لي السلامة منكم فإني محبكم .

فتبسم وقال : لا بأس عليك ما أعاذك الله من ثلاثة .

قلت : وما هي قال قدح في الدين وهتك للملوك وتهمة في حرمة واحفظ عني ما أقول لك اصدق وإن ضرك الصدق وانصح وإن باعدك النصح ولا تخالطن لنا عدوا • وإن أحظيناه فإنه محذول ولا تخذلن وليا وإن أقصيناه وأصبحنا بترك المماكرة وتواضع إذا رفعوك وصل إذا قطعوك ولا تستخف فيمقتوك ولا تنقبض فيحتشموك ولا تخطب الأعمال ولا تتعرض للأموال وأنا رائح من عشيتي هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته ثم قلت أوقت لظهور الأمر ومتى قال الله الموقت والمنذر فخرجت من عنده فإذا مولى له يتبعني فأتاني بكسوة من كسوته .

وقال لي : يأمرك أبو جعفر أن تصلي في هذه .

ثم افترقنا فوالله ما رأيته إلا وحرسيان قابضان علي يدفعانني إلى بيعتي في جماعة من قومي لنبايعه فلما نظر إلي أثبتني وقال للحرسيين : خليا عمن صحت مودته وتقدمت قبل اليوم حرمته وأخذت بيعته فأكبر الناس ذلك من قوله .

ثم قال لي : أين كنت أيام أبي العباس أخي فذهبت أعتذر .

فقال : أمسك فإن لكل شيء وقتا لا يعدوه ولن يفوتك إن شاء الله حظ مودتك وحق مشايعتك واختر مني رزقا يسعك أو خطة ترفعك أو عملا ينهضك .

فقلت : أنا لوصيتك حافظ .

فقال : وأنا لها أحفظك إني نهيتك أن تخطب الأعمال ولم أنهك عن قبولها إن عرضت عليك .

فقلت : الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب إلي .

فقال : وذلك أحب إلي لك وهو أجم لقلبك وأودع لك وأعفى إن شاء الله فهل زدت أحدا في عيالك بعد .

وقد كان سألني عنهم فعجبت من حفظه .

فقلت : زدت الفرس والخادم فقال قد ألحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخادمنا ولو لم يسعني حملت لك على بيت المال فهل تحملك مئتا دينار لك غرة أو نزيدك فقلت يا أمير المؤمنين إن شطرها ليحملني العاملين .

قال : فإنها لك في كل غرة فاقبضها من عاملي في أي بلد أحببت وإن شئت فقد ضممتك إلى المهدي فإنه أفرغ لك مني وأرضاه لك إن شاء الله .

مفتاح الكعبة

عندما تولى قصى بن كلاب[1] ، و هو الجد الخامس للرسول عليه الصلاة والسلام أمر مكة ، كان ابنه الاكبر عبد الدار فقيرا ، و كان والده يعطف عليه كثيرا ، فاختصه بأمور شرف كثيرة كالسدانة و غيرها و بعد وفاة عبد الدار آلت السدانة إلى ابنه عثمان الى عبد العزى بن عثمان ثم إلى أبو طلحة عبد الله بن عبد العزى ، و عندما تم فتح مكة ، فتح الرسول ﷺ الكعبة و دخلها و أخذ مفتاح الكعبة من

(١) قصي بن كلاب بن مرة هو الجد الثاني لشيبة بن هاشم المشهور باسم عبد المطلب ، وهو الجد الرابع للنبي محمد . حصل على نفوذ واسع في مكة .

عثمان بن طلحة ، لكن الله عز وجل انزل الآية الكريمة : ﴿ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها﴾ ، فدعا النبي ﷺ عثمان بن طلحة فدفع اليه المفتاح ، هو و ابن عمه شيبة بن عثمان بن ابى طلحة و قال لهم : خذوها يا بنى طلحة بأمانة الله سبحانه و اعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم .

وهكذا أصبحت السدانة لبنى طلحة وشيبة حتى قيام الساعة .

اللعنة على المستحق

عن عبد الرزّاق ، عن أبيه ، أن حجراً المدري أمره محمد بن يوسف أن يلعن علياً ، فقال : إنّ الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن علياً ، فالعنوه ؛ لعنه الله . قال : فعمّاها على أهل المسجد ، فما فطن لها إلا رجلٌ واحدٌ .

وقال القرشي : وامتحنت الخوارج شيعيّاً ، فقال : أنا من عليّ ومن عثمان برئ .

ابن عون

قال مثنى : كان ابن عونٍ في جيش ، فخرج رجل من المشركين ، فدعا إلى البراز ، فخرج إليه ابن عون وهو ملثم ، فقتلَه ، ثم اندسّ في الناس ، فجهد الوالي أن يعرفه ، فلم يقدر ، فنادى مناديه : أعزم على من قتل هذا إلا جاءني ، فجاءه ابن عونٍ ، فقال : وما على رجلٍ أن يقول : أنا قتلته؟ .

حكيم الحيرة

لّما حاصر خالد بن الوليد أهل الحيرة ، قال : ابعثوا لي رجلاً من عقلائكم ؛ فبعثوا عبد المسيح بن عمرو[1] ، وكان نصرانياً ، فجاء ، فقال لخالد : أنعم صباحاً أيها الملك }فقال : قد أغنانا اللهُ عن تحيّتك هذه ، فمن أين أقصى أثرك أيها الشيخ؟ قال : من ظهر أبي ؛ قال : فمن أين خرجت؟ قال : من بطن أمي ؛ قال : فعلام أنت؟ قال : على الأرض ؛ قال : ففيم أنت؟ قال : في ثيابي ؛ قال : أتعقل؟ قال : أي والله ، وأقيّد ؛ قال : ابن كم أنت؟ قال : أبن رجلٍ واحد ؛ قال خالدٌ : ما رأيت كاليوم ، أسألك الشيء وتنحو في غيره . فقال : ما أنبأتك إلاً عما سألتني .

---

(١) عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة ، واسمه الحارث ، بن سبين بن زيد بن سعد بن عدي بن نمر بن صوفة بن العاصي بن عمرو بن مازن .

جواب عقيل بن أبي طالب[1] لمعاوية وأصحابه

لما قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية ، أكرمه وقرّبه وقضى حوائجه وقضى عنه دينه ، ثم قال له في بعض الأيام ، والله إن عليا غير حافظ لك ، قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك ، قال له عقيل : والله لقد أجزل العطية وأعظمها ، ووصل القرابة وحفظها ، وحسن ظنّه بالله ، إذ ساء به ظنّك ، وحفظ أمانته ، وأصلح رعيته ، إذ خنتم وأفسدتم وجرتم ، فاكفف لا أبالك ، فإنه عما تقول بمعزل .

وقال له معاوية يوما : أبا يزيد ، أنا لك خير من أخيك علي . قال : صدقت ، إن أخي آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ؛ فأنت خير لي من أخي ، وأخي خير لنفسه منك .

وقال له ليلة الهدير : أبا يزيد ، أنت الليلة معنا ، قال : نعم ؛ ويوم بدر كنت معكم .

وقال رجل لعقيل : إنك لخائن حيث تركت أخاك وترغب إلى معاوية ، قال :

أخون مني والله من سفك دمه بين أخي وابن عمي ، أن يكون أحدهما أميرا!

ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره ، فأجلسه معاوية على سريره ثم قال له :

أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم! قال : وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم! ودخل عتبة بن أبي سفيان ، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما ، فقال عقيل : من هذا الذي أجلس أمير المؤمنين بيني وبينه؟ قال : أخوك وابن عمك عتبة .

قال : أما إنه إن كان أقرب إليك مني ، إني لأقرب لرسول الله صلّى الله عليه وسلم منك ومنه ، وأنتما مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم أرض ونحن سماء . قال عتبة : أبا يزيد ، أنت كما وصفت ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلم فوق ما ذكرت ، وأمير المؤمنين عالم بحقك ، ولك عندنا مما تحب أكثر مما لنا عندك مما تكره .

ودخل عقيل على معاوية ، فقال لأصحابه : هذا عقيل عمه أبو لهب! قال له عقيل ، وهذا معاوية عمته حمّالة الحطب! ثم قال : يا معاوية ، إذا دخلت النار فاعدل

---

(١) عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القُرشي ، صحابي من صحابة محمد بن عبد الله نبي الإسلام وابن عمه الذي قال له : «يَا أَبَا يَزِيدَ ،إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبًّا لِقَرَابَتِكَ ، وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ» .

ذات اليسار ، فإنك ستجد عمي أبا لهب مفترشا عمتك حمالة الحطب ؛ فانظر أيهما خير ، الفاعل أو المفعول به .

وقال له يوما : ما أبين الشّبق في رجالكم يا بني هاشم! قال : لكنه في نسائكم أبين يا بني أمية! وقال له معاوية يوما : والله إنّ فيكم لخصلة ما تعجبني يا بني هاشم . قال : وما هي؟ قال : لين فيكم . قال : لين ماذا؟ قال : هو ذاك . قال : إيانا تعيّر يا معاوية؟

جل ، والله إن فينا للينا من غير ضعف ، وعزا من غير جبروت ؛ وأما أنتم يا بني أمية فإن لينكم غدر ، وعزكم كفر ، قال معاوية : ما كلّ هذا أردنا يا أبا يزيد . قال عقيل :

لذي اللّبّ قبل اليوم ما تقرع العصا   وما علّم الإنسان إلا ليعلما

بين عقيل وامرأة

ويقال إن امرأة عقيل وهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية قالت لعقيل : يا بني هاشم ، لا يحبكم قلبي أبدا ؛ أين أبي؟ أين أخي؟ أين عمي؟ كأن أعناقهم أباريق فضة . قال عقيل : إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك

معاوية وابن عباس

قال معاوية يوما وعنده ابن عباس : إذا جاءت بنو هاشم بقديمها وحديثها ، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها ، وبنو عبد الدار بحجابتها ولوائها ، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها ، وبنو تيم بصدّيقها وجوادها ، وبنو عدي بفاروقها ومتفكّرها ، وبنو سهم بآرائها ودهائها ، وبنو جمح بشرفها وأنوفها ، وبنو عامر بن لؤي بفارسها وقريعها ، فمن ذا يجلى في مضمارها ويجري إلى غايتها؟ ما تقول يابن عباس؟

قال : أقول : ليس حي يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشركهم ، إلا قريشا فإنهم يفخرون بالنبوّة التي لا يشاركون فيها ولا يساوون بها ولا يدفعون عنها ، وأشهد أن الله لم يجعل محمدا من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم ، يريد أن يفخر عليكم إلاّ بما تفخرون به ؛ إن بنا فتح الأمر وبنا يختم ، ولك ملك معجّل ولنا ملك مؤجل ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد ملكنا ملك ، لأنا أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين .

عثمان وعلي

لقي عثمان بن عفان عليّ بن أبي طالب ، فعاتبه في شيء بلغه عنه ، فسكت عنه علي ؛ فقال له عثمان : مالك لا تقول؟ قال : له علي : ليس لك عندي إلا ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره .

عثمان وعامر بن قيس[١]

خرج عثمان بن عفان- رحمه الله- من داره يوما ، وقد جاء عامر ابن عبد قيس . فقعد في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخا دميما أشغى[٢] ثطّا[٣] ، في عباءة ، فأنكره وأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابي ، أين ربك؟ فقال : بالمرصاد! .

ويقال إن عثمان بن عفان لم يفحمه أحد قط غير عامر بن عبد قيس

عثمان وابن الزبير

لما جلس عثمان بن عفان على المنبر قال : «يأيها الناس ، إن الله قد فتح عليكم افريقية ، وقد بعث إليكم ابن أبي سرح ، عبد الله الزبير بالفتح ، قم يا ابن الزبير» . قال : فقمت فخطبت ، فلما نزلت قام فقال : «يأيها الناس ، انكحوا النساء على آبائهن وإخوتهن ، فإني لم أر لأبي بكر الصديق ولدا أشبه به من هذا» .

حديث عثمان الثقفي

عيسى بن يزيد بن دأب ، عمّن حدثه عن رجل كان يجالس ابن عباس قال : قال عثمان بن أبي العاصي الثقفي[٤] لبنيه : «يا بني ، إني قد أمجدتكم في أمهاتكم ، وأحسنت في مهنة أموالكم ، وإني ما جلست في ظل رجل من ثقيف

---

(١) عامر بن عبد قيس أبو عبد الله ويقال أبو عمرو التميمي العنبري البصري وصفه الذهبي بالقدوة الولي الزاهد .

(٢) الشغى : تراكب الأسنان واختلافها .

(٣) ثط : صغير اللحية .

(٤) أبو عبد الله عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن سيار بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف الثقفي . صحابي من أهل الطائف .

أشتم عرضه . والناكح مغترس ، فلينظر امرؤ منكم حيث يضع غرسه . والعرق السوء قلما ينجب ولو بعد حين» . قال : فقال ابن عباس : «يا غلام ، أكتب لنا هذا الحديث» .

عزاء جميل

دخل عيسى بن طلحة بن عبيد الله[١] ، على عروة بن الزبير[٢] وقد قطعت رجله ، فقال له عيسى : والله ما كنا نعدّك للصراع ، ولقد أبقى الله لنا أكثرك : أبقى لنا سمعك وبصرك ، ولسانك وعقلك ، ويديك وإحدى رجليك .

فقال له عروة : والله يا عيسى ما عزّاني أحد بمثل ما عزّيتني به .

هدية حسنة

قال رجل لأبي الدرداء[٣] : فلان يقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ، ومحمل خفيف

---

(١) عيسى بن طلحة بن عبيد الله تابعي وأحد رواة الحديث الشريف ، أبوه هو أحد العشرة المبشرين بالجنة طلحة بن عبيد الله والذي استشهد في معركة الجمل . روى الحديث النبوي عن أبيه طلحة بن عبيد الله ومعاوية بن أبي سفيان وأبو هريرة وعبد الله بن عمرو وطائفة ، وحدث عنه محمد بن إبراهيم وطلحة بن يحيى بن طلحة والزهري وآخرون ، وكان من الحلماء الأشراف والعلماء الثقات وفد على معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى حدود سنة مئة .

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، تابعي جليل ، يُكنى بأبي عبد الله ، عالم أهل المدينة وأحد فقهائها السبعة ، كان ثقة فقيهاً علماً ثبتاً حجة كثير الحديث عالماً بالسير .

(٣) أبو الدرداء الانصاري هو عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي ، صحابي من الأنصار يلقب بحكيم الأمة ، أسلم يوم بدر ، كان تاجرا في المدينة المنورة وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي . ولاه معاوية بن أبي سفيان قضاء دمشق بأمر من عمر بن الخطاب .

في المروءة

قيل لمحمد بن عمران[1] : ما المروءة؟ قال : ألا تعمل في السر شيئا تستحي منه في العلانية .

وقيل للأحنف[2] : ما المروءة؟ قال : العفة والحرفة .

وقال طلحة بن عبيد الله المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة .

وقيل لأبي هريرة : ما المروءة؟ قال : تقوى الله ، واصلاح الصنيعة ، والغداء والعشاء بالأفنية

من جميل القول

مر المسيح عليه السلام بحلق بني اسرائيل ، فشتموه ، فكلما قالوا شرا قال لهم خيرا خيرا ، فقال له شمعون الصفي : أكلما قالوا شرا قلت لهم خيرا؟ قال المسيح : «كل امرىء يعطي مما عنده» .

وقال أبو عقيل بن درست : رأيت أبا هاشم الصوفي مقبلا من جهة النهر ، فقلت : في أي شيء كنت اليوم؟ قال : في تعلم ما ليس ينسى ، وليس الشيء من الحيوان عنه غنى . قال : قلت وما ذاك؟ قال : السباحة .

وكتب عمر بن الخطاب إلى ساكني الأمصار : «أما بعد فعلموا أولادكم العوم والفروسة ، وروّوهم ما سار من المثل ، وحسن من الشعر» .

وأنشد رجل عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، قول طرفة :

فلولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى   وجدّك لم أحفل متى قام عوّدي

فقال عمر : «لولا أن أسير في سبيل الله ، واضع جبهتي لله ، وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر ، لم أبال أن أكون قد متّ» .

---

(١) محمد بن عمران بن موسى ، أبو عبيد الله المرزباني : إخباري مؤرخ أديب . أصله من خراسان ، ومولده ووفاته ببغداد . كان مذهبه الاعتزال . له كتب عجيبة ، أتى على وصفها ابن النديم ، منها (المفيد) في الشعر والشعراء ومذاهبهم ، نحو خمسة آلاف ورقة .

(٢) هو التابعي الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي اسمه ضحاك وقيل صخر وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل ، قال سليمان بن أبي شيخ كان أحنف الرجلين جميعا .

طرائف البخلاء

البخيل وأخوه

قال ابن حسّان : كان عندنا رجل مقلّ ، وكان له أخ مكثر ، وكان مفرط البخل ، شديد النفج[1] . فقال له يوما أخوه : «ويحك ، أنا فقير معيل ، وأنت غنّي خفيف الظهر ، لا تعينني على الزمان ، ولا تواسيني ببعض مالك ، ولا تتفرّج لي عن شيء؟ والله ما رأيت قط ، ولا سمعت ، بأبخل منك» . قال : «ويحك! ليس الأمر كما تظن ، ولا المال كما تحسب ، ولا أنا كما تقول في البخل ولا في اليسر . والله لو ملكت ألف ألف درهم لوهبت لك منها خمس مائة ألف درهم . يا هؤلاء فرجل يهب ضربة واحدة خمس مائة ألف يقال له بخيل»؟

غداء راشد الأعور

وحدثني إبراهيم بن عبد العزيز ، قال : تغدّيت مع راشد الأعور ، فأتونا بجام فيه بيّاح سبخيّ ، الذي يقال له الدرّاج . فجعلت آخذ الواحدة فأقطع رأسها ، ثم أعزله . ثم أشقّها باثنين من قبل بطنها ، فآخذ شوكة الصّلب والأضلاع ، فأعزلها ، وأرمي بما في بطنها ، وبطرف الذنب والجناح ثم اجمعها في لقمة واحدة وآكلها . وكان راشد يأخذ البيّاحة فيقطعها قطعتين ، فيجعل كلّ قطعة في لقمة ، لا يلقي رأسا ولا ذنبا .

فصبر لي على لقم عدة . فلما بلغت المجهود منه قال : «أي بنيّ إذا أكلت لطعام فكل خيره بشرّه» .

مائدة البرمكي

قال الرشيد[2] للجمّاز : كيف مائدة محمد بن يحيى ، يعني البرمكيّ . قال : شبر في شبر ، وصحفته من قشر الخشخاش ، وبين الرّغيف والرغيف مضرب كرة ، وبين اللّون واللّون فترة نبيّ . قال : فمن يحضرها؟ قال : الكرام الكاتبون ، فضحك وقال :

لحاك الله من رجل .

---

(١) النُّفُجُ : الثُّقَلاء من النَّاس .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين . حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م . ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

عيش ابن الخطاب

أقبل الأصمعي[١] على جلسائه يسألهم عن عيشهم ، وعمّا يأكلون ويشربون . فأقبل على الذي عن يمينه ، فقال : «أبا فلان ما إدامك»؟ قال : «اللحم» ، قال : «أكل يوم لحم»؟ قال : «نعم» ، قال : «وفيه الصفراء البيضاء والحمراء والكدراء والحامضة والحلوة والمرّة»؟ قال : «نعم» . قال : «بئس العيش! هذا ليس عيش آل الخطاب . كان عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه يضرب على هذا ، وكان يقول : مدمن اللحم كمدمن الخمر» .

ثم سأل الذي يليه ، قال : «أبا فلان ما إدامك»؟ قال : «الآدام الكثيرة والألوان الطيّبة» ، قال : «أفي إدامك سمن»؟ قال : «نعم» ، قال : «فتجمع السمن والسمين على مائدة»؟ قال : «نعم» . قال :

«ليس هذا عيش آل الخطاب . كان ابن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه يضرب على هذا . وكان إذا وجد القدور المختلفة الطعوم كدّرها في قدر واحدة ، وقال إن العرب لو أكلت هذا لقتل بعضها بعضا» .

ثم يقبل على الآخر ، فيقول : «أبا فلان ما إدامك»؟ قال : «اللحم لسمين ، والجداء الرضع» . قال : «فتأكله بالحوّاري»؟ قال : «نعم» قال : «ليس هذا عيش آل الخطاب . كان بن الخطاب يضرب على هذا .

أو ما سمعته يقول : أتروني لا أعرف الطعام الطّيب؟ لباب . البرّ بصغار المعزى . ألا تراه كيف ينتفي من أكله ، وتنتحل معرفته»؟

ثم يقبل على الذي يليه ، فيقول : «أبا فلان ما أدمك»؟ فيقول :

«أكثر ما نأكل لحوم الجزور ، ونتخذ منها هذه القلايا ، ونجعل بعضها شواء» ، قال : «أفتأكل من أكبادها واسنمتها ، وتتخذ لك الصباغ»؟

قال : «نعم» . قال : «ليس هذا عيش آل الخطاب . كان ابن الخطاب يضرب على هذا ، أو ما سمعته يقول : «أتروني لا أقدر أن اتخذ أكبادا وأفلاذا وصلائق وصنابا »؟ ألا تراه كيف ينكر أكله ، ويستحسن معرفته»؟

---

(١) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان .

ثم يقول للذي يليه : «أبا فلان ما أدمك»؟ فيقول : «الشبارقات[١] والأخبصة[٢] والفالوذجات[٣]» . قال : «طعام العجم ، وعيش كسرى ، ولباب البرّ ، بلعاب النحل ، بخالص السمن» ، حتى أتى على آخرهم ؛ كل ذلك يقول : «بئس العيش هذا . ليس هذا عيش آل الخطاب . كان ابن الخطاب . يضرب على هذا» .

فلما انقضى كلامه أقبل عليه بعضهم ، فقال : «يا أبا سعيد ما أدمك»؟ قال : «يوما لبن ، ويوما زيت ، ويوما سمن ، ويوما تمر ، ويوما جبن ويوما قفار ، ويوما لحم . عيش آل خطاب» .

أهل الجزيرة

قال أصحابنا : نزلنا بناس من أهل الجزيرة ، وإذا هم في بلاد باردة ، وإذا حطبهم شرّ حطب ، وإذا الأرض كلّها غابة واحدة طرفاء . فقلنا :

«ما في الأرض أكرم من الطرفاء» . قالوا : «هو كريم ، ومن كرمه نفّر» . قالوا : فقلنا : «وما الذي تفرّون منه»؟ قالوا : «دخان الطرفاء يهضم الطعام ، وعيالنا كثير» .

سليمان الكثريّ

قال المكي : كان لأبي عم يقال له سليمان الكثري سمّي بذلك لكثرة ماله . وكان يقرّبني وأنا صبي إلى أن بلغت . ولم يهب لي مع ذلك التقريب شيئا قط . وكان قد جاوز في ذلك حد البخلاء . فدخلت عليه يوما ، وإذا قدّامه قطع دار صيني لا تسوى قيراطا ؛ فلما نال حاجته منها ، مددت يدي لآخذ قطعة ، فلما نظر إليّ قبضت يدي ، فقال : «لا تنقبض وانبسط واسترسل وليحسن ظنك ، فإن حالك عندي على ما تحب ، فخذه كله ، فهو لك بزوبره ، وبحذافيره ، وهو لك جميعا ؛ نفسي بذلك سخيّة . والله يعلم أني مسرور بما وصل إليك من الخير» . فتركته بين يده ، وقمت من عنده وجعلته وجهي ، كما أنا ، إلى العراق . فما رأيته وما رآني حتى مات .

---

(١) لحمٌ شُبارق : مطبوخٌ ألواناً .

(٢) الخبِيصُ : الحلْوى المَخْبُوصة من التمر والسَّمن والجمع : أخبصة .

(٣) حَلْوَى تُهَيَّأُ مِنَ الدَّقِيقِ وَالْمَاءِ وَالعَسَلِ ، وَتُحَضَّرُ الآنَ مِنَ النَّشَا وَالْمَاءِ وَالسُّكَّرِ .

وقال المكيّ : سمعني سليمان ، وأنا أنشد شعر أمرئ القيس[١] :

لنا غنم نسوقها غزار كأنّ قرون جلّتها العصيّ
فتملأ بيتنا أقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع وريّ

قال : لو كان ذكر مع هذا شيئا من . الكسوة لكان جيدا .

وهو الذي قال ليحيى بن خالد ، حين نقب في أبي قبيس ، وزاد في داره : عمدت الى شيخ الجبال فزعزعته وثلمت فيه .

وقال : حين عوتب في قلة الضحك وشدة القطوب : إن الذي يمنعني من الضحك أن الإنسان أقرب ما يكون من البذل إذا ضحك وطابت نفسه .

محفوظ النقّاش

قال الجاحظ[٢] : صحبني محفوظ النقّاش من مسجد الجامع ليلا . فلما صرت قرب منزله ، وكان منزله أقرب إلى مسجد الجامع من منزلي ، سألني أن أبيت عنده ، وقال : «أين تذهب في هذا المطر والبرد ، ومنزلي منزلك ، وأنت في ظلمة وليس معك نار ، وعندي لبأ ، لم ير الناس مثله ، وتمر ناهيك به جودة ، لا تصلح إلا له» . فملت معه . فأبطأ ساعة ثم جاءني بجأم لبأ[٣] وطبق تمر ، فلما مددت قال : «يا أبا عثمان إنه لبأ وغلظه ، وهو الليل وركوده ، ثم ليلة مطر ورطوبة وأنت رجل قد طعنت في السن ، ولم تزل تشكو من الفالج طرفا ، وما زال الغليل يسرع إليك ، وأنت في الأصل لست بصاحب عشاء . فإن أكلت اللبأ ولم تبالغ ، كنت لا آكلا ولا تاركا ، وحرشت طباعك ، ثمن قطعت الأكل أشهى ما كان إليك .

وإن بالغت بتنا في ليلة سوء ، من الاهتمام بأمرك . ولم نعدّ لك نبيذا ولا عسلا . وإنما قلت هذا الكلام ، لئلا تقول غدا : كان وكان . والله قد وقعت بين نابي

---

(١) امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث ال ندي كان شاعرا عربيا جاهليا عالي الطبقة من قبيلة كندة ، يُعد رأس شعراء العرب وأعظم شعراء العصر الجاهلي يُعرف في كتب التراث العربية باسم «الملك الضليل» و«ذي القروح» .

(٢) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها .

(٣) لبأ الشاة أو البقرة : حلب «لبأها» ، وهو أول اللبن عند الولادة .

أسد . لأني لو لم أجئك به ، وقد ذكرته لك ، قلت :
«بخل به وبدا له فيه» ؛ وإن جئت به ، ولم أحذرك منه ، ولم أذكرك كل ما عليك فيه ، قلت : «لم يشفق عليّ ولم ينصح» . فقد برئت إليك من الأمرين جميعا فإن شئت فأكلة وموتة ، وإن شئت فبعض الاحتمال ، ونوم على سلامة» .

فما ضحكت قط كضحكي تلك الليلة . ولقد أكلته جميعا فما هضمه الا الضحك والنشاط والسرور ، فيما أظن . ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم لأتى عليّ الضحك ، أو لقضي عليّ ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب .

العراقي ورجل من أهل مرو

إن رجلا من أهل مرو[1] كان ولا يزال يحجّ ويتّجر ، وينزل على رجل من أهل العراق ، فيكرمه ويكفيه مؤونته . ثم كان كثيرا ما يقول لذلك العراقي : «ليت إني قد رأيتك بمرو ، حتى أكافئك ، لقديم إحسانك ، وما تجدّد لي من البرّ في كل مرّة . فأما ههنا فقد أغناك الله عني» .

قال : فعرضت لذلك العراقي ، بعد دهر طويل ، حاجة في تلك الناحية ؛ فكان مما هوّن عليه مكابدة السفر ، ووحشة الاغتراب ، مكان المروزيّ هناك . فلما قدم مضى نحوه في ثياب سفره ، وفي عمامته وقلنسوته وكسائه ، ليحطّ رحله عنده ، كما يصنع الرجل بثقته ، وموضع أنسه . فلما وجده قاعدا في أصحابه ، أكبّ عليه وعانقه ، فلم يره أثبته ، ولا سأل عنه سؤال من رآه قط . قال العراقي في نفسه : «لعل إنكاره إيّاي لمكان القناع» ؛ فرمى بقناعه ، وابتدأ مساءلته ، فكان له أنكر .

فقال : «لعله أن يكون إنما أتي من قبل العمامة» ؛ فنزعها ثم انتسب ، وجدد مساءلته ، فوجده أشدّ ما كان له إنكارا . قال «فلعله إنما أتي من قبل القلنسوة» ؛ وعلم المروزي أنه لم يبق شيء يتعلق به المتغافل والمتجاهل ، فقال : «لو خرجت من جلدك لم أعرفك» .

(١) تقع مدينة مرو على ضفاف نهر المرغاب ، ذاع صيت المدينة في التاريخ الإسلامي كأحد مراكز الجهاد في بلاد ما وراء النهر ، كما تكتسب أهمية أخرى كذلك في الأدب العربي حيث يضرب العرب بأهلها الأمثال في البخل فحين يقول العربي أنك من اهل مرو فهو يرمي إلى انك بخيل ، دخل الإسلام بعدما فتحت على يد الأحنف بن قيس .

استعارة المقلى

أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظّام[1] قال : قلت مرة لجار كان لي ، من أهل خراسان : «أعرني مقلاكم ، فإني أحتاج إليه»

قال :«قد كان لنا مقلى ، ولكنه سرق» . فاستعرت من جار لي آخر . فلم يلبث الخراساني أن سمع نشيش اللحم في المقلى ، وشمّ الطباهج

فقال لي : كالمغضب : «ما في الأرض أعجب منك ، لو كنت أخبرتني أنك تريده للحم أو لشحم لوجدتني أسرع إليك به ، إنما خشيتك تريده للباقلّي ، وحديد المقلى يحترق إذا كان الذي يقلى فيه ليس بدسم .

وكيف لا أعيرك إذا أردت الطّباهج ، والمقلى ، بعد الرّد من الطباهج ، أحسن حالا منه ، وهو في البيت؟! .

محب السمن

قال أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام : دعانا جار لنا ، فأطعمنا تمرا وسمن سلاء[2] ، ونحن على خوان ليس عليه إلا ما ذكرت ، والخراساني معنا يأكل ، فرأيته يقطر السمن على الخوان حتى أكثر من ذلك ؛ فقلت لرجل إلى جنبي : ما لأبي فلان يضيع سمن القوم ، ويسيء المؤاكلة ، ويغرف فوق الحق؟ قال : وما عرفت علّته؟ قلت : لا والله . قال : الخوان خوانه ، فهو يريد أن يدسمه ، ليكون كالدّبغ له .

ولقد طلّق امرأته ، وهي أمّ أولاده ، لأنه رآها غسلت له خوانا له بماء حارّ ، فقال لها : هلّا مسحته .

---

(١) هو إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظّام البصري ، وُلد سنة ١٨٥ هـ/٧٧٧م في البصرة ، تتلمذ على يد أبي هذيل العلاف في الاعتزال ، ثم انفرد عنه وكوّن له مذهباً خاصاً (النظامية) ، وكان أستاذ الجاحظ ، توفي وهو شاب في نحو السادسة والثلاثين من عمره سنة ٢٢١ هـ/٨٣٦م في بغداد .كان من الكبار الفقهاء ، المثقفين ، المفكرين الإسلامي وهو من اكابر المعتزلة .

(٢) ما طُبخ وعُولج من السّمن .

فقه الأكل

قال أبو نوّاس[1] : كان معنا في السفينة ونحن نريد بغداد ، رجل من أهل خراسان ، وكان من عقلائهم وفقهائهم . فكان يأكل وحده . فقلت له : «لم تأكل وحدك»؟ قال : ليس «عليّ» في هذا الوضع مسألة ؛ إنما المسألة على من أكل مع الجماعة ، لأن ذلك هو التكلّف . وأكلي وحدي هو الأصل ، وأكلي مع غيري زيادة في الأصل» .

السلام والطعام

إبراهيم بن السندي قال : كان على ربض الشاذروان[2] شيخ لنا ، من أهل خراسان . وكان مصححا بعيدا من الفساد ، ومن الرشا ، ومن الحكم بالهوى ، وكان حفيا جدا ، وكذلك كان في إمساكه ، وفي بخله ، وتدنيقه في نفقاته ؛ وكان لا يأكل إلا ما لا بد منه ، ولا يشرب إلا ما بدا منه . غير أنه إذا كان في غداة كل جمعة حمل معه منديلا فيه جردقتان ، وقطع لحم سكباج مبرّد ، وقطع جبن ، وزيتونات ، وصرة فيها ملح ، وأخرى فيها أشنان وأربع بيضات ليس منها بدّ ، ومعه خلال . ومضى وحده ، حتى يدخل بعض بساتين الكرخ ، وينظر موضعا تحت شجرة ، وسط خضرة ، وعلى ماء جار . فاذا وجد ذلك جلس ، وبسط بين يديه المنديل ، وأكل من هذا مرة ، ومن هذا مرّة . فإن وجد قيّم ذلك البستان رمى إليه بدرهم ، ثم قال :

اشتر لي بهذا ، أو أعطني بهذا ، رطبا ، (إن كان في زمان الرطب) ، أو عنبا (إن كان في زمان العنب) ويقول له : إياك إياك أن تحابيني ، ولكن تجوّد لي ، فإنّك إن فعلت لم آكله ، ولم أعد إليك . واحذر الغبن فان المغبون لا محمود ولا مأجور» فإن أتاه به أكل كل شيء معه ، وكل شيء أتي به ، ثم تخلّل ، وغسل يديه ، ثم تمشّى مقدار مائة خطوة . ثم يضع جنبه ، فينام الى وقت الجمعة . ثم ينتبه فيغتسل ، ويمضي الى المسجد .

---

(١) أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي . يكنى بأبي علي وأبي نؤاس والنؤاسي . وعرف أبو نواس بشاعر الخمر . قال البعض انه تاب عما كان فيه وأتجه إلى الزهد وقد انشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك .

(٢) الشاذروان بفتح الذال وتسكين الراء ، وهو ما ترك من عرض أساس البيت الحرام خارجا ويسمى تأزيرا لأنه كالإزار ، وهو مأخوذ من كلمة شوذر الفارسية ومعناها الإزار .

هذا كان دأبه كل جمعة!! قال إبراهيم : فبينا هو يوما من أيامه يأكل في بعض المواضع ، إذ مر به رجل فسلّم عليه ، فردّ السلام ؛ ثم قال : «هلّم عافاك الله» . فلما نظر الى الرجل وقد انثنى راجعا ، يريد أن يطفر الجدول أو يعبر النهر ، قال له : «مكانك ، فإنّ العجلة من عمل الشيطان» . فوقف الرجل ، فأقبل عليه الخراساني وقال : «تريد ماذا»؟ قال : «أريد أن أتغدّى» .

قال : «ولم ذاك؟ وكيف طمعت في هذا؟ ومن أباح لك مالي»؟ قال الرجل : «أوليس قد دعوتني»؟ قال : «ويلك ، لو ظننت أنك هكذا أحمق ، ما رددت عليك السلام . أيحسن فيما نحن فيه أن تكون ، إذا كنت أنا الجالس وأنت المار ، أن تبدأ أنت فتسلم ، فأقول أنا حينئذ ، مجيبا لك : «وعليكم السلام» . فإن كنت لا آكلا شيئا ، سكتّ أنا ، وسكتّ أنت ، ومضيت أنت ، وقعدت أنا على حالي . وإن كنت آكل فههنا وجه آخر ، وهو إن أبدأ أنا ، فأقول : «هلّم» ، وتجيب أنت فتقول :

«هنيئا» . فيكون كلام بكلام ، فأما كلام بفعال ، وقول بأكل ، فهذا ليس من الإنصاف ، وهذا يخرج علينا فضلا كبيرا . قال : فورد على الرجل شيء لم يكن في حسابه . فشهر بذلك في تلك الناحية ، وقيل له : «قد أعفينا من السلام ، ومن تكلف الرد» . قال : «ما بي الى ذلك حاجة ، إنما هو أن أعفي أنا نفسي من «هلّم» وقد استقام الأمر» .

الاقتصاد في لبس الاخفاف

قال سجّادة ، وهو أبو سعيد سجّادة : ناس من المراوزة إذا لبسوا الخفاف في الستة الأشهر التي لا ينزعون فيها خفافهم ، يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر ، وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر حتى يكون كأنهم لم يلبسوا خفافهم إلا ثلاثة أشهر ، مخافة أن تنجرد نعال خفافهم أو تنقب .

الصيرفي والبقال

زبيدة بن حميد الصيرفيّ استسلف من بقال ، كان على باب داره ، درهمين وقيراطا ، فلما قضاه بعد ستة أشهر ، قضاه درهمين وثلاث حبات شعير . فاغتاظ البقّال ، وقال : «سبحان الله! أنت رب مائة ألف دينار ؛ وأنا بقال لا أملك مائة فلس ، وإنما أعيش بكدّي وباستفضال الحبة والحبتين . صاح على بابك جمّال ، وحمال ،

ولم يحضرك ، وغاب وكيلك ، فنقدت عنك درهمين ، وأربع شعيرات ، فقضيتني بعد سنة أشهر درهمين ، وثلاث شعيرات» ! فقال زبيدة : «يا مجنون أسلفتني في الصيف فقضيتك في الشتاء ، وثلاث شعيرات شتوية ندية ، أرزن من أربع شعيرات يابسة صيفية ، وما أشك أن معك فضلا»

الفرج بعد الشدة

قيل لأحد البخلاء :
ما الفرج بعد الشدّة؟
فقال :
أن يعتذر الضيف بالصيام !!

في فلس

قال جهم بن خلف[١] : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة فأطعمنا تمراً . ثم قال لغلامه : خذ هذا الفلس فاشتر به زيتاً ، فأتى الغلام به . فقال له : خنتني . فقال : وكيف أخونك في فلس؟ قال : أخذته لنفسك واستوهبت الزيت .

تقويم الرأي

وقال الأحنف بن قيس[٢] : يا بني تميم ، أتبخلونني وربما أشرت عليكم برأي خير من مائة ألف درهم؟ فقال بعض من سمعه : تقويمك الرأي عليه غاية البخل .

من أظرف ما قيل في بخيل

ومن أظرف ما قيل في بخيل :
وأخٍ مسّــــه نزولـــي بقـــــرحٍ مثلمــا مسّنــي مــن الجـوع قرح

(١) جهم بن خلف : جهم بن خلف المازني : سكن البصرة ، وكان معاصرا للأصمعي ، وراوية علامة بالشعر والعروض والغريب ، واشتهر شعره في الحشرات والطير .
(٢) هو التابعي الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي اسمه ضحاك وقيل صخر وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل ، قال سليمان بن أبي شيخ كان أحنف الرجلين جميعا .

قال إذ زرت وهو فـي شـدة السـك رة بالهـمّ طافـح ليـس يصحـو
لم تغرّبت قلـت قـال رسـول اللـ ـه والقـول منـه نصـحٌ ونجـح
سافـروا تغنموا فـقال وقـد قـا ل تمـام الحديـث جوعوا تصحّوا

الزحام على الطعام

طبخ بعض البخلاء قدراً فقعد هو وامرأته يأكلان . فقال : ما أطيب هذا القدر لولا الزحام! قالت : أي زحام ها هنا إنما أنا وأنت! قال : كنت أحب أن أكون أنا والقدر .

علم الاقتصاد

مر بخيل بأحد العلماء فنزع حذاءه وحمله تحت إبطه فسأله العالم هل هذا الذي تحت إبطك كتاب؟

البخيل : أجل

العالم : وفي أي علم؟

البخيل : علم الاقتصاد

صفة البخل

قال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك[1] : كان عندنا رجلٌ يكنى أبا نصر ، من جهينة ، ذاهب العقل في غير ما النّاس فيه ، يجلس مع أهل الصّفّة في آخر مسجد رسول الله ﷺ ، فأتيته يوماً ، فقلت : ما الشرف؟ قال : حمل ما ناب العشيرة ، والقبول من محسنها ، والتّجاوز عن مسيئها ؛ قلت : ما المروءة؟ قال : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وتوقّي الأدناس ؛ قلت : ما السخاء؟ قال : جهد مقل ؛ قلت : فما البخل؟ قال : أف ؛ وحول وجهه عني ؛ قلت : أجبني ، قال : قد أجبتك .

أبو القماقم

قال أبو القماقم : أول الإصلاح ألا يردّ ما صار في يدي لك ، فإن كان ما صار

(١) ابن أبي فديك الإمام الثقة المحدث ، أبو إسماعيل ، محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك ، واسمه دينار الديلي ، مولاهم المدني .

في يدي لي فهو لي ، وإن لم يكن لي فأنا أحقّ به مّمن صيّره في يدي . ومن أخرج من يده شيئا إلى غيره ، من غير ضرورة ، فقد أباحه لمن صيّره إليه . وتفريقك إياه مثل إباحته .

وقالت له امرأة : ويحك يا أبا القماقم إني تزوجت زوجا نهاريّا ، والساعة وقته ، وليست عليّ هيئة فاشتر لي بهذا الرغيف آسا ، وبهذا الفلس دهنا ، فإنك تؤجر . فعسى الله أن يلقي محبتي في قلبه . فيرزقني على يدك شيئا أعيش به ، فقد والله ساءت حالي ، وبلغ المجهود مني ؛ فأخذهما وجعلها وجهه ؛ فرأته بعد أيام ، فقالت : سبحان الله أما رحمتني مما صنعت بي؟ قال : ويحك سقط والله مني الفلس ، فمن الغمّ أكلت الرغيف .

وتعشق واحدة ، فلم يزل يتبعها ، ويبكي بين يديها ، حتى رحمته .

وكانت مكثرة وكان مقلا فاستهداها هريسة[١] ، وقال : أنتم أحذق بها .

فلما كان بعد أيام تشهى عليها رؤوسا ، فلما كان بعد قليل طلب منها حيسة[٢] فلما كان بعد ذلك تشهى عليها طفيشيلة[٣] . قالت المرأة : رأيت عشق الناس يكون في القلب وفي الكبد وفي الأحشاء ، وعشقك أنت ليس يجاوز معدتك .

وقال أبو الأصبغ : ألحّ أبو القماقم على قوم عند الخطبة إليهم ، يسأل عن مال المرأة ويحصيه . ويسأل عنه . فقالوا : قد أخبرناك بمالها ، فأنت أيّ شيء مالك؟ قال : وما سؤالكم عن مالي؟ الذي لها يكفيني ويكفيها .

أحمد بن الخاركي

كان أحمد بن الخاركي بخيلا ، وكان نفّاجا . وهذا أغيظ ما يكون . وكان يتخذّ لكل جبّة أربعة أزرار ، ليرى الناس أن عليه جبّتين .

ويشتري الأعذاق والعراجين والسعف من الكلّاء ، فإذا جاء به الحمّال إلى بابه تركه ساعة يوهم الناس أنّ له من الأرضين ما يحتمل أن يكون ذلك كله منها . وكان

---

(١) طَعَامٌ يُطْبَخُ مِنَ الْقَمْحِ الْمَدْقُوقِ وَاللَّحْمِ .

(٢) تمرٌ وأَقِطٌ وسمنٌ تُخلَط وتُعجَن وتُسوَّى كالثَّريد .

(٣) نوع من المرق .

يكتري قدور الخمّارين التي تكون للنبيذ ، ثم يتحرّى أعظمها ، ويهرب من الحمالين بالكراء»؟ كي يصيحوا بالباب :

«ويشربون الداذيّ والسّكر ، ويحبسون الحمّالين بالكراء» وليس له في منزله رطل دبس . وسمع قول الشاعر :

رأيت الخبز عزّ لديك حتى ... حسبت الخبز في جوّ السحاب
وما روّحتنا لتذب عنا ... ولكن خفت مرزئة الذباب

فقال : ولم ذبّ عنهم لعنه الله؟ والله ما أعلم إلا أنه شهيّ إليهم الطعام ، ونظف لهم القصاع ، وفرّغهم له ، وسحرّهم عليه . ثم ألا تركهم تقع في قصاعهم وتسقط على انافهم وعيونهم؟ هو والله أهل لما هو أعظم من هذا . كم ترون من مرّة قد أمرت الجارية أن تلقي في القصعة الذبابة والذبابتين والثلاثة ، حتى يتقزّز بعضهم ، أو يكفي الله شرّه .

قال : وأما قوله :

«رأيت الخبز عزّ لديك حتى»

قال : فإذا لم أعزّ هذا الشيء الذي هو قوام أهل الأرض ، وأصل الأقوات ، وأمير الأغذية ، فأيّ شيء أعزّ . أي والله ، إنّي أعزّه ، وأعزّه ، وأعزّه ، وأعزّه ، مدى النفس ، ما حملت عيني الماء .

وبلغ من نفجه مع ذلك ما أخبر به إبراهيم بن هانيء قال : كنت عنده يوما ، إذ مرّ به بعض الباعة ، فصاح : «الخوخ الخوخ» . فقلت : «وقد جاء الخوخ بعد»؟ قال : «نعم قد جاء ، وقد أكثرنا منه» ، فدعاني الغيظ عليه الى أن دعوت البيّاع ، وأقبلت على ابن الخاركي ، فقلت : «ويحك نحن لم نسمع به بعد ، وأنت قد اكثرت منه؟ وقد تعلم أن أصحابنا أترف منك» ، ثم أقبلت على البياع فقلت : «كيف تبيع الخوخ؟» ، فقال : «ستة بدرهم» . قلت : «أنت ممن يشتري ستّ خوخات بدرهم ، وأنت تعلم أنه يباع بعد أيام مائتين بدرهم»؟

ثم تقول : «وقد أكثرنا منه ، وهذا يقول : ستة بدرهم» . قال : «وأي شيء أرخص من ستة أشياء بشيء» .

غلام صالح بن عفان

كان غلام صالح بن عفّان يطلب منه نفطا لبيت الحمار بالليل ، فكان يعطيه كل

ليلة ثلاثة أفلس ، والطسّوج أربعة فلوس . ويقول :

طسّوج يفضل وحبة تنقص وبينهما يرمي الرامي .

وكان يقول لابنه : تعطي صاحب الحمّام وصاحب المعبر لكل واحد منهما طسّوجا ، وهو إذا لم ير معك إلا ثلاثة أفلس لم يردّك؟

على مائدة الإفطار

قال أبو كعب : دعا موسى بن جناح جماعة من جيرانه ، ليفطروا عنده في شهر رمضان ، وكنت فيهم . فلما صلّينا المغرب ، ونجز ابن جناح ، أقبل علينا ثم قال : لا تعجلوا فإن العجلة من الشيطان . وكيف لا تعجلون وقد قال الله جلّ ذكره : وَكَانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا

وقال :

خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ . اسمعوا ما أقول ، فإن فيما أقول حسن المؤاكلة ، والبعد من الأثرة ، والعاقبة الرشيدة ، والسيرة المحمودة ؛ إذا مدّ أحدكم يده إلى الماء فاستسقى ، وقد أتيتم ببهطّة أو بجوذابة[١] أوبعصيدة[٢] ، أو ببعض ما يجري في الحلق ولا يساغ بالماء ، ولا يحتاج فيه إلى مضغ ، وهو طعام يد لا طعام يدين ، وليست على أهل اليد منه مؤونة ، وهو ممّا يذهب سريعا ، فأمسكوا حتى يفرغ صاحبكم . فإنكم تجمعون عليه خصالا ، منها : إنكم تنغصّون عليه تلك الشّربة ، إذا علم أنه لا يفرغ إلا مع فراغكم . ومنها أنكم تحنقونه ، ولا يجد بدّا من مكافأتكم ، فلعلّه أن يتسرّع الى لقمة حارّة ، فيموت ، وأنتم ترونه ، وأدنى ذلك أن تبعثوه على الحرص وعلى عظم اللقم . ولهذا ما قال الأعرابي حين قيل له : «لم تبدأ بأكل اللحم الذي فوق الثريد؟ قال : «لأن اللحم ظاعن والثريد مقيم» . وأنا وإن كان الطعام طعامي ، فإني كذلك أفعل ، فإذا رأيتم فعلي يخالف قولي فلا طاعة لي عليكم» .

قال أبو كعب : فربما نسي بعضنا فمدّ يده إلى القصعة ، وقد مد يده صاحبه الى الماء . فيقول له موسى : يدك يا ناسي . ولولا شيء لقلت لك : يا متغافل .

---

(١) طعام يتَّخذ من اللحم والرزّ والسُّكَّر والبُنْدُق .

(٢) دقيقٌ يُضافُ إليه ثلاثةُ أَمثاله من الماءِ كَيْلاً ، ولا يزال يُحَرَّكُ على نار هادئة حتى يَغْلُظَ قَوَامُه فيُصَبَّ عليه السَّمْنُ واللَّبَنُ المُحَلَّى بالعَسَلِ أَو السُّكَّر .

قال : وأتانا بأرزة ولو شاء إنسان أن يعدّ حبّها لعدّه ، لتفرّقه ولقلته .

قال : فنثروا عليها لبكة من دبس مقدار نصف أسيكرة ، فوقعت ليلتئذ في فمي قطعة ، وكنت إلى جنبه ، فسمع صوتها حين مضغتها ، فضرب يده على جنبي ثم قال : «أجرش يا أبا كعب أجرش» . قلت :

«ويلك أما تتقي الله! كيف أجرش جزأ لا يتجزّأ»؟

قصة ابن العقدي

قال الجاحظ : كان ابن العقدي ربما استزار أصحابه الى البستان ، وكنت لا أظنه ممّن يحتمل قلبه ذلك على حال . فسألت ذات يوم بعض زوّاره فقلت :

«إحك لي أمركم» . قال : «وتستر عليّ»؟ قلت : «نعم ما دمت بالبصرة» . قال : «يشتري لنا أرزّا بقشره ويحمله معه ، ليس معه شيء ممّا خلق الله إلا ذلك الأرز . فإذا صرنا إلى أرضه ، كلّف أكاره أن يجشّه في مجشّة له ، ثم ذرّاه ، ثم غربله . ثم جشّ الواش منه . فإذا فرغ من الشراء والحمل ، ثم من الجشّ ، ثم من التذرية ، ثم من الإدارة والغربلة ، ثم من جشّ الواش ، ثم من تذريته ، ثم إدارته وغربلته ، كلّف الأكّار أن يطحنه على ثوره وفي رحاه . فإذا طحنه كلّفه أن يغلي له الماء ، وأن يحتطب له ، ثم يكلّفه العجن ، لأنه بالماء الحارّ أكثر نزلا .

ثم كلّف الأكّار أن يخبزه . وقبل ذلك ما قد كلّفهم أن ينصبوا له الشصوص للسمك ، ويسكروا الدرياجة على صغار السمك لا دخلوا في السواقي ، فيدخلوا أيديهم في جحرة الشلابي والرمان . فإن أصبنا من السمك شيئا ، جعله كبابا على نار الخبز تحت الطابق ، حتى لا يحتاج من الحطب إلى كثير . فلا نزال منذ غدوة إلى الليل في كدّ وجوع انتظار . ثم لا يكون عشاؤنا إلا خبز أرزّ أسود غير منخول بالشلابي .

ولو قدر على غير ذلك فعل» .

قلت له : «فلم لا يتخذ موضع مرازّ من بعض رقاق أرضه ، فيبذر لكم الأرز ثم يكون الخيار في يده ، إن أراد أن يعجّل عليكم الطعام أطعمكم الفرد ، أو إن أحبّ أن يتأنّى ليطعمكم الجوهريّ» .

قال : والله لئن سمع هذا وسرفه ليتكلّفنّه . الله الله فينا ، فإنا قوم مساكين ، ولو قدرنا على شيء لم نحتمل هذا البلاء .

اسماعيل بن غزوان

عن المكّي قال : بتّ عند إسماعيل بن غزوان ، وإنما بيّتني عنده حين علم أني تعشّيت عند مويس ، وحملت معي قربة نبيذ ، فلمّا مضى من الليل أكثره ، وركبني النوم ، جعلت فراشي البساط ومرفقتي يدي .

وليس في البيت إلا مصلّى له ، ومرفقة ومخدّة . فأخذ المخدّة فرمى بها إليّ ، فأبيتها ورددتها عليه ، وأبي وأبيت . فقال : «سبحان الله! يكون أن تتوسّد مرفقك ، وعندي فضل مخدّة»؟ فأخذتها فوضعتها تحت خدّي .

فمنعني من النوم إنكاري للموضع ، ويبس فراشي . وظنّ أني قد نمت ، فجاء قليلا قليلا ، حتى سلّ المخدّة من تحت رأسي . فلما رأيته قد مضى بها ، ضحكت وقلت : «قد كنت عن هذا غنيا» ! قال : «إنّما جئت لأسوّي رأسك» .

قلت : «إني لم أكن أكلّمك حتى ولّيت بها» قال : «كنت لهذا جئت ، فلما صارت المخدّة في يدي نسيت ما جئت به . والنبيذ ، ما علمت ، والله يذهب بالحفظ أجمع» .

حديث المصري

عن المصري وكان جار الدار دريشي ، وماله لا يحصى ، قال :

فانتهر سائلا ذات يوم وأنا عنده ، ثم وقف آخر فانتهره ، إلا أن ذلك بغيظ وحنق . قال : فأقبلت عليه فقلت له : «ما أبغض إليك السؤال» قال : «أجل عامة من ترى منهم أيسر مني» . قال : فقلت :

«ما أظنك أبغضتهم إلا لهذا» . قال : «كل هؤلاء لو قدروا على داري هدموها ، وعلى حياتي لنزعوها . أنا لو طاوعتهم فأعطيتهم كلما سألوني ، كنت قد صرت مثلهم منذ زمان . فكيف تظن بغضي يكون لمن أرادني على هذا» .

وكان أخوه شريكه في كل شيء ، وكان في البخل مثله ، فوضع أخوه في يوم جمعة بين أيدينا ، ونحن على بابه ، طبق رطب يساوي بالبصرة دانقين ، فبينما نحن نأكل إذ جاء أخوه ، فلم يسلم ولم يتكلم حتى دخل الدار . فأنكرنا ذلك ، وكان يفرط في إظهار البشر ، ويجعل البشر وقاية دون ماله . وكان يعلم أنه إن جمع بين المنع والكبر قتل . قال : ولم نعرف علته ، ولم يعرفها أخوه .

فلّما كان الجمعة الأخرى ، دعا أيضا أخوه بطبق رطب ، فبينا نحن نأكل ، إذ خرج من الدار ولم يسلم ولم يقف ، فأنكرنا ذلك ، ولم ندر أيضا ما قصته . فلما أن

كان في الجمعة ، ورأى مثل ذلك ، كتب إلى أخيه : «يا أخي كانت الشركة بيني وبينك حين لم يكثر الولد ، ومع الكثرة يقع الاختلاف . ولست آمن أن يخرج ولدي وولدك إلى مكروه .

وها هنا أموال باسمي ولك شطرها وأموال باسمك ولي شطرها ، وصامت في منزلي وصامت في منزلك ، لا نعرف فضل بعض ذلك على بعض . وإن طرقنا أمر الله ، ركدت الحرب بين هؤلاء الفتية ، وطال الصخب بين هؤلاء النسوة . فالرأي أن نتقدّم اليوم فيما يحسم عنهم هذا السبب» .

فلما قرأ أخوه كتابه ، تعاظمه ذلك وهاله . وقلب الرأي ظهرا لبطن ، فلم يزده التقليب إلا جهلا . فجمع ولده وغلّظ عليهم ، وقال : «عسى أن يكون أحد منكم قد أخطأ بكلمة واحدة ، أو يكون هذا البلاء من جرائر النساء» . فلما عرف براءة ساحة القوم ، تمشى اليه حافيا راجلا ، فقال : «ما يدعوك إلى القسمة والتمييز؟ ادع صلحاء أهل المسجد الساعة ، حتى أشهدهم بأني وكيل لك في هذه الضياع . وحوّل كلّ شيء في منزلي الى منزلك . وجرّب ذلك مني الساعة ، فإن وجدتني أروغ وأعتّل ، فدونك . فحاجتي الآن أن تخبرني بذنبي» . قال : «مالك من ذنب ، وما من القسمة من بد» . فأقام عنده يناشده الى نصف النهار ، ثم أقام يومه ذلك الى نصف الليل ، يناشده ويطلب إليه .

فلما طال عليه الأمر ، وبلغ منه الجهد ، قال له : «حدّثني عن وضعك أطباق الرطب وبسطك الحصر في السكك ، وإحضارك الماء البارد ، وجمعك الناس على بابي في كل جمعة ، كأنك ظننت أنا كنا عن هذه المكرمة عميا . إنك إذا أطعمتهم اليوم البرنيّ[1] أطعمتهم غدا السكر ، وبعد غد الهلباثا . ثم يصير ذلك بعد أيام الجمع في سائر أيام الأسبوع ، ثم يتحوّل الرّطب إلى الغداء ثم يؤدي الغداء إلى العشاء . ثم تصير الى الكساء ثم الأجداء ثم الحملان ثم اصطناع الصنائع . والله إني لأرثي لبيوت الأموال ولخراج المملكة من هذا ، فكيف بمال تاجر جمعه من الحبّات والقراريط والدوانيق والأرباع والأنصاف؟» ؛ قال : «جعلت فداك تريد أن لا آكل رطبة أبدا فضلا على غير ذلك؟ وأخرى فلا والله لا كلّمتهم أبدا» . قال : إياك أن تخطئ مرّتين : مرّة في إطماعهم فيك ، ومرّة في اكتساب عدواتهم . أخرج من هذا الأمر على حساب ما دخلت فيه . وتسلّم تسلم .

(١) نوع جيد من التمر مدَوَّر أحمر مُشْرَبٌ بصفرة ، نَخْل بَرْنِيٌّ ، ونخلة بَرْنيَّةٌ .

أبو الهذيل

كان أبو الهذيل أهدى إلى مويس دجاجة . وكانت دجاجته التي أهداها دون ما كان يتخذّ لمويس ، ولكنه بكرمه وبحسن خلقه أظهر التعجّب من سمنها وطيب لحمها ، وكان يعرفه بالإمساك الشديد . فقال :

«وكيف رأيت يا أبا عمران تلك الدجاجة»؟ قال : «كانت عجبا من العجب» ، فيقول : «وتدري ما جنسها؟ وتدري ما سنّها؟ فإن الدجاجة إنما تطيب بالجنس والسنّ . وتدري بأيّ شيء كنّا نسمنها وفي أي مكان كنا نعلفها؟» . فلا يزال في هذا ، والآخر يضحك ضحكا نعرفه نحن ، ولا يعرفه أبو الهذيل .

وكان أبو الهذيل أسلم الناس صدرا ، وأوسعهم خلقا ، وأسهلهم سهولة . فإن ذكروا دجاجة قال : «أين كانت يا أبا عمران من تلك الدجاجة؟» ، فإن ذكروا بطة أو عناقا أو جزروا أو بقرة قال :

«فأين كانت هذه الجزور في الجزر ، من تلك الدجاجة في الدجاج؟» ، وان استسمن أبو الهذيل شيئا من الطير والبهائم قال : «لا والله ولا تلك الدجاجة» ، وإن ذكروا عذوبة الشحم قال : عذوبة الشحم في البقر والبط وبطون السمك والدجاج ، ولا سيما ذلك الجنس من الدجاج» وإن ذكروا ميلاد شيء ، أو قدوم إنسان قال : «كان ذلك بعد أن أهديتها لك بسنة ، وما كان بين قدوم فلان وبين البعثة بتلك الدجاجة ، إلا يوم» . وكانت مثلا في كل شيء ، وتاريخا في كل شيء .

الزيت والسمن

تغدّى محمد بن الأشعث[١] عند يحيى بن خالد[٢] ، فتذاكروا الزيت وفضل ما بينه وبين السمن ، وفضل ما بين الانفاق وزيت الماء . فقال محمد : «عندي زيت لم ير الناس مثله» . قال يحيى : «لا يؤتى منه بشيء»؟ فدعا محمد غلامه فقال :

---

(١) محمد بن الأشعث بن قيس الكندي . ولاّه زياد بن أبيه والي العراق على طبرستان . وعندما تولّي عبد الله بن الزبير الخلافة في الحجاز ، ولاّ أخاه مصعباً العراق ، فانضم إليه ابن الأشعث في الحرب ضد المختار الثقفي ، وقُتل في وقعة المذار التي قُتل فيها المختار .

(٢) يحيى بن خالد البرمكي كان كاتب هارون الرشيد قبل أن يلي الخلافة ، ثم أصبح وزيره بعد أن تولاها ، وأصبح هو وأولاده الفضل وجعفر من علية القوم في الخلافة الرشيدية .

«إذا دخلت الخزانة ، فانظر الجرّة الرابعة عن يمينك إذا دخلت ، فجئنا منه بشيء» . قال يحيى : «ما يعجبني السيد يعرف موضع زيته وزيتونه» .

نضج الطعام

وقرّب خبّاز أسد بن عبد الله[1] إليه ، وهو على خراسان ، شواء قد أنضجه نضجا . وكان يعجبه ما رطب من الشواء ؛ فقال لخبّازه :

«أتظنّ أن صنيعك يخفى عليّ؟ إنك لست تبالغ في إنضاجه لتطييبه ، ولكن تستحلب جميع دسمه ، فتنتفع بذلك منه» . فبلغت أخاه فقال : «ربّ جهل خير من علم» .

دقة التوقيت

وكان رجل يغشى طعام الجوهريّ ، وكان يتحرّى وقته ولا يخطئ .

فإذا دخل ، والقوم يأكلون وحين وضع الخوان ، قال : «لعن الله القدرية ، من كان يستطيع أن يصرفني عن أكل هذا الطعام ، وقد كان في اللوح المحفوظ إني سآكله»؟ فلما أكثر من ذلك ، قال له رياح :

«تعال بالعشيّ أو بالغداة فإن وجدت شيئا فالعن القدريّة والعن آباءهم وأمهاتهم» .

حبة خوخ

وجاء غلام إلى خالد بن صفوان[2] بطبق خوخ ؛ إمّا أن يكون هدية ، وإما أن غلامه جاء به من البستان ؛ فلما وضعه بين يديه قال : «لولا أني أعلم أنك أكلت منه لأطعمتك واحدة» .

---

(١) هو الأمير الفاتح ووالي خراسان أبو المنذر اسد بن عبد الله بن يزيد بن اسد القسري البجلي كان اسد بن عبد الله من عظماء الأمراء الفاتحين في خراسان والعصر الأموي ويعتبر آخر القادة الفاتحين في العصر الأموي وكان جوادا ممدحا ، وشجاعا مقداماً .

(٢) خالد بن صفوان القناص : شاعر وبليغ ونحوي عباسي . من شعراء العصر العباسي الأول . مجهول المولد والوفاة . كان من رواد المربد . اشتهرت قصيدته النونية البليغة باللغة والتي هي السبب في شهرته . والمسمى بالعروس . والتي تحتوي على ٧٨ بيتا .

عُوجا عَلى طلل بِالقُفـص ... خُلّاني أَقوى فقطّانه أراَلُ هِيقانِ

كَالدَيبُليّات أَو إِجل قَراهبة ... مـن بَين أَحمر يَرعاها وَثِيـرانِ

الشيخ الأهوازي

وقال رمضان : كنت مع شيخ أهوازي في جعفرية ، وكنت في الذّنب وكان في الصدر . فلما جاء وقت الغداء ، أخرج من سلة له دجاجة وفرخا واحدا مبرّدا ، وأقبل بأكل ويتحدث ولا يعرّض عليّ .

وليس في السفينة غيري وغيره . فرآني أنظر اليه مرة ، وإلى ما بين يديه مرة .

فتوهم أني أشتهيه واستبطئه ، فقال لي : «لم تحدّق النظر؟ من كان عنده أكل مثلي ، ومن لم يكن عنده نظر مثلك» . قال : ثم نظر إليّ وأنا أنظر إليه ، فقال : «يا هناه أنا رجل حسن الأكل ، لا آكل إلا طيّب الطعام وأنا أخاف أن تكون عينك مالحة . وعين مثلك سريعة ، فاصرف عني وجهك» قال : فوثبت عليه ، فقبضت على لحيته اليسرى ، ثوم تناولت الدجاجة بيدي اليمنى ، فما زلت أضرب بها رأسه حتى تقطعت في يدي .

ثم تحوّل إلى مكاني ، فمسح وجهه ولحيته ، ثم أقبل عليّ فقال : «قد أخبرتك أن عينك مالحة ، وأنك ستصيبني بعين» . قلت : «وما شبه هذا من العين»؟ قال : «إنما العين مكروه يحدث . فقد أنزلت بنا عينك أعظم المكروه» . فضحكت ضحكا ما ضحكت مثله ، وتكالمنا حتى كأنه لم يقل قبيحا ، وحتى كأني لم أفرط عليه .

العسل يحرق القلب

حكي عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيفٌ ، وبين يديه خبز ووعاء فيه عسل ، فرفع الخبز ، وأراد أن يرفع العسل ، فدخل الضيف من قبل أن يرفعه ، فظنَّ البخيل أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز ، فقال له : ترى أن تأكل عسلاً بلا خبز؟ قال : نعم ، وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة .

فقال له البخيل : مهلاً يا أخي ، واللهِ إنه يحرق القلب

فقال الضيف : نعم ، صدقتَ ، ولكنَّهَ يحرق قلبك

هذا الشبل من ذاك الأسد

يحكى أن أحدهم نزل ضيفاً على صديق له من البخلاء وما أن وصل الضيف . . . حتى نادى البخيل ابنه وقال له : يا ولد عندنا ضيف عزيز على قلبي فاذهب واشترى لنا نصف كيلو لحم من أحسن لحم

ذهب الولد وبعد مدة عاد ولم يشترى شيئاً
فسأله أبوه : أين اللحم؟ !!
فقال الولد : ذهبت إلى الجزار وقلت له : أعطنا أحسن ما عندك من لحم
فقال الجزار : سأعطيك لحماً كأنه الزبد
قلت لنفسي إذا كان كذلك فلماذا لا أشتري الزبد بدل اللحم . . فذهبت إلى البقال
وقلت له : أعطنا أحسن ما عندك من الزبد
فقال : أعطيك زبداً كأنه الدبس
فقلت : إذا كان الأمر كذلك فالأفضل أن أشتري الدبس . . فذهبت إلى بائع الدبس
وقلت : أعطنا أحسن ما عندك من الدبس
فقال الرجل : أعطيك دبساً كأنه الماء الصافي
فقلت لنفسي : إذا كان الأمر كذلك . . فعندنا ماء صافٍ في البيت
وهكذا عدت دون أن أشتري شيئاً
قال الأب : يالك من صبي شاطر . . ولكن فاتك شيء
لقد استهلكت حذاءك بالجري من دكان إلى دكان
فأجاب الابن لا يا أبي . . أنا لبست حذاء الضيف

الشجاعة بمقياس البخيل

سئل بخيل : من أشجع الناس؟!
قال : من يسمع وقع أضراس الناس على طعامه ولا تنشق مرارته من الحسرة أو يصاب بالفالج .

الأسودان

ضاف رجل على رجل فسمعه يقول : أهلاً بك على الأسودين
فرد : أنعم بهما التمر والماء
فقال صاحب الخيمة ، لا والله بل الليل والصحراء

عدو الخبز

بشَّرت امرأة زوجها البخيل أنّ ابنه قد اتَّغز (اخرج اسنانه) ، فقال لها : أتبشريني بعدو الخز ، ويحكِ الحقي بأهلك فإنك طالق!

ركعتين بين كل لقمتين:

قال رجلٌ لبعض البخلاء : لِمَ لا تدعوني إلى طعامك؟
فقال البخيل : لأَنك جيد المَضغ ، سريع البلع ، إذا أكلتَ لقمةً هيَّأتَ أخرى!
فقال الرجل : وهل تريدني أن أَصلي ركعتين بين كل لقمتين؟

أجهز على الجرحى

عن الجاحظ قال : حدثني صاحب لي قال : دخلت على فلان بن فلان ، وإذا المائدة موضوعة بعد ، وإذا القوم قد أكلوا ، ورفعوا أيديهم ، فمددت يدي لآكل فقال : أجهز على الجرحى ، ولا تعرض للأصحّاء . (يقول : أعرض للدجاجة التي قد نيل منها ، وللفرخ المنزوع الفخذ ، فأما الصحيح فلا تعرض له . وكذلك الرغيف الذي قد نيل منه ، وأصابه بعض المرق) وقال لي هذا الرجل : أكلنا عنده يوما ، وأبوه حاضر ، وبنيّ له يجيء ويذهب . فاختلف مرارا ، كلّ ذلك ، يرانا نأكل . فقال الصبيّ : كم تأكلون ، لا أطعم الله بطونكم! فقال أبوه ، وهو جدّ الصبي : ابني ، ورب الكعبة .

حديث خالد عبد الله القسري

قال أبو عبيدة : بلغ خالد بن عبد الله القسري أن الناس يرمونه بالبخل على الطعام . فتكلم يوما ، فما زال يدخل كلاما في كلام ، حتى أدخل الاعتذار من ذلك في عرض كلامه . فكان مما احتجّ به ، في شدة رؤية الأكيل عليه ، وفي نفوره منه ، أن قال : نظر خالد المهزول في الجاهلية ، يوما ، إلى ناس يأكلون ، وإلى إبل تجترّ ، فقال لأصحابه :

أتروني إذا أكلت بمثل هذه العين التي أرى بها الناس والإبل؟ قالوا :

نعم . فحلف بإلهه ألاّ يأكل بقلا ، وأن مات هزلا . فكان يغتذي اللبن ، ويصيب من الشراب . فأضمره ذلك وأيبسه . فلما دق جسمه ، واشتد هزاله ، سمّي : المهزول .

ثم قال خالد : ها أنذا مبتلى بالمضغ ، ومحمول على تحريك اللحيين ، ومضطر الى مناسبة البهائم ، ومحتمل ما في ذلك من السخف والعجز . ما بالي احتملته فيمن لي منه بدّ ، ولي عنده مذهب . ليأكل كل امرئ في منزله ، وفي موضع أمنه وأنسه ، ودون ستره وبابه .

قصة الحارثي

وقيل للحارثي : والله إنك لتصنع الطعام فتجيده ، وتعظم عليك النفقة ، وتكر منه ؛ وإنك لتغالي بالخبّاز والطبّاخ والشواء والخباص ، ثم أنت مع هذا كله لا تشهده عدوّا لتغمّه ، ولا وليّا فتسرّه ، ولا جاهلا لتعرّفه ، ولا زائرا لتعظّمه ، ولا شاكرا لتثبّته . وأنت تعلم حين يتنحّى من بين يديك ، ويغيب عن عينيك . فقد صار نهبا مقسما ، ومتوزعا مستهلكا . فلو أحضرته من ينفع شكره ، ويبقى شكره ، ويبقى على الأيام ذكره ، ومن يمتعك بالحديث والاستماع ، ومن يمتدّ به الأكل ، ويقصر به الدهر ، لكان ذلك أولى بك ، وأشبه بالذي قدّمته يدك .

وبعد ، فلم تبيح مصون الطعام لمن لا يحمدك ، ومن ان حمدك لم يحسن أن يحمدك ، ومن لا يفصل بن الشهيّ القديّ ، وبين الغليظ الزهم؟ قال : يمنعني من ذلك ما قال أبو الفاتك . قالوا : ومن أبو الفاتك؟ قال : قاضي الفتيان . وإني لم آكل مع أحد ، قطّ ألا رأيت منه بعض ما ذمّه ، وبعض ما شنّعه وقبّحه . فشيء يقبح بالشطّار ، فما ظنك به إذا كان في أصحاب المروءات ، وأهل البيوتات؟ قالوا : فما قال أبو الفاتك .

قال : قال أبو الفاتك : الفتى لا يكون نشّالا ، ولا نشّافا ، ولا مرسالا ، ولا لكّاما ، ولا مصّاصا ، ولا نقّاضا ، ولا دلاّكا ، ولا مقوّرا ، ولا مغربلا ، ولا محلقما ، ولا مسوّغا ولا ملغّما ، ولا مخضّرا . فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطّاع ، والقطّاع ، والنهّاش ، والمدّاد ، والدفّاع ، والمحوّل؟

والله إني لأفضّل الدهاقين ، حين عابوا الحسو ، وتقززوا من التعرّق» ، وبهرجوا صاحب التمشيش ، وحين أكلوا بالبارجين ، وقطعوا بالسكين ، ولزموا عند الطعام السكتة ، وتركوا الخوض ، واختاروا الزمزمة . أنا والله أحتمل الضيق والضيّفن ، ولا أحتمل اللعّموظ(١) ولا الجردبيل . والواغل أهون عليّ من الراشن .

(١) الذي يخدُم بطعام بطنه . والجمع : لَعاميظُ .

ومن يشكّ أن الوحدة خير من جليس السوء ، وأن جليس السوء خير من أكيل السوء؟ لأن كل أكيل جليس ، وليس كل جليس أكيلا .

فإن كان لا بد من المؤاكلة ، ولا بد من المشاركة ، فمع من لا يستأثر عليّ بالمخّ ، ولا ينتهز بيضة البقيلة ، ولا يلتهم كبد الدجاجة ، ولا يبادر إلى دماغ رأس السلّاءة ولا يختطف كلية الجدي ، ولا يزدرد قانصة الكركّي ، ولا ينتزع شاكلة الحمل ولا يقتطع سرّة الشّيصان ، ولا يعرض لعيون الرؤوس ، ولا يستولي على صدور الدجاج ، ولا يسابق إلى أسقاط الفراخ ، ولا يتناول إلا ما بين يديه ، ولا يلاحظ ما بين يدي غيره ولا يتناول إلا ما بين يديه ، ولا يتشهّى الغرائب ، ولا يمتحن الإخوان بالأمور الثمينة ، ولا يهتك أستار الناس بأن يتشهّى ما عسى ألا يكون موجودا .

وكيف تصلح الدنيا ، وكيف يطيب العيش ، مع من إذا رأى جزوريّة ، التقط الأكباد والأسنمة ، وإذا عاين بقريّة ، استولى على العراق والقطنة ، وإن أتوا بجنب شواء ، اكتسح كل شيء عليه . لا يرحم ذا سن لضعفه ، ولا يرقّ على حدث لحدّة شهوته ، ولا ينظر للعيال ، ولا يبالي كيف دارت بهم الحال ؛ وإن كان لا بد من ذلك ، فمع من لا يجعل نصيبه في مالي أكثر من نصيبي .

وأشد من كل ما وصفنا ، وأخبث من كل ما عددنا ، أن الطبّاخ ، ربما أتى باللون الطريف ، وربما قدّم الشيء الغريب ، والعادة في مثل ذلك اللون أن يكون لطيف الشخص ، صغير الحجم ، وليس كالطفشيلية ، ولا كالهريسة ، ولا كالفجلية ، ولا كالكرنبية ، وربما عجّل عليه ، قدّمه حارا ممتنعا ، وربما كان من جوهر بطيء الفتور . وأصحابي في سهولة ازدراد الحار عليهم ، في طباع النعام ، وأنا في شدّة الحار عليّ ، في طباع السباع . فإن انتظرت إلى أن يمكن أتوا على آخره ، وإن بدرت مخافة الفوت ، وأردت أن أشاركهم في بعضه ، لم آمن ضرره . والحار ربما قتل ، وربما أعقم ، وربما أبال الدم .

ثم قال : هذا عليّ الأسواري ، أكل مع عيسى بن سليمان بن علي ، فوضعت قدّامهم سمكة عجيبة ، فائقة السمن ، فجلط بطنها جلطة ، فإذا هو يكتنز شحما . وقد كان غص بلقمة ، وهو المستسقي ففرغ من الشراب ، وقد غرف من بطنها كل إنسان منهم بلقمته غرفة .

وكان عيسى ينتخب الأكلة ، ويختار منهم كل منهوم فيه ، ومفتون به . فلما خاف عليّ الأسواري الإخفاق ، وأشفق من الفوت ، وكان أقربهم إليه عيسى ،

استلب من يده اللقمة بأسرع من خطفة البازي ، وانكدار العقاب ، من غير أن يكون أكل عنده ، قبل مرّته . فقيل له : ويحك! استلبت لقمة الأمير من يده ، وقد رفعها اليه وشحا لها فاه ، من غير مؤانسة ولا ممازحة سالفة . قال : لم يكن الأمر كذلك ، وكذب من قال ذلك . ولكنا أهوينا أيدينا معا ، فوقعت يدي في مقدّم الشحمة ، ووقعت يده في مؤخر الشحمة ، معا . والشحم ملتبس بالأمعاء . فلما رفعنا أيدينا معا ، كنت أنا أسرع حركة ، وكانت الأمعاء متصلة غير متباينة ، فتحوّل كل شيء كان في لقمته بتلك الجذبة الى لقمتي ، لاتصال الجنس بالجنس ، والجوهر بالجوهر .

وأنا كيف أؤاكل أقواما يصنعون هذا الصنيع ، ثم يحتجون له بمثل هذه الحجج؟

ثم قال : إنكم تشيرون عليّ ، بملابسة شرار الخلق ، وأنذال الناس ، وبكل عياب متعتّب ، ووثاب على أعراض الناس متسرع . وهؤلاء لم يرضوا أن يدعوهم الناس ، ولا يدعوا الناس ، وأن يأكلوا ولا يطعموا ، وأن يتحدثوا عن غيرهم ، ولا يبالون أن يتحدث عنهم ، وهم شرار الناس .

ثم قال : اجلس معاوية (وهو في مرتبة الخلافة ، وفي السطح من قريش ، وفي نبل الهمة ، وأصالة الرأي ، وجودة البيان ، وكمال الجسم ، وفي تمام النفس عند الجولة ، وعند تقصّف الرماح ، وتقطع السيوف) رجلا على مائدته ، مجهول الدار ، غير معروف النسب ، ولا مذكور بيوم صالح . فأبصر في لقمته شعرة ، فقال : خذ الشعرة من لقمتك . ولا وجه لهذا القول منه إلا محض النصيحة ، والا الشفقة . فقال الرجل : وإنك لتراعيني مراعاة من يبصر معها الشعرة؟ لا جلست لك على مائدة ما حييت ، ولأحكينها عنك ما بقيت . فلم يدر الناس أي أمري معاوية كان أحسن وأجمل : تغافله عنه أم شفقته عليه . فكان هذا جزاؤه منه ، وشكره له .

ثم قال : وكيف أطعم من إن رأيته يقصّر في الأكل فقلت له كل ، ولا تقصّر في الأكل . قال : ولم فطن لفضل ما بين التقصير وغيره؟ وإن قصّر فلم أنشّطه ، ولم أحثّه . قال لولا أنه وافق هواه .

ثم قال : ومد رجل من بني تميم يده إلى صاحب الشراب يستسقيه ، وهو على خوان المهلّب ، فلم يره الساقي ، ولم يفطن له . ففعل ذلك مرارا والمهلّب يراه ، وقد أمسك عن الأكل الى أن يسيغ لقمته بالشراب .

فلما طال ذلك على المهلّب ، قال : اسقه يا غلام ما أحبّ من الشراب .

فلما سقاه استقله ، وطلب الزيادة منه . وكان المهلب أوصاهم بالإقلال من الماء

والإكثار من الخبز . قال التميمي : إنك لسريع الى السقي ، سريع الى الزيادة . وحبس يده عن الطعام . فقال المهلب : إله عن هذا أيها الرجل ، فإن هذا لا ينفعك ولا يضرّنا . أردنا أمرا وأردت خلافه .

وقد علمت أني دون معاوية[١] ، ودون المهلّب بن أبي صفرة[٢] ، وأنهم إليّ أسرع ، وفي لحمي أرتع .

ثم قال : وفي الجارود بن أبي سبرة[٣] لكم واعظ ، وفي أبي الحارث جميّن زاجر . فقد كانا يدعيان الى الطعام ، وإلى الإكرام ، لظرفهما ، وحلاوتهما ، وحسن حديثهما ، وقصر يومهما . وكانا يتشهيان الغرائب ، ويقترحان الطرائف ، ويكلفان الناس المؤن الثقال ويمتحنان ما عندهم بالكلف الشداد . فكان جزاؤهم من إحسانهم ما قد علمتم .

السباق إلى الرغيف

ضاف هارون الرشيد أبا الحارث جمين وعيسى بن جعفر . طرح أمامهما خوانا عليه ثلاثة أرغفة ، فأسرع أبو الحارث وأكل رغيفه قبلهما ثم نادى على غلامه أن يأتيه بحصانه . فدهش الخليفة وسأله عن ذلك فقال : أريد أن أركبه إلى ذلك الرغيف الذي بين يديك . فضحك الرشيد وأمر له بصلة .

بلال بن أبي بردة

قال : من ذلك أن بلال بن أبي بردة كان رجلا عيّابا ، وكان إلى أعراض الأشراف متسرعا ، فقال للجارود : كيف طعام عبد الله بن أبي عثمان؟ قال : يعرف

(١) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، من أصحاب الرسول محمد وأحد كتّاب الوحي . سادس الخلفاء في الإسلام ومؤسس الدولة الأموية في الشام وأوّل خلفائها .

(٢) المهلّب بن أبي صفرة الأزدي وكنيته أبو سعيد ، هو من ولاة الأمويين على خراسان .

(٣) الجارود بن أبي سبرة الهذلي إسمه الجارود بن أبي سبرة : سالم بن سلمة الهذلى ، أبو نوفل البصري ، ويقال الجارود بن سبرة كنيته أبو نوفل وقيل : الهذلي البصري يعتبر الجارود بن أبي سبرة الهذلي من الطبقة الثالثة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم الوسطى التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر صدوق ,وعند الإمام شمس الدين الذهبي صدوق .

وينكر . قال : فكيف هو عليه؟ قال : يلاحظ اللقم ، وينتهر السائل . قال : فكيف طعام سلم بن قتيبة؟ قال : طعام ثلاثة ، فإن كانوا أربعة جاعوا . قال : فكيف طعام تسنيم ابن الحواري؟ قال : نقط العروس . قال : فكيف طعام المنجاب بن أبي عيينة؟ قال : يقول : لا خير في ثلاث أصابع في صحفة . حتى أتى على عامة أهل البصرة ، وعلى كل ، من كان يؤثره بالدعوة ، وبالآنسة ، والخاصة ، ويحكمه في ماله . فلم ينج منه إلا من كان يبعده ، كما لم يبتل به إلا من كان يقرّبه .

أبو شعيب القلّال ومويس

وهذا أبو شعيب القلّال ، في تقريب مويس له وأنسه به ، وفي إحسانه إليه ، مع سخائه على المأكول ، وغضّ طرفه عن الأكيل ، وقلة مبالاته بالحفظ ، وقلة احتفاله بجمع الكثير ، سئل عنه أبو شعيب ، فزعم أنه لم ير قطّ أشحّ منه على الطعام . قيل : وكيف؟ قال : يدلّك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من لا يريد أن يمس ، فضلا على غير ذلك . وكيف يجترئ الضرس على إفساد ذلك الحسن ، ونقض ذلك النظم ، وعلى تفريق ذلك ، وقد علم أن حسنه يحشم ، وأن جماله يهيّب منه . فلو كان سخيا لم يمنع منه بهذا السلاح ، ولم يجعل دونه الجنن . فحوّل إحسانه إساءة ، وبذله منعا واستدعاءه إليه نهيا .

أمنية أبي شعيب القلال

وقال رمضان لأبي شعيب القلّال-وأبو الهذيل حاضر- : أيّ شيء تشتهي؟

وذلك نصف النهار ، وفي يوم من صيف البصرة . قال أبو شعيب : أشتهي أن أجيء إلى باب صاحب سقط[١] ، وله على باب حانوته ألية معلقة ، من تلك المبزّرة المشرّجة[٢] ، وقد اصفرّت ، وودكها يقطر من حاقّ السّمن[٣] ، فآخذ بحضنها ثم أفتح لها فمي ، فلا أزال كدما كدما ، ونهشا نهشا ، وودكها يسيل على شدقي ، حتى أبلغ عجب الذّنب[٤]! قال أبو الهذيل : ويلك قتلتني قتلتني!! يعني من الشهوة .

(١) السقط : ما لا خير فيه ، وربما أراد به أحشاء الذبيحة .

(٢) المبزرة : التي وضع فيها البزر . المشرجة : المشققة .

(٣) حاق السمن : تمامه .

(٤) عجب الذنب : أصله .

أبو الشمقمق[1]

وكان أبو الشمقمق يعيب في طعام جعفر بن أبي زهير ، وكان له ضيفان في ضيافة جعفر . وهو مع ذلك يقول :

رأيت الخبز عزّ لديك حتّى ... حسبت الخبز في جو السحاب
وما روّحتنا لتذبّ عنا ... ولكن خفت مرزئة الذباب

خزاعة

قيل لرجل من العرب : قد نزلت بجميع القبائل ، فكيف رأيت خزاعة؟ قال : جوع وأحاديث .

بين الكرم والبذخ

ونزل عمرو بن معدي كرب برجل من بني المغيرة ، وهم أكثر قريش طعاما ، فأتاه بما حضر ، وقد كان فيما أتاه به فضل ، فقال لعمر بن الخطاب ، وهم أخواله : لئام بني المغيرة يا أمير المؤمنين . قال : وكيف؟

قال : نزلت بهم فما قروني غير قوس وكعب وثور . قال عمر : إن ذلك لشبعة .

وكم قد رأينا من الأعراب من نزل بربّ صرمة ، فأتاه بلبن ، وتمر ، وحيس ، وخبز ، وسمن سلاء ، فبات ليلته ثم أصبح يهجوه : كيف لم ينحر له (وهو لا يعرفه) بعيرا من ذوده ، أو من صرمته .

ولو نحر هذا البائس لكلّ كلب مرّ به ، بعيرا من مخافة لسانه ، لما دار الأسبوع إلا وهو يتعرّض للسابلة ، يتكفّف الناس ، ويسألهم العلق .

قصة الكنديّ

كان الكندي لا يزال يقول للساكن ، وربما قال للجار : إن في الدار امرأة بها حمل ، والوحمى ربما أسقطت من ريح الطيّبة . فإذا طبختم ، فردّوا شهوتها ، ولو بغرفة

---

(١) مروان بن محمد أبو الشمقمق شاعر هجاء بخاري الأصل من موالي بني أمية . عاصر شعراء عدة وهجاهم كبشار بن برد وأبي العتاهية ، وأبي نواس ، وابن أبي حفصة وله هجاء في يحيى البرمكي وغيره . لقب أبو الشمقمق لطوله . كان عظيم الأنف قبيح المنظر .

أو لعقة ، فان النفس يردّها اليسير . فإن لم تفعل ذلك ، بعد إعلامي إياك ، فكفارتك أن أسقطت غرّة : عبد أو أمة ، ألزمت ذلك نفسك أم أبيت» . قال : فكان ربما يوافي الى منزله من قصاع السكان والجيران ما يكفيه الأيام ، وكان أكثرهم يفطن ويتغافل .

وكان الكندي يقول لعياله : أنتم أحسن حالا من أرباب هذه الضياع .

إنما لكل بيت منهم لون واحد ، وعندكم ألوان .

وقال بعضهم : كنت أتغدى عند الكندي يوما ، إذ دخل عليه جار له . وكان الجار لي صديقا . فلم يعرض عليه الغداء . فاستحييت أنا منه فقلت : لو أصبت معنا مما نأكل . قال : قد ، والله ، فعلت . قال الكندي : ما بعد الله شيء . قال : فكتفه والله ، يا أبا عثمان ، كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا ، وتركه ولو أكل لشهد عليه بالكفر ، ولكان عنده قد جعل مع الله شيئا .

قصة محمد بن أبي المؤمل

عن الجاحظ قال : قلت لمحمد بن أبي المؤمل :

أراك تطعم الطعام وتتخذه ، وتنفق المال وتجود به . وليس بين قلة الخبز وكثرته كثير ربح . والناس يبخلون من قلّ عدد خبزه ، ورأوا أرض خوانة . وعلى أني أرى جماجم من يأكل معك أكثر من عدد خبزك . وأنت لو لم تتكلّف ، ولم تحمل على مالك بإجادته والتكثير منه ، ثم أكلت وحدك ، لم يلمك الناس ، ولم يكترثوا لذلك منك ، ولم يقضوا عليك بالبخل ولا بالسخاء ، وعشت سليما موفورا ، وكنت كواحد من عرض الناس . وأنت لو لم تنفق الحرائب وتبذل المصون ، إلا وأنت راغب في الذكر والشكر ، وإلا لتحرز الأجر ، فقد صرنا لقلة عدد خبزك من بين الأشياء ، نرضى لك الغنيمة بالإياب ، ومن غنم الحمد والشكر ، بالسلامة من الذم واللوم . فزد في عدد خبزك شيئا ، فإنّ بتلك الزيادة القليلة ينقلب ذلك اللوم شكرا وذلك الذم حمدا . أعلمت أنك لست تخرج من هذا الأمر بعد الكلفة العظيمة سالما ، لا لك ولا عليك؟ فانظر في الأمر رحمك الله! قال : يا أبا عثمان ، أنت تخطيء ، وخطأ العاقل أبدا يكون عظيما ، وإن كان في العذر قليلا . لأنه إذا أخطأ أخطأ بنيقة وإحكام . فعلى قدر التفكّر والتكلّف يبعد من الرشاد ويذهب عن سبيل الصواب .

وما أشك أنك قد نصحت بمبلغ الرأي منك . ولكن خف ما خوّفتك ، فإنه مخوف . بل الذي أصنع أدلّ على سخاء النفس بالمأكول ، وأدل على الاحتيال

ليبالغوا ؛ لأن الخبز إذا كثر على الموائد ، ورّث ذلك النفس صدودا ، وكل شيء من المأكول وغير المأكول ، إذا ملأ العين ، ملأ الصدر ، وفي ذلك موت الشهوة وتسكين الحركة . ولو أن رجلا جلس على بيدر تمر فائق ، وعلى كدس كمثّري منعوت ، وعلى مائة قنو موز موصوف ، لم يكن أكله إلا على قدر استطرافه ، ولم يكن أكله على قدر أكله إذا أتي بذلك في طبق نظيف ، مع خادم نظيف ، عليه منديل نظيف .

وبعد ، فأصحابنا آنسون واثقون مسترسلون ، يعلمون أن الطعام لهم اتّخذ ، وأن أكلهم له أوفق من تمزيق الخدم والأتباع له . ولو احتاجوا لدعوا به ، ولم يحتشموا منه ، ولكان لا أقلّ من أن يجرّبوا ذلك المرة والمرتين ، وأن لا يقضوا علينا بالبخل دون أن يروناه . فإن كانوا محتشمين وقد بسطناهم ، وشاء ظنّهم بنا مع ما يرون من الكلفة لهم ، فهؤلاء أصحاب تجنّ وتترّع . وليس في طاقتي إعتاب المتجنّي ولا رد المتترّع .

قلت له : إني قد رأيت أكلهم في منازلهم وعند إخوانهم ، وفي حالات كثيرة ومواضع مختلفة ، ورأيت أكلهم عندك ، فرأيت شيئا متفاوتا وأمرا متفاقما . فاحسب أن التجنّي عليهم غالب ، وأن الضعف لهم شامل ، وأن سوء الظن يسرع إليهم خاصة ، لم لا تداوي هذا الأمر بما لا مؤونة فيه بالشيء الذي لا قدر له ، أو تدع دعاءهم والإرسال إليهم والحرص على إجابتهم؟ والقوم ليس يلقون أنفسهم عليك ، وإنما يجيئونك بالاستحباب منك . فإن أحببت أن تمتحن ما أقول ، فدع مواترة الرسل والكتب ، والتغضّب عليهم إذا أبطأوا ، ثم انظر .

قال : فان الخبز إذا كثر على الخوان فالفاضل مما يأكلون لا يسلم من التلطيخ والتغمير . والجردقة الغمرة والرقاقة المتلطخة ، لا أقدر أن أنظر إليها ، وأستحيي أيضا من إعادتها . فيذهب ذلك الفضل باطلا ، والله لا يحب الباطل .

قلت : فإن ناسا يأمرون بمسحه ، ويجعلون الثريدة منه . فلو أخذت بزيّهم وسلكت سبيلهم ، أتى ذلك على ما تريد ونريد .

قال : أفلست أعلم كيف الثريدة ، ومن أي شيء هي؟ وكيف أمنع نفسي التوهّم وأحول بينها وبين التذكّر؟ ولعل القوم أن يعرفوا ذلك على طول الأيام ، فيكون هذا قبيحا .

قلت : فتأمر به للعيال ؛ فيقوم الحواري المتلطخ مقام الخشكار النظيف . وعلى أن المسح والدلك يأتي على ما تعلق به من الدسم .

قال : عيالي يرحمك الله عيالان : واحد أعظمه عن هذا وأرفعه عنه ، وآخر لم

يبلغ عندي أن يترف بالحواريّ .

قلت : فاجعل إذا جميع خبزك الخشكار ؛ فإن فضل ما بينه وبين الحواريّ في الحسن والطيب ، لا يقوم بفضل ما بين الحمد والذم .

قال : فههنا رأي هو أعدل الأمور وأقصدها ، وهو أنا نحضر هذه الزيادة من الخبز على طبق ، ويكون قريبا حيث تناله اليد ، فلا يحتاج أحد مع قربه منه إلى أن يدعو به ، ويكون قربه من يده كثرة على مائدته .

قلت : فالمانع من طلبه هو المانع من تحويله . فأطعني واخرج هذه الزيادة من مالك كيف شئت . واعلم أن هذه المقايسة وطول هذه المذاكرة ، أضر علينا مما نهيتك عنه وأردتك على خلافه .

فلما حضر وقت الغداء صوّت بغلامه وكان ضخما جهير الصوت ، صاحب تقعير وتفخيم وتشديق وهمز وجزم : يا مبشّر هات من الخبز تمام عدد الرؤوس .

قلت : ومن فرض لهم هذه الفريضة؟ ومن جزم عليهم هذا الجزم؟

أرأيت أن لم يشبع أحدهم رغيفه أليس لا بد له من أن يعوّل على رغيف صاحبه ، أو يتنحّى وعليه بقيّة ، ويعلّق يده منتظرا للعادة فقد عاد الأمر وبطل ما تناظرنا فيه .

قال : لا أعلم إلا ترك الطعام البتّة ؛ أهون علينا من هذه الخصومة .

قلت : هذا ما لا شك فيه ، وقد عملت عندي بالصواب ، وأخذت لنفسك بالثقة ، إن وفيت بهذا القول .

وكان كثيرا ما يقول : يا غلام هات شيئا من قليّه وأقلّ منها وأعد لنا ماء باردا وأكثر منه . وكان يقول : قد تغير كل شيء من أمر الدنيا ، وحال عن أمره وتبدل ، حتى المؤاكلة . قاتل الله رجالا كنا نؤاكلهم ، ما رأيت قصعة قط رفعت من بين أيديهم إلا وفيها فضل . وكانوا يعلمون أن إحضار الجدي إنما هو شيء من آين الموائد الرفيعة ، وإنما جعل كالعاقبة والخاتمة ، وكالعلامة لليسر وللفراغ ، وأنه لم يحضر للتمزيق والتخريب ، وأن أهله لو أرادوا به السوء لقدّموه قبل كل شيء لتقع الحدّة به . بل ما يأكل منه إذا جيء به إلا العابث ، وإلا الذي لو لم يره لقد كان رفع يده ولم ينتظر غيره . ولذلك قال أبو الحارث جمّين ، حين رآه لا يمس : «هذا المدفوع عنه» . ولولا أنه على ذلك شاهد الناس ، لما قال ما قال . ولقد كانوا يتحامون بيضة البقيلة ، ويدعها كل واحد منهم لصاحبه حتى أن القصعة لقد كانت ترفع البيض خاصة

لعلى حاله وأنت اليوم إذا أردت أن تمتع عينك بنظرة واحدة منها ، ومن بيض السّلاءة لم تقدر على ذلك . لا جرم لقد كان تركه ناس كثير ، ما بهم إلا أن يكونوا شركاء من ساءت رعته .

وكان يقول : الآدام أعداء للخبز . وأعداها له المالح . فلولا أن الله انتقم منه وأعان عليه بطلب صاحبه الماء وإكثاره منه ، لظننت أنه سيأتي على الحرث والنسل . وكان مع هذا يقول : لو شرب الناس الماء على الطعام ما اتخموا ، وأقلهم عليه شربا أكثرهم تخما . وذلك أن الرجل لا يعرف مقدار ما أكل حتى ينال من الماء . وربما كان شبعان وهو لا يدري . فإذا ازداد على مقدار الحاجة بشم . وإذا نال من الماء شيئا بعد شيء ، عرّفه ذلك مقدار الحاجات ، فلم يزد إلا بقدر المصلحة .

والأطباء يعلمون أن ما أقول حق ، ولكنهم يعلمون أنهم لو أخذوا بهذا الرأي لتعطّلوا ، ولذهب المكسب . وما حاجة الناس الى المعالجين إذا صحّت أبدانهم؟ وفي قول جميع الناس أن ماء دجلة أمرأ من الفرات وأن ماء مهران أمرأ من ماء نهر بلخ ، وفي قول العرب : «هذا ماء نمير يصلح عليه المال» دليل على أن الماء يمرئ ، حتى قالوا : «إن الماء الذي يكون عليه النفّاطات أمرأ من الماء الذي يكون سليه القيّارات فعليكم بشرب الماء على الغداء ، فإن ذلك أمرأ» .

وكان يقول : ما بال الرجل إذا قال : «يا غلام اسقني ماء أو اسق فلانا ماء» ، أتاه بقلة على قدر الريّ ، فإذا قال : «أطعمني شيئا» ، أو قال : «هات لفلان طعاما» ، أتاه من الخبز بما يفضل عن الجماعة ، والطعام والشراب أخوان متحالفان ومتوازران؟ وكان يقول : لولا رخص الماء وغلاء الخبز ، لما كلبوا على الخبز وزهدوا في الماء . والناس أشدّ تعظيما للمأكول إذا كثر ثمنه ، أو كان قليلا في أصل منبته وموضع عنصره . هذا الجزر الصافي ، وهذا الباقلي الأخضر العباسي ، أطيب من كمثري خراسان ، ومن المؤز البستاني . ولكنهم لقصر همّتهم لا يتشهّون إلا على قدر الثمن ، ولا يحنون الى إلا على قدر القلة وهذه العوام في شهوات الأطعمة إنما تذهب مع التقليد ، أو مع العادة ، أو على قدر ما يعظم عندها من شأن الطعام . وأنا لست أطعم الجزر المسلوق بالخل والزيت والمرّيّ ، دون الكمأة بالزّبد والفلفل ، لمكان الرّخص ، أو لموضع الإستفيضال ، ولكن لمكان طيبه في الحقيقة ، ولأنه صالح للطبيعة .

علم ذلك من علم ، وجهل ذلك من جهل .

وكان إذا كان في منزله ، فربما دخل عليه الصديق له ، وقد كان تقدّمه الزائر أو

الزائران ؛ وكان يستعمل على خوانه من الخدع والمكايد والتدبير ما لم يبلغ بعضه قيس بن زهير ، والمهلب بن أبي صفرة ، حازم بن خزيمة ، وهرثمة بن أعين وكان عنده فيه من الاحتيال ما لا يعرفه عمرو بن العاص ، ولا المغيرة بن شعبة ؛ وكان كثيرا ما يمسك الخلال بيده ، ليؤنس الداخل عليه من غدائه ؛ فاذا دخل عليه الصديق له ، وقد عزم على إطعام الزائر الزائرين قبله ، وضاق صدره بالثالث ، وإن كان قد دعاه وطلب إليه ، أراد أن يحتال له ، أو الرابع إن ابتلي كلّ واحد منهما بصاحبه ، فيقول عند أول دخوله وخلع نعله وهو رافع صوته بالتنويه وبالتشنيع : «هات يا مبشّر لفلان شيئا يطعم منه ، هات له شيئا ينال منه ، هات له شيئا» ، اتّكالا على خجله أو غضبه أو أنفته ، وطمعا في أن يقول : «قد فعلت» .

فان أخطأ ذلك الشقيّ وضعف قلبه وحصر ، وقال : «قد فعلت» ، وعلم أنه قد أحرز وحصّله وألقاه وراء ظهره ، لم يرض أيضا بذلك حتى يقول : «بأي شيء تغدّيت»؟ فلا بد له من أن يكذب ، أو ينتحل المعاريض فإذا استوثق منه رباطا ، وتركه لا يستطيع أن يترمرم ، لم يرض بذلك حتى يقول في حديث له : «كنا عند فلان ، فدخل عليه فلان فدعاه الى غدائه ، فامتنع . ثم بدا له ، فقال : في طعامكم بقيلة أنتم تجيدونها ، ثم تناوله» : فلا يزال يزيد في وثاقه ، وفي سد الأبواب عليه ، وفي منعة البدوات حتى إذا بلغ الغاية قال : «يا مبشر أما إذ تغدّى فلان واكتفى ، فهات لنا شيئا نعبث به» .

فإذا وضعوا الطعام ، أقبل على أشدّهم حياء ، أو على أشدّهم أكلا ، فسأله عن حديث حسن ، أو عن خبر طويل . ولا يسأله إلا عن حديث يحتاج فيه الى الإشارة باليد أو الرأس كلّ ذلك ليشغله . فإذا هم أكلوا صدرا ، أظهر الفتور والتشاغل والتنقّر كالشبعان الممتلىء . وهو في ذلك غير رافع يده ولا قاطع أكله . إنما هو النّتف بعد النّتف ، وتعليق اليد في خلل ذلك . فلا بدّ من أن ينقبض بعضهم ويرفع يده ، ربما شمل ذلك جماعتهم . فإذا علم أنه قد أحرزهم واحتال لهم ، حتى يقلعهم من مواضعهم من حول الخوان ، ويعيدهم الى مواضعهم من مجالسهم ، ابتدأ الأكل ، فأكل أكل الجائع المقرور وقال : «إنما الأكل تارات والشرب تارات» .

وكان كثيرا ما يقول لأصحابه إذا بكروا عليه : لم لا نشرب أقداحا على الريق؟ فإنها تقتل الديدان ، وتحفش لأنفسنا قليلا ، فإنها تأتي على جميع الفضول ، وتشهّي الطعام بعد ساعة . وسكّره أطيب من سكر الكظّة . والشارب على الملأة بلاء ، وهو

بعد ذلك دليل على أنك نبيذي خالص . ومن لم يشرب على الريق فهو نكس في الفتوة ودعي في أصحاب النبيذ . وإنما يخاف على كبده من سورة الشراب على الريق ، من بعد عهده باللحم . وهذه الصبحة تغسل عنكم الأوضار ، وتنفي التّخم ، وليس دواء الخمار إلا الشرب بالكبار .

والأعشى كان أعلم به حيث يقول :

وكأس شربت على لذّة ... وأخرى تداويت منها بها

وهذا ، حفظك الله ، هو اليوم الذي كانوا لا يعاينون فيه لقمة واحدة ، ولا يدخل أجوافهم من النقل ما يزن خردلة . وهو يوم سروره التامّ ، لأنه قد ربح المرزئة وتمتع بالمنادمة .

واشترى مرة شبّوطة[1] وهو ببغداد وأخذها فائقة عظيمة ، وغالى بها وارتفع في ثمنها ، وكان قد بعد عهده بأكل السمك . وهو بصري لا يصبر عنه . فكان قد أكبر أمر هذه السمكة ، لكثرة ثمنها ولسمنها وعظمها ولشدّة شهوته لها . فحين ظنّ عند نفسه أنه قد خلا بها ، وتفرّد بأطايبها ، وحسر عن ذراعيه وصمد صمدها ، هجمت عليه ومعي السدريّ فلما رآه رأى الموت الأحمر والطاعون الجارف ، ورأى الحتم المقضيّ ، ورأى قاصمة الظهر ، وأيقن بالشرّ ، وعلم أنه قد ابتلي بالتنين .

فلم يلبثه السّدري حتى قوّر السرّة بالمبال فأقبل عليّ فقال لي :

يا أبا عثمان ، السدري يعجبه السّرر» ، فما فصلت الكلمة من فيه ، حتى قبض على القفا فانتزع الجانبين جميعا . فأقبل عليّ فقال : «والسدري يعجبه الإقفاء» ، فما فرغ من كلامه إلا والسدريّ قد اجترف المتن كله ، فقال : «يا أبا عثمان والسدري يعجبه المتون» ، ولم يظن أن السدري يعرف فضيلة ذنب الشّبوط وعذوبة لحمه ، وظنّ أنه سيسلم له ، وظن معرفة ذلك من الغامض ، فلم يدر إلا والسدري قد اكتسح ما على الوجهين جميعا . ولولا أن السدري أبطره وأثقله وأكمده وملأ صدره وملأه غيظا لقد كان أدرك معه طرفا ، لأنه كان من الأكلة . ولكن الغيظ كان من أعوان السدري عليه .

فلما أكل السدري جميع أطايبها . وبقي هو في النظارة ، ولم يبق في يده ما كان يأمله في تلك السمكة إلا الغيظ الشديد والغرم الثقيل ، ظنّ أن في سائر السمكة ما

(١) الشَّبُّوطُ : نوعٌ من السمك ، يكثر في نهر دِجلة ، عريضُ الوسط ، دقيقُ الذنب ؛ ناعم المَلْمَس .

يشبعه ويشفي من قرمه . فبذلك كان عزاؤه ، وذلك هو الذي كان يمسك بأرماقه وحشاشات نفسه . فلما رأى السدري يفري الفريّ ويلتهم التهاما قال : «يا أبا عثمان ، السدري يعجبه كل شيء» . فتولّد الغيظ في جوفه ، وأقلقته الرّعدة . فخبثت نفسه ، فما زال يقيء ويسلح . ثم ركبته الحمّى .

وصحت توبته وتمّ عزمه ، في أن لا يؤاكل رغيبا أبدا ولا زهيدا ، ولا يشتري سمكة أبدا رخيصة ولا غالية ، وإن أهدوها إليه ألا يقبلها ، وإن وجدها مطروحة لا يمسّها .

قصة أسد بن جاني

فأما أسد بن جاني ، فكان يجعل سريره في الشتاء من قصب مقشّر ، لأن البراغيث تنزلق عن ليط القصب ، لفرط لينه وملاسته .

وكان إذا دخل الصيف ، وحرّ عليه بيته ، أثاره حتى يغرق المسحاة ، ثم عليه جرارا كثيرة من ماء البئر ويتوطؤه حتى يستوي . فلا يزال ذلك البيت باردا ما دام نديّا . فإذا امتدّ به الندى ودام برده بدوامه ، اكتفى بذلك التبريد صيفته . وإن جف قبل انقضاء الصيف وعاد عليه الحر ، عاد عليه بالإثارة والصب . وكان يقول : خيشتي أرض ، وما خيشتي من بئري . وبيتي أبرد ، ومؤونتي أخف . وأنا أفضلهم أيضا بفضل الحكمة وجودة الآلة .

وكان طبيبا فأكسد مرة ؛ فقال له قائل : «السنة وبئة والأمراض فاشية ، وأنت عالم ولك صبر وخدمة ، ولك بيان ومعرفة ، فمن أين تؤتى في هذا الكساد»؟ قال : «أما واحدة فإني عندهم مسلم ؛ وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبّب ، لا بل قبل أن أخلق ، إن المسلمين لا يفلحون في الطب . واسمي أسد ، وكان ينبغي أن يكون اسمي صليبا وجبرائيل ويوحنّا وبيرا ؛ وكنيتي أبو الحارث ، وكان ينبغي أن تكون أبو عيسى ، وأبو زكريا ، وأبو إبراهيم ؛ وعليّ رداء قطن أبيض ، وكان ينبغي أن يكون ردائي حريرا أسود ؛ ولفظي لفظ عربيّ وكان ينبغي أن تكون لغة أهل جندي سابور .

قصة الثوري

قال الخليل السلوليّ : أقبل عليّ يوما الثوريّ وكان يملك خمسمائة جريب ، ما بين كرسي الصدقة إلى نهر مرة ، ولا يشتري إلا كل غرّة ، ول أرض مشهورة بكريم

التربة ، وشرف الموضع ، والغلة الكثيرة .

قال :

فأقبل عليّ يوما ، فقال لي : «هل اصطبغت بماء الزيتون قط»؟

قال : قلت : «لا والله» . قال : «أما والله لو فعلته ما نسيته» . قال :

قلت : «أجل إني والله لو فعلته لما نسيته» .

وكان يقول لعياله : لا تلقوا نوى التمر والرطب ، وتعوّدوا ابتلاعه ، وخذوا حلوقكم بتسويغه . فإن النوى يعقد الشحم في البطن ، ويدفئ الكليتين بذلك الشحم . واعتبروا ذلك ببطون الصفايا وجميع ما يعتلف النوى . والله لو حملتم أنفسكم على البزر والنوى ، وعلى قضم الشعير واعتلاف القت لوجدتموها سريعة القبول . وقد يأكل الناس القتّ قدّاحا ، والشعير فريكا ، ونوى البسر الأخضر ، ونوى العجوة . فإنما بقيت الآن عليكم عقبة واحدة ؛ لو رغبتم في الدفء لالتمستم الشحم ؛ وكيف لا تطلبون شيئا يغنيكم عن دخان الوقود ، وعن شناعة السكر ، وعن ثقل الغرم . والشحم يفرّج القلب . ويبيّض الوجه . والنار تسوّد الوجه ؛ أنا أقدر أن أبتلع النوى وأعلفه الشاء . ولكني أقول ذلك بالنظر مني لكم .

وكان يقول : كلوا الباقلّي بقشوره . فإن الباقلي يقول : من أكلني بقشوري فقد أكلني ، ومن أكلني بغير قشوري فأنا الذي آكله . فما حاجتكم إلى أن تصيروا طعاما لطعامكم ، وأكلا لما جعل أكلا لكم؟

وكان يعيّن مالا عظيما ، ولم يكن له وارث . فكان يسخر ببعضهم ، فيقول عند الإشهاد : «قد علمتم أنه لا وارث لي ، فإذا متّ فهذا المال لفلان» . فكان قوم كثير يحرصون على مبايعته لهذا . وقد رأيته أنا زمانا من الدهر ، ما رأيته قط إلا ونعله في يده أو يمشي طول نهاره في نعل مقطوعة العقب ، شديدة على صاحبها . قال : فهؤلاء المجوس يرتعون البصرة وبغداد وفارس والأهواز والدنيا كلها بنعال سندية ، فقيل له :

إن المجوسيّ لا يستحل في دينه المشرّكة ، فأنت لا تجده أبدا إلا حافيا أو لا بسا نعلا سندية . وأنت مسلم ومالك كثير . قال : فمن كان ماله كثيرا فلا بد له من أن يفتح كيسه للنفقات وللسرّاق؟ قالوا : فليس بين هاتين منزلة؟

وصية بخيل

قال بخيل لابنه :

أي بنيّ! إنّ إنفاق القراريط يفتح عليك أبواب الدوانيق[١] ، وإنفاق الدوانيق يفتح عليك أبواب الدراهم ، وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير . والعشرات تفتح عليك أبواب المئين ، والمئون تفتح عليك أبواب الألوف ، حتى يأتي ذلك على الفرع والأصل ويطمس على العين والأثر ، ويحتمل القليل والكثير . أي بنيّ! إنما صار تأويل الدرهم «دار الهم» ، وتأويل الدينار «يدني إلى النار» . إن الدرهم إذا خرج الى غير خلف ، وإلى غير بدل ، دار الهم على دانق مخرجه . وقيل : إن الدينار يدني إلى النار لأنه إذا أنفقه في غير خلف ، وأخرج الى غير بدل ، بقي مخفقا معدما ، وفقيرا مبلطا متحرّج المخارج . وتدعوه الضرورة الى المكاسب الرديئة والطعم الخبيثة . والخبيث من الكسب يسقط العدالة ، ويذهب بالمروءة ، ويوجب الحدّ ، ويدخل النار» .

طرائف العنبري

قال الجاحظ : حدثني المكّي قال : كنت يوما عند العنبريّ ، إذا جاءت جارية أمّه ، ومعها كوز فارغ ، فقالت : «قالت أمك : بلغني أنّ عندك مزمّلة ، ويومنا يوم حارّ ، فابعث إليّ بشربة منها في هذا الكوز» قال :

«كذبت! أمي أعقل من أن تبعث بكوز فارغ ونردّه ملآن . اذهبي فاملئيه من ماء حبّكم ، وفرّغيه في حبنا ، ثم املئيه من ماء مزمّلتنا ، حتى يكون شيء بشيء» .

وقال المكّي : فإذا هو يريد أن تدفع جوهرا بجوهر ، وعرضا بعرض ، حتى لا تربح أمه إلا صرف ما بين العرضين الذي هو البرد والحرّ ، فأما عدد الجواهر والأعراض ، فمثلا بمثل .

وقال المكّيّ : دخلت عليه يوما ، وإذا عنده جلّة تمر ، وإذا ظئره جالسة قبالته فكلما أكل تمرة رمى بنواتها إليها ، فأخذتها فمصّتها ساعة ثم عزلتها . فقلت للمكي : أكان يدع على النواة من جسم التمر شيئا؟

قال : والله لقد رأيتها لاكت نواة مرة بعد أن مصتّها ، فصاح بها صيحة ، لو

---

(١) دانق : والجمع دوانق ودوانيق ، وهو مقدار لما يعادل وزن ثمان حبات من أوسط حب الشعير ، وهو يساوي ربح درهم طبري ، وسدس درهم شرعي .

كانت قتلت قتيلا ما كان عنده أكثر من ذلك . وما كانت إلا في أن تبادله الإعراض وتسلّم إليه الجوهر . وكانت تأخذ حلاوة النواة ، وتودعها ندوة الريق .

طرائف أبي قطبة

قال الخليل[1] : كان أبو قطبة يستغلّ ثلاثة آلاف دينار . وكان من البخل يؤخرّ تنقية بالوعته إلى يوم المطر الشديد ، وسيل المتاعب ، ليكتري رجلا واحدا فقط ، يخرج ما فيها ، ويصبّه في الطريق ، فيجرفه السيل ، ويؤديه إلى القناة . وكان بين موضع بئره والصبّ قدر مائتي ذراع ، فكان لمكان زيادة درهمين يحتمل الانتظار شهرا أو شهرين .

وإن هو جرى في الطريق ، وأذي به الناس .

وقال : ونظر يوما إلى الكسّاحين ، وهو معنا جالس في رجال من قريش ، وهم يخرجون ما في بالوعته ، ويرمون به في الطريق ، وسيل المثاعب يحتمله ، فقال : أليس البطّ والجداء والدجاج والفراخ والدرّاج وخبز الشعير والصحناء والكرّاث والجواف جميعا تصير إلى ما ترون؟ فلم يغالي بشيء يصير هو والرخيص في معنى واحد؟

طرائف فيلويه

قال الجاحظ : حدّثتني امرأة تعرف الأمور ، قالت :

كان في الحيّ مأتم اجتمع فيه عجائز من عجائز الحي ، فلما رأين أن أهل المأتم قد أقمن المناحة ، اعتزلن وتحدّثن . فبينا هنّ في حديثهنّ ، إذ ذكرن برّ الأبناء بالأمهات ، وإنفاقهم عليهنّ . وذكرت كلّ واحدة منهنّ ما يوليها ابنها . فقالت واحدة منهنّ ، وأم فيلويه ساكتة ، وكانت امرأة صالحة ، وابنها يظهر النسك يدين بالبخل ، وله حانوت في مقبرة بني حصن يبيع فيها الأسقاط . قالت : فأقبلت على أم فيلويه ، قالت لها :

---

(١) الخَليل بن أحمد ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي ، أبو عبد الرحمن : من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها .ودرس لدى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو أيضا أستاذ سيبويه النحويّ .

ما لك لا تحدّثين معنا عن ابنك كما يتحدّثن؟ وكيف صنع فيلويه فيما بينك وبينه؟ قالت : كان يجري عليّ في كل أضحى درهما . ثم قالت :

وقد قطعه أيضا . فقالت لها المرأة : وما كان يجري عليك إلا درهما؟

قالت : ما كان يجري عليّ إلا ذاك ، ولقد ربما أدخل أضحى في أضحى .

فقالت : فقلت : يا أم فيلويه وكيف يدخل أضحى في أضحى؟ قد يقول الناس : إن فلانا أدخل شهرا في شهر ، ويوما في يوم ، وأمّا أضحى في أضحى ، فهذا شيء لابنك لا يشركه فيه أحد .

عليّ الأعمى

دخل عليّ الأعمى على يوسف بن كل خير ، وقد تغدّى ، فقال : «يا جارية هاتي لأبي الحسن غداء» . قال : «لم يبق عندنا شيء» . قال :

«هاتي ، ويلك ، ما كان ، فليس من أبي الحسن حشمة» . ولم يشك عليّ أنّه سيؤتى برغيف ملطخ ، وبرقاقة ملطخة ، وبسكر وبقية مرق ، وبعرق وبفضلة شواء ، وببقايا ما يفضل في الجامات والسكرجات . فجاءت بطبق ليس عليه إلا رغيف أرز قاحل ، لا شيء معه غيره . فلما وضعوا الخوان بين يديه ، فأجال يده فيه ، وهو أعمى ، فلم يقع إلا على ذلك الرغيف . وقد علم أن قوله : «ليس منه حشمة» لا يكون إلا مع القليل . قلم يظن أن الأمر بلغ ذلك ، فلمّا لم يجد غيره ، قال : «ويلكم ولا كل هذا بمرّة . رفعتم الحشمة كلّها . والكلام لم يقع إلا على هذا»؟

الغزّال

محمد بن حسان الأسود ، قال : أخبرني زكريّا القطان قال :

كان للغزّال قطعة أرض قدّام حانوتي . فأكرى نصفها من سمّاك ، يسقط عنه ما استطاع من مؤونة الكراء .

قال : وكان الغزال أعجوبة في البخل ، وكان يجيء من منزله ومعه رغيف في كمه ، فكان أكثر دهره يأكله بلا أدم ، فإذا أعيا عليه الأمر أخذ من ساكنه جوّافة بحبّة وأثبت عليها فلسا في حسابه . فإذا أراد أن يتغدّى أخذ الجوافة ، فمسحها على وجه الرغيف ، ثم عضّ عليه . وربما فتح بطن الجوافة فبّطن جنبيها وبطنها باللقمة بعد اللقمة . فإذا خاف أن ينهكها ذلك وينضم بطنها ، طلب من ذلك السمّاك شيئا

من ملح السمك . فحشا جوفها لينفخها ، وليوهم أن هذا هو ملحها الذي ملّحت به . ولربما غلبت شهوته ، فكدم طرف أنفها ، وأخذ من طرف الأرنبة ما يسيغ به لقمته . وكان ذلك منه لا يكون إلا في آخرها لقمة ، ليطيب فمه بها ، ثم يضعها في ناحية ، فإذا اشترى من امرأة غزلا أدخل تلك الجوافة في ثمن الغزل ، من طريق إدخال العروض ، وحسبها عليها بفلس . فيسترجع رأس المال ، ويفضل الأدم .

ابن المقفع[1] وابن جذام

عن عبد الله بن المقفع ، قال :

كان ابن جذام الشبي يجلس إليّ ، وكان ربما انصرف معي إلى المنزل ، فيتغدى معنا ويقيم إلى أن يبرد . وكنت أعرفه بشدة البخل وكثرة المال . فألحّ علي في الاستزادة ، وصمّمت عليه في الامتناع . فقال :

جعلت فداك أنت تظن أنّي ممن يتكلّف وأنت تشفق عليّ؟ لا والله إن هي إلا كسيرات يابسة ، وملح ، وماء الحب . فظننت أنه يريد اختلابي بتهوين الأمر عليه . وقلت : إن هذا كقول الرجل : يا غلام أطعمنا كسرة ، وأطعم السائل خمسة تمرات . ومعناه أضعاف ما وقع اللفظ عليه . وما أظن أن أحدا يدعو مثلي إلى الخريبة من الباطنة ، ثم يأتيه بكسرات وملح .

فلما صرت عنده ، وقرّبه إليّ ، إذ وقف سائل بالباب فقال : أطعمونا مما تأكلون ، أطعمكم الله من طعام الجنّة . قال : بورك فيك . فأعاد الكلام ، فأعاد عليه مثل ذلك القول . فأعاد عليه السائل ، فقال :

اذهب ، ويلك فقد ردوا عليك . فقال السائل : سبحان الله ما رأيت كاليوم أحدا يرد من لقمة ، والطعام بين يديه . قال اذهب ويلك ، وإلا خرجت إليك ، والله ، فدققت ساقيك . قال السائل : سبحان الله ، ينهي الله أن ينهر السائل ، وأنت تدق ساقيه؟ فقلت للسائل : اذهب وأرح نفسك ، فإنك لو تعرف من صدق وعيده مثل الذي أعرف ، لما وقفت طرفة عين ، بعد ردّه إيّاك .

---

(١) أبو مُحمّد عبد الله بن المقفع وهو مفكّر فارسي وُلِد مجوسياً لكنه اعتنق الإسلام ، وعاصر كُلاً من الخلافة الأموية والعباسية . درس الفارسية وتعلّم العربية في كتب الأدباء واشترك في سوق المربد . نقل من البهلوية إلى العربية كليلة ودمنة .

أبو يعقوب الدقنان

وكان أبو يعقوب الدقنان يقول : ما فاتني اللحم منذ ملكت المال .

وكان إذا كان يوم الجمعة اشترى لحم بقر بدرهم ، واشترى بصلا بدانق ، وباذنجانا بدانق ، وقرعة بدانق ، فإذا كان أيام الجزر فجزرا بدانق ، وطبخه كله سكباجا . فأكل وعياله ، يومئذ خبزهم بشيء من رأس القدر ، وما ينقطع في القدر من البصل والباذنجان والجزر والقرع والشحم واللحم . فإذا كان يوم السبت ثرّدوا خبزهم في المرق . فإذا كان يوم الأحد أكلوا البصل ؛ فإذا كان يوم الاثنين أكلوا الجزر ، فإذا كان يوم الثلاثاء أكلوا القرع ، فإذا كان يوم الأربعاء أكلوا الباذنجان ، فإذا كان يوم الخميس أكلوا اللحم . فلهذا كان يقول : ما فاتني اللحم منذ ملكت المال .

حب البخيل للشتاء

قال بخيل : حبذا الشتاء فإنه يحفظ رائحة البخور ، ولا يحمض فيه النبيذ إذا ترك مفتوحاً ، ولا يفسد فيه مرق إذا بقي أياماً ، وكان لا يتبخر إلا في منازل أصحابه ، فإذا كان في الصيف دعا بثيابه فلبسها على قميصه لكيلا يضيع من البخور شيء .

الدجاج على النار

جلس أشعب عند رجل ليتناول الطعام معه ، ولكن الرجل لم يكن يريد ذلك . . فقال إن الدجاج المعدّ للطعام بارد ويجب أن يسخن ؛ فقام وسخنه . . وتركه فترة فقام وسخنه . . وتركه فترة فبرد فقام مرة أخرى وسخّنه . . . وكرر هذا العمل عدة مرات لعل أشعب يملّ ويترك البيت !!

فقال له أشعب : أرى دجاجك وكأنه آل فرعون ؛ يعرضون على النار غدوا وعشيا!

التين والزيتون

أقبل أعرابي يريد رجلاً وبين يدي الرجل طبق تين ، فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكسائه والأعرابي يلاحظه ، فجلس بين يديه فقال له الرجل : هل تحسن من القرآن شيئاً ، قال : نعم ، قال اقرأ ، فقرأ : والزيتون وطور سينين ، فقال الرجل فأين التين؟ فقال الأعرابي : التين تحت كسائك!

على مائدة الدؤلي

وقف أعرابي على أبي الأسود الدؤلي[١] وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الأكل ، ولم يعزم عليه . فقال له الأعرابي : أما إني قد مررت بأهلك . قال كذلك كان طريقك . قال وامرأتك حبلى . قال كذلك كان عهدي بها . قال قد ولدت . قال كان لا بد لها أن تلد . قال ولدت غلامين . قال كذلك كانت أمها . قال مات أحدهما . قال ما كانت تقوى على إرضاع أثنين . قال ثم مات الآخر . قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه . قال وماتت الأُم : قال حزناً على ولديها . قال ما أطيب طعامك . قال لأجل ذلك أكلته وحدي والله لا ذقته يا أعرابي .

بخيل يناجي الدراهم

زعموا أن رجل قد بلغ في البخل غايته وصار إمامه وأنه إذا صار في يده الدرهم خاطبه وناجاه وفداه واستبطأه وكان مما يقول له . كم من أرض قطعت وكم من كيس قد فارقت وكم من خامل قد رفعت وكم من رفيع قد أخملت لك عندي ان لا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه في كيسه ويقول له : اسكن على اسم الله في مكان لا تهان ولا تذل ولا تزعج منه . وانه لم يدخل فيه درهما قط فأخرجه .

فكان أهله منه في بلاء وكانوا يتمنون موته فلما مات وظنوا انهم قد استراحوا منه قدم ابنه واستولى على ماله وداره ثم قال : ما كان آدام .

أبي فان أكثر الفساد انما يكون في الإدام . قالوا : كان يتأدم بجبنة عنده .

قال : أرونيها فاذا فيها حز كالجدول من أثر مسح اللقمة .

قال : ما هذه الحفرة؟ قالوا : كان لا يقطع الجبنة وانما كان يمسح على ظهره فيحفر كما ترى قال : بهذا أهلكني وبهذا أقعدني هذا المقعد . لو علمت ذلك ما صليت عليه . قالوا : فأنت كيف تريد أن تصنع؟ قال : أضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة .

---

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني ، (١٦ ق .هـ . -٦٩ هـ) ، من سادات التابعين وأعيانهُم وفقهائهُم وشعرائهُم ومحدثيهُم ومن الدهاة حاضرِي الجواب وهو كذلك نحوي عالِم وضع علم النحو في اللغة العربية وشكّل أحرف المصحف ، وضع النقاط على الأحرف العربية ، وِلد قبل بعثة النبي محمد ﷺ وآمن به لكنه لم يره فهو معدود في طبقات التابعين وصَحِب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي ولاه إمارة البصرة في خلافته ، وشهد معه وقعة صفين والجمل ومحاربة الخوارج . ويُلقب بِلقب ملك النحو لوضعه علم النحو .

تمام بن جعفر

قالوا كان تمام بن جعفر بخيلا على الطعام مفرط البخل وكان يقبل على كل من أكل خبزه بكل علة ويطالبه بكل طائلة .

وكان إن قال له نديم له : ما في الأرض أحد أمشى مني ولا على ظهرها أحد أقوى على الحضر مني . قال : وما يمنعك من ذلك وأنت تأكل أكل عشرة؟ وهل يحمل الرجل إلا البطن ولا حمد الله من يحمدك . فإن قال : لا والله ان أقدر ان أمشي لأني أضعف الخلق عنه وإني لأنبهر من مشي ثلاثين خطوة . قال وكيف تمشي وقد جعلت في بطنك ما يحمله عشرون حمالا! وهل ينطلق الناس إلا مع خفة الأكل؟ وأي بطين يقدر على الحركة؟ وأن الكظيظ ليعجز عن الركوع والسجود ، فكيف بالمشي الكثير فإن شكا ضرسه ، وقال ما نمت البارحة مع وجعه وضرباته قال : عجبت كيف اشتكيت واحدا وكيف لم تشتك الجميع؟ وكيف بقيت الى اليوم في فيك حاكه وأي ضرس يقوى على الضرس والطحن وأن المنحاز الغليظ ليتعبه الدق أرفق فإن الرفق يمن ولا تخرق بنفسك فان الخرق شؤم .

وإن قال : ما أنام الليل كله وقد أهلكني الأرق قال : وتدعك الكظة والنفخة والقرقرة . أن تنام وإن قال فإنما أنا حجر ملقى إلى الصبح قال : ذلك لأن الطعام يسكر ويخدر ويختر ويبل الدماغ ويبل العروق ويسترخي عليه جميع البدن .

فإن قال : أصبحت وأنا لا أشتهي شيئا قال إياك أن تأكل قليلا ولا كثيرا فإن أكل القليل على غير شهوة أضر من الكثير مع الشهوة . قال الخوان : ويل لي ممن قال لا أريد وبعد فكيف تشتهي الطعام اليوم وأنت قد أكلت بالأمس طعام عشرة!

والد جرير(١)

قال رجل لجرير : من أشعر الناس؟ قال له : قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به : اخرج يا أبتِ فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته ، فقال : ألا ترى هذا؟ قال نعم . قال : أو تعرفه؟ قال : لا . قال : هذا أبي ، أفتدري لم كان يشرب من ضرع

---

(١) جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي شاعر من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد ، ولد في بادية نجد من أشهر شعراء العرب في فن الهجاء وكان بارعًا في المدح أيضًا .

العنز؟ قال : لا . قال جرير : مخافة أن يُسمع صوتُ الحلب فيُطلب منه لبن . ثم قال : أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعرا وقارعهم به فغلبهم جميعا!

بخل أهل مرو

ومن البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ في كتابه البخلاء أهل (مرو) في الجزيرة العربية ووصف بخلهم فقال : رأيت الديك في كل بلد يلتقط الحب ويلقيه في فم الدجاجة الا ديك مرو فانه يلتقط الحب من فم الدجاجة .

رأس الديك

قال دعبل الشاعر(١) : كنا يوما عند سهل بن هارون(٢) فأطلنا الحديث حتى أضر به الجوع فدعا بغذائه فإذا بصحفة قديمة فيها مرق لحم ديك قد هرم لا تحز فيه السكين ولا تؤثر فيه الضرس فأخذ قطعة خبز فقلب بها جميع ما في الصحفة ففقد الرأس فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الغلام وقال : أين الرأس؟

قال : رميت به .

قال : لم؟

قال : لم أظنك تأكله ولا تسأل عنه .

قال : ولأي شيء ظننت ذلك؟ فو الله إني لأبغض من يرمي برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس الأعضاء وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه العين التي يضرب بها المثل في الصفاء فيقال : شراب مثل عين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم ير قط عظم أهش من عظم رأسه فإن كان بلغ من جهلك ألا تأكله فعندنا من يأكله ، انظر أين هو؟

قال : والله ما أدري أين رميته

قال : ولكني والله أدري ، رميت به في بطنك .

---

(١) دعبل الخزاعي اسمه محمد بن علي بن رزين ، من مشاهير شعراء العصر العباسي . اشتهر بتشيعه لآل علي بن أبي طالب وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين .

(٢) مترجم وفيلسوف وأديب . توفي ٨٣٠م . ولد قرب البصرة في أسرة فارسية الأصل ونشأ فيها وفي بغداد ، ثم خدم يحيى البرمكي ، وخلفه على ديوان بغداد بعد قتله . ولي مكتبة المأمون ، ثم بيت الحكمة البغدادية

فخذ الدجاجة

شوي لأبي جعفر الهاشمي[١] دجاج ففقد فخذا من دجاجة فأمر فنودي في منزله : من هذا الذي تعاطي فعقر! والله لا أخبز في التنور شهرا أو تُرد! فقال ابنه الأكبر : يا أبت لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منــا!

رئيس البخلاء

من رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم وهو الذي قال : وددت أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الأدباء تواطئوا على ذمي واستهلوا بشتمي حتى ينشر ذلك عنهم في الآفاق حتى لا يمتد إلي أمل آمل ولا ينبسط نحوي رجاءُ راج .

درس في البخل

قال رجل من البخلاء لولده : اشتروا لي لحما . فاشتروا له ، وأمر بطبخه حتى تهرأ فأكل منه حتى انتهت نفسه ولم يبق إلا العظم وشرعت إليه عيون ولده ، فقال : ما أنا مطعمه أحدا منكم إلا من أحسن صفة أكله! فقال الأكبر : أتعرقه يا أبتِ حتى لا أدع للذرة فيه مقيلا! قال : لست بصاحبه . فقال الأوسط : أتعرقه يا أبتِ حتى لا يُدرى ألعام هو أم لعام أول! قال : لست بصاحبه! فقال الأصغر : أتعرقه يا أبتِ ثم أدقه دقا وأسفه سفا؟ قال : أنت صاحبه وهو لك دونهم .

جميز يصف مائدة بخيل

سأل يحي بن خالد أبا الحارث جُميزا عن طعام رجل . فقال : أما مائدته فمغيبة وأما صحافه فمنقورة من حب الخشخاش قال : ومن يحضرها؟ قال : الكرام الكاتبون . قال : فيأكل معه أحد؟ قال : نعم الذباب . قال فلهذا ثوبك مخرق ولا يكسوك وأنت معه وبفنائه! قال أبو الحارث : جُعلت فداءك والله لو ملك بيتا من بغداد إلى الكوفة

(١) الإمام ، شيخ الحنبلية أبو جعفر ، عبد الخالق بن أبي موسى عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد ابن عم النبي - ﷺ - العباس بن عبد المطلب ، الهاشمي ، العباسي ، الحنبلي ، البغدادي .

مملوءً إبرا في كل إبرة خيط ، ثم جاءه جبريل وميكائيل معهما يعقوب يضمنان عنه إبرة يخيط بها قميص يوسف ما أعطاهم .

الأعرابي والدؤلي

وقف أعرابي على أبو الأسود الدؤلي وهو يأكل فقال الاعرابي : أدخل؟ قال : وراءك أوسع لك! قال : الرمضاء احرقت رجلي! قال : بُل عليهما تبردان! قال : أتأذن لي ان آكل معك؟ قال : سيأتيك ما قدر لك! قال : تالله ما رأيت رجل ألأم منك . قال : بلى قد رأيت إلا أنك نسيت! ثم اقبل ابو الاسود يأكل حتى لم يبق في الطبق إلا تميرات يسيرة نبذها له فوقعت تمرة منها فأخذها الاعرابي ومسحها بكسائه . فقال ابو الاسود : يا هذا إن الذي تمسحها به أقذر من الذي تمسحها له .

حجة البخيل

قال أبو الأسود الدؤلي : لو أطعمنا المساكين أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم

وقال لبنيه : لا تجاودوا الله فإنه لو شاء أن يغني الناس كلهم لفعل ولكنه علم أن قوما لا يصلحهم الغنى ولا يصلح لهم إلا الفقر وقوما لا يصلحهم الفقر ولا يصلح لهم إلا الغنى!

لقمان

أكل أبو الأسود الدؤلى وأقعد معه أعرابيا فرأى له لقما منكرا فقال له : ما أسمك قال : لُقمانُ : قال : صدق أهلك إنك لُقمانُ .

التمار البخيل

قال أبو الحسن المدائني[1] : كان بالمدائن تمار وكان بخيلا وكان غلامه(عامله) إذا

(١) علي بْن مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن أَبِي سيف أَبُو الحسن المعروف بالمدائني مولى عَبْد الرَّحْمَن بْن سمرة القرشي وهو بصري سكن المدائن ، ثم انتقل عنها إِلَى بَغْدَاد ، فلم يزل بها إِلَى حين وفاته . وهو صاحب الكتب المصنفة . روى عنه الزبير بْن بكار ، وأحمد بْن أَبِي خيثمة ، وأَحْمَد بْن الحارث الخزاز ، والحارث بْن أَبِي أسامة ، والحسن بْن علي بْن المتوكل ، وغيرهم .

دخل الحانوت يختتان[١] فربما غاب فاتهمه بأكل التمر فسأله يوما فأنكر . فدعا بقطنة بيضاء . ثم قال : امضغها فمضغها . فلما أخرجها وجد فيها حلاوة وصفرة قال : هذا دأبك كل يوم . وأنا لا أعلم؟ اخرج من داري .

حسنات الجبن وعيوبه

قال خالد بن صفوان لجاريته : يا جارية أطعمينا جبنا فإنه يُشهى الطعام ويهيج المعدة وهو يعد من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأُعلمك إنه والله ، ما علمتُ ، ليقدح في الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمة!

يتبخر بالفراريج

دخل أحدهم على رجل بخيل وبين يديه فراريج فغطى الطبق بمنديله . وقال للرجل : كن في الحجرة الأخرى حتى أفرغ من بخوري!

الشاعر والبخيل

دخل شاعر على رجل بخيل فامتقع وجه البخيل وظهر عليه القلق والاضطراب وظن أن الشاعر سيأكل من طعامه في ذلك اليوم وإلا فإنه سيهجوه . غير أن الشاعر انتبه إلى ما أصاب الرجل فترفق بحاله ولم يطعم من طعامه . . ومضى عنه وهو يقول :

تغير إذ دخلت عليه حتى ... فطنت . . فقلت في عرض المقال
علي اليوم نذر من صيام ... فأشرق وجهه مثل الهلال

رسالة محمد بن راهبون في البخل

كتب محمد بن راهبون ، إلى عمه من آل راهبون ، حين ذموا مذهبه في البخل ، وتتبعوا كلامه في الكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله! قال الأحنف بن قيس : يا معشر بني تميم ، لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال ، أقلهم حياء من الفرار . وقد

---

(١) يخون .

كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عياباً ، فإنه يعيب بفضل ما فيه من العيب . وأول العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وقبيح أن تنهى عن مرشد ، أو تغري بمشفق .

وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإلا إصلاح فسادكم ، وإبقاء النعمة عليكم ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم ، فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم .

ثم قد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم ، وشهرنا به في الآفاق دونكم . فما أحقكم في تقديم حرمتنا بكم ، أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم ، وتنبيهنا على ذكر العيوب براً وفضلاً ، لرأينا أن في أنفسنا عن ذلك شغلاً . وإن من أعظم الشقوة ، وأبعد من السعادة ، ألا يزال يتذكر زلل المعلمين ، ويتناسى سوء استماع المتعلمين ، ويستعظم غلط العاذلين ، ولا يحفل بتعمد المعذولين .

عبتموني بقولي لخادمي : أجيدي عجنه خميراً ، كما أجدته فطيراً ، ليكون أطيب لطعمه ، وأزيد في ريعه . وقد قال عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه ورحمه - لأهله : أملكوا العجين ، فإنه أريع الطحنتين .

وعبتم على قولي : من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص ، لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي : فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة يدل حجمها على مبلغ الكفاية ، وأشف من الكفاية . فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء ، وجدت في الأعضاء فضلاً على الماء ، فعلمت أن لو كنت مكنت الاقتصاد في أوائله ، ورغبت عن التهاون به في ابتدائه ، لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكان نصيب العضو الأول كنصيب الآخر . فعبتموني بذلك ، وشنعتموه بجهدكم ، وقبحتموه . وقد قال الحسن عند ذكر السرف : إنه ليكون في الماعونين الماء والكلاء . فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه بالكلاء .

وعبتموني حين ختمت على سد عظيم ، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ، ومن رطبة غريبة ، على عبد نهم ، وصبي جشع ، وأمة لكعاء ، وزوجة خرقاء . وليس من أصل الأدب ، ولا في ترتيب الحكم ، ولا في عادات القادة ، ولا في تدبير السادة ، أن يستوي في نفيس المأكول ، وغريب المشروب ، وثمين الملبوس ، وخطير المركوب ، والناعم من كل فن ، واللباب من كل شكل ، التابع والمتبوع ، والسيد والمسود . كما لا تستوي مواضعهم في المجلس ، ومواقع أسمائهم في العنوانات ، وما

يستقبلون به من التحيات . وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ، ولا يكترثون له اكتراث العارف؟ من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمن ، وأعلف حماره السمسم المقشر! فعبتموني بالختم ، وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق . وختم على كيس فارغ ، وقال : طينة خير من ظنة . فأمسكتم عمن ختم على لا شيء ، وعبتم من ختم على شيء .

وعبتموني حين قلت للغلام : إذا زدت في الرق فزد في الإنضاج ، لتجمع بين التأدم باللحم والمرق ، ولتجمع مع الإرتفاق بالمرق الطيب . وقد قال النبي ﷺ : «إذا طبختم لحماً فزيدوا في الماء فإن لم يصب أحدكم لحماً أصاب مرقاً» .

وعبتموني بخصف النعال ، وبتصدير القميص ، وحين زعمت أن المخصوفة أبقى وأوطأ وأوقى ، وأنفى للكبر ، وأشبه بالنسك ، وأن الترقيع من الحزم ، وأن الاجتماع مع الحفظ ، وأن التفرق مع التصنيع . وقد كان النبي ﷺ يخصف نعله ، ويرقع ثوبه . ولقد لفقت سعدى بنت عواف إزار طلحة ، وهو جواد قريش ، وهو طلحة الفياض . وكان في ثوب عمر رقاع أدم . وقال : من لم يستحى من الخلال خفت مؤنته ، وقل كبره . وقالوا : لا جديد لمن لا يلبس الخلق .

حذاء أبي القاسم

كان لأبي القاسم الطُّنْبوري[1] حذاء لبسه سبع سنين ، كلما تَقَطّع منه موضع جعل مكانه رقعةً إلى أن صار في غاية الثِّقل ، وصار الناسُ يضربون به المثل . واتفق أنه دخل يوما سوق الزُّجاج ، فقال له سمسار : يا أبا القاسم ، قد قدم إلى بغداد اليوم تاجرٌ من حَلَب ، ومعه حِمْلُ زجاج مُذَهّب قد كَسَدَ . فاشتَرِه منه وأنا أبيعه لك بعد مدة فتكسبُ به المثل مِثلَين . فمضى أبو القاسم واشتراه بستين دينارا . ثم إنه دخل إلى سوق العطارين ، فصادفه سمسار آخر وقال له : يا أبا القاسم ، قد قَدم إلينا اليوم من نَصيبين تاجر يبيع ماء ورد . ولِعَجَلَةِ سفره يمكن أن تشتريه منه رخيصًا ، وأنا أبيعه لك فيما بعد فتكسبُ به المثل مِثلين . فاشتراه أبو القاسم بستين دينارا أخرى ، وملأ به الأواني الزجاجية المذهبة ، ووضعها على رف من رفوف بيته . ثم إنه دخل الحمام

---

(١) أبو القاسم الطنبوري تاجر عاش في بغداد يتسم بالبخل رغم غناه ، ابتدع حوله القصاصون حكايات وطرائف عديدة ، أشهرها هي تلك المتعلقة بحذائه .

يغتسل ، فقال له بعض أصدقائه : يا أبا القاسم ، غَيِّر حذاءك هذا فإنه في غاية الشناعة . وأنت ذو مال بحمد الله . فقال له أبو القاسم : الحق معك . ثم إنه خرج من الحمام ولبس ثيابه ، فرأى بجانب حذائه حذاء آخر جديدا . فظن أن صديقه من كرمه قد اشتراه هدية له ، فلبسه ومضى إلى بيته . وكان ذلك الحذاء الجديد للقاضي ، وقد جاء في ذلك اليوم إلى الحمام . فلما خرج فتّش عن حذائه فلم يجده . فسأل الناس : ألم يترك من لبس حذائي عوضه شيئا؟ ففتشوا فلم يجدوا سوى حذاء أبي القاسم ، فعرفوه إذ كان يُضرب به المثل . فأرسل القاضي خدمه فكبسوا بيت أبي القاسم ، فوجدوا حذاء القاضي عنده . فأخذوه فضربه القاضي تأديبا له ، وحبسه مدة ، وغرّمه بعض المال ، ثم أطلقه . وخرج أبو القاسم من الحبس وأخذ حذاءه وهو غضبان عليه ، ومضى إلى نهر دجلة فألقاه فيه ، فغاص في الماء . وأتى بعض الصيادين ورمى شبكته ، فطلع الحذاء فيها! فلما رآه الصياد عرفه ، وظن أنه وقع من أبي القاسم في دجلة . فحمله وأتى به بيته فلم يجده . ونظر فرأى نافذة في البيت مفتوحة فرمى الحذاء منها ، فسقط على الرف الذي عليه الأواني الزجاجية فوقع ، وتكسّرت الأواني وتبدّد ماء الورد! وجاء أبو القاسم ونظر إلى ما حدث ، فلطم وجهه وجعل يبكي ويلعن الحذاء . ثم إنه قام في الليل ليحفر له حفرة يدفنه فيها ويرتاح منه ، فسمع الجيران حسّ الحفر فظنوا أن لصا ينقب عليهم ، فقبضوا عليه وأحضروه إلى الحاكم فحبسه ، ولم يُطلقه حتى غَرِم بعض المال . ثم خرج من السجن فحمل حذاءه إلى الخان فرماه في الكنيف ، فَسَدَّ قصبتَه ففاض! وضجر الناس من الرائحة الكريهة وبحثوا عن السبب فوجدوا حذاء فتأمّلوه ، فإذا هو حذاء أبي القاسم! فحملوه إلى الوالي وأخبروه بما وقع ، فوبّخ الوالي أبا القاسم وغرّمه مالا لتصليح الكنيف ، ثم أُطلق . وخرج أبو القاسم والحذاء معه . وقال في نفسه : والله ما عدتُ أفارق هذا الحذاء! ثم إنه غسله وجعله على سطح بيته حتى يجفّ . فرآه كلب فظنّه رِمَّةً فحمله وعبر به إلى سطح آخر ، فسقط الحذاء على رأس رجل في الطريق فآلمه وجرحه جرحا بليغا . وفتشوا لمن الحذاء فعرفوا أنه لأبي القاسم! ورفعوا الأمر إلى الحاكم فألزمه بالعِوَض والقيام بلوازم المجروح مُدَّةَ مرضه . ثم إن أبا القاسم أخذ الحذاء ، ومضى به إلى القاضي وقال له : أريد من مولانا القاضي أن يكتب بيني وبين هذا الحذاء مبارأة شرعية على أنه ليس مني ولستُ منه ، وأن كلا منا بريء من صاحبه ، وأنه مهما يفعله هذا الحذاء لا أؤاخذ أنا به!

طرائف الحمقى والمغفلين

طرائف جحا[1]

شيء من القطران

أصيبت ناقة أحد الفلاحين بالجرب ، فأخذها الى جحا وقال له : اقرأ لي على هذه الناقة لتشفى فقال له جحا : إذا أردت أن تبرأ ناقتك من الجرب فأضف الى قراءاتي شيئاً من القطران .

جحا والزوجة الحولاء

تزوج جحا امرأة حولاء ترى الشيء شيئين فلما أراد الغداء أتى برغيفين فرأتهما أربعة ثم أتى بالإناء فوضعه أمامها فقالت له : ما تصنع بإناءين وأربعة أرغفة؟ يكفي إناء واحد ورغيفان .

ففرح جحا وقال يا لها من نعمة وجلس يأكل معها ، فرمته بالإناء بما فيه من الطعام وقالت له : هل أنا فاجرة حتى تأتي برجل آخر معك لينظر إلي؟

فقال جحا : يا حبيبتي أبصري كل شيء اثنين إلا زوجك

نذر جحا

وقال جحا لأبي مسلم صاحب الدعوة : إني نذرت إن رأيتك آن آخذ منك ألف درهم . فقال : رأيت أصحاب النذور يعطون لا يأخذون ، وأمر له بها .

بانتظار الفطام

نزل جحا ضيفاً على رجل صديق فقدم له في اليوم الأول حليباً ، وفي اليوم الثاني حليباً وفي اليوم الثالث حليباً ، وفي اليوم الرابع جلس جحا حزيناً ، فسأله صديقه : ما بك يا جحا ؟

أجاب جحا : أنتظر حتى تفطمني

---

(١) نصر الدين جحا هي شخصية فكاهية أنتشرت في كثير من الثقافات القديمة ونسبت إلى شخصيات عديدة عاشت في عصور ومجتمعات مختلفة . وجحا إسم لا ينصرف لأنه معدول من جاح ، مثل عمرو من عامر ويقال : جحا يجحو جحواً إذا رمى . ويقال : حيا الله جحوتك . أي وجهك .

إلى الوراء دون أن ترجع

عن عباد بن صهيب[١] قال : قدمت الكوفة لأسمع من إسماعيل بن خالد فمررت بشيخ جالس فقلت : يا شيخ كيف أمر إلى منزل إسماعيل بن خالد فقال : إلى ورائك فقلت : أرجع فقال : أقول لك وراءك وترجع ! فقلت : أليس ورائي خلفي قال : لا . قلت : بالله من أنت يا شيخ قال : أنا جحا

موت جحا

سأل جحا يوماً زوجته كيف تعرفين الحي من الميت؟ قالت : إن الرجل إذا مات بردت أطرافه الأربعة فإذا رأيت إنسانا قد برد على هذا الشكل فسارع إلى دفنه . فحفظ ذلك جحا في مخيلته . وقال إن الموت أقرب للإنسان من شراك نعله . حتى كان يوم بارد تجمد الصقيع فيه على النوافذ فاحتاج أن يجمع فيه الحطب للتدفئة فخرج يحتطب في غابة قريبة ، فأطال البحث حتى ملأ وعاءه من بقايا الأخشاب وأفنان الشجر .

وإذ استغرق مكثه في البرية في ذلك اليوم البارد فقد لا حظ جحا على نفسه أن أطرافه الأربعة بردت . فقال في نفسه يا جحا لقد مت ولا شك حسبما قالت لك زوجتك! فاستلقى على ظهره وهو يتأمل نفسه الميت وترك حماره يسرح أمام عينه .

وبينما هو على هذه الحالة إذ جاء قطيع من الذئاب فهجم على الحمار فافترسه في ساعة من نهار في ذلك اليوم البارد وجحا يتأمل المنظر ولا يفعل شيئا لحماره لأنه ميت! والميت لا يملك نفعا ولا ضرا! وأخيرا رفع جحا رأسه قليلاً ثم تمتم قائلاً : أيها الجبناء تعرفون أن صاحبه ميت فأكلتموه وأيم الله لو كنت حياً لعرفت كيف أؤدبكم على فعلتكم هذه .

أخذ بثأره

كان جحا في الطابق العلوي من منزله ، فطرق بابه أحد الأشخاص ، فأطل من الشباك فرأى رجلا ، فقال : ماذا تريد؟ قال : انزل الى تحت لأكلمك ، فنزل جحا فقال الرجل : أنا فقير الحال أريد حسنة يا سيدي . فاغتاظ جحا منه ولكنه كتم غيظه وقال

---

(١) يكنّى أبا بكر التميمي الكلبي اليربوعي ، بصري ، من رواة الحديث .

له : اتبعني ـ وصعد جحا الى أعلى البيت والرجل يتبعه ، فلما وصلا إلى الطابق العلوي التفت الى السائل وقال له : الله يعطيك فأجابه الفقير : ولماذا لم تقل لي ذلك ونحن تحت ؟ فقال جحا : وأنت لماذا أنزلتني ولم تقل لي وأنا فوق؟

جحا والقميص

عن أبي الحسن قال رجل لجحا : سمعت من داركم صراخاً قال : سقط قميصي من فوق ، قال : وإذا سقط من فوق؟ قال : يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه .

سؤال ذكي

أبو مسلم[١] صاحب الدولة لما ورد الكوفة قال لمن حوله : أيكم يعرف جحا فيدعوه إلي؟ فقال يقطين[٢] : أنا ودعاه . فلما دخل لم يكن في المجلس غير أبى مسلم ويقطين ، فقال : يا يقطين أيكما أبو مسلم؟

الصلب أرخص من الدفن

ومات جار له فأرسل إلى الحفار ليحفر له فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها فسئل عنها فقال : إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونربح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير .

بخور دون ثياب

وحكي : أن جحا تبخر يوماً فاحترقت ثيابه فغضب وقال : والله لا تبخرت إلا عرياناً .

---

(١) أبو مسلم الخراساني هو أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني ، صاحب الدعوة العباسية في خراسان ، ومن ثم واليها ، سياسي وقائد عسكري . قيل اسمه إبراهيم بن خكان ، وهو حسب الروايات واحد من أحفاد آخر الأكاسرة .

(٢) يقطين بن موسى هو من دعاة دولة بني العباس . قال ابن تغري بردي : «كان داهية عالما حازما شجاعاً ، عارفا بالحروب والوقائع» .

يطمئن القوم

وهبت يوماً ريحٌ شديدةٌ فأقبل الناس يدعون الله ويتوبون فصاح جحا : يا قوم لا تعجلوا بالتوبة وإنما هي زوبعة وتسكن .

يهرب ممن سرقه

واشترى يوماً دقيقاً وحمله على حمال فهرب بالدقيق فلما كان بعد أيام رآه جحا فاستتر منه فقيل له : ما لك فعلت كذا؟ فقال : أخاف أن يطلب مني كراه .

رأس فارغ

ووجهه أبوه ليشتري رأساً مشوياً فاشتراه وجلس في الطريق فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه وحمل باقيه إلى أبيه ، فقال : ويحك ما هذا؟ فقال : هو الرأس الذي طلبته .

قال : فأين عيناه قال : كان أعمى .

قال : فأين أذناه قال : كان أصم .

قال : فأين لسانه قال : كان أخرس .

قال : فأين دماغه قال : فكان أقرع قال : ويحك رده وخذ بدله .

قال : باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب .

ومات أبوه فقيل له : اذهب واشتر الكفن فقال : أخاف أن أشتري الكفن فتفوتني الصلاة عليه .

جحا والمهدي[1]

وحكي : أن المهدي أحضره ليمزح معه فدعا بالنطع والسيف فلما أقعد في النطع ، قال للسياف : أنظر لا تصب محاجمي فإني قد احتجمت .

وسمع قائلاً : يقول ما أحسن القمر فقال : أي والله خاصة في الليل .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله . هو ثالث خلفاء الدولة العباسية بالعراق . ولد بإيذج من كور الأهواز عام ١٢٧ هـ/٧٤٥م وتوفي بماسبذان أمه هي أم موسى بنت منصور الحميرية .

يفصل بين الحنطة والشعير بإصبع

وقال له رجل : أتحسن الحساب بإصبعك قال : نعم قال : خذ جريبين حنطة فعقد الخنصر والبنصر ، فقال له : خذ جريبين شعيراً فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى فقال الرجل لم أقمت الوسطى ، قال : لئلا يختلط الحنطة بالشعير .

البازي الميت

ومر يوماً بصبيان يلعبون ببازي[١] ميت فاشتراه منهم بدرهم وحمله إلى البيت فقالت أمه : ويحك ما تصنع به وهو ميت ، فقال لها : أسكتي فلو كان حياً ما طمعت في شرائه بمائة درهم .

جحا وقصيدة الأمير

كان أمير البلد يزعم أنه يعرف نظم الشعر ، فأنشد يوما قصيدة أمام جحا وقال له : أليست بليغة؟ فقال جحا : ليست بها رائحة البلاغة . فغضب الأمير وأمر بحبسه في الإسطبل ، فقعد محبوسا مدة شهر ثم أخرجه . وفي يوم آخر نظم الأمير قصيدة وأنشدها لجحا ، فقام جحا مسرعا ، فسأله الأمير : إلى أين يا جحا؟ فقال : إلى الإسطبل يا سيدي

جحا والأرنب

حمل أحد الفلاحين أرنبا وذهب به إلى جحا !! وأخذ يطرق بابه . فتح جحا الباب وقال للرجل : من أنت؟ قال الرجل : أنا معجب جدا بذكائك وعلمك وأرجو أن تقبل هذا الأرنب هدية مني إليك! فرح جحا وتقبل الأرنب شاكرا بعد أن دعي الرجل إلى دخول المنزل للغداء معه . وبعد الغداء ودع جحا الرجل متمنيا أن تتكرر زيارته مرات ومرات . وبعد أسبوع مر الرجل على جحا وكان جحا قد نسيه ، فسأله : من أنت؟ قال : أنا صاحب الأرنب! فأكرمه جحا ودعاه إلى الغداء معه . ثم مضي أسبوعا آخر وإذا بأربعة من الفلاحين يدخلون على جحا الدار . وسألهم جحا عن

(١) جنسٌ من الصُّقور الصَّغيرة أو المتوسِّطة الحجم ، من فصيلة العُقاب النَّسْرية ، تميلُ أجنحتُها إلى القِصَر ، وتميل أَرجلُها وأُذنابها إلى الطول ومن أنواعه : الباشق ، والبَيْدق .

شأنهم ، فقالوا : نحن جيران صاحب الأرنب . رحب بهم جحا وفي موعد الغداء قدم لهم الطعام . وودعهم جحا بعد أن أتوا على كل ما في الدار من مأكولات . ومضى أسبوع ثالث وإذا بثمانية أشخاص يقتحمون دار جحا ، فنهض من مكانه فزعا ، وقال في ذهول : من أنتم ؟! قالوا نحن جيران جيران صاحب الأرنب . قال جحا : لا بأس في داركم حللتم ، وعلى أهلكم نزلتم . وأجلسهم حتى يأتي لهم بالطعام . وغاب عنهم جحا حتى بدأ الناس يتململون ، وبعد فترة من موعد الغداء ، أحضر جحا ماعونا كبيرا به ماء ساخن ، فلما رأوه تذمروا ، وقالوا : ما هذا يا جحا ؟! فقال لهم جحا : هذ مرق مرق الأرنب يا جيران جيران صاحب الأرنب .

الحمق شر من الرعونة

قال المأمون[١] : تدرون ما جرى بيني وبين أمير المؤمنين هارون الرشيد[٢]؟ كان لي إليه ذنب فدخلت مسلماً عليه ، فقال : أغرب يا أحمق . فانصرفت مغضباً ولم أدخل إليه أياماً فكتب إلي رقعة يقول :

ليت شعري وقد تمادى بك الهجـ ـر أمنك التفريط أم كان مني
إن تكن خنتنا فعنك عفا اللـ ـه وإن كنت خنتكم فاعف عني

فسرت إليه ، فقال : إن كان الذنب لنا فقد استغفرناك ، وإن كان لك فقد غفرناه . فقلت له : يا أحمق ولو قلت لي يا أرعن كان أسهل علي . فقال : ما الفرق بينهما؟ قلت له : الرعونة تتولد عن النساء فتلحق الرجل من طول صحبتهن ، فإذا فارقهن ، وصاحب فحول الرجال زالت عنه ، وأما الحمق فإنه غريزة . وأنشد بعض الحكماء :

وعلاج الأبدان أيسر خطباً حين تعتل من علاج العقول

---

(١) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ، ولد عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ وتوفي غازيا في ١٩ رجب عام ٢١٨ هـ ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣ بطرسوس ، شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول وذلك لأنه شارك فيها بنفسه .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين .حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م .ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

الناس أربعة أصناف

قال الأحنف بن قيس[١] : قال الخليل بن أحمد : الناس أربعة ، رجل يدري ويدري أنه يدري ، فذاك عالم فخذوا عنه ، ورجل يدري وهو لا يدري أنه يدري ، فذاك ناس فذكروه ، ورجل لا يدري وهو يدري أنه لا يدري ، فذاك طالب فعلموه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك أحمق فارفضوه . وقال أيضاً : الناس أربعة ، فكلم ثلاثة ، ولا تكلم واحداً ، رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فكلمه ، ورجل يعلم ويرى أنه لا يعلم فكلمه ، ورجل لا يعلم ويرى أنه لا يعلم فكلمه ، ورجل لا يعلم ويرى أنه يعلم فلا تكلمه . قال جعفر بن محمد : الرجال أربعة : رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فذاك عالم فتعلموا منه ، ورجل يعلم ولا يعلم أنه يعلم فذاك نائم فأنبهوه ، ورجل لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم فذاك جاهل فعلموه ، ورجل لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم فذاك أحمق فاجتنبوه .

الناس ثلاثة أصناف

وقد روينا عن أبي يوسف القاضي[٢] أنه قال : الناس ثلاثة : مجنون ، ونصف مجنون ، وعاقل ، فأما المجنون ونصف فأنت معهما في راحة ، وأما العاقل فقد كفيت مؤنته . عن الأعمش أنه قال : معاتبة الأحمق نفخ في بليسة .

حمقى ضرب بهم المثل

فأما ضربهم المثل بمن قد عرف حمقه فقال أبو هلال العسكري[٣] : تقول

---

(١) هو التابعي الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي اسمه ضحاك وقيل صخر وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل .

(١) الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة ، أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي . وسعد بن بجير له صحبة ، وهو سعد بن حبتة ، وهي أمه ، وهو بجلي من حلفاء الأنصار ، شهد الخندق وغيرها . مولد أبي يوسف في سنة ثلاث عشرة ومائة .

(٣) الحَسَن بْن عَبْد الله بْن سهل بْن سَعِيد بْن يحيى بْن مِهْران العسكري اللُّغَويّ ، الأديب ، الشاعر .

العرب : أحمق من هبنقة[1] ، وأحمق من حذنة ، قيل هو رجل بعينه ، وقيل هو الصغير الأذن ، الخفيف الرأس ، القليل الدماغ ، وكذلك يكون الأحمق . وقيل : حذنة امرأة كانت تمتخط بكوعها . وتقول العرب : أحمق من أبي غبشان وأحمق من جحا وأحمق من عجل بن لجيم وأحمق من حجينة وهو رجل من بني الصداء وأحمق من بيهس ومن مالك بن زيد مناة ومن عدي بن حباب وأحمق من الممهورة إحدى خدمتيها .

حيوانات ضرب المثل بحمقها

وأما ذكرهم للبهائم فيقولون : أحمق من الضبع وأحمق من أم عامر ، وأحمق من نعجة على حوض لأنها إذا وردت الماء أكبت عليه ولا تنثني وأحمق من ذئبة لأنها تدع ولدها وترضع ولد الضبع .

طيور ضرب المثل بحمقها

وأما ذكرهم الطير ، فيقولون : أحمق من حمامة لأنها لا تصلح عشها وربما سقط بيضها فانكسر ، وربما باضت على الأوتاد فيقع البيض ، وأحمق من نعامة لأنها إذا مرت ببيض غيرها حضنته وتركت بيضها ، وأحمق من رخمة ، وأحمق من عقعق لأنه يضيع بيضه وفراخه ، وأحمق من كروان لأنه إذا رأى أناساً سقط على الطريق فيأخذونه .

ومن الموصوف بالحمق من الحيوان : الحبارى ، والنعجة ، والبعير ، والطاووس ، والزرافة .

نبتة ضرب المثل بحمقها

وأما ضربهم المثل بمن لا فعل له كقولهم : أحمق من رجلة وهي البقلة الحمقاء لأنها تنبت في مجاري السيل .

من أخبار هبنقة الأحمق

فمنهم هبنقة واسمه يزيد بن ثروان ويقال : ابن مروان أحد بني قيس بن ثعلبة ،

---

(١) هبنقة هو يزيد بن ثروان ويقال ابن مروان أحد بني قيس بن ثعلبة ، يقال عنه أنه من أعيا العرب ويضرب به المثل في الحمق .

ومن حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف وقال : أخشى أن أضل نفسي ففعلت ذلك لأعرفها به . فحولت القلادة ذات ليلة من عنقه لعنق أخيه فلما أصبح قال : يا أخي أنت أنا فمن أنا؟ وأضل بعيراً فجعل ينادي من وجده فهو له ، فقيل له : فلم تنشده؟ قال : فأين حلاوة الوجدان؟ وفي رواية : من وجده فله عشرة ، فقيل له : لم فعلت هذا؟ قال : للوجدان حلاوة في القلب .

واختصمت طفاوة وبنو راسب في رجل ادعى كل فريق أنه في عرافتهم ، فقال هبنقة : حكمه أن يلقى في الماء فإن طفا فهو من طفاوة وإن رسب فهو من راسب . فقال الرجل : إن كان الحكم هذا فقد زهدت في الديوان . وكان إذا رعى غنماً جعل يختار المراعي للسمان وينحي المهازيل ، ويقول : لا أصلح ما أفسده الله .

أبو غبشان الأحمق

ومنهم أبو غبشان وهو من خزاعة كان يلي الكعبة ، فاجتمع مع قصي بن كلاب بالطائف على الشرب ، فلما سكر اشترى منه قصي ولاية البيت بزق خمر ، وأخذ منه مفاتيحه وسار بها إلى مكة ، وقال : يا معشر قريش هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل ، ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم . وأفاق أبو غبشان فندم فقيل : أندم من أبي غبشان وأخسر من أبي غبشان ، وأحمق من أبي غبشان ، قال بعضهم : البسيط :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت ... بزق خمر فبئست صفقة البادي

باعت سدانتها بالخمر وانقرضت ... عن المقام وظل البيت والنادي

ثم جاءت خزاعة فغالبوا قصياً فغلبهم .

عبد الله بن بيدرة الأحمق

ومنهم شيخ مهو وهي قبيلة من عبد القيس واسمه عبد الله بن بيدرة وكانت إياد[1] تعير بالفسو ، فقام رجل منهم بعكاظ ومعه بردا حبرة فنادى : ألا إنني من إياد

(١) قبيلة إياد إحدى قبائل العرب كانت تسكن تهامة فحاربتهم قبائل مضر وربيعة فأجلتهم عن جزيرة العرب إلى العراق ، وتخلف منهم في الجزيرة العربية قبيلة النخع وقبيلة ثقيف على قول بعض النسابين .

فمن يشتري مني عار الفسو ببردي هذين . فقال عبد الله بن بيدرة فقال : أنا . واتزر بأحدهما وارتدى الآخر ، وأشهد الإيادي عليه أهل القبائل وانصرف عبد الله إلى قومه فقال : جئتكم بعار الأبد ، فلزم العار بذلك عبد القيس .

عجل بن لجيم الأحمق

ومنهم عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . من حمقه أنه قيل له : ما سميت فرسك؟ فقام إليه ففقأ إحدى عينيه وقال : سميته الأعور .

قال العنزي : الطويل :

رمتني بنو عجل بداء أبيهم وأي امرىءٍ في الناس أحمق من عجل
ألبس أبوهم عارَ عين جواده فصارت به الأمثال تضرب بالجهل

حمزة بن بيض الأحمق

ومنهم حمزة بن بيض . عن أبي طالب عمر بن إبراهيم أنه قال : دعا حمزة بن بيض حجاماً وكان الحجام ثقيلاً كثير الكلام ، فلما أرهف المشاريط قال له : الساعة توجعني . قال : لا . قال : فانصرف اليوم . قال : لا تفعل فإنك محتاج إلى إخراج الدم وذلك بين في وجهك وهي سنة نبوية ، قال : انصرف وعد إلي غداً ، قال : لست تدري ما يحدث إلى غد والمشاريط حادة وإنما هي لحظة . قال : إن كان كما تقول فاعطني فردة بيضة من خصيتك تكون في يدي رأينة إن أوجعتني أوجعتك . فقام الحجام وقال : أرى أن تدع الحجامة في هذا العام ، وانصرف .

عن محمد بن العلاء الكاتب أنه قال : قال حمزة بن بيض لغلام له : أي يوم صلينا الجمعة في الرصافة؟ ففكر الغلام ساعة ثم قال : يوم الثلاثاء . وقيل لحمزة بن بيض : كم تشرب من النبيذ؟ قال : أكثر من رطلين شيء .

أبو أسيد الأحمق

ومنهم أبو أسيد . عن محمد بن رجاء قال : قال أبو أسيد وحدث بحديث : كان ذلك في خلافة المهدي قبل موت المنصور . وقال : مر على أبي أسيد بعيران فقام قوم كانوا حوله : ما أفرهها؟ فقال أبو أسيد : أحدهما أفره من الآخر ، قالوا : أيهما أفره؟ قال : القدامي أفره من الأول . وعزى أبا أسيد رجل عن مصيبته فقال له : رزقنا الله

مكافأتك . وعن محمد بن عبد المطلب قال : قال أبو أسيد ونظر إلى رجل نائم : قم ، فكم تنام كأنك بعير ناد وقيل لأبي أسيد : حدثنا عن ابن عمر ، فقال : كان يحف شاربه حتى يبدو بياض إبطيه .

جحا الأحمق

ومنهم جحا ويكنى أبا الغصن ، وقد روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء ، إلا أن الغالب عليه التغفيل ، وقد قيل : إن بعض من كان يعاديه وضع له حكايات والله أعلم .

عن مكي بن إبراهيم أنه يقول : رأيت جحا رجلاً كيساً ظريفاً وهذا الذي يقال عنه مكذوب عليه ، وكان له جيران مخنثون يمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه .

من حماقات جحا

وعن أبي بكر الكلبي أنه قال : خرجت من البصرة فلما قدمت الكوفة ، إذا أنا بشيخ جالس في الشمس ، فقلت : يا شيخ أين منزل الحكم؟ فقال لي : وراءك ، فرجعت إلى خلفي ، فقال : يا سبحان الله! أقول لك وراءك وترجل إلى خلفك . أخبرني عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ قال : بين أيديهم ، فقلت : أبو من؟ قال : أبو الغصن ، فقلت : الإسم؟ قال : جحا . وقد رويت لنا هذه الحكاية على غير هذه الصفة . وعن عباد بن صهيب قال : قدمت الكوفة لأسمع من إسماعيل بن خالد ، فمررت بشيخ جالس فقلت : يا شيخ ، كيف أمر إلى منزل إسماعيل بن خالد؟ فقال : إلى ورائك ، فقلت : أرجع؟ فقال : أقول لك وراءك وترجع! فقلت : أليس ورائي خلفي؟ قال : لا . قلت : بالله من أنت يا شيخ؟ قال : أنا جحا ، قال المصنف : وجمهور ما يروى عن جحا ، تغفيل نذكره كما سمعناه .

عن أبي الحسن ، قال رجل لجحا : سمعت من داركم صراخاً ، قال : سقط قميصي من فوق ، قال : وإذا سقط من فوق ، قال : يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه؟ وحكى أبو منصور الثعالبي في كتاب غرر النوادر قال : تأذى أبو الغصن جحا بالريح مرة فقال يخاطبها : ليس يعرفك إلا سليمان بن داود الذي حبسك حتى أكلت خراك .

وخرج يوماً من الحمام في يوم بارد ، فضربته الريح فمس خصيتيه ، فإذا إحدى بيضتيه قد تقلصت ، فرجع إلى الحمام وجعل يفتش الناس ، فقالوا : ما لك؟ فقال : قد سرقت إحدى بيضتي ، ثم إنه دفىء وحمى ، فرجعت البيضة ، فلما وجدها سجد شكراً لله ، قال : كل شيء لا تأخذه اليد لا يفقد .

ومات جار له ، فأرسل إلى الحفار ليحفر له ، فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر ، فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها ، فسئل عنها فقال : إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم ، وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونربح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير .

وحكي : أن جحا تبخر يوماً فاحترقت ثيابه فغضب وقال : والله لا تبخرت إلا عرياناً .

وهبت يوماً ريحٌ شديدةٌ فأقبل الناس يدعون الله ويتوبون ، فصاح جحا : يا قوم ، لا تعجلوا بالتوبة وإنما هي زوبعة وتسكن .

وذكر أنه اجتمع على باب دار أبي جحا تراب كثير من هدم وغيره ، فقال أبوه : الآن يلزمني الجيران برمي هذا التراب وأحتاج إلى مؤنة وما هو بالذي يصلح لضرب اللبن فما أدري ما أعمل به ، فقال له جحا : إذا ذهب عنك هذا المقدار فليت شعري أي شيء تحسن؟ ، فقال أبوه : فعلمنا أنت ما تصنع به . فقال : يحفر له آبار ونكبسه فيها .

واشترى يوماً دقيقاً وحمله على حمال فهرب بالدقيق ، فلما كان بعد أيام رآه جحا فاستتر منه ، فقيل له : ما لك فعلت كذا؟ فقال : أخاف أن يطلب مني كراه .

ووجهه أبوه ليشتري رأساً مشوياً ، فاشتراه وجلس في الطريق ، فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه ، وحمل باقيه إلى أبيه ، فقال : ويحك ما هذا؟ فقال : هو الرأس الذي طلبته . قال : فأين عيناه؟ قال : كان أعمى . قال : فأين أذناه؟ قال : كان أصم . قال : فأين لسانه؟ قال : كان أخرس . قال : فأين دماغه؟ قال : فكان أقرع ، قال : ويحك ، رده وخذ بدله . قال : باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب .

وحكي : أن جحا دفن دراهم في صحراء وجعل علامتها سحابة تظلها .

ومات أبوه فقيل له : إذهب واشتر الكفن ، فقال : أخاف أن أشتري الكفن فتفوتني الصلاة عليه .

وحكي : أن المهدي أحضره ليمزح معه ، فدعا بالنطع والسيف ، فلما أقعد في

النطع ، قال للسياف : أنظر لا تصب محاجمي فإني قد احتجمت .
ورأوه يوماً في السوق يعدوا فقالوا : ما شأنك؟ قال : هلا مرت بكم جارية رجل مخضوب اللحية؟ واجتاز يوماً بباب الجامع فقال : ما هذا؟ فقيل مسجد الجامع ، فقال : رحم الله جامعاً ما أحسن ما بنى مسجده .
ومر بقوم وفي كمه خوخ ، فقال : من أخبرني بما ي كمي فله أكبر خوخةٍ ، فقالوا : خوخ ، فقال : ما قال لكم هذا إلا من أمه زانية .
وسمع قائلاً يقول ما أحسن القمر ، فقال : أي والله خاصة في الليل .
وقال له رجل : أتحسن الحساب بإصبعك؟ قال : نعم ، قال : خذ جريبين حنطة ، فعقد الخنصر والبنصر ، فقال له : خذ جريبين شعيراً فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى فقال الرجل لم أقمت الوسطى ، قال : لئلا يختلط الحنطة بالشعير .
ومر يوماً بصبيان يلعبون ببازي ميت ، فاشتراه منهم بدرهم وحمله إلى البيت ، فقالت أمه : ويحك ما تصنع به وهو ميت؟ فقال لها : أسكتي فلو كان حياً ما طمعت في شرائه بمائة درهم .
وخرج أبوخ مرة إلى مكة فقال له عند وداعه : بالله لا تطل غيبتك واجتهد أن تكون عندنا في العيد لأجل الأضحية .

مزبد الأحمق

ومنهم مزبد . قال أبو زيد : قيل لمزبد : إن فلاناً الحفار قد مات ، فقال : أبعده الله ، من حفر حفرة سوء وقع فيها .
وقال مزبد لرجل : أيسرك أن تعطى ألف درهم وتسقط من فوق البيت؟ قال : لا ، قال مزبد : وددت أنها لي وأسقط من فوق الثريا ، فقال له الرجل : ويلك فإذا سقطت مت ، قال : وما يدريك! لعلي سقطت في التبانين أو على فرش زبيدة . وقيل له : أيسرك أن تكون هذه الجبة لك؟ قال : نعم وأضرب عشرين سوطاً ، قالوا : ولم تقول هذا؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .
قيل لمزبد : كيف هو حبك لأبي بكر وعمر بن الخطاب؟ فقال : ما ترك حب الطعام في قلبي حبا لأحد .
وقف قومٌ على مزبد ، وهو يطبخ قدراً ، فأخذ أحدهم قطعة لحم ، فأكلها ، وقال : تحتاج القدر إلى خلّ ؛ وأخذ آخر قطعة لحم ، فأكلها ، وقال : تحتاج القدر إلى أبزار ؛

وأخذ آخر قطعة لحم ، فأكلها ، وقال : تحتاج القدر إلى ملحٍ ؛ فأخذ مزبد قطعة لحمٍ ، فأكلها ، وقال : تحتاج القدر إلى لحم .

ومرّ رجلٌ بمزبدٍ وهو جالسٌ يتّفكر ، فقال له : في أي شيءٍ تتفكر؟ قال : في الحج ، قد عزمت علّيه السّنة ، قال : فما أعددت له؟ قال : التلبيةَ ، فما أقدر على غيرها .

وزفّت إليه امرأة قبيحةٌ ، فقيل له : بم تصبحّها؟ قال : بالطلاق .

– ونظر إلى قوم مكتفين يحملون إلى السجن ، فقال : ما قصة هؤلاء؟ قال : خيرٌ ، قال : فإن كان خَيراً فكتفوني معهم .

وغضب عليه بعض الولاة ، فأمر بحلق لحيته ، فقال له الحجّام : افتح فمك ، فقال : الأمير أمرك بحلق لحيتي أو تعلّمني الزمر؟

قال محمد بن حرب الهلالي[1] : أتيت بمزبد في تهمة ، فضربته سبعين درّةً ، ثمّ تبيّن لي أنّه كان مظلوماً ، فدعوته ، وقلت : أحلنّي منها ، فقًال : لا تعجل ، ودعها لي عندك ، فإنّي أجيء إليك كثيراً ، فكلّما وجب عليّ شيءٌ قاصصتني عليها . فكنت أوتى به في الشيء الذي يجب عليه فيه التقويم ، فأحاسبه على العشرة منها وعلى الخمسة ، حتى استوفى .

ملس وقرنان

غضبت امرأة مزبد عليه ذات يوم فشتمته وقالت : يا مفلس يا قرنان «قواد» فقال لها : إن صدقت فالأولى من الله والثانية منك أنت .

نظر مزبد إلى وجهه في المرآة فرآه شديد القبح فقال : الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه .

(١) محمد بن حرب ع الإمام الحافظ الفقيه أبو عبد الله الخولاني الحمصي الأبرش كاتب الزبيدي حدث عن محمد بن زياد الألهاني وبحير بن سعد وعمر بن رؤبة ومحمد بن الوليد الزبيدي وصفوان بن عمرو والأوزاعي وعدة حدث عنه أبو مسهر ومحمد بن وهب بن عطية وإسحاق بن راهويه وكثير بن عبيد وأبو التقي اليزني ومحمد بن مصفى وأبو عتبة الحجازي وخلق كثير ذكر ابن سعد أنه ولي قضاء دمشق ووثقه يحيى بن معين وغيره .

أراد مزبد أن يضحي في العيد فاشترى ديكا لفقره فعلم جيرانه فأرسل له كل واحد منهم شاة حتى اجتمع لديه سبع شياه فقال : ديكي أفضل عند الله من إسحاق لأنه فُدِيٍّ بكبش واحد وديكي فدي بسبع شياه .

أزهر الحمار الأحمق

ومنهم أزهر الحمار ، كان جالساً بين يدي الأمير عمرو بن الليث يوماً يأكل بطيخاً فقال له عمرو : كيف طعمه يا أزهر أحلو هو؟ قال : ما أكلت الخرا قط؟ وقدم على الأمير عمرو رسول من عند السلطان ، فأحضر مائدته ، فقال لأزهر : جملنا بسكوتك اليوم ، فسكت طويلاً ثم لم يصبر فقال : بنيت في القرية برجاً ارتفاعه ألف خطوة ، فأومأ إليه حاجبه أن أسكت ، فقال له الرسول : في عرض كم؟ قال : في عرض خطوة ، فقال له الرسول : ما كان ارتفاعه ألف خطوة لا يكفي عرضه خطوة! قال : أردت أن أزيد فيه فمنعني هذا الواقف .

وقدم رسول آخر فقيل لأزهر : لا تتكلم اليوم وتجمل لهذا الرسول ، فسكت ساعة فعطس الرسول فأراد أزهر أن يشمته فيقول يرحمك الله فقال : صبحك الله ، فقال الأمير : أليس قد قدمت إليك أن لا تتكلم! فقال : أردت أن لا يرجع الرسول إلى بغداد فيقول : إن هؤلاء لا يعرفون العربية .

وقال له الطبيب : خذ رمانتين فاعصرهما بشحميهما واشرب ماءهما ، فعمد إلى رمانتين وقطعة شحم ودقهما في موضع واحد وعصرهما وأخذ ماءهما فشربه .

أبو قطبة الأحمق

قال الخليل[١] : سمعت أبو قطبة يقول : إياكم والفساء في ثيابكم التي تخرجون فيها ، وفي لحفكم التي تنامون فيها ، فإن الفساء يدرّ القمل . إني والله ما أقول إلا

(١) الخَلِيل بن أحمد ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي ، أبو عبد الرحمن : من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها .ودرس لدى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو أيضا أستاذ سيبويه النحويّ .

بعلم . ثم قال : علمتم إن الصوت يدبغ؟ قلنا : وكيف صار الصوت يدبغ؟ قال : الفسوة هي الضرطة بلا صوت ، وإنما تخرجان جميعا من قارورة واحدة ، فكيف تكون واحدة طيبة وأخرى منتنة؟ فهذا الذي يدلّكم أن الصوت هو الذي يدبغها .

أبو محمد الصيدلاني الأحمق

ومنهم أبو محمد جامع الصيدلاني . قال علي بن معاذ : كتبت إلى جامع الصيدلاني كتاباً فكتب جوابه وجعل عنوانه : إلى الذي كتب إلي .

وجاء إليه قوم في أمر حائط فقالوا : يا أبا محمد منذ كم تعرف هذا الحائط؟ فقال : أعرفه منذ كان وهو صغير لفلان .

وقيل له يوماً : كم سنة تعد؟ فقال : إحدى وسبعين سنة ، قيل له : فمن تذكر من ولد العباس؟ قال : ايتاخ .

وركب زورقاً فأعطى الملاح قطعة فاستزاده ، فقال : مسخني الله ذو أربع قوائم مثلك إن زدتك شيئاً .

ومضى إلى السوق ليشتري لابنه نعلاً ، فقيل له كم سنة؟ فقال : ما أدري ولكنه ولد أول ما جاء العنب الداراني ، ومحمد ابني ، استودعه الله ، أكبر منه بشهرين ونصف سنة .

وكانت له بنت فقيل له كم سنها؟ فقال : ما أدري إلا أنها ولدت أيام البراغيث .

وانبثق كنيف لجامع الصيدلاني ، فقال لغلامه : بادر وأحضر من يصلحه حتى نتغدى به قبل أن يتعشى بنا . وحج ابنه في بعض السنين فقال له : يا بني أنت تعلم أنني لا أصبر عنك ، فأجهد نفسك أن لا تضحي إلا عندنا ، فإنك تعلم أن أمك لا تأكل شيئاً في العيد حتى تجيء من الصلاة .

أبو عبد الله الجصاص الأحمق

ومنهم أبو عبد الله الجصاص . حكي عنه أنه كان يوماً يأكل مع الوزير ، فلما فرغ من الأكل قال : الحمد لله الذي لا يحلف بأعظم منه . ونظر يوماً في المصحف وجعل يقول : رخيص والله ، وهذا من فضل ربي ، آكل وأتمتع بدرهم ، وإذا في المصحف «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا» فصحف ذرهم فظن أنه درهم .

ودخل ابن الجصاص يوماً على ابن الفرات الوزير الخاقاني وفي يده بطيخة

كافور ، فأراد أن يعطيها الوزير ويبصق في دجلة ، فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في دجلة ، فارتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص وتحير وقال : والله العظيم لقد أخطأت وغلطت أردت أن أبصق في وجهك وأرمي البطيخة في دجلة . فقال له الوزير : كذلك فعلت يا جاهل . فغلط في الفعل وأخطأ في الاعتذار .

ونظر يوماً في المرآة فقال : اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وسودها يوم تسود وجوه .

وقال يوماً : أشتهي بغلة مثل بغلة النبي ﷺ حتى أسميها دلدل .

وقال يوماً : خريت على يدي ، فلو غسلتها ألف مرة لم تنظف حتى أغسلها مرتين .

ونظر يوماً في المرآة فقال لإنسان عنده : ترى لحيتي طالت؟ فقال له : المرآة في يدك . فقال : صدقت ، ولكن الشاهد لا يرى ما لا يراه الغائب .

وكسر يوماً لوزاً فطارت لوزة فقال : لا إله إلا الله ، كل شيء يهرب من الموت حتى البهائم .

وأهدى إلى العباس بن الأحنف[(١)] الوزير نبقاً[(٢)] وكتب إليه : تفيلت أن تبقى فأهديتك النبقا فكتب في جوابه : ما تفيلت يا أبا عبد الله ولكن تبقرت . وكان ابن الجصاص يسبح كل يوم فيقول : نعوذ بالله من نعمه ، ونتوب إليه من إحسانه ، ونستقيله من عافيته ، ونسأله عوائق الأمور . حسبي الله وأنبياؤه والثغور الكنائس ، سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله .

وأتاه غلامه يوماً بفرخ فقال : أنظروا إلى هذا الفرخ ما أشبهه بأمه ، ثم قال : أمه ذكر أم أنثى؟ واعتل مرة فقيل له : كيف تجدك؟ فقال : الدنيا كلها محمومة .

وذكر محمد بن أحمد الترمذي قال : كنت عند الزجاج أعزيه بأمه وعنده الخلق من الرؤساء والكتاب ، إذ أقبل ابن الجصاص فدخل ضاحكاً وهو يقول : الحمد لله قد سرني والله يا أبا إسحاق ، فدهش الزجاج ومن حضر ، وقيل له : يا هذا ، كيف سرك ما غمه وغمنا؟ فقال : ويحك ، بلغني أنه هو الذي مات ، فلما صح عندي أنها

---

(١) أبو الفضل العباس بن الأحنف الحنفي اليمامي النجدي ، شاعر عربي عباسي وُلِد في اليمامة بِنجد وعِندما مات والده انتقل من نجد إلى بغداد ونشأ بِها وعاش مُتنقلاً ما بين بغداد وخراسان .

(٢) النبق أو العبري وهي ثمار شجرة السدر .

هي التي ماتت سرني ذلك . فضحك الناس جميعاً .

وكتب ابن الجصاص إلى وكيل له يحمل إليه مائة من قطناً فحملها ، فلما حلجها خرج منها ربع الوزن ، فكتب إلى الوكيل : لم يحصل من هذا القطن إلا خمسة وعشرون مناً فلا تزرع بعد هذا إلا قطناً محلوجاً وشيئاً من الصوف أيضاً .

ودخل يوماً بستاناً فثار به المرار ، فطلب بصلاً بخل ليطفىء المرار ، ولم يكن عند البستاني فقال له : لم لم تزرع لنا بصلاً بخل .

وكان يوماً خلف الإمام فقال الإمام : «ولا الضالين» ، فقال ابن الجصاص : أي لعمري .

وكان إذا سبح يقول : حسبي الله وحدي .

وقال يوماً : ينبغي للإنسان أن يصير إلى المقابر ليغتاظ ، أراد يسير ليتعظ .

وقال يوماً : كان الفأر يؤذينا في سقوفنا ، فوصف لي إنسان دواء فما سمعت لهم حسوه ، وأراد حساً .

وذكر يوماً ثلاثة أصناف من الثياب ثم قال : إذا لبست واحدة من هؤلاء فما أبالي بغيرها .

وقال يوماً : كان الهواء البارحة بارداً ، إلا إني لم أجده .

وقدمت له هريسة من نعامة فاستطابها فقال : كيف لو أكلتها بقرية؟ أراد سكباجاً . ومرض فقيل له : لعلك تناولت شيئاً ضاراً؟ فقال : لا والله ما أكلت إلا مزورة بفرخ فروج .

وذكر بين يديه رجل فقال : أخبرتني أمه أنه ولد أبوه وله ثمانون سنة .

وقدمت إليه اسفيداجة فقال لمن حوله : كلوا فهذه أم القرى .

وقال يوماً : قمت البارحة إلى المستراح وقد انطفأ القنديل ، فما زلت أتلمظ المقعدة حتى وجدتها .

ودخل يوماً على مريض فجلس عنده ، فشكا إليه الكتف فقال : والله ما أغفل من وجع كتفي هذين ، وضرب بيديه على ركبتيه .

وخرجت يده من الفراش في ليلة باردة ، فأعادها إلى جسده بثقل النوم فأيقظته ، فقبض عليها بيده الأخرى ، وصاح : اللصوص اللصوص ! هذا اللص جاء ينازعني وقد قبضت عليه ، أدركوني لئلا يكون في يده حديدة يضربني بها ، فجاءوا بالسراج فوجدوه قد قبض بيده على يده .

وغفل عنه أهله يوماً فسمعوا صياحه ؛ فأتوه فوجدوه في بيت كالميت . فقالوا : ما لك ؟ قال ؛ فكرت في كثرة مالي وشدة مصادرة السلطان للتجار في هذا الوقت وتعذيبه لهم بالتعليق ، فعلقت نفسي ونظرت كيف صبري ، فزحلت فلم أتخلص حتى كدت أموت .

وكان المعتضد[(١)] لما زفت إليه قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون[(٢)] بعث أبوها إلى ابن الجصاص مائتي ألف دينار ، وكتب إليه قد جهزناها بما قدرنا عليه ، وبالعراق طرائف لم تصل إلى أيدينا ، فاشتر ما تراه ؛ فاحتجز المال ولم يسأل عنه .

ودخل ابن الجصّاص على ابن له قد مات ولده ، فبكى!

وقال : كفالك الله يا بنيّ محنة هاروت وماروت .

فقيل له : وما هاروت وماروت؟

فقال : لعن الله النسيان ، إنما أردت يأجوج ومأجوج!

قيل : وما يأجوج ومأجوج؟

قال : فطالوت وجالوت!

قيل له : لعلك تريد منكراً ونكيرا؟

قال : والله ما أردت غيرهما

ابن الجصاص لم يكن أحمق

وقد نقل عن ابن الجصاص ما يدل على أنه كان يقصد التطابع لا أنه كان بهذه المثابة .

---

(١) أبو العباس عبد المجيد المعتضد بالله ، خليفة عباسي . بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله وكان ، شجاعا مهيبا ظاهر الجبروت ، شديدا الوطأة على المفسدين . هو أول خليفة عباسي لم يكن والده خليفة من قبله حيث لم يتول والده طلحة الموافق الخلافة مثل إخوانه الثلاثة .

(٢) أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون) (توفيت سنة ٢٨٧ هـ - ٩٠٠ م) ، هي من أشهر النساء اللاتي لقبن بقطر الندى في تاريخ مصر . ويرجع ذلك إلى ما أحاط حفل زفافها من مظاهر الأبهة والعظمة ، حين زوجها أبوها من الخليفة العباسي المعتضد بالله .

عن علي بن أبي علي التنوخي[١] عن أبيه قال : اجتمعت ببغداد سنة ست وخمسين وثلاثمائة مع أبي علي بن أبي عبد الله بن الجصاص فرأيته شيخاً حسناً طيب المحاضرة ، فسألته عن الحكايات التي تنسب إلى أبيه ، مثل قوله خلف الإمام حين قرأنا «ولا الضالين» فقال : أي لعمري بدلاً عن آمين ، ومثل قوله أراد أن يقبل رأس الوزير فقل له : أفيه ذهب؟ فقال : لو كان في رأس الوزير خرا لقبلته ، ومثل قوله وقد وصف مصحفاً بالعتق فقال : كسروي! فقال : أما أي لعمري ونحو هذا فكذب ، وما كان فيه علامة تخرجه إلى هذا ، وما كان إلا من أدهى الناس ، ولكنه يطلق بحضرة الوزراء قريباً مما يحكى عنه لسلامة طبع كان فيه ، ولأنه كان يحب أن يصور نفسه عندهم بصورة الأبله ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء فيسلم عليهم .

قصة الجصاص مع ابن الفرات[٢]

وأنا أحدثك عنه حديثاً حدثنا به ، تعلم معه أنه كان في غاية الحزم ، فإنه حدثني فقال : إن أبا الحسن بن الفرات لما ولي الوزارة قصدني قصداً قبيحاً ، فأنفذ العمال إلى ضياعي وأمر بقبض معاملاتي وبسط لسانه بثلبي وتنقصني في مجلسه ، فدخلت يوماً داره فسمعت حاجبه يقول وقد وليت : أي بيت مال يمشي على وجه الأرض ليس له من يأخذه؟ فقلت : إن هذا من كلام صاحبه وإني مسلوب ، وكان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف دينار عيناً وجواهر ، سوى ما يحتويه عليه ملكي . فهسرت ليلتي أفكر في أمري معه ، فوقع لي الرأي في الثلث الأخير ، فركبت إلى داره في الحال فوجدت الأبواب مغلقة فطرقتها ، فقال البوابون : من هذا؟ قلت : ابن الجصاص . فقالوا : ليسوا هذا وقت وصول ، والوزير نائم ، فقلت : عرفوا الحجاب إني حضرت في مهم ، فعرفوهم فخرج إلي أحدهم فقال : إنه إلى ساعة ينتبه فيجلس ،

---

(١) القاضي العالم المعمر أبو القاسم ;علي بن القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي البصري ثم البغدادي ، صاحب كتاب «الطوالات» ، وولد صاحب كتاب «الفرج بعد الشدة» ، وكتاب «النشوار» ، وغير ذلك .

(٢) أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان قاضي القيروان ، تلميذ مالك بن أنس . ولد سنة ١٤٢ هـ/٧٥٩ م بحرّان من أعمال ديار بكر بالشام . رحل أبوه من حرّان إلى القيروان في جيش محمد بن الأشعث عام ١٤٤هـ/٧٦١م وأخذه معه وهو طفل فنشأ بها وتفقه فيها .

فقلت : الأمر أهم من ذاك ، فنبهه وعرفه عني ، فدخل وأبطأ ساعة ثم خرج وأدخلني إلى دار حتى انتهيت إلى مرقده وهو جالس على سرير له وحواليه نحو خمسين فراشاً وغلمان كأنهم حفة وهو مرتاع قد ظن أن حادثة حدثت وأني جئته برسالة الخليفة وهو متوقع لما أورده ، فقام فرفعني وقال : ما الذي جاء بك في هذا الوقت؟ هل حدثت حادثة أو معك من الخليفة رسالة؟ قلت : خير ما حدثت حادثة ، ولا معي رسالة ، ولا جئت إلا في أمر يخصني ، ويخص الوزير ، ولم تصلح المفاوضة فيه إلا على خلوة . فسكن وقال لمن حوله : انصرفوا . فمضوا وقال : هات ، قلت : أيها الوزير إنك قد قصدتني أقبح قصد وشرعت في هلاكي وإزالة نعمتي ، وفي إزالتها خروج نفسي وليس عن النفس عوض ، ولعمري إني أسأت في خدمتك وقد كان في هذا التقويم بلاغ وجد عندي ، وقد اجتهدت في إصلاحك بكل ما قدرت عليه ، وأبيت إلا الإقامة على إيذائي ، وليس شيء أضعف في الدنيا من السنور ، وإذا عوينت في دكان البقال وظفر صاحبها بها ولزها إلى زاوية ليخنقها ، وثبت عليه فخدشت وجهه وبدنه ، ومزقت ثيابه ، وطلبت الحياة بكل ما يمكنها ، وقد وجدت نفسي معك في هذه الصورة ولست أضعف من السنور بطشاً ، وقد جعلت هذا الكلام عذراً بيناً فإن نزلت تحت حكمي في الصلح وإلا فعلي وعلي ، وحلفت أيماناً مغلظة لأقصدن الخليفة الساعة ولأحولن إليه من خزائني ألفي ألف دينار عيناً وورقاً ولا أصبح إلا وهي عنده ، وأنت تعلم قدرتي عليها ، وأقول خذ هذا المال وسلم ابن الفرات إلى فلان واستوزره ، وأذكر له أقرب من يقع في نفسي أنه يجيب إلى تقليده ممن له وجه مقبول ولسان عذب وخط حسن ، ولا أعتمد إلا على بعض كتابك فإنه لا يفرق بينك وبينهم إذا رأى المال حاضراً ، فيسلمك في الحال ويراني المتقلد بعين من أخذه وهو صغير فجعله وزيراً ، وغرم عليه هذا المال الكثير فيخدمني ويتدبر برأيي ، وأسلمك إليه فيفرغ عليك العذاب حتى يأخذ ألفي ألف الدينار منك بأسرها ، وانت تعلم أن حالك تفي بهذا ولكنك تفتقر بعدها ويرجع المال إلي ولا يذهب مني شيء ، وأكون قد أهلكت عدوي ، وشفيت غيظي ، واسترجعت مالي ، وصفت نعمتي ، وزاد محلي بصرفي وزيراً وتقليدي وزيراً . فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال : يا عدو الله أو تستحل هذا؟ قلت : لست عدواً لله ، بل عدو الله من استحل مني هذا الذي أخرجني إلى الفكر في مثل هذا ، ولم لا أستحل مكروه من أراد هلاكي وزوال نعمتي؟ فقال : أو إيش؟ فقلت : أن تحلف الساعة بما استحلفك به من الأيمان المغلظة

أنك تكون لي لا علي في صغير أمري وكبيره ، ولا تنقص لي رسماً ولا تغير لي معاملة ، ولا تدس علي المكاره ، ولا تشر لي في سوء أبداً ظاهراً ولا باطناً ، فقال : وتحلف أنت أيضاً لي بمثل هذا اليمين على جميل النية وحسن الطاعة والمؤازرة؟ فقلت : افعل ، فقال : لعنك الله فما أنت إلا إبليس والله لقد سحرتني . واستدعى دواة وعملنا نسخة يمين فأحلفته أولاً بها ثم حلفت له ، فلما أردت القيام قال : يا أبا عبد الله لقد عظمت في نفسي ، وخففت ثقلاً عني ، والله ما كان المقتدر يفرق بين كفاءتي وبين أخس كتابي مع المال الحاضر ، فليكن ما جرى مطوياً . فقلت : سبحان الله . فقال : إذا كان غداً فصر إلى المجلس لتر ما أعاملك به ، فنهضت ، فقال : يا غلمان بأسركم بين يدي أبي عبد الله ، فخرج بين يدي نحو مائتي غلام وعدت إلى داري ، ولما طلع الفجر واسترحت جئته في المجلس فعرفني الذين كانوا بحضرته ، وعرفهم ما جرى من التفريط التام

وعاملني بما شاهده الحاضرون ، وأمر بإنشاء الكتب إلى عمال النواحي بإعزازي وإعزاز وكلاتي وعمالي وصيانة أسبابي وضياعي . فشكرت الله وقمت ، فقال : يا غلمان بين يديه . فخرج الحجاب يجردون سيوفهم بين يدي والناس يعجبون ، ولم يعلم أحد سبب ذلك فما حدثت بذلك إلا بعد القبض عليه . قال لي أبو علي : هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات؟ قلت : لا . وقد حكى التنوخي إن ابن الجصاص صودر في أيام المقتدر فارتفعت مصادراته سوى ما بقي له من الظاهر وكانت ستة آلاف ألف دينار . بما شاهده الحاضرون ، وأمر بإنشاء الكتب إلى عمال النواحي بإعزازي وإعزاز وكلاتي وعمالي وصيانة أسبابي وضياعي . فشكرت الله وقمت ، فقال : يا غلمان بين يديه . فخرج الحجاب يجردون سيوفهم بين يدي والناس يعجبون ، ولم يعلم أحد سبب ذلك فما حدثت بذلك إلا بعد القبض عليه . قال لي أبو علي : هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات؟ قلت : لا . وقد حكى التنوخي إن ابن الجصاص صودر في أيام المقتدر فارتفعت مصادراته سوى ما بقي له من الظاهر وكانت ستة آلاف ألف دينار .

بعض تصرفات الجصاص تدل على ذكاء

قال التنوخي : وحدثني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن مكرم قال : حدثني بعض شيوخنا قال : كنا بحضرة أبي عمرو القاضي[1] فجرى ذكر ابن الجصاص وغفلته فقال أبو عمرو : معاذ الله ما هو كما يقال عنه ، ولقد كنت عنده منذ أيام وفي صحن داره سرادق مضروب ، فجلسنا بالقرب منه نتحدث ، فإذا بصرير نعل من خلف السرادق فقال : يا غلام جئني بصاحب هذا النعل ، فأخرجت إليه جارية سوداء فقال : ما كنت تصنعين ها هنا؟ قالت : جئت إلى الخادم أعرفه أني قد فرغت من الطبيخ وأستأذن في تقديمه ، فقال : انصرفي لشأنك ، فعلمت أنه أراد يعرفني بذلك الوطء إنه وطء جارية سوداء مبتذلة ، وأنها ليست من حرمه ، فهل يكون هذا من التغفيل .

الجصاص يدلي بنصيحة تدل على العقل البالغ

عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبيه ، قال : حدثني أبو القاسم الجهني ، قال : كنت بحضرة أبي الحسن بن الفرات وابن الجصاص حاضر ، فذكروا ما يعتقده الناس لأولادهم ، فقال ابن الفرات : ما أجل ما يعتقده الناس لأعقابهم فقال من حضر : الضياع ، وقال بعضهم : العقار ، وقال بعضهم : العقار الصامت ، وقال بعضهم : الجوهر الخفيف الثمين . فإن بني أمية سئلوا أي الأموال كانت أنفع لكم في نكبتكم؟ فقالوا : الجوهر الخفيف المثمن كنا نبيعه فلا نطالب بمعرفته ، والواحدة منه أخف من ثمنها ، وابن الجصاص ساكت ، فقال به ابن الفرات : ما تقول أنت يا عبد الله؟ فقال : أجل ما يعتقده الناس لأولادهم الضياع والإخوان ، فإنهم إن اعتقدوا لهم ضياعاً أو عقاراً أو صامتاً من غير إخوان ضاع ذلك وتمحقق ، وأحدث الوزير بحديث جرى منذ مديدة يعلم منه صدق قولي ، فقال له ابن الفرات ما هو؟ فقال : الناس يعرفون أن أبا الحسن كان رجلاً مشتهراً بالجوهر يعتقده لنفسه وأولاده وجواريه ، فكنت جالساً يوماً في داري فجاءني بوابي فقال : بالباب امرأة تستأذن ، فأذنت لها ، فدخلت ، فقالت لي : تخلي لي مجلسك ، فأخليته ، فقالت

(١) الإمام الكبير ، قاضي القضاة أبو عمر ، محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل ابن عالم البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي مولاهم البصري ، ثم البغدادي المالكي .

لي : أنا فلانة جارية أبي الحسن ، فعرفتها وبكيت لما شاهدتها عليه ودعوت غلماني ليحضروا لي شيئاً أغير به حالها ، فقالت : لا تدع أحداً فإني لم أضنك دعوتهم لتغير حالي وأنا في غنية وكفاية ، ولم أقصدك لذلك ولكن لحاجة هي أهم من هذا . فقلت : ما هي؟ فقالت : تعلم أن أبا الحسن لم يكن يعتقد لنا إلا الجوهر ، فلما جرى وتشتتنا وزال عنا ما كنا فيه ، كان عندي جوهر قد سلمه إلي ووهبه لي ولابنته مني فلانة ، وهي معي ها هنا فخشيت أن أظهره بمصر فيؤخذ مني ، فتجهزت للخروج وخرجت متخفية وابنتي معي ، فسلم الله تعالى ووصلنا هذا البلد ، وجميع مالنا سالم ، فأخرجت من الجوهر شيئاً قيمته خمسة آلاف دينار ، وسرت به إلى السوق فبلغ ألفي دينار ، فقلت : هاتوا . فلما أحضروا المال ، قالوا : أين صاحب المتاع؟ قلت : أنا هي ، قالوا : ليس محلك أن يكون هذا لك وأنت لصة ، فعلقوا بي ليحملوني إلى صاحب الشرطة فخشيت أن أقع فأعرف فيؤخذ الجوهر وأطالب أنا بمال ، فرشوت القوم دنانير كانت معي وتركت الجوهر عليهم وأقبلت ، فما نمت ليلتي غماً مما جرى علي من خشية الفقر ، لأن مالي هذا سبيله ، فأنا غنية فقيرة ، فلم أدر ما أفعل ، فذكرت ما بيننا وبينك فجئتك ، والذي أريد منك جاهك وبذله لي حتى تخلص لي حقي وما أخذ مني ، وتبيع الباقي وتخلص لي ثمنه ، وتشتري لي ولابنتي به عقاراً نقتات من غلته . قال : فقلت : من أخذ منك الجوهر؟ قالت : فلان ، فأنفذت إليه فاستخليت به ، وقلت : هذه امرأة من داري وإنما أنفذت المتاع لأعرف قيمته ولئلا يراني الناس أبيع شيئاً بدون قيمته فلم تعرضتم لها؟ فقالوا : ما علمنا ذلك ، ورسمنا كما تعلم لا نبيع شيئاً إلا بمعرفة ، ولما طالبناها بذلك اضطربت فخشينا أن تكون لصة ، فقلت له : أريد الجوهر الساعة ، فجاء به ، فلما رأيته عرفته ، وكنت أنا اشتريته لأبي الحسن بخمسة آلاف دينار ، فأخذته منه وصرفته ، وأقامت المرأة في داري وتلطفت لها في بيع الجوهر بأوفى ثمن ، فخصها منه أكثر من خمسة آلاف دينار فابتعت لها بذلك ضياعاً ومسكناً فهي تعيش في ذلك وولدها إلى الآن . فنظرت فإذا الجوهر لما كان معها بلا صديق حجر ، بل كان سبباً لمكروه ، ولما وجدت صديقاً يعينها حصل لها منه هذا المال الحليل ، فالصديق أفضل من العقد . فقال ابن الفرات : أجدت يا أبا عبد الله .

ينسبون هذا الرجل إلى التغفيل ، وقد سمعتم ما قال ، فكيف يكون هذا مغفلاً!؟

ريطة الحمقاء

فمنهن التي نقضت غزلها ، قال مقاتل بن سليمان[١] : هي امرأة من قريش تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب ، كانت إذا غزلت نقضته ، قال ابن السائب[٢] : اسمها رايطة ، وقال أبو بكر بن الأنباري[٣] : أسمها ريطة بنت عمرو المرية ، ولقبها الجعرا ، وهي من أهل مكة ، وكانت معروفة عند المخاطبين ، فعرفوها بصنعتها ، ولم يكن لها نظير في فعلها وكانت متناهية الحمق ، تغزل الغزل من القطن ، أو الصوف ، فتحكمه ، ثم تأمر خادمها بنقضه ، قال بعضهم : كانت تغزل هي وجواريها ، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن .

دغة الحمقاء

ومنهن دغة بنت مغنج ، ومغنج هو ربيعة بن عجل ، واسم دغة ماوية ، ودغة لقب ، وكانت قد تزوجت صغيرة في بني العنبر فحبلت ، فلما جاءها المخاض ظنت أنها أحدثت ، فقالت لضرتها : يا هنتاه هل يفتح الجعر فاه؟ قالت : نعم ويدعوا أباه ، فمضت ضرتها فأخذت الولد ، فبنو العنبر تنسب إليها فسموا بنو الجعر لذلك . ورأت يافوخ ولدها يضطرب فشقته بسكين وأخرجت دماغه ، وقالت : أخرجت هذه المادة من دماغه ليسكن وجعه . وذكر عنها أنها كانت حسنة الثغر فولدت غلاماً ، وكان أبوه يقبله ويقول : وا بأب دردرك . فظنت أن الدردر أعجب إليه ، فحطمت أسنانها ، فلما قال : وا بأبي دردرك ، قالت : يا شيخ كلنا ذو دردر ، فقال : أعييتني بأشر فكيف بدردر والأشر التحزيز في أطراف أسنان الأحداث والدردر مغارز الأسنان فضرب المثل بحمق دغة .

---

(١) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى من أعلام المفسرين صاحب التفسير المسمى «تفسير مقاتل» . أصله من بلخ انتقل إلى البصرة ، ودخل بغداد فحدث بها ، لكن كان متروكا أي كان متروك الحديث .

(٢) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي ، يكنى ابن الكلبي ، مؤرخ ، وعالم أنساب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها .

(٣) ابن الأنباري (أبو بكر الأنباري) الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطة بن دعامة أبو بكر الأنباري . (٢٧١ هـ - ٣٢٨هـ) المقرئ النحوي .

ريطة بنت عامر الحمقاء

ومنهن ريطة بنت عامر بن نمير كانت تعلم رأس أولادها بالقزع لتعرف أولادها من أولاد غيرها .

الفزارية الحمقاء

ومنهن الممهورة إحدى خدمتيها . أنبأنا محمد بن عبد الملك قال : حدثنا ابن خلف قال : يقال هو أحمق من الممهورة إحدى خدمتيها وهي امرأة من فزارة .

حذنة الحمقاء

ومنهن حذنة وقد مضى الخلاف في هذا الإسم وذكرنا في أحد الأقوال إنه اسم امرأة كانت تمتخط بكوعها .

ابن الراوندي الفيلسوف الأحمق

وما رأيت من غير إبليس وزاد عليه في الجنون والتغفيل مثل أبي الحسين ابن الراوندي فإن له كتباً يزري فيها على الأنبياء عليهم السلام ويشتمهم ، ثم عمل كتاباً يرد فيه على القرآن ويبين أن فيه لحناً ، وقد علم أن هذا الكتاب العزيز قد عاداه خلق كثير ما فيهم من تعرض لذلك منه ولا قدر .

زعم أنه استدرك على الفصحاء

فاستدرك هو بزعمه على الفصحاء كلهم . ثم عمل كتاب الدامغ فأنا أستعصم أن أذكر بعض ما ذكر فيه من التعريض للرد على الخالق سبحانه ، وذكر إياه بأقبح ما يذكر به آدمي مثل أن يقول : منه الظلم ومنه الشر ، في عبارات أقبح من هذه قد ذكرت بعضها في التاريخ ، فالعجب ممن يعترض على الخالق بعد إثباته . فأما الجاحد فقد استراح ، أتراه خلق لهؤلاء عقولاً كاملة وفي صفاته هو نقص ، تعالى الله عن تغفيل هؤلاء .

إبليس عند فرعون

قد ضرب الحكماء له مثلاً فقالوا : أدخل إبليس على فرعون فقال : من أنت؟

قال : إبليس ، قال : ما جاء بك؟ قال : جئت أنظر إليك فأعجب من جنونك ، قال : وكيف؟ قال : أنا عاديت مخلوقاً مثلي ، وامتنعت من السجود له ، فطردت ولعنت ، وأنت تدعي أنك أنت الإله! هذا والله الجنون البارد .

تصرف إخوة يوسف تغفيل

ومن أعظم التغفيل ما جرى لإخوة يوسف في قولهم «أكله الذئب» ولم يشقوا قميصه ، وقصتهم مع يوسف في قوله إن الصاع يخبرني بكذا وكذا . ومن التغفيل ادعاء هاروت وماروت[1] الإستعصام عن الوقوع في الذنب ومقاومة الأقدار فلما نزلا من السماء على تلك النية نزلا .

تغفيل بني إسرائيل

ومن عجيب التغفيل قول بني إسرائيل لموسى وقد جاوز بهم البحر : «اجعل لنا إلهاً» ، وقول النصارى إن عيسى إله أو ابن إله ، ثم يقرون أن اليهود صلبوه ، فادعاؤهم الإلهية في بشر لم يكن فكان ولا يبقى إلا بأكل الطعام! والآله من قامت به الأشياء لا من قام بها ، فظنهم أنه ابن الإله والبنوة تقتضي البعضية والمثلية وكلاهما مستحيل على الإله ، وقولهم إنه قتل وصلب فيقرون عليه بالعجز عن الدفع عن نفسه وكل هذه الأشياء تغفيل قبيح .

تخطئة أبي بكر وعمر تغفيل

ومن أعجب التغفيل : أن الرافضة يعلمون إقرار علي على بيعة أبي بكر وعمر ، واستيلاده الحنفية من سبي أبي بكر ، وتزويجه أم كلثوم ابنته من عمر ، وكل ذلك دليل على رضاه ببيعتهما ثم فيهم من يكفرهما وفيهم من يسبهما ، يطلبون بذلك

(١) يقول ابن كثير : وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء ، وكان من أمرهما ما كان ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه الإمام أحمد في مسنده . وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة أن هذين سبق في علم الله لهما هذا ، فيكون تخصيصاً لهما ، فلا تعارض حينئذ ، كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق . مع أن شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف مما وقع من إبليس .

على زعمهم حب علي وموافقته وقد تركوها وراء ظهورهم .

ومثل هذا الجنس كثير إذ تتبعته رأيته ، وإنما أشرنا بهذه النبذة إليه ليفكر في جنسه ولم نر بسط القصص فيه ، لأن المقصود الأكبر في هذا الكتاب غير ذلك .

عن أحمد بن حنبل أنه قال : لو جاءني رجلٍ فقال : إني قد حلفت بالطلاق أن لا أكلم يومي هذا أحمق فكلم رافضياً أو نصرانياً لقلت : ما حنث . قال : فقال له الدينوري : أعزك الله تعالى لم صارا أحمقين؟ قال : لأنهما خالفا الصادقين عندهما ، أما الصادق الأول فإنه المسيح عليه السلام قال للنصارى «اعبدوا الله» وقال : «إني عبد الله» فقالوا : لا ليس هو بعبد بل هو إله . وأما علي رضي الله عنه ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بكر وعمر : «هذان سيدا كهول أهل الجنة» ثم سبهما هذا وتبرأ منهما هذا .

تغفيل عابد قديم

هذا ومن أعجب تغفيل القدماء ما روي عن جابر بن عبد الله[(١)] أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «تعبد رجل في صومعة ، فأمطرت السماء فأعشبت الأرض ، فرأى حماراً يرعى ، فقال : يا رب ، لو كان لك حماراً رعيته مع حماري ، فبلغ ذلك نبياً من أنبياء بني إسرائيل فأراد أن يدعو عليه فأوحى الله تعالى إليه إنما أجزي العباد على قدر عقولهم» .

ثلاث غفلات لجارية الأمين[(٢)]

ولما حوصر الأمين قال لجاريته : غني ، فغنت الطويل :

---

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي من بني سلمة ، صحابي جليل من الأنصار ، يكنى أبا عبد اللّه ، وقيل : أَبُو عبد الرحمن ، والأول أصح ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي ، وقد كان أصغر من شهد العقبة الثانية ، وقال بعضهم : شهد بدرًا ، وقيل : لم يشهدها ، وكذلك غزوة أحد . وكان من المكثرين في الحديث ، الحافظين للسنن .

(٢) الأمين محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس ، وهو سادس الخلفاء العباسيين ، تولى الخلافة بين عامي ١٩٣ إلى ١٩٨ للهجرة ٨٠٩ - ٨١٣ =

كليـــب لعمـــري كان أكثـر ناصــراً وأيســـر جرماً منك ضرج بالـــدم
فاشتد ذلك عليه ثم قال غني غير هذا . فغنت : البسيط :
شكـــت فراقهـــم عينـــي فأرقهـــا إن التفـــرق للأحبـــاب بكـــاء
فقال : لعنك الله أما تعرفين غير هذا؟ فغنت : البسيط :
مـــا اختلـــف الليـــل والنهـــار ومـــا دارت نجـــوم السمـــاء فـــي الفلك
إلا لنـــقل السلطـــان مـــن ملـــك قـــد غاب تحت الثرى إلى ملـــك
فقال : قومي ، فقامت فعثرت بقدح بلّور فكسرته ، فإذا قائل يقول : «قضي الأمر الذي فيه تستفتيان» .

ولما دخل المأمون على زبيدة ليعزيها في الأمين قالت : أرأيت أن تسليني في غدائك اليوم عندي؟ فتغدى وأخرجت إليه من جواري الأمين من تغنيه فغنت : الطويل :
هـــم قتلـــوه كـــي يكونـــوا مكانـــه كما فعلـــت يوماً بكسرى مرازبـــه
فوثب مغضباً ، فقالت له : يا أمير المؤمنين حرمني الله أجره إن كنت علمت أو دسست إليها ، فصدقها .

المعتصم[1] يتطير من قول شاعر

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره دخل الناس عليه ، فاستأذنه إسحاق بن

= ميلادية ، ودامت فترة حكمه خمس سنوات تقريبا وأهم ما ميز عهده هو النزاع الذي قام بينه وبين أخيه المأمون ، كان هذا النزاع استمرارا للصراع القائم بين العرب والعجم داخل الدولة العباسية ، وكان يمثل الحزب العربي الأمين ووزيره الفضل بن الربيع ، أما الحزب الفارسي فكان يتمثل بالمأمون ووزيره الفضل بن سهل .

(١) أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ثامن الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٧٩ هجرية وتوفي بمدينة سامراء في ١٨ من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هجرية (٤ من فبراير سنة ٨٤٢ ميلادية) ، وكان في عهد أخيه المأمون واليا على الشام ومصر وكان المأمون يميل اليه لشجاعته فولاه عهده ، وفي اليوم الذي توفي فيه المأمون بطرسوس بويع أبو اسحاق محمد بالخلافة ولقب بالمعتصم بالله .

إبراهيم[٢] أن ينشده شعراً في صفته وصفة المجلس أوله : الكامل :

يا دار غيــــرك البلــــى ومحــاك   يا ليــت شعــري ما الـذي أبلاك

فتطير المعتصم وعجب الناس من إسحاق كيف فعل هذا مع فهمه ، فقاموا وخرب القصر وما اجتمع فيه بعد ذلك اثنان .

وأنشد الصاحب بن عباد[١] عضد الدولة مديحاً له من قصيدة يقول فيها : الطويل :

ضممــت على أبناء تغلــب تاءهــا   فتغلــب مــا كر الجديدان تغلـب

فتطير عضد الدولة من قول تغلب وقال : نعوذ بالله ، فتيقظ الصاحب لقوله وتغير لونه .

وقال إسحاق المهلبي : دخلت على الواثق فقال : غنني صوتاً عربياً ، فقلت : السريع :

يا دار إن كان البلى محاك   فإنـــه يعجبنـــي أراك

قال فتبينت الكراهية في وجهه وندمت .

الشاعر العجلي يوجأ في عنقه لغفلته

ودخــل أبو النجــم العجلــي[٣] علــى هشام بن عبد الملــك[٤] فأنشده

---

(٢) إسحاق الموصلي هو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان (أو ميمون) بن بهمن الموصلي التّميمي بالولاء ، الأرجانيّ الأصل المعروف بابن النّديم الموصلي نادم الرّشيد والمأمون والمُعتصم والواثق ولد عام ٧٦٧ م في مدينة الري .

(١) أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني ، الطالقاني ، الاصفهاني ، المعروف بالصاحب بن عباد و«كافي الكفاة» ، كان من كبار علماء وأدباء الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، مشارك في مختلف العلوم كالحكمة والطب والمنطق ، وكان محدثاً ثقة ، شاعراً مبدعا ، وأحد أعيان العصر البويهي . كان وزيراً ، ومن نوادر الوزراء الذين غلب عليهم العلم والأدب .

(٣) الفضل بن قدامة العجلي ، أبو النجم ، من بني بكر بن وائل . من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر . نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام .

(٤) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء . ولد في دمشق .

أبياتاً حتى بلغ فيها ذكر الشمس فقال : «وهي على الأفق كعين الأحول» ، فأمر أن يوجأ في عنقه وأخرج .

أرطاة يخطئ خطأً غير مقصود

ودخل أرطأة[١] على عبد الملك بن مروان وكان شيخاً كبيراً فاستنشده ما قاله في طول عمره فأنشده : الوافر :

رأيـت المـرء تأكلـه الليالـي كأكـل الأرض ساقطـة الحديـد
وما تبغـي المنيـة حـين تأتـي علـى نفس ابن آدم من مزيـد
فاعلـم أنهـا ستكـر حتـى توفـي نذرهـا بأبـي الوليـد

فارتاع عبد الملك وظن أنه عناه وعلم أرطأة أنه زل فقال : يا أمير المؤمنين إني أكنى بأبي الوليد ، وصدقه الحاضرون .

ذو الرمة عند عبد الملك

ودخل ذو الرمة[٢] على عبد الملك فأنشده :

ما بال عينيك منها الدمع ينسكـب كأنـه مـن كلى مفرية سـرب

واتفق أن عيني عبد الملك كانت تسيلان ، فظن أنه عرض به فغضب ، وقطع إنشاده وأخرجه . ودخل شاعر على طاهر بن عبد الله فأنشده :

شـب بالإبـل مـن عزيـزة نـار أوقدتهـا وأيـن منـك المـزار

وكان اسم والدة طاهر عزيزة فتغامز الحاضرون وأعلموه بهفوته فأمسك .

غفلة شاعر في حضرة عقبة بن مسلم

ودخل رجل على عقبة بن مسلم الأزدي فأنشده :

يـا ابنـة الأزدي قلبـي كئيـبٌ مستهـامٌ عندكـم ما يـؤوب

(١) شاعر من فرسان الجاهلية ، معمر عاش قريباً من نصف عمره في الإسلام وأدرك خلافة عبد الملك بن مروان ودخل عليه وعمره ١٣٠ سنة ، وأنشده من شعره ، وعمي قبل وفاته .

(٢) ذُو الرُمَّة هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي ، كنيته أبو الحارث وذو الرّمّة . شاعر عربي من الرباب من تميم ، من شعراء العصر الأموي .

ولقـــد لامـــوا فقلـــــت دعونـــــي   إنـــي مـــن تلحـــون فيـــه حبيب
فتغير وجه عقبة ، فنظر الشاعر فقطع .

أسرجوا العلوي

ودخل الرئيس أبو علي العلوي يوماً على بعض الرؤساء ، فتحادثا فجاء غلام لذلك الرجل فقال : يا سيدي أي الخيل نسرج اليوم؟ فقال : أسرجوا العلوي . فقال له أبو علي : أحسن اللفظ يا سيدي ، فاستحيا وقال : هفوة .

المشاكلة اللفظية تسبب الأزمات

واجتاز المرتضى أبو القاسم(١) نقيب العلويين ، يوم جمعة على باب جامع المنصور عند المكان الذي يباع فيه الغنم ، فسمع المنادي يقول : نبيع هذا التيس العلوي بدينار ، فظن أنه قصده بذلك فعاد متألماً من المنادي فكشف عن الحال ، فوجد أن التيس إن كان في رقبته حلمتان سمي علوياً نسبة لشعرتي العلوي المسبلتين على رقبته . ونحو هذا ما جرى لأبي الفرج العلوي ، فإنه كان أعرج أحول ، فسمع منادياً ينادي على تيس : كم عليكم في هذا العلوي الأعرج الأحول؟ فلم يشك أنه عناه ، فراغ عليه ضرباً إلى أن تبين أن التيس أحول أعرج فضحك الحاضرون مما اتفق .

أراد أن يمدحه فذمه

وقال أبو الحسن الصابي(٢) : دخل بعض أصدقائنا إلى رجل قد ابتاع داراً في جواره ، فسلم عليه وأظهر الأنس بقربه وقال : هذه الدار كانت لصديقنا وأخينا ، إلا أنك بحمد الله أوفى منة وكرماً وأوسع نفساً وصدراً ، والحمد لله الذي بدلنا به من هو خيرٌ منه وأنشد : بدل بالبازي غرابٌ أبقع . فضحك منه الرجل حتى استلقى وخجل ، وصارت نادرة يولع الرجل بها .

---

(١) الشريف المرتضى (٣٥٥ هـ - ٤٣٦ هـ / ٩٦٦ - ١٠٤٤ م) الملقب ذي المجدين علم الهدي ، عالم إمامي من أهل القرن الرابع الهجري .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الحراني الصابي (٣١٣-٣٨٤هـ) . نشأ في بغداد على دين الصابئة الحرانيين ، يحفظ القرآن ويصرف آياته في رسائله وقد كانت بينه وبين الصاحب بن عباد والشريف الرضي مودة أكيدة ومراسلات كثيرة .

الإصرار على الغلط

عن عبد الله بن عمر بن أبان أن مشكدانة[1] قرأ عليه في التفسير «ويعوق وبشراً» فقيل له ونسراً ، فقال : هي منقوطة بثلاثة من فوق ، فقيل له النقط غلط ، قال : فارجع إلى الأصل . وعن محمد بن أبي الفضل قال : قرأ علينا عبد الله بن عمر بن أبان ويعوق وبشراً فقال له رجل إنما هو ونسراً ، فقال : هو ذا فوقها نقط مثل رأسك . وقال أبو العباس بن عمار الكاتب[2] : انصرفت من مجلس مشكدانة فمررت بمحمد بن عباد بن موسى فقال : من أين أقبلت؟ فقلت : من عند مشكدانة ، فقال : ذاك الذي يصحف على جبرائيل . يريد قراءته ويعوق وبشراً وكانت حكيت عنه . حدثنا إسماعيل بن محمد قال : سمعت عثمان بن أبي شيبة يقرأ «فإن لم يصبها وابل فظل» . قال : وقرأ «من الخوارج مكلبين» . وعن محمد بن جرير الطبري قال : قرأ علينا محمد بن جميل الرازي «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يجرحوك» . قال الدارقطني : وحدثني أنه سمع أبا بكر الباغندي أملى عليهم في حديث ذكره «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوياً» بضم الهاء وياء .

تشنيعات على ابن أبي شيبة

قال ابن كامل : وحدثنا أبو شيخ الأصبهاني محمد بن الحسين قال : قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير وإذا بطشتم بطشتم خبازين يريد قوله «جبارين»

---

(١) المحدث الإمام الثقة ، أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح بن عمير القرشي الأموي ، مولى عثمان رضي الله عنه .

(٢) أحمد بن عمار بن أبي العباس الإمام أبو العباس المهدوي نسبه إلى المهدية بالمغرب أستاذ مشهور ، رحل وقرأ على محمد بن سفيان وعلى جده لأمه مهدي بن إبراهيم وأبي الحسن أحمد بن محمد القنطري بمكة وذكر الحافظ أبو عبد الله الذهبي أنه قرأ على أبي بكر أحمد بن محمد البراثي ، وألف التواليف منها التفسير المشهور والهداية في القراءات السبع . ذكره الشاطبي في باب الاستعاذة ، وقرأ عليه غانم بن الوليد وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الطرفي وموسى بن سليمان اللخمي ويحيى بن إبراهيم البياز ومحمد بن إبراهيم بن إلياس ومحمد بن عيسى بن فرج المغامي . توفي في ٤٣٠ هـ .

وعن محمد بن عبد الله المنادي يقول : كنا في دهليز عثمان بن أبي شيبة[١] فخرج إلينا وقال ن والقلم في أي سورة هو؟ . وعن إبراهيم بن دومة الأصبهاني أنه يقول : أملى علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير قال : خذوا سورة المدبر قالها بالباء . قال الدارقطني : قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير «فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رجل أخيه» فقيل له : «السقاية في رحل أخيه» فقال : أنا وأخي أبو بكر لا نقرأ لعاصم . وقال القاضي المقدمي :

قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة جعل السقاية في رجل أخيه فقيل له «في رحل أخيه» فقال : تحت الجيم واحدة . وعن محمد بن عبد الله الحضرمي إنه قال : قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة فضرب بينهم سنور له ناب فقيل له إنما هو «بسور له باب» فقال : أنا لا أقرأ قراءة حمزة ، قراءة حمزة عندنا بدعة .

استمر على تصحيفه أربعين سنة

قال : حدثني أبو الحسين أحمد بن يحيى قال : مررت بشيخ في حجره مصحف وهو يقر : ولله ميزاب السموات والأرض فقلت : يا شيخ ما معنى ولله ميزاب السموات والأرض؟ قال : هذا المطر الذي نراه ، فقلت : ما يكون التصحيف إلا إذا كان بتفسير ، يا هذا إنما هو «ميراث السموات والأرض» فقال : اللهم اغفر لي ، أنا منذ أربعين سنة أقرؤها وهي في مصحفي هكذا .

ادعى الاشتغال بالقرآن وهو الجاهل به

قال : حدثني أبو فزارة الأسدي قال : قلت لسعيد بن هشيم : لو حفظت عن أبيك عشرة أحاديث سدت الناس ، وقيل هذا ابن هشيم فجاءوك فسمعوا منك ، قال : شغلني عن ذلك القرآن ، فلما كان يوم آخر قال لي : جبير كان نبياً أم صديقاً؟ قال : قلت : من جبير؟ قال : قوله عز وجل : واسأل به جبيراً . قال : قلت له : يا غافل ، زعمت أن القرآن أشغلك .

(١) هو الإمام الحافظ الكبير المفسر ، أبو الحسن ، عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُواستَى العبسي مولاهم الكوفي ، صاحب التصانيف ، وأخو الحافظ أبي بكر .

يخلط بين الشعر والقرآن الكريم

وعن أبي عبيدة قال : كنا نجلس إلى أبي عمرو بن العلاء[١] فنخوض في فنون من العلم ورجل يجلس إلينا لا يتكلم حتى نقوم ، فقلنا : إما أن يكون مجنوناً أو أعلم الناس! فقال يونس : أو خائف ، سأظهر لكم أمره . فقال له : كيف علمك بكتاب الله تعالى؟ قال : عالم به ، قال : ففي أي سورة هذه الآية :

الحمـد اللـه لا شريـك له   من لم يقلها فنفسه ظلمـا

فأطرق ساعة ثم قال : في حم الدخان .

وعن أبي عبـد الله بن عـرفـة[٢] ، أنه قـال : اصطحب ناس فكانوا يتـذاكـرون الآداب والأخبار وسائر العلوم ، وكان معهم شاب لا يخوض فيما يخوضون فيه سوى أنه كان يقول : رحم الله أبي ماكان يعدل بالقرآن وعلمه شيئاً ، فكانوا يرون أنه أعلم الناس بالقرآن ، فسأله بعضهم في أي سورة : الطويل :

وفينـا رسـول اللـه يتلـو كتابـه   كما لاح مبيض من الصبح ساطع

يبيـت يجافي جنبـه عـن فراشه   إذا استثقلت بالكافرين المضاجـع

فقال : سبحان الله من لم يعرف هذا؟ هذا في «حم عسق» ، فقالوا : ما قصر أبوك في أدبك ، فقال لهم : أفكان يتغافل عني كتغافل آبائكم عنكم؟ .

قاضٍ أغفل من الخصمين

ونبأنا في هذا المعنى أن رجلاً قدم ابناً له إلى القاضي فقال : أصلح الله القاضي ، إن هذا ابني يشرب الخمر ولا يصلي ، فقال له القاضي : ما تقول يا غلام فيما حكاه أبوك عنك؟ قال : يقول غير الصحيح إني أصلي ولا أشر الخمر ، فقال

---

(١) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين المازني التميمي البصري ، أحد القراء السبعة . قال ابن خلكان : «كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب .» سمع من أنس بن مالك وقرأ بمكة والمدينة بالكوفة بالبصرة . وأخذ اللغة والنحو من نصر بن عاصم الليثي كما سمع من يحيى بن يعمر ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وابن شهاب وغيرهم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ، ولد سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م وتوفي سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م . فقيه مالكي وإمام جامع الزيتونة وخطيبه ، في العهد الحفصي .

أبوه : أصلح الله القاضي أتكون صلاة بلا قراءة؟ فقال القاضي : يا غلام تقرأ شيئاً من القرآن؟ قال : نعم وأجيد القراءة ، قال : اقرأ ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم :

علــق القالــــب ربابـــــا　　بعدمـــا شابـــت وشابـــا

إن ديـــن اللــــــه حــــدق　　لا أرى فيـــــه ارتيابـــــا

فقال أبوه : والله أيها القاضي ما تعلم هاتين الآيتين إلا البارحة ، لأنه سرق مصحفاً من بعض جيراننا . فقال القاضي : قبحكم الله ، أحدكما يقرأ كتاب الله ولا يعمل به .

الشافعي(١) يتحدث عن غافل

وعن المزن(٢) أنه قال : سمعت الشافعي يقول : قرأ رجل فما لكم في المنافقين قيس قيل : فما قيس؟ قال : يقتاسون به .

ينسب إلى القرآن ما ليس منه

قال : حدثني أبو بكر محمد بن جعفر السواق قال : كان علي وعد أنفذه لابن عبدان الصيرفي ، فأخرته لضرورة ، فجاءني يقتضيني وقال لي ، في عرض الخطاب : أقول لك يا أبا بكر كما قال الله تعالى وشديد عادة منتزعة فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله ما قال من هذا شيئاً . فاستحيا وقام ، فما عاد لي أياماً ، فلما حضرت الدراهم أنفذتها إليه .

غفلة الابن والأب

وعن يحيى بن أكثم(٣) قال : قدم رجل ابنه إلى بعض القضاة ليحجر عليه فقال

(١) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلِبيّ القرشيّ هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي ، ومؤسس علم أصول الفقه ، وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث ، وقد عمل قاضياً فعُرف بالعدل والذكاء .

(٢) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق بن مسلم بن نهدلة بن عبد الله المصري . قال المصنف في الطبقات : كان المزني زاهدا عالما مجتهدا مناظرا محجاجا غواصا على المعاني الدقيقة .

(٣) يحيى بن أكثم بن مُحمّد التميمي ، عالِم وإمام وفقيه وراوٍ للحديث النبوي وقاضي قضاة أهل البصرة ويُعّد من تبع التابعين .

فيم؟ قال للقاضي : أصلحك الله ، إن كان يحسن آيتين من كتاب الله فلا تحجر عليه ، فقال له القاضي : اقرأ يا فتى ، فقال :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال أبوه : أصلحك الله إنه قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه . فحجر القاضي عليهما . وعن أبي عبد الله الشطيري قال : كان إبراهيم يقرأ على الأعمش[1] فقال : «قال لمن حوله ألا تستمعون» فقال الأعمش : لمن حوله . فقال : ألست أخبرتني إن من تجر ما بعدها؟ .

تصحيفات حماد

قال : حدثني الدراقطني[2] قال : ذكر أبو بكر عن حماد أن قرأ والغاديات صبحا بالغين المعجمة والصاد المهملة فأخبروا بذلك عقبة فامتحنه بالقراءة في المصحف فصحف في آيات عدة فقرأ ومما يغرسون وعدها أباه أصبت من أساء ، فبادوا ولات حين ، لا يسع الجاهلين ، فأنا أول العائدين . كل خباز .

قال : حدثني الدارقطني قال : حدثنا علي بن موسى[3] قال : قرأ أبو أحمد العراقي على عبد الله بن أحمد بن حنبل[4] «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل

(١) أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد ، المعروف بالأعمش من علماء الكوفة المشهورين . ولد الأعمش في الكوفة وأصله من بلاد الري ، لحق بأنس بن مالك وكلمه ، لكنه لم يرو عنه شيء . كان عالما بالقرآن ، والحديث ، والفرائض حيث روى نحو حديث .

(٢) هو الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي ويلقب بـ الدارقطني ولد بدار القطن ، بغداد المقرئ ، المحدث ، اللغوي ، الأديب صاحب المؤلفات المتقنة في علوم القرآن والحديث .

(٣) أبو الحسن علي بن موسى الرضا (وُلد في المدينة المنورة في ١١ ذي القعدة ١٤٨ هـ وتُوفِّي في طوس في صفر ٢٠٣ هـ) هو ثامن الأئمة الاثنا عشر . لقب بغريب الغرباء كونه دفن في بلاد فارس بعيدًا عن أرض أبائه العرب .

(٤) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي ، حافظ للحديث ، من أهل بغداد ، والده هو الإمام أحمد بن حنبل ، وأمه اسمها ريحانة ، تزوجها الإمام أحمد بعد وفاة زوجته الأولى عباسة أم ابنه صالح بن أحمد بن حنبل ، وأنجبت له ريحانة ابنه عبد الله هذا .

الصالح يرفعه» بكسر العين فقال له إنما هو «يرفعه» قال : هكذا الوقف عليه . قال الدارقطني : حدثنا النقاش قال : كنت بطبرية الشام أكتب على شيخ فيها عنده جزء فيه عن أبي عمرو الدوري وكان فيه أن يحيى بن معمر قرأ إن لك في النهار شيخاً طويلاً فقرأ على الشيخ وعلى من كان يسمع معه شيخاً بالشين المعجمة وبالخاء والياء .

نصيحة جار لجاره

كان رجل كثير المخاصمة لامرأته ، وله جار يعاتبه على ذلك ، فلما كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربها ، فاطلع عليه جاره ، فقال : يا هذا ، اعمل معها كما قال الله تعالى : إما إمساك إيش اسمه أو تسريح ما أدري إيش .

صاحب الظالم

وجه فزارة صاحب مظالم البصرة رجلاً يوماً في حاجة فقضاها ورجع إليه ، فقال فزارة أنت كما قال الله تعالى :

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيماً ولا توصه

يتبرأ من ابنه لجهله

قال رجل لابنه وهو في المكتب : في أي سورة أنت؟ قال : في أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد فقال أبوه : لعمري من كنت ابنه فهو بلا ولد .

وقال المأمون(١) لبعض كتابه : ويلك ما تحسن تقرأ؟ قال : بلى والله ، إني لأقرأ من سورة واحدة ألف آية

وقال ابن الرومي(٢) : خرج رجل إلى قرية فأضافه خطيبها فأقام عنده أياماً ،

(١) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ، ولد عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ وتوفي غازيا في ١٩ رجب عام ٢١٨ هـ ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣ بطرسوس ، شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول وذلك لأنه شارك فيها بنفسه .

(٢) هو أبوالحسن علي بن العباس بن جريج ،وقيل جورجيس ، المعروف بابن الرومي شاعر من شعراء القرن الثالث الهجري في العصر العباسي .

فقال له الخطي : أنا منذ مدة أصلي بهؤلاء القوم وقد أشكل علي في القرآن بعض مواضع ، قال : سلني عنها ، قال : منها في «الحمد لله» ، «إياك نعبد وإياك» أي شيء تسعين أو سبعين؟ أشكلت علي هذه فأنا أقولها تسعين ، آخذ بالاحتياط .

تصحيف في أسماء الأعلام

قال أبو بكر بن أبي أويس : بينا عبيد الله بن زياد[٢] يحدث انتهى إلى حديث شهر بن حوشب[٢] فقال : حدثني شهر بن خوشب ، فقلت : من هذا؟ فقال : رجل من أهل خراسان ، اسمه من أسماء العجم ، فقلت : لعلك تريد شهر بن حوشب . فعلمنا أنه يأخذ من الكتب .

وعن عوام بن إسماعيل قال : جاء حبيب كاتب مالك يقرأ على سفيان بن عيينة[٣] ، فقال : حدثكم المسعودي عن جراب التيمي ، فقال سفيان : ليس هو جراب إنما هو خوات . وقرأ عليه : حدثكم أيوب عن ابن شيرين . فقال : ليس كذلك إنما هو سيرين . وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه يقول حكاية عن بعض شيوخه قال : قال رجل لهشيم : يا أبا معاوية أخبركم أبو حرة عن الحسن . فقال هشيم : أخبرنا أبو حرة عن الحسن ووصف شيخنا ضحك هشيم هه هه . وعن محمد بن يونس الكندي أنه قال : حضرت مجلس مؤمل بن إسماعيل فقرأ عليه رجل من أهل المجلس : حدثكم سبعة وسبعين ، فضحك المؤمل وقال للفتى : من أين؟ فقال : من مصر . حدثنا إسحاق قال : كنا عند جرير ، فأتاه رجل وقال : يا أبا عبد الله تقرأ علي هذا الحديث ، فقال : وما هو؟ قال : حدثنا خربز عن رقبة ، قال : ويحك أنا جرير .

---

(١) عبيد الله بن زياد بن أبيه ـ ويلقب بأبي حفص ـ هو والي العراق ليزيد بن معاوية . ولي البصرة سنة ٥٥ هـ ، كما ولي خراسان . هو الذي أمر بقتل الإمام الحسين بن علي . قتله إبراهيم بن الأشتر النخعي سنة ٦٧ هـ .

(٢) شهر بن حوشب أبو سعيد الأشعري الشامي مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية كان من كبار علماء التابعين حدث عن مولاته أسماء وعن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وغيرهم .

(٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي إمام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع . وقد ولد في الكوفة سنة ١٠٧ هـ وتوفي ١٩٨ هـ . أجمع الناس على صحة حديثه وروايته .

تصحيف أدى إلى جريمة

حدثنا محمد بن سعيد قال : سمعت الفضل بن يوسف الجعفي يقول : سمعت رجلاً يقول لأبي نعيم : حدثتك أمك ، يريد حدثك أمي الصيرفي . قال أبو نعيم : كتب عبد الملك إلى أبي بكر بن حزم أن احص من قبلك من المخنثين ، فصحف الكاتب فقرأ بالخاء فخصاهم . فقال بعض المخنثين : اليوم استحققنا هذا الاسم .

حدثنا يحيى بن بكير قال : جاء رجل إلى البشير بن سعد فقال : كيف حدثك نافع عن النبي ﷺ : في الذي نشرت في أبيه القصة فقال الليث : ويحك إنما هو في الذي يشرب في آنية الفضة .

تصحيف في السند

قال الدارقطني : وحدثني محمد بن يحيى الصولي[1] قال : حدثنا أبو العيناء[2] قال : حضرت مجلس بعض المحدثين المغفلين فأسند حديثاً عن النبي ﷺ عن جبرائيل عن الله عن رجل ، فقلت : من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله؟ فإذا هو قد صحفه ، وإذ هو عز وجل . وقد نبأنا بهذه الحكاية أبو عبد الله الحسين بن محمد البارع قال : سمعت القاضي أبا بكر بن أحمد بن كامل يقول : حضرت بعض المشايخ المغفلين فقال : عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عن وجل . فقلت : من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله ، فإذا هو عز وجل وقد صحفه .

ضحى بهرة

قال : حدثنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق الخلال قال : قال إبراهيم الحربي : قدم

---

(١) أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله ، نسبته إلى جده «صول تكين» ، الذي كان وأهله ملوكا بجرجان ، كان أحد العلماء بفنون الأدب ، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء . توفي في البصرة سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م .

(٢) العلامة ، الأخباري أبو العيناء ، محمد بن القاسم بن خلاد البصري ، الضرير النديم . ولد بالأهواز ، ونشأ بالبصرة .

علينا محمد بن عباد المهلبي[١] فذهبنا إليه فسمعنا منه ولم يكن بصيراً بالحديث ، حدثنا بحديث فقال : إن النبي ﷺ ضحى بهرة وغلط ، إنها التصقت الباب بالقاف .

لحق التصحيف باسمه

قال : سمعت محمد بن حمدان يقول : سمعت صالحاً يعني جزرة يقول : قدم علينا بعض الشيوخ من الشام وكان عنده كراس فيه عن جرير ، فقرأت عليه : حدثكم جرير عن ابن عثمان أنه كان لأبي أسامة خرزة يرقي بها المريض ، فصحفت أنا الخرزة ، فقلت : كان لأبي أسامة جزرة ، قال الخطيب : وبهذا سمي صالح جزرة .

شرف لا تستحقونه

قال : حدثنا أبو الحسن الدارقطني أن أبا موسى محمد بن المثنى قال لهم يوماً : نحن قوم لنا شرف ، نحن من عنزة ، وقد صلى النبي ﷺ إلينا ، لما روي أن رسول الله ﷺ صلى إلى عنزة ، توهم أنه صلى إليهم وإنما العنزة التي صلى إليها النبي ﷺ هي حربة كانت تحمل بين يديه فتنصب فيصلي إليها .

تعزية غير موفقة

وعن عبد الله بن أبي بكر السهمي قال : دخل أبي على عيسى بن جعفر بن المنصور وهو أمير البصرة ، فعزاه عن طفل مات له ، ودخل عليه شبيب بن شيبة فقال : أبشر أيها الأمير فإن الطفل لا يزال محبنظئاً على باب الجنة ويقول : لا أدخل حتى يدخل والدي ، فقال له : يا أبا معمر ، دع الظاء والزم الطاء ، فقال له : أنت تقول لي هذا وما بين لابتيها أفصح مني! فقال له أبي : فهذا خطأ ثان ، من أين للبصرة لابة!؟ واللابة الحجارة السود والبصرة حجارة بيض قال : فكان كلماً انتعش انتكس .

(١) المهلبي السيد الجواد حاتم زمانه أمير البصرة محمد ابن محدث البصرة عباد بن عباد بن حبيب ابن الأمير المهلب بن أبي صفرة الأزدي المهلبي روى عن أبيه وهشيم وعنه الكديمي وأبو العيناء وإبراهيم الحربي .

تصحيف في الأسماء

وعن أبي حاتم الرازي[١] أنه قال : كان عمر بن محمد بن الحسين يصحف فيقول : معاد بن حبل ، حجاج بن قراقصة ، وعلقمة بن مريد فقلت له : أبوك لم يسلمك إلى الكتاب؟ فقال : كانت لنا صبية شغلتنا عن الحديث .

المناظرة تكشف الجهال

قال الدارقطني : وأخبرني يعقوب بن موسى قال : قال أبو زرعة[٢] : كان بشر بن يحيى بن حسان من أصحاب الرازي وكان يناظر فاحتجوا عليه بطاووس فقال : يحتجون علينا بالطيور . قال أبو زرعة : وبلغني أنه ناظر إسحاق في القرعة فاحتج عليه إسحاق بالأحاديث الصحيحة فأفحمه ، فانصرف ، ففتش كتبه فوجد في حديث النبي ﷺ القزع فصحف بالراء فانصرف وقال لأصحابه : قد وجدت حديثاً أكسر به ظهره ، فأتى إسحاق فأخبره فقال : إنما هو القزع .

تصحيف يجعل الحلال حراماً

وسأل حماد بن يزيد غلامٌ فقال : يا أبا إسماعيل حدثك عمر أن النبي ﷺ نهى عن الخبز ، قال : فتبسم حماد وقال : يا بني إذا نهى عن الخبز فمن أي شيء يعيش الناس؟ وإنما هو نهى عن الخمر .

---

(١) هو أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورسامي أو أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورسامي الليثي فيلسوف و متكلم إسماعيلي ، توفي سنة ٣٢٢هـ وإليه يُنسب «كتاب الزينة» وكتاب آخر بعنوان «الجامع» فيه فقه وغير ذلك .

(٢) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ . كنيته أبو زرعة وقد اشتهر بهذه الكنية . يقال له الرازي نسبة إلى الري بزيادة زاي وهي بلده ويقال له القرشي المخزومي نسبة إلى قبيلة .

الضبي يكفيه كفن واحد

وعن يحيى بن معين[١] قال : قدم داود بن أبي هند[٢] عليهم الكوفة فقام مستملي أهل الكوفة فقال : كيف حديث سعيد يكفن الضبي في ثوب واحد؟ يريد يكفن الصبي في ثوب واحد .

اللحن خير من المسخ

وعن الحسن بن البراء قال : كان لعمر بن عون[٣] وراق يلحن فأخره وتقدم إلى وراق أديب أن يقرأ عليه ، فقرأ : حدثكم هسيم ، فقال : ردونا إلى الأول فإنه يلحن وهذا يمسخ .

وجاء رجل إلى الليث بن سعد[٤] فقال : كيف حدثك نافع عن النبي ﷺ في الذي نشرت في أبيه القصة؟ قال : حدث أبو حفص بن شاهين عن النبي ﷺ أنه قال : يوشك أن الضعينة بلا خفير فصحفت ، فقال : بلا خفين .

الكتاب يصحح للقاضي

كان حيان بن بشر قد تولى قضاء بغداد وأصبهان وكان من جملة رواة الحديث فروى يوماً : أن عرفجة قطع أنفه يوم الكلام ، وكان مستمليه رجلاً من أهل كجة فقال : أيها القاضي إنما هو الكلاب ، فأمر بحبسه فدخل الناس إليه فقالوا : ما دهاك؟ فقال : قطع أنف عرفجة في الجاهلية وابتليت أنا به في الإسلام .

---

(١) يحيى بن معين هو الإمام الحافظ ، إمام الجرح والتعديل ، شيخ المحدثين أحد كبار علماء الحديث النبوي عند أهل السنة والجماعة .

(٢) دينار بن عذافر ، الإمام الحافظ ، الثقة أبو محمد الخراساني ثم البصري ، من موالي بني قشير فيما قيل . ويقال : كنيته أبو بكر . حدث عن سعيد بن المسيب ، وأبي عثمان النهدي ، وعامر الشعبي .

(٣) عمرو بن عون ابن أوس بن الجعد ، الحافظ المجود الإمام أبو عثمان السلمي الواسطي البزاز .

(٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن بن عقبة الفهمي أبو الحارث الإمام الفقيه الحافظ الحجة ، شيخ الإسلام في مصر ، ولد في قرية قلقشندة من أعمال محافظة القليوبية بدلتا مصر سنة ٩٤ هـ .

تصحيف منكر

وعن عبد الله بن ثعلبة[١] قال : كان رسول الله ﷺ يمسح وجهه من القيح . قال عبد الله : أخطأ فيه وصحف يعني المخزومي إنما هو الفيح .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : لعن رسول الله ﷺ الذي يشققون الخطب تشقيق الشعر ، قال أبو نعيم شهدت وكيعاً مرة يقول : يشققون الحطب ، فقلت : بالحاء؟ قال : نعم . عن عامر بن صعب قال : اعتكفت عائشة عن أختها بعدما ماتت ، كذا قال : وإنما هو اعتقت .

حديث معناه يدل على ضعفه

قال : حدثنا الشافعي قال : قيل لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ قال : إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً وصلت خلف المقام ركعتين؟ قال : نعم .

طالب ذو عفة

قال : حدثنا إسحاق بن وهب قال : كنا عند يزيد بن هارون[٢] وكان له مستمل يقال له : بريح . فسأله رجل عن حديث ، فقال يزيد : حدثنا به عدة ، فصاح به المستملي : يا أبا خالد عدة ابن من؟ قال : عدة بن فقدتك .

عم الرجل صنو أبيه

قال : حدثني الفضل بن أبي طاهر قال : صحف رجل في قول النبي ﷺ عم الرجل صنو أبيه فقال : عم الرجل ضيق آنية .

---

(١) ابن صعير الشيخ أبو محمد العذري المدني ، حليف بني زهرة «حدث عن : أبيه ، وعمر بن الخطاب ، وجابر . وليس هو بالمكثر . وكان شاعرا ، فصيحا ، نسابة» .

(٢) يزيد بن هارون (١١٨ - ٢٠٦هـ = ٧٣٦- ٨٢١م) . هو يزيد بن هارون بن زاذان ، أبو خالد الواسطي . الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، الحافظ ، وهو من التابعين .

وارث بثينة

وعن زكريا بن مهران قال : صحف رجل لا يورث حميل إلا ببينة الحميل اللقيط فقال : بثينة .

قال : حضرت أحمد بن يحيى بن زهير ورجل من أصحاب الحديث يقول له : كيف الزبير بن خريت؟ فقال له ابن زهير : لا خريت ولا كنت ، إنما هو خربت ، والخربت الدليل الحاذق .

الأجرة صارت أجرة

قال العسكري[1] : روى شيخ مغفل أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجاج آجرة بضم الجيم وتشديد الراء .

تصحيف في شعر

قال العسكري : وأنبأ أبو بكر بن الأنباري قال : حدثنا أبي قال : قرأ القطربلي[2] على ثعلب بيت الأعشى :

فلو كنت في حب ثمانين قامةً ورقيت أسباب السماء بسلم

قال له أبو العباس : خرب بيتك هل رأيت حباً ثمانين قامة قط؟ إنما هو جب .

صحف الحديث وفسر التصحيف

قال حجاج : جاء رجل إلى عبد القدوس بن حبيب[3] فقال له : أعد علي

(١) أبو هلال العسكريّ . الحَسَن بْن عَبْد الله بْن سهل بْن سَعِيد بْن يحيى بْن مِهْران العسكري اللُّغَويّ ، الأديب ، والشاعر .

(٢) أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي القرطبلي عالم عربي مسلم يكنى باسم الخوارزمي وأبو جعفر .

(٣) هو عبد القدوس بن حبيب أبو سعيد الكلاعي الوحاظي الشامي ذكره البخاري في التاريخ الكبير فقال : ((عبد القدوس بن حبيب عن أبي عبد الله الشرعبي قاله بن وهب عن حيوة قال إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا عبد القدوس بن حبيب الكلاعي عن عكرمة عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ بحديث منكر وروى إبراهيم بن طهمان عن عبد القدوس بن حبيب =

الحديث الذي حدثت به ، فقال : لا تتخذوا شيئاً فيه الروح عرضاً بالعين المهملة والراء المفتوحة ، فقال له الرجل : ما معنى هذا؟ فقال : هو الرجل يخرج من داره القسطرون ، يعني الروشن والكنيف . قلت : وهذا صحف الحديث وفسره على التصحيف ، وإنما الحديث لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً بالغين المعجمة .

المرء حيث يهوى قلبه

حدثنا سعيد بن عمر قال : قال أبو زرعة : أظن القاسم بن أبي شيبة رأى في كتاب إنسان عن ابن فضيل عن أبيه عن المغير عن سعيد بن جبير المرجية يهود القبلة فعلقه ولم يضبطه ، فكان يحدث به عن ابن فضيل فيقول : المرء حيث يهوى قلبه .

يريد إخراج كتاب تفسير وهو جاهل

قال الدارقطني : وسمعت أبا العباس ابن أبي مهران[1] يقول : كان ابن جميل الرازي يريد أن يخرج التفسير فأخرجه في رقاع ، فأخرج ذات ليلة رقعة إلى الوراقين فقال : الأكثرون هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا في أي سورة هو؟ فقال له الوراق : ليس هذا من القرآن . فخجل ولم يخرج التفسير بعد .

= الشامي عن عاصم بن عبد الله البجلي مرسل ويروي عبد القدوس عن نافع عن مجاهد والشعبي ومكحول وعطاء أحاديث مقلوبة)) و قد ضعفه عدد من أئمة الجرح و التعديل : ((قال عبد الرزاق ما رأيت بن المبارك يفصح بقوله كذاب الا لعبد القدوس وقال الفلاس اجمعوا على ترك حديثه وقال النسائي ليس بثقة وقال بن عدي أحاديثه منكرة الإسناد والمتن . . .)) ـ كتاب : لسان الميزان من اسمه عبد القدوس ـ .

(١) أبو العباس السَّرَّاج محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران أبو العباس السراج السَّرَّاج محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران ، الإمام الحافظ الثقة .

استفتاء محير

قال سمعت البرقاني[١] يقول : قال لي الأهوازي الفقيه[٢] : كنت عند يحيى بن محمد بن صاعد[٣] فجاءته امرأة فقالت له : أيها الشيخ ما تقول في بئر سقطت فيها دجاجة فماتت ، هذا الماء طاهر أم نجس؟ فقال يحيى : ويحك كيف سقطت الدجاجة في البئر؟ قالت : لم تكن البئر مغطاة ، قال يحيى : ألا غطيتها حتى لا يقع فيه شيء ، قال الأهوازي فقلت : يا هذه إن كان الماء قد تغير وإلا فهو طاهر .

ما أفصح كلامه

قال : كنا عند بندار فقال في حديث عن عائشة قال : قالت رسول الله ﷺ ، فقال رجل يسخر به : أعيذك بالله ما أفصحك ، فقال : كنا إذا خرجنا من عند روح دخلنا إلى أبي عبيدة . فقال : قد بان ذلك عليك .

العلماء قد يقعون في التصحيف

قال : حدثنا عبد الله بن موسى ، والفريابي[٤] عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب قال : برز عيينة وشيبة والوليد فقالوا : من يبارز؟ فخرج من الأنصار ، قال عبد الله ، ستة ، والفريابي ، شيبة ، قال الدارقطني : قوله ستة تصحيف والأصح ما قاله الفريابي ، لأن الذين خرجوا من الأنصار ثلاثة .

---

(١) الإمام الحافظ شيخ الفقهاء والمحدثين أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي البرقاني الشافعي شيخ بغداد .

(٢) وهو الشيخ الإمام ، العلامة ، مقرئ الآفاق أبو علي ، الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأهوازي ، نزيل دمشق .

(٣) ابن صاعد هو أحد رواة الحديث ، اسمه أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب الهاشمي البغدادي ، ولد في عام ٢٢٨ هـ ، رحل ابن صاعد إلى الشام ومصر والحجاز ، توفي سنة ٣١٨ هـ ، صاحب كتاب مسند ابن أبي أوفى .

(٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي الفريابي ، أحد كبار رواة الحديث عند أهل السنة والجماعة . صحب سفيان الثوري مدة بالكوفة ، وكتب أحمد بن حنبل الحديث عنه بمكة ، وهو من أكبر شيوخ البخاري . سكن قيسارية من ساحل فلسطين وتوفي بها .

تصحيف في الأحاديث

قال الدارقطني : وقرأت في أصل أبي عبد الله بن مخلد[١] عن يحيى بن معين[٢] قال : قال الوراق في حديث عائشة : أن النبي ﷺ لما أتى البقيع حساً رأيته .

قال الدارقطني : حدثنا أبي قال : ورد يحيى بن آدم فقال : أخطأ في حديث كعب ، قال : قال الله أنا أشج وأداوي ، وأخطأ يحيى قبيحاً فقال : أسحر وأداوي .

قال أبو الهيثم القاضي : سمعت أحمد بن صالح يقول : قدمت أبلة فتلقيت سلامة بن روح فسمعته يحدث حديثاً لسقيفة فقال فيه : ولا بيعة للذي بايع بعرة أن يفتلا ، فقلت : إنما هو تغرة أن يقتلا فقال لي : لا ، هو كما قلت لك ، قلت : فما معناه؟ قال : البعرة تفتلها في يدك تفتيلاً فتنتشر .

قال الدارقطني : أملى علينا أبو بكر الصولي حديث أبي أيوب من صام رمضان واتبعه ستاً من شوال فقال : شيئاً من شوال .

وروى أحمد بن جعفر الحنبلي[٣] حديث أبي سعيد لا حليم إلا ذو عثرة فقال : غيرة بالغين المعجمة والياء . قال الدارقطني : وحدثنا محمد بن أحمد قال : أملى علينا أبو شاكر مولى المتوكل في حديث اكتحلوا وتراً واذهبوا عنا أراد وادهنوا غباً . قال وقد روى ابن لهيعة[٤] أن رسول الله ﷺ احتجم في المسجد ، وإنما هو احتجر .

خطأ الفقيه

قال الدارقطني : بلغني أن امرأة جاءت إلى علي بن داود وهو يحدث وبين يديه

(١) محمد بن مخلد ابن حفص ، الإمام الحافظ الثقة القدوة أبو عبد الله ، الدوري ثم البغدادي العطار الخضيب .

(٢) يحيى بن معين هو الإمام الحافظ ، إمام الجرح والتعديل ، شيخ المحدثين أحد كبار علماء الحديث النبوي عند أهل السنة والجماعة .

(٣) الشيخ العالم المحدث مسند الوقت أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادي القطيعي الحنبلي ، راوي «مسند الإمام» .

(٤) عبدالله بن لهيعة ، من أهل العلم من يرده ومنهم من يقبله ك/ أحمد شاكر ومنهم من يفصل- منهم من يرده مطلقاً ومنهم من يقبله- ومنهم من يفصل ويقول : إذا روى عنه العبادلة : عبد الله بن يزيد المقرئ وعبدالله بن وهب وعبدالله بن المبارك ، وأضاف بعضهم عبدالله بن مسلمة .

مقدار ألف نفس ، فقالت له : حلفت بصدقة إزاري ، قال : بكم اشتريته؟ قالت : باثنين وعشرين درهماً ، قال : فصومي اثنين وعشرين ، قال : فلما مرت أخذ يقول : آه آه ، غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار .

ينسب شعراً إلى النبي

حدثني محمد بن عدي البصري قال : رأيت رجلاً وهو يقول : قال النبي ﷺ : مجزوء الوافر :

مـــن بـــر يوماً بـــر بـــه   والدهـــــــر لا يغـــتر بـه

لا يجيب حتى يسأل أباه

قال : حدثنا محمد بن عيسى ، قال : حدثنا عباس قال : سمعت يحيى بن معين يقول عن سعيد بن مسلم : كان عنده كتاب عن منصور ، فقال له رجل : سمعت هذا الكتاب؟ فقال : حتى يجيء أبي وأسأله .

قال الدراقطني : سمعت حمزة السهمي يقول : سمعت على شيخ وأخذنا بكتابة السماع ، فقال : اكتبوا اسمي معكم . فقلت للإسماعيلي : من الغفلة ذلك؟ قال : نعم . .

لا يكتب اسمه لمن لا يعرفه

حدثني أبو الحسن بن خلف الفقيه قال : كتب لنا بعض المشايخ خطه في إجازة ولم يكتب اسمه فقلنا له : اكتب اسمك ، فقال : والله لا أفعل ولا أكتب اسمي لمن لا أعرفه .

جمع العلم وفاته حكم بسيط

وعن أحمد بن علي بن ثابت قال : قرأت في كتاب أبي الفتح عبد الله بن أحمد النحوي بخطه : سمعت القاضي أحمد بن كامل[1] يقول : ما جمع أحد من

(١) الشيخ الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ، البغدادي ، تلميذ محمد بن جرير الطبري .

العلم ما جمع محمد بن موسى البربري ، ودخلت عليه يوماً وهو مغموم فقلت له : ما بك؟ فقال : فلانة يعني امرأته حملتني على أن أعتقت هذه الجارية وقد بقيت لا أمة لي تخدمني ولا أحد يعينني ، قلت : وأي شيء مقدار ثمن الجارية؟ فقال : إن امرأتي دفعت إلي دنانير أشتري لها بها جارية فاشتريت هذه الجارية ، فقلت : تعتق ما لا تملك؟ قال : كأنه لا يجوز ، قلت : لا ، الجارية لها على ملكها . فجعل يدعو لي .

قال الجاحظ : أمليت مرة على إنسان عمراً فاستملى ستراً وكتب زيداً .

لا يفهم رغم التكرار

قال إسماعيل بن محمد الحافظ : كنا بمجلس نظام الملك فأملى مجزوء الكامل :

أفٍّ للدنيا الدنية   دراهم وبلية

فقال المستملي : وتلية؟ فقيل له : وبلية . فقال : وملية ، فضحك الجماعة ، فقال النظام : اتركوه . ذكر محمد بن الحسن عن بعض المغفلين ، وقيل له : فلان مات في الري ، فقال : إلى الري رحلتان لا أدري في أيهما مات .

لم يوفقوا في العالم البديل

قال : سمعت أحمد بن محمد بن عيسى الوراق يقول : سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي يقول : سمعت أبي يقول : كتب إلي صالح بن محمد العبادي أن محمد بن يحيى لما مات أجلسوا مكانه محدثاً يعرف بحمد بن يزيد فأملى عليهم يا أبا عمير ما فعل البعير وأملى عليهم : لا تصحب الملائكة رفقة فيها حرس ؛ يعني الذئب .

صحفوا قول عمر

وذكر أبو سليمان الخطابي[1] : أن عبد الله بن عمار قال : سرقت مني عبية

(١) الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي (٣١٩ هـ - ٣٨٨ هـ / ٩٣١م - ٩٨٨م) ، ولد بمدينة بست سنة بضع عشرة وثلاث مئة كان فقيها محدثا أديبا تلقى الحديث في العراق على يد أبو علي الصفار وأبو جعفر الرزاز وغيرهما ، كما أنّه من نسل الصحابي زيد بن الخطاب .

ومعنا رجل متهم ، فجئت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقلت : قد هممت أن آتي به مصفوداً ، فقال : بغير بينة؟ قال الخليل : هذا مما صحف فيه الراوي ، إنما قال : عمر : تفترسه ، يعني تتقوى عليه لأنه لو أقام البينة لم يكن له في الحكم تكتيفه . ويحكى أن يحيى بن معين قال : صحف رجل في حديث أبي عبيدة أنه كان على الحسر ، فروى على الجسر ، والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه . قال الخطابي : وصحف بعضهم : لو صليتم حتى تكونوا كالحنائز . وصحف آخر في حديث يأجوج ومأجوج أنها إذا هلكت أكلت منها دواب الأرض فتشكر أي تسمن . فصحف فقال : تسكر ، من سكر الشراب .

تصحيف بالغ

وحكى لنا أبو بكر ابن عبد الباقي البزاز ، صحف رجل فقال : حدثنا سقنان البوري عن جلد المجدا عن اتش عن النبي ﷺ قال : اذهبوا عنا . أراد سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن أنس عن النبي ﷺ قال : ادهنوا غباً .

كره أن يغيظ السيدة عائشة

قال محمد بن زياد : كان عيسى بن صالح بن علي يحمق ، وكان له ابن يقال له : عبد الله ، من عقلاء الناس فتولى عيسى جند قنسرين فاستخلف ابنه على العمل ، قال ابنه : فأتاني رسوله في بعض الليل يأمرني بالحضور في وقت مبكر لا يحضر فيه إلا لأمر مهم ، فتوهمت أن كتاباً ورد من الخليفة في بعض الأشياء التي يحتاج فيها إلى حضوري وحضور الناس ، فلبست السواد وتقدمت بالبعثة ، إلى وجوه القواد ، وركبت إلى داره ، فلما دخلتها سألت الحجاب هل ورد كتاب من الخليفة أو حدث أمر؟ فقالوا لم يكن من هذا شيء ، فصرت من الدار إلى موضع تخلف الحجاب عنه ، فسألت الخدام أيضاً ، فقالوا مثل مقالة الحجاب ، فصرت إلى الموضع الذي هو فيه ، فقال لي : أدخل يا بني ، فدخلت فوجدته على فراشه ، فقال : علمت يا بني أني سهرت الليلة في أمر أنا مفكر فيه إلى الساعة ، قلت : أصلح الله الأمير ، ما هو؟ قال : اشتهيت أن يصيرني الله من الحور العين ويجعل في الجنة زوجي يوسف النبي فطال في ذلك فكري ، قلت : أصلح الله الأمير ، فالله عز وجل قد جعلك رجلاً فأرجو أن يدخلك الجنة ، ويزوجك من الحور العين ، فإذا وقع هذا في فكرك

فهلا اشتهيت محمداً ﷺ أن يكون زوجك فإنه أحق بالقرابة والنسب وهو سيد الأولين والآخرين في أعلى عليين؟ فقال : يا بني لا تظن أني لم أفكر في هذا فقد فكرت فيه ولكن كرهت أن أغيظ السيدة عائشة .

حمل كتابه بنفسه

حدثنا المدائني[1] قال : جاء رجل من أشراف الناس إلى بغداد ، فأراد أن يكتب إلى أبيه كتاباً يخبره ، فلم يجد أحداً يعرفه فانحدر بالكتاب إلى أبيه وقال : كرهت أن يبطىء عليك خبري ولم أجد أحداً يجيء بالكتاب فجئت أنا به ودفعه إليه .

ضرب الخصمين لأن بينهما الظالم

قال ابن خلف : واختصم رجلان إلى بعض الولاة فلم يحسن أن يقضي بينهما فضربهما وقال : الحمد لله الذي لم يفتني الظالم منهما .

أخبرني سعيد بن جعفر الأنباري قال : سمعت أبي يقول : غضب أبو الخيثم على عامل له فكلم في الرضاء عنه فقال : لا والله أو يبلغني عنه أنه قبل رجلي .

صاحب مظالم قليل العقل

قال أبو عثمان الجاحظ[2] : كان فزارة صاحب مظالم البصرة وكان أطول خلق الله لحية وأقلهم عقلاً وهو الذي قال فيه الشاعر :

ومن المظالم أن تكون على المظالم يا فزاره

أخذ الحجام يوماً من شعره فما فرغ دعا بمرآة فنظر فيها فقال للحجام : أما شعر

---

(١) هو علي بن محمد المدائني ، مولى عبد الرحمن بن سُمرة القرشي ، أصله من البصرة ، سكن المدائن فنسب إليها ، وقد ولد في أوائل العصر العباسي سنة ١٣٥هـ ، وعاش نحو تسعين عاماً ، ومات سنة ٢٢٥هـ .

(٢) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري (١٥٩ هـ- ٢٥٥ هـ) أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها . مختلف في أصله فمنهم من قال بأنه عربي من قبيلة كنانة ومنهم من قال بأن أصله يعود للزنج وأن جده كان مولى لرجل من بني كنانة وكان ذلك بسبب بشرته السمراء .

رأسي فقد جودت أخذه ، ولكنك والله يا ابن الخبيثة سلحت على شاربي ووضع يديه عليه . وسمع فزارة يوماً صياحاً فقال : ما هذا الصياح؟ فقالوا : قوم يتكلمون في القرآن . فقال : اللهم أرحنا من القرآن .

واجتاز به صاحب دراج فقال : بكم تبيع هذا الدراج؟ فقال : واحد بدرهم . قال : لا ، قال : كذا بعت ، قال : نأخذ منك اثنين بثلاثة دراهم ، قال : خذ ، فقال : يا غلام أعطه ثمن اثنين ثلاثة دراهم فإنه أسهل للمبيع .

خطاب أعراب ولي على كورة

وبلغنا أن المهلب ولى بعض الأعراب كورة بخراسان وعزل واليها فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اقصدوا لما أمركم الله به ، فإنه رغبكم في الآخرة الباقية وزهدكم في الدنيا الفانية ، فرغبتم في هذه وزهدتم في تلك ، فيوشك أن تفوتكم الفانية ولا تحصل لكم الباقية فتكونوا كما قال الله تعالى لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت واعتبروا بالمغرور الذي عزل عنكم سعى وجمع فصار ذلك كله إلي على رغم أنفه وصار كما قال الله سبحانه وتعالى :

أبشري أم خالـــد　　رب ساعٍ لقاعـــد

ثم نزل عن المنبر .

أعرابي يخطب الجمعة

وبلغنا أن يزيد بن المهلب(١) ولى أعرابياً على بعض كور خراسان فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر وقال : الحمد لله ، ثم ارتج عليه ، فقال : أيها الناس إياكم والدنيا فإنكم لم تجدوها إلا كما قال الله تعالى : الوافر :

وما الدنيا بباقية لحـــي　　وما حي على الدنيا بباقي

فقال كاتبه : أصلح الله الأمير هذا شعر ، قال : فالدنيا باقية على أحد؟ قال : لا ، قال : فيبقى عليها أحد؟ قال : لا ، قال : فما كلفتك إذن؟

---

(١) يزيد بن المهلب بن سراق بن صحيح بن كندة بن عمرو بن وائل بن الحارب بن العتك بن الأسد بن عمران بن عمرو (مزبقياء) بن عأمر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوف بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدي القحطاني .

خلقت السموات والأرض في ستة أشهر

وبلغنا أن بعض العرب خطب في عمل وليه فقال في خطبته : إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر . فقيل له في ستة أيام ، فقال : والله أردت أن أقولها ولكن استقللتها .

قصص منصور بن النعمان

قال : حدثنا أبو بكر النقاش قال : كتب كاتب منصور بن النعمان إليه من البصرة أنه أصاب لصاً فكره الإقدام على قطعه دون الاستطلاع على أمره ، وأنه خياط ، فكتب إليه : إقطع رجله ودع يده ، فقال : إن الله أمر بغير ذلك ، فكتب إليه : نفذ ما أمرتك به ، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب .

وأتى منصوراً نخاس ببغل فقال : هذا شراؤه أربعون ديناراً ، فقال : لا تربح علي شيئاً هذه المرة ، يا غلام اعطه ألفاً وخمسمائة دينار . ودخل على المأمون فقال : يا أمير المؤمنين الموت فاش بالكوفة ولكنه سليم . ودخل على أحمد بن أبي حاتم وهو يتغدى برؤوس ، فقال له أحمد : هلم يا أبا سهل فإنها رؤوس الرضع ، فقال : هنيئاً أطعمنا الله وإياك من رؤوس أهل الجنة . وقال له المأمون : يا منصور قد مدت دجلة فأشر علينا . فقال : تكتري مئة سقاء يستقون ذا الماء يرشون الطريق ، فقال له المأمون : حرت فيك .

إلحس ما كتبت

قال : حدثنا محمد بن خلف قال : قال بعض الولاة لكاتبه : أكتب إلى فلان وعنفه وقل له : بئس ما صنعت يا خرا . فقال الكاتب : أعزك الله لا يحسن هذا في المكاتبة . قال : صدقت إلحس موضع الخرا بلسانك .

يصف نفسه وصفاً وضيعاً

أخبرني الأمير أبو بكر بن بدر قال : شغب رجال على الحسين بن مخلد يوماً وطالبوه بالمال فقال : أنا ما معي مال في بيتي أخرجه وإنما أنا للسلطان كالمرملة إن صب في أعلاي شيئاً أخذتموه من أسفلي ، فإن صبرتم إلى أن ترد الأموال فرقت عليكم وإلا فالأمر لكم .

يريد أن يحم اليوم ويشفى غداً

حدثنا أبو علي محمد بن الحسن الكاتب قال : كنت أكتب لأبي الفضل بن علان وهو بأرجان يتقلدها ، فقيل له : قدم أبو المنذر النعمان بن عبد الله يريد فارس ، والوجه أن تلقاه في غد ، وكان ابن الفضل يحم حمى الربع ، فقال : كيف أعمل وغداً يوم حماي ولا أتمكن من لقاء الرجل! ولكن الوجه أن أحم الساعة حتى أقدر عليه غداً ، يا غلام هات الدواج حتى أحم الساعة فإذا عنده أنه إذا أراد أن يقدم نوبة الحمى ويصح غداً تأخرت عنه الحمى .

مقوم ناقة صالح

حدثنا المدائني قال : كان عبد الله بن أبي ثور والي المدينة فخطبهم ، فقال : أيها الناس اتقوا الله وارجوا التوبة ، فإنه أهلك قوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم . فسموه مقوم الناقة وعزله الزبير .

بعث الله محمداً هادياً لا جابياً

قال : وكتب حيان عامل مصر إلى عمر بن عبد العزيز[١] : إن الناس قد أسلموا فليس جزية . فكتب إليه عمر : أبعد الله الجزية إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً للجزية .

الأمير يجلس للنظر أول من أمس

حدثنا سليمان بن حسن بن مخلد : قال : حدثني أبي قال : كنت عند شجاع بن القاسم وقد دخل قوم من المتظلمين خاطبهم في أمورهم فقال : ليس النظر في هذا الآن والأمير يجلس للنظر في هذا ومثله أول من أمس فتصيرون إليه .

القباء المخرق

دخل شجاع على المستعين مرة وطرف قبائه مخرق ، فسأله عن سبب ذلك

---

(١) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، هو ثامن الخلفاء الأمويين . ولد سنة ٦١هـ في المدينة المنورة ، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب ، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة ، وكان شديد الإقبال على طلب العلم .

فقال : اجتزت في الدرب وكان فيه كلب فوطأت قباءه فخرق ذنبي . . . فما تمالك المستعين أن ضحك .

الحكيم والوزير الركيك

حضر بعض حكماء الهند مع وزير ملكهم وكان الوزير ركيكاً فقال للحكيم : ما العلم الأكبر؟ قال : الطب ، قال : فإني أعرف من الطب أكثره ، قال : فما دواء المبرسم أيها الوزير؟ قال : دواؤه الموت حتى تقل حرارة صدره ، ثم يعالج بالأدوية الباردة ليعود حياً ، قال : ومن يحييه بعد الموت؟ قال : هذا علم آخر وجد في كتاب النجوم ولم أنظر في شيء منه إلا في باب الحياة فإني وجدت في كتاب النجوم أن الحياة للإنسان خير من الموت ، فقال الحكيم : أيها الوزير الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة .

عدل أبي خندف

عرض أبو خندف دوابه فأصاب فيها واحدة عجفاء مهزولة فقال : هاتوا الطباخ ، فبطحه وضربه خمسين مقرعة ، وقال له : ما لهذه الدابة على هذه الحال؟ قال : يا سيدي أنا طباخ ما علمي بأمر الدواب ، قال : بالله أنت طباخ! فلم لم تقل لي؟ اذهب الآن فإذا كان غداً أضرب السائس ستين مقرعة يفضل عشرون فطب نفساً .

تسلمت ثلاثة وهم واحد

وروى أبو الحسن محمد بن هلال الصابىء قال : خرج قوم من الديلم إلى أقطاعهم فظفروا باللص المعروف بالعراقي فحملوه إلى الوزير أبي عبد الله المهلبي[1] فتقدم

---

(١) المهلبي الوزير الكبير أبو محمد الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون الأزدي من ولد المهلب بن أبي صفرة وزير لمعز الدولة البويهي ، وكان سريا جوادا ممدحا كامل السؤدد مقربا للعلماء ، أصابته فاقة في شبيبته و تغرب و تنقلت به الأحوال حتى صار وزيرا وكان أديبا مترسلا بليغا شاعرا سائسا له أخبار في الكريم والمروءة . نال أولا في الوزارة عن ابي جعفر الصيمري ، فمات الصيمري ، فولاه مكانه معز الدولة سنة ٣٣٩ للهجرة ثم وزر للمطيع ولقبه ذا الوزارتين .

بإحضار أبي الحسين أحمد بن محمد القزويني[1] الكاتب وكان ينظر في شرطة بغداد ، فقال له المهلبي : هذا اللص العيار العراقي الذي عجزتم عن أخذه فخذوه واكتب خطك بتسليمه ، فقال : السمع والطاعة إلى ما يأمر به الوزير ، ولكنك تقول ثلاثة وهذا واحد فكيف اكتب خطي بتسليم ثلاثة؟ فقال يا هذا ، هذا العدد صفة لهذا الواحد فكتب يقول : أحمد بن محمد القزويني الكاتب تسلمت من حضرة الوزير اللص العيار العراقي ثلاثة وهم واحد رجل ، وكتب بخطه في التاريخ . فضحك الوزير ، وقال لنصراني هناك : قد صحح القزويني مذهبكم في تسليم هذا اللص .

كتابة اللحن

وقال بعض الكتاب لمغنية : أكتبي لي هذا الصوت ، فقالت : أنت الكاتب ، فقال : أنت تكتبيه بلحنه وأنا لا أحسن أكتبه بلحنه .

الوزير ذي السعادات

قال أبو الحسن بن هلال الصابىء : عرض على الوزير ذي السعادات أبي الفرج صاحبها وطلبها ، ففتح الوزير الدواة وكتب على هذه بخط غليظ ، هذه لا تصلح ، وكتب على أخرى وهذه غير مرضية ، وعلى أخرى هذه غالية ، وقال : ادفعوها إليه ، فأخذها الرجل وقد تلفت عليه . قال : وكان إذا أخطأ الفرس تحته يأمر بقطع علفه تأديباً له ، فإذا قيل له في ذلك ، قال : أطعموه ولا تعلموه أني علمت بذلك .

لماذا رفض الإسلام

جاء بعض النصارى إلى عبد الله بن بشار وكان عامل المدينة فقال : أريد أن أسلم على يدك ، فقال : يا ابن الفاعلة ما وجدت في عسكر أمير المؤمنين أهون مني جئت تريد أن تلقي بيني وبين عيسى ابن مريم كلاماً إلى يوم القيامة .

صعد بعض الولاة المنبر فخطب فقال : إن أكرمتموني أكرمتكم وإن أهنتموني ليكونن أهون علي من ضرطتي هذه ، وضرط ضرطة .

---

(١) ابن فارس وهو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ت٣٩٥ هـ/١٠٠٤ م) لُغَوِيّ أي إمام لغة وأدب .

هذا الثلج أبرد من ذاك

جاز بعض الأمراء المغفلين على بياع الثلج فقال : أرني ما عندك ، فكسر له قطعة وناوله ، فقال : أريد أبرد من هذا ، فكسر له من الجانب الآخر ، فقال : كيف سعر هذا؟ فقال : رطل بدرهم ، ومن الأول رطل ونصف بدرهم ، فقال : زن من الثاني . وجاز يوماً بطين في باب الشام فقال لأصحابه : السلطان يريد أن يركب فإن أنا رجعت ورأيت هذا الطين موضعه ضربته بالنار ولا ينفعكم شفاعة أحد .

خطب قبيصة وهو خليفة أبيه على خراسان فأتاه كتابه فقال : هذا كتاب الأمير وهو والله أهل أن يطاع وهو أبي وأكبر مني .

ما ورد كتاب من الميت

وحكى أبو إسحاق الصابي أن رجلاً من كبار كتاب العجم يعرف بأبي العباس بن درستويه حضر مجلس أبي الفرج محمد بن العباس وهو جالس للعزاء بأبيه أبي الفضل ، وقد ورد نعيه من الأهواز ، وعند أبي الفرج رؤساء الدولة ، قد ولي الديوان مكان أبيه ، فلما تمكن ابن درستويه في المجلس تباكى وقال : لعل هذا إرجاف ورد كتابه ، فقال له أبو الفرج : قد ورد عدة كتب ، فقال : دع هذا كله ، ورد كتابه بخطه؟ فقال : لو ورد كتابه بخطه ما جلسنا للعزاء . فضحك الناس .

لا يفرق بين يوم الحجاجة ويوم القيامة

وأنشد عبد الله بن فضلويه عامل قرميسين في مجلسه والمجلس غاص بأهله ، هذا البيت : البسيط :

يوم القيامة يومٌ لا دواء له ... إلا الطلاء وإلا اللهو والطرب

فقال بعض الحاضرين : إنما هو يوم الحجامة . فقال : اعذروني فإني لا أحسن النحو .

قاضٍ لا يميز بين المدح والهجاء

عن ابن الأعرابي قال : خاصم أبو دلامة[(١)] رجلاً إلى عافية[(٢)] ، فقال :

لقد خاصمتني غواة الرجال وخاصمتهم سنةً وافيه
فما أدحض الله لي حجةً وما خيب الله لي قافيه
فمن كنت من جوره خائفاً فلست أخافك يا عافيه

فقال له عافية : لأشكونك لأمير المؤمنين ، قال : لم تشكوني؟ قال : لأنك هجوتني . قال : والله لئن شكوتني إليه ليعزلنك ، قال : لم؟ قال : لأنك لا تعرف الهجو من المدح . عافية هذا هو ابن زيد القاضي ولاه المهدي القضاء على بغداد .

قاضٍ عزل نفسه

قال : حدث عبد الرحمن بن مسهر قال : ولاني القاضي أبو يوسف القضاء بجبل . وبلغني أن الرشيد منحدر إلى البصرة فسألت أهل جبل أن يثنوا علي فوعدوني أن يفعلوا ذلك وتفرقوا ، فلما آيسوني من أنفسهم سرحت لحيتي وخرجت فوقفت له ، فوافى وأبو يوسف في الحراقة ، فقلت : يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبل ، قد عدل بينا وفعل وصنع ، وجعلت أثني على نفسي ، فرآني أبو يوسف فطأطأ رأسه وضحك ، فقال هرون : م تضحك؟ فقال : إن المثني على نفسه هو القاضي . فضحك هرون حتى فحص رجليه وقال : هذا شيخ سخيف سفلة فاعزله ، فعزلني .

الأمير أخر الجمعة

عن علي بن هشام أنه قال : كان للحجاج قاضٍ بالبصرة من أهل الشام يقال له أبو حمير ، فحضرت الجمعة فمضى يريدها ، فلقيه رجل من العراق فقال له : يا أبا

(١) أبو دُلامة شاعر ساخر عاش في العصر العباسي ، وكا ن عبدا لرجل من اهل الرقه من بني اسد واعتقه في ما بعد ، وهو أحد الشعراء المعاصرين لخلفاء بني العباس الثلاث الأوائل وهم السفاح والمنصور والمهدي ، بل يعتبر شاعرهم ونديمهم الخاص ،وكان أبو دلامه فكها مرحا فهو حسن الحديث ممتع الرواية . على انه كان متلافا مسرفا في شرب الخمر ، مستهترا في الخلاعه والمجون ، لايقيم الفروض ولا يقر الدين ، وهو ابعد ما يكون عنه .

(٢) عافيه بن يزيد بن قيس الاودي الكوفي القاضي .

حمير فأين تذهب؟ قال : إلى الجمعة ، فقال : ما بلغك أن الأمير قد أخر الجمعة اليوم؟ فانصرف راجعاً إلى بيته ، فلما كان من الغد قال له الحجاج : أين كنت يا أبا حمير لم تحضر معنا الجمعة؟ قال : لقيني بعض أهل العراق فأخبرني أن الأمير أخر الجمعة فانصرفت . فضحك الحجاج وقال : يا أبا حمير أما علمت أن الجمعة لا تؤخر .

لا يفرق بين العم والخال

قال المدائني : استعمل حيان بن حسان قاضي فارس على ناحية كرمان فخطبهم فقال : يا أهل كرمان تعرفون عثيمان بن زياد هو عمي أخو أمي . فقالوا : فهو خالك إذن .

قال ابن خلف : وسقط الذباب على وجه قاضي عبدان فقال : كثر الله بكم القبور .

قال ابن خلف : قال بعض الرواة : تقدم رجلان إلى أبي العطوف قاضي حران فقال أحدهما : أصلح الله القاضي ، هذا ذبح ديكاً لي فخذ لي بحقه ، فقال لهما القاضي : عليكما بصاحب الشرطة فإنه ينظر في الدماء .

قاضي مدينة حمص

قال أبو الفضل الربعي : حدثنا أبي قال : سأل المأمون رجلاً من أهل حمص عن قضاتهم ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن قاضينا لا يفهم وإذا فهم وهم ، قال : ويحك كيف هذا؟ قال : قدم عليه رجل رجلاً فادعى عليه أربعة وعشرين درهماً ، فأقر له الآخر ، فقال : أعطه ، قال : أصلح الله القاضي ، إن لي حماراً اكتسب عليه كل يوم أربعة دراهم ، أنفق على الحمار درهماً وعلي درهماً وأدفع له درهمين ، حتى إذا اجتمع ما له غاب عني فلم أره فأنفقتها ، وما أعرف وجهاً إلا أن يحبسه القاضي إثنا عشر يوماً حتى أجمع له إياها ، فحبس صاحب الحق حتى جمع ماله ، فضحك المأمون وعــزله .

حلف الجار بدل المتهم

وعن أبي بكر الهذلي قال : كان ثمامة بن عبد الله بن أنس[1] على القضاء بالبصرة قبل بلال بن أبي بردة وكان مخلطاً ، فاستدعت امرأة إلى ثمامة على رجل أودعته شيئاً ولم يكن لها بينة ، فأراد استحلافه لها ، فقالت : إنه رجل سوء فيحلف ويذهب حقي ، ولكن استحلف إسحاق بن سويد فإنه جاره ، فأرسل إلى إسحاق واستحلفه .

قاضٍ يحكم بالقرعة

وحكى أبو الخير الخياط عن بعض أصحابه قال : دخلت تاهرت فإذا فيها قاضٍ من أهلها ، وقد أتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنة ، فأحضر الفقهاء فقال : إن هذا الرجل جنى جناية وليس لها في كتاب الله حكم معروف فما ترون؟ فقالوا بأجمعهم : الأمر لك ، قال : فإني رأيت أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات ، ثم أفتحه فما خرج من شيء عملت به ، قالوا له : وفقت . ففعل بالمصحف ما ذكره ، ثم فتح فخرج قوله تعالى : «سنسمه على الخرطوم» فقطع أنف الرجل وخلى سبيله .

شاهد واحد يثبت نصف الحق

وبلغنا أن رجلاً قدم رجلاً إلى بعض القضاة فادعى عليه بثلاثين ديناراً وأقام شاهداً واحداً ، فقال القاضي : إدفع له خمسة عشر ديناراً إلى أن يقيم الشاهد الآخر .

ما معنى السدس

وحكى فقيه قال : حضر عندي أمين من أمناء القاضي فسألني عن فريضة فيها

(١) ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك إسمه ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى البصري (قاضيها) كنيته وقيل :الأنصارى البصري يعتبر ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك من الطبقة الرابعة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم طبقة تلى الوسطى التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر صدوق ,وعند الإمام شمس الدين الذهبي ثقة .

سدس ، فقال : ما معنى السدس؟ قلت له : من الدينار ثلاثة قراريط وحبة وسهم من ستة أسهم ، هذا هو السدس ، فقال : أكتبه لي حتى أعرفه ، قلت : والله لا أكتبه لك .

أخطأ الكاتب فكانت جريمة

حدثني حماد بن إسحاق قال : كتب سليمان بن عبد الملك[1] إلى أبي بكر بن حزم[2] أن أحص من قبلك من المخنثين ، فحصف كاتبه فقال أخص فدعا بهم فخصاهم . وقد رويت لنا هذه الحكاية على غير هذا الوجه ، وأنه خصاهم لأنه كان غيوراً ، فإذن لا يكون تصحيفاً .

الكاتب الأحمق

وعن الحسين بن السميدع الأنطاكي قال : كان عندنا بإنطاكية عامل من حلب وكان له كاتب أحمق ، فغرق في البحر شلنديتان من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدو ، فكتب ذلك الكاتب عن صاحبه إلى العامل بحلب بخبرهما : بسم الله الرحمن الرحيم ، إعلم أيها الأمير أعزه الله تعالى إن شلنديتين أعني مركبين قد صفقا من جانب البحر أي غرقا من شدة أمواجه فهلك من فيهما أي تلفوا ، قال : فكتب إليه أمير حلب : بسم الله الرحمن الرحيم ، ورد كتابك أي وصل وفهمناه أي قرأناه أدب كاتبك أي إصفعه واستبدل به أي اعزله فإنه مائق أي أحمق والسلام أي انقضى الكتاب .

---

(١) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، الخليفة الأموي السابع ، وهو يعد من خلفاء بني أمية الأقوياء ، ولد ب دمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٩٦هـ . ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور .

(٢) عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إسمه عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، أبو محمد ، و يقال أبو بكر ، المدني ، القاضي كنيته أبو محمد ، و يقال : أبو بكر وقيل : الأنصاري المدني يعتبر عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ثقة ،وعند الإمام شمس الدين الذهبي حجة .

عقاب البواب الذي ترك الغراب يصيح

وعن عبد الله بن محمد الصوري قال : رأيت سهل بن بشر[1] الكاتب يوماً وقد نعق غراب أبقع على حائط صحن الدار فضاق صدره ، وقال : هاتم البواب ، فجيء به ، فقال : لم تركت هذا الغراب يصيح ها هنا؟ فقال البواب : أيها الأستاذ وأي ذنب لي ، أنا أحفظ بابي ، وليس هذا ممن يدخل من الباب فيلزمني جنايته ، فكيف أستطيع منعه من الصياح؟ فقال : قفاه ، فما يصفع صفعاً عظيماً إلى أن شفعت فيه .

شهادتكم بيوم الفطر تؤدي إلى عقابكم

وعن أبي علي النميري قال : تراءينا هلال شوال ، فأتينا سوار بن عبد الله[2] لنشهد عنده ، فقال حاجبه : أنتم مجانين ، الأمير لم يختضب بعد ولم يتهيأ ، ولئن وقعت عينه عليكم ليضربنكم مائتين ، انطلقوا ، فانصرفنا وصام الناس يوم الفطر .

لا تقبل شهادة الأحمق التقي

وعن أبي بكر النقاش[3] قال : قيل لعبد الله بن مسعود القاضي : تجيز شهادة

---

(١) وهو أبو عثمان سهل بن بشر بن هاني ويقال هايا اليهودي وكان يخدم طاهر بن الحسين الأعور ثم الحسن بن سهل وكان عارفاً فاضلاً وله من الكتب كتاب مفاتيح القضاء وهو المسائل الصغير كتاب السهمين كتاب المواليد الكبير كتاب تحويل سني العالم كتاب المدخل الصغير كتاب المدخل الكبير كتاب الهيئة وعلم الحساب كتاب تحاويل سني المواليد كتاب المواليد الصغير كتاب المسائل الكبير كتاب الاختيارات كتاب الأوقات كتاب المفتاح كتاب الأمطار والرياح كتاب المعاني كتاب الهيلاج والكدخداه كتاب الاعتبارات كتاب الكسوفات كتاب التركيب كتاب له كبير ويحتوي على ثلاثة عشر كتاباً جمع فيه عيون كتبه وسماه كتاب العاشر صنفه بخراسان قيل لي أن الروم تعظم كتاب الجبر والمقابلة له وتصفه .

(٢) ابن عبد الله بن قدامة ، القاضي الإمام أبو السوار العنبري البصري ، كان هو وأبوه وجده قضاة البصرة .

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند (٢٦٦-٣٥١ هـ) المقرئ ، المعروف بالنقاش ، الموصلي الأصل البغدادي المولد والمنشأ ؛ كان عالما بالقرآن والتفسير . صنف في التفسير كتابا ، سماه شفاء الصدور وصنف كذلك كتاب الإشارة في غريب القرآن ، والموضح =

العفيف التقي الأحمق؟ قال : لا ، وسأريكم هذا ، ادع يا غلام أبا الورد حاجبي ، وكان أحمق فلما أتاه قال : اخرج فانظر ما الريح ، فخرج ثم رجع فقال : شمال يشوبها جنوب ، فقال : كيف ترون؟ أتروني أجيز شهادة مثل هذا؟ قال : وقد ذكر مثل هذه الحكاية ابن قتيبة .

وعن أبي أحمد الحارثي قال : كنت أعاشر بعض كتاب الديلم فسمعته مرة يحلف ويقلو : والله الذي لا إله إلا هو أعني به الطلاق والعتاق .

القائد ثور وامرأته بقرة

قال : وكتب مرة بحضرتي تذكرة بأضاحي يريد تفريقها في دار صاحبه وقد قرب عيد الأضحى ، فكتب : القائد ثور ، امرأته بقرة ، ابنه كبش ، ابنته نعجة ، الكاتب تيس ، فقلت : يا سيدي الروح الأمين ألقى إليك هذا ، فلم يدر ما خاطبته به وسلمت منه .

رسالة إلى صديق

وكتب إلى صديق له : كتبت إليك هذه الكلمات يا سيدي وربي أعني به قميصي من منزلك الذي أنا أسكنه ، وقد نفضت الدم من قفاك المرسوم بي ، وليس وحق رأسك الذي أحبه عبدي من نبيذك الذي تشربه شيء ، فوجه إلي على يدي هذا الرسول فإنه ثقة أوثق مني ومنك .

قال أبو أحمد : وبلغني عن بعض قواد الديلم أنه قال : كاتبي أحذق الناس بأمر الدواب والضياع وشري الأمتعة ، وما فيه عيب إلا أنه لا يقرأ ولا يكتب .

تعزية الحجاج في صديق

وعن عبد الله بن إبراهيم الموصلي قال : نابت الحجاج في صديق له مصيبة ورسول

= في القرآن ومعانيه وصد العقل ، والمناسك ، وفهم المناسك ، وأخبار القصاص ، وذم الحسد ، ودلائل النبوة ، والأبواب في القرآن ، وإرم ذات العماد ، والمعجم الأوسط ، والمعجم الأصغر ، والمعجم الكبير في أسماء القراء وقراءاتهم ، وكتاب السبعة بعللها الكبير ، وكتاب السبعة الأوسط ، وكتاب السبعة الأصغر .

لعبد الملك شامي عنده ، فقال الحجاج : ليت إنساناً يعزيني بأبيات ، فقال الشامي : أقول؟ قال : قل ، فقال : وكل خليل سوف يفارق خليله ، يموت أو يصاب أو يقع من فوق البيت أو يقع البيت عليه أو يقع في بئر أو يكون شيئاً لا نعرفه فقال الحجاج : قد سليتني عن مصيبتي بأعظم منها في أمير المؤمنين إذ وجه مثلك لي رسولاً .

أطلق الحمار أعزك الله

وجد في بعض الكتب أن قدامة بن زيد وجه غلاماً له إلى قطربل ليبتاع له شراباً وأركبه حماراً ، فمضى الغلام وابتاع له الشراب ، فلما صار إلى باب قطربل عارضه صاحب المصلحة ، فضربه ، وأراق ما معه ، وحبسه ، فاتصل الأمر بقدامة فكتب إلى صاحب الخبر : بسم الله الرحمن الرحيم ، جعلت فداك برحمته فإن صاحب مصلحتين قطربل قويا على غلامٍ لي فضرباه خمسين رطلاً من تقطيع الزكرة ، فرأيك أعزك الله في إطلاق الحمار مصاباً إن شاء الله عز وجل .

رسالة إلى طبيب

وكتب بعضهم إلى طبيب : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويلك يا يوحنا وامتع بك ، قد شربت الدواء خمسين مقعداً ، المغص والتقطيع يفتل بطني والعينين والرأس ، فلا تؤخر باحتباسك عني فسوف تعلم أني سأموت وتبقى بلا أنا ، فعلت موفقاً إن شاء الله .

عملت يا طبيب بوصفك فلم يفد

وصف حجاج بن هارون الكاتب لحنين النصراني علة به ، فأمره أن يؤخر غداءه ويأخذ في آخر الليل دواء وصفه له ، فكتب إليه حجاج من غد : بسم الله الرحمن الرحيم ، وأتم نعمته عليك ، شربت الدواء وأكلت قليل كسرة واختلف أحمر مثل السلق مغصاً ، فرأيك في إنكار ذلك على بطني ، فعلت إن شاء الله .

رسالة مختصرة إلى صديق

وكتب بعضهم إلى صديق له : بسم الله الرحمن الرحيم ، وجعلني الله فداءك ، لولا علة نسيتها لسرت إليك حتى أعرفك بنفسي والسلام .

رسالة اعتذار

وكتب المتوكل[١] إلى محمد بن عبد الله يطلب فهداً فكتب إليه : نجوت عند مقام لا إله إلا الله وصلى الله على سيدنا محمد ، فديته إن كان عندي مما طلبته وزن دانق ، لا فهد ولا نمر ، فلا تظن يا سيدي إني أبخل عليك بالقليل .

وكتب معاوية بن مروان إلى الوليد بن عبد الملك : قد بعثت إليك خزاً أحمر وأحمى .

نحن في خير ولكن قتل أكثر الأسرة

وكتب رجل من البصرة إلى أبيه : كتبت إليك يا أبت نحن كما يسرك الله عونه وقوته ، لم يحدث علينا بعدك إلا كل خير ، إلا أن حائطاً لنا وقع على أمي وأخي الصغير وأختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري .

وكتب أبو كعب إلى منزله كتاباً عنوانه : من أبي كعب يدفع عنوانه في عياله إن شاء الله .

رسالة من ولد ملك

وكتب بعض ولد الملوك إلى بعض : استوهب الله المكاره فيك برحمته ، أنا وحق جدي رسول الله الذي لا إله إلا هو ، أحبك أشد من جدي المتوكل ، فقد بلغني أنه قد جاءك من النبيذ شيء كثير كثير شطراً ، وأنا أحبه شديد شديد شطراً آخر ، وبحياتي عليك ألا بعثت إلي دستجة أو خمس دبات أو ستة أو سبعة أو أكثر جياد بالغة وإلا فثلاث خماسيات ولا تردني فأحرد موفقاً إن شاء الله .

مؤذن

عن أبي بكر النقاش قال : حدثنا أن أعرابياً سمع مؤذناً كان يقول : أشهد أن محمداً رسول الله بالنصب فقال : ويحك فعل ماذا؟ وعن محمد بن خلف قال : قيل لمؤذن ما يسمع أذانك فلو رفعت صوتك ، فقال : إني لأسمع صوتي من ميل . وقال

---

(١) أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور عاش وفترة الخلافة خلفاً لأخية الواثق بالله وخلفه إبنه المُنتصر بالله . أُمّه أم ولد تركية اسمها «شجاع» .

بعضهم : رأيت مؤذناً يؤذن ثم عدا ، فقلت : إلى أين؟ فقال : أن أحب أعرف إلى أين يبلغ صوتي .

وأذن مؤذن فقيل له : ما أحسن صوتك؟ فقال : إن أمي كانت تطعمني البلادة وأنا صغير . يريد البلادر . وعن شريح بن يزيد قال : كان سعيد بن سنان المهدي مؤذناً بجامع حمص ، وكان شيخاً صالحاً يسحر الناس في رمضان فيقول في تسحيره : استحثو قديراتكم ، عجلوا في أكلكم قبل أن أأذن فيسخم الله وجوهكم وتحردوا .

يحفظ مكان الإمام حتى يجيء

عن أبي العيناء قال : كان المدني في الصف من وراء الإمام ، فذكر الإمام شيئاً فقطع الصلاة وقدم المدني ليؤمهم ، فوقف طويلاً ، فلما أعيا الناس سبحوا له وهو لا يتحرك فنحوه وقدموا غيره ، فعاتبوه فقال : ظننته يقول لي : احفظ مكاني حتى أجيء .

تصحيح الخطأ بالرفس

وعن المدائني قال : قرأ إمام ولا الظالين بالظاء المعجمة ، فرفسه رجل من خلفه ، فقال الإمام : آه ضهري ، فقال له رجل : يا كذا وكذا خذ الضاد من ضهرك واجعلها في الظالين وأنت في عافية ، وكان الراد عليه طويل اللحية .

لا تطل في صلاتك أيها الإمام

قال الجاحظ : أخبرني أبو العنبس[1] قال : كان رجل طويل اللحية أحمق جارنا ، وكان أقام بمسجد المحلة يعمره ويؤذن فيه ويصلي ، وكان يعتمد السور الطوال ويصلي بها ، فصلى ليلة بهم العشاء فطول ، فضجوا منه ، وقالوا : اعتزل مسجدنا حتى نقيم غيرك فإنك تطول في صلاتك وخلفك الضعيف وذو الحاجة ، فقال : لا أطول بعد ذلك ، فتركوه ، فلما كان من الغد أقام وتقدم فكبر وقرأ الحمد ، ثم فكر طويلاً وصاح فيهم : إيش تقولون في عبس؟ فلم يكلمه أحد إلا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلاً ، فإنه قال : كيسة مر فيها .

---

(١) حجر بن العَنْبَس الكوفي ، ويقال له : ابن قَيْس .

إمام لا يحسب

وقرأ إمام في صلاته وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ، فتم ميقات ربه خمسين ليلة فجذبه رجل وقال : ما تحسن تقرأ ما تحسن تحسب .

أطال الإمام فهرب المصلون

وتقدم إمام فصلى فلما قرأ الحمد افتتح بسورة يوسف ، فانصرف القوم وتركوه ، فلما أحس بانصرافهم قال : سبحان الله! ﴿قل هو الله أحد﴾ . فرجعوا فصلوا معه .

ارتج على الإمام فظل يردد

وقرأ إمام في صلاته : «إذا الشمس كورت» فلما بلغ قوله : «فأين تذهبون» ، ارتج عيه وجعل يردد حتى كادت تطلع الشمس ، وكان خلفه رجل معه جراب فضرب به رأس الإمام وقال : أما أنا فأذهب ، وهؤلاء لا أدري إلى أين يذهبون .

الكريم لا يرجع في هبته

وعن الأصمعي أنه قال : مررت بأعرابي يصلي بالناس فصليت معه ، فقرأ والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها كلمة بلغت منتهاها لن يدخل النار ولن يراها رجل نهى النفس عن هواها ، فقلت له : ليس هذا من كتاب الله ، قال : فعلمني ، فعلمته الفاتحة والإخلاص ، ثم مررت بعد أيام ، فإذا هو يقرأ الفاتحة وحدها ، فقلت له : ما للسورة الأخرى؟ قال : وهبتها لابن عم لي ، والكريم لا يرجع في هبته .

أعرابي يؤم في البادية

وعنه أنه قال : كنت في البادية فإذا بأعرابي تقدم فقال : الله أكبر سبح اسم ربك الأعلى ، الذي أخرج المرعى ، أخرج منها تيساً أحوى ينزو على المعزى ثم قام في الثانية فقال : وثب الذئب على الشاة الوسطى وسوف يأخذها تارة أخرى . أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ألا بلى ألا بلى فلما فرغ قال : اللهم لك عفرت جبيني وإليك مددت يميني فانظر ماذا تعطيني .

أعرابي يؤدب أمه

وعنه قال : رأيت أعرابياً يضرب أمه فقلت : يا هذا أتضرب أمك؟ فقال : أسكت فإني أريد أن تنشأ على أدبي .

دعاء أعرابي حول الكعبة

وعنه أنه قال : حج أعرابي فدخل مكة قبل الناس وتعلق بأستار الكعبة وقال : اللهم اغفر لي قبل أن يدهمك الناس .

أصحاب النحو زنادقة

وعن أبي الزناد[١] قال : جاء أعرابي إلى المدينة فجالس أهل الفقه ثم تركهم ، ثم جالس أصحاب النحو فسمعهم يقولون نكرة ومعرفة ، فقال : يا أعداء الله يا زنادقة .

خصام الطائيين

وعن العلاء بن سعيد قال : قعد طائي وطائية في الشمس ، فقالت له امرأته : والله لئن ترحل الحي غداً لأتبعن قماشهم وأصوافهم ، ثم لأنفشنه ولأغسلنه ولأغزلنه ، ثم لأبعثنه إلى بعض الأمصار فيباع وأشتري بثمنه بكراً ، فأرتحل عليه مع الحي إذا ترحلوا ، قال الوج : أفتراك الآن تاركتني وابني بالعراء؟ قالت : أي والله ، قال : كلا والله ، وما زال الكلام بينهما حتى قام يضربها ، فأقبلت أمها فقالت : ما شأنكم ، وصرخت : يا آل فلانة أفتضرب ابنتي على كد يديها ورزق رزقها الله ، فاجتمع الحي فقالوا : ما شأنكم؟ فأخبروهم بالخبر!! فقالوا : ويلكم ، القوم لم يرحلوا وقد تعجلتم الخصومة .

أعرابي يعمل في معمل للذهب

وكان رجل من الأعراب يعمل في معمل للذهب فلم يصب شيئاً ، فأنشأ يقول :

يا رب قدر لي في حماسي   وفي طلاب الرزق بالتماس

---

(١) عبد الله بن ذكوان الإمام الفقيه الحافظ المفتي أبو عبد الرحمن القرشي المدني ، ويلقب بأبي الزناد ، وأبوه مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة زوجة الخليفة عثمان .

صفراء تجلو كسل النعاس

فضربته عقرب صفراء سهرته طول الليلة وجعل يقول : يا رب الذنب لي إذ لم أبين لك ما أريده ، اللهم لك الحمد والشكر ، فقيل له : ما تصنع أما سمعت قول الله تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ : فوثب جزعاً وقال : لا شكراً لا شكراً .

الأعرابي وقراءة القرآن

وسئل أعرابي هل تقرأ من القرآن شيئاً؟ فقرأ أم الكتاب والإخلاص فأجاد ، فسئل هل تقرأ شيئاً غيرهما؟ فقال : أما شيئاً أرضاه لك فلا .

يعتذر من صلاته قاعداً

قال الأصمعي[1] : ورأيت أعرابياً يصلي في الشتاء قاعداً ويقول :

إليك اعتذاري من صلاتي قاعداً ... على غير طهر مومياً نحو قبلتي
فما لي ببرد الماء يا رب طاقةٌ ... ورجلاي لا تقوى على طي ركبتي
ولكنني أقضيه يا رب جاهداً ... وأقضيكه إن عشت في وجه صيفتي
وإن أنا لم أفعل فأنت محكم ... إلهي في صفعي وفي نتف لحيتي

يحتفظ بالحجر المعبود في الجاهلية

وقال إسحاق الموصلي : تذاكر قوم من نزار واليمن أصنام الجاهلية ، فقال رجل لهم من الأزد : عندي الحجر الذي كان قومنا يعبدونه ، قالوا : وما ترجو به؟ قال : لا أدري ما يكون .

أفضل الميتات

وروى أبو عمر الزاهد[2] أن بعض الأعراب قال : اللهم أمتني ميتة أبي! قالوا :

(١) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان .

(٢) أبو عمر الزاهد الإمام الأوحد العلامة اللغوي المحدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، البغدادي الزاهد ، المعروف بغلام ثعلب .

وكيف مات أبوك؟ قال : أكل بذجاً[(١)] وشرب مشعلاً[(٢)] ونام في الشمس فلقي الله وهو شبعان ريان دفئان .

لم يفهم الخليفة قصد الشيخ

وقد روينا عن الوليد أنه قال لرجل : ما شأنك؟ فقال الرجل : شيخ نايفي ، فقال عمر بن عبد العزيز : إن أمير المؤمنين يقول لك ما شأنك؟ فقال : ختني ظلمني ، فقال الوليد : ومن ختنك؟ فنكس الأعرابي رأسه وقال . ما سؤال أمير المؤمنين عن هذا؟ فقال عمر : إنما أراد أمير المؤمنين من ختنك؟ فقال : هذا ، وأشار إلى رجل معه .

أنشد بعض الحمقى

عن المبرد[(٣)] قال : قال الجاحظ : أنشدني بعض الحمقى :

إن داء الحــــب سقــــمٌ ليــس يهنيــــه القــرار

ونجـــا من كـــان لا يـــع شـــق مـــن تلــك المخازي

فقلت : إن القافية الأولى راء والثاني زاي؟ فقال : لا تنقط شيئاً ، فقلت : إن الأولى مرفوعة والثانية مكسورة ، فقال : أنا أقول تنقط وهو يشكل .

ألجأته ضرورة الشعر إلى الطلاق

وحكى بعضهم : قال : اجتمعنا ثلاثة نفر من الشعراء في قرية تسمى طيهاثا فشربنا يومنا ، ثم قلنا : ليقل كل واحد بيت شعر في وصف يومنا فقلت : نلنا لذيذ العيش في طيهاثا ، فقال الثاني : لما احتثثنا القدح احتثاثا فارتج على الثالث فقال : امرأته طالق ثلاثا ثم قعد يبكي على امرأته ونحن نضحك عليه .

---

(١) الحمل وقيل هو أضعف ما يكون من الحملان والجمع بذجان

(٢) الزق وهو وعاءٌ من جلدٍ يُجَزُّ شعرُهُ ولا يُنْتَف ، للشراب وغيره . والجمع : أَزقَاقٌ ، وزِقَاقٌ .

(٣) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد ينتهي نسبه بثمالة ، وهو عوف بن أسلم من الأزد . هو أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد ، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري .

الأمير كسنور وأعداؤه كالفئران

عن أبي الحسن علي بن منصور الحلبي[1] قال : كنت أحضر مجلس سيف الدولة[2] فحضرته وقد انصرف من غزو عدو له ظفر به ، فدخل الشعراء ليهنئوه فدخل رجل وأنشد :

وكانــوا كفــأرٍ وسوسوا خلف حائطٍ　　وكنــت كسنــورٍ عليهــم تسلقـا

فأمر سيف الدولة بإخراجه ، فقام على الباب يبكي ، فأخبر سيف الدولة ببكائه فأمر برده فقال : ما لك تبكي؟ فقال : قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه فلما خاب أملي وقابلني بالهوان ذلت نفسي فبكيت ، فقال له سيف الدولة : ويلك من يكون له مثل هذا النثر يكون له ذلك النظم! فكم أملت؟ قال : خمس مائة درهم فأمر له بألف درهم .

شعر تستحق أم قائله الطلاق

عن الصولي ، قال لمحمد بن الحسن ابن فقال له : إني قد قلت شعراً ، قال : انشدنيه ، قال : فإن أجدت تهب لي جاريةً أو غلاماً؟ قال : أجمعهما لك . فأنشده :

إن الديــــار طيفـــــا　　هيجــن حزنــاً قد عفــا

أبكيننـــدي لشقاوتــــي　　وجعلــن رأسدي كالقفــا

فقال : يا بني ، والله ما تستاهل جاريةً ولا غلاماً ، ولكن أمك مني طالق ثلاثاً إذا ولدت مثلك .

منا الوزير ومنا الأمير ومنا أنا

قال أبو سجادة الفقيه في شعر له :

ومنــا الوزيــر ومنــا الأمير　　ومنــا المشيــر ومنــا أنــا

(١) هو الشيخ علي بن منصور الأريب الحلبي ، الملقب بدوخلة (الدَّوخلة هي السلة التي يوضع فيها التمر) ، والمعروف بابن القارح ، ويكنى أبا الحسن . قال ابن عبد الرحيم هو شيخ من أهل الأدب شاهدناه ببغداد راوية للأخبار حافظا لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قؤوما بالنحو .

(٢) سيف الدولة الحمداني علي ابن أبو الهيجاء ابن حمدان ابن الحارث سيف الدولة التغلبي معروف باللقب الأكثر شيوعا سيف الدولة ، هو مؤسس إمارة حلب ، التي تضم معظم شمال سوريا وأجزاء من غرب الجزيرة ، و أخ لحسان ابن عبدالله .

يقع التغفيل من فطناء الشعراء

وقد وقع شيء يشبه التغفيل من فطناء الشعراء ، قال : فإن البحتري[١] دخل على بعض من يمدحه فأنشده : لك الويل من ليل تطاول آخره فقال الممدوح : لك الويل والحرب .

ومدح رجل معن بن زائدة[٢] فقال :

أتيتك إذا لم يبق غيرك جابر ولا واهب يعطي اللها والرغائبا

فقال معن : ليس هذا مدحاً ، وهلا قلت كما قال أخو بني تيم لمالك بن مسمع : الخفيف :

قلدته عرى الأمور نزار قبل أن تملك السراة النحورا

القصاص سيفويه

سيفويه القاص ، كان يضرب به المثل في التغفيل : عن محمد بن العباس بن حيويه قال : قيل لسيفويه قد أدركت الناس فلم لم تحدث؟ قال : اكتبوا ، حدثنا شريك عن مغيرة عن إبراهيم بن عبد الله مثله سواء ، قالوا له : مثل إيش؟ قال : كذا سمعنا وكذا نحدث .

عن ابن خلف قال : جاء يوماً رجل من عرس ، فسأله سيفويه : ما أكل؟ فأقبل يصف له ، فقال : ليت ما في بطنك في حلقي .

تمنيات قصاص

وقال ابن خلف : قال عبد العزيز القاص : ليت أن الله لم يكن خلقني وأني الساعة أعور ، فحكيت ذلك لابن غياث ، فقال : بئس ما قال ، ووددت والله الذي لا إله إلا هو ، أن الله لم يكن خلقني وإني الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين .

---

(١) البحتري : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي ، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي . يقال لشعره سلاسل الذهب ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم ، المتنبي وأبو تمام والبحتري .

(٢) معن بن زائدة معن بن زائدة أمير العرب أبو الوليد الشيباني ، من أكرم و أجود الناس . كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة .

من غفلات سيفويه

وروى أبو العباس بن مشروح قال : كان سيفويه اشترى لمنزله دقيقاً بالغداة وراح عشاء يطلب الطعام ، فقالوا : لم نخبز ، لم يكن عندنا حطباً ، قال : كنتم تخبزونه فطيراً .

وحكى أبو منصور الثعالبي : أن رجلاً سأل سيفويه عن الغسلين في كتاب الله تعالى فقال : على الخبير سقطت ، سألت عنه شيخاً فقيهاً من أهل الحجاز فما كان عنده قليل ولا كثير .

وقف سيفويه راكباً على حمار في المقابر ، فنفر حماره عند قبر منها ، فقال : ينبغي أن يكون صاحب هذا القبر بيطاراً .

وقرأ سيفويه ثم في سلسلة ذرعها تسعون ذراعاً ، فقيل له قد زدت عشرين ، فقال : هذه خلقت لبغاء ووصيف ، فأما أنتم فيكفيكم شريط بدانق ونصف . وقرأ قارىء بين يديه «كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً» فقال : ماذا لقي القوم والله من أجل صلاتهم بالليل .

وقرأ القارىء : «كأنهن الياقوت والمرجان» فقال : هؤلاء خلاف نسائكم الفجار .

قيل لسيفويه إن اشتهى أهل الجنة عصيدة كيف يعملون؟ قال : يبعث الله لهم أنها دبس ودقيق وأرز . ويقال : اعملوا وكلوا واعذرونا .

القصاص أبو أحمد التمار

وعن محمد بن خلف ، قال أبو أحمد التمار في قصصه : لقد عظم رسول الله ﷺ حق الجار حتى قال فيه قولاً أستحي والله أن أذكره .

يروي العلم ولا يعمل به

قال ابن خلف : قص قاص بالمدينة فقال : رأى أبو هريرة على ابنته خاتم ذهب ، فقال : يا بنية لا تتخمي بالذهب فإنه لهب ، فبينا هو يحدثهم إذ بدت كفه فإذا فيها خاتم ذهب ، فقالوا له : تنهانا عن لبس الذهب وتلبسه؟ فقال : لم أكن ابنة أبي هريرة .

يفسر القرآن برأيه

عن محمد بن الجهم أنه قال : سمعت الفراء يقول : كان عندنا رجل يفسر القرآن برأيه فقيل له : «أرأيت الذي يكذب بالدين» فقال : رجل سوء الله ، فقيل : «فذلك الذي يدع اليتيم» ، فسكت طويلاً ، ثم قال : من هذا عجبت .

سورة الإخلاص تحتاج إلى مجلسين

عن العلاء بن صالح قال : كان عبد الأعلى بن عمر قاصاً ، فقص يوماً ، فلما كاد مجلسه ينقضي قال : إن ناساً يزعمون أني لا أقرأ من القرآن شيئاً ، وأني لا أقرأ منه الكثير بحمد الله ، ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل هو الله أحد﴾ فارتج عليه فقال : من أحب أن يشهد خاتمة السورة فليحضرنا إلى مجلس فلان .

غفلة الواعظ

حكى أبو محمد التميمي أن أبا الحسن السماك الواعظ دخل عليهم يوماً وهم يتكلمون في أبابيل ، فقال : في أي شيء أنتم؟ فقالوا : نحن في ألف أبابيل هل هو ترون أنه بلبل عليهم عيشهم! فضحك القوم من ذلك .

دعاء غريب

جاء رجل إلى قاص وهو يقرأ : «يتجرعه ولا يكاد يسيغه» فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه .

القصاص الأحمق

قال الجاحظ : سمعت قاصاً أحمق وهو يقص حديث موسى وفرعون وهو يقول : لما صار فرعون في وسط البحر في الطريق اليابس ، فقال الله للبحر : انطبق ، فما زال حتى علاه الماء ، فجعل فرعون يضرط مثل الجاموس نعوذ بالله من ذلك الضراط . قال : وسمعت قاصاً بالكوفة يقول : والله لو أن يهودياً مات وهو يحب علياً ثم دخل النار ما ضره حرها .

كيف يقضي الأحمق على الشيطان

قال بعض القصاص : يا معشر الناس ، إن الشيطان إذا سمي على الطعام والشراب لم يقربه ، فكلوا خبز الأرز المالح ولا تسموا ، فيأكل معكم ثم اشربوا الماء وسموا حتى تقتلوه عطشاً .

القصاص أبو سالم

كان أبو سالم القاص يقص يوماً قال : يابن آدم يابن الزانية أما تستحي من الملك الجليل حتى تقدم على العمل القبيح؟ وسرق باب أبي سالم القاص جاء إلى باب المسجد وقلعه ، قالوا : ما تصنع؟ قال : اقلع هذا الباب فإن صاحبه يعلم من قلع بابي .

دعاؤه يشمل كل شيء

قال بعض الأشياخ : إنه كتب في رقعة إلى بعض القصاص يسأله الدعاء لامرأة حامل فقرأ الرقعة ثم قلبها وفي ظهرها صفة دواء قد كتبه طبيب وفيه قنبيل وخشيرك وافتيمون ونحو هذا ، فظنها كلمات يسأل بها ، فدعا وجعل يقول : يا رب قنبيل ، يا رب خشيرك ويا رب افتيمون إلى أن أنهى ما ذكر .

أبو عبد الله المزابلي

عن علي بن المحسن التنوخي قال : كان عندنا بجبل اللكام رجل يسمى أبو عبد الله المزابلي يدخل البلد بالليل فيتتبع المزابل فيأخذ ما يجده ويغسله ويقتاته ولا يعرف قوتاً غيره ، أو يتوغل في الجبل فيأكل من الثمرات المباحات ، وكان صالحاً مجتهداً إلا أنه كان قليل العقل ، وكان بأنطاكية موسى الزكوري صاحب المجون ، وكان له جار يغشى المزابل ، فجرى بين موسى الزكوري وجاره شر ، فشكاه إلى المزابلي فلعنه في دعائه فكان الناس يقصدونه في كل جمعة فيتكلم عليهم ويدعو ، فلما سمعوه يلعن ابن الزكوري جاء الناس إلى داره لقتله فهرب ونهبت داره ، فطلبه العامة فاستتر فلما طال استتاره قال : إني سأحتال على المزابلي بحيلة أتخلص بها فأعينوني ، فقالوا له : ما تريد؟ قال : أعطوني ثوباً جديداً وشيئاً من مسك وناراً وغلماناً يؤنسوني الليلة في هذا الجبل ، قال : فأعطيته ذلك ، فلما كان نصف الليل صعد فوق الكهف الذي يأوي فيه المزابلي فبخر بالند ونفخ المسك فدخلت الرائحة

إلى كهف أبي عبد الله المزابلي ، فلما اشتم المزابلي تلك الرائحة وسمع الصوت قال : ما لك عافاك الله ومن أنت؟ قال : أنا جبرائيل أرسلني ربي ، فلم يشك المزابلي في صدق القول وأجهش بالبكاء والدعاء ، فقال : يا جبرائيل ومن أنا حتى يرسلك الله إلي؟ فقال : الرحمن يقرئك السلام ويقول لك : موسى الزكوري غداً رفيقك في الجنة . فصعق أبو عبد الله فتركه موسى فرجع ، فلما كان من الغد كان يوم الجمعة أقبل المزابلي يخبر الناس برسالة جبرائيل ويقول : تمسوا بابن الزكوري واسألوه أن يجعلني في حل واطلبوه لي ، فأقبل العامة إلى دار ابن الوكوري يطلبونه ويستحلونه .

ضرس الكافر مثل أحد

عن أبي النقاش عن شيخ له قال : كنت في جامع واسط ورجلان يحدثان في حديث جهنم ، فقال أحدهما : بلغني أن الله عز وجل يعظم خلق الكافر حتى يكون ضرسه مثل أحد ، فقال له الآخر : ليس هذا أمره . وإلى جانبهما شيخ متأله كثير الصلاة فالتفت إليهما فقال : لا تنكروا هذا ، إن الله على كل شيء قدير ، وتصديق ما كنتما فيه كتاب الله ، قال : وما ذاك يا عم؟ قال : قوله تعالى : فأولئك يبدل الله سنانهم خشبات فهو ما يبدل السن خشبة إلا وهو قادر على أن يجعله مثل أحد .

كيف استراح من الشك

عن الزهري قال : بلغني عن حجاج الشاعر أنه مر يوماً في درب وفي آخره ميزاب ، قال : أصابني لم يصبني أصابني ، فلما طال عليه ذلك ، جاء وجلس تحته وقال : استرحت من الشك .

الزاهد المغفل

عن أبي علي الطائي قال : قرأ رجل عند بعض المتزهدين وكان مغفلاً : «وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه» فقال : دعنا من آيات الفجار .

تواضع عجيب غريب

عن محمد المخرمي قال : كنا في مجلس فشممت رائحة أنكرتها ، فنظرت فإذا رجل قد وضع في شاربه عذرة ، فقلت له : ما هذا؟ قال : تواضعاً لربي عز وجل .

التقي العاقل لا يتباهى بتقواه

قال طاهر بن الحسين[١] للمروزي[٢] : منذ كم دخلت العراق؟ قال : منذ عشرين سنة وإني أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة ، قال طاهر : سألتك عن مسألة فأجبتني عن مسألتين .

آية سببت له الخشوع والوجد

عن أبي عثمان الجاحظ قال : أخبرني يحيى بن جعفر قال : كان لي جار من أهل فارس وكان بلحية ما رأيت أطول منها قط ، وكان طول الليل يبكي ، فأنبهني ذات ليلة بكاؤه ونحيبه وهو يشهق ويضرب على رأسه وصدره ويردد آية من كتاب الله تعالى ، فلما رأيت ما نزل به قلت لأسمعن هذه الآية التي قتلت هذا وأذهب نومي ، فتسمعت عليه فإذا الآية «يسألونك عن المحيض قل هو أذى» فعلمت أن طول اللحية لا يخلف .

لا أترك تسبيحاً تعلمته

وعنه ، قال : أخبرني النظام قال : مررت بناحية باب الشام فرأيت شيخاً قاعداً على باب داره وبين يديه حصى ونوى ، وهو يسبح ويعد بهما ويقول : حسبي الله حسبي الله ، فقلت : يا عم ليس هذا هو التسبيح ، قال : كيف هو التسبيح عندك؟

---

(١) طاهر بن الحسين اسمه طاهر بن الحسين بن زريق ماهان الخزاعي ولد سنة ١٥٩هـ وهو أحد أشهر قواد الخليفة العباسي المأمون وكان يعرف بذى اليمينين وقال فيه الشاعر يا ذا اليمنين وعين واحده نقصان عين ويمين زائدة .

(٢) المروزي لقب يعطى لعدد من الأشخاص الذين يرجع أصلهم لمدينة مرو بخراسان . ومنهم :
- يشوعداد المروزي ، أسقف حديثة وأديب ولاهوتي سرياني ، عاش في القرن التاسع الميلادي .
- محمد بن نصر المروزي ، فقيه إسلامي عاش في القرن التاسع الميلادي .
- أبو إسحاق المروزي ، فقيه إسلامي عاش بالقرن العاشر الميلادي .
- أحمد بن عبد الله المروزي ، عالم رياضيات عاش في القرن العاشر الميلادي .
- شرف الزمان طاهر المروزي ، طبيب عاش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي .
- فتوحي المروزي ، من أدباء وشعراء إيران في القرن السادس الهجري .

قلت : سبحان الله ، قال : يا أحمق هذا تسبيح تعلمته بعبادان منذ ستين سنة أسبح به ، فاتركه لقولك يا جهل .

دعاء المغفل

وقال : رأيت أبا محمد السيرافي ، وكان طويل اللحية يدعو ربه وقد رفع يديه إلى السماء وهو يقول : يا منقذ الموتى ، ومنجي الغرقى ، وقابل التوبات ، وراحم العثرات ، أنت تجد من ترحمه غيري وأنا لا أجد من يعذبني سواك .

دعاء الله والملائكة والناس

قال : رأيت أبا سعيدي البصري يدعو ربه ، وكان طويل اللحية أحمق ، وهو يقول : يا رباه ، يا سيداه ، يا مولاه ، يا جبرائيل ، يا إسرافيل ، يا ميكائيل ، يا كعب الأحبار يا أويس القرني بحق محمد وجرجيس عليك ، أرخص أمتك على الدقيق .

خشوع الحمقى

عن بشر بن عبد الوهاب قال : كان يجلس إلى عمود في دمشق رجل جميل الهيئة ، فرأيته يوماً وقد سجد ويقول في سجوده : سجد لك خضرتي وحمرتي وصفرتي وبياضي وسوادي ، خاشعاً ضارعاً خاضعاً ماصاً لبظر أمه ، ومن أنا عندك؟! الزاني ابن الزانية حتى لا تغفر له؟

النظر إلى الدنيا بعينين، إسراف

كان لأبي العتاهية[١] تلميذ تصوف وتزهد وقير إحدى عينيه وقال : النظر إلى الدنيا بعينين إسراف .

---

(١) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ، أبو إسحاق ، ولد في عين التمر سنة ١٣٠ هـ/٧٤٧ م ، ثم أنتقل إلى الكوفة ، كان بائعا للجرار ، مال إلى العلم والأدب ونظم الشعر حتى نبغ فيه ، ثم انتقل إلى بغداد ، وأتصل بالخلفاء ، فمدح المهدي والهادي والرشيد .

من كان بين محمد وآله

قال بعضهم : كان لي عم له سبعو سنة ، فسمعته يقول في دعائه : بمن كان بين محمد وآله من النبيين والمرسلين ، فقلت له : يا عم ، اسمعك تدعو بهذا الدعاء فمن كان بين محمد وآله من النبيين والمرسلين؟ فقال : العشرة الذين بايعوه تحت الشجرة .

قصة متزهد لا يعرف من هم الأنبياء

قال بعض معارفنا : إنه حضر في بعض البلاد عند متزهد ، وحضر جماعة يتبركون به ، منهم قاضي البلاد ، فجرى ذكر لوط عليه السلام فقال المتزهد : عليه لعنة الله ، فقيل له : ويحك هذا نبي ، فقال : ما علمت ، ثم التفت إلى القاضي فقال : خذ علي التوبة مما قلت ، فتاب ، ثم أفاضوا في الحديث فجرى ذكر فرعون فقالوا له : ما تقول فيه؟ فقال : أنا الآن تبت فلا أدخل بين الأنبياء .

معاشرة الصبيان سبب للغفلة

وهذا شيء قل أن يخطىء ونراه مطرداً ، ولا نظن السبب في ذلك إلا معاشرة الصبيان ، وقد بلغني أن بعض المؤدبين للمأمون أساء أدبه على المأمون وكان صغيراً ، فقال المأمون : ما ظنك بمن يجلو عقولنا بأدبه ويصدأ عقله بجهلنا ، ويوقرنا بزكانته ونستخفه بطيشنا ، ويشحذ أذهاننا بفوائده ويكل ذهنه بغينا ، فلا يزال يعارض بعلمه جهلنا ، وبيقظته غفلتنا ، وبكماله نقصنا ، حتى نستغرق محمود خصاله ، ويستغرق مذموم خصالنا ، فإذا برعنا في الاستفادة برع هو في البلادة ، وإذا تحلينا بأوفر الآداب تعطل من جميع الأسباب ، فنحن الدهر ننزع منه آدابه المكتسبة فنستفيدها دونه ونثبت فيه أخلاقنا الغريزية فينفرد بها دوننا ، فهو طول عمره يكسبنا عقلاً ويكتسب منا جهلاً ، فهو كذبالة السراج ودودة القز .

قاضٍ لا يقبل شهادة المعلمين

قال الجاحظ : كان ابن شبرمة لا يقبل شهادة المعلمين . وكان بعض الفقهاء يقول : النساء أعدل شهادة من معلم .

سبب غفلة الحاكة

عن أبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل[١] رضي الله عنه قال : حدثنا سفيان عن أبي هارون يعني موسى بن أبي عيسى أن مريم ذهبت تطلبه يعني عيى فلقيت حائكاً فقال : ذهب هكذا ، قال سفيان : كذبها ، فقالت : اللهم توهه . فلا تجده إلا تائهاً . وسألت رجلاً خياطاً فأرشدها فدعت له فهو يجلس إليهم .

وعن موسى بن أبي عيسى أن مريم فقدت عيسى ، فدارت تطلبه ، فرأت حائكاً فلم يرشدها ، فدعت عليه فلا تزال تراه تائهاً ، ورأت خياطاً فأرشدها ، فدعت له فهو يأنس إليهم ويجلس معهم .

الرشيد والقلال

قالوا : أحب الرشيد أن ينظر إلى أبي شعيب القلّال وكان أحمقا كيف يعمل القلال ، فأدخلوه القصر وأتوه بكل ما يحتاج إليه من آلة العمل ، فبينا هو يعمل إذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه ، فلما رآه نهض قائما ، فقال له الرشيد : دونك ما دعيت له ، فإني لم آتك لتقوم إلي ، وإنما أتيتك لتعمل بين يدي . قال : وأنا لم آتك ليسوء أدبي ، وإنما أتيتك لأزداد بك في كثرة صوابي .

قال له الرشيد : إنما تعرضت لي حين كسدت صنعتك . فقال أبو شعيب : يا سيد الناس ، وما كساد عملي في جلال وجهك؟ فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ثم قال : والله ما رأيت أنطق منه أولا ، ولا أعيا منه آخرا ، ينبغي لهذا أن يكون أعقل الناس أو أجنّ الناس .

جار الجاحظ

عن أبي العيناء قال : قال لي الجاحظ : كان لنا جار مغفل جداً وكان طويل اللحية فقالت له امرأته : من حمقك طالت لحيتك ، فقال : من عير عير .

قال : وقد رأى على بابه قذراً ، فقال : هذا الذي قذر خلفنا إن كان صادقاً فليقذر في وجوهنا حتى نعلم . وولد له ولد فقيل له : ما تسميه؟ فقال : عمر بن عبد العزيز ، وهنؤوه به فقال : إنا هو من الله ومنكم .

---

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي فقيه ومحدِّث مسلم ، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي .

دعا الله أن لا يؤاخذ موسى

وعن أحمد بن عمر البرمكي قال : قال أبو المنذر : مرت بي آية وهي قوله تعالى : ﴿لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ ، فلم يرض موسى أن ادعى ملك نفسه حتى ادعى ملك أخيه ، رحم الله موسى ما إن كان إلا قدرياً صرفاً ، أسأل الله أن لا يؤاخذه .

أفسد بدل أن يصلح

عن إسماعيل بن زياد قال : نشزت على الأعمش امرأته ، وكان يأتيه رجل يقال له : أبو البلاد فصيح يتكلم بالعربية يطلب منه الحديث ، فقال له : يا أبا البلاد : إن امرأته قد نشزت علي وغمتني ، فادخل عليها وأخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم ، فدخل عليها فقال : إن الله قد أحسن قسمك ، هذا شيخنا وسيدنا ، وعنه نأخذ ديننا وحلالنا وحرامنا ، لا يغرك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه ، فغضب الأعمش عليه وقال : أعمى الله قلبك ، قد أخبرتها بعيوبي كلها ، أخرج من بيتي ، فأخرجه .

زيادة المرء أو نقصه في التكلم

عن محمد بن سلام[(١)] قال : قال الشعبي[(٢)] : كان شاب يجلس إلى الأحنف ، فأعجبه ما رأى من صمته إلى أن قال له ذات يوم : أود أن تكون على شرف هذا المسجد وإن لك مائة ألف درهم ، فقال له : يا ابن أخي ، والله إن مائة الألف لمحروص عليها ، ولكني قد كبرت وما أقدر على القيام على هذه الشرفة ، وقام الفتى ، فلما ولى قال الأحنف :

وكأين ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

---

(١) محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي أبو عبد الله البصري مولى قدامة بن مطعون ، صنف كتاب طبقات فحول الشعراء ، وكان من أهل الفضل والأدب .

(٢) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، والمشهور بـ الإمام الشعبي ٢١ هـ/١٠٠ هـ ، تابعي وفقيه ومحدث من السلف ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب .

من قصص ابن أبي الشوارب

عن محمد بن الحسن بن زياد[(١)] عن بعض ولد أبي الشوارب وكان أحمق أن أباه أمره بتقيير حب فقيره من خارج ، فقال له أبوه : ما هذا الفعل؟ قال : إذا شئت أن تقلبه فاقلبه . وحكي أن هذا المذكور قد احتلم ليلة في وقت بارد ، وكره أن ينغمس في الماء البارد وطلب شيئاً يسخن فيه الماء فلم يجد ، فنزع ثوبه وعبر النهر سباحة حتى استعار شيئاً يسخن فيه الماء ورجع سباحة ثم سخن فيه واغتسل .

أساء المناداة فأوقعوا به

عن أبي العيناء أنه قال : رأيت يوماً في الوراقين منادياً مغفلاً في يده مصحف مخلق الأداة ، فقلت له : ناد عليه بالبراءة من العيب ، وأنا أعني به الأداءة ، فأقبل ينادي بالبراءة مما فيه ، فأوقعوا به .

لا أبيت في هذه البلدة

عن معمر أنه قال : دخلت مسجد حمص فإذا أنا بقوم لهم رواد ، فظننت فيهم الخير فجلست إليهم ، فإذا هم ينتقصو علي بن أبي طالب ويقعون فيه ، فقمت من عندهم ، فإذا شيخ يصلي ظننت فيه الخير فجلست إليه ، فلما أحس بي وسلم قلت : يا عبد الله ما ترى هؤلاء القوم ينتقصون علياً ويشتمونه ، وجعلت أحدثه بمناقبه وأنه زوج بنت رسول الله ﷺ وأبو الحسنين وابن عم الرسول ، فقال : يا عبد الله ، ما لقي الناس من الناس ، ولو أن أحداً نجا من الناس ، لنجا منهم أبو محمد رحمه الله ، هو ذا يشتم وحده . قلت : ومن أبو محمد؟ قال : الحجاج بن يوسف . وجعل يبكي ، فقمت عنه وقلت : لا يحل لي أن أبيت في هذه البلدة ، فخرجت من يومي .

أعجب ما أرى في الكوفة

قال ابن الماجشون[(٢)] : كان لي صديق مدني فقدته مدة ثم رأيته ، فسألته عن

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند (٢٦٦-٣٥١ هـ) المقرئ ، المعروف بالنقاش ، الموصلي الأصل البغدادي المولد والمنشأ ؛ كان عالما بالقرآن والتفسير .

(٢) ابن الماجشون العلامة الفقيه مفتي المدينة أبو مروان ، عبد الملك بن الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون التيمي .

حاله فقال : كنت بالكوفة ، فقلت : كيف أقمت بها وهم يسبون أبا بكر وعمر؟ فقال : يا أخي قد رأيت منهم أعجب من ذا ، قلت : وما هو؟ قال : يفضلون الكباشي على معبد في الغناء ، فسمع المهدي بذلك فضحك حتى استلقى .

خبير بالبراذين

وعن ابن خلف قال : كان رجل يعرف بالمسكي يدعي البصر بالبراذين ، فنظر يوماً إلى برذون واقف ، قد بلع رأس اللجام ، فقال : العجب كيف لا يزرعه القيء ، أنا لو أدخلت أصبعي في حلقي لما بقي في جوفي شيء ، قال : قلت الآن علمت أنك بصير بالبراذين .

إذا جاء رمضان استويا في العمر

قال : وسأل أبو نواس(١) أحد الوراقين الذين كانوا يكتبون في حانوت أبي داود : أي أسن أنت أم أخوك؟ قال : إذا جاء رمضان استوينا .

قال : وسرقت منه دراهم ، فقيل له : نرجو أن نكون في ميزانك ، فقال : من الميزان سرقت .

لا أحتاج إلى أحد

وقيل لسورة الواسطي وأراد سفراً : أحسن الله صحابتك : قال : ما أحتاج ، الموضع أقرب من ذلك .

إذا طلع الفجر نصف الليل

وعن أبي عاصم(٢) قال : قال رجل لأبي حنيفة(٣) : متى يحرم الطعام على

(١) أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي . يكنى بأبي علي وأبي نؤاس والنؤاسي . وعرف أبو نواس بشاعر الخمر . قال البعض انه تاب عما كان فيه وأتجه إلى الزهد وقد انشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك .

(٢) الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن الضحاك ، الإمام الحافظ شيخ المحدثين الأثبات ، أبو عاصم الشيباني .

(٣) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ فقيه وعالم مسلم ، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي .

الصائم؟ قال : إذا طلع الفجر ، قال : وإذا طلع الفجر نصف الليل؟ قال : قم يا أعرج .

جليس أبي يوسف

وعن طاهر الزهري قال : كان رجل يجلس إلى أبي يوسف فيطيل الصمت ، فقال له أبو يوسف : ألا تتكلم؟ قال : بلى ، متى يفطر الصائم؟ قال : إذا غابت الشمس ، قال : فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فضحك أبو يوسف وقال : أصبت في صمتك وأخطأت في استدعائي لنطقك ، ثم قال :

عجبت لإزراء العيي بنفسه ... وصمت الذي كان بالصمت أعلما
وفي الصمت ستر للعيي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما

اتهم المغفل ربه

عن أبي الحسن المدني قال : سرق لأبي الجهم بن عطية حمار ، فقال : لا والله يا رب ، ما أخذ حماري غيرك وأنت تعرف موضعه فاردده علي .

إنه يعرف لبس أمه

عن مسعود قال : وجه عمرو بن سلمة ابن قتيبة أخاه ليشتري لأمه كفناً ، فقال للبائع : لا تنتخبه فإنها ، رحمها الله ، كانت رديئة اللبس .

مسألة غامضة

قال الدارقطني : عن أبي الحسين بن عبد الرحيم الخياط قال : كنت جالساً عند أحمد بن الحسين فجاءته امرأة برقعة فيها مسألة ، فقال لي : اقرأها علي يا أبا الحسين ، فقرأتها فإذا فيها : رجل قال لامرأته أنت طالق إن ، ثم وقف عند إن ، فقال لها : فما حال إن؟ قالت : لسن أعرف عند إن . فقال لي : أعد القراءة ، فأعدت عليه كما قرأت أول مرة ، فقال لها : فثم وقف عند إن هذه ولم يتم ، قالت : لا والله ما أعرف وقف عند إن ، قال : وكان في المسجد جماعة فقال لهم : أنظروا ، فقرأوا كلهم كما قرأت ، ثم تنبه بعضهم لذلك فقال : إنما هو : رجل قال لامرأته أنت طالق إن ثم وقف عند إن .

الإخوة المغفلون

وعن المرزبان[1] قال : قال أبو عثمان البصري : كان أخوة ثلاثة ، أبو قطيفة والطبلي وأبو كلير ، وهم ولد غياث بن أسيد ، فأما أحدهم فكان يحج عن حمزة بن عبد المطلب ويقول : استشهد قبل أن يحج ، والآخر يضحي عن أبي بكر وعمر ويقول : غلطا في ترك الأضحية ، والآخر يفطر عن عائشة أيام التشريق ، ويقول : غلطت في صوم أيام العيد ، فمن صام عن أبيه فأنا أفطر عن أمي عائشة .

غافل أساء الأدب

قال أبو عثمان : وذكر لأبي شعيب البلال عبد الله بن حازم وحميد الطوسي ويحيى الحرمي وما كانوا فيه من كثرة القتل والضرب والعذاب ، فقال : ويحهم كيف يجسرون على ذاك الأسد! يعني الله ، تعالى عما قال .

شهادة الأحمق

قال أبو عثمان : وسمع بعض الحمقى مؤذناً يؤذن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال الأحمق : أشهدها مع كل شاهد وأجحدها مع كل جاحد .

لا يرى ضرورة للقسم

وعن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال : تقدم إلي في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وأنا أتقلد القضاء بالأهواز في مجلس حكم ، رجلان ، ادعى أحدهما على الآخر دعوى ، فسألته عنها فأنكرها ، فطالبت المدعي ببينة فعدمها ، وطلب استحلاف الخصم فقتل له : أتحلف؟ فقال : ليس له علي شيء كيف أحلف ، ولو كان له علي شيء لحلفت له وأكرمته .

---

(١) سعيد بن المرزبان البقال اسمه سعيد بن المرزبان العبسي ، أبو سعد ، البقال الكوفي الأعور ، مولى حذيفة بن اليمان كنيته أبو سعد وقيل : العبسي مولاهم البقال الكوفي الأعور يعتبر سعيد بن المرزبان البقال من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ضعيف مدلس ،وعند الإمام شمس الدين الذهبي قال أحمد : منكر الحديث .

ما خرج من الكتاب حتى تعلم كل شيء

وعن ثمامة بن أشرس[١] قال : شهدت رجلاً وقد قدم خصماً له إلى بعض الولاة فقال : أصلحك الله ، أنا رافضي ناصبي ، وخصمي جهمي مشبه مجسم قدري ، يشتم الحجاج بن الزبير الذي هدم الكعبة على علي بن أبي سفيان ويلعن معاوية بن أبي طالب ؛ فقال له الوالي : ما أدري مم أتعجب ، من علمك بالأنساب أم من معرفتك الألقاب ، قال : أصلحك الله ، ما خرجت من الكتاب حتى تعلمت هذا كله .

عاقل يجري عليه حكم جاهل

وعن محمد بن المبرد ، عن الحسن بن رجاء ، أن الرشيد لما غضب على ثمامة دفعه إلى سلام الأبرش ، وأمره أن يضيق عليه ، وأن يدخله بيتاً ويطين عليه ويترك فيه ثقباً ، ففعل دون ذلك ، وكان يدس إليه الطعام ، فجلس سلام عشية وهو يقرأ في المصحف ، فقرأ ويل يومئذ للمكذبون فقال ثمامة : إنما هو المكذبين ، وجعل يشرح ويقول : المكذبون هم الرسل ، والمكذبين هم الكفار ، فقال : قد قيل لي : إنك زنديق ولم أقبل ، ثم ضيق عليه أشد الضيق ، قال : ثم رضي الرشيد عن ثمامة فجالسه ، فقال : أخبروني عن أسوأ الناس حالاً ، فقال كل واحد شيئاً ، قال ثمامة : وبلغ القول إلي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، عاقل يجري على حكمٍ جاهل؟ فتبينت الغضب في وجهه فقلت : يا أمير المؤمنين ما أحسبني وقعت بحيث أردت ، قال : لا والله ، فانشرح ، فحدثته بحديث سلام ، فضحك حتى استلقى وقال : صدقت ، والله لقد كنت أسوأ الناس حالاً .

صب علي الماء البارد

عن المرزبان قال : أخبرني بعض أصحابنا قال : قال رجل لرجل في يوم بارد : أصبت عليك جرة ماء وأعطيك درهماً! فتلكأ ، فقال آخر : إفعل ذلك علي والدرهم بيني وبينه .

---

(١) ثمامة بن أشرس العلامة أبو معن النميري البصري المتكلم ، من رءوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن – جل منزله . وكان نديما ظريفا صاحب ملح .

حلق الله لحيتك

وعن ابن المرزبان ، قال : أخبرني بعض الأدباء قال : قال رجل من العراق لرجل من الشام في كلام جرى بينهما : حلق الله لحيتك ، قال : بمكة إن شاء الله .

أيهما أفضل

كذلك قال بعض الأدباء : قال : سئل خطيب أي أفضل معاوية أم عيسى بن مريم؟ فقال : لا إله إلا الله أتقيس كاتب الوحي بنبي النصارى . . .

خروج الريح في الصلاة

قال : تقدم رجل إلى بعض الفقهاء فقال له : الرجل إذا خرجت منه الريح تجوز صلاته ، قال : لا ، قال : قد فعلت أنا وجاز .

اعترفت بذنبي فاغفر لي

وعن ابن المرزبان ، قال : دعا رجل من الأشراف بمكة فقال : اللهم إن كنت ما تعرفني فأنا فلان بن فلان ، وأني مررت بعبدك فلان وهو يقول شيئاً فيه فحش ، فرفسته فانبطح يفحص برجليه ميتاً ، اللهم قد أقررت لك الآن فاغفر لي كما تريد .

موضع إن شاء الله

وخرج رجل إلى السوق يشتري حماراً ، فلقيه صديق له فسأله ، فقال : إلى السوق لأشتري حماراً ، فقال : قل إن شاء الله ، فقال : ليس ها هنا موضع إن شاء الله ، الدراهم في كمي ، والحمار في السوق ، فبينما هو يطلب الحمار سرقت منه الدراهم فرجع خائباً ، فلقيه صديقه ، فقال له : ما صنعت؟ فقال : سرقت الدراهم إن شاء الله ، فقال له صديقه : ليس ها هنا موضع إن شاء الله .

لا تستثن حتى تسلم

قال : وركب أحمقان في قارب فتحركت الريح ، فقال أحدهما : غرقنا والله ، وقال الآخر : لا إن شاء الله ، قال : لا تستثن حتى تسلم .

تزوج الصغيرة تقليلاً للشر

قال : وأخبرني بعض أصحابنا ، قال : تزوج رجل امرأة صغيرة ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنما المرأة شر ، وكلما أقللت من الشر كان خيراً .

عمل بالنصائح مجتمعة

عن أبي علي البصري : قال : أخبرت أن رجلاً ورث مالاً جزيلاً فعمل فيه ما اشتهى ، فقال : أريد أن تفتحوا علي صناعة لا يعود علي منها شيء فأتلف بها هذا المال ، فقال له أحد جلسائه : اشتر التمر من الموصل واحمله إلى البصرة ، وقال آخر له : اشتر من ابر الخياطة التي ثلاثة بدرهم فإذا جمعت عشرة أرطال أسبكها نقداً تبيعها بدرهمين ، وقال آخر : اشتر ما شئت واخرج إلى الأعراب فبعه منهم ، وخذ سفاتجهم إلى الأكراد ، وبع من الأكراد وخذ سفاتجهم إلى الأعراب ، فكان يفعل ذلك حتى فني ماله .

عن الحارث قال : قال رجل لامرأته وقد غضب عليها : يا هذه أنا الذي إذا رأيت المرأة تأتي بقبيح أهينها وأهين من يهينها .

عمر أبي فضالة

قال الحارثي : وكان يلزم القاضي أبا الحسن الهاشمي رجل بالبصرة من أهلها يقال له أبو فضالة ، وكان ربما سأل القاضي عن مولده فيقول : ولدت في سنة خمس وسبعين ومائتين ، فما أراه يكثر في طول هذه المدة ، فإذا الكبر يكون عنده بقدم المولد إلى فوق .

عجوز تلعن نفسها

عن الهذيل ، أنه قال : كان عندنا بالمدينة لحام ، فجاءته عجوز فقالت : أعطني بدرهم لحماً وطيبه لي وأخبرني باسمك حتى أدعو لك ، فأعطاها شر لحم وقال : اسم من تمد ، فلما أفطرت العجوز جعلت تمد اللحم فلا تقدر عليه ، فجعلت تقول : لعن الله من تمد فتلعن نفسها . وحكي أن قصاباً كان ينادي على اللحم ، سري تعالوا على أربعة .

أمشي وأربح حماراً

عن محمد الداري قال : كان عندنا رجل بدارا وكان فيه غفلة ، فخرج من دارا ومعه عشرة أحمر ، فركب واحداً وعدها ، فإذا هي تسعة ، فنزل وعدها فإذا هي عشرة ، فلا زال كذلك مراراً ، فقال : أنا أمشي وأربح حماراً خير من أن أركب ويذهب مني حمار ، فرأيته يمشي حتى كاد يتلف إلى أن بلغ قريته .

عادة أبي حفص

عن أبي العيناء قال : كان عندنا بالبصرة رجل يكنى أبا حفص ، ويلقب ببلاغة ، قال : كان يمر بالقوم فيقول : أنتم لا صبحكم الله إلا بالخير ، ويمر بآخرين ويقول : أنتم لا مساكم الله إلا بالكرامة ، وكان لا يمر آخر كلامه حتى يسبح .

لا يقع الطلاق حتى يرضى أبوك وأمك

عن أبي إسحاق الجوني قال : كان لنا جار نحاس يقال له : عباس ، قد أتى عليه خمس وثمانون سنة ؛ قال : فسألته إمرأة عن مسألة فقالت له : زوجي طلقني ثلاثاً ، فقال : أرضي أبوك وأمك؟ قالت : لا ، قال : فاذن يجوز العود حتى يرضى أبوك وأمك ، قالت : قد سألت أبا إسحاق فقال لي : قد طلقت ، فقال : وما يدري أبا إسحاق ، أنا أبصر منه وأعلم منه ، وأكبر منه . أنا ألقيت على أبا إسحاق مسألة فلم يخرج منها .

حيلة زوجة

عن المروزي قال : اشترى أبو عبد الحميد سمكة فنام إلى أن تستوي فجيء بالسمكة فأكلتها امرأته مع نساء ، ثم مسحت شفتيه وأطراف أصابعه منها ، فانتبه فدعا بالغداء وقال : هاتوا السمكة ، فقالت له امرأته : يا مخبل ألست قد أكلتها ونمت ولم تغسل يديك؟ فشم يده فوجد ريح السمك فغسل يده وقال : ما رأيت سمكة أمرأ من هذه ، قد جعت فهيئوا لي الغداء .

أكلت وما شبعت

عن يحيى بن معين قال : اشترى غندر سمكاً فقال لأهله : أصلحوه ، ونام ،

فأكل عياله السمك ولطخوا يده به ، فلما انتبه قال : قدموا السمك ، قالوا : قد أكلت ، قال : صدقتم ولكني ما شبعت .

غندر يتحدث عن سلامته

وقيل لغندر : إن الناس يعظمون أمر السلامة التي فيك ، فحدثنا منها بشيء صحيح قال : صمت يوماً فأكلت ثلاث مرات ناسياً ، أكلت ثم ذكرت أني صائم ، ثم نسيت ثم ثنيت ؛ ثم ثلثت فأتممت صومي . وقال : سمعت أبي يقول : قال المأمون : اختر لي إسماً أسمي به جاريتي هذه ، قال : سمها مسجد دمشق فإنه أحسن شيء .

لا أمشي في جنازة

عن أبي بكر بن زياد قال : مات جار لمكي فلم يتبع جنازته ، فقال له : ويحك لم لم تتبع جنازته؟ فقال : أنتم مجانين أذكر بنفسي .

عالم بالنجوم

عن سفيان قال : كان رجل يقول لعمرو بن دينار : أنا أبصر بالنجوم ، فقال له عمرو : أتعرف الهقعة والقنعة والوقعة؟ قال : نعم ، قال : الآن لا تعلم من النجوم شيئاً .

شيخ من الري يهذي

دخل على حاتم العقيلي شيخ من أهل الري ، فقال : أنت الذي تروي أن النبي ﷺ أمر بقراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام؟ قال : قد صح الحديث عن النبي ﷺ في ذلك ، فقال له : كذبت ، إن فاتحة الكتاب لم تكن في عهد رسول الله ﷺ ، إنما نزلت في عهد عمر بن الخطاب .

الجارية النادبة

قال المدائني : سمع أسماء بن خارجة[1] نادبة فقال :

(١) أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وكنيته أبو حسان الكوفي ، وكان من أشراف العرب وسادتهم ، عرف عنه الجود والسخاء وله قصص كثيرة بالكرم ، وكانت بنته هند زوجاً للحجاج بن يوسف ، وابنه مالك بن أسماء من ولاة الحجاج .

فمـــن للمنابـــر والخافقـــات ... والجـرد بعـد إمـام العـــرب
ومـــن للطعـان غـداة الهياجـــو ... مـــن يمنـع البيـض عند الهـرب
ومـــن للعفـاة وفـك العـــتاة و ... مـــن يفرج الكرب عنـد الكـرب

فقال أسماء : إنها لتندب رجلاً شريفاً فمن هو؟ فقيل له : إنه فلان البقال ابن وردان الحائك ، فقال : هذه أعظم من المصيبتين .

الكلب المفضل

عن المدائني : لقي رجل رجلاً ومعه كلبان ، فقال : هب لي أحدهما ، فقال : أيهما تريد؟ فإن الأسود أحب إلي من الأبيض ، قال : فهب لي الأبيض ، قال : الأبيض أحب إلي من كليهما .

كساه الأمير ثوبين

قال طارق : ودخل رجل على بلال فكساه ثوبين ، فقال : كساني الأمير ثوبين ، فأتزرت بالآخر ، وارتديت بالآخر .

دعا على نفسه

قال طارق : ووقع بين جار لنا وجار له يكنى أبا عيسى كلام ، فقال : اللهم خذ مني لأبي عيسى ، فقالوا : تدعو على نفسك؟ قال : فخذ لأبي عيسى مني .

يدغدغ نفسه

قال ابن الفرج : حدثني أبي قال : رأيت إنساناً يدغدغ نفسه فقلت له : لم تفعل هذا؟ قال : اعتممت فأردت أن أضحك قليلاً .

ماتت امرأته فندبها بحمق

قال ابن خلف : وقيل لهبيرة لما ماتت امرأته : اندبها ، اذكرها بشيء ، قال : يا فلانة رحمك الله ، لقد كان بابك مفتوحاً ومتاعك مبذولاً .

اسم التاجر

عن عبد الرحمن بن داود قال : لقي تاجر تاجراً فقال له : ما اسمك ولا تطول ، فقال : أبو عبد منزل القطر عليكم من السماء تنزيلاً الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه فقال : مرحباً بك يا ثلث القرآن .

لا تخرج من البئر حتى أنقذك

وذكر ابن حبيب أن أخاً لعثمان بن سعيد سقط في البئر ، فقال أخوه : أنت في البئر؟ قال : أما تراني! قال : لا تذهب حتى أجيئك بمن يخرجك .

حلف ألا يبيت إلا عند أهله

قال ابن خلف : قال محمد ، أخذ شراعة العسس فأمر به إلى السجن ، فقال : أصلحك الله ، علي يمينٌ ألا أبيت عن أهلي .

ناجية المغفل

وقال : أخبرني بعض أصحابنا ، قال : أراد ناجية الخروج إلى بغداد ، فوضع سلماً وجعل يصعد وينزل ، فقيل له ، ما تصنع؟ قال : أتعلم السفر .

قال : ودخل الماء إلى كعبه فصاح الغرق ، فقيل له في ذلك ، فقال : أردت أن آخذ بالوثيقة . وعنه ، دخل على أبي يعقوب وهو يجود بنفسه ، فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال :

أمثلـــي يـــــروع بالنائبــــــا ت ويخشـى حوادث صرف الزمن
أذلنـــي اللـــــه ذل الحمــــــار وأدخلنـي حـر أمـــي إذن

لا يحب غيبة الجوز

وعنه : حدثني عبد الرحمن بن محمد ، قال : اشترى رجل جوزاً وجعل يقلبه ، فأخذ جوزه في يده فقال : ما أرى في جوفها شيئاً ، ثم قال : أستغفر الله لا أكون أغتبتها .

خسر المغفل الحمار

ذكر عن حباب بن العلاء قال : كنت بالمدينة فحضرت قاضياً بها ، فإذا رجل قد أقبل يقود حماراً ومعه رجل آخر ، فأخبر أن حماره سرق وأنه وجده مع هذا ، فسأله القاضي ، فقال : الحمار لي وهو في يدي ، فقال للمدعي : ألك بينة! قال : نعم ، فقال : أحضهم ، فقام وركب الحمار ومضى عليه ، فأقبلت على الذي كان الحمار في يده فقلت له : كيف أعطيته الحمار بعد ما رأيت من دعواه! فقال : استعاره مني .

رسالة إلى أم ولده

قال ابن خلف : وأخبرني أبو صالح البصري قال : ولد لرجل ابن في غيبته ، فكتبت إليه امرأته تبشره بالمولود ، فكتب إليها : بلغني أنك ولدت ابناً فأحسن الله جزاءك وأعان على مكافأتك وقد سميته محمد بن عبد الله ﷺ .

ابني لم يختتن من قبل

قال : وأخبرني بعض أهل الأدب قال : أراد رجل أن يختن ابنه فقال للحجام : ارفق به ، فإنها ما اختتن قط .

قدم الوكيل غداً

كان لإبراهيم وكيل يقال له : خليل ، فقدم من ضيعته ، فقال له : متى قدمت! قال : غداً يا سيدي ، قال : فأنت إذن في الطريق .

لماذا أسرع إليه الشيب

قال : سمعت أبا بكر بن محمد يقول : قلت لأبي العبر : لقد أسرع إليك الشيب ، قال : وكيف لا يسرع إلي الشيب وأنا أبكر كل يوم إلى من لو كان أمره إلي ، أن يسرح مع النعاج ويلقط مع الدجاج ، هذا ابن حمدان يملك ألف ألف درهم قصدته يوماً فبينا أنا عنده عطس ، فقلت له : يرحمك الله ، فقال لي : يعرفك الله .

يعود دوماً إلى دار باعها

قال الحاكم : سمعت أبا الحسن بن عمر يقول : بعت داراً لي ، فكنت كلما

أذنت بباب المسجد أنسى أنني بعتها فأصلي وأرجع إليها وأفتح الباب وأدخل . فيصحن بي النساء : يا رجل اتق الله فينا ، فأقول : اعذرنني ، فإنني ولدت في هذه الدار ، وأنسى كل يوم ، إلى أن أتى على ذلك مدة .

ألف في القابل خير من خمسمائة حاضراً

قال : كان عبدان الأسدي الشاعر أحمق : فيقال : إنه كان يأتي ابن بشر فيقول له : أخمسمائة اليوم أحب إليك أم ألف في القابل! فيقول : ألف في قابل ، فإذا أتاه قابلاً قال له : ألفٌ أحب إليك أم ألفان في القابل! فلم يزل كذلك حتى مات .

الصياد الأحمق

وعن أبي الحسن الدامغاني[1] حاجب معز الدولة[2] قال : كنت في دهليز معز الدولة ، فصاح صائحك نصيحة . فاستدعيته وقلت : ما نصيحتك؟! قال : لا أذكرها إلا للأمير ، فدخلت فعرفته ، فقال : هاته ، فأحضرته بين يديه فقال : ما عندك؟! قال : أنا رجل صياد بناحية المدائن ، وكنت أصيد فعلقت شبكتي بأسفل جرف ، فاجتهدت في تخليصها فتعذر ذلك علي حتى نزلت وغصت في الماء ، فإذا هي معلقة بعروة حديد ، فحفرت فإذا قمقم مملوء مالاً فرددته مكانه وناديت لأعرف الأمير ، قال الدمغاني : فانحدرت معه في الوقت إلى المدائن العتيقة وقصدنا الجرف فوجدنا القمقم وقلعناه ، وسعيت بنفسي في تتبع الموضع فتقدمت إلى الصياد استقصاء الحفر ، فوجدنا سبعة قماقم أخر مملوءة مالاً ، فحملنا الجميع إلى معز الدولة

---

(١) وهو قاضي القضاة أبو الحسن علي ابن قاضي القضاة محمد بن علي الدامغاني الحنفي ، ولد في بغداد في شهر رجب من عام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م ، وتفقه على أبيه وعلماء عصره ، ثم ولي القضاء في باب الطاق وله عشرون عاماً ، ثم ولي قضاء القضاة في زمن أربعة من الخلفاء العباسيين : (المستظهر والمسترشد والراشد والمستنجد) . ودام في وظيفته قاضياً لمدة أربعة وعشرون عاماً ، وكان ذا رأي وحزم ، وكان سخياً وذو هيبة بين الناس ، ولقد روى الحديث عن أبيه وعن أبي محمد الصريفيتي ، وجماعة آخرون .

(٢) معز الدولة السلطان أبو الحسين أحمد بن بويه بن فنا خسرو بن تمام بن كوهي الديلمي الفارسي . قد ساق نسبه ابن خلكان إلى كسرى بهرام جور .

فسر به فأمر للصياد بعشرة آلاف درهم فامتنع من قبولها وقال : الذي أريده غيرها ، قال : ما هو؟! قال : تجعل لي صيد تلك الناحية وتمنع كل أحد غير من الصيد ، فضحك الأمير وعجب من جهله وحمقه : وأمر له بما سأل .

هربوا من رمضان

عن المدائني عن عمرو بن الحسن قال : خرج أهل بيت من اليمن من منازلهم حتى صاروا إلى شعب من الجبل ، فاختفوا فيه وقالوا : نهرب من شهر رمضان لا يدخل علينا .

الطالقاني فقيه مغفل

قال أبو علي الداراني : كان الطالقاني من أصحاب أبي حنيفة ، وكان شديد الغفلة ، فقال يوماً لابن عقيل : كيف مذهبكم في المرأة هل يجوز أن يزوجها ابنها؟! قال له ابن عقيل : في ذلك تفصيل ، إن كانت بكراً جاز ، وإن كانت ثيباً لا يجوز ، فقال : ما سمعت هذا التفصيل قط .

قال : وكان الطالقاني يسأل ، فيقال له : ما تقول في فأرة ميتة مشت على شيء هل ينجس؟! فيقول : لا .

إذا طار لجام فلا تردوه

حدثني بعض أصدقائنا قال : كان بواسط رجل من المعدلين ، إلى جانب داره اصطبل ، فقال له أهله : إنا نغسل الثياب في السطح فيطير بعضها إلى الإصطبل فلا يردونه علينا ، فقال : وأنتم إذا طار لهم شيء فلا تردوه ، قالوا : أي شيء يطير من أرض الإسطبل إلى سطحنا؟! قال : أي شيء طار مثل لجام ومقود وفرس وغيره .

لماذا لم ترجع الدجاجة من بغداد

قيل : إن رجلاً من السندية وهي على ستة فراسخ من بغداد ، جاز بدجاج ليبيعه قريباً من دجلة ، ببغداد ، فأفلتت دجاجة ، فطلبها فلم تقع بيده ، فقال لها : اذهبي إلى القرية حتى أبيع الباقي ، ثم جاء وباع البواقي ورجع إلى القرية وجعل يتفقد الدجاجة فلم يرها ، فقال لزوجته : أين الدجاجة الرقطاء! فقالت : لا أدري ، فقال : تركتها من بغداد لترجع إليكم فما جاءت؟

حمام النساء مؤنث

قال ابن ناصر : كتب بعض الأدباء الحمام التي فقيل له : إن الحمام مذكر ، قال : هو حمام النساء .

كيف دخلت الستور؟

قال : دعي بعض المغفلين إلى دعوة ، فاشتغل الناس بالأكل وجعل هو ينظر إلى الستور المغلقة ، وكانت الحيطان كلها قد سترت ، فقيل له : ما لك لا تأكل؟ فقال : والله لقد طال تعجبي من هذه الستور الطوال كيف دخلت من هذا الباب القصير!

إذا جاء عاشوراء في رمضان

عن إبراهيم بن دينار قال : كان رجل يقول إنه فقيه يكنى أبا الغوث وفيه تغفيل ، فقيل له : ما تقول فيمن نذر صور عاشوراء فاتفق عاشوراء في رمضان هل يجزئه عنها! قال الخرقي : فقد نص على أنه يجزئه .

وقف امرأته

فقلت : ما تقول فيمن طلق امرأته ، ثم وقفها ، هل يفتقر في هذا الوقف إلى حكم حاكم ، قال : أما مذهب أبي حنيفة فيفتقر إلى حكم حاكم ، وأما مذهبنا مذهب الشافعي فيصح الوقف .

إذا مات مريضكم أعلمونا

دخل بعض المغفلين ، على مريض يعوده ، فلما خرج التفت إلى أهله وقال : لا تفعلوا بنا كم فعلتم في فلان ، مات وما أعلمتمونا ، إذا مات هذا فأعلمونا حتى نصلي عليه .

الغلام الأحمق

عن الصقلاطي : أن رجلاً كان عندهم بالجانب الغربي له غلام ، فبعثه إلى قرية ليأتيه منها بغنم ، فبعثوا معه من الحملان عشرة ، وكتبوا معه بعددها رقعة ، فجاء الغلام بتسعة ، فقال له سيده : كم سلموا إليك؟ قال : عشرة ، قال : هذه تسعة .

قال : عدها ، فجعل يعدها ، يقول واحد ، اثنين ، ثلاثة إلى أن قال تسعة ، فقال الغلام : والله ما أدري ما تقول ، وما هي إلا عشرة ، فقال : ويحك إني أعدها ، قال : ما هي إلا عشرة وإلا فتدخل إلى عشرة من الرجال وتمسك كل واحد حملاً ، قال : افعل ؛ فأدخلوا عشرة ومسك كل رجل حملاً وبقي واحد ، فقال له السيد : هذا ما معه شيء ، فقال : هذا مدير ، كان يدخل ويأخذ في الأول .

الماصفر إلى عكبرى

حكي أن رجلاً أراد السفر إلى عكبرى ، فصادف زورقاً مصعداً فاكترى فيه بدرهم ، فلما ساروا قليلاً قالوا : ليت لنا مداداً نكتريه ، فقال : أنا ، فأعطوه الدرهم وقام بمدهم .

مريض يشكو جاره

قال البزار : دخلنا إلى أبي حامد وهو عليل ، فقلنا : كيف تجدك؟ فقال : أنا بخير لولا هذا الجار ، دخل علي أمس وقد اشتدت بي العلة فقال : يا أبا حامد علمت أن ذنجويه مات! فقلت : رحمه الله .

قال : دخلت على المؤمل بن الحسن اليوم وهو في النزع ، فقال : يا أبا حامد ابن كم أنت؟! قلت : في السادسة والثمانين ، قال : أنت إذن أكبر من أبيك يوم مات .

لا يدري من طلق الرجل أم المرأة

عن أبي الفضل أحمد الهمذاني قال : جاءت امرأة إلى القاضي وذكرت أن زوجها طلقها ، فقال القاضي : لك بينة؟! فقال : نعم : جار لنا ، قال : فأحضرته ، فقال القاضي : أسمعت طلاق هذه المرأة! فقال : يا سيدي خرجت إلى السوق فاشتريت لحماً وخبزاً ودبساً زعفراناً ، فقال له القاضي : ما سألتك عن هذا ، هل سمعت طلاق هذه المرأة قال : ثم تركته في البيت وعدت فاشتريت حطباً وخلاً ، فقال : دع هذا عنك ، فقال : ما أحسن الحديث من أوله ، ثم قال : جلت في الدار جولة فسمعت زعقاتهم وسمعت الطلاق الثلاث ، فما أدري أهي طلقته أم هو طلقها .

جاهل قتل نفسه

قال : حدثني جماعة من أهل سابور فيهم كتاب وتجار وغير ذلك ، أنه كان عندهم في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ، شاب من كتاب البلد ، وهو ابن أبي الطيب القلانسي الكاتب ، فخرج إلى بعض شأنه من الرستاق ، فأخذه الأكراد وعذبوه ، فطلبوا منه أن يشتري نفسه منهم فلم يفعل ، فكتب إلى أهله : اهدوا لي أربعة دراهم أفيون واعلموا أنه هو دواء أشربه ، فيلحقني سكتة فلا يشك الأكراد أني ميت ، فيحملوني إليكم ، فإذا جعلت عندكم فأدخلوني الحمام واضربوني ليحمى بدني وشكوني بالإبار فإني أفيق ، وكان الفتى متخلفاً وقد سمع أنه من شرب الأفيون اسكت ، فإذا دخل الحمام وضرب كما ذكر برأ ، ولم يدر مقدار شربه من ذلك فشرب أربعة دراهم ، فلم يشك الأكراد في موته فلفوه وأنفذوه إلى أهله ، فلما حصل عندهم أدخلوه الحمام ضربوه وشكوه فما تحرك ، وأقام في الحمام أياماً فرآه الأطباء فقالوا : هذا قد تلف ، كم شرب من الأفيون! قالوا : أربعة دراهم ، فقالوا : هذا لو شوي في جهنم ما عاش ، إنما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب أربعة دوانيق أو وزن درهم ، فأما هذا فقد مات . فلم يقبل أهلوه وتركوه في الحمام حتى تغير فدفنوه ، وانعكست حيلته على نفسه .

وليس لداء الركبتين طبيب

ذكر أبو الحسين بن برهان : عاد رجلاً مريضاً ، فقال له : ما علتك؟! قال : وجع الركبتين ، فقال : والله لقد قال جرير بيتاً ذهب مني صدره وبقي عجزه وهو قوله : وليس لداء الركبتين طبيب فقال المريض : لا بشرك الله بالخير ، ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه .

العبد الصالح فرعون

خطب عدي بن وتّاد الأيادي وكان مشهوراً بحمقه فقال : أقول كما قال العبد الصالح :

(ما رأيكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) . قالوا له : ليس هذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فرعون . قال : ومن قاله فقد أحسن!

غفلة عائد مريض

دخلت مرة على بعض أصدقائي وفيهم مريض العين ومعي بعض المغفلين ، فقال له المغفل ، كيف عينك؟! قال : تؤلمني ، فقال : والله إن فلاناً آلمته عينه أياماً ثم ذهبت . فاستحييت واستعجلت الخروج .

توبة الجاهل

عن علي بن المحسن عن أبيه قال : بلغنا أن رجلاً أسرع في ماله فبقي منه خمسة آلاف دينار ، فقال : أشتهي أن يفنى بسرعة حتى أنظر إيش أعمل بعده ، فقال له بعض أصحابه : تبتاع زجاجاً بمائة دينار وتبقيه ، وتنفق خمسمائة دينار في أجور المغنيات في يوم واحد مع الفاكهة والطعام ، فإذا قارب الشراب أن يفنى أطلقت فأرتين بين الزجاج وأطلقت خلفهما سنوراً فيتعادون في الزجاج فيتكسر وننهب نحن الباقي ، فقال : هذا جيد فعمل ذلك وجعل يشرب فحين سكر أطلق الفأرتين والسنور وتكسر الزجاج وهو يضحك فقام الرفقاء وجمعوا الزجاج المكسر وباعوه ، قال الذي أشار عليه : فمضيت إليه بعد فإذا هو قد باع قماش بيته وأنفقه ، ونقض داره وباع سقوفها حتى لم يبق إلا الدهليز ، وهو نائم فيه على قطن متغط بقطن ، فقلت : ما هذا! قال : ما تراه ، فقلت : بقيت في نفسك حسرة! قال : نعم ، أريد أرى المغنية ، فأعطيته ثياباً فلبسها ، فرحنا إليها فدخل عليها فأكرمته وسألته عن خبره فحدثها بالحال ، فقالت : قم لئلا تجيء ستي وليس معك شيء فتحرد علي لم أدخلتك ، فاخرج حتى أكلمك من فوق ، فخرج وجلس ينتظر أن تخاطبه من الطاقة ، فسكبت عليه مرقة سكباج فصيرته فضيحة ، فبكى وقال : يا فلان لا تبلغ من أمري هذا ، أشهد الله وأشهد أني تائب ، قلت : إيش تنفعك التوبة الآن ، ورددته وأخذت ثيابي ، وبقيت ثلاث سنين لا أعرف له خبراً ، فبينا أنا في باب الطاق يوماً إذ رأيت غلاماً خلف راكب ، فلما رآني قال : فلان . فعلمت أنه صاحبي وأن حاله قد صلحت ، فقبلت فخذه ، فقال : قد صنع الله وله الحمد البيت ، فتبعته فإذا بالدار الأولى قد رمها وجعل فيها أسباباً ، وأدخلني حجرة أعدها له وفيها فرش حسان وأربعة غلمان ، وجاء بفاكهة متوسطة وطعام نظيف إلا أنه قليل ، فأكلنا ومد ستارة فإذا بغناء طيب فلما طابت نفسه قال : يا فلان تذكر أيامنا الأولى! قلت : نعم ، قال : أنا الآن في نعمة متوسطة ، وما وهب لي من العقل والعلم بأبناء الزمان أحب إلي من

تلك النعمة ، تذكر يوم عاملتني المغنية بما عاملتني به؟ فقلت : من أين لك هذا المال؟! قال : مات خادم لأبي وابن عم لي بمصر في يوم واحد ، فخلفا لي ثلاثين ألف دينار فحملت ووصلت إلي وأنا بين القطن كما رأيت فعمرت الدار واشتريت ما فيها بخمسة آلاف دينار ، وجعلت خمسة آلاف تحت الأرض للحوادث ، واشتريت عقاراً بعشرة آلاف وأمري يمشي ، وأنا في طلبك منذ سنة لترى رجوع حالي ، ومن دوام صلاح حالي ألا أعاشرك ، أخرجوه يا غلمان ، قال : فجروا برجلي وأخرجوني ، وكنت ألقاه بعد في الطريق فإذا رآني ضحك .

من كل شيء يتحفظ الأحمق إلا من نفسه

قال ابن سلام : وهب المهدي لبعض ولد يعقوب بن داود وزيره جارية ، فلما كان بعد أيام سأله فقال : يا أمير المؤمنين ما وضعت بيني وبين الأرض مطية أوطأ منها حاشا السامع ؛ فالتفت المهدي إلى يعقوب فقال له : من ترى يعني أنا أو أنت! فقال يعقوب : من كل يتحفظ الأحمق إلا من نفسه .

لا يعرف ما يجهل الخليفة

دخل رجل على المهدي ، فأنشده شعراً فقال فيه : وجوار زفرات فقال المهدي : أي شيء زفرات؟ قال : وما تعرفها يا أمير المؤمنين؟ قال : لا والله ؛ قال : فأنت أمير المؤمنين وسيد المرسلين ما تعرفها أعرفها أنا؟ كلا والله .

الخطيب الأحمق

ذكر عن عبد الله بن ظبيان أنه خطب ، فقال الناس : أكثر الله فينا مثلك ، قال : لقد كلفتم ربكم شططا .

المتوفي والمتوفى

حكى إسحاق بن إبراهيم قال : حضرت جنازة لبعض القبط فقال رجل منهم : من المتوفي! فقلت : الله ، فضربت حتى كدت أموت .

إذا طوى اللحاف زاد وزنه

دخل أبو تمام[١] على أبي طالب في صبيحة ليلة باردة ، فقال له : البارحة نالني البرد ، وكان عندي لحاف فيه أربعة أمنان قطن ، فطويته طاقين فصار ثمانية أمنان قطن وتغطيت به .

البئر من جهتنا لم تنجس

قال أبو سيار : كان بيني وبين جار لي بئر ، فوقعت فيه فأرة فبقيت متحيراً لأجل الوضوء ، فقال لي جاري : لا تضيق صدرك تعال استق من عندنا وتوضأ .

ابن لم يمت ولكن يستحق النواح

ضاع لرجل ولد ، فجاؤوا بالنوائح ولطموا عليه ، وبقوا على ذلك أياماً ، فصعد أبوه يوماً الغرفة فرآه جالساً في زاوية من زواياها ، فقال : يا بني أنت بالحياة ، أما ترى ما نحن فيه! قال : قد علمت ، ولكن ها هنا بيض قد قعدت مثل القرقة عليه ، ما يمكنني أن أبرح ، أريد فريخات ، أنا أحبهم . فاطلع أبوه إلى أهله فقال : قد وجدت ابني حياً ولكن لا تقطعوا اللطم عليه ، ألطموا كما كنتم .

الأب والابن مغفلان

كان بعض المغفلين يأكل مع ابنه رأساً ، وكان أبوه أكثر تغفلاً منه ، فقال : يا أبت إن خرج عليك الكعب فأعطني إياه لألعب به ، فقال أبوه : سخنت عينك هو سمك مشوي حتى يكون فيه كعب!

أب يؤدب ابنه

قال بعضهم : دخلت الكوفة فرأيت صبياً قائماً عند شق حائط ومعه خبز وهو يكسر اللقمة ويتركها في شق الحائط ويأكلها ، فبينما أنا أنظر إليه إذ أقبل أبوه فرأى ما يفعل فقال : إيش تصنع! قال : يا أبت هؤلاء قد طبخوا سكباجة ويأتي النسيم

---

(١) أَبو تَمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أحد أمراء البيان ، ولد بجاسم ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها .

بريحها فآكل خبزي ، فلطمه أبوه وقال : تتعود من صغرك أن لا تأكل خبزاً إلا بأدام .

كيف يعبر الحمقى عن مرادهم

رأى بعض المغفلين صديقاً له فقال . طلبتك اليوم عشرين مرة وهذه الثالثة .
ورأى صديقاً له فقال له : أطلبك فإذا وجدتك تنسل مني كأنك دبق .

أنا أمص الثلج وأرمي تفله

مرض بعض المغفلين فدخل عليه طبيب فسأله عن حاله ، فقال : قد اشتهيت الثج ، فقال : الثلج يزيد في رطوبتك فينقص من قوتك ، فقال : أنا أمصه وأرمي تفله .

لا يصلي إماماً إذا كان جنباً

وقف شيخ بباب مسجد والمؤذن يقيم الصلاة ، فدخل فرأى المؤذن هيبته وشيبته ، فسأله أن يصلي بهم ، فامتنع ، فتقدم المؤذن وصلى بهم ، فلما فرغ أقبل على الشيخ فقال له : ما منعك أن تصلي بنا فتكسب أجراً؟ فقال : أنا وحقك إذا كنت على غير طهارة لم أصل إماماً .

محبة غريبة

حكى عبد الله النوفلي قال : قال مدني : إني أحب رسول الله ﷺ حباً لم يحبه أحد قط ، قيل : وما بلغ من حبك له؟ قال : وددت أن عمه أبا طالب أسلم ويسر النبي بذلك وأموت كافراً بدله .

نيته حسنة ولفظه خطأ

قال : ذهب بصر عمرو بن هذاب فدخل عليه إبراهيم بن مجاشع فقام بين يديه فقال : يا أبا أسيد لا تجزعن من ذهاب عينيك وإن كانتا كريمتان عليك ، فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن يكون الله قد قطع يديك ورجليك ودق ظهرك وأدمى ظلفك ، قال : فصاح به القوم وضحك بعضهم ، فقال عمرو : معناه صحيح ونيته حسنة وإن كان قد أخطأ في اللفظ .

عائلة مغفلة

جاء بعض المغفلين إلى أمه فقال لها : معي قيراطان إلا حبة فاحفظيهما لي ، ثم عاد فأخذها فوزنها ، فقالوا له نصف دانق ، فجاء وخاصم أمه ، فدخل أبوه فقال : لم تخاصمها؟ فقال : أعطيتها قيراطين إلا حبة فردت علي نصف دانق ، فقال أبوه : ما تستحي من الله تخاصم أمك على نقصان حبتين .

ذكرني وجع ضرسي

قال أحمق لغلامه : إذا مررنا بالطبيب فذكرني وجع ضرسي حتى أسأله عن الدواء ، فقال : يا مولاي إن كان ضرسك يوجعك فسوف تذكره .

أحمق يزور مريضاً

كان بعض الحمقى إذا غضب يقول : الله المستعين .

دخل أحمق على مريض فقال : إذا رأيتم المريض على هذه الحال فاغسلوا أيديكم منه .

دعاء الأحمق

دعا بعض الحمقى لبعض الولاة فقال : كتب الله سعادتك وضاعف عليك العدو .

يتحدثون أنك الدجال

قيل لكثير : إن الناس محدثون إنك الدجال ، فقال : والله لئن قلتم هذا أني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام .

ما أحسن العلم

قال بعضهم : رأيت رجلاً محموماً مصدعاً يأكل التمر ويجمع النوى ، فقلت : ويحك ، أنت بهذه الحال وتأكل التمر؟ فقال : يا مولاي عندي شاة ترضع وما لها نوى فأنا آكل هذا التمر مع كراهيتي له لأطعمها النوى ، فقلت : أطعمها التمر والنوى ، قال : أو يجوز ذلك! قلت : نعم ، قال : والله لقد فرجت عني ، لا إله إلا الله ما أحسن العلم .

لجام الفرس السابق لي

أجريت خيل فطلع منها فرس سابق فجعل رجل يثب من الفرح ويكبر ، فقال له رجل إلى جانبه : أهذا الفرس لك؟ قال : لا ولكن اللجام لي .

الجراد علامة لي

رأى قبيصة بن المهلب جراداً يطير فقال لمن حوله : لا يهولنكم ما ترون فإن علامة ذلك موتي .

يأجوج ومأجوج يسألان في القبر

دخل بعض المغفلين على رجل يعزيه بأخ له فقال : أعظم الله أجرك ورحم أخاك وأعانه على ما يرد عليه من مسألة يأجوج ومأجوج ، فضحك من حضر وقالوا له : ويحك ويأجوج ومأجوج يسائلان الناس؟ فقال : لعن الله إبليس ، أردت أن أقول هاروت وماروت .

ألبسي المتوفاة خفها

ماتت إمرأة فاشترى لها زوجها كفناً قصيراً فقالت له الغاسلة : الكفن قصير ، فقال : ألبسيها خفها .

غفلة مزين

وعظ بعض القصاص فقال : إذا كان يوم القيامة خرج من النار رأس عظيم ، من صفته كذا وكذا . وفي المجلس رجل يميد من الخوف فقال له : ما الذي بك أتنكر قدرة الله؟ قال : لا بل إني رجل مزين فلو كلفت حلق هذه الرأس كيف كنت أعمل .

صام نصف يوم عاشوراء

سمع بعض المغفلين أن صوم يوم عاشوراء يعدل صوم سنة ، فصام إلى الظهر وأكل ، وقال : يكفيني ستة أشهر .

ركبه الأسد وأحدث في سرواله

اعترض الأسد قافلة فرآه رجل منهم فخر إلى الأرض ، فركبه الأسد ، فشد القوم بأجمعهم على الأسد واستنقذوه ، فقالوا له : ما حالك؟ قال : لا بأس علي ولكن خرى الأسد في سراويلي .

تغبير الحمام

دخل بعض المغفلين حماما وقد بخر ، فظن غباراً فقال للقيم : كم قلت لك لا تغبر يوم أدخل الحمام .

من هو الميت؟

مات لأبي العطوف ابن فقال للحفار : أضجعه على جنبه الأيسر فإنه أهضم للأكل . وحضر رجل مع قوم في جنازة رجل فنظر إلى أخ الميت فقال : هذا الميت أم أخوة؟

متاع أمير المؤمنين

قال المأمون لمحمد بن العباس[1] : ما حال غلتنا بالأهواز وسعرها؟ قال : أما متاع أمير المؤمنين فقائم على سوقه ، وأما متاع أم جعفر فمسترخ ، فقال : أغرب لعنك الله .

ينبت الفرو

اشترى لقمان بن محمد فرواً فقال : أرى شعره قصيراً ، أترى ينبت؟

عمر البنت

قال أبو العيناء : كنت بحمص فمات لجار لي بنت ، فقيل له : كم لها؟ قال : ما أدري ، ولكنها ولدت أيام البراغيث .

---

(١) محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر العباسي الهاشمي القرشي الكناني ولد ٥٥ هـ . صاحب الدعوة العباسية أيام الدولة الأموية .

كانوا اثنين فمات الأوسط

قال الأصمعي : قلت لرجل أين كنت؟ قال : ذهبت في جنازة ابن فلان ، قلت : فأي ولده كان؟ قال : كانوا اثنين فمات الأوسط .

ماذا قال لك في الحلم؟

قال ثمامة : جاءني رجل فقال : رأيت البارحة أمير المؤمنين يسارك وأنت تنظر إلي ، فبالله أي شيء قال لك في أمري؟

عض الكلب انتقاماً

حكي أن بعض المغفلين مسك كلباً وعضه فقال : هذا عضني منذ أيام وأنا أريد أن أخالف قول القائل :

شاتمني عبد بني مسمع ... فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقاري له ... ومن يعض الكلب إن عضا

حماقات متنوعة

قيل لمغفل : قد سرق حمارك فقال : الحمد الله الذي ما كنت عليه .

نظر رجل في الجب فرأى وجهه فعاد إلى أمه فقال : في الجب لص ، فجاءت الأم فاطلعت فقالت : أي والله ومعه فاجرة .

ذكر رجل بين يدي رجل فقال : إنه رجل سوء ، قيل له : من أين علمت؟ قال : أفسد بعض أهلي ، قيل : ومن أفسد؟ قال : أمي صانها الله .

سئل بعضهم عن مولده فقال : ولدت رأس الهلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام ، احسبوا الآن كيف شئتم .

كتاب مغفل إلى أبيه

كتب بعضهم إلى أبيه : كتابي إليك يوم الجمعة ، عشية الأربعاء لأربعين ليلة خلت من جمادى الأوسط ، وأعلمك أني مرضت مرضة لو كان غيري كان قد مات . فقال أبوه : أمك طالق ثلاثاً ، لو مت لما كلمتك أبداً .

أعطني يا رب واختبرني

دعا بعض المغفلين فقال : اللهم ارزقني خمسة آلاف درهم حتى أتصدق منها بألفي درهم وإن لم تصدقني فادفع إلي ثلاثة آلاف درهم واحبس الباقي ، فإن تصدقت وإلا فتصدق بها على من شئت .

يحمل الصبي ويسأل عنه

خرج بعض المغفلين من منزله ومعه صبي عليه قميص أحمر ، فحمله على عاتقه ثم نسيه ، فجعل يقول لكل من رآه : رأيت صبياً عليه قميص أحمر؟ فقال له إنسان : لعله الذي على عاتقك؟ فرفع رأسه ولطم الصبي وقال : يا خبيث ألم أقل لك إذا كنت معي لا تفارقني .

كيف بنيت مئذنة الجامع

نظر بعض المغفلين إلى منارة الجامع فقال : ما كان أطول هؤلاء الذين عمروا هذه! فقال آخر : اسكت ما أجهلك ، ترى أنه في الدنيا أحد طول هذه؟ وإنما بنوه على الأرض ثم رفعوها .

لم صار حماراً؟

قال : ورأيت رجلاً طويل اللحية على حمار يضربه ، فقلت : ارفق به ، فقال : إذا لم يقدر يمشي فلم صار حماراً؟!

مفاخرة مصري ويمني

تفاخر مصري ويمني ، فقال المصري : هلكت والله اليمن إذ لم يكن منها رسول الله ﷺ ولا يدخل الجنة أهلها ، فقال اليمني : فابن المهلب وأولاده يحاربون عليها حتى يدخلوها بالسيف .

دعاء مغفل

كان بعض المغفلين يقول : اللهم اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم .

قدوم الأحمق وسفره

قدم رجل من الحمقى فسأل رجل متى قدمت! قال : غداً ، قال : لو قدمت اليوم سألتك عن إنسان ، فمتى تخرج؟ قال : أمس ، قال : لو أدركتك كتبت معك كتاباً .

الاختصار خير من الإطالة

كان لبعض الأدباء ابن أحمق ، وكان مع ذلك كثير الكلام ، فقال له أبوه ذات يوم : يا بني لو اختصرت كلامك إذ كنت لست تأتي بالصواب! قال : نعم ، فأتاه يوماً فقال : من أين أقبلت يا بني؟ قال : من سوق . قال : لا تختصر ها هنا ، زد الألف واللام ، قال : من سوقال قال : قدم الألف واللام ، قال : من ألف لام سوق قال : وما عليك لو قلت : السوق فوالله ما أردت في اختصارك إلا تطويلاً . وقال هذا الولد يوماً لأبيه : يا أبت اقطع لي جباعة ، قال : وما جباعة في الثياب؟ قال : ألست قلت لي اختصر كلامك ، يعني جبة ودراعة .

عزم على بيع نصف داره ليشتري النصف الآخر

اشترى بعض المغفلين نصف دار فقال يوماً : قد عزمت على بيع نصف الدار الذي لي واشترى بثمنه النصف الآخر حتى تصير الدار كلها لي .

رسالة تعزية من مغفل

كتب بعض المغفلين إلى رجل يعزيه بابنته : بلغني مصيبتك وما هي بمصيبة ، وقد جاء بالخبر عن النبي ﷺ أنه قال : من توفيت له بنت كان له من الأجر ذهب والله عني ، ومن توفيت له اثنتان كان له من الأجر مثل الذي ذهب عني مرتين ، وبعد فقد ماتت عائشة بنت النبي ﷺ فمن ابنتك البظراء حتى لا تموت .

مغفل يعلم الأدب

كان محمد بن أبي سعيد سليم الجانب ، وقد سمع من أبي الحسين الطيوري يسأل بعض من يعرف الأدب أن يعلمه شيئاً من العربية ، فقال : إذا دخلت على أحد فقل أنعم الله صباحك ، فربما كان يدخل على أحد آخر النهار فيقول : أنعم الله صباحك فيضحك .

نجم آدم ونجم إدريس

حكى قاضي القضاة الماوردي[١] قال : كنت جالساً في مجلس مقبلاً على تدريس أصحابي ، فدخل علينا شيخ قد ناهز الثمانين أو جاوزها فقال لي : قد قصدتك في مسألة اخترتك لها ، فقلت : وما هي! وظننته يسأل عن حادثة حدثت له ، فقال : أيها الشيخ أخبرني عن نجم إبليس ونجم آدم ما هما ، فإن هذين لا يسأل عنهما لعظم شأنهما إلا علماء الدين ، قال : فعجبت منه وعجب من في المجلس من سؤاله ، وبدر جماعة بالإنكار عليه والإستخفاف به ، فكففتهم عنه وقلت : هذا لا يقنع مما ظهر من حاله إلا بجواب مثله ، فأقبلت عليه وقلت : يا هذا إن نجوم الناس لا تعرف إلا بمعرفة موالدهم ، فإن ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله ، فقال : جزاك الله خيراً . وانصرف مسروراً فلما كان بعد أيام عاد وقال : ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولد هذين .

جارية واحدة للأخوين

قيل للفضل بن عبد الله : ما لك لا تتزوج؟ قال : إني دفع لي أبي جارية ولأخي ، فقيل : ويحك دفع إليك وإلى أخيك جارية واحدة؟ قال : وايش تتعجب من هذا ، هوذا جارنا فلان له جاريتان .

تلطم لموت طفل لم يولد

قال أبو العنبس : اجتزت في بعض الطريق لحاجة ، فإذا امرأة عرضت لي فقالت : هل لك أن أزوجك جارية فيجيئك منها ابن؟ قلت : نعم ، قالت : وتدخله الكتاب فينصرف ، فيلعب ، فيصعد إلى السطح فيقع فيموت ، وصرخت ويلاه ولطمت ، ففزعت وقلت : هذه مجنونة . وهربت من بين يديها ، فرأيت شيخاً على باب ، فقال : ما لك يا حبيبي؟ فقصصت عليه القصة ، فلما انتهيت إلى موضع لطمها استعظم ذلك وقال : لابد للنساء من البكاء إذا مات لهن ميت ، فإذا هو أحمق منها وأجهل .

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ / ٩٧٤ - ١٠٥٨ م) أكبر قضاة آخر الدولة العباسية ، صاحب التصانيف الكثيرة النافعة ، الفقيه الحافظ ، من أكبر فقهاء الشافعية والذي ألّف في فقه الشافعية موسوعته الضخمة في أكثر من عشرين جزءاً .

لم تتسخ ثيابه بعد

قال رجل آخر : رأيت البارحة أباك في المنام وثيابه وسخة ، فقال : قد كفنته أمس في أربعة أثواب جدد ، وما ينبغي أن تكون قد اتسخت ثيابه .

وقيل لبعض أهل الموصل : كم بينكم وبين موضع كذا؟ قال : ثلاثة أميال ذاهب وميلين جاي .

قصر الليل والنهار معاً

قال ثمامة لحاجبه : عجل الفراغ مما أمرتك به فقد قصر النهار . فقال : أي والله يا سيدي والليل أيضاً قد قصر .

لا أدعو لأبي

دعا بعض المغفلين فقال : اللهم اغفر لأمي وأختي وامرأتي ، فقيل له : لم تركت ذكر أبيك؟ قال : لأنه مات وأنا صبي لم أدركه .

لست من هذا البلد

قال عبد الله بن محمد : قلت لرجل مرة : كم في هذا الشهر من يوم؟ فنظر إلي وقال : لست أنا والله من هذا البلد .

قال أبو العباس : سألت رجلاً طويل اللحية فقلت : إيش اليوم؟ فقال : والله ما أدري فإني لست من هذا البلد ، أنا من دير العاقول .

طول خشبة

انكسرت خشبة في سقف بعضهم ، فمضى يشتري عوضها ، فقيل : كم تريد طولها؟ فقال : سبعة في ثمانية .

اسم غلام

قال بعضهم : ولد لي غلام الليلة فسميته باسم خالته .

تعزية في غلام

أصيب بعضهم بمصيبة فقيل له : عظم الله أجرك ، فقال : سمع الله لمن حمده .

لماذا يبكي الشيخ؟

قال الجاحظ : دخلت الكوفة ، فبينا أطوف أنا في طرقاتها رأيت شيخاً ذا هيبة جالساً على باب داره ومن جانب الدار صياح ، فقلت له : يا عم ، ما هذا الصياح؟ فقال : هذا رجل افتصد ، فبلغ موضع شاذروانه فمات ، يريد شريانه .

قال الحجاج بن هرون لصديق يحبه : أنا والله لك مائق ، يريد وامق .

شهادة المغفل

شهد رجل عند والٍ فقال : سمعت بأذني وأشار إلى عينه ورأيت بعيني وأشار إلى أذنيه بأنه جاء إلي رجًل فتلبب بعنقه وأشار إلى صدره وما زال يضرب خاصرته وأشار إلى فكه فقال له الوالي : أحسبك قد قرأت كتاب خلق الإنسان ، قال : نعم ، قرأته على الأصمعي .

القاضي الممتحن

دخل بعض المغفلين إلى بعض القضاة فجلس بين يديه فقال : أعدمني الله القاضي ، مات فلان والذي ما خلفوا بعدي سواهم وهوذا يظلموني إخوتي ، نسيباتي تسعة وهم واحد وكل يوم يجعلون عمامتي في عنق القاضي يجرونه إلي ، فقال القاضي : ليس الممتحن غيري .

رجل جدير بأن يحسد

وقال أبو العنبس : صحبني رجل في سفينة فقلت له : ممن الرجل؟ فقال : من أولاد الشام ، ممن كان جدي من أصدقاء المنصور علي بن أبي سالم شاعر الأنبار ، وكان من الذين بايعوا تحت الشجرة مع أبي سالم بن يسار في وقعة الفاروق ، أيام قتل الحجاج بن يونس بالنهروان على شاطىء الفرات مع أبي السرايا ، قال أبو العنبس : فلم أدر على أي شيء أحسده ، على معرفته بالأنساب ، أم على بصره بأيام الناس ، أم حفظه للسير .

عزى رجل رجلاً بابنه فقال له في الجواب : رزقنا الله مكافأتك .

لو كنت أنا أنا

قال الحسن بن يسار[1] : قلت لبعضهم : إن فلاناً ليس يعدك شيئاً ، فقال : والله لو كنت أنا أنا ، وأنا ابن من أنا منه ، لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه فكيف وأنا أنا وأنا ابن من أنا منه .

شدة الموت في نظر الأحمق

سمع بعض الحمقى قوماً يتذاكرون الموت وأهواله فقال : لو لم يكن في الموت إلا أنك لا تقدر أن تتنفس لكفى .

يا سيدي أنا ناقة

قال ثمامة لخادمه : اذهب إلى السوق واحمل كذا وكذا ، فقال : يا سيدي أنا ناقة ، وليس في ركبتي دماغ ، فقال ثمامة : ولا في رأسك .

ورئي أعمى يمشي في الطريق ويقول : يا منشىء السحاب بلا مثال .

العلامة الفارقة لخصمه

دخل رجل على المعتضد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن فلاناً العامل ظلمني ، قال : ومن فلان؟ قال : والله لا أدري اسمه ولكن في خده الأيمن خال أو ثؤلول أو أثر لطمة أو أثر حرق نار أو أثر مسمار أو في خده الأيسر . وكان له مرة غلام يقال له : جرير أو نجم إلا أن في اسمه طاء أو لام ، فضحك المعتضد ، وقال : كأنه موسوس؟ قال : سلني عما شئت حتى أجيبك ، قال : كم أصبع لك؟ قال : ثلاثة أرجل فأمر بإخراجه ، فقال : ما أقول لبنتي إذا دخلت وقد فتحت حجرها لأطرح فيه الجوز يوم

---

(١) الحسن بن يسار البصري (٢١هـ/٦٤٢م - ١١٠هـ/٧٢٨م) إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد وعشرين من الهجرة ، كانت أم الحسن تابعة لخدمة أم سلمة ، فترسلها في حاجاتها فيبكي الحسن وهو طفل فترضعه أم سلمة لتسكته وبذلك رضع من أم سلمة ، وتربى في بيت النبوة . كانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له ، ودعا له عمر بن الخطاب ، فقال «اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس» . حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره .

العيد؟ فأمر المعتضد أن يحمل معه إلى منزله طعام وجائزة .
دخل بعضهم إلى المستراح فأراد أن يحل لباسه فحل أزراره وخرى في لباسه .

فائدة الأذنين

حكي أن جماعة من أهل حمص تذاكروا في حديث الأعضاء ومنافعها فقالوا : الأذن للشم والفم للأكل واللسان للكلام فما فائدة الأذنين! فلم يتوجه لهم في ذلك شيء ، فأجمعوا على قصد بعض القضاة ليسألوه ، فمضوا فوجدوه في شغل ، فجلسوا على باب داره ، وإذا هناك خياط فتل خيوطاً ووضعها على أذنه ، فقالوا : قد أتانا الله بما جئنا نسأل القاضي عنه ، وإنما خلقت للخيوط . وانصرفوا مسرورين مما استفادوه .

العنز يتيم في حجرها

قال الجاحظ : مررت بحمص فمر عنز يتبعه جمل ، فقال رجل لرجل معه : هذا الجمل من هذا العنز؟ فقال له : لا ولكنه يتيم في حجرها .

لماذا نفر الفرس؟

عرض هشام بن عبد الملك[1] الجند فأتاه رجل حمصي بفرس ، كلما قدمه نفر ، فقال هشام : ما هذا؟ قال الحمصي : يا سيدي هو جيد ، لكنه شبهك ببيطار كان يعالجه فنفر .

وفد أهل حمص إلى الرشيد

اجتاز أهل حمص بشيخ لهم ، لم يكن فيهم أعقل منه ولا أكمل مع ابنين له معروفين عندهم بالعقل والكمال ، فأوفدهم إلى الرشيد لمظلمة كانت بهم ، فلما وردوا الباب وأذن لهم دخل الشيخ فقال : السلام عليك يا أبا موسى ، فعلم أنه أحمق وأمره بالجلوس ، ثم قال : أحسبك قد طلبت العلم وجالست العلماء؟ قال : نعم يا أبا

(١) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء . ولد في دمشق .

موسى ، قال : من جالست من العلماء؟ قال : أبي ، قال : وما كان يقول في عذاب القبر ، قال : كان يكرهه ، فضحك الرشيد ومن حضر ، ثم قال : يا شيخ من حفر البحار فيما سمعت؟ فسكت الشيخ ، فقال أحد ولديه : قد حفرها موسى حين طرق له ، قال : فأين طينها؟ فقال الولد الثاني : الجبال ، ففرح الشيخ بحسن جواب ولديه ، وقال : والله ما علمتهما ، ما هو إلا إلهام من الله تعالى وله الحمد .

وفد على الرشيد ثلاثة من حمص ، فدخل أحدهم فرأى غلاماً على رأسه فظنه جارية ، فقال : السلام عليك يا أبا الجارية ، فصفع وأخرج ، فدخل الثاني فقال : السلام عليك يا أبا الغلام ، فصفع وأخرج ، فدخل الثالث فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له : كيف صحبت هذين الأحمقين؟ قال : يا أمير المؤمنين لا تتعجب منهم فإنهم لما رأوك بهذا الزي ورأوا لحيتك طويلة قدروا أنك أبو فلان ، فقال الرشيد : أخرجوه ، قبح الله بلدة هؤلاء خيارهم .

ما أحسن ما تروي

قال بعضهم : رأيت رجلاً ألحى قائماً في حلقة قاص يقص مقتل عثمان بن عفان ، فلما فرغ قال الألحى : أعيذك بالله ما أحسن ما تروي كلام منصور بن عمار .

المنجد المغفل

قال الجاحظ : مررت بمنجد في قنطرة بردان طويل اللحية وامرأة تطالبه بشيء لها عنده وهو يقول : رحمك الله ، متاعك جاءني يحتاج إلى حشو كثير وأنت من العجلة تمشين على أربع .

أنا أعرف الناس به

قال أبو حاتم : سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل فقال : ما أعرف اسمه . فقال له بعض أصحابه : أنا أعرف الناس به ، اسمه خراش أو خداش أو رياش أو شيء آخر .

لحية الشيخ

خرج عبادة ذات يوم يريد السوق ، فنظر في بعض طرقه إلى شيخ طويل اللحية

كلما أراد أن يتكلم بادرته لحيته ، فمرة يدسها في جيبه ومرة يجعلها تحت ركبته فقال له عبادة : يا شيخ لم تترك لحيتك هكذا؟ قال : فتريد أن أنتفها حتى تكون مثل لحيتك! قال عبادة : فإن الله يقول : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» قال ﷺ : احفوا الشارب واعفوا اللحى ومعنى عفو اللحى أن يزال أثرها ، فقال الشيخ : صدق الله ورسوله ، سأجعلها كما أمر الله ورسوله ، فحلق لحيته وجلس في دكانه ، فكان كل من رآه وسأله عن خبره قرأ عليه الآية وروى له الحديث .

أنا علة

قيل لمريض : كيف نجدك! فقال : أنا علة ، قيل : وما معنى علة؟ قال : أليس يقال للصحيح ليس به علة؟ قالوا : نعم ، قال : أنا كما قال ، أنا علة .

أمي لا ترثني لأنها مطلقة

قيل لرجل : عندك مال وليس لك إلا والدة عجوز ، أن مت ورثت مالك وأفسدته ، فقال : إنها لا ترثني ، قيل : وكيف؟ قال : أبي طلقها قبل أن يموت .

خطبة الزواج

قال أبو الأسود لابنه : يا بني إن ابن عمك يريد أن يتزوج ويجب أن تكون أنت الخاطب فتحفظ خطبة ، فبقي الغلام يومين وليلتين يدرس خطبة ، فلما كان في اليوم الثالث قال أبوه : ما فعلت؟ قال : قد حفظتها . قال : وما هي؟ قال : اسمع ، الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونتوكل عليه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة حي على الفلاح ؛ فقال له أبوه : أمسك لا تقم الصلاة فإني على غير وضوء .

تعلم الولد الحساب

أسلم رجل ولده إلى الكتاب ، فلما كان بعد حين قال له والده : تعلمت شيئاً من الحساب؟ قال : نعم ، قال : فخذ خمسين وخمسين كم تعد؟ قال : أربعين ، قال : يا مشؤوم ، ثلاث خمسينات ما يحصل معك منها خمسين؟ ثم حبسه عن الكتاب وقال : لا أفلحت .

العائد المغفل

مرض صديق لحامد بن العباس فأراد أن ينفذ ابنه إليه ليعوده فأوصاه وقال : يا بني إذا دخلت فاجلس في أرفع المواضع ، وقل للمريض : ما تشكو؟ فإذا قال : كذا وكذا ، فقل له : سليم إن شاء الله ، وقل : من يجيئك من الأطباء ، فإذا قال : فلان فقل : ميمون ، وقل : ما غداؤك؟ فإذا قال : كذا وكذا فقل : طعام محمود . فذهب . فدخل على العليل وكان بين يده منارة ، فجلس عليها لارتفاعها فوقعت على صدر العليل فأوجعته ، ثم قال للمريض : ما تشكو؟ فقال : أشكو علة الموت ، فقال : سليم إن شاء الله ، فمن يجيئك من الأطباء؟ قال : ملك الموت ، قال : مبارك ميمون ، فما غداؤك؟ قال : سم الموت ، قال : طعام طيب محمود .

تقدم رجل إلى معلم ابنه فسأله أن لا يعلمه سوى النحو والفقه ، فعلمه مسألتين من النوعين : ضرب زيد عمراً ارتفع زيد بفعله وانتصب عمرو بوقوع الفعل عليه ، والأخرى من الفقه رجل مات وخلف أبويه فلأمه الثلث ولأبيه الباقي فقال له : أفهمت؟ قال : نعم ، فلما انصرف إلى البيت قال له أبوه : ما تقول في ضرب عبد الله زيداً؟ قال : أقول : ارتفع بفعله وما بقي للأب .

صندوق التاجر

كان لبعض التجار المياسير ابن أبله ، فقضي أن صار الأب إلى حانوته يوماً فوجد اللصوص قد أخذوا صندوقاً له كان فيه صامت كثير وأسباب جميلة ، فجلس الرجل والناس يعزونه ويدعون له بالخلف ، فبينما هم كذلك إذ أقبل ابنه ، فلما قرب من حانوت أبيه ورأى الناس سأل عن الخبر ، فقالوا : دخل اللصوص حانوت أبيك وأخذوا الصندوق الذي كان فيه ما كان ، فضحك وقهقه وقال : لا بأس ما فاتنا شيء ، فظن الناس أنه خبأه أو يعرف خبره ، فأسرعوا إلى أبيه فبشروه بأن ابنه قال كذا ، فقال له أبوه : ما الخبر وأي شيء عندك في هذا الأمر؟ قال : مفتاح الصندوق عندي فلا يقدرون أن يفتحوه ، فقال أبوه : عجبت والله أن يكون عندك فرح .

هاشمي أم علوي

قال بعضهم : دخلت على نصر الرصيفي في منزله ، فإذا ابنه يصايحه في شيء وقد ارتفعت أصواتهما ، فقلت ما هذا؟ فقال : هذا يزعم أن علي بن أبي طالب

هاشـمي فـقلت أنا : بل علوي ، فـاحكم بيننا . فـقلت أنا : هو علوي ، ألا ترى إلى اسمه علي ، فقال لي : ابصق في وجهه؟ فقلت : كلاكما يستحق ذلك .

امرأة تريد استعارة إزار

جاءت امرأة إلى جارة لها تستعير منها إزاراً لتمضي في حاجة وترده من ساعتها فقالت : قد غزلت من إزاري عشرة أساتير ، فاصبري حتى أتم غزل وأسلمه إلى الحائك ويفرغ منه وأعطيك إياه ولا تمري بمسمار فإنه جديد .

الخف الجديد سالم

وقالت امرأة لأخرى : اليوم مشيت إلى قبر أحمد فدخل في رجلي مسمار ، فقالت لها : وكان الخف الجديد في رجلك؟ قالت : لا ، قالت لها : فاحمدي الله .

معاوية بن أبي سفيان

قال بعضهم : مررت بسوق وقد اجتمع فيه قوم على رجل يضربونه ، فقلت : ما ذنب هذا؟ قالوا : شتم معاوية بن أبي سفيان ، صديق النبي ﷺ ومن صلى معه أربعين سنة على طهر واحد ، وكان من المهاجرين والأنصار الذي اتبعوهم بإحسان ، وسمي خال المؤمنين لأنه كان أخا حواء من أمها وأبيها .

سبب ضرب الرجل

قال بعضهم : مررت على قوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه ، فتقدمت إلى شيخ كان يجيد قتله ، فقلت : يا شيخ ما قصة هذا؟ قال : لا تكونن منهم ، هذا رافضي يقول : نصف القرآن مخلوق ونصفه لا ، وليس في القوم خير من النبي وبعده الخضر ، فبادرني الضحك فرددته مخافة الضرب وقلت : يا شيخ زده فإنك مأجور .

اضرب الرجل طلباً للثواب

قال : ومررت بقوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه ، فقلت لرجل يجيد ضربه : ما حال هذا؟ قال : والله ما أدري ما حاله ، ولكنني رأيتهم يضربونه فضربته معهم لله عز وجل وطلباً للثواب .

بائع الرمان

قال بعضهم : رأيت رجلاً يبيع الرمان في الأسواق ويطعمه أهل سوقه ، ويسألونه عن مسائل تقع لهم في الفقه وهو يكنى أبا جعفر ، فجاءته امرأة فقالت : يا أبا جعفر ، مريم بنت عمران كانت نبية؟ قال : لا يا غافلة ، قالت : وإيش كانت؟ قال : من الملائكة .

مغفلاً واسط

قال الجاحظ : دخلت واسط فبكرت يوم الجمعة إلى الجامع ، فقعدت ، فرأيت على رجل لحية لم أر أكبر منها ، وإذا هو يقول لآخر : إلزم السنة حتى تدخل الجنة ، فقال له الآخر ، وما السنة؟ قال : حب أبو بكر بن عفان وعثمان الفاروق وعمر الصديق وعلي بن أبي سفيان ومعاوية بن أبي شيبان؟ قال : ومن معاوية بن أبي شيبان! قال : رجل صالح من حملة العرش وكاتب النبي ﷺ وختنه على ابنته عائشة .

من هم أهل الكهف؟

قال بعضهم : مررت على قوم اجتمعوا على رجل يضربونه ، فقلت لشيخ منهم : ما ذنب هذا؟ قال : يسب أصحاب الكهف ، قلت : ومن أصحاب الكهف؟ قال : لست مؤمناً ، قلت : بلى ولكنني أحب الفائدة . قال : أبو بكر وعمر ومعاوية بن أبي سفيان ، ومعاوية هذا رجل من حملة سرادق العرش ، فقلت له : يعجبني معرفتك بالأنساب والمذاهب ، فقال : نعم خذ العلم عن أهله ، فقال واحد منهم لآخر : أبو بكر أفضل من عمر ، قال : لا بل عمر ، قال : وكيف علمت؟ قال : لأنه لما مات أبو بكر جاء عمر إلى جنازته ، ولما مات عمر لم يجيء أبو بكر إلى جنازته ،

المرض الحقيقي للمغفل

مرض بعض المغفلين فأتي بطبيب ، فقال الطبيب : إذا كان غداً فاحفظوا البول حتى أجيء وأنظره ، فلما خرج الطبيب من عنده بقي لا يبول إلى الغد ، فلما جاء الطبيب قال له المريض : يا عبد الله قد كادت مثانتي تنشق من إحباسي البول فلماذا تأخرت ، فقال : إنما أمرتك أن تحفظ البول في إناء ، فلما كان الغد جاء الطبيب فإذا

هو قد أخذ برنية خضراء ، فقال الطبيب : ما هذا ، أخطأت ألم يكن في الدنيا شيء من الزجاج كنت تأخذ في قارورة أو في قدح ، فلما كان من الغد ، أخذ البول في قدح من الخشب فعرضه عليه ، فقال له : أنت في حرج ، ألا نظرت إلى هذا الماء فاصدقني في أمري هل يخاف علي من هذه العلة؟ قال : أما إذا حلفتني فلا بد أن أقول : أنا خائف أن تموت من هذا العقل لا من هذه العلة .

سرقت ثيابك... إذن افتصد

سرقت ثياب رجل من الحمام فخرج عرياناً وعلى باب الحمام طبيب أحمق ، فقال له : ما قصتك؟ فقال : سرقت ثيابي . قال : بادر وافتصد تخف عنك حرارة الغم .

مغفل يعذب أمه

أصيب بعضهم بأمه فقعد يبكي ويقول : يا أمي أماتني الله قبلك ، أمي زانية إن لم تدخل الجنة ، لا دخلتها امرأة أبداً .

لا أرضى أن يغسل ابني عدو

مات ولد لرجل فقيل له : ادع فلاناً يغسله ، فقال : لا أريد ، لأن بيني وبينه عداوة فيعنف بابني في الغسل حتى يقتله .

إجتمع رجلان في طريق الحج ، فقال أحدهما للآخر : كم قد حججت؟ قال : مع هذه التي نحن فيها واحدة .

مكافأة جارية ميتة

ماتت جارية لرجل فلما دفنها قال : لقد كنت تقومين بحقوقي ، فلأكافئنك ، اشهدوا علي أنها حرة .

أراد الخير بالشتم

وقفت سائلة على باب قوم ، فقال لها رجل : اذهبي يا زانية ، فقالت : إذا لم تعطني فلم تسبني؟ قال : والله ما أردت بهذا إلا الخير ، أردت أن تؤجري وآثم .

غضارة الشيرج

حكي أن بعض المغفلين اشترى بقطعة شيرجاً في غضارة ، فامتلأت الغضارة ، فقال البقال : قد بقي لك من الشيرج في أي شيء تأخذه ، فقلب الغضارة وقال : في هذه وأشار إلى كعبها ، فطرح البقال الباقي في ذلك الكعب ، فأخذه الرجل ومضى ، فلقيه رجل فقال : بكم اشتريت هذا الشيرج؟ فقال : بقطعة ، فقال : هذا القدر فقط؟ فقلبها وقال : هذا أيضاً .

حلق لحيته ليأخذ دينه

كان لرجل على رجل أربعة دراهم ، فجاء يوماً يقتضيه فقال : غداً أعطيك ، فقال : لا أذهب حتى تحلف لي أنك تعطنيها غداً ، فحلف له : إنك إن جئت لا تذهب إلا وهي معك وأشهد عليه بذلك ومضى ، فجاء من الغد فقال له ما عندي شيء ، وإنما حلفت إنك لا ترجع إلا وهي معك أعني لحيتك . فأشهد عليه بهذا القول وذهب سريعاً إلى الحجام وحلق لحيته وجاء إليه ، وما برح حتى أخذ دراهمه .

بيت الماء لا يمتلىء

وقال قوم لغلام : املأ بيت الماء ، فنقل ماء كثيراً وأبطأ عليهم ، فقالوا : ما هذا الإبطاء ، فصعدوا إليه فإذا به يقلب الماء في بيت الماء ، فقال : كلفتموني أن أملأ هذا وما أظنه يمتلىء في شهر .

المنجم قال إنه بري

حكى لي بعض أصدقائنا قال : كان عندنا رجل اتهم بسرقة ، فأخذ وجرت له قصة ، فجاءني بعد أيام فقال : عندك الخبر ، مضيت إلى المنجم فأعطيته قطعة فحسب لي وقال : والله إنك بريء مما اتهمت به وإنك ما سرقت شيئاً .

اختلفوا فيما يقال عند رؤية الجنازة

رأى بعضهم جنازة قد أقبلت فقال : ربي وربك الله لا إله إلا الله ، فقال آخر : أخطأت ، إذا رأيت جنازة فقل : اللهم ألبسنا العافية ، فتشاجرا في ذلك فاحتكما إلى آخر فقال : إذا رأيتم جنازة فقولوا : سبحان الله من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

نجمة التيس

قال منجم لرجل من أهل طرسوس : ما نجمك؟ قال : التيس ، فضحك الحاضرون وقالوا : ليس في النجوم والكواكب تيس ، قال : بلى ، قد قيل لي وأنا صبي منذ عشرين سنة : نجمك الجدي فلا شك أنه قد صار تيساً منذ ذلك الوقت .

لا أذهب ليلاً وحدي

كان لبعض الكتاب غلام ، فأمسى السيد عند بعض أصدقائه ، فقال للغلام : اذهب إلى البيت هات شمعة ، فقال : يا سيدي أنا لا أجسر أذهب وحدي في هذا الوقت ، فأحب أن تقوم معي حتى تحمل الشمعة وأجيء معك .

الرجل وغلامه

وقال رجل لغلام : هات ناراً وأشعلها ، قال : يا مولاي لأي شيء تريد النار؟ قال : أريد أتخذ عصيدة ، فقال : يا مولاي لقمني حتى أجيء بالعجلة .

أرعف من الداخل

لكم رجل رجلاً فصاح : أدميتني ، فلم ير دماً فقال : أين الدم؟ فقال : أنا أرعف من داخل .

رجلان سلبا قافلة

وقع رجلان على قافلة فيها ستون رجلاً ، فأخذوا مالهم وثيابهم ، فقيل لبعضهم : كيف غلبكم رجلان وأنتم ستون؟ فقال : أحاط بنا واحد وسلبنا الآخر كيف نعمل؟

أنا رجل من الأنصار

كلم رجل رجلاً بشيء يغضبه فقال : أتقول لي هذا وأنا رجل من الأنصار؟ قال له : النصارى واليهود عندنا في الحق سواء .

كلوا فالأذان لم يصل

عن إبراهيم بن القعقاع : انتبه قوم ليلة في رمضان وقت السحور فقالوا لأحدهم :

أنظر هل تسمع أذاناً؟ فأبطأ عنهم ساعة ثم رجع فقال : اشربوا ، فإني لم أسمع أذاناً إلا من مكان بعيد .

كتابة الخاتم

كتب رجل من آل أبي رافع إلى خاتمه : أنا فلان ابن فلان رحم الله من قال آمين .

مغفل يدفع عن نفسه الموت

مرض رجل مرة ، فلما اشتد به المرض أمر بجمع العيدان والطنابير والمزامير إلى بيته ، فأنكروا عليه ذلك فقال : إنما فعلت ذلك لأني سمعت أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه شيء من آلات الملاهي والفجور ، فإن كان ملك الموت من الملائكة دفعته عني بهذه الأشياء .

غصب وتصدق

غصب رجل رجلاً وتصدق به ، فقيل له في ذلك : فقال : أخذي إياه سيئة ، وصدقتي به عشر حسنات ، فمضت واحدة وبقيت لي تسعة .

حماقات متعددة

سئلت امرأة عن حرفة زوجها فقالت : متولي إخراج المساكين من المسجد الجامع ، وقد أرجعت له المقصورة .

قيل لبعضهم : كل ، قال : ما بي أكل ، لأني أكلت قليل أرز فأكثرت منه .

جاء قوم إلى رجل من الوجوه يسألونه كفناً لجارية له ماتت فقال : ما عندي شيء فتعودون ، قالوا : فنملحها إلى أن يتيسر عندك شيء .

سئل بعض المشايخ المغفلين : أتذكر أن حج الناس في رمضان؟ ففكر ساعة ثم قال : بلى أظن مرتين أو ثلاثة .

قيل لمغفل : كيف دملك ، سكن وجعه؟ قال : والله ما أرى ، اسألوا أمي .

قال بعض الناس لمملوكه : أخرج وانظر هل السماء مصحية أو مغيمة ، فخرج ثم عاد فقال : والله ما تركني المطر أنظر هل هي مغيمة أم لا؟

حكم على نفسه بالموت

عن أبي محمد بن معروف[1] قال : كان يلزمني فتى نصراني حسن الخط مليح الشعر ، إلا أنه كان سوداوياً ، فحكم لنفسه أنه يموت في اليوم الفلاني ، فجاء ذلك اليوم وهو صحيح ، فخاصم امرأته وترقى الشر بينهما إلى أن أخذ عمود الهاون ودق به رأسها فماتت ، فجزع جزعاً شديداً فقال : قد علمت أنه يوم قطع علي ، ولابد أن أموت فيه ، والساعة يجيء أصحاب الشرطة فيأخذوني فيقتلوني ، فأنا أقتل نفسي عزيزاً أحب إلي ، فأخذ سكيناً فشق بها بطنه ، فأدركته حلاوة الحياة ، فلم يتمكن من تخريقها فسقطت السكين ، فقال : هذا ليس بشيء ، فصعد إلى السطح فرمى نفسه إلى الأرض فلم يمت واندقت عظامه ، فجاء صاحب الشرطة فأخذوه ، فلما كان آخر الليل مات .

هذه الهرة أمي

عن أبي الحسن علي بن نظيف المتكلم قال : كان يحضر معنا ببغداد شيخ ، فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع قال : فوجدته وبين يديه سنور وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأسها ، وعيناها تدمعان كما جرت عادة السنانير ، وهو يبكي بكاء شديداً ، فقلت له : لم تبكي؟ فقال : ويحك ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها ، هذه أمي لا شك ، وإنما تبكي حسرة من رؤيتها إلي ، قال : فأخذ يخاطبها بخطاب من عنده ظاناً أنها تفهم عنه ، وجعلت السنور تصيح قليلاً قليلاً ، فقلت له : فهي تفهم عنك ما تخاطبها به؟ قال : نعم ، فقلت له : أتفهم أنت عنها خطابها؟ قال : لا ، قلت : فأنت إذن الممسوخ وهي الإنسان .

لابس الثياب الغليظة صيفاً

قال الجاحظ : مررت يوماً بقطان في الكرخ في دكانه وعليه لحية طويلة وقميص جديد غليظ ، وكان يوماً صائفاً شديد الحر فتعجبت منه ، فقال لي : ما وقوفك أعزك الله؟ قلت : أتعجب من صبرك على هذا القميص الجديد في هذا الحر الشديد! قال : صدقت أعزك الله ، عندي غزل كثير ، وعزمي أن أسلم منه إلى الحائك قميصاً خلقاً أتخفف به طول هذه الصيفية ، فقلت : الصواب ما رأيت .

---

(١) ابن معروف قاضي القضاة ، شيخ المعتزلة أبو محمد ، عبيد الله بن أحمد بن معروف البغدادي .

شووا لي خاثرة

وقال : دخلت يوماً على بعض إخواني من التجار أعوده وكان طويل اللحية ، فقلت له : ما أكلت؟ فقال : شووا لي خاسرة وأكلت ، يعني خاثرة .

خيل مصر عند الرشيد

وقال : أخبرت عن الأصمعي قال : عرض الرشيد خيل مر فما مر به فرس إلا وعليه سمة نتاج الفخر الجنيدي ، فقال : ويلكم من هذا الجنيدي الذي له كل هذا النتاج؟ وأمر بإشخاصه ، فكتب إلى عامل مصر فأشخصه ، فلما دخل عليه نظر إليه من أول الدار ، فإذا عليه لحية قد أخذت لسرته طولاً ولآباطه عرضاً ، وإذا هو مستعجل في مشيه ينظر إلى أعطافه ، فلما رآه قال : أحمق ورب الكعبة ، فلما دنا منه قال : يا جنيدي من أين لك هذه الخيل؟ قال : من رزق الله وأفضاله ، فلما رآه هالكاً قال : ما أحسن لحيتك يا جنيدي ، قال : اقبلها يا أمير المؤمنين خلعة لك ، والخيل معك فبك فداهما الله ، فإن قدرك عندي أعظم القدور وكرامتك عندي عزيزة جداً ، فصاح به : اغرب عليك لعنة الله ، ثم قال : أخرجوه ، فقد أسمعني كل مكروه لعن الله هذا وخيله معه .

سيف أبي حية النميري

قال ابن قتيبة(١) : حدث جار لأبي حية النميري قال : كان لأبي حية سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان يسميه لعاب المنية قال : فأشرفت عليه ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيت في داره وقد سمع حساً وهو يقول : أيها المغتر بنا والمجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت به ، مشهورة ضربته لا تخاف نبوته ، أخرج بالعفو عنك لا أدخل بالعقوبة عليك ؛ إني والله إن أدع قيساً تملأ الفضاء خيلاً ورجلاً ، يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ، ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج ، فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً .

---

(١) أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري أديب فقيه محدث مؤرخ عربي . له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار ، وأدب الكاتب وغيرها .

سبب كثرة ماله

قال الفضل بن مرزوق : أتدرون لأي شيء كثر مالي؟ قالوا لا ، قال : لأني سميت نفسي بيني وبين الله محمد ، وإذا كان اسمي عند الله محمداً فما أبالي ما قال الناس .

ثوبه طبري ولو رآه الناس كلهم قوهياً

عن المزرودي قال : اشترى أحمد الجوهري كساء أبيض طبرياً بأربعمائة درهم ، وهو عند الناس فيما تراه عيونهم قوهي يساوي مائة درهم ، قال : إذا علم الله أنه طبري فما علي من الناس .

لا أبيع كنيتي بمال الدنيا

قال الجاحظ : كان أبو خزيمة يكنى أبا جاريتين فقلت له يوماً : كيف اكتنيت بهذه الكنية وأنت فقير لا تملك جاريتين : أفتبيعهما الساعة بدينار وتكنى أي كنية شئت؟ قال : لا والله ولا بالدنيا وما فيها .

كل يوم يقع مع رجال الدالية

وقال عن ثمامة بن أشرس قال : كان رجل يقوم كل يوم فيأتي دالية لقوم ، فلا يزال يمشي مع رجال الدالية على ذلك الجزع ذاهباً وجائياً في شدة البرد والحر حتى إذا أمسى نزل إلى النهر فتوضأ وصلى وقال : اللهم اجعل لي من هذا فرجاً ومخرجاً ثم انصرف إلى البيت ، فكان كذلك حتى مات .

لا تغمزها فتسلم من الألم

قال : وحدثني يزيد مولى إسحاق بن عيسى قال : كنا في منزل صاحب لنا إذ خرج واحد منا ليقيل في البيت الآخر ، فلم يلبث ساعة حتى سمعناه يصيح أواه ، فنزلنا بأجمعنا إليه فزعين وقلنا : ما لك مالك؟ وإذا هو على شقه الأيسر وهو قابض بيده على خصيته ، فقلنا له : لم صحت؟ قال : إذا غمزت خصيتي اشتكيتها وإذا اشتكيتها صحت ، فقلنا : لا تغمزها ، قال : نعم إن شاء الله ، جزاكم الله خيراً .

يحتجم لأنه أصفر اللون

قال : وحدثني ثمامة ، قال : مررت يوماً وإذا شيخ أصفر كأنه جرادة وزنجي يحجمه قد مص دمه حتى كاد يستفرغه ، فقلت : يا شيخ لم تحتجم؟ قال : لمكان هذا الصفار الذي بي .

كيف تخلص من القطعة الرديئة

كان لرجل من أصدقائنا غلام ، فأعطاه قطعاً ليشتري بها شيئاً ، وكان فيها قطعة رديئة ، فقال له : يا سيدي هذه ما يأخذها الرجل ، فقال : اجتهد أن تصرفها كيف اتفق ، فلما اشترى وجاء قال : وقد صرفتها ، قال : كيف فعلت؟ قال : تركته يزن الذهب وتغفلته فرميتها في ميزانه .

يريد أن يتعرف إلى أشخاص رآهم في الحلم

حكى لي بعض إخواننا أن رجلاً أتى مفسر المنامات فقال : رأيت كأن معي رجلين ونحن نمضي إلى فلان في حاجة ، فقال له : أتعرف الرجلين؟ قال : أعرف أحدهما ومنزله في باب البصرة ، فأريد أسأل صاحبي عن ذلك الرجل الآخر .

القرآن قديم

سمع رجل في زماننا قوماً يتكلمون في القرآن ، ويقول بعضهم : ليس بقديم ، فقال : ما أبله هؤلاء قد تكلم الله بالقرآن منذ خمسمائة سنة فكيف لا يكون قديماً .

شراء الدبس

اشترى رجل في زماننا من بقال رطلين دبساً ، فأعطاه طاساً ليجعله فيها ، فغرف بالطاسة من التغار وترك صنجة الرجلين ، فلما رآها ترجح صب من الدبس ثم أعادها إلى الميزان ، فرجحت فجعل يصب ثم يعيدها وهي ترجح ، فقال لصاحبها : ما أرى يبقى لك شيء فقال له صاحبها : هذه الطاسة فيها ثلاثة أرطال فإن أردت أن تستوي الميزان فاكسر من جانب الطاسة ، وإلا ما تستوي .

تاريخ القراءة

نظر بعض المغفلين في كتاب ثم كتب عليه : نظرت في هذا الكتاب والأقوات رخيصة ، والكارة السميد تساوي ديناراً ودانقاً ، والخشكار بثمانية عشر قيراطاً ، فالله تعالى يديم ذلك .

وكتب آخر على كتاب : نظر فيه فلان ابن فلان وأنا من ولد داود ابن عيسى بن موسى وموسى هو أخو السفاح .

الحساب الرديء

قال بعضهم أنه كان بتكريت وأن رجلاً اشترى من خباز مائتين وعشرين رطلاً من الخبز بدينار ، ثم كان يأخذ كل يوم شيئاً إلى أن تحاسبا يوماً ، فقال : قد أخذت مائة وعشرين رطلاً وبقي لك مائة وعشرين ، فقال له : انذر هذه بهذه وأعطني الدينار ، فجعل الرجل يستغيث ويقول كيف أفعل بهذا؟ فيقول : أليس لك عندي مائة وعشرين ولي عندك مائة وعشرين؟ فيقول : بلى ، فيقول : انذر هذه بهذه وأعطني الدينار ، فاجتمع الناس عليهم على ذلك إلى أن رفعت قصتهم إلى الأمير .

حلقت شعراً رآه غيره محرم

رجع بعض القرشيين إلى امرأته ، وكانت قرشية وقد حلقت شعرها ، وكانت أحسن النساء شعراً ، فقال : ما خطبك؟ فقالت : أردت أن أغلق الباب فلمحني رجل ورأسي مكشوف فحلتقه ، وما كنت لأدع شعراً رآه من ليس لي بمحرم . ومثل هذا بلغني عن بعض القصاص أنه قال لأصحابه : احلقوا اللحى التي تنبت في مواقف الشيطان .

مغفل يجد في القرآن غلطاً

قال بعض العلماء أن رجلاً مغفلاً نظر في المصحف فقال : قد وجدت فيه غلطتين فأصلحوهما ، قالوا : وما هي؟ قال : «كل بناءٍ وغواص» هذا غلط إنما يجب أن يكون كل بناءٍ وجصاص والأخرى «والتين والزيتون» إنما هي والجبن والزيتون .

أهذا الذي ينزل من السماء مطراً؟

قال بعضهم أن رجلاً وقف بباب داره يوم الجمعة والمطر يأتي سيلاً ، فقال لرجل من المارين : يا أخي هو ذا الذي يجيء مطر؟ فقال له : أما ترى؟ فقال : أردت أن أقلد غيري في انقطاعي عن الجمعة ولا أعمل بعلمي .

طرق الحمقى

وروى أبو بكر الصولي عن إسحاق قال : كنا عند المعتصم ، فعرضت عليه جارية ، فقال : كيف ترونها؟ فقال واحد من الحاضرين : امرأتي طالق إن كان الله عز وجل خلق مثلها ، وقال الآخر : امرأتي طالق إن كنت رأيت مثلها ، وقال الثالث : امرأتي طالق . وسكت ، فقال المعتصم : إن كان ماذا؟ فقال : إذا كان لا شيء ، فضحك المعتصم حتى استلقى وقال : ويحك ما حملك على هذا؟ قال : يا سيدي هذان الأحمقان طلقا لعلة ، وأنا طلقت بلا علة .

سريرة إبليس

قيل لبعض البله وكان يتحرى من الغيبة : ما تقول في إبليس؟ فقال : أسمع الكلام عليه كثيراً والله أعلم بسريرته .

كيف فقد المغفل حماره؟

كان بعض المغفلين يقود حماراً ، فقال بعض الأذكياء لرفيق له : يمكنني أن آخذ هذا الحمار ولا يعلم هذا المغفل ، قال : كيف تعمل ومقوده بيده؟ فتقدم فحل المقود وتركه في رأس نفسه وقال لرفيقه : خذ الحمار واذهب ، فأخذه ، ومشى ذلك الرجل خلف المغفل والمقود في رأسه ساعة ، ثم وقف فجذبه فما مشى ، فالتفت فرآه ، فقال : أين الحمار؟ فقال : أنا هو ، قال : وكيف هذا؟ قال : كنت عاقاً لوالدتي فمسخت حماراً ، ولي هذه المدة في خدمتك ، والآن قد رضيت عني أمي فعدت آدمياً ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وكيف كنت أستخدمك وأنت آدمي! قال : قد كان ذلك ، قال : فاذهب في دعة الله ، فذهب ومضى المغفل إلى بيته فقال لزوجته : أعندك الخبر؟ كان الأمر كذا وكذا ، وكنا نستخدم آدمياً ولا ندري فبماذا نكفر وبماذا نتوب؟ فقالت : تصدق بما يمكن ، قال : فبقي أياماً ، ثم قالت له : إنما شغلك المكاراة فاذهب

واشتر حماراً لتعمل عليه ، فخرج إلى السوق فوجد حماره ينادى عليه ، فتقدم وجعل فمه في أذنه وقال : يا مدبر عدت إلى عقوق أمك .

واستاه واستاه

ماتت قريبة لأبي منصور بن الفرج ، وكان رئيساً فاجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم لقضاء حقه ، وخرجت الجنازة وجعل النساء يلطمن ويقلن : واستاه واستاه . على ما جرت به العادة ، فأنكر زوج المرأة هذا وقال : لا ست إلا الله وصاح عليهن ، فضحك الناس وصار المقام هزلاً بعد الحزن .

طول الرمح أربعة عشر ذراعاً

دخل على موسى بن عبد الملك يوماً صاحب خزانة السلاح فقال له : قد تقدم أمير المؤمنين يعني المتوكل ليبتاع ألف رمح طول كل رمح أربعة عشر ذراعاً ، فقال : هذا الطول فكم يكون العرض؟ فضحك الناس ولم يفطن لما غلط فيه .

ما هو التبيع؟

قال المبرد : قرأ ابن رباح بحضرة المنتصر كتاب الصدقات فقال : في كل ثلاثين بقرة تبيع ، فقال المنتصر : ما التبيع؟ فقال أحمد بن الخصيب : البقرة وزوجها .

سمع أحمد بن الخصيب مغنية تغني :

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فقال : هذا الشعر لأبي .

اشتفى من العمامة

كان سهل بن بشر ممن ارتفع في الدولة الديلمية وكان رقيعاً ، فشتم فراشاً فرد عليه ، فقالم يعدو خلفه فوقعت عمامته ، فأخذها سهل وما زال يعضها ويخرقها ويقول : اشتفيت والله . ثم عاد إلى مكانه .

حج قبل أن تحفر زمزم

شهد رجل عند بعض القضاة على رجل ، فقال المشهود عليه : أيها القاضي

تقبل شهادته ومعه عشرون ألف دينار ولم يحج إلى بيت الله الحرام؟ فقال : بلى حججت ، قال : فاسأله عن زمزم ، فقال : حججت قبل أن تحفر زمزم فلم أرها .

الحائط المتصدع

قال أبو الحسن بن هلال الصابىء : أحضر إنسان بناء لمشاهدة حائط في داره قد عاب ، فاتفق أن أمه تغسل الثياب فاخرج إلى البناء تراباً من تراب ذلك الحائط في طشت وقال : ما يمكن أنك اليوم تدخل فهذا من ترابه فانظر إليه واعرف ما يريد ، فقال : أنا أرجع إليك غداً ، فضحك منه وانصرف .

عمامة الفقيه

قال وكان في جوارنا فقيه يعرف بالكشفلي من الشافعيين ، تقدم في العلم حتى صار في رتبة أبي حامد الإسفراييني وقعد بعد موته مكانه ، قال : فأهديت إليه عمامة عريضة قصيرة من خراسان ، فقلت له : أيها الشيخ ، اقطعها وألفقها ليمكنك التعمم بها ، فلما كان من الغد رأيتها على رأسه أقبح منظر ، فتأملتها وإذا به قد قطعها عرضاً ولفقها ، فصار عرضها أربعة عشر وطولها نصف ما كان ، فتعجبت منه ولم أراجعه .

هذه ألية بقر

أخبرني أبو عيسى اللحام قال : جاءني رجل له منظر ليشتري مني ألية ، فأخرجت له ألية صغيرة ، فقال لي : أتهزأ بي؟ هذه ألية بقر وأنا أريد ألية الضأن ، فقلت له : ليس للبقر ألية ، فقال : حدث بهذا غيري ولا تستبلهني ، فطالعت له غيرها فأعجبته ورضي بها .

وقع جرف في بعض السنين فقال بعض المغفلين : مات في هذه السنة من لم يمت قط .

لماذا تجرها؟

قرأ بعض المغفلين الآية في بيوت (بالرفع) أذن الله أن ترفع . فقال له شخص : إنما هي بالجر . فقال له يا جاهل : إذا كان الله تعالى يقول : أذن الله أن ترفع ، فلماذا تجرها؟

علم المقالات والأنساب

رفع رجلٌ من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أنّه يتزندق ، فسأله الوالي عن قوله الذي نسبه به إلى الزندقة ، فقال : هو مرجى قدري ناصبيّ رافضي ، من الخوارج ، يبغض معاوية بن الخطّاب الذي قتل عليّ بن العاص ، فقال له ذلك الوالي : ما أدرى على أي شيء أحسدك ؟ أعلى علمك بالمقالات ، أم على بصرك بالأنساب .

الدبوس

رجل صوفي يقول والعلامة الألباني[١] رحمه الله موجود : أنتم تسبون الصوفية أنا من اهل الله واعطيكم البرهان وإذا كنتم من أهل الحق فافعلوا مثلي أنا سأدخل السكين من الجانب الأيمن وأخرجه من الجانب الأيسر ولا ينزل مني قطرة دم واحدة . فقال الشيخ : ما نريد سكين نريد دبوس وأنا سأدخله بيدي في وجنتك . فقال الصوفي : لا ، بل بيدي . فقال الشيخ : أنت من أهل الله فلا تفرق بيد من ؟؟ انت من أهل الله . فرفض الصوفي وانهزم

نديم سابور

كان لسابور[٢] ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان .

فظهر له من الملك جفوة ، فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوي الذئاب ونهيق الحمير ، وصهيل الخيل ، وصوت البغال ، ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره ، فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب ، فلم يشك الملك في أنه كلب ، فقال : انظروا ما هذا ، فعوى عوى الذئاب ، فنزل الملك عن سريره ، فنهق نهيق الحمير ، فمضى الملك هاربا ، ومضت الغلمان يتبعون الصوت ، فلما دنوا

(١) الإمام والمحدث أبو عبد الرحمن محمد بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني الأرنؤوطي المعروف باسم محمد ناصر الدين الألباني باحث في شؤون الحديث ويعد من علماء الحديث ذوي الشهرة في العصر الحديث ، له الكثير من الكتب والمصنفات في علم الحديث وغيره .

(٢) يزدجرد بن سابور أو يزدجرد الأوّل الذي يلقب الأثيم والخشن ، كان ملكا ساسانياً في إيران وكان ملكاً مسالما يكره الحرب ، وضرب على سكّته اسمه «يزدجرد المسالم» .

منه صهل صهيل الخيل ، فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا ، فلما وصلوا به إلى الملك ، ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا ، وقال له : ما حملك على ما صنعت؟ قال : إن الله عز وجل مسخني كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب عليّ الملك .

قال : فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد إلى مرتبته الأولى .

عثمان بن دراج الطفيلي

قيل لعثمان بن دراج الطفيلي يوما : كيف تصنع بدار العرس إذا لم يدخلك أصحابها؟ قال : أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك ، فيدخلوني ، وقيل له : أتعرف بستان فلان؟ قال : إي والله إنه الجنة الحاضرة في الدنيا ، قيل :

لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل بأشجاره وتسبح في أنهاره؟ قال : لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال . وقيل له يوما : ما هذه الصفرة التي في لونك؟

قال : من الفترة بين المضيفين . وقال : مرت بنا جنازة يوما ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول : الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه ، ولا غطاء ، ولا وطاء ولا خبز ولا ماء ، فقال ابني : يا أبت إلى بيتنا والله يذهبون .

أنصاف المسلمين

سئل بعض القصاص عن نصراني قال : لا إله إلا الله ، لا غير إذا مات أين يدفن؟ قال : يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء

وأسلم مجوسي في شهر رمضان فثقل عليه الصيام ، فنزل إلى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال : من هذا؟ فقال : أبوك الشقي يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس .

الحسود والبخيل

وقف حسود وبخيل بين يدي أحد الملوك ، فقال لهما : تمنيا مني ما تريدان فإني سأعطي الثاني ضعف ما يطلبه الأول . فصار أحدهما يقول للآخر أنت أولا ، فتشاجرا طويلا ، وكان كل منهما يخشى أن يتمنى أولا ، لئلا يصيب الآخر

ضعف ما يصيبه . فقال الملك : إن لم تفعلا ما آمركما قطعت رأسيكما . فقال الحسود : يا مولاي اقلع إحدى عينيَ !!!

أبو عبد الله الجصاص الأحمق

حكي عنه أنه كان يوماً يأكل مع الوزير فلما فرغ من الأكل قال : الحمد لله الذي لا يحلف بأعظم منه .

ودخل ابن الجصاص يوماً على ابن الفرات الوزير الخاقاني وفي يده بطيخة كافور فأراد أن يعطيها الوزير ويبصق في دجلة

فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في دجلة فارتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص وتحير وقال : والله العظيم لقد أخطأت وغلطت

أردت أن أبصق في وجهك وأرمي البطيخة في دجلة . فقال له الوزير : كذلك فعلت يا جاهل .

وقال يوماً : أشتهي بغلة مثل بغلة النبي ﷺ حتى أسميها دلدل .

وأهدى إلى العباس بن الأحنف الوزير نبقاً وكتب إليه : تفيلت أن تبقى فأهديتك النبقا فكتب في جوابه : ما تفيلت يا أبا عبد الله ولكن تبقرت .

وقال يوماً : ينبغي للإنسان أن يصير إلى المقابر ليغتاظ أراد يسير ليتعظ .

كان المعتضد إذا رأى ابن الجصاص قال : هذا أحمق مرزوق وكان ابن الجصاص أوسع الناس دنيا وله من المال مالا ينتهي إلى عده ولا يوقف على حده وبلغ من جده انه قال تمنيت أن أخسر مرة فقيل لي اشتر التمر من الكوفة وبعه في البصرة وكانت بها نخيل كثيرة وتمرها متوفر بكثرة وكانت الكوفة قليلة التمر ففعلت ذلك فاتفق أن نخل البصرة لم يحمل في هذا العام فربحت ربحا واسعا

وقيل له : أيسرك أن تكون هذه الجبة لك قال : نعم وأضرب عشرين سوطاً قالوا : ولم تقول هذا قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

اصطحب أحمقان في طريق ، فقال أحدهما : تعال نتمنى فإن الطريق يقطع بالحديث .

فقال الأول : أنا أتمنى أن يكون عندي قطيع من الذئاب أرسلها على غنمك حتى تفترسها .

فقال الثاني : ويحك! أهذا حق الصحبة والعشرة ؟!

واشتبكا بالكلام ، ثم تعاركا بالأيدي . ومر بهما وهما على هذه الحال شيخ يركب حماراً . وقد تدلى من جانبي الحمار زِقّان فيهما العسل . فنزل الشيخ عن حماره ليفض الاشتباك . ثم فتح الزقين حتى سال منهما العسل كله على الأرض وقال : صبّ الله دمي مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين .

عنزة ولو طارت

خرج رجلان للصيد ، فشاهدا سواداً بعيداً

فقال الأول

إنه غراب!

وقال الثاني :

إنها عنزة .

وأصر كل منهما على رأيه . وعندما اقتربا من هذا الشيء الأسود ، تبين أنه غراب ، بعدما طار هرباً .

فقال الأول :

ألم أقل لك إنه غراب ؟!

فأصر الثاني على رأيه وقال :

عنزة ولو طارت!

وصار ما قاله مثلاً يضرب لمن يتمسك بغير الحق ، أو يرى صواب رأيه على الرغم من خطئه الواضح .

الطفيلي والشعراء

نظر طفيلي إلى قوم سائرين فظن أنهم ذاهبون إلى وليمة فتبعهم فإذا هم شعراء قصدوا الأمير بمدائح لهم فلما أنشد كل واحد قصيدته في حضرة الأمير لم يبقى إلا الطفيلي ، فقال له الأمير : انشد شعرك قال : لست بشاعر قال الأمير : فمن أنت؟ قال الطفيلي : من الغاوين الذين قال الله فيهم : ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ ، فضحك الأمير وأمر له بجائزة .

ضرة لعائشة رضي الله عنها:

قيل : إنَّ الحسن بن عبد الله الجصاص الجوهري كان رجلاً أحمقا أبلها ، وانه قال يوما : اللهم امسخني حورية وزوجني بعمر بن الخطاب!

فقالت له زوجته : سل الله أن يزوجك النبي ﷺ ان كان لا بد لك ان تبقى حورية !

فقال الجصاص : ما أحبّ أن اكون ضرة لعائشة رضي الله عنها !

فوائد الأذن

يحكى أن جماعة من أهل مدينة حمص تذاكروا في فوائد الأعضاء ومنافعها فقالوا : الأنف للشم والفم للأكل واللسان للكلام فما فائدة الأذنين؟ فلم يتوصلوا إلى جواب فأجمعوا على قصد القاضي ليسألوه عن ذلك فوجدوه في شغل فجلسوا على باب داره ينتظرون فراغه من شغله فنظروا إلى دكان خياط مقابلهم وإذا بالخياط قد فتل خيوطا ووضعها على أذنه فقالوا : لقد أتانا الله بما جئنا نسأل القاضي عنه ، إنما خلق الأذنان لوضع فتائل الخيوط عليها .

سكوتك خير من كلامك

من بين جلساء أبي حنيفة كان يجلس رجل يؤثر الصمت ولا يتكلم . فلما طال صمته قال له أبو حنيفة : ما بالك يا رجل لاتتكلم ، أليست لديك مسألة تريد أن تسألنا فيها ؟ فقال : بلى . . متى يفطر الصائم ؟ فقال له : إذا غابت الشمس . فقال : وإذا لم تغب إلى منتصف الليل ؟ فضحك أبو حنيفة وقال : أصبت في صمتك . . وأخطأت أنا في استدعائك للكلام .

الحمقى الثلاثة

كان أخوة ثلاثة ، أبو قطيفة والطبلي وأبو كلير ، وهم ولد غياث بن أسيد ، فأما أحدهم فكان يحج عن حمزة بن عبد المطلب ويقول : استشهد قبل أن يحج ، والآخر يضحي عن أبي بكر وعمر ويقول : غلطا في ترك الأضحية ، والآخر يفطر عن عائشة أيام التشريق ، ويقول : غلطت في صوم أيام العيد ، فمن صام عن أبيه فأنا أفطر عن أمي عائشة .

شهادة أحمق

سمع بعض الحمقى مؤذناً يؤذن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال الأحمق : أشهدها مع كل شاهد وأجحدها مع كل جاحد!

يطعم الحمار القرآن

كان إبراهيم بن الخصيب أحمق وكان له حمار ، وكان بالعشي إذا علق الناس المخالي أخذ مخلاة حماره فقرأ عليها ﴿قل هو الله أحد﴾ وعلقها عليه فارغة وقال : لعن الله من يرى أن مكوك شعير خير من ﴿قل هو الله أحد﴾ ، فما زال حتى نفق الحمار ، فقال : والله ما ظننت أن ﴿قل هو الله أحد﴾ تقتل الحمير ، هي والله للناس أقتل لا قرأتها ما عشت .

هم الحلاق

وعظ بعض القصاص فقال : إذا كان يوم القيامة خرج من النار رأس عظيم ، من صفته كذا وكذا . وفي المجلس رجل يميد من الخوف فقال له : ما الذي بك أتنكر قدرة الله؟ قال : لا بل إني رجل مزين فلو كلفت حلق هذه الرأس كيف كنت أعمل !

حديث الحمقى

قيل لأحمق : إن الناس يعظمون أمر السلامة التي فيك ، فحدثنا منها بشيء صحيح قال : صمت يوماً فأكلت ثلاث مرات ناسياً ، أكلت ثم ذكرت أني صائم ، ثم نسيت ثم ثنيت ؛ ثم ثلثت فأتممت صومي .

وقال : سمعت أبي يقول : قال المأمون : اختر لي اسماً أسمي به جاريتي هذه ، قال : سمها مسجد دمشق فإنه أحسن شيء .

طرائف أهل حمص

قال الجاحظ : مررت بحمص فمر عنز يتبعه جمل ، فقال رجل لرجل معه : هذا الجمل من هذا العنز؟ فقال له : لا ولكنه يتيم في حجرها .

اجتاز بعض أهل حمص بشيخ لهم ، لم يكن فيهم أعقل منه ولا أكمل مع ابنين له معروفين عندهم بالعقل والكمال ، فأوفدهم إلى الرشيد لمظلمة كانت بهم ،

فلما وردوا الباب وأذن لهم دخل الشيخ فقال : السلام عليك يا أبا موسى ، فعلم أنه أحمق وأمره بالجلوس ، ثم قال : أحسبك قد طلبت العلم وجالست العلماء؟ قال : نعم يا أبا موسى ، قال : من جالست من العلماء؟ قال : أبي ، قال : وما كان يقول في عذاب القبر ، قال : كان يكرهه ، فضحك الرشيد ومن حضر ، ثم قال : يا شيخ من حفر البحار فيما سمعت؟ فسكت الشيخ ، فقال أحد ولديه : قد حفرها موسى حين طرق له ، قال : فأين طينها؟ فقال الولد الثاني : الجبال ، ففرح الشيخ بحسن جواب ولديه ، وقال : والله ما علمتهما ، ما هو إلا إلهام من الله تعالى وله الحمد .

عقوبات طريفة

قال بعضهم : مررت بسوق وقد اجتمع فيه قوم على رجل يضربونه ، فقلت : ما ذنب هذا؟ قالوا : شتم معاوية بن أبي سفيان ، صديق النبي ﷺ ومن صلى معه أربعين سنة على طهر واحد ، وكان من المهاجرين والأنصار الذي اتبعوهم بإحسان ، وسمي خال المؤمنين لأنه كان أخا حواء من أمها وأبيها .

وقال بعضهم : مررت على قوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه ، فتقدمت إلى شيخ كان يجيد قتله ، فقلت : يا شيخ ما قصة هذا؟ قال : لا تكونن منهم ، هذا رافضي يقول : نصف القرآن مخلوق ونصفه لا ، وليس في القوم خير من النبي وبعده الخضر ، فبادرني الضحك فرددته مخافة الضرب وقلت : يا شيخ زده فإنك مأجور .

وقال بعضهم : مررت على قوم اجتمعوا على رجل يضربونه ، فقلت لشيخ منهم : ما ذنب هذا؟ قال : يسب أصحاب الكهف ، قلت : ومن أصحاب الكهف؟ قال : لست مؤمناً ، قلت : بلى ولكني أحب الفائدة . قال : أبو بكر وعمر ومعاوية بن أبي سفيان ، ومعاوية هذا رجل من حملة سرادق العرش ، فقلت له : يعجبني معرفتك بالأنساب والمذاهب ، فقال : نعم خذ العلم عن أهله ، فقال واحد منهم لآخر : أبو بكر أفضل من عمر ، قال : لا بل عمر ، قال : وكيف علمت؟ قال : لأنه لما مات أبو بكر جاء عمر إلى جنازته ، ولما مات عمر لم يجيء أبو بكر إلى جنازته .

أبو جعفر يفتي في السوق

قال بعضهم : رأيت رجلاً يبيع الرمان في الأسواق ويطعمه أهل سوقه ، ويسألونه عن مسائل تقع لهم في الفقه وهو يكنى أبا جعفر ، فجاءته امرأة فقالت : يا أبا

جعفر ، مريم بنت عمران كانت نبية؟ قال : لا يا غافلة ، قالت : وماذا كانت؟ قال : من الملائكة .

لحية طويلة وعقل قاصر

قال الجاحظ : دخلت واسط فبكرت يوم الجمعة إلى الجامع ، فقعدت ، فرأيت على رجل لحية لم أر أكبر منها ، وإذا هو يقول لآخر : الزم السنة حتى تدخل الجنة ، فقال له الآخر ، وما السنة؟ قال : حب أبو بكر بن عفان وعثمان الفاروق وعمر الصديق وعلي بن أبي سفيان ومعاوية بن أبي شيبان؟ قال : ومن معاوية بن أبي شيبان! قال : رجل صالح من حملة العرش وكاتب النبي ﷺ وختنه على ابنته عائشة .

حلق اللحية ليأخذ دينه

كان لرجل على رجل أربعة دراهم ، فجاء يوماً يقتضيه فقال : غداً أعطيك ، فقال : لا أذهب حتى تحلف لي أنك تعطنيها غداً ، فحلف له : إنك إن جئت لا تذهب إلا وهي معك وأشهد عليه بذلك ومضى ، فجاء من الغد فقال له ما عندي شيء ، وإنما حلفت إنك لا ترجع إلا وهي معك أعني لحيتك . فأشهد عليه بهذا القول وذهب سريعاً إلى الحجام وحلق لحيته وجاء إليه ، وما برح حتى أخذ دراهمـــه .

نجم التيس

قال منجم لرجل من أهل طرسوس : ما نجمك؟ قال : التيس ، فضحك الحاضرون وقالوا : ليس في النجوم والكواكب تيس ، قال : بلى ، قد قيل لي وأنا صبي منذ عشرين سنة : نجمك الجدي فلا شك أنه قد صار تيساً منذ ذلك الوقت .

غلام أحمق

كان لبعض الكتاب غلام ، فأمسى السيد عند بعض أصدقائه ، فقال للغلام : اذهب إلى البيت هات شمعة ، فقال : يا سيدي أنا لا أجسر أذهب وحدي في هذا الوقت ، فأحب أن تقوم معي حتى تحمل الشمعة وأجيء معك .

اثنان مقابل ستون

وقع رجلان على قافلة فيها ستون رجلاً ، فأخذوا مالهم وثيابهم ، فقيل لبعضهم : كيف غلبكم رجلان وأنتم ستون؟ فقال : أحاط بنا واحد وسلبنا الآخر كيف نعمل؟

كلم رجل رجلاً بشيء يغضبه فقال : أتقول لي هذا وأنا رجل من الأنصار؟ قال له : النصارى واليهود عندنا في الحق سواء .

ملحوا الجارية

جاء قوم إلى رجل من الوجوه يسألونه كفناً لجارية له ماتت فقال : ما عندي شيء فتعودون ، قالوا : فنملحها إلى أن يتيسر عندك شيء .

الأعور

أرسل ابن لعجل بن لجيم فرسا في حلبة فجاء سابقا فقال لأبيه : كيف ترى أن أسميه يا أبت؟ قال : أفقأ إحدى عينيه وسمه الأعور!

من الفقه إلى الحجامة

سأل رجل الشعبي فقال : ما تقول في رجل في الصلاة أدخل أصبعه .
في أنفه فخرج عليها دم ، أترى له أن يحتجم؟ فقال : الحمد لله
الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة .

القبلة في الدار الجديدة

دخل قوم دار كردم السدوسي فقالوا له : أين القبلة في دارك هذه؟ فقال : إنما سكناها منذ ستة أشهر!

تأويل الرؤيا

أقبل رجل على محمد بن سيرين فقال : ما تقول في رؤيا رأيتها!

قال : وما رأيت؟ قال كنت أرى أن لي غنما فكنت أُعطي بها ثمانية دراهم ، فأبيت من البيع ففتحت عيني فلم أر شيئا فأغلقتها ومددت يدي وقلت : هاتوا أربعة فلم أُعط شيئا

فقال له ابن سيرين[١] : لعل القوم اطلعوا على عيب في الغنم فكرهوها! قال : يمكن الذي ذكرت؟؟

الجاحظ والأحمق الأندلسي

قال سلام بن يزيد قصدت بغداد فسألت عن الجاحظ فقيل لي : هو بسر من رأى . فأصعدت إليها ، فقيل لي . قد انحدر الى البصرة فانحدرت إليها ، وسألت عن منزله فأرشدت ودخلت اليه فاذا هو جالس وحواليه عشرون صبيا ليس فيهم ذو لحية غيره فدهشت . فقلت أيكم ابو عثمان؟ فرفع يده وحركها في وجهي وقال : من أين؟

قلت : من الأندلس .

فقال : طينة حمقاء . فما الاسم؟

قلت : سلام

فقال : اسم كلب الفراد . ابن من؟

فقلت : ابن يزيد

فقال : بحق ما صرت! أبو من؟

فقلت : أبو خلف

فقال : كنية قرد زبيدة . ما جئت تطلب؟

فقلت : العلم .

فقال : ارجع فإنك لا تفلح

فقلت له : ما أنصفتني! فقد اشتملت على خصال أربع جفاء البلدة ، وبعد الشقة وغرة الحداثة ، ودهشة الداخل .

فقال : فترى حولي عشرين صبيا ليس فيهم ذو لحية

غيري ، كان يجب ان تعرفني بها

(١) ابن سيرين هو أبوبكر محمد بن سيرين البصري . التابعي الكبير والإمام القدير في التفسير ، والحديث ، والفقه ، وتعبير الرؤيا ، والمقدم في الزهد والورع وبر الوالدين ، توفي ١١٠ هـ بعد الحسن البصري بمائة يوم ، وكان عمره نيفاً وثمانين سنة .

حصاة المسجد

سأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الإنسان في ثوبه أو خفه أو جبهته! فقال له : أرم بها . فقال الرجل : زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد . قال : دعها تصيح حتى ينشق حلقها! قال الرجل : أولها حلق؟ قال : فمن أين تصيح؟

الذئب رجحون

يروي الجاحظ أن رجلاً اسمه «ابو علقمة» قال إن الذئب الذي أكل يوسف عليه السلام اسمه «رجحون» . . فقيل ولكن الذئب لم يأكل يوسف . فقال إذاً هو اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .!!

ويقسم المال!

قال رجل لرجل في يوم بارد : أصب عليك جرة ماء وأعطيك درهماً! فتلكأ ، فقال آخر : أفعل ذلك علي والدرهم بيني وبينه .

رسالة من البصرة

كتب رجل من أهل البصرة إلى أبيه يقول : أكتب إليك يا أبت ، نحن كما يسرك الله عونه وقوته ، لم يحدث لنا بعدك إلا كل خير ، إلا أن حائطا لنا وقع على أمي وأخي الصغير وأختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت أحد حيا غيري!

عبقري من خرسان

عن أبي الفتح محمد بن أحمد الحريمي قال : كان عندنا بخراسان رجل قروي وكان له عجل ، فدخل العجل الدار وأدخل رأسه في حب لماء الشرب فانحشر رأس العجل في الحب وجعل يعالج رأسه ليخرجه فلم يقدر . واستدعى معلم القرية وأراه العجل فقال المعلم : أنا أخلص . اعطني سكينا ، فأعطاه فذبح العجل وظل رأسه في الحب فأخذ حجرا وكسر الحب وأخرج الرأس فقال له القروي : لا بارك الله فيك . . قتلت عجلي وكسرت حبي!

شيخ الله

قال القاضي أبو بكر بن أحمد بن كامل : حضرت مجلس أحد المشايخ المغفلين فقال : عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله عن رجل . فقلت له : ويحك من هذا الذي يصلح لأن يكون شيخ الله تعالى؟ فنظرنا في الكتاب الذي يروي عنه فإذا المكتوب عنده (عن الله عز وجل) وقد صحفها .

عرض الحبل

كان لأحد الحكماء ولد غبي فقال له ذات يوم : اذهب إلى السوق واشتري لنا حبلاً فيطول أربعون ذراعاً

فقال الولد لأبيه : حبل في طول اربعين ذراعا وفي عرض كم؟

قال له أبوه : في عرض خيبتي فيك

هكذا صيام الحمقى

قيل لبعض الحمقى كيف صمتم في رمضان؟

فأجابوا اجتمعنا ثلاثين رجلاً فصمناه يوماً واحد

استعادة النذر !

ضاع لأحدهم حمار فنذر أن يصوم ثلاثة أيام إن وجد الحمار وبعد فترة من الزمن وجد حماره فأوفى بنذره وصام الثلاثة الايام وما أن أكمل الصيام حتى مات الحمار فقال : لأخصمنها من شهر رمضان .

زواج وشتيمة

قال مولى لخالد بن صفوان وكان أحمقاً : زوجني أمتك فلانة . قال : قد زوجتكما ، قال : أفأدخل الحي حتى يحضروا الخطبة؟ قال : أدخلهم . فلما دخلوا ابتدأ خالد فقال : أما بعد فإن الله أجل وأعز من أن يذكر في نكاح هذين الكلبين ، وقد زوجت هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة .

كثير عزة

دخل كثير عزة[١] وكان محمّقا ، ويكنى أبا صخر على يزيد بن عبد الملك[٢] فقال : يا أمير المؤمنين ، ما يعني الشمّاخ بن ضرار بقوله :

إذا الأرطي توسّد أبرديه خدود جوازىء بالرمل عين

قال يزيد : وما يضر أمير المؤمنين ألا يعرف ما عنى هذا الأعرابي الجلف؟ فاستحمقه وأخرجه

آداب زيارة المريض

عاد رجل رقبة بن الحرّ ، فنعى رجالا اعتلوا من علته فنعى بذلك إليه نفسه ، فقال له رقبة ، إذا دخلت على المرضى فلا تنع إليهم الموتى ، وإذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا

اسقوا ابن عسل عسلا

قالوا : ومن الحمقى : ربيعة بن عسل ، أحد بني عمرو بن يربوع ، وأخوه صبيغ بن عسل . وفد ربيعة على معاوية فقال له معاوية : ما حاجتك؟ قال :

زوجني ابنتك . قال : اسقوا ابن عسل عسلا . فأعاد عليه فأعاد عليه العسل ثلاثا ، فتركه وقد كاد ينقد بطنه . قال : فاستعملني على خراسان . قال : زياد اعلم بثغوره . قال : فاستعملني على شرطة البصرة . قال : زياد اعلم بشرطته . قال : فاكسني قطيفة . أو قال : هب لي مائة ألف جذع لداري .

(قال : وأين دارك؟ قال : بالبصرة . قال : كم ذرعها؟ قال : فرسخان في فرسخين) . قال : فدارك في البصرة أو البصرة في دارك؟! .

---

(١) كثير عزة شاعر عربي متيم من أهل المدينة المنورة وشعراء الدولة الأموية واسمه كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي وعرف بعشقه عزة بنت جميل بن حفص بن إياس الغفارية الكنانية .

(٢) يزيد بن عبد الملك الأموي القرشي ويلقب يزيد الثاني ولد سنه ٧١ هـ . ولي الخلافة بدمشق بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك .

من حلوا ومن ربطوا

وقال المبرد : دخلتُ دار المجانين فوقفتُ تجاه مجنون وأخرجت لساني فحوّل وجهه عني
فجئْتُ إلى الناحية التي حوّل وجهه إليها وأخرجت لساني
فحول وجهه إلى ناحية أخرى
فجئت إليه وفعلت مثل ذلك
فلما أضْجرْتُه رفع رأسه إلى السماء وقال :
انظر يا رب من حلُّوا ومن ربطُوا

حجة مجنون

ووقف بعض المجانين على باب مسجد فبال فأرادت العامة ضربه
فقال لهم : أرأيتم لو بال ههنا حمار أكنتم ضاربيه؟
قالوا : لا
قال : فهبوني حماراً فإنه لا عقل لي فرَقُّوا له وأطلقوه .

الظن أكذب الحديث

قال : وقال مروان بن الحكم لرجل : إني أظنك أحمق .
فقال : ظنٌ أو يقينٌ؟
قال : بل ظنّ .
فقال : أحمق ما يكون الشيخ إذا استعمل ظنّه .

نصف الحمار

دخل إلى بعض العور رجل من جيرانه -ومعه حمار-
فقال : أيها الأستاذ اشتريت هذا الحمار
فأحببت أن أتبرك بنظرك إليه فكم يساوي عندك؟
فتأمَّلَهُ ، ثم قال : يساوي خمسين درهماً .
وكان الرجل قد اشتراه بمئة درهم ،
فقال : لا إله إلا الله ما أخطأت بفلس ، فإني اشتريته بمئة ،
وأنت رأيت نصفه .

نصف دعوة

صدم أعور في بعض الأسواق امرأة ، فالتفتت إليه
وقالت : أعمى الله بصرك ،
فقال : يا سيدتي ، قد استجاب الله نصف دعائك .

أخبار بهلول(١)

قال عليّ بن الحسين الرّازي : مرّ بهلول بقوم في أصل شجرة ، فقالوا : يا بهلول [تصعد هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم؟ فقال : نعم ؛ فأعطوه عشرة دراهم ، فجعلها في كمّه ، ثمّ التفت إليهم ، فقال : هاتوا سلّماً ؛ فقالوا : لم يكن هذا في شرطنا] قال : كان في شرطي .

ومرّ بهلول بسويق البزّازين ، فرأى قوماً مجتمعين على باب دكّان قد نقب ، فنظر فيه ، وقال : ما تعلمون من عمل هذا؟ قالوا : لا ، قال : فأنا أعلمُ . فقالوا : هذا مجنونٌ ، يراهم بالليل ولا يتحاشونه ، فالطفوا به لعلّه يخبركم ؛ فقالوا : خبرنا ؛ قال : أنا جائع ؛ فجاؤوه بطعام سني وحلواء ، فلمّا شبع ، قام ، فنظر في النّقب ، وقال : هذا عمل اللّصوص .

وسئل بهلول عن رجلٍ مات وخلّف ابناً وبنتاً وزوجةً ، ولم يترك شيئاً ؛ فقال : للابن اليتم ، وللبنت الثكل ، وللزوجة خراب البيت ، وما بقي للعصبة .

دخل بهلول وعليّان المجنون على موسى ابن المهديّ ، فقال لعليّان : إيش معنى عليّان؟ فقال عليّان : فإيش معنى موسى؟ فقال : خذوا برجل ابن الفاعلة ؛ فالتفت عليّان إلى بهلول ، فقال : خذ إليك ، كنّا اثنين صرنا ثلاثة .

(١) البهلول هو أبو وهيب بهلول بن عمرو الصيرفي الكوفي ، ولد بالكوفة في العراق في زمن هارون الرشيد وتوفي عام ١٩٧هـ ، الموافق ٨١٠م . وهو من مشاهير المجانين في بغداد وممن تميزوا بدرجة عالية من الطرافة والظرافة لدرجة ان البغداديين ما زالوا إلى يومنا هذا يرددون ويسندون الكثير من المزح والروايات والنوادر إليه وهو منها بريء .

تعريض

بعث بلال بن أبي بردة إلى ابن أبي علقمة المجنون ، فلمّا جاء قال له : أحضرتك لأضحك منك فقال المجنون : لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه ؛ يعرض بأبي موسى .

انتظار غائب

قال الحسين بن فهم(١) : كان المرتمي – مضحك الرّشيد – يأكل قبل طلوع الشمس ، فقيل له : لو انتظرت حتى تطلع الشمس! فقال : لعنني الله إن انتظرت غائباً من وراء سمرقند ، لا أدري ما يحدث عليه في الطريق .

المجنون وقوم من بني تميم

دخل قومٌ من بني تميم الله على مجنون من بني أسد ، فأكثروا العبث به ، فقال لهم : يا بني تيم الله ما أعلم قوماً خيراً منكم . قالوا : كيف؟ قال : بنو أسدٍ ليس فيهم مجنونٌ غيري ، قد قيّدوني ؛ وأنتم كلّكم مجانين ، وليس فيكم مقيّدٌ .

شيخ أحمق

قال أبو بكر بن شاذان : بكر إبراهيم بن محمدٍ بن عرفة نفطويه(٢) يوماً إلى درب الرّآسين ، فلم يعرف الموضع ، فتقدم إلى رجلٍ يبيع البقل ، فقال له : أيّها الشيخ كيف الطريق إلى درب الرّآسين؟ فالتفت البقلي إلى جارٍ له ، وقال : يا فلان [ألا ترى إلى الغلام] فعل الله به وصنع ، قد احتبس عليّ! فقال : وما الذي تريد منه؟ قال : لم يبادر فيجبني بالسّلق ، بأيّ شيءٍ أصفع هذا الخبيث؟ لا يكنّي .

قال : فتركه ابن عرفة وانصرف من غير أن يجيبه بشيءٍ .

---

(١) هو : الحافظ ، العلامة ، النسابة ، الأخباري أبو علي ، الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز البغدادي .

(٢) هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة العَتَكيّ الأزديّ . إمام حافظ ، إمام من أئمة النحو ، فقيه ظاهري . ، لقب تشبيها له بالنفط ، لدمامته وأدمته ، وزيد مقطع ، لأنه كان يجري على طريقة سيبويه في النحو .

خذ الحكمة من أفواه المجانين

قال أبو القاسم الرازي : سمعت أخي أبا عبد الله يقول : قام بنان الحمال إلى مخنّث ، فأمره بالمعروف ، فقال له المخنث : ارجع كفاك ما بك ، فقال له بنان : وما بي؟ قال : خرجت من بيتك وفي نفسك أنك خير منِّي .

المخنث صاحب الخطمي

دخلٍ رجل الحمَّام ، فإذا مخنثٌ بين يديهِ خطميّ ، فقال الرّجل : أعطني من هذا قليلاً ؛ فأبى ، فقال الرَجل : كل قفيز بدرَهم ، فقال المخنث : كل أربعة أقفزةٍ بدرهم ، احسب حسابك ، كم يصيبك بلا شيء؟

بين مخنثين

قال المبرّد : قدم بعض البصريين من أصحاب أبي الهذيل بغداد ، وقال : لقيت مخنثّين ، فقلت لهما : أريد منزلاً ؛ وكان هذا الرجل في نهاية القبح ، فقال أحدهما : بالله من أين أنت؟ قلت : من البصرة ؛ فأقبل على الآخر ، فقال : لا إله إلاَ الله ، تحول يا أختي كل شيء من الدنيا ، حتى هذا كانت القرود تجيء إلى بغداد من اليمن صارت تجيء من البصرة!

يمشي على استحياء

نظر جمّيز إلى برذونٍ تحت صديقٍ له يقطف ، فقال : برذونك هذا يمشي على استحياء .

إبليس والسامري

عن بعض الظراف المتماجنين : لمّا صنع السامريّ العجل ، قال إبليس : هذه فضيحةٌ [تعبد بقرةٌ] الآن يلعنني الناس ويقولون : هذا عمله ، انظروا ما يقول السّامريّ [قالوا : قد قال : [بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها] ، قال : ثم أيش؟ قالوا : قد قال : وكذلك سولت لي نفسي ، قال : استرحت أنا السّاعة من أن يقال عنّي .

شعر جرير

كان ابن الخصيب غبياً جاهلاً . قال إبراهيم بن المدبر : كنت يوماً عنده فقدم الطعام وفيه هليون فأكب عليه ، فقلت : أراك راغباً في الهليون ، فقال : بلغني أنه يزيد في السهاد ، ويؤيد في الباه ، ثم جلسنا للشرب فغنت بعض القيان :

إنّ العيــون التــي في طرفهــا حــور   قتلننــا ثــم لــم يحيــين قتلانا
يصرعن ذا اللبّ حتّى لا حراك بــه   وهــنّ أضعــف خلــق اللّه أركانا

فقال : هذا الشعر لأبي . فقلت : قاتل الله جريراً ما كان أسرقه لشعر أبيك !
وماتت له بنية ، فخرج إلى جلسائه يعصر عينيه ، وقال : قد قلت في هذه الصبية :

غيضــن مــن عبراتهــن وقلــن لي   ماذا لقيــت من الهــوى ولقينــا

فقال له بعض جلسائه : أعز الله الوزير هذا مشهور في شعر جرير . فقال : لعله وافقه .

نوادر أبي الحارث

سقط أبو الحارث حمير من سطح ؛ فقيل له : أكان السطح مرتفعاً؟ قال : لا تسأل عن شيء؟ استطبت برد الهواء قبل الوصول إلى الأرض .

وقال رجل : أشتهي أن أرى خلفي . فجاءه أبو الحارث بمرآة فجعلها تلقاء وجهه .

وتشهى قوم ضروباً من الطعام . فقالوا : ما تشتهي يا أبا الحارث؟ فقال : الوفاء بهذا .

وأكل يوماً مع قوم رؤوساً ، فتبادروا إلى الأعين ليقتلعوها فتنحى ناحية . فقالوا : مالك؟ قال : ظننتكم ناساً فإذا أنتم نسور .

وجلس يتغدى مع الرشيد وعيسى بن جعفر فأتي بخوان عليه ثلاثة أرغفة ، فأكل أبو الحارث رغيفه قبلهما . وقال : يا غلام ، فرسي! ففزع الرشيد وقال : ويلك ! مالك ؟ قال : أريد أن أركب إلى ذلك الرغيف الذي بين يديك ، فضحك الرشيد وأمر له بجائزة .

ومال أبو الحارث على زفر بن الحارث وعنده جوار يغنين وأبو الحارث جائع . فقال : اسقوا أبا الحارث وغنينه ما يقترح . فقال : بحياتي غنين :

خليلــيّ داويتمــا ظاهــراً   فمــن ذا يــداوي باطــنا

فقال زفر : غنين :

من يسأل النــاس يحرمـــوه وسائـــل اللّـــه لا يخيـب

ونظر أبو الحارث إلى برذون يستسقى عليه الماء فقال :

وما المـــرء إلاّ حيـــث يجعل نفســـه فـفي صـالح الأخـلاق نفـسك فاجعل

لو أن هذا البرذون هملج لما فعل به هذا .

الشيخ الألكن[1]

كان بالرملة شيخ نظير لأبي بكر النابلسي في طريق الزهد ، وكان ألكن اللسان ؛ فنزل بعض الجند دار صديق له ، فخاف طول مكثه ، وأن تصير الدار نزلاً للجند ، وسار بذلك إلى الشيخ ، وسأله أن يبعث إليه من يعرفه بالرجل أنه من خاصته لينتقل عنها ؛ فأنفذ معه رسولاً ، ثم رأى الشيخ أن قيامه آكد فنهض فلحقه . فقام الجندي إليه ؛ فقال : أيها الشيخ الجليل سيدي ؛ أتاني رسولك ، ولا والله أقيم أكثر من يومين ألتمس منزلاً وأنتقل . فقال الشيخ : نعم! يا سيدي وشهرين إذا شئت ، وما هذا التضييق على نفسك؟ فقال صاحب الدار : والله أعزك الله لئن أقام بها عشرة أيام لتصيرن داري نزلاً . فقال : يا هذا ، إنك إن تقول ، إن هؤلاء ، إنما أحب إليك أن يأتوا إلى دارك ، لسبب ما ، فليس الأمر كما زعمت . فقال : فسر لي أكرمك الله هذا الكلام ، وأنا أهب له الدار

وكان بالرملة أيضاً كاتب جاهل ألكن ، فأرسل غلامه إلى الصوارف يبتاع له شراباً ، فاشترى له ركوة شراب ، وحملها على حمار وأتى الرملة . فقبض عليه أصحاب المصالح ، فقالوا : زن درهماً ، فامتنع ، فأرجلوه عن الحمار فضربوه خمسين مقرعة ، وأخذوا الشراب والحمار ؛ فأتى مولاه فأخبره . فكتب إلى متولي النظر في أمرهم : أما بعد ، فإن غلاماً ، وإن حماراً ، ألبس بله ، فضرباه خمسين رطلاً في ركوة ، فرأيك في إطلاق الحمار ، وأبقاك .

وقال بعض إخوانه : كنت عند فاحتجم ، فقال : ما عندي اليوم شراب نبيذ ،

(١) ثَقِيلُ اللِّسَانِ ، يَلْفِظُ الكَلِمَاتِ بِصُعُوبَةٍ ، بِهِ عُجْمَةٌ .

فاجلس حتى أكتب إلى صديقي فلان يبعث لي بقنينة أشربها معك . فقلت له : أنت مطول في كتبك فاعمل على الاختصار . فكتب : أما بعد احتجمت قنينة والسلام ، فقلت له : ولا هذا كله! ومثل هذا في الاختصار ، قيل إن شاعراً مدح نصر بن سيار بقصيدة فيها مائة بيت كلها نسيب ، وإنما المدح منها في بيتين . فقال له نصر : ما تركت معنى ظريفاً ولا نسيباً مليحاً إلا أوردته في نسيبك دون مدحك . فقال : غداً أغدو عليك بغير هذا ؛ فغدا عليه بقصيدة أولها :

هل تعرف الدار لأم الغمر دع ذا وحبّر مدحةً في نصر

وكتب هذا الكاتب كتاباً إلى بعض إخوانه : اشتهيت وليس عندي إلا ، وليس يحلو إلا من عندك ، وهو الدمكسك أصلحك الله ، يطرح الحشمة ، فأرسل إلى ممسا منفصلاً والسلام .

أراد النمكسود وهو لحم يقطع طوابيق ويشد بالملح في ألواح وينشر حتى يذهب ماؤه وينشف ؛ فإذا احتيج إلى شيء منه بل بالماء وأصلح ؛ وإنما يستعمل كذا ليسافر به ولا يفسد . ولذا قال أبو العيناء : الزينبي نمكسود الخمر .

وكتب رجل إلى قاض في أمر قوم من جيرانه اختصموا : إن الذي لم يجر بينهما غير مفهوم ، وقد أردت الاستصلاح فعاد استفساداً ؛ فإن رأى القاضي أدام الله عزله أن يصفح عن كتابي فإن فيه نقصاً . فقال القاضي . لا ، بل فيه زيادة لام ، كفانا الله شرها .

قصص المخنثين

عث بعض ولد عيسى بن جعفر إلى جماعة من المخنثين فأتوه ، فجعلوا يلعبون ويرقصون وبقي مخنث منهم لا يتحرك . فقال : ما لك ؟ قال : لا أحسن شيئاً . قال : فلم دخلت يابن الفاعلة ؟ يا غلام ائتني بسكرجة مملوءة روثاً وأخرى مملوءة جمراً ، فأتاه بهما . فقال : والله لتأكلن من أحدهما أو لأضربنك حتى تموت . قال : يا مولاي ؛ دعني أصلي ركعتين . قال : قم فصل ؛ فقام يصلي فأطال . فقال له : يابن الفاعلة ، إلى كم تصلي؟ قد صليت أكثر من عشرين ركعة! فقال : يا سيدي ؛ أنا دائب أدعو الله أن يمسخني نعامةً فأقوى على أكل الجمر ، أو خنزيراً فأقوى على أكل الخرا ، فلم يستجب لي بعد ؛ فدعني أصلي وأدعو ، فلعله يستجاب لي ؛ فضحك منه ووصله .

هبت ريح شديدة ، فقال الناس : قامت القيامة . فقال ربدة المخنث : يا حمقاء ؛ القيامة هكذا على البارد بلا دابة ولا دجال ولا دخان ولا يأجوج ولا مأجوج .

ورأى مخنث شيخاً هرماً ، فقال : عدمته ، كأنه قصر ابن هبيرة ذهب رسمه وبقي اسمه .

أبو جعفر الشق

كان بمصر شريف من ولد أبي العباس يعرف بأبي جعفر الشق ، شبيه بابن الجصاص في الغفلة والجد والنعمة . قال أبو القاسم بن محمد التنوخي : بعثني أبي إليه من قرية تعرف بتلا يستقرضه عشرة أرداب قمحاً وثلاثين زوج بقر ، وكتب معي بذلك رقعة ؛ فأتيت إليه وسلمت عليه ودفعت إليه الرقعة . فقال : ذكرت أباك بخير وحرس وأسعده ، فهو صاحبي وصديقي وخليطي ، وأين هو الآن؟ قلت : بقرية تلا أعز الله سيدي الشريف . قال : نعم! حفظه الله بالفسطاط معنا ؛ وقد انقطع عنا كذا ، ما كنت أظنه إلا غائباً . قلت : لا يا سيدي هو بتلا . قال : فما لك ما قلت لي ؟ فما كان سبيله أن يؤنسني برقعة من قبله . قلت : يا سيدي ، قد دفعت إليك رقعته . قال : وأين هي ؟ قلت : تحت البساط ، فأخذها وقرأها وقال : قل لي الآن ؛ كان لك أخ أعرفه حار الرأس حاد الذهن ، يحسن النحو والعروض والشعر ، فما فعل الله به ؟ قلت : أنا هو أعزك الله . قال : كبرت كذا ، وعهدي بك تأتيني معه وأنت بزقة مخطة لعقة قردلاش . قلت : نعم! أيد الله الشريف . قال : وما الذي جئت به ؟ قلت له : والدي بعثني إليك برقعة يسألك فيها قرض عشرة أرادب قمحاً وثلاثين زوج بقر . قال : وهو الآن بالفسطاط ؟ قلت : لا يا سيدي هو بتلا . قال : نعم ! وإنما ذاك الفتى أخوك ؟ قلت : لا ، أنا هو ، فهو يراجعني الكلام ، وقد ضجرت من شدة غفلته وكثرة نسيانه لما أقول له ، حتى أقبل كاتبه أبو الحسين ، فقال : سل هذا الفت ما أراد . فسألني فعرفته فأخبره فقال له : نفذ له حاجته ، فوقع لي الكتاب بما أراد . وقال : تلقاني للقبض بالديوان ، فشكرت الشريف ونهضت .

فقال : اصبر يا بني فقد حضر طعامنا . وقدم الطعام وفيه حصرمية غير محكمة ، فرفع يده وقال : مثل مطبخي يكون فيه مثل هذه ! علي بالطباخ ، فأتى ، فقال له : ما هذا العمل ؟ فقال : يا سيدي ؛ إنما أنا صانعٌ وعلى قدر ما أعطى أعمل ، وقد سألت المنفق يشتري لي ما أحتاج إليه فتأخر عني فعملت على غير تمكن ؛ فجاء التقصير كما ترى .

فقال : علي بالمنفق فأحضر . فقال : مالي قليل ؟ قال : لا يا سيدي ، بل عندك نعم واسعة . قال : فما لك تضايقنا في النفقة ولا توسع كما وسع الله علينا ؟ قال : يا سيدي ، إنما أنفق ما أعطى ، وقد سألت الجهبذ أن يدفع لي فتأخر عني . فقال : علي بالجهبذ فأتي به . فقال : ما لك لم تدفع للمنفق شيئاً ؟ قال : لم يوقع لي الكاتب . فقال للكاتب : لم لم تدفع إليه شيئاً ؟ فتلعثم في الكلام ولم يكن عنده جواب . فقال للكاتب : قف ها هنا فوقف ، ووقف خلفه الجهبذ ، ووقف خلف الجهبذ المنفق ، وخلف المنفق الطباخ . وقال : نفيت من العباس إن لم يصفع كل واحد منكم من يليه بأكثر ما يقدر عليه ، فتصافعوا .

قال : فخرجت وأنا متعجب من غباوته ودقته في هذا الحكم .

إذا ذهب الحمار بأم عمرو

ودخل عليه كاتبه أبو الحسين فوجده يبكي بكاءً شديداً ، ويقول : واااانقصام ظهراه ، واهلاكاه! فقلت : ما للشريف لا أبكى الله عينه؟ فقال : ماتت الكبيرة يريد أمه وكان باراً بها . فقلت : ماتت؟ قال : نعم! فشققت جيبي وأظهرت من الجزع ما يجب لمثلي . ثم إني أنكرت الحال إذ لم أجد لذلك دليلاً ، لا أحد يعزيه ، ولا في الدار حركة ؛ فبقيت حائراً حتى أتت الخادمة . فقالت : الكبيرة تقرئك السلام ، وتقول لك : إيش تأكل اليوم ؟ قال : قولي لها ، ومتى أكلت قط بغير شهوتك ؟ فقلت : يا سيدي ، والكبيرة في الحياة ؟ فقال : وإيش تظن أنها ماتت من حق ؟ إنما رأيت البارحة في المنام كأنها راكبة على حمار مصري تسقيه من النيل ، فذكرت قول الشاعر : إذا ذهب الحمار بأم عمرو . . . . . البيت المشهور .

لقد أنسيت أن أمك امرأة !

وقال أبو الحسين كاتبه : وأتيت إليه يوماً وقد مات والدتي فعرفته فبكى ، وقال : ماتت كبيرتي ومربيتي ، وهو كان أكبر منها بأربعين سنة . ثم قال لغلامه : يا بشرى ، قم فجئني بعشرين ديناراً فأتاه بها . فقال : خذها فاشتر بعشرة دنانير كفناً وتصدق بخمسة دنانير على القبر ، وأقبل يصرف الخمسة الباقية فيما يحتاج إليه من تجيزها . ثم قال لغلام آخر : امض أنت يا لؤلؤ إلى فلان صاحبنا لا يفوتك يغسلها ، فاستحييت منه . وقلت : يا سيدي ، ابعث خلفك فلانة جارة لنا تغسلها . قال : يا أبا

الحسين ، ما تدع عقلك في فرح ولا حزن ، كأن حرمك ما هي حرمي ! كيف يدخل عليها من لا نعرفه . قلت : نعم ! تأذن لي بذلك . قال : لا والله ما يغسلها إلا فلان ! فقلت : وكيف يغسل رجل امرأة ؟ قال : وإنما أمك امرأة ، والله لقد أنسيت !

خدعنا عابر الرؤيا !

وكان يوماً عند أبي بكر المادراني ثم خرج وهو طيب الخلق ، فاجتاز بابن زنبور فسمع خفق أوتار وغناء في داخل الدار ، فوقف يسمع ؛ فرآه غلام لابن زنبور فدخل فأعلم مولاه فخرج حافياً . وقال : يا مولاي الشريف ، تشرفني بالدخول ! قال : نعم ، فدخل فقدم له طعاماً فأكل وشرب ثلاثة أقداح وغنى ثلاثة أصوات وانصرف ، فنام ليلته فلما أصبح قال : يا بشرى ؛ جئني الساعة بأبي شامة العابر ، فأتاه به فقال : رأيت البارحة كأني خرجت من دار إخواني فاجتزت بدار حسنة ، فسمعت خفق العيدان ، وغناء القيان ، فخرج إلي صاحب الدار ، فأدخلني فأفضيت إلى بستان في الساحة ، أمامه نهر جليل ، في صدره شاذروان ، وقد فرش المجلس بأنواع الديباج المثقل ، وضربت ستارة فيها غرائب الصور وعجائب الصنائع ، وفيها قيان بأيديهن العيدان وهن يغنين أحسن الأغاني ؛ فقدم لي خوان عليه من كل الألوان فأكلت وشرب وغنيت وانصرفت .

ففسر له الرؤيا على ما يسره ؛ فأمر له بخمسة دنانير ، ثم مر بعد أيام بابن زنبور وهو جالس على باب داره . فقال له : يا سيدي الشريف ، ما تشرفني بعودة . قال : إذا ماذا ؟ قال : تثني إلى عادة حضورك . قال : ومتى تقدم إلى ذلك ؟ قال : ليلة كذا . قال : وإنما خدعنا العابر وأخذ متاعنا بالباطل ! امضوا إليه وردوا الخمسة دنانير منه ؛ ثم فكر ساعة ، وقال : دعوه لعله أنفقها وهو فقير!

تشتمني غائباً وحاضراً

وشرب مرةً أخرى عند ابن زنبور الكاتب ومعه ابن المادراني ، وحضر القيان فغنين أطيب غناء ؛ فقام الشريف إلى قضاء الحاجة ، فأتت دابة ابن المادراني فانصرف ، والشريف في الخلاء ، فقضى حاجته وعاد إلى موضعه ، وكان ابن زنبور لما انصرف أبو بكر رجع في دسته ، فالتفت إليه الشريف ، وقال : يا أبا بكر ؛ هذا الكلب ابن زنبور عنده مثل هذا السماع الطيب ، ولا يمتعنا به كل وقت إنما يدعونا من مدة

إلى مدة . فقال له ابن زنبور : هو على قدر ما يتفق له من الفراغ وهو مشتغل مع سلطانه في أكثر أيامه . قال : لا والله ! ما هو إلا كلب تجلب فاعل صانع . فقال له : أعز الله الشريف ؛ أبو بكر انصرف وأنا ابن زنبور ! فقال له : اعذرني والله ما ظننتك إلا ابن المادراني ؟ فقال : أراك تشتمني غائباً وحاضراً !

أنا أبكر إليك

وقال له بعض أصحاب الإخشيد[1] : أحب أن تبكر إلي بالغداة في حاجة للأمير ، أيده الله ، وذكر الحاجة . فقال : أنا آتيك أول الناس كلهم ، فمضى وأكل وشرب أقداحاً ، ونام القائلة فاستيقظ بالعشي ، فقام مذعوراً ؛ فلبس ثيابه ، وركب إلى الرئيس ؛ فاستأذن عليه فدخل ، وقال : اعذرني أعزك الله فقد ضربني النوم ، والله ما صليت الصبح من السرعة ، ولقد آثرت المجيء إليك عليها ، وأنا أستغفر الله عليها ؛ فضحك حتى استلقى . وقال له : قد احتجنا إلى تأخير الأمر إلى الغد إن شاء الله . قال : فأنا أبكر إليك على كل حال ، وانصرف .

من شدة الغفلة

مر رجل بإنسان وعلى عاتقه عصا في طرفيها زنبيلان قد كادا يحطمانه ، في أحدهما بر وفي الآخر تراب . فقال : لم فعلت هذا؟ قال : عدلت البر بالتراب ، لأنه كان قد أمالني إلى أحد جنبي ؛ فأخذ الرجل زنبيل التراب وقلبه وقسم البر نصفاً في الزنبيلين . وقال : الآن فاحمل ، فحمله فخف عليه ؛ فقال : ما أعقلك من شيخ!

ابن المعذل والمخنث

رأى عبد الصمد بن المعذل[2] مخنثاً ليلة أربعة عشر من شهر رمضان ، وهو مضطجع على ظهره يخاطب القمر ويقول : لا أماتني الله منك بحسرة ، أو تقع في

---

(١) الإخشيديون ، بنو إخشيد ، هم سلالة تركية مستعربة حكمت في مصر الشام سنوات ٩٣٥-٩٦٩م ، ومقر حكمهم الفسطاط . تنحدر هذه الأسرة من أحد القادة العسكريين الصغد في فرغانة .

(٢) عبدالصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي القيسي أبو القاسم . من بني عبدالقيس ، من شعراء الدولة العباسية . ولد ونشأ في البصرة .

المحاق ، فما كانت ليلة سبعة وعشرين رأى عبد الصمد الهلال ، فقال :

يا قمراً قد صار مثل الهلال   من بعد ما صيّرني كالخلال
الحمد للّه الذي لم أمـــت   حتّى أرانيك بهذا السّـــلال

من نوادر جامع بن وهب

كان جامع بن وهب الصيدلاني من أكبر الناس دنيا ، وأعظمهم غفلة ، اشترى مرة ثلجاً كثيراً ، فقيل له : إنه كثر . فقال : أريد أن أمصه وأرمي بثفله .

وأعطي ببغل له ثمناً خسيساً ، فقال : ما للعقار ببغداد قيمة ! ودخل بستاناً له ؛ فقال لوكيله : اغرس لي بصلاً بخل ؛ فإنه نافع للصفراء .

وكتب إليه بعض الكتاب كتاباً ، فأجابه عنه ، وعنوانه : من ذاك الذي كتب إلي .

وعثرت به البغلة ؛ فقال لغلامه : انظر هل سال من أصبعها دم ؟ وكتب إلى ابنه وقد خرج من مكة : يا ولدي ، إن قدرت أن تضحي عندنا فافعل ، لنفرح بك في العيد ! وسقطت ابنته في البئر ، فقال : يا بنية ، لا تبرحي من مكانك حتى أجيء بمن يخرجك منها !

حكمة مغفل

أتى مغفل ليكسر لوزة ؛ فزلقت عن الحجر . فقال : كل شيء يفر من الموت حتى البهائم أيضاً .

واعظ فيه غفلة

وكان بمصر واعظ يقال له أبو عبد الله الخواص ، من أشد الناس غفلةً ؛ وقف به رجل من العامة يقال له محمد القمقاني الخباز ، فقال له : أصلحك الله ، لي نفس معلولة لا تجيب إلى شيء من الخير ؛ فما يصلحها لي ؟ قال : اقرأ القرآن وأكثر منه . قال : ما أحفظ غير الحمد ، وقل هو الله أحد ، وقد قرأتهما مرات كثيرة ، ونفسي بحالها . قال : فاذكر الموت . قال : لك الله ! قد فعلت فما خشعت ، ولا جاء منها شيء . قال : فأكثر حضور مجالس الذكر . قال : من أين أجد ؟ وقد تركت شغلي ولزمت المجالس ، ونفسي كما هي . قال : لعن الله نفسك فإنها مشؤومة ملعونة كما

قلت ؛ والرأي أن تمضي بها إلى جرمان بن مطهر صاحب الشرطة يؤدبها لعله يجيء منها بشيء .

بيع قرد

وأتى رجل بقرد يبيعه ؛ فجاء عبادي فنظر إليه ، فقال صاحبه له وقد دنا من رجله : احذر لئلا يرمحك ، فدنا من يده ؛ فقال : احذر لئلا يخبطك ، فدنا من فمه ؛ فقال : احذر لئلا يعضك ؛ فتباعد العبدي ناحية فقيل له : لم تباعدت ؟ فقال : أحذر لئلا يرميني بحجر .

يبيع رمحاً برغيف

ومر عبادي برجل ومع الرجل رمح . فقال أتبيعه ؟ قال : نعم ! قال : فبكم تريده ؟ قال : برغيف . قال : سبحان الله تطلب هذا برغيف! قال : أخزى الله شرهما في الجوف .

عقلاء المجانين

المجنون والعصيدة

عن أبو محمد الحسن بن إسماعيل الضراب[1] ، عن محمد بن أحمد المديني ، عن الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان ، عن جعفر علي البغدادي ، عن أبو الفضائل محمد بن أحمد ، عن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال :

قال عطاء السليمي : قدمت الكوفة في بعض تجارةٍ لي ، فأزف بي العيد ، وصنعت شيئاً من عصيدة ، وجلست على باب الدار ألتمسً من يأكلها معي ، فإذا أبا بعُليّان المجنون ، فقلت : عُلّيان؟ فقال : عطاءٌ؟ فقلت : عطاءٌ؟ قال : السليمي؟ قلت : السليمي ؛ قال : ما أقدمك إلى بلدتنا يا غريب؟ قلت : التجارة ؛ وقد اصطنعت شيئاً من عصيدة ، فأنا قاعدٌ على باب الدار ، ألتمس من يدخل فيأكلها معي .

قال : فًدخل ، فوضعتها بين يديه ، فقال : شلها ، فإن أعضائي تتطرف أن تأكل من هذا شيئاً .

---

(١) الإمام المحدث أبو محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد المصري ، مصنف كتاب «المروءة» .

قال : ثم قال لي : أين أنت عن فالوذج العارفين؟ قلت : وما هو؟ قال : تأخذ قند الصفاء ، وزيت البهاء ، وزعفران الرضا ، ونشاء المعرفة ، فتذيبه بماء الحياة ، ثم تنصب ديكدان القلق ، وترقب طنجير الملق ، حتى يرغي رغاء الصبر ، ويزبد زبد التوكل ، ثم تضربه بإسطام الهيبة ، وتوقد تحته قصب الشوق ، حتى يشتعل بنار الهوى ، فإذا فرغت منه بسطته على صحائف قرب الأنس ، حتى يضربه نسيم الحياة ، فإذا أكلت منه أول لقمة ، هاج ألم الضمير إلى مهيجها ، وباحت الأنفس بما فيها ، وبكت بكاء من يبكيها ، شوقاً إلى من يؤنسها ويحييها ؛ وأنشأ يقول :

فهام بحب الله في القفر سائحاً . . . وحطت على روح القدوم رواحله
فعاد بشوقٍ قد نضا فقد حاله تذوب به أعضاؤه ومفاصله

حكمة معتوه

حدثنا أحمد بن مسعود بن عمرو بن إدريس الزنبري ،عن محمد بن أحمد الأنصاري ، قال : قرأت على محمد بن سعدان الجوزجاني : قال أبو عبد الرحمن الأنصاري : أخبرني خلف بن سالم ، قال :

قلت لأبي علي المعتوه : ألك دارٌ؟ قال : نعم . قلت : وأين؟ قال : في دارٍ يستوي فيها العزيز والذليل . قلت : وأين هذه الدار؟ قال : المقابر . قلت : أما تستوحش في ظلمة الليل؟ قال : إني أكثر ذكر وحشة البلى وظلمته ، فيهون علي ظلمه الليل ووحشته . قلت : فربما رأيت[في] المقابر ما تنكره؟ قال : ربما ، ولكن في هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر .

لا آخذ على الدعاء أجرا

قال ابن إدريس :[1]

قدم علينا هارون أمير المؤمنين يريد الحج ، فنزل الحيرة ، فاختلفت إلى الحيرة في حاجة أطلبها ، فكثر اختلافي ، فغدوت يوماً فرأيت بهلولاً في طريقي ، فقلت : يا

(١) أبو عبد الله محمّد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي الحلّي . (٥٤٣ هـ ـ ٥٩٨ هـ) هو فقيه ومحدث شيعي معروف باسم «ابن إدريس الحلي» . من ناحية الأم يكون جده بواسطة واحدة محمد بن الحسن الطوسي المعروف بـ«الشيخ الطوسي» .

بهلول ، إني طالبٌ حاجةً ، فادع الله لي ، فاستقبل القبلة ، ورفع يديه ، ثم قال : يا من لا تختزل الحوائج دونه ، اقض له حوائج الدنيا والآخرة .

قال : فوجدت لدعائه برداً على قلبي ، فحللت خرقةً كانت معي فيها درهمان ، فمددت يدي إليه ، فقلت : خذ هذا فأنفقه ، فقال لي : يا ابن إدريس ، أنت تعلم أني آخذ الرغيف وما أشبهه ، فكيف الدرهمين؟! والله إني لأستحيي من الله عز وجل أن آخذ على الدعاء أجراً .

قال : فما رجعت حتى قضيت حاجتي .

حكمة بهلول

الحسن بن الحسين ، قال : سمعت أبي يقول :

مر بهلول في السوق وهو يأكل ، فاستقبله بعض أصحابنا ، فقال له : يا بهلول ، تأكل في السوق؟! فقال : قال النبي ﷺ : «مطل الغني ظلمٌ» . وأنا لحقني الجوع في السوق ، وفي كفي رغيفٌ ، فكرهت أن أمطل نفسي .

المعتوة أكثر بصيرة

قال ابن إدريس : كان ابن أبي مالكٍ بالكوفة ، وكان معتوهاً ذاهباً ، لا يعرف ما الناس فيه ، فإذا تكلم تكلم بالصواب .

فبينا أنا يوماً في مسجد الكوفة أتنفل ، إذ مر بي ، فسبحت به ليعطف إلي ، فالتفت إلي فقال لي : أقبل على من أنت بين يديه ، فإنه مقبلٌ عليك ، ولا تقبل على غيره فتخطئ حظك منه .

قال ابن إدريس : فأفزعني والله ، فأقبلت على القبلة بعد هذه الكلمة سنةً ، فلم ألتفت يميناً ولا شمالاً .

سعدون المجنون

قال الفضيل بن عياض[1] : خرجت حاجاً ، فبينا أنا أسير ، إذا أنا بسعدون المجنون ماراً بالبادية وحده ، فقلت له : سعدون؟ إلى أين؟ فقال : إلى الله ، أطلب قربه ، وأشكو إليه بعده .

(١) الفضيل بن عياض ، أحد أعلام التصوف في القرن الثاني الهجري ، لقب بـ «عابد الحرمين» .

قال : فقلت له : سعدون ، ما أرى معك زاداً؟ فقال : قال لي : يا فضيل ، إذاً والله لو سكنت الأحزان قلبك ، وسكنت الهموم لبك ، وأنحل الشوق جسمك ، ما سألت عن زاد ، ولا ذكرت إلا المعاد .

وقال يحيى بن أيوب المقابري[١] : رأيت سعدون المجنون في المقابر يدور ، كلما مر بقبر قد تهدم منه سوَّاه ، ووضع فيه لبنةً ، فقلت : سعدون؟ قال : سعدون . قلت ما تعملً؟ قال : إنما يسأل عما أعمل من لا يدري ما أعمل ، فأما من يدري ما أعمل ، فما سؤاله عما أعمل؟

ثم قال : يا يحيى ، اقعد بنا نبك على هذه الأجساد البالية والعظام النخرة ، ثم قال : لا بل بكانا على أنفسنا أحق من بكائنا عليهم .

مجنون يرى الله

قال منصور بن أحمد الهروي[٢] : سمعت أبا الحسين محمد بن علي الخوارزمي ، قال : سمعت ذا النون المصري يقول :

مررت بأرض مصر ، فرأيت الصبيان يرمون رجلاً بالحجارة ، فقلت لهم : ما تريدون منه؟ فقالوا : مجنونٌ ، يزعم أنه يرى الله عز وجل . فقلت : أفرجوا عنه ؛ فأفرجوا لي ، فدخلت ، فإذا أنا بشاب مسند ظهره إلى الحائط ، فقلت له : ما تقول – رحمك الله– فيما يقول هؤلاء؟ فقال : وما يقولون؟ قلت : يزعمون أنك ترى الله .

قال فسكت ساعةً ، ثم رفع رأسه ، ودموعه تجري على خديه ، فقال لي : والله ما فقدته منذ عرفته ، ولو فقدته ما أطعته ، ثم أنشأ وهو يقول :

همم المحب تجول في الملكوت بالقلب ليسمو ، واللسان صموت

وزادني غيره : وهو يقول :

أيها الشامخ الذي لا يرام نحن من طينةٍ عليك السلام
إنما هذه الحياة متاعٌ ومع الموت تستوي الأقدام

(١) الإمام العالم القدوة الحافظ ، أبو زكريا البغدادي المقابري العابد .

(٢) أبو منصور محمد بن أحمد الهرويّ ، الملقب بالأزهري نسبة إلى جده الأزهر عالم من علماء اللغة العربية ، عاش في العصر العباسي في الفترة ما بين (٢٨٢–٣٧٠هـ/٨٩٥ـ٩٨٠م) . ولد في هراة في خراسان ، ثم انتقل إلى بغداد ، ألف العديد من الكتب والمصنفات في فقه اللغة أشهرها تهذيب اللغة .

أبو نصر المجنون

عن ابن أبي فديك[1] ، أنه قال : كان ها هنا بالمدينة سنة سبع وثمانين رجلا يكنى أبا نصر ، من جهينة ، ذاهب العقل ، في غير ما الناس فيه ، لا يّتكلم في شيءٍ من أمر الدنيا ً، وكان يجلس مع أهل الصفة في آخر مسجد رسول الله ﷺ ، وكان إذا سئل عن الشيء أجاب جواباً معجباً حسناً .

قال ابن أبي فديك : فأتيته يوماً وهو في مؤخر المسجد مع أهل الصفة ، منكسٌ رأسه ، واضعٌ وجهه بين ركبتيه ، فجلست إلى جنبه ، فحركته فانتبه ، فأعطيته شيئاً كان معي ، فأخذه وقال : قد صادف منا حاجةً ؛ فقلت له : يا أبا نصرٍ ، ما الشرف؟ قال : حمل ما ناب العشيرة أدناها وأقصاها ، والقبول من محسنها ، والتجاوز عن مسيئها .

قلت : فما المروءة؟ قال : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وتوقي الأدناس ، واجتناب المعاصي صغيرها وكبيرها .

قلت : فما السخاء؟ قال : جهد المقل .

قلت : فما البخل؟ فقال : أفً ؛ وحول وجهه عني ، فقلت له : لم تجبني بشيءٍ ، قال : بلى ، قد أجبتك .

قال ابن أبي فديك : وقدم هارون أمير المؤمنين ، فأحب أن ينظر إليه ، فأخلي له مسجد الرسول ﷺ ، فوقف على قبر النبي ﷺ وعلى منبره ، وفي موضع جبريل عليه السلام ، ثم قال : قفوا بي على أهل الصفة حتى أنظر إليه -يعني أبا نصر- ؛ فلما أتاهم ، حرك هارون الرشيد أبا نصرٍ بيده ، فرفع رأسه وهارون واقفٌ ، فقيل له : يا أبا نصرٍ ، هذا أمير المؤمنين واقفٌ عليكً ، فرفع رأسه إليه ، فقال له : أيها الرجل ، إنه ليس بينَ الله عز وجل وأمة نبيه ﷺ ورعيتك ، وبين الله عز وجل خلقٌ غيرك ، وإن الله عز وجل سائلك ، فأعد للمسألة جواباً ، فقد قال عمر بن الخطاب رحمه الله : لو ضاعت سخلةٌ على شاطئ الفرات ، لخاف عمر أن يسأله الله عز وجل عنها .

فبكى هارون وقال له : يا أبا نصرٍ ، إن رعيتي ودهري غير رعية عمر ودهره ؛ فقال له أبو نصر : هذا -والله- غير مغنٍ عنك ، فانظر لنفسك ، فإنك وعمر لتسألان عما خولكما اللهً .

---

(١) الإمام الثقة المحدث ، أبو إسماعيل ، محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك ، واسمه دينار الديلي .

ثم دعا هارون بصرةٍ فيها مئة دينار ، فقال : ادفعوها إلى أبي نصر . فقال : وهل أنا إلا رجلٌ من أهل الصفة؟ ادفعوها إلى فلانٍ يفرقها بينهم ، ويجعلني رجلاً منهم .

أبو الديك المعتوه

مر أبو الديك -وكان معتوهاً- على معلم كتابٍ في جبانة كندة ، وهو ينشد :

إن الصنيعة لا تكون صنيعةً . . . حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال أبو الديك : كذب ، لا يكون المعروف معروفاً حتى يصرف في أهله وفي غير أهله ؛ ولو كان لا يصرف إلا في أهله ، فكيف كان ينالني منه شيءٌ؟

أبو الخطاب المجنون الحكيم

قال الأصبغ[1] : قيل لي : إن ببادية بني سليم رجلاً مجنونا ينطق بالحكمة ويقول الشعر فسألتهم : بم يعرف؟ فقالوا : بأبي الخطاب .

قال : فأتيته ، فألفيته جالساً على تل رملٍ بين المنازل والمقابر ، وهو مفترشٌ خده ببطن كفيه كالمحزون ، وهو يقول : هذه قصورهم ، وهذه قبورهم .

قال : فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته أبا الخطاب . فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، من أنت رحمك الله؟ فقلت : من إخوانك المسلمين .

فقال : سلام إيمان ، وتلاوة للقرآن ، ومحبة للمسلمين في السر والإعلان؟ قلت : أجل . فقال : يا أخيٍ ، فخالل أهل التقوى ، وجانب أهل الردى ، وارض عن الله عز وجل ، يرض عنك في الآخرة والأولى ، ثم قال : يا حبذا لو أذن له في قبول ما وعظ به ثم أنشأ يقول :

ومـــا همـــي لهذا اليوم إني	لهـــذا اليوم مضطلعٌ خبيـــر
ولكـــن بعـــده يومٌ فظيـــعٌ	يـــروع من مخافته الكبيـــر
خروج النفس فيه عن محل	بـــه كانـــت تحل وتستجير
إلى يوم القيامة ليس نـــومٌ	لخوف وروده شاب الصغـــير

(١) أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي المُجاشِعي كان من خاصَّة الإمام أمير المؤمنين علي ، ومن الوجوه البارزة بين أصحابه ، وأحد ثقاته ، وهو مشهور بثباته واستقامته على حبه . وصفته النصوص التاريخية القديمة بأنه شيعي ، وأنه مشهور بِحُبِّ علي .

قال : ثم اندفن في ذلك الرمل ، فلم أره بقية يومي ذلك .

المديني وصاحب الرطب

اشترى مدينيّ رطبا ، فأخرج صاحب الرّطب كليجة صغيرة ليكيل بها ، فقال المدينيّ : والله لو كلت بها حسنات ما قبلتها .

أثقل أبناء أبي عمارة

سئل أبو عمارة قاضي الكوفة : أيّ بنيك أثقل؟ قال : ما فيهم بعد الكبير أثقل من الصّغير إلاّ الأوسط .

والدة أبو كعب

قال الجمّاز : قال لي أبو كعب القاص : والدتي بالبصرة ، وأنا شديد الشّفقة عليها ، وأخاف إن حملتها إلى بغداد في الماء أن تغرق ، وإن حملتها على الظّهر أن تتعب ، فما تشير عليّ في أمرها؟ فقلت له : أشير عليك أن تأخذ بها سفتجةً .

طرائف الصبية

هشام والغلام الفصيح

مما يحكى أن هشام بن عبد الملك[1] كان ذات يوم في صيده وقنصه إذ نظر إلى ظبي تتبعه الكلاب فتبعته وأحالته إلى خباء أعرابي يرعى غنماً ، فقال هشام : يا صبي دونك هذا الظبي فأتني به .

فرفع الصبي رأسه إليه وقال له : يا جاهل بقدر الأخيار لقد نظرت إلي باستصغار وكلمتني باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار .

فقال هشام : يا صبي ، ونيلك ما تعرفني؟ فقال : قد عرفني بك سوء أدبك إذ بدأتني بكلامك قبل سلامك .

فقال : ويلك أنا هشام بن عبد الملك .

فقال له الأعرابي : لا قرب دارك ولا حيي مزارك ، ما أكثر كلامك وأقل إكرامك .

فما استتم حتى أحدقت به الجيوش من كل جانب ، كل منهم يقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال هشام : أقصروا الكلام واحفظوا الغلام .

فقبضوا عليه ورجع هشام إلى قصره وجلس في مجلسه وقال : علي بالغلام البدوي ، فأتي به .

فقال هشام : هت وأوجز ، فهذا أول أوقاتك من الآخرة وآخر أوقاتك من الدنيا .

فأنشد يقول :

نبئت أن الباز علق مرة ... عصفور بر ساقه المقدور

فتعلق العصفور في أظفاره ... والباز منهمك عليه يطير

فأتى لسان الحال يخبر قائلاً : ... ها قد ظفرت وإنني مأسور

مثلي فما يغني لمثلك جوعةً ... ولئن أكلت فإنني محقور

فتبسم الباز المدل بنفسه ... طرباً وأطلق ذلك العصفور

قال : فتبسم هشام وقال : وقرابتي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو تلفظ بهذا من أول وقت من أوقاته وطلب ، ما دون الخلافة ، لأعطيته ، يا خادم : احش فاه دراً وجوهراً وأحسن جائزته ودعه يمضي إلى حال سبيله .

---

(١) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء . ولد في دمشق .

تأديب الصغير

قالت الحكماء : من أدّب ولده صغيرا سرّ به كبيرا .

وقالوا : أطبع الطين ما كان رطبا ، وأعمر العود ما كان لدنا .

وقالوا : من أدّب ولده غمّ حاسده .

وقال ابن عباس[1] : من لم يجلس في الصغر حيث يكره ، لم يجلس في الكبر حيث يحبّ .

قال الشاعر :

إذا المــرء أعيتــه المــــروءة ناشئــا فمطلبهــا كهــلا عليــه شديــد

وقالوا : ما أشدّ فطام الكبير ، وأعسر رياضة الهرم .

قال الشاعر :

وتــروض عرســك بعــد ما هــرمت ومــن العنــاء رياضــة الهــــرم

كتب شريح[2] إلى معلم ولده :

تـــرك الصّلاة لأكلب يسعى بهـــا يبغـــي الهــراش مع الغواة الرّجّس

فليأتينّـــــك غـــــدوة بصحيفـــــة كتبـــت لـــه كصحيفـــة المتلمّس

فـــإذا أتـــاك فعضّـــــه بملامـــــة أوعظــه موعظــة الأديب الكيّس

فـــإذا هممـــت بضربـــــه فبـــدرّة وإذا بلغـــت ثلاثـــة لـك فاحبس

واعلـــم بأنّـــك مـــا أتيـــت فنفسه مـــع مـــا يجرّعنـــي أعزّ الأنفس

لابن عبد القدوس :

وقال صالح بن عبد القدّوس[3] :

وإنّ مـــن أدّبتـــــه فـــــي الصّبـــا كالعـــود يسقـــى المــاء في غرسه

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، صحابي جليل ، وابن عم النبي محمد ، حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير وترجمان القرآن ، ولد ببني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان النبي محمد دائم الدعاء لابن عباس فدعا أن يملأ الله جوفه عِلماً وأن يجعله صالحاً .

(٢) القاضي المسلم الفقيه المحدث الشاعر شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي ، كان قاضي الكوفة لستين سنة ، قال فيه علي بن أبي طالب «هو أقضى العرب» . عاش مائة وثمان سنين وتوفي سنة ٧٨ هجرية – وقيل ثمانين – وترك القضاء قبل موته بسنة واحدة أو شهر .

حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذي أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد له جهله كذي الضّنى عاد إلى نكسه
ما تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال عمرو بن عتبة[١] لمعلّم ولده : ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك نفسك ، فإنّ عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ؛ علّمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملّوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه . روّهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفّه ، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإنّ ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم . وعلّمهم سنن الحكماء ، وجنّبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عذر مني لك ، فقد اتكلت على كفاية منك .

صبي يتعلم الهجاء

أسلم رجل ابنه إلى المعلم وقال له : علمه الهجاء ، ولا تشغله بغيره ، فطال ترداده إلى المكتب ؛ فقال أبوه : تعلمت الهجاء؟ قال : نعم! قال : ما هجاء طير؟ قال : ط أ س ر أ أ ح ألا ي أ ، قال : ما هجاء سمكة؟ فقال : س م ك أ ه أ خ ح د د ، فأرسل إلى المعلم فحضر . فقال له : ويحك! تقدمت إليك أن تعلم هذا الصبي الهجاء ، وقد سألته عن هجاء طير ، فقال كذا وكذا ، وسألته عن هجاء سمكة ، فقال : كذا وكذا . فقال المعلم : تجيء إلى صبي صغير تهجيه شيئاً يطير في الهواء وشيئاً يغوص في قعر البحر كيف يتهجاه ! فقال : هجه أنت . فقال المعلم : أهجي لك حماد؟ قال : هج . فقال : ح م د ك س ، فانتهره أبو الولد وانصرف .

حب الولد

وكان يحيى بن اليمان[٢] يذهب بولده داود كل مذهب ؛ حتى قال يوما : أئمة

(٢) يحيى بن يمان العجلي هو يحيى بن يمان العجلي الكوفي ، أبو زكرياء . روى عن : أبيه ، هشام بن عروة ، الأعمش ، إسماعيل بن أبي خالد ، معمر ، المنهال بن خليفة ، الثوري ، حمزة الزيات وغيرهم . روى عنه : ابنه داود ، أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة ، يحيى بن معين ، عمرو الناقد ، محمد بن عبد الله بن نمير ، أبو هشام الرفاعي ، أبو كريب ، أبو بكر بن خلاد الباهلي ، أبو سعيد الأشج ، محمد بن عمر ، السواق ، علي بن حرب الطائي وآخرون .

الحديث أربعة : كان عبد الله ، ثم كان علقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم أنت يا داود .

وقال : تزوّجت أم داود ، فما كان عندنا شيء ألفّه فيه ، حتى اشتريت له كسوة بدانق .

وقال زيد بن علي[(١)] لابنه : يا بنيّ ، إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي ، ورضيني لك فحذّرنيك . واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم يدعه الحبّ إلى التفريط ، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق .

وفي الحديث المرفوع : ريح الولد من ريح الجنة .

وفي أيضا : الأولاد من ريحان الله .

وقال النبي ﷺ لما بشّر بفاطمة : ريحانة أشمّها ورزقها على الله .

ودخل عمرو بن العاص على معاوية وبين يديه بنته عائشة ، فقال : من هذه؟ فقال : هذه تفاحة القلب! فقال له : انبذها عنك ، فو الله إنهن ليلدن الأعداء ، ويقرّبن البعداء ، ويورثن الضغائن . قال : لا تقل ذاك يا عمرو ، فو الله ما مرض المرضى ، ولا ندب الموتى ، ولا أعان على الأحزان مثلهن . وربّ ابن أخت قد نفع خاله .

وقال حطّان بن المعلي الطائي[(٢)] :

---

(١) زيد بن علي هو الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن الإمام علي بن أبي طالب . نشأ زيد بن علي في أحضان والده الإمام زين العابدين وأخيه الأكبر محمد الباقر ودرس على يديهما العقيدة المحمدية ، فكانَ زيد مضرب المثل في العلم بشهادة أخيه الأكبر محمد الباقر ، فقد ذكر الرواة أنه طلب من أخيه محمد الباقر كتاباً كان لجده علي ، فنسي محمد الباقر مدة من الزمن ، ثم تذكر فأخرجه إليه ، فقال له زيد : قد وجدت ما أردت منه في القرآن !! فأراد محمد الباقر أن يختبره وقال له : فأسألك؟ قال زيد : نعم ، سلني عما أحببت . ففتح محمد الباقر الكتاب وجعل يسأل ، وزيد يجيب كما في الكتاب ، فقال الباقر : «بأبي أنت وأمي يا أخي أنت والله نَسِيْج وحدك ، بركةُ اللّه على أم ولدتك ، لقد أنجبت حين أتت بك شبيه آبائك» .

(٢) هو شاعر إسلامي ، عاش في صدر الإسلام ، ولا يعرف تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته ، لأنّ مؤرخي الأدب أغفلوا ذلك ، ولكننا يعرف عنه أنه افتقر بعد غنى ، وذلّ بعد عزّ ، وقد وصف حالته =

لـــولا بنيّـــات كزغـــــب القطـــــا حططـــن مـــن بعـض إلى بعض
لكـــان لـــي مضطـــرب واســـــع في الأرض ذات الطّول والعـــرض
وإنّمـــــا أولادنـــــا بيننـــــا أكبادنـــــا تمشـــي علـى الأرض

وقال عبيد الله بن أبي بكرة[1] : موت الولد صدع في الكبد ، لا ينجبر آخر الأبد .

ونظر عمر بن الخطاب[2] إلى رجل يحمل طفلا على عنقه ، فقال : ما هذا منك؟

قال : ابني يا أمير المؤمنين! قال أما إنه إن عاش فتنك ، وإن مات حزنك .

وكانت فاطمة[3] بنت رسول الله ﷺ ترقّص الحسين بن علي[4] رضي الله عنهما وتقول :

= هذه بقصيدة رائعة كانت سبب شهرته . قال فيها واصفاً ما آل إليه حاله :

أنزلني الدهرُ على حُكْمِـه من شامخٍ عالٍ إلى خَفْـضِ
وغالني الدهرُ بوَفْرِ الغِنـى فليس لي مالٌ سوى عِرْضـي
أبكانيَ الدهرُ ، ويا رُبَّمـا أضحكني الدهرُ بمـا يُرْضـي

(١) عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي الأمير من أبناء الصحابة ولي سجستان مولده في سنة أربع عشرة وكان جوادا ممدحا شجاعا كبير القدر

(٢) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، المُلقب بالفاروق ، هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول محمد ، وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذًا . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومن علماء الصحابة وزهّادهم .

(٣) فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله رسول الإسلام . أمها خديجة بنت خويلد ولدت يوم الجمعة ٢٠ جمادى الآخرة في السنة الخامسة بعد البعثة النبوية بعد حادثة الإسراء والمعراج بثلاث سنوات (حسب الروايات الشيعية) ، أو في السنة الخامسة قبل البعثة النبوية في مكة المكرمة ، والنبي له من العمر خمسة وثلاثين عاماً (حسب روايات أهل السنة والجماعة) . زوجها هو علي بن أبي طالب .

(٤) الحُسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي سبط النبي محمد رسول الإسلام وحفيده ويلقب بسيد شباب أهل الجنة ، خامس أصحاب الكساء ، كنيته أبو عبد الله ، والإمام الثالث لدى المسلمين الشيعة . ولد في المدينة ، ونشأ في بيت النبوة ، وإليه نسبة كثير من الحسينيين .

وا بأبـــي شبـــه النّبــــــي ليــس شبيهــا بعلـــــي

وكان الزبير[١] يرقص عروة[٢] ويقول :

أبيض من آل أبي عتيـــق مبارك من ولـــد الصّدّيـــق

ألذّه كما ألذّ ريقي

وقال أعرابيّ وهو يرقّص ولده :

أحبّـــه حـبّ الشّحيح ماله قد كان ذاق الفقر ثم نالــه

إذا يريد بذله بدا له

وقال آخر وهو يرقّص ولده :

أعـــرف مـــنه قلّة النّعـاس وخفّــة من رأسه في راسي

وكان رجل من طيء يقطع الطريق ، فمات وترك بنيّا رضيعا ، فجعلت أمّه ترقّصه وتقول :

يا ليتـــه قد قطع الطريقـــا ولـــم يـــرد في أمره رفيقـا

وقد أخاف الفـجّ والمضيقـــا فقـــلّ أن كـــان بـه شفيقا

وقال عبد الملك[٣] : أضرّ بنا في الوليد حبّنا له فلم نؤدّبه ، وكأن الوليد أدّبنا .

وقال هارون الرشيد[٤] لابنه المعتصم[٥] : ما فعل وصيفك فلان؟ قال : مات

(١) الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، ابن عمة النبي محمد ، وأبو عبد الله بن الزبير . ولد سنة ٢٨ قبل الهجرة ، وأسلم وعمره اثنتين عشرة سنة ، كان ممن هاجر إلى الحبشة ، وهاجر إلى المدينة ، تزوج أسماء بنت أبي بكر وعمته هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد .

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، تابعي جليل ، يُكنى بأبي عبد الله ، عالم أهل المدينة وأحد فقهائها السبعة ، كان ثقة فقيهاً علماً ثبتاً حجة كثير الحديث عالماً بالسير .

(٣) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

(٤) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين . حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م . ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

(٥) أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ثامن الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٧٩ هجـرية وتوفي بمدينة سـامـراء في ١٨ من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هجـرية (٤ من =

فاستراح من الكتّاب . قال : وبلغ منك الكتّاب هذا المبلغ . والله لا حضرته أبدا . ووجهه إلى البادية فتعلم الفصاحة ، وكان أمّيا ، وهو المعروف بابنماردة .

شدة الذكاء

قال رجل لامرأته : الحمد لله الذي رزقنا ولداً طيباً . قالت : ما رزق أحد مثلما رزقنا ، فدعياه فجاء ، فقال له الأب يا بني ، من حفر البحر؟ قال : موسى بن عمران[1] . قال : من بلطه؟ قال : محمد بن الحجاج . فشقت المرأة جيبها ونشرت شعرها وأقبلت تبكي . فقال أبوه : ما لك؟ فقالت : ما يعيش ابني مع هذا الذكاء .

حسن الرد

قال الصاحب بن عباد[2] : ما أخجلني قط غير ثلاثة منهم أبو الحسن

= فبراير سنة ٨٤٢ ميلادية) ، وكان في عهد أخيه المأمون واليا على الشام ومصر وكان المأمون يميل اليه لشجاعته فولاه عهده ، وفي اليوم الذي توفي فيه المأمون بطرسوس بويع أبو اسحاق محمد بالخلافة ولقب بالمعتصم بالله في ١٩ من رجب سنة ٢١٨ هجرية (١٠ من أغسطس سنة ٨٣٣ ميلادية) ، وبحسب المؤرخين فقد كان يملك قوة بدنية وشجاعة مميزة ، غير أنه كان محدود الثقافة وضعيف في الكتابة ,وما ميز عهد المعتصم هو استعانته بالجنود الأتراك وذلك للحد من المنافسة الشديدة بين العرب والفرس في الجيش والحكومة .

(١) موسى (بالعبرية : نقحرة : موشيه) ، حسب التوراة وهي أقدم مرجع معروف عن موسى ، هو نبي وقائد خروج بني إسرائيل من مصر «أرض العبودية» ، ومشترع هام . تأتي الوصايا العشر التي تلقفها منقوشة على لوحين في جبل حوريب في قمة الآثار المرتبطة به ، والتي تشكل الأساس التشريعي الأبرز في التراث اليهودي المسيحي .

(٢) أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني ، الطالقاني ، الاصفهاني ، المعروف بالصاحب بن عباد و«كافي الكفاة» ، كان من كبار علماء وأدباء الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، مشارك في مختلف العلوم كالحكمة والطب والمنطق ، وكان محدثاً ثقة ، شاعراً مبدعا ، وأحد أعيان العصر البويهي . كان وزيراً ، ومن نوادر الوزراء الذين غلب عليهم العلم والأدب .

البديهي[١] ، فإنه كان في نفرٍ من جلسائي فقلت له وفد أكثر من أكل المشمش : لا تأكله فإنه يلطخ المعدة ، فقال : ما يعجبني من يطب على مائدته ؛ وآخر قال لي وقد خرجت من دار السلطان وأنا ضجر من أمرٍ عرض لي : من أين أقبلت يا مولانا فقلت : من لعنة الله ، فقال : رد الله غربتك وأحسن على إساءته الأدب ؛ وصبي مستحسن داعبته فقلت : ليتك تحتي ، فقال : مع ثلاثة آخرين ، يعني في الجنازة ، فأخجلني .

ابن كلب

قال الهيثم بن عدي[٢] : قيل لصبي : من أبوك؟ فقال : وو وو ، لأن أباه كان يسمى كلبا .

من شابه أباه فما ظلم

قال بعضهم : دخلت الكوفة فرأيت صبياً قائماً عند شق حائط ومعه خبز وهو يكسر اللقمة ويتركها في شق الحائط ويأكلها ، فبينما أنا أنظر إليه إذ أقبل أبوه فرأى ما يفعل فقال : ماذا تصنع! قال : يا أبت هؤلاء قد طبخوا سكباجة ويأتي النسيم بريحها فآكل خبزي ، فلطمه أبوه وقال : أتتعود من صغرك أن لا تأكل خبزاً إلا بأدام ؟

فوائد البكاء

قدموا رجلا من الخوارج إلى عبد الملك بن مروان لتضرب عنقه ، ودخل على

---

(١) البديهي : أبو الحسن علي بن محمد البديهي . من شهرزور . مات سنة ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م . من شعراء الصاحب بن عباد . له قوله :

يا شهرزور سقيت الغيث من بلد … نــودّ وجداً به أنا نقابله

طال الفراق فلا وافٍ يراسلنا … على العباد ولا آتٍ نسائله

(٢) ابن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر الأخباري العلامة أبو عبد الرحمن الطائي الكوفي المؤرخ . حدث عن : هشام بن عروة ، ومجالد ، وابن أبي ليلى ، وسعيد بن أبي عروبة وجماعة . روى عنه : محمد بن سعد ، وأبو الجهم الباهلي ، وعلي بن عمرو الأنصاري ، وأحمد بن عبيد أبو عصيدة ، وآخرون . وهو من بابة الواقدي . وقل ما روى من المسند .

عبد الملك ابن له صغير قد ضربه المعلم ، وهو يبكي ، فهمّ عبد الملك بالمعلم ، فقال له الخارجي : دعوه يبكي فإنه أفتح لجرمه ، وأصح لبصره ، وأذهب لصوته . قال له عبد الملك : أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا؟

قال الخارجي : ما ينبغي لمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء! فأمر بتخلية سبيله .

الشاعر الصغير

يروى أن عبد الرحمن بن حسان[1] لسعه زنبور فجاء أباه يبكي .

فقال له : ما لك؟

فقال : لسعني طائر كأنه مُلْتَفٌ في بُرْدَي حِبَرَة .

قال : قلْتَ والله الشعر .

ويُروى أن معلمه عاقب صبياناً على ذنب وأراده بالعقوبة ، فقال :

الله يعلم أني كنت منتبذاً   في دار حسان أصطاد اليعاسيبا

ابنة الشاعر

ويُروى أن ابنة لابن الرقاع[2] وقف بباب أبيها قوم يسألون عنه ، فقالت : ما تريدون؟

---

(١) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت هو تابعي وشاعر ، أبوه الصحابي الجليل شاعر رسول الله حسان بن ثابت ، وأمه سيرين بنت شمعون ، وكان المقوقس ملك الإسكندرية والنائب العام الدولة البيزنطية في مصر ، قد أرسل إلى رسول الله جاريتين هما مارية القبطية وأختها سيرين بنت شمعون ، فتزوج النبي مارية وأهدى حسان بن ثابت سيرين بنت شمعون ، فأسلمت وأنجب منها عبد الرحمن . وكان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي ، شاعرا ، كان مقيما في المدينة المنورة ، وتوفى فيها ، اشتهر بالشعر في زمن أبيه . قال حسان : فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت .

(٢) عدي بن الرقاع العاملي ، توفي في العام ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، شاعر كبير من بني عاملة سكن دمشق ، يكنى أبا داود . كان معاصراً لجرير ، مهاجياً له ، مقدماً عند بني أمية ، مدّاحاً لهم ، خاصة بالوليد بن عبد الملك . لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام .

فقالوا : جئنا لنهاجِيَه
فقالت وهي صبية :
تجمعتــم مــن كــل أوب ووجــهة علــى واحــد لا زلتـم قرن واحد
فهذه بلغت بطبعها على صغرها مبلغ الأعشى[١] في قلب هذا المعنى ،
حيث يقول لهوذة بن علي[٢] :
يــرى جمــع ما دون الثلاثين قُصـرة ويعــدو على جمع الثلاثين واحدا

في العقوق

قيل : الولد العاق إن مات نغصك وإن عاش نقصك .
وقال بعضهم لابن له عاق : أنت كالإصبع الزائدة إن تركت شانت ، وإن قطعت آذت!
وقيل : أعظم الأسف سوء الخلف . العقوق ثكل من لا يثكل .

ابن أعرابي

قيل لأعرابي : كيف ابنك؟
قال : هو عذاب رعف به الدهر ، وبلاء لا يقاومه البر ،
وفائدة لا يجب بها الشكر .

موت الولد

تُوفي ابنٌ لأعرابيّ فَبكى عليه حيناً ،
فلما هَمّ أن يَسْلُو عنه تُوفيٍّ له ابن آخر ، فقال في ذلك :

---

(١) أعشى قيس (٧ هـ/٦٢٩ -٥٧٠ م) . لقب بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر ، والأعشى في اللغة هو الذي لا يرى ليلا ويقال له : أعشى قيس والأعشى الأكبر . ويكنى الأعشى : أبا بصير ، تفاؤلاً . عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم ، ولقب بالأعشى لضعف بصره ، وعمي في أواخر عمره . مولده ووفاته في قرية منفوحة باليمامة ، وفيها داره وبها قبره .

(٢) هود بن علي الحنفي : ملك نصراني حكم اليمامة (الخرج الآن) وسيد من أسياد العرب ، وزعيم بني حنيفة في الجاهلية ، وشاعر ذا قدر عالٍ في قومه ، له شرف وذكر ، وصاحب تاج ورأي وحيلة .

إنْ أُفِقْ من حَزَن هاج حَزَنْ ... فَفُؤادي ما له اليومَ سَكَنْ
وكما تَبْلَى وُجوهٌ في الثَّرى ... فَكذا يَبْلَى عليهنّ الحَزَن

وقال في ذلك :

عُيون قد بَكَيْنَك مُوجَعات ... أضرَّ بها البُكاء وما يَنِينَا
إذا أنْفَذْن دَمْعاً بعد دمْعٍ ... يُرَاجِعْن الشُؤونَ فيستقينا

أعرابي يصف أبناءه

أَبُو بَكْر ، رحمه الله ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّحْمَن ، عَنْ عمه ، قَالَ : قلت لأعرابي بحمى الربذة : ألك بنون؟ قَالَ : نعم ، وخالقهم لم تقم عَنْ مثلهم منجبة ، فقلت : صفهم لى ، فقَالَ : جهم وما جهم! ينضى الوهم ، ويصد الدهم ، ويفرى الصفوف ، ويعل السيوف ، قلت : ثم من؟ قَالَ : غشمشم وما غشمشم! ماله مقسم ، وقرنه مجرجم ، جذل حكاك ، ومدره لكاك ، قلت : ثم من؟ قَالَ : عشرب وما عشرب! ليث محرب ، وسمام مقشب ، ذكره باهر ، وخصمه عاثر ، وفناؤه رحاب ، وداعيه مجاب ، قلت : فصف لي نفسك ، فقَالَ : ليث أَبُو ريابل ، ركاب معاضل ، عساف مجاهل ، حمال أعباء نهاض ببزلاء

بيت الأب

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْر ، رحمه الله ، قَالَ : أَخْبَرَني عمى ، عَنْ أبِيه ، عَنِ ابن الكلبى[1] ، قَالَ : خرج رَجُل من العرب فِي الشهر الحرام طالبا حاجة ، فدخل فِي الحل فطلب رجلا يستجير به ، فدفع إِلَى أغيلمه يلعبون ، فقَالَ لهم : من سيد هذا الحواء؟ فقَالَ غلام منهم : أَبِي قَالَ : ومن أبوك؟ قَالَ : باعث بْن عويص العاملي ، قَالَ : صف لي بيت أبيك من الحواء ، قَالَ : بيت كأنه حرة سوداء ، أو غمامة حماء ، بفنائه ثلاثة أفراس ، أما أحدها : فمفرع الأكتاف ، متماحل الأكناف ، مائل كالطراف .

وأما الآخر : فذيال جوال صهال ، أمين الأوصال ، أشم القذال .

---

(١) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي ، يكنى ابن الكلبي ، مؤرخ ، وعالم أنساب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها .

وأما الثالث : فمغار مدمج ، محبوك محملج ، كالقهقر الأدعج .

فمضى الرجل حتى انتهى إِلَى الخباء ففقد زمام ناقته ببعض أطنابه وقَالَ : يا باعث ، جار علقت علائقه ، واستحكمت وثائقه ، فخرج إِلَيْهِ باعث فأجاره .

حريقيص

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بن دريد[1] ، رحمه الله ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّحْمَن ، عَنْ عمه ، قَالَ : بينا أَنَا بحمى ضرية ، إذ وقف عَلَى غلام من بنى أسد فِي أطمار ما ظننته يجمع بين كلمتين ، فقلت : ما اسمك؟ فقَالَ : حريقيص ، فقلت : أما كفى أهلك أن يسموك حرقوصاً[2] حتى حقروا اسمك! فقَالَ : إن السقط ليحرق الحرجة ، فعجبت من جوابه فقلت : أتنشد شيئاً من أشعار قومك؟ قَالَ : نعم أنشدك لمرارنا ، قلت : افعل ، فقَالَ :

سكنوا شبيثا والأحص وأصبحوا نزلت منازلهم بنو ذبيان
وإذا يُقَال أتيتم لم يبرحوا حتى تقيم الخيل سوق طعان
وإذا فلان مات عَنْ أكرومةٍ رقعوا معاوز فقره بفلان

قَالَ : فكادت الأرض تسوخ بى لحسن إنشاده وجودة الشعر ، فأنشدت الرشيد هذه الأبيات ، فقَالَ : وددت يا أصمعيّ أن لو رَأَيْت هذا الغلام فكنت أبلغه أعلى المراتب

الأبناء السبعة

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْر ، رحمه الله ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّحْمَن ، عَنْ عمه ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يونس ، قَالَ : كَانَ لرجل من بنى ضبة فِي الجاهلية بنون سبعة ، فخرجوا بأكلب لهم يقتنصون ، فأووا إِلَى غار فهوت عليهم صخرة فأتت عليهم جميعهم ، فلما استراث أبوهم أخبارهم ، اقتفر آثارهم حتى انتهى إِلَى الغار فانقطع عَنْهُ الأثر ، فأيقن بالشر ، فرجع وأنشأ يَقُولُ :

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري الدوسي (٢٢٣هـ/٨٣٧م - ٣٢١هـ/٩٣٣م) من نسل ملك العرب مالك بن فهم الدوسي الأزدي . هو عالِم وشاعر وأديب عربي ومن أعظم شعراء العرب . كان يقال عنه : ابن دريد ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء .

(٢) دُوَيْبَّة نحو البرغوث .

أسبعـــة أطـــواد أسبعـــة أبحــــــر	أسبعـــة آســـاد أسبعـــة أنجـــم
رزئتهـــم فِـــي ساعـــــة جرعتهـــمٍ	كئـــوس المنايـــا تحت صخرٍ مرضم
فمـــن تـــك أيـــام الزمـان حميـــدةً	لديـــه فإنـــي قد تعرفن أعظمـــي
بلغـــن نسيســـي وارتشفـــن بلالتي	وصليننـــي جمـــر الأسى المتضرم
أحـــين رمانـــي بالثمانـــين منكـــب	مـــن الدهر منح فِي فؤادي بأسهم
رزئـــت بأعضـــادي الذيـــن بأيدهـمٍ	أنـــوء واحمـــيً حوزتـــي وأحتمى
فإن لـــم تـــذب نفسي عليهم صبابةً	فسوف أشوب دمعها بعد الدم . . .

ثم لم يلبث بعدهم إلا يسيرا حتى مات كمدا .

في البر

قيل لعمر بن ذر(١) : كيف برّ ابنك بك؟ قال : ما مشيت نهارا قطّ إلا مشى خلفي ، ولا ليلا إلا مشى أمامي ولا رقي علّيّة وأنا تحته .

يزيد بن معاوية(٢)

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس ، فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد؟ قال : ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن له أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودّهم ، ويحبوك جهدهم ؛ ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ، ويحبّوا وفاتك . فقال : لله أنت يا أحنف . لقد دخلت عليّ وإني لمملوء غضبا على يزيد ، فسللته من قلبي . فلما خرج الأحنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ، شاطره إياها .

من يكون معي؟

قال عبد الملك بن مروان لابن رأس جالوت ما عندكم من الفراسة في الصبيان؟

---

(١) ابن عبد الله بن زرارة ، الإمام الزاهد العابد أبو ذر الهمداني ، ثم المرهبي الكوفي .

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي ، ولد في خلافة الصحابي عثمان بن عفان في عام ٢٦ للهجرة . في قرية الماطرون وأمه هي ميسون بنت بحدل الكلبية ، طلقها معاوية فيما بعد . عاش فترة من حياته في البادية بين أخواله .

قال : نراقبهم ، فإن سمعنا منهم من يقول أثناء لعبهم : من يكون معي؟ رأيناه ذا همّة ، وإن سمعناه يقول : مع من أكون؟ عرفناه مفتقرا إلى الهمة .

حماميز الله!

كان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة ، فبينما هو يمشي مع أبيه إذ برجل يصيح بشاب : يا عبد الله ، فلم يجبه ذلك الشاب ، فقال : ألا تسمع فقال : يا عم كلنا عبيد الله فأي عبد الله تعني ، فالتفت أبو حمزة إلى ابنه وقال : يا حمزة ألا ترى بلاغة هذا الشاب ، فلما كان من الغد إذا برجل ينادي شاباً حمزة ، فقال حمزة ابن الأعرابي كلنا حماميز الله فأي حمزة تعني ، فقال له أبوه : ليس يعنيك يا من أخمد اللهُ به ذِكْرَ أبيه .

حكمة غلام

قال عمر بن شبة(١) : أتي معن بن زائدة(٢) بثلاث مئة أسير ، فأمر بضرب أعناقهم ، فقدّم غلامٌ منهم ليقتل ، فقال : يا معن [لا يقتل أسراك وهم عطاشٌ] فقال : اسقوهم ماءٌ ؛ فلمّا شربوا ، قام الغلام ، فقال : أيها الأمير [لا تقتل أضيافك] فأطلقهم كلّهم .

(١) هو المحدث الثقة المؤرخ أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري المولود سنة ١٧٣هـ والمتوفى سنة ٢٦٢هـ . وقد أجمع كل من ترجم له على أنه صادق اللهجة ، غير مدخول الرواية ، عالم بالآثار ، راوية للأخبار ، أديب فقيه ، صاحب نوادر واطلاع ، عالم بالقراءات ، صاحب تصانيف ، بصير بالسير والمغازي وأيام الناس .

(٢) معن بن زائدة معن بن زائدة أمير العرب أبو الوليد الشيباني ، من أكرم وأجود الناس . كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة ، فلما تملك آل العباس جَدَّ المنصورُ في طلبه ، وجعل لمن يحمله إليه مالاً . فاضطرر لشدّة الطلب إلى أن تعرّض للشمس حتى لوحت وجهه ، وخَفَّفت عارضه ، ولبس جبّة صوف ، وركب جملاً ، وخرج متوجهًا إلى البادية ليقيم بها ، فاختفى معن مدة ، والطلب عليه حثيث ، فلما كان يوم خروج الريوندية والخراسانية على المنصور ، وحمي القتال ، وحار المنصور في أمره ، ظهر معن ، وقاتل الريوندية فكان النصر على يده ، وهو مقنع في الحديد ، فقال المنصور : ويحك ، من تكون؟ فكشف لثامه ، وقال : أنا طلبتك معن . فسر به ، وقدمه وعظمه ، ثم ولاه اليمن وغيرها . ولمعن أخبار في السخاء ، وفي البأس والشجاعة ، وله نظم جيد .

صفعة اليهودي

قال صبي ليهودي : يا عمّ [قف حتى أصفعك] قال : أنا مستعجلٌ ، اصفع أخي عنّي .

الزبير بن العوام

قال الزبير بن بكار : كان ابن الزبير يلعب مع الصبيان وهو صبي ، فمر رجلٌ فصاح عليهم ، ففروّا ، ومشى ابن الزبير القهقري ، وقال : يا صبيان [اجعلوني أميركم ؛ وشدوا عليه] .

ومرّ به عمر بن الخطّاب وهو يلعب مع الصبيان ، ففرّوا ووقف ، فقال له : مالك لم تفرّ مع أصحابك؟ قال : يا أمير المؤمنين [لم أجرم فأخاف ، ولم يكن الطريق ضيّقة فأوسع عليك] .

يحي بن أكثم[1]

قال علي ابن المديني[2] : خرج سفيان بن عيينة[3] إلى أصحاب الحديث وهو ضجرٌ ، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيدٍ[4] ، وجالس

---

(١) يحيى بن أكثم بن مُحمّد التميمي ، عالِم وإمام وفقيه وراوٍ للحديث النبوي وقاضي قضاة أهل البصرة ويُعّد من تبع التابعين .

(٢) أبو الحسن علي بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفر بنِ نجيح بنِ بكر بن سعد ، وهو من أكابر شيوخ البخاري ومن المتخصصين في علم الحديث النبوي .

(٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي إمام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع . وقد ولد في الكوفة سنة ١٠٧ هـ وتوفي ١٩٨ هـ . أجمع الناس على صحة حديثه وروايته

(٤) ضمرة بن سعيد المازني اسمه ضمرة بن سعيد بن أبي حنة وقيل : أبو حبة : عمرو بن غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول الأنصارى المازنى المدني كنيته وقيل : الأنصارى المازنى المدني يعتبر ضمرة بن سعيد المازني من الطبقة الرابعة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم طبقة تلى الوسطى التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ثقة ,وعند الإمام شمس الدين الذهبي وثقوه

ضمرة أبا سعيد الخدريّ[١] ؛ وجالست عمرو بن دينار[٢] ، وجالس جابر بن عبد الله[٣] ؛ وجالست عبد الله بن دينار ، وجالس ابن عمر ؛ وجالست الزهري ، وجالس أنس بن مالك[٤] ؛ حتى عدّ جماعةً ، ثم أنا أجالسكم [فقال له حدثٌ في المجلس : انتصف يا أبا محمد] قال : إن شاء الله ؛ قال : والله لشقاء من جالس أصحاب رسول الله ﷺ بك أشدّ من شقائك بنا ؛ فأطرق وتمثّل بشعر أبي نواس :

خل جنبيك لرام وامض عنه بسلام

مت بداء الصمت خيرٌ لك من داء الكلام

فسأل : من الحدث؟ قالوا : يحيى بن أكثم ؛ فقال سفيان : هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء . يعني : السلاطين .

(١) أبو سعيد الخدري الصحابي الجليل . اسمه : سعد بن مالك بن سنان أسلم وهو صغير ، واستشهد والده في غزوة «أحد» ، شهد أبو سعيد غزوة «الخندق» ، وكان من كبار علماء الصحابة ، والمكثرين في رواية الحديث .

(٢) عمرو بن دينار الإمام الكبير الحافظ أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الأثرم ، أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه . ولد في إمرة معاوية سنة خمس أو ست وأربعين .

(٣) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي من بني سلمة ، صحابي جليل من الأنصار ، يكنى أبا عبد اللَّه ، وقيل : أَبُو عبد الرحمن ، والأول أصح ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي ، وقد كان أصغر من شهد العقبة

(٤) أنس بن مالك النجاري الخزرجي خادم رسول الله محمد وصاحبه ، كان يتسمى بخادم رسول الله ويفتخر بذلك .

صبي يحتال على فقيه

قال أبو عاصم النبيل[١] : رأيت أبا حنيفة[٢] في المسجد الحرام يفتي وقد اجتمع النّاس عليه ، وآذوه ، فقال : ما ههنا أحدٌ يأتينا بشرطيّ؟ فقلت : يا أبا حنيفة [تريد شرطياً؟ قال : نعم فقلت : اقرأ عليّ هذه الأحاديث التي معي ؛ فقرأها ، فقمت عنه ، ووقفت بحذائه ، فقال لي : أين الشرطيّ؟ فقلت له : إنّما قلت : تريد ، لم أقل لك : أجيء به ؛ فقال : انظروا أنا أحتال للنّاس منذ كذا وكذا ، وقد احتال عليّ هذا الصبّي .

جواب الصبي

لقي صبي رجلاً غافلاً ، فقال له الصبي : إلى أين تمضي؟ فقال : إلى المطبق ، فقال : أوسع خطواتك .

(١) أبو عاصم الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن رافع بن رفيع ابن الأسود بن عمرو بن رالان بن هلال بن ثعلبة بن شيبان ، الشيباني البصري ، الشهير بأبي عاصم النبيل . (١٢٢ هـ - ٢١٢ هـ) أحد العلماء ومن رواة الحديث عند أهل السنة والجماعة . كان شيخ حفاظ الحديث في عصره . ولد بمكة وتحول الى البصرة ، فسكنها وتوفي بها . كان أبو عاصم من تابعي التابعين وكان حافظا ثبتا اتفقوا على توثيقه ، وجلالته ، وحفظه . لم ير في يده كتاب قط . وكان فيه مزاح . وذُكرت عدّة روايات في سبب اشتهاره بلقب النبيل ، فقيل : إن فيلا قدم البصرة فخرج الناس يتفرجون ، فقال ابن جريج لأبي عاصم : «ما لك لا تخرج؟» قال : «لم أجد منك عوضاً» فقال ابن جريج : «أنت نبيل .» وقيل : لقب به لأنه كان فاخر البزة . وقال يزيد بن سنان القزاز : «سمعت أبا عاصم يقول : كنت اختلف إلى زفر بن الهذيل ، وثم آخر يكنى أبا عاصم رث الهيئة يختلف إلى زفر . قال : فجاء أبو عاصم يستأذن ، فخرجت جارية فقالت : من ذا؟ قال : أنا أبو عاصم ، فدخلت وقالت لزفر : أبو عاصم بالباب ، قال : أيهما هو؟ فقالت : النبيل منهما ، فأذنت لي فدخلت ، فقال لي زفر : قد لقبتك الجارية بلقب لا أراه أبدا يفارقك . لقبتك بالنبيل ، فلزمني هذا اللقب .»

(٢) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ فقيه وعالم مسلم ، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي .

الصبي والحمار

قال الجاحظ[١] : قال ثمامة[٢] : دخلت الى صديق لي أعوده وتركت حماري على الباب ، ولم يكن معي غلام ، ثم خرجت ، وإذا فوقه صبي ، فقلت :

أتركب حماري بغير اذني؟

قال : خفت أن يذهب فحفظته لك .

قلت : لو ذهب كان أحب الي من بقائه .

قال : فإن كان هذا رأيك في الحمار ، فاعمل على أنه قد ذهب وهبه لي ، واربح شكري . فلم أدر ما أقول .

الصبية والأضياف

قال رجل من أهل الشام :

قدمت المدينة ، فقصدت منزل ابراهيم بن هرمة[١] ، فاذا بنيّة له صغيرة تلعب بالطين ، فقلت لها :

ما فعل أبوك؟

قالت : وفد الى بعض الأجواد ، فما لنا به علم منذ مدة .

فقلت : انحري لنا ناقة ، فإنا أضيافك .

قالت : والله ما عندنا .

قلت : فشاة .

قالت : والله ما عندنا .

قلت : فدجاجة .

قالت : والله ما عندنا .

---

(١) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها .

(٢) ثمامة بن أشرس العلامة أبو معن النميري البصري المتكلم ، من رءوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن -جل منزله . وكان نديما ظريفا صاحب ملح .

(٣) إبراهيم بن هرمة : هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي ، أبو اسحاق . شاعر غزل من سكان المدينة . من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية .

قلت : فبيضة .
قالت : والله ما عندنا .
قلت : فباطل ما قال أبوك :
كم ناقة قد وجأت منحرها   بمستهل الشؤبوب أو جمل
قالت : فذاك الفعل من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء .

الحافي

قال بشر بن الحارث[1] :
أتيت باب المعافى بن عمران ، فدققت الباب فقيل لي : من؟
فقلت : بشر الحافي .
قالت لي بنيّة من داخل الدار : لو اشتريت نعلا بدانقين ذهب عنك اسم الحافي .

جواب حسن

وبلغنا أن المعتصم ركب الى خاقان يعوده ، والفتح[2] صبي يومئذ ، فقال له المعتصم :
أيما أحسن : دار أمير المؤمنين أو دار أبيك؟
قال : إذا كان أمير المؤمنين في دار أبي فهي أحسن .
فأراه فصّا في يده ، فقال : هل رأيت يا فتح أحسن من هذا الفص؟
فقال : نعم ، اليد التي هو فيها .

---

(١) بشر الحافي هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر ، المعروف بالحافي ، أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري

(٢) أبو محمد الفتح بن أحمد بن غرطوج ، هو وزير وأديب وشاعر ترعر في أحضان الدولة العباسية ، من أصول فارسية ، عينه المتوكل أميراً ونائباً لشؤون مصر وإفريقية . اتخذه المتوكل أخاً ، وكان يقدمه على سائر ولده وأهله ، قتل مع المتوكل .

ابناك كعينيك

وحكى أبو الحسن محمد بن جعفر بن لنكك البصري[1] عن أبيه أنه جاور ببغداد في أيام المقتدر[2] رجلاً من جلة الكتاب، ونشأ له ولدان فتنا بغداد بحسنهما، فبلغ الأكبر منهما، فنقله من المكتب إلى الديوان، وأراد أن يحصنه بجارية فابتاعها له بألف دينار، وقال: لا تعلم أخاك فإنه يصغر عن ذلك، فنمت داية الأصغر الأمر إليه، وقالت: إن أباك خص أخاك بشيء دونك. فقال لها: بم خصه؟ قالت: بجارية. قال: هو إليها أحوج وأنا عنها أغنى، غير أني أشفق أن يتسع الخرق، وما علمت أنه فضل مذ نشأ علي بشيء، وأنا أجله عن المشافهة، ولكن هاتي دواة، فكتب إليه:

ليس لي بعد إلهي ... مشتكى إلاّ إليكا
وأخي في الفضل مثلي ... وكلانا في يديكا
لا تفضّله عليّ ... بالحبا من ناظريكا
إنما ابناك كعينيـ ... ـك فداوي مقلتيكا
إن أذقت العين كحلاً ... هاجت الأخرى عليكا

فابتاع له جارية بثمن جارية أخيه وأنفذها إليه.

إياس بن معاوية[1]

بلغنا أن إياس بن معاوية تقدم وهو صبي إلى قاضي دمشق ومعه شيخ فقال: أصلح الله القاضي، هذا الشيخ ظلمني واعتدى عليّ وأخذ مالي.

---

(١) ابن لنكك البصري محمد بن محمد بن جعفر البصري، أبو الحسن، الصاحب ابن لنكك. شاعر، وصفه الثعالبي بفرد البصرة وصدر أدبائها، وقال: أكثر شعره ملح وطرف، جلها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره. وهو صاحب البيت المعروف: نعيب زماننا والعيب فينا ولو نطق الزمان إذاً هجانا.

(٢) أبو الفضل جعفر بن المعتضد المقتدر بالله من خلفاء الدولة العباسية.... ويذكر كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي ان أحد جنود مؤنس الخادم قتل المقتدر بالله سنة ٣٢٠ هجرية.

(٣) إياس بن معاوية المزني أحدِ أذكياءِ الدنيا، وأعجوبةٍ من أعاجيب الدهر، وعَلَمٍ من أعلامِ أمَّة محمد ﷺ، ضربَ المثل بذكائه وفراسته، وحسنِ قضائه.

فقال القاضي : ارفق به ولا تستقبل الشيخ بمثل هذا الكلام .
فقال إياس : أصلح الله القاضي ، إن الحق أكبر مني ومنه ومنك .
قال : اسكت .
قال : إن سكت فمن يقوم بحجتي؟
قال : تكلّم بخير .
فقال : لا إله الا الله وحده لا شريك له .
فرفع صاحب الخبر هذا الخبر ، فعزل القاضي وتولى اياس مكانه .

جواب ناضج

قال الأصمعي :
قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب :
أيسرّك أن يكون لك مئة ألف درهم وأنك أحمق؟
فقال : لا والله .
قلت : ولم؟
قال : أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تذهب مالي ويبقى عليّ حمقي .

صبي في حضرة الرشيد

أدخل على الرشيد صبي له أربع سنين ، فقال له :
ما تحب أن أهب لك؟
قال : حسن رأيك .

بهلول[(١)] والصبيان

فر يوما بهلول من الصبيان فالتجأ إلى دار فوجد بابها مفتوحا فدخلها وصاحب

(١) البهلول هو أبو وهيب بهلول بن عمرو الصيرفي الكوفي ، ولد بالكوفة في العراق في زمن هارون الرشيد وتوفي عام ١٩٧هـ ، الموافق ٨١٠م . وهو من مشاهير المجانين في بغداد وممن تميزوا بدرجة عالية من الطرافة والظرافة لدرجة ان البغداديين ما زالوا إلى يومنا هذا يرددون ويسندون الكثير من المزح والروايات والنوادر إليه وهو منها بريء .

الدار قائم له ضفيرتان فصاح ما أدخلك داري فقال [يا ذا القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض] .

أشعب[1] الصغير

عندما كان أشعب صبياً . . حدث مرة أن كان والي الحجاز سائراً في الطريق فسأله : - هل تعرف القراءة يا غلام فقال : نعم فسأله أن يقول شيئاً ، فقال : انا فتحنا لك فتحاً مبيناً فسر الأمير من هذا الجواب وأعطاه ديناراً . . فرفض الصبي أشعب أن يقبل الدينار ، فسأله الأمير عن سبب رفضه ، فقال أشعب : أخاف أن يضربني أبي فقال الأمير : قل له أن الأمير هو الذي أعطاك الدينار فقال أشعب : انه لن يصدقني . ولماذا فسكت الغلام لحظة ، ثم قال : لأن هذه ليست عطية الملوك .

الغلام والمعرّب[2]

ويروى أنه التقى المعربّ بغلام صغير فقال له الغلام أأنت المعربّ القائل :

أنا ان كنت الاخير زمانه لأتى بما لم تستطعه الاوائل

قال البحتري نعم أنا القائل :

قال له الغلام كيف وان طلبت منك تفسير ما قلت قال اطلب :

قال الأوائل احضروا ٢٨ حرفا للغة العربية فهل تستطيع احضار الحرف التاسع والعشرون .

قال له المعربّ غلبتني يا غلام .

أشعر من البحتري

يقال أن البحتري كان جالسا بين عدة شعراء وبينهم صبى صغير .

---

(١) أشعب هو أحد ظرفاء أهل المدينة ، عرف بالطمع وكان له طرائف كثيرة ما زالت تروى في القصص الشعبية .

(٢) البحتري : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي ، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي . يقال لشعره سلاسل الذهب ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم ، المتنبي وأبو تمام والبحتري .

فقال له البحتري : أشاعر أنت؟
قال الصبي : نعم واشعر منك .
قال البحتري : مرحى أتستطيع أن تجيز لي؟
(ليت بين من أحب وبيني) .
قال الصبي : أتريد أن أبعد أم أقرب؟ قال قرب .
قال الصبي :
ليت بين من أحب وبينى   مثل مابين حاجبي وعيني
قال البحتري : وإن قلت لك باعد بيني وبين من أحب؟
قال الصبي :
ليت بين من أحب وبيني   مثل ما بين ملتقى الخافقين

علموا أولادكم الأدب

حكي أن الحجاج[1] أمر صاحب حراسته أن يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه ، فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم أثر شراب الخمر ، فأحاط بهم وقال لهم : من أنتم حتى خالفتم الأمير؟
فقال الأول :
أنا ابن من دانت الرقاب له   ما بين مخزومها وهاشمه
تأتي إليه الرقاب صاغرة   يأخذ من مالها ومن دمها
فأمسك عن قتله ، وقال : لعله من أقارب أمير المؤمنين
وقال الثاني :
أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره   وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره   فمنهم قيامٌ حولها وقعود
فأمسك عن قتله ، وقال : لعله من أشراف العرب
وقال الثالث :

(١) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، قائد أموي ، داهية ، سفاك ، خطيب . ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته ، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره .

أنا ابـــن الذي خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقامت
ركابـــاه لا تنفـــك رجلاه منهمـا إذا الخيل في يوم الكريهة ولـــت

فأمسك عن قتله ، وقال : لعله من شجعان العرب
فلما أصبح رفع أمرهم إلى الحجاج ، فأحضرهم وكشف عن حالهم
فإذا الأول ابن حجام ، والثاني ابن فوال ، والثالث ابن حائك .
فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه : علموا أولادكم الأدب ، فوالله لولا الفصاحة لضربت أعناقهم
ثم أطلقهم الحجاج وأنشد يقول :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول : ها أنا ذا ليس الفتى من يقول : كان أبي

فطنة أشعب

جلس أشعب وهو صبي مع قوم يأكلون فبكى ، فسألوه : لماذا تبكي؟
فقال : الطعام ساخن . فقالوا : دعه حتى يبرد . فقال : لكنكم لن تدعوه .

صغير نبيه

قال بعضهم لولد صغير نبيه : وددتُ أن لي ابنًا مثلك . فقال الولد : هذا بيدك ، قال الرجل : كيف ذلكً؟ قال : احمل أبي على امرأتك تلِدُ لك ابنًا مثلي!! .

كيف صرف القطعة الرديئة؟

كان لرجل غلام ، فأعطاه قطعاً ليشتري بها شيئاً ، وكان فيها قطعة رديئة ، فقال له : يا سيدي هذه ما يأخذها الرجل ، فقال : اجتهد أن تصرفها كيف اتفق ، فلما اشترى وجاء قال : وقد صرفتها ، قال : كيف فعلت؟ قال : تركته يزن الذهب وتغفلته فرميتها في ميزانه .

ابكوه حياً وميتاً

ضاع لأعرابي ولد ، فجاؤوا بالنوائح ولطموا عليه ، وبقوا على ذلك أياماً ، فصعد أبوه يوماً الغرفة فرآه جالساً في زاوية من زواياها ، فقال : يا بني أنت بالحياة ، أما ترى

ما نحن فيه! قال : قد علمت ، ولكن ها هنا بيض قد قعدت مثل القرقة عليه ، ما يمكنني أن أبرح ، أريد فريخات ، أنا أحبهم . فاطلع أبوه إلى أهله فقال : قد وجدت ابني حياً ولكن لا تقطعوا اللطم عليه ، ألطموا كما كنتم .

مغفل وابنه

كان أعرابي يأكل مع ابنه رأساً ، فقال الابن : يا أبت إن خرج عليك الكعب فأعطني إياه لألعب به ، فقال أبوه : سخنت عينك هو سمك مشوي حتى يكون فيه كعب!

أجابه بما يستحق

قال أعرابي لابنه : اسكت يا ابن الأمه!

فقال : والله إنها لأعذر منك ، لأنها لم ترض إلا حرًا .

عيادة المريض

مرض صديق لأعرابي فأراد أن ينفذ ابنه إليه ليعوده فأوصاه وقال : يا بني إذا دخلت فاجلس في أرفع المواضع ، وقل للمريض : ما تشكو؟ فإذا قال : كذا وكذا ، فقل له : سليم إن شاء الله ، وقل : من يجيئك من الأطباء ، فإذا قال : فلان فقل : ميمون ، وقل : ما غداؤك؟ فإذا قال : كذا وكذا فقل : طعام محمود . فذهب . فدخل على العليل وكان بين يده منارة ، فجلس عليها لارتفاعها فوقعت على صدر العليل فأوجعته ، ثم قال للمريض : ما تشكو؟ فقال : أشكو علة الموت ، فقال : سليم إن شاء الله ، فمن يجيئك من الأطباء؟ قال : ملك الموت ، قال : مبارك ميمون ، فما غداؤك؟ قال : سم الموت ، قال : طعام طيب محمود .

يتعلم الحساب

أسلم أعرابي ولده إلى الكتاب ، فلما كان بعد حين قال له والده : تعلمت شيئاً من الحساب؟ قال : نعم ، قال : فخذ خمسين وخمسين كم تعد؟ قال : أربعين ، قال : يا مشؤوم ، ثلاث خمسينات ما يحصل معك منها خمسين؟ ثم حبسه عن الكتاب وقال : لا أفلحت .

بلاهة صبي

كان لبعض التجار المياسير ابن أبله ، فقضي أن صار الأب إلى حانوته يوماً فوجد اللصوص قد أخذوا صندوقاً له كان فيه صامت كثير وأسباب جميلة ، فجلس الرجل والناس يعزونه ويدعون له بالخلف ، فبينما هم كذلك إذ أقبل ابنه ، فلما قرب من حانوت أبيه ورأى الناس سأل عن الخبر ، فقالوا : دخل اللصوص حانوت أبيك وأخذوا الصندوق الذي كان فيه ما كان ، فضحك وقهقه وقال : لابأس ما فاتنا شيء ، فظن الناس أنه خبأه أو يعرف خبره ، فأسرعوا إلى أبيه فبشروه بأن ابنه قال كذا ، فقال له أبوه : ما الخبر وأي شيء عندك في هذا الأمر؟ قال : مفتاح الصندوق عندي فلا يقدرون أن يفتحوه ، فقال أبوه : عجبت والله أن يكون عندك فرح .

أحمق من ابنه

قال بعضهم : دخلت على أعرابي في منزله ، فإذا ابنه يصايحه في شيء وقد ارتفعت أصواتهما ، فقلت ما هذا؟ فقال : هذا يزعم أن علي بن أبي طالب هاشمي فقلت أنا : بل علوي ، فاحكم بيننا . فقلت أنا : هو علوي ، ألا ترى إلى اسمه علي ، فقال لي : ابصق في وجهه؟ فقلت : كلاكما يستحق ذلك .

خشية قتل ابنه الميت

مات ولد لأعرابي فقيل له : ادع فلاناً يغسله ، فقال : لا أريد ، لأن بيني وبينه عداوة فيعنف بابني في الغسل حتى يقتله .

كلاهما في العلم سواء

جاء رجل إلى أحد القضاة يشكو ابنه الذي يعاقر الخمر ولا يصلي ، فأنكر الابن ذلك!

فقال الرجل : أصلح الله القاضي ، أتكون صلاة بلا قراءة؟

قال القاضي : يا غلام ، تقرأ شيئاً من القرءان؟

قال : نعم وأجيد القراءة . . قال : فاقرأ .

قال : بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب ربابا بعد ما شابت وشابا إن دين الله حق لا أرى فيه ارتيابا

فصاح أبوه : والله أيها القاضي ما تعلم هاتين الآيتين إلا البارحة ، لأنه سرق مصحفاً من بعض جيراننا!

أيهم لا يرث؟

رجل صالح من الأعراب كان عنده ثلاثة من الأبناء
وكان اسمهم جميعا عبد الله
وهو على فراش الموت يقول لأولاده الثلاثة :
عبد الله يرث
وعبد الله لا يرث
وعبد الله يرث
ثم يلفظ أنفاسه الأخيرة
فاحتار الأبناء الثلاثة . . . . كيف يصنعون؟ . . . . ومن منهم الذي لا يرث ؟!
فقالوا نذهب إلى قاضى المدينة
فذهبوا إلى القاضي . . . وفى طريقهم قابلهم أعرابي . . . كان قد فقد بعيره . . .
فسألهم إن كانوا قد رأوا البعير
فقالوا : لم نر بعيرك
فانصرف عنهم . . .
ثم سأله أحدهم : هل كان جملك أعور؟
قال الأعرابي : نعم
أعور؟
قال الأعرابي : نعم
فانفرجت أسارير الأعرابي واستبشر وظن أنهم قد رأوا جمله
فقال الآخر : هل كان جملك أبتر؟ أي مقطوع الذيل
فقال الأعرابي : نعم
وازداد فرحه وسروره وتأكد أنهم قد رأوه
فقال الثالث : هل كان جملك أزور[١]؟ أو فيه عرج

---

(١) أي أن لحمه في ناحية أكثر من الأخرى .

فقال الأعرابي : نعم
فقالوا جميعا . . . . . لم نر جملك
فظن الرجل أنهم رأوه ويخدعونه فقال لهم والله لن أترككم إلا عند القاضي
فقالوا له على رسلك . . . . . إنا ذاهبون إليه
فانطلقوا جميعا إلى القاضي
وعندما أتوه . . . . قصوا عليه الخبر
فسألهم هل رأيتم بعير الأعرابي؟
فقالوا لا
فسألهم عن المواصفات التي أدلو بها لصاحب البعير
فسأل من قال أن البعير أعور :
فقال : إني رأيت العشب مأكول من ناحية واحدة فعلمت أن الجمل أعور
فلو رأى العشب من الناحية الأخرى لأكله
فسأل من قال انه أبتر :
فقال : البعير ينثر البعر في العادة لوجود الذيل أما هذا فرأيته جعلها أكواما أكواما
فسأل من قال بأنه أزور :
فقال : أيها القاضي رأيت خطواته أحدها يغوص فى الأرض ويترك أثرا عميقا
والأخرى لا تترك أثرا خفيفا فعلمت أنه أزور (به عرج)
فقال القاضي للأعرابي : اذهب يا رجل جملك ليس عندهم
أما أنتم فما خبركم؟
فقصوا عليه خبرهم وما قاله أبوهم في ميراثهم
أبوهم في ميراثهم
فقال القاضي : تبيتون عندي الليلة وفى الصباح أحكم بينكم
فأدخلهم غرفة الأضياف وأمر لهم بطعام
فما أن دخلوا حتى قال أحدهم :
احذروا إن هذا القاضي قد وضع لكم عينا تراقبكم
وعندما قدم لهم الطعام
قال أحدهم : لا تأكلوا . . . (والله إن هذا اللحم لحم كلاب)
وقال الثاني : إن التي خبزت هذا الخبز . . . (حامل في شهرها التاسع)

والثالث قال : فقال والله إن هذا القاضي (ابن حرام)
فنقل من بالباب حديثهم إلى القاضي
فلما جاء الصباح وجلس القاضي في مجلس القضاء
سألهم عما قالوه
فسأل من قال أن اللحم لحم كلاب
فقال : أيها القاضي إن هذا اللحم وجدنا فيه العظم ثم الشحم ثم اللحم . . . . وهذا يكون في الفصيلة الكلبية . . . . . أما لحوم الإبل والغنم وما نأكل من النعم يكون فيها العظم ثم اللحم ثم الشحم . . . .
فسأل القاضي من قام بالطبخ . . . .
فقال : سيدى لقد تأخر الراعي وقد أمرت بتقديم الطعام للأضياف فماو جدت غير كلب فذبحته لهم وقلت إنهم أعراب لا يعلمون شيئا .
فقال هذه واحدة
فسأل من قال أن التي خبزت الخبز حامل في الشهر التاسع
فقال له أيها القاضي : إني رأيت الرغيف منتفخ من ناحية . . . . ومصفد من ناحية أخرى
فعلمت أن من خبزته حامل في الشهر التاسع . . . فلم تستطع أن تمد يدها لتقلب الرغيف من كبر بطنها
فسأل القاضي عمن خبزت . . . . . فقالوا له إنها فلانة . . . وهي حامل في الشهر التاسع
فسأل الثالث . . . من قال بأن القاضي ابن حرام
فقال أيها القاضي : قلت إن رجل يضع على أضيافه عين تراقبهم . . . . ويقدم لهم لحم كلاب . . . . . والله إنه لابن حرام
فأراد القاضي ان يتأكد من هذه هي الأخرى . . . . فسأل أمه عن نسبه وعن أبوه . . . . فقالت إنه ليس أبوك . . . . وقد صدق
وعندها نطق القاضي بالحكم
فقال أما من قال أنه لحم كلاب . . . . . فإنه يرث
ومن قال بأن التي خبزت الخبز حامل . . . فإنه يرث
أما أنت يا من قلت أنى ابن حرام . . . . . . فإنك لا ترث . . . .

لأنه لا يعرف ابن الحرام . . . . إلا ابن حرام مثله .

فأراد الأخوة الثلاثة أن يتأكدوا من صدق كلام القاضي

فرجعوا إلى أمهم فسألوها عن أخيهم ، فقالت صدق والله ، فإن أباكم قد وجده على باب مسجد فأتى به ورباه معكم .

لقمان والدؤلي

قال المدائني : كان لأبي الأسود الدؤلي[1] دكان إلى صدر الرجل يجلس فيه وحده ، ويضع بين يديه مائدة ويدعو إليها كل من يمر به ، وليس لأحد أن يجلس ؛ فينصرفون عنه .

وكان أبخل الناس ، فمر به صبي من الأنصار ؛ فقال له أبو الأسود : هلم إلى الغداء يا فتى ؛ فأتى إليه ، فلم ير موضعاً يجلس فيه ، فتناول المائدة فوضعها في الأرض ثم قال : يا أبا الأسود ، إن كان لك في الغداء حاجة فانزل ؛ وأقبل الفتى يأكل حتى أتى على جميع ما في المائدة ، وسقطت آخر الطعام من يده لقمة على الأرض فأخذها وقال : لا أدعها للشيطان .

فقال أبو الأسود : والله ما تدعها للملائكة المقربين ، فكيف تدعها للشياطين! ثم قال له : ما اسمك؟ قال : لقمان . فقال أبو الأسود : أهلك كانوا أعلم زمانهم إذ سموك بهذا الاسم ، ولم يعد بعد إلى ما كان يصنع .

الصبي والحجاج

خرج الحجاج بن يوسف ذات يوم للصيّد فرأى تسعة كلاب إلى جانب صبي صغير السن عمره نحو عشر سنوات وله ذوائب .

فقال له الحجاج : ماذا تفعل هنا أيها الغلام؟

فرفع الصبي طرفه إليه وقال له : يا حامل الأخبار لقد نظرت إليّ بعين الاحتقار وكلمتني بالافتخار وكلامك كلام جبار وعقلك عقل حمار!

---

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني ، من سادات التابعين وأعيانهُم وفقهائهُم وشعرائهُم ومحدثيهُم ومن الدهاة حاضرِي الجواب وهو كذلك نحوي عالِم وضع علم النحو في اللغة العربية وشكّل أحرف المصحف ، وضع النقاط على الأحرف العربية .

فقال الحجاج له : أما عرفتني؟

فقال الغلام : عرفتك بسواد وجهك لأنك أتيت بالكلام قبل السلام .

فقال الحجاج ويلك أنا الحجاج بن يوسف .

فقال الغلام : لا قرب الله دارك ولا مزارك فما أكثر كلامك وأقل إكرامك .

فما أتم كلامه إلا والجيوش حلّقت عليه من كل جانب وكل واحد يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين

فقال الحجاج : احفظوا هذا الغلام فقد أوجعني بالكلام فأخذوا الغلام فرجع الحجاج إلى قصره فجلس في مجلسه والناس حوله جالسون ومن هيبته مطرقون وهو بينهم كالأسد ثم طلب إحضار الغلام فلما مثل بين يديه ، ورأى الوزراء وأهل الدولة لم يخشى منهم . . . .

بل قال : السلام عليكم فلم يرد الحجاج السلام فرفع الغلام رأسه وأدار نظره فرأى بناء القصر عالياً ومزين بالنقوش وهو في غاية الإبداع والإتقان .

فقال الغلام : أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين . .

فاستوى الحجاج جالساً وكان متكئاً

فقالوا للغلام : يا قليل الأدب لماذا لم تسلم على أمير المؤمنين السلام اللائق ولماذا لم تتأدب في حضرته؟

فقال الغلام : يا براغيث الحمير منعني عن ذلك التعب في الطريق وطلوع الدرج .

أما السلام فعلى أمير المؤمنين وأصحابه ، يعني السلام على عليّ بن أبى طالب وأصحابه .

فقال الحجاج : يا غلام لقد حضرت في يوم تم فيه أجلك وخاب فيه أملك .

فقال الغلام : والله يا حجاج أن كان في أجلي تأخير لم يضرني من كلامك لا قليل ولا كثير .

فقال بعض الغلمان : لقد بلغت من جهلك يا خبيث أن تخاطب أمير المؤمنين كما تخاطب غلاماً مثلك .

يا قليل الآداب انظر من تخاطب وأجبه بأدب واحترام فهو أمير العراق والشام .

فقال الغلام : أما سمعتم قوله تعالى ﴿كل نفس تجادل عن نفسها﴾ .

فقال الحجاج : فمن عنيت بكلامك أيها الغلام؟

قال : عنيت به على بن أبى طالب وأصحابه وأنت يا حجاج على من تسلم؟

فقال الحجاج : على عبد الملك بن مروان .

فقال الغلام : عبد الملك الفاجر عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال الحجاج : ولم ذلك يا غلام؟

فقال : لأنه أخطأ خطيئةً عظيمة مات بسببها خلق كثير . .

فقال بعض الجلساء اقتله يا أمير المؤمنين فقد خالف الطاعة وفارق الجماعة وشتم عبد الملك بن مروان .

فقال الغلام : يا حجاج أصلح جلسائك فإنهم جاهلون فأشار الحجاج لجلسائه بالصمت .

ثم سأله الحجاج : هل تعرف أخي؟

فقال الغلام : أخوك فرعون حين جاءه موسى وهارون ليخلعوه عن عرشه فاستشار جلسائه .

فقال الحجاج : اضربوا عنقه .

فقال له الرقاشي[(١)] : هبني إياه يا أمير المؤمنين أصلح الله شأنك .

فقال الحجاج : هو لك لا بارك الله فيه .

فقال الغلام : لا شكر للواهب ولا للمستوهب .

فقال الرقاشي : أنا أريد خلاصك من الموت فتخاطبني بهذا الكلام .

ثم التفت الرقاشي إلى الحجاج وقال له : افعل ما تريد يا أمير المؤمنين .

فقال الحجاج للغلام : من أي بلد أنت؟

فقال للغلام : من مصر .

فقال له الحجاج : من مدينة الفاسقين .

---

(١) يزيد بن أبان الرقاشي اسمه يزيد بن أبان الرقاشى ، أبو عمرو البصري ، القاص (من زهاد أهل البصرة ، وهو عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى) كنيته أبو عمرو وقيل : الرقاشى البصري يعتبر يزيد بن أبان الرقاشي من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ضعيف زاهد ،وعند الإمام شمس الدين الذهبي ضعيف .

فقال الغلام : ولماذا أسميتها مدينة الفاسقين؟

قال الحجاج : لأن شرابها من ذهب ونسائها لعب ونيلها عجب وأهلها لا عجم ولا عرب .

فقال الغلام : لستُ منهم .

فقال الحجاج : من أي بلد إذن؟

قال الغلام : أنا من أهل خرسان .

فقال الحجاج : من شر مكان وأقل الأديان .

فقال الغلام : ولم ذلك يا حجاج؟

فقال : لأنهم عجم أعجام مثل البهائم والأغنام كلامهم ثقيل وغنيهم بخيل .

فقال الغلام : لستُ منهم .

فقال الحجاج : من أين أنت؟

قال : أنا من مدينة الشام .

قال الحجاج : أنت من أحسن البلدان وأغضب مكان وأغلظ أبدان .

قال الغلام : لستُ منهم .

قال الحجاج : فمن أين إذن؟

قال الغلام : من اليمن .

فقال الحجاج : أنت من بلد غير مشكور .

قال الغلام : ولم ذلك؟

قال الحجاج : لأن صوتهم مليح وعاقلهم يستعمل الزمر وجاهلهم يشرب الخمر .

قال الغلام : أنا لستُ منهم .

قال الحجاج : فمن أين إذن؟

قال الغلام : أنا من أهل مكة .

فقال الحجاج : أنت إذن من أهل اللؤم والجهل وقلة العقل .

فقال الغلام : ولم ذلك؟

قال : لأنهم قوم بعث فيهم نبي كريم فكذبوه وطردوه وخرج من بينهم إلى قوم أحبوه وأكرموه .

فقال الغلام : أنا لستُ منهم .

فقال الحجاج : لقد كثرت جواباتك علي وقلبي يحدثني بقتلك .

فقال الغلام : لو كان أجلي بيدك لما عبدت سواك ولكن اعلم يا حجاج أني أنا من أهل طيبة مدينة رسول الله ﷺ .

فقال الحجاج : نعمت المدينة أهلها أهل الإيمان والإحسان فمن أي قبيلة أنت؟

فقال الغلام : من ثلى بنى غالب من سلالة علي بن أبى طالب عليه السلام وكل نسب وحسب ينقطع إلا حسبنا ونسبنا فإنه لا ينقطع إلى يوم القيامة . .

فاغتاظ الحجاج غيظاً شديداً وأمر بقتله .

فقال له كل من حضر من الوزراء : ولكنه لا يستحق القتل وهو دون سن البلوغ أيها الأمير .

فقال الحجاج : لا بد من قتله ولو يناد منادى من السماء .

فقال الغلام : ما أنت بنبي حتى يناديك مُنادٍ من السماء .

فقال الحجاج : ومن يحول بيني وبين قتلك .

فقال الغلام : يحول بينك وبين قتلي ما يحول بين المرء وقلبه .

فقال الحجاج : وهو الذي يعينني على قتلك .

فقال الغلام : كلا إنما يعينك على قتلي شيطانك وأعوذ بالله منك ومنه .

فقال الحجاج : أراك تجاوبني على كل سؤال فأخبرني ما يقرب العبد من ربه؟

فقال الغلام : الصوم والصلاة والزكاة والحج .

فقال الحجاج : أنا أتقرب إلى الله بدمك لأنك قلت أنك من أولاد الحسن والحسين .

فقال الغلام : من غير خوف ولا جزع أنا من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآلهِ وسلم إن كان أجلي بيدك! فقد حضر شيطانك يعينك على فساد آخرتك .

فأجابه الحجاج : أتقول أنك من أولاد الرسول وتكره الموت؟

قال الغلام : قال الله تعالى ﴿ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة ﴾

قال الحجاج : ابن من أنت؟

قال الغلام : أنا ابن أبي وأمي .

فسأله الحجاج : من أين جئت؟

قال الغلام : على رحب الأرض .

فقال الحجاج : أخبرني من أكرم العرب؟

فأجاب الغلام : بنو طي .

فسأله الحجاج : ولم ذلك؟

فقال الغلام : لأن حاتم الأصم[١] منهم .

فقال الحجاج : فمن أشرف العرب؟

قال الغلام : بنو مضر .

فقال الحجاج : ولم ذلك؟

فقال الغلام : لأن محمد ﷺ منهم .

فقال الحجاج : فمن أشجع العرب؟

فقال الغلام : بنو هاشم لأن علي بن أبي طالب[٢] منهم .

فقال الحجاج : فمن أنجس العرب وأبخلهم وأقلها خيراً؟

فقال الغلام : بنو ثقيف لأنك أنت منهم وفي الحديث الشريف يظهر من بنو ثقيف نمرود وكذاب

فالكذاب مسيلمة والنمرود أنت فأغتاظ الحجاج غيظاً شديداً وأمر بقتله فشفع به الحاضرون فشفعهم فيه وسكن غضبه قليلاً .

وقال الحجاج : أين تركت الإبل ذات القرون؟

فقال الغلام : تركتها ترعى أوراق الصوّان .

فصاح الحجاج به قائلاً : يا قليل العقل ويا بعيد الذهن هل للصوان ورق؟

فقال الغلام : وهل للإبل قرون؟

فقال الحجاج : هل حفظت القرآن؟

فقال الغلام : هل القرآن هارب منى حتى أحفظه .

فسأله الحجاج : هل جمعت القرآن؟

فقال الغلام : وهل هو متفرق حتى أجمعه؟

---

(١) أبو عبد الرحمن حاتِم بن عنوان الأَصَمْ ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام أهل السنة والجماعة في القرن الثالث الهجري ، وهو من قدماء مشايخ خراسان من أهل بلخ ، صحب شقيق البلخي وكان أستاذ أحمد بن خضرويه . كما زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل .

(٢) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القُرشي ابن عم محمد بن عبد الله نبي الإسلام وصهره ، من آل بيته ، وكافله حين توفي والديه وجده ، وأحد أصحابه ، هو رابع الخلفاء الراشدين عند السنة وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأوّل الأئمّة عند الشيعة .

فقال له الحجاج : أما فهمت سؤالي .

فأجابه الغلام : ينبغي لك أن تقول هل قرأت القرآن وفهمت ما فيه .

فقال الحجاج : فأخبرني عن آية في القرآن أعظم؟ وآية أحكم؟

وآية أعدل؟ وآية أخوف؟ وآية أرجى؟ وآية فيها عشر آيات بينات؟ وآية كذب فيها أولاد الأنبياء؟

وآية صدق فيها اليهود والنصارى؟ وآية قالها الله تعالى لنفسه؟ وآية فيها قول الملائكة؟

وآية فيها قول أهل الجنة؟ وآية فيها قول أهل النار؟ وآية فيها قول إبليس ؟؟؟

فقال الغلام : أما أعظم آية فهي آية الكرسي .

وأحكم آية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾

وأعدل آية ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ .

وأخوف آية ﴿أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ .

وأرجى آية ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعها﴾ .

وآية فيها عشر آيات بينات هي ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ .

وأما الآية التي كذب فيها أولاد الأنبياء فهي ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ وهم إخوة يوسف كذبوا ودخلوا الجنة .

وأما الآية التي صدق فيها اليهود والنصارى فهي ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ فصدقوا ودخلوا النار .

والآية التي قالها الله تعالى لنفسه هي ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ .

وآية فيها قول الأنبياء ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فل يتوكل المؤمنون﴾ .

وآية فيها قول الملائكة ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ .

وآية فيها قول أهل الجنة ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ .

وآية فيها قول أهل النار ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ .
وآية فيها قول إبليس ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ .
فقال الحجاج : أخبرني عمّن خُلِقَ من الهواء؟ ومن حُفِظَ بالهواء؟ ومن هَلِكَ بالهواء؟
فقال الغلام : الذي خُلِقَ من الهواء سيدنا عيسى عليه السلام ؛ والذي حُفِظ َبالهواء سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام ؛ وأما الذي هَلَكَ بالهواء فهم قوم هود .
فقال الحجاج : فأخبرني عمن خُلِقَ من الخشب؟ والذي حُفظ بالخشب؟ والذي هلك بالخشب؟
فقال الغلام : الذي خُلِقَ من الخشب هي الحية خُلِقت من عصا موسى عليه السلام ؛ والذي حفظ بالخشب نوح عليه السلام ؛ والذي هلك بالخشب زكريا عليه السلام .
فقال الحجاج : فأخبرني عمن خُلق من الماء؟ ومن نجا من الماء؟ ومن هلك بالماء؟
فقال الغلام : الذي خُلق من الماء فهو أبونا آدم عليه السلام ؛ والذي نجا من الماء موسى عليه السلام ؛ والذي هلك بالماء فرعون .
فقال الحجاج : فأخبرني عمن خُلق من النار؟ ومن حُفظ من النار؟
فقال الغلام : الذي خُلق من النار إبليس ؛ والذي نجا من النار إبراهيم عليه السلام .
فقال الحجاج : فأخبرني عن أنهار الجنة وعددها؟
فقال الغلام : أنهار الجنة كثيرة لا يعلم عددها إلا الله تعالى كما قال في كتابه العزيز ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾ .
وكلها تجري في محل واحد لا يختلط بعضها ببعض ويوجد نظيره في الدنيا وهو في رأس بنى آدم طعم عينه مالح وطعم أذنه مر وطعم فمه عذب .
فقال الحجاج : إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون فهل يوجد مثلهم في الدنيا؟
فقال الغلام : الجنين في بطن أمه يأكل ويشرب ولا يتغوط .
فقال الحجاج : فما أول قطرة من دم؟
فقال الغلام : هي حيض حواء .

فقال الحجاج : فأخبرني عن العقل؟ والإيمان؟ والحياء؟ والسخاء؟ والشجاعة؟ والكرم؟ والشهوة؟

فقال الغلام : إن الله قسم العقل عشرة أقسام جعل تسعة في الرجال وواحداً في النساء ، والإيمان عشرة تسعة في اليمن وواحداً في بقية الدنيا ؛ والحياء عشرة تسعة في النساء وواحداً في الرجال ؛ والسخاء عشرة تسعة في الرجال وواحداً في النساء ؛ والشجاعة والكرم عشرة تسعة في العرب وواحداً في بقية العالم ، والشهوة عشرة أقسام تسعة في النساء وواحداً في الرجال .

فقال الحجاج : فأخبرني ما يجب على المسلم في السنة مرة؟

فقال الغلام : صيام رمضان .

فقال الحجاج : وما يجب في العمر مرة؟

فقال الغلام : الحج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا .

فقال الحجاج : فأخبرني عن أقرب شيء إليك؟

فقال الغلام : الآخرة .

ثم قال الحجاج : سبحان الله يأتي الحكمة من يشاء من عباده ما رأيت صبياً أتاه الله العلم والعقل والذكاء مثل هذا الغلام .

فقال الغلام : أنا أهل لذلك .

فقال الحجاج : فمن أحق الناس بالخلافة؟

فقال الغلام : الذي يعفو ويصفح ويعدل بين الناس .

فقال الحجاج : فأخبرني عن النساء؟

فقال الغلام : أتسألني عن النساء وأنا صغير لم أطّلع بعد على أحوالهن ورغائبهن ومعاشرتهن ، ولكني سأذكر لك المشهور من أمورهن ؛ فبنت العشر سنين من الحور العين ؛ وبنت العشرين نزهة للناظرين ؛ وبنت الثلاثين جنة نعيم ؛ وبنت الأربعين شحم ولين ؛ وبنت الخمسين بنات وبنين ؛ وبنت الستين ما بها فائدة للسائلين ؛ وبنت السبعين عجوز في الغابرين ؛ ؛ وبنت التسعين شيطان رجيم ؛ وبنت المائة من أصحاب الجحيم .

فضحك الحجاج وقال : أي النساء أحسن؟

فقال الغلام : ذات الدلال الكامل والجمال الوافر والنطق الفصيح التي يهتز نهدها ويرتاح ردفها .

فقال له الحجاج : أخبرني عن أول من نطق في الشعر؟
فقال الغلام : سيّدنا آدم عليه السلام وذلك لما قتل قابيل أخاه هابيل .

أنشد آدم يقول :

بكت عيني وحق لها بكاها ... ودمع العين منهمل يسيح
فما لي لا أجود بسكب دمع ... وهابيل تضمّنه الضريح
رمى قابيل هابيلاً أخاه ... والحد في الثرى الوجه الصبيح
تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر كشيح
تبدل كل ذي طعم ولون ... لفقدك يا صبيح يا مليح
أيا هابيل إن تقتل فإني ... عليك الدهر مكتئب قريح
فأنت حياة من في الأرض جميعاً ... وقد فقدوك يا روح وريح
وأنت رجيح قدر يا فصيح ... سليم بل سميح بل صبيح
ولست ميت بل أنت حي ... وقابيل الشقي هو الطريح
عليه السخط من رب البرايا ... وأنت عليك تسليم صريح

فأجابه إبليس يقول :

تنوح على البلاد ومن عليها ... وفي الفردوس قد ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في نعيم ... من المولى وقلبك مستريح
خدعتك في دهائي ثم مكري ... إلى أن فاتك العيش الرشيح

فقال الحجاج : أخبرني يا غلام عن أجود بيت قالته العرب في الكرم؟
فقال الغلام : هو بيت حاتم طي .
حيث يقول :

وأكرم الضيف حتما حين يطرقني ... قبل العيال على عسر وإيسارِ

فقال الحجاج : أحسنت يا غلام وأجملت وقد غمرتنا ببحر علمك فوجب علينا إكرامك ثم أمر له بألف دينار وكسوة حسنة وجارية وسيف وفرس .
وقال الحجاج في نفسه : إن أخذ الفرس نجا . . وإن أخذ غيرها قتلته . .
فلما قدمها له قال الحجاج : خذ ما تريد يا غلام . .
فغمزته الجارية . وقالت : خذني أنا خير من الجميع فضحك الغلام وقال ليس

لي بك حاجة وأنشد يقول :

وقـرقعـت اللجان بـرأس حـمراً ... أحـب إلىّ مـمـا تـغـمـزيني
أخـاف إذا وقعـتِ عـلى فراشـي ... وطالـت علتـي لا تصحبينـي
أخـاف إذا وقـعـنا فـي مضـيـقٍ ... وجـار الدهر بـي لا تنصرينـي
أخـاف إذا فـقـدتِ المـال عـندي ... تـمـيلـي للخصـام وتهجرينـي

فأجابته الجارية تقول :

معـاذ الله أفـعـل مـا تـقـول ... ولـو قُطِعت شمالـي مع يمينـي
وأكتـم سر زوجـي فـي ضميري ... وأقـنـع باليسـير وما يـجينـي
إذا عاشـرتني وعرفت طـبعـي ... ستـعـلم أنـنـي خـير القريـن

فقال الحجاج : ويلك ألا تستحين تغمزينه وتجاوبينه بالشعر .

فقال الغلام : إن كنت تخيرني فإنني أختار الفرس أما إن كنت ابن حلال فتعطيني الجميع .

فقال الحجاج : خذهم لا بارك الله لك فيهم .

فقال الغلام : قبلتهم لا أخلف الله عليك غيرهم ولا جمعني بك مرة أخرى .

ثم قال الغلام : من أين أخرج يا حجاج؟

فأجابه الحجاج : أخرج من ذاك الباب فهو باب السلام .

فقال الجلساء للحجاج : هذا جلف من أجلاف العرب أتى إليك وسبَّكَ وأخذ مالك فتدله على باب السلام! ولم تدله على بابِ النقمة والعذاب؟

فقال الحجاج : إنه استشارني والمستشار مؤتَمن . . .

وخرج الغلام من بين يدي الحجاج سالماً غانماً بفضل ذكائه وفهمه ومعرفته وحسن اطلاعه .

ابن أمير المؤمنين

دخل المسلمون في يوم العيد ليهنئوا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . . فلما انصرف الرجال ودخل الغلمان ، كان من بينهم ابن عمر بن عبد العزيز وهو يلبس ثيابا رثه (قديمة) وأبناء الرعية يلبسون الثياب الجديدة الجميلة ،

فبكى أمير المؤمنين . فتقدم إليه ابنه ، فقال له : يا أبتاه ما الذي طأطأ برأسك وأبكاك ؟؟

قال : لا شيء يا بني سوى أني خشيت أن ينكسر قلبك وأنت بين أبناء الرعية بتلك الثياب البالية القديمة وهم يلبسون الثياب الجديدة .

قال الغلام لأبيه : يا أبتاه . إنما ينكسر قلب من عرف الله فعصاه ، وعق أمه وأباه ، أما أنا فلا والله

عرار وزوجة أبيه

كانت لعمرو بن شأس(١) امرأة من رهطه ، يُقَال لها أم حسان بنت الحارث ، وكان له ابن يُقَال له عرار من أمة له سوداء ، فكانت تعيره به وتؤذي عراراً ويؤذيها وتشتمه ويشتمها ، فلما أعيت عمراً بالأذى والمكروه فِي ابنه قَالَ الكلمة التي فيها هذه الأبيات قَالَ : وقَالَ ابن الأعرابي : قالها فِي الإسلام وهو شيخ كبير .

ألم يأتها أني صحوت وأنّني	تحلّمت حتى ما أعارم من عرم
وأطرقت إطراق الشجاع ولو رأى	مساغاً لنابيه الشجاع لقد أزم
فإن عراراً إن يكن غير واضح	فإني أحب الجون ذا المنكب العمم
وإن عرار إن يكن ذا شكيمة	تقاسينها منه فما أملك الشيم
أردت عرارا بالهوان ومن يرد	عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم
فإن كنت مني أو تريدين صحبتي	فكوني له كالسمن ربّ له الأدم
وإلا فسيري مثل ما سار راكبٌ	تيممّ خمساً ليس فِي سيره يتم

غلام جسور

عن سنان بن سلمة -وكان أميرا على البحرين- قال :

كنا أغيلمة بالمدينة في أصول النخل نلتقط البلح الذي يسمونه الخلال ، فخرج إلينا عمر بن الخطاب ، فتفرّق الغلمان وثبت مكاني ، فلما غشيني قلت :

يا أمير المؤمنين ، إنما هذا ما ألقت الريح .

قال : أرني أنظر ، فإنه لا يخفى عليّ .

فنظر في حجري ، فقال : صدقت .

---

(١) عمرو بن شأس الأسدي عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي ، أبو عِرار . شاعر جاهلي مخضرم ، أدرك الإسلام وأسلم ، عدّه الجمحي في الطبقة العاشرة من فحول الجاهلية .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ترى هؤلاء الغلمان ، والله لئن انطلقت لأغاروا عليّ ، فانتزعوا ما في يدي .

قال : فمشى معي حتى بلّغني مأمني .

الاعتضاد بالولد

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن عبده زكريا[١] ودعائه إليه في الولد : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ﴾ .

وقال : ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ[٢] مِنْ وَرائي وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ .

وقال الشاعر :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إنّ الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه إذا ما قلّ ناصره ويأنف الضّيم إن أثرى له عدد

العتبي قال : لما أسنّ أبو براء عامر بن مالك[٣] وضعّفه بنو أخيه وخرّفوه ولم يكن له ولد يحميه ، أنشأ يقول :

دفعتكم عنّي وما دفع راحة بشيء إذا لم تستعن بالأنامل

يضعّفني حلمي وكثرة جهلكم عليّ وأنّي لا أصول بجاهل

(١) زكريا : هو نبي في الإسلام واليهودية والمسيحية ، وهو أبو النبي يحيى . زكريا أو زكرياء اسم علم أعجمي عبري يعني «ذكره الله» أو «مذكور الله» .

(٢) بنو العم .

(٣) أبو براء العامري ويلقب بملاعب الأسنة سيد بني عامر بن صعصعة وأحد فرسانهم عند ظهور الإسلام . هو عم عامر بن الطفيل والشاعر لبيد بن ربيعة العامريان . يُضرب به المثل في الشجاعة ، وكان إذا ركب فرسه وصل إبهاما قدميه إلى الأرض لطوله .

خطبة النكاح

خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان[١] إلى عتبة بن أبي سفيان[٢] ابنته ، فأقعده على فخذه ، وكان حدثا ، فقال :

أقرب قريب ، خطب أحبّ حبيب ، لا أستطيع له ردّا ، ولا أجد من إسعافه بدّا ؛ وقد زوّجتكها وأنت أعز عليّ منها ، وهي ألصق بقلبي منك ؛ فأكرمها يعذب على لساني ذكرك ، ولا تهنها فيصغر عندي قدرك ؛ وقد قرّبتك مع قربك . فلا تبعد قلبي من قلبك .

(١) اسمه عثمان وأبوه عيينة (عنبسة) ، وهو من ولد أبي سفيان .

(٢) هو عتبة بن أبى سفيان ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب تولى إمارة مصر من قبل أخيه معاوية . فقدمها في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين هجرية . وجعل على شرطته زكريا بن جهم . وأقام أشهراً ثم وفد على أخيه بوفد من أشراف أهل مصر .

طرائف الشعراء

عمر والأعرابي

رُويَ أن أعرابياً أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال :

ياَ عمرُ الخيرَ جُزيتَ الجنة .
اكسُ بُنيّاتي وأُمَّهُــــــنَّ .
وكن لنا من الزمان جُنَّه .
أقسم بالله لتفعـــــــلنَّ .

فقال عمر : إن لم أفعل يكون ماذا؟
قال : إذًا أبا حفص لأذهبنَّ .
قال : وإذا ذهبت يكًون ماذا؟
قال :

يكون عن حالي لتُسـألَنَّ .
يوم تكون الأعطيــات هِنّ .
وموقف المسؤول بينهنّ .
إما إلى نار وإما جــــنّه .

فبكى عمر حتى خُضبَت لحيته وقال : يا غلام ، أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره ، انا والله لا أملكَ غيره

في أنف صديقه

قال أعرابي واصفا أنف صديق له :

ان كان في آيــــــة للــه معتبــــر	فأنـــت معتـــبر فـــي كل انسان
جسم نحيف وأنف قد جفـا عظمـــا	كأنــــه جبل فـــي رأس ثعبــــان
لو كان فرعون اذ رام السمـــــاء سمـــا	فيــــه لأغنـــاه عن تشييد هامـان
اذا انبــــرى لعيون النـــاس لاح لهـــم	رأس بمصــــر وأنـــــف في خراسان

قس بن ساعدة الإيادي

قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله ﷺ ، فقال لهم : فيكم أحد من إياد؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فهل لكم علم بقس بن ساعدة الإيادي(١)؟ قالوا : هلك

(١) قُسٌّ بن ساعدة الإيادي . من حكماء العرب قبل الإسلام . توفي حوالي عام ٦٠٠م .

يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : كأني أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس على جمل أحمر ، يقول : أيها الناس! اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، أما بعد : فإن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، نجوم تغور وتمور ، ونجوم تغور ولا تمور ، وسقف ومرفوع ، ومهاد موضوع ، أقسم قس قسما ، ما كذب ولا أثم ، لئن كان في الأمر رضا ، ليكونن بعده سخط ، وما هذا بلعب ، وإن من وراء هذا لعجبا ، أقسم قس قسما ، فما كذب ولا أثم ، إن لله دينا هو أرضى من دين نحن عليه ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا . قال النبي عليه السلام : وسمعته ينشد شعرا فأيكم يحفظه؟ فقال بعضهم : أنا . فأنشده يا رسول الله؟ قال : نعم . فقال :

في الذاهبين الأوليـ ... ـن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلى ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لامحا ... له حيث صار القوم صائر

الحطيئة يهجو نفسه

ذات يوم خرج الحطيئة[1] إلى قارعة الطريق يبحث هنا وهناك بحثا عمن يهجوه فلم يجد ولما ضاق عليه ذلك كتم غيظه في صدره وأنشأ يقول :

أبت شفتاي اليوم ألا تكلما ... بشر فما أدري ما أنا قائله
أرى لي وجهاً شوه الله خلقه ... فَقُبِّحَ من وجه وقُبّح حامله

الحطيئة يهجو أمه

ذات يوم وجدته أمه جالساً شارد الذهن فأرادت أن تخفف عنه فجلست إلى جواره تسأله عن سبب شروده فانطلق كالثور الهائج بعيداً عنها وهو يصرخ فيها :

تنحي واجلس عني بعيداً ... أراح الله منك العالمين

(١) بو مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك العبسي المشهور بـ الحطيئة . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر .

ألــــم أظـــهر لـــك البغضـاء مني   وإنـــي لا أخالــــك تعقلـــين
أغـــر بـــالاً إذا استودعـــت ســـراً   وكانونـــاً علـــــى المتحدثـــين
حياتـــك مـــا علمـــت حياة سوءٍ   وموتـــك قـــد يسر الصالحـــين

هجاؤه لزوج أمه

فلما رآه زوج أمه يهجوها بهذا الهجاء المقذع خرج إليه يسأله عن سبب نهره وسبه لها ويعنفه على ذلك فصرخ في وجهه هو الآخر :

لحـــاك اللـــه ثـــم لحـــاك حقـــاً   أبـــا ولحـــاك مـــن عـــم وخال
فنعـــم الشيـــخ أنـــت لدى المخازي   وبئـــس الشيخ أنت لدى المعالـي
جمعـــت اللـــؤم لا حـــياك ربـــي   وأبـــواب السفاهـــة والضـــلال

هجاؤه لضيفه

وسلـــم مرتين فقلت مهلاً   كفتـــك المرّة الأولى السلام
ونقنق بطنه ودعا رؤوســـاً   لما قد نال مـــن شبـــعٍ ونا

آخر شعره

كان آخر ما قال الحطيئة من شعر قبل وفاته في هجاء نفسه :

لا أحدَ ألأمَ . . . هجا بنيه وهجـا
مِـنْ . . . المرية حطيئة
من لؤمه مات على فُرَيَّه

الحطيئة وأعرابي

وقال أعرابيٌّ للحُطيئة : ما عندكَ يا راعي الغنم؟
قال : عجراء[1] من سَلم
قال : إني ضَيفٌ
قال : للضِّيفان أعددتُها

---

(١) أي عصاة غليظة .

عمر بن الخطاب والحطيئة

ذكرت الرواة : أن الزبرقان بن بدر[١] استعدى على الحطيئة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : هجاني بقوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر : ما أرى هذا هجاءً ؛ وكان أعلم بذلك من كل أحد ، ولكنه أراد درء الحدود بالشبهات . فقال الزبرقان : هذا حسان بن ثابت . فقال : علي بحسان ، فأنشده الشعر . فقال : ما هجاه يا أمير المؤمنين ولكن سلح عليه ! فأحضر الحطيئة ، وقال : هات الشفرة أقطع لسانه؟ فاستشفع فيه فحبسه ، فكتب إليه من الحبس :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجر

غادرت كاسبهم في قعرٍ مظلمة فاغفر هداك مليك الناس يا عمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشر

لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها لكن لأنفسهم كانت لها الأُثر

فبكى عمر وأحضره . فقال : قد والله يا أمير المؤمنين هجوت أبي وامرأتي وأمي . قال : وكيف ذلك؟ قال قلت لأبي :

ولقد رأيتك في المنام فسؤتني وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت لأمي :

تنحّي فاجلسي مني بعيداً أراح اللّه منك العالمين

أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانوناً على المتحدّثين

وقلت لامرأتي :

أطوّف ما أُطوّف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكاع

واطلعت في بئر فرأيت وجهي قبيحاً فقلت :

أبت شفتاي اليوم إلاّ تكلّما بسوءٍ فلا أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجهاً قبّح اللّه خلقه فقبّح من وجهٍ وقبّح حامله

فتبسم عمر ، وقال : فإن عفونا عنك ، أتهجو بعدها أحداً؟ قال : لا يا أمير

---

(١) هو : الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي . يكنى أبا عياش ، وقيل : أبو شذرة ، واسمه الحصين . أحد رجال وفد بني تميم الذين وفدوا على الرسول في عام الوفود .

المؤمنين ، وعلي بذلك عهد الله ! فقال : لكأني بفتىً من قريش قد نصب لك نمرقة ، فاتكأت عليها ، وأقبلت تنشده في أعراض المسلمين . قال : أعوذ بالله يا أمير المؤمنين .

قال بعض الرواة : فو الله لقد رأيته عند عبيد الله بن زياد على الحال التي ذكر عمر ، فقلت له : لكأن أمير المؤمنين عمر كان حاضراً لك اليوم ، فتأوه . وقال : رحم الله ذلك المرء ، فما أصدق فراسته !

ربيعة بن عامر «المسكين»[(١)]

قال أبو عمر الشيباني : وإنما لقب مسكيناً لقوله :

أنا مسكين لمن أنكرني ولمن يعرفني جد نطق
لا أبيع الناس عرضي إنني لو أبيع الناس عرضي لنفق

وقال بعد أن مضت عليه الكلمة . .

وسميت مسكيناً وكانت لجاجةً وإني لمسكدين إلى الله راغب

الفرزدق والمسكين

كان مسكين شاعراً مجيداً سيداً شريفاً ، وكان بينه وبين الفرزدق[(٢)] مهاجاةٌ ، وذلك أنه لما هلك زياد رثاه مسكين فقال :

رأيت زيادة الإسلام ولّت جهاراً حين فارقها زياد

فبلغ ذلك الفرزدق ، فقال :

أمسكين أبكى الله عينيك إنما جرى في ضلال دمعها فتحدرا
أتبكي أمراً من آل ميسان كافراً ككسرى على عداته أو كقيصرا
أقول له لما أتاني نعيه به لا بظبي بالصريمة أعفرا

---

(١) هو ربيعة بن عامر ابن أنيف بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، الملقب بمسكينٍ ، وهو شاعر عربي من العصر الأموي .

(٢) الفرزدق شاعر من شعراء العصر الأموي واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكنيته ابو فراس وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه ومعناها الرغيف ، ولد الفرزدق في كاظمة لبني تميم ، اشتهر بشعر المدح والفخر وشعر الهجاء .

فقال مسكين :

ألا أيها المرء الـذي لسـت قائمـاً ولا قاعـداً في القوم إلا انبرى ليا
فجئنـي بعـم مثـل عمي أو أب كمثـل أبي أو خال صدق كخاليا
بعمرو بن عمرو أو زرارة ذي النـدى سمـوت به حتى فرعت الروابيا

فدخل بينهما شيوخ بني عبد الله وبني مجاشع فتكافا . وقال الفرزدق : نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً : نجوت من زياد حين طلبني ، ونجوت من ابني رميلة وقد نذرا دمي ، وما فاتهما أحد طلباه ، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي ، لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدم شطر حسبي ، لأنه من بحبوحة نسبي وأشراف عشيرتي ، فكان جرير حينئذٍ ينتصف مني بيدي ولساني .

معاوية والمسكين

كان يزيد بن معاوية[1] يؤثر مسكيناً الدارمي ، ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه ، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك وخاف ألا يوافقه عليه الناس ، لحسن البقية فيهم ، وكثرة من يرشح للخلافة ، وبلغه في ذلك ذرء وكلام كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر ، فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أمية ، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه ، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس في مجلسه ، فمثل بين يديه وأنشأ يقول :

إن أدع مسكينـاً فإنـي ابن معشـر مـن النـاس أحمي عنهم وأذود
إليـك أمـير المؤمنـين رحلتهـا تثيـر القطـا ليلاً وهن هجـود
وهاجـرة ظلـت كـأن ظباءهـا إذا مـا اتقتهـا بالقرون سجـود
ألا ليـت شعـري ما يقول ابن عامر ومـروان أم ماذا يقول سعـيـد؟
بنـي خلفـاء اللـه مهلاً فإنمـا يبوئهـا الرحمـن حيث يريد
إذا المنبـر الغربـي خـلاه ربـه فـإن أميـر المؤمنين يزيـد

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي ، . ولد في خلافة الصحابي عثمان بن عفان في عام ٢٦ للهجرة . في قرية الماطرون وأمه هي ميسون بنت بحدل الكلبية ، طلقها معاوية فيما بعد . عاش فترة من حياته في البادية بين أخواله .

فقال له معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين ، ونستخير الله . قال : ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة ، وذلك الذي أراده يزيد ليعلم ما عندهم ، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته .

ربيعة بن عامر يروج لـ« الخُمُر السوداء »!

إن أول إعلان في التاريخ كان في شكل بيت من الشعر نظمه الشاعر ربيعة بن عامر الملقب بالدرامي . . فقد حضر إليه أحد التجار يشكو نفاذ كل الخُمُر التي يبيعها عدا السوداء فلم يشترها أحد منه . . فنظم الشاعر قصيدة وأرسلها لأحد الشعراء ليتغنى بها . . جاء فيها :

قل للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حتى وقفت له بباب المسجد
ردي عليه صلاته وصيامه ... لا تقتليه بحق دين محمد

ولما انتشرت هذه القصيدة لم تبق واحدة لم تشتر خماراً أسود فنفذت كل الخمارات لدى التاجر بل يقال إنه باعها بسعر مرتفع !!

جرير

عندما ولد جرير وضعته أمه لسبعة أشهر من حملها ، ورأت رؤيا مفزعة فذهبت إلى العراف حتى يفسر الرؤيا فعادت تقول :

قصصتُ رؤياي على ذاك الرّجل ... فقال لي قولاً ، وليت لم يقل
لتَلِدنّ عضلة من العضل ... ذا منطق جزلٍ إذا قال فصل

الفرزدق

سمي بالفرزدق لضخامة وتجهم وجهه . ومعنى الفرزدق ، هو الرغيف وواحدته فَرَزْدَقَة ، وأصل الكلمة بالفارسية «بَرأزَدْه» . ويعد الفرزدق من شعراء الطبقة الأولى ، وهو وأبوه قثراء ومن نبلاء قومه وسادتهم بنو تميم ومن أكثر الشعراء ، يقال أنه لم يكن يجلس لوجبة وحده أبدا ، وكان يجير من استجار بقبر أبيه ، وجده صعصعة كان محيي الموؤودات وهن البنات التي كانت تدفن قبل الإسلام في الجاهلية . كان الفرزدق كثير الهجاء ، إذ أنَّه اشتهر بالنقائض التي بينه وبين جرير الشاعر حيث

تبادل الهجاء هو وجرير طيلة نصف قرن حتى توفي ورثاه جرير . تنقل بين الأمراء والولاة يمدحهم ثم يهجوهم ثم يمدحهم .

كان جرير[١] والفرزدق أصدقاء قريبين من بعضهم البعض إلا في الشعر . فكان الناس يرونهم يمشون في الأسواق مع بعضهم البعض ولكن عندما يأتي الشعر فكل منهم له طريقته وعداوته للآخر ، انتهى تبادل الهجاء بينه وبين جرير عند وفاة الفرزدق وعند وفاته رثاه في قصيدته المشهورة .

الأعرابي وجرير

عن ابن الكلبي قال : دخل رجل من بني عذرة على عبد الملك بن مروان[٢] يمتدحه بقصيدة وعنده الشعراء الثلاثة ، جرير والفرزدق والأخطل ، فلم يعرفهم الأعرابي . فقال عبد الملك للأعرابي : هل تعرف أهجى بيت قالته العرب في الإسلام؟ قال : نعم ! قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف أمدح بيت قيل في الاسلام؟

قال نعم ! قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فقال : أحسنت ، فهل تعرف أرق بيت قيل في الإسلام؟

قال : نعم ! قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف جريرا؟

قال : لا والله ، وإني إلى رؤيته لمشتاق .

---

(١) جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي شاعر من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد ، ولد في بادية نجد من أشهر شعراء العرب في فن الهجاء وكان بارعًا في المدح أيضًا .

(٢) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

قال : فهذا جرير وهذا الفرزدق وهذا الأخطل !!

فأنشأ الأعرابي يقول :

فحيـا الإلـه أبا حــرزة ... وأرغـم أنفـك يا أخطـل

وجـد الفرزدق أتعـس به ... ورق خياشيمـه الجنـدل

فأنشأ الفرزدق يقول :

يا أرغـم الله أنفـا أنـت حاملـه ... يـا ذا الخنـا ومقال الزور والخطل

ما أنت بالحكم التي ترضى حكومتـه ... ولا الأصيـل ولا ذي الرأي والجدل

ثم أنشأ الأخطل يقول :

يا شـر من حملت ساق على قـدم ... ما مثـل قولك في الأقوام يحتمل

إن الحكومة ليست فـي أبيـك ولا ... في معشر أنـت منهم إنهم سفـل

فقام جرير مغضبا وقال :

أتشتمـان سفاهـا خيركـم حسبا ... ففيكمـا - وإلهي - الزور والخطل

أ شتمتـاه علـى رفعي ووضعكمـا ... لا زلتمـا في سفال أيهـا السفل

ثم وثب جرير فقبل رأس الأعرابي وقال : يا أمير المؤمنين جائزتي له ، وكانت خمسة آلاف ، فقال عبد الملك : وله مثلها من مالي ، فقبض الأعرابي ذلك كله وخرج .

محاورة الفرزدق مع بعض الأعراب

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حاتم ، عَنِ الأصمعي ، عَنْ أبيِ عمرو بن العلاء[1] ، قَالَ : قيل للفرزدق ، إن هاهنا أعرابياً قريبًا منك ينشد شعراً ، فقَالَ : إن هذا لقائفُ أو لخائن ، فأتاه فقَالَ : مّمن الرجل؟ فقَالَ : رجل من فقعس ، قَالَ : كيف تركت القنان؟ قَالَ : تركته يساير لصاف ، فقلت : ما أراد الفقعسيّ ، والفرزدق؟ قَالَ : أراد الفرزدق قول الشاعر :

ضمـن القنان لفقعـسٍ سوآتهـا ... إن القنـان بفقعـسٍ لمعـمّر

(١) بو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين المازني التميمي البصري أحد القراء السبعة . قال ابن خلكان : كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب .

قلت : فما أراد الفقعسيّ بقوله يساير لصاف ، قَالَ : أراد قول الشاعر :

وإذا يسرّك من تميم خصلةٌ فلما يسوءك من تميم أكثر
قد كنت أحسبهم أسود خفيّة فإذا لصاف تبيض فيه الحمّر
أكلت أسيدُ والهجيم ودارمٌ أير الحمار وخصيتيه العنبر
ذهبت فشيشة بالأباعر حولنا سرقاً فصبّ عَلَى فشيشة أبجر

قَالَ : ويروى هرباً

قَالَ : وأملى علينا أَبُو بَكْرِ محمد بن السّريّ السّرّاج :

إذا شئت آداني صرومٌ مشيعٌ معي وعقامٌ تتّقى الفحل مقلت
يطوف بها من جانبيها ويتّقى بها الشمس حيٌّ فِي الأكارع ميت

رسالة مع الفرزدق

مرّ الفرزدق بقوم يجلسون ويتسامرون فأنضم إليهم وبعد قليل قال له عنبسة مولى عثمان ابن عفان :

يا أبا فراس متى تذهب إلى الآخرة؟

فقال له : وما شأنك أنت؟

قال : لأني أريد أن أكتب رسالة إلى أبي وتوصلها له .

فقال له : لستُ ذاهباً إلى النار !

هشام والفرزدق:

قال هشام بن القاسم : جمعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : من الكهل؟

قال : وما تعرفني؟ قلت : لا! قال : أبو فراس . قلت : ومن أبو فراس قال : الفرزدق .

قلت : ومن الفرزدق؟ قال : وما تعرف الفرزدق؟ قلت : لا أعرف الفرزدق إلا شيئا يفعله النساء عندنا يتشهّون به كهيئة السويق . قال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم يتشهون بي!

الرد اللاذع

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة يضحكون ، فقال : يا أبا فراس ، أتدري مِمّ يضحكون؟ قال : لا أدري . قال : من جفائك . قال : أصلح الله الأمير . حججت فإذا رجل على عاتقه الأيمن صبي ، وامرأة اخذة بمئزره وهو يقول :

أنـــت وهبــــــت زائـــدا ومزيـــــــدا   وكهلـــة أولـــج فيهـــا الأجـــردا!

وهي تقول : إذا شئت . فسألت : ممن الرجل؟ قال : من الأشعريين . فأنا أجفي من ذلك الرجل؟ قال : لا حياك الله! فقد علمت أنا لا نفلت منك .

أشعر العرب

أخبر أبو عبيدة قال : قدم الفرزدق المدينة في إمارة «أبان بن عثمان»[١] قال : فإني والفرزدق وكثير عزة لجلوس في المسجد نتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلام ، فقصد نحونا فلم يسلم وقال : أيكم الفرزدق؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له . فقال له : من أنت؟ قال : رجل من الأنصار ثم من بني النجار ، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم ، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وقد قال شاعرنا «حسان بن ثابت»[٢] شعرًا فأردت أن أعرضه عليك ، وأؤجلك سنة ، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب كما قيل ، وإلا فأنت منتحل كذاب ، ثم أنشده :

ألم تسال الربع الجديد التكلما

حتى بلغ إلى قوله :

وأبقـــى لنـــا مـــر الحـــروب ورزؤهـا   سيوفًـــا وأدراعـــا وجمعـــا عرمرما

حتى آخر القصيدة ، حيث قال :

لَنـــا الجَفَنـــاتُ الغُرُّ يلمعنَ بالضّحى   وأسيافنـــا يقطـــرنَ مـــن نجدة دما

---

(١) أبان بن عثمان بن عفان الأموي القرشي أبوعبد الله أو أبو سعيد كان من فقهاء التابعين وعلمائهم ، أمير المدينة . أول من كتب في السيرة النبوية . وهو ابن الخليفة عثمان .

(٢) حسان بن ثابت الأنصاري شاعر عربي وصحابي من الأنصار ، ينتمي إلى قبيلة الخزرج من أهل المدينة ، كما كان شاعرًا معتبرًا يفد على ملوك آل غسان في الشام قبل إسلامه ، ثم أسلم وصار شاعر الرسول بعد الهجرة . توفي أثناء خلافة علي بن أبي طالب بين عامي ٣٥ و٤٠ هـ .

مَتـــى ما تَزِنّـــا مـــن معَـــدٍّ بعُصْبَـة   وغســـانَ ، نمنـــعْ حوضنا أن يهدما
بكــــلّ فتى عاري الأشاجع ، لاحــهُ   قِرَاعُ الكماة ، يرْشحُ المِسكَ والدمـا
إذا استدبرتنـــا الشمـــسُ دَرتْ متوننا   كأنّ عرُوقَ الجوْفِ ينضَحن عَندمـا
نســـودُ ذا المـــالِ القليلِ ، إذا بـــدتْ   مروءتهُ فينـا ، وإن كـــانَ معدمـــا
ألسنـــا نردُّ الكبشَ عن طية الهـــوى   ونقلـــبُ مـــرانَ الوشيـــج محطما
أبَـــى فعلُـــنا المعرُوف أن ننطقَ الخنا   وقائلنـــا بالعـــــرف إلا تكلمـــا
وَلدْنا بَني العنْقـاءِ وابنـــيْ مُحـــرِّقٍ   فأكــرمْ بنـا خلالاً وأكرمْ بنا ابنما
إلى آخر القصيدة

وقال له : قد أجلتك في جوابها حولا ، ثم انصرف وانصرف الفرزدق مغضبًا يسحب رداءه ، وما يدري أي طريق يسلك ، حتى خرج من المسجد ، فأقبل على «كثير» فقال : قاتل الله الأنصاري ما أفصح لهجته وأوضح حجته وأجود شعره ، قال : فلم نزل في حديث الأنصاري بقية يومنا ، ثم توجهت إلى منزلي ، فأخذت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر ، فأرتج علي ، فكأني لم اقل شعرًا قط!؟ حتى إذا نادى المنادي بالفجر وامتطيت ناقتي أقصد جبل المدينة وبغتة صحت صيحة مدوية ، فجاش صدري كما يجيش المرجل ، فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتًا من الشعر . فبينما هو ينشد إذ طلع الأنصاري وسلم علينا وقال له الفرزدق :

عزفـــت بأعشــاش وما كنت تعزف   وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف
ولـــج بـــك الهجران حتـــى كأنمـا   ترى الموت في البيت الذي كنت تألف

حتى بلغ إلى القول :

ترى النـــاس ما سرنـا يسيرون خلفنا   وإن نحـــن أومأنا إلى الناس وقفوا

وانشدها الفرزدق حتى بلغ آخرها .

فقام الأنصاري كئيبًا . . . قال محمد بن إبراهيم : فأقبلت عليه أكلمه أنا وكثير ، فلما أكثرنا عليه . قال : اذهبوا! فقد وهبتكم لهذا القرشي .

دهقان يتحدى الفرزدق

روى الأصمعي أن الفرزدق قال : ما أعياني جواب أحد كما أعياني جواب دهقان ذات مرة فقد سألني : أنت الفرزدق الشاعر؟ قلت : نعم . قال : فهل أموت أن أنت هجوتني . قلت : لا قال : وهل تموت عيشونة ابنتي؟ قلت : لا . قال فرجلي إلى

عنقي في حر أمك إذن . فقلت له : ولماذا تركت رأسك خارجا؟ قال : حتى أنظر أي شيء تصنع بعد ذلك؟

بين جرير والفرزدق

كان مالك بن الأخطل[1] قد بعثه أبوه ليسمع شعر جرير والفرزدق ، فسأله أبوه عنهما فقال : جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر . فقال :

الذي يغرف من بحر أشعرهما .

لما قدم الفرزدق الشام قال له جرير- وكان هنالك- ما ظننت إنك تقدم بلدا أنا فيه! فقال الفرزدق : إني طالما خالفت رأي العجزة .

قيل لعقيل بن علّفة : لم لا تطيل الهجاء؟ قال : «يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق» هذا الفرزدق وكان مستهترا بالنساء ، وكان زير غوان ، وهو في ذلك ليس له بيت واحد في النسيب مذكور ، مع حسده لجرير . وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط ، وهو مع ذلك أغزل الناس شعرا .

لم يفسد حجه

بصر الفرزدق بجرير محرما فقال : والله لأفسدن على ابن المراغة حجّه .

ثم جاءه مستقبلا له ، وقال :

إنك لاق بالمشاعر من منىّ . . . فخارا فخبرني بمن أنت فاخر

فقال جرير : لبيك اللهم لبيك . ولم يجب

عجوز سبأ وعجوز مضر

نظر الفرزدق إلى شيخ من اليمن فقال : كأنه عجوز سبأ! فقال له الشيخ : عجوز سبأ خير من عجوز مضر ، تلك (وهي بلقيس عجوز سبأ) ﴿قَالَتْ رَبِّ أني ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سليمان لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وهذه (وهي امرأة أبي لهب عجوز مضر) حمَّالة الحطب ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ .

---

(١) مالك ابن الشاعر الأموي الأخطل التغلبي .

تخاطر الفرزدق وجرير

من طرائف التخاطر وإصابة المعاني بين جرير والفرزدق ، أن الفرزدق كان يجوز البادية ، فاحتال على امرأة فواثبها يريد اغتصابها وكان فاسقاً ، فضربته المرأة وفرت إلى قومها .

فقال الفرزدق لراويته : أسرع قبل أن يأتينا قومها ، فو الله كأني بجرير قد بلغه الخبر فقال :

وكنت إذا نزلت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا

فلما جاء قوم المرأة سألوا عنه فقيل لهم أنه الفرزدق

فلما وصل الفرزدق البصرة وجد جريراً قد بلغه الخبر ، فكتب قصيدة قال فيها هذا البيت .

وهكذا أدرك الفرزدق ما كان جرير سيقول فيه قبل وصوله .

الغالب في مدح نفسه

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل في مجلس عبدالملك فأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار ، وقال لهم : ليقل كلٌ منكم بيتاً في مدح نفسه ، فأيكم غلب فله الكيس .

فبدأ الفرزدق وقال :

أنا القطرانُ والشعراءُ جربى وفي القطرانِ للجربىَ شفاءُ

فقال الأخطل :

فإن تكُ زِقّ زاملةٍ فإني أنا الطاعونُ ليس له دواءُ

فقال جرير :

أنا الموت الذي آتي عليكمُ فليس لهاربٍ منّي نجاء

فقال عبد الملك : خذ الكيس ، فلعمري إن الموت أتى على كل شيء .

جرير والراعي النميري

تبادل جرير والفرزدق الهجاء أكثر من أربعين سنة ، وكان كثير من الشعراء ينزلق في هذه المناظرة مؤيدا شاعرا على الآخر ، وهذا ما حدث للراعي النميري حيث انحاز إلى الفرزدق على حساب جرير حيث قال :

يا صاحبـــي دنـــا الرواح فسيـــــرا   غلـــب الفرزدق في الهجاء جريـرا

فلم يمهله جرير كثيرا بل أعد له في اليوم التالي قصيدة تتكون من ٩٧ بيت من الشعر ، فأتي سوق المربد بعد أن احتل الناس مراكزهم واسرج ناقته عند مجلس الفرزدق والراعي النميري وألقي قصيدته ، ويطلق عليها الدامغة منها :

أعـــد اللـــه للشعـــــراء منـــــــي   صواعـــق يخضعـــون لهـــا الرقابا
أنـــــا البـــازي المـــدل علـــى نميــر   اتحـــت مـــن السماء لها انصبابـا
إذا علقـــــت مخالـــبه بقـــــــرن   أصـــاب القلـــب أوهتـك الحجابا
تـــــري الطيـــــر العتاق تظل منـــه   جوانـــح للكلاكـــل ان تصابـــا
فـــلا صلـــي الإلـــه علـــي نميــــر   ولا سقيـــت قبورهـــــم السحابا
ولـــو وزنـــت حلـــوم بنـــي نميـــر   علـــي الميـــزان مـــا بلغـــت ذبابا
ستهـــدم حائطـــي قرمـــاء منـــــي   قـــواف لا اريـــــد بـــها عتابـــا
أعـــد لهـــم مواســـــم حاميـــات   فيشفـــي حـــر شعلتهـــا الجرابـا
فغـــض الطـــرف انـــك مـــن نميـــر   فـــلا كعـــب بلغـــت ولا كلابـا
أتعـــدل دمنـــة قلـــت وخبثـــــت   إلـــي فرعـــين قـــد كثـــرا وطابـا
اذا غضبـــت عليـــك بـــنـــو تميـــم   حسبـــت النـــاس كلهم غضابـــا
لنـــا البطحـــاء تفعمـــها السواقـــي   ولـــم يك سيل أوديتـــي شعابـــا
ستعلـم مـــن أعـــز حمـــي بنجـــد   وأعظمنـــا بغائرهـــــا هضابـــــا
شياطـــين البـــــلاد يخفـــن زأري   وحيـــة أريحـــاء لـــي استجابـــا
إليـــك إليـــك عبـــد بنـــي نميـــر   ولمـــا تقتـــدح منـــــي شهابـــا

جرير وسراقة وبشر بن مروان

كان بشر بن مروان والياً على العراق وقد كان يشعل ويضرم نيران المعركة الكلامية الدائرة بين الشعراء يقرب أحجهم حينا ويبعده حينا آخر حسب ما تقتضيه السياسة . . . وهنا أراد أن يقلل من شأن جرير فطرح جائزة كبيرة لدى الشعراء لمن يهجو جرير ويعجزه عن الرد فتقدم سراقة البارقي وقدم هذه القصيدة . . .

أبلـــغ تميمـــا غثهـــا وسمينهـــا   والحكـــم يقصـــد مـــرة ويجـــور
ذهـــب الفـــرزدق بالفضائـــل كلهـــا   وابـــن المراغـــة مقعـــد محســـور
إن الفـــرزدق عرقـــــت أعراقـــــه   عفـــوا وغـــودر فـــي الغبار جريـر

ما كنت أول محمر قعدت به مسعاته إن اللئيم عثور
هذا قضاء البارقي وإنه بالميل في ميزانكم لبصير
فرد عليه جرير
يا بشر حق لوجهك التبشر هلا غضبت لنا وأنت أمير
بشر أبو المروان إن عاسرته عسر وعند يساره ميسور
إن الكريه ينصر الكرم ابنها وابن اللئيمة للئام عثور
قد كان حقك أن تقول لبارق يا آل بارق في سب جرير
يعطي النساء مهورهن كرامة ونساء بارق ما لهن مهور
وكسحت يأمتك للفجار وبارق شيخان أعمى مقعد وكبير
فصمت سراقة وبشر ولم يقدرا على الرد على جرير .

الأخطل

رُويَ أن سليمان بن عبد الملك(١) سأل عمر بن عبد العزيز(٢) : أجرير أشعر أم الأخطل؟ فقال له اعفني . قال : والله لا أعفيك . قال : إن الأخطل ضيّق عليه كفرُهُ ، وإن جريراً وسّع عليه إسلامه قوله ، وقد بلغ الأخطل منه حيث رأيت فقال له سليمان : فضّلتُ والله الأخطل .

وسأل هارون الرشَيد(٣) جماعة من جلسائه وأهله : أيُّ بيت مُدِحَ به الخلفاء منّا ومن بني أميّة أفخر؟ فقالوا وأكثروا . فقال الرشيد أمدح بيت وأفخره قول ابن

(١) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، الخليفة الأموي السابع ، وهو يعد من خلفاء بني أمية الأقوياء ، ولد ب دمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٩٦هـ . ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور .

(٢) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، هو ثامن الخلفاء الأمويين . ولد سنة ٦١هـ في المدينة المنورة ، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب ، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة ، وكان شديد الإقبال على طلب العلم .

(٣) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين .حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م .ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

النصرانية في عبد الملك (يعني الأخطل) :

شمس العداوةِ حتى يُسْتَقادُ لهم وأعظم الناس أحلاماً ، إذا قدروا

وقال عنه جرير : ابن النصرانية أرمانا للفرائص وأمدحنا للملوك وأوصفنا للخمر والحمر . ثم قال ما هُجينا بقول أشدّ علينا من قول الأخطل :

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كَلْبَهُمُ قالوا لأمّهم بولي على النار

وقال الفرزدق فيه يوم سأله ضوء بن اللجلاج في الكوفة : مَنْ أمدحُ أهل الإسلام؟ قال : الأخطل أمدح العرب . وجوابه لعبد الملك بن مروان حين سأله : مَنْ أشعر الناس في الإسلام؟ قال الفرزدق : كفاكَ بابن النصرانية إذا مَدَحْ .

من ألقاب الأخطل

حسب ما وردَ فقد سُمّيَ بالأخطل لأن اثنان تحاكما إليه وهما ابنيّ جُعَيل ليحكم بينهما أيّهما أشعر فأجابهما شعِراً :

لعمرك إنّني وابني جُعَيل وأمّهما لأستارٌ لئيم

أستار : كلمة فارسية معناها أربعة

فقيل له أن هذا الخَطَل من قولك (وفي اللغة أخطل في كلامه : أتى بكلام فاسد) والأخطل جمع خُطْل : طويل الأذنين مُستَرْخيهما . فسُمّيَ بالأخطل فمن الثابت أن الرعونة والبذاءة وسلاطة اللسان كانت الدافع لتلقيبه بالأخطل .

ويلقب أيضا بدوبل : ذكر المؤرخون أن أمّه لقّبته في طفولته (بدوبل) والدوبل هو ذكر الخنزير أو الحمار القصير الذَنَب ، لكنه لم يتقبّل هذا اللقب فهجاه قائلاً :

بكى دوبلٌ ، لا يَرقى الله دمعه ألا إنما يبكي منَ الذُلِّ دوبَلُ

لقّبه جرير بذي العباية في قصيدة يهجوه فيها حين أُسِرَ في يوم البشر وكانت عليه عباءة قذرة وفي ذلك يقول جرير :

يا ذا العباية ، إنّ بشراً قد قضى ألاّ تجوزَ حكومة النسوان

ذو الصليب : لُقِّبَ أيضاً بذي الصليب ، فقد وردَ في قاموس المحيط للفيروزآبادي أن (ذو الصليب لقب الأخطل التغلبي) وقال الأب لويس شيخو في كتابه شعراء النصرانية بعد الإسلام ، أنّ أمّ الأخطل علّقَت على صدره صليباً ، لم ينزعه حتى كهولته وحتى عند دخوله على الخلفاء فعُرِفَ لذلك (بذي الصّليب) .

الأخطل في بلاط بني أمية

عندما طلب يزيد بن معاوية من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار رفض وقال له سأدلك على غلام منَّا نصراني ، لا يُبالي أن يهجوهم ، كأن لسانه لسان ثور قال : مَنْ؟ قال (الأخطل) . عندها أخذ لنفسه ضمانة من يزيد بن معاوية تجعله في مأمن إذا ما تعرّض للأخطار ، فقال يزيد : لا تخف شيئاً ، لك ذمة أمير المؤمنين وذمّتي ، فأنشد الأخطل قصيدته التي مطلعها :

ذهبتْ قريشٌ بالسّماحة والنَّدى ... واللؤم تحتَ عمائم الأنصارِ
فدعوا المكارمَ لستم من أهلها ... وخذوا مساحِيَكُم بني النجَّارِ
إن الفوارسَ يعرفون ظُهورَكم ... أولادَ كُلِّ مُسَفَّح أكَّارِ
وإذا نسَبْتَ ابنَ الفريعة خلتهُ ... كالجحشِ بينَ حمارةٍ وحمارِ

وعندما وصل الأمر إلى النعمان بن بشير الأنصاري ، جاء إلى معاوية بن أبي سفيان يُبلغه بالقصيدة التي قالها الأخطل ، فطلب من معاوية قطع لسان الأخطل فقال له : لك ذلك وطلب أن يؤتى به ، فأسرع الأخطل إلى يزيد وقال له : هذا الذي كنت أخافه . فطمأنه يزيد فدخل إلى معاوية وطلب العفو له ، وطلب من النعمان البيّنة على ما يقول ، فلما عجز عن الإتيان بها ، خلّى معاوية سبيله .

الأخطل والخليفة

دخل الأخطل يوماً على الخليفة عبد الملك ابن مروان فاستنشده ، فقال الأخطل : قد يبس حلقي فمر من يسقيني .

فقال عبد الملك : اسقوه ماء . فقال الاخطل : إنه شراب الحمار .

فقال عبد الملك : فاسقوه لبناً ، فقال : عن اللبن فطمت ،

فقال : فاسقوه عسلاً . فقال الاخطل : شرابِ المريض .

فقال عبد الملك : إذن تريد ماذا؟ قال : خمراً يا أمير المؤمنين .

قال : أو عهدتني أسقي الخمر ، لا أم لك . لولا حرمتك بنا لفعلت بك ما فعلت .

فخرج الأخطل فلقي فراشاً لعبد الملك فقال : ويلك إن أمير المؤمنين استنشدني فبح صوتي فاسقني شربة خمر فسقاه .

فقال : اعدله بآخر فسقاه آخر .

فقال :تركتهما يعتركان في بطني . اسقني ثالثاً . فسقاه ثالثاً
فقال : تركتني أمشي على واحد . اعدل ميلي برابع . فسقاه رابعاً
فدخل على عبد الملك وانشده قصيدته التي مطلعها :
خــفّ القطــين فراحوا منك وابتكروا   فأزعجتهـــم نـــوىً في صرفها غيرُ
فقال عبد الملك : خذ بيده يا غُلام فأخرجه ، ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره ، وأحسن جائزته وقال : إن لكل قومٍ شاعراً ، أن شاعر بني أمَيَّة الأخطل .

دعوة للدخول في الإسلام

رويَ أن عبـد الملك قـال له يومـاً : لِمَ لا تُسْلِمْ يا أخطل؟ قـال : إن أحللتَ لي الخمر ، ووضعتَ عني صوم رمضان أسلمت ، فقال له عبد الملك : إن أسلمتَ ثم قصّرتَ في شيء من الإسلام ضربتُ عنقك . فقال الأخطل :
ولســـتً بصائـــم رمضـــانَ ، يومـــاً   ولســـتُ بآكـــل لحـمَ الأضــاحي
ولســـتُ بقائــــمٍ كالعيـــرِ يدعـــو   قُبَيْـــلَ الصّبـــح حيٍّ على الفلاحِ
ولكنّـــــي سأشربُهـّــــا شمـــــولاً   واسجــدُ عنـــدَ منبلـج الصّبـــاحِ
وقيل أنه كان يدخل على عبد الملك ويقول :
إذا مـــا نديمـــي علنـــي ثـم علنـــي   ثـــلاث زجاجـــات لهـــن هديـــر
خرجـــت أجـــر الذيل تيهاً كأننـــي   عليـــك أمـــير المؤمنـــين أميـــر

رأي صريح

دعا الأعور بن بنان التغلبي الشاعر الأخطل إلى منزله ، وكان منزلا منجدا بالفرش الجميلة والأثاث الزاهية ، وكانت له زوجة في غاية الحسن والجمال ، فقال يسأل الأخطل :
يا أبا مالك إنّك تدخل على كبار القوم في مجالسهم
فهل ترى في بيتي عيباً؟
فأجابه الأخطل :
ما أرى في بيتك عيباً غيرك .

عمر بن أبي ربيعة

يُعتَبَر عمر[1] رائد القصّة الغزلية الإباحية التي يروي فيها مغامراته مع عددٍ من النساء ، وعُرِفَ بتنقّله من امرأة إلى أخرى ، ويمتاز شعره بالعذوبة والرّقة والسّلاسة ، حتى قيل فيه : شعره الفُستق المُقشّر .

أشهر قصائده الغزلية ، رائيتُه التي مطلعها :

أَمِن آلِ نعم أنتَ غادٍ فمُكبِرُ　　غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ

وعندما سمعهاً جرير ، أُعجِبَ بها ، وقال : ظلّ هذا المخزومي يهذي حتى قال الشعر .

كان يعتمر ويلبس الحلل والوشي ويركب النجائب المخضوبة بالحناء ، عليها القطوع والدّيباج . ويلقى الحاجّات من الشام والمدينة والعراق فيتعرّف بهنّ ، ويرافقهن ، ويتشبّب بهن ويروي طرفًا من مواقفه معهن . وشاقته هذه المجالس والمعارض فتمنّى لو أن الحجّ كان مستمرًا طوال أيام السنة :

ليت ذا الدّهر كان حتمًا　　علينا كلّ يومين حجة واعتمارا

مجونه وتشبيبه بالنساء

لم يكن في قريش أشعر منه ، وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة ، وله في ذلك حكايات مشهورة . وكان يتغزل في شعره بالثريا ابنة علي بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية ، وقال السهيلي في الروض الأنف : هي الثريا ابنة عبد الله ، ولم يذكر علياً ، ثم قال : وقتيلة ابنة النضر جدتها ، لأنها كانت تحت الحارث بن أمية ، وعبد الله ولدها وهو والد الثريا ، وهذه قتيلة هي التي أنشدت رسول الله ، ﷺ ، عقيب وقعة بدر الأبيات القافية ، وكان قد قتل أباها النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري ، وقيل كان أخاها ، ومن جملة الأبيات :

أمحمد ولأنت ضنء نجيبةٍ　　من قومها والفحل فحلٌ معرق

---

(١) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم شاعر مخزومي قرشي ، شاعر مشهور لم يكن في قريش أشعر منه وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة ، ولقب بالعاشق ونسب هذا الاسم لمن بعده من نسله .

ما كـــان ضـــرك لـــو مننـــت وربمـــا مـــن الفـــتى وهو المغيـــظ المحنـق
فالنضـــر أقـــرب من تركت وسيلـــةً وأحقهـــم إن كـــان عتق يعتـــق

فقال عليه السلام : لو سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلته ؛ وكان شديد العداوة لرسول الله ، ﷺ ، فأسره في يوم بدر ، فلما رجع إلى المدينة أمر علي بن أبي طالب ، وقيل المقداد بن أسود بقتله ، فقتله صبراً بين يديه بالصفراء ، وهي مكان بين المدينة وبدر ؛ وهذه الأبيات من جملة أبيات مذكورة في كتاب «الحماسة» في باب المراثي .

وكانت الثريا موصوفة بالجمال ، فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، رضي الله عنه ، ونقلها إلى مصر ، فقال عمر المذكور في زواجها يضرب المثل في الثريا وسهيل النجمين المعروفين :

أيهـــا المنكـــح الثريـــا سهيـــلاً عمـــرك اللـــه كيـــف يلتقيـــان
هـــي شاميـــة إذا مـــا استقلـــت وسهيـــلٌ إذا استقـــل يمانـــي

وهذه الثريا وأختها عائشة أعتقتا الغريض المغني المشهور صاحب معبد ، واسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد ، وسمي الغريض باسم الطلع ، ويقال فيه الغريض والاغريض ، وإنما سميلنقاء لونه ، وقيل إنما سمي به لطراوته .

يروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة اعترض الناس ، فمر به رجل من أهل الشام بترس قبيح ، فقال له : يا أخا الشام ، مجن ابن أبي ربيعة أحسن من مجنك ، يريد قول ابن أبي ربيعة :

وكـــان مجنـــي دون من كنت أتقـي ثـــلاث شخوص : كاعبان ومعصر

وهذا البيت من جملة قصيدة ، وهي من ظريف شعره ، فمن جملتها :

فحييـــت إذ فاجأتهـــا فتـلـهـفـــت وكـــادت بمكتـــوم التحية تـجـهـر
وقالت وعضت بالبنان : فضحتنـــــي وأنـــت امـــرؤ ميسور أمرك أعسـر
أريتك إن هنـــا عليـــك ولـم تـخـف رقيبـــاً وحولـــي من عدوك حضـر
فواللـــه ما أدري أتعجيـــل حاجـة سرت بك أم قد نام من كنت تحذر
فقلت لها : بل قادني الشوق والهـوى إليك وما عين من النـاس تنـظـــر
فلمـــا تقضـــى الـليل إلا قـليلـــه وكـــادت توالـــي نجمـــه تـتـغـور
أشـــارت بأن الحـــي قد حان منـهـم هبـــوب ولكـــن موعد لـك عـزور
فمـــا راعنـــي إلا منـــاد بـرحلـــة وقـــد لاح مفتـر من الصبح أشقر
فلمـــا رأت مـــن قـــد تنور مـنـهـــم وأيقاظهـــم قالـت : أشر كيف تأمر

فقلـــت : أباديهــم فإمـــا أفـوتـهـــم وإمـــا أســـل السيـــف ثأراً فـيثـأر
فقالـــت : أتحقيقاً لما قـــال كـاشـــح علينـــا وتصديقـــاً لـمـــا كـان يؤثـر
وإن كـــان مـــا لا بـــد منه فـغـيـــره مـــن الأمـــر أدنى للخفاء وأستـــر
أقـــص على أختـــي بـــدء حـديثـنـا ومـــا لـــي مـــن أن يعلما متـأخـر
لعلهمـــا أن يبغيـــا لك مـخـرجـــاً وأن يرحبـــا سربـــاً بما كنت أحصر
فقالـــت لأختيهـــا : أعينا على فتـى أتـــى زائـــراً والأمـــر للأمر يقـدر
فأقبلتـــا فارتاعتـــا ثـــم قـالـتـــا : أقلـــي عليـــك اللوم فالخطب أيسر
يقـــوم فيمشـــي بيننـــا متـنـكـــراً فـــلا سرنـــا يفشـــو ولا هو يظهـر
وكـــان مجني دون من كنت أتقـــي ثـــلاث شخوص كاعبان ومعصـــر

ومن شعر عمر المذكور أيضاً :

حـــي طيفـــاً مـــن الأحبـــة زارا بعدمـــا صـــرع الكـــرى السمـارا
طارقـــا فـــي المنـام تحت دجى الليل ضنينـــاً بـــأن يـــزور نـهـــارا
قلـــت مـــا بالـــنا جـفـينـــا وكـنـــا قبـــل ذاك الأسمـــاع والأبصـــارا
قـــال إنـــا كمـــا عـهـدت ولـكـــن شغـــل الحلـــي أهلـــه أن يعـــارا

أعجزتك القافية !

وذكر أن هاشمياً قال لعمر بن أبي ربيعة : لولا بغضكم لنا يا بني مخزوم ما قلت :

بعيـــدة مهـــوى القـــرط إمّـــا لنوفلٍ أبوهـــا وإمّـــا عبد شمـسٍ وهاشم

فقدمت علينا بني نوفل وبني أمية ؛ فتوهمه ابن أبي ربيعة عاقلاً ، فقال : لا بأس بتقديم المفضول على الفاضل في اللفظ ، قال حسان بن ثابت :

ومـــا زال فـــي السادات من آل هاشم مكـــارم صـــدق لا تعـــدّ ومفخر
بهاليـــل منـــهم جعفـــر وابـــن أمّه علـــيٌّ ومنهـــم أحمـــد المتخيّـــر

وأيضاً فالشعر على الميم ، فلم يمكن في القافية ، إلا ما قلت لك . قال : فأعجزتك الحيلة؟ قال : وكيف أحتال؟ قال تقول :

بعيـــدة مهـــوى القـــرط إمّـــا لهاشم أبوهـــا وإمّا عبد شمس ونوفل ميم

فضحك وقال : وهنا لقد عجزت عن هذا .

النحافة

قال عمر بن أبي ربيعة يصف رجلاً نحيفا :

رأت رجـــلاً أما إذا الشمس عارضتْ   فيضْحـــى وأمـــا بالعشِّي فَيَخْصَرُ
أخا سفــر جــوَّاب أرض تقاذفـــت   به فلـــواتٌ فهـــو أشعـــثٌ أغبــر
قليـــلاً علـــى ظهـــر المَطِيَّـــة ظِلُّـــه   ســـوى ما نفـــى عنه الرِّداء المُحَبَّر

عمر بن أبي ربيعة والغزل

عَنْ عثمان بن إبراهيم الخاطبي ، قَالَ : أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنتين ، فانتظرته فإذا هو فِي مجلس قومه بني مخزوم حتى إذا تفرق الناس عنه دنوت منه ومعي صاحب لي ، فقَالَ لي : هل لك أن تنظر هل بقي من الغزل شيء فِي نفسه؟ فقلت : دونك ، فقَالَ : يا أبا الخطاب ، أحسن والله رسيان العذري ، فقَالَ : وفيما ذا؟ قَالَ حين يقول :

لو جـــذ بالسيـــف رأسـي فِي مودتها   لمـــال لا شـك يهوى نحوها راسي

فقَالَ عمر : أحسن والله! فقَالَ : يا أبا الخطاب ، وأحس والله بجبة بن جنادة العذري ، قَالَ : فيما ذا؟ قَالَ حين يقول :

سـرت لعينـك سلمـى عنـد مغناهـــا   فبـــت مستهليـــا من بعد مسراها
فقلـــت أهـــلاً وسهـــلاً من هداك لنا   إن كنـــت تمثالهـــا أو كنـــت إياها
تأتي الرياح التي من نحـــو بلدتكـــم   حتـــى أقـــول دنـــت منـــا برياها
وقـــد تراخـــت بنا عنها نوىً قـــذفٌ   هيهـــات مصبحها من بعد ممساها
مـــن حبهـــا أتمنـــــى أن يلاقينـــي   مـــن نحـــو بلدتهـــا نـــاع فينعاها
كيمـــا أقـــول فـــراقٌ لا لقـــاء لـــه   وتضمـــر النفـــس يأسا ثمَّ تسلاها
ولـــو تمـــوت لراعتنـــي وقلـــت لهـــا   يا بـــؤس للموت ليت الدهر أبقاها

فضحك عمر ، وقَالَ : أحسن ويحه والله! للقد هيجتم عَلَى ما كان مني ساكنا ، لأحدثنكم حديثا حلوًا : أنا منذ أعوام جالسٌ إذ أتاني خالدُ الخريت ، فقَالَ : يا أبا الخطاب ، مرَّ قبيلاً أربع يردن كذا وكذًا من مكة ولم أر مثلهن قط ، فهل لك تأتي متنكراً فتسمع من حديثهن ولا يعلمن؟ قلت : ويحك! وكيف لي بأن يخفى ذلك؟ قَالَ : تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس عَلَى قعود حتى تهجم عليهن .

قَالَ : فجلست عَلَى قعود ثم أتيتهن وسلمت عليهن ، فسألنني أن أحدثهن

وأنشدهن ، فأنشدتهن لكثير وجميل وغيرهما ، فقلن : يا أعرابي ، ما أملحك! لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا! فإذا أمسيت انصرفت .

قَالَ : فأنخت قعودي فجلست معهن فتحدثت وأنشدتهن ، فدنت هند وهي التي كنت أشبب بها ، فمددت يدها فألقت عمامتي عَنْ رأسي ثم قَالَت : بالله أتراك خدعتنا منذ اليوم ، نحن والله خدعناك ، ثم أرسلنا إليك خالداً ليأتينا بك عَلَى أقبح هيئاتك ، ونحن عَلَى ما ترى .

ثم أخذنا فِي الحديث فقَالَت : يا سيدي لو رأيتني منذ أيام وأصبحت عند أهلي ، فأدخلت رأسي فِي جيبي فلما نظرت إِلَى كعثبي فرأيته ملء العين وأمنية المتمني ناديت : يا عمراه يا عمراه! فصاح عمر : يا لبيكاه يا لبيكاه! ثم أنشأ يقول : قصيدة عمر بن أبي ربيعة التي أولها ألم تسأل الأطلال والمتربعا

ألـــم تســـأل الأطـــلال والمتربعـــا　　ببطـــن حليـــات دوارس بلقعـــا

المرأة المحرمة

عن صالح ابن أسلم قال : نظرت إلى امرأة مستترة بثوب ، وهي تطوف بالبيت ، فنظر إليها عمر بن أبي ربيعة من وراء الثوب ثم قالب :

ألمـــا بـــذات الخـــال واستطلعـــا لنـــا　　علـــى العهـــد باق ودها أم تصرما

قال : فقلت له : امرأةٌ مسلمةٌ غافلةٌ محرمة قد سيرت فيها شَعراً وهي لا تعلم . قال : إني قد أنشدت من الشعر ما بلغك ، ورب هذه البنية ما حللت إزاري على فرجٍ حرام قط .

أرق بيت

اجتمع كثير عزة وجميل بثينة[(١)] وعمر بن أبي ربيعة عند عبد الملك فقال أنشدوني أرق بيت قلتم فأنشد جميل .

حلفـــت يمينـــاً يا بثينـــــة صادقـــاً　　فـــإن كنـــت فيـــه كاذباً فعميت

(١) محمد بركات بن معمر العذري القضاعي ويُكنّى أبا عمرو شاعر ومن عشاق العرب المشهورين . كان فصيحًا مقدمًا جامعًا للشعر والرواية . وكان في أول أمره راوية لشعر هدبة بن خشرم ، كما كان كثير عزة راوية جميل فيما بعد . لقب بجميل بثينة لحبه الشديد لها

فلــو أن جلــداً غير جلدك مسنـــي ... وباشرنـــي دون الشعـــار شريـــت
ولو أن راقي المــوت يرقــي جنازتـــي ... بمنطقهـــا فـــي الناطقـــين حييت

وأنشد كثير :

بأبـــي وأمـــي أنـــت من مظلومـــة ... طـــبن العـــدوّ لهـــا فغير حالهـــا
لـــو أن عزة خاصمت شمس الضحى ... فـــي الحسن عند موفق لقضى لها
وسعـــى إلـــى بصـــرم عـــزة نســـوة ... جعـــل المليـــك خدودهن نعالهـــا

وأنشد ابن أبي ربيعة

ألا ليـــت قبري يـــوم تقضي منيتـــي ... بتلك التي من بين عينيك والفـــم
وليـــت طـــهوري كـــان ريقـــك كله ... وليـــت حنوطي من مشائك والدم
ألا ليـــت أم الفضل كانت قرينتـــي ... هنـــا أو هنـــا فـــي جنة أو جهنم

فقال : أعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم .

كثير عزة[(١)]

دخل كثير عَلَى عبد الملك بْن مروان ، رحمه الله ، فقَالَ عَبْد الملك بن مروان : أأنت كثير عزة؟ قَالَ : نعم ، قَالَ : أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، فقَالَ : يا أمير المؤمنين ، كل عند محله رحب الفناء ، شامخ البناء ، عالي السناء ، ثم أنشأ يَقُولُ :

تري الرجل النحيف فتزدريه . . . وفى أثوابه أسد هصور

ويعجبـــك الطريـــر إذا تـــــراه ... فيخلـــف ظنـــك الرجـــل الطرير
بغـــاث الطيـــر أطولهـــا رقابـــا ... ولـــم تطـــل البـــزاة ولا الصقـــور
خشـــاش الطيـــر أكثرهـــا فراخـــا ... وأم الصقـــر مقـــلات نـــزور
ضعـــاف الأســـد أكثرهـــا زئيـــرا ... وأصرمهـــا اللواتـــى لا تزيـــر
وقـــد عظـــم البعيـــر بغـــير لـــب ... فلـــم يستـــغن بالعظـــم البعـــير
ينـــوخ ثـــم يضـــرب بالهـــواري ... فـــلا عـــرف لديـــه ولا نكيـــر
يقـــوده الصبـــي بـــكل أرض ... وينحـــره عَلَـــى التـــرب الصغير

(١) كثير عزة شاعر عربي متيم من أهل المدينة المنورة وشعراء الدولة الأموية واسمه كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي وعرف بعشقه عزة بنت جميل بن حفص بن إياس الغفارية الكنانية .

فمـــا عظـــم الرجـــال لهـــم بزيـــنٍ ولكـــن زينهـــم كـــرم وخـــــير

فقَالَ عَبْد الملك : لله دره ، ما أفصح لِسانه ، وأضبط جنانه ، وأطول عنانه! والله إني لأظنه كما وصف نفسه .

ذو الرمة وعبد الملك بن مروان

دخل الفرزدق على عبد الملك بن مروان فقال له : من أشعر أهل زماننا؟

قال : أنا يا أمير المؤمنين .

قال : ثم من؟

قال : غلام منا بالبادية يقال له ذو الرمة[1] .

قال : ثم دخل جرير بعد ذلك ، فقال له : من أشعر الناس؟

قال : أنا يا أمير المؤمنين .

قال : ثم من؟

قال : غلام منا بالبادية يقال له ذو الرمة .

فأحب عبد الملك أن يراه لقولهما ، فوجه إليه فجيء به ، فقال :

أنشدني أجود شعرك . فأنشده :

ما بـــال عينـــك منها المـــاء ينسكب كأنـــه مـــن كلـــى مفريـة سرب

قال : وكانت عين عبد الملك تسيلان ماء - قال : فغضب عليه ، ونحّاه .

فقيل له : ويحك! إنما دهاك عنده قولُك :

ما بال عينك منها الماء ينسكب

فاقلب كلامك . قال : فصبر حتى دخل الثانية ، فقال له : أنشد ، فأنشده :

ما بال عيني منها الماء ينسكب

حتى أتى على آخرها ، فأجازه وأكرمه .

(١) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي ، كنيته أبو الحارث وذو الرّمّة . شاعر عربي من الرباب من تميم ، من شعراء العصر الأموي ، من فحول الطبقة الثانية في عصره . ولد سنة ٧٧ هـ / ٦٩٦م ، وتوفي بأصفهان (وقيل بالبادية) سنة ١١٧ هـ /٧٣٥م وهو في سن الأربعين .

أبو الشمقمق

لم يكن تكوين أبي الشمقمق[١] الجسدي مستحباً ، فقد كان قبيح المنظر ، عظيم الأنف ، واسع الشدقين . أما أخلاقه فقد كان فيها غلظة ، مع خبث في لسانه ، على أنه كثير الهزل والفكاهة ؛ قليل الجِد ، إذا هَزل كثُر خطأه ، وإذا جَدَّ كثُر صوابه . قال ابن المعتز : «وشعر أبي الشمقمق نوادر كله» . وقال ابن عبد ربه : «وكان أديباً ظريفاً مُحارَفاً ، وكان صعلوكاً متبرّماً بالناس ، وقد لزم بيته في أطمار مسحوقة» .

وكان فقيراً معوزاً ، ليس له منزلة رفيعة أو نسب عظيم يتقرّب بهما إلى أولي الأمر ، فاستغلّ سلاطة لسانه لابتزاز بعض الناس ، كما كان يفعل مع بشار بن برد ، وسلم الخاسر ، وغيرهما . وفي شعره ما يدل على فقره وحرمانه فقد وصف حياته في بيته المتواضع بالبصرة بقوله :

في مبيت من الغَضارة قفر ... ليس فيه إلا النوى والنخالة

عطّلته الجرذان من قلة الخير ... وطار الذباب نحو زبالة

وكان أبو الشمقمق متبرماً بالناس وقد لزم بيته في أطمار مسحوقة ، وكان إذا استفتح عليه أحد بابه خرج فينظر من فروج الباب فإن أعجبه الواقف فتح وإلا سكت عنه فأقبل إليه يوماً بعض إخوانه الملاطفين له فدخل عليه فلما رأى سوء حاله ، قال له : أبشر أبا الشمقمق فإنا روينا في بعض الحديث : إن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة . فقال : إن صح والله هذا الحديث كنت أنا في ذلك اليوم بزازاً -أي تاجر ثياب- ، ثم أنشأ يقول مقطوعة منها :

أنا في حال تعالى الله ربي أي حال

ليس لي شيء إذا قيل لمن ذا قلت ذا لي

ولقد أفلست حتى حل أكلي بعيالي

يشتري الهجاء لنفسه

مر أعرابي بأبي الشمقمق فقال له : يا أعرابي .

---

(١) مروان بن محمد أبو الشمقمق شاعر هجاء بخاري الأصل من موالي بني أمية . عاصر شعراء عدة وهجاهم كبشار بن برد وأبي العتاهية ، وأبي نواس ، وابن أبي حفصة وله هجاء في يحيى البرمكي وغيره . لقب أبو الشمقمق لطوله . كان عظيم الأنف قبيح المنظر .

قال : ما تشاء؟

قال : أتقول الشعر؟

قال : بعضه .

قال : خذ هذا الدرهم واهجني .

قال : فأطرق الأعرابي هنيه ثم قال : ما رأيت أحداً يشتري الهجو بالثمن غيرك .

قال : فاك وما أخذ .

فأنشأ الأعرابي يقول شعراً موجهاً إلى أبي الشمقمق وفيه من البذاءة الشيء الكثير

فقال أبو الشمقمق : أعوذ بالله من الشقاء ما أغناني عن هذه التجارة .

فقر أبي الشمقمق

قال أبو الشمقمق في وصف حاله :

برزت من المنازل والقباب ... فلم يعسر علي أحد حجابي

فمنزلي الفضاء وسقف بيتي ... سماء الله أو قطع السحاب

فأنت إذا أردت دخلت بيتي ... علي مسلماً من غير باب

لأني لم أجد مصراع باب ... يكون من السحاب إلي التراب

أبو الشمقمق وبشار بن برد

قيل : جاء أبو الشمقمق إلى بشار[1] يشكو إليه الضيقة ، ويحلف له أنه ما عنده شيء ، فقال له بشار : والله ما عندي شيء يغنيك ولكن قم معي إلى عقبة بن مسلم ، فقام معه ، فذكر له أبا الشمقمق وقال :

هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم . فقال له بشار :

يا واحد العرب الذي ... أمسى وليس له نظير

لو كان مثلك آخر ... ما كان في الدنيا فقير

(١) بشار بن برد بن يرجوخ العُقيلي ، أبو معاذ ، شاعر مطبوع . إمام الشعراء المولدين . ومن المخضرمين حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية . ولد أعمى ، وكان من فحولة الشعراء وسابقيهم المجودين .

فأمر لبشار بألفي درهم ، فقال له الشمقمق : نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ : فجعل بشار يضحك من جوابه .

أبو العتاهية

استدعى المهدي[١] الشعراء إلى مجلسه فاجتمعوا ، وكان فيهم أبو العتاهية[٢] وبشار بن برد الأعمى ، فاستنشد المهدي أبا العتاهية . فانطلق ينشده قصيدته التي أولها :

ألا ما لسيدتي ما لها — أدلت فأحمل إدلالاها

فقال بشار لجليسه : ما رأيت أجسر من هذا !!

وأكمل أبو العتاهية :

أتته الخلافة منقادة — إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له — ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره — لزلزلت الأرض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب — لما قبل الله أعمالها

فقال بشار لجليسه : انظر ويحك ، أطار الخليفة عن فراشه أم لا؟

قال : فوالله ما خرج أحد من الشعراء يومئذ بجائزة غيره

الملك أبو العتاهية

تكلم بعض القصاص ، فقال : في السماء ملكٌ يقول كل يومٍ :

(لدوا للموت وابنوا للخراب . . .)

فقال بعض الفطناء : اسم ذلك الملك أبو العتاهية .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله . هو ثالث خلفاء الدولة العباسية بالعراق .

(٢) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ، أبو إسحاق ، ولد في عين التمر سنة ١٣٠ هـ/٧٤٧ م ، ثم أنتقل إلى الكوفة ، كان بائعا للجرار ، مال إلى العلم والأدب ونظم الشعر حتى نبغ فيه ، ثم انتقل إلى بغداد ، وأتصل بالخلفاء ، فمدح المهدي والهادي والرشيد .

أبو العتاهية في سجن الرشيد

قال أبو العتاهية حبسني الرشيد لما تركت قول الشعر فأدخلت السجن وأغلق الباب علي فدهشت كما يدهش مثلي لتلك الحال وإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مقيد فجعلت أنظر إليه ساعة ثم تمثل

(تعـــودت مـــر الصبر حتـــى ألفتـــه وأسلمنـــي حسن العزاء إلى الصبر)

(وصيرنـــي يأسى من الناس راجيـــا لحسن صنيع الله من حيث لا أدري)

فقلت له أعد يرحمك الله هذين البيتين

فقال لي : ويلك يا أبا العتاهية ما أسوأ أدبك وأقل عقلك دخلت علي الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ولا سألت مسألة الحر للحر ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذي لا فضل فيك غيره لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسألتك عنهما عذرا لنفسك في طلبهما فقلت يا أخي إني دهشت لهذه الحال فلا تعذلني واعذرني متفضلا بذلك

فقال أنا والله أولى بالدهش والحيرة منك لأنك حبست في أن تقول شعرا به ارتفعت وبلغت فإذا قلت أمنت وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله ليقتل أو أقتل دونه ووالله لا أدل عليه أبدا والساعة يدعى بي فأقتل فأينا أحق بالدهش

فقلت له أنا والله أولى سلمك الله وكفاك ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك

قال فلا نبخل عليك إذا ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما

قال فسألته من هو فقال أنا خاص داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد

ولم نلبث أن سمعنا صوت الأقفال فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جرة ولبس ثوبا نظيفا كان عنده ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعا وقدم قبلي إلى الرشيد

فسأله عن أحمد بن عيسى فقال لا تسألني عنه واصنع ما أنت صانع فلو أنه تحت ثوبي هذا ما كشفته عنه

وأمر بضرب عنقه فضرب

ثم قال لي أظنك قد ارتعت يا إسماعيل فقلت دون ما رأيته تسيل منه النفوس

فقال ردوه إلى محبسه فرددت وانتحلت هذين البيتين وزدت فيهما

(إذا أنا لم أقبل من الدهر كـــل مـــا تكرهت منه طال عتبي على الدهـــر)

من شعر أبي العتاهية

حضر يعقوب بن إسحاق الكندي مجلساً فيه قينة[(١)] ، فقالت له : اقترح . فقال لها غني :

لو تجسّين يا عتيبة عرقـي ... لوجـدت الفـؤاد قرحاً تفقّا

فقالت : إن أردت جسّ العروق والنظر إلى الأبوال فعليك بالبيمارستان .

أبو نواس وأبو العتاهية ودعبل الخزاعي

كان كل من أبو نواس وأبو العتاهية ودعبل الخزاعي[(٢)] ، وهم من أعلام الشعر العباسي ، في نزهة ، وفجأة مرت من أمامهم فتاة حسناء تلبس ثلاثة أثواب ، كل ثوب يبدي ما تحته ، فأرادوا التندر بألوانها الثلاثة الأبيض والأسود والأحمر ، فجادت قريحة كل منهم باللون الذي اختاره ، فقال أبو العتاهية في الثوب الأبيض :

تَبَـدَّى فـي ثيـابٍ مـن بيـاض ... بأجفـان وألحـاظٍ مـراض
فقلـت لـه عبـرتَ ولـم تسلـم ... وإنـي منـك بالتّسليـم راض
تبـارك مـن كسـا خديـك وردا ... وقـدك مثـل أغصـان الريـاض
فقـال نعـم كسانـي الله حسنـاً ... ويخلـق ما يشاء بـلا اعتـراض
فثوبـي مثـل ثغـري مثـل نحري ... بيـاض في بيـاض في بيـاض

فقال دعبل الخزاعي في الثوب الأسود :

تبـدى فـي السـواد فقلـت بـدرٌ ... تجلـى فـي الظـلام على العباد
فقلـت لـه عبـرت ولـم تسلـم ... وأشمـتَ الحسـود مـع الأعادي
تبـارك مـن كسـا خديـك وردا ... مـدى الأيـام دام بـلا نفـاد
فقـال نعـم كسانـي الله حسنـا ... ويخلـق مـا يشـاء بـلا عناد
فثوبـك مثـل شعـرك مثل حظـي ... سـواد فـي سـواد في سـواد

---

(١) غناء ومعازف .

(٢) دعبل الخزاعي اسمه محمد بن علي بن رزين ، من مشاهير شعراء العصر العباسي . اشتهر بتشيعه لآل علي بن أبي طالب وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين .

وقال أبو نواس في الثوب الأحمر

تبــدى في قميــص اللاز[1] يسعـى	عذولـــي لا يُلقــبُ بالحبيــــب
فقلــت مــن التعجــب كيف هــذا	لقــد أقبلــتَ فــي زي عجيــب
أَحُمــرة وجنتيــكَ كَسَتْــكَ هــذا	أم انـــتَ صبَغتَـــه بـــدمِ القلوب
فقال الشمسُ أهــدَتْ لــي قميصــاً	قريــبَ اللــون من شفقِ الغـروب
فثوبــي والُمــدامُ ولـــونُ خـــدي	قريـــب مـــن قريـــب من قريـــبِ

بشار بن برد

قال بشار الشعر في سن مبكرة . فما كاد يبلغ السنوات العشر حتى تفجرت موهبة الشعر عنده . ونزعت نفسه إلى الهجاء .ولم يتوان عن التعرض لكبار الشعراء كجرير بن عطية الخطفي أحد أقطاب المثلث الأموي . فاستصغره جرير ولم يجاره في هجائه .

وكان القوم يخافون لسانه فيشكونه إلى برد أبيه فيضربه ضرباً شديداً فكانت أمه تقول : كم تضرب هذا الصبيّ الضرير ، أما ترحمه؟ ،فيقول : ويلي والله إني لأرحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونهُ إليّ ، فسمعه بشّار فطمع فيه فقال له : يا أبتِ إن هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر ، وإني إن ألمت عليه ،أغنيتك وسائر أهلي ، فإن شكوني إليك ، فقل لهم : أليس الله يقول (ليس على الأعمى حرج) فلما عاودوا شكواه ، قال لهم برد ما قاله بشار فانصرفوا وهم يقولون : فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار .

ولعل سخط بشار على الناس كان مردّه إلى عماه فهو لم يُبصر الدنيا قط . وعلى الرغم من ذلك فقد كان ضخماً . مفرط الطول ، عظيم الوجه . أعمى . أكمه . جاحظ العينين يغشاهما لحم أحمر فكان قبيح العمى مجدور الوجه وقد ضُرب المثلُ بقباحة عينه فقالوا : «كعين بشار بن برد» وفي ذلك قال مخلد بن علي السلامي يهجو رجلاً :

رأيتـــك لا تحـــبُّ الـــود إلا	إذا مـــا كـــان مـــن عصب وجلد
أرانـــي اللـــه وجهــك جاحظيــاً	وعينــك عــين بشــار بــن برد

(١) اللاز : هو اللون اللازوردي .

وُلد بشار بن بُرد أعمى . وكان ضخماً طويلاً عظيم الوجه فظيع المنظر . وكان إذا أراد أن يُنْشد شعراً صفق بيديه وتنحنح ، وبَصَقَ عن يمينه وشماله ثم ينشد ، فيأتي بالعجب وكان يُشَبِّه الأشياء بعضَها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدِرُ البُصَرَاءُ أن يأتوا بمثله . فقيل له يوما وقد أنشد قوله :

كأن مُثارَ النَّقيع فوق رءوسنا وأسيافَنا ، ليلٌ تَهَاوَى كواكبُه

«ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئاً فيها؟» فقال : إن عدم النظر يُقَوِّي ذكاءَ القلب ، ويقطع عنه الشغلَ بما يُنْظَرُ إليه من الأشياء ، فيتوفّر حِسُّه ، وتذكو قريحتُه .

مجون بشار بن برد

كان رجل يقال له سعد بن القعقاع يتندم بشاراً في المجانة ، فقال لبشار وهو ينادمه :

ويحك يا أبا معاذ قد نسبنا الناس إلى الزندقة ، فهل لك أن تحج بنا حجة تنفي ذلك عنا؟

قال : نعم مارأيت فاشتريا بعيرا ومحملا وركبا ، فلما مرا بزرارة قال له : ويحك يا أبا معاذ ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها مل بنا إلى زرارة نتنعم فيه ، فإذا قفل الحجاج عارضناهم بالقادسية وجززنا رؤوسنا فلم يشك الناس أنّا جئنا من الحج .

فقال له بشار : نعمَ ما رأيت لولا خبث لسانك ، وإني أخاف أن تفضحنا . قال : لاتخف . فمالا إلى زرارة فما زالا يشربان الخمر ويفسقان ، فلما نزل الحجاج بالقادسية راجعين ، أخذا بعيرا ومحملا وجزا رؤوسهما وأقبلا وتلقاهما الناس يهنئونهما ؛ فقال سعد بن القعقاع :

ألم ترني وبشاراً حججنا وكان الحج من خير التجارة

خرجنا طالبي سفر بعيد فمال بنا الطريق إلى زرارة

فآب الناس قد حجوا وبرّوا وأُبنا مُوقرين من الخسارة

كل يغني على ليلاه

قال أحمد بن خلاد قال : حدثني أبي قال :

قلت لبشار إنك لَتجيءُ بالشيء الهجين المتفاوت

قال : وما ذاك؟

قال قلت : بينما تقول شعراً تُثيرُ به النَّقْعَ وتخْلَعُ به القلوب مثل قولك :

إذا ما غَضِبنا عَضْبَةً مُضَرِيَّةً هَتكنا حِجابَ الشمس أو تُمْطِرَ الدمَا

إذا ما أعَرْنا سَيِّداً من قبيلةٍ ذُرَى مِنْبرٍ صلَّى علينا وسَلّمَا

تقول :

رَبَابَةُ رَبَّةُ البيتِ تَصُبُّ الخلَّ في الزَّيتِ

لها عَشْرُ دَجَاجَاتٍ ودِيكٌ حَسَنُ الصَّوتِ

فقال : لِكُلٍّ وجهٌ وموضعٌ

فالقول الأول جِدٌّ ، وهذا قُلْتُه في ربابة جاريتي

وأنا لا آكلُ البيضَ من السوق ، وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع ليَ البيض وتحفظه عندها

فهذا عندها من قولي أحسنُ من

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومَنزِلِ . . .

عندك

حاضر الجواب

سأل ثقيل بشار بن برد قائلا : ما أعمى الله رجلا إلا عوضه فبماذا عوضك؟

فقال بشار : بأن لا أرى امثالك . . .!!

فراسة بشار

وكان بشار جالساً على باب داره ، فمر به ابن أخيه مع أصحاب له . فقال : أصحاب ابن أخي هؤلاء أتراك . قيل : من أين علمت؟ قال : لأني لا أسمع لهم حس نعال .

لاذع اللسان

وقيل لبشار : إن فلاناً يزعم أنه لا يبالي بلقاء واحد أو ألف .

فقال : صدق ؛ لأنه يفر من الواحد كما يفر من الألف .

بشار وجواري المهدي

وقالت جواري المهدي له : إن بشاراً لأطيب الناس مفاكهةً ، وهو ضرير البصر ، ولا غيرة بك علينا معه إذ لا يرانا ، فلو أدخلته إلينا؟ ففعل . فبادرنه وطايبنه وقلن : إنك أبونا . فقال : ونحن على دين كسرى ؛ فبلغ ذلك المهدي فمنعه فيما بعد من الدخول عليهن .

أخذه المتنبي فقال :

يا أُخت معتنق الفوارس في الوغى ... لأخوك ثم أرقّ منك وأرحم
يرنو إليك مع العفاف وعنده ... إنّ المجوس تصيب فيما تحكم

من جميل شعر بشار

ومن جيد شعره قوله :

أمن تجنّي حبيب بات غضبان ... أصبحت من سكرات الموت نشوانا
يا قوم أُذني لبعضٍ الحيّ عاشقةٌ ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم ... الأذن كالعين توفي القلب ما كانا
يا ليتني كنت تفّاحاً براحتها ... أو كنت من قضب الريحان ريحانا
حتى إذا استنشقت ريحي وأعجبها ... ونحن في خلوة حوّلت إنسانا
لا تعذلوني فإنّي من تذكّرها ... نشوان هل يعذل الصاحون سكرانا
لم أدر ما وصفها يقظان قد علمت ... وقد لهوت بها في النّوم أزمانا
باتت تناولني فاها فألثمه ... جنّيّة زوّجت في النّوم إنسانا

وقال :

يا قرّة العين إني لا أُسمّيك ... أكني بأُخرى أُسمّيها وأعنيك
أخشى عليك من الجيران واحدةً ... أو سهم غيران يرميني ويرميك
يا أطيب النّاس ريقاً غير مختبر ... إلاّ شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرّةً في الدهر واحدةً ... عودي ولا تجعليها بيضة الديك
يا رحمة اللّه حلّي في منازلنا ... حسبي برائحة الفردوس من فيك
إنّ الذي بات مغبوطاً بنعمته ... كفّ تمسّك أو كفّ تعاطيك
يسرني وجهك المعشوق مقبلةً ... وإن توليت راعتني تواليك
كأنّ مسكاً وريحاناً وغاليةً ... ما بين حجلك أو أعلى ذفاريك

وقال :

لـــم يطـــل ليلـــي ولكـــن لـــم أنم ونفـــى عنـــي الكـــرى طيفٌ ألم
رفّهـــي يـــا عبـــد عنـــي واعلمـــي أنّنـــي يا عبـــد مـــن لحـــم ودم
إنّ لـــي جســـماً ضعيفـــاً ناحـــلاً لـــو تـــوكّأت عليـــه لانهـــدم
ختـــم الحـــبّ لهـــا فـــي عنقـــي موضـــع الخاتـــم مـــن أهـل الذمم
وإذا قلـــت لهـــا جـــودي لـــنا خرجـــت بالصّمـــت من لا ونعم

قال مروان بن أبي حفصة : أنشدني بشار هذه القصيدة فلما بلغ هذا البيت قلت له : جعلني الله فداك أبا معاذ ! هلا قلت : خرست ، قال لي : فض الله فاك ؛ إني إذاً لفي عقلك ! أتطنز علي من أن أجيب بالخرس !

وكان بشار سجاعاً خطيباً صاحب منثور ومزدوج ورجز ورسائل مختارة على كثير من الكلام .

أراجيز بشار

ودخل على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة بن العجاج فأنشده أرجوزة ، ثم أقبل على بشار ، فقال : هذا طراز لا تحسنه يا أبا معاذ . فقال : والله لأنا أرجز منك ومن أبيك ومن جدك . ثم غدا على عقبة من الغد فأنشده أرجوزة أولها :

يا طلـــل الحـــيّ بـــذات الصّمـــد باللّـــه خبّـــر كيـــف كنت بعدي
بـــدت بخـــدٍّ وجلـــت عـــن خـــدّ ثـــم انثنـــت كالنّفـــس المرتـــدّ
وصاحـــــب كالدمّـــــل الممـــــدّ حملتـــه فـــي رقعـــةٍ من جلدي
حتـــى اغتـــدى غيـــر فقيـــد الفقد ومـــا درى مـــا رغبتـــي وزهـــدي
الحـــرّ يلحـــى والعصـــا للعبـــــد وليـــس للملحـــف مثـــل الـــردّ

يقول فيها :

اسلـــم وحيّيـــت أبـــا الملدّ والبـــس طـــرازاً غير مستردّ
للّه أيامك في معدّ

وهي طويلة . فأجزل صلته ؛ فلما سمع ابن رؤبة ما فيها من الغريب قال : أنا وأبي وجدي فتحنا الغريب ، وإني لخليق أن أسده عليهم ! فقال بشار : ارحمهم رحمك الله ! قال : أتستخف بي وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر؟ قال : فإذاً أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

في رجل ثقيل

قال في رجل استثقله :

ربما يثقل الجليس وإن كان خفيفاً في كفة الميزان
كيف لا تحمل الأمانة أرض حملت فوقها أبا سفيان

وقال فيه أيضاً :

هل لك في مالي وعرضي معاً وكل ما يملك جيرانيه
واذهب إلى أبعد ماينتوي لاردك الله لا ماليه

بشار والعشق

كان لبشار مجلس يجلس فيه يقال له البردان . فبينا هو في مجلسه ذات يوم وكان النساء يحضرنه ، إذ سمع كلام امرأة يقال لها عبدة في المجلس ، فدعا غلامه فقال : إني قد علقت امرأة ، فإذا تكلمت فانظر من هي وأعرفها ، فإذا انقضى المجلس وانصرف أهله فاتبعها وكلمها وأعلمها أنني لها محب وأنشدها هذه الأبيات وعرفها أني قلتها فيها :

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم
الأذن كالعين توفي القلب ما كان
ما كنت أول مشغوف بجارية
يلقى بلقيانها روحا وريحانا
ويروى : هل من دواء لمشغوف بجارية؟
يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وقال فيها :

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي فأضحى به من حبها أثر
أنى ولم ترها تهذي! فقلت لهم إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر
أصبحت كالحائم الحران مجتنباً لم يقض ورداً ولا يرجى له صدر

وقال فيها أيضاً- وهو من جيد ما قال فيها- :

يزهدني في حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتض فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

بشار والنساء

جاءت بنسوة خمس يطلبن شعرا منه ، ينحن فيه على ميت لهن ، فقال : ما أنا بقائل إلا ان تأكلن من طعامي وتشربن من شرابي ، وكانت لديه قناني نبيذ مصفى ، وبعد ممانعة أكلن وشربن ، فبلغ ذلك الحسن البصري[١] ، الذي كان يلقب بالقس ، فعاب عليه فعله ، وذمه ، فقال فيه بشار :

لما طلعن من الرقيق
عليّ بالبردان خمسا
وكأنهن أهلـــة
تحت الثياب زففن شمسا
فسألنني من في البيوت
فقلت ما يحوين أنسا
ليت العيون الناظرات
طمسن عنا اليوم طمسا
فأصبن من طرف الحديث
لذاذة وخرجن مُلسا
لولا تعرضهن لي
يا قسّ كنتُ كأنت قسا

الحب أعمى !

كانت النساء يأتين فيدخلن إلى بشار في مجلسه ليسمعن شعره . فعشِق امرأةً منهن ، وقال لغلامه : عَرِّفها محبتي لها ، واتبعها إذا انصرفتْ إلى منزلها . ففعل الغلام ، وأخبرها بما أمره فلم تُجِبْه إلى ما أحبّ . فتبعها إلى منزلها وظل يتردّد إليه حتى شكته إلى زوجها ، فقال لها زوجها : أجيبيه وعِديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا . ففعلتْ . وجاء بشار فدخل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلَم . فجعل يحدّثها ساعة ، وقال لها : ما اسمُك بأبي أنتِ؟ قالت : أُمامة .

فقال :

أُمامـــةُ قـــد وُصِفْـــت لنـــا بِحُسْـــنٍ   وإنّـــــا لا نـــــراك فَأَلْمِسينـــا .

فأخذت يده فوضَعتها على لحية زوجِها . ففزع بشار ووثب قائماً فقَبَض زوجها

عليه وقال : والله لأفضحنّك!

فقال بشار : كفاني ما فعلتَ بي ، ولستُ والله عائدا إليها أبدا!

مولى المهدي وبشار

كان بشار جالساً في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن للدخول عليه ، فقال أحد موالي المهدي لمن حضر : ما تفسيركم لقول الله عزَّ وجلَّ ﴿وأوحى ربُّك إلى النحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر﴾؟ قال بشار : النحل التي يعرفها الناس . قال : هيهات! النحل بنو هاشم . وقوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانُه فيه شفاء للناس﴾ يعني العِلْم . فقال له بشار : جعل الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم!

سؤال غبي

دخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وبشار بن برد بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ من شعره أقبل عليه يزيد وكأنت فيه غفلة فقال : يا شيخ ما صناعتك؟

فقال بشار : أثقب اللؤلؤ .فضحك المهدي ثم قال لبشار : أغرب ويلك أتتنادر على خالي؟

فقال بشار : ما أصنع به؟يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعرا ويسأله عن صناعته

أعمى يقود بصيراً

ومن طرائف الشاعر بشار ابن برد كان يسير في أحد شوارع بغداد فطلب منه شخص أن يصف له مكان معين فأمسك بشار يده وقال : أنا أدلك به وعندما توسط من السوق انشد هذا البيت .

أعمى يقودُ بصيراً لا أبا لكمُ قد ضلَّ من كانت العميان تهديه

حمار بشار

قال بشّار بن برد :

رأيت حماري البارحة في النوم ، فقلت له : ويلك لِمَ متَّ؟

قال الحمار :

أنسيت أنَّكَ ركبتني يوم كذا وكذا وأنَّك مررتَ بي على باب (الأصبهاني) فرأيت أتاناً – حمارة – عند بابه فعشقتها ، حتى متُّ بها كمداً؟

ثم أَنشدني الحمار :

سيِّدي مَل بعَناني نحوَ بابِ الأصْبَهاني
إنَّ بالبابِ أَتاناً فضلت كلَّ أتانِ
تيَّمتني يومَ رحنْا بثناياهَا الحِسانِ
وبغنج ودلال سلَّ جسمي وبراني
ولَهَا خدٌّ أَسيلٌ مثل خدِّ الشيفران
فبها متَ وَلَو عشتُ إذاً طال هوانِي!

فقال له رجل من القوم : وما الشيفران يا أبا معاذ؟

قال بشار : هذا من غريب الحمار ، فإذا لقيته لكم مرَّةً ثانية . سألتهُ .

اختراعات بشار

كان الشاعر بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية ويدخل فيه ما لا حقيقة له وكان يخترع بعض الأسماء اختراعا

فمن ذلك قالوا أنه أنشد يوما شعرا فقال فيه :

غنني للغريض يابن قنان

فقيل له من ابن قنان هذا لسنا نعرفه من مغني البصرة؟

قال : وما عليكم منه! ألكم قبله دين فتطالبوه به أو ثأر تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره؟

قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا وإنما أردنا أن نعرفه

قال : هو رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي

فقالوا : منذ متى؟

قال : مُذ ولد وإلى يوم يموت .

طيّبة عليه حراماً

وكان بشّار الأعمى يرتع ، فبلغ امرأته ذلك ، فعاتبته مراراً فحلف لها . وإنّها سألت عن المكان الذي يمضي إليه فدلّت على امرأة تجمع بين النّساء وبين الرّجال ، فبذلت لها شيئاً وسألتها إذا جاءها بشّار أن تبعث إليها . ففعلت ، وقالت : أبشّار قد وقعت اليوم امرأة من أجمل النّساء ووصفتها له فطرب إليها ، فلمّا خلا بها وخالطها ضربت بيديها في لحيته وشتمته ، وقالت : أين أيمانك الفاجرة؟ فقال لها : لعنك الله ألا تركتني حتّى أقضي حاجتي ، فوالله ما رأيت أبرد منك حلالاً ، ولا أطيب منك حراماً! !

وفاة بشار بن برد

أجمع الرواة أنه مات مقتولاً بأمر من الخليفة المهدي حيث رماه بالزندقة وجملة الخبر أن المهدي حنق على بشار لهجائه له . وأخفى له في صدره كرها عظيماً . وحين زار المهدي البصرة متفقداً أحوالها وصل إلى البطائح ومرّ بدار بشار وكان أبو معاذ على سطح بيته سكراناً . فعلم بحضور المهدي ، وخاف أن يراه على حاله من السكر . فراح بشار يؤذن فقال المهدي : من هذا الذي يؤذن في غير الوقت؟ قالوا : بشار . قال : عليّ به . وحين مثل بين يديه قال : يا زنديق هذا من بذائك . تؤذن في غير الوقت . ثكلتك أمك .ثم أمر بصاحب الزنادقة وهو ابن نهيك وقيل محمد بن عيسى بن حمدويه .فأخرجه معه في زورق . وأمر الجلادين أن يضربوه ضرباً متلفاً . وجعل بشار يقول كلما وقع عليه السوط حَسْ وهي كلمة تقولها العرب عند الألم . فقال بعض الراكبين : انظروا إلى زندقته ما تراه يحمد الله . فقال بشار : أثريدٌ أحمد الله عليه . وضرب سبعين سوطاً حتى مات وألقي من على السفينة . فحمله الموج إلى شاطئ البصرة . فحمله أهله ودفنوه .وما تبع جنازته سوى أمَة سوداء من السند كانت تصرخ وتقول واسيداه . واسيداه . قيل إن أهل البصرة سرّوا لموته . ونجاتهم من لسانه .وهنّأ بعضهم بعضاً وتصدّقوا وأغلب المؤرخين يقولون إن وفاته كانت في السنة الثامنة والستين بعد المائة للهجرة .

ابن الرومي

قال ابن الرومي[١] يصف طعاماً أكله عند أبي بكر الباقطاني :

(١) هو أبوالحسن علي بن العباس بن جريج ، وقيل جورجيس ، المعروف بابن الرومي شاعر من شعراء القرن الثالث الهجري في العصر العباسي

وسميطـــــة صفـــــــراء ديناريّـــة ثمنـــاً ولونـــاً زفّهـــا لـــك حـزور
عظمـــت فكـــادت أن تكـــون أوزّة وهـــوت فكـــاد إهابهـــا يتفـــطّر
ظلـنـــا نقشّر جلدهـــا عـــن لحمها وكـــأنّ تبـــراً عـــن لجـــين يقشر
وتقدّمتهـــــا قبـــــل ذاك ثرائـــــدُ مثـــل الريـــاض بمثلهـــن يصـــدّر
ومرقّقـــات كلّـــــهنّ مزخـــــــرفُ بالبيـــض منهـــا ملبـــس ومدثّـــر
وأتـــت قطائـــف بعـــد ذاك لطائـــفُ ترضـــى اللهـاة بها ويرضى الحنجر
ضحـــك الوجـــوه من الطبرزد فوقها دمـــع العيـــون مـــن الدهان يعصّر

هدية متأخرة

طلب الشاعر ابن الرومي من صديق له أن يهديه ثوباً ، فوعده به ، ولكنه أبطأ في إنجاز وعده فقال يعاتبه :

جُـــعلتُ فـــداك ، لم أســـألـكَ ذاك الثـــوب للكفن
ســـأَلتكَهُ لألبـــــسه وروحي بـعـــــد فـــي البـدن

في اللوزينج

ولم يقل أحد في اللوزينج[1] أحسن من قول ابن الرومي :

لا يخطئنـــــي منـــــك لوزينـــــجٌ إذا بـــــدا أعجـــب أو عجّـــــبا
لـــــم تغلـــــق الشهـــــوة أبوابهـــا إلا أبـــــت زلفـــــاه أن يحجبـــا
لو شـــاء أن يذهـــب فـــي صخـــرة لسهّـــل الطيّـــــب لـــه مذهبـــا
يــــدور بالنّفخـــــة فـــي جامـــه دوراً تـــــرى الـــدّهن لـــه لولبـــا
عـــــاون فيـــه منظـــــــرٌ مخـــبراً مستحســــنٌ ساعـــد مستعذبـــــا
مستكثـــف الحشـــــو ولكنّـــــــه أرقّ قشـــراً مـــن نسيـــم الصّبـــا
كأنمـــا قـــــــدّت جلابيبـــــــه مـــن أعـــين القـــطر إذا قبّـــــا
يخـــــال مـــن رقـــــة خرشائـــــه شـــارك فـــي الأجنحـــة الجندبا
لـــــو أنـــــه صـــــوّر من خبـــزه ثغـــرٌ لكـــان الواضـــح الأشنبـــا
مـــن كـــل بيـــضاء يـــودّ الفتـــى أن يجعـــل الكـــفّ لـــها مركبـــا

(١) من الحَلْوى : شِبه القطائف يُؤْدَم بدُهن اللَّوز

مدهونـــــة زرقـــاء مدفونـــــــة ... شهبــاء تحكـــي الأزرق الأشهبــا
ملـــذّ عــــين وفـــم حسّنـــت ... وطيّبـــت حتـــى صبــا من صبا
ذيــــق لـــــه اللّـــوز فـــما مــرّة ... مــرّت علــى الذائــق إلاّ أبـــى
وانتقـــد السكّـــــر نقّـــــاده ... وشـــاوروا فـــي نقــده المذهبـــا
فـــلا إذا العــــين رأتــه نبــت ... ولا إذا الضــرس عــلاه نـــــبا
لا تنكـــروا الإدلال مـــن وامق ... وجّــــه تلقاءكـــم المطلبــــا

هذه الأبيات يقولها في قصيدة طويلة يمدح بها أبا العباس أحمد بن محمد بن عبيد الله بن بشر المرثدي ويهنيه بابن له ولد ، أولها :

بـــــدرٌ وشمـــس ولـــــدا كوكــبا ... أقسمــــــت باللّـــــه لقـــد أنجبا

شعر ابن الرومي

وقال أبو عثمان الناجم : دخلت على أبي الحسن وهو يعمل هذه القصيدة ؛ فقلت له : لو تفاءلت لأبي العباس بسبعة من الولد ؛ لأن عباس يجيء منكوساً سابع ، فلو تصور ذلك لجاء المعنى ظريفاً ؛ فقال بديهاً :

وقــــد تفاءلـــــت لـــه زاجـــراً ... كنيتــــه لا زاجـــــراً ثعلبـــــا
إنّـــــي تأمّلـــــت لـــــه كنيـــــةً ... إذا بـــــدا مقلوبهـــــا أعجبـــا
يصوغهــــــا العكـــس أبــا سابـــع ... وذاك فــــــأل لـــم يعـــد معطبـــا
وقـــــد أتـــــاه منهـــــم واحـــــدٌ ... فلننتظرهــــم ستّـــــة غيّـــــبا
فـــــي مـــــدة تغمرهـــــا نعمـــة ... يجعلهـــا اللّـــه لـــه ترتبـــــا
حتــــى تـــــراهُ جالســــاً بينهــم ... أجــلّ مـــن رضوى ومـــن كبكبا
كالبـــدر وافـــى الأرض مـــن نـــوره ... بـــين نجـــوم سبعـــة فاختبـــــا
وليشكـــر الناجـــــم عــــــن هـــذه ... فإنّهـــا مـــن بعـــض مـــا بوّبـــا
أســـدى وألحـــمت فـــتىً لـــم أزل ... أشكـــر مـــا أســـدى وما سبّـــبا

وقال يصف الرؤوس والرغفان :

مـــا إن رأينـــا مـــن طعـــام حاضـــر ... نعتــــــــدّه لفجـــــاءة الـــــزوّار
كمهيئـــين مـــن الطعـــام أصّبحـــا ... شبهـــاً مـــن الأبـــرار والفجّـــار
روس وأرغفــــة ضخــــام فخمـــة ... قـــد أخرجـــت مـــن جاحم فوّار
كوجـــوه أهـــل الجنــة ابتسمت لنا ... مقرونـــة بوجـــوه أهـــل النـــار

السمك وجبته المفضلة

وكان ابن الرومي منهوماً في المآكل وهي التي قتلته ، وكان معجباً بالسمك ، فوعده أبو العباس المرثدي أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا يقطعها ، فبعث إليه منه يوم سبت ثم قطعه ، فكتب إليه :

ما لحيتاننا جفتنا وأنّى	أخلف الزائرون منتظريهم
جاء في السبت زورهم فأتينا	من حفاظٍ عليه ما يكفيهم
وجعلناه يوم عيد عظيم	فكأنّا اليهود أو نحكيهم
وأرهم مصمّمين على الهجـ	ـر فلم يسخطون من يرضيهم
قد سبتنا فما أتتنا وكانوا	يوم لا يسبتون لا تأتيهم

فاتصل ذلك بالناجم فكتب إليه :

أبا حسنٍ أنت من لا تزا	ل يحمد في الفضل رجحانه
فكم تحسنَ الظنّ بالمرثديّ	وقد قلّل اللّه إحسانه
ألم تدر أن الفتى كالسراب مـ	إذا وعد الخير إخوانه
وبحر السراب يفوت الطلوب مـ	ـفقل في طلابك حيتانه

وخرج ابن الرومي مع بعض إخوانه في حداثته إلى بعض المتنزهات ، وقصدوا كرماً رازقياً ، فشربوا هناك عامة يومهم ، وكانوا يتهمونه في الشعر . فقالوا : إن كان ما تنشدنا لك فقل في هذا شيئاً . فقال : لا تريموا حتى أقول ، ثم أنشد بديهاً :

ورازقيّ مخطف الخصور	كأنّه مخازن البلّور
قد ضمّنت مسكاً إلى الشطور	وفي الأعالي ماء وردٍ جوري
لم يبق من وهج الحرور	إلاّ ضياء في ظروفٍ نور
لو أنه يبقى على الدهور	قرّط آذان الحسان الحور
بلا مزيد وبلا شذور	له مذاق العسل المشور
وبرد مسّ الخصر المقرور	ونكهة المسك مع الكافور
ورقة الماء على الصدور	باكرته والطير في الوكور
بفتية من ولد المنصور	أملأُ للعين من البدور
حتى أتينا خيمةً الناطور	قبل ارتفاع الشمس للذرور
فانحطّ كالطاوي من الصقور	بطاعة الراغب لا المقهور

والحدرّ عبد الحلب المشطور حتى أتانا بضروع حور
مملوءة من عسلٍ محصور والطّلّ مثل اللؤلؤ المنثور
ينساب مثل الحيّة المذعور بين سماطي شجرٍ مسطور
ناهيك للعنقود من ظهور فنيلت الأوطار في سرورٍ
وكل ما يقضى من الأمور تعلّةٌ من يومنا المنظور
ومتعةٌ من متع الغرور

عن بديهة ابن الرومي

قال الناجم : جلست معه على باب داره وقد أبل من علة ، فمر بنا الحاجب ، فقال : قوما عندي نتحدث اليوم ، وعندي مصوص وأشياء لطيفة لا تضرك ؛ وأشرب مع أبي عثمان بحضرتك ونتآنس يومنا .

فقال : إنا نأتيك الساعة وأبو عثمان فامض ونحن في أثرك ؛ فمضى ولحقناه فحجب عنا ، فانصرفنا وأبو الحسن مغضب ، فدخلت على أبي الحسن في ذلك اليوم ، فوجدت بين يديه قصيدة طويلة جداً أولها :

نجاك يابن الحاجب الحاجب وأين ينجو منّي الهارب

فعجبت من سرعة عمله . وقلت : أعزك الله ؛ متى عملتها؟ قال : الساعة . قلت : وأين مسودتها؟ قال : هي هذه . قلت : وما فيها حرف مصلح . قال : قد استوت بديهتي وفكرتي ، فما أعمل شيئاً فأكاد أصلحه .

سبب موته

وكان سبب موته أنه كان منقطعاً إلى القاسم بن عبيد الله بن وهب ؛ وكان القاسم مغرماً بشعره مستظرفاً له ، محسناً إليه . فقال له أبوه : قد أردت أن أرى من روميك هذا؟ فأحضره وحضر أبوه ، فلما انفض المجلس قال له : كيف رأيته؟ قال : أرى ما يسوءني ولا يسرني ، أرى رجلاً صحيح الشعر ، سقيم العقل ، ومثل هذا لا تؤمن بوادره ؛ وأقل غضبة يغضبها تبقي في أعراضنا ما لا يغسله الدهر ، والرأي إبعاده ، قال : وكيف ذلك بعد اتصاله؟ أخاف أن يظهر ما أضمره ، قال : يا بني ؛ اتبع فيه قول أبي حية :

يقلن لها في السرّ هديك لا يرح صحيحاً وإلاّ تقتليه فألمم

فأخبر القاسم بقول أبيه ابن فراس ، وكان أشد الناس عداوةً لابن الرومي . فقال : إنما أشار عليك باغتياله ، وأنا أكفيك أمره ، فسم له لوزينجة وقدم له الجام وهي في أعلاه ، فلما تناولها أحس بالموت ونهض قائماً . فقال له : إلى أين يا أبا الحسن؟ قال : إلى حيث أرسلتني . قال : اصرفوه ، فقد غلب عليه السكر ؛ فخرج وهو لما به ؛ فلقي الناجم فقال :

أبا عثمان أنت عميد قومك وجودك للعشيرة دون لؤمك
تمتّع من أخيك فما أراه يراك ولا تراه بعد يومك

وكان شديد التغير ، سريع الانقلاب ، ضيق الصدر ، قليل الصبر ، مفرط الطيرة غالياً فيها ، وكان عظيم التخوف ، كثير التجسس ؛ يراه من يلقاه كالمتوجس المذعور .

شدة خوفه

ذكر بعض أصحابه قال : كنت أسايره ونحن سائرون ، فلم أنشب أن تراءيته قد ترجل عن دابته بسرعة ، ولجأ إلى بعض الدكاكين وأسلم الدابة ؛ فأمرت من أمسكها وأتيت إليه فقلت : ما بالك يا أبا الحسن؟ وإذا هو يضطرب اضطراباً شديداً ؛ فأمسكت عنه حتى سكن وقام فركب الدابة . فقلت له : ما الذي هاجك؟ قال : أما ترى ذاك؟ وإذا برجل من العامة يحمل ذوبينا وهي عصا في طرفها حديد بشعبتين . فقلت : أراه . فقال : أوما ترى البركار الذي بيده ، ما يؤمنني أن يلويه على عنقي فيفتله .

وحكي عنه : أنه سأل الموفق أو غيره في قدح محكم رآه فأعجبه فوهبه إياه . قال بعض إخوانه : وكنت معه ، وقد خرج من دار السلطان ، فوضعه على رأسه ثم أزاله بسرعة ثم وضعه على ركبته ، ثم رمى به فكسره . فقلت له : ما هذا الخاطر الفاسد؟ قال : وصل إلي هذا القدح وما على وجه الأرض أحب إلي منه ، فوضعته على أشرف أعضائي ! ثم ذكرت قول بعض الحكماء : إن الصاعقة إذا قابلت الشيء الشفاف انحدرت إليه ، فخفت أن تقع علي صاعقة فتهلكني ، ثم وضعته على ركبتي ، فخفت أن تصدمني دابة فينكسر فيدخل في جسمي فيكون سبب علة مزمنة ، وخفت أن يكون الذي دعاني إلى طلبه ما أراده الله بي ، فرأيت الراحة في كسره .

حكايات عن تطيره

وكان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش غلام أبي العباس المبرد في أيام ابن أبي أوفى شاباً مترفاً ، وأديباً مستظرفاً ، وكان يعبث به فيقرع عليه الباب . فيقال له : من بالباب؟ فيقول : قولوا لأبي الحسن : مرة بن حنظلة ؛ فيتطير لقوله ويقيم أياماً لا يخرج من داره ، وكان ذلك سبب هجائه إياه .

وقرع عليه الباب يوماً وقيل : إن البحتري وجه إليه من قرع عليه بابه فقال : من هذا؟ فقال : سخطة الحي القيوم ، والمهل والغسلين والزقوم ، والشيطان الرجيم ، وكل بلاء كان أو يكون ، إلى يوم الدين ؛ فأقام مدةً لم يخرج ، فسأل عنه الموفق ، فقيل : هو في حبس البحتري !

وتخلف أياماً عن بعض الأشراف بسبب طيرة عرضت له ، فبعث إليه غلاماً جميلاً فقرع الباب . فقيل : من؟ قال : إقبال ؛ فخرج فرأى وجهاً مستحسن الصورة حسن الهيئة . فقال له : مولاي يرغب في حضورك ، فمشى معه ثم توجس وبقي باهتاً مطرقاً لا ينصرف ، ثم مشى قليلاً ؛ فلما قارب الجسر انفتل بسرعة شديدة ، ثم مضى على وجهه إلى داره ، فأغلق الباب على نفسه ، وكتب إلى الرجل : تخلفت أطال الله بقاءك عن حظي من لقائك ، لاعدمته لي أياماً ، وأنا أتقلى على جماجم الضجر ، بما جرى به القدر ، من كلام سمعته وأمر توقعته ؛ فأتاني غلام جميل اسمه إقبال ؛ فقلت : هذا حسن ، فخرجت معه ، ثم فكرت أن إقبالاً إذا نكس كان لا بقاء ! فقلت : هذا حسن ، فخرجت معه ، ثم فكرت أن إقبالاً إذا نكس كان لا بقاء ! فقلت : هذا من ذاك ؛ فمشيت معه مقدماً رجلاً ومؤخراً أخرى حتى صرت بالجسر ، فرأيت حبالاً مفتولة قد التوت ، فصار كل واحد منها في صورة لام ألف ، فقلت : هذه تحقق ما ظننت من لا بقاء بقولها : لا لا ، فما حصلت في الدار ، إلا بعد خوف مضي المقدار ، فابسط العذر في التأخر ، والسلام .

وقال علي بن إبراهيم كاتب مسرور البلخي : كنت بداري جالساً بباب الشعير على أسرة نصبت لي في صحن الدار ؛ فإذا حجارة قد سقطت علي ، فبادرت هارباً ، وأمرت الغلام بالصعود إلى السطح والنظر إلى كل ناحية من أين تأتينا؟ فقال لي : امرأة من دار ابن الرومي الشاعر قد أشرفت وقالت : اتقوا الله فينا ، واسقونا جرةً من الماء وإلا هلكنا ؛ فقد مات من عندنا عطشاً ؛ فتقدمت إلى امرأة عندنا ذات عقل ومعرفة بأن تصعد إليها وتخاطبها ففعلت . وبادرت بالجرة وأتبعتها بشيء من المأكول .

ثم عادت وقالت : ذكرت المرأة أن الباب مقفل عليها منذ ثلاث بسبب طيرة ابن الرومي ، وأنه يلبس ثيابه كل يوم ويتعوذ ، ثم يصير إلى الباب والمفتاح بيده ، ثم يضع عينه على ثقب في خشب الباب ، فتقع على جار له كان نازلاً بإزائه ، وكان أعور يقعد كل غداة على بابه ؛ فإذا رآه رجع وخلع ثيابه . وقال : لا يفتح أحد الباب . فعجبت من حديثها ؛ وبعثت بخادم لي كان يعرفه فأمرته بأن يجلس بإزاء بابه ، وكانت العين تميل إليه . وتقدمت إلى بعض غلماني أن يدعو الجار الأعور ؛ فلما حضر عندي أدى الغلام إلى ابن الرومي رسالتي يستدعيه الحضور ، فإني لجالس وعندي الأعور إذ وافى أبو حذيفة الطرسوسي ومعه برذعة الموسوس صاحب المعتضد ؛ ودخل ابن الرومي فلما تخطى عتبة باب الصحن عثر فانقطع شسع نعله فدخل مذعوراً ، وكان إذا فاجأه الناظر رأى منه منظراً يدل على تغير حاله ، فدخل وهو لا يرى جاره المتطير منه . فقلت له : يا أبا الحسن ، ما لك؟ أيكون شيء في خروجك أحسن من مخاطبتك للخادم ونظرك إلى وجهه الجميل؟ فقال : قد لحقني ما رأيت من العثرة ؛ لأني فكرت أن به عاهةً وهي قطع أنثييه . فقال برذعة : وشيخنا يتطير؟ قلت : نعم ! ويفرط . قال : ومن هو؟ قلت : أبو الحسن بن الرومي . قال : الشاعر؟ قلت : نعم ! فأقبل عليه وأنشده :

ولما رأيت الدهر يؤذن صرفه	بتفريق ما بيني وبين الحبائب
رجعت على نفسي فوطّنتها على	ركوب جميل الصّبر عند النوائب
ومن صحب الدنيا على جور حكمها	فأيامه محفوفةٌ بالمصائب
فخذ خلسةً من كل يوم تعيشه	وكن حذراً من كامنات العواقب
ودع عنك ذكر الفأل والزّجر واطّرح	تطيّر دارٍ أو تفاؤل صاحب

فبقي ابن الرومي باهتاً ؛ ولم أدر أنه شغل قلبه بحفظ ما أنشده ، ثم قام أبو حذيفة وبرذعة معه ، فحلف ابن الرومي ألا يتطير أبداً من هذا ولا من غيره ، وأومأ إلى جاره . فقلت : وهذا الفكر أيضاً من التطير ، فأمسك . وعجب من جودة الشعر ومعناه في حسن مأتاه . فقلت له : ليتنا كتبناه . فقال : اكتبه فقد حفظته ، وأملاه علي .

ومن الدليل على شدة حذره وعظم تطيره

ومن الدليل على شدة حذره ، وعظم تطير ، قوله لأبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة ، وقد ندبه إلى الخروج وركوب دجلة :

حضضت على حطبي لناري فلا تدع ،	لك الخير ، تحذيري شرار المحاطب

ومن يلق ما لاقيت من كلّ مجتنـــى من الشوك يزهد في الثمار الأطايب
أذاقتني الأسفار مـــا كـــرّه الغنـــى إلـــيّ وأغرانـــي برفض المطالب
ومن نكبـــة لاقيتهـــا بعـــد نكبة رهبت اعتساف الأرض ذات المناكب
وصبـــري علـــى الإقتار أيسر محملاً عليّ من التغرير بعـد التجـــارب
لقيـــت مـــن البرّ التباريح بعدمـــا لقيت من البحر ابيضاض الذوائب
سقيـــت على ريٍّ به ألـــف مطـــرة شغفت لبغضيها بحبّ الجـــادب
ولم أسقها بـــل ساقهـــا لمكيدتـــي تحامق دهر جدّ بـــي كالملاعـــب
أبي أن يغيث الأرض حتى إذا ارتمت برحلي أتاها بالغيـوث السواكـــب
سقى الأرض من أجلي فأضحت مزلّـة تمايـــل صاحبهـــا تمايـــل شارب
فملـــت إلى خان مـــرثٍّ بنـــاؤه مميل غريق الثوب لهفـان لاغـــب
فمـــا زلت في خوف وجوع ووحشة وفـــي سهر يستغرق الليل واصب
يؤرّقنـــي سقـــفٌ كأنـــي تحتـــه من الوكف تحت المدجنات الهواضب
تـــراه إذا مـــا الطـــين أثقـل متنه تصـــرّ نواحيـــه صرير الجنادب
وكـــم خان سفرٍ خان فانقضّ فوقهم كما انقضّ صقر الدجن فوق الأرانب
وما زال ضاحـــي البرّ يضـــرب أهله بسوطي عذاب جامد بعد ذائـــب
ألا ربّ نـــار بالفضـــاء اصطليتهـــا من الضّحّ يودي لفحها بالحواجـب
فـــدع عنـــك ذكر البرّ ، إنّي رأيتـه لمن خاف هول البحر شرّ المهـــاوب
ومـــا زال يبغينـــي الحتـــوف مواربًا يحوم على قتلي وغيـــر مـــوارب
فطـــوراً يغاديني بلـــصّ مصلّـــت وطوراً يمسّينـــي بـــورد المشـــارب
وأمـــا بـــلاء البحـــر عنـــدي فإنه طواني على روع مع الرّوح واقـــب
ولو ثـــاب عقلي لم أدع ذكر بعضـــه ولكنّـــه مـــن هولـــه غير ثائب
ولـــم لا ولـــو أُلقيت فيه وصخـــرةً لوافيـــت منـــه القعر أول راسب
ولـــم أتعلّـــم قطّ من ذي سباحـــة سوى الغوص ، والمضعوف غير مغالب
فأيسر إشفاقي مـــن المـــاء أننـــي أمـــرّ بـــه في الكوز مرّ المجانـــب
وأخشى الرّدى منه على نفس شـارب فكيف بأمنيه على نفس راكـــب
أظـــلّ إذا هزّتـــه ريـــحُ ولألأت له الشمس أمواجاً طوال الغـــوارب
كأنـــي أرى فيهـــنّ فرســـان بهمة يليحون نحوي بالسيوف القواضب
فـــإن قلت لي قد يركب اليمّ طامياً ودجلـــة عنـد اليمّ بعض المذانب

لدجلة خبٌّ ليس لليمّ ، إنها ترائي بحلم تحته جهل واثب
وللبحر إنذار بعرض متونه وما فيه من آذيّه المتراكب

من هجاء ابن الرومي

كان أبو الحسن جحظة البرمكي أطيب الناس غناء ، وأحسنهم مجالسة ، وأمتهم مؤانسة ، وكان قبيح المنظر جداً جاحظ العينين وفيه يقول ابن الرومي :

نبئت جحظ يستعير جحوظه من فيل شطرنج ومن سرطان
يا رحمتي لمناديمه تحملوا ألم العيون للذّة الآذان

ووصف ابن الرومي أنف عدوه ابن حرب فقال :

لك أنفٌ يابن حربٍ أنفت منه الأنوف
أنت في القُدسِ تصليَ وهو في البيت يطوف

وقال ابن الرومي في رمضان :

إذا بركت في صوم لقوم دعوت لهم بتطويل العذاب
وما التبريك في شهر طويل يطاول يومه يوم الحساب
فليت الليل فيه كأن شهرا ومر نهاره مر السحاب

تقشف

قال الشاعر ابن الرومي يهجو أوفى بن منصور وكان الأخير شديد البخل :

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة حتى نزلت على أوفى بن منصور
يَبْس اليدين فما يسطيع بسطهما كأن كفيه شدا بالمسامير
الحابس الروث في أحشاء بغلته خوفا على الحب من نقر العصافير

أبو نواس[1]

أعظم شعراء العصر العباسي وهو أول من طور الشعر وأدخل على الشعر

(١) أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي . يكنى بأبي علي وأبي نؤاس والنؤاسي . وعرف أبو نواس بشاعر الخمر . قال البعض انه تاب عما كان فيه وأتجه إلى الزهد وقد انشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك .

التشبيهات ، وكان يحفظ القران الكريم كأنه منسوخ نسخاُ ، وتشتهر أشعاره بالفكاهة ، وقد اجتمع طائفة من الشعراء عند المأمون فقال لهم : أيكم القائل

فلمـــا تحســـاها وقفـــنـا كأننـا نـرى قمـرا فـي الأرض يبلغ كوكبا

قالوا أبو نواس

قال : فأيكم القائل :

إذا نـزلت دون اللهـاة مـن الفتــى دعـا همـــه عـن صدره برحـيل

قالوا أبو نواس

قال : فأيكم القائل :

فتمشـــت فـــي مفـاصلهـم كتمشـــي الـــبرء فـي الســقم

قالوا أبو نواس قال : فهو أشعركم

دعاء أبي نواس

دخل أبو نواس كرما فرأى عنقودا مازال حصرما فاستقبل القبلة وأنشأ يدعو قائلا : اللهم سود وجهه واقطع حلقه واسقني دمه!!

مادامت تحملك قدماك

سأل رجل أبو نواس : إذا شيعنا جنازة ، نسير أمامها أفضل أم نسير خلفها؟

فقال : إذا لم تكن في النعش ، أمش حيث شئت !

ولما بدا لي أنها لا تحبني

عن علي بن عبد الله الجعفري ، وكان شاعراً وأديباً ، قال : كنت أجلس بالمدينة وأنشد أشعاري ، فحجّ أبو نواس فلمّا صار إلى المدينة وأنا ذات يوم أنشد ، والنّاس مجتمعون علي ، إذ دخل أبو نواس . فرأيته من بين النّاس ثمّ قال : يًا هذا ألا تنشد بيتيك اللذين تكشّحت فيهما؟ فقلت : وما هما . قال : اللذان تقول فيهما :

ولمّا بـــدا لـــي أنهـــا لا تحبّنـــي وأن هواهـــا ليـــس عنّي بمنجلي

تمنّيـــت أن تبلـــي بغيـــري لعلّهـــا تـــذوق حـرارات الهوى فترقّ لي

قلت : أفلا أنشدك بيتي اللذين أتغاير فيهما؟ قال : بلى . فأنشدته :

ربّمـــا سرّنـــي صـــدودك عنّـــي وطلابيـــك وامتناعـــك منّـــي

حـــذراً أن يكـــون مفتـاح غيـــري فـــإذا ما خلـــوت كنـت التّمني

قال : فسألت عنه . فقيل لي أبو نواس .

وصفات نواسيّة

قيل : جاء رجل إلى أبي نواس يمازحه ، فقال له يا أبا نواس ، إنّني مريض بجملة أمراض وأَريد أن أُخبرك بها لعلَّك تصفُ لي الدواء الشافي ، فقال : قلْ عساني أجِد لك خير دواء يشفيك . . .

فقال الرجل : إنّني أشعر أنَّ بشعر ذقني مغص ، وأشعر أنَّ ما آكله من الطيِّبات ينزل خبيثاً من أَسفل ، وبباطني ظلمة . . فهل لذلك دواءُ؟ فقال أبو نواس : أمَّا ما بشعرِ لحيتكَ من المغص فعليك بالموسى ، وأمَّا ما تأكله من الطيِّبات فينزل خبيثاً من أسفلَ ، فكُلْ خبيثاً ينزل طيباً ، وأما ما تراه من الظلمة في جوفك ، فعليك بفانوس تعلِّقه على باب بدنِك حتَّى يضيءَ لك جوفك؟ فضحك الناس عليه وانصرف الرَّجل خجولاً .

فتح اللهُ عليكَ

قيل : ذهب أبو نواس مع رجل بخيل ليستأجر له داراً للسَّكن . . . فلمّا وقف بباب الدَّار أقبل سائل فقير عليه هيئة العُدم ، وتقدَّم من البخيل وقال له : حسنة لله يا مولاي . . . فقال له فتح الله عليك . . فذهب في سبيله . . وبينما هما واقفان جاء آخر وقال : صدقة يا سيِّدي ممَّا أَعطاك الله . فقال البخيل : حنَّنَ الله عليك ، سِر في طريقك . . فمضى السائل ، وبعد برهة جاء ثالث فصرفه أيضاً ، وجاء رابع فقال : أعطِيني يا سيِّدي ممَّا أعطاك الله . . . فقالَ البخيل : اللهُ يعطيك . فمضى الرجل .

والتفتَ الرجل إلى أبي نواس وقال : لقد أَعْجَبَنِيْ البيت لولا كثرة السائلين في هذه الجهة ؛ فقال أبو نوّاس : لا خوف عليك يا سيِّدي منهم ما دمتَ تحفظ هذه الجملة التي تصرفهم بها . . . وليس يضرُّك من أمرهم شيئاً مهما كثروا أو قلّوا .

فخجل الرّجل وذهب دون أن يستأجر البيت .

زجاجة الخمر

قيل : مرَّ الرشيد ذات يوم بأسواق المدينة ومعه جماعة من أتباعه ، فالتقى بأبي

نواس ، وكان يحمل زجاجة من الخمر . . فقال له : ما هذا الذي بيدك يا أبا نواس؟

فخجل أبو نوّاس ومدَّ يده الثانية من خلف ، فتناول بها الزجاجة ، ومدّ يده التي كانت بها الزجاجة ، إلى الخليفة وقال : لا شيء يا أمير المؤمنين .

فقال الخليفة : أرني يديك الثاني ، فوضع الزجاجة في يده الأولى ، وقدَّم يده الثانية وقال : ها هي ، وليس بها من شيء . وقلب أصابعه ، فقال له الخليفة : أرني الاثنتين معاً ، فتقدَّم إلى الحائط ، فوضع الزجاجة وضغط عليه بظهره ورفع يده إلى أعلى وقال : ها هما يداي معاً يا أمير المؤمنين . . ألا تصدِّقني بعد ذلك؟

فقال له الرّشيد : تقدَّمْ مني . . . فقال أبو نواس : ألا تخاف الفضيحة ، فلو أَنِّي تحرّكتُ لانكَسَرَتْ ، فضحك الرشيد منه وقال له : خذ زجاجتك أيُّها الخبيث وانصرِف .

قصة أبي نواس مع شاعر الأندلس

كان عباس بن ناصح ، الشاعر الأندلسي ، لا يَقْدم من المشرق قادمٌ إلا سأله عمَّن نَجَمَ هناك في الشعر ، حتى أتاه رجل من التجار فأعلمه بظهور أبي نواس ، وأنشده من شعره قصيدتين ؛

إحداهما قوله : جَرَيْتُ مع الصِّبا طَلْقَ الجُمُوحِ

والثانية : أما ترى الشمس حَلَّت الحَمَلا

فقال عباس : هذا أشعرُ الجن والإنس . واللّه لا حبسني عنه حابس .

فتجهَّز إلى المشرق . فلما حلَّ بغداد نزل منزلة المسافرين ، ثم سأل عن منزل أبي نواس ، فأُرشد إليه ، فإذا بقصر على بابه الخُدَّام . فدخل مع الداخلين ، ووجد أبا نواس جالسًا في مقعد نبيل ، وحوله أكثرُ متأدّبي بغداد ، يجري بينهم التمثل والكلام في المعاني . فسلّم عباس وجلس حيث انتهى به المجلس ، وهو في هيئة السفر .

فلما كاد المجلس ينقضي ، قال له أبو نواس : مَن الرجل؟

قال : باغي أدب .

قال : أهلاً وسهلاً . من أين تكون؟

قال : من المغرب الأقصى . وانتسب له إلى قرطبة .

فقال له : أَتَرْوي من شعر أبي المخشيّ شيئًا؟

قال : نعم .

قال : فانشدني .

فأنشده شعره في العمى .

فقال أبو نواس : هذا الذي طَلَبْته الشعراء فَأَضَلَّتْه . أنشِدني لأبي الأجرب .

فأنشده .

ثم قال : أنشدني لبكْر الكنانيّ .

فأنشده .

ثم قال أبو نواس : شاعر البلد اليوم عباسُ بن ناصح؟

قال عباس : نعم .

قال : فأنشدني له .

فأنشده : فَأَدْتُ القَريض ومَنْ ذا فَأَدْ

فقال أبو نواس : أنت عباس؟

قال : نعم!

فنهض أبو نواس إليه فاعتنقه إلى نفسه ، وانحرف له عن مجلسه .

فقال له مَن حضَر المجلس : من أين عرفَته أصلحك اللّه؟

قال أبو نواس : إني تأمّلته عند إنشاده لغيره ، فرأيته لا يُبالي ما حدث في الشعر من استحسان أو استقباح . فلما أنشدني لنفسه استَبَنْتُ عليه وَجْمَةً ، فقلت : إنه صاحبُ الشِّعر!

أبو نواس وجارية الأمير

حدث أبو جعفر قال : بينا محمد بن وريدة الأمين يطوف في قصر له ، إذ مر بجارية له سكرى ، وعليها رداء خز تسحب أذياله ، فراودها عن نفسها ،

فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا على حال ما ترى ، ولكن إذا كان من غد إن شاء الله .

فلما كان من الغد مضى إليها ،

فقال لها : الوعد .

فقالت له : يا أمير المؤمنين : أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار؟

فضحك ، وخرج إلى مجلسه ،

فقال : من بالباب من شعراء الكوفة؟
فقيل له : مصعب والرقاشي وأبو نواس .
فأمر بهم فأدخلوا عليه ، فلما جلسوا بين يديه
قال : ليقل كل واحد منكم شعراً يكون آخره : «كلام الليل يمحوه النهار»
فأنشأ الرقاشي يقول :

متى تصحو وقلبك مستطار ... وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صباً مستهاماً ... فتاة لا تزور ولا تزار
إذا استنجزت منها الوعد قالت ... كلام الليل يمحوه النهار

وقال مصعب :

أتعذلني وقلبك مستطار ... كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي ... بألحاظ يخالطها احورار
ولما أن مددت يدي إليها ... لألمسها بدا منها نفار
فقلت لها عديني منك وعداً ... فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مقتضياً أجابت ... كلام الليل يمحوه النهار

وقال أبو نواس :

وخود أقبلت في القصر سكرى ... ولكن زين السكر الوقار
وهز المشي أردافاً ثقالاً ... وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الردا عن منكبيها ... من التجميش وانحل الإزار

فقلت : الوعد سيدتي . فقالت : . . . كلام الليل يمحوه النهار
فقال له : أخزاك الله ، أكنت معنا ومطلعاً علينا؟
فقال : يا أمير المؤمنين عرفت ما في نفسك فأعربت عما في ضميرك .
فأمر له بأربعة آلاف درهم ، ولصاحبيه بمثلها .

خشية أن يمسخني الله مثلك

مر عثمان بن حفص الثقفي وكان قبيح جداً بأبي نواس وقال له : مالي أراك مصفراً؟

فقال أبو نواس : رأيتك فذكرت ذنوبي وخفت أن يعاقبني الله فيمسخني مثلك!

والي القردة والخنازير

كأن أبو نواس خارجاً من دار الخلافة فتبعه الشاعر الرقاشي[1] وقال له
أبشر يا علي أن الخليفة قد ولاّك في هذه الساعة ولاية
قال أبو نواس : وما هي ويلك
قال الرقاشي . . ولاّك على القردة والخنازير
فقال أبو نواس إذاً اسمع وأطع

تهكم

قال أبو نواس (وهو الشاعر الفارسي الأصل) يتهكم بالشعراء العرب الأوائل
الذين يفتتحون قصائدهم غالبا بمشهد الوقوف على الأطلال :
قل لمن يبكي على رسم درس
واقفا ماضر لو كأن جلس .!

هجاء بخيل

قال أبو نواس يهجو الفضل :
رأيت الفضل مكتئبًا يناغي الخبز والسمكا
فأسبل دمعة لما رأني قادمًا وبكى
فلما أن حلفت له بأني صائم ضحكا

جارية الحائك الأحمق

قال أبو نواس دعاني يوما بعض الحاكة ، وألح علي ليضيفني في منزله ، ولم يزل بي حتى أجبته ، فسار إلى منزله وسرت معه ، فإذا منزل لا بأس به ، وقد احتفل الحائك فلم يقصر ، فأكلنا وشربنا ، ثم قال : يا سيدي ، أشتهي أن تقول في جاريتي شيئا من الشعر وكان مغرما بجارية له قال أبو نواس فقلت : أرنيها حتى أنظم على شكلها ، وحسنها . فكشف عنها الحجاب ، فإذا هي من أسمج خلق الله وأوحشهم ،

---

(١) الفضل الرقاشي الفضل بن عبد الصمد الرقاشي . شاعر عباسي ، مولى ربيعة ، نشأ بالبصرة وقدم بغداد وانقطع للبرامكة . كان هجاءً سليط اللسان وقد ناقض أبا نواس .

سوداء شمطاء ديدانية يسيل لعابها على صدرها فقلت لسيدها : ما اسمها؟ فقال : تسنيم . فأنشأت أقول

أسهر ليلي حب تسنيم جارية في الحسن كالبوم
كأنما نكهتها كامخ أو حزمة من حزم الثوم
وضرطت من حبي لها ضرطة أفزعت منها ملك الروم

قال : فقام الحائك يرقص ويصفق سائر يومه ، ويفرح ويقول : شبهها والله بملك الروم .

شعر بلا قافية

اختبر الخليفة الأمين مرةً أبا نواس فقال له :
يا أبا نواس هل تصنع شعراً لا قافية له!؟
قال أبو نواس :
نعم ، وصنع من فوره ارتجالاَ
ولقد قلتُ للمليحة قُولي من بعيد لمن يُحبكِ (مُجْ مُج)
وما بين القوسين هو صوت القُبلة .
فأشارت بمعصم ثم قالت من بعيد خلاف قولي (نُجْ نُجْ)
وما بين القوسينً هو صوت الامتناعً والرفض بمعنى لا لا .
فتأملتُ ساعةً ثم إني قلتُ للبغل عند ذلك (چُچ چُچْ)
وما بين القوسين هو صوت زجر البغل ليتحرك ويمشي
فتعجب جميع من حضر المجلس من حسن نظمه ووصله الأمين وأجزل له الصلة .

رهان الخليفة

قال هارون الرشيد لأبي نواس :

يا أبا نواس : إن تبت ليلة (وانت عريان) على سطح القصر فلك ألف دينار . فقال أبو نواس في سره (عندما يذهب الخليفة للنوم أنزل عن السطح وأصعد عليه قبل أن يستيقظ من النوم بقليل فاكسب الرهان) فأجاب أبو نواس بالقبول .

ثم خلع أبو نواس ثيابه وبدأ يصعد درجات السلم ، وبدأ برد مدينة بغداد يقرصه ، وعندما أصبح أبو نواس على سطح القصر أبعد الخليفة السلم وذهب للنوم .

بقي أبو نواس على سطح القصر حتى الفجر وازرق جسده من شدة البرد ، حتى

جاء أمير المؤمنين ووضع السلم على الجدار .

نزل أبو نواس وكان يرتجف من شدة البرد ، وبعد أن دفئ قليلا

قال : يا أمير المؤمنين أين مبلغ الرهان؟ .

فقال أمير المؤمنين : يا أبا نواس ألم تدفئ نفسك خلال الليل ،

فقال أبو نواس : كيف يا أمير المؤمنين؟

فقال الرشيد : ألم ترى نارا أو نورا؟

فقال أبو نواس : لقد رأيت نورا ولكنه كان بعيدا جدا .

فقهقه الرشيد وقال : لقد خسرت الرهان يا أبا نواس فقد تدفأت على ذلك النور .

سكت ابو نواس وقبل الهزيمة على مضض .

وبعد أن مرت عدة أسابيع جاء أبو نواس إلى أمير المؤمنين ودعاه إلى وجبة غداء في مزرعته الواسعة . قبل أمير المؤمنين الدعوة وذهب إلى المزرعة مع رهط من جلسائه . انتظروا فترة من الزمن

ثم قال أمير المؤمنين : يا أبا نواس أين الطعام؟

فقال أبو نواس : على النار يا أمير المؤمنين .

وبعد فترة قال الرشيد : يا أبا نواس أرني الطعام الذي على النار . فأخذه أبو نواس إلى مكان طهي الطعام . وكانت القدر معلقة على الشجرة والنار على الأرض ، فقال أمير المؤمنين : يا أبا نواس كيف سينضج هذا الطعام وهو بعيد عن النار؟

فأجابه أبو نواس : كما تدفأت على نار بعيدة عني يا أمير المؤمنين

فضحك هارون الرشيد وامر له بمبلغ الرهان .

الضيف الطارق

ويحكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أرق ذات ليلة فقام يتمشى في قصره بين المقاصير ، فرأى جارية من جواريه نائمة فأعجبته ، فداس على رجليها فانتبهت فرأت أمير المؤمنين ، فاستحيت منه وقالت : يا أمين الله ما هذا الخبر .

فأجابها بقوله :

قلت : ضيف طارق في أرضكم — هل تضيفوه إلى وقت السحر

فأجابته تقول :

بســـــــرور وهنـــــــاء سيـــــــدي أخـــدم الضيــف بسمعي والبصر

فبات عندها إلى الصباح ، فسأل أمير المؤمنين من بالباب من الشعراء؟ قيل له : أبو نواس . فمر به فدخل عليه . فقال : هات علي يا أمين الله ما هذا الخبر ، فأنشأ يقول :

طـــال ليلـــي حين وافاني السهـــر فتفكـــرت فأحسنـــت الفكـــر
قمـــت أمشـــي في المجالي ساعـــة ثـــم أجـــري في مقاصير الحجر
فـــإذا وجـــه جميـــل مشـــرقٌ زانـــه الرحمـــن مـــن بين البشر
فلمســـت الرجـــل منـــها موطـئاً فدنـــت منـــي ومـــدت للبصر
وأشـــارت لـــي بقـــول مفصـــح يا أمـــين الـــله مـــا هذا الخبر؟
قلـــت : ضيـــف طارق في أرضكم هـــل تضيفـــوه إلى وقت السحر
فأجابـــت بســـــــرور سيـــــدي أخـــدم الضيف بسمعي والبصـــر

قال : فتعجب أمير المؤمنين من ذلك وأمر له بصلة .

أبو نواس والرشيد والخيزران

وذكر الخطيب في بعض مصنفاته أن الرشيد دخل يوماً قبل وقت الظهر ، في مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها ، فوجدها تغتسل ، فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيئاً ، فأعجبه ذلك الفعل واستحسنه ، ثم عاد إلى مجلسه وقال : من بالباب من الشعراء؟ قالوا له : أبو نواس وبشار .

فقال : ليحضرا جميعاً .

فأحضرا ، فقال الرشيد ليقل كل منكما أبياتاً توافق ما في نفسي ، فأنشأ بشار يقول :

تحببتكـــم والقلـــب صـــار إليكم بنفســـي ذاك المنـــزل المتحبـــب
إذا ذكروا الهجـران لا عـــن ملالـــة وذكراهـــم ، ينمـــي إلي محبب
وقالـــوا تجنبنـــا ، ولا قـــرب بيننـاً فكيـــف وأنتـــم حاجتي تتجنبوا
على أنهـــم أحلـى من الشهد عندنا وأعذب من ماء الحيـــاة وأطيـــب

فقال : أحسنت ، ولكن ما أصبت ما في نفسي ، فقل أنت يا أبا نواس ، فجعل يقول :

نضـــت عنها القميص لصب مـــاء فـــورد خدهـــا فـــرط الحيـــاء

وقابلت الهواء ، وقد تعرت بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة ، كالماء منها إلى ماء معد في إناء
فلما أن قضت وطراً وهمت على عجل إلى أخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على التداني فأسبلت الظلام على الضياء
فغداب الصبح منها تحت ليل وظل الماء يقطر فوق ماء
فسبحان الإله وقد براها كأحسن ما يكون من النساء

فقال الرشيد : سيفاً ونطعاً .

فقال له : ولم يا أمير المؤمنين؟ قال : أمعنا كنت؟ قال : لا والله ولكن شيء خطر ببالي .

فأمر له بأربعة آلاف درهم وصرفه .

الديك والدجاج

قيل : بينما كان أمير المؤمنين هارون الرشيد في مجلسه وعن يمينه ويساره الوزراء والعظماء من أهل مملكته وأصحاب الرأي عنده . دخل عليه حاجبه معلنا قدوم أبي نواس ، فقال الخليفة : دعه ينتظر قليلا . ثم نظر إلى جلسائه وقال : هذه فرصة سانحة نضحك فيها على أبي نواس ويجب أن أستحضر لكل منكم بيضة تخبوئنها في طيات ثيابكم حتى إذا دخل أبو نواس ، يتكلم كل واحد منكم بكلام فيتكلم أحدكم كلمة أغضب عليكم عند سماعها ، وأقول : يا لكم من ضعاف مثل الفراخ . تالله أذا لم تفعلوا مثل الدجاج ويبيض كل منكم بيضة لأقطعن رقابكم . فقالوا : سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين . وعندئذ طلب الخليفة الحاجب وقال له : اذهب فاستحضر ست بيضات ، ولا تدع أحدا يراك ، خصوصا أبو نواس ، فخرج الحاجب . وعاد منفذا أمر الخليفة وأعطى لكل من الجالسين بيضة ، خبأها بين طيات ثيابه ، وجلسوا ينتظرون . ودخل أبو نواس فسلم على أمير المؤمنين سلام الخلافة ، وأظهر الرشيد انتباهه إلى حديث جلسائه ، ونطق أحدهم بكلمة . فغضب منها الرشيد غضبا شديدا فصاح بهم : ويحكم أيها الجبناء إنكم مثل الدجاج ، ولا أجد فرقا بينكم وبينهم والله وإن لم يبض كل منكم بيضة لأقطعن رقابكم . فأظهروا الاضطراب والخوف ، وأخذوا يفعلون كما تفعل الفراخ . وبعد قليل مد الأول منهم يده إلى مؤخرته ، فأخرج بيضة وقال : ها هي بيضتي يا أمير المؤمنين وأعقبه الثاني

والثالث إلى السادس ، وكان الخليفة يقول لكل من يقدم بيضه : قد نجوت . ولما جاء دور أبو نواس وقف على قدميه ومشى حتى توسط الجميع ، وصار أمام الخليفة وجها لوجه ، ثم صار يقول : كاك ، كاك ، كاك . كما يفعل الديك بين زوجاته الدجاج ، ثم ضرب إبطيه على بعضهما ، وصاح بأعلى صوته كما يفعل الديك تماما ، وقال كوكو ، كو . فقال الخليفة : ما هذا يا أبو نواس . فقال أبو نواس : عجباً يا أمير المؤمنين ، هل رأيت دجاجا تبيض من غير ديك هؤلاء فراخك وأنا ديكهم . فضحك الخليفة حتى كاد يسقط عن كرسيه ، وقال له : يا لك من خبيث ماكر ، تالله لولم تكن فعلت ذلك لعاقبتك ، ثم أمر له بهدية .

الزجاجة الخجول

شاهد الرشيد أبا نواس ، وفي يده زجاجة من الخمر ، فسأله : ماذا في يدك يا أبا نواس

فأجاب : زجاجة لبن يا أمير المؤمنين .

فقال الخليفة : هل اللبن أحمر اللون

فقال : أحمرت خجلا منك يا أمير المؤمنين .

فأعجب الخليفة من بداهته ، وعفا عنه

قاضي المنافقين

طلب رجل من ابي نواس حاجة فوعده بقضائها والحضور بها إلى منزله في صباح اليوم التالي . جلس الرجل في منزله ينتظر ابا نواس منذ طلوع الشمس حتى الغروب ولم يحضر إليه أبو نواس بعد فأغتاظ غيظا شديدا .

وتصادف أن تقابل مع ابي نواس في مساء اليوم التالي فقال له الرجل : إنني لم أر إنساناً أكذب منك ولو علم أمير المؤمنين بحقيقتك لجعلك قاضياً للمنافقين .

وقال ابا نواس ضاحكا : صدقت في قولك إنني فعلا أصلح لهذا المنصب فهل لديك شكوى تعرضها علي؟؟؟؟

فلم يجد الرجل بدأ بالضحك على سرعة بداهة أبي نواس ثم انصرف

قلعت عيناه فأبصر

تذكر الرواية أن أحد الشعراء ويقال أنه أبو نواس دخل على الخليفة ويقال أنه

هارون الرشيد فوجده جالساً وإلى جانبه جارية سوداء تدعى خالصة عليها من الحلي وأنواع الجواهر مالا يوصف فصار الشاعر الذي يمتدح الخليفة الذي كان منشغلاً عنه بجاريته خالصة فلم ينتبه إلى قصيدته ويبدو أنه لم يكافئه عليها فلما خرج الشاعر من مجلس الخليفة وكتب على باب الخليفة :

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع در على خالصة

وخالصة كما ذكر جارية سوداء مطوقة بالحلي عاطلة من الجمال وضاعت روعة الجواهر أمام جمال خالصة المتواضع لكن الخليفة كان يحبها .سمع أو قرأ البيت السابق بعض رجال الخليفة ونقله للخليفة فغضب من لذلك وأمر بإحضار الشاعر وعاتبه على بيته وهم بالفتك به فقال الشاعر : يا أمير المؤمنين كذبوا وإنما قلت :

لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء در على خالصة .

الأعرابي وأبو نواس

قال إبراهيم بن عمر : خرج أبو نواس في أيّام العشر يريد شراءَ أضحية ، فلمّا صار في المربد إذا هو بأعرابي قد أدخل شاةً له يقدمها كبشٌ فارهٌ ، فقال : لأُجرِّبنّ هذا الأعرابي فأنظر ما عنده ، فإني أظنّه عاقلاً ؛ فقال أبو نواس :

(أيا صاحب الشّاة الّتي قد تسوقها بكم ذاكم الكبشً الذي قد تقدّما)

فقال الأعرابيّ :

(أبيعكه إن كنت ممّن يريده ولم تكُ مزّاحاً بعشرين درهما)

فقال أبو نواس :

(أجدت رعاك الله ردَّ جوابنا فأحسن إلينا إن أردت التّكرما)

فقال الأعرابي :

(أحطُّ من العشرين خمساً فإنّني أراك ظريفاً فأقبضنه مسلماً)

قال : فدفع إليه خمسة عشر درهماً ، وأخذ كبشاً يساوي ثلاثين درهماً .

المكيدة الناجحة

قيل أن الرّشيد خرج يوماً إلى الصيد ومعه حاشيته وكان من بين أفراد الحاشية أبو نواس .

ثم ذهب كلٌّ إلى عمله المخصّص له ، وبقي في الصيوان الذي ضُرب للخليفة :

خادم الخليفة ، وطاهي الطعام وكان يدعى فرحات وأبو نواس ، ولّما انتصف النّهار جاع أبو نواس جوعاً شديداً فأقبل على فرحات وقال : أطعمني الآن لأنني أكاد أموت من الجوع ، فقال فرحات : لا أطعم أحداً حتى يعود أمير المؤمنين ، فقال أبو نواس . يجب أن تطعمني لأنّني لا أستطيع الانتظار طويلاً ، فأجابه : قلت لك إنّني لا أطعمك قبل أمير المؤمنين .

فقال أبو نواس : تأكّد بأنّك إذا لم تطعمني فسأكيدنّ لكّ كيداً موجعاً ، فقال فرحات افعل ما بدا لك . . فتركه أبو نواس ، وقد أضمر له الشرّ . . وكان بالقرب من الصيوان بعض الأعراب الرُّحل ، فذهب إليهم وقال : ألا تشترون مني غلاماً عربياً إذا قال لكم : أنا حر ، فلا تصدّقوه ، وإذا كنتم ستتركونه إذا قال لكم ذلك فأخبروني ، كي لا أبيعه لكم ، وأبحث عن غيركم ، فقالوا له : لا نصدّقه مهما قال ، ونشتريه منك على عيبه بهذه الناقة ، فقال أبو نواس ، قبلت الثمن ، بارك الله لكم فيه ، ثم ساق الناقة أمامه ، والقوم خلفه ، حتى وصلوا إلى حيث فرحات فأشار لهم عليه ، وكان واقفاً أمام المرجل يهيئ الطعام لمولاه أمير المؤمنين فقال لهم أبو نواس : ها هو امسكوه . فتقدّم الأعراب وأمسكوه وقالوا له : يجب أن ترافقنا أيّها المبارك فقد باعك لنا مولاك ، فصاح بهم فرحات : ويلكم ، أنا حرٌّ لا أباع ، وهذا رجل منافق كذّاب ، فقال له رئيسهم : ويحك يا رديء الطبع ، إن هذا الذي تقوله الآن قد حذّرنا منه مولاك قبل أن نشتريك منه ، هيّا معنا ، وإلاّ أخذناك قسراً وضربناك بالسّياط ، فأبى أن ينصاع لهم . . فجعل أحدهم الحبل في عنقه وربطوه كما تربط الماشية وجروه بعنف ، وهو يصرخ ويصيح ويقول لهم : اتركوني ، إنّ هذا الخبيث الذي باعني لكم كذّاب مهزار ليس له هنا أيُّ شيء ، فقالوا له ، ويلك أيها العبد العنيد ، هيّا . . . تعالَ معنا . . وصاروا يسحبونه بالقوة وهو يمتنع من الذَّهاب معهم أشدّ الامتناع ، وبينما هم كذلك ، إذا بأمير المؤمنين مقبل من الصيد ، فلمّا سمع الضجّة سأل عن الخبر ، فأخبروه أن أبا نواس باع فرحات لبعض الأعراب ، فضحك حتى كاد يسقط عن جواده ، وقال : لا بارك الله في أبي نواس .

ثمّ تقدم من الأعراب وقال لهم : اتركوا هذا الغلام وخذوا ناقتكم وفوقها ألف درهم . . إنّه حرٌّ لا يباع ، وكلُّنا نشهد بذلك ، فأخذ الأعراب الناقة والدراهم وانصرفوا ، وفكَّ رباط فرحات وأبو نواس واقف يضحك منه ، ولّما عاد الخليفة إلى بغداد من رحلته ، سأل أبا نواس عمّا حمله على أن يفعل بفرحات هذا الفعل ،

فقال : الجوع يا أمير المؤمنين ، لقد أقسمت أن أنتقم منه لأنه لم يطعمني ، فبالله سلْهُ هل اغتاظ أم لا؟ ، فقال الرشيد : وإذا كان غير مغتاظٍ منك فماذا أنت صانع؟ فأجاب : أصنع معه أ :ثر مّما صنعت ، وأقسم برأس أميرً المؤمنين على ذلك ، ولا أحنث بهذا القسم أبداً ، فقال فرحات : عفواً يا أمير المؤمنين ، احمني منه ، إنه يقول ويفعل ، فضحك الخليفة منهما وأمر لكلّ واحدٍ منهما بجائزة .

العامي الظريف

خرج الرشيد يوماً في ثياب العوام ومعه يحيى بن خالد[1] وخالد الكاتب وإسحاق بن إبراهيم الموصلي وأبو نواس وعليهم ثياب العامة ، فنزلوا سهرية مع ملاّح غريب اختلاطا بالعوام . فنزل معهم عامي ، فثقل على الرشيد ، وهمّ بإخراجه وعقوبته ، فقال أبو نواس : عليّ إخراجه من غير إساءةٍ إليه ؛ فقال أبو نواس للجماعة : عليّ مأكولكم من اليوم وإلى يوم مثله ؛ فقال الرشيد : وعليّ مشروبكم من اليوم وإلى يوم مثله ؛ وقال يحيى : عليّ مشمومكم من اليوم وإلى يوم مثله ؛ وقال خالد : عليّ بقلكم من اليوم إلى يوم مثله ؛ وقال إسحاق : عليّ أن أغنيكم من اليوم إلى يوم مثله ؛ ثمّ التفت أبو نواس إلى الرجل ، فقال : ما الذي لنا عليك أنت؟ فقال : عليّ أن لا أفارقكم من اليوم إلى يومٍ مثله ؛ فقال الرشيد : هذا ظريفٌ لا يحسن إخراجه ، فصحبهم في تفرّجهم بقيةً يومهم .

الرشيد يأمر بقتل أبي نواس

ويحكى أن هارون الرشيد أمر بقتل أبي نواس فقال : أتقتلني شهوةً لقتلي؟ فقال : لا ، بل أنت مستحق للقتل .

قال : فيم استحقيت القتل؟

قال : بقولك :

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر

فقال : يا أمير المؤمنين ، أفتعلم أنه سقاني وشربت؟

---

(١) حيى بن خالد البرمكي كان كاتب هارون الرشيد قبل أن يلي الخلافة ، ثم أصبح وزيره بعد أن تولاها ، وأصبح هو وأولاده الفضل وجعفر من علية القوم في الخلافة الرشيدية .

فقال له أمير المؤمنين : أظن ذلك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أفتقتلني على الظن ، وقد قال الله تعالى : «إن بعض الظن إثم» .

فقال له الرشيد : قد قلت ما تستحق به القتل .

فقال : ما هو؟ فقال له : قولك :

ما جاءنا أحدٌ يخبر أنه   في جنةٍ من ماتَ أو في نار

فقال له : يا أمير المؤمنين! هل جاءنا أحدٌ؟ قال : لا .

قال : أتقتلني على الصدق؟ فقال له الرشيد : أولست القائل :

يا أحمدُ المرتجى في كل نائبة   قم سيدي نعص جبار السموات

فقال له : يا أمير المؤمنين! أوصار القول فعلاً؟

قال : لا أعلم .

قال : أفتقتلني على ما لم تعلم .

فقال له أمير المؤمنين : دع هذا كله ، فقد اعترفت في مواضع كثيرة من شعرك بالزنا .

قال أبو نواس : قد علم الله هذا قبل علم أمير المؤمنين بقوله تعالى : ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقلون ما لا يفعلون﴾ .

فقال الرشيد : خلوا عنه .

ومن هذا أخذ الصفي الحلي فقال :

نحن الألى جاء الكتاب مخبراً   بعفاف أنفسنا وفسق الألسن

تغفر ذنوبه بأبياتٍ

غفر له بأبيات شعر

وعن محمد بن نافع ، قال : رأيت أبا نواس في النوم بعد موته ، فقلت : يا أبا نواس!

فقال : لاحين كنيت .

فقلت : الحسن بن هانئ .

قال : نعم .

قلت : ما فعل الله بك؟ قال : غفر لي بأبياتٍ قلتها في علتي قبل موتي هي تحت الوسادة .

فسألت أهله فقلت : هل قال أخي شعراً؟ قالوا : لا نعلم! إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندري ما هو .

فدخلت ورفعت وسادته وإذا أنا برقة مكتوب فيها :

يا رب! إن عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمت بان عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
مالي إليك وسيلةٌ إلا الرجا وجميل عفوك ثم إني مسلم

أبو نواس والجماز

لما مرض أبو نواس دخل عليه الجماز يعوده . فقال : اتق الله ، فكم من محصنة قد قذفت ، ومن سيئة قد اقترفت ، وأنت على هذه الحال ؛ فتب قبل الموت . فقال : صدقت . ولكن لا أفعل ! قال : ولم؟ قال : مخافة أن تكون توبتي على يد واحد مثلك .

وقال الجماز : أراد أن يكتب أبو نواس إلى إخوان له دعاهم ، فلم يجد قرطاساً يكتب فيه ! فكتب في رأس غلام له أصلع ما أراد ، ثم قال فيه : فإذا قرأت كتابي ، فأحرقوا القرطاس . فضحكوا منه وتركوا للغلام جلدة رأسه .

الأصمعي

تمتع الأصمعي بشهرة واسعة فقد كانت الخلفاء تجالسه وتحب منادمته ، وقد هيأت مجالس الرشيد له أن يذيع صيته في كل الأوساط والمحافل الأدبية فسعى يجمع الأخبار والأشعار ، ويدقق في اختياره لها وفي إنشاده ، بحيث دفعت هذه الشهرة الرواة أن يضعوا أخباراً وأقوالاً تنسب إليه . ومما يبرهن على شهرته الواسعة ، وتفوقه على أقرانه ما نراه من غالب المصنفين الذين جاءوا من بعده يستقون ثروته اللغوية والأدبية . كما أن كتب اللغة والأدب قد جمعت الكثير من الأخبار والأشعار التي يرويها ، وكان يعلل شهرته بقوله : وصلت بالعلم ، وكسبت بالملح .

كانت للأصمعي مكتبة اختلفت المصادر في ذكر عدد كتبها ، فالأصفهاني ينقل على لسان الأصمعي قائلاً : لما خرجنا إلى الرقة ، قال لي : هل حملت معك شيئاً من كتبك؟ قلت : نعم ! حملت ما خف حمله ، فقال : كم؟ فقلت : ثمانية عشر صندوقاً ، فقال : هذا لما خففت ، فلو ثقلت كم كنت تحمل؟ فقلت أضعافها ، فجعل يعجب !

كان سفيان الثوري[١] يشير إلى وصف ابن مناذر للأصمعي بأنه أحفظ الناس ، وقال الأزهري فيه : وكان أكثر علمه على لسانه . أما الرياشي[٢] فيقول : سمعت الأصمعي يقول قال خلف : يغلبني الأصمعي بحضور الحجة ، وشهد بذلك تلميذه اسحاق الموصلي حيث أشار قائلاً : أعجب من قرب لسانه من قلبه وإجادة حفظه متى أراده .

قال حماد بن إسحاق : سمعت أبي يقول : ما رأيت أحداً قط أعلم بالشعر من الأصمعي ، ولا أحفظ لجيده ، ولا أحضر جواباً منه ، ولو قلت إنه لم يك مثله أحد ، ما خفت كذبا .

وقد نقل أبو العيناء[٣] حديث كيسان فقال : قال خلف الأحمر ويلك الزم الأصمعي ودع أبا عبيدة ، فإنه أفرس الرجلين بالشعر . وقال الأخفش : لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي ، وقال الرياشي فسألته أيهما أعلم؟ قال : الأصمعي ، قلت لما؟ قال : لأنه كان أعلم بالنحو .

وقال إسحاق الموصلي[٤] : لم أرَ كالأصمعي يدعي شيئاً من العلم ، فيكون أحداً أعلم منه . كما قال ابن الأعرابي : شهدت الأصمعي وقد أنشأ نحواً من مائتي بيت ، ما فيها بيت عرفناه . ويقول ابن الأنباري : الأصمعي يد غراء في اللغة لا يعرف فيها مثله ، وفي كثرة الرواية .

(١) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الربابي التميمي من بني تميم ولد في عام كان أحد أئمة الإسلام .

(٢) أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي (٢٥٧ هـ) مولى محمد بن سليمان الهاشمي . من كبار النحاة وأهل اللغة ، راوية للشعر وعالم بأيام العرب . واعتبره ياقوت الحموي «ثقةً فيما يرويه» في كتابه معجم الأدباء .

(٣) العلامة ، الأخباري أبو العيناء ، محمد بن القاسم بن خلاد البصري ، الضرير النديم .

(٤) إسحاق الموصلي هو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن الموصلي التّميمي بالولاء ، الأرجانيّ الأصل المعروف بابن النّديم الموصلي نادم الرّشيد والمأمون والمُعتصم والواثق ولد عام ٧٦٧ م في مدينة الري .

وقال أبو الطيب اللغوي : كان أتقن القوم للغة وأعلمهم بالشعر ، وكذلك ذكر السيوطي : وكان من أعلم الناس في فنه . ويذكر ابن المرزباني : وكان الأصمعي من أروى الناس للرجز ، أما الأزهري فقال : وكان الأصمعي أذكى من أبي عبيدة وأحفظ للغريب منه ، وكان أبو عبيدة أكثر رواية منه .

وسلكه الزبيدي في الطبقة الثالثة من طبقات اللغويين البصريين ، كما عده الأزهري في الطبقة الثانية من اللغويين اللذين أخذ عنهم ، وترتيب كل من الزبيدي والأزهري قائم على التسلسل التاريخي لا المنزلة العلمية .

أعرابي على الطريق

قال الأصمعي : أصابت الأعراب مجاعة فمررت بأعرابي قاعد مع زوجته على قارعة الطريق وهو يقول :

يا رب أني قاعد كما ترى
وزوجتي قاعدة كما ترى
والبطـــن منـــي جائـــع كما ترى فمـــا تـــرى يا ربنا في ما تـرى؟

الشيخ الفصيح

حكى الأصمعي قال : ضلت لي إبل فخرجت في طلبها وكأن البرد شديداً ، فالتجأت إلى حي من أحياء العرب وإذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد :

أيـــا رب إن البـــرد أصبـــح كالحـاً وأنـــت بحالـــي يا إلهـــي أعلم
فأن كنت يوماً في جهنم مُدخلـــــي ففي مثل هذا اليوم طابت جهنـــم

قال الأصمعي : فتعجبت من فصاحته وقلت له : يا شيخ ما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخٌ كبير ، فأنشد يقول :

أيطمـــع ربـــي أن أُصلـــي عاريـــاً ويكســـو غيـــري كسوة البر والحر
فو الله لا صليـت ما عشـــت عارياً عشـــاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبـــح إلا يوم شمس دفيئـــة وأن غيمـــت فالويل للظهر والعصر

وأن يكسني ربـي قميصـاً وجبـة   أصلـي لـه مهما أعيش مـن

لا يأخذ الدهر أغلى منه

قال الأصمعي :
سألت أعرابيّة عن ولدها – وكنت أعرفه – فقالت :
مات والله ، وقد آمنني الله بفقده المصائب ثم قالت :
وكنـت أخـاف الدهر ما كان باقيا   فلمـا تولى مات خوفي من الدهر

الأصمعي والبقال:

عن الأصمعي قال : كنت بالبصرة أطلب العلم ، وأنا فقير . وكان على باب زقاقنا بقّال ، إذا خرجتُ باكرا يقول لي إلى أين؟ فأقول إلى فلان المحدّث . وإذا عدت مساء يقول لي : من أين؟ فأقول من عند فلتن الإخباريّ أو اللغويّ .
فيقول البقال : يا هذا ، اقبل وصيّتي ، أنت شاب فلا تضيّع نفسك في هذا الهراء ، واطلب عملا يعود عليك نفعه وأعطني جميع ما عندك من الكتب فأحرقها . فو الله لو طلبت مني بجميع كتبك جزرة ، ما أعطيتُك!
فلما ضاق صدري بمداومته هذا الكلام ، صرت أخرج من بيتي ليلا وأدخله ليلا ، وحالي ، في خلال ذلك ، تزداد ضيقا ، حتى اضطررت إلى بيع ثياب لي ، وبقيت لا أهتدي إلى نفقة يومي ، وطال شعري ، وأخلق ثوبي ، واتّسخ بدني .
فأنا كذلك ، متحيّرا في أمري ، إذ جاءني خادم للأمير محمد بن سليمان الهاشمي فقال لي : أجب الأمير .
فقلت : ما يصنع الأمير برجل بلغ به الفقر إلى ما ترى؟
فلما رأى سوء حالي وقبح منظري ، رجع فأخبر محمد بن سليمان بخبري ، ثم عاد إليّ ومعه تخوت ثياب ، ودرج فيه بخور ، وكيس فيه ألف دينار ، وقال :
قد أمرني الأمير أن أُدخلك الحمام ، وأُلبِسك من هذه الثياب وأدع باقيها عندك ، وأطعِمك من هذا الطعام ، وأبخّرك ، لترجع إليك نفسك ، ثم أحملك إليه . فسررت سرورا شديدا ، ودعوتُ له ، وعملتُ ما قال ، ومضيت معه حتى دخلت على محمد بن سليمان . فلما سلّمتُ عليه ، قرّبني ورفعني ثم قال : يا عبد الملك ، قد سمعت

عنك ، واخترتك لتأديب ابن أمير المؤمنين ، فتجهّز للخروج إلى بغداد . فشكرته ودعوت له ، وقلت :

سمعا وطاعة . سآخذ شيئا من كتبي وأتوجّه إليه غدا .

وعدت إلى داري فأخذت ما احتجت إليه من الكتب ، وجعلتُ باقيها في حجرة سددتُ بابها ، وأقعدت في الدار عجوزا من أهلنا تحفظها .

فلما وصلت إلى بغداد دخلت على أمير المؤمنين هارون الرشيد . قال : أنت عبد الملك الأصمعي؟

قلت : نعم ، أنا عبد أمير المؤمنين الأصمعي .

قال أعلم أن ولد الرجل مهجة قلبه . وها أنا أسلم إليك ابني محمدا بأمانة الله . فلا تعلمه ما يُفسد عليه دينه ، فلعله أن يكون للمسلمين إماما . قلت : السمع والطاعة .

فأخرجه إليّ ، وحُوِّلْتُ معه إلى دار قد أُخليت لتأديبه ، وأجرى عليّ في كل شهر عشرة آلاف درهم . فأقمت معه حتى قرأ القرآن ، وتفقّه في الدين ، وروي الشعر واللغة ، وعلم أيام الناس وأخبارهم . واستعرضه الرشيد فأُعجب به وقال :

أريد أن يصلي بالناس في يوم الجمعة ، فاختر له خطبة فحفِّظْه إياها .

فحفّظتُه عشرا ، وخرج فصلى بالناس وأنا معه ، فأعجب الرشيد به وأتتني الجوائز والصلات من كل ناحية ، فجمعت مالا عظيما اشتريت به عقارا وضياعا وبنيت لنفسي دارا بالبصرة .

فلما عمرت الدار وكثرت الضياع ، استأذنتُ الرشيد في الانحدار إلى البصرة ، فأذن لي . فلما جئتها أقبل عليّ أهلها للتحية وقد فَشَتْ فيهم أخبار نعمتي . وتأمّلت من جاءني ، فإذا بينهما البقال وعليه عمامة وسخة ، وجبّة قصيرة . فلما رآني صاح : عبد الملك!

فضحكت من حماقته ومخاطبته إيّاي بما كأن يخاطبني به الرشيد ثم قلت له : يا هذا! قد والله جاءتني كتبي بما هو خير من الجَزَرَة!

الأصمعي وقاضي المدينة

قال الأصمعيّ : أنشدت محمد بن عمران قاضي المدينة :

يا أيها السائل عن منزلي ... نزلت في الخان على نفسي

يغدو عليّ الخبز من خابزٍ ... لا يقبل الرّهن ولا ينسي

آكــــل من كيســـي ومـــن كسوتي   حتـــى لقـــد أوجعنـــي ضرسي

فقال : اكتبه لي ؛ قلت : أصلحك الله ، إنّما يكتب هذا للأحداث

فقال : ويحك ، اكتبه لي ، فإن الأشراف يعجبهم الملاحة .

ينظم النثر شعراً

قال أبو حاتم : أنشدنا الأصمعي :

إذا جــاء يـــومٌ صالــحٌ فاقبلنـــه   فأنـــت علـــى يوم الشقاء قديـــر

ثم قال : أتدرون من أين أخذت هذا؟ أخذته من قول العيّارين : أكثر من التخم ، فإنّك على الجوع قادرٌ .

الأصمعي في امتحان شعري أمام الخليفة أبو جعفر المنصور!

ومن طرائف الشعراء ، قصة الأصمعي ، حيث يُحكى بأن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(١) كان حريصا جدا على أموال الدولة وكان من عادة الخلفاء أن يعطوا الهدايا للشعراء ويغدقوا عليهم بالأموال ، فلجأ أبو جعفر إلى حيلة حتى لا يعطى للشعراء الأموال ، فأصدر بياناً بأن من يأت بقصيدة من بنات أفكاره أخذ وزن ما كتب عليها ذهباً ، فتسارع الشعراء إلى قصر الخليفة ليسردوا شعرهم ولكن المفاجأة الكبرى أنه عندما كان يدخل الشاعر ليقول قصيدته وينتهي منها ، يقول له الخليفة هذه القصيدة ليست من بنات أفكارك لقد سمعتها من قبل ويعيدها عليه فيندهش الشاعر ثم ينادى الخليفة على أحد غلمانه فيقول له هل تعرف قصيدة كذا وكذا فيقول نعم فيعيدها عليهم الغلام ثم ينادى الخليفة لجارية عنده هل تعرفين قصيدة كذا وكذا فتقول نعم وتسردها عليهم فيقف الشاعر ويكاد أن يطير عقله من هذا فلقد سهر طوال الليل يؤلف هذه القصيدة ثم يأتي الصباح يجد ثلاثة يحفظونها!

فقد كان أبو جعفر المنصور يحفظ الكلام من مرة واحدة وكان عنده غلام يحفظ الكلام من مرتين وجارية تحفظ الكلام من ثلاثة فإذا قال الشاعر قصيدته حفظها الخليفة فعاده عليه ويكون الغلام خلف ستار يسمع القصيدة مرتين مرة من الشاعر

(١) أبو جعفر عبد الله المنصور ، واسمه الكامل عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم .

ومرة من الخليفة فيحفظها وهكذا كانت الجارية تقف خلف ستار تسمع القصيدة من الشاعر ثم الخليفة ثم الغلام فتحفظها !

فاجتمع الشعراء في منتداهم مغمومين لما يحدث ولا يدرون كيف أن القصائد الذين يسهرون ليألفوها تأتى في الصباح يحفظها الخليفة والغلام والجارية ، فمر عليهم الشاعر وعالم اللغة الأصمعي فرأى حالهم فقال لهم ما بكم فقصوا عليه قصتهم . فقال إن في الأمر لحيلة ، فعزم على أن يفعل شيئا فذهب إلى بيته ثم جاء في الصباح إلى قصر الخليفة وهو يرتدى ملابس الأعراب «البدو» فاستأذن ليدخل على الخليفة فدخل ، قال للخليفة لقد سمعت أنك تعطى على الشعر وزن ما كتبت عليه ذهباً قال له الخليفة هات ما عندك ، فسرد عليه الأصمعي القصيدة التالية :

صَوتُ صَفيرِ البُلبُلِ هَيَّجَ قلبي الثَّمِلِ
المَاءُ والزَّهرُ مَعاً مَعْ زَهرِ لَحْظ المُقَلِ
وأنتَ يَا سيِّدَلي وسيِّدي ومَوْلَى لِي
فَكَمْ فَكَمْ تَيَمُّني غُزَيِّلٌ عَقَيْقَلي
قَطَّفتَهُ مِنْ وَجْنَةٍ مِنْ لَثْم وَرْدِ الخَجَلِ
فَقالَ لا لا لا لا لا فَوقَدْ غَدا مُهَرْولِ
والخُوذُ مالَت طَرَباً مِنْ فِعْلِ هذا الرَجُلِ
فَوَلْوَلَتْ وَوَلْوَلَتْ وَلي وَلي ياوَيْلَلي
فَقُلتُ لا تُوَلْولي وبَيِّني اللُؤْلُؤَ لي
قالتْ لَهُ حينَ كَذا انهَضْ وجِدْ بالنُّقَلِ
وَفِتْيَةٍ سَقَوْنَني من قَهْوَةٍ كَالعَسَلَ
شَمَمْتُها بِأَنَفي أَزْكى مِنَ القَرَنْفُلِ
في وَسْطِ بُسْتانٍ حُلي بالزَّهْر والسُرُورُ لي
والعُودُ دَنْدَنْ دَنَا لي والطَّبْلُ طَبْطَبْ طَبَ لي
طَبْ طَبِطَبْ طَبْ طَبِطَبْ طَبْ طَبِطَبْ طَبْطَبَ لي
والسَّقْفُ سَق سَقْ سَقَ لي والرَّقْصُ قَدْ طابَ لي
شَوى شَوى وشاهشُ على وَرَقْ سِفَرجَلي
وغَرَدَ القِمْرِ يَصيحُ مَلَلٌ في مَلَلِ
وَلَوْ تَراني راكِباً على حِمارٍ أَهْزَلِ

يَمْـشي على ثلاثَة كَـمَـشْـيَـة العَـرَنجلِ
والناسْ تَرْجِمْ جَـمَلي في السُـوقْ بالقُلْقُلَلِ
والكُلُّ كَـعْكَعْ كَـعكَعْ خَلْفي وَمِنْ حُـوَيْلَلي
لكِنْ مَـشَـيتُ هارباً مِن خَـشْـيَـة العَـقَنْقلي
إلى لِقـاء مَلكٍ مُـعَظَّمٍ مُـبَـجَّلِ
يَأمُـرُني بِخَلْعَـة حَـمـراءْ كـالدَّمِ دَمَلي
أَجُـرُّ فـيـهـا مـاشـيـاً مُـبَـغْـدداً للذِّيَلِ
أنـا الأديـبُ الألْمـعـي مِـنْ حَـيِّ أَرْضِ المُوصِلِ
نَظمْتُ قطْعـاً زُخْـرِفَت يَعْـجـزُ عَنْهـا الأَدْمُلِ
أَقُـولُ في مَطْلَعِـهـا صَـوْتُ صَـفـيـرِ البُلْبُلِ

فحاول الخليفة أن يعيدها فلم يستطيع فنادى على الغلام هل تعرف هذه القصيدة فقال لا يا أمير المؤمنين ، فنادى على الجارية هل تعرفين هذه القصيدة فقالت لا والله يا أمير المؤمنين ، فقال الخليفة هات ما كتبتها عليه نعطيك وزنه ذهبا ، فقال الأصمعي ورثت عمود رخام من أبى نقشتها عليه وهو في الخارج لا يحمله إلا عشرة من الرجال !

أبو العيناء

كان أبو العيناء قد عمي بعد أن جاوز الأربعين ، وخرج من البصرة ، وكان أحولاً قبل عماه ، ويروي أبو العيناء أن العمى وراثي في أسرته ، ويرجع سببه (كما يقول) إلى دعوة على جده خلاد دعاها الشريف عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عندما اكتشف أن خلاداً كان يتجسس أخباره ، ويوصلها إلى أبي جعفر المنصور حتى قيل : (كل من عمي من ولد أبي العيناء ، فهو صحيح النسب!!) .

وقد لحق به لقب (أبي العيناء) من سؤال سأله لأحد معلميه حيث يقول : (قلت لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري : يا أبا زيد . . كيف تصغر عيناً؟ ، فقال : عييناً . . يا أبا العيناء!! ، فلحقت بي من ذلك) .

أبو العيناء والجماز

قال أبو العيناء : دفع الجمّاز إلى غسّال ثياباً ، فدفع إليه أقصر منها ، فطالبه ، فقال : لّما غسلت تشمّرت . قال : ففي كم غسلةٍ يصير القميص زنقاً .

منادمة المتوكل

بعد أن كُفَّ بصره بلغه أن المتوكل[1] قال : (لولا أنه ضرير لنادمناه) ، فقال أبو العيناء : (إن أعفاني من رؤية الأهلّة ، وقراءة نقش الفصوص . . صلُحتُ للمنادمة) .

مفاجأة الموسم

وقف رجل على الشاعر البغدادي الضرير والظريف أبو العيناء فأحس به فصاح أبو العيناء به : من هذا؟ فارتبك الرجل وقال : أنا رجل من بني آدم! فقال له أبو العيناء : مرحبا بك ، أطال الله بقاءك ، أما زلت في الدنيا ظننت أن نسلكم قد أنقطع

بين أبي العيناء وابن الزيات

دخل أبو العيناء على محمد بن عبد الملك الزيات[2] الوزير ، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه . فقال : إن من حق نعمة الله عليك ، لما قد أهلك له في هذه الحال التي أنت عليها ، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك ؛ فبقضاء الحاجات تدوم النعم .

فقال محمد : أما إني أعرفك فضولياً كثير الكلام ، أوترى أن طول لسانك يمنع مع أن أؤدبك إذا زللت ؛ وأمر به إلى الحبس .

فكتب إليه من الحبس : قد علمت أن الحبس لم يكن تقدم إليك ، ولكنك أحببت أن تريني مقدار قدرتك علي ؛ لأن كل جديد يستلذ ؛ ولا بأس أن تريني من عفوك مثلما أريتنا من قدرتك ، فأمر بإطلاقه .

---

(١) أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (٢٠٥-٢٤٧ هـ) عاش (مارس ٨٢٢ - ١١ ديسمبر ٨٦١ م) وفترة الخلافة (٨٤٧-٨٦١) خلفاً لأخية الواثق بالله وخلفه إبنه المُنتصر بالله . أُمّه أم ولد تركية اسمها «شجاع» .

(٢) محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة ، أبو جعفر ، المعروف بابن الزيات (١٧٣ - ٢٣٣ هـ/ ٧٨٩ - ٨٤٧ م) هو وزير المعتصم بالله وأديب وشاعر عربي .

وانقطع عنه مدةً فلقيه ، فحبس محمد بن عبد الملك دابته عليه . فقال : ما لي لا أراك يا أبا عبد الله تواصلنا حسب إيجابنا لك؟ فقال له أبو العيناء : أما المعرفة بعنايتك فمناكرة ، ولكنني أحسب الذي جدد استبطاءك فراغ حبسك ممن كان فيه ، فأحببت أن تغمرني فيه .

دابة أبي العيناء

حمل عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبا العيناء على دابة ، فأخذها منه ابنه ، وقال : أبعث إليك بخير منها ، فتأخر عنه ذلك ، فلقيه . فقال : ما خبرك؟ فقال ؛ بخير ، يا من أبوه يحمل وهو يرجل . فقال : أنا أنفذ إليك بغلاً فارهاً بغير تأخر ؛ فتأخر عنه ثم لقيه . فقال : كيف حالك يا أبا عبد الله؟ قال : راجل أصلحك الله ! فضحك وأنفذ إليه بغلاً زعم أبو العيناء أنه غير فاره ، فكتب إلى أبيه : أعلم الوزير أعزه الله! أن أبا علي محمداً أراد أن يبرني فعقني ، وأن يركبني فأرجلني ، أمر لي بدابة تقف للنثرة ، وتعثر بالبعرة ، كالقضيب اليابس عجفاً ، والعاشق المجهود دنفاً ؛ قد أذكرت الرواة عروة العذري ، والمجنون العامري ، مساعد أعلاه لأسفله ، حباقه مقرون بسعاله ؛ فلو أمسك لترجيت ، ولو أفرد لتعزيت ، ولكنه يجمعهما علي في الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله النسوان ، ويتناغى من أجله الصبيان ، فمن صائح يصيح داوه بالطباشير ، وقائل يقول نقوا له الشعير ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء بالأمصار ؛ فلو أعين بنطق ، لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر الشعبي ؛ وإنما أتيت من كاتبه الأعور ، الذي إن اختار لنفسه أطاب وأكثر ، وإن اختار لغيره أخبث وأنزر ، فإن رأى الوزير أن يبدلني عنه ، ويريحني منه ، بمركوب يضحكني كما ضحك مني ، يمحو بحسنه وفراهته ، ما سطره العيب بقبحه ودمامته ؛ ولست أذكر أمر سرجه ولجامه ؛ لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه ، أو ينقض ما يمضيه .

فوجه إليه عبيد الله ببرذون[1] من براذينه بسرجه ولجامه ؛ ثم اجتمع مع عبيد الله عند ابنه . فقال عبيد الله : شكوت دابة محمد وقد أخبرني أنه يشتريه الآن منك بمائة دينار ، وما كان هذا ثمنه لا يشتكى ! فقال : أعز الله الوزير لو لم أكذب

---

(١) حمار .

مستزيداً ، لم أنصرف مستفيداً ، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . فضحك عبيد الله ؛ وقال : يا أبا عبد الله ؛ حجتك الداحضة بملاحتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة .

المدح في صورة ذم

قال له بعض الرؤساء : يا أبا العيناء ، لو مت لرقص الناس طرباً وسروراً . فقال بديهة :

أردت مذمتي فأجدت مدحي   بحمد الله ذلك لا بحمدك
فلا تك واثقاً أبداً بعمد   فقد يأتي القضاء بغير عمدك

ثم قال : أجل! الناس قد ذهبوا ، فلوا رآني الموتى لطربوا لدخول مثلي عليهم ، وحلول عقلي لديهم ، ووصول فضلي إليهم ، فما زال الموتى يغبطونكم ويرحمونني بكم .

مكتوب إلى الوزير

وقال : واتصلت أشغال أبي الصقر الوزير ، فتأخر توقيعه عن أبي العيناء برسومه . فكتب إليه : رقعتي ، أطال الله بقاء الوزير ، رقعة من علم شغلك فاطرح عدلك ، وحقق أمرك فبسط عذرك . أما والليل إذا عسعس ، فالبنان لبنات الدنان ، وملامسات الحسان ، وأما والصبح إذا تنفس ، فالبنان للعنان ، ومؤامرات السلطان ، فمن أبو العيناء القرنان! فوقع أبو الصقر تحت سطوره : لكل طعام مكان ، ولكل معوز إمكان ، وقد وقعنا لك بالرسوم ، وجعلنا لك بالرسوم ، وجعلنا لك حظاً من المقسوم ، وكفينا أنفسنا عذرك الذي هو تعزير ، ولسانك الذي هو تحذير . والسلام . ثم لقيه أبو العيناء في صدر موكبه فقال : طاعة شيمك لسلطان كرمك ، ألزمتك الصبر على ذنوبي إليك ، وتجني خلقي عليك . فقال أبو الصقر : كبير حسناتك ، يستغرق يسير سيئاتك . فدعا له وانصرف شاكراً .

رد مسكت

قال : وبسط أبو العيناء لسانه على أهله في بعض الدواوين . فقال له فتى من أبناء الكتاب كانت فيه جرأة : كل الناس لك يا أبا العيناء زوجة ، وأنت زوجة أبي

علي البصير . فقال له أبو العيناء : قد ملكنا عصمتك بيقين فحواك ، ثم ننظر في شكوك دعواك ، وقد طلقت الناس كلهم سواك ، ذلك أدنى ألا نعول ، وفيك ما يروى الفحول ، ويتجاوز السول . قال : ففضحه بهذا الكلام ، فلم يجبه .

الماجن وأبي العيناء

قال : وكان في بني الجراح فتى خليع ماجن فأراد العبث بأبي العيناء ، فنهاه نصحاؤه فأبى ، فقالوا : شأنك . فقال له : يا أبا العيناء ، متى أسلمت؟ فقال : حين آمن أهلك وأبوك الذين لم يؤدبوك . فقال له الفتى : إذاً قد علمت أنك ما أسلمت . فقال أبو العيناء : شهادتك لأهلك دعوى ، وشهادتي عليهم بلوى ، وسترى أي السلطانين أقوى ، وأي الشيطانين أغوى ، وسيعلم أهلك ، ما جنى عليهم جهلك . قال : فأتاه أبوه فتبرأ من ذمته ، ودفعه إليه برمته . فقال له أبو العيناء : قد وهبت جوره لعدلك ، وتصدقت بحمقه على عقلك .

ورطة

قال علي بن سليمان الأخفش[1] : سمعت أبا العيناء يقول : كنت يوماً في الورّاقين ، إذ رأيت منادياً مغفّلاً ، في يده مصحف مخلّق الأداة ، فقلت له : ناد عليه بالبراءة ممّا فيه ؛ وأنا أعني أداته ، فأقبل ينادي بذلك ، فاجتمع أهل السّوق والمارّة على المنادي ، وقالوا لهُ : يا عدوّ الله! تنادي على مصحف بالبراءة ممّا فيه .

قال : وأوقعوا به ، فقال لهم : ذلك الرّجل القاعد أمرني بذلك ؛ فتركوا المنادي ، وأقبلوا عليّ ، ورفعوني إلى الوالي ، وكتب في أمري إلى السلطان ، فأمر بحملي ، فحملت مستوثقاً مني ، واتصل خبري بابن أبي داؤدٍ ، فلم يزل يتلطّف في أمري حتى خلّصني .

مع غلامه

قال أبو العيناء : كان سبب خروجي من البصرة وانتقالي عنها ، أني مررت بسوق النّخّاسين يوماً ، فرأيت غلاماً ينادي عليه وقد بلغ ثلاثين ديناراً وهو يساوي ثلاث مئة دينار ، فاشتريته ، وكنت أبني داراً ، فدفعت إليه عشرين ديناراً على أن ينفقها على الصّناع ، فجاءني بعد أيّام يسيرةٍ ، فقال : قد نفدت النّفقة ، قلت : هات حسابك ؛

فرفع حساباً بعشرة دنانير ، قلت : فأين الباقي؟ قال : اشتريت به ثوباً مصمتاً وقطعته ، قلت : ومن أمرك بهذا؟ قال : يا مولاي [لا تعجل ، فإن أهل المروءات والأقدار لا يعيبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود بالزّين على مواليهم ؛ فقلت في نفسي : أنا اشتريت الأصمعي ولم أعلم] .

قال : وكانت في نفسي امرأةٌ أردت أن أتزوّجها سرّاً من ابنة عمي ، فقلت له يوماً : أفيك خيرٌ؟ قال : إي لعمري ؛ فأطلعته على الخبر ، فقال : أنا نعم العون لك ؛ فتزوجت ، ودفعت إليه ديناراً ، فقلت له : اشتر لنا كذا وكذا ، ويكون فيما تشتريه سمكٌ هازبى ؛ فمضى ، ورجع وقد اشترى ما أردت ، إلا أنّه اشترى سمكاً مارماهى ، فغاظني ، فقلت : أليس أمرتك أن تشتري هازبى؟ قال : بلى [ولكنّي رأيت بقراط يقول : إنّ الهازبى يولّد السّوداء ويصف المارماهى ؛ ويقول : إنّه أقل غائلةً ؛ فقلت : أنا لم أعلم إني اشتريت جالينوس؟] وقمت إليه ، فضربته عشر مقارع ، فلمّا فرغت من ضربه ، أخذني وأخذ المقرعة ، وضربني سبع مقارع ، وقال : يا مولاي [الأدب ثلاث ، والسبع فضلٌ ، ولذلك قصاصٌ ، فضربتك هذه السبع خوفاً عليك من القصاص يوم القيامة ؛ فغاظني جداً ، فرميته ، فشججته ، فمضى من وقته إلى ابنة عمي ، فقال لها : يا مولاتي الدين النصيحة ، وقد قال النبي ﷺ : «من غشّنا فليس منا» وأنا أعلمك أنّ مولاي قد تزوّج واستكتمني ، فلمّا قلت له : لا بدّ من إعلام مولاتي ، ضربني بالمقارع ، وشجّني ؛ فمنعتني بنت عمّي من دخول الدار ، وحالت بيني وبين ما فيها ، فلم أر الأمر يصلح إلاّ بأن طلقت المرأة التي تزوّجتها ، فصلح أمري مع ابنة عمّي وسمّت الغلام ، «النّاصح» ، فلم يتهيّأ لي أن أكلّمه ، فقلت : أعتقه وأستريح ، لعلّه أن يمضي عنّي ؛ فأعتقته ، فلزمني ؛ قال : الآن وجب حقّك عليّ ؛ ثمّ إنّه أراد الحجّ ، فجهّزته وزوّدته ، وخرج ، فغاب عليّ عشرين يوماً ، ثمّ رجع ، فقلت له : لم رجعت؟ قال : قطع الطريق ، وفكّرت ، فإذا الله تعالى يقول : [ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا] . وكنت غير مستطيع ، وفكرت ، فإذا حقك عليّ أوجب ، فرجعت ؛ ثم أراد الغزو ، فجهزته ، فشخص ، فلمّا غاب عني بعت كل ما أملكه بالبصرة من عقارٍ وغيره ، وخرجت عنها خوفاً أن يرجع .

جوابه حاضر

ومن أخبـاره أنه تأخر مرة عن الحضور إلى مجلس الوزير إسماعيل بن بلبل ، فسأله عن السبب؟ ، فقال : (سُرق حماري) ، فقال له الوزير : (كيف سرق حمارك يا أبا العيناء) ، فقال : (لم أكن مع اللص ، فأخبرك!)

وشكى بعض الوزراء كثرة الأشغال ، فقال أبو العيناء : لا أراني الله يوم فراغك .

وشكى أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان تأخّر رزقه ، فقال : ألم نكن كتبنا لك إلى فلان ، فما فعل في أمرك؟ قال : جرّني على شوك المطل ؛ قال : أنت اخترته ؛ قال : وما عليّ وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً ، فما كان فيهم رشيدٌ ، فأخذتهم الرجفة ، واختار رسول الله – ﷺ – ابن أبي سرح كاتباً ، فلحق بالكفّار مرتدّاً واختار عليّ أبا موسى ، فحكم عليه؟

قال بعض العلويّة لأبي العيناء : أنت تبغضني ، ولا تصحّ صلاتك إلاّ بالصّلاة عليّ ، لأنّك تقول : اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ ، قال : إذا قلت : «الطّيّبين» خرجت منهم .

وقال له رجل : أشتهي أرى الشيطان ، قال : انظر في المرآة .

وكان في مجلس إسماعيل بن إسحاق القاضي ، فدخل رجل ومشى على رجله فصاح ؛ فقال : بسم الله ! قال : القصاب يذبح ويقول : بسم الله .

وقال له مرة : كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال : في داء يتمناه الناس .

قيل له : وكم سنك؟ قال : قبضة . يريد ثلاثاً وتسعين سنة .

قدم إليه بعضهم قدراً فيه عظام كثيرة ، فقال له أبو العيناء : (هذه قدر أم قبر؟)

سلم نجاح بن سلمة إلي موسي بن عبد الملك ليستخرج منه مالاً احتجزه ، فهلك في يده ، فلقي بعض الرؤساء أبا العيناء فسأله : (ما عندك من خبر نجاح؟) ، فقال : (فوكزه موسي فقضي عليه) ، فبلغت كلمته موسى ، فلقيه ، فقال له غاضباً : (والله لأقومنك!) ، فقال أبو العيناء : (أَتريدُ أَن تَقْتُلَني كَما قَتلتَ نَفسًا بالأمس) .

سئل أبو العيناء عن مالك بن طوق ، فقال : (لو كان في بني إسرائيل ثم نزلت آية البقرة . . . ما ذبحوا غيره!) .

دخل أبو العيناء بلدة ، والصبية فيها يلعبون ، فرموه بالحجارة ، فوقع حجر على رأسه فشجه ، فذهب أبو العيناء لأمير البلد يشكوهم له ، فقال له الأمير : (في أي يوم دخلت؟) ، فقال أبو العيناء : (في يوم نحس مستمر ، وفي ساعة العسرة ، ونزلت بواد غير ذي زرع) ، فضحك الأمير ، وأنعم عليه بعطية .

اجتمع أبو هفان وأبو العيناء على مائدة ، فقال أبو هفان : (هذه أشد حراً من مكانك في جهنم) ، فقال أبو العيناء : (برِّدها بشيء من شِعرك البارد) .

قال له يوماً نجاح بن سلمة : (ما ظهورك ، وقد صدر أمر أمير المؤمنين بقتل الزنادقة؟) ، فقال أبو العيناء : (نستدفع الله عنك وعن أصهارك - أي نتوسط لكم) .

أكل عنده سائلٌ ، فأكثر ، فقال له : (يا هذا أطعمناك رحمة . . فصيرتنا رحمة) .

قال له الوزير عبيد الله بن يحيى بن سليمان : (اعذرني ، فإني مشغول) ، فقال له أبو العيناء : (إذا فرغت لم أحتج إليك (يريد أنك لن تفرغ حتى تترك الوزارة ولا حاجة لي بك عندها) .

سأل أبو العيناء أحمد بن صالح حاجة ، فوعده ، ثم اقتضاه ، فقال : (دونها المطر والطين) ، فقال أبو العيناء : (فحاجتي إذن صيفية؟؟) .

وزاحمه رجل بالجسر على حماره ، فضرب أبو العيناء بيديه على أذني الحمار ، وقال : (يا فتى . . قل للحمار الذي فوقك : الطريق!!) .

العبث مع العابث

دخل أبو العيناء على ابن منارة الكاتب وعنده أبو عبد الله بن المرزبان . فقال لابن منارة : أحب أن أعبث بأبي العيناء . فقال له : لا تقوم به . فأبى إلا العبث به ، فلما جلس أبو العيناء قال له : يا أبا عبد الله ؛ لم لبست جباعة؟ قال : وما الجباعة؟ قال : التي ما بين جبة ودراعة . قال أبو العيناء : لأنك صفديم . قال : وما صفديم؟ قال : الذي هو ما بين صفعان ونديم .

برذون الوزير

ومن أخبار أبي العيناء أيضاً : أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على برذون زعم أنه غير فاره ، فكتب إلى أبيه : أعلم الوزير أعزه الله تعالى أن أبا علي محمداً أراد أن يبرني فعقني ، وأن يركبني فأرجلني! أمر لي بدابة تقف للنبرة ، وتعثر بالبعرة ، كالقضيب اليابس عجفاً ، وكالعاشق المجهود دنفاً ، يساعد أعلاه لأسفله ، حباقه مقرون بسعاله ، فلو أمسك لترجيت ، أو أفرد لتعزيت ، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله النسوان ، ويتناغى من فعله الصبيان ، فمن صائح يصيح : داوه بالطباشير ، ومن قائل يقول : نق له من الشعير . قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء في الأمصار ، فلو أعين بنطق ، لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر الشعبي . وإنما أتيت من كاتبه الأعور ، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر ، وإذا اختار لغيره أخبث وأنزر . فإن رأى الوزير أن يبدلني ويريحني بمركوب يضحكني كما يضحك مني ، يمحو بحسنه وفراهته ، ما سطره العيب بقبحه ودمامته . ولست أرد كرامه ، سرجه ولجامه ، لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه ، أو ينقص ما يمضيه فوجه إليه عبيد الله برذوناً من براذينه بسرجه ولجامه . ثم اجتمع محمد بن عبيد الله عند أبيه .

فقال عبيد الله لأبي العيناء : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني إنه ليشتريه منك الآن بمائة دينار ، وما هذا ثمنه فلا يشتكي . فقال : أعز الله الوزير لو لم أكذب مستزيداً ، لم أنصرف مستفيداً . وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز : «الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين» . فضحك عبيد الله وقال : حجتك الداحضة ، بملاحتك وظرفك أبلغ

الرد على الوزير

حضر أبو العيناء يوما مجلس أحد الوزراء ، فتحدثوا في البرامكة[١] وكرمهم ،

(١) البرامكة أو كما يسمون بالفارسية (برمكيان) هم عائلة ترجع أصولها إلى برمك المجوسي من مدينة بلخ ، وقد كان للبرامكة منزلة عاليه واستحوذوا على الكثير من المناصب في الدولة العباسية وكان لهم حضور كبير في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد ، الذي ارضعته زوجة يحيى البرمكي الذي حفظ لهارون الرشيد ولاية العهد بعد أن أراد الخليفة الهادي خلع هارون الرشيد .

فقال الوزير لأبي العيناء وكان قد بالغ في وصفهم ، وما كانوا عليه من البذل : (قد أكثرت يا أبا العيناء من ذكرهم ، ووصفك إياهم ، وإنما هذا تصنيف الوراقين ، وكذب المؤلفين) ، فقال له أبو العيناء : (فـلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير؟) ، فسكت الوزير ، وعجب الحاضرون من جرأته عليه .

التخلص من الثقيل

كان أبو العيناء واقفاً على بابه ، فمر به رجل ثقيل الظل ، فسلم عليه ، فقام أبو العيناء يمشي معه ، فقال الرجل : (لا تتعب نفسك يا أبا عبد الله) ، فقال أبو العيناء : (ما تعب . . من أبعدك عن داره) .

دار المتوكل

قال له المتوكل بعد أن بنى قصره (الجعفري) سنة ٢٤٦هـ ، وكان واسعاً : (ما تقول في دارنا هذه؟!)

فقال أبو العيناء : (إن الناس بنوا الدُّور في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك) .

بين المتوكل وأبي العيناء

قال له المتوكل : (كيف شربك للخمر؟) ، فقال : (أعجز عن قليله ، وأفتضح عند كثيره) ، فقال له : (دع هذا عنك ، ونادمنا) ، فقال : (أنا رجل مكفوف ، وكل من في مجلسك يخدمك ، وأنا محتاجٌ أن أُخدم ، ولستُ آمنُ أن من أن نظر إليّ بعين راضٍ ، وقلبك عليّ غضبان أو بعين غضبان ، وقلبك راضٍ ، ومتى لم أُميِّز بين هذين هلكتُ ، فأختار العافية على التعرض للبلاء .

وسأله المتوكل عن البصرة ، فقال : (ماؤها أُجاج ، وحرُّها عذاب ، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم) .

وقال له المتوكل مرة : (إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك) ، فقال : (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) .

وقال له المتوكل : لا تكثر الوقيعة في الناس . قال : إن لي في بصري لشغلاً . قال : ذاك أشد لحنقك على أهل العافية .

وقال له المتوكل يوماً : هل رأيت طالبياً قط حسن الوجه؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت أحداً يسأل أعمى عن هذا ! قال : لم تكن ضريراً فيما سلف ، وإنما سألتك عما تقدم . قال : نعم ! رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه ، ولا ألطف شمائل . فقال المتوكل : نجده كان مؤاجراً وكنت تقود عليه . فقال أبو العيناء : معاذ الله يا أمير المؤمنين أتراني أترك موالي ، وأقود على الغرباء ! فقال له المتوكل : اسكت يا مأبون . فقال له : مولى القوم منهم .

وكان ولاء أبي العيناء لأبي العباس ، فقال المتوكل : قاتله الله ! أردت أن أشتفي منه فاشتفى مني .

وهذا مجلس له مع المتوكل من طريق الصولي ، وله مجالس يدخل الرواة بعضها في بعض . قال الصولي : حدثني أبو العيناء قال : أدخلت على المتوكل ، فدعوت له وكلمته فاستحسن كلامي ، وقال : بلغني أن فيك بذاء . قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن يكن الشر الذي بلغك عني ذكر المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، فقد زكى الله تعالى وذم ؛ فقال : نعم العبد إنه أواب . وقال : هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم . وقال الشاعر :

إذا أنـــا لـــم أمدح على الخير أهله ولـــم أذمم الجبس اللئيم المذمّما
ففيـــم عرفـــت الخير والشرّ باسمه وشـــقّ لي اللّه المسامع والفمـــا

وإن كان الشر الذي بلغك عني كفعل العقرب الذي تلدغ النبي والذمي بطبع لا بتمييز ؛ فقد صان الله عبدك عن ذلك . قال : بلغني أنك رافضي . قال : وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة ، ومنشئي في مسجد جامعها ، وأستاذي الأصمعي . وليس يخلو القوم إن كانوا أرادوا ديناً أو دنيا ، فإن كانوا أرادوا الدين فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخروا وإيمان من كفروا ؛ وإن كانوا أرادوا الدنيا فأنت وآباؤك أمراء لا دين إلا بكم ، ولا دنيا إلا معكم . قال : فكيف ترى داري هذه؟ قال : رأيت الناس بنوا دارهم في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك . قال : فما تقول في عبيد الله بن يحيى؟ قال : نعم العبد لله ولك ، مقسم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذة . قال : قد أردتك لمجالستي . قال : أنا رجل محجوب وقد تقدم هذا قال : فوصلني بعشرة آلاف درهم .

وكان نجاح بن سلمة قد ضمن الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك بمال عظيم للمتوكل ؛ فاحتال عبيد الله بن يحيى حتى يضمناه بذلك وعاد عليه الأمر ،

ثم اغتال موسى بن عبد الملك فقتله ، فبلغ الأمر المتوكل ، فأكبره وهم بالإيقاع بموسى ، فتلطف عبيد الله بن يحيى وعمه الفتح بن خاقان حتى سكن غضبه ، واتفق ذلك في ولادة المعتز فاشتغل باللهو والسرور بذلك ، فدخل أبو العيناء بعد ذلك على المتوكل ، وكان واجداً على موسى بن عبد الملك؟ فقال : ما تقول في نجاح بن سلمة؟ قال : ما قاله الله عز وجل : فوكزه موسى فقضى عليه . واتصل بذلك بموسى فلقيه عبيد الله بن يحيى . فقال : أيها الوزير ، أردت قتلي فلم تجد حيلةً إلا إدخال أبي العيناء على أمير المؤمنين مع عداوته لي ؛ فعاتب عبيد الله أبا العيناء على ذلك فقال : ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذمت سريرته فيك ، فأمسك عنه .

ثم دخل بعد ذلك على المتوكل . فقال له : كيف كنت بعدي؟ فقال : في أحوال مختلفة خيرها رؤيتك ، وشرها غيبتك . فقال : قد والله اشتقتك . قال : إنما يشتاق العبد ربه ؛ لأنه يعتذر عليه لقاء مولاه ، وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه . فقال له : من أسخى من رأيت؟ قال ابن أبي دواد . فقال له المتوكل : تأتي إلى رجل قد رفضته فتنسبه إلى السخاء . قال : إن الصدق يا أمير المؤمنين ليس في موضع أنفق منه في مجلسك ، وإن الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود ؛ لأن البرامكة منسوب إلى الرشيد ، وجود الحسن والفضل ابني سهل منسوب إلى المأمون ، وجود ابن أبي دواد منسوب إلى المعتصم ، وإذا نسبت الناس الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى إلى السخاء فذاك سخاؤك يا أمير المؤمنين . قال : صدقت ! فمن أبخل من رأيت؟ قال : موسى بن عبد الملك . قال : وما رأيت من بخله؟ قال : رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ، ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة . قال : قد وقعت فيه عندي مرتين ، وما أحب ذلك لك ؛ فالقه واعتذر إليه ، ولا يعلم أني وجهت بك . قال : يا أمير المؤمنين ؛ تستكتمني بحضرة ألف . قال : لن تخاف . قال : علي الاحتراس من الخوف . وسار إلى موسى ، فاعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه وافترقا عن صلح ، فلقيه بعد أيام بالجعفري فقال له : يا أبا عبد الله ؛ قد اصطلحنا ، فما لك لا تأتينا؟ قال : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس . قال موسى : ما أرانا إلا كما كنا .

وقال له المتوكل : إبراهيم بن نوح النصراني واجد عليك . فقال : ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، وقال له : إن جماعة الكتاب يلومونك . فقال :

إذا رضيت عني كرام عشيرتي ... فلا زال غضباناً عليّ لئامها

أسوأ ما في العمى

لقيه المعتزلي ابن أبي دؤاد[1] ، فقال له : (ما أشد ما أصابك في ذهاب بصرك؟) ، فقال : (أُبدأُ بالسلام ، وكنت أحب أن أكون أنا المبتدئ ، وأُحدِّث من لا يُقبل على حديثي ، ولو رأيته لم أُقبل عليه) .

حديث عهد بالصلاة

لما استوزر صاعدُ عقب إسلامه ، وكان نصرانياً قبل ذلك جاء أبو العيناء إلى بابه ، فقيل له (يُصلي) ، فعاد ، فقيل (يصلي) ، فقال : (معذور . . لكل جديد لذة) .

ما يحب أبو العيناء

مر أبو العيناء على دار عدوٍّ له ، فقال : (ما خبر أبي محمد؟) ، فقالوا : كما تحب ، فقال : (فما لي لا أسمع بكاء ولا عويلا) .

إن بعض الظن إثم

قال أبو العيناء : (مررت يوماً في دربٍ بسُرّ من رأى ، فقال لي غلام : يا مولاي . . في الدرب حَمَلٌ سمين والدرب خالٍ . فأمرته أن يأخذه ، وغطيته بطيلساني ، وصرتُ إلى منزلي ، فلما كان من الغدً جاءتني رُقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : (جُعلتُ فداك . . ضاع لنا بالأمس حَمَلٌ ، فأخبرني صبيان دربنا أنك أنت أخذته ، فهل تأمر بردِّه مُتفضلاً) ، فكتبت إليه : (يا سبحان اللهَ! . . ما أعجب هذا الأمر . . مشايخ دربنا يزعمون أنك تدير بيتك للبغّاء ، وأُكذّبهم أنا ، ولا أصدقهم ، وتصدق أنت صِبيان دربك أني أخذت الحمل؟) . قال أبو العيناء : (فسكتَ ، ولم يُعاودني) .

---

(١) هو أبو عبيد الله أحمد بن أبي دؤاد ، عربي من إياد ، ولد سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م في قنسرين ، خرج وهو حدث مع أبيه في تجارة إلى العراق ، حيث استقر هناك وطلب العلم ، وخاصة الفقه والكلام . صحب هياج بن العلاء السُلمي صاحب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال .

جل من لا يخطئ

شكا أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان تأخر أرزاقه ، فقال له : (ألم نكن كتبنا تلك إلى ابن المدبر ، فماذا فعل في أمرك) ، فقال : (جرني على شوك المطل ، وحرمني ثمرة الوعد) ، فقال : أنت اخترته! ، فقال أبو العيناء : (وما عليّ ، وقد اختار موسى سبعين رجلاً من قومه ، فما كان منهم رشيد ، فأخذتهم الرجفة ، واختار النبي ﷺ ابن أبي سرح كاتبا ، فلحق بالمشركين مرتداً ، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري حكما ، فحكم عليه لا له) .

أفحمه الصبي

اعترف أبو العيناء بأن ابناً صغيراً لعبد الرحمن بن خاقان أخجله ذات مرة ، وغلبه إذ رآه أبو العيناء ذكيا لماحا ، فقال له : (وددت لو أن لي ابناً مثلك) ، قال الطفل : هذا بيدك ، فقال أبو العيناء : كيف .?قال : (تحمل أبي إلى امرأتك ، فتلد لك ابنا مثلي) .

الخمر والميسر

قيل لأبي العيناء : (ما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم؟) ، فقال : (هما الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما!) .

بلا بغل

ذات مرة وعده ابن المدير أن يعطيه بغلاً ، وماطل في ذلك ، وبعد فترة لقيه في الطريق فقال له : (كيف أصبحت يا أبا العيناء؟) ، فأجابه : (أصبحت بلا بغل) ، فضحك منه ، وأرسل إليه ما أراد .

امتحان جارية المتوكل

عرضت جارية أديبة على المتوكل ، فأراد أبو العيناء امتحان معرفتها بالشعر ، فقال لها شعراً :

أحمد الله كثيراً

فقالت :

حيث أنشأك ضريراً
فقال أبو العيناء : (يا أمير المؤمنين . . أحسنت في إساءتها ، فاشترها) .

أبو العيناء ووالده

قال لأبي العيناء أبوه : (يا بني . . أن الله تعالي قرن طاعته بطاعتي ، فقال : (اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْك) ، فقال له : (يا أبت . . أن الله أئتمنني عليك ، ولم يأتمنك عليّ ، فقال : (وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ) .

أمارة العناية وأمارة الشكر

قال أبو العيناء للجاحظ[١] : (طلب مني صديق لي أن أسألك أن تكتب له خطاب توصية إلى والي البصرة) ، فكتب له الجاحظ الخطاب ، وختمه ثم أرسله إلى أبي العيناء ، فلما تسلّمه أبو العيناء أحبّ أن يرى ما كتبه الجاحظ ، فقال لرجل عنده : (اِفتحْه واقرأه عليّ) ، فإذا فيه : (هذا كتابي إليك . . طلبه مني من لا أخافه لمن لا أعرفه ، فافعل في أمره ما تراه ، والسلام) ، فغضب أبو العيناء ، ونهض إلى الجاحظ ، فقال : (أعرّفك باعتنائي بهذا الصديق ، فتكتب له مثل هذا؟!) ، فقال الجاحظ : (لا تنكر ذلك ، فإنها أمارة بيني وبين والي البصرة إذا عُنيت برجل) ، فقال أبو العيناء : (بل أنت ولد زنا) ، قال : أتشتمني؟ ، فقال أبو العيناء : (لا . إنها أمارة لي عند الثناء على إنسان!) .

فن الوصف

وذكر له ولد عيسى بن موسى[٢] ، وكانت أنوفهم كباراً معوجة فقال : كأن أنوفهم قبور نصبت على غير القبلة .

---

(١) لجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها .

(٢) عيسى بن موسى ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ولي العهد أبو موسى الهاشمي أميرٌ عباسي ، من الولاة القادة ، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح ، كان يقال له : شيخ الدولة .

يشتهي موته

قال أبو العيناء لابنه وهو مريض : أي شيء تشتهي؟
قال : اليتم .

جبلا الثلج

دخل أبو العيناء على القائد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[1] وهو يلعب بالشطرنج ، فقال له عبيد الله : في أي الحيزين أنت؟ ، فقال : في حيّز الأمير أيده الله ، فغُلِبَ عبيد الله ، فقال : (يا أبا العيناء . . قد غُلِبنا ، وقد أصابك من الرهان أن تأتي بخمسين رطلاً ثلجاً) ، فمضى أبو العيناء إلى ابن ثوابة (وكان يستبرده) ، وقال له : (إن الأمير يدعوك) ، فلما دخلا على عبيد الله قال أبو العيناء : (أيد الله الأمير . . قد جئتك بجبل همذان وماسيذان (وهما جبلان مكسوان بالثلج) ، فخذ منه ما شئت)!

في العمى خير

قالت له قَيْنة : وأنت أيضاً يا أعمى ، فقال لها : (ما أستعين على قبح وجهك بشيءٍ أصلح من العمى) .

عبادة الأصنام

قال له ذو الوزارتين أبو العلاء صاعد يوماً : (ما الذي أخرك عنا؟) ، فقال أبو العيناء : (بنتي) ، فقال : وكيف؟ قال : (قالت لي يا أبت ، قد كنت تغدو من عندنا ، فتأتي بالخلعة السرية والجائزة السنية . . ثم أنت الآن تغدو مسدفاً وترجع معتماً فإلى من؟) ، فقلت : (إلى أبي العلاء ذي الوزارتين) ، فقالت : (أيعطيك؟) . قلت : لا . قالت : (أيُشَفّعُك؟) . قلت : لا . قالت : (أيرفع مجلسك؟) . قلت : لا . قالت : يا أبت ، (لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) .

---

(١) الأمير أبو أحمد ، عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، من بيت إمارة وتقدم ، ولي شرطة بغداد نيابة عن أخيه الأمير محمد بن عبد الله ، ثم استقل بها بعد موت أخيه . وكان رئيسا جليلا ، وشاعرا محسنا ، ومترسلا بليغا .

فراقك عافية

أكثر أبو العيناء على ابن مكرم من المهاترة ، فقال ابن مكرم : (إن زدت على هذا قمت) ، فقال : (أراك تهددنا بالعافية!) .

مضاف إليه

سأل أبو العيناء حاجة من ابن أخت الوزير ، فلم يقضها له ، فقال أبو العيناء : (إنما ألوم نفسي في تأميلك ، وأنت مضاف إلى مضاف!!) .

ألف زائدة

قال رجل لأبي العيناء : (أتأمر بشيئاً؟) ، فقال : (نعم بتقوى الله ، وحذف الألف من شيئاً!!) .

القدر والصرف

سئل أبو العيناء عن حماد بن درهم وحماد بن دينار ، فقال : (بينهما في القدر ما بين أبويهما في الصرف) .

بين أبي علي البصير وأبي العيناء

قال أبو علي البصير لأبي العيناء : في أي وقت ولدت من النهار؟ قال : طلوع الشمس . قال : فلذلك خرجت مكدياً ؛ لأنه وقت انتشار المساكين . فقال له أبو العيناء : بيني وبينك مناسبة العمى ، قال : كلا! إني من عميان الدواب ، وأنت من عميان العصا .

بلغت أبا علي البصير عن أبي العيناء قوارص بظهر الغيب ؛ فكتب إليه : أستزيد الله في بقائك ؛ واستمتعه بإخائك ، واستحفظه النعمى عندك . رب مزح أعزك الله قد بعث جداً ، وجور قد أحدث قصداً ، ورب أمر صغير خطره ، قد أعقب أمراً كبيراً آخرهن ونحن باستزادتنا بعهدك ، ومحاماتنا على ودك ، وتمسكنا بعرى الأسباب التي بيننا وبينك ، واحتراسنا من جناية الدهر علينا فيك ، لا نقتصر على الاستظهار بالحجة ، والإبلاغ في المعذرة ، دون استفراغ المجهود ، وبلوغ الغاية في التأني ، والحيلة في استرجاع ما شذ عنا منك ، وإبطال ما نمت به الأخبار إلينا عنك ، من تحليك بنا

في العيب ، وتناولت إيانا في الغيب ، فلا يزال أخ لك مد الله في عمرك تعد له ، على نفسك ، وثوقه لك وعليك ، قد ساقط إلي أحاديث عنك بطبائعها صلاح القلوب قليلاً بها بقاء المودة ، سريعة في حل عقدتها وقطع مودتها ، أحاديث ، أكره لنفسي بدأها ولك عاقبتها ، وكنت لا أزال أرد ما يرد علي منها بتأول لفظك وحسن الظن بمعناك ، والتماس العذر لك على ضيق مخرجه ، وصعوبة مطلبه ؛ وأغلب رأيي لهواك ، وأقف غضبي على عتباك ، وأحفظ قصدك إلي متنصلاً بما بلغني عنك ؛ إلى حرم بيني وبينك ، لا يجب حفظها علي دونك ، حتى عاد تعريضك تصريحاً ، وتمريضك تصحيحاً ، وفي نسبته في صحتي إلى العمى ، وفي حلمي إلى الضعف ، إلى أن يئس الصديق من نصري ، لما رأى من إغضائي في أمر نفسي ، وقد بقي مع فضلة من أداتي أنت تملكها دوني ، فإن صنتها لي ووفرتها على من أساء الاختيار ؛ ولا أعدم أنصاراً من الأحرار ، أسعد بمؤازرتهم ومكاشفتهم ، وأستغني بنفسي عنهم .

وقد كتبت في هذا المعنى بأبيات هي لما قبلها ولما يكون بعدها ، فرأيك في تفهمها نفعك الله بها :

أبلـــغ أبـــا العينـــاء إن لاقيتـــه	قـــولاً يكـــون لدائـــه حسمـــا
نبئـــت أنّـــك فـــي المغيب تسبّني	وإذا التقينـــا كنـــت لي سلمـــا
فتـــروم هجـــوي جاهداً ونقيصتـــي	سفهـــاً أراه باديــــــاً حلمـــا
لا تغتنم لحمـــي فليـــس بأكلـــة	واعلـــم بأنـــك واجـــدٌ لحمـــا
إنـــي أُعيـــذك أن تكـــون رميّـــةً	لسهـــام رامٍ إن رمـــى أصمـــى

كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر

وكتب إلى أبي الصقر كتاباً متضمنه : أنا أعز الله الوزير طليقك من الفقر ، ونقيذك من البؤس ، أخذت بيدي من عثرة الدهر ، وكبوة الفقر ؛ وعلى أية حال حين نفدت الأولياء والأشكال ، والإخوان والأمثال الذي يفهمون في غير تعب ؛ وهم الناس كانوا غياثاً للناس ، فحللت عقدة الخلة ، ورددت إلي بعد النفور النعمة ، وكتبت إلى الطائي كتاباً ، فكأنما كان منه إليك ، أتيته وقد استصعبت علي الأمور ، وأحاطت بي النوائب ، فكثر من بشره ، وأعطى من ماله أكرمه ، ومن بر أحكمه ، ولم يزل مكرماً لي مدة ما أقمت ، ومثقلاً لي من فوائده لما ودعت ؛ حكمني في ماله فتحكمت ، وأنت تعرف جوري إذا تمكنت ، وزادني من طوله فشكرت ؛ فأحسن الله

جزاءك ، وأعظم حباءك ، وقدمني أمامك ، وأعاذني من فقدك وحمامك ، وقد أنفقت علي ما ملكك الله ، وأنفقت من الشكر ما يسر الله لي . والله عز وجل يقول : «لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ من سعته» ؛ فالحمد لله الذي جعلك اليد العليا ، والرتبة السامية ؛ لا أزال الله عن هذه الأمة ما بسط لها من عدلك ، وبث فيها من رفدك .

أبو دلامة(١)

عن محمد بن سلام ، قال : لقي روح بن حاتم بعض الحروب ، فقال لأبي دلامة وقد دعا رجلٌ منهم إلى البراز : تقدم إليه ؛ قال : لست بصاحب قتال ؛ قال : لتفعلنّ ؛ قال : إني جائعٌ ، فأطعمني ؛ فدفع إليه خبزاً ولحماً ؛ وتقدّم ، فهمّ به الرجّل ، فقال له أبو دلامة : اصبر يا هذا ، أيّ محاربٍ تراني؟ ثمّ قال : أتعرفني؟ قال : لا ؛ قال : فهل أعرفك؟ قال : لا }قال : فما في الدنيا أحمق منّا ؛ ودعاه للغداء ، فتغدّيا جميعاً وافترقا ، فسأل روحٌ عما فعل ، فحدّث ، وضحك ، ودعا له ، فسأله عن القصة ، فقال :

إنّي أعوذ بروح أن يقدّمني ... إلى القتال فتخزى بي بنو أسد

آل المهلّب حبُّ الموت ورثكم ... إذ لا أورث حبَّ الموتِ عن أحد

هنيئا لهما

خرج الخليفة المهدي وعلي بن سليمان في رحلة صيد وكأن معهما الشاعر الظريف أبو دلامة . فرمى المهدي ظبيا بسهم فأصابه ورمى علي بن سليمان سهما فأصاب به كلبا فأنشد أبو دلامة قائلاً :

قد رمى المهدي ظبيا شك بالسهم فؤاده

وعلي بن سليمان رمى كلبا فصاده

فهنيئا لهما كل امرؤ يأكل زاده

جاء شاعران إلى بعض النّحاة ، فقالا : اسمع شعرنا وأخبرنا بأجودنا ؛ فسمع

(١) أبو دُلامة شاعر ساخر عاش في العصر العباسي ، وكا ن عبدا لرجل من اهل الرقه من بني اسد واعتقه في ما بعد ، وهو أحد الشعراء المعاصرين لخلفاء بني العباس الثلاث الأوائل وهم السفاح والمنصور والمهدي ، بل يعتبر شاعرهم ونديمهم الخاص .

شعر أحدهما ، وقال : ذاك أجود ؛ قال له : فما سمعت شعره }؟ ما يكون أنحس من هذا قطّ .

المتنبي

كان أبو الطيب المتنبي(١) عند وروده مدينة السلام التحف رداء الكبر وأذال ذيول التيه وصعر خده ونأى بجانبه ، وكان لا يلقى أحداً إلا نافضاً مذروية ، رافلاً من التيه في برويه ، يخيل إليه أن العلم مقصور عليه ، وأن الشعر بحر لم يغترف نمير مائة غيره ، وروض لم يرع نواره سواه ، فدل بذلك مديدة أجرته رسن الجهل فيها ، فظل يمرح في تثنيه حتى إذا تخيل أنه القريع الذي لا يقارع ، والنزيع الذي لا يجارى ولا ينازع ، وأنه رب الغلب ومالك القصب ، وثقلت وطأته على أهل الأدب بمدينه السلام ، فطأطأ كثير منهم رأسه وخفض جناحه وطامن على التسليم له جأشه ، وتخيل أبو محمد المهلبي أن أحداً لا يقدر على مساجلته ومجاراته ، ولا يقوم لتتبعه بشيء من مطاعنه ، وساء معز الدولة أن يرد عن حضرة عدوه رجل فلا يكون في مملكته أحد يماثله في صناعته ، ويساويه في منزلته . نهدت حينئذ متتبعاً عواره ، ومتعقباً آثاره ، ومطفياً ناره ، ومهتكاً أستاره ، ومقلماً أظفاره ، وناشراً مطاويه ، وممزقاً جلباب مساويه ، متحيناً أن تجمعنا دار فأجرى أنا وهو في مضمار يعرف فيه السابق من المسبوق ، حتى إذا لم أجد ذلك قصدت موضعه الذي كان يحله في ربض حميد ، فوافق مصيري إليه حضور جماعة تقرأ شيئاً من شعره عليه ، فحين أوذن بحضوري واستؤذن عليه لدخولي نهض عن مجلسه مسرعاً ، ووارى شخصه عني مستخفياً ، فنزلت عن بغلة كانت تحتي ناحية وهو يراني نازلاً عنها لانتهائي بها إلى أن حاذيته ، فجلست في موضعه وإذا تحته قطعة من زيلو مخلقة قد أكلتها الأيام وتعاورتها السنون ، فهي رسوم خافية وسلوك بادية ، حتى وإذا خرج إلى نهضت إليه فوفيته حق السلام غير مشاح له في القيام ، لأنه إنما اعتمد بنهوضه ألا ينهض لي عند موافاتي ، وإذا هو قد لبس سبعة أقبية كل قباء منها لون ، وكان الوقت آخر أيام الصيف وأخلقها بتخفيف اللبس ، فجلست وجلس وأعرض عني ساعة لا يعيرني

(١) أبو الطيب المتنبي هو أحمدُ بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي المولد ، نسب إلى قبيلة كندة نتيجة لولادته بحي تلك القبيلة في الكوفة لانتمائه لهم .

فيها طرفه ، ولا يسألني عما قصدت له ، وقد كدت أتميز غيظاً وأقبلت أسخف رأيي في قصده ، وأفنده نفسي في التوجه نحو مثله . ولوى عذراه عني مقبلاً على تلك الزعنفة التي بين يديه ، كل واحد يومئ إليه ويوحي بطرفه ، ويشير إلى مكاني بيده ، ويوقظه من سنة جهله ، ويأبى إلا ازوراراً ونفاراً وجرياً على شاكلة خلقه المشكلة ، ثم رأى أن يثني رأسه إلي ، فوالله ما زادني على أن قال : أي شيء خبرك؟ قلت أنا بخير لولا ما جنيت على نفسي من قصدك ، وكلفت قدمي في المصير إلى مثلك ، ثم تحدرت عليه تحدر السيل إلى القرار وقلت له : أبن لي عافاك الله ممن تيهك وخيلاؤك وعجبك؟ وما الذي يوجب ما أنت عليه من التجبر والتنمر؟ هل ها هنا نسب في الأبطح تبحبحت في بحبوحة الشرف وفرعت سماء المجد به؟ أم علم أصبحت علماً يقع الإيماء إليك فيه؟ هل أنت إلا وتد بقاع في شر البقاع؟ وجفاء سيل دفاع . يا لله استنت الفصال حتى القرعى وإني لأسمع جعجعة ولا أرى طحناً ، فامتقع لونه عند سماع كلامي وعصب ريقه ، وجحظت عيناه وسقط في يده ، وجعل يلين في الاعتذار ليناً كاد يعطف عليه عطف صفحي عنه . ثم قلت : يا هذا ، إن جاءك رجل شريف في نسبة تجاهلت نسبه ، وأو عظيم في أدبه صغرت أدبه ، أو متقدم عند سلطانه لم تعرف موضعه ، فهل العز تراث لك دون غيرك؟ كلا والله! لكنك مددت الكبر ستراً على نقصك ، وضربته رواقاً دون جهلك . فعاد إلى الاعتذار ، وأخذت الجماعة في تليين جانبي والرغبة إلي في قبول عذره واعتماد مياسرته ، وأنا آبي إلا استشراء واجتراء ، وهو يؤكد الأقسام ويواصلها أنه لم يعرفني فأقول : يا هذا ، ألم يستأذن لي عليك باسمي ونسبي أما في هذه العصابة من يعرفك بي لو كنت جهلتني؟ وهب ذلك كذلك ، ألم ترني ممتطياً بغلة رائعة يعلوها مركب ثقيل وبين يدي عدة من الغلمان؟ أما شاهدت لباسي؟ أما شممت نشر عطري؟ أما راعك شيء من أمري أتميز به في نفسك عن غيري؟ وهو في أثناء ما أكلمه يقول : خفض عليك ، ارفق استأن ، فأصبحت جانبي بعض الإصحاب ولان شماسي بعض الليان ، وأقبل علي وأقبلت عليه ساعة ثم قلت : أشياء تختلج في صدري من شعرك أحب أن أرجعك فيها . قال وما هي؟ قلت خبرني عن قولك :

فإن كان بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول

أهكذا تمدح الملوك؟ وعن قولك :

ولا من في جنازتها تجار يكون وداعهم نفض النعال

أهكذا تؤبن أخوات الملوك؟ والله لو كان هذا في أذني عبيدها لكان قبيحاً . وأخبرني عن قولك :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق

أهكذا تنسب بالمحبوبين؟ وعن قولك في هجاء ابن كيغلغ :

وإذا أشار محدثاً فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم

أما كان لك في أفانين الهجاء التي تصرفت فيها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الرذل الذي ينفر عنه كل طبع ، ويمجه كل سمع . وعن قولك :

وضاقت الأرض حتى ظن هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

أفتعلم مرئياً يتناوله النظر لا يقع عليه اسم شيء؟ وما أراك نظرت إلا إلى قول جرير :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكر عليهم ورجالاً

فأحلت المعنى عن جهته ، وعبرت عنه بغير عبارته . وعن قولك :

أليس عجيباً أن وصفك معجز وأن ظنوني في معاليك تظلع

فاستعرت الظلع لظنونك ، وهي استعارة قبيحة وتعجبت من غير متعجب ، لأن من أعجز وصفه لم يستنكر قصور الظنون وتحيرها في معاليه ، وإنما نقلته وأنشدته من قول أبي تمام :

ترقت مناه طود عز لو ارتقت به الريح فتراً لانثنت وهي ظالع

وعن قولك تمدح كافوراً :

فإن نلت ما أملت منك فربما شربت بماء يعجز الطير ورده

إنها مدح أو ذم؟ قال : مدح . قلت : إنك جعلته بخيلاً لا يوصلك إلى خيره من جهته ، وشبهت نفسك في وصولك إلى ما وصلت إله منه بشربك من ماء يعجز الطير ورده لبعده وترامي موضعه . وأخبرني أيضاً عن قولك في صفة كلب وظبي :

فصار ما في جلده في المرجل فلم يضرنا معه فقد الأجدل

فأي شيء أعجبك من هذا الوصف؟ أعذوبة عبارته؟ ، أم لطف معناه؟ ، أما قرأت رجز ابن هانئ وطرد ابن المعتز؟ أما كان هناك من المعاني التي ابتدعها هذان الشاعران وغرر المعاني التي اقتضباها ما تتشاغل به عن بنيات صدرك هذه؟ . وألا اقتصرت على ما في أرجوزتك هذه من الكلام السليم ولم تسف إلى هذه الألفاظ

القلقة والأوصاف المختلفة ، فأقبل علي ثم قال : أين أنت من قولي؟ :

كأن الهام في الهيجاء عيون　　وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الأسنة من هموم　　فما يخطرن إلا في فؤاد

وأين أنت من قولي في صفة جيش؟ :

في فيلق من حديد لو رميت به　　صرف الزمان لما دارت دوائره

وأين أنت من قولي؟ :

لو تعقل الشجر التي قابلتها　　مدت محيية إليك الأغصنا

وأين أنت من قولي؟ :

أيقدح في الخيمة العذل　　وتشمل من دهره يشمل

وما اعتمد الله تقويضها　　ولكن أشار بما تفعل

وفيها أصف كتيبة :

وملومة زرد ثوبها　　ولكنه بالقنا مخمل

وأين أنت عن قولي؟ :

ألناس ما لم يروك أشباه　　والدهر لفظ وأنت معناه

والجود عين وأنت ناظرها　　والبأس باع وفيك يمناه

أما يلهيك إحساني في جميع هذه عن إساءتي في تلك؟ قلت : ما أعرف لك إحساناً في جميع ما ذكرته ، إنما أنت سارق متبع ، وآخذ مقصر ، وفيما تقدم من هذه المعاني التي ابتكرها أصحابها مندوحة عن التشاغل بقولك . فأما قولك : كأن الهام في الهيجا عيون البيت فهو منقول من بيت منصور النمري :

فكأنما وقع الحسام بهامة　　خدر المنية أو نعاس الهاجع

وأما قولك : في فيلق ، البيت فنقلته . نقلاً لم تحسن فيه من قول الناجم :

ولي في حامد أمل بعيد　　ومدح قد مدحت به طريف

مديح لو مدحت به الليالي　　لما دارت علي لها صروف

والناجم إنما نظمه من قول أرسطاطاليس ، قد تكلمت بكلام لو مدحت به الدهر لما دارت علي صروفه . وأما قولك : لو تعقل الشجر التي قابلتها البيت هذا معنى متداول تساجلته الشعراء وأكثرت فيه ، فمن ذلك قول : الفرزدق :

يكاد يمسكه عرفان راحته　　ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

ثم تكرر في أفواه الشعراء إلى أن قال أبو تمام :

لو سعـــت بقعـــة لإعظـــام أخرى لسعـــى نحوهـــا المكان الجديب

وأخذه البحتري فقال :

لو أن مشتاقـــاً تكلـــف غـــير مـــا فـــي وسعـــه لمشـى إليك المنبر

وأما قولك : وما اعتمد الله تقويضها فقد نظرت فيه إلى قول رجل مدح بعض الأمراء بالموصل وقد كان عزم على السير فاندق لواؤه فقال :

ما كـــان منـــدق اللـــواء لريبـــة تخشـــى ولا أمـــر يكـون مزيلا

لكـــن لأن العـــود ضعـــف متنـه صغـــر الولايـــة فاستقل الموصلا

وأما قولك : وملمومة زرد ثوبها فمن قول أبي نواس :

أمـــام خميـــس أرجـــوان كأنـــه قميـــص محـــوك من قنا وجياد

وأما قولك : الناس ما لم يروك أشباه ، فمن قول علي ابن نضر بسام في عبيد الله بن سليمان يرثيه :

قـــد استـــوى الناس ومات الكمال وصـــاح صرف الدهر أين الرجال؟

هـــذا أبـــو القاســـم في نعشـــه قوموا انظروا كيف تزول الجبـــال؟

فقوله : قد استوى الناس ومات الكمال ، هو قولك : الناس ما لم بروك أشباه . فقال بعض من حضر : ما أحسن قوله : قوموا انظروا كيف تزول الجبال! فقال أبو الطيب : اسكت ما فيه من حسن ، ألم يسرقه من قول النابغة الذبياني؟ :

يقولون حصن ثم تأبـــى نفوسهـــم وكيـــف بحصن والجبال جنـوح؟

فقال الحاتمي فقلت : قد سرقه النابغة من أوس حين قال :

ألم تكســـف الشمـس شمس النها ر والبـــدر للقمـــر الواجـــب

لفـــقد فضالـــــة لا يســـتوي الـ ــقعود ولا خلـــة الذاهـــب

قلت : والله لئن كان أخذه فقد أحسن وأخفى الأخذ . فقال الرجل أجل . فقال المتنبي : يا محسد خذ بيده وأخرجه يريد بمحسد ابنه . فرجعت إلى أن تركه ثم قلت له : وأما قولك : والدهر لفظ وأنت معناه ، فمن قول من قول الأخطل إن كان البيت له في عبد الملك بن مروان :

وإن أميـــر المؤمنـــين وفعلـــه لكالدهـــر لا عـــار بما فعل الدهر

وقد قال جرير حين قال له الفرزدق :

فإنـــي أنا المـــوت الـــذي هو نازل بنفســـك فانظر كيف أنت تحاوله؟

وقال جرير :

أنا الدهر يفنـــى والدهـــر خالـــد فجئنـــي بمثل الدهر شيئاً تطاولـه

ثم قلت له : أترى أن جريراً أخذ قوله : يفنى الموت من أحد ، وأن أحداً شركه في إفناء الموت؟ ففكر طويلاً ثم قال لا ، قلت : بلى عمران بن حطان حيث يقول :

لن بعجـــز الموت شيء دون خالقـــة والمـــوت فـــان إذا ما ناله الأجل
وكل كرب أمـــام المـــوت متضـــع بالمـــوت والموت فيما بعده جلـــل

فأمات الموت وأحياه وما سبقه إلى ذلك أحد . ثم قلت له : أترى أن البيت المتقدم الذي يقول فيه : لك الدهر لا عار بما فعل الدهر ، مأخوذ من أحد؟ فأطرق هنيهة ثم قال : وما تصنع بهذا؟ قلت يستدل على موضعك ومواضع أمثالك من سرقة الشعر . فقال : الله المستعان ، أساء سمعاً فأساء إجابة ، ما أردت ما ذهبت إليه . قلت : فإنه أخذه من قول النابغة وهو أول من ابتكره :

وعيرتنـــي بنـــو ذبيـــان خشيتـــه ومـــا علـــي بأن أخشاك من عار

ثم أخذه أبو تمام فأحسن بقوله :

خشعـــوا لصولتـــك التي هي فبهم كالمـــوت يأتـــي ليـــس فيه عار

قال : ومن أبو تمام؟ قلت : الذي سرقت شعره فأنشدته . قال : هذه خلائق السفهاء لا خلائق العلماء . قلت أجل ، أنت سفهت رأيي ولم يكن سفيهاً ألست القائل؟

ذي المعالـــي فليعلـــون من تعالـــى هكـــذا هكـــذا وإلا فـــــلالا
شـــرف ينطـــح الثريـــا بروقيـــ ـــه وفخـــر يقلقـــل الأجبـالا

قال بلى . قلت فإنك أخذت البيت الأول من بيت بكر بن النطاح :

يتلقـــى النـــدى بوجـــه حيـــي وصـــدور القنـــا بوجـــه وقـاح
هكـــذا هكـــذا تكـــون المعالـــي طـــرق الجـــد غـــير طرق المزاح

وأخذت البيت الثاني فأفسدته من قول أبي تمام :

همـــة تنطـــح الثريـــا وجـــد آلـــف للحضيـــض فهو حضيض

قال : وبأي شيء أفسدته؟ قلت : بأن جعلت للشرف قرناً ، قال : وأنى لك بذلك؟ قلت ألم تقل : ينطح السماء بروقيه؟ والروقان : القرنان؟ قلت أجل ، إنما هي استعارة؟ قلت نعم ، هي استعارة خبيثة . قال : أقسمت غير محرج في قسمي إنني لم أقرأ شعراً قط لأبي تمامكم هذا . فقلت : هذه سوءة لو سترتها كان أولى . قال : السوءة قراءة شعر مثله ، أليس هو الذي يقول :

خشنــــت عليــــه أخت بني خشين   وأنجــــح فيـــك قـــول العاذلـين
والذي يقول :
لعمــــري لقـــد حـــررت يوم لقيته   لـــو أن القضـــاء وحده لم يبــرد
والذي يقول :
تكـــاد عطايـــاه يجـــن جنونهـــا   إذا لـــم يعوذهـــا بنغمـــة طالب
والذي يقول :
تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجـــت   أعمارهم قبل نضج التين والعنــب
والذي يقول :
ولي ولم يظلـــم وهـــل ظلـــم امرؤ   حـــث النجـــاء وخلفـــه التنين
والذي يقول :
فضربـــت الشتـــاء فـــي أخدعيـه   ضربـــة غادرتـــه عـــوداً ركـــو
والذي يقول :
كانـــوا رداء زمانهـــم فتصدعـــوا   فكأنمـــا لبـــس الزمـــان الصوفا
والذي يقول :
أقول لقرحان من البين لـــم يصـــب   رسيس الهوى بين الحشا والترائب

ما قرحان البين اخرس الله لسانه؟ فأحفظني ذلك وقلت : يا هذا ، من أدل الدليل على أنك قرأت شعر هذا الرجل تتبعك مساويه : فهل في الدالة على اختلاقك إنكاره أوضح مما ذكرته؟ وهل يصم أبا تمام أو يسمه بميسم النقيصة ما عددته من سقطاته وتخونته من أبياته ، وهو الذي يقول في النونية :

نوالـــك رد حســـــادي فلـــولا   وأصلـــح بـــين أيامـــي وبيني

فهلا اغتفرت لأول لهذا البيت الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله؟ وأما قوله :

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجـــت   أعمارهم قبل نضج التين والعنــب

فلهذا البيت خبر لو استقريت صفحة لأقصرت عما تناولته بالطعن فيه . ثم قصصت الخبر وقلت في هذه القصيدة مالا يستطيع أحد من متقدمي الشعراء وأمراء الكلام وأرباب الصناعة أن يأتي بمثله . قال : وما هو؟ قلت لو قال قائل : إن أحداً لم يبتدي بأوجز ولا أحسن ولا أخصر من قوله :

ألسيف أصدق إنباء مـــن الكتـــب   في حده الحد بين الجد واللعـــب

لما عنف في ذلك . وفيها يقول :

رمى بك اللـــه برجيـــها فهدمـــها ولـــو رمى بك غير الله لم يصـب
وفيها يقول :
لما رأى الحرب رأى العـــين توفلـــس والحرب مشتقة المعنى من الحــرب
وفيها يقول :
فتح تفتح أبـــواب السمـــاء لـــــه وتبرز الأرض في أبرادها القشـــب
وفيها يقول :
بكر فما افترعتهـــا كـــف حادثـــة ولا ترقـــت إليهـــا همـة النوب
وفيها يقول :
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحـــى يشبهـــا وسطها صبح من اللهـب
حتى كأن جلابيب الدجى رغبـــت عن لونها وكأن الشمس لم تغـــب
وفيها يقول :
أجبتـــه معلنـــاً بالســـيف منصلتاً ولـــو أجبت بغير السيف لم تصب

وأما قوله : أقول لقرحان من البين ، فإنه يريد رجلاً لم يقطعه أحبابه ولم يبينوا عنه قبل ذلك ، وإذا كانت حاله كذلك كان موقع البين أشد عليه وأفت في عضده ، والأصل في هذا : أن القرحان الذي لم يجدر قط . وقد قال جرير :

وكنت من زفرات البين قرحاناً

وفي هذه القصيدة من المعاني الرائعة ، والتشبيهات الواقعة ، والاستعارات البارعة ما يغتفر معه هذا البيت وأمثاله . على أنا أبنا عن صحته معناه وعن أمثاله ، فمن ذلك :

إذا العيـــس لاقـت بي أبا دلف فقد تقطـــع ما بينـــي وبـين النوائب
يرى أقبـــح الأشيـــاء أوبـــة آمـل كستـــه يـــد المأمول حلة خائب
وأحســـن مـــن نور يفتحه النـــدى بياض العطايا في سواد المطالـــب
وقـــد علـــم الأفشين وهو الذي بـه يصان رداء الملك عن كل جـــاذب
بأنك لما استحكم النصـر واكتســـى إهابي تسفى في وجوه التجـــارب
تجللتـــه بالـــرأي حتـــى أريتـــه به ملء عينيه مكـــان العواقـــب
بأرشـــق إذ سالـــت عليهم غمامـة جرت بالعوالي والتعاق الشـــوارب
ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قـــرت حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه فيـض العقـــول إذا انجلـــت سحائب جود أعقبت بسحائـــب

فبهره مما أوردته ما قصر عنان عبارته ، وحبس بنيات صدره ، وعقل عن الإجابة لسانه ، كاد يشغب لولا ما تخوفه من عاقبة شغبه ، وعرفه من مكاني في تلك الأيام ، وأن ذلك لا يتم له ، فما زاد على أن قال : قد أكثرت من أبي تمام ، لا قدس الله أبا تمام وذويه . قلت : ولا قدس السارق منه والواقع فيه . ثم قلت له : ما الفرق - في كلام العرب - بين التقديس والقداس والقادس؟ فقال : وأي شيء غرضك في هذا؟ فقلت : المذاكرة . فقال : بل المهاترة ثم قال : التقديس : التطهير في كلام العرب ، ولذلك سمي القدس قدساً لأنه يشتمل على الذي به الطهور ، وكل هذه الأحرف تؤول إليه .

فقلت له : ما أحسبك أنعمت النظر في شيء من علوم العرب ، ولو تقدمت منك مطالعة لها لما استجزت أن تجمع بين معاني هذه الكلمات مع تباينها ، وذلك لأن القداس بتشديد الدال : حجر يلقى في البئر ليعلم به غزارة مائها من قلته ، حكى ذلك ابن الأعرابي ، والقداس : الجمان ، حكى ذلك الخليل واستشهد بقوله : كنظم قداس سلكه متقطع والقادس : السفينة . قال الشاعر يصف ناقةً :

وتهفو بهاد لها متلع ... كما اقتحم القادس الأردمونا

فلما علوته بالكلام قال : يا هذا ، مسلمة إليك اللغة . قلت : وكيف تسلمها وأنت أبو عذرتها؟ ومن نصابها وسرها ، وأولى الناس بالتحقق بها والتوسع في اشتقاقها والكلام على أفانينها ، وما أحد أولى بأن يسأل عن لغته منك . فشرعت الجماعة الحاضرة في إعفائه وقبول عذره والتواطؤ له ، وقال كل منهم : أنت أولى بالمراجعة والمياسرة لمثل هذا الرجل من كل أحد . وكنت قد بلغت شفاء نفسي وعلمت أن الزيادة على الحد الذي انتهيت إليه ضرب من البغي لا أراه في مذهبي ، ورأيت له حق القدمة في صناعته . فطأطأت له كتفي واستأنفت جميلاً من وصفه ، ونهضت فنهض لي مشيعاً إلى الباب حتى ركبت وأقسمت عليه أن يعود إلى مكانه ، وتشاغلت بقية يومي بشغل عن لي تأخرت معه عن حضرة المهلب وانتهى إليه الخبر ، وأتتني رسله ليلاً فأتيته فأخبرته بالقصة على الحال ، فكان من سروره وابتهاجه بما جرى ما بعثه على مباكرة معز الدولة قائلاً له : أعلمت ما كان من فلان والمتنبي؟ قال نعم ، قد شفا منه صدورنا .

المتنبي وكافور الإخشيدي

زار مصر في العصر الإخشيدي بعض الشعراء المشهورين منهم أبو الطيب المتنبي ، فأقام بها أربع سنوات عند كافور الإخشيدي[١] يمدحه بغرض الحصول على منصب هام ولكنه لم ينل بغيته ؛ فانقلب على كافور يهجوه هجاءً قاسيًا .

ومما قاله المتنبي في مدح كافور :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا

كما مدحه بقوله :

قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا إنسان عين زمانه ... وخلَّت بياضًا خلفها ومآقيا

ولما لم يحقق المتنبي ما كان يطمع فيه من مناصب ؛ نظم قصيدته الدالية المشهورة التي هجا فيها كافور ومطلعها :

عيدٌ بأيّة حالٍ عُدْتَ يا عيدُ ... بما مضى أم لأمرٍ فيكَ تجديدُ

ومنها :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيد

من علم الأسود المخصي مكرمة ... أقومه البيض أم آباؤه الصيد؟

أم أذنه في يد النخاس دامية ... أم قدره وهو بالفلسين مردود؟

وذاك أن الفحول البيض عاجزة ... عن الجميل فكيف الخصية السود

ومنها :

أكلما اغتال عبدُ السوءِ سيده ... أو خانه فله في مصرَ تمهيدُ

صار الخَصيُّ إمامَ الآبقين بها ... فالحرُّ مستعَبدُ والعبدُ معبود

المتنبي وزيتون

لقي المتنبي مرة رجل زنجي ، فقال له : ما اسمك؟

قال : زيتون

---

(١) أبو المسك كافور الإخشيدي لقبه الليثي السوري كان من رقيق الحبشة وأصبح أحد حكام الدولة الأخشيدية في مصر وسوريا ، كان الحاكم الفعلي لمصر منذ ٩٤٦ بعد وفاة محمد بن طغج وأصبح كافور سنة ٩٦٦ م واليا على مصر حيث حكمها ثم توسع إلى بلاد الشام دام حكمه لمدة ٢٣ .

فقال المتنبي :

سمــــوك زيتــــون فمـــا أنصفـــــو ... لـــــو أنصفـــوا سمــــوك زعــرورا

لأن في الزيتون زيــت يضــــاء بــــه ... وأنــــت لا زيــدـــت ولا نــــورا

فقال الزنجي : وأنت ما اسمك؟

قال : المتنبي . .

فقال الزنجي :

يا لعنـــة اللـــه صبــــي ... علـــى لحيـــة المتنبــــي

إن كنــــت أنــــت نبــــي ... فالقــــرد لا شــــك ربــي !

البيت الشعري الذي قتل ابو الطيب المتنبي

قيل أن سبب قتل أبو الطيب المتنبي هو خلاف حدث بينه وبين عضد الدولة بسبب انتقاد أبو الطيب له ووصفه بالبخل وأن سيف الدولة أكثر كرما منه .

مما أوغر صدر عضد الدولة عليه فأرسل له قوما قاموا بقتله وقيل أنه حين خرج من مجلس عضد الدولة محملا بالهدايا والمنح وأراد السفر طلب الخفراء الذين سيقومون بمرافقته وحمايته ٥٠ درهما لكل واحد منهم للسفر معه وحمايته لكنه رفض ذلك بسبب بخله الشديد ولاعتقاده بأن الخفراء أرادوا استغلاله وابتزازه وسافر وحده فوقع له ما وقع حين أعترضه جماعة من قطاع الطرق وقاموا بنهبه وقتله .

مع أن الرواية الأقرب إلى الصحة هي ما أجمع كثير من المؤرخين على ذكرها من أن قاتله هو شخص يدعى فاتك بن جهل الأسدي والرواية تقول :

أن ابن أخت فاتك الأسدي ويدعى ضبه بن يزيد العتبي كان مسافرا إلى الكوفة هو وعائلته وبينما هو في الطريق اعترض له قوم من الأعراب من قبيلة كلاب ودارت بينهم معركه قتل على أثرها والد ضبة وسبيت أمه .

كان ضبة العتبي مشهورا ببذاءة اللسان وبالغدر حتى بضيوفه ولعل ما حدث له هو نوع من الانتقام منه بسبب ذلك ، وفي يوم من الأيام مر قوم من أشراف الكوفة من أمام مضارب ضبة بن يزيد العتبي الذي كان متحاملا على أهل الكوفة بسبب مقتل والده فتعرض لهم يشتمهم بأقذر الألفاظ وجاهر بذلك الشتم وكان لذلك التصرف أسوأ الأثر في نفوس أشراف الكوفة الذين لجأوا إلى أبي الطيب المتنبي لرد اعتبارهم فأنشد قصيدته المشهورة ((ما أنصف القوم ضبة)) فكانت من أفحش

القصائد التي قالها أبو الطيب المتنبي في حياته حتى قيل أن أبي الطيب كان يكره سماعها إذا رويت له وقد تعرض فيها لوالدة ضبة فوصفها بأقذر الصفات وأسوئها وكانت هذه القصيدة السبب الرئيسي لمقتله .

حين علم خال ضبة المدعو فاتك بن جهل الأسدي داخلته الحمية لكون القصيدة تعرضت لأخته بالقبيح فأضمر الشر لأبي الطيب وأقسم بالانتقام منه . كان أبو الطيب في ذلك الوقت في مدينة شيراز وفي طريق عودته إلى بغداد كان معه بغال محمله بالهدايا والطيب والكتب الثمينة والخلع النفيسة وحين اقترابه من منطقة تسمى دير العاقول خرج عليه فاتك بن جهل مباغته ومعه جنده فهاجموا أبو الطيب المتنبي وعملوا تقتيلا في قومه ويقال بأن أبو الطيب المتنبي حاول الهرب لما أحس بالهزيمة لولا أن أحد غلمانه جابهه بقوله :

سيصفك الناس بالجبن لو هربت وأنت القائل :

الخيـــل والليـــل والبيـــداء تعرفني والسيـف والرمح والقرطاس والقلم

فعاد أبو الطيب إلى المعركة فقتل مع ولده محمد وكثير من جماعته ونهبت أمواله . وكان مقتله في رمضان بتاريخ ٢٨ من عام ٣٥٤ الموافق ٢٧ أبريل ٩٦٥ .

البحتري[1] يهجو علي بن يحيى

وفي علي بن يحيى يقول البحتري يهجوه :

وأكثـــرت غشيـــان المقـــابر زائـــراً علـــيّ بن يحيـى جار أهل المقابر

فإلاّ يكـــن ميـــت الحيـــاة فإنّـــه مـــن اللؤم ميت الجود ميت المآثر

البحتري وأبو العنبس

أنشد البحتري المتوكل قصيدته :

مـــن أيّ ثغـــر تبتســـم وبـــأيّ طـــرفٍ تحتكـــم

حســـن يضـــنٌّ بحسنـــه والحســـن أشبـــه بالكرم

(١) البحتري : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي ، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي . يقال لشعره سلاسل الذهب ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم ، المتنبي وأبو تمام والبحتري .

أفديــــه من ظلكم الوشـــا ة وإن أســـاء وإن ظلــــم

وهي حلوة الروي ، مليحة العروض ، حسنة الطبع ، فكان البحتري فيه كبر وإعجاب . فإذا أنشد ، قال : ما لكم لا تعجبون ، أما حسن ما تسمعون؟! فقام إليه أبو العنبس الصيمري وقد قال ذلك فقال :

عـــن أيّ سلـــح تلتقـــم وبـــأيّ كـــفّ تلتطـــم

ذقـــن الوليـــد البحتـريّ أبـــي عبـــادة في الرّحـم

أدخلت رأسك في الرحم

فولى البحتري مغضباً ، فقال أبو العنبس : وعلمت أنك تنهزم .

فضحك المتوكل حتى فحص برجليه وأمر بالجائزة لأبي العنبس .

أبو تمام

استهل أبو تمام[1] ذات يوم قصيدة ببيت فيه غرابة في كلماته فقال فيه :

قَـــدكَ اتَّئِـــب أَربَيـــتَ في الغُلواءِ كَـم تَعذلـــونَ وَأَنتُـــمُ سُجَرائـي

فأشكل فهمه على الفيلسوف الكندي فقال له : لمَ لا تقول ما يفهم؟

فأجابه أبو تمام وقال له : «و أنت لم لا تفهم ما يقال؟»

فبهت من جوابه اللاذع

الصاحب بن عباد[2]

حكى الهمذاني قال : كان واحد من الفقهاء يعرف بابن الحصيري يحضر مجلس الصاحب بالليالي فغلبته عيناه مرة وخرجت منه ريح لها صوت ، فخجل وانقط عن المجلس ، فقال الصاحب : أبلغوه عني :

---

(١) أَبو تَمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أحد أمراء البيان ، ولد بجاسم ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها .

(٢) أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني ، الطالقاني ، الاصفهاني ، المعروف بالصاحب بن عباد و«كافي الكفاة» ، كان من كبار علماء وأدباء الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، مشارك في مختلف العلوم كالحكمة والطب والمنطق ، وكان محدثاً ثقة .

يا ابن الحصيري لا تذهب على خجل لحـــادث كان مثل الناي والعـــود
كأنها الريـــح لا تستطيـــع تحبسهـــا إذ أنـــت لست سليمان بـــن داود

وعرض مثل ذلك لبعض حاضري مجلسه فقال : إنه صرير التخت ، فقال الصاحب : أخشى أن يكون صرير التحت .

ووقع في رقعة أبي محمد الخازن ، وكان ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه لمعاودة حضرته : (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت) .

ورفع إليه بعض منهي الأخبار أن رجلاً غريب الوجه يدخل داره ويتلطف لاستراق السمع ، فوقع تحتها : دارنا هذه خان يدخلها من وفى ومن خان

وحكى أبو منصور الربيع قال : دخلت يوماً على الصاحب وطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت : لعلي طولت فقال : بل تطولت

ودخل رجلٌ على الصاحب بن عباد ، فقال له الصّاحب : ما الكنية؟ فقال الرّجل :

وتتّفق الأسماء في اللّفظ والكنـــى كثيـــراً ولكن لا تلاقـــي الخلائق

كأنك هدهد

حكى بديع الزمان أبو الفضل الهمذاني[1] قال : لما أدخلني والدي إلى الصاحب ووصلت إلى مجلسه ، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لي : يا بني أقعد كم تسجد كأنك هدهد .

ويقرب من هذا ما حكى ابن بسام قال : رأيت الفكيك بين يدي الأمير أبي القاسم محمد بن عباد وهو ينشد من قصيدة مطولة :

وأنت سليمـــان في ملكـه كمـــا أنا قدامك الهدهـد

وينشده ويعيده ويسجد ، وفعل ذلك مراراً ، وضحك أبو القاسم وأمر له بجائزة سنية .

(١) أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد المعروف ببديع الزمان الهمذاني ، (٣٥٨ هـ/٩٦٩ م – ٣٩٥ هـ/١٠٠٧ م) ، كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة .

حماقة

وحكى أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمذاني حين قدم البصرة حاجاً سنة نيف وستين وأربعمائة أن الصاحب أبا القاسم ابن عباد رأى أحد ندمائه متغير السحنة فقال له : ما الذي بك قال : حما ، قال له الصاحب : قه ، فقال له النديم : تعقيب لفظة حما بما صارت به «حماقة» ولطف النديم في صلة تعقيبه بما جعلت «قهوة» وكذا فلتكن مداعبة الفضلاء ومفاكهة الأدباء الأذكياء .

واستؤذن عليه يوماً لإنسان طرسوسي فقال : الطر في لحيته والسوس في حنطته .

أبو بكر الخوارزمي[1]

من أئمة اللغة والأدب وهو صاحب الرسائل المعروفة برسائل الخوارزمي كما له ديوان شعر ويروى أنه كان ضليعا بكل فن من فنون العربية ولا سيما الكتابة كما كان كثير الحفظ للشعر .

قيل : أنه قصد حضرة الصاحب بن عبادة وهو بأرجان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابه قل للصاحب على الباب أحد الأدباء وهو يستأذن بالدخول فدخل الحاجب وأعلن مولاه ، فقال الصاحب للحاجب قل له قد ألزمت نفسي ألا يدخل من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر ارجع إليه وقل له هذا المقدار من شعر الرجال أم من شعر النساء فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال الخوارزمي ، فقال الصاحب هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له بالدخول .

ويروى عنه أنه كان يقول ((ما فتق قلبي وشحذ فهمي وصقل ذهني وأرهف لساني وبلغ هذا المبلغ بي إلا تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي وامتزجت بأجزاء نفسي))

وسع قبيح في جبهة الخوارزمي

وكان هجا بعض الملوك فظفر به فوسمه في جبهته سطرين فيهما شطران بأقبح

---

(١) محمد بن العباس الخوارزمي ، أبو بكر : من أئمة الكتاب ، وأحد الشعراء العلماء . كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب . وهو صاحب (الرسائل) المعروفة برسائل الخوارزمي .

هجاء ، فكان يشد العمامة على حاجبيه ستراً عليهما . ولذلك قال البديع في مناظرته إياه وقد ذكر مجلساً طويلاً غنى المغني بحضرتنا :

وشبهنا بنفسج عارضيه . . . بقايا اللطم في الخدّ الرقيق

فقال للحاضرين : أنا أروي الشعر الذي منه هذا البيت وهذا لا يرويه . فقلت : روايتي تخالف روايتك ، وإذا أنشدتكها على روايتي ساءتك في استماعها ، ولم يسرك مصنوعها . قال : وكيف روايتك؟ قال قلت :

وشبهنا بنفسج عارضيه . . . بقايا الوسم في الوجه الصفيق

فلما أضجرته النكتة ، أخذته السكتة ، فخمدت ناره ، ووقف حماره .

من مساجلات البديع والخوارزمي

وبين البديع والخوارزمي مراسلات ومساجلات ، ومجالس ظريفة ومقامات ، في ابتداء وجواب ، أخذت بوصل الحكمة وفصل الخطاب ، ومن الهزل والجد .

فمن ظريف ما لأبي بكر من رسالة طويلة يهزأ بها بالبديع : تواضع لنا رحمك الله ، فإن التواضع خلق من أخلاق السلف ، وشبكة من شباك الشرف ، وتصدق علينا ببشرك ، فإن الله يجزي المتصدقين ، وأحسن فإن الله يحب المحسنين ، ولاين إخوانك في قولك وفعلك ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . ولولا أني رحمك الله لا أقول بالرجعة ، ولا أذهب مذهب التناسخية ، لظننت أنك يونس بن فروة إذ قيل فيه :

أمّا ابن فروة يونس فكأنه ... من كبره ذاك الحمار القائم

ما الناس عندك غير نفسك وحدها ... والناس عندك ما عداك بهائم

فلقد أعجبت بنفسك الخسيسة التي لا تستحق العجب ، وأحببت ما لا يساوي الحب ، حتى كأن كسرى أنو شروان حامل غاشيتك ، وكأن قارون وكيل نفقتك ، وحتى كأنك بنيت منارة الإسكندرية من آجر دارك ، وشدت ملعب سليمان من بقايا رخام صحنك ؛ وكأن خاتم الدنيا في خصرك ، وحساب خرجها ودخلها في بنصرك ، وحتى كأن الشمس تطلع من جبينك ، والغمام يندى من يمينك ، وكأن كسرى أنو شروان صاحب نفقة إصطبل دوابك ، ونمرود بن كنعان قهرمانك على ولدك وأهلك ، وحتى كأن الكبريت الأحمر خزف دارك ، والدرة اليتيمة في أخس سوارك .

رحمك الله! دع لليونانية من الحكمة ما ينفق به سوقهم ، واترك لبني العباس

من التملك ما تمشي به أمورهم ، وأبق للشمس والقمر من الحسن بمقدار ما يلوحان به ، ويطلعان فيه ؛ وانظر إلى النساء من وراء حجاب ، ومن خلف برقع ، وإلا خرجن في عشقك من ستر الله ، وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ، ولا تحمل الحرائر على خشونة الطلاق ، ولا تذق المماليك مرارة العناق .

رحمك الله ! لي حوائج إن قضيتها فقد تسلفت شكري وثنائي ، وإن رددتني عنها فقد رأيت أنموذج سخطي وشكواي ، قد اتفق الناس على ضياع النسخة الأولى من كتاب العين فأملها علينا رحمك الله ! والكيمياء فقد أنفقت فيها الأموال ، وتعب فيها الرجال ، ثم لم يحصوا منها إلا على مواعيد مزخرفة ، وأماني مسوفة ، فما عليك لو علمتناها ، وأغنيت الفقراء ، وزدت الأغنياء ، وأرحت الناس من الضرب في البلاد ، ومن الكد والاجتهاد ، ومن أن يخدم فقير غنياً ، ويتخذ بعضهم بعضاً سخرياً .

والزيج الأكبر فقد انقطع أصله ، ومات أهله ، وهو من مفاخر الروم علينا ، ومن محاسنهم دوننا . فاعمل على إصلاحه ، ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين في إبداعه . ومسجد دمشق فهو حسنة يباهي أهل المغرب أهل المشرق ، فابن لنا مثله ، ولا تثبت علينا فضله ؛ فإنما هي ساعة من هندستك ، وجزء نستعمله من أجزاء حكمتك .

أنا لو سلمت أنك إنسان لنفيت عن نفسي الإنسانية ، وقضيت عليها بالبهيمية ، وصرت أعلى منك في النقص حكمة ، وفي الجهل طبقة . وإذا أردت أن تعلم أني في ذمك جاد ، وفي مدحك لاعب ، وفي الشهادة عليك صادق ، وفي الشهادة لك كاذب ، فانظر إلى تهافت كلامي إذا لاينتك وجاملتك ، وإصابتي الغرض وحزي المفصل إذا كاشفتك وباينتك ، وذلك أن الصادق معان مأخوذ بيديه ، والكاذب مخذول مغضوب عليه ، وما كان الله ليوفقني وأنا أجامل من لا يعرف قط إجمالاً ولا تجميلاً ، وأفضل من لم يناسب مذ كان إفضالاً ولا تفضيلاً .

وليس يخفى عليك أكرمك الله تطاول أهل العراق بعبد الله بن هلال الهجري صديق إبليس ؛ فأرنا رحمك الله من عجائب صنعتك ، ولطائف شعبذتك ، وأظهر من كتبك ما تحاكي به كتب اليونانية ، وتكسد شعرهم وتهدم فخرهم ؛ فإن إبليس تلميذ لك ، تعلم منك وأخذ عنك ؛ وشتان بين من يدعي أن إبليس من أعوانه ، وبين من يدعي أنه من غلمانه . وهل استنظر إبليس إلى يوم الوقت المعلوم إلا ليدرك

زمانك ، ويرى برهانك ، أي وفقدك فلا شيء أعز علي منه ! ولا أحسن في عني ، أما سمعت قول علي بن جبلة في أبي دلف :

إنمـــا الدّنـــيا أبو دلـــف   بـــين باديـــة ومحتضـره
فـــإذا ولّـــى أبو دلـــفٍ   ولّـــت الدّنـــيا على أثره

إلا غضبت عليه ، واعتقدت أنه أخًذ صفتك ، وأعار أبا دلف مدحتك ، ولا سمعت قوله :

إمـــا الدّنـــيا حمــــيدٌ   وعطايـــــاه الجســــام
فـــإذا ولّـــى حميـــدٌ   فعلـــى الدنيـــا السـلام

إلا تمنيت لو عرفت قبره فرجمته ، أو عرفت بيته فهدمته ، ولا سمعت قول ليلى الأخيلية :

فتـــى كان أحيـــى مـــن فتاة حيّية   وأشجـــع من ليث بخفّان خـــادر

إلا قلت : كيف لو رأت ليلى أخانا ، فتعلم أين دعواها من دعوانا . ولا أنشدت قول أبي السعلاء في الرشيد :

أغيثاً تحمــــل الناقــــــة أم تحمــــل هارونا
أم الشمــــس أم البـــدر   أم الدنيـــــا أم الدينـــا

فإني والله أتعجب حين قاله في غيرك ، كيف لم ترم جهنم بشرارها ، والشياطين بأحجارها ، وأعجب من قول من قال في معن بن زائدة :

مسحـــت معـــدّ وجـه معن سابقاً   لما جـــرى وجرى ذوو الأحســاب

كيف يسبق غيـرك في حلبة ٍوأنت في عدادها ، أم كيف يكون غيـرك سابق جيادها؟ أنت أيدك الله بين هؤلاء الشعراء مرحوم مظلوم ، سلبوك علاك وهي حلاك ، ونحلوها قوماً سواك ، والمدح الكاذب ذم ، والبناء على غير أساس هدم .

وهي طويلة جداً ، مر له فيها إحسان كثير . وإنما احتذى في أثرها مثال رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لأحمد بن عبد الوهاب المعروفة برسالة الطول والعرض وتعرف برسالة التوسع والتدوير ورسالة المفاكهات ، واتبع أيضاً طريق أبي الفضل بن العميد في رسالته لابن سمكة النحوي .

بين الخوارزمي والبديع

وقد جمع بديع الزمان جوامع ما جرى بينه وبينه في كتاب أنفذه إلى بعض

الأشراف ، ها هنا قطعة على اختصار ، وهو وإن كان طويلاً فليس مملولاً ، لما ألبسه من حلل البلاغة ، وحلل البراعة ، وجدته في الآذان ، وحلاوته في الأذهان ؛ وفيه أنواع تنفتح لها الأسماع ، وتنشرح لها الطباع ، مما ألف هذا الكتاب له من الملح الظريفة ، والفكاهات الشريفة .

وأولها : سأل السيد أمتع الله ببقائه إخوانه أن أملي جوامع ما جرى بيننا وبين أبي بكر الخوارزمي أعزه الله من مناظرة مرة ، ومنافرة أخرى ، وموادعة أولاً ، ومنازعة ثانياً ، إملاء يجعل الأسماع له عياناً ؛ فتلقيته بالطاعة ، على حسب الاستطاعة ، ولكن للقضية سبب لا تطيب إلا به ، ومقدمات لا تحسن إلا معها ، وسأسوق بعون الله صدر حديثنا إلى النجز ، كما يساق الماء إلى الأرض الجرز : وأولها : إنا وطئنا خراسان ، فما اخترنا إلا نيسابور داراً ، وإلا جوار السادة جواراً ، لا جرم إنا حططنا بها الرحل ، ومددنا عليها الطنب ، وقديماً كنا نسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ، ونخبر به ونخبره على الغيب فنتعشقه ، ونقدر أنا إذا وطئنا أرضه ، ووردنا بلده ، يخرج لنا في العشرة على القشرة ، وفي المودة عن الجلدة ، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا ، ولحمة الأدب نظمتنا ، وقد قال شاعر القوم غير مدافع .

أجارتنا إنّا غريبان ها هنا وكلّ غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل الإخلاف ، واختلف ذلك التقدير كُل الاختلاف ، وقد كان اتفق علينا في ذلك الطريق من العرب اتفاق ، لم يوجبه استحقاق ، من بزة بزوها ، وفضة فضوها ، وذهب ذهبوا به . ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة ، وكيس أخلى من جوف حمار ، وزي أوحش من طلعة المعلم ، بل اطلاعة الرقيب ، فما حللنا إلا قصبة جواره ، ولا وطئنا إلا عتبة داره ، هذا بعد رقعة قدمناها ، وأحوال أنس نظمناها ؛ فلما أخذتنا عينه ، سقانا الدردي من أول دنه ، وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه ، من طرف نظر بشطره ، وقيام دفع في صدره ، وصديق استهان بقدره ، وضيف استخف بأمره ؛ لكنا أقطعناه جانب أخلاقه ، ووليناه خطة رأيه ، وقاربناه إذ جاذب ؛ وواصلناه إذ جانب ، ولبسناه على خشونته ، وشربناه على كدورته ، ورددنا الأمر في ذلك إلى زي استغثه ، ولباس استرثه ، وكاتبناه نستلين قياده ، ونستميل فؤاده ، ونقيم مناده ، بما هذه نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم الأستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه ، أزرى بضيفه إذ وجده يضرب إليه آباط القلة ، في أطمار الغربة ؛ فأعمل في ترتيبه أنواع المصارفة ، وفي الاهتزاز له أصناف المضايقة ، من إيماء بنصف الطرف ،

وإشارة بشطر الكف ، ودفع في صدر القيام ، ومضغ للكلام ، وتكلف لرد السلام .
وقد قبلت ترتيبه صعراً ، واحتملته وزراً ، واحتضنته نكراً ، وتأبطته شراً ، ولم آله عذراً ، فإنما المرء بالمال ، وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال ، وفي هذه الأسمال ، أتقذر صف النعال . فلو أني صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت : إن بوادينا ثاغية صباح ، وراغية رواح ، وناساً يجرون المطارف ، ولا يمنعون المعارف :

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوههم وأنديةٌ ينتابها القول والفعل

فلو طرحت بأبي بكر إليهم طوائح الغربة لوجد منال البشر قريباً ، ومحط الرحل رحيباً ، ووجه المضيف خصيباً .

ورأي الأستاذ أبي بكر أيده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود ، والمر الذي يتلوه موفق إن شاء الله تعالى .

فأجاب بما في نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم : وصلت رقعة سيدي ورئيسي ، أطال الله بقاءه ، إلى آخر السكباج ، وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ، ومؤلم عتبه وعتابه ، وصرفت ذلك منه إلى الضجرة التي لا يخلو منها من مسه عسر ، ونبا به دهر ، والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه ، ومظنة مشتكى ما في نفسه .

أما شكاة سيدي ورئيسي من مضايقتي إياه كما زعم في القيام ، فقد وفيته حقه أيده الله سلاماً وقياماً على قدر ما قدرت عليه ، ووصلت إليه ، ولم أرفع عليه إلا السيد أبا البركات العلوي ، وما كنت لأوثر أحداً على من أبوه الرسول وأمه البتول ، وشاهده التوراة والإنجيل ، وناصره التأويل والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل . فأما القوم الذين صدر عنهم سيدي فكما وصف : حسن عشرة ، وسداد طريقة ، وكمال تفصيل وجملة ، ولقد جاورتهم فأحمدت المراد ، ونلت المراد :

فإن أك قد فارقت نجداً وأهله فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للأحرار كافة ، ولسيدي من بينهم خاصّة ؛ فإن أعانني على بعض ما في نفسي بلغت له بعض ما فيه النية ، وجاوزت به مسافة القدرة ، وإن قطع علي طريق عزمي بالمعارضة ، وسوء المؤاخذة ، صرفت عناني عن طريق الاختيار ، بيد الاضطرار :

وما النفس إلاّ نطفةٌ بقرارة إذا لم تكدّر كان صفواً غديرها

وبعد : فحبذا عتاب سيدي إذا استوجبنا عتباً ، واقترفنا ذنباً ؛ فأما أن يسلفنا العربدة ، فنحن نصونه عن ذلك ، ونصون أنفسنا عن احتماله ؛ ولست أسومه أن

يقول : استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين . ولكني أسأله أن يقول : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

فحين ورد الجواب ، وعين العذر رائدة تركناه بعره ، وطويناه على غره وعمدنا لذكره فسحوناه ، ومن صحيفتنا محوناه ؛ وصرنا إلى اسمه فأخذناه ونبذناه ، وربكنا خطته ، وتجنبنا خطته ، فلا طرنا إليه ولا طرنا به . ومضى على ذلك الأسبوع ودبت الأيام ، ودرجت الليالي ، وتطاولت المدة ، وتصرم الشهر ، وصرنا لا نعير الأيام ذكره ، ولا نودع الصدور حديثه ، وجعل هذا الفاضل يستزيد ويستعيد ، بألفاظ تقطفها الأسماع من لسانه ، وتوردها إلي ، وكلمات تحفظها الألسنة من فمه وتعيدها علي ، فكاتبناه بما هذه نسخته : أنا أرد من سيدي الأستاذ أطال الله بقاءه شرعة وده وإن لم تصف ، وألبس حلة بره وإن لم تضف ، وقصاراي أن أكيله صاعاً عن مد ؛ فإني وإن كنت في الأدب دعي النسب ، ضعيف السبب ، سيىء المنقلب : ضيق المضطرب ، أمت إلى عشرة أهله بنيقة ، وأنزع إلى خدمة أصحابه بطريقة ، ولكن بقي أن يكون الخليط منصفاً في الوداد ، إن زرت زار ، وإن عدت عاد . وسيدي أيده الله ناقشني في القبول أولاً ، وصارفني في الإقبال ثانياً . فأما حديث الإقبال ، وأمر الإنزال ، فنطاق الطمع ضيق عنه ، غير متسع لتوقعه منه ، وبعد ، فكلفة الفضل هينة ، وفروض الود متعينة ، وأرض العشرة لينة ، وطرقها بينة ، فلم أختار قعود التغالي مركباً ، وصعود التعالي مذهباً ، وهلا ذاد الطير عن شجر العشرة ، وذاق الحلو من ثمرها ؛ فقد علم الله تعالى أن شوقي إليه قد كد الفؤاد برحاً إلى برح ، ونكأه قرحاً على قرح ، ولكنها مرة مرة ونفس حرة ، لم تقد إلا بالإعظام ، ولم تلق إلا بالإجلال والإكرام ، وإذا استعفاني من معاتبته ، وأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشمها ، فليس إلا غصص الشوق أتجرعها ، وحلل الصبر أتدرعها ، ولم أعره من نفسي ، وأنا أعلم لو أني أعرت جناحي طائر لما طرت إلا إليه ، ولا وقعت إلا عليه :

أحبّك يا شمس المعالي وبدرها وإن لامني فيك السّها والفراقد
وذاك لأنّ الفضل عندك باهرٌ وليس لأنّ العيش عندك بارد

فلما وردت عليه الرقعة ؛ حشد تلاميذه وخدمه ، وزم عن الجواب قلمه ، وحبس للإيجاب قدمه ، وطلع مع الفجر علينا . ونظمت حاشيتنا دار الإمام أبي الطيب . فقلت : الآن تشرق الحشمة وتنور ، وتنجد في العشرة وتغور ، وقصدناه شاكرين لمأتاه ؛ وانتظرنا عادة بره ، وتوقعنا مادة فضله ، فكان خلباً شمناه ، وآلاً وردناه ، وصرفنا الأمر

في تأخره ، وتأخرنا عنه إلى ما قال عبد الله بن المعتز :

إنّا علـــــى البعـــاد والتفـــرّق لنلتقـــي بالذكـــر إن لـــم نلتق

وقول آخر وقد أحسن وزاد :

أحبّك فـي البتـــول وفـــي أبيهـــا ولكنّـــي أحبّـــك مـــن بعيـــد

وبقينا نلتقي خيالاً ، ونقنع بالذكر وصالاً ، حتى جعلت عواصفه تهب ، وعقاربه تدب ، وهو لا يرضى بالتعريض حتى يصرح ، ولا يقنع بالنفاق حتى يعلن ، وأفضت الحال به وبنا معه إلى أن قال : لو أن بهذا البلد رجلاً تأخذه هزة الهمم ، وتملكه أريحية الكرم ، لجمع بيني وبين فلان يعنيني :

ثـــم أرى إذا انجلـــى الغبـــــار أفـــرس تحتـــي أم حمـــــــار

وود فلان بوسطاه ، بل بيمناه ، لو رحلنا وقلنا في المناخ له ، وأتى بكلمات تحذو هذا الحذو ، وتنحو هذا النحو ، وألفاظ أتتنا من علو ، فكان من جوابنا : بعض الوعيد يذهب في البيد . وقلنا : الصدق ينبىء عنك لا الوعيد . وقلنا : إن أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية .

وقد قال بعض أصحابنا : قلت لفلان : لا تناظر فلاناً فإنه يغلبك . قال : أمثلي يغب وعندي دفتر مجلد ، ووجدنا عندنا دفاتر مجلدة ، وأجزاء مجودة ، وأنشدناه قول حجل بن نضلة :

جـــاء شقيـــقٌ عارضـــناه رمحـــه إنّ بنـــي عمّـــك فيهـــم رماح

هـــل أحـــدث الدهر لنـــا توبـــة أم هـــل رفـــت أم شقيـق سلاح

وقلنا : إنا نقتحم الخطب ، ونوسط الحرب ، فنردها مفحمين ونصدر بلغاء :

وألسننـــا قبـــل النزيـــل قصيـــرة ولكنّهـــا بعـــد النّـــزال تطـــول

فمـن ظـــنّ أن قـــد يلاقـــي الحـــرو ب وألاّ يصـــاب فقد ظنّ عجـــزا

فإنك متى شئت لقيت منا خصماً ضخماً ، ينهشك قضماً ، ويأكلك خضماً ، وحملناه على قول القائل :

السلـــم تأخـــذ منهـــا ما رضيت به والحـــرب تأخـذ من أنفاسها جزع

وقلنا له :

نصحتـــك فالتمس يأويـك غيـــري طعامـــاً إنّ لحمـــي كـــان مـــرّا

ألـــم يبلغـــك مـــا فعلـــت ظبـــاه بكاظمـــة غـــداة لقيـــت عمـــرا

وجعل الشيطان يثقل بذلك أجفان طرفه ، ويقيم به شٍعرات أنفه :

وحتـــى ظـــنّ أنّ الغـــشّ نصحـــي　　وخالفنـــي كأنّـــي قلـــت هجـــرا

واتفق أن السيد أبا علي أدام الله عزه نشط للجمع بيننا ؛ فدعاني فأجبت ، وعرض علي حضور أبي بكر فطلبت ذلك ، وقلت : هذه عدة لم أزل أتنجزها ، وفرصة لا أزال أنتهزها .

فتجشم السيد أبو الحسن أعزه الله مكاتبته يستدعيه ، فاعتذر أبو بكر بعذر في التأخر . فقلت : لا ولا كرامة للدهر أن نقعد تحت ضيمه ، أو نقبل خسف ظلمه . وكتبت أنا له أشحذ عزمته على البدار ، وألوي رأيه عن الاعتذار ، وأعرفه ما في ذلك من ظنون تشتبه ، وتهم تتجه ، وتناذير تختلف ، واعتقادات تخلف ، وقدنا إليه مركوباً لنكون قد ألزمناه الحج ، وأعطيناه الراحلة ؛ فجاءنا بطبقة أف ، وعدد تف :

كـــل بغيـــض طوله أصبع　　وأنفـــه خمـــس أشبـــار

مع أصحاب عانات ، وأرباب جربانات ، وسرحنا الطرف منه ومنهم في أحمى من است النمر ، وأعطس من أنف النغر ، فرأينا رجالاً جوفاً ، قد حلقوا صوفاً ، فأمنا المعرة ، ولم نخش المضرة .

والمناظرة بينهما يطول ذكرها ، ويعظم قدرها ، ويخرج بها الكتاب عن حده ؛ ولكني ألمع منها باليسير ، إذ لو ذكرت جميع المعارضات والمناقضات ، والمبادهة والمواجهة ، لأضعفت على ما كتبت .

فمن ذلك أن البديع قال قلت له : اقترح علي غاية ما في طوقك ، ونهاية ما في وسعك ، حتى أقترح عليك أربعمائة صنف من الترسل ؛ فإن سرت فيها برجلين ، ولم أطر بجناحين ، فلك فيها السبق .

مثال ذلك ، أن أقول لك : اكتب كتاباً يقرأ جوابه منه ؛ هل يمكنك أن تكتب؟ أو أقول لك : اكتب كتاباً على المعنى الذي أقترح ، وانظم شعراً وافرغ منهما فراغاً واحداً ؛ هل كنت تمد لهذا ساعداً؟

أو أقول لك : اكتب كتاباً في المعنى الذي أقول وأنص عليه ، وأنشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ولا تغافل ، حتى إذا كتبت ذلك قرئ من آخره إلى أوله ، وانتظمت معانيه إذا قرئ من أسفله ؛ هل كنت تفوق لهذا الغرض سهماً ، أو تجيل قدحاً ، أو تصيب نجحاً؟ أو قلت لك : اكتب كتاباً إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كاتباً ، وإذا عكست سطوره مخالفة كان جواباً ؛ هل كنت في هذا العمل واري الزند ، قاصد القصد؟ أو قلت لك : اكتب كتاباً على المعنى الذي أقترح ، لا يكون فيه معنى

متصل من واو تتقدم الكلمة ، أو منفصل عنها بديهة ، هل كنت تفعل؟ أو قلت لك : اكتب كتاباً خالياً من الألف واللام ، لا تصب معانيه إلا على قالب ألفاظه ، ولا تخرجه من جهة أغراضه ، هل كنت تقف من ذلك موقفاً مشهوراً؟ أو يبعك ربك مقاماً محموداً؟ أو قلت لك : اكتب كتاباً أوائل سطوره كلها ميم ، وآخرها جيم ، على المعنى الذي أريد ، هل كنت تغلو في قوسه غلوة ، أو تخطو في أرضه خطوة؟ أو أقول لك : اكتب كتاباً يخلو من الحروف العواطل ، هل كنت تحظى منها بطائل؟ أو تبل لهاتك بناطل؟ أو أقول لك : اكتب كتاباً إذا قرئ معوجاً ، أو سرد معرجاً ، كان شعراً ، هل كنت تقطع في ذلك شعراً؟ بلى ، والله تصيب ولكن من بدنك ، وتقطع ولكن من ذقنك .

أو أقول لك : اكتب كتاباً إذا فسر من وجه كان مدحاً ، وإذا فسر من وجه آخر كان قدحاً ، هل كنت تقدر على هذه العمدة؟ أو تخرج من هذه العهدة؟ أو أقول لك : اكتب كتاباً كنت قد حفظته من دون أن لحظته ، هل كنت تثق من نفسك به؟ بل است البائن أعلم .

فقال أبو بكر : هذه الأبواب شعبذة فقلت : وهذا القول طرمذة ، فما الذي تحسن أنت من الكتابة وفنونها ، حتى أباحثك عن مكنونها ، وأكاثرك بمخزونها ، وأثير فيها قلمك ، وأسبر لسانك وفمك . فقال : الكتابة التي يتعاطاها أهل الزمان ، المتعارفة بين الناس .

فقلت : أليس لا تحسن من الكتابة إلا هذه الطريقة الساذجة ، وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم ، المتناول بكل يد وفم ، ولا تحسن هذه الشعبذة .

فقال : نعم ! فقلت : هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبل ، وأنابلك بهذا النبل ، ثم تقاس ألفاظي بألفاظك ، ويعارض إنشائي بإنشائك ؛ فأقترح كتاباً يكتب في النقود وفسادها ، وفي التجارات وكسادها ووقوفها ، والبضاعات وانقطاعها ، والأسعار وغلائها .

فكتب أبو بكر بما نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم ، الدرهم والدينار ثمن الدنيا والآخرة ؛ بهما يتوصل إلى جنات النعيم ، ويخلد في نار الجحيم ، قال الله تعالى : ﴿خُذ من أموالهم صدقةً تُطهِّرهم وتزكّيهم بها وصَلّ عليهم إنّ صلاتك سكنٌ لهم واللّه سميع عليم﴾ . وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشد الإكبار ؛ وأنكرناه أعظم الإنكار ، لما نراه من الصلاح للعباد ، وننويه من الخير للبلاد ، وتعرفنا

في ذلك بما يربح الناس في الزرع والضرع إلى كلمات لم تعلق بحفظنا .

فقلت : إن الإنكار والإكبار ، والبلاد والعباد ، وجنات النعيم ونار الجحيم ، والزرع والضرع ، قد نبت عن العد ، وزلت عن اليد ، وقد كتبت كما ترى بما ساوق فيه اللسان القلم ، وسابقت اليد الفم ، ولا أطالبك بمثل ما أنشأت . فاقرأه ولك اليد ، وناولته الرقعة فبقي وبقيت الجماعة ، وبهت وبهتت الكافة .

وهذا ما كتب البديع ارتجالاً : بسم الله الرحمن الرحيم : الله شاء أن المحاضر صدور بها وتملأ المنابر ، ظهور لها وتفرع الدفاتر ، وجوه بها وتمشق المحابر ، بطون لها ترشق آثاراً ، كانت فيه ، آمالنا مقتضى على أياديه ، في تأييده الله أدام الأمير جرى ، وإذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع الدين ، أهل عن الكل هذا يحط أن في إليه نتضرع ، ونحن واقفة ، والتجارات زائفة ، والنقود صيارفة ، أجمع الناس صار فقد كريماً نظراً إلينا لينظر شيمه ، مصاب وانتجعنا كرمه ، بارقة وشمنا هممه ، على آمالنا رقاب وعلقنا أحوالنا ، وجوه له وكشفنا آمالنا ، وفود إليه بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا أن ونعماءه تأييده وأدام بقاءه الله أدام الحال الجليل الأمير رأى أن وصلى الله على النبي محمد وآله وصحبه وسلم .

فجعلت أقرأه منكوساً ، وأسرده معكوساً ، والعيون تبرق وتحار . فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر أحد الخصمين . وقال الناس : قد عرفنا الفاضل من المفضول ، ثم ملنا إلى اللغة والعروض والنحو والشعر والحفظ ، فلما برد ضجر الناس وقاموا يفدونني بالأمهات ، ويشتمون الفرس المنبت ؛ وقام أبو بكر فغشي عليه ، وقمت إليه فقلت :

يعزّ عليّ في الميدان أنّي ... قتلت مناسبي جلداً وقهرا
ولكن رمت شيئاً لم يرمه ... سواك فلم أطق يا ليث صبرا

وخرجت وقد اجتمع الناس ؛ فتلقوني بالشفاه تقبيلاً ، وبالأفواه تبجيلاً ، وانتظروا خروجه إلى أن غابت الشمس فلم يظهر أبو بكر ، حتى خفره الليل بجنوده ، وخلع عليه الظلام خلع بروده .

الخبزأرزي

أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري ، المعروف بالخبزأرزي الشاعر المشهور ؛ كان أمياً لا يتهجى ولا يكتب ، وكان يخبز خبز الأرز بمربد البصرة في دكان ، وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون

باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره ، وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك ، البصري الشاعر المشهور– مع علو قدره عندهم – ينتاب دكانه ليسمع شعره ، واعتنى به ، وجمع له ديواناً ، وكان نصر المذكور قد وصل إلى بغداد وأقام بها دهراً طويلاً .

بخور غير طائل

حكى أبو محمد عبد الله بن محمد الأكفاني النصري ، قال : خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر وأبي الحسين ابن لنكك وأبي عبد الله المفجع وأبي الحسن السباك ، في بطالة عيد ، وأنا يومئذ صبي أصحبهم ، فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبرأرزي ، وهو جالس يخبر على طابقه ، فجلست الجماعة عنده يهنونه بالعيد ويتعرفون خبره ، وهو يوقد السعف تحت الطابق ، فزاد في الوقود فدخنهم ، فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان ، فقال نصر بن أحمد لأبي الحسن ابن لنكك : متى أراك يا أبا الحسين؟ فقال له أبو الحسين : إذا اتسخت ثيابي ، وكانت ثيابه يومئذ جدداً على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد ، فمشينا في سكة بني سمرة ، حتى انتهينا إلى دار أبي أحمد ابن المثنى ، فجلس أبو الحسين ابن لبكك ، قال : يا أصحابنا إن نصراً لا يخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ، ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا ، واستدعى دواة وكتب :

لنصر في فؤادي فرط حب ... أنيف به على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخوراً ... من السعف المدخر للثياب
فقمت مبادراً وظننت نصراً ... أراد بذاك طردي أو ذهابي
فقال : متى أراك أبا حسين؟ ... فقلت له : إذا اتسخت ثيابي

وأنفذ الأبيات إلى نصر ، فأملى جوابها ، فقرأناه فإذا هو قد أجاب :

منحت أبا الحسين صميم ودي ... فداعبني بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كقتير شيب ... فعدن له كريعان الشباب
ظننت جلوسه عندي لعرس ... فجدت له بتمسيك الثياب
فقلت : متى أراك أبا حسين؟ ... فجاوبني : إذا اتسخت ثيابي
فإن كان الترفه فيه خير ... فلم يكنى الوصي أبا تراب

ابن يونس يصف غلاماً

وقال أبو الحسن بن يونس المصري يصف غلاماً :

يجري النسيم على غلالة خدّه وأرقّ منه ما يمرّ عليه
ناولته المرآة ينظر وجهه فعكست فتنة ناظريه إليه

وأهدى بعض الكتاب إلى رئيسه مرآة ؛ فقال : من أين وقع اختيارك عليها؟ قال : لتذكرني بها كلما نظرت إلى وجهك الحسن .

قال محمد بن عبد الملك الزيات في عيسى بن زينب :

إنّ عيسى أنف أنفه أنفه ضعفٌ لضعفه
لو تراه وهو في السر ج وقد مال بعطفه
لحسبت الأنف في السر ج وعيسى مثل ردفه

الأدب يرفع النسب

رئي قبران مكتوب على أحدهما : من رآني فلا يغتر بالدنيا ، فإني كنت من ملوكها ، أصرف الريح كيف شئت . وعلى الآخر مكتوب : كذب ، إنما كان حداداً ينفخ بالزق .

وكان بالكوفة رجل باقلاني ، فخرج الطائف ليلاً فأخذه سكران ؛ فقال : من أنت؟ فقال :

أنا ابن الذي لا تنزل الدّهر قدره وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمنهم قيامٌ حولها وقعود

فقال الطائف : قد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : تجاوزوا عن ذوي الهيئات ؛ خلوا سبيله . فلما أصبح سأل عنه فإذا هو ابن باقلاني . فقال : إن لم يترك لنسبه فقد ترك لأدبه .

ومثله من المعاريض قول ابن شبرمة[1] ؛ وقد سئل عن رجل ، فقال : إن له شرفاً وقدماً وبيتاً ، فنظر فإذا هو ساقط . فقيل له في ذلك . فقال : ما كذبت : شرفه : أذناه وقدمه التي يمشي عليها ، ولا بد أن يكون له بيت يأوي إليه .

وسئل آخر عن رجل ؛ فقال : رزين المجلس ، نافذ الطعنة ؛ فحسبوه سيداً ، فإذا هو خياط طويل الجلوس نافذ الإبرة .

(١) عبد الله بن شبرمة الإمام العلامة ، فقيه العراق أبو شبرمة . قاضي الكوفة .

قصيدة لابن طباطبا في دعوة

وهذا كلما ذكر ابن طباطبا العلوي(١) وقد دعاه بعض إخوانه فتأخر عنه الطعام إلى أن اشتد به الجوع ، ثم قدم إليه جدياً هزيلاً فقال :

يــا دعــوة مغبّــرةً قاتمــة كأنهــا مــن سفــرة قادمه
قــد قدّمــوا فيها مسيحيةً أضـحت على إسـلامـهـا نادمــه
وبعــد شطرنجيــة لم تـزل أيد وأيد حولهــا حائمــه
فلم نزل في لعبهـا ساعــةً ثــمّ رفعنَاهــا على قائمـه

وكرر الأرز ، فقال :

أرزٌّ جـــاء يتبعـــه أرزّ هو الإيطاء يتّخذ اتخـــاذا
فإيطاء القريض كما علمنـا وإيطاء الطعام يكـون هـذا

فدعا الرجل جماعةً من الشطرنجيين ، وقال : تعالوا حتى تروا الشطرنجية ، فكتب إليه :

ورقعــة كنّــا رفعناهـــا نشرتهــا لمّــا طويناهـــا
أعــددتُ للعاب شطرنجها لو أمكـن القمــر قمرناها
واللّه لو أحضرتــها زيريـا ما ميّـز الفرزان والشّاهـا

بين أبي السمراء وعبد الله بن طاهر

وكان أبو السمراء العلاء بن عاصم بن عصمة العسكري نديم عبد الله بن طاهر(٢) يأنس به ، ويجاريه الشعر ، فكتب إليه :

تقــول لمّا جعلــت أبكــي سلــوه باللّــه ممّ يبكــي؟
فقلــت أبكــي لمــا أراه عمّــا قليــل يكون منـك
قالت فلا تخش قلت ما لي قلــبٌ على الدّهر يأتمنــك
لا غرّنــي الدهــر منك ودٌّ قالت ولا غرّني التبكّــي

فوقع ابن طاهر في ظاهرها بديهاً :

(١) أبو الحسن بن طباطبا محمد بن أحمد بن محمد الهاشمي القرشي عالم وشاعر وأديب ولد في أصبهان وتوفي فيها .

(٢) عبد الله بن طاهر الخراساني كان الحاكم الطاهري على خراسان من عام ٨٢٨ وحتى وفاته . وربما كان أشهر حكام الطاهريين .

لا أشتكــي مــن هواك إلاّ　　إليــك لــو ينفع التشكي
حلفت جهد اليمــين أن لا　　أزول إلاّ إليــك عنـــك
كلفتني السعي في طريــقٍ　　وعرٍ قليل الأنيس ضنــك
فرحت بي في إسار قلبــي　　ثم تشاغلــت عنــد فكّي

ومن جيد شعره في جارية له توفيت :

يقــول لــي الخــلاّن لو زرت قبرهــا　　فقلــت : وهل غير الفؤاد له قبــر
على حين لم أحدث فأجهــل فقدهــا　　ولــم أبلغ الســنّ التي معها صبر

وهذا مأخوذ من قول أبي مسلم عبد الرحمن بن سلم ، في فصل من كتاب كتبه إلى عبد الله بن علي عند محاربته إياه ، لما خلع أبا جعفر المنصور : لأنزلنك موارد ضيقة ، حتى أبدلك بالحلاوة علقماً ، تمج من تمطقها دماً ؛ أمنت صولتي ، وقد كبرت عن صغر ، وصغرت عن كبر ، فأنا كما قال الأول :

وهــل يخشى وعيــد النــاس إلاّ　　كبيــر الســنّ والضّرع الصغيــر

الصابئ في حبسه

وكتب أبو إسحاق من الحبس إلى بعض إخوانه : نحن في الصحبة كالنسرين لكني واقع ، وأنت طائر ، وعلى الطائر أن يغشى ويراجع .

وزاره أبو الفرج الببغاء الشاعر زورة ثم قطعه ، فكتب إليه :

أبا الفرج اسلم وابق وانعــم ولا تــزل　　يزيدك صرف الدهر حظّاً إذا نقـص
مضــت مــدة أستــام ودك غالــياً　　فأرخصتــه والبيع غالٍ ومرتخص
وآنستنــي فــي محبســي بزيــارةٍ　　شفت قرماً من صاحبٍ لكَ قد خلص
ولكنّهــا كانــت كحســوة طائــرٍ　　فواقاً كما يستفرض السادة الفرص
وأحسبك استوحشت من ضيق محبســي　　وعادك عيد من تذكّــرك القفــص
من المنســر الأشفى ومن حزّة المدى　　ومن بندق الرامي ومن قصّة المقـص
ومن صعدة فيها مـن الدّبــق لهــذم　　لفرسانكم عند الطعان بها قعــص
فهذي دواهي الطير ، وقّيــت شرّهــا　　إذا الدهر من أحداثه جرّع الغصص

فأجابه أبو الفرج :

أيــا ماجــداً قد يمّم المجد ما نكــص　　وبــدر تمــام مذ تكامل ما نقــص
ستخلــص مــن هذا السّرار وأيّمــا　　هلال توارى في السرار فما خلص

بدولـــة تـــاج الملّـــة الملـــك الـــذي	له في أعالي قبّة المشتري خصـص
تقنّصــت أنصافي وما كنت قبـل ذا	أظـــنّ بـــأنّ المرء بالبـــرّ يقتنـــص
وبعـــد فلا أخشى تقنّـــص جـــارح	وقلبك لي وكرٌ ورأيك لـــي قفـص

رسالة الصابئ

في رسالة لأبي الخطاب الصابئ ، أجاب بها عن أبي العباس بن سابور إلى الحسين بن صبرة ، عن رقعة وصلت منه في صفة حمل أهداه ، كتبتها على اختصار : وأبو الخطاب هذا هو عم أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ :

وصلت رسالتك ففضضها عن خط مشرق ، ولفظ مونق ، وعبارة مصيبة ، ومعان غريبة ، واتساع في البلاغة يعجز عنها عبد الحمد في كتابته ، وسحبان في خطابته ، وتصرف بين جد أمضى من القضاء والقدر ، وهزل أرق من نسيم السحر ، وتقلب في وجوه الخطاب ، الجامع لفنون الصواب ، إلا أن الفعل قصر عن القول ؛ لأنك ذكرت حملاً جعلته بصفتك جملاً ، وكان كالمعيدي تسمع به لا أن تراه ، وحضر فرأيت كبشاً متقادم الميلاد ، من نتاج قوم عاد ، قد أفنته الدهور ، وتعاقبت عليه العصور ، فظننته أحد الزوجين اللذين حملها نوح في سفينته ، وحفظ بهما جنس الغنم لذريته ، صغر عن الكبر ، ولطف عن القدم ، فبانت دمامته ، وتقاصرت قامته ، وعاد ناحلاً ضئيلاً ، بالياً هزيلاً ، بادي السقام ، عاري العظام ، جامعاً للمعايب ، مشتملاً على المثالب ، يعجب العاقل من حلول . الحياة به ، وتأتي الحركة له ؛ لأنه عظم مجلد ، وصوف ملبد ، لا تجد فوق عظامه سلباً ، ولا تلقى يدك منه إلا خشباً ، لو ألقي للسبع لأباه ، ولو طرح للذئب لعافه وقلاه ، وقد طال للكلأ فقده ، وبعد بالمرعى عهده ، لم ير القت إلا نائماً ، ولا عرف الشعير إلا حالماً .

وقد خيرتني بين أن أقتنيه فيكون فيه غنى الدهر ، أو أذبحه فيكون فيه صب الرحل ؛ فملت إلى استبقائه لما تعرفه من محبتي للتوفير ، ورغبتي في التثمير وجمعي للولد ، وادخاري للغد ؛ فلم أجد فيه مستمتعً لبقاء ، ولا مدفعاً لفناء ؛ لأنه ليس بأنثى تحمل ، ولا بفتىً ينسل ، ولا بصحيح يرعى ، ولا بسليم يبقى ؛ فملت إلى الثاني من رأييك ، وعملت على الأخير من قوليك ، وقلت : أذبحه فيكون وظيفةً للعيال ، وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال ؛ فأنشدني وقد أضرمت النار ، وحدت الشفار ، وشمر الجزار :

أُعيذهــا نظــراتٍ منـــك صادقــةً   أن تحسب الشحم فيمن شحمـــه ورم

ومـا الفـائدة لك فيَّ ذبحي ، وأنا لـم يبق فيّ إلا نفس خـافت ، ومـقل إنسـانهـا باهت ؛ ولست بذي لحم فأصلح للأكل ، لأن الدهر قد أكل لحمي ، ولا جلدي للدباغ يصلح ؛ لأن الأيام قـد مـزقت أديمي ؛ ولا صـوفي يصلح للغـزل ؛ لأن الحـوادث قـد حصت وبري ، فإن أردتني للوقود فكف حطب أبقى من ناري ، ولا تفي حرارة جمري بريح قتاري ، فلم يبق إلا أن تطالبني بذحل ، أو بيني وبينك دم .

فوجدته صادقاً في مقالته ، ناصحاً في مشورته ؛ فلم أعلم من أي أمريه أعجب ؛ من مماطلته الدهر بالبقاء ، أم صبره على الضير والبلاء ، أم قدرتك عليه مع إعواز مثله ، أم تأهيلك الصديق به مع خساسة قدره؟ ويا ليت شعري إذ كنت والي الغنم ، وأمرك ينفـذ في الضـأن والمعز ، وكل كـبش سـمين ، وحـمـل بطين ، مجلوب إليك ، مـقـصـور عليك ، تقـول فـلا ترد ، وتريد فـلا تصـد ، وكـانت هديتك هذا الذي كـأنه ناشـر مـــن القـبـــور ، وقـائم عند النفخ في الصـور ؛ فـمـا كـنت مـهـدياً لو كنت رجـلاً من عـرض الكتاب ، كأبي علي وأبي الخطاب ، ما كنت تهدي إلا كلباً أجرب ، أو قرداً أحدب .

من شعر الصابئ

وقال أبو إسحاق الصابئ :

جملـــة الإنســـان جيفـــه   وهيــــــولاه سخيفـــــة
فلمــــاذا ليـــت شعـــــري   قيـــل للنفـــس الشريفـــة
إنمـــــا ذلـــــك فيـــــه   قـــدرة اللّـــــه اللطيفـــة

وقال :

وأحـــقّ مــــن نكستـــه   بالصفـــع مـــن درجاتـــه
مـــن مجـــده مـــن غيـره   وسفالـــه مــــن ذاتـــــه

الصابئ وعضد الدولة

وأهدى الصـابئ إلى عـضـد الدولـة في يوم مـهـرجـان اسطرلاباً[1] بقـدر الدرهم ،

(١) الأَسْطُرلاب (ويقال له : الأصْطُرلاب) هو آلة فلكية قديمة وأطلق عليه العرب ذات الصفائح . وهو نموذج ثنائي البعد للقبة السماوية ، وهو يظهر كيف تبدو السماء في مكان محدد عند وقت محدد .

وكتب معه ، وكان حينئذ معتقلاً :

أهـدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا   في مهرجانٍ جديـدٍ أنـت تبليـه
لكـنّ عبـدك إبراهيـم حـين رأى   سموّ قدرك عـن شـيءٍ يساميه
لم يرض بالأرض يهديها إليـك فقد   أهدى لك الفلك الأعلى بمـا فيـه

فرضي عنه وأخرجه من السجن .

وقال الصابئ لأبي القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب :

اللّـه حسبـي فيـك مـن كلّ مـا   يعـوّذ العبـد بـه المولـى
واسلـم وعـش لا زلت في نعمـةٍ   أنـت بهـا مـن غيـرك الأولى

نقد لشعر امرئ القيس

وصل إلى حضرة سيف الدولة[١] رجل من أهل بغداد يعرف بالمبحث ، وكان ينقر على العلماء والشعراء بما لم يدفعه الخصم ولا ينكره الوهم ، فتلقاه سيف الدولة باليمين ؛ وأعجب به إعجاباً شديداً ؛ فقال يوماً : أخطأ امرؤ القيس في قوله :

كأنـي لـم أركـب جـواداً للـذّة   ولـم أتبطّـن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبـأ الـزّقّ الـرويّ ولـم أقل   لخيلـي كـرّي كرّةً بعد إجفـال

وهذا معدول عن وجهه لا شك فيه . فقيل : وكيف ذلك؟ قال : إنما سبيله أن يقول :

كأنـي لـم أركب جواداً ولـم أقـل   لخيلـي كـرّي كـرةً بعد إجفال
ولـم أسبـأ الـزقّ الـرويّ للـذة   ولـم أتبطّـن كاعباً ذات خلخال

فيقترن ذكر الخيل بما يشاكلها في البيت كله ، ويقترن ذكر الشرب واللهو بالنساء . ويكون قوله : للذة في الشرب أطبع منه في الركوب .

فبهت الحاضرون ، واهتز سيف الدولة ، وقال ؛ هذا التهدي وحق أبي ! فقال بعض الحاضرين من العلماء للمبحث : أنت أخطأت وطعنت على القرآن إن كنت تعمدت؟ فقال سيف الدولة : وكيف ذلك؟ فقال : قال الله تبارك وتعالى : إن لك ألا

(١) سيف الدولة الحمداني علي ابن أبو الهيجاء ابن حمدان ابن الحارث سيف الدولة التغلبي معروف باللقب الأكثر شيوعا سيف الدولة ، هو مؤسس إمارة حلب ، التي تضم معظم شمال سوريا وأجزاء من غرب الجزيرة ، وأخ لحسان ابن عبدالله .

تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى . وعلى قياسه يجب أن يكون : إن لك أن لا تجوع فيها ولا تظمأ ، ولا تعرى فيها ولا تضحى . وإنما عطفه امرؤ القيس بالواو التي لا توجب تعقيباً ، ولا ترتب ترتيباً ؛ فخجل وانقطع .

أبو فراس يستميل سيف الدولة إلى الغناء

ومن مليح هذا المعنى قول أبي فراس[1] : كان سيف الدولة لا يشرب النبيذ ولا يسمع القيان ويحظرهما ، فوافت ظلوم الشهرامية ، وكانت إحدى المحسنات ، وكان بحضرته ابن المنجم أحد المحسنين ، فتاقت نفسي إلى سماع ظلوم ؛ فسألت الأمير أن يحضرهما لأسمعهما مجتمعين ؛ فوعدني بإحضارهما مجلسه من يومه ، فانصرفت وأنا غير واثق بذلك لعلمي بضعف نيته في مثله ، ووجهت إلى ظلوم أتقدم إليها بالاستعداد ، وحصلت عندي ابن المنجم ، وأقمت أنتظر رسوله إلى أن غربت الشمس ، فكتبت إليه :

محلّك الجوزاء بل أرفع ... وصدرك الدهناء بل أوسع
وقلبك الرّحب الذي لم يزل ... للجدّ والهزل به موضع
رفّه بقرع العود سمعاً غدا ... قرع العوالي جلّ ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات أبا محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبي ؛ فأمر بها فلحنت وغني بها ، فلم يشرب بقية يومه ذلك إلا عليها .

بين أبي فراس وسيف الدولة

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة وقد سار إلى منزله : كتابي أطال الله بقاء الأمير من منزلي ، وقد وردته ورود السالم الغانم موقر الظهر وفراً وشكراً ؛ فاستحسن سيف الدولة بلاغته فقال :

هل للفصاحة والسما ... حة والعلا عنّي محيد
في كل يوم استقيـ ... ـد من العلاء وأستفيد

---

(١) أبو فراس الحمداني هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الوائلي ، . هو شاعر من أسرة الحمدانيين ، وهي أسرة عربية حكمت شمال سوريا والعراق وكانت عاصمتهم حلب في القرن العاشر الميلادي .

ويزيـــد فـــــيّ إذا رأيــــــ تـك في الندى خلقٌ جدي

وأهدى الناس إلى سيف الدولة في بعض الأعياد فأكثروا ؛ فاستشارهم أبو فراس فيما يهديه إليه ، فكل أشار بشيء ، فخالهم وكتب إليه :

نفســـي فداؤك قــــد بعثـ ـت بمهجتـــي بيـد الرسول

أهديـــت نفســـي ، إنمـــا يهدى الجليل إلى الجليـــل

وجعلـــت ما ملكـت يدي بشـــرى المبشّــر بالقبـــول

ووقع بين أبي فراس وبين بني عمه عداء وهو صغير ؛ فمزح سيف الدولة معه بالتعصب عليه فقال :

قد كنـــت عدّتي التي أسطو بهـــــا ويدي إذا خان الزمان وساعــــدي

فرميــت منـــك بضـــدّ مـــا أمّلتــه والمــرء يشــرق بالـــزّلال البـــارد

فصبـــرت كالولـــد التقـــــيّ لبـــرّه أغضى على مضضٍ لضرب الوالـد

وقال يفخر :

لنـــا بيـتٌ علـــــى طنـــب الثريـــا بعيـــد مذاهـــب الأكناف سامـي

تظلّلــــــه الفـــــوارس بالعوالـــــــي وتفرشـــه الولائـــــد بالطعـــــام

وقال يصف السبي .

وخريـــدة كرمـــت علــى آبائهـــــا وعلـــى بـــوادر خيلنـــا لم تكـرم

خطبــــــت بحدّ السيف حتى زوّجت كرهـــاً وكـــان صداقهـــا للمقسم

راحـــت وصاحبهـــا بعرس حاضـــرٍ يرضـــي الإلـــه وأهلهـــا فـي مأتم

لبيد بن ربيعة في مجلس النعمان

لما أراد لبيد بن ربيعة[١] أهله على إحضاره مجلس النعمان[٢] ، ومقاولة ابن زياد العبسي على ما خاطب به أهله بحضرة النعمان ، أراد أهله أن يختبروه لأنهم

(١) أبو عقيل لَبيد بن ربيعة بن مالك العامِري من عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، عمه ملاعب الأسنة وأبوه ربيعة بن مالك والمكنى ×بربيعة المقترن× لكرمه .

(٢) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي ، الملقب بأبي قابوس كان مسيحيا نسطوريا تسلم مقاليد الحكم بعد أبيه ، وهو من أشهر ملوك المناذرة قبل الإسلام . كان داهية مقداما .

استصغروه ؛ فنظر عمه إلى بقلة لاصقة بالأرض وهي جدير الأرض فقال : صف لنا هذه البقلة حتى أسمع . فقال لبيد : إن هذه البقلة رذلة دقيقة الخيطان ، ذليلة الأغصان ، لا تذكي ناراً ، ولا تستر جاراً ، ولا تؤهل داراً ، عودها ضئيل ، وخيرها قليل ، وبلده شاسع ، ونبتها خاضع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع ، أقصر البقول فرعاً ، وأخبثها مرعىً ، وأصعبها قلعاً ، فحرباً لجارها وجدعاً ، فالقوا إلي أخا عبس ، أرجعه عنكم بتعس ، وأتركه من أمره بلبس . فقال له : سر! فلما قدم على النعمان وعنده الربيع أنشده :

نحن بنو أمّ البنين الأربعة ... الضاربون الهام تحت الخيضعة

والمطعمون الجفنة المدعدعة

الحمدوني يصف أضحية

وقال الحمدوني في أضحية أهداها إليه سعيد بن أحمد جوسبنداد :

أسعيد قد أهديتني أضحّيةً ... مكثت زماناً عندكم ما تطعم

نضواً تغامزت الكلاب بها وقد ... شدّوا عليها كي تموت فيولموا

فإذا الملاح ضحكوا بها قالت لهم ... لا تهزؤوا بي وارحموني ترحموا

مرّت على علفٍ فقامت لم ترم ... عنه وغنّت والمدامع سجّم

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخّرٌ عنه ولا متقدّم

وقال :

أبا سعيد لنا في شاتك العبر ... جاءت وليس لها بولٌ ولا بعر

وكيف تبعر شاةٌ عندكم مكثت ... طعامها الأبيضان الشمس والقمر

لو أنها أبصرت في نومها علفاً ... غنّت له ودموع العين تنحدر

يا مانعي لذّة الدنيا بما رحبت ... إني ليمتعني من وجهك النّظر

وقال :

شاة سعيدٍ في أمرها عبر ... لما أتتنا قد مسّها الضرر

وهي تغنّي لسوء حالتها ... حسبي بما قد لقيت يا عمر

مرّت بقطف خضر ينشّرها ... قومٌ فظنّت بأنّها خضر

فأقبلت نحوها لتأكلها ... حتى إذا ما تبيّن الخبر

وأبدلتها الظّنون من طمع يأساً تغنّت والدمع ينحدر
كانوا بعيداً وكنت آملهم حتى إذا ما تقرّبوا هجروا

وقال :

لسعيد شويهةٌ سلّها الضّرّ والعجف
قد تغنّتْ وأبصرت رجلاً حاملاً علف
بأبي من بكفّه برء ما بي من الدّنف
فأتاها مطمّعاً فأتته لتعتلف
فتولّى فأقبلت تتغنّى من الأسف
ليته لم يكن وقف عذّب القلب وانصرف

الحاتمي واللص

ومن الظريف ما أنشده أبو علي الحاتمي(١) في حكاية اللص :

يعجبني أنّك لا تربط من خيل ولا تركب إلاّ النّجبا
لمّا رأيت الشّقر خيلاً سبّقاً ملكتَ منها أشقراً محنّبا
به سماتٌ من قرونٍ سلفت يعرف من أقربها المهلّبا
فللكلاب حوله تهاوشٌ لمّا دعاهم أجلٌ قد قربا
لا تيأسن ما عشت في تشييعه مستعملاً فيه العزا والعقبا
خلناه تحت الجلّ إذ جلّلته قرون ضأنٍ جعلت ملء العبا
في كلّ رجلٍ ويدٍ زائدةٍ وهو على جِرذانه قد شطبا
كم مرّةً رأيته في جرمه فخلته بالحائط منه القبقبا
تحيّر البيطار لمّا أن أرى في رأسه مرقّعاً معتصبا
مقيّراً موصّلاً كأنّما قد رم منه زورقاً أو زبزبا
فهو لنارٍ شعلةٌ لو لصقت طاقة كبريت به لالتهبا
كم فيه من فائدة قد صحّحت كتب التباريح لمن تطيّبا
قد خلق اللّه لنا من برّه ومن نبات البحر خلقاً عجبا
يمشي إلى الإسراج مشي القهقرى لكن إلى المعلف ينزو خببا

(١) هو أبو علي محمد بن الحسن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي (٣١٠ - ٣٨٨هـ) .

مـــن كثـــرة القـــردان في صهوتـــه تحسبـــه مجـــدّراً محصّـــبا
لـــو أن سلطانـــــاً رأى راكبـــه لـــم يـــأل أن عـــذّره وأدّبـــا
أقـــام طـــول الصيـــف في الماء إلـــى أن أنبـــت المـــاء علـــيه الطحلبا
ظننتـــه والشمـــس لـــم تبيضّ مـن شمـــس الضحى ولم تحلّ الغيهـبا
مـــن بعـــض أكواخ النواطير ســـرى بالريـــح إذ هبـــت له ريح الصّـــبا
بالـــغ فيـــه الجـــوع حتـــى إنـــه إذا رأى القـــتّ بكـــى وانتحـــبا
وجـــاذب المقـــود مجهـــوداً ومـــا كـــاد لـــه المقـــود أن ينجذبـــا
حمحـــم للقـــتّ وقـــد مـــرّ بـــه ثـــم تغنّـــى طربـــاً وأطربـــا
يأيهـــا الباخـــل بالوصـــل أمـــا ترحـــم صبّـــاً كلفـــاً معذّبـــا

وصف الشمس

قال رجل من بني الحارث بن كعب يصف الشمس :

مخبـــأة أمّـــا إذا الليـــل جنّهـــا فتخفـــى وأمّـــا بالنهـــار فتظهـــر
إذا انشقّ عنها ساطع الفجر وانجلـــى دجـــا الليل وانجاب الحجاب المستّر
وألبـــس عـــرض الأرض لونـــاً كأنّه على الأفق الغربيّ ثـوبٌ معصفـــر
تجلّـــت وفيهـــا حين يبدو شعاعهـــا ولم يعـــل للعـــين البصيرة منظـــر
عليهـــا كـــردع الزعفـــران يشبّـــه شعاعٌ تلالا فهـــو أبيـــض أصفـــر
فلمّـــا علـــت وابيضّ منها اصفرارها وجالت كما جال المنيـــح المشهّـــر
وجلّلـــت الآفـــاق ضـــوءاً وأسعرت بحرٌّ لها منـــه الضّحـــى يتسعّـــر
تـــرى الظّل يطوى حين تبدو ، وتـــارةً تـــراه إذا زالـــت عن الأرض ينشر
كمـــا بـــدأت إذ أشرقت في مغيبهـــا تعـــود كمـــا عاد الكبير المعمّـــر
وتدنـــف حتـــى ما يكـــاد شعاعهـــا يبـــين إذا ولّـــت لمـــن يتبصّـــر
وأفنـــت قروناً وهي في ذاك لم تـــزل تميـــت وتحيـــي كـــلّ يـــومٍ وتنشر

دعوة بالخطأ

قال عثمان بن عيسى الهاشمي : كنت عند المعتز ، وكان قد كتب أبو أحمد ابن المنجّم إلى أخيه أبي القاسم رقعةً يدعوه فيها ، فغلط الرسول ، فأعطاها لابن المعتز وأنا عنده ، فقرأها ، وعلم أنّها ليست له ، فقلبها وكتب :

دعانـــــي الرســـول ولـــم تدعنـــي ولكـــــن لعلّـــي أبـــو القاســـم
فمـــا أن يطـــاق إذا مـــا جـــددت وهزلـــك كالشهـــد للطاعـــم
فـــدى لـــك مـــن كـــل ما يتّقيـــه أبـــو أحمـــد وأبـــو القاســـم
قال : فقام ، ومضى إليه .

غلب الجاحظ

قال الجاحظ ما غلبني أحد قط إلا رجل ، كنت مجتازا في بعض الطريق فإذا برجل قصير بطين كبير الهامة

طويل اللحية مؤتزر بمئزر وبيده مشط يمشطها

فقلت في نفسي : رجل قصير بطين ألحى ! فاستزريته فقلت :

أيها الشيخ لقد قلت فيك شعرا فترك المشط من يده وقال : قل

فقلت :

كأنـــك صعـــوة فـــي أصـــل حش أصـــاب الحـــش طش بعـــد رش

فقال اسمع جواب ما قلت فقلت هات ! فقال

كأنـــك جنـــدب فـــي ذيل كبـــش تدلـــدل هكـــذا والكبـــش يمشي

الجاحظ والثقيل

قال الجاحظ : جاءني يوماً بعض الثقلاء فقال : سمعت أن لك ألف جواب مسكت ، فعلمني منها؟ فقلت : نعم . فقال : إذا قال لي شخص ، يا جاهل! يا ثقيل الروح ، أي شيء أقول له؟ فقلت : قل له : صدقت

الجاحظ وغلامه

دخل على الجاحظ يوما غلامه ، فرآه مجتهدا في الدعاء فقال له : ما بك يا مولاي؟

قال : قد وجدت نفسي أني صرت سخرية للناس ، فأدعو ربّي أن يصلح ما بي من العيوب .

فقال الغلام : أيسرُ عليه أن يصنعك من جديد

في مرض الجاحظ

قال أَبُو معاذ عبدان الخولى المتطببدخلنا يوما بسر من رأى عَلَى عمرو بْن بحر الجاحظ نعوده وقد فلج ، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل فِيه فقَالَ : وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ، ولعاب سائل؟ ثم أقبل علينا فقَالَ : ما تقولون فِي رجل لَهُ شقان : أحدهما لو غرز بالمسال ما أحس ، والشق الآخر يمر بِهِ الذباب فيغوث ، وأكثر ما أشكوه الثمانون؟ ثم أنشدنا أبياتا من قصيدة عوف بْن محلم الخزاعى .

قَالَ أَبُو معاذ : وكان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل عَلَى عَبْد اللَّه بْن طاهر ، فسلم عَلَيْهِ عبد الله فلم يسمع ، فأعلم بذلك ، فزعموا أنّهُ ارتجل هذه القصيدة ارتجالا ، فأنشده :

يا بن الَّـذِي دان لَـهُ المشرقـان	طـرا وقـد دان لَـهُ المغـربان
إن الثمانـيـن وبلغتهـا	قد أحوجت سمعي إِلَى ترجمـان
وبدلتنـي بالشطـاط الانحـنا	وكنت كالصعدة تحـت السنـان
وبدلتنـي مـن زمـاع الفتـى	وهمتـي هُـم الجبـان الهـدان
وقاربـت منـى خطـا لـم تكـن	مقاربـاتٍ وثنـت مـن عنـان
وأنشـأت بيـني وبـين الـورى	عنانـة مـن غير نسـج العنـان

الاستـرزاق بالأدب

حـقـال أَبُو بَكْرِ بن دريد ، رحمه الله : حَدَّثَنَا عبد الأول ، قَالَ : سمعت الكتنجي ، يقول : أملقت[1] حتى لم يبق فِي منزلي إلا بارية ، فدخلت إِلَى دار المتوكل ، فلم أزل مفكراً فحضرني بيتان ، فأخذت قصبة وكتبت عَلَى الحائط الذي كنت إِلَى جنبه :

الرزق مقسـومٌ فأجمـل فِي الطلب	يأتي بأسباب ومن غـير سبـب
فاسـترزق اللـه ففـي اللـه	غنـىً الله خيرٌ لك من أبٍ حدب

قَالَ : فركب المتوكل فِي ذلك اليوم حماراً وجعل يطوف فِي الحجر ، ومعه الفتح بن خاقان ، فوقف عَلَى البيتين ، وقَالَ : من كتب هذين البيتين؟ وقَالَ للفتح : اقرأ هذين البيتين ، فاستحسنهما ، وقَالَ : من كان فِي هذه الحجرة؟ فقيل : الكتنجي ، فقَالَ : أغفلناه وأسأنا إليه ، وأمر لي ببدرتين .

(١) أي فقرت ومنه قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾

الشاعر والملك

دخل شـاعرٌ على ملك وهو على مائدته فأدناه الملك إليه وقال لـه : أيها الشـاعر قال : نعم أيها الملك ،

قال الملك : «و ا » ، فقال الشاعر على الفور ، «أن» ، فغضب الملك غضباً شـديداً وأمر بطرده فتعجّب الناس وسألوه : لم نفهم مالذي دار بينكما أيها الملك ،

أنت قلت «وا» وهو قال «أن» فما «وا» و«أن»

قال : أنا قلت له : «وا» أعني قول الله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ .

فـردّ عليّ وقـال : «أن» يعني قـوله تعـالى ﴿أن الملوك إذا دخلوا قـريةً أفسـدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾

مائة ألف أو يزيدون

ذهب رجل إلى الملك وأنشده شعرا

قال الملك : أحسنت . . اطلب ما تشاء

قال هل تعطيني؟؟؟

قال : أجل

قال : أريد أن تعطيني دنانير بمقدار الرقم الذي أذكره في الآيات القرآنية

قال : لك ذلك

قال الشاعر : قال الله تعالى : ﴿إلهكم إله واحد﴾

فأعطاه دينارا

قال : ﴿ثاني أثنين إذ هما في الغار﴾

فأعطاه دينارين

قال : ﴿لقد كفر اللذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾

فأعطاه ثلاثة دنانير

قال : ﴿قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك﴾

فأعطاه أربعة

قال : ﴿ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾

فأعطاه خمسة دنانير وستة دنانير أخرى

قال : ﴿الله الذي خلق سبع سموات﴾

فأعطاه سبعة

قال : ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾

فأعطاه ثمانية

قال : ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض﴾

فأعطاه تسعة

قال : ﴿تلك عشرة كاملة﴾

فأعطاه عشرة دنانير

قال : ﴿إني رأيت أحد عشر كوكبا﴾

فأعطاه أحد عشر

قال : ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله﴾

فأعطاه اثنا عشر

ثم قال الملك : أعطوه ضعف ما جمع واطردوه

قال الشاعر : لماذا يا مولنا

قال الملك : أخاف أن تقول : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ .

أبيات المروءة

عن الهيثم بن عدى ، قَالَ : كنا نقول بالكوفة : إنه من لم يرو هذه الأبيات فلا مروءة له ، وهي لأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي

قَالَ : وأنشدنا أَبُو العباس أحمد بن يحيى النحوي عَنِ ابن الأعرابي ، والألفاظ فِي الروايتين مختلطة :

وصهباء جرجانية لم يطف بها ... حنيف ولم تنغر بها ساعةً قدر

ولم يحضر القس المهينم نارها ... طروقا ولم يشهد عَلَى طبخها حبر

أتاني بها يحيى وقد نمت نومة ... وقد غابت الشعرى وقد جنح النسر

فقلت اغتبقها أو لغيري فاسقها ... أنا ويبك والخمر

تعففت عنها فِي العصور التي خلت ... فكيف التصابي بعد ما كلأ العمر

إذا المرء وفى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يأتي حياء ولا ستر

فدعه ولا تنفس عليه الذى ارتأى ... وإن جر أسباب الحياة له الدهر

بين أديبين ووالدهما

كان لرجل من مقاول حمير ابنان يُقَال لأحدهما : عمرو وللآخر : ربيعة ، وكانا قد برعا فِي الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى عَلَى الفناء ، دعاهما ليبلو عقولهما ، ويعرف مبلغ علمهما ، فلما حضرا قَالَ لعمرو ، وكان الأكبر أَخْبَرَنِي عَنْ أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك ، قَالَ : السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذواد ، الصادر الوراد .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : ما أحسن ما وصف! وغيره أحب إِلَى منه ، قَالَ : ومن يكون بعد هذا؟ قَالَ : السيد الكريم ، المانع للحريم ، المفضال الحليم ، القمقام الزعيم ، الذي إن هم فعل ، وإن سئل بذل .

قَالَ : أَخْبَرَنِي يا عمرو بأبغض الرجال إليك ، قَالَ : البرم اللئيم ، المستخذي للخصيم ، المبطان النهيم ، العي البكيم ، الذي إذا سئل منع ، وإن هدد خضع ، وإن طلب جشع .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : غيره أبغض إِلَى منه ، قَالَ : ومن هو؟ قَالَ : النؤوم الكذوب ، الفاحش الغضوب ، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام .

قَالَ : أَخْبَرَنِي يا عمرو ، أي النساء أحب إليك؟ قَالَ : الهركولة اللفاء ، الممكورة الجيداء ، التي يشفى السقيم كلامها ، ويبرى الوصب إلمامها ، التى إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استعتبتها أعتبت ، الفاترة الطرف ، الطفلة الكف ، العميمة الردف .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : نعت فأحسن! وغيرها أحب إِلَى منها ، قَالَ : ومن هى؟ قَالَ : الفتانة العينين ، الأسيلة الخدين ، الكاعب الثديين ، الرداح الوركين ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة الكلام ، الجماء العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام .

قَالَ : فأي النساء إليك أبغض يا عمرو؟ قَالَ : القتاتة الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطوافة الهبوب ، العابسة القطوب ، السبابة الوثوب ، التي إن ائتمنها زوجها خانته ، وإن لان لها أهانته ، وإن أرضاها أغضبته ، وإن أطاعها عصته .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : بئس والله المرأة ذكر! وغيرها أبغض إلى منها ، قَالَ : وايتهن التي هي أبغض إليك من هذه؟ قَالَ : السليطة اللسان ، المؤذية للجيران ،

الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وترته ، وإن ناطقها انترته .

قَالَ ربيعة : وغيرها أبغض لي منها قَالَ : ومن هي؟ قَالَ : التي شقي صاحبها ، وخزى خاطبها ، وافتضح أقاربها .

قَالَ : ومن صاحبها؟ قَالَ : مثلها فِي خصالها كلها ، لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها .

قَالَ : فصفه لي؟ قَالَ : الكفور غير الشكور ، اللئيم الفجور ، العبوس الكالح ، الحرون الجامح الراضي بالهوان ، المختال المنان ، الجعد البنان ، القئول غير العقول الملول غير الوصول ، الذي لا يرع عَنِ المحارم ، ولا يرتدع عَنِ المظالم .

قَالَ : أَخْبَرَنِي يا عمرو ، أي الخيل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران للتجالد؟ قَالَ : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفيت العريق ، الشديد الوثيق ، الذي يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طلب .

قَالَ : والله نعت! نعم الفرس قَالَ : فما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : غيره أحب إِلَى منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الحصان الجواد ، السلس القياد ، الشهم الفؤاد ، الصبور إذا سرى ، السابق إذا جري .

قَالَ : فأي خيل أبغض إليك يا عمرو؟ قَالَ : الجموح الطموح ، النكول الأنوح ، الصئول الضعيف ، الملول العنيف ، الذي إن جاريته سبقته ، وإن طلبته أدركته ، قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : غيره أبغض إليك منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : البطيء الثقيل ، الحرون الكليل ، الذي إن ضربته قمص ، وإن دنوت منه شمس ، يدركه الطالب ، ويفوته الهارب ، ويقطع بالصاحب .

قَالَ ربيعة : وغيره أبغض إِلَى منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الجموح الخبوط ، الركوض الخروط ، الشموس الضروط ، القطوف فِي الصعود والهبوط ، الذي لا يسلم الصاحب ، ولا ينجو من الطالب .

قَالَ : أَخْبَرَنِي يا عمرو أي العيش ألذ؟ قَالَ : عيش فِي كرامة ، ونعيم وسلامة ، واغتباق مدامة .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : والله وصف! وغيره أحب إِلَى منه ، نعم العيش قَالَ : وما هو؟ قَالَ : عيش فِي أمن ونعيم ، وعز وغنى عميم ، فِي ظل نجاح ، وسلامة مساء وصباح ، وغيره أحب إِلَى منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : غنى دائم ، وعيش سالم ، وظل ناعم .

قَالَ : فما أحب السيوف إليك يا عمرو؟ قَالَ : الصقيل الحسام ، الباتر الجذام ، الماضي السطام ، المرهف الصمصام ، الذي إذا هززته لك يكب ، وإن ضربت به لم ينب .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : نعم السيف نعت! وغيره أحب إِلَى ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الحسام القاطع ، ذو الرونق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذي إذا هززته هتك ، وإذا ضربت به بتك .

قَالَ : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو؟ قَالَ : الفطار الكهام ، الذي إن ضرب به لم يقطع ، وإن ذبح به لم ينخع .

قَالَ : فما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : والله ذكرا! وغيره أبغض إِلَى منه ، بئس السيف قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الطبع الددان ، المعضد المهان .

قَالَ : فأَخْبَرَني يا عمرو ، أي الرماح أحب إليك عند المراس ، إذا اعتكر الباس ، واشتجر الدعاس؟ قَالَ : أحبها إِلَى المارن المثقف ، المقوم المخطف ، الذي إذا هززته لم ينعطف ، وإذا طعنت به لم يقصف .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : نعم الرمح نعت! وغيره أحب إِلَى منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الذابل العسال ، المقوم النسال ، الماضي إذا هززته ، النافذ إذا همزته .

قَالَ : فأَخْبَرَني يا عمرو عَنْ أبغض الرماح إليك ، قَالَ : الأعصل عند الطعان ، المثلم السنان ، الذي إذا هززته انعطف ، وإذا طعنت به انقصف .

قَالَ : ما تقول يا ربيعة؟ قَالَ : بئس الرمح ذكرا! وغيره أبغض إِلَى منه ، قَالَ : وما هو؟ قَالَ : الضعيف المهز ، اليابس الكز ، الذي إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقصم .

قَالَ : انصرفا الآن طاب لي الموت

جحدر في الحبس

لجحدر وكان لصا مبرا فأخذه الحجاج فحبسه ، فقَالَ فِي الحبس :

تأوبني فبت لها كنيعاً	هموٌم ما تفارقني حواني
هي العواد لا عواد قومي	أطلن عيادتي في ذا المكان
إذا ما قلت قد أجلين عني	ثنى ريعانهن عَلَى تاني
وكان مقر منزلهن قلبي	فقد أنفهنه والهم آن

ألـيـــــس اللـــه يعلـــم أن قلبـــــي ... يجبـــك ايهـــا البـــرق اليمانـــي
وأهـــوى أن أرد إليـــــك طرفـــــي ... عَلَـــى عدواء من شغلي وشانـــي
نظـــرت وناقـــتاي عَلَـــى تعـــــاد ... مطاوعـــة الأزمـــــة ترحـــــلان
إلـــى ناريهمـــــا وهمـــــا بعيـــدٌ ... تشوقـــان المحـــــب وتوقـــــدان
وممـــا هاجنـــي فـــازددت شوقـــــاً ... بكـــــاء حمامتـــــين تجاوبـــان
تجاوبتـــــا بلحـــــــن أعجمـــــيٍّ ... عَلَـــى غصنـــين مـــن غرب ٍوبان
فكـــــان البـــان أن الَبـــــان أت ... وفـــي الغرب اغترابٌ غير دانـــي
ألـيـــس الليـــل يجمـــع أم عمـــرو ... وإيانـــا فـــذاك لنـــــا تدانـــي
نعـــــم وتـــرى الهـــلال كمـــا أراه ... ويعلوهـــا النهـــار كمـــا علانـــي
فمـــا بـــين التفريـــق غيـــر سبـــع ... بقـــين مـــن المحـــرم أو ثمانـــي
فيـــا أخـــويّ مـــن كعب بن عمـــرو ... أقـــلا اللـــوم إن لـــم تنفعانـــي
إذا جاوزتهـــما سعفـــــات حجـــر ... وأوديـــة اليمامـــــة فانعيانـــي
وقـــولا جحـــدرٌ أمســـــى رهيـــناً ... يحـــاذر وقـــع مصقـــول يمانـــي
يحـــاذر صولـــة الحجـــاج ظلمـــــا ... ومـــا الحجـــاج ظـــلام لجانـــي
إلـــى قـــوم إذا سمعـــوا بقتلـــــي ... بكـــى شبانهـــم وبكى الغوانـــي
فـــإن أهلـــك فـــرب فتـــىً سيبكي ... عَلَـــى مهـــذب ٍرخص البنــــان
ولـــم أك قد قضيت حقـــوق قومـــي ... ولا حـــق المهنـــــد والسنـــــان

الحارث وابن أبي ربيعة

ذكـر شعـر الحـارث بن خـالد وعمـر ابن عبـد الله بن أبي ربيعـة ، عند ابن أبي عـتيق ، وفي مـجلس رجل من ولد خـالد بن العـاص بن هشام ابن المغـيرة ، وقَـالَ صاحبنا : الحارث أشعرهما ، فقَالَ ابن أبي عتيق : بعض قولك يا بن أخي ، فلشعر ابن أبي ربيعة لوطة بالقلب ، وعلق بالنفس ، ودرك للحاجة ليس لشعر ، وما عصى الله بشعر أكثر مما عصي بشعر بن أبي ربيعة ، فخذ عني ما أصف لك : أشعر قريش : من رق معناه ، ولطف مدخله وسهل مخرجه ومتن حشوه وتعطفت حواشيه وأنارت معانيه وأعرب عَنْ صاحبه ، فقَالَ : الذي من ولد خالد بن العاص : صاحبنا الذي يقول :

إنـــي ومـــا نحـــروا غـــــداة منـــى ... عنـــد الجمـــار تئودهـــا العقـــل

لـــــو بدلـــت أعلـــى مساكنهـــــا سفـــلا وأصبــح سفلهـــا يعلـــو
فيكـــاد يعرفهــــا الخبيـــــر بهــــا فـــيرده الإقـــــــواء والمحـــــل
لعرفـــت مغناهـــا لمـــا احتملــــت منـــي الضلـــوع لأهلهـــا قبـــــل

فقَالَ ابن أبي عتيق : يا ابن أخي ، استر عَلَى صاحبك ولا تشاهد المحاضر بمثل هذا ، أما تطيّر الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ، ما بقي إلا أن يسأل الله حجارة من سجيل ، ابن أبي ربيعة كان أحسن صحبة للرّبع من صاحبك وأجمل مخاطبة حين يقول :

سائـــــلاً الربــــع بالبلــــى وقولا هجـــت شوقـــا لـــي الغداة طويلاً
أيـــن حـــيٌ حلــوك إذ أنت مســـر وربهـــم أهـــــــل أراك جميـــلاً
قَـــالَ ســـاروا فأمعنـــوا فاستقـــلوا وبكرهـــي لـــو استطعـــت سبيلاً
سئمونـــا ومـــا سئمنـــا مقامـــاً واستحثّـــوا دماثـــة وسهـــولا

الخيار ومعاوية

دخل الخيار بن أوفى النَّهدي عَلَى معاوية فقَالَ له : يا خيار ، كيف تجدك وما صنع بك الدهر؟ فقَالَ : يا أمير المؤمنين ، صدع الدهر قناتي ، وأثكلني لداتي ، وأوهى عمادي ، وشيب سوادي ، وأسرع فِي تلادي ، ولقد عشت زمناً أُصبي الكعاب ، وأسر الأصحاب ، وأُجيد الضّراب ، فبان ذلك عني ، ودنا الموت مني ، وأنشأ يقول :

غبـــرت زمانـــاً يرهـــب القرن جانبي كأنّـــي شتيـــمٌ باسل القلب خادر
يخـــاف عـــدوي صولتـــي ويهابنـــي ويكرمنـــي قرنـــي وجـــاري المجاور
وتصبـــي الكعـــاب لمتـــي وشمائلي كأنـــي غصـــنٌ ناعم النبت ناضر
فبـــان شبابـــي واعترتنـــي رثيـــةٌ كأنـــي قنـــاةٌ أطّرتهـــــا المآطـــر
أدبُ إذا رُمـــــت القيـــــام كأننـــي لـــدى المشـــي قـــوم قيده متقاصر
وقصـــر الفتـــى شيبٌ وموتٌ كلاهما لـــه سائـــق يسعـــى بذاك وناظر
وكيـــف يلذّ العيش من ليس زائـــلاً رهـــين أمـــور ليـــس فيها مصادر

فقَالَ معاوية : أحسنت القول ، واعلم أن لها مصادر ، فنًسأل الله أن يجعلنا من الصادرين بخير ، فقد أوردنا أنفسنا موارد نرغب إِلَى الله أن يصدرنا عنها وهو راضٍ

ما قاله بعض الأدباء فِي وصف بعض الثقلاء

قَالَ العباس بن الحسن العلوي : ما الحمام عَلَى الإصرار ، وحلول الدّين مع الإقتار ، وطول السّقم فِي الأسفار ، بألم من لقائه!

وأنشد أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : أنشدنا أَبُو العباس وأبي ، واللفظ مختلط ،

ثقيلٌ يطالعنا من أمم | إذا سرّه رغم أنفي ألمّ
أقول له إذ أتى لا أتى | ولا حملته إلينا قدم
عدمت خيالك لا من عمى | وسمع كلامك لا من صمم
تغطّ بما شئت عَنْ ناظري | ولو بالرّداء به فالتثم
لنظرته وخرة فِي القلوب | كوخز المحاجم فِي الملتزم

قَالَ : وأنشدنا عبد الله بن خلف :

وثقيل أشدّ من ثقل الموت | ومن شدة العذاب الأليم
لو عصت ربها الجحيم | لما كان سواه عقوبةً للجحيم

قَالَ : وأنشدنا عبد الله بن خلف ، وغيره ، لمحمد بن نصر بن بسام :

يا ثقيلاً عَلَى القلوب إذا | عَنْ لها أيقنت بطول الجهاد
يا قذي فِي العيون يا غلة بين | التّراقي حزازة فِي الفؤاد
يا طلوع العذول يا بين إلف | يا غريماً أتى عَلَى ميعاد
يا ركوداً فِي يوم غيم وصيف | يا وجوه التّجار يوم الكساد
خلِّ عنّا فإنما أنت فينا | واو عمرو وكالحديث المعاد
وامض فِي غير صحبة الله ما عشت | ملّقى من كلِّ فجّ وواد
يتخطى بك المهامه والبيد | دليل أعمى كثير الرّقاد
خلفك الثائر المصمم بالسيف | ورجلاك فوق شوك القتاد

قَالَ : وأنشدنا أبي :

ربّما يثقل الجليس وإن كان | خفيفاً فِي كفّة الميزان
ولقد قلت حين وتد فِي البيت | ثقيلٌ أربَى عَلَى ثهلان
كيف لم تحمل الأمانة أرضٌ | حملت فوقها أبا سفيان

الشعراء والحجاج

اجتمع الشعراء بباب الحّجاج وفيهم الحكم بن عبدلٍ الأسدي ، فقالوا : أصلح

الله الأمير ، إنما شعر هذا فِي الفأر وما أشبهه ، قَالَ : ما يقول هؤلاء يا بن عبدل؟ قَالَ : اسمع أيها الأمير ، قَالَ : هات ، فأنشده :

وإنّــي لأستغنـــي فمــا أبطر الغنــى وأعرض ميسوري لمن يبتغي عرضي
وأعســر أحيانــاً فتشتــدّ عسرتــي فأدرك ميسور الغنى ومعي عرضــي
وما نالنــي حتّــى تجلّت فأسفــرت أخــو ثقــةٍ فيها بقرضٍ ولا فرض
ولكنــه سيــب الإلــه وحرفتــــي وشــدّى حيــازيم المطيّة بالغــرض
لأكــرم نفســي أن أرى متخشّعــاً لذي مّنة يعطي القليل عَلَى النّحض
قد امضيت هذا فِي وصيّة عبدلٍ ومثل الذي أوصى به والدي أمضــى
أكفّ الأذى عَنْ أَسرتي وأذوده عَلَى أنني أجرى المقارض بالقرض
وأبذل معروفي وتصفو خليقتي إذا كدّرت أخلاق كلّ فتىً محض
وأقضي عَلَى نفسي إذا ألحقّ نابنـــي وفي الناس من يقضي عليه ولا يقضى
وأمضــى همومــي بالزّمــاع لوجهها إذا ما الهموم لم يكد بعضها يمضي
وأستنقذ المولى مــن الأمــر بعــد ما يــزلّ كما زلّ البعير عَنِ الدّحض
وأمنحــه مالــي وودّي ونصرتــــي وإن كان محنّى الضلوع عَلَى بغضــي
ويغمره سيبــي ولــو شئــت نالــه فوارع تبرى العظم من كلم مــضّ
ولست بذي وجهين فيمــن عرفتــه ولا البخل فاعلم من سمائي ولا أرضي

قَالَ : فلما سمع الحجاج هذا البيت : ولست بذي وجهين فيمن عرفته فضّله عَلَى الشعراء بجائزة ألف درهم

نصف بيت شعر

قال أبو عمرو بن العلاء : اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل : أي نصف بيت شعر أحكم وأوجز؟ فقال أحدهم : قول حميد بن ثور الهلالي :

وحسبك داء أن تصح وتسلما

وقال الثاني من الرواة الثلاثة : بل قول أبي خراش الهذلي

نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي

وقال الثالث من الرواة : بل قول أبي ذؤيب الهذلي :

وإذا ترد إلى قليل تقنع

الشعر والنوم

قال رجل لخالد بن صفوان : ما لي إذا رأيتكم تتذاكرون الأخبار وتتدارسون الآثار ، وتتناشدون الأشعار ، وقع عليّ النوم؟ قال : لأنك حمار في مسلاخ إنسان

إنما المرء بأصغريه

لما دخل ضمرة بن ضمرة ، على النعمان بن المنذر ، زرى عليه ، للذي رأى من دمامته وقصره وقلته . فقال النعمان : «تسمع بالمعيديّ لا أن تراه» .

فقال : «أبيت اللعن! إن الرجال لا تكال بالقفزان ، ولا توزن بالميزان ، وليست بمسوك يستقى بها ، وإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، إن صال صال بجنان ، وإن قال قال ببيان» .

الشيطان والشعر

قال : وقال بعض الشعراء لرجل : أنا أقول في كلّ ساعة قصيدة ، وأنت تقرضها في كل شهر . فلم ذلك؟ قال : لأني لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبل من شيطانك .

ضحك في معرض الرثاء

قال اليزيدي في رثاء يحيى بن المبارك وكان يستثقله .

يا رجلاً خف عنده الثقل حتى به صار يضرب المثل

قصة رجل مع معن بن زائدة[1]

معن ابن زائدة الشيباني ، ويضرب به المثل في الحلم والكرم ، وهو أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، ثم استقر به الأمر أن يكون قريباً من أبي جعفر المنصور ، وهو الذي قيل إنه جاءه رجل يختبر حلمه ، قال :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير

(١) معن بن زائدة أمير العرب أبو الوليد الشيباني ، من أكرم وأجود الناس . كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة ، وله أخبار في السخاء ، وفي البأس والشجاعة ، وله نظم جيد .

قال : أذكر ولا أنساه ، قال :

فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلمك الجلوس على السرير

قال : سبحانه على كل حال ، قال :

فلست مسلماً ما عشت دهراً على معن بتسليم الأمير

قال : يا أخ العرب إن السلام سنة تأتي به كيفما شئت ، قال :

فجد لي يا ابن ناقصة بشيءٍ(*) فإني قد عزمت على المسير

فقال يا غلام أعطه ألف دينار ، قال :

قليل ما أتيت به وإني لأطمع منك في المال الوفيرِ

قال : يا غلام أعطه ألف أخرى ، قال :

سألت الله أن يبقيك دهراً فمالك في البرية من نظير

قال : يا غلام أعطه ألف أخرى ، فأماط اللثام وقال : يا معن والله ما جئتك لأطلبك وإنما جئتك لأختبر حلمك لما بلغني عنك ، وإن الله أعطاك حلماً لو قُسّم على الناس لكفاهم ، فقال : يا غلام كم أعطيته على نظمه؟ قال : ثلاثة آلاف ، قال : أعطه ثلاثة آلاف أخرى على نثره ، فمضى بها .

إنهم بقر

قال أحدهم للشاعر الظريف كلثوم بن عمرو العتابي[1] ، عندما كان يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام :

- فقال العتابي : لو كنت في حظيرة ، أكنت تستحي أن تأكل وما فيها من بقر يراك؟

- بالطبع ، لا .

- إذاً ، انتظر حتّى أُريك أنّهم بقر .

فَوَقَفَ العتابي يخطب في الناس ، ويعظ ، ويدعو حتى كثر عليه الزحام ، ثم قال لهم :

(*) وهو ابن زائدة .

(١) العتابي كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي أبو عمرو من بني عتاب بن سعد كاتب حسن الترسل وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشاعر .

روى لنا غير واحد أنّه من بلغ لسانه أرنبة أنفه دخل الجنة !
فأخذ كل واحد من الحضور يخرج لسانه ، ويقيسه ليراه إذا بلغ أرنبة أنفه أم لا .
ولمّا تفرق الجمع ، قال العتابي للرجل :
ألم أقل لك إنّهم بقر؟!
مهاجاة بين ابن المعتز وابن بسام
وكان ابن المعتز[(١)] يهاجيه ، فمن ذلك قوله فيه :

يا ثقيلاً على القلوب إذا عـ ـنّ لها أيقنت بطول الجهاد
يا قذىً في العيون يا حرقةً بيـ ـن التّراقي حزازةً في الفؤاد
يا طلوع العذول ما بين إلفٍ يا غريماً وافى على ميعاد
يا ركوداً في يوم غيم وصيفٍ يا وجوه التّجار يوم الكساد
خلّ عنّا فإنما أنتً فيناً واو عمروٍ أو كالحديث المعاد

فأجابه ابن بسام بقوله :

فقدتك يا قذاةً في شرابٍ دخلت من الدناءة كلّ باب
لئيم الفعل أشأم من غرابٍ وضيع القدر أطفل من ذباب
وأثقل حين تبدو من رقيبٍ وأكذب حين تنطق من سراب
وأغدر للصديق من الليالي وأنكى للقلوب من العتاب

من ملح المهاجاة

ومن ملح هذا الباب قول جحظة :

يا لفظة النعيّ بموت الخليل يا وقفة التوديع بين الحمول
يا شربة اليارج يا أجرة الـ منزل يا وجه العذول الثقيل
يا طلعة النعش ويا منزلاً أقفر من بعد الأنيس الحلول
يا نهضة المحبوب عن غضبة يا نعمةً قد آذنت بالرّحيل
ويا كتاباً جاء من مخلفٍ للوعد مملوءاً بعذرٍ طويل

---

(١) عبد الله بن المعتز بالله خليفة عباسي وكنيته أبو العباس ، ولد عام ، في بغداد ، وكان أديبا وشاعرا ويسمى خليفة يوم وليلة ، حيث آلت الخلافة العباسية إليه ، ولقب بالمرتضي بالله ، ولم يلبث يوما واحدا حتى هجم عليه غلمان المقتدر وقتلوه في عام ، وأخذ الخلافة من بعده .

يا بكـــرة الثكلـــى إلـــــى حفـــرة　　مستـــودع فيهـــا عـــزيز الثكـــول
يا وثبـــــة الحافـــظ مستعجـــــــلاً　　لصرفـــه القينـــات عند الأصيـــل
ويا طبيبـــــاً قـــد أتـــــى باكـــــراً　　علـــى أخـــي سقـــم بماء البقول
يا شوكـــةً فـــي قـــــدم رخصـــــة　　ليـــس إلـــى إخراجهاً من سبيـــل
يا عثـــرة المجـــذوم فـــــيً رجلــــهً　　ويا صعـــود السّعـــر عند المعيـــل
يا ردّة الحاجـــــب عـــن قســـــوةٍ　　ونكســـةً من بعـــد برء العليـــل

وجحظة هذا أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك .

قال أبو الحسن محمد بن محمد بن مقلة الوزير : سألت جحظة من لقبك بهذا اللقب؟ فقال : أبو العبر لقيني فقال : ما هو حيوان إن نكسوه أتانا آلة للمراكب البحرية . فقلت : علق إذا نكسوه صار قلعاً . فقال : أحسنت يا جحظة ؛ فلزمني هذا اللقب . وكان طيب الغناء حسن المسموع ؛ إلا أنه ثقيل اليد في الضرب . وكان حلو النادرة كثير الحكاية صالح الشعر ، ولا تزال تندر له الأبيات الجيدة .

هجاء بشر بن هارون

أنشد بشر بن هارون في أبي طاهر :

أبـــــا عبـــــد الإلـــه وأنـــت حرّ　　مـــن الأحـــرار منـــزوع القـــلادة
سألتـــــك بالإلـــــه لتخبرنّـــــي　　أجهلـــك مستفـــــــاد أم ولاده
فـــإن يـــك فيـــك مولـــودا فعـــذر　　وإن يـــك حادثـــا لـــك باستفادة
فواعجـــبا يزيـــــد النـــاس فضـــلا　　وأنـــت تزيـــد نقصـــا بالزيـــادة!

وقال بشر بن هارون :

إن أبـــــا موســـى لـــه لحيـــــة　　تدخـــل فـــي الجحـــر بـــلا إذن
وصـــورة فـــي العـــين مثل القـــذى　　ونغمـــة كالوقـــــر فـــــي الأذن
كم صفعـــة صاحـــت إلى صافـــع　　بالنّعـــــل من أخدعه : خذنـــي

محاولة شعرية فاشلة

يحكى أن أحد الشعراء كان جالسا مع أصحابه يوما . . في أرض خضرة جميلة . . فأراد أن يقول شعرا . . فقال . .

الأرض أرض والسمـــاء سمـــــــاء والنـــــــار قالـــوا أنها حمـــــــراء .

فلما قيل له أنه لم يأت بجديد . . أضاف . .

كأننـــا والمـــاء مـــن حولنا قوم جلـــوس حولهـم ماء !!

في الوصف

قال شاعر يصف بخيلاً آخر :

رأى ضيفـــــك بالـــــدار وكـــرب الجـــوع يغشــــاه

علـــى خبـــزك مكتوبـــاً (سيكفيكهـــــــمُ اللـــه)

قال أحد الشعراء يصف زيارة حبيبه فقال :

بأبـــي مـــن زارني مكتتما خائفــا من كل شيء جزعا

ركـــب الأهـــوال في زورته ثـم ما سلّـــم حتـــى ودعا

فقال آخر يعارضه ويصف زيارة ثقيل :

وثقيل قد شنئْنا شخصـــه مـــذ عهدنـاه ملحّا مبرمـا

ثقّل الوطـــأةَ فـــي زورتـــه ثم مـــا ودع حتـــى سلّمـا

شاعران على المائدة

جلس الشاعران العراقيان الزهاوي والرصافي يأكلان ثريداً فوقه دجاجه محمّرة . وبعد قليل مالت الدجاجة ناحية الزهاوي فقال : (عَرَف الخير أهله فتقدما) . فقال الرصافي : (كَثُر النبش تحته فتهدـــما) .

شعراء ماتوا قتلاً

وثلاثةٌ من شعراء أولاد العجم ممّن كأن مشتهراً بالقول مذكوراً ، بالشّعر بالبادية ، كلّهم قتلوا منهم : وضّاح اليمن ، ويسار الكواعب ، وسحيم عبد بني الحسحاس . وإنما قتلوا كفّاً عن أولئك النّساء ، وحفظاً لهنّ ، حين رأوا التعرّض ، وشنعة تلك الأشعار لا يشغلهم عنها إلاّ قتلهم مخافة أن يكون ذلك القتل يحقّق المقالة القبيحة . ألا ترى أن الحجّاج بن يوسف في عتوّه لم يتعرّض لابن نمير في تشبّهه بزينب أخته مخافة أن يكون ذلك سبباً للخوض في ذكرها . فيزيد زائدٌ ، ويكثر مكثّرٌ . وكذلك معاوية بن

أبي سفيان لم يعترض لعبد الرّحمن بن حسان بن ثابت وكأن يتشبّب بابنته ، حتّى قال :

ثمّ حاضرتها إلى القبّة الخضراء . . . تمشي في مرمرٍ مسنون

دعوة الشاعر

قال أبو الحسن المدايني[1] : قال بعض العلماء :

كان لنا صديق من أهل البصرة ، وكان ظريفا أديبا ، فوعدنا أن يدعونا الى منزله ، فكان يمرّ بنا ، فكلما رأيناه قلنا :

﴿متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ .

فيسكت ، الى أن اجتمع ما يريده ، فمرّ بنا ، فأعدنا عليه القول فقال :

﴿انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون﴾ .

قيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أتقول الشعر مع النّسك والفضل والفقه؟ فقال : «لا بد للمصدور من أن ينفث» .

قال عمر بن الخطاب رحمه الله : خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، يستميل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم

جواب بالشعر

دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن الرجل؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

أذا غَضبتْ عليكَ بنو تميم ... حسبتَ الناسَ كلّهم غِضابا

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذيَن يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى ... وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال : فمن أيها أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

ثيابُ بني عوف طهارى نقيةُ ... وأوجههُم عند الشاهدِ غُرّانُ

قال : فمن أيهم أنت؟ قاً : من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وأبيك ما ظلمت قريع ... بأن يبنوا المكارم حيث شاؤوا

قال : فمن أيهم أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم همُ الأنــفُ والأذنــابُ غيرهــمُ ومــن يســوّي بأنـفِ الناقةِ الذنبا

قال : اجلس لا جلست والله لقد خفت أن تفخر علي .

تأبط شراً

قال عمرو بن أبي عمرو الشيباني : نزلت على حي من فهم إخوة بني عدوان من قيس فسألتهم عن خبر تأبط شراً فقال لي بعضهم : وما سؤالك عنه ، أتريد أن تكون لصاً؟ قلت : لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين ، فأتحدث بها ، فقالوا : نحدثك بخبره : إن تأبط شراً[١] كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين وكان إذا جاع لم تقم له قائمة فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله .

وإنما سمي تأبط شرا لأنه فيما حكي لنا لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال له رحى بطان في بلاد هذيل فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه فقالوا له لقد تأبطت شرا فقال في ذلك :

(ألا مَــنْ مُبلــغٌ فتيــــانَ فَهــم بمــا لاقيــتُ عند رَحَــى بطانِ)

(وأنّــي قــد لقيــتُ الغــولَ تهوي بسَهْب كــالصحيفة صحصحانِ)

(فقلــت لهــا كــلانا نِضْــو أَيْــن أخــو سفــر فخلّــي لي مكاني)

(فشــدَّت شــدَّةً نحــوي فأَهْــوَى لهــا كفّــي بمصقــول يَمانــــي)

(فأَضربهــا بــلا دَهَــش فَخَــرّت صريعــاً لليديــــن ولِلجـــرانِ)

(فقالــت عُــد فقلــت لهَــا رُوَيداً مكانَــك إننــي ثَبْــتُ الجنـانِ)

(فلــم أنفــكَّ مُتّكِئــاً عليهــا لأنظــر مُصبحــاً مــاذا أتانــي)

(إذا عينــان فــي رأسٍ قبيــح كــرأس الهِــرِّ مَشْقــوق اللِّسانِ)

(وساقــا مُخــدجٍ وشــواةُ كَلْــب وثــوب مــن عَبــاءٍ أو شِنــانِ)

(١) تأبط شراً واسمه ثابت بن جابر الفهمي ، أحد شعراء الجاهلية الصعاليك وعدائيهم من أهل تهامة ، وكانت معظم إغاراته على بني صاهلة من قبيلة هذيل وبني نفاثة من قبيلة كنانة .

علي بن الجهم والمتوكل

قدم علي بن الجهم[١] وكان بدوياً جافياً على المتوكل العباسي ، فأنشده قصيدة ، منها :

أنـــت كالكلـــب فـــي حفاظك للود وكالتيـــس فـــي قِـــراع الخطـوب
أنـــت كالدلـــــــو ، لا عدمنـــــاك دلـــواً من كبار الدلا كثير الذنـوب

فعرف المتوكل حسن مقصده وخشونة لفظه ، وأنه ما رأى سوى ما شبهه به ، لعدم المخالطة وملازمة البادية ، فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة ، فيها بستان حسن ، يتخلله نسيم لطيف يغذّي الأرواح ، والجسر قريب منه ، وأمر بالغذاء اللطيف أن يتعاهد به ، فكان - أي ابن الجهم - يرى حركة الناس ولطافة الحضر ، فأقام ستة أشهر على ذلك ، والأدباء يتعاهدون مجالسته ومحاضرته ، ثم استدعاه الخليفة بعد مدة لينشده ، فحضر وأنشد :

عيون المـها بـــين الرصافـــة والجســـر جلبن الهـوى من حـيث أدري ولا أدري

فقال المتوكل : لقد خشيت عليه أن يذوب رقة ولطافة

الشعر الماجن والشيخ

كان بكار المرواني يقطن في مدينة أشبونة إحدى مدن الأندلس وذكر صاحب السقط : إنه ذهب إليه ونقر بابه فنادى : من هذا؟ فقلت : رجل ممن يتوسل لرؤيتك بقرابة ، فقال : لا قرابة إلا بالتقى ، فإن كنت من أهله فادخل ، وإلا فتنحَّ عني ، فقلت : أرجو في الاجتماع بك والاقتباس منك أن أكون من أهل التقى ، فقال : ادخل ، فدخلت عليه فإذا به في مُصلاة وسبحة أمامه ، وهو يعد حبوبها ويسبح فيها ، فقال لي : ارفق علي حتى أتم وظيفي من هذا التسبيح ، وأقضي حقك ،

---

(١) هو علي بن الجهم بن بدر بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرار بن بكعب بن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وكنيته أبو الحسن وأصله من خراسان ، المولود في ١٨٨ للهجرة في بغداد ، سليلاً لأسرة عربية متحدرة من قريش أكسبته فصاحة لسان وأحاطت موهبته الشعرية بالرازنة والقوة ، وحمتها من تأثير مدينة بغداد التي كانت تعج بالوافدين من أعاجم البلاد المحيطة بها .

فقعدت إلى أن فرغ ، فلما قضى شغله عطف علي وقال : ما القرابة التي بيني وبينك؟ فانتسبت له ، فعرف أبي وترحم عليه ، وقال لي : لقد كان نعم الرجل ، وكان لديه أدب ومعرفة ، فهل لديك أنت مما كان لديه شيء؟ فقلت له : إنه كان يأخذني بالقراءة وتعلم الأدب ، وقد تعلقت من ذلك بما أتميز به . فقال لي : هل تنظم شيئاً؟ قلت : نعم ، وقد ألجأني الدهر إلى أن أرتزق به . فقال : يا ولدي إنه بئس ما يُرتزق به ، ونعم ما يتحلى به إذا كان على غير هذا الوجه ، وقد قال رسول الله ﷺ : (إن من الشعر لحكمة) ولكن تحل الميتة عند الضرورة ، فأنشدني أصلحك الله تعالى مما على دُكرك من شعرك ، قال : فطلبت بخاطري شيئا أقابله به مما يوافق حاله فما وقع لي إلا فيما لا يوافقه من مُجون .

قال : فرأيت الشيخ قد اختلط ، وجعل يجيء ويذهب ثم أفاق وقال : أعد بحق آبائك الكرام ، فأعدت فأعاد ما كان فيه وجعل يردده ، فقلت له : لو علمت أن هذا يحركك ما أنشدتك إياه ، فقال : وهل حرك مني إلا خيرا وعظة؟ يا بني إن هذه القلوب المخلاة لله كالورق التي جفت ، وهي مستعدة لهبوب الرياح ، فإن هبّ عليها أقل ريح لعب بها كيف شاء ، وصادف منها طوعه ، فأعجبني منزعه ، وتأنست به ، ولم أر عنده ما يعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجماع والانكماش ، بل ما زال يبسطني ويحدثني بأخبار فيها هزل ، ويذكر لي من تاريخ بني أمية وملوكها ما أرتاح له ، ولا أعلم أكثره ، فلما كثر تأنسي به أهويت إلى يده كي أقبلها ، فضمها بسرعة ، وقال : ما شأنك؟ فقلت : راغباً لك في أن تنشدني شيئاً من نظمك ، فقال : أما نظمي من زمان الصبا فكان له وقت ذهب ، ويجب للنظم أن يذهب معه ، وأما نظمي في هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله ، وهو يثقل عليك ، فقلت له : إن أنصف سيدي الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدني من نظم صباه ، ومن نظم شيخوخته ، فيأخذ كلانا بحظه ، فضحك وقال : ما أعصيك وأنت ضيف وقريب ولك حرمة أدب ووسيلة قصد .

قال : فوالله لقد أدركني فوق ما أدركه ، وغُلبَ على خاطري بما سمعت من هذه الأبيات ، وفعلت بي من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص إلا بعد حين ، فقال لي الشيخ : إن هذه يقظة يرجى معها خيرك ، والله مرشدك ومنقذك ، ثم قال لي : يا بني هذا ما نحن بسبيله الآن ، فاسمع فيما مضى والله ولي المغفرة ، وإنا لنرجو منه غفران الفعل .

قال : فسمعت ما يقصر عنه صدور الشعراء ، وشهدت له بالتقدم ، وقلت له : لم أر أحسن من نظمك في جد ولا هزل ، ثم قلت له : أأرويه عنك؟ فقال : نعم ، ما أرى به بأسا بعد اطلاع من يعلم السرائر ، على ما في الضمائر ، فما قدر له هذه الفكاهة في إغضاء من يغفر الكبائر ، ويغضي عن العظائم؟

قال : فقلت له : فإن أسبغت علي النعمة بزيادة شيء من هذا الفن فعلت ما تملك به قلبي آخر الدهر ، فقال : يا بني لا ملك قلبك غير حب الله تعالى ، ثم قال : ولا أجمع عليك رد قول ومنعا ، ثم قال : حسبك وإن كلفتني زيادة فالله حسبك ، فقلت له : قد وكلتني إلى كريم غفور رحيم ، فبالله إلا ما زدتني وأكببت لأقبل رجليه ، فضمهما .

وقال صاحب السقط : فملأ سمعي عجائب ، وبسط أذني ، وكتبت كل ما أنشدني ، ثم قلت له : لولا خوفي من التثقيل عليك لم أزل استدعي منك الإنشاد حتى لا تجد ما تنشد . فقال : إن عدت إن شاء الله تعالى إلى هنا تذكرت . وأنشدتك ، فما عندي مما أضيفك غير ما سمعت . وما تراه . ثم قام وجاء من بيت آخر في داره بصحفة فيها حساء من دقيق وكسور باردة ، فجعل يفت فيها . ثم أشار إليّ أن أشرب فشربت ثم شرب إلى أن أتينا على آخرها ثم قال لي : هذا غذاء عمك نهاره ، وإنه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتصالها . قال : فقلت له : يا عم ، ومن أين عيشك؟ فقال : يا بني عيشي بتلك الشبكة اصطاد بها في سواحل البحر ما أقتات به ، ولي زوجة وبنت يعود من غزلهما مع ذلك ما نجد فيه معونة ، وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير ، جعلنا الله تعالى ممن يلقاه على حالة يرضاها . وختم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة . قال فتركته وقمت في نيتي أن أعود إلى زيارته ، ونويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف التثقيل . فعدت إليه بعد ثلاثة أيام ، فنقرت الباب ، فكلمتني المرأة بلسان عليه أثر الحزن ، وقالت : إن الشيخ خرج إلى الغزو ، وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ، ناله الجنون ، فقلت له : ما شأنك؟ فقال : أريد أن أموت شهيداً في الغزو ، وهؤلاء جيران لي قد عزموا على الغزو ، وأنا إن شاء الله تعالى ماض معهم ، ثم احتال في سيف ورمح وتوجه معهم ، وقال : نفسي هي التي قتلتني بهواها ، أفلا أقتص منها فأقتلها؟ قال : فقلت لها : من خلف للنظر في شأنكم؟ فقالت : ليس ذلك لك ، فالذي خلفنا له لا نحتاج معه إلى غيره ، فأدركني من جوابها روعة ، وعلمت أنها مثله زهداً وصلاحاً ، فقلت : إني قريبه ، ويجب عليّ

أن أنظر في حالكم بعده ، فقالت : يا هذا إنك لست بذي محرم ، ولنا من العجائز من ينظر ومن يبيع غزلنا ويتفقد أحوالنا ، فجزاك الله تعالى عنا خيرا ، انصرف عنا مشكورا ، فقلت لها ، هذه دراهم خذوها تستعينوا بها ، فقالت : ما اعتدنا أن نأخذ شيئا من غير الله تعالى ، وما كان لنا أن نُخل بالعادة فانصرفت نادما على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ والتبرك بزيادة دعائه ، ثم عدت بعد ذلك لداره سائلا عنه ، فقالت لي المرأة : إنه قد قبله الله تعالى ، فعلمت أنه قد قُتل ، فقلت لها : أقُتل؟ فقرأت }وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ - {فانصرفت معتبراً من حاله ، رحمه الله تعالى ورضي الله عنه .

الحارث وكسرى

لما وفد الحارث على كسرى أذن له بالدخول عليه ، فلما وقف بين يديه منتصباً قال له من أنت؟ قال أنا الحارث بن كلدة الثقفي ، قال فما صناعتك؟ قال الطب ، قال أَعربيّ أنت؟ قال نعم من صميمها وبحبوحة دارها قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها ، وضعف عقولها ، وسوء أغذيتها؟ قال أيها الملك ، إذا كانت هذه صفتها ، كانت أحوج إلى من يصلح جهلها ، ويقيم عوجها ، ويسوس أبدانها ، ويعدل أمشاجها ، فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه ، ويمز موضع دائه ، ويحتزر عن الأدواء كلها بحسن سياسته لنفسه ، قال كسرى فكيف تعرف ما توره عليها؟ ولو عرفت الحلم لم تنسب إلى الجهل قال الطفل يناغي فيداوى ، والحية ترقى فتحاوى ، ثم قال أيها الملك ، العقل من قِسَم اللّه تعالى قسمَه بين عباده ، كقِسمة الرزق فيهم ، فكلٌ من قمسته أصاب ، وخص بها قوم وزاد ، فمنهم مثر ومعدم ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العليم ، فأعجب كسرى من كلامه ، ثم قال فما الذي تحمد من أخلاقها؟ ويعجبك من مذاهبها وسجاياها؟ قال الحارث أيها الملك ، لها أنفس سخية ، وقلوب جُرية ، ولغة فصيحة وألسن بليغة ، وأنساب صحيحة ، وأحساب شريفة ، يمرق من أفواههم الكلام مروق السهم من نبعة الرام ، أعذب من هواء الربيع ، وألين من سلسبيل المعين مطعمو الطعام في الجدب ، وضاربو الهام في الحرب ، لا يرام عزهم ، ولا يُضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل أكرمهم ، ولا يقرون بفضل للأنام ، إلا للملك الهمام الذي لا يقاس به أحد ، ولا يوازيه سوقة ولا ملك ، فاستوى كسرى جالساً ، وجرى ماء رياضة الحلم في وجهه ، لما سمع من

محكم كلامه ، وقال لجلسائه أني وجدته راجحاً ولقومه مادحاً ، وبفضيلتهم ناطقاً ، وبما يورده من لفظه صادقاً ، وكذا العاقل من أحكمته التجارب .

أبو جعفر المنصور يتعزى بقصيدة

لما مات جعفر ابن أبى جعفر المنصور ، مشى أبوه في جنازته ، من المدينة إلى مقابر قريش ، ومضى معه الناس أجمعون حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره ، واقبل على الربيع حاجبه . . . . فقال : «يا ربيع انظر من أهلي من ينشدني «أمن المنون وريبها تتوجع؟» حتى اتسلى بها عن مصيبتي .

قال الربيع : فخرجت الى بنى هاشم وهم اجمعهم حضور ، فسألتهم عنها ، فلم يكن فيهم احد يحفظها ، فرجعت اليه فأخبرته . . . . . فقال : «والله لمصيبتي في اهل بيتي اكبر ، افلا يكون فيهم احد يحفظ هذه الدرر ، ان والله لقلة رغبتهم فى الادب اعظم واشد عليّ من مصيبتي في ابنى!!!!

ثم قال : «انظر هل في القوّاد والعوّام من الجند من يعرفها؟؟ . . فإني احب ان اسمعها من انسان ينشدها . . . . قال الربيع : فخرجت الى الجيش واعترضت الناس اصيح فيهم ، فلم اجد احدا يحفظها الا شيخا كبيرا . . . فسألته : هل تحفظ شيئا من الشعر؟؟ فقال : «نعم . . . شعر ابى ذؤيب!» فقلت : اذن أنشدني . . . . فابتدأ ينشد القصيدة العينية التي يبغيها المنصور . . . . . فقلت له : انت بغيّتى!!! ثم اوصلته الى المنصور . . . . . فاستنشده اياها ، فانشد تلك الابيات حتى اتى الى آخرها . . . فأمر له بمائة درهم مكافأة وهو يجهش من البكاء!!!!

أمــن المنــون وريبــها تتوجــــع	والدهــر ليــس بمعتب من يجزع
قالت أميمــة ما لجسمــك شاحبــا	منــذ ابتذلــت ومثل مالك ينفع
فأجبتهــــا أن مالجسمــي أنــــه	أودى بنــي مــن البــلاد فودعوا
أودى بنــي وأعقبونـــي غصـــة	بعــد الرقــاد وعبــرة لاتقلـــع
سبقــوا هــوي وأعنقـــوا لهواهـم	فتخرمــوا ولكــل جنــب مصرع
فغبــرت بعدهــم بعيــش ناصــب	وإخــال أنــي لاحــق مستتبــع
ولقــد حرصــت بأن أدافــع عنهـم	فــإذا المنيــة أقبلــت لاتدفـــع
وإذا المنيـــة أنشبـــت ظفارهـــا	ألفيــت كــل تميمـــة لاتنفـــع
فالعـــين بعدهـــم كـــأن حداقهـــا	سملــت يشــوك فهى عور تدمع

حـــتى كأنـــي للحـــوادث مـــروة	بصفـــا المشـــرف كل يوم تقـــرع
لابـــد مـــن تلـــف مقيـــم فانتظـــر	أبـــأرض قومك أم بأخرى المصرع
ولقـــــد أرى أن البكـــاء سفاهـــــة	وليوسف يولـــع بالبكا من يفجـــع
وليأتـــــين علـــــيك يــــوم مــــرة	يبكـــى عليـــك مقنعا لاتسمـــع
وتجلـــــدي للشامتـــــين أريهـــــم	أني بريـــب الدهـــر لاأتضعضـــع
والنفـــس راغبـــــة إذا رغبتهـــــا	فـــإذا تـــرد إلـــى قليـــل تقنـــع
كم من جميع الشمل ملتئمي الهـوى	باتـــوا بعيـــش ناعم فتصدعـــوا
فلئـــن بهـــم فجـــع الزمان وريبـــه	إنـــي بأهـــل مودتـــي لمفجـــع
والدهـــر لايبقـــى علـــى حدثانـــه	فـــي رأس شاهقـــة أعـــز ممنـــع

إياك أعني واسمعي يا جارة

خرج «سهل بن مالك الفزاري» يريد «النعمان» ، فمرَّ ببعض أحياء طيء ، فسأل عن سيد الحيّ ، فقيل له : حارثه ، فأمَّ رحلهُ فلم يصبه شاهداً ، فقالت له أحد النساء : أنزل في الرَّحب والسعة ، فنزل فأكرمته ولاطفته ، ثم خرجت من خبائها ، فرأى أجمل أهل دهرها وأكملهم ، وكانت عقيلة قومها وسيّدة نسائها ، فوقع في نفسه منها شيء ، فجعل لا يدري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك . فجلس بفناء الخباء يوماً وهي تسمع كلامه ، فجعل ينشد ويقول :

يا أخـــتَ خيـــر الـــبدو والحَضـــاره	كيـــــف تَريـــن فـــي فتى فـزارة
أصبـــح يَهـــوى حُـــرَّةً معطـــــارهْ	إيـــاك أعنـــي واسمعـــي يا جَارة

(وكان أول من قال «إياكَ أَعني واسمعي يا جَارة» ثم صارت مثلا) .

فلما سمعت قوله ، عرفت أنه إياها يعني ، فقالت : ماذا بقول ذي عقل أريب ، ولا رأي مُصيب ، ولا أنف نجيب ، فأقم ما أقمت مكرماً ، ثمّ ارتحل متى شئت مُسلَّماً .

فاستحى الفتى وقال : ما أردت مُنكراً ، واسوأتاه .

فقالت : صدقت .

فكأنها استحيت من تسرعها إلى تهمته .

فارتحل ، فأتى النعمان فحيّاه ، وأكرمه . فلما رجع نزل على أخيها . فبينما هو مقيمٌ عندهم تطلعت إليه نفسها ، وكان جميلاً ، فأرسلت إليه : أن اخطبني إن كان

لك إليَّ حاجة يوماً من الدهر ، فإني سريعةٌ إلى ما تريد .
فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه .

أضغاث أحلام

قال كتب أبو صاعد الشاعر إلى الغنويِّ رقعة فيها :

رأيْتُ في النوم أني مالكٌ فرساً ولي نصيفٌ وفي كفي دنانير
فقال قومٌ لهم علمٌ ومعرفةٌ رأيْتَ خيراً وللأحلام تفسير
أُقْصُصْ منامَك في دار الأمير تجدْ تحقيقَ ذاكَ وللفالِ التباشَير

فلما قرأها كتب في ظهرها : أضغاثُ أحلامٍ
وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين

أَيُباعُ الرُّطَبُ ، بالخُطَب؟

أخذتُ أُسْهبُ في مدح الأدب ، وأفضِّل رَبَّه على ذي النَّشَب ، وأبو زيد ينظر إليّ نَظَرَ المُسْتَجهِل ، ويغْضي عني إغضاء المتمهِّل فلمّا أفرطتُ في العصبية ، للعُصْبة الأدبية ، قال لي : فأما الفقير فخير له من الأدب القرص والكامخ ثم قال : سيتضح لك صدق لهجتي ، واستنارة حُجّتي . . ودخلنا قرية للارتياد ، وكلانا مُنْفضٌ من الزاد . فلَقينا غلامٌ حيّاه أبو زيد تحيّة المُسْلم ، وسأله وَقْفَةَ المُفْهِم . فقال : وعَمَّ تسأل وفّقك الله؟ قال أبو زيد : أيُباعُ ها هُنا الرُّطَب ، بالخُطَب؟ قال الغلام : لا والله! قال : ولا البلح ، بالمُلَح؟ قال : كلا والله! قال : ولا الثَمَر ، بالسَّمَر؟ قال : هيهاتَ والله! قال : ولا العصائد ، بالقصائد؟ قال : اسكت عافاك الله . قال : ولا الثرائد ، بالفرائد؟ قال : أين يُذْهَبُ بك ، أرشدك الله؟ قال : ولا الدقيق ، بالمعنى الدقيق؟ قال : عَدِّ عن هذا أصلحك الله! أمّا بهذا المكان فلا يُشترى الشِّعر بشعيرة ، ولا النثر بنثارة ، ولا القصص بقُصاصة . ولا الرسالة بغسالة ولا حِكم لقمان بلُقْمة ، ولا أخبار الملاحم بلحمة . وأما جيلُ هذا الزمان فما منهم من يميح ، إذا صيغ له المديح ، ولا من يُجيز ، إذا أُنشدَ له الأراجيز ، ولا مَنْ يُغيث ، إذا أطربه الحديث . وعندهم أن مَثلَ الأديب ، كالرَّبْع الجَديب إنْ لم تُجد الرَّبْعَ ديمةٌ ، لم تكن له قيمة . فقال أبو زيد : أعلمتَ الآن أن الأدب قد بار ، وولَّت أنصارُه الأدبار؟ وأن الأسجاع ، لا تُشْبع مَنْ جاع؟

أثر الصناعة

قال الحسن بن علي بن مقلة : كان أبو علي ابن مقلة يوماً يأكل ، فلمّا رفعت المائدة ، وغسل يده ، رأى على ثوبه نقطةً صفراء من الحلواء التي كان يأكلها ، ففتح الدواة ، واستمد منها ، ونقطها على الصفرة حتى لم يبق لها أثرٌ ، وقال : ذلك عيبٌ ، وهذا أثر صناعة ؛ ثم أنشد :

(إنّما الزّعفران عطر العذارى ومداد الدّوي عطر الرجال)

أدب العيادة[1]

قال السري : اعتللت بطرطوس علة الذرب ، فدخل عليّ هؤلاء القرّاء يعودوني ، فجلسوا ، فأطالوا ، فآذاني جلوسهم ، ثمّ قالوا : إن رأيت أن تدعو الله؟ فمددت يدي ، فقلت : الّلهمّ علّمنا أدب العيادة .

بين شاعرين

قال شاعرٌ لشاعر : أنا أقول البيت وأخاه ، وأنت تقوله وابن عمّه .

صداقة الأدباء

قال بعض الأدباء لصديق له : أنت والله بستان الدنيا
فقال له الآخر : أنت النّهرُ الذي يشرب منه ذلك البستان .

أشد من الضرائر

قال الزبير بن بكار : قالت بنت أختي لأهلي : خالي خير رجل لأهله ، لا يتخّذ ضرّةً ، ولا يشتهي جاريةً ؛ قالت : تقول المرأة : والله لهذه الكتب أشدّ عليّ من ثلاث ضرائر .

وقال أبو القاسم عبيد الله بن عمر البقال : تزوّج شيخنا أبو عبد الله ابن المحرّم ، وقال لي : لّما حملت إليّ المرأة جلست في بعض الأيّام أكتب شيئاً على العادة ، والمحبرة بين يديّ ، فجاءت أمّها ، فأخذت المحبرة ، فضربت بها الأرض ، فكسرتها ، فقلت لها في ذلك ، فقالت : هذه شرّ على ابنتي من ثلاث مئة ضرّة .

(١) زيارة المريض .

طرائف شعرية

ابن البقلاوي

قال مصعب الزّبيري : أتي العريان بسكران ، فقال له : من أنت؟ فقال :

(أنا ابـــن الـــذي لا ينزل الدّهر قدره   وإن نزلـــت يومـــاً فســـوف تعود)

(ترى النّاس أفواجاً إلى ضـــوء نـــاره   فمنهـــم قيـــامٌ حولهـــا وقعـــود)

فخلاّه ، فإذا به ابن بقلاّويّ .

في رثاء الحذاء

قال محمد بن سكرة : دخلت حماماً ، وخرجت وقد سرق مداسي ، فعدت إلى داري حافياً ، وأنا أقول :

إليـــــك أذم حمّـــام ابـــن موســـى   وإن فـــاق المنـــى طيبـــاً وحـــرّا

تكاثـــرت اللّصـــوص عليـــه حتـــى   ليحفـــى مـــن يطيـــف به ويعرى

ولم أفقـــد بـــــه ثوبـــــاً ولكـــــن   دخلـــت محمـــداً وخرجت بشراً

يوم السبت

قال الشاعر الأندلسي المُجيد ، أبو الحسن علي بن عطية الزّقاق

مفضلا يوم السبت ، عطلة اليهود ، على بقية أيام الأسبوع :

وحبّـــبَ يـــومَ الســـبت عنـــدي أنه   ينادمنـــي فيـــه الـــذي أنا أحببتُ

ومن أعجـــب الأشيـــاء أنـــي مسلم   حنيـــف ولكن خير أيامي السبتُ

ويقول بعد أن يفدي حبيبة له نحيفة الخصر بأبيه وغير أبيه :

بأبـــي وغيـــر أبـــي أغـــنّ مهفهـفٌ   مهضـــومُ ما خلف الوشاح خميصُهُ

لبـــسَ الفـــؤادَ ومزقتـــــه جفونـــهُ   فأتـــى كيوســـفَ حين قدّ قميصُهُ

غزل جميل

قال أبو الحسن السّلاميّ الشاعر : مدح الخالديان سيف الدّولة ابن حمدان بقصيدةٍ أوّلها :

(تصـــدّ ودارهـــا صـــــدد   وتوعـــــده ولا تعـــــد)

(وقـــد قتلتـــــه ظالمـــةً فـــلا عقـــــلٌ ولا قـــود)

وقال فيها في مدحه :

(فوجـــــهُ كلّـــهُ قمـــــرٌ وسائـــر جسمـــه أســد)

فأعجب بها سيف الدّولة واستحسن هذا البيت ، وجعل يردّده ؛ فدخل عيه الشّيظميُّ الشاعر ، فقال له : اسمع هذا البيت ؛ وأنشده ؛ فقال الشيظميُّ : احمد ربّك فقد جعلك من عجائب البحر .

مدح يسير

مدح رجلٌ رجلاً اسمه يسيرٌ ، فقال :

(ومدح يسير في البلاد يسيرُ . . .)

فقيل له : إنَّه لا يعطيك شيئاً ، فقال : إذا لم يعطني قلت بيدي هكذا ؛ وضمّ أصابعه ؛ يعني : إنّه قليلٌ .

بيت شعر للرشيد

وقال هارون الرشيد للمُفَضّل الضَّبِّي [1] :

أنشدنا بيتاً أوله أعرابي في شَملته ، هَبَّ من نَومته ،

وآخره مَدنيّ رقيق ، غُذِّي بماء العَقيق .

قال المُفضل : هَوَّلتَ عليَّ يا أمير المؤمنين ،

فليت شعري ، بأيّ مَهر تُفتضّ عَروس هذا الخدْر؟

قال هارون : هو بيتُ جَميل حيث يقول :

ألا أيهــا النّـــوام ويحكُـــم هُبُّـــوا أُسائلكـــم هـل يَقتل الرجلَ الحبُّ

فقال له المفضل : فأخبرني يا أمير المؤمنين

عن بيت أوله أكثمُ بن صَيفيّ في إصابة الرأي ،

وآخره بُقراط الطبيب في معرفته بالداء والدواء؟

قال له هارون : ما هو؟

(١) المُفَضَّل أو المُفَضَّل الضَّبِيّ هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم ، بن الرمال . بن أبي سَلْمى بن ربيعة بن زبان بن عامر من بني ثعلبة بن السيد بن ضبة ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وأبو العباس وكان ثقة من أكابر الكوفيين . ، ويلقب بالكوفي .

قال : هو بيتُ الحسن بن هانئ حيث يقول :

دع عنـــكَ لَومـــي فـــإنّ اللومَ إغـراء   وداونـــي بالّتـــي كانت هي الدواء

قال : صدقت .

في الحبس

وقال أعرابيّ وهو محبوس :

أقيــداً وسجنـــاً واغترَابـــاً وفُرقــــةً   وذكـــرى حبيـــب إنَّ ذا لعظيـــمُ

وإنَّ امـــرَأً دَامَــت مواثِيـــقُ عهـــدِهِ   علـــى كـــلِّ مـــا لاقيتُـــهُ لكَـرِيمُ

الحرب والحب

قول كثير :

أقـــولُ لهـــا يا عـــزُّ كـــلُّ مصيبـــةٍ   إذا وُطِّنَـــتْ يوماً لها النفسُ ذلَّـــتِ

وكان عبد الملك بن مروان يقول :

لو كان قال هذا البيت في صفة الحرب لكان أشعر الناس .

في هجاء مساور

دخل أعرابي على المساور بن هند وهو على الريّ ، فلم يعطه شيئا ؛ فخرج وهو يقول :

أتيـــت المســـــاور فـــي حاجـــــة   فمـــا زال يسعـــل حتـــى ضرط

وحـــــــكّ قفـــــــاه بكرسوعـــه   ومسّــــح عثنونـــه وامتخـــــط

فأمسكـــت عـــن حاجتـــي خيفـــة   لأخـــــرى تقطّـــع شرج السّفـــط

فأقســـم لـــو عـــدت في حاجتـــــي   للطّـــخ بالسلـــح وجـــه النّمـــط

وقـــال غلطـــنا حســـاب الخـــــراج   فقلـــت مـــن الضّـــرط جاء الغلط

وكان كلما ركب صاح الصبيان : من الضرط جاء الغلط . حتى هرب من غير عزل إلى بلاد أصبهان .

قال أحد الشعراء يصف داره واسمه الجزار

ودار خـــراب بهـا قد نزلت   ولكـــن نزلـت الى السابعة

فــلا فــرق مابين ان اكون   بهــا او اكــون في القارعة
تساورهــا هفــوات النسيم   فتصغــي بــلا اذن سامعه
واخشى بها ان اقيم الصلاة   فتسجــد حيطانها الراكعة
اذا مــا قــرأت اذا زلزلـت   خشيــت ان تقــرأ الواقعة

حذاء توفيق

أهدى أحد الشعراء إلى صديق له اسمه (توفيق) حذاء وكتب معه هذين البيتين :

لقــد أهــديت توفــيــقــاً
حــذاء   فقــال القائلــون وماعليـه
أما قال الفتى العربي يومــا   شبيه الشيء منجذب إليــه

فرد عليه (توفيق) قائلا :

لــو كأن تهدى إلى الإنسان قيمتــه   كأنت هديتك الدنيا وما فيهــــا
لكنْ تقبلت هــذا النعــل معتقــداً   أن الهدايــا على مقدار مهديهــا

من الأشعار التي قيلت في ذم بخلاء الصائمين قول الشاعر :

أتيت عــمــرًا ســحــرًا فــقــال أنــي صــائم
فــقلت أني قــاعــد فــقــال أنــــي قــائم
فــقلت آتيك غــدًا فــقــال صــومي دائم

هدية في رمضان

أهدى أحد الأدباء في شهر رمضان صديقاً له نوعاً من الحلوى قد فسد مذاقها لقدمها ، وبعث معها بطاقة كتب فيها : أني اخترت لهذه الحلوى السكر المدائني والزعفران الأصفهاني ، فأجابه صديقه بعد أن ذاق طعمها : والله مأظن حلواك هذه صنعت إلا قبل أن تفتح المدائن وتبنى أصفهان

هجاء طريف

قال أحد الشعراء يهجو جاره :

لو كنت ريحا كانت الدبورا
أو كنت غيما لم تكن مطيرا
أو كنت ماء لم تكن نميرا
أو كنت بردا كنت زمهريرا
أو كنت مخا كنت مخاريرا

وقال آخر

لو كنت ماء لم تكن بعذب
أو كنت سيفا لم تكن بعضب
أو كنت لحما كنت لحم كلب

في رجل قصير

أبو حاتم عن أبي زيد ، قال : أنشدنا أعرابي في رجل قصير :

كاد خليلي من تقارب شخصه   يعضّ القراد استه وهو قائم

في امرأة قبيحة

وذكر أعرابي امرأة قبيحة ، فقال : «ترخي ذيلها على عرقوبي نعامة ، وتسدل خمارها على وجه كالجعالة» .

وقال سعيد بن سلم الباهلي : مدحني أعرابيّ ، فاستبطأ الثواب فقال :

لكلّ أخي مدح ثواب يعدّه   وليس لمدح الباهليّ ثواب
مدحت سعيدا والمديح مهزّة   فكان كصفوان ، عليه تراب

سمّاها ليلى

قال الزّبير بن بكار : خرج أبو السّائب المخزومي وعبد الله بن جندب إلى موضع يتنزّهان فيه ، فلقيا ابن المولى الشّاعر ، فصلح به ابن جندب . فقال : ما شأنك؟ً وأنشد :

وأبكي فلا ليلى بكت من صبابة   لما بي ولا ليلى لذي الودّ تبذل
واخضع للعتبى إذا كنت مذنباً   وإنّي إذ نبت كنت الذي أتنصّل

وقد زعمت أنّي سلوت وأنني ثباتي عن إتيانها متعلّل

قال ابن جندب : من ليلى هذه؟ امرأته طالقٌ إن لم أفدها . قال : هي والله يا أخي فرسي سمّيتها ليلى .

هدية عاشق

كان بأصبهان رجل حسن النعمة واسع النفس كامل المروءة يقال له سماك بن النعمان ، وكان يهوى مغنية من أهل أصبهان لها قدر ومعنى تعرف بأم عمرو . فلإفراط حبه إياها وصبابته بها وهبها عدةً من ضياعه ، وكتب عليه بذلك كتباً ، وحمل الكتب إليها على بغل ، فشاع الخبر بذلك ، وتحث الناس به واستعظموه ؛ وكان بأصبهان رجل متخلف بين الركاكة يهوى مغنية أخرى فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله أن سماكاً أهدى إلى أم عمرو جلوداً بيضاً لا كتابة فيها ، وأن هذا من الهدايا التي تستحسن ويجل موقعها عند من تهدى إليه ، فابتاع جلوداً كثيرة ، وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية سماك ، وأنفذها إلى التي يحب ، فلما وصلت الجلود إليها ووقفت على الخبر فيها تغيظت عليه ، وكتبت إليه رقعة تشتمه وتحلف أنها لا تكلمه أبداً ، وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتاً في هذا المعنى لتودعها الرقعة ، ففعل ، وكانت الأبيات :

لا عاد طوعك من عصاكا وحرمت من وصل مناكا

فلقد فضحت العاشقين بقبح ما فعلت يداكا

أرأيت من يهدي الجلود إلى عشيقته سواكا

وأظن أنك رمت أن تحكي بفعلك ذا سماكا

ذاك الذي أهدي الضياع لأم عمرو والصكاكا

فبعثت منتنةً كأنك قد مسحت بهن فاكا

من لي بقربك يا رقيع ولست أهوى أن أراكا

لكن لعلي أن أقطع ما بعثت على قفاكا

مهر الشاعر وحمار الغلام

اللبادي الشاعر خرج من بعض مدن تحويل أذربيجان يريد أخرى ، وتحته مهر له رائع ، وكانت السنة مجدبة ، فضمه الطريق وغلاماً حدثاً على حمار له ، قال :

فحادثته فرأيته أديباً راوية للشعر ، خفيف الروح حاضر الجواب جيد الحجة ، فسرنا بقية يومنا ، فأمسيا إلى خان على ظهر الطريق فطلبت من صاحبه شيئاً نأكله ، فامتنع أن يكون عنده شيء ، فرفقت به إلى أن جاءني برغيفين ، فأخذت واحداً ودفعت إلى ذلك الغلام الآخر ، وكان غمي على المهر أن يبيت بغير علف أعظم من غمي على نفسي ، فسألت صاحب الخان عن الشعير فقال : ما أقدر منه على حبة واحدة ، فقلت : فاطلب لي ، وجعلت له جعيلة على ذلك ، فمضى وجاءني بعد وقت طويل وقال : قد وجدت مكوكين عند رجل حلف بالطلاق أنه لا ينقصهما عن مائة درهم ، فقلت : ما بعد يمين الطلاق كلام ، فدفعت إليه خمسين درهم ، فجاءني بمكوك ، فعلقته على دابتي وجلست أحادث الفتى ، وحماره واقف بغير علف ، فأطرق ملياً ثم قال : تسمع ، أيدك الله ، أبياتاً حضرت الساعة؟ فقلت : هاتها ، فأنشد :

يا سيد شعري نفاية شعرك فلذاك نظمي ما يقوم بنثرك
وقد انبسطت إليك في إنشاد ما هو في الحقيقة قطرة من بحرك
آنستني وسررتني وبررتني وجعلت أمري من مقدم أمرك
وأريد أذكر حاجة إن تقضها أك عبد مدحك ما حييت وشكرك
أنا في ضيافتك العيشة ها هنا فاجعل حماري في ضيافة مهرك

فضحكت واعتذرت إليه من إغفالي أمر حماره ، وابتعت المكوك الآخر بخمسين درهماً ، ودفعته إليه .

أحمق بلحية طويلة

قال البهاء زهير[1] واصفا لحية طويلة لأحمق :

وأحمق ذي لحية كبيرة منتشرة
طلبت فيها وجهه بشدة فلم أره
معرفة لكنه أصبح فيها نكرة
ثور غدا اعجوبة بلحية مدورة

---

(١) البهاء زهير شاعر من العصر الأيوبي . ولد في تهامة قرب مكة سنة ٥٨١ هـ ، نزحت أسرته وهو صغير إلى مصر بمدينة قوص مجتمع بعض الأمراء والعلماء والفقهاء وتلقى تعليمه فيها وتنقل بين القاهرة وغيرها في مصر .

لو كـــان ذاك الثـــور عـــجـــلا عـــبـــدته الســـحـــرة
تبـــا لهـــا من لحـــيـــة كـــبـــيـــرة مـــحـــتـــقـــرة
عظيـــمـــة لكنهـــا ليـــست تســـاوي بعـــرة
كم قـــرية للنحل في حـــافـــتـــهـــا ومـــقـــبـــرة
يقـــسم عـــشـــر عـــشـــرها يكفي رجـــالا عـــشـــرة
يحـــســـدها الخنزير إذ يبـــصـــرها منتـــشـــرة
ويشـــتـــهي لو أنه يملك منـــهـــا شـــعـــره
قـــد نبـــتت في وجـــهـــه فـــوق عظام نخـــره
باردة ثـقـــيـــلـة مظـلـمـــة منـكـدره
كـــأنهـــا ســـحـــابة فـــوق البـــلاد ممطره
قـــد تركت صـــاحـــبـــهـــا منهـــا بحـــال منكره
اذا خطت أقـــدامـــه كـــأنت بهـــا مـــبـــعـــثـــره
وأن مـــشى رأيت فـــوق الارض منهـــا غـــبـــره

الشاعر الأحمق

دخل أحد الشعراء المغفلين مسجد الكوفة في يوم الجمعة وقد أنتشر خبر موت الخليفة المهدي العباسي . وكأن الناس ينتظرون قراءة بيان الوفاة عليهم .

فقام الأحمق رافعا صوته : مات الخليفة أيها الثقلان !!

فقالوا هذا أشعر الناس ، فأنه نعى الخليفة إلى الأنس والجن في نصف بيت !!

ومد القوم أبصارهم وأسماعهم اليه !! فأكمل يقول : فكأنني أفطرت في رمضان فضحك الناس . واشتهر هذا الشاعر بالأحمق .

حسان بن ثابت

وقد قالوا : إنَّ لحسَّان بن ثابت أفخرَ بيت قالته العرب ، وأحكمَ بيت قالته العرب .

فأما أفخر بيت قالته العرب ، فقوله :

وبيـــوم بَدْرٍ إذ يرد وجوهَهم جِبريـــل تحت لِوائنا ومحمدُ

وأما أحكم بيت قالتهً العرب ، فقوله :

وإنَ امرأً أَمسى وأصبح سالماً　　من النَّاس إلا ما جَنى لسعيدُ

أبرد بيت شعر

قال أبو محمد المطراني :
وشتاءٍ يخنق الكلب فلا يعلو هريره
كلما رامٍ هريراً زم فاه زمهريره
هو من قول الراعي :
لا ينبـــح الكلب فيها غـــير واحـــدةٍ　　حتـــى يلـف على خرطومه الذنبا
قال الرشيد : ما أبلغ بيت في شدة البردٍ؟
فأنشد هذا البيت بعضهم ،
فقال : أبلغ منه :
وليلـــةٍ قر يصطلـــي القـــوس ربها　　وأسهمـــه اللاتـــي بهـــا يتنبـــل
فقال : حسًبك ما بعد هذا شيء .

العادة تكسب الاحتمال

وقيل لأعرابي : أما تجد البرد؟
فقال : لا لأن العري اتصل على بدني فاعتاده كاعتياد وجوهكم .
وقيل لآخر : ما أصبرك على البرد !
قال : كيف لا يصبر عليه من طعامه الريح
وسراجه الشمس وسقفه السماء؟

شاعر ولسانه

عن عيسى ابن عمر قال : كان نابغة بني شيبان ينشد الشعر فيكثر ، حتى إذا فرغ قبض على لسانه فقال : لأسلطن عليك ما يسوؤك : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

شاعر يفشل في إقناع امرأة بالزواج منه!

ومن طرائف الشعراء أيضاً ، يُحكى أن شاعرا أقدم على طلب يد امرأة يحبها ولم

يعرف ما يخبئ له القدر منها . ذلك أنها كانت من أجمل نساء المنطقة ، فرفضت طلبه فألح عليها أن يعرف السبب . فردت عليه ببيت من الشعر قائلة :

يا خليلــى وأنــت خــير خليــل أرأيــت راهــبا بــــلا دليــل

أنت ليل وكـل حسنــاء شمــس واجتماعــي بــك مـن المستحيل

فعاد خائبا فرآه صديقه الشاعر فعلم منه مصيبته وهون عليه ببيت من الشعر قائلا له :

هــي الشمــس مسكنها في السماء فعــز الفــؤاد عــزاءا جميــلا

فلن تستطيع إليها الصعود ولــن تستطيــع إليــك النــزولا

الشاعر سليمان الطويل يتهرب من «دائنه»!

حاول الشاعر سليمان الطويل التهرب من دائنة المسمى شبيب بالالتجاء للمسجد وماترك فرض ولا نافلة إلا صلاها ليطيل في ذلك أملا في ذهاب شبيب عنه ولكن دون جدوى . . وحين أتم صلاته قال :

صليــت بالجــامع وسبحت تسعين مع كثــرهن واتبعتهــن بتهليلــه

وقــريت عــمّ والمــدثر وياســين ادخــل على الله مايخيب دخيلـه

وقريــت وِردي عن جميع الشياطـين وشبيــب ماســوى به الورد حيله

الحسن الرصافي يشكو حاله مع زوجته !

ومن طرائف الشعراء ما قاله الحسن بن زياد الرصافي يشكو حاله مع زوجته :

شكوت فقالــت : كــل هذا تبرمــا بحبــي أراح اللــه قلبك من حبي

فلمــا كتمــت الحب قالت لشد مـا صبرت وما هذا بفعل شجي القلــب

وأدنو فتعصينــي فأبعــد طالــبا رضاها فتعتد التباعد مــن ذنبــي

وشكــواي تؤذيهــا وصبـري يسوؤها وتغضب من بعدي وتنفر من قربي

فراسة

كـان لأحد الشعراء عدوٌ : فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدُوه ، فعلم الشاعر أن عدُوه قاتله لا محالة .

فقال له : يا هذا أنا أعلم أن المنيّة قد حضرت ، ولكن سألتك الله إذا أنت

قتلتني أن تمضي إلى داري ، وقِفْ بالباب وقل : ألا أيها البنتان إن أباكما
فقال سمعاً وطاعة ، ثم قتله ، فلما فرغ من قتله أتى إلى داره ، فوقف بالباب .
وقال : ألا أيها البنتان إن أباكما
وكان للشاعر ابنتان ، فلما سمعتا قول الرجل ألا أيها البنتان إن أباكما ، أجابتاه بفم واحد : قتيلُ خُذا بالثأر ممن أتاكما
ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه إلى الحاكم فاستقرره فأقرّ بقتله فقتله قصاصًا .

أقوال بليغة

قال : قيل لإبراهيم المحلِّميّ : أيُّ رجل أنت لولا حدّةٌ فيك؟
قال : أستغفر اللَّه مِمَّا أملك ، وأستصلِحُه ما لا أملك

وقال أبو عمرو المدينيّ : لو كانت البلايا بالحِصَص ،
ما نالني كما نالني : اختلفت الجاريةُ بالشاة إلى التَّيَّاس
اختلافاً كثيراً ، فرجعت الجارية حاملاً والشاة حائلاً .

وقال جعفر بن سعيد : الخلافُ موكّل بكلِّ شيء يكون ،
حتى القَذاة في الماء في رأس الكوز ،
فإن أردتَ أن تشرب الماء جاءتْ إلى فيك ،
وإن أردتَ أن تصبَّ من رأسِ الكوزِ لتخرج رَجَعت .

أخبرني محمَّد بن عبَّاد بن كاسِب ،
كاتبُ زهير ومولى بَجِيلة من سَبي دابق ،
وكان شاعراً راوية ، وطلاّبة للعلم عَلاّمة ،
قال : سمعت أبا داود بن حَريز يقول وقد جَرى شيءٌ
من ذكر الخُطَب وتحبيرِ الكلامِ واقتضابِه ،
وصعوبةِ ذلك المَقام وأَهواله ،
فقال : تلخيص المعاني رِفْقٌ ، والاستعانة بالغريب عَجْز ،
والتَّشادقُ مِن غير أهل البادية بُغْض ،

والنَّظَر في عيون النَّاس عِيّ ،
ومَسُّ اللِّحية هُلْك ، والخروجُ مِمَّا بُنِي عليه أوَّلُ الكلام إسهاب

الفضيل بن عياض(١)

حدثنا أحمد بن سهل ، أبو عبد الرحمن ، قال :
قدم علينا سعد بن زنبور ، فأتيناه فحدثنا ، قال :
كنا على باب الفضيل بن عياض ، فاستأذنا عليه ، فلم يؤذن لنا ،
قال : فقيل لنا : إنه لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن ،
قال : وكان معنا رجل مؤذن ، وكان صيتاً فقلنا له : اقرأ
فقرأ : ﴿ألهاكم التكاثر﴾ ، ورفع بها صوته ،
قال : فأشرف علينا الفضيل ، وقد بكى حتى بلَّ لحيته بالدموع ،
ومعه خرقة ينشف بها الدمع من عينيه ، وأنشأ يقول :

بلغــت الثمانين أو جزتهــا ... فمــاذا أؤمــل أو أنتظــر؟
أتاني ثمانــون من مولــدي ... وبعــد الثمانـين ما ينتظر؟

علتني السنون فأبلينني .
قال : ثم خنقته العبرة ،
قال : وكان معنا علي بن خشرم فأتمه له ، فقال :
فدقت عظامي وكلّ البصر

شعراء العصر الحديث

نوادر علي الجارم

ومن الأدباء والشعراء الذين تحلوا بروح الفكاهة والمداعبة : الأديب المصري علي الجارم(٢) ، الذي وصفه عباس العقاد(٣) بقوله «كان علي الجارم زينة المجالس ، كما

(١) الفضيل بن عياض ، أحد أعلام التصوف في القرن الثاني الهجري ، لقب بـ «عابد الحرمين» .

(٢) علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم أديب وشاعر وكاتب ، ولد عام ١٨٨١ في مدينة رشيد في مصر .

(٣) عباس محمود العقاد أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري . وعضو سابق في مجلس النواب المصري .

كان يقال في وصف الظرفاء من أدباء الحضارتين العباسية والأندلسية ، تجلس إليه فتسمع ما شئت من نوادر أدبية أو مُلحة اجتماعية أو شاهد من شواهد اللغة أو نكته من نكت الفكاهة ، ولا تدري كلما تهيأ للكلام ماذا أنت سامع بعد هنيهة . . فقد تترقب النكتة فتسمع الفائدة ، وقد تسأل عن الشاهد فتسمع القافية ، ولكنك واثق في النهاية أنك خرجت بفصل ممتع من طراز فصول العقد الفريد أو الكامل أو نفح الطيب ، وإنك لو اخترت الحديث واقترحته لما ظفرت بخير مما استوفيته عفو الخاطر بغير سؤال» .

ويظهر جده الباسم وفكاهته فيما كتبه من أشعار أثناء بعثته العلمية في إنجلترا ، فقد كتب في عامه الأول يقول :

لبست الآن قبعة بعيداً
عن الأوطان معتاد الشجون
فإن هي غيرت شكلي فإني
متى أضع العمامة تعرفوني

وفي عام ١٩١٠م شاهد الجارم الضباب في إنجلترا يتكاثف ، فإذا المبصرون أنفسهم يضلون الطريق حائرين ، وإذا العميان يقودونهم خلال هذا الضباب ، فكتب يقول :

أبصرت أعمى في الضباب بلندن ... يمشي فلا يشكو ولا يتأوه
فأتاه يسأله الهداية مبصر ... حيران يخبط في الظلام ويعمه
فاقتاده الأعمى فسار وراءه ... أنى توجه خطوة يتوجه

ونرى الجارم برقته ودعابته حين نسمع حنينه إلى الشباب يقول :

هات عهد الشباب إن غاص في الماء ... وإن غاب في السماء فهاته
ما أراني من غيره غير ثوب ... ضم أردانه على علاته
ربّ شيخ في عالم الطب حي ... ويراه الزمان من أمواته

ويقول عن الشيخ المتصابي في رقة ودعابة :

لنا شيخ تولى أطبباه ... يهيم بحب ربات القدود
يغازل إذ يغازل من قيام ... وإن صلى يصلي من قعود

الإمام العبد ومحمود

الشاعر المصري الإمام العبد[(١)] ، اشتهر بسرعة خاطره ولباقة نكاته . وكان له صديق يدعى الشعر اسمه محمود يمازحه أحيانا ويبالغ في المزاح حتى حدود الوقاحة أحيانا .

في إحدى السهرات العائلية قال هذا الشاعر للإمام العبد :

كلما رأيتك تذكرت قصيدة المتنبي والبيت الرائع فيها :

لا تشتـــر العبــد إلا والعصا معه   إن العبيــد لأنجــاس مناكيـــد

أجاب الشاعر . . . لكن هذا البيت في القصيدة عينها أشد روعة وهو :

ما كنــت احسبني أحيا إلى زمـــن   يسيئنـــي فيــه كلب وهو محمود

حافظ إبراهيم وأحمد شوقي

كان يطيب للشاعر حافظ إبراهيم[(٢)] «شاعر النيل» أن يداعب أحمد شوقي[(٣)] أمير الشعراء . وكان شوقي جارحا في رده على الدعابة . ففي إحدى ليالي السمر أنشد حافظ إبراهيم بيتاً من الشعر ، ليستحث شوقي على الخروج عن رزانته المعهودة

يقولــون إن الشــوق نـــار ولوعــة   فمــا بال شوقي أصبح اليوم باردا

فرد عليه أحمد شوقي بأبيات قارصة قال في نهايتها :

وأودعــت إنسانــا وكلبــا وديعـــة   فضيعهــا الإنسان والكلب حافـظ

(١) محمد إمام العبد . ولد في القاهرة وتوفي فيها . قضى حياته في مصر . حفظ القرآن الكريم والتحق بالمدرسة الابتدائية وأمضى بضع سنوات فيها ولم يتم تعليمه . تنقل بين عدة مهن بسيطة وعانى شظف العيش فكان يحاول التكسب بنشر شعره وأزجاله في بعض الصحف والمجلات . اتسمت حياته بالبؤس والفقر حتى لقب بإمام البؤساء ، إلا أنه كان يشارك في المنتديات ومجالس الشعر والسمر بشغف ، ولم يتخل عن روح الدعابة التي ظهرت في أزجاله وشعره ، فكان يعد مسامرًا مرغوبًا في مجالس الكبراء .

(٢) محمد حافظ بن إبراهيم ولد في محافظة أسيوط ٢٤ فبراير ١٨٧٢ – ٢١ يونيو ١٩٣٢م . شاعر مصري ذائع الصيت . عاصر أحمد شوقي ولقب بشاعر النيل وبشاعر الشعب .

(٣) أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك ، شاعر مصري يعد من أعظم وأشهر شعراء العربية في جميع العصور ، يلقب بـ«أمير الشعراء» .

الشاعر عبد الله البردوني..

وللشاعر اليمني الكبير عبد الله البردوني[١] الكثير من النوادر والطرائف ، حتى وهو على فراش المرض . ففي نهاية السبعينات جاء أحد الشعراء(النظامين) إلى منزل البردوني زائرا ، وفي أثناء الحديث أراد الشاعر أن يلفت انتباه البردوني فقال : لقد اتجهت أخيرا وعن قناعة إلى كتابة الشعر الحديث!!وأسمعه بعض مقاطع وكان منها مقطع يقول (الشمس تقبل وجنة حبيبتي)

فقال له البردوني : يا عزيزي ليس في ما أسمعتني أي جديد!

فقال الشاعر : (الشمس تقبل وجنة حبيبتي) هذه صورة فنية حداثية إبداعية!!

فرد عليه البردوني : ليس في هذا أي جديد ، فالشمس تقبل حتى وجنة الكلب!

نزار قباني والبردوني !

عندما انتهى الأديب البردوني من قراءة قصيدته (أبو تمام وعروبة اليوم) تقدم إليه نزار قباني[٢] واحتضنه وعرفه بنفسه : أنا نزار . فرد البردوني ببديهية قل نزار- بفتح النون- ولا تقل نزار بكسرها فإنها تعني الشيء القليل فكان هذا اللقاء عربون صداقة بين نزار والبردوني .

الغيبة حرام !

كان البردوني ذات يوم في مجلس حكومي رفيع المستوى فسأله أحدهم بقصد إحراجه وكان ذلك قبل قيام الوحدة اليمنية لماذا يا أستاذ عبدالله لا تكتب عن الديمقراطية والحرية؟ فأجاب على الفور : الغيبة حرام!!

وكان البردوني ذات مرة في حلقة نقاش على الطائرة فتعجب من اللهجة التي

---

(١) عبد الله صالح حسن الشحف البردوني شاعر وناقد أدبي ومؤرخ ومدرس يمني تناولت مؤلفاته تاريخ الشعر القديم والحديث .

(٢) نزار بن توفيق القباني ديبلوماسي وشاعر سوري معاصر ، ولد في ٢١ مارس ١٩٢٣ من أسرة دمشقية عريقة إذ يعتبر جده أبو خليل القباني رائد المسرح العربي .

يتحدث بها المثقفون والتي هي مزيج من الفصحى والعامية فعلق عليها بالقول إنها تمثل نوعا من «الفصعمي»!

أحمر

وفي المهرجان الثقافي اليمني الذي أقيم في الكويت ، كان البردوني على رأس المشاركين وبينما هو يلقي إحدى قصائده ، صاح أحدهم : اسكت يا أحمر- يقصد يا شيوعي- فرد عليه قائلا : إنني أتمثل ما قاله جدي بشار بن برد :

وخــذي مــلابس زينة ومــصــبــغــات في أفــخــر
وإذا دخلت تزيني بالحــسن إن الحــسن أحــمــر

البردوني يشيد بلحم الحمير!

استضاف الأديب أحمد الجرموزي[١] في منزله بمدينة تعز الأستاذ البردوني ، وبعد ساعات رأى الجرموزي الشرطة وهي تجر الجزار الذي اشترى منه اللحم ، فقد اكتشف أنه يذبح حميراً ، فرجع إلى بيته مسرعا يطمئن على صحة البردوني وقال له يا أستاذ : كيف صحتك ، الجزار غشنا وباعنا لحم حمار فرد البردوني بسخرية : والله يا أحمد إنه أحسن مرق شربناه!

---

(١) أديب يمني .

الفهرس

طرائف العـــــرب

طرائف العرب

طرائف

أدهم شرقاوي
قسّ بن ساعدة

المجلد الثالث

2021

kalemat

طرائف الفقهاء

سيد بني تميم

لطم رجلٌ الأحنف بن قيس[1] ، فقال له : لم فعلت هذا؟ قال : جعل لي جعلٌ على أن ألطم سيّد بني تميم ؛ فقالً : ما صنعت شيئاً ، عليك بحارثة بن قدامة ، فإنّه سيّد بني تميمٍ ؛ فانطلق ، فلطمه ، فقطع يده ، وذاك أراد الأحنف .

أنا رسول الخاشعين إليك بأنك ثقيل

خرج الأعمش[2] ذات يوم من منزله بسحر ، فمر بمسجد بني أسد وقد اقام المؤذن الصلاة ، فدخل يصلي فافتتح الإمام الركعة الاولى بالبقرة ، ثم في الركعة الثانية آل عمران ، فلما أنصرف قال له الأعمش أما تتقي الله أما سمعت حديث رسول الله ﷺ «من أم الناس فليخفف فأن خلفه الكبير والضعيف وذا الحاجة» .

فقال الإمام قال الله عز وجل : ﴿وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾

فقال الأعمش : أنا رسول الخاشعين إليك بأنك ثقيل .

الأعمش وابنته

كان الأعمش دميم الشكل ، وله ابنة صغيرة اقتربت منه تتأمل وجهه ، وتدقق النظر في ملامحه فقال لها : ما بك؟ فقالت : أتعجب من قوم زوجوك

النخعي والأعمش

خرج إبراهيم النخعي[3] ، وقام سليمان الأعمش يمشي معه ؛ فقال إبراهيم : إن

---

(١) هو التابعي الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي اسمه ضحاك وقيل صخر وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل ، قال سليمان بن أبي شيخ كان أحنف الرجلين جميعا .

(٢) أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد ، المعروف بالأعمش من علماء الكوفة المشهورين . ولد الأعمش في الكوفة وأصله من بلاد الري ، لحق بأنس بن مالك وكلمه ، لكنه لم يرو عنه شيء . كان عالما بالقرآن ، والحديث ، والفرائض .

(٣) إبراهيم بن يزيد النخعي . وهو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع ، وهو فقيه وتابعي من مدينة الكوفة وأحد الأئمة المعروفين بالفقه في الإسلام ، رأى السيدة عائشة لكن لم يرد في التاريخ أنه أخذ منها .

الناس إذا رأونا قالوا : أعور وأعمش! قال : وما غلبك أن يأثموا ونؤجر؟ قال : وما عليك أن يسلموا ونسلم؟

ممازحة

دخل الإمام أبو حنيفة النعمان(١) على الأعمش يعوده في مرض ، فقال له : يا أبا محمد لولا أن يثقل عليك لعدتك كل يوم . . .

فرد عليه مازحا : أنت تثقل علي وأنت في بيتك ، فكيف في بيتي ؟!

و زاره في مرضه جماعة أطالوا جلوسهم فما كان منه إلا أن حمل وسادته وغادر الغرفة قائلا شفى الله مريضكم .

ودخل على الأعمش رجلٌ يعوده ، فقال له : ما أشدّ ما مرّ بك في علّتك هذه؟ قال : دخولك .

النظر للثقلاء

عن الهيثم بن عدي(٢) ، قال : قيل للأعمش : مِمّ عمشت عيناك؟ قال : من النظر إلى الثقلاء .

وقال شريك : سمعت الأعمش يقول : إذا كان عن يسارك ثقيلٌ وأنت في الصلاة ، فتسليمة عن اليمين تجزؤك .

قال شعبة : كان الأعمش إذا رأى ثقيلاً ، قال له : كم عزمك تقيم في هذا البلد؟

الأعمش وخليج الماء

عن محمد بن حميد قال : حدثنا جرير قال : جئنا الأعمش يومًا فوجدناه قاعدًا في ناحية فجلسنا في ناحية أخرى ، وفي الموضع خليج من ماء المطر ، فجاء

---

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ فقيه وعالم مسلم ، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي .

(٢) ابن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر الأخباري العلامة أبو عبد الرحمن الطائي الكوفي المؤرخ .

رجل عليه سواد فلما بصر بالأعمش عليه فروة حقيرة قال : قم عبِّرني هذا الخليج ، وجذب بيده فأقامه وركبه ، وقال : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ، فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج ، ثم رمى به وقال : ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ ، ثم خرج وترك المسود يتخبَّط في الماء .

يبحث عن حلاق صامت

كثر الشعر على الأعمش فقالوا له : لم لا تأخذ من شعرك؟ قال : لا أجد حلاقاً يسكت حتى يفرغ

وصف عملي

قال إسحاق الأزرق[1] : قال : رجلٌ للأعمش : كيف بتّ البارحة؟ قال : فدخل ، فجاء بحصير ووسادة ، ثم استلقى ، وقال : كذا .

كسرة وملح

قال سعيد الورّاق[2] : كان للأعمش جارٌ ، كان لا يزال يعرض عليه المنزل ؛ يقول : لو دخلت فأكلت كسرةً وملحاً؟ فيأبى عليه الأعمش ، فعرض عليه ذات يوم ، فوافق جوع الأعمش ، فقال : مرّ بنا ؛ فدخل منزله ، فقرّب إليه كسرةً وملحاً ؛ إذ سأل سائلٌ ، فقال له ربّ المنزل : بورك فيك ، فأعاد عليه المسألة ، فقال له : بورك فيك ؛ فلما سأل الثالثة ، قال له : اذهب ، وإلا والله خرجت إليك بالعصا

قال : فناداه الأعمش : اذهب ويحك ، ولا والله ما رأيت أحداً أصدق مواعيد منه ، هو منذ سنة يعدني على كسرةٍ وملح ، ولا والله ما زادني عليهما .

سوء فهم

قال الأعمش لجليسٍ له : تشتهي كذا وكذا من الطعام؟

---

(١) هو الإمام الحافظ الحجة أبو محمد إسحاق بن يوسف بن مرداس القرشي الواسطي الأزرق . مولده سنة سبع عشرة ومائة . حدث عن : الأعمش ، وابن عون ، وفضيل بن غزوان وغيرهم .

(٢) سعيد بن محمد أبو الحسن الوراق الكوفي سكن بغداد وحدث بها عن يحيى بن سعيد الأنصاري وعلي بن الحزور ومحمد بن عمرو وفضيل بن مرزوق وغيرهم .

فوصف طعاماً طيباً ؛ فقال : نعم ؛ قال : فأنهض بنا ؛ فدخل به منزله ، فقدّم رغيفين يابسين وكامخاً ، وقال : كل ؛ قال : أين ما قلت؟ قال : ما قلت لك عندي ، إنّما قلت تشتهي .

من طرائف الأعمش

قال أبو بكر بن عياش[١] : كنّا نسمي الأعمش سيّد المحدثين ، وكنّا نجيء إليه إذا فرغنا من الدَّوران ، فيقول : عند من كنتم؟ فيقول : عند فلان ؛ فيقول : طبلٌ مخرقٌ ؛ ويقول : عند من؟ فنقول : فلانٌ ، فيقول : دفٌ ممزّقٌ .

وكان يخرج إلينا شيئاً لنأكله ، فقلنا يوماً : لا يخرج إليكم الأعمش شيئاً إلا أكلتموه . قال : فأخرج إلينا سنّاً ، فأكلناه ، وأخرج فدخل ، فأخرج فتيتاً ، فشربناه ، فدخل ، فأخرج إجانةً صغيرةً وقتاً ، وقال : فعل الله بكم وفعل أكلتم قوتي وقوت امرأتي ، وشربتم فتيتها ، هذا علفُ الشاة ، كلوا!

قال : فمكثنا ثلاثين يوماً لا نكتب فزعاً منه ، حتى كلّمنا إنساناً عطاراً كان يجلس إليه حتى كلمه لنا .

لا يحب الثقلاء

قال عمر بن حفص بن غياث[٢] ، حدّثني أبي ، قال : قال لي الأعمش : إذا كان غد فاغذ عليّ حتى أحدثك عشرة أحاديث ، وأطعمك عصيدةً ، وانظر لا تجيء معك بثقيل

قال حفص : فغدوت أريد الأعمش ، فلقيني ابن إدريس ، فقال : لي : أين تريد؟ قلت : إلى الأعمش ، قال : فامض بنا .

قال : فلمّا بصر بنا الأعمش دخل إلى منزله ، وأجاف الباب ، وجعل يقول من

---

(١) أبو بكر بن عياش المقرئ . هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرئ ، مولى واصل الأحدب ، قيل : اسمه محمد ، وقيل : شعبة ، وقيل : روبة ، وقيل : مسلم ، وقيل خداش .

(٢) ابن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن جشم بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع . الإمام الحافظ العلامة القاضي أبو عمر النخعي الكوفي ، قاضي الكوفة ، ومحدثها ، وولي القضاء ببغداد أيضا .

داخل : يا حفص لا تأكل العصيدة إلا بجوز ألم أقل لك لا تجئني بثقيل .
وقال الرّبيع بن نافع[1] : كنّا نجلس إلىً الأعمش ، فنقول : في السماء غيمٌ .
يعني : ههنا من نكره .

إصلاح أم إفساد؟

وقع بين الأعمش وبين امرأته وحشة ، فسأل بعض أصدقائه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما ، فدخل إليها وقال : إن أبا محمد شيخ كبير ، فلا يُزهدنك فيه عمش عينه ، ودقة ساقيه ، وضعف ركبتيه ، ونتن بطنه ، وبخر فمه ، وجمود كفه! فقال له الأعمش : قم ، قبحك الله ، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه .

دون الفروة

قال جرير : دعي الأعمش إلى عرس ، فنشر فروته ، ثم جاء ، فرده الحاجب ، فرجع ، فلبس قميصاً وإزاراً ، وجاء ، فلمّا رآه الحاجبُ أذن له ، فدخل ، وجاءوا بالمائدة ، فبسط كمّه على المائدة ، وقال : كل فإنما أنت دعيت وليس أنا وقام ولم يأكل .

المريد العالم

قال حفص بن غياثٍ : رأيت إدريس الأودي[2] جاء بابنه عبد الله إلى الأعمش ، فقال : يا أبا محمدٍ هذا ابني ، إنّ من علمه بالقرآن ، إنّ من علمه بالفرائض ، إنّ من علمه بالشعر ، إنّ من علمه بالنحو ، إن من علمه بالفقه ؛ والأعمش ساكتٌ ، ثم سأل الأعمش عن شيءٍ ، فقال : سل ابنك .

(١) الإمام الثقة الحافظ ، أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي نزيل طرسوس التي هي اليوم من بلاد الأرمن .
(٢) عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي ، من أعلام الحفاظ ، عابد حُجّة فيما يروي ، فيه بهاء يفرض الاحترام وهدوء يفرض الإقناع ، قامت بينه وبين الإمام مالك صداقة ، وكان مذهبه مذهب أهل المدينة ، عرض عليه هارون الرشيد القضاء فأبى . مدحه الإمام أحمد قائلا : «كان ابن إدريس نسيجا وحده» . ويقول ابن عرفة : «لم أر بالكوفة أفضل منه» . ولما نزل بابن إدريس الموت بكت بنته ، فقال : «لا تبكي يا بنية ، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة» . زفت روحه إلى الله عز وجل بالكوفة سنة ١٩٢ هجرية .

نهاية الحديث بنهاية الخوخ

قال وكيعٌ[1] : كنا يوماً عند الأعمش ، فجاء رجلٌ يسأله عن شيءٍ ، فقال : إيش معك؟ قال : خوخٌ ؛ فجعل يحدثه بحديثٍ ويعطيه واحدةً ، حتى فنيَ ، قال : بقي شيءٌ؟ قال : فني يا أبا محمدٍ ؛ قال : قم ، قدً فني الحديث .

قضاء الحاجة

قال خبيقٌ : عوتب الأعمش في دخوله على بعض الأمراء ، فقال : هم بمنزلة الكنيف ، دخلت ، فقضيت حاجتي ، ثم خرجت .

المئذنة المائلة

يحكى ابن العماد الحنبلي[2] في كتابه (شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب) وهو يؤرِّخ لأحداث سنة ٨٢٠ هجرية : وفي أواخرها مالت المأذنةُ التي بنُيت على البرج الشمالي بباب زويلة بمصر من جامع المؤيد ،وكادت تسقط ، واشتد خوف الناس منها وتحوَّلوا من حواليها ،فأمر السلطان بنقضها فنقضت بالرفق إلى أن أمِنوا شرَّها . .فقال ابن حجر العسقلاني :

لجامع مولانا المؤيِّدِ رونقٌ ... منارتُه بالحسنِ تزهو وبالزين
تقول وقد مالت عن القصد أمهلوا ... فليس على جسمي أضرَّ من العين

فغضب الشيخ بدر الدين العيني ، وظنَّ أن ابن حجر يعرِّض به ، فاستعان بالنواجي الأبرص ، فنظم له بيتين معرضاً بابن حجر ونسبهما العيني لنفسه . .

يقول البيتان :

منارةٌ كعروسِ الحسن إذ جليت ... وهدمها بقضاءِ الله والقدر
قالوا أُصيبت بعين قلتُ ذا غلط ... ما أوجب الهدم إلا خسَّة الحجر

---

(١) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة بن سفيان بن الحارث بن عمرو بن عبيد بن رؤاس الإمام الحافظ محدث العراق أبو سفيان الرؤاسي الكوفي أحد الأعلام ولد سنة تسع وعشرين ومئة . ورؤاس بطن من قيس عيلان .

(٢) ابن العماد الحنبلي هو عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي أبو الفلاح مؤرخ ، فقيه ، عالم بالأدب ، ولد في صالحية دمشق ، وأقام في القاهرة مدة طويلة ، ومات بمكة حاجاً .

المهر الغالي

عن ابن الوليد قال : كان في جوار أبي حنيفة[١] فتى يعتني مجلس أبي حنيفة ويكثر الجلوس عنده

فقال يوما لأبي حنيفة : إني أريد التزويج إلى فلان من أهل الكوفة وقد خطبت إليهم وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي وقد تعلقت نفسي بالتزويج

فقال أبو حنيفة : فاستخر الله تعالى وأعطهم ما يطلبونه منك

فأجابهم إلى ما طلبوه

فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه جاء إلى أبي حنيفة فقال له أني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل وقد أبوا أن يحملوها إلا بعد وفاء الدين كله فماذا ترى

قال احتل وافترض حتى تدخل بأهلك فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم

ففعل ذلك وأقرضه أبو حنيفة فيمن أقرضه

فلما دخل بأهله وحملت إليه قال أبو حنيفة : ما عليك أن تظهر أنك تريد الخروج عن هذا البلد إلى موضع بعيد وأنك تريد أن تسافر بأهلك معك

فاكترى الرجل جملين وجاء بهما وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش وأنه يريد حمل أهله معه

فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤوا إلى أبي حنيفة ليسألوه ويستعينوه في ذلك

فقال لهم أبو حنيفة : له أن يخرجها إلى حيث شاء

قالوا له : ما يمكننا أن ندعها تخرج

فقال لهم أبو حنيفة : فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه

فأجابوه إلى ذلك

فقال أبو حنيفة للفتى أن القوم قد سمحوا أن يردوا عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرؤك منه

فقال له الفتى وأنا أريد منهم شيئا آخر فوق ذلك

---

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ فقيه وعالم مسلم ، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي .

فقال أبو حنيفة أيما أحب إليك أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك وإلا أقرت المرأة لرجل يدين لا يمكنك أن تحملها ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين

قال فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فلا آخذ منهم شيئا فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر

القبض على اللصوص

محمّد بن الحسن[1] قال : دخل اللصوص على رجل ، فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثا ألا يعلم أحدا .

فأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر أن يتكلّم من أجل يمينه ، فجاء يشاور أبا حنيفة ، فقال له أبو حنيفة :

أحضرني امام حيّك والمؤذن والمستورين منهم .

فأحضره اياهم فقال لهم أبو حنيفة : هل تحبّون أن يرد الله على هذا متاعه؟

قالوا : نعم .

قال : فاجمعوا كل متهم فأدخلوهم في دار أو في مسجد ، ثم أخرجوهم واحدا واحدا ، فقولوا «هذا لصك؟» ، فان كان ليس بلصه فانه يردّ قائلا : «لا» ، وان كان لصه فيسكت ، فاذا سكت فاقبضوا عليه .

ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة ، فردّ الله عليه جميع ما سرق منه .

أبو يوسف القاضي وأبو حنيفة

يذكر أن الإمام أبو حنيفة كان له طالباً نابغا هو أبو يوسف القاضي[2] مرض ذات يوم حتى كاد أن يهلك فذكر ذلك للإمام أبو حنيفة فأمر طلابه أن يصحبوه ليعودوا أبا يوسف فلما دخل عليه أبو حنيفة ورأى ما به من مرض قال لما خرج من عنده : إني كنت أرجو لهذا الشاب أن يكون له شأن عظيم في العلم فذهب أحد

---

(١) محمد بن الحسن الشيباني عالم مسلم ، فقيه ومحدث ولغوي ، صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان ، وناشر مذهبه ، يلقب «صاحب أبي حنيفة ، وفقيه العراق» .

(٢) يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المشهور بأبي يوسف وهو من تلاميذ الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان .

أقران الشاب وذكر له مقولة الإمام فيه .

وبعد فترة من الوقت شفي أبو يوسف . . .

فخرج يمشي ذاهبا إلى حلقة الشيخ أبا حنيفة فلقاه رجل بالطريق فقال له أن الإمام ابا حنيفة قال عنه كلاما طيبا ، فدار في نفسه أنه أصبح عالما الآن ، فقرر أن يجعل له حلقة خاصة في نفس المسجد الذي فيه شيخه أبو حنيفة ، فرأى الشيخ من بعيد أبا يوسف ولكن لم يعرف يحسبه مازال مريضا فقال هل نزل علينا شيخ ، فقالوا تلامذته لا ، فقال إذا من ذاك الشيخ الذي يجلس هناك ، فاخبروه أنه تلميذة أبو يوسف قد شفي . .

فقرر الإمام أبو حنيفة أن يبين لأبو يوسف أنه مازال طالبا للعلم ، فأرسل أحد طلابه للجلوس في حلقة الشيخ أبو يوسف وأن يطرح عليه مسألة

فقال التلميذ : ما قولك في رجل أعطى ثوبه لخياط لتقصيره فلما رجع الرجل ليأخذ ثوبه قال صاحب الخياط أنه لم يأخذ منه الثوب ، ثم أحضر رجالا واكتشفوا وجود الثوب لديه وقد قام بتقصيره بالفعل . . . هل يعطي الرجل أجرة الثوب للخياط أم لا ؟

فقال : أبو يوسف نعم يعطيه لأنه قصره ، فقال له التلميذ ولكنه كان ينوي سرقته ، قال : أبو يوسف إذا لا يعطيه اجراً فقال له التلميذ لقد اخطأت

وبذكائه قال أبو يوسف للتلميذ من أرسلك فقال الإمام أبو حنيفة ، فذهب أبو يوسف لشيخه وقال له يا شيخ أريد أن أسألك في مسالة وحكى له نفس المسألة فتجاهله الإمام ثم عاد وكرر سؤاله

فأجابه الإمام : إن كان الخياط قص الثوب على طول الرجل فهو لم يكن ينوي سرقته قبل تقصيره ، وإن كان قد قصر الثوب على مقاس الخياط نفسه فقد كان ينوي سرقته قبل تقصيره

آن لأبي حنيفة أن يمد قدميه

كان لأبو حنيفة حلقة يجلس فيها ليفتي للناس ويعلمهم من علمه . . وحدث أنه أصبح يأتي إلى حلقته رجل عليه سيماء الشيوخ الكبار . . يرتدي الجبة والعمامة والقفطان . . وشكله يوحي بالعظمة . . وظهر هذا لأبي حنيفة . . . وكان أبو حنيفة يحب في جلسته أن يمدد قدميه ليستريح . . ولكن احتراما لمقام من ظنه شيخا كان

يعتدل في جلسته ويتعب نفسه . . ومرت الأيام والشيخ يأتي للحلقة ولا يتكلم ولا يسأل فقال أبو حنيفة لنفسه : يبدو أن (الجهبذ) قد عد لي عشرات الأخطاء وينتظر الفرصة ليعلنها . . . وفي يوم من الأيام . كان أبو حنيفة يقول : الصيام من طلوع الفجر حتى غروب الشمس . . . .

فتكلم صاحب الجبة والعمامة لأول مرة وقال : وماذا لو لم تغرب الشمس؟

وما إن قالها حتى عدل أبو حنيفة من جلسته ومد قدميه وقال : الآن آن لأبي حنيفة أن يمد قدميه

أنجع الحلول

كان بالكوفة رجل من الطالبين من خيارهم ، فمرّ بأبي حنيفة ، فقال له : أين تريد؟

قال : أريد ابن أبي ليلى[1] .

قال : فإذا رجعت أحب أن أراك ، وكانوا يتبرّكون بدعائه .

فمضى إلى ابن أبي ليلى ثلاثة أيام ، وإذا رجع مرّ بأبي حنيفة ، فدعاه وسلّم عليه ، فقال له أبو حنيفة : ما جاء بك ثلاثة أيام إلى ابن أبي ليلى؟

فقال : شيء كتمته الناس ، فأملت أن يكون عنده فرج .

فقال أبو حنيفة : قل ما هو؟

قال : إني رجل موسر وليس لي من الدنيا إلا ابن ، كلما زوّجته امرأة طلقها ، وإن اشتريت له جارية أعتقها .

فقال أبو حنيفة : اقعد عندي حتى أخرجك من ذلك . فقرّب إليه ما حضر عنده فتغذى عنده ، ثم قال له :

ادخل أنت وابنك إلى السوق ، فأي جارية أعجبته ونالت يدك ثمنها ، فاشترها لنفسك لا تشترها له ، ثم زوّجها منه ، فإن طلقها رجعت إليك ، وإن أعتقها لم يجز عتقه ، وإن ولدت ثبت نسبه إليك .

قال : وهذا جائز؟

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى . العلامة ، الإمام ، مفتي الكوفة وقاضيها أبو عبد الرحمن الأنصاري ، الكوفي .

قال : نعم ، وهو كما قلت .

فمرّ الرجل إلى ابن أبي ليلى فأخبره فقال : هو كما قال لك .

بين الربيع وأبي حنيفة

وعن أبي يوسف قال : دعا المنصور[1] أبا حنيفة ، فقال الربيع[2] حاجب المنصور ، وكان يعادي أبا حنيفة :

يا أمير المؤمنين ، هذا أبو حنيفة يخالف جدّك . كان عبد الله بن عباس يقول : إذا حلف على اليمين ، ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز الاستثناء الا متصلا باليمين .

فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ، إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك بيعة!

قال : وكيف؟

قال : يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم .

فضحك المنصور وقال : يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة .

الأعرابي وأبو حنيفة

قال أبو حنيفة :

احتجت إلى ماء بالبادية ، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء ، فأبى أن يبيعنيها إلا بخمسة دراهم ، فدفعت اليه خمسة دراهم وقبضت القربة ، ثم قلت : يا أعرابي ، ما رأيك في السويق؟

فقال : هات .

فأعطيته سويقا ملتوتا بالزيت ، فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطش ، فقال : شربة؟

قلت : بخمسة دراهم .

فلم أنقصه من خمسة دراهم على شربة ماء ، فاسترددت الخمسة وبقي معي الماء .

---

(١) أبو جعفر عبد الله المنصور ، واسمه الكامل عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم .

(٢) الربيع بن يونس أبو الفضل حاجب المنصور ومولاه هو الربيع بْن يونس بْن مُحَمَّد بْن أبي فروة .

ذكره الشيطان

وبلغنا أن رجلا جاء إلى أبي حنيفة فشكى له أنه دفن مالا في موضع ولا يذكر الموضع ، فقال أبو حنيفة : ليس هذا فقها فأحتال لك فيه ، ولكن اذهب فصلّ الليلة إلى الغداة ، فإنك ستذكره إن شاء الله تعالى .

ففعل الرجل ذلك ، فلم يمض إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع ، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال : قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى تذكر ، فهلا أتممت ليلتك شكرا لله عز وجلّ .

السواد والبياض

قال علي بن عاصم[(١)] : دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره ، فقال للحجام : تتبع مواضع البياض ، قال الحجام : لا ترد ، قال : ولم؟ قال : لأنّه يكثر . قال : فتتّبع مواضع السواد لعله يكثر .

الطوسي وأبو حنيفة

دخل أبو حنيفة على المنصور ، وكان أبو العباس الطوسي[(٢)] سيئ الرأي في أبي حنيفة ، فقال الطوسي : اليوم أقتله . فقال : يا أبا حنيفة! إن أمير المؤمنين يأمرني بقتل رجل لا أدري ما هو؟ فقال أبو حنيفة : أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟ قال : بالحق . قال : أنفذ الحق حيث كان .

الرجعة والتناسخ

قال محمد بن جعفر الإمامي[(٣)] : كان أبو حنيفة يتّهم شيطان الطاق بالرجعة ،

---

(١) ابن صهيب ، الإمام العالم ، شيخ المحدثين ، مسند العراق أبو الحسن القرشي التيمي مولى قريبة أخت القاسم بن محمد بن أبي بكر الواسطي .

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري ، وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه «من قدماء مشايخ القوم وجلّتهم» ، ووصفه الذهبي بـ«الشيخ الزاهد الجليل الإمام شيخ الصوفية» .

(٣) الشيخ أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الآملي ؛ هو رجل دين وفقيه ومحدّث شيعي من مشاهير علماء الشيعة الإماميّة ، ويُضاف إلى اسمه أحياناً الإمامي أو الشيعي تمييزاً له عن ابن جرير الطبري السني صاحب التاريخ والتفسير .

وكان شيطان الطاق[١] يتهم أبا حنيفة بالتناسخ ، فخرج أبو حنيفة يوماً إلى السوق ، فاستقبله شيطان الطاق ومعه ثوبٌ يريد بيعه ، فقال له أبو حنيفة : تبيع هذا الثوب إلى رجوع علي؟ فقال له : إن أعطيتني كفيلاً أنك لا تمسخ قرداً ، بعتك ؛ فبهت أبو حنيفة .
ولّما مات جعفر بن محمد ، التقى هو وأبو حنيفة ، فقال له أبو حنيفة : أمّا إمامك فقد مات . فقال له شيطان الطاق : أمّا إمامك فمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم .

كلام الدجالين

قال محمد بن مسلمة المديني : وقيل له : إن رأي أبي حنيفة دخل هذه الأمصار كلّها ولم يدخل المدينة ؛ قال : لأنّ رسول الله ﷺ قال : «على كل نقب من أنقابها ملكٌ يمنع الدّجّال من دخولها» ، وكلام هذا من كلام الدّجّالين ، فمن ثم لم يدخلها! .

شيء قيم

أخبرنا أحمد بن الدقاق قال بلغني أن رجلاً من أصحاب أبي حنيفة أراد أن يتزوج فقال أهل المرأة نسأل عنه أبا حنيفة فأوصاه أبو حنيفة فقال إذا دخلت علي فضع يدك على ذكرك ففعل ذلك فلما سألوه عنه قال قد رأيت في يده ما قيمته عشرة آلاف درهم .

مع بهلول

قال أبو حنيفة السائح : لقيت بهلول المجنون وهو يأكل في السوق ، فقلت : يا بهلول {تجالس جعفر بن محمد ، وتأكل في السوق؟! فقال : حدّثنا مالك بن أنس ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مطل الغني ظلمٌ» ولقيني الجوع وخبزي في كمي ، فما أمكنني أماطله .

(١) محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي الكوفي أبو جعفر الملقب شيطان الطاق نسب إلى سوق في طاق المحامل بالكوفة كان يجلس للصرف بها فيقال انه اختصم مع آخر في درهم زيف فغلب فقال انا شيطان الطاق ، وقيل أن هشام بن الحكم شيخ الرافضة لما بلغه أنهم لقبوه شيطان الطاق سماه هو مؤمن الطاق ، ويقال أن أول من لقبه شيطان الطاق أبو حنيفة مع مناظرة جرت بحضرته بينه وبين بعض الحرورية .

حسن التدبير

ومن المنقول عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه : أخبرنا ابن المبارك[1] قال : رأيت أبا حنيفة في طريق مكّة وشوي لهم فيصل ثمين ، فاشتهوا أن يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئا يصبّون فيه الخلّ ، فتحيّروا ، فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة ، وسكب الخلّ على ذلك الموضع ، فقالوا له : تحسن كل شيء . فقال : عليكم بالشكر فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلا من الله عليكم .

الشعبي[2]

كان الشَّعْبِيُّ ضئيلاً نحيفاً ، فقيل له يوماً : إنا نراك ضئيلاً ، فقال : زُوحمت في الرحم ، وكان أحد توأمين . . .

وقد روي أن الشعبي قال : سمعت أبا بكر يقول : مررت بمؤدب وقد تلا على غلام فريق في الجنة وفريق السعير فقلت : ما قال الله من هذا شيئاً إنما هو فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير ، فقال : أنت تقرأ على حرف أبي عاصم بن علاء الكسائي وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم المدني قلت : معرفتك بالقراء أعجب وأغرب .

قضاء الحمار

روي عن الشعبي أنه قال : خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون ، فاصطادوا حمار وحش وغزالا وأرنبا ، فقال الأسد للذئب : أقسم ، فقال : حمار الوحش للملك ، والغزال لي ، والأرنب للثعلب ، قال : فرفع الأسد يده وضرب رأي الذئب ضربة فإذا هو منجدل بين يديه ، ثم قال للثعلب : اقسم هذه بيننا ، فقال : الحمار يتغدى به الملك ، والغزال يتعشى به ، والأرنب بين ذلك ، فقال الأسد : ويحك ما أقضاك! من الذي علمك هذا القضاء؟ فقال : القضاء الذي نزل برأس الذئب .

---

(١) عبد الله بن المبارك المروزي عالم وإمام مجاهد مجتهد في شتى العلوم الدينية والدنيوية .

(٢) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، والمشهور بـ الإمام الشعبي ٢١ هـ/ ١٠٠ هـ ، تابعي وفقيه ومحدث من السلف ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب .

أفحم الشعبي

قال : تكلّم شاب يوما عند الشعبي ، فقال الشعبي : ما سمعنا بهذا .
فقال الشاب : كل العلم سمعت؟
قال : لا .
قال : فشطره؟
قال : لا .
قال : فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه .
فأفحم الشعبي .

خيوط من ريح

مرّ الشّعبي بخيّاط ، فقال : يا خيّاط! عندنا راقود قد انكسر ، تخيطه؟ فقال له الخيّاط : إن كان عندك خيوطٌ من ريحٍ خطته لك .

الشعبي والاستفتاء

سأل بعض السوقة الشعبي عمن صلى العيد قبل ان يشتري لأهله حلوى ما كفارته ؟!

فقال : كفارته أن يتصدق بدرهمين!

فلما ذهب الرجل راجعه أصحابه في ذلك .

فقال : لا بأس أن نفرح قلوب المساكين بدراهم هذا الأحمق .

وقال رجلٌ للشعبي : إنِّي خبَّأت لك مسائل ، فقال : خبئها لإبليس حتى تلقاه فتسأله عنها!

وعن زكريا بن أبي زائدة(١) ، قال : كنت مع الشعبي في مسجد الكوفة ، إذ أقبل حمّال على كتفه كودن ، فوضعه ، ودخل إليه ، فقال : يا شعبي إبليس كانت له زوجةٌ؟ قال : ذاك عرسٌ ما شهدته ، قال : هذا عالم العراق يسأل عن مسألة فلا يجيب {فقال : ردّوه ، نعم له زوجةٌ ، قال الله عز وجل : ﴿أفتتخذونه وذريته أوليًاء من دوني﴾ ولا

(١) زكريا بن أبي زائدة قاضي الكوفة أبو يحيى الهمداني الكوفي . حدث عن الشعبي ، ومصعب بن شيبة ، وخالد بن سلمة ، وسعيد بن أبي بردة ، وجماعة . يعد من صغار التابعين .

تكون الذّرّيّة إلا من زوجة . قال : فما كان اسمها؟ قال : ذاك إملاكٌ ما شهدته .

وجاء رجلٌ إلى الشّعبي ، فقال : اكتريت حماراً بنصف درهم ، وجئتك لتحدّثني ؛ فقال له : أكتر بالنصف الآخر وارجع ، فما أريد أن أحدثك . وجاء رجل إلى الشعبي وقال :

إني تزوجت امرأة ووجدتها عرجاء ، فهل لي أن أردها؟

فقال إن كنت تريد أن تسابق بها فردها!

وسأله رجل : إذا أردت أن أستحمّ في نهر فهل أجعل وجهي تجاه القبلة أم عكسها؟

قال : بل باتجاه ثيابك حتى لا تسرق!

وسأله حاج : هل لي أن أحك جلدي وأنا محرم؟

قال الشعبي : لا حرج .

فقال : إلى متى أستطيع حك جلدي؟

فقال الشعبي : حتى يبدو العظم .

وسأل رجل الشعبيَّ عن المسح على اللحية ، فقال له الشعبيُّ : خللها .

قال الرجل : أخاف أن لا تبتَل . فقال له الشعبي : إذا انقعها من أول الليل!

وروى الشعبي يوماً أنَّ النبي ﷺ قال : (تسحروا ولو أن يضع أحدكم إصبعه على التراب ثمَّ يضعه في فيه/فمه) فقال رجل من الحاضرين : أي الأصابع! فتناول الشعبي إبهام رجله وقال : هذه!

قضاء الشعبي

خاصمت امرأة زوجها إلى الشعبي حين ولي القضاء فبكت ، فقال رجلٌ من الحضور هي مظلومة أيها القاضي ، ألا ترى شدة بكائها .

فقال الشعبي : إنّ اخوة يوسف جاؤوا اباهم عشاءً يبكون!

مرض الروح

وقيل للشعبي : هل تمرض الروح؟ قال : نعم! من ظل الثقلاء .

قال بعض أصحابه : فمررت به يوماً وهو بين ثقيلين ، فقلت : كيف الروح؟ قال : في النزع .

الشعبي وعبد الملك بن مروان[1]

قال الشعبي : دخلت على عبد الملك بن مروان فقال : كم عطاءك؟
فقلت : ألفي درهم ، فجعل يسارّ أهل الشام ويقول : لحن العراقي!
ثم قال : كم عطاؤك؟ -لأردّ قولي ، فيغلظني- فقلت : ألفا درهم .
فقال : ألم تقل : ألفي درهم؟
فقلت : لحنت يا أمير المؤمنين فلحنت ، لأني كرهت أن تكون راجلا وأكون فارسا .
فقال : صدقت . واستحيا .

الشعبي والحجاج[1]

كان الشعبي قد خرج مع عبد الرحمن الأشعث ، فلما قتل أبن الأشعث أتي به الحجاج أسيراً فقال له : وأنت يا شعبي ممن خرج علينا ، فقال : أصلح الله الأمير ، أحزن بنا المنزل ، وأجدب بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف ، وضاق المسلك ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أولياء ، ولا فجرة أقوياء ، فقال الحجاج : لله أبوك صدقت ، والله ما برمتم بخروجكم علينا ولا قويتم ، خلو سبيله .

العجمي والكردي

وما جرى بينهما على يد القاضي بسبب الجراب
قيل إن الخليفة هارون الرشيد[1] قلق ليلة ، فاستدعى بوزيره جعفر

(١) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

(١) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، قائد أموي ، داهية ، سفاك ، خطيب . ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته ، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره .

(١) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين . حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م . ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

البرمكي[1] ، فلما حضر عنده قال له : يا جعفر ، غني قلقت وضاق صدري وأريد منك شيئاً يشرح خاطري .

فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن لي صديقاً اسمه علي العجمي ، وعنده من جميع الحكايات والأخبار .

فقال : علي به .

فقال : سمعاً وطاعةً .

ثم إن جعفراً خرج من عند الخليفة في طلب علي العجمي ، فأرسل خلفه فلما حضر قال : أجب أمير المؤمنين .

قال : سمعاً وطاعة .

فأتى الخليفة فسلم وترحم ، فقال له : اجلس فجلس ، فقال له الخليفة : اسمع يا علي ، إنني الليلة ضيق الصدر ، وسمعت عنك أن في ذهنك حكاياتٍ وأخباراً وأريد منك أن تسمعني ما يزل همي وفكري .

فقال : يا أمير المؤمنين ، تريد أن أحكي لك شيئاً سمعته أو رأيته؟ فقال : إن كنت رأيت شيئاً فاحكه .

فقال : سمعاً وطاعةً؟! اعلم يا أمير المؤمنين أني سافرت في بعض السنين من بلدي إلى هذه المدينة ، وهي بغداد ، وصحبني غلام ظريف ومعه جراب نظيف ، فأودعني إياه . فبينا أنا أبيع وأشتري ، وإذا أنا برجل كردي ظالم معتد هجم علي وأخذ الجراب مني وقال : هذا الجراب جرابي ، وكل ما فيه قماشي وثيابي .

فقلت : يا معشر الناس قد اعتراني الوسواس .

فقال الناس جميعاً : امضوا إلى القاضي ، وكل بحكمه راضي .

فدخلنا عليه ، وتمثلنا بين يديه ، فقال القاضي : في أي شيء جئتما؟ فقال الكردي : نحن خصمان .

قال : أيكما المدعي؟ فتقدم الكردي ، وقال : أيد الله مولانا القاضي! هذا الجراب جرابي ، وكل ما فيه قماشي وثيابي ، وقد ضاع ووجدته مع هذا الرجل .

---

(١) هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد وحامل خاتم السلطة .كان أبوه قد أرسله إلى القاضي أبو يوسف لتعليمه وتفقيهه . اشتهر بمكانته من هارون الرشيد وعلو قدره ونفاذ كلمته .

فقال القاضي : ومتى ضاع منك؟ فقال الكردي : ضاع مني بالأمس .

فقال القاضي : إن كنت عرفته فصف لي ما فيه .

فقال الكردي : إن في جرابي هذا مرودين من لجين ، وأكحالاً لعينين ، ومنديلاً لليدين ، ومشربتين مذهبتين ، وشمعدانين ومكبتين وطبقين ، وإبريقين ، وصينية وطشتين ، وقدر ودستين ، ومغرفة وملعقتين ، ومسلة ومقلمةٌ وملبتين ، وقعباً وقصعتين ، ومخدة ونطعين ، وجبة وفروتين ، وبقرة وعجلتين ، وعنزاً وشاتين ، ونعجة وخروفين ، وقطين أبلقين ، وجملاً وناقتين ، وبقرة وثورين ، ولبوة وسبعين ، ودبة وثعلبين ، ومرتبة وسريرين ، وطبقة وقاعتين ، ورواقاً ومقعدين ، ومطبخاً ببابين ، وجماعة أكراد يشهدون أن الجراب جرابي .

فقال القاضي : فما تقول أنت يا علي؟ فتقدمت يا أمير المؤمنين ، وقد بهتني كلامه فقلت : أعز الله مولانا القاضي ، أنا ما في جرابي إلا دويرة حراب وأخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشبان يلعبون بالكعاب ، وفيه عساكر وأطناب ومدينة بصرى وبغداد ، وقصر كنعان بن شداد ، وكور وحداد ، وشبكة وصياد وعصا وأوتاد ، وبنات وأولاد وألف قواد يشهدون أن الجراب جرابي .

فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال : يا سيدي القاضي ، جرابي هذا معروف ، وكل ما فيه موصوف ، في جرابي هذا حصون وقلاع وقرى وضياع وطابق للصِراع ووحوش وضباع ورجال يلعبون الطابة والرقاع ، وإن في جرابي هذا حجرة ومهرين وفحلاً وحصانين ورمحين طويلين وسبعاً وأرنبين ، وسكيناً وخنجرين ، وبحراً وخليجين ، وكمراً وجوختين ، وعشاري وموكبين ، وصاري وقريتين ، وكوراً ودكانين ، ومنقلة ونردين ، وعجوزاً وقحبتين ، وقواداً وشاطرين ومخنثاً وعلقين وأعمى وبصيرين وأعرج وكسيحين وعياراً وأزعرين وجامعاً ومدرستين وديراً وكنيستين وقسيساً وشماسين وبطركاً وراهبين وقاضياً وشاهدين يشهدون أن الجراب جرابي .

فقال القاضي : ما تقول أنت يا علي .

فبادرت يا أمير المؤمنين ، وقد امتلأت غيظاً وزدت في الحمق وقلت : أيد الله مولانا القاضي! إن في جرابي هذا زردخانات صِفاح ، وخزائن سلاح ، وألف كبش نطاح في عشرين مراح ، وأربعين كلباً نباح ، وبساتين وكروم عنب وتين وتفاح ، وصوراً وأشباحاً وقناني وأقداحاً وعرائس ملاحاً ومغاني وأفراحاً وهرجاً وصياحاً وعبداً وفلاحاً وأخاه نجاحاً ورفيقه صباحاً ، ومعهم سيوف ورماح ، وقسي ونشاب وأصدقاء وأحباب

وخلان وأصحاب ومجلس للعتاب وندمان للشراب ، وطنبور مع رباب ، ونايات وقنان مصفوفات ، وصبيان ودايات ، وأخوات معلمات ، وبنات متجليات وجوار مغنيات وجوار حبشيات وثلاث هنديات وأربع بدويات وخمس روميات وست تركيات وسبع عجميات وثماني قفجيات وتسع كرجيات وعشر كلبات ، والدجلة الفرات وشبكة وصياد وقداحة وزناد ، وإرم ذات العماد ، وألف جواد ، وقصر شداد بن عاد ، وخانات مع حمامات ، وقدوم ونجار وخشبة مع مسمار وتاجر مع عطار ، وبزار مع بيطار ، وعبد أسود بمزمار ومقدم وركبدار ومدن وأمصار ومائة ألف دينار ، وبواب وكشدار ورأس نوبة ، وعلم دار ، والكوفة مع الأنبار وعشرين صندوقاً ملأى قماشاً ودكان نحاس ، وحاصل معاش ، وبرجان للحمام وغزة وعسقلان ، ومن دمياط إلى أسوان وإيوان كسرى وملك سليمان ، ومن كوش نعمان إلى أرض خراسان وبلخ وأصبهان ومن الهند إلى بلاد السودان ، وفيه أطال الله عمر مولانا القاضي ، قماش وغلائل وعراض وموسى بحد ماض ، يحلق ذقن مولانا القاضي ، إن حكم أن الجراب ما هو جرابي .

فعند ذلك يا أمير المؤمنين حار القاضي مما سمع ثم قال : ما أراكما إلا شخصين نحسين تلعبان بالقضاة والحكام لأنه ما وصف الواصفون ولا سمع السامعون ما وصفتم في هذا الجراب ، ما هذا إلا بحر ليس له قرار .

ثم أمر القاضي بفتح الجراب ففتحه الكردي ، فإذا فيه خبز وليمون ، وجبن وزيتون ، ثم إني رميت الجراب قدام القاضي والكردي ، ومضيت إلى حال سبيلي .

فلما سمع أمير المؤمنين ذلك ضحك حتى استلقى على قفاه وقد زال همه وغمه ، وأحسن جائزة علي العجمي ، وانصرف

القاضي زياد

اختصم إلى زياد رجلان في حق كان لأحدهما على الآخر ، فقال المدّعى عليه : أيها الأمير ، إنه ليسطو عليّ بخاصة ذكر أنها له منك .

فقال زياد : صدق ، وسأخبرك بمنفعتها له : أن يكن الحق له عليك أخذتك به ، وإن يكن لك عليه حكمت عليه ثم قضيت عنه .

كي لا يأثم السارق

قال سعيد بن عبد الرحمن الزّبيريّ ، قال : سرقت نعل عامر بن عبد الله

الزبيري فلم يتخذ نعلا حتى مات ، وقال : أكره أن اتخذ نعلا فلعلّ رجلا يسرقها فيأثم

السارق لا يفعل

حدّثني بعض الشيوخ قال : سرق من رجل خمسمئة دينار ، فحمل المتهمون إلى الوالي .

فقال الوالي : أنا ما أضرب أحدا منكم . بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم ، فادخلوا فليمرّ كل منكم يده عليه من اوّل الخيط الى آخره ويلف يده في كمّه ويخرج ، فان الخيط يلف على يد الذي سرق .

وكان قد سوّد الخيط بسخام ، فدخلوا ، فكلهم جرّ يده على الخيط في الظلمة الا واحدا منهم ، فلما خرجوا نظر الى أيديهم مسودّة الا وحدا فألزمه بالمال ، فأقرّ به .

مبلغ النساء

وقال رجل لابن أسيد القاضي : إنّ أمّي تريد أن توصي فتحضر وتكتب ، فقال : وهل بلغت مبلغ النّساء؟

نسي التحية

دخل زاهر بن العلاء على الحجاج فنسي التسليم ، فقال : التحيات لله الطيبات الصلوات لله . ثم ذكر التسليم فقال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته .

ابن الفضل وبعض قرابته:

نازع محمد بن الفضل[١] بعض قرابته في ميراث ، فقال له : يا بن الزنديق! قال له : إن كان أبي كما تقول وأنا مثله ، فلا يحل لك أن تنازعني في هذا الميراث ؛ إذ كان لا يرث دين دينا .

(١) أبو عبد الله محمد بن الفضل بن عباس بن حفص البلخي ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري أصله من بلخ وسكن سمرقند وبها توفي .

معن بن زائدة

كان معن بن زائدة[١] ظنينا في دينه ، فبعث إلى ابن عياش المنتوف بألف دينار وكتب إليه : قد بعثنا إليك بألف دينار ، اشتريت بها منك دينك ؛ فاقبض المال واكتب إليّ بالتسليم . فكتب إليه : قد قبضت المال وبعتك به ديني خلا التوحيد لما علمت من زهدك فيه!

حية تسعى

كان الإمام يقرأ في سورة طه ﴿فإذا هي حية تسعى﴾ .

ثم تلعثم وبدأ يتأتئ فقد رأى أمامه حية حقيقية تسعى . وخاف منها ، فأُغلق عليه . . . ففتح عليه مَن وراءه ﴿قال خذها ولا تخف .﴾

فردّ الإمام : تعال خذها أنت . . . وولّى هارباً .

الضحاك بن مزاحم[٢] ونصراني

كان نصراني يختلف إلى الضحاك بن مزاحم ، فقال له يوما :

لم لا تسلم؟

---

(١) معن بن زائدة معن بن زائدة أمير العرب أبو الوليد الشيباني ، من أكرم وأجود الناس . كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة ، فلما تملك آل العباس جَدَّ المنصورُ في طلبه ، وجعل لمن يحمله إليه مالاً . فاضطرر لشدّة الطلب إلى أن تعرّض للشمس حتى لوحت وجهه ، وخَفَّفت عارضه ، ولبس جبّة صوف ، وركب جملاً ، وخرج متوجهًا إلى البادية ليقيم بها ، فاختفى معن مدة ، والطلب عليه حثيث ، فلما كان يوم خروج الريوندية والخراسانية على المنصور ، وحمي القتال ، وحار المنصور في أمره ، ظهر معن ، وقاتل الريوندية فكان النصر على يده ، وهو مقنع في الحديد ، فقال المنصور : ويحك ، من تكون ؟ فكشف لثامه ، وقال : أنا طلبتك معن . فسر به ، وقدمه وعظمه ، ثم ولاه اليمن وغيرها . ولمعن أخبار في السخاء ، وفي البأس والشجاعة ، وله نظم جيد .

(٢) الضحاك بن مزاحم اسمه الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم ، ويقال أبو محمد ، الخراساني ، كنيته أبو القاسم ، ويُقال : أبو محمد وقيل : الهلالي الخراساني يعتبر الضحاك بن مزاحم من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر صدوق كثير الإرسال ، وعند الإمام شمس الدين الذهبي وثقه أحمد وابن معين ، وقال شعبة : كان عندنا ضعيفا ,توفي في بعد ١٠٠ هـ .

قال : لأني أحب الخمر ولا أصبر عليها .
قال : فأسلم واشربها .
فأسلم ، فقال له الضحاك :
إنك قد أسلمت الآن ، فإن شربت حددناك ، وان رجعت عن الاسلام قتلناك .

القرد والرقية

قال الجاحظ[١] : كان رجل يرقي الضرس يسخر بالناس ليأخذ منهم شيئا ، وكان يقول للذي يرقيه :
إيّاك أن يخطر على قلبك الليلة ذكر القرد .
فيبيت وجعا فيبكّر إليه ، فيقول : لعلك ذكرت القرد؟
فيقول نعم .
فيقول : ثم لم تنفع الرقيّة .

القاضي شريح[٢]

خطب رجل الى قوم ، فقالوا : ما تعالج؟
قال : أبيع الدواب .
فزوّجوه ، ثم سألوا عنه ، فاذا هو يبيع السنانير ، فخاصموه إلى شريح فقال : السنانير دواب .
وأنفذ تزويجه .

أحيل من الثعلب

مجالد بن سعيد[٣] قال : قلت للشعبي : يقال في المثل : أن شريحا أدهى من الثعلب وأحيل ، فما هذا؟

---

(١) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها .

(٢) القاضي المسلم الفقيه المحدث الشاعر شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي ، كان قاضي الكوفة لستين سنة ، قال فيه علي بن أبي طالب «هو أقضى العرب» . عاش مائة وثمان سنين وتوفي سنة ٧٨ هجرية – وقيل ثمانين – وترك القضاء قبل موته بسنة واحدة أو شهر .

(٣) ابن عمير بن بسطام ، ويقال : ابن ذي مران بن شرحبيل ، العلامة المحدث أبو عمرو . ويقال : أبو عمير . ويقال : أبو سعيد الكوفي ، الهمداني . والد إسماعيل بن مجالد حدث عن الشعبي ، =

فقال لي في ذلك : أن شريحا خرج أيام الطاعون إلى النجف ، وكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقف تجاهه ، فيحاكيه ويخيل بين يديه ، فيشغله عن صلاته ، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه ، فجعله على قصبة ، وأخرج كمّيه وجعل قلنسوته وعمامته عليه ، فأقبل الثعلب ، فوقف على عادته ، فأتى شريح من خلفه ، فأخذه بغتة ، فلذلك يقال : هو أدهى من الثعلب وأحيل .

ناقة شريح

عن شيخ من قريش ، قال : عرض شريحٌ ناقةً لبيعها ، فقال له المشتري : يا أبا أميّة }كيف لبنها؟ قال : احلب في أيّ إناءٍ شئت ؛ قال : كيف الوطاء؟ قال : افرش ونم ؛ قال : فكيف نجاؤها؟ قال : إذا رأيتها في الإبلٍ عرفت مكانها؟ قال : كيف قوتها؟ قال : احمل على الحائط ما شئت . فاشتراها ، فلم ير شيئاً مما وصفها به ، فرجع إليه ، فقال : لم أر شيئاً مما وصفتها به {قال : ما كذبتك ؛ قال : أقلني ؛ قال : نعمٌ .

الأشعث وشريح

قال الأشعث بن قيس[1] لشريح القاضي : لشدّ ما ارتفعت! قال : فهل رأيت ذلك ضرك؟ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها على غيرك .

أمر ونهي

وقيل أن شريحا خرج من عند زياد وهو مريض ، فأرسل إليه مسروق بن الأجدع

= وأبي الوداك جبر بن نوف ، وقيس بن أبي حازم ، ومرة الهمداني ، وزياد بن علاقة ، ومحمد بن بشر ، ووبرة بن عبد الرحمن . هؤلاء السبعة هم المذكورون له في «التهذيب» ولد في أيام جماعة من الصحابة ولكن لا شيء له عنهم . ويدرج في عداد صغار التابعين . وفي حديثه لين .

(١) معد يكرب بن قيس (٥٩٩م – ٦٦١م) صحابي من صحابة النبي محمد ممن أسلم عام الوفود غلب عليه لقب الأشعث فبه عرف في كتب الإخباريين . كان أحد ملوك كندة حتى الإسلام فهو من بني جبلة بن عدي أحد بيوت بني الحارث الأصغر من بني معاوية من كندة ولم تتفق كندة عليه ولا على جده ملكا بعد وفاة إمرؤ القيس بن حجر آخر ملوك كندة ، ارتد الأشعث وتبعته أقوام من بني معاوية وقيل امتنع عن الزكاة .

رسولا يسأله : كيف وجدت الأمير؟
قال : تركته يأمر وينهي .
فقيل له : إنه يعرّض .
فأعاد عليه السؤال فقال : يأمر بالوصيّة وينهى عن النياحة .

في مجلس القضاء

وأتى عديّ بن أرطأة[١] شريحا وهو في مجلس القضاء ، فقال لشريح : أين أنت؟
قال : بينك وبين الحائط .
قال : اسمع مني .
قال : لهذا جلست مجلسي .
قال : إني رجل من أهل الشام .
قال : الحبيب القريب .
قال : وتزوّجت امرأة من قومي .
قال : بارك الله لك ، بالرفاه والبنين .
قال : وشرطت لأهلها ألا أخرجها .
قال : الشرط أملك .
قال : وأريد الخروج .
قال : في حفظ الله .
قال : اقض بيننا .
قال : قد فعلت .

إياس بن معاوية

أتى إياس بن معاوية[٢] حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق ، فاستولى على

(١) أبو واثلة عدي بن أرطاة الفزاري الدمشقي تابعي ومحدث من رواة الحديث ويعد من الثقات من أهل دمشق وكان مِن العُقلاء الشُجعان .

(٢) وُلِد إياسُ بن معاوية بن قُرَّةَ المزني سنة ٤٦ للهجرة في منطقة اليمامة في نجد ، وانتقل مع أسرته إلى البصرة ، وبها نشأ وتعلَّم ، وتردَّد على دمشق في يفاعته ، وأخذ عمن أدركهم من بقايا الصحابة الكرام وجِلَّة التابعين .

المجلس ، ورأوه أحمر دميما باذّ الهيئة ، قشفا ، فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا له : الذنب مقسوم بيننا وبينك ، أتيتنا في زيّ مسكين ، تكلمنا بكلام الملوك .

وقال قائل لإياس : لم تعجل بالقضاء؟ فقال إياس : كم لكفك من أصبع؟ قال : خمس . قال : عجلت . قال : لم يعجل من قال بعد ما قتل الشيء علما ويقينا . قال إياس : فهذا هو جوابي لك .

وكتب عمر بن عبد العزيز[1] رحمه الله ، إلى عديّ بن أرطأة : إنّ قبلك رجلين من مزينة ، فولّ أحدهما قضاء البصرة . يعني بكر بن عبد الله المزني وإياس بن معاوية . فقال بكر : والله ما أحسن القضاء ، فإن كنت صادقا فما يحل لك أن توليني ، وإن كنت كاذبا إنها لأحراهما .

فطنة إياس منذ صغره

دخل إياس بن معاوية الشام وهو غلام ، فتقدّم خصما له ، وكان الخصم شيخا كبيرا ، إلى بعض قضاة عبد الملك بن مروان ، فقال له القاضي : أتقدم شيخا كبيرا؟

قال : الحق أكبر منه . قال : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتي . قال : لا أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : لا إله إلا الله ، (أحقا أم باطلا؟) . فقام القاضي فدخل على عبد الملك من ساعته ، فخبره بالخبر ، فقال عبد الملك :

اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام ، لا يفسد عليّ الناس

توليه القضاء

وذكر الأصمعي[2] أن عمر بن هبيرة لما أراد تولية إياس بن معاوية على القضاء قال : إني لا أصلح له . قال : وكيف ذلك؟ قال : لأنني عييّ ، ولأني حديد . قال ابن هبيرة : أما الحدة فإن السوط يقوّمك ، وأما الدمامة فإني لا أريد أن أحاسن بك أحدا ، وأما العيّ فقد عبرت عما تريد .

---

(١) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، هو ثامن الخلفاء الأمويين . ولد سنة ٦١هـ في المدينة المنورة ، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب ، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة ، وكان شديد الإقبال على طلب العلم .

(٢) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان .

فراسة إياس

دخل على ايّاس بن معاوية ثلاثة نسوة ، فقال : أما واحدة فمرضع ، والأخرى بكر ، والثالثة ثيّب .

فقيل : بم علمت؟

قال : أما المرضع فإنها لما قعدت أمسكت ثديها بيدها ، وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد ، وأما الثيّب فلما دخلت رمقت بعينها يمينا وشمالا .

واستودع رجلا من أمناء إياس مالا ، وكان أمينا لا بأس به ، وخرج المستودع الى مكّة ، فلما رجع طلبه فجحده ، فأتى إياسا فأخبره .

فقال له إياس : أعلم أنك أتيتني؟

قال : لا .

قال : فنازعته عند أحد؟

قال : لا . لم يعلم أحد بهذا .

قال : فانصرف واكتم أمرك ، ثم عد اليّ بعد يومين .

فمضى الرجل ، فدعا اياس أمينه على ذلك ، فقال : قد حضر مال كثير أريد أن أسلمه إليك ، أفحصين منزلك؟

قال : نعم .

قال : فأعد موضعا للمال وقوما يحملونه .

وعاد الرجل إلى إياس ، فقال له : انطلق إلى صاحبك ، فاطلب المال ، فان أعطاك فذاك ، وان جحدك فقل له : إني أخبر القاضي .

فأتى الرجل صاحبه فقال : مالي ، والا أتيت القاضي وشكوت إليه ، وأخبرته ما جرى ، فدفع اليه ماله ، فرجع الرجل إلى إياس فقال : قد أعطاني المال .

وجاء الأمين إلى إياس فزبره وانتهره ، وقال : لا تقربني يا خائن .

وذكر الجاحظ أن إياس بن معاوية نظر إلى صدع في أرض فقال : تحت هذا دابة .

فنظروا فإذا هي حية ، فقيل له : من أين علمت؟

قال : رأيت ما بين الآجرتين نديا من بين جميع تلك الرحبة ، فعلمت أن تحتها شيئا يتنفس .

قال الجاحظ : وحج إياس فسمع نباح كلب ، فقال : هذا كلب مشدود ، ثم سمع نباحه ، فقال : قد أرسل .

فانتهوا إلى القوم ، فسألوهم فكان كما قال ، فقيل له : من أين علمت؟

قال : كان نباحه وهو ممسك يسمع من مكان واحد ، ثم سمعته يقرب مرة ويبعد أخرى .

ومرّ اياس ليلة بماء فقال : أسمع صوت كلب غريب .

فقيل له : كيف عرفته؟

قال : بخضوع صوته وشدّو نباح الآخرين .

فسألوا ، فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه .

قاضي واسط والشاهد الخائن

تقلّد القضاء في واسط رجل ثقة كثير الحديث ، فجاء رجل فاستودع بعض الشهود كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف دينار ، فلما حصل الكيس عند الشاهد وطالت غيبة الرجل قدّر أنه قد هلك ، فهمّ بإنفاق المال ، ثم دبّر وفتق الكيس من أسفله ، وأخذ الدنانير ، وجعل مكانها دراهم ، وأعاد الخياطة كما كانت .

وقدّر أن الرجل وافى وطلب الشاهد بوديعته ، فأعطاه الكيس بختمه ، فلما حصل في منزله فضّ ختمه فصادف في الكيس دراهم ، فرجع إلى الشاهد ، فقال له : عافاك الله ، اردد عليّ مالي فاني استودعتك دنانير والذي وجدت دراهم مكانها .

فأنكره ذلك ، فاستدعى عليه القاضي المقدّم ذكره ، فأمر بإحضار الشاهد مع خصمه ، فلما حضرا سأل الحاكم : منذ كم أودعته هذا الكيس؟

قال : منذ خمسة عشر سنة .

فأخذ القاضي الدراهم وقرأ سككها ، فإذا هي دراهم منها ما ضرب منذ سنتين وثلاث ونحوها ، فأمره أن يدفع الدنانير إليه ، فدفعها إليه وأسقطه وقال له : يا خائن .

ونادى مناديه : ألا إن فلان بن فلان القاضي قد أسقط فلان بن فلان الشاهد ، فاعلموا ذلك ولا يغترنّ به أحد بعد اليوم .

فباع الشاهد أملاكه في واسط وخرج عنها هاربا ، فلم يعلم له خبر ولا أحس منه أثر .

إقرار مباغت

اختصم إلى قاضي القضاة الشاميّ يوما رجلان وهو بجامع المنصور ، فقال أحدهما : إني أسلمت الى هذا عشرة دنانير .

فقال للآخر : ما تقول؟

قال : ما أسلم اليّ شيئا .

فقال للطالب : هل لك بيّنة؟

قال : لا .

قال : ولا سلمتها إليه بعين أحد؟

قال : لا ، لم يكن هناك غلا الله عز وجل .

قال : فأين سلّمتها اليه؟

قال : بمسجد بالكرخ .

فقال للمطلوب : أتحلف؟

قال : نعم .

قال للطالب : قم إلى ذلك المسجد الذي سلمتها إليه واتني بورقة من مصحف لأحلّفه بها .

فمضى الرجل واعتقل القاضي الغريم ، فلما مضت ساعة التفت القاضي إليه فقال : أتظن أنه بلغ ذلك المسجد؟

فقال : لا ما بلغ اليه .

فكان هذا كالإقرار ، فأمره بالذهب فأقرّ به .

الرشيد وجارية جعفر

ويحكى أن جعفراً البرمكي نادم الرشيد ليلة ، فقال : يا جعفر بلغني أنك اشتريت الجارية الفلانية ، ولي مدة أطلبها ، فإنها بديعة الجمال ، ولي شوق زائد إليها فبعنيها .

قال : ليس علي فيها بيع .

قال : هبنيها .

قال : ولا أهبها .

فقال الرشيد : زبيدة طالق مني ثلاثاً إن لم تبعنيها أو تهبنيها .

وقال جعفر : زوجتي طالق مني ثلاثاً إن بعتها أو وهبتها .

ثم أفاقا من نشوتهما وعلما أنهما وقعا في أمر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة فقال الرشيد : هذه واقعة ليس لها غير أبي يوسف ، فاطلبوه ، فكان قد انتصف الليل . فلما طلب قام فزعاً وقال : ما طلبت في هذا الوقت إلا لأمر حدث في الإسلام .

ثم خرج مسرعاً وركب بغلته وقال لغلامه : اصحب معك المخلاة ، واجعل فيها بعض شعير ، فإذا دخلنا دار الخلافة ودخلت فضع بين يدي الدابة شيئاً منه تشتغل به إلى حين خروجي ، فإنها لم تستوف علفها في هذه الليلة .

فقال : سمعاً وطاعةً .

فلما دخل على الرشيد قام له وأجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره ، وقال له : ما طلبناك إلا لأمر مهم ، وهو كذا وكذا ، وقد عجزنا عن تدبير الحيلة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا من أسهل ما يكون . يا جعفر! بع أمير المؤمنين نصفها وهبه نصفها تبرأ من يمينكما .

فسر بذلك أمير المؤمنين وفعلا ، فقال الرشيد : أحضر الجارية في هذا الوقت فإني شديد الشوق إليها .

فأحضرت ، فقال القاضي أبي يوسف : أريد وطأها في هذا الوقت ، ولا أطيق الصبر إلى مضي مدة الاستبراء ، انظر لي الحيلة في ذلك؟ فقال أبو يوسف : ائتوني بمملوك من مماليك أمير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق .

فأحضر مملوك ، فقال أبو يوسف : يا أمير المؤمنين ، إئذن لي أن أزوجها منه ، ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطؤها في الحال من غير استبراء .

فأعجب الرشيد ذلك أكثر من الأول ، فقال : أذنت لك .

فأوجب القاضي النكاح ، ثم قبله المملوك ، فقال له القاضي طلقها .

فقال له : هذه صارت لي زوجة وأنا لا أطلقها .

فردد عليه القول فأبى وضاق صدر الخليفة لذلك ، وقال : قد اشتد الأمر أعظم مما كان .

فقال القاضي أبو يوسف : يا أمير المؤمنين رغبه بالمال .

فقال : طلقها ولك مائة دينار .

قال : لا أفعل .

قال : مائتا دينار .

قال : لا أفعل .

إلى أن عرضوا عليه ألف دينار وهو يمتنع ، وقال القاضي : الطلاق بيدي أم بيد أمير المؤمنين أم بيدك؟ قال : بل بيدك أنت .

قال : والله لا أفعل أبداً .

فاشتد غضب أمير المؤمنين ، فقال القاضي : يا أمير المؤمنين لا تجزع فإن الأمر هين اعتق الجارية ، ثم ملك هذا العبد للجارية؟ قال : أعتقتها وملكته لها .

فقال لها القاضي : قولي قبلت؟ فقالت : قبلت .

فقال القاضي : حكمت بالتفريق بينكما لأنه دخل في ملكها فانفسخ النكاح .

فقام أمير المؤمنين على قدميه ، وقال : مثلك من يكون قاضياً في زماني . وستدعى بأطباق الذهب فأفرغت بين يديه ، وقال للقاضي : هل معك شيء توعيه؟ فتذكر مخلاة البغلة . فاستدعى بها ، فملئت له ذهباً ، فأخذها وانصرف . فلما أصبح قال لخلانه : انظروا إلى من علم العلم فليتعلمه كذلك ، فإني أعطيت هذا المال العظيم في مسألتين أو ثلاث .

يحي بن أكثم(١)

ولي يحيى بن أكثم قضاة البصرة وسنّه عشرون أو نحوها ، فقال له أحدهم : كم سنّ القاضي؟

فعلم أنه قد استصغره فقال له : أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجّه به النبي صلى الله عليه وسلّم قاضيا على أهل مكّة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجّه به النبي صلى الله عليه وسلّم قاضيا على أهل اليمن ، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجّه به عمر بن الخطّاب قاضيا على أهل البصرة .

وصية قاضي مكة

كان المطلب بن محمّد الحنظي على قضاء مكّة ، وكان عنده امرأة قد مات عنها أربعة أزواج .

---

(١) يحيى بن أكثم بن مُحمّد التميمي ، عالِم وإمام وفقيه وراوٍ للحديث النبوي وقاضي قضاة أهل البصرة ويُعدّ من تبع التابعين .

فمرض مرض الموت ، فجلست عند رأسه تبكي ، وقالت : إلى من توصي بي؟

قال : إلى السادس الشقي .

احلف للشيطان أنك لم تطلقها

جاء رجل إلى أبي خازم[1] فقال له : إن الشيطان يأتيني فيقول : إنّك قد طلّقت زوجتك ، فيشكّكني .

فقال له : أوليس قد طلّقتها؟

قال : لا .

قال : ألم تأتني أمس فطلّقتها عندي؟

فقال : والله ما جئتك إلا اليوم ولا طلّقتها بوجه من الوجوه .

قال : فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية .

العقد المفقود والجارية

كان عند الرشيد جارية من جواريه وبحضرته عقد جوهر ، فأخذ يقلّبه ففقده فاتهمها ، فسألها عن ذلك ، فأنكرت . فحلف بالطلاق والعتاق والحج لتصدقنه ، فأقامت على الانكار وهو متهم لها .

وخاف أن يكون قد حنث في يمينه ، فاستدعى أبا يوسف وقصّ عليه القصة ، فقال أبو يوسف :

تخليني مع الجارية وخادم معنا حتى أخرجك من يمينك .

ففعل ذلك . فقال لها أبو يوسف :

إذا سألك أمير المؤمنين عن العقد فأنكريه ، فاذا أعاد عليك السؤال فقولي : «قد أخذته» ، فاذا أعاد عليك الثالثة فأنكري ، وخرج ، وقال للخادم : لا تقل لأمير المؤمنين ما جرى .

ثم قال للرشيد : سلها يا أمير المؤمنين ثلاث دفعات متواليات عن العقد ، فإنها تصدقك .

---

(١) القاضي أبو خازم الفقيه ، العلامة ، قاضي القضاة أبو خازم ، عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني البصري ، ثم البغدادي الحنفي .

فدخل الرشيد فسألها ، فأنكرت أول مرّة ، وسألها الثانية ، فقالت : «نعم قد أخذته» ، فقال : «أي شيء تقولين؟» ، فقالت : «والله ما أخذته ولكن هكذا قال لي أبو يوسف» .

فخرج إليه فقال : ما هذا؟

قال : يا أمير المؤمنين ، قد خرجت عن يمينك لأنها أخبرتك قد أخذته ، وأخبرتك أنها لم تأخذه ، فلا يخلو أن تكون صادقة في أحد القولين ، وقد خرجت أنت من يمينك .

فسرّ ووصل أبا يوسف ، فلما كان بعد مدة وجد العقد .

فطنة الشافعي[1]

وروي أن المتوكّل قال : رأيت الشافعي وقد جاءه رجل يسأله عن مسألة ، فقال : من أهل صنعاء أنت؟ قال : نعم . قال : فلعلك حداد؟ قال : نعم .

حدثنا حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي وقد سأله رجل فقال : حلفت بالطلاق ان أكلت هذه الثمرة أو رميت بها . قال : تأكل نصفها وترمي نصفها .

القاضي أبو الحسين

حدّث القاضي أبو الحسين بن عتبة قال : كانت لي ابنة عم موسرة تزوّجتها ، فلم أوثرها لشيء من جمالها ، ولكني كنت أستعين بمالها وأتزوّج سرّا ، فاذا فطنت بذلك هجرتني وطرحتني وضيّقت عليّ الى أن أطلّق من تزوجتها ، ثم تعود اليّ .

فطال ذلك علي ، وتزوجت صبيّة حسناء موافقة لطباعي مساعدة على اختياري ، فمكثت معي مدة يسيرة ، وسعي بها الى ابنة عمي ، فأخذت في المناكدة والتضييق عليّ ، فلم يسهل عليّ فراق تلك الصبيّة فقلت لها :

استعيري من كل جارة قطعة من أفخر ثيابها ، حتى يتكامل لك خلعة تامّة الجمال ، وتبخري بالعنبر ، واذهبي الى ابنة عمي فابكي بين يديها ، وأكثري من

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلِبيّ القرشيّ هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي ، ومؤسس علم أصول الفقه ، وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث ، وقد عمل قاضياً فعُرف بالعدل والذكاء .

الدعاء لها والتضرّع اليها إلى أن تضجريها ، فاذا سألتك عن حالك ، فقولي لها : «إن ابن عمي قد تزوّجني ، وفي كل وقت يتزوّج عليّ واحدة ، وينفق مالي عليها ، وأريد أن تسألي القاضي معونتي وانصافي منه» ، فإنها سترفعك اليّ .

ففعلت ، فلما دخلت عليها واتصل بكاؤها رحمتها ، وقالت لها : فالقاضي شرّ من زوجك ، وهكذا يفعل بي .

وقامت فدخلت عليّ ، وأنا في مجلس لي ، وهي غضبى ويد الصبيّة في يدها ، فقالت :

هذه المشؤومة حالها مثل حالي ، فاسمع مقالها واعتمد انصافهـــا .

فقلت : ادخلا .

فدخلتا جميعا ، فقلت لها : ما شأنك؟

فذكرت ما وافقتها عليه ، فقلت لها : هل اعترف ابن عمّك بأنه قد تزوّج عليك؟

فقالت : لا ، والله ، وكيف يعترف بما يعلم لا أني لا أقاره عليه؟

قلت : فشاهدت أنت هذه المرأة ووقفت على مكانها وصورتها؟

فقالت : لا والله .

فقلت : يا هذه اتقي الله ولا تقبلي شيئا سمعته ، فإن الحسّاد كثير والطلاب كثير لإفساد النساء كثير والحيل والتكذيب ، فهذه زوجتي قد ذكر لها أني قد تزوجت عليها ، وكل زوجة لي وراء هذا الباب طالق ثلاثا .

فقامت ابنة عمي فقبّلت رأسي وقالت : قد علمت أنه مكذوب عليك أيها القاضي .

ولم يلزمني حنث لاجتماعها بحضرتي .

الفقيه الخطاط

قال أبو بكر الخطاط : كان رجل فقيه خطه في غاية الرداءة ، فكان الفقهاء يعيبونه بخطه ، ويقولون : لا يكون خط أردأ من خطّك .

فيضجر من عيبهم إياه ، فمرّ! يوما بمجلّد يباع فيه خط أردأ من خطه ، فبالغ في ثمنه ، فاشتراه بدينار وقيراط ، وجاء به ليحتج عليهم إذا قرأوه .

فلما حضر معهم أخذوا يذكرون قبح خطه ، فقال لهم : قد وجدت أقبح من خطي وبالغت في ثمنه ، حتى أتخلّص من عيبكم .

فأخرجه فتصفحوه ، وإذا في آخره اسمه وأنه كتبه في شبابه ، فخجل من ذلك .

قرعة العقوبات

حكى أبو الخير الخياط عن بعض أصحابه قال : دخلت (تاهرت) فإذا فيها قاضٍ من أهلها ، وقد أتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنة

فأحضر الفقهاء فقال : إن هذا الرجل جنى جناية وليس لها في كتاب الله حكم معروف فما ترون؟

فقالوا بأجمعهم : الأمر لك

قال : فإني رأيت أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات ، ثم أفتحه فما خرج من شيء عملت به

فقالوا له : وفقت ، ففعل بالمصحف ما ذكره

ثم فتح المصحف فخرج قوله تعالى : ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ فقطع أنف الرجل وخلى سبيله .

فراسة المنصور

ذكر عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجول في الطرقات فأرسل من أتاه به ، فسأله عن حاله فأخبره الرجل أنه خرج في تجارة فاستفاد مالاً وأنه رجع بالمال إلى منزله فدفعه إلى أهله ، فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها ولم تر نقباً ولا تسليقاً فقال له المنصور منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال أفبكراً تزوجتها قال لا قال فلها ولد من سواك قال لا فشابة هي أم مسنة قال بل حديثة ، فدعا له المنصور بقارورة طيب حاد الرائحة غريب النوع فدفعها إليه وقال له تطيب من هذا الطيب فإنه يذهب همك

فلما خرج الرجل من عند المنصور قال المنصور لأربعة من ثقاته ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم فمن مر بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب وأشمهم منه فليأتني به ، وخرج الرجل بالطيب فدفعه إلى امرأته وقال لها وهبه لي أمير المؤمنين ، فلما شمته بعثت إلى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت المال إليه فقالت له : تطيب من هذا الطيب فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي

فتطيب منه الرجل ومن مجتاز ببعض أبواب المدينة فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه فأخذه فأتى به إلى المنصور

فقال له المنصور من أين استفدت هذا الطيب فإن رائحته غريبة قال اشتريته قال أخبرنا ممن اشتريته فتلجلج الرجل وخلط كلامه فدعا المنصور صاحب شرطته فقال له خذ هذا الرجل إليك فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخله يذهب حيث شاء وأن امتنع فاضربه ألف سوط فامتنع الرجل عن احضار المال فسجنه صاحب الشرطة فأذعن برد الدنانير وأحضرها بهيئتها ، فاعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير فقال له رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها أتحكمني في امرأتك قال نعم قال فهذه دنانيرك وقد طلقت المرأة عليك وخبره خبرها

فراسة عضد الدولة[1]

قدم أحد التجار من خراسان ليحج فتأهب للحج وبقي معه من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها ، فقال إن حملتها خاطرت بها وأن أودعتها خفت جحد المودع

فمضى إلى الصحراء فرأى (شجرة خروع) فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد ، ثم خرج إلى الحج وعاد فحفر المكان فلم يجد شيئاً ، فجعل يبكي ويلطم وجهه ، فإذا سُئل عن حاله قال الأرض سرقت مالي ، فلما كثر ذلك منه قيل له لو قصدت عضد الدولة ، فإن له فطنه

فقال : أو يعلم الغيب؟ فقيل له : لا بأس بقصده

فذهب إلى عضد الدولة ، وأخبره بقصته ، فجمع الأطباء وقال لهم هل داويتم في هذه السنة أحداً بعروق الخروع؟ فقال أحدهم : أنا داويت فلاناً

فقال علي به فجاء ، فقال له هل تداويت في هذه السنة بعروق الخروع؟

قال نعم ، قال من جاءك به؟ قال فلان الفراش قال علي به

فلما جاء قال من أين أخذت عروق الخروع؟

فقال من المكان الفلاني ، فقال اذهب بهذا معك فأره المكان الذي أخذت منه ، فذهب معه صاحب المال إلى تلك الشجرة وقال من هذه الشجرة أخذت فقال الرجل

---

(١) عضد الدولة بن بويه (٩٣٦-٩٨٣) كان ملكا على بلاد شيراز وما حولها من الأطراف ولد بأصفهان ، فتح قرمان وعمان ، هزم الترك في واسط ، وظفر بالعراق بعد استيلائه على بغداد سنة ٩٥٥م ، غزا جرجان وطبرستان ، عرف برعايته للعلماء واحسانه على الفقراء ، وفد عليه كثير من الشعراء منهم ابن بابك وأبو الطيب المتنبي . كان عضد الدولة ملكا فطنا وذا تدبير .

ههنا والله تركت مالي فرجع إلى عضد الدولة فأخبره فقال للفراش هلم بالمال ، فتلكأ فأوعده فأحضر المال

شكوى مبهمة

حدثنا الشعبي قال : جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت : أشكو اليك خير أهل الدنيا الا رجل سبقه بعمل أو عمل مثل عمله : يقوم الليل حتى يصبح ، ويصوم النهار حتى يمسي .

ثم أخذها الحياء فقالت : أقلني يا أمير المؤمنين .

فقال : جزاك الله خيرا فقد أحسنت الثناء ، قد أقلتك .

فلما ولّت قال كعب بن سور : يا أمير المؤمنين : قد أبلغت اليك في الشكوى .

فقال : ما اشتكت؟

قال : زوجها .

قال : عليّ بالمرأة وزوجها .

فجيء بهما ، فقال لكعب : اقض بينهما .

قال : أأقضي وأنت شاهد؟

قال : أنك قد فطنت لما لم أفطن اليه .

قال : فإن الله يقول : ﴿انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ ، صم ثلاثة أيام وأفطر عندها يوما ، وقم ثلاث ليال وبت عندها ليلة .

فقال عمر : لهذا أعجب اليّ من الأوّل ، فرحّله بدابة وبعثه قاضيا لأهل البصرة .

فراسة ابن النسوي(١)

وجيء إلى ابن النسوي برجلين قد اتهما بالسرقة فأقامهما بين يديه ، ثم قال : شربة ماء ، فجاء بها ، فأخذ يشرب ثم ألقاها من يده عمدا فوقعت فانكسرت ،

(١) مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ النَّسَوِيّ ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري ، وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنّه : «من كبار مَشَايِخ نسا ، ومن أَعلَى الْمشَايِخ همّة ، لَهُ الكرامات الظَّاهِرَة» ، وكان محفوظ بن محمود يقول «مُحَمَّد بن عليان إِمَام أهل المعارف» ، من أهل «نسا» من قَرْيَة «بيسمة» قرب دمشق ، وهو من جلّة أَصْحَاب أبي عُثْمَان الحيري ، كَانَ يخرج =

فانزعج أحد الرجلين لانكسارها وثبت الآخر ، فقال للمنزعج : اذهب أنت ، وقال للآخر : ردّ ما أخذت .

فقيل له : من أين علمت؟

فقال : اللص قوي القلب لا ينزعج ، وهذا المنزعج بريء ، لأنه لو تحرّكت في البيت فأرة لأزعجته ومنعته من أن يسرق .

وقال أبو محمد عبد الله بن علي المقرئ : كان حاجب الباب ابن النسوي ذكياً ، فسمع في بعض ليالي الشتاء بصوت برّادة ، فأمر بكبس الدّار ، فأخرجوا رجلاً وامرأة ، فقيل له : من أين علمت؟ فقال : في الشتاء لا يبرّد الماء ، وإنّما هذه علامةٌ بين هذين .

سفيان الثوري[١] والمنصور

لقي الخليفة أبو جعفر المنصور سفيان الثوري وهو من تابعي الكوفة وحفاظها فقال له : ما يمنعك أن تأتينا يا أبا عبد الله؟

فقال : إن الله سبحانه نهانا عنكم حيث يقول : ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾

معرفة الله

قال رجل لجعفر الصادق[٢] :

= من نسا قَاصِداً إِلَى أبي عُثْمَان فِي مسَائِل واقعات فَلَا يَأْكُل وَلاَ يشرب فِي الطَّرِيق حَتَّى يأتي نيسابور فيسأله عَن تِلْكَ الْمسَائِل .

(١) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الربابي التميمي من بني تميم ، كان أحد أئمة الإسلام يقول عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء «هو شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب الجامع . قال شعبة وابن عيينة وأبو عاصم ويحيى بن معين وغيرهم : سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث . وقال علي بن الحسن بن شقيق عن عبد الله قال : ما أعلم على الأرض أعلم من سفيان . وقال بشر الحافي : كان الثوري عندنا إمام الناس . وعنه قال : سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما» .

(٢) أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، إمام من أئمة المسلمين وعالم جليل وعابد فاضل من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب وله مكانة جليلة عظيمة لدى جميع المسلمين .

ما الدليل على الله ، ولا تذكر لي العالم والعرض والجواهر؟
فقال له :
هل ركبت البحر؟
قال : نعم
قال : هل عصفت بكم الريح حتى خفتم الغرق؟
قال نعم .
قال : فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين؟
قال : نعم
قال : قال فهل أحست نفسك أن ثم من ينجيك؟
قال : نعم
قال : فإن ذاك هو الله!

مجادلة الجاهل حماقة

يقول الإمام الشافعي
لو أني جادلت ألف عالم لغلبتهم ولو أني جادلت جاهلا واحدا لغلبني .

دابة أم بستان

جاء رجل إلى أبي ضمضم يستعدي على رجل في دابة اشتراها منه ، وظهر بها عيب . فقال له أبو ضمضم : وما عيبها؟ قال : في أصل ذنبها مثل الرمانة ، وفي ظهرها مثل التفاحة ، وفي عجيزتها مثل الجوزة ، وفي بطنها مثل الموزة ، وفي حلقها مثل الأترجة . فقال له أبو ضمضم : مر عنا يا بارد ، هذه صفة بستان ليست بصفة دابة .

اكتب الإنكار

وقدم رجل آخر إلى القاضي في شيء يدعيه عليه فأنكر . فقال للقاضي : اكتب لي أصلحك الله إنكاره . قال : ذلك في يدك متى شئت .

إمام المسجد

قال الجاحظ : أخبرني أبو العنبس[١] قال : كان رجل طويل اللحية أحمق جارنا ، وكان أقام بمسجد المحلة يعمره ويؤذن فيه ويصلي ، وكان يعتمد السور الطوال ويصلي بها ، فصلى ليلة بهم العشاء فطول ، فضجوا منه ، وقالوا : اعتزل مسجدنا حتى نقيم غيرك فإنك تطول في صلاتك وخلفك الضعيف وذو الحاجة .

فقال : لا أطول بعد ذلك .

فتركوه .

فلما كان من الغد أقام وتقدم فكبر وقرأ الحمد .

ثم فكر طويلاً وصاح فيهم : إيش تقولون في عبس؟

فلم يكلمه أحد إلا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلاً ، فإنه قال : كيسة مر فيها .

حديث ابن النسوي

وذكر أن رجلا من جيران ابن النسوي كان يصلي بالناس دخل على ابن النسوي في شفاعة ، وبين يديه صحن فيه قطائف فقال له : كل ، فامتنع ، فقال : كأنني بك وأنت تقول : من أين لابن النسوي شيء حلال؟ ولكن كل ، فما أكلت قط أحلّ من هذا .

فقال بحكم المداعبة : من أين لك شيء لا يكون فيه شبهة؟

فقال : ان أخبرتك تأكل؟

قال : نعم .

فقال : كنت منذ ليال في مثل هذا الوقت ، فإذا الباب يدق ، فقالت الجارية : من؟ فقالت : امرأة تستأذن ، فأذنت لها ، فدخلت ، فأكبّت على قدمي تقبّلها ، فقلت : ما حاجتك؟ قالت : لي زوج ولي منه ابنتان لواحدة اثنا عشرة سنة والأخرى

---

(١) حجر بن العَنْبَس ، ويقال له : ابن قَيْس .

قال أبو عمر : شعبة كنى حُجْرًا هذا أبا العَنْبَس في حديث وائل بن حُجر ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في التأمين . وغير شعبة يقول : حجر أبو السّكن . ولم ير النبي صَلّى الله عليه وسلم ، ولكنه آمن به في حياته ، وشهد مع علي الجمل وصفين ، وروى عنه موسى بن قيس الحضرمي ،

أربع عشرة سنة ، وقد تزوّج عليّ وما يقربني والأولاد يطلبونه ، فيضيق صدري لأجلهم ، وأريد أن يجعل ليلة لي وليلة لتلك ، فقلت لها : ما صناعته؟ فقالت : خبّاز ، قلت : وأين دكّانه؟ قالت : بالكرخ . ويعرف بفلان بن فلان . فقلت : وأنت بنت من؟ فقالت : بنت فلانة ، قلت : فما اسم بناتك؟ قالت : فلانة وفلانة . . . قلت : أنا أردّه اليك ان شاء الله تعالى ، فقالت : هذه شقة قد غزلتها أنا وابنتاي ، وأنت في حل منها . قلت : خذي شقتك وانصرفي .

فمضت ، فبعثت اليه اثنين وقلت : أحضراه ولا تزعجاه . فأحضراه وقد طار عقله ، فقلت : لا بأس عليك انما استدعيتك لأعطيك كرا طعام وعمالته تقيمه خبزا للرحّالة .

فسكن روعه وقال : ما أريد لي عمالة .

قلت : بلى . صديق مخسر عدو مبين . أنت منّي واليّ . كيف هي زوجتك فلانة؟ تلك بنت عمّي ، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟

فقال : بكل خير .

قلت : الله الله ، لا أحتاج أن أوصيك لا تضيق صدرها .

فقبّل يدي ، فقلت : امض الى دكّانك وان كان لك حاجة فالموضوع بحكمك ، فانصرف .

فلما كان في هذه الليلة جاءت المرأة فدخلت وهذا الصحن معها ، وأقسمت عليّ ألا أردّها ، وقالت : قد جمعت شملي وشمل أولادي ، وهذا والله من ثمن غزلي ، فبالله لا ترده ، فقبلته . هل هو حلال؟

فقال : والله ما في الدنيا أحل من هذا .

فقال : كل ، فأكل .

لا رأي لحاقن

كان بعض العمّال واقفا على رأس أمير ، فأخذه البول . فخرج ، فلما جاء قال : أين كنت؟ قال : أصوب الرأي . يعني أنه لا رأي لحاقن .

اللص الفقيـه

حدّث بعض جلساء عبد الملك بن عبد العزيز[1] ، قال :

خرجتُ إلى بستان لي بالغابة . فلما دخلتُ في الصحراء وبعدت عن البيوت ، تعرّض لي رجل فقال :

اخلع ثيابك!

فقلت : وما يدعوني إلى خَلْع ثيابي؟

قال : أنا أَوْلى بها منك .

قلت : ومن أين؟

قال : لأني أخوك وأنا عُريان وأنت مكسوّ .

قلت : فأعطيك بعضها .

قال : كلاّ ، قد لبستها كلها وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها .

قلت : فتعرّيني وتُبدي عورتي؟

قال : لا بأس بذلك ، فقد رُوينا عن الإمام مالك أنه قال : لا بأس للرجل أن يغتسل عُريانًا .

قلت : فيلقاني الناس فيرون عورتي؟

قال : لو كان الناسُ يَرونك في هذه الطريق ما عرضتُ لك فيها .

قلت : أراك ظريفًا ، فدعني حتى أمضي إلى بستاني وأنزع هذه الثياب فأوجِّه بها إليك .

قال : كلا ، أردتَ أن توجِّه إليّ أربعة من عبيدك فيحملوني إلى السلطان فيحبسني ويمزّق جلدي .

قلت : كلا . أحلف لك أيمانًا أني أَفِي لك بما وعدتُك ولا أسوءُك .

قال : كلا ، فقد روينا عن الإمام مالك أنه قال : لا تلزمُ الأيمان التي يُحْلَفُ بها لِلّصوص .

قلت : فأحلف أني لا أحتل في أَيماني هذه .

---

(١) أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم . ويلقّب بابن جريج قال عبد الرزاق الصنعاني : «كان له كنيتان أبو الوليد وأبو خالد» ، أحد العلماء الفقهاء وقرّاء القرآن ورواة الحديث عند أهل السنة والجماعة . وهو من تابعي التابعين .

قال : هذه يمين مُرَكَّبة على أيمان اللصوص .
قلت : فدع المناظرة بيننا فوالله لأوجّهن إليك هذه الثياب طيّبة بها نفسي .
فأطرق ثم رفع رأسه وقال :
تدري فيم فكرتُ؟
قلت : لا .
قال : تصفّحتُ أمرَ اللصوص من عهد رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا فلم أجد لصًا أخذ نسيئة . وأنا أكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون عليّ وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها بعدي إلى يوم القيامة . اخلع ثيابك!
فخلعتُها ودفعتُها إليه ، فأخذها وانصرف .

الشيخ ابن عثيمين[1]
تجسس على الأحلام

يقول أحد أبناء الشيخ مرة كان يتكلم وهو نائم فاقتربت منه لأسمع كلامه ففتح عينيه فجأة وقال : تتجسس علي ثم ضحك .

أعطوني العصا

جاء أعرابي يسأل الشيخ رحمه الله في طلاق امرأته فأفتاه الشيخ ببينونتها منه وأنها لا تحل له بعد حتى تنكح زوجا غيره فما زال الأعرابي يراجعه والشيخ يعيد عليه حتى قال له الأعرابي بلهجته العامية : «تكفى يا شيخ علشاني» . فما زاد الشيخ عندها إلا أن قال لمن حوله : أعطوني العصا . ولم يكن الشيخ غاضبا وإنما أراد إفهام الأعرابي أن هذا الأمر لا تهاون فيه .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن العثيمين الوهيبي التميمي . ولد في ليلة ٢٧ رمضان عام ١٣٤٧ هـ ، في عنيزة إحدى مدن المملكة العربية السعودية . جده عثمان اشتهر بعثيمين فصارت الأسرة تنسب لهذا الجد ، وهو الجد الرابع .

ابن باز[1] يسوق تاكسي وهو أعمى!

كان في مكة ذات يوم راكبا تاكسي ويبدو أن المشوار كان طويلا ، فأراد سائق التاكسي أن يتعرف ولم يكن يعرف الشيخ فقال : لم نتعرف على الاسم الكريم يا شيخ ؟ فرد الشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين . فرد السائق : تشرفنا ، معك عبد العزيز بن باز ((السواق ظن أن الشيخ يمزح معه)) هنا ضحك الشيخ ، وقال له : ابن باز أعمى كيف يسوق تاكسي؟ فرد السائق : ابن عثيمين في نجد ما الذي جاء به هنا ، تمزح معي أنت؟ ثم ضحك الشيخ ، وأفهمه أنه بالفعل ابن عثيمين

حرص على طلب العلم

جاء رجل عامي يريد أن يحضر حلقة العلم الخاصة بالشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ثم قام بسؤال الشيخ عن طلاقه لزوجته؟ فأفتاه الشيخ بأن زوجته قد طلقت منه فتأثر الرجل وأخذ يرفع صوته وهو خارج من المسجد . فسمعه الشيخ واستدعاه وطيب خاطره وأعطاه مائة ريال . ثم أصبح الرجل يأتي كل يوم لمجلس الشيخ طمعا في مائة ريال أخرى وليس طلبا للعلم .

ماذا تفعل بعد الدعاء

سئل الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله عن العمل بعد الانتهاء من الدعاء؟ فقال الشيخ : ينزل يده!

إذا سجد المسجل اسجد

سئل ابن عثيمين رحمه الله : إذا كان القارئ يستمع إلى المسجّل فجاءت سجدة التلاوة فهل يسجد للتلاوة؟ فقال الشيخ : نعم إذا سجد المسجَّل .

يفترض ألا يصلي بالناس!

كان أحد كبار السن من أهل البادية يتواجد صدفة للصلاة في مسجد الشيخ

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز ، قاض وفقيه سعودي . شغل منصب مفتي عام المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٩٢ حتى وفاته .

ابن عثيمين دون أن يعرف أن الشيخ هو الإمام وعندما كان الشيخ في صلاة جهرية بمسجده نسي إحدى الآيات ، فذكّره بها أكثر من شخص خلفه وشوشوا بالمسجد . وعندما انتهى الشيخ من الصلاة نبههم إلى أن التذكير لا يكون بهذا الشكل الجماعي وأن واحدا يكفي عن البقية . وهنا نطق كبير السن بكل ثقة وقال : «إلا المفروض أن الشايب اللي مثلك ما يعرف يقرأ يصف ورى ويخلي الصلاة لأهلها» .

ابن باز وابن عثيمين

ومن طرائف الشيخ ابن عثيمين مع الشيخ ابن باز رحمهما الله أنه مرة سألهما شخص ، فقال : لقد اخترع لنا جهاز ينبّه على السهو أثناء الصلاة ، فلا يسهو المصلي إذا استعمله ، فما حكمه؟ فسكت الشيخ ابن باز وضحك الشيخ ابن عثيمين وقال : اسأله أهو يسبح أم يصفق ؟؟؟ ((وكان الشيخ يقصد أن التسبيح للرجال والتصفيق للنساء)) .

المرأة التي لا تعض

كان الشيخ ابن عثيمين يتكلم في درس عن عيوب النساء في أبواب النكاح ، فسأله سائل وقال له : إذا تزوجت ثم وجدت زوجتي ليس لها أسنان ، فهل هذا عيب يبيح لي طلب الفسخ؟ فضحك الشيخ وقال : هذه امرأة جيدة حتى لا تعضك .

درس عن الهرة

كان مرة في أحد دروسه في سطح الحرم ، فأتت هرة بين الصفوف والشيخ كان يُلقي الدرس ، فأوقف الشيخ الدرس ، وقال : ماذا تريد هذه الهرة؟ لعلها تريد ماء؟ اسقوها ماء . ثم قال بعد ذلك فائدة عن حكم سؤر الهرة ، ثم قال : هذه فائدة بمناسبة حضور الهرة !!!! فضحك الجميع .

عمامة الشوكاني [(١)]

كانت عمامة الإمام الشوكاني تسقط فيرفعها وكان بعض علماء الزيدية يقولون

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة وفقهائها ، ومن كبار علماء اليمن ولد بهجرة شوكان في اليمن ١١٧٣ هـ ونشأ بصنعاء ، وولي قضائها سنة ١٢٢٩ هـ ومات حاكمًا بها في سنة ١٢٥٠ هـ .

ببطلان صلاته . فقال : أيهما أثقل . العمامة أم أُمامة؟ (يقصد بنت الرسول - ﷺ - التي كان يحملها في صلاته) .

الشوكاني والمعتزلي

كان الإمام القاضي محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله- يُقرئ طلبته (صحيح البخاري) . . وكانت تمر به أحاديث الشفاعة التي فيها خروج أناسٌ من النار من بعد ما حشروا فيها . . وكان أحد الطلاب ممن يحضرون مجلسه معتزلي العقيدة . . والمعتزلة تنكر الشفاعة الثابتة من خروج بعض المسلمين من النار . . فكان هذا الطالب كلما مرت أحاديث الشفاعة حاول أن يشوش ويعترض ويناقش ويجادل . . فما كان من الشوكاني إلا أن قال له : عندما يأتوا لإخراجك من النار امتنع عن الخروج وقل لهم أنا معتزلي لن أخرج

إلى النار!

دخل أبو شهاب الصعلوكي على أبي الحسن القاضي في يوم بارد ، والنار تتوقد بين يديه ، فقال : أيها الفقيه ، إلى النار! فقال القاضي : أنت أولى بها صليا .

عين سعيد بن المسيب[(١)]

قال أبو عبد الله الأسناطي : لما نزل في عين سعيد بن المسيب الماء ، قيل له : اقدحها ، فقال : فعلى من أفتحها .

الموعد في المسجد

كان إبراهيم النّخعي إذا طلبه إنسانٌ لا يحبّ لقاءه ، خرجت الخادم فقالت : اطلبوه في المسجد .

(١) سعيد بن المسيب المخزومي القرشي ، تابعي من كبار التابعين وعالم اهل المدينة في زمانه ، كنيته أبو محمد ، ولد لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب .

أبو حازم والشيطان

دخل أبو حازم المسجد ، فوسوس له الشيطان أنّك قد أحدثت بعد وضوئك ؛ فقال : أو بلغ هذا من نصحك؟ !

أثقل من نصف حجر البزر

قال أحمد بن محمد ، عن يحيى القطان[١] : قال لي يزيد بن هارون[٢] : أنت أثقل عندي من نصف حجرٍ البزر ، قلت : لم لم تقل من الرّحى كله؟ فقال : إنّه إذا كان صحيحاً تدحرج ، فإذا كان نصفاً لم يرفع إلا بجهدٍ .

ابن شبرمة[٣]

قال عبد الله بن أحمد بن حربٍ : كلّم رجل عيسى بن موسى عند عبد الله بن شبرمة القاضي ، فقال عيسى : من يعرفك؟ قال : ابن شبرمة ، فقال : أتعرفه؟ قال : إني لأعلم أن له شرفاً وبيتاً وقدماً ؛ فلما خرج ابن شبرمة ، سئل عن ذلك ، فقال : أعلم أن له أذنين مشرفتين ، وأنّ له بيتاً يأوي إليه ، وقدماً يطأ عليها .

صلاة ما قبل الطعام

قال سفيان بن وكيع : سمعت سفيان بن عيينة[٤] يقول : دعانا سفيان الثّوري

(١) يحيى بن سعيد بن فروخ ، الإمام الكبير ، أمير المؤمنين في الحديث أبو سعيد التميمي مولاهم البصري ، الأحول ، القطان ، الحافظ . ولد في أول سنة عشرين ومائة .

(٢) يزيد بن هارون (١١٨ - ٢٠٦هـ = ٧٣٦- ٨٢١م) . هو يزيد بن هارون بن زاذان ، أبو خالد الواسطي . الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، الحافظ ، وهو من التابعين .

(٣) عبد الله بن شبرمة الإمام العلامة فقيه العراق أبو شبرمة قاضي الكوفة حدث عن أنس بن مالك وأبي الطفيل عامر بن واثلة وأبي وائل شقيق وعامر الشعبي وأبي سلمة بن عبد الرحمن وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وإبراهيم التيمي وإبراهيم النخعي وسالم بن عبد الله والحسن البصري ونافع وسالم بن أبي الجعد وعبد الله بن شداد بن الهاد وأبي زرعة وطائفة

(٤) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي إمام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع . وقد ولد في الكوفة سنة ١٠٧ هـ وتوفي ١٩٨ هـ . أجمع الناس على صحة حديثه وروايته .

يوماً ، فقدّم إلينا تمراً ولبناً خاثراً ، فلمّا توسّطنا الأكل ، قال : قوموا بنا نصلي ركعتين شكراً لله . قال سفيان بن وكيع : لو كان قدّم إليهم شيئاً من هذا اللوزينج المحدث ، لقال لهم : قوموا بنا نصلي تراويح .

حمار العالم

عن مطر الورّاق[١] ، قال : إذا سألت العالم عن مسالةٍ فحكّ رأسه ، فاعلم ، أنّ حماره قد بلغ القنطرة .

وعنه أيضاً أنّه قال : غضب عليّ أبي ، فأسلمني إلى الحاكة نصف يومٍ ، فأنا أعرف ذلك في عقلي .

أبو يموت والجماز

قال يموت : وكان أبي والجمّاز يمشيان ، وأنا خلفهما ، فمررنا بإمام وهو ينتظر من يمرّ عليه فيصلي معه ، فلمّا رآنا أقام الصلاة مبادراً ، فقال له الجمّاز : دع عنك هذا ، فإنّ رسول الله – ﷺ – نهى أن يتلقّى الجلب .

أنف عرفجة

قال أبو أحمد العسكري[٢] : حدثني شيخٌ من شيوخ بغداد ، قال : كان حيّان بن بشر[٣] قد ولي قضاء بغداد وقضاء أصبهان أيضاً ، وكان من جلّة أصحاب الحديثً ، فروى يوماً أنّ عرفجة قطع أنفه يوم الكلام [وكان مستمليه رجلاً يقال له : كجّة ، فقال : أيّها القاضي]إنّما هو يوم الكلاب ؛ فأمر بحبسه ، فدخل إليه الناس ،

(١) الإمام الزاهد الصادق ، أبو رجاء بن طهمان الخراساني ، نزيل البصرة ، مولى علباء بن أحمر اليشكري . كان من العلماء العاملين ، وكان يكتب المصاحف ، ويتقن ذلك .

(٢) أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم العسكري . فقيه ، أديب ، انتهت إليه رياسة التحديث والإملاء والتدريس في بلاد في عصره . ولد في عسكر مكرم وإليها نسبته ، وانتقل إلى بغداد ، وتجول في البصرة وأصفهان وغيرها ، وعلت شهرته .

(٣) حيان بن بشر بن المخارق بن شبيب بن حيان بن سراقة . اسم الشهرة ، حيان بن بشر الأعور . يكنى أبو بشر . ولي القضاء أيام المأمون بأصبهان

وقالوا : ما الذي دهاك؟ فقال : قطع أنف عرفجة في الجاهلية ، وامتحنت أنا به في الإسلام .

الخفاف والقاضي الطبري

دفع أبو الطّيب الطبري[1] خفاً إلى خفاف ليصلحه ، فكان كلّما مرّ عليه يتقاضاه ، وكان الخفّاف كلما رأى القاضي أخذ الخف وغمسه في الماء ، وقال : الساعة الساعة ؛ فلمّا طال عليه ، قال له : إنّما دفعته إليك لتصلحه ، ولم أدفعه إليك لتعلّمه السباحة

الرضي والمرتضى[2]

كان علي بن عيسى الرّبعي يمشي على جانب دجلة ، فرأى الرّضيّ والمرتضى في سفينة ، ومعهما عثمان بن جنّي ، فقال : من أعجب أحوال الشّريفين أن يكون عثمان جالساً بينهما وعليّ يمشي على الشط بعيداً عنهما .

سيد الفقهاء

دخل حميد الطوسي على المأمون وعنده بشرٌ المريسيّ[3] ، فقال المأمون لحميد : أتدري من هذا؟ قال : لا [قال : هذا بشرٌ المريسيّ ؛ فقال حميدٌ : يا أمير المؤمنين] هذا سيّد الفقهاء ، هذا قد رفع عذاب القبر ومسألة منكر ونكير ، والميزان والصّراط ، انظر هل يقدر أن يرفع الموت فيكون سيّد الفقهاء حقّاً؟

---

(١) أبو الطيب الطبري الإمام العلامة ، شيخ الإسلام ، القاضي أبو الطيب ؛ طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر ، الطبري الشافعي ، فقيه بغداد .

(٢) الشريفان الرضي والمرتضى ، اشتهرا بالشعر والأدب ، فكلاهما شاعران فقيهان أديبان ، لكنّ الشريف الرضي اشتهرا بالشعر والأدب بينما الشريف المرتضى اشتهر بالفقه .

(٣) هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث المريسي ، ولد حوالي سنة ١٣٨ هـ/٧٥٥ م ، كان أبوه يهودياً فأسلم وصار من موالي آل زيد بن الخطاب . بدأ بشر حياته كفقيه ومحدث ، فأخذ الفقه عن أبو يوسف القاضي ، وروى الحديث عن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة ، ولكنه بعد ذلك تأثر بالمعتزلة وصار منهم .

أبو زرعة الرازي[(١)]

لما دخل أبو محمد عبد الله بن أحمد السمرقندي بيت المقدس ، قصد أبا عثمان ابن ورقاء ، فطلب منه جزءاً ، فوعده به ، ثم رجع ورجع مرّات ، والشيخ ينسى ، فقال له أبو محمد : أيّها الشيخ [لا تنظر إليّ بعين الصّبوة ، فإن الله تعالى قد رزقني من هذا الشأن ما لم يرزق أبا زرعة الرّازي] . فقال الشيخ : الحمد لله . ثم رجع إليه في طلب الجزء ، فقال الشيخ : أيّها الشاب [إنّي طلبت البارحة الأجزاء ، فلم أر جزءاً يصلح لأبي زرعة الرّازي] فخجل وقام .

انقلب السحر على الساحر

كان أبو الحسين بن المتيّم الصوفي يسكن الرّصافة ، وكان مطبوعاً مضحاكاً ، وكان دائماً يتولّع برجل شاهد فيه غفلةً ، يعرف بأبي عبد الله إلكيا . قال ابن المتيّم : فلقيته يوماً في شارع الرصافة ، فسلّمت عليه ، وصحت به : لتشهد عليّ ؛ فاجتمع النّاس علينا ، فقال : بماذا؟ قلت : إن الله تعالى إله واحدٌ لا إله إلا هو وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنّة حقّ ، والنّار حقّ ، والسّاعة آتيةٌ لا ريب فيها ، وأنّ الله يبعث من في القبور ؛ فقال : أبشر يا أبا الحسين سقطت عنك الجزية ، وصرت أخاً من إخواننا . فضحك النّاس وانقلب الولع بي .

الدعاء على الميت

قال عثمان بن سعيد الرازي[(٢)] : حدّثني الثقة من أصحابنا ، قال : لمّا مات بشرٌ

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ . كنيته أبو زرعة وقد اشتهر بهذه الكنية . يقال له الرازي نسبة إلى الري بزيادة زاي وهي بلده ويقال له القرشي المخزومي نسبة إلى قبيلة رحل أبو زرعة إلى الحرمين والعراق والشام والجزيرة وخراسان ومصر وروى عن كثيرين .

(٣) أَبُو الْقَاسِمِ ، ويقال : أَبُو عَمْرو الأنماطي نزيل البصرة وقَدْ ينسب إِلَى جده عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد الدشتكي د وأبي سيار العلاء بْن مُحَمَّد بْن سيار البصري جليس معاذ بْن معاذ الْقَاضِي روى عنه أَبُو دَاوُد وإبراهيم بْن إِسْحَاق الحربي وأَبُو بَكْر أَحْمَد بْن عَمْرو بْن أَبِي عَاصِم وعبدان بْن أَحْمَد الأهوازي وعلي بْن الْحُسَيْن بْن الجنيد الرَّازِي ومُحَمَّد بْن عَبْد اللَّهِ بْن رستة الأصبهاني ومُحَمَّد بْن مُحَمَّد الجذوعي الْقَاضِي .

المريسي لم يشهد جنازته من أهل العلم والسنّة أحدٌ إلا عبيد الشّونيزي ، فلمّا رجع من الجنازة لاموه ، فقال : أنظروني حتى أخبركم ، ما شهدت جنازةً رجوت فيها من الأجر ما رجوت في شهود جنازته ، إنّني لما قمت في الصف ، قلت : اللهمّ عبدك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة ؛ اللهمّ فاحجبه عن النظر إلى وجهك يوم ينظر إليك المؤمنون ؛ اللهم عبدك هذا كان لا يؤمن بعذاب القبر ، اللهمّ فعذبه اليوم في قبره عذاباً لم تعذبه أحداً من العالمين ؛ اللهمّ عبدك هذا كان ينكر الميزان ، اللهمّ فخفف ميزانه يوم القيامة ؛ اللهمّ عبدك هذا كان ينكر الشفاعة ؛ اللهمّ فلا تشفع فيه أحداً من خلقك يوم القيامة ؛ قال : فسكتوا عنه وضحكوا .

فتوى بالإجماع

وجاء رجل إلى بعض الفقهاء ، فقال له : أنا عبد الله على مذهب ابن حنبل وإني توضأت وصليت ، فبينما أنا في الصلاة إذ أحسست ببلل في سروايلي يتلزق ، فشممته فإذا رائحته كريهة خبيثة ، فقال الفقيه : عافاك الله خريت بإجماع المذاهب .

عمل مباح وقبيح

وجاء رجل إلى فقيه قال : أنا رجل أفسو في ثيابي حتى تفوح روائحي ، فهل يجوز لي أن أصلي في ثيابي؟ قال :

نعم ،لكن لا كثر الله في المسلمين مثلك .

بغلة القاضي

كان لبعض القضاة بغلة ، فقرأ يوما في المصحف . وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّه رِزْقُها ، فقال لغلامه : أطلق البغلة ورزقها على الله ، فصارت البغلة تدور الأسواق والأزقة وتأكل من قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ ، وقمامات الطريق ، فماتت ، فأمر الغلام بإحضار المشاعلية ليحملوها لظاهر المدينة فأحضرهم ، فطلبوا من القاضي عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لنا شيء نرتزق منه إلا من مثل هذا ، وسيدنا رجل غني وله أشياء كثيرة ، العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والإطلاق وجامكية الحكم ، وأجرة اليمين والتدريس والأوقاف ، فقال لهم

القاضي : ألمثلي يقال هذا ، وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع ، منها : الوسخ ، والزفر ، والهلع ، والولع ، وبيت النبذة ، وشركة النفوس ، وجباية الأسواق ، وحرق النار ، وسلب الشطار ، ولكم الضياح وثمن الإصلاح وما تروحوا من هذه البغلة بلا شيء ، جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقتها للبيطار ، قال : فتقدم أحدهم إليه ، وقال : بحق من تاب عليك ورد عاقبتك إلى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشيء ولا تدعنا نروح بلاش .

كلام مظلوم ووجه ظالم

روي أن رجلا وامراته اختصما إلى أمير من امراء العراق ، وكانت المرأة جميلة في النقاب ، بشعة في غيره ، وكان لها لسان حسن فأقنعت القاضي بظلم زوجها لها ، فأسرع زوجها ونزع النقاب عن وجهها !

فقال القاضي : عليكِ اللعنة ، كلام مظلوم ووجه ظالم !

يحي بن أكثم يزكي نفسه

وولي يحيى بن أكثم قاضيا على أهل جبلة ، فبلغه أن الرشيد انحدر إلى البصرة ، فقال لأهل جبلة : إذا اجتاز الرشيد فاذكروني عنده بخير ، فوعدوه بذلك ، فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه ، فسرح القاضي لحيته ، وكبر عمته وخرج ، فرأى الرشيد في الحراقة ومعه أبو يوسف القاضي ، فقال يا أمير المؤمنين : نعم القاضي قاضي جبلة عدل فينا ، وفعل كذا وكذا ، وجعل يثني على نفسه ، فلما رآه أبو يوسف عرفه ، فضحك فقال له الرشيد : م تضحك؟ فقال يا أمير المؤمنين : المثني على القاضي هو القاضي ، فضحك الرشيد حتى فحص برجله الأرض ، ثم أمر بعزله فعزل

القاضي أجهل منهما

وأحضر رجل ولده إلى القاضي فقال : يا مولانا إن ولدي هذا يشرب الخمر ولا يصلي ، فأنكر ولده ذلك ، فقال أبوه : يا سيدي أفتكون صلاة بغير قراءة ، فقال الولد إني أقرأ القرآن ، فقال له القاضي : اقرأ حتى أسمع فقال :

علق القلب الربابا بعدما شابت وشابا

إن ديـــــن اللـــه حـــــق لا أرى فيـــه ارتيابـــــــا

فقال أبوه : إنه لم يتعلم هذا إلا البارحة ، سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه ، فقال القاضي ، وأنا الآخر أحفظ آية منها وهي :

فارحمـــي مضنـــى كئيبا قـــد رأى الهجـــر عذابـــا

ثم قال القاضي : قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به .

شهود الطنبور

تقدم اثنان إلى أبي صمصامة القاضي ، فادعى أحدهما على الآخر طنبورا ، فأنكر ، فقال للمدعي : ألك بينة؟

فقال : لي شاهدان فأحضر رجلين شهدا له ، فقال المدعى عليه : سلهما يا سيدي عن صناعتهما ، فأخبر أحدهما أنه نباذ ، وقال الآخر أنه قواد ، فالتفت القاضي إلى المدعى عليه ، وقال : أتريد على طنبور أعدل من هذين؟ ادفع إليه طنبوره .

الفالوذج واللوزينج[(١)]

وتحاكم الرشيد وزبيدة[(٢)] إلى أبي يوسف القاضي في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب ، فقال أبو يوسف : أنا لا أحكم على غائب ، فأمر الرشيد بإحضارهما ، وقدما بين يدي أبي يوسف ، فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم

(١) اسمان لحلوى عربية قديمة .

(٢) زبيدة واسمها الحقيقي (أمة العزيز بنت جعفر بن أبي المنصور) أما سبب تسميتها باسم زبيدة فقد كان جدها المنصور يرقصها في طفولتها ويقول لها زبيدة أنت زبيدة ، فغلب عليها ذلك الاسم وأصبحت تعرف باسم زبيدة وهي زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد ، وحفيدة مؤسس الدولة العباسية الخليفة أبو جعفر المنصور من خلال ابنه جعفر . وكُنيتها زبيدة نظرًا لشدة بياضها ، وتعتبر من أهم نساء الدولة العباسية وأكثرهم شهرة مما كان لها من دور في دور الخلافة فهي أم الخليفة الأمين الذي قتل على يد أخيه المأمون بعد نزاع على السلطة . من أهم أعمالها بناء أحواض للسقاية للحجاج في دربهم من بغداد إلى مكة فيما عرف بدرب زبيدة ، وعين زبيدة في مكة المكرمة تكريمًا لها .

قال : يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لأحدهما أتى الآخر بحجته .

امرأة الماجن

وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال : يا سيدي إن امرأتي قحبانا ، فقال له القاضي : طلقهانا ، فقال : عشقانا .

فقال : قودهانا .

الشمس والنهار

وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين ، فجعل القاضي يميل إليها بالحكم ، فقال الرجل : أصلح الله القاضي حجتي أوضح من هذا النهار ، فقال له القاضي :

اسكت يا عدو الله ، فإن الشمس أوضح من النهار . قم لا حق لك عليها ، فقالت المرأة : جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته ، فقال الرجل : لا جزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها .

لا أدري

كان لإبراهيم بن طهمان[١] جراية من بيت المال ، فسئل عن مسألة في مجلس الخليفة ، فقال : لا أدري .

فقالوا له : تأخذ في كل شهر كذا وكذا ، ولا تحسن مسألة؟

فقال : انما آخذ على ما أحسن ، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال ، ولا يفنى ما لا أحسن .

فأعجب الخليفة جوابه ، وأمر له بجائزة فاخرة ، وزاد في جرايته .

---

(١) إبراهيم بن طهمان . أبو سعيد إبراهيم بن طهمان بن شعبة الهروي ، إمام وعالم حديث من خراسان ، نزيل نيسابور ، ثم مكة المكرمة . ولد بهرات ، وسكن نيسابور ، وقدم بغداد وحدث بها ، ثم سكن مكة حتى وفاته بها .

يهودي يناظر مسلما

ناظر يهودي مسلما في مجلس المرتضى ، فقال اليهودي : ماذا أقول في قوم سمّاهم الله مدبرين؟ يعني النبي ﷺ وأصحابه يوم حنين .

فقال المسلم : فقد كان موسى أدبر منهم .

قال له : كيف؟

قال : لأن الله تعالى قال : ﴿ولّى مدبرا ولم يعقّب﴾ .

وهؤلاء ما قال فيهم : ولم يعقّبوا .

فسكت اليهودي .

أبو هذيل واليهودي

روى يعقوب الشحّام[1] قال : قال لي أبو الهذيل : بلغني أن رجلا يهوديا قدم البصرة ، وقد قطع وغلب عامة متكلميهم ، فقلت لعمّي :

امض بي إلى هذا اليهودي أكلّمه .

فقال : يا بني ، هذا قد غلب جماعة متكلمي البصرة .

فقلت : لا بد .

فأخذ بيدي ، فدخلنا على اليهودي ، فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه نبوّة موسى عليه السلام ، ثم يجحد نبوة نبينا صلى الله عليه وسلّم فيقول : نحن على ما اتفقنا عليه من نبوة موسى الى ما أن نتفق على غيره فنقرّ به .

فدخلت إليه ، فقلت له : أسألك أو تسألني؟

فقال : يا بني ، أو ما ترى ما أفعله بمشايخك؟

فقال : دع عنك هذا واختر .

قال : بل أسألك . أخبرني أليس موسى نبيا من أنبياء الله قد صحّت نبوّته ، وثبت دليله؟ تقرّ بهذا أو تجحده ، فتخالف صاحبك؟

فقلت له : إن الذي سألتني عنه من أمر موسى عندي على أمرين : أحدهما : أني أقرّ بنبوّة موسى الذي أخبر بصحّة نبوّة نبينا محمد ﷺ وأمرنا باتباعه وبشّر

---

(١) مفسر معتزلي ، من أهل البصرة ، انتهت إليه رئاسة المعتزلة بها في أيامه ، وولي الخراج في خلافة الواثق .

بنبوته ، فإن كان عن هذا تسألني ، فأنا مقرّ بنبوّته ، وإن كان الذي سألتني عنه لا يقرّ بنبوّة نبينا محمد ﷺ ولم يأمر باتباعه ، ولا بشّر به ، فلست أعرفه ولا أقرّ بنبوّته ، وهو عندي شيطان مخزي .

فتحيّر مما قلت له . فقال لي : فما تقول في التوراة؟

فقلت : أمر التوراة أيضا عندي على وجهين : إن كانت التوراة التي أنزلت على موسى الذي أقرّ بنبوّة سيدنا محمد ﷺ ، فهي التوراة الحق ، وإن كانت الذي تدّعيه فباطل ، وأنا غير مصدّق بها .

فقال : أحتاج أن أقول لك شيئا بيني وبينك ، فظننت أنه يقول شيئا من الخير ، فتقدّمت اليه فسارّني وشاتمني ، وقد رأى أني أثب به ، فيقول : «وثبوا علي» .

فأقبلت على من كان في المجلس ، فقلت : أعزكم الله ، أليس قد أجبته؟

فقالوا : بلى .

فقلت : أليس عليه أن يردّ جوابي؟

فقالوا : بلى .

فقلت : انه لما سارّني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد ، وشتم من علّمني ، وظن أني أثب به ، فيدّعي أنا أثبناه ، وقد عرّفتكم شأنه .

فأخذته الأيادي بالنعال ، فخرج هاربا من البصرة ، وقد كان له بها دين كثير ، فتركه وخرج هاربا لما لحقه من الانقطاع .

بعد الإسلام

وقال عبد الله بن سليمان بن أشعث : سمعت أبي يقول : كان هارون الأعور[١] يهوديا ، فأسلم وحسن إسلامه ، وحفظ القرآن وضبطه ، وحفظ النحو ، فناظره إنسان يوما في مسألة ، فغلبه هارون فلم يدر المغلوب ما يصنع ، فقال له : أنت كنت يهوديا فأسلمت .

(١) هارون بن موسى القارئ الأعور النحوي الأزدي ولاء ، أبو موسى ، وقيل : أبو عبد الله البصري . صاحب القرآن والعربية ، سمع من طاوس اليماني وثابت البناني . قال الخطيب البغدادي : كان يهوديًا فأسلم ، وطلب القراءة ؛ فكان رأسًا ، وضبط النحو وحفظه وحدث ؛ وهو أول من تتبع وجوه القرآن وألفها ، وتتبع الشاذ منها وبحث عن إسناده ، وكان شديد القول بالقدر . وثقه ابن معين ، وروى له البخاري ومسلم .

فقال له هارون : أفبئس ما صنعت؟
فغلبه أيضا .

حجة مقنعة

ورفعت امرأة زوجها إلى القاضي تبغي الفرقة . وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة . فقال الرجل للقاضي : يا سيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي ، إني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفي قصر عالي ، وفوق القصر قبة عالية ، وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل ، وإن الجمل يطأطىء برأسه ليشرب من البحر ، فإذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف ، فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال : يا هذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه ، فكيف بمن يرى الأمر عيانا .

طرائف المؤذنين

قيل لمؤذن : ما نسمع أذانك ، فلو رفعت صوتك ، فقال : إني أسمع صوتي من مسيرة ميل .
وقال بعضهم : رأيت مؤذنا أذّن ثم غدا يهرول ، فقلت له : إلى أين؟ فقال : أحب أن أسمع أذاني أين بلغ .

المؤذن الأمين

واختصم رجلان في جارية فأودعاها عند مؤذن ، فلما أصبح وفرغ من الأذان قال : لا إله إلا الله ذهبت الأمانة من الناس ، فقالوا له : كيف ذهبت الأمانة من الناس؟ قال : هذه الجارية التي وضعت عندي قيل إنها بكر ، فلما أتيتها وجدتها ثيبا .

تسحروا قبل الأذان

وسمع مؤذن حمص يقول في سحور رمضان : تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا في أكلكم قبل أن أؤذن ، فيسخم الله وجوهكم .

مؤذن لا يحفظ الأذان

وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة ، فقيل له : ما تحفظ الأذان؟ فقال : سلوا القاضي ، فأتوه ، فقالوا : السلام عليكم ، فأخرج دفترا وتصحيفه وقال : وعليكم ، فعذروا المؤذن .

النوم خير من هذه الصلاة

وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم ، فقالت : النوم خير من هذه الصلاة .

كذبة بيضاء

عن إسحاق بن هانئ قال : كنا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل[(١)] رضي الله عنه في منزله ومعنا المروزي ، ومهنّى بن يحيى الشامي ، فدق داق الباب وقال : المروزي ههنا؟

فكأن المروزي كره أن يعلم موضعه ، فوضع مهنّى بن يحيى إصبعه في راحته وقال : ليس المروزي ههنا .

فضحك أحمد ولم ينكر عليه ذلك .

وقال أبو بكر المروزي : جاء مهنّى بن يحيى الشامي إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ومعه أحاديث ، فقال : يا أبا عبد الله ، معي هذه الأحاديث ، وأريد أن أخرج ، فحدّثني بها .

فقال : متى تريد أن تخرج؟

قال : الساعة أخرج .

فحدّثه بها وخرج ، فلما كان من الغد أو بعد ذلك جاء إلى أبي عبد الله ، فقال له أبو عبد الله :

---

(١) عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢١٣ هـ / ٨٢٨م - ٢٩٠ هـ / ٩٠٣م) ، هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي ، حافظ للحديث ، من أهل بغداد ، والده هو الإمام أحمد بن حنبل ، وأمه اسمها ريحانة ، تزوجها الإمام أحمد بعد وفاة زوجته الأولى عباسة أم ابنه صالح بن أحمد بن حنبل ، وأنجبت له ريحانة ابنه عبد الله

أليس قلت لي أخرج الساعة؟
قال : قلت لك : إني أخرج الساعة من بغداد؟ إنما قلت أخرج من زقاقك .

قلة العلم تورث الحدة

كان أبو الحسين بن السمّاك[1] يتكلّم على الناس بجامع المدينة ، وكان لا يحسن من العلوم شيئا إلا ما شاء الله ، وكان مطبوعا يتكلّم على مذهب الصوفية ، فكتبت إليه رقعة : «ما يقول السادة الفقهاء في رجل مات وخلف كذا وكذا؟» .

ففتحها فتأمّلها فقرأ : ما تقول السادة الفقهاء في رجل مات؟

فلما رآها في الفرائض رماها من يده ، وقال : أنا أتكلم على مذاهب قوم إذا ماتوا لم يخلفوا شيئا . فعجب الحاضرون من حدّة خاطره .

واصل بن عطاء والخوارج

خرج واصل بن عطاء[2] يريد سفرا في رهط ، فاعترضهم جيش من الخوارج ، فقال واصل :

لا ينطقن أحد ودعوني معهم .

فقصدهم واصل ، فلما قربوا بدأ الخوارج ليوقعوا ، فقال :

كيف تستحلون هذا وما تدرون من نحن ولا لأي شيء جئنا؟

فقالوا : نعم . فما أنتم؟

قال : قوم من المشركين جئناكم لنسمع كلام الله .

فكفوا عنهم ، وبدأ رجل منهم يقرأ عليهم القرآن ، فلما أمسك قال واصل :

قد سمعنا كلام الله ، فأبلغنا مأمننا حتى ننظر فيه ، وكيف ندخل في الدين؟

فقال : هذا واجب . سيروا .

فسرنا والخوارج والله معنا يحموننا فراسخ ، حتى قربنا إلى بلد لا سلطان لهم عليه ، فانصرفوا .

---

(١) الشيخ الإمام المحدث المكثر الصادق ، مسند العراق أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد البغدادي الدقاق ابن السماك .

(٢) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المخزومي ، الملقب بالغزال الألثغ ، كان تلميذاً للحسن البصري ، ومؤسس فرقة المعتزلة الإسلامية .

لقمان الحكيم

من المنقول أن لقمان الحكيم كان عبدا نوبيا أسود ، وقد أعطاه الله تعالى الحكمة ، وكان لرجل من بني إسرائيل اشتراه بثلاثين مثقالا ونش «يعني نصف مثقال» وكان يعمل له وكان مولاه يلعب بالنرد يقامر عليه وكان على بابه نهر جار .

فلعب يوما بالنرد على أن من قمر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كله أو افتدى منه ، وإن هو قمر صاحبه فعل مثل ذلك

قال : فقمر سيد لقمان

فقال له القامر : اشرب ما في النهر والا فافتد منه

قال : فسلني الفداء

قال : عينيك افقؤهم «اي افقعهما والفقع للعينين والقطع للأذن والأنف» أو جميع ما تملك ، قال : أمهلني يومي هذا

قال : لك ذلك .

قال : فأمسى كئيبا حزينا إذ جاءه لقمان وقد حمل حزمة على ظهره ، فسلم على سيده ثم وضع ما معه ورجع إلى سيده ، وكان سيده إذا رآه عبث به ويسمع منه الكلمة الحكيمة فيعجب منه

فلما جلس قال لسيده : مالي أراك حزينا فأعرض عنه .

فقالها ثانية وثالثة فأعرض عنه ثم قال لقمان «عليه السلام» أخبرني فلعل لذلك عندي فرجا فقص عليه القصة .

فقال له لقمان : لا تغتم فإن لك عندي فرجا قال : ماهو ؟

قال إذا أتاك الرجل فقال لك اشرب ما في النهر فقل له : أشرب ما بين ضفتي النهر أو المد ؟

فإنه سيقول لك : ما بين الضفتين فقل له : احبس عني المد حتى أشرب ما بين الضفتين ، فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد وتكون قد خرجت مما ضمنت له فعرف سيده أنه صدق ، فطابت نفسه

فلما أصبح جاءه الرجل فقال له : فَ[1] بشرطي

قال له : نعم أشرب ما بين الضفتين أَو المد؟

(١) أصلها في أي أوفي بشرطي .

قال : لا بل ما بين الضفتين ، قال : فاحبس عني المد .قال :كيف أستطيع؟
قال : فخضمه[1]
فأعتقه مولاه .

عطاء بن أبي رباح

قال عثمان بن عطاء الخرساني : انطلقت مع أبي نريد هشام بن عبد الملك ، فلما غدونا قريبا من دمشق إذا نحن بشيخ على حمار أسود عليه قميص صفيق وجبه بالية وقلنسوة لازقة برأسه وركاباه من خشب فضحكت منه وقلت لابي : من هذا؟

فقال : اسكت ، هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبي رباح[2] . . .

فلما قرب من نزل أبي عن بغلته ونزل هو عن حماره فاعتنقا وتساءلا ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب قصر هشام بن عبد الملك .

فما استقر بهم الجلوس حتى أذن لهما فلما خرج أبي قلت له :

حدثني بما كان منكما فقال : لما علم هشام أن عطاء بن أبي رباح بالباب بادر فأذن له ووالله ما دخلت إلا بسببه فلما رآه هشام قال :

مرحبا مرحبا . . .

ههنا ههنا . .ولا زال يقول له :

ههنا ههنا . . .

حتى أجلسه معه على سريره ومس بركبته ركبته . . . .

وكان في المجلس أشراف الناس وكانوا يتحدثون فسكتوا . . .

ثم أقبل عليه هشام وقال :

ما حاجتك يا أبا محمد؟

قال : يا أمير المؤمنين أهل الحرمين . . .أهل الله وجيران رسوله تقسم عليهم أرزاقهم واعطياتهم . . .

فقال : نعم . . .

---

(١) أي أفحمه وأسكته .

(٢) أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان هو فقيه وعالم حديث ، وهو من أهم الفقهاء والتابعين في القرن الأول والثاني الهجري ، وهو من أصول نوبية .

يا غلام اكتب لأهل مكة والمدينة بعطاياهم وأرزاقهم لسنة .

ثم قال : هل من حاجة غيرها يا ابا محمد؟

فقال : نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الإسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم . . .

فقال : نعم ، يا غلام اكتب بأن ترد فيهم فضول صدقاتهم . . .

هل من حاجة غير ذلك يا أبا محمد؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

أهل الثغور يقفون في وجوه عدوكم ويقتلون من رام المسلمين بشر ، تجري عليهم أرزاقا تدرها عليهم . . . فإنهم ان هلكوا ضاعت الثغور . . .

فقال : نعم يا غلام اكتب بحمل أرزاقهم إليهم . . .هل من حاجة يا أبا محمد؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين أهل ذمتكم لا يكلفون مالا يطيقون فإن ما تجبونه منهم معونة لكم على عدوكم .

فقال : يا غلام اكتب لأهل الذمة بألا يكلفوا ما لا يطيقون .

هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟

قال : نعم . . اتق الله في نفسك يا أمير المؤمنين واعلم أنك خلقت وحدك . . .

وتموت وحدك . . . .

وتحشر وحدك . .

وتحاسب وحدك . . ولا والله ما معك ممن ترى أحدا . . .

فأكب هشام ينكت في الأرض وهو يبكي . . .

فقام عطاء فقمت معه .

فلما صرنا عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس لا أدرى ما فيه وقال له :

إن أمير المؤمنين بعث لك بهذا . .

فقال : هيهات . . .

((وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين)) .

فوالله أنه دخل على الخليفة . . وخرج من عنده . .ولم يشرب قطرة ماء .

رسالة أبي بكر لعلي رضي الله عنهما

قال أبو حيان علي بن محمد التوحيدي البغدادي(١) : سمرنا ليلة عند القاضي أبي حامد بن بشر المرورذي(١) ببغداد ، فتصرف في الحديث كل متصرف - وكان غزير الرواية ، لطيف الدراية - فجرى حديث السقيفة ، فركب كل مركباً ، وقال قولاً ، وعرّض بشيء ، ونزع إلى فن ؛ فقال : هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصديق إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وجواب علي عنها ، ومبايعته إياه عقب

تلك المناظرة؟ فقال الجماعة : لا والله ، فقال : هي والله من بنات الحقائق ، ومخبآت

الصنادق ، ومنذ حفظتها ما رويتها إلا لأبي محمد المهلبي(٣) في وزارته ، فكتبها عني بيده ، وقال : لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أبين ، وإنها لتدل على علم وحلم وفصاحة ونباهة ، وبعد غور ، وشدة غوص ؛ فقال له العباداني : أيها القاضي ، لو أتممت المنة علينا بروايتها سمعناها ، فنحن أوعى لها عنك من المهلبي ، وأوجب ذماماً عليك ؛ فاندفع وقال : حدثنا الخزاعي بمكة ، عن أبي ميسرة قال : حدثنا محمد بن فليح عن عيسى بن دأب نبأ صالح بن كيسان ويزيد بن رومان ، قالا : حدثنا هشام بن عروة ، نبأ أبو النفاح قال : سمعت مولاي أبا عبيدة(٤) يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه بين المهاجرين والأنصار بعد فتنة كاد الشيطان بها ، فدفع

(١) أبو حيان التوحيدي فيلسوف متصوف ، وأديب بارع ، من أعلام القرن الرابع الهجري ، عاش أكثر أيامه في بغداد وإليها ينسب .

(١) القاضي العلامة أبو حامد أحمد بن بشر بن عامر المرورذي تلميذ أبي إسحاق المروزي . له «الجامع» في المذهب ، و«شرح المزني» . وكان إماما لا يشق غباره ، أخذ عنه فقهاء البصرة

(٣) المهلبي الوزير الكبير أبو محمد الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون الأزدي من ولد المهلب بن أبي صفرة وزير لمعز الدولة البويهي ، وكان سريا جوادا ممدحا كامل السؤدد مقربا للعلماء ، أصابته فاقة في شبيبته وتغرب وتنقلت به الأحوال حتى صار وزيرا وكان أديبا مترسلا بليغا شاعرا سائسا له أخبار في الكريم والمروءة . نال أولا في الوزارة عن ابي جعفر الصيمري ، فمات الصيمري ، فولاه مكانه معز الدولة سنة ٣٣٩ للهجرة ثم وزر للمطيع ولقبوه ذا الوزارتين وقد استوفى ابن النجار أخباره وعاش نيف وستين سنة وتوفي في شهر شعبان سنة ٣٥٢ هجرية ببغداد .

(٤) أبو عبيدة بن الجراح الفهري القرشي ، صحابي جليل وأمين الأمة الإسلامية .

الله شرها ، ويسر خيرها ؛ بلغ أبا بكر عن علي تلكؤ وشماس ، وتهمم ونفاس ، فكره أن يتمادى الحال فتبدو العورة ، وتشتعل الجمرة ، وتفرق ذات البين ، فدعاني ، فحضرته في خلوة ، وكان عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحده ، فقال : يا أبا عبيدة ، ما أيمن ناصيتك ، وأبين الخير بين عينيك ، وطالما أعز الله بك الإسلام ، وأصلح شأنه على يديك ، ولقد كنت من رسول الله ﷺ بالمكان المحوط ، والمحل المغبوط ، ولقد قال فيك في يوم مشهود : «لكل أمة أمين ، وأمي هذه الأمة أبو عبيدة» ولم تزل للدين ملتجأ ، وللمؤمنين مرتجى ، ولأهلك ركناً ، ولإخوانك رداءاً ؛ قد أردتك لأمر له خطر مخوف ، وإصلاحه من أعظم المعروف ؛ ولئن لم يندمل جرحه بيسارك ورفقك ، ولم تجب حيته برفيتك ، فقد وقع اليأس ، وأعضل البأس ؛ واحتيج بعد ذلك إلى ما هو أمر منه وأعلق ، وأعسر منه وأغلق ؛ والله أسأل تمامه بك ، ونظامه على يديك ، فتأت له يا أبا عبيدة ، وتلطف فيه ، وانصح لله عز وجل ، ولرسوله ﷺ ، ولهذه العصابة غير آل

جهداً ، ولا فال حمداً ، والله كالئك وناصرك ، وهاديك ومبصرك ، إن شاء الله ؛ امض إلى علي واخفض له جناحك ، واغضض عنده صوتك ، واعلم أنه سلالة أبي طالب ، ومكانه ممن فقدناه بالأمس ﷺ مكانه ، وقل له : البحر مغرقه ، والبر مفرقه ؛ والجو أكلف ، والليل أغدف ؛ والسماء جلواء ، والأرض صلعاء ؛ والصعود متعذر ، والهبوط متعسر ؛ والحق عطوفٌ رءوف ، والباطل عنوف عسوف ، والعجب قداحة الشر ، والضغن رائد البوار ، والتعريض يجال الفتنة ، والقحة ثقوب العداوة ، وهذا الشيطان متكئ على شماله ، متحبل بيمينه ، نافخٌ حضينه لأهله ، ينتظر الشتات والفرقة ، ويدب بين الأمة بالشحناء والعداوة ، وعناداً لله عز وجل أولاً ، ودم ثانياً ، ولنبيه ﷺ ودينه ثالثاً ، يوسوس بالفجور ، ويدلي بالغرور ، ويمني أهل الشرور ، يوحي إلى أوليائه زخرف القول غروراً بالباطل ، دأباً له منذ كان على عهد أبينا آدم ﷺ ، وعادةً له منذ أهانه الله تعالى في سالف الدهر ، لا منجي منه إلا بعض الناجذ على الحق ، وغض الطرف عن الباطل ، ووطء هامة عدو الله بالأشد فالأشد ، والآكد فالآكد ، وإسلام النفس لله عز وجل في ابتغاء رضاه ؛ ولابد الآن من قول ينفع إذا ضر السكوت وخيف غبه ، ولقد أرشدك من أفاء ضالتك ، وصافاك من أحيا مودته بعتابك ، وأراد لك الخير من آثر البقاء معك ، ما هذا الذي تسول لك نفسك ، ويدوي به قلبك ، ويلتوي عليه رأيك ، ويتخاوض دونه طرفك ، ويسري فيه ظعنك ، ويترادف

معه نفسك ، وتكثر عنده صعداؤك ، ولا يفيض به لسانك؟ أعجمةٌ بعد إفصاح؟ أتلبيسٌ بعد إيضاح؟ أدينٌ غير دين الله؟ أخُلقٌ غير خُلق القرآن؟ أهدي غير هدي النبي ﷺ؟ أمثلي تمشي إليه الضراء وتدب له الخمر؟ أو مثلك ينقبض عليه الفضاء ويكسف في عينه القمر؟ ما هذه القعقعة بالشنان؟ وما هذه الوعوعة باللسان؟ إنك والله جد عارف باستجابتنا إلى الله عز وجل ولرسوله ﷺ ، وبخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبتنا لله عز وجل ولرسوله ونصرةً لدينه ، في زمان أنت فيه في كن الصبا ، وخدر الغرارة ، وعنفوان الشبيبة غافلاً عما يشيب ويريب ، ولا تعي ما يراد ويشاد ، ولا تحصل ما يساق ويقاد ، سوى ما أنت جار عليه إلى غايتك التي إليها عدل بك ، وعندها حط رحلك ، غير مجهول القدر ، ولا مجحود الفضل ، ونحن في أثناء ذلك نعاني أحوالاً تزيل الرواسي ، ونقاسي أهوالاً تشيب النواصي ؛ خائضين غمراها ، راكبين تيارها ؛ نتجرع صابها ، ونشرج عيابها ؛ ونحكم آساسها ، ونبرم أمراسها ؛ والعيون تحدج بالحسد ، والأنوف تعطس بالكبر ، والصدور تستعر بالغيظ ، والأعناق تتطاول بالفخر ، والشفار تشحذ بالمكر ، والأرض تميد بالخوف ، لا ننتظر

عند المساء صباحاً ، ولا عند الصباح مساءً ، ولا ندفع في حر أمر إلا بعد أن نحسو الموت دونه ، ولا نبلغ مراداً إلى شيء إلا بعد جرع العذاب معه ، ولا نقيم مناراً إلا بعد الإياس من الحياة عنده ، فادين في جميع ذلك رسول الله ﷺ بالأب والأم ، والخال والعم ، والمال والنشب ، والسبد واللبد ، والهلة والبلة ، بطيب أنفس ، وقرة أعين ، وحب أعطان ، وثبات عزائم ، وصحة عقول ، وطلاقة أوده ، وذلاقة ألسن ، هذا مع خفيات أسرار ، ومكنونات أخبار كنت عنها غافلاً ، ولولا سنك لم تكن عن شيء منها ناكلاً ؛ كيف وفؤادك مشهوم ، وعودك معجوم! والآن قد بلغ الله بك ، وأنهض الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن علم أقول ما تسمع ؛ فارتقب زمانك ، وقلّص أردانك ؛ ودع التقعس والتجسس لمن لا يظلع لك إذا خطا ، ولا يتزحزح عنك إذا عطا ؛ فالأمر غض ، والنفوس فيها مض ؛ وإنك أديم هذه الأمة فلا تحلم لجاجاً ، وسيفها العضب فلا تنب اعواجاجاً ، وماؤها العذب فلا تحل أجاجاً ؛ والله لقد سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر فقال لي : «يا أبا بكر ، هو لمن يرغب لا لمن يجاحش عليه ، ولمن يتضاءل عنه لا لمن ينتفج إليه ، هو لمن يقال : هو لك ، لا لمن يقول : هو لي» ولقد شاورني رسول الله ﷺ في الصهر ، فذكر فتياناً من قريش ، فقلت : أين أنت من علي؟ فقال ﷺ : إن لأكره لفاطمة ميعة شبابه ، وحداثة سنه ،

فقلت له : متى كنفته يدك ، ورعته عينك ، حفت وفؤادك مشهوم ، وعودك معجوم! والآن قد بلغ الله بك ، وأنهض الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن علم أقول ما تسمع ؛ فارتقب زمانك ، وفلّص أردانك ؛ ودع التقعس والتجسس لمن لا يظلع لك إذا خطا ، ولا يتزحزح عنك إذا عطا ؛ فالأمر غض ، والنفوس فيها مض ؛ وإنك أديم هذه الأمة فلا تحلم لجاجاً ، وسيفها العضب فلا تنب اعوجاجا ، وماؤها العذب فلا تحل أجاجاً ؛ والله لقد سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر فقال لي : "يا أبا بكر ، هو لمن يرغب لا لمن يجاحش عليه ، ولمن يتضاءل عنه لا لمن ينتفج إليه ، هو لمن يقال : هو لك ، لا لمن يقول : هو لي «ولقد شاورني رسول الله ﷺ في الصهر ، فذكر فتياناً من قريش ، فقلت : أين أنت من علي؟ فقال ﷺ : إن لأكره لفاطمة ميعة شبابه ، وحداثة سنه ، فقلت له : متى كنفته يدك ، ورعته عينك ، حفت بهما البركة ، وأسبغت عليهما النعمة ، مع كلام كثير خاطبته به رغبة فيك ، وما كنت عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء ، فقلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك ، وأجد رائحة سواك ، وكنت إذ ذاك خيراً لك منك الآن لي ؛ ولئن كان عرض بك رسول الله ﷺ في هذا الأمر فلم يكن معرضاً عن غيرك ، وإن كان قال فيك فما سكت عن سواك ، وإن تلجلج في نفسك شيءٌ فهلم فالحكم مرضي ، والصواب مسموع ، والحق مطاع ؛ ولقد نقل رسول الله ﷺ إلى ما عند الله عز وجل وهو عن هذه العصابة راض ، وعليها حدب ، يسره ما يسرها ، ويسوءه ما يسوءها ، ويكيده ما كادها ، ويرضيه ما أرضاها ، ويسخطه ما أسخطها ، أما تعلم أنه لم يدع أحداً من أصحابه وأقاربه وسجرائه إلا أبانه بفضيلة ، وخصه بمزية ، وأفرده بحالة؟ أتظنه ﷺ ترك الأمة سدىً بددا ، عباهل مباهل ، طلاحي ، مفتونةً بالباطل ، معنونةً عن الحق ، لا ذائد ولا رائد ، ولا ضابط ولا حائط ولا رابط ، ولا ساقي ولا واقي ، ولا هادي ولا حادي ؛ كلا ، والله ما اشتاق إلى ربه تعالى ، ولا سأله المصير إلى رضوانه وقربه إلا بعد أن ضرب المدى ، وأوضح الهدى ، وأبان الصوى ؛ وأمن المسالك والمطارح ، وسهل المبارك والمهايع ، وإلا بعد أن شدخ يافوخ الشرك بإذن الله تعالى ، وشرم وجه النفاق لوجه الله سبحانه ، وجدع أنف الفتنة في ذات الله ، وتفل في عين الشيطان بعون الله ، وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل ؛ وبعد ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك في بقعة واحدة ، ودار جامعة ، إن استقالوني لك ، وأشاروا عندي بك ، فأنا واضعٌ يدي في يدك ، وصائرٌ إلَى رأيهم فيك ، وإن

تكن الأخرى فادخل في صالح ما دخل فيه المسلمون ، وكن العون على مصالحهم ، والفاتح لمغالقهم ، والمرشد لضالتهم ، والرادع لغوايتهم ، فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ، والتناصر على الحق ، ودعنا نقض هذه الحياة بصدور بريئة من الغل ، سليمة من الضغائن والحقد ، ونلق الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن ؛ وبعد ، فالناس ثمامة فارفق بهم ، واحن عليهم ، ولن لهم ، ولا تشق نفسك بنا خاصة منهم ، واترك ناجم الحقد حصيداً ، وطائر الشرك واقعاً ، وباب الفتنة مغلقاً ، فلا قال ولا قيل ، ولا لوم ولا تعنيف ، والله على تقول شهيد ، وربما نحن عليه بصير . قال أبو عبيدة : فلما تأهبت للنهوض قال عمر رضي الله عنه : كن لدى الباب هنيهةً فلي معك دور من القول ، فوقفت وما أدري ما كان بعدي إلا أنه لحقني بوجه يبدي تهللاً ، وقال لي : قل لعلي : الرقاد محلمه ، والهوى مقحمه ؛ «وما منا إلا له مقامٌ معلوم» وحقٌ مشاعٌ أو مقسوم ، ونبأٌ ظاهرٌ أو مكتوم ؛ وإن أكيس الكيسي من منح الشارد تألفا ، وقارب البعيد تلطفاً ؛ ووزن كل شيء بميزانه ، ولم يخلط خبره بعيانه ؛ ولم يجعل فترة مكان شبره ديناً كان أو ديناً ، ضلالاً كان أو هدى ، ولا خير في علم مستعمل في جهل ، ولا خير في معرفة مشوبة بنكر ، ولسنا كجلدة رفع البعير بين العجان والذنب ، وكل صال فبناره ، وكل سيل فإلى قراره ، وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لعي وشتى ، ولا كلامها اليوم لفرق أورفق ، وقد جدع الله بمحمد ﷺ أنف كل ذي كبر ، وقصم ظهر كل جبار ، وقطع لسان كل مكذوب فماذا بعد الحق إلا الضلال ما هذه الخنزوانة «التي» في فراش رأسك؟ ما هذا الشجا المعترض في مدارج أنفاسك ، ما هذه القذاة التي اغشت ناظرك؟ وما هذه الوحرة التي أكلت شراسيفك؟ وما هذا الذي لبست بسببه جلد النمر ، واشتملت بالشحناء والنكر ، ولسنا في كسروية كسرى ، ولا في قيصرية قيصر ، تأمل لإخوان فارس وأبناء الأصفر ، قد جعلهم الله جزراً لسيوفنا ، ودريئة لرماحنا ومرعى لطعاتنا ، وتبعاً لسطاننا ، بل نحن نور نبوة ، وضياء رسالة ، وثمرة حكمة ، وأثرة رحمه ، وعنوان نعمه ، وظل عصمه ، بين أمة مهدية بالحق والصدق ، مأمونة على الرتق والفتق ، لها من الله إباء أبي ، وساعد قوي ، ويد ناصره ، وعين ناظره ، أتظن ظناً يا علي أن أبا بكر وثب على هذا الأمر مفتاناً على الأمة ، خادعاً لها ، أو متسطاً «عليها» أتراه حل عقودها «وأحال عقولها» أتراه جعل نهارها ليلاً ، ووزنها كيلاً ، ويقظتها رقاداً ، وصلاحها فساداً لا والله ، سلا عنها فولهت له ، وتطامن لها فلصقت به ، ومال عنها

فمالت إليه ، واشمئز دونها فاشتملت عليه ، حبوةً حباه الله بها ، وعاقبةً بلغه الله إليها ، ونعمة سربله جمالها ، ويداً أوجب عليه شكرها وأمةً نظر الله به لها ، والله تعالى أعلم بخلقه ، وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة ، وإنك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة ومعدن الرسالة ، ولا يجحد حقك فيما أتاك الله ، ولكن لك من يزاحمك بمنكب أضخم وقرب أمس من قرابتك ، وسن أعلى من سنك ، وشيبة أروع من شيبتك ، وسيادة لها أصل في الجاهلية وفرع في الإسلام ، ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة ، ولا تذكر فيها في مقدمة ولا ساقه ، ولا تضرب فيها بذراع ، ولا إصبع ، ولا تخرج منها ببازل ولا هبع ، ولم يزل أبو بكر حبة قلب رسول الله ﷺ ، وعلاقة نفسه وعيبة سره ، ومفزع رأيه ، وراحة كفه ، ومرمق طرفه ، وذلك كله بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار شهرة مغنية عن الدليل عليه ولعمري ، إنك أقرب إلى رسول الله ﷺ قرابة ، ولكنه أقرب منك قربة ، والقرابة لحم ودم ، والقربة نفس وروح ، وهذا فرق عرفه المؤمنون ولذلك صاروا إليه أجمعون ومهما شككت في ذلك فلا تشك أن يد الله مع الجماعة ورضوانه لأهل الطاعة ، فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع غداً ، وألفظ من فيك ما يعلق بلهاتك وانفث سخيمة صدرك عن تقاتك ، فإن يك في الأمل طول ، وفي الأجل فسحة ، فستأكله مريئاً أو غير مري ، وستشربه هنيئاً أو غير هنئ ، حين لا راد لقولك إلا من كان منك ، ولا تابع لك إلا من كان طامعاً فيك ، يمص إهابك ، ويعرك أديمك ، ويزري على هديك ، هنالك تقرع السن من ندم ، وتجرع الماء ممزوجاً بدم ، وحينئذ تأسى على ما مضى من عمرك ودارج قوتك فتود ، أن لو سقيت بالكأس التي

أبيتها ، ورددت إلى حالتك التي استغويتها ، ولله تعالى فينا وفيك أمرٌ هو بالغه ، وغيبٌ هو شاهده ، وعاقبةٌ هو المرجو لسرائها وضرائها ، وهو الولي الحميد ، الغفور الودود . قال أبو عبيدة : فمشيت متزملاً أنوء كأنما أخطو على رأسي فرقاً من الفرقة ، وشفقاً على الأمة ، حتى وصلت إلى علي رضي الله عنه في خلاء ، فأثبته بثي كله ، وبرئت إليه منه ، ورفقت به ؛ فلما سمعها ووعاها ، وسرت في مفاصله حمياها ؛ قال : حلت معلوطة ، وولت مخروطة ، وأنشأ يقول :

إحدى لياليك فهيسي هيسي

لا تنعمي الليلة بالتعريس

نعم يا أبا عبيدة ، أكل هذا في أنفس القوم يحسون به ، ويضطبعون عليه؟ قال

أبو عـبـيـدة : فـقلت : لا جـواب لـك عندي ، إنما أنا قـاض حق الدين ، وراتقٌ فـتق المسلمين ، وساد ثلمة الأمة ، يعلم الله ذلك من جلجلان قلبي ، وقرارة نفسي ؛ فقال علي رضي الله عنه : والله ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصداً للخلاف ، ولا إنكار للمعروف ، ولا زرايةً على مسلم ، بل لما وقذني به رسول الله ﷺ من فراقه ، وأودعني من الحزن لفقده ، وذلك أنني لم أشـهد بعده مشهداً إلا جدد علي حزناً ، وذكرني شجنا ، وإن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره ، وقد عكفت على عهد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تفرق منه رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله ، وسلم لعلمه ومشيئته ، وأمره ونهيه ، على أني ما علمت أن التظاهر علي واقع ولي عن الحق الذي سـبق لي دافع وإذ قـد أفـعم الوادي بي ، وحـشـد النادي من أجلي ، فلا مرحباً بما ساء أحداً من المسلمين وسرني ، وفي

النفس كلامٌ لولا سابق عقد ، وسالف عهد ، لشفيت نفسي بخنصري وبنصري وخضت لجنه بأخمصي ومفرقي ، ولكني ملجمٌ إلى أن ألقى ربي ، وعنده أحتسب ما نزل بي ، وإني غاد إلى جماعتكم مبايعٌ لصاحبكم ، صابرٌ على ما ساءني وسركم ، «ليقضي الله أمراً كان مفعولاً» .

قال أبو عبيدة : فعدت إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فقصصت القول غره ، ولم أختزل شيئاً من حلوه ومره ، وبكرت غدوةً إلى المسجد فلما كان صباح يومئذ إذاً عليّ يخترق الجماعة إلى أبي بكر رضي الله عنهما ، فبايعه ، وقال خيراً ووصف جميلاً ، وجلس زميتاً ، واستأذن للقيام فمضى ، وتبعه عمر مكرماً له ، مستثيراً لما عنده ، فقال علي رضي الله عنه : ماقعدت عن صاحبكم كارهاً له ، ولا أتيته فرقاً ، ولا أقول تعلة ، وإني لأعرف منتهى طرفي ،ومحط قدمي ، ومنزع قوسي ، وموقع سهمي ، ولكن قد أزمت على فأسي ثقةً بربي في الدنيا والآخرة .

فقال له عمر رضي الله عنهما : كفكف غربك ، واستوقف سربك ودع العصا بلجائها ، والدلاء على رشائها ، فإنا من خلفها وورائها ؛ إن قدحنا أورينا ، وإن متحنا أروينا ، وإن قرحنا أدمينا ، ولقد سمعت أماثيلك التي لغزت فيها عن صدر أكل بالجوي ، ولو شئت لقلت على مقالتك ما إن سمعته ندمت على ما قلت ؛ وزعمت أنك قعدت في كسر بيتك لما وقذك به رسول الله ﷺ من فقده ، فهو وقذك ولم يقذ غيـرك؟ بل مـصـابه أعم وأعظم من ذلك ، وإن من حق مـصـابه ألا تصـدع شـمل الجماعة بفرقة لا عصام لها ، ولايؤمن كيد الشيطان في بقائها ، هذه العرب حولنا ،

والله لو تداعت علينا في صبح نهار لم نلتق في مسائه ؛ وزعمت أن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره ، فمن علامة الشوق إليه نصرة دينه ، ومؤازرة أوليائه ومعاونتهم ؛ وزعمت أنك عكفت على عهد الله تجمع ما تفرق منه ، فمن العكوف على عهد الله النصيحة لعباد الله ، والرأفة على خلق الله ، وبذل ما يصلحون به ويرشدون عليه ؛ وزعمت أنك تعلم أن التظاهر وقع عليك ، وأي حق لك دونك؟ قد سمعت وعلمت ما قالت الأنصار بالأمس سراً وجهراً ، وتقلبت عليه بطناً وظهراً ، فهل ذكرتك أو أشارت بك ، أو وجدت رضاهم عنك؟ هل قال أحد منهم بلسانه : إنك تصلح لهذا الأمر ، أو أومأ بعينه ، أو همهم في نفسه؟ أتظن أن الناس ضلوا من أجلك ، وعادوا كفاراً زهداً فيك وباعوا الله تعالى تحاملا عليك؟ لا والله ، لقد جاءني عقيل بن زياد الخزرجي «في نفر من أصحابه ومعهم شرحبيل بن يعقوب الخزرجي» وقالوا : إن علياً ينتظر الإمامة ، ويزعم أنه أولى بها من غيره ، وينكر على من يعقد الخلافة ، فأنكرت عليهم ، ورددت القول في نحورهم حين قالوا : إنه ينتظر الوحي ، ويتوكف مناجاة الملك ، فقلت : ذلك أمرٌ طواه الله تعالى بعد نبيه محمد ﷺ ، أكان الأمر معقوداً بأنشوطة ، أو مشدوداً بأطراف ليطة؟ كلا والله ، لا عجماء بحمد الله إلا وقد أفصحت ، ولا شوكاء إلا وقد تفتحت ؛ ومن أعجب شأنك قولك : لولا سالف عهد ، وسابق عقد ، لشفيت غيظي ، وهل ترك الدين لأهله أن يشفوا غيظهم بيد أو لسان؟ تلك جاهليةٌ قد استأصل الله شأفتها ، واقتلع جرثومتها ؛ وهور ليلها ، وغور سيلها ؛ وأبدل منها الروح والريحان ، والهدى والبرهان ؛ وزعمت أنك ملجم ، ولعمري إن من اتقى الله ، وآثر رضاه ، وطلب ما عنده ، أمسك لسانه ، وأطبق فاه ، وجعل سعيه لما وراه .

فقال علي رضي الله عنه : مهلا مهلا يا أبا حفص ، والله ما بذلت ما بذلت وأنا أريد نكثه ، ولا أقررت ما أقررت وأنا أبتغي حولاً عنه ؛ وإن أخسر الناس صفقةً عند الله من آثر النفاق ، واحتضن الشقاق ؛ وفي الله سلوةٌ عن كل حادث ، وعليه التوكل في كل الحوادث ؛ ارجع يا أبا حفص إلى مجلسك ناقع القلب ، مبرود الغليل ، فسيح اللبان ، فصيح اللسان ، فليس وراء ما سمعت وقلت إلا ما يشد الأزر ، ويحط الوزر ، ويضع الإصر ، ويجمع الألفة بمشيئة الله وتوفيقه .

قال أبو عبيدة رضي الله عنه : فانصرف علي وعمر رضي الله عنهما ، وهذا أصعب ما مر علي بعد رسول الله ﷺ .

ابنه هولاكو[١] ورجل العلم

كانت ابنه هولاكو الأميرة تتجول في شوارع بغداد رأت جمعًا غفيرًا من الناس يجتمعون لمجلس علم لرجل من العلماء

فقالت متعجبة ما هذا؟

فأخبروها أنَّه رجلٌ عالم من علماء الدين الذين يلتف الناس حولهم فأمرت أن يأتوها به على النحو الآتي (مربوط الرجلين واليدين بعمامته منزوع الحذاء والجورب)

ففعلوا فلما وضعوه أمامها . . قالت له أنت رجل الدين؟ فقال نعم

قالت إن الله يحبنا ولا يحبكم ؛ فقد نصرنا عليكم ولم ينصركم علينا ، وقد علمت أن الله تعالى قال : ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾ ، فلم يجب العالم واشترط لأن يجيب على كلامها شرطا وهو أن يفكوا قيده وأن يجلس على كرسي مثلها فوافقت على شرطه فأعادت عليه الكلام

فقال لها : أتعرفين راعي الغنم ؟ قالت كلنا يعرفه ، فقال أليس عنده من غنم ؟

قالت : بلى

قال : ألا يوجد بين رعيته بعض من الكلاب ؟

قالت : بلى

قال وما عمل الكلاب؟

قالت : يحرس له غنمه ويعيد له الغنم الشاردة حتى ولو أصابها بجروح إذا امتنعت وأبت

قال لها : إنما مثلنا ومثلكم كذلك

فالله تعالى هو الراعي ونحن الغنم وأنتم الكلاب .

أعظم وأعجب محاكمة في التاريخ

بدأت المحاكمة؟

نادى الغلام : ياقتيبة (هكذا بلا لقب)

---

(١) هولاكو خان حاكم منغولي احتل معظم بلاد جنوب غرب آسيا . بعد أن قتل الملايين من أهلها ، وتوسع جيشه كثيرا بالجزء الجنوبي الغربي للإمبراطورية المنغولية ، مؤسسًا سلالة الخانات بفارس ، وتوالت السلالات بعد ذلك إلى أن انتهت إلى إيران الحديثة

فجاء قتيبة وجلس هو وكبير الكهنة أمام القاضي واسمه جُمَيْع

ثم قال القاضي : ما دعواك يا سمرقندي ؟

قال : اجتاحنا قتيبة بجيشه ولم يدعنا إلى الإسلام ويمهلنا حتى ننظر في أمرنا . .

التفت القاضي إلى قتيبة وقال : وما تقول في هذا يا قتيبة ؟

قال قتيبة : الحرب خدعة وهذا بلد عظيم وكل البلدان من حوله كانوا يقاومون ولم يدخلوا الإسلام ولم يقبلوا بالجزية . . .

قال القاضي : يا قتيبة هل دعوتهم للإسلام أو الجزية أو الحرب ؟

قال قتيبة : لا إنما باغتناهم لما ذكرت لك . . .

قال القاضي : أراك قد أقررت ، وإذا أقر المدعي عليه انتهت المحاكمة ، يا قتيبة ما نصر الله هذه الأمة إلا بالدين واجتناب الغدر وإقامة العدل .

ثم قال : قضينا بإخراج جميع المسلمين من أرض سمرقند من حكام وجيوش ورجال وأطفال ونساء وأن تترك الدكاكين والدور ، وأنْ لا يبقى في سمرقند أحد ، على أنْ ينذرهم المسلمون بعد ذلك !!

لم يصدق الكهنة ما شاهدوه وسمعوه ، فلا شهود ولا أدلة ولم تدم المحاكمة إلا دقائق معدودة ، ولم يشعروا إلا والقاضي والغلام وقتيبة ينصرفون أمامهم ، وبعد ساعات قليلة سمع أهل سمرقند بجلبة تعلو وأصوات ترتفع وغبار يعم الجنبات ، ورايات تلوح خلال الغبار ، فسألوا فقيل لهم إنَّ الحكم قد نُفِذَ وأنَّ الجيش قد انسحب ، في مشهد تقشعر منه جلود الذين شاهدوه أو سمعوا به . .

وما إنْ غرُبت شمس ذلك اليوم إلا والكلاب تتجول بطرق سمرقند الخالية ، وصوت بكاء يُسمع في كل بيت على خروج تلك الأمة العادلة الرحيمة من بلدهم ، ولم يتمالك الكهنة وأهل سمرقند أنفسهم لساعات أكثر ، حتى خرجوا أفواجاً وكبير الكهنة أمامهم باتجاه معسكر المسلمين وهم يرددون شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله . .

الشعبي وعبد الله بن الزبير[1]

عن الشعبي : حضرت عبد الله بن الزبير وهو يخطب بمكة

فقال في آخر خطبته : والله لو كانت الرجال تصرف لصرفتكم

تصريف الذهب بالفضة ، أما والله لَوَدِدْتُ أن لي بكل رجلين منكم رجلاً من أهل الشام ، بل بكل خمسة ، بل بكل عشرة ، فما بكم يُدرك الثأر ، ولا بكم يُمنع الجار .

فقام إليه رجل من أهل البصرة

فقال : ما نجد لنا ولك مثلاً إلا قول الأعشى :

عُلِّقْتُها عرضاً وعُلِّقَتْ رجلاً   غيري وعُلِّقَ أخرى ذلك الرَّجلُ

عُلِّقْناك ، وعُلِّقْتَ أهل الشام ، وعُلِّقَ أهل الشام بني مروان ،

فما عسانا أن نصنع؟

قال الشعبي : فما سمعْتُ بجواب أحْضَرَ منه ولا أحسن

تسليم

وحكي عن بعض الصالحين أن ابناً له مات فلم يُرَ به جزعٌ ،

فقيل له في ذلك ، فقال : هذا أمر كنا نتوقَّعُه ، فلمَّا وقع لم نُنْكِرُه .

جرح العلماء

جهل رجل على بعض العلماء ، فقال العالم : جرح العجماء جبار .

سفيان الثوري

قال سفيان الثّوري[2] : ما نظرت قطّ إلى ثقيل أو بغيضٍ إلا كحّلت عينيّ بماء وردٍ مخافة أن يكون قد التصق بها شيءٌ .

---

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، صحابي جليل وابن الصحابي الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وكنيته أبو بكر وأبو خبيب .

(٢) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الربابي التميمي من بني تميم ولد في عام(٩٧ هـ- ١٦١ هـ) كان أحد أئمة الإسلام يقول عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء «هو شيخ الإسلام» ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب الجامع .

ربنّا ولك السطل

قال عبد الله بن أحمد المقرئ : صلى بنا إمامٌ لنا وكان شيخاً صالحاً ، وقد اشترى سطلاً ، فاستحيا أن يجعله قدّامه في الصلاة ، فجعله خلفه ، فلمّا ركع شغل قلبه به ، فظن أنّه قد سرق ، فرفع رأسه ، فقال : ربنّا ولك السطل ، فقلت له : السطل خلفك ، لا بأس .

الوريث المخدوع

عن أبي حميد ، قال : مرض مولى لسعيد بن العاص[1] ، فبعث إلى سعيد بن العاص أنّه ليس له وارثٌ غيرك ، وههنا ثلاثون ألفاً مدفونةٌ ، فإذا أنا مت فخذها ؛ فقال سعيدٌ : ما أرانا إلا قد قصّرنا في حقه ، وهو من شيوخ موالينا ؛ فبعث إليه بفرس ، وتعاهده ، فلمّا مات اشترى له كفناً بثلاث مئة درهم ، وشهد جنازته ، فلمّا رجع إلى البيت ، وردّ الباب ، وأمر أن يحفر الموضع الذي ذكر ، فلم يوجد شيءٌ ، ثمّ حفر موضعٌ آخر فلم يوجد شيءٌ ، فحفر البيت كلّه فلم يوجد شيءٌ ، وجاءه صاحب الكفن يطلب ثمن الكفن ، فقال : لقد هممت أن أنبش عنه . لما تداخله .

مئة حديث

قال الحميدي : كنّا عند سفيان بن عيينة ، فحدّثنا بحديث زمزم أنّه لما شرب له ، فقام رجلٌ من المجلس ، ثمّ عاد ، فقال له : يا أبا محمد أليس الحديث الذي حدثتنا في زمزم صحيحاً؟ فقال : نعم ، قال : فإني قد شربت الآن دلواً من زمزم على أنّك تحدّثني بمئة حديثٍ ، فقال سفيان : اقعد ؛ فحدّثه بمئة حديثٍ .

---

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي ، كنيته أبو عبد الرحمن ، مات أبوه يوم بدر في جيش قريش ، وهو صحابي صغير مات النبي محمد وله تسع سنين أو نحوها ، كان أحد أشراف قريش وأجوادها وفصحائها الممدّحين .

شرٌّ منكما من يدخلكما إلى بيته

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي[(١)] : دخل مطيع بن إيّاس[(٢)] ويحيى بن زياد[(٣)] على حمّاد الرّاوية[(٤)] ، فإذا سراجه على ثلاث قصبات ، قد جمع أعلاهن وأسفلهنّ بطين ، فقال يحيى : يا حمّاد إنّك لمسرفٌ مبتذلٌ لحرّ المتاع ، فقال له مطيعٌ : ألا تبيع هذه المنارة وتشتري أقل ثمناً منها ، وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي؟ فقال له يحيى : ما أحسن ظنّك به ومن أين له مثل هذه المنارة؟ هذه وديعةٌ أو عاريةٌ ؛ فقال مطيعٌ : إنّه لعظيم الأمانة عند الناس ، قال يحيى : وعلى عظم أمانته ، ما أجهل من يخرج هذه من داره ويأمن عليها غيره ؛ فقال مطيعٌ : ما أظنها عاريةً ولا وديعةً ، ولكني أظنها مرهونةً عنده على مالٍ ، وإلا فمن يخرج مثل هذه من بيته؟ فقال حمادٌ : شرٌّ منكما من يدخلكما إلى بيته .

صنعة الشيخ

دخل أبو الحسن البتّي دار فخر الملك أبي غالب[(٥)] فوجد ابن البوّاب الخطاط جالساً على عتبة باب ، فقال : جلوس الأستاذ على العتب رعايةٌ للنسب ؛ فغضب ابن البوّاب ، وقال : لو أن لي من أمر الدنيا شيئاً ما مكنت مثلك من الدخول ؛ فقال البتي : ما تترك صنعة الشيخ رحمه الله .

---

(١) إسحاق الموصلي هو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن الموصلي التّميمي بالولاء ، الأرجانيّ الأصل المعروف بابن النّديم الموصلي نادم الرّشيد والمأمون والمُعتصم والواثق ولد عام ٧٦٧ م في مدينة الري .

(٢) ابن إياس الكناني مطيع بن إياس الكناني أبو سلمى . شاعر ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان ظريفاً ، مليح النادرة ماجناً ، متهماً بالزندقة . مولده ومنشؤه بالكوفة .

(٣) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء ، المعروف بالفراء : إمام الكوفيين ، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب .

(٤) هو أبو القاسم حماد بن أبي ليلى بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي ، المعروف بـ«الراوية» . كان من أعلم الناس بأيام العرب ، وأخبارها ، وأشعارها ، وأنسابها ولغاتها ، وهو الذي جمع السَّبع الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس .

(٥) أبو غالب محمد بن علي بن خلف ، الملقب فخر الملك ، وزير بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة بن بوية .

كناية عن القرود

حضر في مجلس أبي سعد بن أبي عمامة[1] رجلٌ من أهل اليمن ، فسأل أبا سعد أن يطلب له شيئاً ، فطلب ، فلم يعطه أحدٌ شيئاً ، وكان مقصودهم بالامتناع أن يذكرً الشيخ شيئاً يضحكون منه ، فقال أبو سعد للسّائل : من أين أنت؟ فقال : من اليمن ؛ فقال له : تكذب لست من اليمن ؛ قالً : بلى والله ، فقال : لو كنت من اليمن لكان هؤلاء يعرفونك فيعطونك ؛ فضحك النّاس وأعطوه ؛ وكان مقصوده أنّ القرود من اليمن .

كتاب على طبق

قال أحمد بن علي بن ثابت[2] : استعار رجلٌ من أبي حامد أحمد ابن أبي طاهر الأسفراييني[3] الفقيه كتاباً ، فرآه أبو حامد يوماً قد أخذ علّيه عنباً ، ثمّ إنّ الرّجل سأله بعد ذلك أن يعيره كتاباً ، فقال له : تجيءُ إلى المنزل ، فأتاه ، فأخرج الكتاب إليه في طبق وناوله إياه ، فقال الرّجل : ما هذا؟ قال له : هذا الكتاب الذي طلبته ، وهذا الطّبق تضع عليه ما تأكله ؛ فعلم بذلك ما جنى .

جودة الدعاء من جودة الأجرة

قال عبد الرحمن بن مخلدٍ : دفعت امرأة إلى رجل يقرأ عند القبور رغيفاً ، وقالت

---

(١) ابن أبي عمامة المفتي الواعظ الكبير أبو سعد المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمامة البغدادي الحنبلي .

(٢) أبو بكر أحمد بن عبد المجيد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي مؤرخ عربي .

(٣) الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفرايني الفقيه الشافعي انتهت إليه رياسة الدنيا والدين ببغداد وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلثمائة فقيه وعلق على مختصر المزني تعاليق وطبق الأرض بالأصحاب وله في المذهب التعليقة الكبرى وكتاب البستان وهو صغير وذكر فيه غرائب وأخذ الفقه عن أبي الحسن بن المرزبان ثم عن أبي القاسم الداركي واتفق أهل عصره على تفضيله وتقديمه في جودة النظر وقال الخطيب في تاريخ بغداد إن أبا حامد حدث بشيء يسير عن عبد الله بن عدي وأبي بكر الإسماعيلي وإبراهيم بن محمد بن عبدل الإسفرايني وغيرهم وكان ثقة .

له : اقرأ عند قبر ابني ، فقرأ ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر﴾ .
قال : فقالت له : هكذا يقرأ عند القبور؟ فقال لها : فإيش أردت برغيف ﴿متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان﴾؟ ذاك بدرهم!

أجرة وإشهار إفلاس

قدّم قومٌ غريماً لهم إلى الحاكم ، فادّعوا عليه ، فقال : صدقوا إلا أني سألتهم أن يؤخروني حتى أبيع عقاري وأدفع إليهم ، فإن لي مالاً وعقاراً ورقيقاً وإبلاً ، فقالوا : كذب ، ما يملك شيئاً ، إنّما يريد دفعنا عن نفسه ، فقال : أيّها القاضي اشهد لي عليهم . فعدمه ، ثمّ قال لخصومه : قد عدمته ؛ فأركب حماراً ، ونودي عليه : هذا معدمٌ ، فلا يعامله أحدٌ إلا بالنّقد ؛ فلمّا كان العشاء ترك عن الحمار ، فقال له المكاريّ : هات أجرة الحمار ، قال : ففيم كنّا مذ الغداة؟

حكمة

قال عامر بن عبد قيس : «الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان» .

تهمة باطلة

قيل للحسن : يا أبا سعيد ، إن قوما زعموا أنك تذم ابن عباس . قالوا : فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : إن ابن عباس كان من الإسلام بمكان ، إن ابن عباس كان من القرآن بمكان ، وكان والله له لسان سؤول ، وقلب عقول ، وكان والله مثجا يسيل غربا

ذنب ومغفرة

عن محمد بن الجهم وداود بن أبي داود قالا : جلس الحسن بن سهل في مصلّى الجماعة ، لنعيم بن خازم ، فأقبل نعيم حافيا حاسرا وهو يقول : ذنبي أعظم من السماء ، ذنبي أعظم من الهواء ، ذنبي أعظم من الماء قالا : فقال له الحسن بن سهل : على رسلك ، تقدمت منك طاعة ، وكان آخر أمرك إلى توبة ، وليس للذنب بينهما مكان ، وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو

بين بشر المعتمر وإبراهيم بن جبلة

مرّ بشر بن المعتمر[1] بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السّكوني الخطيب ، وهو يعلم فتيانهم الخطابة ، فوقف بشر فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظّارة ، فقال بشر : اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا . ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه ، وكان أول ذلك الكلام :

خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن في الأسماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطاء ، وأجلب لكلّ عين وغرّة ، من لفظ شريف ومعنى بديع . وأعلم ان ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول ، بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة . ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا ، وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه . وإياك والتوعّر ، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فإن حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما ، وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما . فكن في ثلاث منازل ، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا ، وقريبا معروفا ، أما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت . والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة .

وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المال . وكذلك اللفظ العامي والخاصيّ . فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك ، إلى أن تفعم العامة معاني الخاصة ، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء ، ولا

---

(١) هو أبو سهل الهلالي ، مؤسس فرع الاعتزال في بغداد ، تنسب إليه فرقة البشرية . اتصل بالفضل بن يحيى البرمكي ، وكان مقرباً اليه ، وأزهر في أيام هارون الرشيد . توفي ٢١٠هـ = ٨٢٥م . له ناحيتان بارزتان : ناحيته الأدبية ، وناحيته الاعتزالية ، ففي الأدب يمكن اعتباره أول مؤسس لعلم البلاغة العربية ، وذلك بالصحيفة القيمة التي نقلها الجاحظ عنه في البيان والتبيين .

تجفو عن الاكفاء ، فأنت البليغ التام .

قال بشر : فلما قرئت على إبراهيم قال لي : أنا أحوج إلى هذا من هؤلاء الفتيان .

فرش ابن سيرين

نظر شاب وهو في دار ابن سيرين إلى فرش في داره ، فقال : ما بال تلك الآجرة أرفع من الآجرة الأخرى؟ فقال ابن سيرين : «يا ابن أخي إن فضول النظر تدعو إلى فضول القول» .

حديث النساك

قال رجل من النساك لصاحب له وهو يكيد بنفسه : أما ذنوبي فإني أرجو لها مغفرة الله ، ولكني أخاف على بناتي الضيعة . فقال له صاحبه : فالذي ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه لحفظ بناتك

الناسك واليتيم

قال رجل من النساك لصاحب له : ما لي أراك حزينا؟ قال : كان عندي يتيم أربّيه لأوجر فيه ، فمات وانقطع عنا أجره . إذ بطل قيامنا بمؤونته . فقال له صاحبه! فاجتلب يتيما آخر يقوم لك مقام الأول . قال : أخاف ألا أصيب يتيما في سوء خلقه! قال له صاحبه : أما أنا فلو كنت في موضعك منه لما ذكرت سوء خلقه

يخاف أن يضيع القرآن

وسمع أبو هريرة النحوي رجلا يقول : ما يمنعني من تعلم القرآن إلا أني أخاف أن أضيعه . قال : أما أنت فقد عجلت له التضييع ، ولعلك إذا تعلمته لم تضيعه .

طرائف العشاق

صيد الجواري

كان لحمنة بنت عبد الرحمن الهاشمي من الأموال ما لا يسعه الديوان ، ولا تأكله النيران لكثرته ، وكانت أكثر نساء بني هاشم أدباً وأفصحهن لساناً وأقولهن شعراً ، فدخلت على المأمون يوماً ، وكانت تحبه غاية الحب سراً ، وكان المأمون[1] جالساً في إيوان قد ابتدعه لنفسه لم يبتدعه أحد من الخلفاء قبله ، وكان قد تأنق في بنائه ، وكان فيه من كل صورة في البر والبحر ممثلة من الذهب والفضة ، وقد فرشه ببساط من الديباج الأصفر ، وأسبل عليه ستوراً من الحرير الصيني ، وقد أقام فيه أربعمائة وصيفة بقراطق الحرير ، وقد لبسن الوشي بطرر وشعور وأصداغ ، وهن بقد واحد ، لا تزيد الواحدة منهن على الأخرى ، أقام مائتين عن يمنيه ومائتين عن يساره ، فقال : يا حمنة! هل كان لأبيك أو لبعلك أو لأحد من الخلفاء مثل هذا الإيوان مع فرشه ، ومثل هؤلاء الجواري مع زينتهن؟ فقالت : يا أمير المؤمنين! متعك الله به وعمره بك ، فلقد أوتيت ملكاً عظيماً تستأهله لترفهك وشرفك ، فإن أحببت خادمتك حمنة أجلستك في مجلس لم تجلس في مثله قط وأصادتك صيداً لم تصد مثله قط ، وأسقتك شراباً لم تشرب مثله قط .

وكان عنده يحيى بن أكثم[2] ، فقال لها : ياحمنة ، قد أجبتك إلى ما سألتني ، ولكن لا ينفعني ولا يهناك ذلك إلا بمشهد من يحيى بن أكثم ، فإنه لا يطيب لي مجلس إلا به .

فقالت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم ضربت يدها في جيبها ، فأخرجت منه مخزنة من ذهب أحمر محشوة مسكاً أذفر ، فدفعتها إلى يحيى ، وقالت : يا يحيى ، إن الأجير لا يعمل حتى يستوفي أجرته ، وهذه أجرتك مني فكن مستحثاً لي أمير المؤمنين غداً عند الزوال ، في المسير إلى منزل خادمته؟ فقال : حباً وكرامةً .

ثم خرجت من عنده فهيأت ما تحتاج إليه للمأمون وغيره ، فلما كان من الغد

---

(١) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ، ولد عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ وتوفي غازيا في ١٩ رجب عام ٢١٨ هـ ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣ بطرسوس ، شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول وذلك لأنه شارك فيها بنفسه .

(٢) يحيى بن أكثم بن مُحمّد التميمي ، عالِم وإمام وفقيه وراوٍ للحديث النبوي وقاضي قضاة أهل البصرة ويُعّد من تبع التابعين .

جلس المأمون في مجلس السلام ، فلما زالت الشمس وصارت في كبد السماء قال يحيى : يا أمير المؤمنين الحاجة التي عرضت عليك بالأمس . ففطن المأمون لذلك ، وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار ، ولبس يحيى مثل ذلك ، ودعا بحمارين مصريين بغاشيتين ، وركباهما حتى أتيا دار حمنة ، فدقا الباب دقاً خفيفاً ، فسمعته فأقبلت بنفسها ، حتى فتحت الباب وأقبلا يمشيان جميعاً حتى انتهيا إلى بيت في بستان قد حمل على أربعة أعمدة من الرخام الأحمر المنقوش ، وإذا في صدر البيت أربعة أسطر منقوشة بالدر وصنوف الجواهر وهي :

ما سرني أن فؤادي ، ولا أن لساني بالمدام حلا
وأن لي ملك بني هاشم يجبى إلى أولاً أولا
إن لم أشاهدكَ أيا مالكي تأتي إلى بيتي كذا مقبلا
يا سائلي روحي بلا علة أنت المعافى ، وأنا المبتلي

فقال المأمون : يا يحيى ، ما ملك أحدٌ من الخلفاء مثل هذا البيت .

وإذا فرشه أرمني محفور منقوش باللآلئ وإذا فوق الأرمني مطارح من الديباج الأخضر حشوها حواصل الريش ، وفي البيت المسك والعنبر والكافور والصندل والزعفران والند والعود مصفوف في أواني الذهب والفضة ، وهي تفوح منه روائح لا يدري ما هي من طيبها ، ثم أخرجتهما إلى أربعة ميادين فيها أنواع الرياحين حول البيت ، فقالا : إن هذا إلا سحر يؤثر .

ثم دعت لهما بمائدة من الجزع اليماني قوائمها من قطعة واحدة ، فوضت وقدمت عليها الألوان الغريبة ، فقال المأمون : ما طعمت مثل هذا الطعام قط .

ثم دعت بالطشت والإبريق فغسلا أيديهما ، ثم أمرت بشراب فقدمت إليهما قناني الزجاج الشامية المرتفعة الصافية ، والبلور ، فيها شراب قد أتت عليه الأيام والأعوام ، فهي تحكي الهواء لرقتها والياقوت لحمرتها والزنجبيل لحدتها ، ووضعت بين أيديهما مع أقداح وأنطال تشاكل ذلك ، فقال المأمون : والله! ما رأيت مثل هذا قط .

ثم أخرجت جاريتين عليهما جباب الوشي الكوفي المنسوج بالذهب ، وعلى رأسيهما مقانع رشيدية وتيجان من الذهب مكللة بالجوهر ، فجلستا وفي حجريهما العيدان المبسوطة الموزونة ، فحركتا الأوتار وغنتا بصوت شجي مليح ، من أنواع الأغاني وغرائب الأصوات ، فقال المأمون : هذه الجنة مما نرى فيها من غرائب الطيب والجوهر .

فقال يحيى : وقد بقي لنا يا أمير المؤمنين ، شرط آخر .

فقال : وما هو يا يحيى؟ قال : الصيد ، يا أمير المؤمنين .

قال : صدقت يا يحيى ، ثم قال : يا حمنة ، ما فعل الصيد؟ فقالت : قوما إليه .

فقام المأمون ويحيى حتى دخلا بستاناً لم ير مثله ، وقد كانت زينت البستان بأحسن ما تقدر عليه ، واتخذت فيه ألوان الطيور من الفاخت والقمري والهزار والطواويس ، فكانت الأطيار تغني من رؤوس الأشجار ، وتغرد بالسر والإجهار ، وقد كانت زينت مائة جارية نواهد أبكار بطرر وشعور وخدود ومباسم ساطعات الأنوار ، ترى كل واحدة منهن أبهى من صاحبتها وأحسن ، وعليهن من ألوان الثياب ما يعجز عنه الوصف ، وفي وسطهن مناطق الذهب الأحمر ، وتقدمت إليهن وقالت لهن : إذا رأيتن المأمون ويحيى ، تعادين ما بين الأشجار . فلما دخل المأمون ويحيى لابستان ، فعلن ما كانت أمرتهن ، فتضاعف السرور على المأمون ، وأعجب بذلك عجباً شديداً ، ثم قال ليحيى : هذا الصيد .

فقال : يا أمير المؤمنين! رأيك؟ فقال المأمون : لو كان لنا كلب لا صطدنا هؤلاء .

فقال يحيى : أنا كلبك ، يا أمير المؤمنين .

فعد المأمون ويحيى فاصطادا منهن صبية ، فقالت حمنة : سألتك بحق أجدادك إلا ما خليت عن الجواري لا لبخل أبخل بهن عليك ، وقد فهمت المعنى فيه .

وقد كانت حمنة تغار على المأمون فخلى عن الجواري ، وقال ليحيى : دونك والصيد إذن أنت محل .

فقال يحيى : لو كان لي كلب لاصطدت من هؤلاء .

فقال المأمون : أنا كلبك .

فضحك يحيى وضرب بقلنسوته الأرض ، وعد خلفهن ، فأخذ منهن خمسة فقالت حمنة : يا يحيى لك الخمسة ولا غيرة لي عليك ، وإنما أغار على المأمون لحاجتي إليه .

فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ، لقد رأيت الهوى الغالب في حماليق عينيها ، ولا تتم لنا النعمة إلا بتزويجك إياها إن رأيت ذلك .

فقال المأمون : أنا بريء من رسول الله ﷺ ومنتف من جدي العباس إن ذهبت من البستان ولم أتزوجها ، ثم قال : يا يحيى اخطب خطبة النكاح .

فخطب يحيى وأمهرها المأمون ألف ألف دينار ، وأقطعها مائة من منتخبات

الضياع ، فحمدت حمنة الله سروراً بما ظفرت من تزويج المأمون إياها ، وأمرت ليحيى بعشرة آلاف دينار ، ورجع المأمون إلى منزله وزفت إليه في تلك الليلة ، فواقعها فحملت بالعباس ابنه .

حيل الجواري

حكي أن المأمون كان مشغوفاً بحب جارية يقال لها نسيم ، وكانت ذات عقل وأدب وفضل وكمال ، وكان لا يفارقها في الحضر ولا في السفر ، ثم بعد ذلك مال إلى جارية أخرى أحسن منها ، وأعرض عنها ، فاغتمت ولم تجد حيلة في استعطافه ، وكانت لها جارية رومية أحسن منها في العقل والأدب ، وكتمت أمرها عن المأمون ، فاتفق أن المأمون حصل له بعض ضعف ، ففصد ، فحصل له الشفاء ، فجعل الناس يدخلون إليه بأصناف التحف والهدايا ، فأهدت إليه نسيم الجارية المذكورة ، ومعها جام بلور ، وغطته بمنديل ديبقي مكتوب عليه بالذهب هذه الأبيات :

فصدت عرقاً تبتغي صحةً ألبسك الله به العافية
فاشرب بهذا الجام يا سيدي مستمتعاً بهذه الجارية
واجعل لمن أهداكها زورةً تحظى بها في الليلة الثانية

فأعجب المأمون ما رأى من الجام والجارية ، ثم بعث لها يقول : نعم ، وفي هذه الليلة ، ثم رضي على نسيم وواصلها بعد ذلك .

الست بدور والأمير عمرو

يحكى أن الرشيد[1] أرق ذات ليلة أرقاً شديداً ، فاستدعى جعفراً[2] وقال : أريد منك أن تزيل ما بقلبي من الضجر .

---

(١) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين . حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م . الولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

(٢) هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد وحامل خاتم السلطة . كان أبوه قد أرسله إلى القاضي أبو يوسف لتعليمه وتفقيهه . اشتهر بمكانته من هارون الرشيد وعلو قدره ونفاذ كلمته .

فقال الوزير : يا أمير المؤمنين ، كيف يكون على قلبك ضجر ، وقد خلق الله أشياء كثيرة ، تزيل الهم عن المهموم ، والغم عن المغموم ، وأنت قادر عليها؟ فقال الرشيد : وما هي يا جعفر؟ فقال له : قم بنا الآن ، حتى نطلع فوق سطح هذا القصر ونتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته كأنه وجه من تحب كما قيل :

فكأنما حسن السماء ولونها   قد رقمت فيها أفانين الصور
وكأن هذا البدر حين بدا لنا   في بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد : يا جعفر ، ما تلفتت نفسي إلى شيء من ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، افتح شباك القصر الذي يطلع على البستان وتفرج على حسن تلك الأشجار واسمع صوت تغريد الأطيار وانظر إلى هدير الأنهار وشم روائح تلك الأزهار واسمع الناعورة التي كأنها أنين محب فارق محبوبه ، وهي كما قال فيها بعض واصفيها :

وناعورة حنت وغنت وقد غدت   تعبر عن حال المشوق وتعرب
وترقص عطف البان تيهاً لأنها   تغني له طول الزمان ويشرب

وإما أن تنام يا أمير المؤمنين ، إلى أن يدركنا الصباح .

فقال : يا جعفر ، ما تلتفت نفسي إلى شيء من ذلك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، افتح الشباك الذي يطلع على الدجلة حتى تتفرج على تلك

المراكب والملاحين ، فهذا يصفق ، وهذا ينشد موالياً ، وهذا يقول دوبيت ، وهذا يقول كيت وكيت .

فقال الرشيد : ما تلتفت نفسي إلى شيء من ذلك .

فقال جعفر : قم يا أمير المؤمنين ، حتى ننزل إلى الاصطبل الخاص وننظر إلى الخيل العربيات وتتفرج على حسن ألوانها ، ما بين أدهم كالليل إذا أظلم ، وأشقر ، وأشهب ، وكميت أحمر ، وأبيض ، وأخضر ، وأبلق ، وأصفر ، وألوان تحير العقول .

فقال الرشيد : ما تلتفت نفسي إلى شي من ذلك .

فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ، عندك في قصرك ثلاثمائة جارية ، ما بين جنكية ، إلى عودية ، إلى دفية ، إلى قانونية ، إلى زامرة ، إلى مغنية ، إلى راقصة ، إلى سنطيرية ، أحضر الجميع ، وأحضر العقار المروق ، فعل أن يزول ما بقلبك من الضجر .

فقال : ما تهم نفسي إلى شيء من ذلك .

فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ما بقي إلا ضرب عنق مملوكك جعفر ، فإني قد عجزت عن إزالة هم مولانا .

فقال : يا جعفر ، أما سمعت قول ابن عمي رسول الله ﷺ ؟ فقال : من فم مولانا أسمع .

فقال الرشيد : قال رسول الله ﷺ : «فرح أمتي في ثلاث : أن يرى بعينه شيئاً ما رآه ، أو يسمع شيئاً ما سمعه ، أو يطأ مكاناً ما وطئه» ، فيتفق يا جعفر أن يكون في بغداد مكان ما وطئناه ، أو شيء ما سمعناه ، أو موضع ما رأيناه .

فقال جعفر : أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أطلع إلى مجلس النوبة وأنظر أحداً من المسافرين أحضره بين يدي أمير المؤمنين ، لعله أن يحدثك بحديث ما سمعته؟ فقال الرشيد : قم وافعل .

فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ أبي الحسن الخليع الدمشقي المسامر(١) . قال : فلما رأى أمير المؤمنين سلم فأحسن وترجم فأبلغ ، ثم قال : يا أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وخاتم النبي ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ، أطال الله بقاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لأعداك لا خمدت لك نار ولا أغيظ لك جار ، ثم أنشد يقول :

دام لـــك العــز والبقـــاء	ما اختلـف الصبـح والمساء
ودمــت ما دامــت الليالـي	بمـدة مـا لهـا انقضــــاء
النــاس نــاس بكــل أرض	وأنــت مــن فوقهـم سمـاء

قال : فرد الشيخ السلام وقال له : اجلس يا أبا الحسن ، وحدثنا بحديث عجيب مليح لم نسمعه قط؟ فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، أحدثك بشيء سمعته بأذني أو بشيء رأيته بعيني؟ قال الرشيد : يا شيخ أبا الحسن الذي تراه العين أحسن من الذي تسمعه الأذن .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، أفرغ لي عن ثلاثة أشياء منك؟ فقال : ما الثلاثة؟ فقال : ذهنك وسمعك وقلبيك .

---

(١) أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر الشاعر البصري المعروف بالخليع ، مولى لولد سلمان بن ربيعة الباهلي الصحابي رضي الله عنه ، وأصله من خراسان ؛ وهو شاعر ماجن مطبوع حسن الإفتنان في ضروب الشعر وأنواعه ،

فقال الرشيد : هات يا أبا الحسن .

فقال : يا أمير المؤمنين لي عادة أني أسافر في كل سنة إلى البصرة للأمير محمد بن سليمان الزينبي ، وأقعد عنده أحدثه الأسمار ، وأورد له الأخبار ، وأنشد له الأشعار ، ولي عليه رسم ألف دينار آخذها وأعود إلى بغداد . فاتفق لي من سنة من السنين أني سافرت إلى البصرة على عادتي ودخلت على الأمير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الأول والثاني والثالث ، فركب إلى الصيد وتركني في منزله وأوصى أرباب دولته بخدمتي وإكرامي إلى أن يعود ، وأوصى الطباخ الذي له أن لا يطعمني إلا شيئاً تشتهيه نفسي ، فاشتهيت السمك فقلت للطباخ : فعمل لي من السمك عدة ألوان فأكلت وطاب لي الأكل حتى ثقل على فؤادي ، فقلت : ما يصرف عني هذا إلا المشي ، ولي عدة أسفار إلى البصرة ما أعرف فيها مكاناً ، وأريد اليوم أن أجعلها حجة وفرجة . ثم إني نزلت أتمشى في شوارع البصرة فعطشت عطشاً شديداً وناهيك بعطش السمك ، فقلت في نفسي : إن تناولت شربة من السقاء لا تطيب نفسي لأنه يشرب منه أصحاب الأمراض ، وكبر على نفسي أن أحملها إلى شاطئ الدجلة ، وقلت : ما لي إلا أن أقصد بعض دور المحتشمين وأطلب منها شربة من ماء ، فأتيت إلى درب وفي ذلك الدرب خمسة دور داران مقابلتان لدارين ودار صدرانية قد قامت من التراب وتعلقت بأذيال السحاب ، ولها باب مقنطر مزخرف بمصاطب طولانية ، مفروش عليها حصر عبدانية ، والباب ساج مصفح بصفائح الذب الوهاج ومسامير الفضة وستر من الحرير الأصفر المدثر مكتوب عليه هذه الأبيات :

ألا يا دارُ لا يدخلك حزنٌ   ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار أنت لكل ضيف   إذا ما ضاق بالضيف المكانُ

قال : فقلت في نفسي ، من هذه الدارَ أشرب الماء ، فأتيت إلى الباب فسمعت صوتاً ضعيفاً من فؤاد نحيف ، وقائلاً يقول :

بالله ربكما عوجا على سكني   وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضاً بي وقولاً في حديثكما   ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فإن تبسم قولا في ملاطفة   ما ضر لو بوصال منك تسعفه

وإن بدا لكما في وجهه غضبٌ   فغالطاه وقولا ليس نعرفه

قال : فقلت ، يا حبذا إن كان قائل هذا الصوت شخصاً صورته على قدر صوته واحتشمت ، ثم إني قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت الدهليز إلى أن انتهيت إلى

آخره ومديت طرفي ، وإذا أنا بدار قد أقبلت عليها السعادة ، وزالت عنها الشقاوة ، ورأيت في صدر ذلك المكان إيواناً[١] وبركة وشاذرواناً[٢] ، وفي ذلك الإيوان تخت من السياج ، وقوائمه من العاج ، ومصفح بالذهب الوهاج ، وفوق التخت فراش من الحرير الأطلس ، ومسند مزركش ، وعليه جارية نائمة خماسية القد ، قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة ، أشهر من علم ، تربية العجم على أكتاف الخدم ، بخد أسيل ، وطرف كحيل ، وخصر نحيل ، وردف ثقيل ، إن أقبلت فتنت ، وإن ولت قتلت ، كما قال فيها بعض واصفيها :

كما اشتهت خلقت حتى إذا اعتدلت ... في قالب الحسن لا طول ولا قصر
جرى بها الشحم حتى دار أعكنها ... طي القباطي فلا سمن ولا غور
كأنها أفرغت من ماء لؤلؤةٍ ... في كل جارحة من حسنها قمر

إلا أن الجارية ، يا أمير المؤمنين ، قد حكمت عليها يد الأيام ونزلت بها جميع الأسقام وعند رأسها طبيب ، وهو يجس يدها ويقول : يا ست بدور ، الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شيء تشتكينه أكثر من سهر الليل وجريان الدمع لعل الست في قلبها هوى من أحد ، فلما سمعت كلام الطبيب أنشدت تقول :

إذا هممت بكتمان الهوى نطقت ... مدامعي بالذي أخفي من الألم
فإن أبح افتضح من غير منفعة ... وإن كتمت فدمعي غير منكتم
لكن إلى الله أشكو ما أكابده ... من طول وجد ودمع غير منصرم

قال : فنهض الطبيب قائماً على قدميه فناولته صرة فيها عشرون ديناراً ، ثم التفتت إلي وقالت : من أين يا شيخ؟ فقلت لها : من بغداد ، حملني العطش إلى أن أتيت إلى هنا .

---

(١) الإيوان هو قاعة مسقوفة بثلاثة جدران فقط والجهة الرابعة مفتوحة تماما للهواء الطلق أو قد تكون مصفوفة بأعمدة أو يتقدمها رواق مفتوح وتطل على الصحن أو الفناء الداخلي .

(٢) الشاذروان بفتح الذال وتسكين الراء ، وهو ما ترك من عرض أساس البيت الحرام خارجا ويسمى تأزيرا لأنه كالإزار ، وهو مأخوذ من كلمة شوذر الفارسية ومعناها الإزار . .فهو الوزرة المحيطة بأسفل جدار الكعبة المشرفة من مستوى الطواف ، وهو مسنم الشكل ومبني من الرخام في الجهات الثلاث ، ما عدا جهة الحِجْر ، ومثبت فيه ٤١ حلقة يربط فيها حبال ثوب الكعبة المشرفة ولا يوجد أسفل جدار باب الكعبة المشرفة شاذروان .

فقالت : لعل أن يكون على يدك فرجي ، فأنا أكتب لك ورقة فتسال عن بيت الأمير عمرو وتعطيه إياها ، فإن رددت علي الجواب فأنا أعطيك خمسمائة دينار .

ثم استدعت بدواة وورق وكتبت ، وهي تقول : أما بعد ، يعجز لساني ويكل جناني عن بث الأشواق ، ولكن أسأل الكريم الخلاق أن يمن علينا بالتلاق بالسعد الرائق والأمر الموافق ، وأنا القائلة حيث أقول :

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم ... وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد دمعي إذا ما ذكرتكم ... جرى فوق خدي لا يطاق له رد
إذا الريح من نحون الحبيب تنسمت ... وجدت لمسراها على كبدي برد
فوالله ما أحببت ما عشت غيركم ... ولا كنت إلا ما حييت لكم عبد
سلام عليك ما أمر فراقكم ... فلا كان منكم ما جرى آخراً عهد

أما بعد ، فهذا كتاب ممن ليلها في نحيب ، ونهارها في تعذيب ، لا أتركن إلى عاذلٍ ولا تصغي إلى قائل ، قد غلبتها أيدي الفراق ، ولو شرحت بعض ما عندها للفسيح ضاق وما وسعته الأوراق ، ولكن أسأل الكريم الخلاق ، رافع السبع الطباق ، أن يمن علينا بالتلاق ، وأنشدت تقول :

أحبة قلبي وإن جرتم ... علي فكل المنى أنتم
رحلتم وفي القلب خلفتم ... لهيباً فهلا ترفقتم
وأودعتم يوم ودعتم ... بأحشاي ناراً وأضرمتم
وما كنتم تعرفون الجفا ... على شؤم بختي تعلمتم

فألف ألف لا أوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي إليكم ما حن الغريب إلى الأوطان ، وغرد حمام الأيك على البان ، فرحم الله من قرأ كتابي وتعطف برد جوابي ، وأنشدت تقول :

أحبابنا ما رقا دمعي لفرقتكم ... يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لي من بعدكم جلد ... ولا فؤاد ولا صبر أرجيه
فكم أمني فؤادي بالهوى كذباً ... ولست أول من بانت غواشيه

قال : ثم إنها طوت الكتاب وختمته بعد أ ، نثرت فيه فتات المسك والعنبر ، وناولتني إياه

فأخذته ، وأتيت إلى دار الأمير عمرو فوجدته في الصيد والقنص ، فجلست

على بابه ساعة أنتظره وإذا به قد أقبل ، وهو راكب على حصان أشقر ، من الخيل الضمر يساوي ملك كسرى وقيصر ، من أولاد الأبجر ، الذي كان لعنتر ، إن طلب لحق ، وإن طلب لم يلحق ، والأمير في ظهره كأنه البدر في منزلته ، والمماليك قد أحدقوا به كما تحدق النجوم بالقمر ، وهو بخد أسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار أخضر فوق خد أحمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال فيه ابن معشر :

قمر تكامل في نهاية حسنه ... مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه ... والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال بأسره فكأنما ... حسن البرية كلها من عنده

قال أبو الحسن : فما أمهلته دون أن قبلت ركابه ، فلما نظر إلي ترجل واعتنقني وخذ بيدي وأدخلني الدار وأنشد يقول :

ما أظن الزمان يأتي بهذا ... غير أني رأيته في منامي

قال : فلما جلس على حافة البركة أقبل علي يحدثني ساعة ، وإذا بالمائدة قد وضعت بين أيدينا ، وإذا عليها من ألوان الطعام ما درج وتطاير في الأسحار ، وتناكح في الأوكار من قطاً وسماني وأفراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر وأفراخ رضع وبعلبكات السكر فقال لي : بسم الله يا شيخ يا أبا الحسن ، فقلت : لا والله يا مولاي ، ما أكلت لك طعاماً ولا شربت لك مداماً ، إلا أن قضيت لي حاجتي .

فقال : يا أبا الحسن كان هذا من الأول . أين الكتاب الذي للست بدور؟ فقلت : يا سيدي وما هي الست بدور .

فقال : التي جئت من عندها تطلب شربة من الماء منها ، ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت .

فقلت : يا مولاي أكنت حاضراً؟ فقال : لو كنت حاضراً فلأي شيء كتبت الكتاب؟ فقلت : هل جاء أحدٌ من عندها وأعلمك؟ فقال : إنه لا يجسر أحدٌ من غلمانها أن يقابلني .

فقلت : ولا راح أحد من عندك إليها .

فقال : هي أخس وأحقر منم أن يمضي إليها أحد من عندي .

فقلت : يا سيدي! الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى والوحي ما نزل إلا على رسول الله ﷺ .

فقال : يا عاقل أما سمعت قول القائل :

قلـــوب العاشقـــين لهـــا عيـــونٌ   تـــرى مـــا لا يـــراه الناظرونـــا
وأجنحـــة تطيـــر بغيـــر ريـــش   إلـــى ملكـــوت رب العالميـــنا

فقلت : صدقت يا مولاي ، ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه في البركة فصعب علي ، فلما علم مني ذلك قال : م غيظك؟ أقعد الليلة عندي كل واشرب وخذ مني الخمسمائة دينار التي وعدتك بها الست بدور ، وأنا أحب إليك منها وأنشد يقول :

رأيـت شـاة وذئباً وهـي ماسكـة   بأذنـه وهـو منقـاد لهـا سـاري
فقلـت : أعجوبـة ثـم التفـت رأى   ما بـين نابيـه ملقى نصف دينـار
فقلـت للشـاة : مـاذا الإلف بينكمـا   والذئـب يسطـو بأنيـاب وأظفـار
تبسمـت ثم قالـت وهي ضاحكـة   بالتبر يكسر ذاك الضيغم الضـاري

قال : فلما سمعت كلامه ، يا أمير المؤمنين تقدمت وأكلت بحسب الكفاية والنهاية . ثم انتقلنا إلى مجلس الشراب وقدمت بين أيدينا البوطي والسلاحيات ، فتناول الأمير عمرو وشرب وسقاني ، وأنا أحدثه وأنادمه إلى أن قرب الغروب فقال : يا أبا الحسن ، ما لذة الأمير إذا شرب إلى المساء من غير غناء؟ فقلت : يقال : الشراب بلا طرب ولا سماع ، الدن أولى به .

فقال لي : قم بسم الله .

فقمت معه إلى مجلس وحضيرة تنقط بالذهب واللازورد العجيب ، وهي مزخرفة قد عبقت أزهارها وضحكت سلاحيتها وصفت بواطيها ورفعت أقداحها فجلس الأمير عمرو وأجلسني بجانبه وقدمت بين أيدينا الشموع وأسرجت القناديل فنظرت إلى مجلس عجيب وحضيرة مليحة ثم قلت : يا مولاي ، قد تقدم القول إن الشراب بلا سماع ، الدن أولى به ، فصفق بكف وإذا بثلاث جوار قد أقبلن كأنهن الأقمار . الواحدة تحمل عوداً ، والثانية تحمل دفاً ، والثالثة تحمل مزماراً ثم نقرت الدفية على دفها ، وألحت العودية عودها وزمرت الزامرة بمزمارها فخيل إلي أن المجلس الذي نحن فيه يرقص بنا ثم إن الدفية غنت تقول :

أحبابنـا إننـي مـن يـوم فرقتكـم   على فراش الضنا ما زلت مضطجعا
داويـت قلبـي بحسن الصبر بعدكـم   عسى يفيق من الأسقام مـا نفعـا

فوالله يا أمير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها . فلما فرغت

الدفية ضربت العودية على عودها طرقاً عديدة ، ثم رجعت إلى الطريقة الأولى وأنشدت تقول :

أمؤنس طرفي لا خلا منك ناظري ... وجامع شملي لا خلا منك مجلسي
ويا ساكناً قلبي وما فيه غيره ... يحل فما استوحشت فيه لمؤنسي
وبالله يا أغنى الورى من ملاحة ... تصدق على صب من الصبر مفلس
أنلني الرضا حتى أغيظ به العدا ... ويا موحشي من بعد ما كان مؤنسي
رضاك الذي إن نلته نلت رفعةً ... وألبسني في الناس أشرف ملبس

قال : والله يا أمير المؤمنين لم نتمالك عقولنا من الطرب ، ثم التفتت العودية نحو الدفية وقالت لها : يا فلانة أتحسني أن تقولي مثل هذا؟ فقالت الدفية : أنا أحفظ أبياتاً ما أظن أنك تحفظين لهن وزناً ولا قافية ولا عَروضاً .

فقالت العودية : هات ما عندك .

فنقرت الدفية على دفها بأناملها ورفعت صوتها وهي تقول :

كرر وردد ذكرهم في مسمعي ... فهم الشفا لتألمي وتوجعي
أقصر بعذلك يا عذول فإن لي ... قلباً لعذلك لا يفيق ولا يعي

فقالت لها العودية : أنا أحفظ الوزن والقافية والعروض .

فقالت الدفية : هات .

فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين وأربعة وأربعة وثمانية وستة عشرة وستة عشر ثم عادت إلى الطريقة الأولى وجعلت تقول :

إن لم ألِ وادي إلا سيل بأدمعي ... أعلم بأني في الصبابة مدعي
يا سعد إن جئت الغوير وعاينت ... عيناك بأن المنحني فلترجع
وخذ الحذار من الغزال المختفي ... واحذر يصيدك لحظ ذات البرقع

قال : والله يا أمير المؤمنين فلقد طربنا حتى قام كل منا ورقص . فلما فرغت الجارية قال لها سيدها : عن لي على الذي بقلبي وحدي ، فعندها ساوت عودها وقالت :

ما كنت أول رامق صبا صبا ... نحو التصابي ، وهو في عمر الصبا
فعلام يعذلني العذول على البكا ... لولا الغرام لما غدوت معذبا
حم الغرامُ بحكمه في مهجتي ... ولقد غدا قلبي به متقلبا
يا للرجال خبا الهوى بحشاشتي ... ناراً ، فما تخبو على ذاك الخبا

ولقـد سبـى قلبـي غـزال لـو رأت   بلقيـس طلعتـه لمـا سكنت سبا
ولقـد هربـت من الغـرام فقال لـي :   مهـلاً! فلـن تجـدن منـي مهربـا

فلما سمع الأمير عمرو ذلك صرخ ووقع على الأرض مغشياً عليه . فقالت الجارية : يا مولاي ، إنه قد نام سيدي ، فإن اخترت أن تنام فقم نم في مرقدك ، وإن اخترت الشراب فدونك ، ونحن بين يديك إلى الصباح .

فقمت ونمت فلما أصبحت قمت وسألت عن الأمير عمرو فقال بعض الجواري : إنه قد سرح إلى الصيد والقنص فأخذت شاشاً لألبسه فرأيت تحته كيساً فيه ألف دينار ، فأخذته وأتيت إلى الست بدور ، وإذا بها واقفة خلف الباب تنظر وهي تقول :

يا رسولـي إلـى الحبيب اعتذر لـي   فلعـل الحبيـب بقبـل عـذري
ثم قـل للحبيـب عني بلطـف :   أي ذنـب جـرى فأوجـب هجري

فلما رأتني قالت : يا شيخ أقمح أم شعير؟ فقلت : لا والله ما هو إلا زوان ، والله ما رضي يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك .

فرمت إلي الصرة وفيها مائة دينار ، وقالت : اذهب يا أبا الحسن ، ما مضى الليل وأتى النهار على شيء إلا وأزاله وغيره ويغير الله ما في القلوب .

ثم إنها أغلقت الباب في وجهي ومضت وعدت إلى دار الأمير محمد بن سليمان الزينبي فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده أياماً وأخذت رسمي وعدت إلى بغداد . ثم إني في السنة الثانية سافرت إلى البصرة على ما جرت العادة به ومضيت إلى الأمير عمرو بن جبير الشيباني لأتمتع بذلك الوجه المليح والقد الرجيح ، فوجدت الدار متغيرة الآثار والعبيد لابسين السواد فلما رأيت ذلك بكيت وأنشدت أقول :

يـا دار أيـن ترحـل السكـان   وسـرت بهـم من بعدها الأظعـان
بالأمـس كـان بك الضياء مع الهنـا   واليـوم عرصاتـك الغربـان

فسمعني بعض الغلمان ، فظهر لي وقال : من ذا الذي يبكي على ديارنا ويندب منازلنا؟ كفى بنا ما عندنا .

فقلت له : يا عبد الخير ، إن صاحب هذه الدار كان من أصدق الناس إلي فما فعل به الزمان؟ فقال لي الغلام : يا مولاي هو في قيد الحياة . وهو يطلب الموت فلا يجده .

فقلت له : بالله عليك خذ لي الطريق .

فقال لي الغلام : يا مولاي من أقول .

فقلت : قل الشيخ أبو الحسن الخليع الدمشقي المسامر .

قال : فعبر الغلام وغاب ساعة وعاد وقال لي : بسم الله أدخل . ويقول له : يا مولاي الضارب ضارب والساكن ساكن لا برد ولا حمى ولا تشتكي غير سهر الليل وجريان الدمع ، لا يكون المولى إلا مسحوراً .

فلما سمع الأمير عمرو كلام الطبيب بكى وأنشد يقول :

قال الطبيب لقومي ، حين جس يدي : هذا فتاكـــم ورب البيت مسحـــور
فقلت : ويحك قد قاربت في صفتـــي عين الصواب فهلا قلت مهجـــور

ثم إنه ناوله كاغداً فيه بعض دنانير ، فأخذها الطبيب وانصرف ثم التفت الأمير عمرو إلي وقال : يا شيخ أبي الحسن أما تنظر إلى هذا الحال الذي وقعت فيه؟

فقلت له : حاشاك من الأسوأ ما سبب ذلك؟ قال : ما أعرف له سبباً إلا أن هجر الست بدور قد قتلني وحبها أضنى فؤادي .

فقلت : يا مولاي ، بالعام الماضي تركتك أميراً ، واليوم أتيت لقيتك أسيراً فما السبب؟ فقال الأمير عمرو : يا شيخ إني في ليلة من الليالي ركبت في الشط ، وقد شحنت مركبي من سائر الأزهار والفواكه والرياحين والطعام والمدام ، وأوقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار ، وقد غرقنا في البسط ، وبقينا في لعب وضحك إلى ثلث الليل الأول ، وإذ قد أقبل من صدر الشط مركب وهو يعزف بالطارات والدفوف ويضيء كضوء الشمس وفيه وهج عظيم ، فقلت للملاح : قدم بنا حتى نتفرج وننظر أينا أحسن تعبية مركبنا أو هذا المركب؟ فمددت عيني فرأيت صاحبتي الست بدور ، وهي بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك ، وهي مثل اسمها ، اسم على مسمى ، فلما وقعت عيني عليها ، كأنما رمت في قلبي جمرة نار فقلت في نفسي : ما فارقت هذا الوجه المليح بذنب . ثم إني تذكرت العهد القديم الذي كان بيننا فلم أقدر أن اصبر ، فمدت يدي وأخذت تفاحة

ورميتها إلى الست بدور فالتفتت فرأتني . فقالت للملاح : ارجع بنا إلى البر ، نحن خرجنا هذه الليلة ننشرح ، فأرسل الله لنا هذا الفتى ينغص علينا عيشنا . فلما سمعتها تشتمني أضرمت النار في قلبي ثم قلت لنفسي : أنت كنت المطلوب فصرت الطالب ، فلم يهن لي عيش في هذه الليلة فقلت للملاح : ارجع إلى الشط . ثم إني نزلت ومضيت إلى منزلي وما ذقت طعم المنام . فلما أصبحت لم يقر لي قرار وصرت

أترقب أن يأتي أحد من عندها ، ثلاثة أيام ، فلم يأت أحد فبعثت من يعرض بذكري لها ، فدعت عليهم وشتمتهم . فكتبت لها بعد ذلك ألف كتاب ، فلم ترد لي جواباً ، وقد رميت روحي على كل كبير في البصرة ، فيدخلون عليها فلم تقبل ولم تزدد إلا جفاء ، ولي مدة أنتظرك يا شيخ أبا الحسن حتى أبعث معك كتاباً وأنا أحلف لك إن هي ردت لك جوابه أعطيتك ألف دينار ، وإن لم ترد جوابه أعطيتك مائة دينار .

فقلت له : اكتب! .

فدعا بدواة وقرطاس وكتب في أول الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من متيم يشكو إليك الصبابة ويسألك بالله أن تردي جوابه . أما بعد ، فإنه يعجز لساني ويكل جناني مما أنا فيه من طول السهر ودوام الفكر ، وبكى لبكائي أصم الحجر فألف ألف لا أوحش الله منك والسلام عليك .

ثم ختم الكِتاب وناولني إياه فأخذته وأتيت به إلى دار الست بدور ، فلقيت الباب على غير تلك الحالة الأولى عليه ستر مرخي وبواب وخادم . فقلت : لا إله إلا الله ، كان هذا الباب بالأمس خالياً من الأصحاب ، واليوم عليه خادم وبواب ، ثم إني تقدمت إلى الخادم ، وقلت له : قم يا ولدي ادخل واستأذن على مولاتك الست بدور وقل لها : الشيخ أبو الحسن الخليع الدمشقي قد أتى ويطلب المثول بين يديك .

فغاب الخادم ثم عاد مسرعاً وقال : بسم الله ادخل .

فدخلت الدهليز فسمعت الست بدور وهي تقول :

ولأصبرن على الزمان وجوره ... حتى يعود كما أريد وأشتهي

قال : فلما دخلت رأيتها قاعدة على حافة البركة ، وبين يديها جارية تروح لها ، فتقدمت وقبلت يدها وجلست فنظرت ، وإذا عليها غلالة لازوردية ، وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كأنه عمود مرمر ، وعلى الغلالة مكتوب هذا البيات :

أقبلت في غلالة زرقاء ... لازوردية كلون سماء

فتأملت في الغلالة ألقى ... قمر الصيف في ليالي الشتاء

ليتني كنت للمليحة عقداً ... أو لثاماً للوجه مثل الرداء

أو قميصاً من الحرير خفيفاً ... لاصقاً بالفؤادِ والأحشاء

ضربتني بخنجر العشق حتى ... صرت ملقى مخضباً بدمائي

تركتني على الطريق ونادت ... من يصلي على قتيل هوائي

ثم إني لما فرغت من قراءة الأشعار قالت لجاريتها : هات لي بذلة قماش ، ثم

غيرت ما كان عليها ، وجلست ثم أمرت بإحضار المائدة وقالت : بسم الله ، كل يا أبا الحسن .

فقلت : لا والله لا أكلت لك طعاماً ولا شربت عندك مداماً حتى تقضي حاجتي .

فقال : كان هذا من الأول لكن والله قد وقعت من عيننا برواحك إلى الأمير عمرو قبل مجيئك إلينا .

فقلت لها : أنا ما رحتُ .

فقالت : تكون شيخاً وتكذب ، أنت ما عبرت عليه ولقيت الطبيب ، وهو يقول له : كيت وكيت ، وجرى لك معه كذا وكذا ، وهذا الكتاب في طي عمامتك وبالأمارة قال لك : إن ردت الجواب أعطيتك ألف دينار وإن لم ترد لي الجواب أعطيتك مائة دينار؟ فقلت : يا ستي من أعلمك بهذا؟ فقالت : أليس القائل يقول :

قلوب العاشقين لهدا عيون ترى ما لا يراه الناظرونا

وأنا يا شيخ أبا الحسن أعشق منه وأرى أكثر مما يراه .

فقلت : صدقت يا مولاتي ، كان ذلك .

ثم ناولتها الكتاب ففضته وقرأته ثم إنها مزقته وبصقت عليه ، وداسته ورمته في البركة . فلما رأيت ذلك قلت في نفسي : هذا بذاك وفرض الدين لا بد له من وفاء إلا أني حصل لي بعض غيظ على الألف دينار التي تفوتني ، فنظرت غلي وعرفت مني ذلك فقالت : يا شيخ أبا الحسن م غيظك؟ إن كان وعدك بألف دينار ، فبت الليلة عندي وكل واشرب والتذ واطرب ، وخذ لك غداً مني ألف دينار وامض في حفظ الله .

فقلت : يا سيدتي يكاد الأمير عمرو أن يموت .

فقالت : دعنا من هذا الكلام .

ثم إن المائدة حضرت فأكلنا بحسب الكفاية ، فلما فرغنا قالت : يا شيخ أتعرف لعب الشطرنج .

قلت : ما ألعب إلا على الحكم والرضا .

فقالت : نعم . ثم دعت بالشطرنج فوضع بين أيدينا ولعبت معها الدست الأول ، غلبتني فأمرت الجواري أن يرموني في البركة ، فمسكوني ورموني في البركة ، فضحكت علي ساعة . ثم أخرجوني وقد ابتلت جميع حوائجي . فلما رأتني على

تلك الحالة أمرت ببذلة من القماش من أفخر الملبوس فلبست فقالت : أتلعب أيضاً على الحكم والرضا؟ قلت : نعم ، فلعبنا فاحتلت عليها ، وأتيت لها بحكاية لطيفة مضحكة وشغلتها وسرقت القطع إلى أن غلبتها وتحكمت فيها وقلت : أريد الألف دينار وجواب الكتاب فأعطتني الألف دينار ، وطلبت دواة والقرطاس ، ثم إنها أطرقت ساعة ورفعت رأسها وكتبت تقول :

ألا يـــا عمـــرو كـم هـذا العناء   وكــم هـــذا التجلـد والجفـــاء
كتبـت إلـي تشكـو مـا تلاقـــي   مـــن الأسقـــام إذ نـزل القضاء
فسقـــم لا يـــزال بطـــول دهـــر   وداء مـــا لـــــه أبــــــداً دواء
ولـــو ساعدتـنا يا عمـرو يومـــاً   لساعدنـــاك إذ نــــزل البـــلاء
فعـــش ضبـاً ومـت كمـداً حزينـاً   فواجدةٌ بواحدةٍ جزاء

فلا فرغت ناولتني الورقة فقرأتها فقلت : يا ستي ، بالله عليك لا تفعلي وارحمي الأمير عمراً واكتبي له غير هذا .

فقالت : يا شيخ أبا الحس ، أنت رسول أو فضولي؟ فقلت لها : رسول وفضولي وطفيلي ، ويعظ القطط ويحلف أنه ما يبيت إلا في الوسط ويغني بليت بكم .

قال : فضحكت من كلامي ، وقالت : حكمتك في نفسي .

فقلت : ست بدور أين تلك المحبة التي كنت تحبينها للأمير عمرو؟ فلو أبصرته ما عرفته من شدة ما يقاسي من الأسقام والآلام والأمراض .

فلما سمعت ذلك قالت : أخبرني عن أقوى شيء به من المرض؟ فقلت : يا سيدتي ، ما أقدر أصف لك بعض ما فيه من ألم المرض . فترقرقت عيناها بالدموع ثم قالت : يعز علي ما وصفت لي عنه وروحي لروحه الفداء فالحمد لله الذي جعل اجتماعنا على يديك . ثم دعت بدرج غير تلك الورقة وكتبت في أول الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم إنها ابتدأت تُنشد وتقول :

وصل الكتـــاب فلا عدمـت أنامـلاً   عنيـــت بـــه حتـــى تضوع طيبا
ففضضتـــه وقرأتـــــه ، فوجدتـــــه   لخفـــي أوجـــاع القلـــوب طبيبـا
فكـــأن موســـى قد أعيـــد لأمـــــة   أو ثـــوب يوســـف قـد أتى يعقوبا

المملوكة تقبل الأرض وتنهي أن شوقها شديد ، وغرامها ما عليه من مزيد ، ومأمولها من الحميد المجيد أن يجمع شملها بك قبل أن تريد ، وأقول :

أشتاقكـــم حتـــى إذا نهـض الهوى   لمقامكـــم قعـــدت بـــي الأيـــام

والله إنـــي لـــو وصفـــت صبابتـــي فنـــي المـــداد وقلـــت الأقـــلام

ثم إنها نثرت فتات المسك والطيب في رسالتها وطوتها وحققتها وناولتني إياها فأخذتها وقمت مسرعاً وأنا فرحان إلى أن أتيت دار الأمير عمرو ودخلت الدهليز فسمعته يقول :

ترى حرمـــت كتـــب المحبـــة بينـــنا! أسحـــر أم القرطـــاس أصبح غاليا

فاستأذنت عليه ودخلت فلما رآني قال لي : أقمح أم شعير؟ فقلت له : قمح مغر بل ليس فيله كدر . ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه فلما فهم معناه تهلل وجهه بالفرح فبكى وقال :

هجـــم الســـرور علـــي حتـــى إنـــه مـــن فـــرط مـا قد سرني أبكاني

يا عـــين! قـــد صـــار البكا لك عادةُ تبكـــين فـــي فـــرح وفـي أحزانِ

فلما فرغ من البكاء قال لي : يا شيخ ما أظن الحديد يلين ولا الصخر يذوبُ نعل أن تكون صنت هذا الكتاب من عندك؟ فقلت : يا مولاي والله ما صنعته ولا كتبته بل هو خطها بيدها .

فبينما هو يخاطبني ، إذ هي عبرت علينا وهي تخطر لفي قوامها وهي تنشد وتقول :

نزوركـــم لا نجازيكـــــم بجفوتكـــم إن الكريـــم إذا لـــم ستـــزر زارا

فلما رآها الأمير عمرو نهض قائماً على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة زمانية ، فقمت لأخلي لهما المكان ، فقالت الست بدور : إلى أين تروح يا شيخ؟ قلت أخلي لكما المكان لأنكما ما اجتمعتما من مدة سنة كاملة .

فقالت : لا تفارقني من الساعة إلى الصباح .

فقام الأمير عمرو وأخذنا ومضى بنا إلى مجلس مليح وقدم لنا الطعام المفتخر وأمر بإزالة كل شيء كان عليه من آلة الحزن وجيء له بالماء فغسل يديه وغسلنا أيدينا ، وانتقلنا إلى مجلس الشراب ، وبتنا في لذة ورأيت الماوية تدب في وجه الأمير عمرو . فلما أَصبحت قالت : يا شيخ أبا الحسن ، امض وائتنا بالقاضي والشهود .

فلم يكن بأسرع مما أ ؛ ضرتهم . فقالت الست بدور للقاضي : اكتب كتابي على الأمير عمرو ، وقد وليت الشيخ أبا الحسن عقد النكاح .

فخطب القاضي خطبة النكاح وعقد العقد بينهما ، فرسم الأمير عمرو للقاضي بألف دينار وللشهود بمائتي دينار ، وعمل الوليمة وطبخ الطعام وعمل الحلاوات وجمع

الناس ووضع بين أيديهم الموائد وأطعم الشارد والوارد ، وزفت الست بدور تلك الليلة إلى الأمير عمرو ، فلما وقفوا على المنصة قلت : ما تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها ، ولو رآها غيره لزلزلت الأرض زلزالها ، ثم تقدمت إلى الأمير عمرو وقلت له : يا مولاي ، المثل يقول : العصفور يتفلى والصياد يتقلى ، وأنتم تقولون : وا طرباه وأنا أقول وا حزناه .

فقالت الست بدور : ما معنى كلامك هذا؟ قلت : يا سيدتي الأمير عمرو وعدني بوعد والوعد على الكرماء دين .

فقالت الست بدور : صدق الشيخ أعطه الذي وعدته به . فقال الأمير عمرو لبعض غلمانه : أعط الشيخ أبا الحسن ألفاً وخمسمائة دينار ، يستحق أكثر من ذلك .

فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولني إياه وأعطتني الست بدور مثله . ثم إني ودعتهم وخرجت إلى أن أتيت إلى الأمير محمد بن سليمان الزينبي ، وقعدت عنده على عادتي ، وأخذت رسمي الذي عليه في كل سنة وعدت إلى بغداد فما رأيت سنة أبرك علي منها ، حصل لي فيها أربعة آلاف دينار .

وهذا جملة الحديث فتعجب الخليفة وقال : ما قصرت يا شيخ أبا الحسن خذ من جعفر ألف دينار لأنك أنت الذي أزلت عني ما بقلبي .

فقال جعفر : ومن عند أمير المؤمنين ألف دينار لأنه هو الذي زال عنه ما كان يجده .

فقال أبو الحسن : صدق الوزير أبقاه الله تعالى ، ثم إنه قبض الألفين ديناراً ومضى إلى منزله .

الفتى العاشق وجعفر

قال إبراهيم بن إسحاق[1] : كنت منقطعاً إلى البرامكة ، فبينما أنا ذات يوم بمنزلي وإذا ببابي يدق فخرج غلامي وعاد وقال لي : على الباب فتى جميل يستأذن ، فأذنت له ، فدخل شاب عليه أثر السقم ، فقال : لي مدة أحاول لقاءك ولي إليك حاجة .

---

(١) هو الشيخ ،الإمام ، الحافظ ، العلامة ، شيخ الإسلام ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ، البغدادي ، الحربي ، صاحب التصانيف . والحربي : نسبة إلى مكان غربي بغداد ، بها جامع وسوق .

فقلت : وما هي؟ فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي . وقال : أسألك أن تقبلها مني وتصنع لي لحناً في بيتين قلتهما .

فقلت : أنشدنيهما فقال :

بالله يا طرفي الجاني على كبدي لتطفئن بدمعي لوعة الحزن

لا لا أبوحن حتى تنزلي سكني فلا أراه ولو أدرجت في كفني

قال : فصنعت لهما لحناً يشبه النوح ثم غنيته فأغمي عليه حتى أني ظننت أنه مات ثم أفاق ، وقال : أعده فناشدته الله وقلت : أخشى أن تموت فقال : ليت ذلك ، وما زال يخضع ويتضرع حتى رحمته وأعدته فصعق صعقةً أشد من الأولى ، فلم أشك في موته وما زلت أنضح عليه من ماء الورد حتى أفاق ثم جلس ، فحمدت الله على السلامة ووضعت دنانيره بني يديه وقلت : خذ مالك وانصرف عني .

فقال : لا حاجة لي بها ولك مثلها إن أعدته .

فشرهت نفسي فقلت : أعيده ولكن بثلاث شروط ، أولها تقيم عندي تأكل من طعامي حتى تتقوى نفسك ؛ الثاني أن تشرب من الشراب ما يمسك قلبك ؛ الثالث أن تحدثني بحديثك .

ففعل ذلك ثم قال : إني رجل من أهل المدينة خرجت متنزهاً ، وقد سال المطر في العقيق ، مع إخواني فرأيت فتاة مع فتيات كأنها غصن جلله الندى ، تنظر بعيني ما ارتد طرفهما إلا بنفس ملاحظهما ، فظللن حتى فرغ النهار ، فانصرفن وقد رمت بقلبي جراحاً بطيئة الاندمال ، فعدت أتنسم أخبارها فلم أجد أحداً يرشدني إليها فجعلت أتتبعها في الأسواق فلم أقع لها على خبر ، ومرضت أسىً ، وحكيت قصتي لذات قرابة لي فقالت : لا بأس عليك ، هذه أيام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ ، وأنا أخرج معك فافعل مرادك .

قال : فاطمأنت نفسي بذلك إلى أن سال العقيق وخرج الناس ينظرون فخرجت مع إخوتي وقرابتي ، فجلسنا في مجلسنا بعينه فما لبثنا إلا والنسوة كفرسي رهان فقلت لذات قرابتي : قولي لهذه الجارية يقول لك هذا الرجل : لقد أحسن من قال :

رمتني بسهم أقصد القلب وانثنت وقد عاودت جرحاً به وندوبا

قال : فمضت إليها وقالت لها ذلك ، فقالت لها : قولي له ، وقد حسن من أجابه :

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي القلوب قريبا

قال : فأمسكت عن الكلام خوف الفضيحة ، وقمت منصرفاً ، فقامت لقيامي فتبعتها قرابتي حتى عرفت منزلها ، ورجعت فأخذتني ، وسرنا إليها حتى اجتمعنا . واتصل ذلك حتى شاع وطهر وحجبها أبوها . فلم أزل مجتهداً في لقائها فلم أقدر ، وشكوت ذلك إلى أبي فجمع أهلنا ومضى إلى أبيها راغباً في خطبتها فقال : لو بدا له ذلك قبل أن يفضحها لفعلت ولكنه شهرها ، فما كنت لأحقق قول الناس . قال إبراهيم فأعدت عليه الصوت وعرفني منزله ثم انصرف . وكانت بيننا عشرة ، ثم جلس جعفر بن يحيى وحضرت على عادتي فغنيته شعر الفتى ، فطرب وشرب أقداحاً وقال : ويلك! لمن هذا الصوت؟ فحدثته حديث الفتى فأمرني بالركوب إليه وأن أجعله على ثقة من بلوغ أربه ، فمضيت إليه وأحضرته فاستعاد الحديث فحدثه فقال : هي في ذمتي حتى أزوجك إياها فطابت نفسه ، وأقام معنا ، فلما أصبح ركب جعفر إلى الرشيد وحدثه بذلك فاستظرفه ، وأمر أن يحضرا جميعاً واستعاد الصوت وشرب عليه ، فأمر بكتب كتاب إلى عامل الحجاز بإحضار المرأة وأهلها ووالدها مبجلين إلى حضرته ، والإنفاق عليهم نفقة واسعة ، فلم يمض إلا يسير حتى حضروا ، فأشار الرشيد بإيصال الرجل إليه ، فحضر وأمر بتزويج ابنته من الفتى ، وأعطاه ألف دينار ، ونقلت إلى أهله ، ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ما حدث فاد الفتى بأهله إلى المدينة .

قصّة عاشقين

قال : كان لأشجع بن عمرو السّلمي[١] جاريةً ، يقال لها ريم ، وكان يجدها وجداً شديداً ، وكانت تحلف له أنّها إن بقيت بعده لم يحكم عليها رجلٌ أبداً . فقال يخاطبها :

إذا غمضــت فوقــي جفــون حفيرةٍ	من الأرض فابكيني بما كنت أصنع
تعزيــك عنّــي بعــد ذلك سلــوةٌ	وإن ليس فيمن وارت الأرض مطمع

(١) أشجع بن عمرو السلمي أبو الوليد من بني سليم من قيس عيلان . شاعر فحل ، كان معاصراً لبشار ، ولد باليمامة ونشأ في البصرة ، وانتقل إلى الرقة ، واستقر ببغداد . مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد ، فأعجب الرشيد به ، فأثري وحسنت حاله ، وعاش إلى ما بعد وفاة الرشيد ورثاه .

فأجابته ريم تقول :

ذكرت فراقاً والفــــراق يصـــــدّع ،	وأيّ حياةٍ بعد موتـــك تنفــــع .
إذا الزّمـــــن الغـــدّار فـــرّق بيننـــا ،	فمالي في طيّبٍ من العيش مطمع .
فلو أبصرت عيناك عينيّ أبصــــرت ،	شآبيب جدرٍ غيثها ليـــس تقشـــع

وقالت فيها أيضاً :

وليـــس لإخـــوان النّســـاء تطـــاول ،	ولكـــنّ إخـــوان الرّجـــال يطول .
فـــلا تبخلي بالدّمع عنّي فإنّ مـــن ،	يضنّ بدمع ، عن هوىً ، لبخيـــل .
فمـــا لـــي إلى ردّ الشّبيبة حيلـــةً ،	ولا لي إلى دفع المنـــون سبيـــل .
وإنّ لداتـي قـــد مضـــوا لسبيلهـــم ،	وإنّ بقائـــــي بعدهـــم لقليـــل .

فأجابته ريم :

بكى من صروف خطبهنّ جليـــــــل	ومـــن ذا بـــه عمـــر الحياة يطول؟
ومن ذا الذي ينعى على حدث الـرّدى ،	وللمـــوت فـــي أثر النّفوس رسول .
وكـــلّ جليـــلٍ سوف يلقـى حمامه ،	وكلّ نعيـــم دائـــم سيـــــزول .
لي الويـــل ، إن عمّرت بعدك ساعةً ،	وإنّ كثيـــر الويـــل لـــي لقليـــل .
وتزعـــم أنّـــي لا أجـــــود بعبـــرةٍ ،	إذا نجمـــه قـــد حـــان منه أفول .
ومن ذا الـــذي أبكي له ، إن فقدتـه ،	ســـواك ، ومن دمعي عليه يسيل .
فـــلا وقيـــت ريمٌ ، إذاً ، مـــا تخافـه	إذا نـــــاب للزّمـــــان جليـــل .
ولا لقيـــت يـــوم القيامـــة ربّهـــا	وميزانهـــا بالصّالحـــات ثقيــــل

إذا ماسخا قلب امرىءٍ بمودّة ، فقلبي بودٍّ عن سواك بخيل .

ولمّا مات أشجع ، آلت على نفسها ألا تأكل طعاماً ، ولا تذوق شراباً . فعاشت بعده أيّاماً ، ثمّ توفّيت ، فدفنت إلى جانبه .

جميل والفتى العذري وحبيبته

وحكى مسرور الخادم قال : أرق الرشيد أرقاً شديداً ليلة من الليالي ، فقال : يا مسرور من على الباب من الشعراء؟ فخرجت إلى الدهليز فوجدت جميل بن معمر العذري فقلت : أجب أمير المؤمنين فقال : سمعناً وطاعة . فدخلت ودخل معي إلى أن صار بين يدي هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافة ، فرد عليه وأمره بالجلوس ، فقال له الرشيد : يا جميل ، أعندك شيء من الأحاديث العجيبة؟ قال : نعم يا أمير

المؤمنين ، أيما أحب إليك ، ما عاينته ورأيته أو ما سمعته ووعيته؟ فقال : بل حدثني عما عاينته ورأيته .

فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، أقبل علي بكلك واصغ إلي بأذنك قال : فقعد الرشيد إلى مخدة من الديباج الأحمر المزركش بالذهب ، محشوة بريش النعام ، فجعلها تحت فخذه ثم مكن منها مرفقيه ، وقال : هلم بحديثك .

فقال : اعلم يا أمير المؤمنين ، أني كنت مفتوناً بفتاة محباً لها ، وكنت آلفها إذ هي سؤلي وبغيتي من الدنيا ، وإن أهلها رحلوا بها لقلة المرعى ، فأقمت مدة لا أراها ، ثم إن الشوق أقلقني وجذبني إليها ، فراودتني نفسي بالمسير إليها فلما كانت ذات ليلة من الليالي ، هزني الوجد إليها ، فقمت وشددت رحلي على ناقتي واعتممت بعمتي ولبست أطماري وتقلدت بسيفي وتنكبت حجفتي ، وركبت ناقتي وخرجت طالباً لها ، وكنت أجد في السير ، فسرت وكانت ليلة مظلمة مدلهمة ، وأنا مع ذلك أكابد هبوط الأودية وصعود الجبال ، أسمع زئير الأسد وعواء الذئاب ، وأصوات الوحوش من كل جانب ، وقد ذهل عقلي وطاش لبي ، ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالى .

فبينما أنا أسير كذلك إذ غلبني النوم فأخذت بي الناقة على غير الطريق التي كنت فيها ، وزاد علي النوم ، وإذا أنا بشيء لطمني في رأسي فانتبهت فزعاً مرعوباً ، وإذا بأشجار وأنهار وماء وأطيار على تلك الأغصان تترنم بلغاتها وألحانها ، وشجار ذاك المرج مشتبكة بعضها ببعض ، فنزلت عن ناقتي وأخذت زمامها بيدي ، ولم أزل أتلطف بها إلى أن خرجت بها من تلك الأشجار إلى أرض فلاة ، فأصلحت كورها ، واستويت راكباً على ظهرها ، ولا أدري إلى أين أذهب ولا إلى ما تسوقني الأقدار؟ فمددت نظري في تلك البرية ، فلاحت لي نار في صدرها فوكزت ناقتي وسرت طالباً إلى أن وصلت إلى ثم غسلنا أيدينا وتحدثنا ساعة ثم إنه قام ودخل الخباء وقطع بيني وبينه بمقطع من الديباج الأحمر ، ثم خرج وقال : ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك في هذه الليلة تعب وفي سفرك هذا نصب مفرط .

قال جميل : فدخلت فإذا أنا بفراش من الديباج الأخضر ، فعند ذلك نزعت ما كان علي من الثياب ونمت بليلة لم أنم عمري مثلها ، فلم أزل كذلك ، وأنا متفكر في أمر هذا الشاب إلى أن جن الليل ونامت العيون ، فلم شعر إلا بحس خفي لم أسمع ألطف منه ولا أرق حاشية ، فرفعت سجاف المضرب ، ونظرت فإذا أنا بصبية لم أر

أحسن منها وجهاً وهي إلى جانبه ، وهما يبكيان ويتشاكيان ألم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما إلى التلاقي ، فقلت : يا الله ؛ العجب من هذا الشخص الثاني ، وهذا بيت فرد فإني لم أر فيه غير هذا الفتى ، وليس حوله أحد ، ثم قلت في نفسي : لا شك أن هذه الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام ، وقد تفرد بها في هذا المكان وتفردت به ، فحققتها فإذا هي أنسية عربية إذا رمقت تخجل الشمس المضيئة ، وقد أضاء الخباء من نور وجهها ، فلما تحققت أنها محبوبته غلبتني الغيرة على الحب ، فأرخيت الستر وغطيت وجهي ونمت ، فلما أصبحت لبست ثيابي ، وتوضأت لصلاتي ، وصليت ما كان علي من الفرض ، ثم قلت له : يا أخا العرب ، هل لك أن ترشدني إلى الطريق ، فقد تفضلت علي .

فنظر إلي وقال : على رسلك يا وجه العرب ، الضيافة ثلاثة أيام وما كنت بالذي يدعك إلى لثلاثة أيام .

قال جميل : فأقمت عنده ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه فقال : أما نسبي فأنا من بني عذرة ، وأنا فلان بن فلان وعمي فلان ، فإذا هو ابن عمي ، يا أمير المؤمنين ، وهو من أشرف بيت في بني عذرة ، قال : فقلت : يا ابن العم ، ما حملك على ما أراه منك من الانفراد في هذه البرية ، وكيف تركت عبيدك وإماءك وانفردت بنفسك في هذا المكان؟ فلما سمع يا أمير المؤمنين كلامي ، ترقرقت عيناه بالدمع ثم قال : يا بن العم إنني كنت محباً لابنة عمي ، مفتوناً بها هائماً بحبها مجنوناً عليها لا أطيق الفراق عنها ، فزاد عشقي لها ، فخطبتها من عمي ، فأبى أن يزوجنيها وزوجها من رجل من بني عذرة ودخل بها وأخذها إلى المحلة التي هو فيها من العام الأول ، فلما بعدت عني وحجبت عن النظر إليها حملتني لوعات الهوى وشدة الشوق والجوى على تركي أهلي ومفارقتي عشيرتي وخلاني وجميع أمتعتي ، وانفردت بهذا البيت في هذه البرية وألفت وحدتي .

فقلت : وأين أبياتهم؟ قال : هم قريب في ذروة هذا الجبل ، وفي كل ليلة عند نوم العيون وهدو من الليل تنسل من الحي سراً بحيث لا يشعر بها أحد فأقضي منها بالحديث وطراً وتقضي هي كذلك ، وها أنا مقيم كذلك على هذا الحال أتسلى بها ساعة من الليل ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، أو يأتيني الأمر على رغم الحاسدين ، أو يحكم الله لي ، وهو خير الحاكمين .

قال جميل : فلما حدثني الغلام يا أمير المؤمنين ، غمني أمره وصرت من ذلك

في حيرة لما أصابني عليه من الغيرة ، فقلت له : يا ابن العم ، هل لك أن أدلك على حيلة أشير بها عليك ، وفيها إن شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح ، وبها يفرج الله عليك الذي تخشاه .

فقال لي : قل يا ابن العم .

فقلت له : إذا كان الليل وجاءت الجارية فاطرحها على ناقتي ، فنها سريعة الرواح ، واركب أنت جوادك ، وأنا أركب بعض هذه النوق وأسير بكم الليلة جميعها . فما يصبح الصباح إلا وقد قطعت بكم براري وقفاراً وتكن قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك ، وأرض الله واسعة فضاؤها ، وأنا والله مساعدك ما حييت بروحي ومالي وسيفي .

فلما سمع ذلك قال لي : يا ابن العم ، حتى أشاورها في ذلك ، فإنها عاقلة لبيبة بصيرة بالأمور .

قال جميل : فلما جن الليل وحان وقت مجيئها وهو منتظر الوقت لمعلوم فأبطأت عن عادتها فرأيت الفتى ، وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح التي تهب من نحوها وأنشد يقول :

ريح الصبا تهدي إلي نسيماً   من بلدة فيها الحبيب مقيم
يا ريح فيك من الحبيب علاقةٌ   أفتعلمينَ متى يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية ، وهو يبكي ، ثم قال لي : يا ابن العم ، إن لبنت عمي في هذه الليلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها عني عائق ، ثم قال ل : كن مكانك حتى آتيك بالخبر . ثم أخذ سيفه وحجفته ثم غاب عني ساعة من الليل ثم أقبل وعلى يديه شيء يحمله ثم صاح إلي فأسرعت إليه . فقال : أتدري يا ابن العم ما الخبر؟ فقلت : لا والله .

فقال : فجعت في ابنة عمي في هذه الليلة لأنها كانت توجهت إلينا كعادتها إذ عرض لها في طريقها أسد فافترسها ولم يبق منها إلا ما ترى .

ثم إنه طرح ما كان على يده . فإذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها . ثم بكى بكاء شديداً ورمى الترس من يده وأخذ كساء على يده ثم قال لي : لا تبرح إلى أن آتيك إن شاء الله تعالى ، ثم سار فغاب عني ساعة ثم عاد وبيده رأس الأسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فأتيته به فغسل فم الأسد وجعل يقبله ويبكي ويئن وزاد حزنه عليها وأنشد يقول :

ألا أيها الليث المدل بنفسه هلكت لقد هيجت لي بعدها شجنا
وصيرتني فرداً وقد كنت إلفها وصيرت بطن الأرض لي ولها وطنا
أقول لدهر خانني بفراقها وغار عليها أن أكن لها حزنا

ثم قال : يا ابن العم ، سلتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك إلا حفظت وصيتي؟ إنك ستراني الساعة ميتاً بين يديك ، فإذا كان كذلك ، فغسلني وكفني أنا وهذا الفاضل من مشاش الجارية في هذا الثوب وادفنا في قبر واحد واكتب على قبرنا هذه الأبيات ، وأنشد يقول :

كنا على ظهرها ، والعيش في رغد والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف ألفتنا وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال : ثم بكى بكاء شديداً . ثم دخل المضرب وغاب عني ساعة وخرج وجعل يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة فارق الدنيا ، فلما رأيت ذلك منه عظم علي وكبر عندي حتى كدت ألحق به من شدت حزني عليه ، ثم تقدمت إليه وفعلت به ما أمرني من الغسل وكفنتهما جميعاً ودفنتهما في قبر واحد ، وأقمت عند قبرهما ثلاث أيام ثم ارتحلت وأقمت سنين أتردد إلى زيارتهما .

وهذا ما كان من حديثهما ، يا أمير المؤمنين قال : فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه وأجازه جائزة حسنة .

الرشيد والخليفة الثاني الكاذب

حكي أن الخليفة هارون الرشيد قلق في بعض الليالي قلقاً شديداً فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال له : يا وزيري إن صدري ضيق ومرادي الليلة التفرج في شوارع بغداد والنظر في مصالح العباد بشرط ألا يعرفنا أحد من الناس ونتزيا بزي تجار الأكياس .

فقال له الوزير : السمع والطاعة .

فقاموا في الوقت والساعة وقلعوا ما عليم من ثياب الملك والافتخار ولبسوا ثياب التجار : الخليفة والوزير جعفر ومسرور السياف الأكبر ، وتمشوا من مكان إلى مكان حتى وصلوا إلى دجلة فرأوا بالأمر المقدور شيخاً قاعداً في شختور ، فتقدموا إليه وسلموا عليه ، وقالوا : يا شيخ ، نشتهي من فضلك وإحسانك أن تفرجنا الليلة في مركبك ، وخذ هذين الدينارين أجرتك انتفع بهما .

فقال لهم الشيخ : ومن يقدر على الفرجة ، والخليفة هارون الرشيد ينزل كل ليلة في حراقة صغيرة إلى الدجلة ومعه مناد ينادي : يا معشر الناس كافة من جيد ورديء شيخ وصبي خاص وعام عبد وغلام ، كل من نزل في مركب بالليل وشق الدجلة ضربت عنقه أو يشنق على صاري مركبه ، وكأنكم الساعة بالحراقة وهي مقبلة .

فقال له الخليفة هارون الرشيد وجعفر البرمكي : يا شيخ خذ هذين الدينارين وادخل بنا قبواً من هذه الأقبية إلى أن تروح الحراقة .

فقال لهم الشيخ : هاتوا الذهب والله المستعان .

فأخذ الذهب وعوم بهم قليلاً ، وإذا بالحراقة قد أقبلت من كبد دجلة وفيها الشموع والمشاعل فقل لهم الشيخ : أما قلت لكم! يا ستار لا تكشف الأستار؟

فدخل إلى قبو ووضع عليهم مئزراً أسود ، وصاروا يتفرجون من تحت المئزر ، وإذا بالحراقة قد أقبلت والشمع يوقد فيها ، وإذا في مقدم الحراقة مشاعلي بيده مشعل من الذهب الأحمر يوقد فيه بالعود القاقلي وعلى المشاعلي قباء أطلس أحمر بطراز مزركش أصفر وعلى رأسه شاش موصلي وعلى كتفيه مخلاة من الحرير الأخضر ملأى من العود القاقلي . وهو يوقد به عوض الحطب ، ومشاعلي آخر في مؤخر الحراقة مثله ، ومائتا مملوك واقفون ميمنة ومسيرة ، وكرسي منصوب من الذهب الأحمر وعليه شاب حسن جالس كالقمر وعليه خلعة سوداء بطرازين من الذهب الأصفر ، وبين يديه إنسان كأنه الوزير جعفر . وعلى رأسه خادم واقف كأنه مسرور بسيف مشهر ، وعشرون نديماً . فقال الخليفة : يا جعفر .

قال : لبيك ، أمير المؤمنين .

قال : لعل أن يكون هذا أحد أولادي إما المأمون أو محمد الأمين .

فلما وصلت الحراقة إليهم وإذا بالمشاعلي ينادي : معاشر الناس كافة الخاص والعام ، الجيد والرديء والعبد والغلام ، جهاوات وغير جهاوات قد رسم خليفتنا هذا أن كل من تفرج في الدجلة أو فتح طاقته حل ماله وضربت رقبته ومن لا يصدق يجرب .

قال : فتأمل الخليفة هارون الرشيد في الشاب وهو جالس على كرسي من الذهب قد كمل بالحسن والجمال والبهاء والكمال فلما تأمله هارون الرشيد التفت إلى الوزير وقال : يا وزير .

قال له : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : والله ما أبقى شيئاً من شكل الخلافة ، وهذا الذي بين يديه كأنه أنت يا جعفر لا محالة ، والخادم الذي على رأسه كأنه مسرور ، هذا ، وهؤلاء الندماء كأنهم ندمائي ، وقد حار عقلي في هذا الأمر .

فقال له الوزير : وأنا والله يا أمير المؤمنين كذلك .

ثم تقدمت الحراقة إلى أن غابت عن العين فعند ذلك خرج الشيخ بالشختور الذي فيه الجماعة من تحت القبوة . وقال : الحمد لله على السلامة ، فإنه لم يصادفنا .

فقال له الخليفة : يا شيخ! وهذا الخليفة ينزل كل ليلة الدجلة؟ قال : نعم يا سيدي ، له على هذه الحالة سنة كاملة .

فقال له الخليفة : يا شيخ! نشتهي من فضلك وإحسانك أن تقف لنا ليلة غد في هذه المكان ، ونحن نعطيك خمسة دنانير ، فإنا قوم غرباء وقصدنا التنزه ، ونحن نازلون في الفندق .

فقال الشيخ : السمع والطاعة .

ثم إن الخليفة وجعفراً ومسروراً توجهوا من عند الشيخ المراكبي إلى القصر وقلعوا ما عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك والافتخار ، وجلس كل واحد في مرتبته ، ودخلت الأمراء والحجاب والنواب . وانعقد المجلس بالناس ، ولما انقضى النهار وتفرقت الأجناد قال الخليفة هارون الرشيد لوزيره : يا جعفر! انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني .

فضحك جعفر ومسرور ، ولبسوا لبس التجار وخرجوا منشرحي الصدور ، وكان خروجهم من باب السر ، فلما وصلوا إلى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الشختور لهم في الانتظار فنزلوا عنده في المركب . فلما استقروا مع الشيخ المراكبي ، وإذا بالخليفة الثاني في الحراقة ، وقد أقبلت عليهم فتأملولها وإذا فيها مائتا مملوك غير المماليك الأول والمشاعلية تنادي على عادتهم ، فقال الخليفة : يا وزير ، هذا شيء لو سمعت به ما صدقت ، ولكن رأيت هذا عياناً .

ثم إن الخليفة قال لصاحب الشختور : يا شيخ! هذه عشرة دنانير وسر بنا في مساواتهم ، فإنهم في النور ونحن في الظلام ننظرهم ونتفرج عليهم . وهم لا ينظروننا .

فأخذ الشيخ العشرة دنانير وأطلق الشختور في مساواتهم وصار في ظلام الحراقة ، ولم يزالوا سائرين في أثرهم إلى آخر البساتين ، وإذا بزريبة بطول الحراقة التصقت

عليها ، وإذا بغلامين واقفين ، ومعهما بغلة مسرجة ملجمة ، فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندماء ، وزعقت المشاعلية والجاويشية ، واشتالت الغاشية ، وطلع هارون الرشيد وجعفر ومسرور إلى البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم ، فلاحت من المشاعلية لتفاتة فرأوا ثلاثة أنفار لبسهم لبس التجار ، وهم غرباً فأنكروهم غمزوا عليهم فمسكوهم وأحضروهم بين يدي الخليفة الثاني ، فلما نظرهم قال : كيف وصلتم إلى هذا المكان وما الذي جاء بكم في مثل هذا الوقت؟ قالوا : يا مولانا! اليوم كان قدومنا ، ونحن قوم غرباء تجار ، وخرجنا نتمشى الليلة ، وإذا بكم قد أقبلتم وجاء هؤلاء وقبضوا علينا وأوقفونا بين أيديكم ، وهذا خبرنا .

فقال لهم الخليفة الثاني : طيبوا قلوبكم ، فلا بأس عليكم لأنكم قوم غرباء ، ولو كنتم من بغداد لضربت أعناقكم للمخالفة .

ثم التفت إلى وزيره وقال : خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا ضيوفنا الليلة .

فقال : سمعاً وطاعة .

ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى قصر عظيم الشأن محكم البنيان ما حواه سلطان ، قصر قام من التراب وتعلق بأكتاف السحاب ، بابه من خشب الساج ، مرصع بالذهب الوهاج ، يدخل منه إلى إيوان بفسقية وشاذروان ، وحصر عبدانية ومخدات اسكندرانية ، وستر مسبول وفرش يذهل العقول ، وعلى عتبة الباب مكتوب هذان البيتان :

قصر عليه تحية وسلام ... نشرت عليه جمالها الأيام

فيه العجائب والغرائب نوعت ... فتحيرت في نعتها الأقلام

قال : فدخل الخليفة الثاني إلى القصر ، والجماعة في خدمته ، إلى أن جلس على كرسي من الذهب مرصع بالدر والجوهر ، وعلى الكرسي بشخانة من الحرير الأخضر لا يرى مثلها إلا عند كسرى وقيصر ، مزركشة بالذهب الأحمر ، معلقة في بكرة من الصندل ، رباطاتها من الحرير الأصفر ، هذا وقد جلس الندماء في مراتبهم ، وصاحب سيف النقمة واقف بين يديه ، فمدوا السماط وأكلوا ورفعوا الخوان ، ولأيديهم غسلوا ، وأحضرت آلة المدام ، ووضعت الطاسات والأواني وصففت الأباريق والكاسات والقناني ، ودار الدور إلى أن وصل إلى الخليفة هارون الرشيد ، فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثاني لجعفر : ما بال صاحبك لا يشرب .

فقال : يا مولاي له مدة ما شرب .

فقال الشاب : عندي مشروب غير هذا يصلح لصاحبك . علي بشراب التفاح! ففي الحال أحضر فقدم بين يدي هارون الرشيد وقال : كلما وصل إليك الدور فاشرب من هذا ، ولا يزالون يشربون في انشراح وتعاطي أقداح إلى أن تمكن الشراب من رؤوسهم واستولى على عقولهم ونفوسهم فقال الرشيد لوزيره : والله يا وزير ما عندنا آنية مثل هذه الآنية ، فيا ليت شعري من يكون هذا الشاب .

فبينما هما يتحدثنا بلطافة إذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يسار الخليفة ، فقال : المسارة عربدة .

فقال الوزير : ما ثم عربدة ، إلا أن رفيقي هذا يقول : سافرت غالب البلاد ، ونادمت الملوك وعاشرت الأجناد ما رأيت أحسن من هذا النظام ولا مثل آنية هذا المدام ، إلا أن أهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجون .

فلما سمع الخليفة الثاني هذا الكلام تبسم وانشرح ، وكان بيده قضيب ، فضرب به على مدورة ، وإذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسياً من العاج مصفحاً بالذهب الوهاج ، وخلفه جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال ، فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية ، وبيدها عود من صنعة الهنود ، وشدته وحنت إليه بعد أن ضربت أربعة وعشرين طريقة عليه ، فأذهلت العقول وعادت إلى الطريقة الأولى وجعلت تقول :

لسان الهوى من مقلتي لك ناطق   يخبر عني أنني لك عاشق
ولي شاهد من طرف قلبي معذب   وقلبي جريح من فراقك خافق
وكم أكتم الحب الذي قد أذابني   وقلبي جريح والدمع سوابق
وما كنت أدري قبل حبك ما الهوى   ولكن قضا الرحمن في الخلق سابق

قال : فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة ، وشق البذلة التي كانت عليه إلى الذيل ، فاسبلت عليه البشخانة ، وأتي ببذلة غيرها أحسن منها ، فلبسها وجلس على عادته ، فلما وصل القدح إليه ضرب القضيب على المدورة وإذا بباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسياً من الذهب ، وخلفه جارية أحسن من الأولى ، وجلست على الكرسي وبيدها عود يكمد الحسود ، وأنشدت تقول :

كيف اصطباري! ونار العشق في كبيد   والدمع من مقلتي صوفانه مدد
والله ما طاب لي عيش أسر به   وكيف يفرح قلب حشوه كمد

قال : فصرخ الشاب صرخة عظيمة ، وشق ما عليه إلى الذيل وأسبلت عليه

البشخانة على العادة وأتي ببذلة غيرها أحسن منها فلبسها ، واستوى جالساً ، ودار المدام وانبسط الكلام ، فلما وصل القدح إليه ضرب القضيب على المدور ففتح الباب وخرج منه خادم على العادة ومعه كرسي وخلفه جارية ، فجلست على الكرسي ، ومعها عود يذهل الأسود فغنت ، وأنشدت تقول :

اقصـــروا هجركـــم وقـــولا جفاكـــم ففـــؤادي وحقكـــم مـــا سلاكـم
وارحمـــوا مدنفـــاً كئيبـــاً حزيـــناً ذا غـــرام متيمـــاً فـــي هواكـــم
قـــد بـــراه السقـــام مـــن عظم وجد يتمنـــى مـــن الإلـــه رضاكـــم
يا بـــدور محكـــم فـــي فـــــؤادي كيف أختار فـــي الأنـــام سواكـم

قال : فصرخ الشاب وشق ما عليه من الثياب فأخوا عليه البشخانة وأتوا ببذلة غيرها ، وعاد إلى حالته مع ندمائه ودارت الأقداح وطاب الانشراح ، فلما وصل القدح إليه ضرب القضيب على المدورة ، ففتح باب وخرج منه خادم حامل كرسياً وخلفه جارية فجلست على الكرسي ، وأخذت العود وغنت تقول :

هل ينقضـــي حـــال التهاجر والقلى ويعـــود لـــي مـــا قـد تقضى أولا
أيـــام كنـــــا والديـــــار تلمنـــــا فـــي طيب عيش والحواسد غفـلا
غـــدر الزمـــان بـــنا وفـــرق شملـنا مـــن بعـــد هاتيك المنازل والحـلا
أتـــروم منـــي يـــا عذولـــي سلـــوةً وأرى فـــؤادي لا يطيـــع الـــعذلا
فـــدع المـــلام وخلنـــي بصبابتـــــي فالقلـــب مـــن أنس المحبة ما خلا
يا ســـادة نقضـــوا العهـــود وبدلـــوا لا تحسبـــوا قلبـــي لبعدكـم سلا

قال : فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخةً عظيمة ، وشق ما عليه من الثياب ، ووقع إلى الأرض مغشياً عليه ، وسقط منه القوى والحبل ، فأرادوا أن يرخوا عليه البشخانة[1] على العادة ، فتعوقت حبالها بالإرادة ، فلاحت من هارون الرشيد التفاتة فنظر على أجناب الشاب أثر مقارع ، فقال الرشيد بعد النظر والتأكد لجعفر : إنه شاب مليح إلا أنه لص قبيح ، وما عند أحد منه خبر . هل رأيت ما على جنبيه من الأثر .

وقد أسبلت البشخانة عليه على العادة وأتي ببذلة غيرها فلبسها وقد أفاق من غشيته فاستوى جالساً على العادة مع الندماء ، فحانت منه التفاتة فوجد جعفراً والخليفة يتحدثان ، فقال لهما : ما الخبر يا فتيان؟ فقال جعفر : يا مولاي خير ، لا

(١) وهي الناموسية من الحرير وتوضع أعلى السرير .

شك ولا خفاء ، إن رفيقي هذا من التجار الكبار ، وسافر إلى جميع الأمصار ، وصحب الملوك والأخبار ، قال : إن الذي حصل من مولانا الخليفة في هذه الليلة إسراف عظيم لم أر أحداً فعل هذا الفعل في هذه الأقاليم لأنه شق كل بذلة بخمسمائة دينار ، وهذا شيء زائد في العيار .

فقال الشاب : يا هذا! المال مالي والقماش قماشي ، وهذا من بعض إنعامي على الخدم والحواشي ، فإن كل بذلة شققتها هي لواحد من الندماء الحضار ، وقد رسمت لهم أن العوض على كل بذلة خمسمائة دينا .

فأنشد عند ذلك الوزير جعفر وقال :

بنت المكارم وسط كفك منزلاً ... فجميع مالك للأنام مباح
وإذا المكارم أغلقت أبوابها ... يوماً ، فأنت لقفلها مفتاح

قال : فلما سمع الشاب من الوزير جعفر ذلك ، رسم له بألف دينار وبذلة ، ثم دارت بينهم الأقداح وطاب لهم شراب الراح ، فقال الرشيد : يا جعفر ، اسأله عن الضرب الذي رأيناه على جنبيه حتى ننظر ما يقول في جوابه .

فقال الوزير : يا مولاي لا تعجل وترفق بنفسك فالصبر أجمل .

فقال : وحياة رأسي وتربة العباس إن لم تسأله أخمدت منك الأنفاس .

فعند ذلك التفت الشاب إلى الوزير وقال : مالك مع رفيقك وما الخبر؟ فقال : خير يا مولانا .

فقال : سألتك بالله إلا ما أخبرتني بخبره ، ولا تكتم عني شيئاً من أمره .

فقال : يا مولاي! إنه أبصر على جنبيك أثر سياط ، فتعجب من ذلك غاية العجب وقال : يا لله العجب! الخليفة يضرب؟ وقصده يعلم ما السبب؟ فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال : اللهم فنعم ، واعلموا أن حديثي عجيبٌ وأمري غريبٌ لو كتب بالإبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ، ثم تأوه وأن واشتكى وبكى وأنشد :

حديثي عجيب فاق كل العجائب ... وحق إله غامر بالمواهب
فإن شئتمو أن تسمعوا إلي فأنصتوا ... فيطرب هذا الجمع من كل جانب
وأصغوا إلى قولي ، ففيه إشارة ... وإن كلامي صادق غير كاذب
لأني قتيل من غرام ولوعة ... وقاتلتي فاقت جميع الكواعب
لها مقلة كحلا وخد مورد ... ويقتلني منها قسيُّ الحواجب

وقـــد حـــس قلبـــي أن فيكم إمامنا   خليفـــة هـذا الوقت ابن الأطايب
وثانيكمـــو يدعـــى الوزيـــر بجعفـــر   وفي الحق يدعى صاحباً وابن صاحب
وثالثكـــم مســـرور سيفـــاف نقمـــة   فإن كان هذا القول حقاً بصائـــب
فقـــد نلـــت ما أرجو على كل حـالةٍ   وجاء سرور القلب من كل جانـــب

قال : فعند ذلك حلف له جعفر أنهم لم يكونوا المذكورين ، فضحك الشاب وقال : الذي أعرفكم به أني ما أنا أمير المؤمنين ، وإنما سميت نفسي بهذا الاسم لأبلغ ما أريد من أبناء المدينة ، واسمي علي بن محمد الجوهري ، وإن أبي كان من الأعيان ، ومات وخلف لي أموالاً لا تأكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وجوهر وزمرد وبهرمان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق وطواحين وعبيد وجوار وغلمان ، فلما كان في بعض الأيام وأنا جالس في حانوتي وحولي الحشم والخدم ، وإذا أنا بجارية قد أقبلت على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوار كأنهن الأقمار ، ونزلت على دكاني وجلست وقالت : أنت علي بن محمد الجوهري .

فقلت لها : مملوكك وعبد رقك .

فقالت : هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلي؟ فقلت : يا ستي الذي عندي يحضر بين يديك ، فإن أعجبك شيء كان بسعد المملوك ، وإن لم يعجبك شيء منه فبسوء حظي .

وكان عندي مائة عقد جوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء منها ، وقالت : أريد أحسن مما رأيت ؛ وكان عندي عقد صغير شراؤه على والدي بمائة ألف دينار لم يوجد مثله عند أحد السلاطين الكبار ، فقلت : يا سيدتي بقي عندي عقد الفصوص والجواهر الذي لم يملكه أحد من الأصاغر والأكابر .

فقالت : أرني إياه .

فلما رأته قالت : هذا الذي طول عمري أتمناه . ثم قالت : بكم ثمنه في الأسعار؟ فقلت : شراؤه على والدي بمائة ألف دينار .

فقالت : ولك خمسة آلاف زائدة .

فقلت لها : يا سيدتي العقد وصاحبه في الرق بين يديك ، ولا خلاف .

فقالت : لا بد من الفائدة ولك الجميلة الزائدة .

وقامت من وقتها عجلة وركبت البغلة بسرعة ، وقالت : يا سيدي نور الدين ، باسم الله فلتكن في صحبتنا لتأخذ الثمن ، فإن نهارك اليوم بنا مثل اللبن .

فقمت وأقفلت الدكان وسرت معهن في أمان إلى أن وصلنا إلى الدار ، فوجدتها داراً عليها السعادة لائحة والافتخار وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجيب هذه الأبيات :

ألا يا دار لا يدخلك حزنٌ ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار أنت لك ضيفٍ إذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ، ودخلت الدار وأمرت بجلوسي إلى أن يأتي الصيرفي ، فجلست على باب الدار ساعة لطيفة ، وإذا بجارية خرجت إلي وقالت : يا سيدي ادخل إلى الدهليز فإن جلوسك على الباب قبيح .

فقمت إلى الدهليز وجلست على الدكة ساعة ، وإذا بجارية خرجت إلي ، وقالت : يا سيدي! تقول لك سيدتي ادخل واجلس على جانب الإيوان حتى تقبض مالك .

فقمت فدخلت وجلست حيث أمرتني ، وإذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير الأحمر ، وإذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترت مني العقد ، وقد أسفرت عن وجه كأنه دائرة القمر ، والعقد في عنقها فدهش عقلي وحار ذهني ولبي من رؤية تلك الجارية وحسنها ، فلما رأتني قامت من على الكرسي ، وسعت نحوي ، وقالت : يا نور الدين! هل رأيت جميلة مثلي؟ فقلت : يا سيدتي الحسن كله فيك ، وهو من بعض معانيك .

فقالت : يا علي ، اعلم أني أحبك وما صدقت أنك صرت عندي .

ثم إنها طوقتني وعانقتني ، فقبلتها وقبلتني ثم جذبتني وعلى صدرها رمتني . فلما علمت مني أني أريد أن أهم بها قالت : يا علي ، أتريد أنن تجتمع بي في الحرام ، والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبيح الكلام ، فإني بكر عذراء ما دنا مني أحد ، ولست مجهولةً في البلد ، أتعلم من أنا؟ فقلت : لا والله ، وحلفت لها يميناً .

فقالت : أنا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي ، وأخي جعفر .

فلما سمعت منها ذلك جمعت خاطري عنها ، وقلت : يا سيدتي ما لي ذنب في التهجم عليك ، أنت التي أطمعتني في إحسانك والوصول إلى جنابك .

فقالت : لا بأس عليك ولا بد من الإحسان إليك فإن أمري بيدي ، والقاضي ولي عقدي ، والقصد أن أكون لك وتكون لي .

ثم إنها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود ، فلما حضروا قالت لهم : هذا نور

الدين علي بن الجوهري قد طلب زواجي ودفع لي هذا العقد مهري ، وأنا قد قبلت ورضيت .

ثم إن القاضي حمد الله تعالى وأثنى عليه وكتب الكتاب فدخلت عليها بعد أن أعطت للقاضي شيئاً ما له حساب ، وأحضرت المدام وأحضرت الأقداح بأحسن نظام فلما لعبت الخمرة في رؤوسنا أمرت جارية عوديةً أن تغني فأنشأت تقول :

قلبي وآمالي بباب رجاكم لا أبتغي في الكون غير رضاكم
يا جيرة جاروا علي ببعدهم حنوا علينا وارحموا مضناكم
حاشاكمو ، يا سادتي ، أن تهجروا صباً معنى مغرماً بهواكم
بالله جودوا وارحموا لمتيم لم يستمع فيكم حديث سواكم
مرسى فؤادي فوق بحر رضاكم فإذا شجاه حسنكم ناجاكم

قال : فأطربتنا الجارية بحسن غنائها ولم تزل الجواري يغنين جارية بعد جارية وينشدن الأشعار إلى أن غنت عشر جوارٍ ، فعند ذلك أخذت العود الست دنيا وأنشدت تقول :

قسماً بلين قوامك المياس إني لنار الهجر منك أقاسي
فارحم لصب في هواك متيم يا بدر تم أنت سيد الناس
أنعم بوصلك كي أبيت بليلةٍ أجلو جمالك في ضياء الكاس
ما بين ورد جمعت ألوانهُ مع نرجس أيضاً وحسن الآس

قال الشاب : ثم إني أخذت منها العود وضربت عليه وغنيت هذه الأبيات :

سبحان ربي جميع الحسن أعطاكِ حتى بقيت أنا من بعض أسراك
يا من لها ناظر تسبي الأنام به خذي الأمان لنا من سحر عيناك
فالماء والنار في خديك قد جمعا والورد جوري نبت وسط خداك
أنت الغرام لقلبي والنعيم له فما أمرك في قلبي وأحلاك

قال : فلما سمعت مني ما قلت فرحت فرحاً شديداً ، ثم إنها صرفت الجواري وقمنا إلى أحسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الألوان ، ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الأحباب ، فوجدتها بنتاً بكراً بختم ربها ، ففرحت بي وفرحت بها فرحاً لم أجد في عمري ليلة أطيب منها ، وفيها أنشدت أقول :

يا ليل! دم لي لا أريد صباحاً يكفي بوجه معانقي مصباحا
طوقته طوق الحمام بساعدي وجعلت كفي للمنام مباحا

هـــذا هـــو الـــفوز العظيـــم فخلنـــا متعانقـــين ، فـــلا نريـــد براحـــا

فأقمت عندها شهراً كاملاً ، وقد نسيتُ الدكان والأهل والأوطان إلى ذات يوم من الأيام قالت : يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير إلى الحمام ، وأنت اقعد على هذا السرير إلى أن أرجع إليك .

فقلت : سمعاً وطاعةً .

وحلفتني ألا أنتقل من موضعي ، فأخذت جواريها وذهبت إلى الحمام ، فوالله يا إخواني ما لحقت أن تخرج من رأس الزقاق ، إلا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز وأي عجوز ، وقالت : يا نور الدين الست زبيدة تدعوك ، فقد سمعت بشبابك وطيب غنائك .

فقلت : والله علي يمين أنني ما أقوم من مقامي حتى تأتي الست دنيا .

فقالت العجوز : يا نور الدين لا تخل الست زبيدة تصير عدوتك ، فقم كلمها وارجع .

فقمت من وقتي إليها والعجوز أمامي إلى أن أوصلتني إلى الست زبيدة ، فلما وصلت إليها ، قالت : يا نور الدين أنت معشوق الست دنيا؟ فقلت : مملوكك وعبد رقك .

فقالت : صدق الذي وصفك بالحسن والجمال ، فإنك فوق الوصف والمقال ، ولكن عن لي شيئاً حتى أسمعك؟ فقلت : السمع والطاعة ، فأتتني بعود فغنيت عليه وأنشدت أقول :

قلـــب المحب مع الأحـــباب متعـــوب وجسمـــه بيـــد الأسقـــام منهوب

ما في الركائب من زمـــت حمولهـــم إلا وكـــان لـــه في الظعن محبوب

أســـتودع اللـــه لي في حبكم قمـــراً يهـــواه قلبـي وعن عيني محجوب

يرضـــى ويغضـــب ، ما أحلى تدلله وكـــل ما يفعل المحبوب محبـــوب

فقالت لي : حفظ الله بدنك وطيب أنفاسك ، فلقد كملت في الحسن والظرف والمعنى ، فقم إلى مكانك قبل أن تجيء إليه الست دنيا فلا تجدك فتغضب عليك .

فقبلت الأرض وخرجت العجوز أمامي إلى أن أوصلتني إلى الباب الذي خرجت منه ، فدخلت وجئت إلى السرير لأجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير ، فقعدت عند رجليها وصرت أكبسها ، ففتحت عينيها فرأتني فجمعت رجليها ورفستني فرمتني من على السرير وقالت : يا نور الدين! خنت اليمن وكذبت .

وذهبت إلى الست زبيدة؟ ووالله لولا خوفي من الهتيكة والفضيحة لخربت قصرها على رأسها . ثم قالت لعبدها : يا صواب ، قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب ، فلا حاجة لنا به .

فتقدم ذلك الخادم إلي وشرط ذيلي وعصب عيني ، وأراد أن يضرب رقبتي فقامت إليها الجواري الكبار والصغار ، وقلن لها : يا ستاه ، ما هو بأول من أخطأ ما عرف خلقك ، وأنت ما تبغضينه ، وما فعل ذنباً يوجب أن تقتليه .

فقالت : والله لا بد أن أؤثر فيه أثراً . ثم أمرت بضربي فضربت على أضلاعي الضرب الذي رأيتموه ، وأمرت بإخراجي . فأخرجوني وأبعدوني عن القصر ، ورموني ورجعوا وتركوني ، فلمت نفسي : فمشيت قليلاً قليلاً قليلاً إلى أن وصلت إلى منزلي ، وأحضرت جراحاً وأريته الضرب فلاطفني وسعى في مصالحي . فلما صح جسمي دخلت الحمام وزالت عني الأوجاع والأسقام . وجئت إلى الدكان وأخذت جميع ما فيه وبعته وجمعت ثمنه واشتريت أربعمائة مملوك ما جمعهم أحد من الملوك يركب معي في كل يوم مائتان ، وعملت هذا المركب الحراقة بألف ومائتين من الذهب العين ، وسميت نفسي بالخليفة ، ورتبت من معي من الخدام كل واحد في وظيفة وناديت : كل من تفرج في الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة . ولي على هذه الحالة سنة كاملة ولم أسمع لها بخبر ولا وقفت لها على أثر ، ثم إنه بكى وأن واشتكى وأنشد يقول :

والله ما كنت طول الدهر ناسيها	ولا دنوت إلى من ليس يدنيها
كأنها البدر في تكوين خلقتها	سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لي إلا محبتها	فكيف حال الذي قد بات نابيها
وصيرتني حزيناً ساهياً دنفاً	والقلب قد حار مني في معانيها

قال : فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما أبداه من الخطاب تعجب غاية العجب . وقال : سبحان من جعل لكل شيء سبباً .

ثم إنهم طلبوا من الشاب الانصراف وأضمر الرشيد للشاب الإنصاف وأن يتحفه غاية الإتحاف ، فانصرفوا من عنده سائرين وإلى قصر الخلافة طالبين ، ولما استقر بهم في منزلهم الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس ولبسوا أثواب الموكب والملك والزينة ، وكذلك مسرور سياف النقمة والعطب ، فقال الخليفة لجعفر المهيب : يا وزير! علي بالشاب .

فخرج إليه في الحشم والخدم وسار إلى منزل الشاب فخرج إليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر : أجب أمير المؤمنين .

فقال : سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين وحامي حوزة الدين .

فسار معه إلى القصر وهو من الترسيم عليه في حصر ، فلما دخل إلى الخليفة ورفع الوزير الستر عن السدة الشريفة ورأى الشاب الخليفة عرفه ، فقبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز وأثنى عليه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين

وقامع المفسدين وإمام المتقين هناك الله بما أعطاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لأعداك وأنشد يقول :

لا زال بابــــك كعبـــــة مقصــودةً وترابهـــا فـــوق الجـــباه رســـــوم
حتـــى ينادي فـي البـــلاد بأسرهـــا هــــذا المقـــام وأنـــــت إبراهيـــم

فعند ذلك تبسم الخليفة في وجهه ، ورد عليه السلام وأظهر له الإحسان والإكرام وقربه إليه ، وأجلسه بين يديه وقال له : يا نور الدين أريد أن تحدثني بحديثك الليلة يا مسكين ، فإنه من أعجب الأمور .

فقال الشاب : العفو يا أمير المؤمنين ، أعطني منديل الأمان ليهدأ روعي ويطمئن قلبي .

فقال الخليفة : لك الأمان .

فشرع الشاب يتحدث بالذي جرى له من أوله إلى آخره ، فعلم الخليفة من غير إطالة أن الصبي عاشق لا محالة ، فقال الخليفة : أتحب أن أردها إليك يا مسكين؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين ثم أنشد يقول :

إن رمـــت إحسانـــاً فهـــذا وقتـــــه أو رمـــت معروفـــاً فهـــذا حينــه

فعند ذلك التفت الرشيد إلى الوزير وقال له : أحضر أختك الست دنيا بنت الوزير يحيى .

فقال له : السمع والطاعة .

فأحضرها في الوقت فلما مثلت بين يديه قال لها : أتعرفين هذا من؟ فقالت : أين للنساء معرفة بالرجال؟

فتبسم وقال : يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من أولها إلى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها ، والأمر لا يخفى وإن كان مستوراً .

فقالت : كان ذلك في الكتاب مسطوراً ، وأن أستغفر الله مما جرى مني ، وأسأل من فيض الفضل العفو عني .

فضحك الخليفة وأحضر القاضي والشهود وعقد له ثانياً عليها . وحصل له سعد السعود ، وأكمد العدو والحسود وجعله نديمه وزاد تكريمه ، وعاش بقية عمره في أهنأ عيش ونعمةٍ ، يجالس الخليفة في الليل والنهار ، تؤانسه الست دنيا ذات الفخار .

الحسين الخليع والجارية العاشقة

قال السجستاني(١) : أرق الرشيد ليلة ، فوجه إلى الأصمعي(٢) وإلى حسين الخليع فأحضرهما وقال : عللاني وابدأ أنت يا حسين .

فقال حسين : نعم يا أمير المؤمنين؟ خرجت في بعض السنين منحدراً إلى البصرة ممتدحاً محمد بن سليمان الزينبي بقصيدتي ، فقبلها وأمرني بالمقام ، فخرجت ذات يوم إلى المربد وجعلت المهالبة طريقي فأصابني حر شديد فدنوت من باب دار كبيرة لأستسقي ، فإذا أنا بجارية كأنها قضيب ينثني ، واسعة العينين ، زجاء الحاجبين ، مفتوحة الجبين ، عليها قميص جلناري ورداء عدني قد غلب شدة بياض بدنها على حمرة قميصها ، تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطي القباطي ، وعكن كالقراطيس ، لها جمة جعدة بالمسك محشوة ، وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرزاً من الذهب والجوهر ، يزهو بين نهديها وعلى صحن جبنها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان أسيلان

وأنف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ ، وأسنان كالدر ، وقد غلب عليها الطيب ، وهي والهة حيرى ذاهبة في الدهليز ورائحة تخطر على أكباد محبيها في مشيتها ، وقد خالط أصوات نعلها خلاخلها ، فهي كما قال الشاعر فيها :

كـــل جـــزء منـــم محاسنـه   كائـن مــن حسنهـا مثــلا

---

(١) أبو سليمان السجستاني هو أبو محمد سليمان السجستاني هو الشيخ أبي سليمان محمد بن بهرام المنطقي السجستاني أو الشيخ الجليل أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي ، فيلسوف ، شاعر وأديب اهتم بالمنطق والفلسفة الطبيعية والنفس .

(٢) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان .

فهبتها يا أمير المؤمنين ، ثم دنوت منها لأسلم عليها ، فإذا الدهليز والدار والشارع قد عبق بالمسك ، فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب حزين حريق مسعر . فقلت لها : يا سيدتي ، إني شيخ غريب أصابني عطش ، أفتأمرين بشربة من ماء تؤجرين عليها؟ قالت : إليك عني يا شيخ ، فإني مشغولة عن الماء وادخار الزاد .

قلت : لأي علة يا سيدتي؟ قالت : لأني عاشقة لمن لا ينصفني ، وأريد من لا يريدني ، ومع ذلك فإني ممتحنة برقباء فوق رقباء .

قلت : وهل يا سيدتي على بسيطة الأرض من تريدينه ولا يريدك؟ قالت : نعم ، وذلك لفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال .

قلت : وما وقوفك في هذا الدهليز؟ قالت : ههنا طريقه وهذا أوان اجتيازه .

فقلت لها : يا سيدتي ، فهل اجتمعتما في وقت من الأوقات ووجد حديث في هذا القرب؟ فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خدها كطل سقط على ورد ، ثم أنشدت تقول :

وكنـــا كغصنـــي بانـــة فـوق روضة نشـــم جني اللذات في عيشة رغد
فأفـــرد هـــذا الغصن من ذاك قطـــع فيـــا من رأى فرداً يحن إلى فـــرد

قلت : يا هذه ، فما بلغ من عشقك لهذا الفتى؟ قالت : أرى الشمس على حائطهم أحسب أنها هو ، وربما أراه بغتة فأبهت ويهرب الدم والروح من جسدي وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل .

فقلت لها : فاعذريني ، فأنت على ما بك من الصبا وشغل البال بالهوى ونحول الجسم وضعف القوى أرى بك من اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يمسك الهوى لكنت مفتنةً في أرض بصرة .

قالت : والله قبل محبتي هذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال والكمال ، ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى فتنني هذا الغلام .

قلت : يا هذه ، فما الذي فرق بينكما؟ قالت : نوائب الدهر ولحديثي وحديثه شأن من الشؤون ، وذلك أني كنت قعدت في ويم نيروز ، ودعوت عدة من مستظرفات البصرة من النساء الجميلات وكانت فيهن الحوراء جارية شيرا ، وكان شراؤها عليه من عمان بثمانية آلاف درهم ، وكانت بي والعة ، فلما دخلت رمت بنفسها علي تقطعني قرصاً وعضاً ، ثم خلونا نتمرن القهوة إلى أن يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبني وألاعبها ، فتارة أنا فوقها ، وتارة هي فوقي ، فحملها السكر إلى أن

ضربت يدها إلى تكتي فحلتها من غير زيبة كانت بيننا ، وأنزلت سراويل ملاعبة ، فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا حبيبي فرأى ذلك فاشمأز لذلك وصدف عني صدوف المهرة العربية إذا سمعت صلاصل لجامها ، فولى خارجاً ، فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسأل الاجتماع به فلا ينظر إلي بطرف ولا يكتب لي بحرف ولا يكلم لي رسولاً ولا يسمع مني قيلاً .

فقلت لها : يا هذه ، من العرب هو أم من العجم؟ فقالت : ويحك هو من جملة ملوك البصرة .

فقلت لها : شيخ هو أم شاب؟ فنظرت إلي شزراً وقالت : إنك أحمق ، هو مثل القمر ليلة البدر ، أجرد أمرد له طرة كحلك الغراب لا يعيبه شيء غير انحرافه عني .

قلت لها : ما اسمه؟ قالت : ماذا تصنع به؟ أجتهد في لقائه فأتعرف الفضل بينكما .

قالت : على شرط أن تحمل إليه رقعة .

قلت : لا أكره ذلك .

فقالت : اسمه ضمرة بن المغيرة ويكنى بأبي السخاء ، وقصره بالمربد .

ثم صاحت في الدار : يا جواري ، الدواة والقرطاس ، وشمرت عن ساعدين كأنهما طوقان من فضة ، وكتبت بعد البسملة : سدي ترك الدعاء في صدر رقعتي ينبئ عن تقصيري ، ودعائي ، إن دعوته ، هجنة ورعونة ، ولولا أن بلوغ المجهود يخرج من حد التقصير لكان لما تكلفته خادمتك من كتابة هذه الرقعة معنى مع يأسها منك لعلمها تركك الجواب .

سيدي ، جد بنظرة وقت اجتيازك في الشارع إلى الدهليز تحيي بها نفساً ميتة ، واخطط بخط يدك ، بسطها الله بكل فضيلة ، رقعة واجعلها عوضاً عن تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أنت ذاكر لها .

سيدي ، ألست لك محبة مدنفةٌ؟ فإن رجعت إلى الآيسة كنت لك شاكرة وبعد خادمة . والسلام .

فتناولت الكتاب وخرجت فأصبحت غدوة إلى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلساً محتفلاً بالملوك ورأيت غلاماً زان المجلس وفاق على من فيه جمالاً وبهجة ، قد رفعه الأمير فوقه ، فسألت عنه فإذا هو ضمرة بن المغيرة ، فقلت في نفسي : يا لحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها . ثم قمت وقصدت المربد ووقفت على باب داره ، فإذا هو

قد ورد في موكب فوثبت الهي وبالغت في الدعاء له وناولته الرقعة ، فلما قرأها وفهم معناها قال لي : يا شيخ! قد استبدلنا بها ، فهل لك أن تنظر إلى البديل؟ قلت : نعم .

فصاح في الدار أخرجوا الربداء ، فإذا أنا بجارية خابوطية الكمين ، ناهدة الثديين تمشي مشية مستوحل من غير وحل ، فناولها الرقعة ، وقال : أجيبي عنها ، فلما قرأتها اصفرت وعرفت وقالت : يا شيخ أستغفر الله مما جئت به .

فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجر رجلي حتى أتيتها واستأذنت عليها فقالت : ما وراءك؟ فقلت : البؤس واليأس .

فقالت : ما عليك منه ، فأين الله والقدر؟ ثم أمرت لي بخمسمائة دينار ثم جزت بعد أيام ببابها فوجدت غلماناً وفرساناً فدخلت فإذا أصحاب ضمرة يسألونها الرجوع إليه؟ فقالت : لا والله لا نظرت له وجهاً ، فسجدت لله يا أمير المؤمنين ، شماتةً بضمرة ونفرته من الجارية ، فأوردت علي منه رقعة فإذا فيها ، بعد التسمية ، سيدتي ، لولا إبقائي عليك ، أدام الله حياتك ، لوصفت شطراً من غدرك شطر غبني عليك ، وسلكت ظلامتي فيك ، إذ كنت الجانية ، على نفسك ونفسي والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا ، فخالفت هواي ، والله المستعان ، على ما كان من سوء اختيارك والسلام .

وأوقفتني على ما حمله إليها من الهدايا والتحف العظيمة فإذا هو بمقدار ثلاثين ألف دينار ثم رأيتها بعد ذلك ، وقد تزوج بها ضمرة .

الهادي[(١)] وحبه لغادرة

حكي عبد الحق أنه قال مما ابتلي به الهادي من المحبة أنه كان مغرماً بجارية تسمى غادراً ، وكانت من أحسن النساء وجهاً وأطيبهم غناءً ، اشتراها بعشرة آلاف

---

(١) أبو محمد موسى الهادي بن أبو عبد الله محمد المهدي بن أبو جعفر عبد الله المنصور من خلفاء الدولة العباسية ببغداد وهو الخليفة الرابع . ولد الهادي بالري سنة ١٤٤ هـ/٧٦٦م . ولي الخلافة بعد وفاة أبيه الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي سنة ١٦٩ هـ 14\سبتمبر ٧٨٦م وخلفه أخيه الخليفة هارون الرشيد وعم كلا من : الخليفة أبو عبد الله محمد الأمين والخليفة أبو العباس عبد الله المأمون والخليفة أبو إسحاق محمد المعتصم بالله أولاد هارون الرشيد . اتبع وصية أبيه أن يقوم بقتل الزندقة فتتبعهم وقتل منهم خلقا كثيرا .

دينار ، فبينما هو يشرب مع ندمائه إذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب ، فقيل له : ما بال أمير المؤمنين؟ قال : وقع في قلبي أني أموت وأن أخي هارون بلي الخلافة ويتزوج غادراً فامضوا وأتوني برأسه .

ثم رجع عن ذلك وأمر بإحضاره ، وحكى له ما خطر بباله فجعل هارون يترفق به ، فقال : لا أرضى حتى تحلف علي بكل ما أحلفك به أني إذا مت لا تتزوج بها . فرضي بذلك وحلف إيماناً عظيمة ، ودخل إلى الجارية وحلفها أيضاً على مثل ذلك ، فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولي الخلافة هارون الرشيد فطلب الجارية فقالت : يا أمير المؤمنين كيف تصنع بالإيمان؟ فقال : قد كفرت عنك وعني .

ثم تزوج بها ووقعت في قلبه موقعاً عظيماً وافتتن به أعظم من أخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب . فبينما هون في بعض الليالي وهي في حجره نائمة إذا بها انتبهت فزعة مرعوبة . فقال لها : ما بالك فديتك؟ قالت : رأيت أخاك الهادي الساعة في النوم فأنشدني هذه الأبيات :

أخلفت عهدي بعدما ... جاوزت سكان المقابر
ونسيتني ، وحنثت في ... إيمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخي ... صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الإلف الجديـ ... ـد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح ... وصرت حيث غدوت صائر

قالت : ثم ولى عني وكأن الأبيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة .

فقال لها : هذه أحلام الشيطان .

فقالت : كلا ، والله يا أمير المؤمنين . ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة .

الشاعر المجنون

قال المبرد[(١)] : صعدت من البصرة إلى بغداد ، فمررت بدير العاقول فرأيت

(١) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد ينتهي نسبه بثمالة ، وهو عوف بن أسلم من الأزد . هو أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد ، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري .

مجنوناً فيه . فلم أر قط أظرف منه ولا أحسن ثياباً ، ويده الواحدة على صدره . فلما دنوت منه أنشأ يقول :

اللــه يعلــم أننــي كمدٌ   لا أستطيــع أبـث ما أجد
روحان لــي : روح تملكهــا   بلــد ، وأخرى حازها بلــد
وأرى الصبابــة ليس ينفعها   صــبر وليــس لمثلها جلد
وأظن ظاعنتي كشاهدتــي   بمكانهــا تجــد الـذي أجد

فقلت : أحسنت والله ، لله درك يا مجنون . فأهوى لشيء يرميني به فبعدت عنه . فقال لي : أنشدتك ما تحبه واستحسنته . وتقول لي : يا مجنون ، وتكون مع الزمان علي .

فقلت له : أخطأت .

فقال : إذن اعترفت بخطئك . ثم قال : أنشدك شعراً أيضاً؟ قلت : نعم .

فأنشأ يقول :

مــا أقتــل البــين للمحــب . ومــا   أوجــع قلــب المحــب بالكمــد
عرضــت نفســي علــى البلاء لقد   أســرع فــي مهجتي وفي كبدي
يــا حســرةً! إذ أبيــــت معتقــلاً   بــين اختــلاج الهمــوم والسهد

فقلت : أحسنت والله زدنا ، فقال :

إن فتشونــــي فمحــرق الكبــــد   أو كشفونــي فناحــــل الجســد
أضعــف مــا بــي وزادنــــي ألمــاً   أن لســت أشكــو النوى إلى أحد

فقلت : أحسنت والله زدنا .

فقال : يا فتى ، أراك كلما أنشدتك بيتاً قلت زدنا ، وما ذاك إلا لمفارقة حبيبٍ أو خل أريب ، ثم قال : أحسبك أبا العباس المبرد . بالله ما هو أنت .

قلت : أنا ذلك فمن أين عرفتني؟ فقال : وهل يخفى القمر؟ ثم قال : يا أبا العباس ، أنشدني من شعرك شيئاً تنتعش به روحي ، فأنشدته قولي :

بكيــت حتى بكى من رحمتي الطلل   ومـن بكائي بكت أعداي إذ رحلوا
يا منزل الحيِ! أين الحي قــد نزلــوا؟   نفسي تساق إذا ما سيقت الإبــل
أنعم صباحاً ، سقاك الله مــن طلــل   غيثاً وجاد عليــك الوابـل الهطل
سقيــاً لعهدهــم والــدار جامعــة   والشمل ملتئم والحبــل متصــل
فطالمــا قــد نعمنــا والحبيــب بها   والدهر يسعد والواشــون قـد غفلوا

قد غير الدهر ما قد كنت أعرفه ... والدهر ذو دول بالناس ينتقل
بانوا فبان الذي قد كنت آمله ... والبين أعظم ما يبلى به الرجل
فالشمل مفترق ، والقلب محترق ... والدمع منسكب ، والركب مرتحل
كأن قلبي لما سار عيسهم ... صب به دنف أو شارب ثمل
لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم ... وثوروها وسارت بالهوى الإبل
وقلت من خلال السجف ناظرها ... ترنوا لي ، ودمع العين منهمل
يا حادي العيس! عرج بي أو دعهم ... يا حادي العيس في ترحالك الأجل
إني وحقك لا أنس مودتهم ... يا ليت شعري لطول العهد ما فعلوا؟

قال أبو العباس المبرد : فلما أتممت شعري . قال لي : ما فعلوا؟ قلت : ماتوا ، فصاح صيحة عظيمة وخر مغشياً عليه ، فحركته فوجدته قد مات .

سليمان والدلفاء

وقال أبو سويد : حدثني أبو زيد الأسدي قال : دخلت على سليمان بن عبد الملك[1] وهو جالس في إيوان مبلط بالرخام الأحمر مفروش بالديباج الأخضر فيوسط بستان ملتف قد أثمر وأينع ، على رأسه وصائف كل واحدة منهم أحسن من صاحبتها ، وقد غابت الشمس وغنت الأطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الأشجار فتمايلت فقلت : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته .

وكان مطرقاً فرفع رأسه وقال : يا أبا زيد! في مثل هذا الحين تصالحنا .

فقلت : أصلح الله الأمير أو قامت القيامة؟ قال : نعم على أهل المحبة .

ثم أطرق ملياً ورفع رأسه وقال : يا أبا زيد : ما يطيب في يومنا هذا؟ قلت : أعز الله الأمير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء ملفوفة لفاء أشربها من كفها وأمسح فمي بخدها .

فأطرق سليمان ملياً لا يرد جواباً تتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ، ثم رفع رأسه فقال : يا أبا زيد حضرت في يوم انقضاء

---

(١) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، الخليفة الأموي السابع ، وهو يعد من خلفاء بني أمية الاقوياء ، ولد ب دمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٩٦هـ . ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور . .

أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لأضربن عنقك أو لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك؟ قلت : نعم أيها الأمير ، كنت جالساً على باب أخيك سعد بن عبد الملك ، فإذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلتت من شبكة صياد عليها قميص سكب إسكندراني يبين منها بياض ثدييها وتدوير سرتها ونقش تكتها ، وفي رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان حقويها ، ولها صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها ، وعينان مملؤتان سحراً ، وأنف كأنه قصبة بلور ، وفم كأنه جرح يقطر دماً ، وهي تقول : عباد الله من لي بدواء من لا يسلو وعلاج من لا يسمو؟ طال الحجاب ، وأبطأ الجواب ، فالقلب طائر ، والعقل عازب ، والنفس والهة ، والفؤاد مختلس ، والنوم محتبس ، رحمة الله على قوم عاشوا تجلداً وماتوا كمداً ، ولو كان إلى الصبر حيلة ، وإلى العزاء سبيل ، لكان أمراً جميلاً .

ثم أطرقت ملياً ورفعت رأسها فقلت : أيتها الجارية إنسية أم جنية سماوية أم أرضية؟ فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك .

فسترت وجهها بكفها كأنها لم ترني ثم قالت : اعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند .

ثم انصرفت فوالله أصلح الله الأمير ما أكلت طيباً إلا غصصت به لذكرها وما رأيت حسناً إلا سمج في عيني لحسنها .

فقال سيلمان : يا أبا زيد ، كاد الجهل يستفزني ، والصبا يعاودني ، والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت . اعلم يا أبا زيد أن تلك الجارية التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها :

كأنما الذلفاء ياقوتة . . . قد أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي بألف ألف درهم ، وهي عاشقة لمن باعها والله إن مات إنما يموت بحبها ، ولا يدخل القبر إلا بغصتها ، وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت هيبة ، قم يا أبا زيد في دعة الله ، يا غلام! ثقله ببدرة .

فأخذتها وانصرفت . قال : فلما أفضت الخلافة له صارت إليه الذلفاء فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء موثقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر من أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع ، وكان لسليمان مغن يقال له سنان ، كان به يأنس وإليه يسكن فأمره أن يضع فسطاطه

بالقرب منه . فكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان إلى ذلك المنتزه فلم يزل في أكل وشرب وسرور وأتم حبور إلى أن انصرف شيء من الليل فذهب إلى فسطاطة ، وذهب سنان أيضاً فنزل به جماعة من إخوانه فقالوا له : تزيد قرى أصلحك الله؟ قال : وما قراكم؟ قالوا : أكل وشرب وسماع .

قال : أما الأكل والشرب فمباحان لكم ، وأما السماع فقد عرفتم غيرة أمير المؤمنين ونهيه إلا ما كان في مجلسه .

قالوا : لا حاجة لنا بطعامك وشرابك إن لم تسمعنا .

قال : فاختاروا صوتاً واحداً أغنيكموه .

قالوا : غننا بصوت كذا وكذا .

قال : فشرع يتغنى بهذه الأبيات :

محجوبة سمعت صوتي فأرقها ... من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها ... أوجهها عنده أم عنده القمر
لم يحجب الصوت حراس ولا غلق ... فدمعها لطروق الصوت ينحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم ... تكاد من لينها في المشي تنفطر

قال : فسمعت الذلفاء صوت سنان . فخرجت إلى صحن الفسطاط ، فجعلت لا تسمع شيئاً من حسن خلق ولطافة إلا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكناً في قلبها ، فهملت عيناها وعلا نحيبها ، فانتبه سليمان . فلم يجدها معه فخرج إلى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة ، فقال : ما هذا يا ذلفاء؟ فقالت :

ألا رب شخص رائع ومشوه ... قبيح المحيا واضع الأب والجد
يروعك منه صوته ولعله ... إلى أمة يعزى معاً وإلى عبد

فقال سليمان : دعيني من هذا المحال ، فو الله خامر قلبك منه . يا غلام : علي بسنان .

فدعت الذلفاء خادماً لها وقالت له : إن سبقت رسول أمير المؤمنين إلى سنان فحذرته ، فلك عشرة آلاف درهم ، وأنت حر لوجه الله تعالى .

فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين فلما أتى به قال : يا سنان ، ألم أنهك عن مثل هذا؟ قال : يا أمير المؤمنين ، حملين الشمول ، وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفو عني فليفعل .

قال : قد عفوت عنك ، ولكن أما علمت أن الفرس إذا صهل ودقت له الحجرة ،

وأن الفحل إذا هدر ضبعت له الناقة ، وأن الرجل إذا تغنى صغت إليه المرأة ، وإياك والعود إلى ما كان منك فيطول غمك .

جعفر بن سليمان[1] والعاشقان

وهذه حكاية تشابه ما تقدم . قال حماد الراوية[2] : كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة إذ أتى بشاب حسن الوجه ، ومعه جارية كأنها قضيب بان ، فقال صاحب الشرطة : أصلح الله الأمير ، إني وجدت هذا وهذه مجتمعين في خلوة وليس لها بمحرم .

فقال جعفر للفتى : ما تقول؟ فقال : صدق ولقد طال والله غرامي بها منذ ثلاث سنين والله ما أمكنني الخلوة بها إلا في هذا الوقت ، وأنشد يقول :

تمنيت من ربي أفوز بقربها ... فلما تهيأ لي المنى عاقه العسر
فوالله بل والله ما كان ريبةٌ ... وما كان إلا اللفظ والضحك والبشر
فدونكم جلدي ولا تجلدونها ... فكم من حرام كان من دونه ستر

قال : فجعلت الجارية تبكي بكاء شديداً فقال لها : وأنت لم تبكين؟ فقالت : والله شفقة مما حل بنا وكيف احتلت حتى خرجت وكيف بلينا بهذه البلية؟ قال : أتحبينه؟ قال : فلم غررت بنفسي؟ قال لها : أنت حرة أم مملوكة؟ قالت : بل مملوكة .

فأمرها فدخلت الدار وأحضر مولاها فاشتراها منه بمائتي دينار وأعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساها ، فأنشد الفتى يقول :

لقد جدت يا ابن الأكرمين بنعمة ... جمعت بها بين المحبين في ستر
فلا زلت بالإحسان كهفاً وملجأ ... وقد جل ما قد كان منك عن الشكر

قال : فضحك وأمر لهما بجائزة وانصرفا مسرورين .

---

(١) الشيخ العالم الزاهد ، محدث الشيعة أبو سليمان الضبعي ، البصري . كان ينزل في بني ضبيعة ، فنسب إليهم .

(٢) هو أبو القاسم حماد بن أبي ليلى بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي ، المعروف بـ«الراوية» . كان من أعلم الناس بأيام العرب ، وأخبارها ، وأشعارها ، وأنسابها ولغاتها ، وهو الذي جمع السَّبع الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس .

شجرة العروسين

حكي عن عبد الله بن معمر القيسي أنه قال : حججت سنةً إلى بيت الله الحرام ، فلما قضيت حجي عدت لزيارة قبر النبي ﷺ ، فبينما أنا ذات ليلة جالس بين القبر والروضة إذ سمعت أنيناً عالياً وحنيناً بادياً ، فأنصت إليه ، فإذا هو يقول هذه الأبيات :

أشجاك نوح حمائم السدر ... فأهجن منك بلابل الصدر؟
أم عز نومك ذكر غانية ... أهدت إليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دنف ... يشكو الغرام وقلة الصبر
أسلمت من يهوى لحر جوى ... متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد أنني كلف ... مغرى بحب شبيهة البدر
ما كنت أحسبني بها شجناً ... حتى بليت وكنت لا أدري

قال : ثم انقطع الصوت ولم أدر من أين جاءني فبقيت حائراً ، وإذا به قد أعاد البكاء والحنين وأنشأ يقول هذه الأبيات :

أشجاك من ريا خيال زائر ... والليل مسود الذوائب عاكر
واقتاد مقلتك الهوى برسيسه ... واهتاج مقلتك الخيال الزاهر
ناديت ليلى ، والظلام كأنه ... يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسري في السماء كأنه ... مالك ترحل ، والنجوم عساكر
يا ليل! طلت على محب ما له ... إلا الصباح مساعد ومؤازر
فأجابني : مت حتف أنفك واعلمن ... أن الهوى لهو الهوان الحاضر

قال : فنهضت عند ابتدائه الأبيات أؤم الصوت فما انتهى لآخر الأبيات إلا وأنا عنده ، فرأيت غلاماً ما سال عذاره ، وقد خرج الدمع وجنتيه خرقين ، فقلت : نعمت غلاماً! فقال : وأنت ، فمن الرجل؟ قلت : عبد الله بن معمر القيسي .

قال : أفلك حاجة؟ قلت له : كنت جالساً في الروضة ، فما راعني في هذه الليلة إلا صوتك فبنفسي أفديك ، ما الذي تجده؟ قال : اجلس! فجلست ، أنا عتبة بن الخباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري ، غدوت إلى مسجد الأخراب فبقيت راكعاً وساجداً ثم اعتزلت غير بعيد ، فإذا بنسوة يتهادين كالأقمار ، وفي وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت علي ، وقالت : يا عتبة ، ما تقول في وصل من

يطلب وصلك؟ ثم تركتني وذهبت . فلم أسمع لها خبراً ولا وقفت لها على أثر . فأنا حيران أتنقل من مكان إلى مكان .

ثم صرخ وانكب على الأرض مغشياً عليه ، ثم أفاق كأنما صبغت ديباجتا خديه بورس ثم أنشد يقول هذه الأبيات :

أراكــم بقلبــي مــن بــلاد بعيـدة　　تراكــم ترونــي بالقلوب على بعد
فــؤادي وطرفــي يأسفــان عليكــم　　وعندكــم روحــي وذكركم عندي
ولســت ألذ العيــش حتــى أراكــم　　ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلـد

قال : فقلت له : يا ابن أخي تب إلى ربك واستقل من ذنبك ، فإن بين يديك هول المطلع .

فقال : هيهات ما أنا بسال حتى يثوب القارظان .

ولم أزل به حتى طلع الفجر ، فقلت : قم بنا إلى مسجد الأخراب ، فقمنا إليه فجلسنا حتى صلينا الظهر ، وإذا بنسوة قد أقبلن وأما الجارية فليست فيهن فقلن : يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة ما بك؟ قال : وما بالها قلن : أخذها أبوها وارتحل إلى السماوة . فسألتهن على الجارية فقلن : هي ريا بنت الغطريف السلمي ، فرفع رأسه وأنشأ يقول :

خليلــي! ريــا قــد أجــد بكورهــا　　وسار إلى أرض السمــاوة عيرهــا
خليلــيّ! إنــي قـد عييت عن البكا　　فهــل عنـد غيري عبرة أستعيرها؟

فقلت له : يا عتبة إني وردت بمال جزيل أريد به أهل الستر ، ووالله لأبذلنه أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا . قم بنا إلى مسجد الأنصار ، فقمنا حتى أشرفنا على مائهم فسلمت فأحسنوا الرد ثم قلت : أيها الملأ ، ما تقولون في عتبة وأبيه؟ قالوا : من سادات العرب ، قلت : فإنه رمي بداهية من الهوى فأريد منكم المساعدة إلى السماوة ، قالوا : سمعاً وطاعة .

وركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على منازل بني سليم فأعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادراً واستقبلنا وقال : حييتم يا كرام! قلنا : وأنت حييت ، إنا لك أضياف ، فقال : نزلتم بأكرم منزل .

ثم نادى : يا معشر العبيد انزلوا . فنزلت العبيد ففرشت الأنطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم . فقلنا : لسنا بذائقين طعامك حتى تقضي حاجتنا . قال : وما حاجتكم؟ قلنا : نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الخباب بن المنذر العالي الفخر

الطيب العنصر . فقال : يا أخي إن التي تخطبونها أمرها إلى نفسها ، وأنا أدخل وأخبرها .

ثم نهض مغضباً ودخل إلى ريا فقالت : يا أبتي! ما لي أرى الغضب بين عينيك؟ فقال : ورد علي قوم من الأنصار يخطبونك مني . فقالت : سادات كرام استغفر لهم النبي ﷺ فلمن الخطبة فيهم؟ قال : لفتى يعرف بعتبة بن الخباب ، قالت : سمعت عن عتبة هذا أنه يفي بما وعد ويدرك ما طلب . قال : أقسمت لا أزوجك به أبداً فقد نمى إلي بعض حديثك معه . قالت : ما كان ذلك؟ قال : ولكن أقسمت أني ما أزوجك به . قالت : أحسن إليهم فإن الأنصار لا يردون رداً قبيحاً ، فأحسن الرد . قال : بأي شيء؟ قالت : أغلظ عليهم المهر فإنهم يرجعون . قال : ما أحسن ما قلت .

ثم خرج مبادراً . فقال : إن فتاة الحي قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها ، فمن القائم به؟ قال عبد الله فقلت : أنا! فقال : أريد لها ألف سوار من ذهب أحمر ، وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر ، ومائة ثوب من الأبراد والحبر ، وخمسة أكرشة من العنبر .

قال قلت : لك ذلك ، فهل أجبت؟ قال : أجل . فأنفذ عبد الله نفراً من الأنصار إلى المدينة المنورة فأتوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم ، واجتمع الناس لأكل الطعام . قال : فأقمنا على هذا لحال أربعين يوماً . ثم قال : خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف ثم ودعنا وانصرف ، وسرنا حتى إذا بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة ، وأحسب أنها من بني سليم ، فحمل عليها عتبة بن الخباب فقتل عدة رجال وانحرف راجعاً وبه طعنة ، ثم سقط إلى الأرض . وأتتنا النصرة من سكان تلك الأرض فطردوا عنا الخيل ، وقد قضى عتبة نحبه ، فقلنا : وا عتبتاه! فسمعنا الجارية تقول وا عتبتاه ، فألقت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح وتقول بحرقة :

تصبرت لا أني صبرت ، وإنما أعلل نفسي أنها بك لاحقة
ولو أنصفت روحي لكانت إلى الردى أمامك من دون البرية سابقة
فما أحد بعدي وبعدك منصف خليلاً ، ولا نفس لنفس موافقة

ثم شهقت شهقة قضت نحبها . واحتفرنا لهما قبراً واحداً وواريناهما في التراب ، ورجعت إلى ديار قومي وأقمت سبع سنين ، ثم عدت إلى الحجاز ووردت

المدينة المنورة للزيارة فقلت : لأعودن إلى قبر عتبة ، فأتيت إلى القبر ، فإذا شجرة عليها عصائب حمر وصفر وخضر ، فقلت لأرباب المنزل : ما يقال لهذه الشجرة؟ فقالوا : شجرة العروسين ، فأقمت عند القبر يوماً وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به .

العاشق الكتوم

حكي عن بعض المعمرين من ذوي النعم قال : بينما أنا في منزلي إذ دخل علي خادم لي ومعه كتاب ، فقال : رجل بالباب دفع إلي هذا الكتاب ففتحته فإذا فيه :

تجنبك البلاء ، ونلت خيراً ونجاك المليك من الغموم
فعندك لو مننت شفاء نفسي وأعضاء ضنين من الكلوم

فقلت : عاشق والله ، وقلت للخادم : اخرج وائتني به ، فخرج فلم ير أحداً فعجبت من أمره وأحضرت الجواري كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسألتهن عن ذلك فحلفن أنهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيئاً ، فقلت : إني لم أفعل ذلك بخلاً بمن يهوى منكن ، فمن عرفت بحال هذا الفتى ، فهي هبة مني له بمالها ومائة دينار . وكتبت جوابه أشكره على ذلك وأسأله قبولها ووضعت الكتاب في جنب البيت ومائة دينار ، وقلت : من عرف شيئاً فليأخذه ، فمكث الكتاب والذهب أياماً لا يأخذه أحد ، فغمني ذلك ، وقلت : هذا قنع ممن يحبه بالنظر ، فمنعت من يخرج من جواري من الخروج . فما كان إلا يوماً أو بعض يوم إذ دخل علي الخادم ومعه كتاب . وقال هذا من بعض أصدقائك بعث به إليك . فقلت : اخرج وائتني به . فخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فإذا فيه :

ماذا أتيت إلى روح معلقة عند التراقي ، وحادي الموت حاديها
حثثت حاديها ظلماً ، فجد بها في السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لي : تأتي بفاحشة وإن عقباك دنيانا وما فيها
لقلتُ : لا والذي أخشى عقوبته ولا بأضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذي سكنت بيت الفؤاد وأبدينا أمانيها

قال : فغمني أمره فقلت للخادم : لا يأتينك أحد بكتاب إلا قبضنا عليه . قال : وقرب موسم الحج . قال : فبينما أنا قد أفضت من عرفة ، وإذا فتى إلى جانبي على ناقة لم يبق منه إلا الخيال ، فسلم علي فرددت عليه السلام ورحبت به ، فقال :

أتعرفني؟ فقلت : وما أنكرك بسوء . فقال : أنا صاحب الكتابين . فانكببت عليه فقلت له : يا أخي لقد غمني أمرك وأقلقني كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبك ومائة دينار . فقال : بارك الله لك إنما أتيتك مستحلاً من نظر كنت أنظره على غير حكم الكتاب والسنة . فقلت : غفر الله لك وللجارية فسر معي إلى منزلي لأسلمها إليك ومائة دينار مثلها في كل سنة . فقال : لا حاجة لي بذلك . فألححت عليه فلم يفعل . فقلت له : أما إذا أبيت فعرفني من هي من جواري لأكرمها من أجلك ما حييت . فقال : ما كنت لأسميها لأحد . وودعني وانصرف وكان آخر العهد به .

مجنون ليلى[1] لما سار به أبوه إِلَى بيت الله الحرام

قَالَ وأَخْبَرَنِي عبد الله بن خلف ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أحمد بن زهير ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مصعب بن عبد الله الزبيري ، عَنْ بعض أهله ، عَنْ أَبِي بَكْر الوالبي ، قَالَ : أخبرت أن أبا المجنون قَالَ له حين سار به إِلَى بيت الله الحرام ، وكان أخرجه ليستشفى له : تعلّق بأستار الكعبة ، وقل : اللهم أرحني من ليلى ومن حبها ، وتب إِلَى الله مما أنت عليه ، فتعلّق بأستار الكعبة وقَالَ : اللهم منّ عَلَى بليلى وقربها ، فزجره أبوه وجعل يعنفه ، فأنشأ يقول :

يقرّ بعيني قربها ويزيدني بها عجباً
من كان عندي يعيبها وكم قائل قد قَالَ تب
فعصيته وتلك لعمري توبةٌ لا أتوبها
قَالَ أَبُو بَكْر وزادنا غيره :
فيا نفس صبراً لست والله فاعلمي
بأول نفس غاب عنها حبيبها

أثر العشق

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ، رحمه الله ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّحْمَن ، عَنْ عمه ، قَالَ : مررت بحمى الربذة فإذا صبيان يتقاسمون فِي الماء وشاب جميل الوجه ملوح الجسم قاعد ،

---

(١) قيس بن الملوح والملقب بمجنون ليلى ، شاعر غزل عربي ، من المتيمين ، من أهل نجد . عاش في فترة خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في القرن الأول من الهجرة في بادية العرب .

فسلمت عَلَيْه ، فرد عَلَى السلام وقَالَ : من أيْنَ وضح الراكب؟ قلت : من الحمى ، قَالَ : ومتى عهدك به؟ قلت : رائحا ، قَالَ : وأين كانَ مبيتك؟ قلت : أدنى هذه المشاقر ، فألقى نفسه عَلَى ظهره وتنفس الصعداء ، فقلت : تفتأ حجاب قلبه ، وأنشأ يَقُولُ :

سقى بلداً أمست سليمى تحله ... من المزن ما تروي به وتسيم
وإن لم أكن من قاطنيه فإنه ... يحل به شخص عَلَى كريم
ألا حبذا من لَيْسَ يعدل قربه ... لدى وإن شط المزار نعيم
ومن لامني فيه حميم ... وصاحب فرد يغيظ صاحب وحميم

ثم سكت سكتة كالمغمى عَلَيْهِ ، فصحت بالأصبية ، فأتوا بماء فصببته عَلَى وجهه ، فأفاق وأنشأ يَقُولُ :

إذا الصب الغريب رأى خشوعي ... وأنفاسي تزين بالخشوع
ولي عين أضر بها التفاتي ... إِلَى الأجراع مطلقة الدموع
إلى الخلوات تأنس فيك نفسي ... كما أنس الوحيد إِلَى الجميع

أجمل ما قيل في العشق

عن أَبُو عمرو بن الشيب قَالَ : أنشدنا أَبُو العباس ، قَالَ : أنشدنا عبد الله بن شبيب لابن الدمينة[1] :

ألا حب بالبيت الذي أنت هاجره ... وأنت بتلماح من الطرف زائره
فإنك من بيت لعيني معجب ... وأحسن فِي عيني من البيت عامره
أصد حياءً أن يلج بي الهوى ... وفيك المنى لولا عدو أحاذره
وكم لائم لولا نفاسة حبها ... عليك لما باليت أنك خابره
أحبك يا ليلى عَلَى غير ريبة ... ما خير حب لا تعف سرائره
وقد مات قبلي أول الحب فانقضى ... فإن مت أضحى الحب قد مات آخره

(١) هو عبد الله بن عبيد الله «ابن الدمينة» الخثعمي ، من قبيلة خثعم شاعر بدوي من العصر الأموي ، وينادى تلقيبا بأمه الدمينة بنت حذيفة من بني سلول وكنيته «أبا السري» .

وأنشد أحمد بن يحيى النحوي[١] :

منعمـــــة يحـــــار الطـــــرف فيها   كـــأن حديثهـــا سكـــر الشبـــاب
مـــن المتصديـــات لغـــــير ســــوء   تسيـــل أذا مشـــت سيـل الحباب

ولأَبُي بَكْرِ بن دريد ، فِي خبر طويل :

وكنت إذا ما زرت سعـــدى بأرضـــها   أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
مـــن الخفـــرات البيض ود جليسهـــا   متي انقضت أحدوثة لو تعيدهـــا

وأنشد بعضهم فِي حسن الحديث :

فبتنا عَلَـــى رغـــم الحســـود وبيننـــا   حديث كمثل المسك شيبت به الخمر
حديث لو أن الميت نوجـــي ببعضـــه   لأصبـــح حيـــا بعد ما ضمه القبر

وقَالَ ابن الأعرابيّ[٢] :

أيـــا واليـــي سجـــن اليمامـــة أشرفا   بـــي القصر أنظر نظرةً هل أرى نجدا
فقَـــــالَ اليماميّـــــان لمـــــا تبيّـــنا   سوابـــق دمـــع ما ملكت لهـــا ردا
أمـــن أجـــل أعرابيـــة ذات بـــــردة   تُبكّى عَلَى نجد وتبلي كـــذا وجدا
لعمـــري لأعرابيـــة فـــــي عبـــاءة   تحل دماث أمـن سويقـــة أو فـــردا
أحب إِلَى القلب الذي لج فِي الهـوى   من اللابسات الريط يظهرنه كيـــدا

---

(١) أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ، البغدادي النحوي ، الشيباني أو ثعلب (٢٠٠-٢٩١هـ) (٨١٦-٩٠٤) وسمي الرجل ثعلبا لأنه كان إذا سئل عن مسألة أجاب من هاهنا وهاهنا فشبهوه بثعلب إذا أغار ، وهو أحد علماء اللغة وله باع في عدد من العلوم كالفقه لكن غلبت عليه البضاعة اللغوية ، ولد ببغداد وبها مات . وهو مولى مَعْن بن زائدة ، المعروف بثعلب ، شيخ العربية وإمام الكوفيين في النحو واللغة والحديث . كان راويا للشعر ، ومحدّثاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم .

(٢) ابن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم ، الإمام المحدث القدوة الصدوق الحافظ ، شيخ الإسلام أبو سعيد بن الأعرابي البصري الصوفي ، نزيل مكة ، وشيخ الحرم .

وأنشد الرياشي ، لأعرابيّ :

وفـــي الجيــرة الغادين من بطن وجرةٍ غــزالٌ أحـــمّ المقلتـــين ربيـــب
فلا تحسبـي أنّ الغريـــب الـــذي نأى ولكّـــن مـــن تنأيـــن عنه غريب

ولأعرابي :

هجرتـــك أيامــا بـــذي الغمر إنّني عَلَـــى هجـــر أيّام بذي الغمر نادم
وإنّـــي وذاك الهجـــر لـــو تعلمينـــه كعازبـــةٍ عَـــنْ طفَلــها وهي رائم

عنِ ابن الأعرابي ، لأعرابي :

وحديثهـــا كالقطـــر يسمعـــه راعـــى سنـــين تتابعـــت جدبـا
فأصـــاخ يرجـــو أن يكـــون حيـا ويقـــول مـــن فـــرح هيـــا ربـــا

لقيس بن ذريح[1] :

هبينـــي أمـــراً إن تحسنـــي فهو شاكرٌ لذاك وإن لم تحسنـــي فـــهو صافح
وإن يـــك أقـــوام أســـاءوا وأهجـــروا فإنّ الذي بينـــي وبينـــك صالـــح
ومهما يكن فالقـــلب يا لـــبن ناشـــر عليك الهوى والجيب ما عشت ناصح
وإنّك من لبنـــى العشيـــة رائـــحٌ مريض الذي تطوى عليه الجوانـــح

لعَلَى بن العباس :

وحديثهـــا السحـــر الحـــلال لـــو أنه لـــم يجـــن قتـــل المسلم المتحرز
إن طـــال لـــم يمـــلل وإن هي أوجزت ود المحـــدث أنهـــا لـــم توجـــز
شـــرك العقـــول ونهزة ما مثلهـــا للمطمئـــن وعقلـــة المتوفـــز

(١) قيس بن ذريح الليثي الكناني والملقب بمجنون لبنى ، أخو الحسين بن علي من الرضاع ، وشاعر غزل عربي ، من المتيمين ، من أهل الحجاز .

لبشار[١] :

وكـــأن رصـــف حديثهـــا قطـــع الريـاض كسين زهرا
وكـــأن تحــــت لسانـــها هاروت ينفــث فيه سحــرا
وتخـــال ما جمعت عليـــه ثيابهـــا ذهبـــا وعطــــرا
وكأنهــــا بـــرد الشــراب صفـــا ووافـــق منـك فطرا

مريض العشق

عَن المفضل بن محمد بن العلاف ، قَالَ : لما قدم بغاء ببني نمير أسرى ، كنت كثيراً ما أذهب إليهم فأسمع منهم ، وكنت لا أعدم أن ألقى الفصيح منهم ، فأتيتهم يوماً في عقب مطر ، وإذا فتىً حسن الوجه قد نهكه المرض ينشد :

أَلا يـــا سنا برق عَلَى قـلل الحمـــى لهنّــك مـــن بـــرق عَلَــى كـريم
لمعت اقتـــذاء الطّيـــر والقـــوم هجّـع فهيّجت أسقامـــا وأنـــت سليـــم
فهـــل من معير طـــرف عـــين خليّة فإنســـان طـــرف العامـــري كليم
رمـــى طرفـــه البرق الهلالـي رميـــة بذكـــر الحمـــى وهناً فبات يهيـــم

فـقلت له : يا هذا ، إنك لفي شـغل عَنْ هذا ، فقَـالَ : صـدقت ، ولكن أنطقني البرق ، ثم اضطجع فما كان ساعة حتى مات ، فما يتوهّم عليه غير الحب .

المأمون وجارية الرشيد

عن أَبُي بَكْرِ بن الأنبارى[٢] ، قَالَ : حَدَّثَني أبى ، قَالَ : حَدَّثَني عبـد الله بن عمرو بن عبد الرحمن الورّاق ، قَالَ : حَدَّثَنَا المفضل بن حازم ، قَالَ : حَدَّثَنَا منصور البرمكي ، قَالَ : كان لهارون الرشيـد جارية غلاميّة يعني وصيفة عَلَى قدّ الغلام ،

(١) بشار بن برد بن يرجوخ العُقيلي ، أبو معاذ ، شاعر مطبوع . إمام الشعراء المولدين . ومن المخضرمين حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية . ولد أعمى ، وكان من فحولة الشعراء وسابقيهم المجودين .

(٢) ابن الأنباري (أبو بكر الأنباري) الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطة بن دعامة أبو بكر الأنباري . (٢٧١ هـ - ٣٢٨هـ) المقرئ النحوي .

وكان المأمون يميل إليها وهو إذ ذاك أمرد ، فوقفت يوماً تصبّ عَلَى يد الرشيد من إبريق معها ، والمأمون جالس خلف الرشيد ، فأشار المأمون إليها كأنه يقبلّها ، فأنكرت ذلك بعينيها ، وأبطأت فِي الصبّ عَلَى مقدار نظرها إِلَى مأمون وإشارتها إليه ، فقَالَ الرشيد : ما هذا! ضعي الإبريق من يدك ، ففعلت ، فقَالَ : والله لئن لم تصدقيني لأقتلنك ، فقَالَت : يا سيدي ، أشار إِلَى عبد الله كأنه يقبلني فأنكرت ذلك ، فالتفت إِلَى المأمون ونظر إليه كأنه ميّت لما دخله من الجزع والخجل ، فرحمه وضمّه إليه وقَالَ : يا عبد الله ، أتحبها؟ قَالَ : نعم يا أمير المؤمنين ، قَالَ : هي لك ، قم فادخل فِي تلك القبة ففعل ، ثم قَالَ : هل قلت فِي هذا الأمر شعراً؟ قَالَ : نعم يا سيدي ، ثم أنشد :

قبلتـــه مـــن بعيـــد   فاعتـــلّ مـــن شفتيـــه
ورد أخبـــــــــــث رد   بالكســـر مـــن حاجبيـــه
فمـــا برحـــت مكانـــي   حتـــى قـــدرت عليـــه

في وصف العشق

روي أن المأمون قال للقاضي يحيى بن أكثم ما العشق؟ فقال يحيى : سوانح تسنح للمرء ، فيهيم بها قلبه ، وتتواتر بها نفسه . فقال له : ثمامة[1] : أمسك أيها القاضي رحمك الله إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاق ، أو محرم صاد صيدا ، وأما هذا فمن مسائلنا نحن فقال المأمون : قل يا ثمامة ، فقال : العشق جليس ممتع ، وأليف مؤنس ، وصاحب مالك ، ومالك قاهر ، مسالكه لطيفة ، ومذاهبه متضادة ، وأحكامه جائرة ، مالك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والنفوس

---

(١) هو ثمامة بن الأشرس النميري ، مناظر قوي ، وأديب بارع ، كان يمثل لوناً مميزاً من ألوان الاعتزال ، فهو ليس بالزاهد - كأبي موسى المردار والجعفران - ولكنه المعتزلي المغامر في شؤون الدنيا ، المتردد على قصور الخلفاء ، يزين مجالسهم بالكلام العذب في الأدب والمناظرة في مسائل الاعتزال وغير الاعتزال ، وقد مُلئت كتب الأدب بأحاديثه الممتعة ونوادره الطريفة . وصفه المرتضى فقال : ((كان واحد دهره في العلم والأدب ، وكان جدلاً حاذقاً)) ، والجاحظ ينقل عنه كثيراً في البيان والتبيين والحيوان فيقول : ((حدثنا ثمامة)) ، و((أخبرنا ثمامة)) ، وقد تأثر الجاحظ به كثيراً في أسلوبه ومعانيه .

وآراءها وأعطي زمام طاعتها وقياد مملكتها توارى عن الأبصار مدخله ، وغميض عن القلوب مسلكه . قال المأمون : أحسنت يا ثمامة . وأمر له بألف دينار .

عن أبي بكر أحمد علي بن الحافظ إن لم يكن حدثنا قال : أخبرني أبو الحسن علي بن أيوب القمي الكاتب بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران قال : أخبرني المظفر بن يحيى قال : قال بعض الفلاسفة : لم أر حقاً أشبه بباطل ولا باطلاً أشبه بحق من العشق ، هزله جد وجده هزل ، وأوله لعب وآخره عطب .

وعن أبي بكر أحمد بن علي الحافظ بالشام قال : حدثنا رضوان بن عمر الدينوري قال : سمعت معروف بن محمد بن الصوفي الصوفي بالري يقول : سمعت أبا بكر الصيني يقول : سمعت إبراهيم بن الفضل يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول : لو كان إلي من الأمر شيء ما عذبت العشاق ، لأن ذنوبهم ذنوب اضطرار لا ذنوب اختيار .

وقيل لأبي زهير المدني : ما العشق؟ فقال : الجنون داء أهل الذل ، وهو داء أهل الظرف . وقال بعض الأطباء في صفة الحب : امتزاج الروح بالروح ، ولو امتزج الماء بالماء لامتنع تخليص بعضه من بعض فكيف والروح ألطف امتزاجاً ، وأرق مسلكاً . وسئل أعرابي عن الهوى ، فقال : هو أغمض مسلكا في القلب من الروح في الجسد ، وأملك من النفس بالنفس ، بطن وظهر ، لطف وكثف ، فامتنع عن وصفه المسلك والكمون . وروى أهل السير أن الذين علق الحب قلوبهم فماتوا ، أو جنوا هم الذين لا يزيل صاحبه أبداً حتى يموت ، أو يهم على وجهه ، ويشهد بذلك قول المجنون :

وعلقت ليلى وهي ذات موصد ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ... صغيران لم نكبر ولم يكبر البهم

ومنه قول جميل :

علقت الهوى منها وليداً ولم يزل ... إلى الآن ينمو حبها ويزيد
وأفنيت عمري في انتظار نواله ... وأفنيت بذاك العمر وهو جديد

المجنون الشاعر

أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي[١] قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو علي الحسن بن صالح قال : قال مساور الوراق : قلت لمجنون كان عندنا ، وكان شاعراً ، ويقال إن عقله ذهب لفقد ابنة عم كانت له ، فقلت له يوماً : أجز هذا البيت :

وَما الحُبُّ إلاّ شُعلــةٌ قَدحَــتْ بهــا عيــونُ المَها باللَّحظِ بينَ الجوانِحِ .

قال فقال على المكان :

ونارُ الهوى تَخفَى ، وفي القلبِ فِعلُهــا كفعل الذي جادَت به كفُّ قادحِ .

الجنة لمن عشق وعف

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بدمشق قال : حدثنا أبو الحسن علي بن أيوب بن الحسين بن أيوب القمي إملاء قال : حدثنا أبو عبيد الله المرزباني وأبو عمرو بن حيويه وأبو بكر بن شاذان قالوا : حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي الملقب بنفطويه[٢] قال : دخلت على محمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيه ، فقلت له : كيف تجدك؟ فقال : حبُّ من تعلم أورثني ما ترى .

فقلت : ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال : الاستمتاع على وجهين ، أحدهما النظر المباح ، والثاني اللذة المحظورة ، فأما النظر المباح فأورثني ما ترى ، وأما اللذة المحظورة فإنه منعني منها ما حدثني أبي قال : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ، ﷺ ، أنه قال :

من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة ، ثم أنشدنا لنفسه :

---

(١) القاضي العالم المعمر أبو القاسم ؛ علي بن القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي البصري ثم البغدادي ، صاحب كتاب «الطوالات» ، وولد صاحب كتاب «الفرج بعد الشدة» ، وكتاب «النشوار» ، وغير ذلك .

(٢) هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة العَتَكيّ الأزديّ . إمام حافظ ، إمام من أئمة النحو ، فقيه ظاهري . ولد في ، وتوفي في ، لقب تشبيها له بالنفط ، لدمامته وأدمته ، وزيد مقطع ، لأنه كان يجري على طريقة سيبويه في النحو .

انظُرْ إلى السّحــر يجري في لَوَاحظِه ، وانظر إلى دَعَج في طرفِه الساجي .
وانظر إلى شَعَــراتٍ فــوقَ عارِضِــه كأنّهُـــنّ نِمـــاَلٌ دَبّ فــي عـاجِ .

وأنشدنا لنفسه :

مـا لَهُــم أنكــرُوا ســواداً بخــدّيـ ـه ، ولا يُنْكــرُونَ وَرْدَ الغُصُــونِ .
إنْ يَكُــنْ عَيْــبُ خــدّه بُدَدَ الشَّعْـ ـرِ ، فَعَيْبُ العيونِ شعرُ الجُفــونِ .

فقلت له : نفيت القياس في الفقه ، وأثبته في الشعر . فقال : غلبة الهوى ، وملكة النفوس دعتا إليه .

قال : ومات في ليلته أو في اليوم الثاني .

العاشق التقي

عن علي بن عاصم[1] قال : قال لي رجل من أهل الكوفة من بعض إخواني : ألا أريك فتىً عاشقاً؟ قال : بلى ، والله ، فإني أسمع الناس ينكرون العشق وذهاب العقل فيه ، وإني لأحب رؤيته ، فعدني يوماً أجئ معك فيه .

قال : فوعدته يوماً فمضينا فأنشأ صاحبي يحدثني عن نسكه وعبادته ، وما كان فيه من الاجتهاد ، قلت : وبمن هو متعلق؟ قال : بجارية لبعض أهله كان يختلف إليهم ، فوقعت في نفسه ، فسألهم أن يبيعوها منه ، فأبوا ، وبذل لهم جميع ماله ، وهو سبعمائة دينار ، فأبوا عليه ضراراً وحسداً أن يكون مثلها في ملكه ، فلما أبوا عليه ، بعثت إليه الجارية ، وكانت تحبه حباً شديداً : مرني بأمرك ، فوالله لأطيعنك ولأنتهين إلى أمرك في كل ما أمرتني به . فأرسل إليها : عليك بطاعة الله ، عز وجل ، فإن عليها المعول والسكون إليها ، وبطاعة من يملك رقك ، فإنها مضمومة إلى طاعة ربك ، عز وجل ، ودعي الفكر في أمري لعل الله ، عز وجل ، أن يجعل لنا فرجاً يوماً من الدهر ، فوالله ما كنت بالذي تطيب نفسي بنيل شيء أحبه أبداً في ملكي ، فأمنعه ، أمد يدي إليه حراماً بغير ثمن ، ولكن أستعين بالله على أمري ، فليكن هذا آخر مرسلك إلي ، ولا تعودي فإني أكره والله أن يراني الله تعالى ، وأنا في قبضته ،

(١) ابن صهيب ، الإمام العالم ، شيخ المحدثين ، مسند العراق أبو الحسن القرشي التيمي مولى قريبة أخت القاسم بن محمد بن أبي بكر الواسطي .

ملتمساً أمراً يكرهه مني ، فعليك بتقوى الله ، فإنها عصمة لأهل طاعته ، وفيها سلو عن معصيته .

قال : ثم لزم الاجتهاد الشديد ، ولبس الشعر وتوحد ، فكان لا يدخل منزله إلا من ليل إلى ليل ، وهو مع ذلك مشغول القلب بذكرها ما يكاد يفارقه ، فوالله ما زال الأمر به حتى قطعه ، فو الآن ذاهب العقل واله في منزله .

قال : ثم صرنا إلى الباب واستأذنا فأذن لنا . قال علي : فدخلت إلى دار قوراء سرية ، وإذا أنا بشاب في وسط الدار على حصير متزر بإزار ومرتد بآخر . قال : فسلمنا عليه ، فلم يرد علينا السلام ، فجلسنا إلى جنبه ، وإذا هو من أجمل من رأيت وجهاً ، وهو مطرق ينكت في الأرض ، ثم ينظر إلى ساعده ، ثم يتنفس الصعداء ، حتى أقول قد خرجت نفسه ، وهو مع ذلك كالخلال من شدة الضر الذي به .

قال : فالتفت ، فإذا أن بوردة حمراء مشدودة في عضده ، قال : فقلت لصاحبي : ما هذه؟ فوالله ما رأيت العام ورداً قبل هذه! فقال : أظن فلانة ، وسماها ، بعثت بها إليه ، فلما سماها رفع رأسه فنظر إلينا ثم قال :

جَعَلتُ من وِرْدتها تميمَةً في عَضُدي .
أشُمّهَا من حبّهَا إذا عَلاني كمَدي .
فمَن رَأى مثلي فتىً بالحزنِ أضحى مرتدي .
أسقمَه الحبُّ ، فَقَد صَارَ حليفَ الأوَدِ .
وَصَارَ سَهْواً دهرُه مُقارِناً للْكَمَدِ .

قال : ثم أطرق ، فقلت : الساعة ، والله ، يموت . اقل علي بن عاصم : وورد علي من أمره ما لم أتمالك ، وقمت أجر ردائي ، فوالله ما بلغت الباب حتى سمعت الصراخ فقلت : ما هذا؟ فقالوا : مات والله! قال علي : فقلت : والله لا أبرح حتى أشهده . قال : وتسامع الناس فجاؤوا بطبيب فقال خذوا في أمر صاحبكم ، فقد مضى لسبيله ، فغسلوه وكفنوه ودفنوه وانصرف الناس .

فقال لي صاحبي : امض بنا! فقلت : امض أنت فإني أريد الجلوس ههنا ساعة ، فمضى ، فما زلت أبكي وأعتبر به . وأذكر أهل محبة الله ، عز وجل ، وما هم فيه . قال : فبينا أنا على ذلك ، إذا أنا بجارية قد أقبلت كأنها مهاة ، وهي تكثر الالتفات ، فقالت لي : يا هذا! أين دفن هذا الفتى؟ قال علي : فرأيت وجهاً ما رأيت قبله مثله ، فأومأت إلى قبره؟ قال : فذهبت إليه ، فوالله ما تركت على القبر كثير تراب إلا ألقته

على رأسها ، وجعلت تتمرغ فيه ، حتى ظننت أنها ستموت ، فما كان بأسرع من أن طلع قوم يسعون حتى جاؤوا إليها ، فأخذوها ، وجعلوا يضربونها ، فقمت إليهم فقلت : رفقاً بها ، برحمكم الله! فقالت : دعهم أيها الرجل يبلغوا همتهم ، فوالله لا انتفعوا بي بعده أيام حياتي ، فليصنعوا بي ما شاؤوا .

قال علي : فإذا هي التي كان يحبها الفتى ، فانصرفت وتركتها .

مجنون دير هرقل

عن عبد الله بن عبد العزيز السامري قال : مررت بدير هرقل أنا وصديق لي ، فقال لي : هل لك أن تدخل فترى من فيه من ملاح المجانين؟ قلت : ذاك إليك . فدخلنا فإذا بشاب حسن الوجه ، مرجل الشعر ، مكحول العين ، أزج الحواجب ، كأن شعر أجفانه قوادم النسور ، وعليه طلاوة تعلوها حلاوة ، مشدود بسلسلة إلى جدار ، فلما بصر بنا قال : مرحباً بالوفد ، قرب الله ما نأى منكما ، بأبي أنتما . قلنا : وأنت ، فأمتع الله الخاصة والعامة بقربك ، وآنس جماعة ذوي المروءة بشخصك ، وجعلنا وسائر من يحبك فداءك .

فقال : أحسن الله عن جميل القول جزاءكما ، وتولى عني مكافأتكما .

قلنا : وما تصنع في هذا المكان الذي أنت لغيره أهل؟ فقال :

اللـــهُ يعلــمُ أنّنــي كَمدُ ، لا أستطيـــعُ أبثُّ ما أجد .
نَفســانِ لي : نفسٌ تضَمَّنَها بَلَــدٌ ، وأُخرَى حازَها بَلَدُ .
أمّا المُقيمَةُ ليـــس ينفعُــها صَبرٌ ، وليس بقربها جلَــدُ .
وأظنّ غائبَتــي كشاهِدَتي ، بمكانِهــا تجِدُ الذي أجِدُ .

ثم التفت إلينا فقال : أحسنت؟ قلنا : نعم! ، ثم ولينا فقال : بأبي أنتم ما أسرع مللكم ، بالله أعيروني أفهامكم وأذهانكم . قلنا : هات! فقال :

لمّا أناخوا ، قُبَيْل الصُّبْــح ، عيسَهُــمُ ، وَرَحّلوها ، فسارت بالهوى الإبــلُ .
وَقَلّبتْ ، من خلالِ السِّجَفِ ، ناظرَها ، ترْنو إليّ وَدَمعُ العـــينِ مُنْهمـــلُ .
فَوَدّعَـــتْ بِبَنـــانَ عَقدُهـــا عَنَــمٌ ، ناديتُ لا حَمَلَتْ رجلاكَ يا جَمَــلُ .
ويلي من البَينِ! ماذا حــلّ بــي وبِها؟ يا نازِحَ الدّارِ حلّ البينُ وارْتحلـــوا .
يا رَاحِلَ العيسِ عَرّجْ كــيْ أُوَدّعَهــا ، يا رَاحلَ العيسِ في تَرْحالكَ الأجَلُ .
إنّي على العَهدِ لم أنقض موَدَتكـــم ، فليتَ شعري ، وطالَ العهدُ ، ما فعلوا؟

فقلنا ، ولم نعلم بحقيقة ما وصف ، مجوناً منا : ماتوا! فقال : أقسمت عليكم! ماتوا؟ فقلنا ، لننظر ما يصنع : نعم! ماتوا . قال : إني والله ميت في أثرهم ، ثم جذب نفسه في السلسلة جذبة دلع منها لسانه ، وندرت لها عيناه ، وانبعثت شفتاه بالدماء ، فتلبط ساعة ، ثم مات . فلا أنسى ندامتنا على ما صنعنا .

عاشق من العراق

أحمد بن إسماعيل قال : حدثني المبرد قال : خرجت أنا وجماعة من أصحابي مع المأمون ، فلما قربنا من نحو الرقة فإذا نحن بدير كبير فأقبل إلي بعض أصحابي فقال : مل بنا إلى هذا الدير لننظر من فيه ، ونحمد الله ، سبحانه ، على ما رزقنا من السلامة . فلما دخلنا إلى الدير رأينا مجانين مغلولين ، وهم في نهاية القذارة ، فإذا منهم شابٌ عليه بقية ثياب ناعمة ، فلما بصر بنا قال : من أين أنتم يا فتيان ، حياكم الله؟

فقلنا : نحن من العراق . فقال : بأبي العراق وأهلها! بالله أنشدوني أو أنشدكم؟ فقال المبرد : والله إن الشعر من هذا لطريف . فقلنا : أنشدنا! فأنشأ يقول :

اللـه يعلــمُ أنّنــي كَمِــدُ ... لا أستطيــعُ أبثُّ ما أجدُ .
روحان لـــي : رُوحٌ تضَمّنَها ... بلَدٌ ، وأُخرَى حازَها بلَــدُ .
وَأرَى المُقيمَـــةَ ليس ينفعُها ... صبرٌ ، ولا يقوَى بها جَلَدُ .
وأظُنّ غائبَتي ، كَشاهدَتي ، ... بمكانها تجِدُ الذي أجِــدُ .

قال المبرد : إن هذا لطريف ، والله زدنا! فأنشأ يقول :

لّما أناخُـوا قُبَيْــلَ الصُّبْــح عِيسَهُــمُ ... وَرَحّلوها ، فسارت بالهوَى الإبِــلُ .
وَأبرَزَتْ من خلالِ السِّجْـفَ ناظِرَهــا ... ترنــو إلــيّ وَدمعُ العينِ مُنْهَمِـلُ .
وَوَدّعَـــتْ بِبَنَــانَ عَقدُهــا عَنَـــمٌ ، ... ناديتُ لا حَمَلَت رجلاكَ يا جَمَلُ!
ويلي من البَينِ! مـاذا حـــلّ بي وبِها ، ... من نازلِ البينِ حانَ الحَينُ وارْتَحَلوا .
يا رَاحلَ العيسَ عَجّل كيْ نُوَدّعَـــها! ... يا رَاحلَ العِيسَ في تَرْحالكَ الأجلُ!
إنّي على العَهدِ لم أنقض مَودّتَهـــم ، ... فليتَ شعري لطولِ العهد ما فعلوا؟

فقال رجل من البغضاء الذين معي : ماتوا! قال : إذاً فأموت . فقال له : إن شئت . قال : فتمطى واستند إلى السارية التي كان مشدوداً فيها فما برحنا حتى دفناه .

فراقية ابن زريق

أبو الحسين محمد بن علي بن محمد بن الجاز القرشي الأديب بالكوفة ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن حاتم بن بكير البزاز التكريتي بتكريت قال : حدثني بعض أصدقائي أن رجلاً من أهل بغداد قصد أبا عبد الرحمن الأندلسي وتقرب إليه بنسبه ، فأراد أبو عبد الرحمن أن يبلوه ويختبره ، فأعطاه شيئاً نزراً ، فقال البغدادي : إنا لله وإنا إليه راجعون! سلكت البراري والبحار والمهامه والقفار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر؟ فانكسرت إليه نفسه واعتل فمات .

وشغل عنه الأندلسي أياماً ، ثم سأل عنه فخرجوا يطلبونه ، فانتهوا إلى الخان الذي كان فيه وسألوا الخانية عنه ، فقالت : إنه كان في هذا البيت ، ومذ أمس لم أره ، فصعدوا فدفعوا الباب ، فإذا بالرجل ميتاً ، وعند رأسه رقعة فيها مكتوب :

لا تَعْذُليه ، فإنّ العَذلَ يولعُهُ ... قد قلت حقّاً ، ولكن ليس يسمعُهُ .
جاوَزْتِ في نُصْحه حدّاً أضرّ به ... من حيثُ قَدّرْت أن النصْحَ ينفعه .
قد كانَ مضطلعاً بالخَطْب يحملُه ، ... فضُلّعَتْ بخطوبِ البَين أضلُعه .
ما آبَ من سفر إلاّ وأزْعَجَهُ ... عزْمٌ إلى سَفَر بالرُّغْم يُزْمعُه .
كَأنّما هُوَ في حلّ وَمُرْتَحَل ... مُوَكّلٌ بِقَضَاء اللهَ يَذرعه .
أستَوْدعُ الله ، في بغداد ، لي قمراً ... بالكَرْخ من فَلَك الأزْرَار مَطلعُه .
وكم تَشَفّعَ بي أن لا أُفَارِقَهُ ، ... وللضّرُورَات حالٌ لا تُشَفِّعُه .
وكم تَشبّثَ بي يومَ الرّحيل ضُحى ، ... وأدمُعي مُسْتَهلاّتٌ وأدمُعُه .
أُعْطيتُ ملكاً فلمْ أُحسن سياستَه ، ... وكلُّ مَن لا يسُوسُ المُلكَ يخلعُه .
ومَن غدا لابساً ثوْبَ النّعيم بِلا ... شكر عليه ، فعنهُ اللهُ ينْزِعُه .

قال لنا أبو الحسين محمد بن علي بن الجاز وزادني أبو علي الحسن بن علي المتصوف :

والحِرْصُ في المرْء ، والأرْزَاق قد قسمتْ ، ... بَغيٌ ، ألا إنّ بغيَ المرء يصرَعُه .
لو أنني لم تقع عيني على بلد ... في سفرتي هذه إلا وأقطعه .
اعتضتُ من وجه خلّي ، بعد فرْقَته ، ... كأساً تَجَرّعَ منها ما أُجَرَّعُه .

فلما وقف أبو عبد الرحمن على هذه الأبيات بكى حتى اخضلت لحيته ، وقال : وددت أن هذا الرجل حي وأشاطره نصف ملكي . وكان في رقعة الرجل : منزلي ببغداد في الموضع المعروف بكذا ، والقوم يعرفون بكذا ، فحمل إليهم خمسة آلاف .

مجنون على الدرب

أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني[1] في المسجد الحرام بباب الندوة قال : حدثنا الحسن بن محمد بن حبيب المذكر قال : سمعت أبا الفرج أحمد بن محمد بن بيان النهاوندي يقول : مررت بدرب أبي خلف ، فإذا جماعة وقوف على مجنون فوقفت ، فهش إلي وقال :

سَقِّنـي قبـلَ تَباريـح العَطَـش! إنّ يومـي يـومُ طـشٍّ بعدَ رَشّ .
حُـبُّ مَـن أهـوَاهُ قدَ أدْهَشَنـي ، لا خلَوْتُ الدهرَ من ذاكَ الدّهَـش .

ليلى العامرية[2] ومجنونها

أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس ابن حيويه الخزاز قراءة عليه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني قاسم بن الحسن عن العمري قال : قال الهيثم بن عدي : حدثنا عثمان بن عمارة عن أشياخهم من بني مرة قال : رحل رجل منا إلى ناحية الشام مما يلي تيماء والشراة في طلب بغية له ، فإذا هو بخيمة قد رفعت له ، وقد أصابه مطر ، فعدل إليها ، فتنحنح ، فإذا امرأة قد كلمته ، فقالت له : انزل ، فنزل وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمر عظيم وإذا رعاء كثير ، فقالت لبعض العبيد سلوا هذا الرجل من أين أقبل؟ فقلت : من ناحية اليمامة ونجد . فقالت : أي بلاد نجد وطئت؟ قلت : كلها . قالت : بمن نزلت هنا؟ قلت : ببني عامر ، فتنفست الصعداء ، وقالت : بأي بني عامر؟ فقلت : ببني الحريش . فاستعبرتً ، ثم قالت : هل سمعت بذكر فتى يقال له قيس ويلقب بالمجنون؟ فقلت ، إي والله ، ونزلت بأبيه ، وأتيته حتى نظرت إليه ، يهيم في تلك الفيافي ، ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم إلا أن تذكر له ليلى فيبكي ، وينشد أشعاراً يقولها فيها .

---

(١) الأردستاني الإمام الحافظ الجوال ، الصالح العابد ، أبو بكر ، محمد بن إبراهيم بن أحمد الأردستاني .

(٢) ليلى العامرية (ولدت سنة ٢٨ هـ في نجد) هي شاعرة عربية من قبيلة هوازن وهي ايضاً ابنة عم المجنون قيس بن الملوح وصاحبته وعشيقته ، عاشت في فترة خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وعاشت في بادية العرب .

قال : فرفعت الستر بيني وبينها ، فإذا شقة قمر لم تر عيني مثلها ، فبكت وانتحبت حتى ظننت ، والله ، أن قبلها قد انصدع ، فقلتً لها : أيتها المرأة! اتقي الله ، فوالله ما قلت بأساً ، فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكى والنحيب ثم قالت :

ألا لَيْتَ شعــري ، وَالخُطوبُ كثيرَةٌ ، متــى رَحلُ قيس مُستَقلٌّ فرَاجعُ .
بنفســي مَــنَ لا يَستَقــلّ برَحلــه ومَن هو ، إن لم يحفَظ اللهُ ، ضائعُ .

ثم بكت حتى غشي عليها ، فلما أفاقت قلت : من أنت ، بالله؟ قالت : أنا ليلى المشؤومة عليه ، غير المساعدة له . فما رأيت مثل حزنها ووجدها ، فمضيت وتركتها .

الرشيد وجارية زلزل

أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه الخزاز[1] قال حدثنا محمد المفضل قال حدثني إسحاق بن إبراهيم المصلي عن أبيه قال لي زلزل وكان اسمه منصور عندي جارية من صالحها ومن صفتها قد علمتني الغناء فكنت اشتهي أن أرها فاستحي أساله فلما توفي زلزل بلغني أن ورثته يعرضون الجارية ، فصرت إليهم فأخرجوها ، فإذا جارية كاد الغزال أن يكونها لولا ما تم منها ونقص منه ، قال : قلت لها : غني صوتاً! فجيء بالعود فوضع في حجرها ، فاندفعت تغني وتقول ، وعيناها تذرفان :

أقفَــرَ مــن أوْتــاره العُـودُ فالعُــودُ للإقفــار معمـودُ .
وَأوْحشَ المِزْمارُ من صَوْتــه فمَــا لَــه بعدَكَ تَغريــدُ .
مَن للمزاميــرِ وَسُمّاعهَــا وعامــرُ اللّــذات مَفقُـودُ .
والخَمــرُ تبكي في أباَريقِهَا والقَيَنــةُ الخَمصانَـةُ الرُّودُ .

ثم شهقت شهقة ظننت أن نفسها قد خرجت ، فركبت من ساعتي ، فدخلت على أمير المؤمنين فأخبرته بخبر الجارية ، وما سمعت منها ، فأمر بإحضارها ، فلما دخلت عليه قال لها : عني الصوت الذي غنيت به إبراهيم! فغنت وجعلت تريد البكى فيمنعها إجلال أمير المؤمنين ، فرحمها وأعجب بها ، فقال : أتحبين أن أشتريك؟ فقالت : يا سيدي أما إذ خيرتني فقد وجب نصحك علي ، والله لا

(١) الإمام المحدث الثقة المسند أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى البغدادي الخزاز ابن حيويه ، من علماء المحدثين .

يشتريني أحد بعد زلزلٍ فينتفع بي . فقال : يا إبراهيم! أتعلم بالعراق جاريةً جمعت ما جمعت هذه؟ إن وجدت فاشترها بشطر ما لي! فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ولا على وجه الأرض فأمر بشرائها وأعتقها وأجرى عليها رزقاً .

اطلبوا نفسي

أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال : أنشدنا جحظة[1] لنفسه :

ويح نفسي عهدي بها في التراقي ، قبلَ يوْم الفِراق ، عند الفِرَاق .
اطلبوها في حيثُ كنّا اعتنَقْنَا ، هلَكت فَي اشتغالِنا بالعِنَاقِ .

صريعا الحب

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد بن علي الجرادي الكاتب قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن يونس قال : انصرفت من الحج فمررت بماوية وكان لي فيها صديق من بني عامر بن صعصعة ، فصرت إليه مسلماً ، فأنزلني ، فبينا أنا عنده ، ونحن قاعدان بفنائه ، إذا نساءٌ مستبشرات ، وهن يقلن : تكلم تكلم! فقلت : ما هذا؟ فقالوا : فتىً منا كان يعشق ابنة عم له ، فزوجت ، وحملت إلى ناحية الحجاز ، فإنه لعلى فراشه منذ حول ما تكلم ، ولا أكل ، إلا أن يؤتى بما يأكله ويشربه . فقلت : أحب أن أراه . فقام ، وقمت معه فمشينا غير بعيد ، وإذا بفتىً مضطجع بفناء بيت من تلك البيوت ، لم يبق منه إلا خيال ، فأكب الشيخ عليه يسأله ، وأمه واقفة ، فقالت : يا مالك! هذا عمك أبو فلان يعودك ، ففتح عينيه ، وأنشأ يقول :

ليبكني اليومَ أهلُ الوُدّ والشَّفَق ، لم يبقَ من مهجتي إلاّ شفا رَمَقِ .
اليوْمَ آخرُ عَهدي بالحياةِ ، فَقَدَ أُطلِقتُ من رَبقَةِ الأحزانِ والقَلَقِ .

---

(١) أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي أبو الحسن . شاعر عباسي وكان قبيح المنظر ، ناتئ العينين ، فلقب بجحظة . وكان طنبورياً حاذقاً يصوغ اللحن ويجود الغناء . وقد عمر طويلاً ، له (ديوان شعر) وقد ضاع أكثره . له شعر في شعراء عباسيون منسيون .

ثم تنفس الصعداء فإذا هو ميت ، فقام الشيخ ، وقمت فانصرفت إلى خبائه فإذا جارية بضة تبكي وتتفجع . فقال الشيخ : ما يبكيك؟ فأنشأت تقول :

ألا أُبَكّي لِصَبّ شَفّ مُهْجَتَهُ   طولُ السَّقام وأضنى جسمَه الكَمَدُ .

يا لَيتَ مَن خَلّفَ القلبَ الهَيومَ به ،   عندي فأشكو إليه بعض ما أجِدُ .

أنَشْرُ تُرْبِكَ أسرَى لي النسيمُ بهِ ،   أَم أنتَ حيثُ يُناطُ السَّحرُ والكَبِدُ .

ثم انثنت على كبدها ، وشهقت ، فإذا هي ميتة .

قال يونس : فقمت من عند الشيخ وأنا وقيذ .

مجنون وعليلة

أبو الحسين محمد بن محمد بن علي الوراق[1] قال : حكى لي أبو الحسين علي بن الحسين الصوفي المعروف برباح قال : حدثني بعض أصدقائي أنه دخل إلى بعض المارستانات[2] ببغداد فرأى شاباً حسن الوجه ، نظيف الثياب ، جالساً على حصير نظيف ، وعن يساره مخدة نظيفة ، وفي يده مروحة ، وإلى جانبه كوز فيه ماء ، فسلمت عليه ، فرد السلام أحسن رد ، فقلت له : هل لك من حاجة؟ فقال : نعم! أريد قرصين وعليهما فالوذج ، فمضيت فجئته بذلك ، وجلست مقابله حتى أكل ، ثم قلت له : أبقي لك حاجة؟ فقال : نعم ، ولا أظنك تقدر عليها . فقلت : اذرها ، فلعل الله أن ييسرها . فقال : تمضي إلى نهر الدجاج درب أحمد الدهقان ، إلى دار على باب زقاق الغفلة ، فاطرق الباب وقل : إن فلاناً قال لي :

مُرَّ بالحبيبِ وَقُلْ لهُ :   مجْنونُكم مَن ذا يحلّه؟

قال : فمضيت وسألت عن الدرب والزقاق ، فدللت عليه ، فطرقت الباب ، فخرجت إليّ عجوز فأبلغتها الرسالة ، فدخلت وغابت عني ساعة ، ثم خرجت فقالت :

ارْجعْ إلَيه وقُل لَهُ :   علِيلُكم مَن ذا أعلّه .

---

(١) أبو الحسين محمد بن سعد الورّاق النيسابوري ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري ، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه : «من جلّة مشايخ نيسابور ، كان عالماً بعلوم الظاهر ، ويتكلم في دقائق علوم المعاملات وعيوب الأفعال» ، توفي عام ٣١٩ هـ .

(٢) المَصَحَّة أَو المستشفى .

فرجعت إلى الفتى فأخبرته بالجواب ، فشهق شهقةً فمات ، وعدت إلى القوم أخبرهم بذلك ، فوجدت الصراخ في الدار ، وقد ماتت الجارية ، أو كما قال .

سواجع وهواتف

أبو عبد الله الحسين بن طاهر الدقاق قال : أخبرني الأمير أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : أخبرني مسجع بن نبهان قال : حدثني رجل من بني الصيداء من أهل الصريم قال : كنت أهوى جاريةً من باهلة ، وكان قومها قد أخافوني ، وأخذوا علي المسالك ، فخرجت ذات يوم ، فإذا حمامات يسجعن على أفنان أيكات متناوحاتٍ في سرارة واد ، فاستفزني من الشوق ما لم أعقل معه بشيء ، فركبت ، وأنا أقول :

دعَتْ ، فوْق أغصَان من الأيك مَوهناً ، مطوَّقَــةٌ ورْقــاءُ فــي إثــر آلفِ .
فهاجَتْ عقابيلَ الهوَى ، إذ ترَنَّمَــتْ ، وَشَبّتْ ضِرَامَ الشوْق بينَ الشراسفِ .

لكني خرجت فآواني الليل إلى حي فخفت أن يكونوا من قومها فبت في القفر ، فلما هدأت الرجل إذا قائل يقول :

تمتع من شَميـم عَرارِ نجــد فمــا بعدَ العَشيّةِ من عَرَارِ .

فتألمت من ذلك ثم غلبتنيَ عيناي ، فإذا آخر يقول :

وَلا شــيء بَعــدَ اليــوْمِ إلاّ تَعلّــةً من الطيفِ أو تلقى بها منزِلاً قفرَا .

فزادني ذلك قلقاً ، ثم نمتَ فإذا ثالث يقول :

لن يُلبثَ القرناءَ أن يتفرّقــوا ، ليَلٌ يَكُرّ علَيهِمُ وَنَهَــارُ .

فقمت ، فغيرت وركبت متنكباً عن الطريق ، فلما برق الفجر ، إذا راعٍ مع الشروق قد سرح غنمه وهو يتمثل :

كفــى باللّيالــي مخلّفــات لجِــدّةٍ وبالمَوْتِ قَطّاعاً حبــالَ القرائــنِ .

فأظلمت علي الأرض فتأملته فعرفته ، فقلت : فلان؟ قال : فلان .

قلت : ما وراءك؟ قال : ضاجعت ، والله ، رملة الثرى ، فما لبثت أن سقطت عن بعيري فما أفقت حتى حميت الشمس عليّ ، وقد عقل الغلام ناقتي ، وقد مضى ، فكررت إلى أهلي ، وأنشأت أقول :

يا رَاعيَ الضّأن! قد أبقيتَ لي كَمَــداً يبقــى ويُتلفني ، يا راعيَ الضّانِ .
نعيتَ نفسي إلى نفسي ، فكيفَ إذاً ، أبقى ، ونفسيَ في أثناءِ أكفانــي؟

لوْ كنتَ تَعلَمُ ما أسأرْتَ في كَبِــدي ، بَكيتَ ممّا تــرَاهُ اليــوْمَ أبْكانـــي .

من الحب اليائس إلى التعبد

عن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال : كان عندنا بالكوفة شاب يتعبد ملازماً للمسجد الجامع ، لا يكاد يخلو منه ، وكان حسن الوجه ، حسن القامة ، حسن السمت ، فنظرت إليه امرأة ذات جمال ، وعقل ، فشغفت به ، وطال ذلك عليها ، فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه ، وهو يريد المسجد ، فقالت له : يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها ، ثم اعمل ما شئت . فمضى ولم يكلمها . ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه ، وهو يريد منزله ، فقالت له : يا فتى اسمع كلمات أكلمك بها . فأطرق فقال لها : هذا موقف تهمة ، وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً . فقالت له : والله ما وقفت موقفي هذا جهالةً مني بأمرك ، ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا مني ، والذي حملني على أن لقيتك في هذا الأمر بنفسي معرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير ، وأنتم ، معاشر العباد ، في مثال القوارير أدنى شيء يعيبه ، وجملة ما أكلمك به أن جوارحي كلها مشغولة بك ، فالله الله في أمري وأمرك .

قال : فمضى الشاب إلى منزله ، وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي ، فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ، ثم خرج من منزله . فإذا بالمرأة واقفة في موضعها ، فألقى إليها الكتاب ، ورجع إلى منزله . وكان في الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم . اعلمي أيتها المرأة أن الله ، تبارك وتعالى ، إذا عصي حلم ، فإذا عاود العبد المعصية ستر ، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله ، عز وجل ، لنفسه غضبةً تضيق منها السموات والأرضون والجبال والشجر والدواب ، فمن ذا الذي يطيق غضبه؟ فإن كان ما ذكرت باطلاً ، فإني أذكرك يوماً تكون السماء كالمهل ، وتصير الجبال كالعهن ، وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم ، وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي ، فكيف بصلاح غيري ، وإن كان ما ذكرت حقاً فإني أدلك على طبيب ، هو ولي الكلوم الممرضة ، والأوجاع المرمضة ، ذلك الله رب العالمين ، فاقصديه على صدق المسألة ، فإني متشاغل عنك بقوله ، عز وجل : وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ، يعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، والله يقضي بالحق ، فأين المهرب من هذه الآية؟ ثم جاءت بعد ذلك بأيام

فوقفت له على طريقه ، فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله لئلا يراها ، فقالت : يا فتى لا ترجع ، فلا كان الملتقى بعد هذا أبداً إلا بين يدي الله ، عز وجل . وبكت بكاءً كثيراً ، ثم قالت : أسأل الله ، عز وجل . الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك . ثم تبعته فقالت : امنن علي بموعظة أحملها عنك ، وأوصني بوصية أعمل عليها! فقال لها الفتى : أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله عز وجل : وهو الذي يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم بالنهار .

قال : فأطرقت ، وبكت بكاءً أشد من بكائها الأول ، ثم أفاقت ، فقالت : والله ما حملت أنثى ولا وضعت إنساً كمثلك في مصري وأحيائي . وذكرت أبياتاً آخرها :

لألبسَنّ لهذا الأمرِ مِدْرَعَةً ، ولا ركنتُ إلى لذّاتِ دنُيايا .

ثم لزمت بيتها فأخذت بالعبادة . قال : فكانت إذا أجهدها الأمر تدعو بكتابه فتضعه على عينيها ، فيقال لها : وهل يغني هذا شيئاً؟ فتقول : وهل لي دواء غيره؟ وكان إذا جن عليها الليل قامت إلى محرابها ، فإذا صلت قالت :

يا وَارثَ الأرْض هبْ لي منك مغفِرَةً ، وحلّ عني هوى ذا الهاجرِ الدّاني .

وانظُرْ إلى خَلّتي ، يا مُشتَكى حَزَني ، بنَظرَةٍ منك تجلو كلَّ أَحزَاني .

فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمداً ، وكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها ، فيقال له : م بكاؤك ، وأنت قد أيستها؟ فيقول : إني ذقت طعمها مني في أول أمرها وجعلت قطعها ذخيرةً لي عند الله ، عز وجل ، وإني لأستحيي من الله ، عز وجل ، أن أسترد ذخيرةً ذخرتها عنده .

قال لنا الشيخ أبو القاسم الأزجي ، رحمه الله : ووجدت في نسخة زيادةً مسموعة عن الزينبي شيخنا ، رحمه الله ، قال : ثم إن الجارية لم تلبث أن بليت ببلية في جسمها ، فكان الطبيب يقطع من لحمها أرطالاً لأنه قد عرف حديثها مع الفتى ، فكان إذا أراد أن يقطع لحمها يحدثها بحديث الفتى فما كانت تجد لقطع لحمها ألماً ولا كانت تتأوه ، فإذا سكت عن ذكره تأوهت . قال : فلم تزل كذلك حتى ماتت كمداً .

آه من البين

عن سهلان القاضي قال : بينا أنا مار في طرقات جبل شورى ، وقد مرت علي قافلة عظيمة ، إذا نحن بشاب على الطريق ذاهب العقل ، مدهوش ، عريان وبين يديه خلقان ممزقات فقال لي : أين رأيت القافلة؟ قلت : في موضع كذا .

قال : آه من البين! آه من البين! آه من دواعي الحين! فقلت : وما دهاك؟ فقال :

شيّعتُهم من حيثُ لم يَعلَموا ، وَرُحتُ ، والقلبُ بهِم مُغرَمُ .
سألتُهم تَسْليمَةً منْهُم عليّ ، إذ بانوا ، فَما سَلّمُوا .
سارُوا ، ولم يرثُوا لُمستَهتَر ، ولم يُبالوا قَلبَ مَن تَيّموا .
واستحسنوا ظلمي ، فمِن أجلِهم أحبَّ قلبي كلَّ من يَظلِمُ .

وفاء زوجة

تزوج مالك بن عمرو الغساني بابنة عم النعمان بن بشير[1] فشغف كل واحد منهما بصاحبه ، وكان مالك شجاعاً ، فاشترطت عليه أن لا يقاتل إذا لقي ، شفقةً عليه وضناً به ، وإنه غزا حياً من لخم ، فباشر القتال ، فأصابته جراح فقال ، وهو مثقل منها :

ألا ليتَ شعري عن غزال تركتُه ، إذا ما أتاهُ مصرعي كيفَ يَصْنَعُ؟
فَلَوْ أنّني كَنتُ المُؤخَّرَ بَعْدَهُ ، لَما بَرِحَتْ نفسي عَلَيه تَطَلّعُ .

وإنه مكث يوماً وليلةً ثم مات من جراحه ، فلما وصل خبره إلى زوجته بكته سنةً ، ثم اعتقل لسانها فامتنعت من الكلام ، وكثر خطابها ، فقال عمومتها وولاة أمرها : نزوجها لعل لسانها ينطلق ، ويذهب حزنها ، فإنما هي من النساء ، فزوجوها بعض أبناء الملوك فساق إليها ألف بعيرٍ ، فلما كان في الليلة التي أهديت إليه فيها قامت على باب القبة ثم قالت :

يقولُ رجالٌ : زَوِّجوهَا لَعَلّها تَقَرُّ ، وترْضى بعدَهُ بخَليلِ .
فأخفَيتُ في النّفس التي ليسَ بعدَها رَجاءٌ لهم ، والصّدقُ أفضَلُ قِيلِ .
وَحَدّثَني أصْحابُهُ أنّ مالكاً أقامَ ، ونادَى صَحَبَهُ بِرَحيلِ .
وَحَدّثَني أصْحابُهُ أنّ مالِكاً ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السيفِ غيرُ نكولِ .

---

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي ، ويكنى أبو عبد الله . أحد صحابة الرسول ، وكان أول مولود ولد في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهرًا فأتت به أمه (أخت عبدالله بن رواحة) تحمله إلى النبي (ﷺ) فبشرها بأنه سيعيش حميدًا ويقتل شهيدًا ويدخل الجنة . تمتع بمنزلة كبيرة بين الصحابة فكان معاوية يقول يا معشر الأنصار تستبطئونني وما صحبني منكم إلا النعمان بن بشير وقد رأيتم ما صنعت به وكان ولاه الكوفة وأكرمه .

وَحَدّثَنــــــي أصْحابُـــــهُ أنّ مالــكاً خَفيفٌ على الأحْداثِ غيرُ ثَقيـلِ .
وَحَدّثَنــــي أصْحابُـــــهُ أنّ مالَكــاً صرومٌ كماضي الشّفرَتَينِ صَقيــلِ .
فلما فرغت من الشعر شهقت شهقةً فماتت .

الظريفة العاشقة

كان بالمدينة جارية ظريفة حاذقة بالغناء ، فهويت فتىً من قريش ، فكانت لا تفارقه ولا يفارقها ، فملّها الفتى وتزايدت هي في محبته وأسفت ، فغارت ، فولهت وجعل مولاها لا يعبأ بذلك ولا يرق لشكواها ، وتفاقم الأمر بها حتى هامت على وجهها ، ومزقت ثيابها ، وضربت من لقيها ، فلما رأى مولاها ذلك عالجها فلم ينجع فيها العلاج ، وكانت تدور بالليل في السكك مع الأدب والظرف . قال : فلقيها مولاها ذات يوم في الطريق ، ومعه أصحاب له ، فجعلت تبكي وتقول :

الحُــبُّ أوّلُ مــا يكــونُ لجَاجَــةً ، يَأتــي بــه وَتسوقُــهُ الأقْــدارُ .
حتى إذا اقتحَمَ الفتى لجُجَ الهــوَى ، جاءَتْ أُمــورٌ ، لا تُطــاقُ ، كبــارُ

قال : فما بقي أحد إلا رحمها ، فقال لها مولاها : يا فلانة امضي معنا إلى البيت ، فأبت وقالت :

شغل الحلي أهله أن يعارا .

قال : وذكر بعض من رآها ليلةً ، وقد لقيتها مجنونة أخرى ، فقالت لها : فلانةُ! كيف أنت؟ فقالت : كما لا أحب ، فكيف أنت من ولهك وحبك؟ قالت : على ما لم يزل يتزايد بي على مر الأيام .

قالت لها : تغني بصوت من أصواتك فإني قريبة الشبه بك . فأخذت قصبةً توقع بها وغنت :

يا مَــن شَكَــا ألمــاً للحُــبّ شبّهَـهُ بالنارِ في القلبِ من حُزْنٍ وتذكـارِ .
إنّــي لأُعْظِــمُ ما بــي أن أُشبّهَـــهُ شيئــاً يُقــاسُ إلى مِثلٍ وَمقـدارِ .
لَــوْ أنّ قَلْبــيَ فــي نارٍ لأحْرَقَهَــا ، لأنّ أحزانَــهُ أذكــى مــنَ النّارِ .

ثم مضت .

عليان المجنون

عن عبيد الله بن الزعفراني قال : مر بي عليان المجنون البصري في بعض الأيام ،

فقلت : يا أبا الحسين ، قف علينا! فقال : أنت شبعان وعليان جائع يريد أن يأكل شيئاً ، فدعوت له بما يأكل ، وهو يسمع ، فرجع ، فلما أكل تنفس الصعداء وأنشأ يقول :

وَذي نَفَس صَاعِد ، يَئِنّ بِلا عَائِد .
تَبَرَّمً عُوَّادُه بِذي السَّقَم الزائِد .
وَذي سَهرَة قد جَف كُلُّ أخ رَاقِد .
يَكّر عَلى عَسكَر ، وَيْضعُفُ عَن وَاحد .

ومضى ، فقلت لغلامي : رده وارفق به! فرده ، فقلت : زدني! فقال : الذي أعطيتني لا يساوي أكثر مما أعطيتك . فقلت للغلام : اسقه قدحاً ، فوقف ، فلما شربه قال :

وَكنتُ إذا رَأيتُ فَتىً يُبَكّي على شَجَن ضَحكتُ إذا خلَوْتُ .
فأحسبُني أدالَ اللهُ منّي ، فصِرْتُ إذاً سمعَتُ به بَكيتُ .

فشغلت بخط ما أنشدنيه ومضى .

عاشق يموت كتماناً

عن زكريا بن إسحاق[1] قال : سمعت مالك بن سعيد يقول : حدثني مشيخة من خزاعة أنه كان عندهم بالطائف جارية متعبدة ذات يسار وورع ، وكانت لها أم أشد عبادةً منها ، وكانت مشهورة بالعبادة ، وكانتا قليلتي المخالطة للناس ، وكانت لهما بضاعة مع رجل من أهل الطائف ، فكان يبضعها لهما ، فما رزقهن الله من شيء أتاهن به .

قال : وبعث يوماً ابنه ، وكان فتىً جميلاً مسرفاً على نفسه ، إليهن ببعض حوائجهن ، فقرع الباب ، فقالت أمها : من هذا؟ قال : أنا ابن فلان . قالت : ادخل! فدخل وابنتها في بيتٍ ، ولم تعلم بدخول الفتى ، فلما قعد معها خرجت ابنتها ،

(١) زكريا بن إسحاق المكي من علماء الحديث حدث عن عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار وأبي الزبير ويحيى بن عبد الله بن صيفي وجماعة حدث عنه ابن المبارك ووكيع وأبو عاصم وأبو عامر العقدي وروح ابن عبادة وعبد الرزاق وآخرون وكان ثقة في نفسه صدوقا إلا أنه رمي بالقدر قال أبو حاتم لا بأس به وقال يحيى بن معين قدري قلت توفي سنة نيف وخمسين ومئة

وهي تظن أنها بعض نسائهن حتى جلست بين يديه ، فلما نظرت إليه قامت مبادرةً فخرجت ، ونظر إليها فإذا هي من أجمل العرب .

قال : ووقع حبها في قلبه . فخرج من عندها ، وما يدري أين يسلك ، فأتى أباه ، فأخبره برسالتهن ، وجعل الفتى ينحل ويذوب جسمه ، وتغير عما كان عليه ، ولزم الوحدة والفكر ، وجعل الناس يظنون أن الذي به من عبادة قد لزمها ، حتى سقط على فراشه .

فلما رآه أبوه على تلك الحال دعا له الأطباء والمعالجين ، فجعلوا ينظرون إليه ، فكل يصف به دواء ، ويقول : به داء لا يقوله صاحبه ، والفتى مع ذلك ساكت لا يتكلم ، حتى إذا طالت علته واشتد عليه الأمر دعا أبوه فتياناً من الحي ، وإخوانه الذين كانوا له أنساً ، فقال لهم : اخلوا به وسلوه عن علته لعله يخبركم ببعض ما يجده ، فأتوه فكلموه وسألوه ، فقال : والله ما بي علة أعرفها فأبينها لكم ، وأخبركم بما أجد منها ، فأقلوا الكلام .

وكان الفتى فطناً ذا عقل ، فلما طال به الوجد دعا امرأة من بعض أهله فخلا بها ، وقال : إني ملق إليك حديثاً ما ألقيته إليك إلا عند الإياس من نفسي ، فإن ضمنت لي كتمانه أخبرتك وإلا صبرت حتى يحكم الله في أمري ما يحب ، وبعد ، فوالله ما أخبرت به أحداً قبلك ، ولئن كتمت علي لا أخبر به أحداً بعدك ، وإن هذا البلاء الذي أرى بي لا شك قاتلي وإنه يجب علي في محبتي له أن أكون لمن أحب صائناً وعليه مشفقاً من تزيد الناس وإكثارهم حتى يصير الصغير كبيراً ، والكبير عندهم الباقي ذكره أبداً ، الله الله في أمري ، واجعليه محرزاً في صدرك فإن فعلت فلك حسن المكافأة ، وإن أبيت فالله يحسن لك الشكر .

فقالت له المرأة : قل يا بني ما بدا لك ، فوالله ما أجد في الدنيا أحداً أحب بقاءه غيرك ، وكيف لي أن يكون عندي بعض دوائك ، فوالله لأكتمن أمرك ما بقيت أيام الدنيا . فقال لها : إن من قصتي كذا وكذا! فقالت له : يا بني أفلا أخبرتنا ، فوالله ما رأيت كلمةً أسكن بمجامع القلب فلا تفارقه أبداً ، من كلمة : محب عاشق أخبر من يحبه أنه له وامق ، فتلك الكلمة تزرع في قلوب ذوي الألباب شجراً لا تدرك أصوله . فقال لها : ومن لي بها ، وكيف السبيل إليها وقد بلغك حالها وقصتها وشدة اجتهادها وعبادتها؟ قالت له : يا بني علي أن آتيك بما تسر به .

قال : فلبست ثوبها وأتت منزل الجارية ، فدخلت فسلمت على أمها وحادثتها

ساعةً . فسألتها أمها عن حاله وعن وجعه ، فقالت : والله لقد رأيت الأوجاع والآلام ، فما رأيت وجعاً قط كوجعه ، وإن وجعه يزيد في كل يوم ، وألمه يترقى ، وهو في ذلك صابر غير شاك لا يفقد من جوارحه شيئاً ، ولا من عقله . فقالت أمها : أفلا تدعون له الأطباء؟ قالت : بلى ، والله فما وقع أحد منهم على دائه ، ولا يفقه دواءه .

ثم قامت فدخلت على الجارية في بيتها الذي كانت تتعبد فيه ، فسلمت عليها ، وحادثتها ساعةً ، وقد كان وقع إلى الجارية خبره ، فعلمت أن ذلك من أجلها ، فقالت لها المرأة : يا بنية أبليت شبابك وأفنيت أيامك على هذه الحال التي أنت عليها . قالت : يا عمتاه أية حال سوء تريني عليها قالت لا يا بنية ولكن مثلك يفرح في الدنيا ويلذ فيها ببعض ما أحل الله عز وجل لك ، غير تاركة لطاعة ربك ولا مفارقة لخدمته ، فيجمع الله لك بذلك الدارين جميعاً ، فوالله ما حرم الله ، عز وجل ، على عباده ما أحل لهم .

فقالت : يا عمتاه ، أو هذه الدار دار بقاء لا انقطاع لها ولا فناء فتكون الجوارح قد وثقت بذلك ، فتجعل لله تعالى منظر هممها ، وللدنيا شطرها ، فتعد الجوارح إذاً التعب راحةً والكد سلامةً ، أم هذه الدار دار فناءٍ وتلك دار بقاءٍ ومكافأة ، والعمل على حسب ذلك .

قالت : يا بنية لا! ولكن الدنيا دار فناء وانقطاع وليست بباقية على أحد ، ولا دائمة له ، ولكن قد جعل الله تعالى لعباده فيها ساعات صدقة منه على النفوس ، تنال فيها ما أحل لها من مخافة الشدة عليها .

فقالت الجارية : صدقت يا عمتاه ، ولكن لله عباد قد علموا وصح في هممهم شيء من ذخر ذخروه عنده ، فجعلوا هذا الشكر الذي جعله ذخيرة عنده ، إذ لم تكن الدنيا كاملة لهم ، ولا هم متنقصون شيئاً قدموه لأنفسهم ، وسكنت نفوسهم ورضيت منهم بالصبر على الطاعة لتنال جملة الكرامة ، وإن كلامك ليدلني على أن تحته علةً ، وهو الذي حملك على مناظرتك لي على مثل هذا ، وقد كنت أظن قبل اليوم فيك أنك تأمرين بالحرص على طاعة الله ، عز وجل ، والخدمة له ، والتقرب إليه بالأعمال الزكية التي تبلغ رضاه وترفع عنده فقد أصبحت متغيرة عن ذلك العهد الذي كنت أعهدك عليه ، فأخبريني بما عندك وأوضحي لي ما في نفسك ، فإن يكن لك جواب أعتبتك ، وإن يكن فيه حظ تابعتك ، وإن يكن أمراً بعيداً من الله تعالى وعظتك .

قالت : يا بنية فأنا مخبرتك به ، والذي منعني من إلقائه إليك هيبتك ، إذ بسطتني وعلمت أن عندي خيراً وأمرتني بإلقائه ، فإن من قصة فلان كذا وكذا .

قالت : قد ظننت ذلك فأبلغيه مني السلام ، وقولي : أي أخاه! إني والله قد وهبت نفسي لمليك يكافئ من أقرضه بالعطايا الجزيلة ، ويعين من انقطع إليه وخدمه بالهمم الرفيعة ، وليس إلى الرجوع بعد الهبة سبيل ، فتوسل إلى مولاك ومولاي بمحابه ، واضرع إليه في غفران ما قدمت يداك من عمل لم يهبه فيه ، ولم يرضه ، فهو أول ما يجب عليك أن تسأله ، وأول ما يجب علي أن أعظك به ، فإذا خدمته بقدر ما عصيته طاب لك الفراغ من سؤال شهوات القلوب وخطرات الصدور ، فإنه لا يحسن بعبد كان لمولاه عاصياً وعن أمره مولياً ناسياً لأن ينسي ذنوبه والاعتذار منها ، ويلزم نفسه مسألة الحوائج لعلها داعية له إلى الفتنة إن لم يتداركه الله تعالى بكرمه ، فاستنفذ نفسك يا أخي من مهلكات الذنوب ، فإن له فضلاً وسع كل شيء ، ولست مؤيستك من فضله إن رآك متبتلاً إليه ومما قدمت يداك معتذراً أن يمن بي عليك ، فإنه الملك الذي يجود على من ولى عنه بكرمه ، فكيف من أقبل إليه ، فلا يشك أنه إذا جاد على من ولى عنه ، يكون لمن أطاعه مكرماً وإليه وقت الندامة مسرعاً ، وما أبقيت لك حجة تحتج بها ، فليكن ما أخبرتك به نصب عينك ولا ترادني في المسألة ، فلا أجيبك والسلام .

قال : فقامت المرأة من عندها ، فأتته ، فأخبرته بمقالتها . قال : فبكى بكاءً شديداً ، فقالت له العجوز : والله يا بني ما رأيت امرأة خوف الله ، عز وجل ، في صدرها ، مثل هذه المرأة فاعمل بما أمرتك به ، فقد ، والله ، بالغت في النصيحة ، وأحسنت الموعظة ، فلا تلق نفسك في مهلكات الأمور ، فتندم حيث لا تغني الندامة ، ولو علمت يا بني أن حيلة تنفذ غير الذي دعتك إليه لاحتلتها ، ولكان عندي من ذلك ما أرجو أن محتالةً ، ولكني رأيت الله ، عز وجل ، قد جعلته نصب عينيها ، فهي إليه ناظرة ومن جعل الله عز وجل نصب عينيه لها عن زينة الحياة الدنيا ، ورفعتها ، واشتغل بما قد جعله نصب عينيه .

وجعل يبكي ويقول : كيف لي بالبلوغ إلى ما دعت إليه ومتى يكون آخر المدة التي نلتقي فيها؟ قال : فاشتد وجعه ذلك ، وحال عن ذوي العقول ، فلما نظر القوم إليه في تلك الحال ، وجعل لا يقره قرار ، حبسوه في بيت ، وأوثقوه ، وتوهم القوم أن الذي به من عشق ، فكان ربما أفلت ، فيخرج من منزله فيجتمع عليه الصبيان ،

فيقولون له : مت عشقاً ، مت عشقاً! فكان يقول :

أأُفشي إلَيكم بعضَ ما قد يَهيجُنـــي ... أم الصبرُ أوْلى بالفتى عند ما يَلقَـــى .
أأُوعَـــدُ وعـــداً ما لَـــه ، الدهـرَ ، آخِرٌ ... وَأُومَرُ بالتّقوَى ، ومَن ليَ بالتّقـوَى .
سلامٌ على مَـن لا أُسَمّيـــه باسمـــه ... وَلَوْ صِرْتُ مثلَ الطير في قفص يُلقـى .
ألا أيّهـــا الصّبيَـــانُ لـــو ذُقتمُ الهَوَى ... لأيْقَنتُـــمُ أنّـــي مُحَدّثُكـمً حَقّاً .
أحبّكـــم مِــــن حُبّهـــا ، وأراكُـــمُ ... تقولون لي : مُتْ يا شجاعُ بها عشقا .
فلَمَ تُنصِفوني ، لا ، ولا هيَ أنصَفَـتْ ... فرِفقاً رُوَيداً ، وَيحَكم بالفتى رِفْقَـاً .

فلمـا صح ذلك عند أهله وعلمـوا أنه عـاشق جعلوا يسـألونه عن أمـره ، فكان لا يجيبهم ، وكتمت العجوز قصته ، فأخذوه فحبسوه في بيت فلم يزل فيه حتى مات ، رحمه الله .

لروعات الحب نيران

أحمد بن محمد بن علي الآبنوسي قال : حدثنا علي بن عبد الله بن المغيرة أبو محمد الجوهري قال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن قال : حدثنا عمي عن أبيه قال : سمعت أعرابياً يقول : اشرحوا الرأي عند الهوى ، وافطموا النفوس عند الصبي ، ولقد تصدعت كبدي للعاشقين من لوم العاذلين ، ولروعات الحب نيران على أكبادهم مع دموع على الغواين كغروب السواني .

أيهما أصدق عشقاً

القاضي الإمام أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري[(١)] قال : حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا قال : حدثنا محمد بن يحيى الصولي[(٢)] قال : حدثنا محمد

(١) أبو الطيب الطبري الإمام العلامة ، شيخ الإسلام ، القاضي أبو الطيب ;طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر ، الطبري الشافعي ، فقيه بغداد .

(٢) أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله ، نسبته إلى جده «صول تكين» ، الذي كان وأهله ملوكا بجرجان ، كان أحد العلماء بفنون الأدب ، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء . توفي في البصرة سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م .

بن عائشة قال : حدثني أبي قال : حدثني رجل من بني عامر بن لؤي ما رأيت بالحجاز أعلم منه : حدثني كثير[١] أنه وقف على جماعة يفيضون فيه وفي جميل ، وفي أيهما أصدق عشقاً ، ولم يكونوا يعرفونه بوجهه ، ففضلوا جميلاً في عشقه ، فقلت لهم : ظلمتم كثيراً ، كيف يكون جميل أصدق عشقاً من كثير ، ولما أتاه عن بثينة بعض ما يكره قال :

رَمى الله في عينَـي بُثَيْنَـةَ بالقَـذى ، وفي الغُرّ من أنيابها بالقـوادحِ[٢] .

وكثير أتاه عن عزة ما يكره فقال :

هَنيئـاً مَريئـاً غَـيرَ داء مخامـرٍ لعَـزّةَ مـن أعرَاضِنا ما استَحلّتِ .

قال : فما انصرفوا إلا على تفضيلي .

لم يفتها جواره ميتاً

كان بذمار فتىً من حمير ، من أهل بيت شرف يقال له : زرعة بن رقيم ، وكان جميلاً شاعراً لا تراه امرأة إلا صبت إليه ، وكان في ظهر ذمار رجل شيخ كثير المال ، وكانت له بنت تسمى مفداة ، بارعة الجمال ، حصيفة اللب ، ذات لسان مطلق ، تفحم البليغ ، وتخرس المنطيق ، وكان زرعة يتحدث إليها في فتية من الحي ، وكان ممن يتحدث إليها فتىً من قومها يقال له حيي ، ذو جمال وعفاف وحياء ، فكانت تركن إلى حديه ، وتشمئز من زرعة لرهقه ، فساء ذلك زرعة وأحزنه ، فاجتمعا ذات يوم عندها فرأى إعراضها عنه وإقبالها على حيي ، فقال :

صُدودٌ وإعرَاضٌ وإظْهـارُ بَغضَـةٍ ، عـلاَمَ وَلِمْ يا بينـتَ آل العُذافرِ؟ .

فقالتْ :

عَلـى غَيـرِ ما شَـرٍّ ، ولكِنّـكَ امرؤٌ عُرِفـتَ بِغـل المومِساتِ العَواهِرِ .

فقال حيي :

جَمَالُـكَ يا زَرعَ بـنَ ارقَـمَ إنّمـا تُنَاجـي القُلوبَ بالعيونِ النّوَاظِرِ .

---

(١) كثير عزة شاعر عربي متيم من أهل المدينة المنورة وشعراء الدولة الأموية واسمه كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي وعرف بعشقه عزة بنت جميل بن حفص بن إياس الغفارية الكنانية .

(٢) القوادح ما ينقبها ويعيبها .

فقالَ زَرعةُ :

فـإنْ يَـكُ مِمـا خَـسّ حظي لأنّني   أَصَابنـي فتُصْبيني عيونُ القَصَائِرِ .

وَإنـي كَريـمٌ لا أُزَنَ بِرِيبَـةٍ   وَلا يَعْتـري ثوْبـيَّ رينُ المَعايـرِ .

فقالت المفداة :

كذاك فكُن ، يسلمْ لكَ العِرضُ ، إنـه   جمالُ امرئ أن يرتدي عِرضَ طاهـر .

فقال حيي :

حَيَاءَكُـمَا لا تَعْصِيَـاهُ ، فإنّمَـا   يكـونُ الحَيـاءُ من تَوقّي المعايـرِ .

فانصرفت زرعة وقد خامره من حبها ما غلب على عقله ، فغبر أياماً عنها ، وامتنع من الطعام والشراب والقرار ، وأنشأ يقول :

يا بُغيَةً أهـدَتْ إلـى القلبِ لوْعَـةً   لقد خُبِئَتْ لي منك إحدى الدهارسِ .

وما كنتُ أدري والبَلايـا مُظَلّـةٌ   بأنّ حمامي تحتَ لحظ مُخالـسِ .

جَلَستُ على مَكتوبَةِ القَلبِ طائِعـاً ،   فيَا طَوْعَ مَحبوسٍ لأعنَفِ حَابِـسِ .

فشاع هذا الشعر في الحي وبلغ المفداة ، فاحتجبت عنه ، وامتنعت من محادثة الرجال ، فامتنع من الحركة والطعام ، فغبر على ذلك حول ، ومات عظيم من عظماء القبائل فبرز مأتم النساء ، فبلغ زرعة أن المفداة في المأتم ، فاحتمل حتى تنائى نشزاً ، واجتمع إليه لذاته يفندون رأيه ويعذلونه ، فأنشأ يقول :

لمْ يُلَمُ فـي الوَفـاءِ مَـن كَتَـمَ الْـ   ـحُبّ وأغضـى عُلـى فؤاد لَهِيدِ .

صَابَنـا ذاكَ لاسم من جلبَ السّـ   ـمَ علَيـه ونفسُـهُ فـي الْوَريدَ .

ثم شهق ، فمات ، وتصايح أصحابه ونساؤهن وبلغ المفداة خبره ، فقامت نحوه حتى وقفت عليه ، وقد تعفر وجهه ، وأهله ينضحونه بالماء ، فهمت أن تلقي نفسها عليه ، ثم تماسكت ، وبادرت خباءها ، فسقطت تائهة العقل ، تكلم فلا تجيب ، سحابة يومها ، فلما جنّ عليها الليل رفعت عقيرتها فقالت :

بنَفْسـي يَـا زَرْعَ بْـنَ أرْقَـمَ لوْعَةٌ   طَوَيـتُ علَيها القلبَ والسرُّ كاتمُ .

لَئنْ لَمْ أمُـتْ حُزْنـاً عَلَيْـه فَإنّنـي   لألأمُ مَن نيطَـتْ عَلَيه التّمائـم .

لَئنْ فُتّنـي حَيّـاً فَلَيْـسَ بِفَائتـي   جوَارُك مَيْتاً حيثُ تَبلى الرِّمَائِـم .

ثم تنفست نفساً نبه من حولها فإذا هي ميتة فدفنت إلى جنبه .

وقالت امرأة من حمير أشبلت على ولدها بعد زوجها :

وَفَيـتُ لابـنِ مالـكِ بـن أرطـأه   كمـا وَفَـتْ لزرعـة المُفَدّاه .

واللـــه لا خسْـــتُ بـــه أو ألقـــــاه حيـــثُ يُلاقـــي وامـقٌ من يهواه .
مـــن مُتَـــطٍ ، ناحِيَـــةً ، شَمَـــــرْداه وعاثِـــرٍ قـــد خَذَلَتـــه رِجلاهْ[1] .

تفارق قومها باكية

كانت بالمدينة جاريةً لآل أبي رماثة ، أو لآل أبي تفاحة ، يقال لها : سلامة . قال : فكتب فيها يزيد بن عبد الملك[2] لتشترى له ، فاشتريت بعشرين ألف دينار ، فقال أهلها : لا تخرج حتى نصلح من شأنها ، فقالت الرسل : لا حاجة لكم بذاك! معنا ما يصلحها . قال : فخرج بها حتى أتي بها سقاية سليمان ، قال : فأنزلها رسله فقالت : لا والله لا أخرج حتى يأتيني قوم كانوا يدخلون علي فأسلم عليهم ، قال : فامتلأ ذلك الموضع من الناس ، قال : ثم خرجت فوقفت بين الناس ، وهي تقول :

فارَقونـــــي وقـــــد عَلِمـــتُ يَقِينـاً مـــا لِمَـــن ذاقَ فُرقَـــةً مـن إيابِ .
إنّ أهـــلَ الحِصَـــابِ قـــد ترَكونـــي فـــي وُلـوع يذكو بأهلِ الحِصَابِ .
سكنـــوا الجِـــزْعَ وهـــو جِـزْعُ أبي مو سى إلى النخلِ من صفيّ الشبابِ .
أهـــلُ بَيـــتٍ تَتَابعُـــوا للمَنَايَـــا ، ما على الدهرِ بعدهم من عتـابِ .

قال : فما زالتْ على ذلك تبكي ويبكون حتى راحت ، ثم أرسلت إليهم بثلاثة آلاف درهم .

رد فؤادي

أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه قال : أنشدنا أبو عبد الله النوبختي :

قلـــتُ لَـــهُ : رُدّ فـــــؤادي ، فَقَـــد أبلَيـــــتَ بالهَجْـــــرِ نَوَاحيـــه .
فقـــال لـــي مُبتَسِمـــــاً ضاحكـــاً : قَـــد غلـــق الرّهـــنُ بِمَـــا فِيـــه .

---

(١) تريد قول الجاهلية : إن الناس يحشرون ركباناً على البلايا ، ومشاةً إن لم تعقر مطاياهم على قبورهم ، وهذا شيء كان من فعل الجاهلية .

(٢) يزيد بن عبد الملك الأموي القرشي ويلقب يزيد الثاني ولد سنه ٧١ هـ . ولي الخلافة بدمشق بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك .

ولما شكوت الحب

أخبر عبد العزيز بن علي الطحان قال : أخبرنا علي بن عبد الله الهمذاني في المسجد الحرام قال : حدثني الجنيد[1] قال : أرسلني سري في حاجة يوماً فمضيت فقضيتها ، فرجعت ، فدفع رجل رقعة ، وقال : ما في هذه الرقعة أَجرتك لقضاء حاجتي ، ففتحتها ، فإذا فيها مكتوب :

وَلَمَّا شَكَوْتُ الحُبَّ قالَــتْ كَذَبتنــي ألســتُ أرَى مِنكَ العِظامَ كوَاسِيَا .

قتيل الهجران

عن عبد الرحمن الصوفي[2] قال : كنت ببغداد في سوق النخاسين ، فرأيت قوماً مجتمعين ، فدنوت منهم ، فرأيت شاباً مصروعاً مغشياً عليه ، فقلت لواحد منهم : ما الذي أصابه؟ فقال : سمع آيةً من كتاب الله ، عز وجل ، فقلت : أية آية كانت؟ فقال : قوله ، عز وجل : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ قال : فلما سمع أفاق ، وأنشأ يقول :

ألــمْ يــأن للهجــرَانِ أن يَتَصَرّمــا وللغُصْنِ ، غُصْنِ البَانِ ، أن يتبسّمــا .
وللعاشقِ الصَّبِّ الذي ذَابَ وانحنى ، أما آنَ أَن يُبْكي عليــه وَيُرْحَمــا .
كَتَبْتُ بِمَاءِ الشّوْقِ ، بينَ جَوَانحــي ، كِتاباً حَكى نَقشَ الوُشَاةِ مُنمنَما .

سيد العشاق

حدث أبو عمر بن حيويه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني أبو بكر العامري قال : حدثني أبو عبد الله القرشي وحدثنا الدمشقي عن الزبير قال :

---

(١) أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري ، أصله نهاوند في همدان ، ومولده ومنشؤه ببغداد . قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي : «هو من أئمة القوم وسادتهم ؛ مقبول على جميع الألسنة» .

(٢) عبد الرحمن الصوفي هو أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي أحد أشهر الفلكيين والمهندسين العرب (٢٩١ هـ - ٣٧٦ هـ / ٩٠٣ - ٩٨٦م) عالم فلك مسلم من القرن التاسع الميلادي . اسمه الخماسي عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي . ولد بالري في بلاد فارس في ٩ محرم ٢٩١ هـ (الموافق :٧ ديسمبر ٩٠٣ م) ، اتصل بعضد الدولة البويهي .

حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال : عشق رجل من ولد سعيد بن العاص جاريةً مغنية بالمدينة ، فهام بها ، وهو لا يعلمها بذلك ، ثم إنه ضجر فقال : والله لأبوحن لها ، فأتاها عشيةً ، فلما خرجت إليه ، قال لها : بأبي أنت أتغنين :

أَتُجْـزُونَ بالـودّ المُضاعَـفِ مثلَـه ، فـإنّ الكريم مَن جزَى الودَّ بالـودِّ .

قالت : نعم ، وأغني أحسن منهن ثم غنت :

للّـذي وَدّنـا المـوَدّةُ بالضِّـعْـف ، وَفَضْـلُ البادي به لا يُجازَى .

لَـوْ بَـدا مـا بِنَا لَكُـم مـلأ الأرضَ وأقطـارَ شامِهَـا والحِجَـازَا .

فاتصل ما بينهما ، فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير المدينة ، فابتاعها له وأهداها إليه ، فمكثت عنده سنة ثم ماتت ، فبقي مولاها شهراً أو أقل ثم مات كمداً عليها ، فقال أبو السائب المخزومي : حمزة سيد الشهداء ، وهذا سيد العشاق ، فامضوا بنا حتى ننحر على قبره سبعين نحرة ، كما كبر النبي ، ﷺ وآله وسلم ، على قبر حمزة ، رضي الله عنه ، سبعين تكبيرة . قال : وبلغ أبا حازم الخبر ، فقال : ما من محب في الله يبلغ هذا إلا وليّ .

الغلام وجارية المهدي(1)

أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن بن محمد المكتفي بالله قال : حدثنا جحظة قال : حدثني ابن أخت الحاركي : أن خادماً من خدم أباه جاءه يخبره أن عند جارية في بعض قصوره رجلاً ، فلبس حلةً وسار إلى إلى القصر ، فألفى عندها غلاماً شاباً ، له ذؤابتان ، كأنه قضيب فضة ، فسأله عن دخوله وكيف كان ، وما شأنه . فقال : إن هذه الجارية كانت لوالدتي ، وكان بيني وبينها ألفة ، فلما بيعت لأمير المؤمنين ، صرت إلى الباب متعرضاً لها ، فأذنت في الدخول ، فدخلت على أحد أمرين : إما أن أظفر بما أريد أو أقتل فأستريح .

فأمر المهدي بإحضار سياط ، ونصبه بينها ، ثم ضربه عشرين سوطاً ، ورفع عنه الضرب وقال : ما أصنع بتعذيبك ، ولست بتاركك حياً ، ولا تاركها ، يا غلام ، سيف

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله . هو ثالث خلفاء الدولة العباسية بالعراق . ولد بإيذج من كور الأهواز عام ١٢٧ هـ/٧٤٥م وتوفي بماسبذان أمه هي أم موسى بنت منصور الحميرية .

ونطع! فلما أتي بذلك ، وأجلس الغلام في النطع قال : يا أمير المؤمنين! قبل أن ينزل بي القتل ، وهو دون حقي ، اسمع مني ما أقول! قال : هات ، فأنشأ يقول :

وَلَقَـد ذكرْتُـكِ والسّياطُ تنوشُنـي عنـدَ الإمـام وساعدي مَغْلُولُ .

وَلَقَـد ذكرْتُـكِ والـذي أنا عبـدُه والسيـفُ بـيَنَ ذُؤابتي مَسلُولُ .

فأطرق المهدي وترقرقت عيناه بالدموع . ثم قال : يا غلام ، ائتني بإزار! فأتي به ، فقال : الففهما به جميعاً ، بعد أن تنزع ثيابهما ، وأخرجهما عن قصري ، ففعل ذلك .

يزيد بن عبد الملك وحبابة[1]

أبو عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا العباس بن الحسين الفارسي ببغداد قال : حدثنا علي بن الحسين بن أحمد الكاتب قال : حدثنا إسماعيل بن محمد الشيعي من شيعة بني العباس قال : حدثنا عمر بن شبة عن أبي إسحاق قال : بلغني أن جاريةً غنت بين يدي يزيد بن عبد الملك :

وإنـي لأهوَاهَـا وأهـوَى لِقَاءَهَـا كما يشتهي الصّادي الشرَابَ المبـرَّدا .

فراسلتها سلامة فغنت :

عَلاقَةُ حُبٍّ كانَ في سـنن الصِّبـا ، فأبْلـى ، ومـا يـزداد إلاّ تجدّدا .

فغنت حبابة :

كَرِيمُ قُرَيـشٍ حينَ يُنسَـبُ والـذي أُقِرَّ لَـهُ بالفضْـلِ ، كَهْلاً وأمْرَدا .

فراسلتها سلامة فغنت :

تـرْوي بمجـد مـن أبيهِ وَجَدِّه وَقـد أوْرَثَـا بُنْيَـانَ مجْد مُشَيَّدا .

فطرب يزيد وشق حلّة كانت عليه حتى سقطت في الأرض ثم قال : أفتأذنان لي في أن أطير؟ قالت له حبابة : على من تدع الأمة؟ قال : عليك .

يزيد يموت حزناً على حبابة

حدث أبو علي بن شاذان قال : حدثني أبي أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال :

---

(١) حبابة هي جارية عاشت في العصر الأموي ، وكانت ملكاً للخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك ، وقصتها معه مشهورة ، وقد ماتت في بيت رأس ودفنت هناك .

حدثنا أبو عبد الله أحمد بن سليمان الطوسي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني هارون بن موسى قال : حدثني موسى بن جعفر بن أبي كثير وعبد الملك بن الماجشون قال : لما مات عمر بن عبد العزيز(١) قال يزيد : والله ما عمر بأحوج إلى الله مني .

قال : فأقام أربعين ليلةً يسير بسيرة عمر ، فقالت حبابة لخصي له كان صاحب أمره : ويحك قم بي حيث يسمع كلامي ولك علي عشرة آلاف درهم ، فلما مر يزيد بها قالت :

بَكَيتُ الصِّبي جهلاً فمن شاء لامني ومَن شاءَ آسى في البُكاء وأسعَدا .
ألا لا تَلُمـه اليَـوْمَ أن يَتَلَبّـدا فقَد مُنـعَ المَحـزُونُ أن يَتَجَلّـدا .
وَما العَيـشُ إلاّ مـا تَلَـذُّ وتَشتَهـي وإنْ لامَ فيـه ذو الشنّانِ وَفَنّـدا .
إذا كنـتَ عزاهـا عن اللهو والصِّبي فكن حجراً من يابِس الصّخرِ جَلمَـدا .

قال أبو موسى : وهذا الشعر للأحوص ، فلما سمعها قال للخصي : ويحك! قل لصاحب الشرط يصلي بالناس . وقال يوماً : والله إني لأستحيي أن أخلوا بها ، ولا أرى أحداً غيرها ، وأمر ببستان ، وأمر بحاجبه ألا يعلمه بأحد .

قال : فبينما هو معها أسر الناس بها ، إذ حذفها بحبة رمان ، أو بعنبة ، وهي تضحك ، فوقعت في فيها فشرقت فماتت ، فأقامت عنده في البيت حتى جيفت ، او طادت تجيف ، ثم خرج فدفنها ، وأقام أياماً ، ثم خرجن وهليه الهم بادياً ، حتى وقف على قبرها فقال :

فإن تسلُ عنك النفسُ أوْ تدع الصِّبـي فباليَـأسِ أسلو عنك لا بالتّجَلّد .
وَكُـلُّ خَلِيـلٍ لامَتنـي فهوَ قائِـلٌ من أجلِكَ هذا هامَةُ اليَوْمِ أوْ غَـدِ .

ثم رجع فما خرج من منزله حتى خرج بنعشه .

---

(١) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، هو ثامن الخلفاء الأمويين . ولد سنة ٦١هـ في المدينة المنورة ، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب ، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة ، وكان شديد الإقبال على طلب العلم .

الفرزدق[١] والبدوية الحسناء

أخبر أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرني الرياشي ، يرفعه عن الفرزدق ، قال : أبق غلام لرجلٍ من نشهل فخرجت في طلبه أريد اليمامة ، وأنا على ناقةٍ لي عيساء ، فلما صرتُ على ماء لبني حنيفة ارتفعت سحابةٌ فرعدت وبرقت وأرختْ عزاليها ، فعدلت إلى بعض ديارهم ، فسألتهم القرى ، فأجابوا ، فأنخت ناقتي ، وجلست تحت بيت لهم من جريد النخل ، وفي الدار جويرية سوداء ، وفتاة كأنها فلقة قمر ، فسألت السوداء : لمن هذه العيساء؟ فأشارت إلي وقالت : لضيفكم هذا . فعدلتْ إلي فسلمت ، وقالت : ممن الرجل؟ قلت : من بني تميم . قالت : من أيهم؟ قلت : من بني نهشل . قالت : فأنت الذين يقول لكم الفرزدق :

إنّ الــذي سَمَــكَ السمــاءَ بنى لَنَا   بَيتـــاً دَعَائمُــهُ أعــزُّ وَأَطْـوَلُ .
بَيْــــتٌ زرَارَةُ محْتَــبٍ بفِنَائـــــه   ومُجاشــعٌ وأَبــو الفَوَارسِ نهشَلُ .

قلت : نعم . قال : فضحكَتْ ، وقالتْ : فإن جريراً هدم عليه بيته حيث يقول :

أخْزَى الذي سَمَكَ السماءَ مُجَاشعــاً   وأحَــلّ بَيتَكَ بالحَضيضِ الأوْهَدِ .

قال : فأعجبتني ، فلما رأت ذلك في عيني قالت : أين تؤم؟ قلت : اليمامة . فتنفست الصعداء ثم قالت :

تَذَكَّــرْتُ اليَمـــامَةَ ، إنَّ ذكــري   بهــا أهــلَ المُــــرُوءة والكَرَامَة .
ألا فَسَقــى المَليــكُ أجَــشَّ جَونــاً   يجــودُ بسَحّــه تلــكَ اليَمامَـه .
أُحيّي بالسّلام أَبَا نجيد ،   وأهْلٌ للتّحيّة والسّلامَه .

قالت : فأنستَ بها ، فقلتُ : أذات خدين أنت أم ذاتَ بعلٍ؟ فقالت :

إذا رَقَــــدَ النّيـــامُ فــإنّ عَـمراً   هُــوَ القَمَــرُ المُنــيرُ المُسْتَنيــرُ .
ومــا لــي فــي التّبَعّــلِ مـن مرَاحٍ   ولــوْ رُدّ التّبَعّــلُ لــي أسيــرُ .

ثم سكت كأنها تسمع كلامي فأنشأتْ تقول :

---

(١) الفرزدق شاعر من شعراء العصر الأموي واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكنيته ابو فراس وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه ومعناها الرغيف ، ولد الفرزدق في كاظمة لبني تميم ، اشتهر بشعر المدح والفخر وشعر الهجاء .

تخيَّـــلَ لـــي ، أبـا كعب بن عمرو ، بأنَّـــك قـــد حُملـتَ على سريرِ .
فـــإن يـــكُ هكذا ، يا عمرو ، إنـــي مُبكِّـــرةٌ عليـــكَ إلـــى القبـــورِ .

ثم شهقت شهقةً فماتت . فقيل لي : هي عقيلة بنت النجاد بن النعمان بن المنذر ، وسألت عن عمرو فقيل لي : ابن عمها ، وكان مغرماً بها ، وهي كذلك ، فدخلت اليمامة ، فسألت عن عمرو ، فإذا به قد مات في ذلك اليوم من ذلك الوقت .

يتهدد بالهجر

أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أنشدنا طلحة الشاهد قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال : أنشدني إسحاق بن عمار لسلم الخاسر[1] :

وّلّمـــا رّأَى شَوْقـــي إلَيـــه وَحَسرَتـــي علَيه وأني لستُ أقوَى عَلى الهَجرِ .
تَهَدّدَنـــي بالهَجـــرِ حتـــى كَأنّـــمَا رَآنـــي مُـــدِلاً بالعَـــزَاءِ وبالصّبْرِ .

لا جسم ولا قلب

أخبر أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب بدمشق قال : أخبرنا أبو بكر عبد الله بن علي بن حيويه بن ابرك الهمذاني بها قال : أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي التميمي قال : حدثنا أحمد بن علي الناقد قال : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن جرير قال : قال أبو بكر محمد بن فرخان : لقيت غورك المجنون ، وفي عنقه حبل قصير ، والصبيان يقودونه ، فقال لي : يا أبا بكر! بِمَ يعذب الله أهل جهنم؟ قلت : بأشد العذاب . قال : صف لي ، قلت : ومن يصف عذاب رب العالمين؟ قال : أنا في أشد من عذابه ، ثم رفع ثوبه جسده ، فإذا هو ناحل الجسم دقيق العظم فقال لي :

انْظُـــرْ إلـــى مَـــا فَعَـــلَ الحُـــبُّ ، لـــم يَبـــقَ لـــي جِسمٌ ولا قَلْبُ .
أنحَـــلَ جسْمـــي حـــبُّ مَن لم يزَل مـــن شأنهـــا الهجَـــرانُ والعَتْبُ .
ما كـــان أَغنانـــيَ عـــن حـــبِّ مَن مِـــن دُونِهَـــا الأَسْتَـــارُ والحُجْبُ .

---

(١) سلم بن عمرو بن حماد الخاسر من شعراء العصر العباسي وأحد موالي الخليفة أبو بكر الصديق .

الحب أعظم من الجنون

أخبر أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا زكريا بن موسى قال : حدثني شعيب بن السكن عن يونس النحوي[1] قال :

لما خولط قيس بن الملوح وزال عقله وامتنع من الأكل والشرب صارت أمه إلى ليلى فقالت لها : إن ابني جن من أجلك ، وذهب حبك بعقله ، وقد امتنع من الطعام والشراب ، فإن رأيت أن تصيري معي إليه فلعله ، إذا رآك ، يسكن بعض ما يجد . فقالت لها : أما نهاراً فما يمكنني ذلك ، وإن علم أهل الماء لم آمنهم على نفسي ، ولكن سأصير إليه في الليل . فلما كان الليل صارت إليه ، وهو مطرق يهذي ، فقالت له : يا قيس! إن أمك تزعم أنك جننت على رأسي ، وأصابك ما أصابك؟ قال : فرفع رأسه فنظر إليها وتنفس الصعداء ، وأنشأ يقول :

قالَتْ جُننتَ على رأسي ، فقلتُ لها : الحُبّ أعظَمُ مّمّا بالمَجَانِينِ .
الحُبُّ لَيسَ يُفِيقُ الدّهرَ صاحِبُهُ ، وإنّما يُصْرَعُ المَجْنُونُ في الحِينِ .

مات على قبر حبيبته

أخبر أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرني الرياشي عن الأصمعي عن جبر بن حبيب قال : أقبلت من مكة أريد اليمامة فنزلت بحي من عامر ، فأكرموا مثواي ، فإذا فتىً حسن الهيئة قد جاءني ، فسلم علي ، فقال : أين يريد الراكب؟ قلت : اليمامة . قال : ومن أين أقبلت؟ قلت : من مكة . فجلس إلي ، فحادثني أحسن الحديث ثم قال لي : أتأذن في صحبتك إلى اليمامة؟ قلت : أحب خير مصحوبٍ ، فقام ، فما لبث أن جاء بناقة كأنها قلعة بيضاء ، وعليها أداة حسنةٌ ، فأناخها قريباً من مبيتي ، وتوسد ذراعها ، فلما هممت بالرحيل أيقظته فكأنه لم يكن نائماً ، فقام فأصلح رحله فركب وركبت ، فقصر علي يومي بصحبته ، وسهلت علي وعوث سفري ، فلما رأينا بياض قصور اليمامة تمثل :

(١) يونس بن حبيب النحوي هو أديب نحوي ، من أهل البصرة . هو يونس بن حبيب الضبي بالولاء ، أبو عبد الرحمن ، ويعرف بالنحوي . ولد ببلدة جبل بالعراق . أخذ عن حماد بن سلمة وأبو عمرو البصري والأخفش الأكبر .

وأعرَضَــت اليَمامَــةُ واشمَخَــرّتْ   كَأسْيَــاف بأيــدي مُصْلتينَـــا .

وهو في ذلك كله لا ينشدني إلا بيتاً معجباً في الهوى ، فلما قربنا من اليمامة مال عن الطريق إلى أبيات قريبة منا ، فقلت له : لعلك تحاول حاجةً في هذه الأبيات؟ قال : أجل! قلت : انطلق راشداً . فقال : هل أنت موف حق الصحبة؟ قلت : أفعل . قال : مل معي! فملت معه ، فلما رآه أهل الصرم ابتدروه ، وإذا فتيان لهم شارةٌ ، فأناخوا بنا وعقلوا ناقتينا ، وأظهروا السرور ، وأكثروا البر ، ورأيتهم أشد شيء له تعظيماً ، ثم قال : قوموا إن شئتم ، فقام ، وقمت لقيامه ، حتى إذا صرنا إلى قبر حديث التطيين ألقى نفسه عليه ، وأنشأ يقول :

لَئِــن مَنَعونــي فــي حَياتــي زيارَةً   أُحامــي بِها نفساً تَمَلّكَها الحبُّ .

فَــلَن يَمنعونــي أن أُجــاورَ لحدَهــا   فيَجمَــعَ جِسمَينَا التجاورُ والتُّرْبُ .

ثم أن أنات ، فمات . فأقمت مع الفتيان حتى احتفروا له ودفناه . فسألت عنه ، فقالوا : ابن سيدٍ هذا الحي ، وهذه ابنة عمه ، وهي إحدى نساء قومه ، وكان بها مغرماً ، فماتت منذ ثلاث ، فأقبل إليها وقد رأيت ما آل إليه أمره . فركبت وكأنني والله قد ثكلت حميماً .

قبور العشاق

قال بعضهم : أنشدت عبد الله بن المعتز[(١)] :

مَساكينُ أهلُ العشقِ ، حتى قبورُهــم   عَلَيهــا تُــرَابُ الــذلّ بينَ المَقابِرِ .

فقال لي : لعن الله صاحب هذا الشعر ، لا والله ما اذل الله تراب قبر عاشقٍ قط ، بل أجله وشرفه ونضره وحسنه .

قال ابن المعتز : ولي في هذا المعنى أملح من قول هذا لبارد ، وأنشدني لنفسه :

مرَرْتُ بِقَبــر مُشْــرِق وَسْطَ رَوْضَــة   عَلَيــه مــن الأنوارِ مثلُ الشّقائِقِ .

فَقُلتُ : لمَنْ هذا؟ فقالَ لــيَ الثّــرَى :   ترَحّــمْ عَلَيْــهِ إنّــهُ قبرُ عَاشِقِ .

(١) عبد الله بن المعتز بالله خليفة عباسي وكنيته أبو العباس ، ولد عام (٢٤٧ هـ ، ٨٦١م) ، في بغداد ، وكان أديبا وشاعرا ويسمى خليفة يوم وليلة ، حيث آلت الخلافة العباسية إليه ، ولقب بالمرتضي بالله ، ولم يلبث يوما واحدا حتى هجم عليه غلمان المقتدر وقتلوه في عام (٢٩٦ هـ ، ٩٠٩م) ، وأخذ الخلافة من بعده المقتدر بالله . رثاه الكثير من شعراء العرب .

تعلل ساعة

أبو محمد بن المغيرة الجوهري قال : حدثنا أحمد بن إسحاق الغطفاني قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثني سليمان بن عياش السعدي قال : حدثني أبي قال : سرت في بلاد بني عقيل أطلب ضالةً لي ، فرأيت فتاةً تدافع في مشيتها كتدافع الفرس السابق المختال . قال : فأسرعت المشي في إثرها ، حتى أدركتها ، وقد كادت تلج خباءها ، فاستوقفتها ، فوقفت ، فجعلت أسائلها ، وأكلمها ، والله ما يقع بصري على شيء منها إلا ألهاني عن غيره . قال : فصاحت بي عجوز : ما يوقفك على هذا الغزال النجدي ، فوالله ما تنال منه طائلاً . فقالت لها الفتاة : دعيه يا أمتاه يكون كما قال ذو الرمة :

فإنْ لم يَكُنْ إلاّ تَعَلّلُ سَاعَةٍ قَلِيلٌ فإن نَافِعٌ لي قَلِيلُهَا .

فتاة مراد وخطيبها البكري

أخبر أبو الحسن علي بن صالح بن علي الروذباري قال : أخبرنا أبو مسلم الكاتب في ما اجاز لنا قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم قال : أخبرنا أبو عبيدة قال : خطب رجل من بكر بن وائل إلى رجل من مراد ابنته فهم أن يزوجه ، فبينا الجارية يوماً تلعب مع الجواري ، إذ جاء الخاطب فقلن لها : هذا خاطبك؟ فقالت : ما رجل هو أحب إلي أن أكون قد رأيته منه . فلما رأته رأت رجلاً كبير السن قبيح الوجه ، فقالت : أوقد رضي أبي به؟ قلن : نعم! فدخلت البيت ، فاشتملت على السيف وشدت عليه ، فسبقها عدواً ، ونالته بضربةٍ ، فقال همام السلولي ، وهو يشبب بامرأة :

أخافُ بأنْ تجزي المُحبَّ كمَا جَزَتْ فتاةُ مُراد شَيخَ بَكرِ بن وائلِ .
فَلَوْ لم يَرُغْ رَوْغَ الحَيارَى تَفَتّحَتْ ذَوَائِبُه منْهَا بِأبْيَضَ قَاصِلِ .
ولا ذَنبَ للحَسنَاءِ لَمّا بدا لها ضعيفٌ كخيطِ الصّوفِ رِخوَ المفاصِلِ .

اللص والمرأة التي أحبها

أخبر أبو طاهر أحمد بن علي بن محمد السواق قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا أبو الحسين بن بيان الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أحمد بن زهير قال : حدثنا أبو سعيد الأشج قال : حدثنا ابن إدريس عن

الأعمش قال : كان في بني إسرائيل رجل لص يقال له برزين المناقيب ، فتاب وكان يحدث الناس عما مان فيه ، فقال : أعجبني امرأة في ناحية من نواحي الكوفة ، فأخذت سيفي وخرجت في السحر ، فلقيت بعير سقاء ، فضربت عنقه ، ثم توجهت نحوها فتسورت عليها ، فعالجتها ، فلم أقدر عليها ، وامتنعت أن تدخل معي في الحرام ، فجمعت يدي في السيف ثم ضربت به وسط رأسها ثم انصرفت ، فقلت : لأنظرن إلى أثر سيفي .

فعدت إلى موضع البعير فإذا البعير ورأسه ناحيةً ، ثم أتيتها بعد لأعلم الخبر ، فإذا هي وسط النساء تحدث وتقول : والله لو ضرب رأسي ، ما أخطأ منه شعرة .

أبو دهبل[(١)] والمرأة الشامية

خرج أبو دهبل الجمحي يريد الغزو وكان رجلاً جميلاً صالحاً ، فلما كان يجيرون جاءته امرأة فأعطته كتاباً ، فقالت له : اقرأ هذا! فقرأه لها ، ثم ذهبت ، فدخلت قصراً ، ثم خرجت إليه ، فقالت له : لو بلغت معي إلى هذا القصر فقرأت الكتاب على امرأة فيه كان لك أجر ، إن شاء الله . فبلغ معها القصر ، فلما حتى يعود إليها ، وأعطته مالاً كثيراً ، فخرج من عندها بذلك المال حتى قدم على أهله ، فرأى زوجته وما صارت إليه من الحزن ، ونظر إلى ولده ممن اقتسم ماله ، وجاؤوه فقال : ما بيني وبينكم عمل! أنتم ورثتموني وأنا حي ، فهو حظكم ، والله لا يشرك زوجتي أحد فيما قدمت به . وقال لزوجته : شأنك بهذا المال فهو كله لك ، ولست أجهل ما كان من وفائك ، وأقام معها وقال في الشامية :

صـاحِ! حَـيِّ الإلـهُ حَيّـاً وَدُوداً   عنـدَ أصْـلِ القَنَاة من جَيْرُونِ .
فبِتِلـكَ اغتَرَبْـتُ بالشّـام حتـى   ظَـنّ أهلـي مرَجَّمَـاتِ الظّنونِ .
وَهْـيَ زَهـرَاءُ مثـلُ لؤلـؤةِ الغَـوّ   صِ مِيـزَتْ مِـن لؤلـؤٍ مَكنونِ .

---

(١) أبو دهبل الجمحي شاعر أموي ، اسمه أبو دهبل وهب بن زمعة بن أسد بن جمح بن لؤي بن غالب القريشي ، أحد شعراء قريش وأحد الشعراء العشاق المشهورين من أهل مكة ، له مدائح في معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن الزبير ، وله أخبار كثيرة مع عمرة الجمحية وعاتكة بنت معاوية ، في شعره رقة وجزالة ، وله ديوان شعر مطبوع من رواية الزبير بن بكار ، ولاه عبد الله بن الزبير بعض أعمال اليمن جنوب الجزيرة العربية ، وتوفي بعليب وهو موضع في تهامة .

وفي هذه القصيدة يقول أبو دهبل :

ثــمّ فارَقتُهــا علــى خيــرِ مــا كا　　　نَ قريـــنٌ مقارنـــاً لقَريــــنِ .

وبكَـــتْ خشيـــةَ التفـــرّق وَالبَيْـــ　　　ن بكــاءَ الحزيـــنِ نحــوَ الحزينِ .

فاسألــي عَــنْ تَذَكّــرِي واكتئابــي　　　جُــلَّ أهلــي إذا هــمُ عذلونــي .

دخل ، إذا فيه جوار كثيرة ، فأغلقن عليه باب القصر ، فإذا امرأة جميلة قد أتته فدعته إلى نفسها ، فأبى ، فأمرت به فحبس في بيت من القصر ، وأطعم وسقي قليلاً قليلاً حتى ضعف وكاد يموت ، ثم دعته إلى نفسها ، فقال : أما في الحرام فلا يكون ذلك أبداً ، ولكن أتزوجك . قالت : نعم! فتزوجها ، وأمرت به فأحسن إليه حتى رجعت نفسه إليه ، فأقام معها زماناً طويلاً لم تدعه يخرج من القصر ، حتى يئس منه أهله وولده ، وزوج أولاده بناته واقتسموا ميراثه .

وأقامت زوجته تبكي ، ولم تقاسمهم ماله ، ولا أخذت من ميراثه شيئاً ، وجاءها الخطاب ، فأبت واقامت على الحزن والبكاء عليه ، قال : فقال أبو دهبل لامرأته يوماً : إنك قد أثمت فيّ وفي ولدي ، فأذني لي أن أخرج إليهم ، وأرجع إليك . فأخذت عليه أيماناً ألا يقيم إلا سنةً حتى يعود إليها ، وأعطته مالاً كثيراً ، فخرج من عندها بذلك المال حتى قدم على أهله ، فرأى زوجته وما صارت إليه من الحزن ، ونظر إلى ولده ممن اقتسم ماله ، وجاؤوه فقال : ما بيني وبينكم عمل! أنتم ورثتموني وأنا حي ، فهو حظكم ، والله لا يشرك زوجتي أحد في ما قدمت به . وقال لزوجته : شأنك بهذا المال فهو كله لك ، ولست أجهل ما كان من وفائك ، وأقام معها وقال في الشامية :

صــاح! حَــيَّ الإلــهُ حَيّــاً وَدُوداً　　　عنــدَ أصْــلِ القَنَـاة من جَيرُونِ .

فبتلــكَ اغترَبْــتُ بالشّــام حــتى　　　ظَــنّ أهلــي مرَجَّمــات الظّنونِ .

وَهــيَ زَهــرَاءُ مثــلُ لؤلــؤةِ الغَــوّ　　　صِ ميــزَتْ مِــن لؤلــؤٍ مَكنونِ .

وفي هذه القصيدة يقول أبو دهبل :

ثــمّ فارَقتُهــا علــى خيــرِ مــا كا　　　نَ قريـــنٌ مقارنـــاً لقَريــــنِ .

وبكَـــتْ خشيـــةَ التفـــرّق وَالبَيْـــ　　　ن بكــاءَ الحزيـــنِ نحــوَ الحزينِ .

فاسألــي عَــنْ تَذَكّــرِي واكتئابــي　　　جُــلَّ أهلــي إذا هــمُ عذلونــي .

فلما جاء الأجل أراد الخروج إليها ففاجأه موتها ، فأقام .

إياس وابنة عمه صفوة

أخبر أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العابس بن حيويه الخزاز قراءة عليه قال : أخبرنا محمد بن خلف إجازة قال : حدثنا قاسم بن الحسن قال : حدثنا العمري قال : أخبرني الهيثم بن عدي أن إياس بن مرة بن مصعب القيسي كان له أخ يقال له فهر ، وكانا ينزلان الحيرة ، وأن فهراً ارتحل بأهله وولده ، فنزل بأرض السراة ، وأقام مرة بالحيرة ، وكانت عند مرة امرأة من بكر بن وائل ، فلبثت معه زماناً لم يرزق منها ولداً ، حتى يئس من ذلك . ثم أتي في منامه ، ليلةً من ذلك ، فقيل له : إنك إن باشرت زوجتك من ليلتك هذه رأيت سروراً وغبطةً ، فانتبه ، فباشرها فحملت فلم يزل مسروراً إلى أن تمت أيامها ، فولدت له غلاماً ، فسماه إياساً ، لنه كان آيساً منه ، فنشأ الغلام منشأً حسناً .

فلما ترعرع ضمه أبوه إليه ، وأشركه في أمره ، وكان إذا سافر أخرجه معه لقلة صبره عنه ، فقال له أبوه يوماً : يا بني ، قد كبرت سني ، وكنت أرجوك لمثل هذا اليوم ، ولي إلى عمك حاجة ، فأحب أن تشخص فيها . فقال له إياس : نعم يا أبه ، ولي إلى عمك حاجة ، فأحب فأنا لحاجتك . فأعلمه الحاجة ، فخرج متوجهاً حتى أتى عمه ، فعظم سروره به وسأله عن سبب قدومه ، وما الحاجة فأخبره بها ، ووعده بقضائها ، فأقام عند عمه أياماً ، ينتظر فيها قضاء الحاجة .

وكان لعمه بنت يقال لها صفوة ، ذات جمال وعقل ، فبينا هو ذات يوم جالس بفناء دارهم ، إذ بدت له صفوة زائرة بعض أخواتها وهي تهادى بين جوار لها ، فنظر إليها إياس نظرة أورثت قلبه حسرة ، وظل نهاره ساهياً ، وبات وقد اعتكرت عليه الأحزان ، ينتظر الصباح ، يرجو أن يكون فيه النجاح ، فلما بدا له الصبح خرج في طلبها ينتظر رجوعها ، فلم يلبث أن بدت له ، فلما نظرت إليه تنكرت ثم مضت فأسرعت ، فمر يسعى خلفها ، يأمل منها نظرة ، فلم يصل إليها ، وفاتته فانصرف إلى منزله ، وقد تضاعف عليه الحزن واشتد الوجد ، فلبث أياماً ، وهو على حاله ، إلى أن أعقبه ذلك مرضاً أضناه وأنحل جسمه ، وظل صريعاً على الفراش .

فلما طال به سقمه وتخوف على نفسه بعث إلى عمه لينظر إليه ويوصيه بما يريد ، فلما رآه عمه ونظر إلى ما به سبقته العبرة إشفاقاً عليه ، فقال له إياس : كف ، جعلت فداك يا عم ، فق أفرحت قلبي . فكف عن بعض بكائه ، فشكا إليه إياس ما يجد من العلة . فقال له : عز ، والله ، علي يا ابن أخي ، ولن أدع حيلةً في طلب

الشفاء لك . فانصرف إلى منزله ، وأرسل إلى مولاةٍ له كانت ذات عقل فأوصاها به ، وبالتعاهد له ، والقيام عليه .

فلما دخلت المولاة عليه فتأملته علمت أن الذي به عشق ، فقعدت عند رأسه ، فأجرت ذكر صفوة لتستيقن ما عنده ، فلما سمع ذكرها زفر زفرةً ، فقالت المرأة : والله ما زفر إلا من هوىً داخله ولا أظنه إلا عاشقاً . فأقبلت عليه كالممازحة له فقالت له : حتى متى تبلي جسمك ، فوالله ما أظن الذي بك إلا هوى . فقال لها إياس : يا أمه ، لقد ظننت بي ظن سوء ، فكفي عن مزاحك . فقالت : إنك والله لن تبديه إلى أحد هو أكتم له من قلبي . فلم تزل تعطيه المواثيق وتقسم عليه إلى أن قالت له : بحق صفوةّ فقال لها : لقد أقسمت علي بحق عظيم لو سألتني به روحي لدفعتها إليك ، ثم قال : والله يا أمه ما أعظم دائي إلا بالاسم الذي أقسمت علي بحقه ، فالله الله في كتمانه وطلب وجه الحيلة فيه .

فقالت : أما إذ أطلعتني عليه ، فسأبلغ فيه رضاك ، إن شاء الله ، فسر بذلك ، وأرسل معها بالسلام إلى صفوة . فلما دخلت عليها ابتدأتها صفوة بالمسألة عن الذي بلغها من مرضه وشدة حاله ، فاستبشرت المولاة بذلك ، ثم قالت : يا صفوة ما حالة من يبيت الليل ساهراً محزوناً يرعى النجوم ويتمنى الموت؟ فقالت صفوة : ما أظن هذا على ما ذكرت بباق ، وما أسرع منه الفراق .

ثم أقبلت عى المولاًة فقالت : إني أريد أن أسألك عن شيء فبحقي عليك لما أوضحته . فقالت : وحقك إن عرفته لا كتمتك منه شيئاً .

قالت : فهل أرسلك إياس إلى أحد من أهل وده في حاجة؟ فقالت المولاة : والله لأصدقنك ، والله ما جل دائه وعظم بلائه إلا بك ، وما أرسلني بالسلام إلا إليك ، فأجيبيه إن شئت ، أو دعي . فقالت : لا شفاه الله ، والله لولا ما أوجب من حقك لأسأت إليك ، وزجرتها ، فخرجت من عندها كئيبة ، فأتته فأعلمته فازداد على ما كان به من مرضه ، وأنشأ يقول :

كتمتُ الهوَى حتى إذا شبّ واستوَتْ قُوَاه ، أشاعَ الدّمعُ ما كنتُ أكتُمُ .
فَلَمّا رأيتُ الدّمعَ قد أعلنَ الهوَى خَلَعتُ عِذاري فِيه ، والخَلعُ أسلَمُ .
فيا وَيحَ نفسي كيف صَبري على الهوَى وقلبي وروحي عندَ مَن ليسَ يَرْحَمُ .

قال : ثم إن عمه دخل عليه ليعرف خبره ، فقال له : يا عم ، إلي مخبرك بشيء لم أخبرك به حتى برح الخفاء ولم أطق له محملاً ، فأخبره الخبر ، فزوجه فأفاق وبرأ من علته .

العشاق الأعفاء

قال وأنشدنا إبراهيم بن محمد بن عرفة[1] لنفسه :

كــم قــد ظفِرْتُ بمَن أهوَى فيمنَعُني ... منــهُ الحَيــاءُ وخوْفُ الله والحَذَرُ .
وكــم خَلَــوْتُ بمَــن أهوَى فَيُقنِعُني ... منــه الفُكاهَةُ والتّحديثُ والنَّظَرُ .
كذلــك الحــب لا إتيــان معصيةٍ ، ... لا خير في لذةٍ من بعدها سقــر .

وللعطوي من أبيات :

إن أكــنْ عاشِقــاً فإنــي عفيفُ اللـ ... حْــظِ واللفـظِ عن ركوبِ الحَرَام .

وقال البغدادي : كنت ماراً بين تيماء ووادي القرى ، وأظنه في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ، صادراً من مكة ، فرأيت صخرةً عظيمةً ملساء فيها تربيع بقدر ما يجلس عليها النفر كالدكة ، فقال بعض من كان معنا من العرب ، وأظنه جهيناً : هذا مجلس جميلٍ وبثينة فاعرفه .

لقاء في الجنة

أخبر أحمد بن علي بن محمد السواق قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا عبد الله بن عبيد قال : حدثني محمد بن الحسين في إسناد لا أحفظه قال : علق فتىً من الحي بنت عم له ، فخطبها إلى أبيها ، فرغب بها عنه ، فبلغ ذلك الجارية ، فأرسلت إليه : قد بلغني حبك إياي ، وقد أحببتك لذلك لا لغيره ، فغن شئت خرجت إليك بغير علم أهلي ، وإن شئت سهلت لك المجيء . فأرسل إليها : كل ذلك لا حاجة لي فيه ، إني أخاف أن يلقيني حبك في نار لا تطفأ وعذاب لا ينقطع أبدا . فلما جاءها الرسول بكت ، ثم قالت : لا أراك راهباً ، والله ، ما أحد أولى بهذا الأمر من أحد ، إن الخلق في الوعد والوعيد مشتركون . قال : فتدرعت الشعر وأقبلت على العبادة ، فكبر ذلك على أهلها وعلى أبيها ، فلم تزل تتعبد حتى ماتت . فكان الفتى

(١) هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة العَتَكيّ الأزديّ . إمام حافظ ، إمام من أئمة النحو ، فقيه ظاهري . ولد في (٢٤٤ هـ ـ ٨٥٨م) ، وتوفي في (٣٢٣ هـ ـ ٩٣٥م) ، لقب (نفطويه) تشبيهها له بالنفط ، لدمامته وأدمته ، وزيد مقطع (ويه) ، لأنه كان يجري على طريقة سيبويه في النحو . ولد بمدينة واسط في العراق ، وسكن بغداد ومات فيها .

يأتي قبرها كل ليلة ، فيدعوه لها ويستغفر وينصرف . فأخبرنا أنه رآها في المنام فقال لها : فلانة؟ قالت : نعم ، ثم قالت :

نعم المحبة ، يا سؤلي ، محبتكم ، حب يجر إلى خير
إلى نَعيم وعَيش لا زَوَالَ لَه ، في جنّة الخلدِ خلد ليسَ بالفاني .

قال : فقلتُ لها : أيتها الحبيبة ، أفتذكرينني هنا؟ قال : فقالتْ : والله إني لأتمناك على مولاي ومولاك ، فأعني على نفسك بطاعته ، فلعله يجمع بيني وبينك في داره ، ثم ولت ، فقتل لها : متى أراك؟ قلت : تراني قريباً إن شاء الله . قال : فلم يلبث الفتى بعد هذه الرؤيا إلا قليلاً حتى مات فدفن إلى جانبها .

لم يفوا ولم يرحموا

أخبر أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني قال : أخبرنا الأستاذ أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المذكر قال : سمعت أبا الفوارس بن حنيف بن أحمد بن حنيف الطبري قال : سمعت أبا الحسن العيشي المؤدب يقول : انحدرت من بالس أريد العراق ، فدخلت الموصل ، فأقمت بها أياماً ، فبينا أنا مار في بعض أزقتها ، إذا صياح وجلبةٌ ، فسألت عنها فقيل : ههنا دار المجانين ، وهذا صوت بعضهم ، فدخلت ، فإذا شاب مشدود متشحط في الدم ، فسلمت ، فرد السلام ، وقال : من أين؟ تجيء قلت : من بالس . قال : وأين تريد؟ قلت : العراق . فقال : أتعرف بني فلان؟ وأشار إلى أهل بيت . قلت : نعم . قال : لا صنع الله لهم ولا خار لهم ، هم الذين أدهشوني وتيموني وأحلوني هذا المحل . قلت : وما فعلوا؟ قال :

زَمّوا المَطايا واستَقَلّوا ضُحىً ولم يُبالوا قلبَ مَن تَيّمُوا .
ما ضَرّهُم ، واللهُ يرْعاهُمُ ، لَوْ وَدّعُوا بالطَّرْفِ أوْ سَلّموا .
ما زِلتُ أذري الدمعَ في إثرِهم ، حتى جرَى من بَعدِ دمعي دمُ .
ما أنصَفوني ، يوْمَ بانوا ضُحىً ، ولم يفُوا عَهدي ولم يَرْحَمُوا .

الأسود المتيم بالله

أخبر أبو الحسن علي ن محمود الزوزني شيخ الرباط قال : سمعت محمد بن محمد بن ثوابه يقول : حكي لي عن الشبلي أنه دخل إلى مارستان ، فإذا هو بأسود ، إحدى يديه مغلولة إلى عنقه ، والأخرى إلى سارية ، وهو مقيد بقيدين . قال : فلما

رآني قال لي : يا أبا بكر قل لربك أما كفاك أن تيمني بحبك حتى قيدتني؟ ثم أنشأ يقول :

على بُعـدكَ لا يصْـبِـرُ مَن عـادَتُهُ القـربُ .
وعن قُـرْبكَ لا يصْـبـرُ من تيّـمـه الحُبّ .
فـإن لم تَرَكَ العَـيْنُ فـقـد أبصـرَكَ القلبُ .

قال : فزعق الشبلي ، وأغمي عليه ، فلما أفاق رأى الغل مطروحاً والقيد والأسود مفقودين .

لابسة السواد

حدث أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني أبو صالح الأزدي قال : حدثني محمد بن الحسين قال : أخبرني محمد بن سماعة القرشي قال : آخر من مات من العشق علي بن أديم مولى الجعفي ، وكان خرازاً ، مر بكتاب بالكوفة في بني عبس ، فرأى جاريةً يقال لها منهلة ، فعشقها ، وكان رآها في سواد ، فقال :

إنـي لِمـا يَعتَادنـي ... مـن حبّ لابسَة السوادِ .
فـي فتنَـة وَبَليّـة ... مـا إن يُطيقـها فُـؤادي .
فَبَقِيـتُ لا دُنْيًـا أنـا ... لُ وَفاتنـي طَلَـبُ المَعادِ .

قال : وأصابه عليها شبيه الجنون ، فجمع أبوه التجار ، فتحمل بهم على العبسية مولاة الجارية ، وأعطاها مالاً كثيراً ، فأبت ، فخرج الفتى إلى أم جعفر ، فكتب إليها قصةً يخبرها فيها بخبره وحاله ، فأمرت أن تشترى له ، فبينا هو يتنحز ذلك إذ خرجت جارية من القصر فقالت : أين هذا العاشق؟ فأومأ لها إليه ، فقالت : أنت عاشق وبينك وبين من تحب الجسور والمفوز والقناطر ، ولا تدري ما يكون؟ قال : صدقت ، وقام من مجلسه مبادراً ، فاكترى بغلاً ، فمات يوم دخوله الكوفة .

الزوجة الفارك[1]

أخبر أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري إجازة قال : حدثنا أبو عمر

(١) الفارك من النساء : التي تبغض زوجها .

بن حيويه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان[1] قال : حدثني عبد الله بن المهاجر قال : حدثني محمد بن يزيد قال : تزوج رجل امرأةً من أهل الكوفة ، وكانت ذات جمال وظرف ، فكانت تجيء وتذهب وتتمثل بهذا البيت :

سَتَنْـــدَمُ حـــينَ تَفقدِنُـــي وَتَطْلُبُنُـــي فَـــلا تَجِـــدُ .

قال : فكان الزوج يتطير من قولها : ويقول : تعدني بالذهاب ، قال : وكان لها محباً ، قال : فأصبح ذات يوم يطلبها ، فلم يقدر عليها حتى الساعة

كمون الحب في الحشا

أخبر أبو الحسين أحمد بن علي الوكيل قال : حدثنا الحسن بن حسين بن حكمان قال : حدثنا أبو الفتح البصري قال : حدثنا إبراهيم بن محمد الصوفي قال : حدثنا أبو العباس بن عطاء قال : حكي لنا عن الأصمعي قال : دخلت بعض أحياء العرب فإذا بقوم شحبٍ ألوانهم ، فقلت في نفسي : إن هؤلاء قد وقعوا على داء ، فأنا أخرج من بينهم .

قال : فذهبت لأخرج فإذا بعضهم يقول لي : إلى أين ، يا أخا العرب؟ فقلت : أطلب لدائكم دواءً . فقال : ارجع ، عافاك الله ، فإنا قوم ليس لدائنا دواء ، نحن قوم فشت في قلوبنا محبة الله ، فتغيرت ألواننا . قال الأصمعي : فأعجبني ما سمعت لأنني ما سمعت مثله قط . قال : فرجعت إلى الحي ، ولم أزل أور فرأيت خباء شعر منفرداً عن البيوت ، فقصدته ، فاطلعت فيه ، فإذا أنا بفتىً حسن الوجه في عنقه سلسلة مشدودة سكة في الأرض ، قال : فهالني ما رأيت منه ، فقلت : يا فتى ما شأنك؟ فقال : يا ابن عمي! يقولون إني مجنون! فقلت : أهو كما يقولون؟ فقال لي : لا والله ما أنا بمجنون ، ولكني بحب الله مفتون .

قال : قلت فصف لي الحب! فقال : إليك عني ، يا أخل العرب ، جل عن أن يحد ، وخفي أن يرى ، كمن في الحشا كمون النار في الحجر ، إن قدحته أورى ، وإن تركته توارى ، ثم صفق وأنشأ يقول :

أأنْتَ الذي أصْفَيـــتَ منـــكَ مـــوَدّةً قلائِعُهـــا في ساحَةِ القلبِ تُغرَسُ .

---

(١) ابن المرزبان الإمام العلامة الأخباري أبو بكر ، محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام المحولي البغدادي الآجري ، صاحب التصانيف .

وإن كان لي من فَقد قلبي موحــشٌ ، فقد ظلّ لي من فكرَتي فيك مؤنـسُ .
أناجِيكَ بالإضْمــارِ حتــى كَأنّنــي أرَاك بعينَيْ فكرَتي ، حينَ أجلِسُ .

العينان القاتلتان

أخبر أبو الحسين أحمد بن علي قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد الجرادي قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن سهل لبعض المحدثين :

يا ذا الــذي فــي الحــبّ يَلحى أما واللــه لَــوْ حُمّلْــتَ منــي كمَا ،
حُمّلــتُ مــن حُــبٍّ بديــع لَمــا لُمــتَ علــى الحــبِّ فدَعني وما ،
ألقــى فإنــي لَســتُ أدري بِمَــا قُتلــتُ ، إلاّ أنّنــي بَينَمَــا ،
أنــا بِبَــابِ الــدارِ فــي بعــضِ ما أطّلُــبُ مــن دارهــم إذ رَمَــى ،
ظَبــيٌ فــؤادي بِسهــام ، فَــمَا أخطــأ سَهْمَــاهُ وَلكنّمَــا ،
سَهْمَــاهُ عَينَــاهُ التــي كُلّمَــا أرادَ قَتلــي بهــما سَلّمَــا .

ذو الرمة[1] وميّ[2]

أبو طالب محمد بن علي البيضاوي بقراءتي عليه من أصل أبي بكر بن شاذان ، وفيه سماعه ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : قرأ على أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه .

قال ذو الرمة :

عَدَتنــي العــوَادي عنكِ يا ميُّ بُرْهَةً وقــد يَلتَوي دونَ الحبِيبِ فيَهجُر .

---

(١) ذُو الرُمَّة هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي ، كنيته أبو الحارث وذو الرّمّة . شاعر عربي من الرباب من تميم ، من شعراء العصر الأموي ، من فحول الطبقة الثانية في عصره . ولد سنة ٧٧ هـ/٦٩٦م ، وتوفي بأصفهان (وقيل بالبادية) سنة ١١٧ هـ/٧٣٥م وهو في سن الأربعين . وإنما قيل له ذو الرمة لقوله في الوتد -أشعث باقي رمة التقليد- ، والرُمَّة ، بضم الراء ، الحبل البالي . كان قصيرًا دميمًا ، يضرب لونه إلى السواد ، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال . كان ذو الرمة أحد عشاق العرب المشهورين ، إذ كان كثير التشبيب بمية ، وهي مية بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقرية ، وكانت فاتنة الجمال .

(٢) مية بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقرية التميميه .

عَلى أنّني في كُــلّ سَيــر أسيــرُهُ ، وفي نَظَري مِنْ نحو أرْضِك أصْدُرُ .
فَمَــا تُحــدِثُ الأيّامُ يا مــيُّ بَينَــنَا فــلا نأثُــرَنْ ســرّاً ولَا تَتَغَيّــر .

وعن أبي جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة قال : أنبانا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال : حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال : حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن محمد بن زياد الأعرابي .

قال : حدثني أبو صالح الفزاري قال : ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الأعراب ، فقال عصمة بن مالك الفزاري شيخ منهم ، بلغ مائة وعشرين سنة : إياي فسلوا عنه! كان حلو العينين ، حسن المضحك ، براق الثنايا ، خفيف العارضين ، إذا نازعك الكلام لا تسأم حديثه ، وإذا أنشد أبر وحسن صوته .

جمعني وإياه مربع مرةً ، فأتاني فقال : هيا عصمة! إن ميا منقرية ، ومنفر أخبث حي وأقوفه لأثر ، وأثبته في نظر ، وأعلمه ببصر ، وقد عرفوا آثار إبلي ، فهل نزداد عليها مياً؟ قال : إي والله ، الجؤذر بنت يمانية . قال : فعلينا بها! فجئت بها ، فركب وردفته ، ثم انطلقنا حتى نهبط على مي ، وإذا الحي خلوف ، فلما راتنا النسوة عرفن ذا الرمة ، فتقوضن من بيوتهن حتى اجتمعن ، وأنخنا قريباً ، وجئناهن ، وجلسنا ، فقالت ظريفة منهن : أنشدنا يا ذا الرمة ، فقال لي : أنشدهن ، فأنشدت قوله :

وَقَفْــتُ علــى رَبْــع لَمِيّــةَ ناقَتــي ، فمــا زِالتُ أبكي عنده ، وَأُخاطبُه .

فلمّا انتَهَيتُ إلى قوله :

نَظَــرْتُ إلــى أظْعَــان مَــيّ كَأنّهـا ذُرَى النّخــلِ ، أوْ أثلُ تميلُ ذَوَائبُهْ .
فَأسْبَلَــت العَيْنــان وَالقَلْــبُ كَاتِــمُ بمُغْــرَوْرق نَمّتْ علــي سَوَاكِبُهْ .
بَكَى وَامِقٌ ، جَاءَ الفِرَاقُ ، وَلم يُجِــل جَوَائِلَهَــا ، أسْــرَارُهُ أوْ مَعَاتِبُــه .

قالت الظريفة : لكن اليوم فليجل ، ثم مضيت . فلما انتهيت إلى قوله :

وَقَــدْ حَلَفــت باللــه مَيّــةُ مَا الّذي أحَادثُهَــا إلاّ الّــذي أنَا كَاذبُــهْ .
إذَنْ ، فَرَمَاني اللهُ مِنْ حَيــثُ لا أرَى ، وَلا زَالَ فــي أرضِي عَدُوٌّ أُحَارِبُهْ .

قالت مي : ويحك يا ذا الرمة خف عواقب الله ، عز وجل ، ثم مضيت حتى انتهيت إلى قوله :

إذَا سَرَحَتْ من حُبّ مَــيّ سَــوَارِحٌ عَلــى القَلْبِ آتَتْهُ جَميعاً عَوَازِبُهْ .

فقالت الظريفة : قتلته قتلك الله! فقالت مية : ما أصحه وهنيئاً له .

قال : فتنفس ذو الرمة تنفسةً كاد حرها يطير بلحيته ، ثم مضت حتى انتهيت على قوله :

إذا نَازَعَتكَ القَوْلَ ميّةُ أوْ بَدَا لك الوَجهُ منها أوْ نضَا الدِّرْعَ سالبُهْ .
فَيَا لكَ مِنْ خَدٍّ أسيلٍ وَمَنْطِقٍ رَخِيم وَمِنْ خُلْق تَعَلّلَ جَاذبُهْ .

فقالت الظريفة : هذا الوجه قد بدا ، وهذا القول قد تنوزع ، فمن لنابأن ينضو الدرع سالبه؟ فالتفتت إليها مي فقالت : ما لك ، قاتلك الله ، ماذا تجنين به؟ فتضاحكت النسوة ، فقالت الظريفة : إن لهذين لشأناً ، فقم بنا عنهما ، فقمن ، وقمت فصرت إلى بيت قريب منهما أراهما ، ولا أسمع كلامهما إلا الحرف بعد الحرف ، فوالله ما رأيته برح مكانه ، ولا تحرك . وسمعتها تقول : كذبت والله ، فوالله ما أدري ما الذي كذبته فيه ، فتحدثا ساعةً ، ثم جاءني ومعه قويريرة فيها دهن طيب ، فقال : هذه دهنة أتحفتنا بها مي ، فشأنك بها . وهذه قلائد زودتنا للجؤذر ، فلا واللخ لا قلدتهن بعيراً أبداً . ثم عقدهن في ذؤابة سيفه .

قال : فانصرفنا ، فلم نزل نختلف إليها ، مربعنا ، حتى انقضى . ثم جاءني يوماً فقال : يا عصمة! قد ظعنت مي ، فلم يبق إلا الديار ، والنظر في الآثار ، فانهض بنا ننظر إلى آثارها ، فخرجنا حتى وقفنا على ديارها ، فجعل ينظر ثم قال :

ألا ، فَاْسلَمي يا دَارَ مَيّ عَلى البِلى ، وَلا زَالَ مُنْهَلاً بجرْعائك القَطْرُ .
فإنْ لم تَكُوني غيرَ شَام بقَفْرَةٍ ، يَجُرّ بهَا الأذْيَالَ صَيفيّةٌ كُدْرُ .

ثم انتضحت عيناه بعبرة ، فقلت : مهٍ! فقال : غني لجلد ، وإن كان مني ما ترى ، فما رأيت صبابةً قط ، ولا تجلّداً أحسن من صبابته وتجلده يومئذ ، ثم انصرفنا ، فكان آخر العهد به .

مجنون المربد

أبو القاسم علي بن المحسن قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال : حدثنا أبو بكر خلف قال : حدثني محمد بن الفضل قال : حدثني بعض أهل الأدب عن محمد بن أبي نصر الأزدي قال : رأيت بالبصرة مجنوناً قاعداً على ظهر الطريق بالمربد ، فكلما مر به ركب قال :

ألا أيّها الرّكبُ اليَمانون عَرّجوا علينا ، فقَد أمسى هَوَانا يَمانيا .
نُسائِلكُم : هل سالَ نَعمانُ بعدَنا فَحَبَّ إلَينَا بطنُ نَعمانَ وَادِيا .

قال : فسألت عنه فقيل : هذا رجل من أهل البصرة ، كانت له ابنة عم ، وكان يحبها فتزوجها رجل من أهل الطائف فنقلها ، فتوله عليها .

حبذا ذاك الظلوم

للمؤمل[1] :

أقاتلتي هندُ ، وَقَتْلي مُحَرَّمُ ، أما فيكُمُ يا أيّها الناسُ مُسلمُ .
يُظَلِّمُها في ما تُريدُ بعاشقٍ ، ألا حبّذا ذاكَ الظَّلومُ المُظَلَّمُ .
لقد زَعموا لي أنّها نذرَتْ دَمي ، وما لي بحمَد الله لحمٌ ولا دَمُ .
بَرَى حُبُّها لحمي ، ولم يُبْقِ لي دَماً ، وإن زعَمَتْ أنّيَ صَحيحٌ مُسَلَّمُ .
سَتَقتُلُ جلداً بالياً فوْقَ أعظُم ، وَليسَ يبالي القتلَ جلدٌ وأعظُمُ .
فلَمْ أرَ مثلَ الحُبِّ صَحّ قرينُهُ ، ولا مثلَ مَن لم يدرِ ما الحبّ يُسقِمُ .
أآذنةٌ لي أنتِ في ذكرِ حاجَة ، ألا طالما قد كنتُ عنها أُجَمجِمُ .
غدَرْتُم ، وَلم نغدرْ ، وقلتُم : غَدرْتمُ ، تظُنّونَ أنّا منكمُ نَتَعَلّمُ .
قطعنا ، زَعمتُم ، والقطيعَةُ منكُمُ ، زَعمنا ، وأنتُم تزعُمُونَ ونزعُمُ .
فإن شئتُمُ كان اجتماعاً ، فقلتُمُ وقلنا ، فإنّ القوْلَ للقوْلِ سُلَّمُ .
وإلاّ فإنّا قد رَضينا بحُكمكُم على كل حال فاتقوا الله واحكُموا .
فوَالله ما أجرَمتُ جُرْماً علمتُهُ ، فإن سرّكمْ جُرْمي ، فها أنا مجْرِمُ .
وعاقَبْتُموني في السّلام عَلَيْكُمُ ، ولم يكُ لي ذنبٌ سوى ذاك يُعلَمُ .
فإن تمنَعوا مني السلاَمَ ، فإنّني لَغاد على حِيطانِكم فَمُسَلِّمُ .

أجساد بغير قلوب

أنشد العكلي عن أبيه لداود بن سلم التميمي :

ما ذَرّ قَرْنُ الشّمْسِ إلاّ ذَكرْتُها ، وَيذكرِنيها ما دَنَتْ لغُرُوبِ .
واذكُرُها ما بينَ ذاكَ وَبعدَهُ ، وبالليلِ أحلامي ، وَعندَ هُبُوبِ .

---

(١) المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي . شاعر من أهل الكوفة ، أدرك العصر الأموي ، واشتهر في العصر العباسي ، وكان فيه من رجال الجيش . وانقطع إلى المهدي قبل خلافته وبعدها ، وهو صاحب الأبيات التي أولها : إذا مرضنا أَتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر عمي في أواخر عمره .

وَبُلِّيتُهـا شوْقـاً ، وَبَلاّنِـيَ الهَـوَى ، وأعيا الذي بي طِبَّ كلّ طبيـبِ .
وأعجـبُ أنّـي لا أمـوتُ صَبَابَـةً ، وما كمَدٌ منْ عَاشـق بعَجيـبِ .
وكـم لامَ فيـها مـن مُؤدّ نصيحَةً ، فقلتُ له : أَقصِرْ ، فغيرُ مُصيـبِ .
أتَأْمُـرُ إنْسانـاً بفُرْقَـة قَلْبِـه؟ أتُصْلِـحُ أجسـاداً بغَـيْرِ قُلُوبِ؟
وكُلُّ محِـبٍّ قد سـلا ، غيرَ أنّنـي غريبٌ! ألا يا ويحَ كـلِّ غريـبِ .

عبد الله بن جعفر وجاريته

نظر عبد الله بن جعفر[١] إلى جارية له كان يحبها حباً شديداً وهي تلاحظ مولاه فسألها : بالله هل تحبين فلاناً؟ فقالت : أعيذك بالله يا سيدي! قال فسألها : بالله لا تكتميني ذلك! فسكتت فأعتقها ودعاه فزوجها إياه . قال : ثم إن نفسه تتبعتها فدعا مولاه فقال : أتنزل عنها ولك عشرة آلاف درهم؟ قال : لا والله ، ولا مائة ألف درهم . قال : بارك الله لك فيها! قال فأعرض عنها .؟ قال : فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات مولاه وتزوجها ابن جعفر بعد ذلك .

قال ابن حسين فذكرت هذا الحديث لأبي ياسين الرقي فحدثني عن بعض أصحابه أن عبد الله بن جعفر لما دخلت عليه أنشأ يقول :

رضيتُ بحُكم الله في كـلّ أمـره ، وَسَلّمـتُ أمرَ اللهِ فيّ كما مضى .
بَلاني وأبلانـي بحُـبّ دَنيّـةً ، وَصَبّرَني حتى امَّحى الحبُّ فانقضى .
لَعَمريَ! ما حُبّـي بحُـبّ مَلالَـةً ، ولا كـانَ وُدّي زائـلاً فَتَنَقّضَـا .
ولكـنّ حبّـي معْـهُ دَلٌّ يزينـهُ ، وَيُعرِضُ أحياناً إذا الحِبُّ أعرَضَـا .

غليل ودموع

أبو بكر الأردستاني قال : أخبرنا ابن حبيب المذكر قال : دخلت دار المرضى

---

(١) عبد الله بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، ترتيبه الثاني من بعد إسماعيل بن جعفر الصادق ، تقول المصادر الشيعية أنه لم تكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من ولده في الإكرام ، وكان متهما بالخلاف على أبيه في الاعتقاد ، ويقال أنه كان يخالط الحشوية ، ويميل إلى مذهب المرجئة . وادعى بعد أبيه الإمامة ، واحتج بأنه أكبر إخوته الباقين ، فاتبعه على قوله جماعة من أصحاب جعفر الصادق . وكانت تقول بإمامته الفطحية وهي طائفة شيعية .

بنيسابور فرأيت شاباً من أبناء النعم ، يقال له أبو صادق السكري ، مشدوداً ، وهو يجلب ويصيح ، فلما بصر بي قال : أتروي من الشعر شيئاً؟ قلت : نعم! قال : من شعر من؟ قلت : من شعر من شئت . قال : من شعر البحتري؟ قلت : أي قصيدة تريد؟ فقال :

أَلَمْعُ بَرقٍ سرى أم ضوْءُ مِصْبَاحِ   أم ابتسامتُها بالمَنظَرِ الضّاحي؟

فأنشدته القصيدة ، فقال : فأنشدك قصيدة؟ قلت : نعم! فأخذ في إنشاد قصيدته :

أقصِرَا! إنّ شأنِيَ الإقصَارُ ،   وَأقِلاَ لا ينفَعُ الإكثارُ .

حتى بلغ قوله :

إن جرَى بينَنا وبينَكِ عتَبُ ،   أوْ تناءتْ منّا ومنكِ الديارُ .

فالغَليلُ الذي عهِدتِ مُقيمٌ ،   والدموعُ التي شهِدتِ غِزارُ .

فقفز وجعل يرقص في قيده ويصيح إلى أن سقط مغشياً عليه .

وجهك أظرف

أبو الحسن محمد بن أحمد بن حسنون النرسي قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن عبد الواحد بن محمد اللبان الرازي قال : حدثنا أبو محمد بيان بن يزداد القمي إجازة قال : أنشدني أحمد بن محمد القمي المؤدب :

يَرَاكَ الفُؤادُ بعينِ الهَوَى ،   وَعينُ المَحَبّةِ لا تُخلفُ .

إذا غبْتَ عن ناظرِ المُقلَتَيْـ   ـنِ فقلبي يراكَ وما يَطرفُ .

تمكّنَ في القلبِ من حبّكم   عيونٌ من الحبّ ما تَنْزَفُ .

فمَن يكُ من حبّه سالياً ،   فإنّيَ من حبّكم مُدْنَفُ .

كلامٌ رَخيمٌ وَدلٌّ مليحٌ ،   وَوَجهُك من كلّ ذا أظرَفُ .

جميل بثينة[1] عاشق عفيف

وروى سهل بن سعد ، قال : كنت بمصر ، وخرجت لحاجة ، فلقيني صديق لي

(١) محمد بركات بن معمر العذري القضاعي ويُكنّى أبا عمرو (ت . ٨٢ هـ/٧٠١ م) شاعر ومن عشاق العرب المشهورين . كان فصيحًا مقدمًا جامعًا للشعر والرواية . وكان في أول أمره راوية لشعر هدبة بن خشرم ، كما كان كثير عزة راوية جميل فيما بعد . لقب بجميل بثينة لحبه الشديد لها ، نسبة =

في بعض الطرق ، فقال لي : هل لك أن تعدل إلى عيادة جميل ، فقد ثقل مرضه؟ قلت : نعم ، فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه ، فنظر إلي ، فقال : يا ابن سعد ما تقول في رجل لم يزن قط ، ولم يشرب مداماً ، ولم يسفك دماً حراماً ، قد أتت عليه خمسون سنة يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً سول الله؟ فقلت : من هذا؟ فإني أظنه ناجياً من عذاب النار إن شاء الله قال : أنا ذلك . قلت سبحان الله! ما رأيت كاليوم أعجب من هذا ، وما أحسبك تسلم ، وأنت تشبب ببثينة من عشرين سنة ، فقال : إني في آخر يوم الدنيا ، وأول يوم من الآخرة ، فلا نالتني شفاعة رسول الله ﷺ إن وضعت يدي عليها لريبة ، وإنما أكثر ما يكون مني إليها أني آخذ يدها فأضعها على قلبي ، فأستريح إليها ، ثم أغمي عليه فأفاق وأنشد :

صرخ النعي وما كنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجر الذيل في وادي القرى ... نشوان بين مزارع ونخيل
قومي بثينة فاندبي بعويل ... وأبكي خليلك دون كل خليل

ثم غمي عليه فمات رحمه الله .

مجنون أم عاشق

موسى بن زياد ، قال : مررت بغورك المجنون يوماً ، وقد اجتمع عليه الناس ، وقد أتوه بطبيب ، فوقفت عليه وقلت : يا أبا محمد ، ما خبرك؟ أرى الناس قد اجتمعوا عليك . قالَ : لقلة عقولهم ، ولو شغلوا أنفسهم بغيري لكان أعود عليهم ، يظنون أني مجنونٌ ، وأنهم يبتغون فيَّ الأجر ، كذبوا والله ، ما أنا بمجنون ، ولكني عاشقٌ .

قال : فقلت : هل قلت في ذلك شيئاً؟ قال : نعم ، ثم أنشدني :

أتوني بالطبيب يعالجوني ... على أن قيل : مجنونٌ غريب
طلبنا الأجر فيه عساه يوماً ... من الأيام يعقل أو يثيب
وما صدقوا ، الذي تحت الحنايا ... أجَلُّ من أن يعالجه الطبيب
وما بي جنةٌ ، لكن قلبي ... به داءٌ تموت به القلوب

= إلى عذرة وهي بطن من قضاعة من شعراء العصر الأموي . وكان جميلا حسن الخلقة ، كريم النفس ، باسلاً ، جوادًا ، شاعرًا ، مطبوعًا ، مرهف الحس رقيق المشاعر ، وصاحبته بثينة وهما جميعًا من عذرة وكانت تُكنى أمّ عبد الملك والتي انطلق يقول فيها الشعر حتى وفاته .

غورك المجنون

ذكر أحمد بن بهزاد ، عن إسماعيل بن أبي هاشم أبو القاسم الزبيري ، عن أحمد بن حبيب ، عن بعض رواة العلم ، قال :

لقيت غورك المجنون في جماعة من الصبيان يوم خميس ، منصرفاً من تشييع بعض أحبابه ، وهو يحدث الصبيانً ويلطم خده ، ويقول لهمً : يا إخوتاه ، ما أحر الفراق! .

قلت : يا أبا محمد ، من أين أقبلت؟ قال : أقبلت من تشييع الحاج . قلت : هل قلت في ذلك شيئا؟ قال : نعم ؛ ثم انعصرت عيناه بالبكاء ، ثم أنشأ يقول :

هــم رحلــوا يــوم الخميــس غديةً فودعتهــم لمــا استقلــوا وودعوا

فلما تولــوا ولــت النفــس معــهم فقلت : ارجعي ؛ قالت : إلى أين أرجع

حدثني أبو علي حاجب خاقان ، قال : قال ذو النون المصري :

بينا أنا على جبل الأحمر ، إذا أنا بشاب ملقى على جنبه ، فلما رآني من بعيدٍ ، قال لي : يا ذا النون ، شدة الشوق والهوى ، تركاني هكذا ، ثم أنشأ يقول :

كم يلبث الجنب على الجمــر لا سيمــا بعــد فناء الصبر

سألته الإنصاف في حبــه فأوكــل الأمــر إلى الحشر

والله لا زلت لــه عاشــقاً وإن أمت أذكره فـي القــبر

سائح عاشق

الحسن بن علي بن جعفر النخعي ، قال :

قال لي ذو النون المصري[1] : لقيت بعض السواح ، فقلت : من أين أقبلت؟ فأنشأ يقول :

من عنــد مــن علــق الـفؤاد بحبه فشكــا إليــه بخاطــر مشتــاق

يبغــي إليــه مــن الوصــال تقربــاً فيــه الشفــاء لِوامِــقٍ تَــوَّاق

---

(١) ثوبان بن إبراهيم ، كنيته «أبو الفيض» ولقبه «ذو النون» ، أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري ومن المحدثين الفقهاء . ولد في أخميم في مصر سنة ١٧٩ هـ الموافق ٧٩٦م وتوفي سنة ٢٤٥ هـ الموافق ٨٥٩م .

الحسن بن وهب[1] وجارية ابن حماد

كان الحسن بن وهب يهوى بنان جارية ابن حماد ، وكان من ظريف أخباره معها : أن الواثق تقدم إلى إيتاخ باتخاذ حلتين من رفيع الوشي على صفة دفعها إليه وأمره بتعجيلهما ؛ فتقدم إيتاخ في ذلك إلى سليمان بن وبه كاتبه ، فجد في الحلتين حتى فرغ منهما الصانع وأحضرتا ، فعرضتا على الواثق فاستحسنهما وأمر بقطعهما ، فتشاغل عن قطعهما ، وسأل أخاه الحسن بالنيابة عنه في ذلك ، فقطع الحسن منهما قميصاً لبنان وانصرف إلى منزله فأحضرها وخلعه عليها وجلس يشرب معها . واتصل الخبر بسليمان ، فقامت عليه القيامة وأمر بإحضار الوشائين وطلب شكلاً لهما فتعذر عليه ، فابتاع حلةً تقاربهما بخمسة آلاف درهم وصدق إيتاخ عن خبره ، فطلبهما الواثق فدافعه إيتاخ بهما ، وتعلل عليه إلى أن فرغ الخياطون من الحلة التي ابتاعها سليمان بن وهب ، وأحضرت للواثق ، فلما لبسها أنكرها ، ودعا إيتاخ فسأله عن السبب فصدقه ، فضحك ضحكاً كثيراً ، ودعا خادماً فأمره بإحضار الحس وبنان على الصورة التي يجدهما عليها ، فأحضرهما في قبة ، فلما رآهما الواثق قال للحسن : ويلك تأخذ ثوبي تقطعه لهذي بغير أمري ؛ قال : أنت يا أمير المؤمنين تقدر على مثله ، وأنا لا أقدر عليه ، وأنا والله أحبها وأعجبني الثوب فتقربت منها به . فضحك ووصله وصرفهما .

وفيها يقول الحسن :

أقول وقد حاولت تقبيل كفّها … وبي رعدةٌ أهتّز منها وأسكن
ليهنئك أني أشجع الناس كلّهم … لدى الحرب إلاّ أنني عنك أجبن

وحضرت عنده يوماً وقرب منها ناراً فتأذت منها ؛ فقال الحسن :

بأبي كرهت النار حتى أُبعدت … فعلمت ما معناك في إبعادها
هي ضرّةٌ لك في التماع بهائها … وهبوب نفحتها لدى إيقادها
وأرى صنيعك في القلوب صنيعها … بسيالها وأراكها وعرادها
شركتك في كل الأمور بفعلها … وضيائها وصلاحها وفسادها

---

(١) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي ، أبو علي . كاتب ، من الشعراء ، كان معاصراً لأبي تمام ، وله معه أخبار ، وكان وجيهاً ، استكتبه الخلفاء ، ومدحه أبو تمام ، وهو أخو سليمان (وزير المعتز والمهتدي) ، ولما مات رثاه البحتري .

إنما يفتضح العاشق وقت الرحيل

عن ابن السّكّيت ، أن محمد بن عبد الله بن طاهر عزم على الحج ، فخرجت إليه جاريةٌ شاعرةٌ ، فبكت لما رأت من آلة السفر ، فقال محمد بن عبد الله :

(دمعةٌ كاللؤلؤ الرّطب ... على الخدّ الأسيل)
(هطلت في ساعة البين ... من الطّرف الكحيل)

ثم قال لها : أجيزي ، فقالت :

(حين هم القمر الباهر ... عنّا بالأفول)
(إنّما يفتضح العشاق ... في وقت الرّحيل)

حي على البهم!

قال أبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة : كان المجنون يهوى ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة ابن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتكنى أم مالك ، وهما حينئذ صبيان ، فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلهماً ، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه ، قال : ويدل على ذلك قوله :

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت أنناً ... إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

في هذين البيتين للأخضر الجدي لحنٌ من الثقيل الثاني بالوسطى ، ذكره هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات والهشامي .

وأخبر الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا الحسن بن علي قال حدثني أبو عتاب البصري عن إبراهيم بن محمد الشافعي قال : بينا ابن مليكة يؤذن إذ سمع الأخضر الجدي يغني من دار العاص بن وائل :

وعلقتها غراء ذات ذوائب ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت أنناً ... إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

قال فأراد أن يقول : حي على الصلاة فقال : حي على البهم ، حتى سمعه أهل مكة فغدا يعتذر إليهم .

عاشق أم طالب ولد؟

وقيل لأعرابي : ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم؟ قال : نعم ، كان الحب في القلب فانتقل إلى المعدة ؛ إن أطعمته شيئا أحبها ، وإلا فلا : كان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حولا ، ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار ؛ وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه ، ويعدها وتعده فإذا اجتمعا لم يشكوا حبا ، ولم ينشدا شعرا ، ولكن يرفع رجليها ويطلب الولد .

وقال أعرابي :

شكـوت! فقالـت : كـلّ هذا تبرّما بحبي! أراح اللـه قلبك من حبّي

فلمّا كتمت الحبّ قالت : لشـدّ مـا صبرت! وما هذا بفعل شجي القلب!

وأدنـو فتقصينـي ، فأبعـد طالبـا رضاهـا ، فتعتدّ التّباعد من ذنبي

فشكـواي تؤذيهـا ، وصبري يسوءها وتجـزع من بعدي ، وتنفر من قربي

فيا قوم هـل مـن حيلـة تعلمونهـا أشيروا بها واستوجبوا الشّكر من ربي

حديث العشاق

ذكر أعرابي امرأة فقال : هي السقيم الذي لا برء معه ، والبرء الذي لا سقم معه ؛ وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السما .

وذكر أعرابي امرأة فقال : إن لساني لذكرها لذلول ، وإن حبّها لقلبي لقتول ، وإن قصير الليل بها ليطول .

وصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال ، فقال : كلامهنّ أقتل من النبل ، وأوقع بالقلب من الوبل بالمحل ؛ فروعهنّ أحسن من فروع النخل .

وذكر أعرابي امرأة فقال : خلوت بها ليلة يزينها القمر ، فلما غاب أرتنيه قلت له : فما جرى بينكما؟ فقال : أقرب ما أحل الله مما حرّم الإشارة بغير باس ، والتقرب من غير مساس .

وذكر أعرابي امرأة فقال : هي أحسن من السماء ، وأطيب من الماء .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : ما أشد جولة الرأي عند الهوى ، وفطام النفس عن

الصبا ؛ ولقد تقطعت كبدي للعاشقين . لوم العاذلين قرطة في آذانهم ، ولوعات الحب جبرات على أبدانهم ، مع دموع على المغاني ، كغروب السواني .

وذكر أعرابي امرأة فقال : لقد نعمت عين نظرت إليها ، وشفي قلب تفجع عليها ؛ ولقد كنت أزورها عند أهلها ؛ فيرحب بي طرفها ، ويتجهّمني لسانها . قيل له : فما بلغ من حبك لها؟ قال : إني ذاكر لها وبيني وبينها عدوة الطائر ، فأجد لذكرها ريح المسك .

وذكر أعرابي نسوة خرجن متنزهات ، فقال : وجوه كالدنانير ، وأعناق كأعناق اليعافير ، وأوساط كأوساط الزنابير ، أقبلن إلينا بحجول تخفق ، وأوشحة تعلق ، وكم أسير لهنّ وكم مطلق .

ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذلفاء ، ومعها صبي يبكي ، فكلما بكى قبلته ؛ فأنشأ يقول :

يا ليتني كنت صبيّا مرضعا تحملني الذّلفاء حولا أكتعا
إذا بكيت قبّلتني أربعا فلا أزال الدهر أبكى أجمعا

وقال أعرابي وقد نظر إلى جارية بالبصرة في مأتم :

بصريّة لم تبصر العين مثلها غدت ببياض في ثياب سواد
غدوت إلى الصحراء تبكين هالكا فأهلكت حيا ، كنت أشأم عاد!
فيا ربّ خذ لي رحمة من فؤادها وحل بين عينيها وبين فؤادي

وقال في جارية ودّعها :

مالت تودّعني والدمع يغلبها كما يميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرّت وقالت وهي باكية ياليت معرفتي إيّاك لم تكن

أنشد أعرابي :

يا زين من ولدت حواء من ولد لولاك لم تحسن الدنيا ولم تطب
أنت التي من أراه الله صورتها نال الخلود فلم يهرم ولم يشب

وقال قيس بن معاذ :

وأخرجُ من بين الجلوسِ لعلَّني أُحَدِّثُ عنـــك النفس في السرِّ خاليا
وإني لأسْتَغْشِي وما بيَ نَعْسَةٌ لعـــلَّ خيالاً منكِ يلقى خياليـــا

وذكر أعرابي امرأة ، فقال :
لقد نعمَتْ عينٌ نَظَرتْ إليها ، وشَقِيَ قَلْب تَفَجَّع عليها ،
ولقد كَنتُ أزورها عند أَهْلها ،
فَيُرحِّب بي طَرْفُها ، ويَتَجهمني لِسَانُها ؛
قيل له : فما بلغ من حُبّك لها؟
قال : إني لذاكرٌ لها وبيني وبينها عَدْوة الطائر ،
فأجد لذِكرها ريح المِسْك .

وأنشد الرياشي لأعرابي :
مـــن دمنـــة خلقـت عيناك في هتن فمـــا يـــردّ البكا جهلا من الدّمن
ما كنت للقلـــب إلا فتنـــة عرضـت يا حبّذا أنت من معروضة الفـتن
تسيء سلمـــى وأجزيـــها بـــه حسنا فمن سواي يجازي السّوء بالحسـن

وقال أعرابي : ليت فلانة حظي من أملي ، ولرب يوم سرته إليها حتى قبض الليل بصري دونها ، وإن نفسي لكتوم لدائها ، ولكنها تفيض عند امتلائها .

أعجب ما قيل في النحافة :
أشوقــاً ولَمَّــا تمــضِ لـــي غيــرُ ليلةٍ رويـــدَ الهـــوى حتـــى يَغِبَّ لياليا
ولم أر ليلـــى بعـــد موقـــف ساعـــةً ببطـــن منـــى ترمي جمار المحصب
ويبدي الحصا منهـــا إذا قذفـــت بـــه مـــن البـــرد أطراف البنان المخضب
فأصبحـــت مـــن ليلى الغداة كناظـر مـــع الصبح في أعقاب نجم مغرب
ألا إنمـــــا غـــادرت يـــا أم مالـــك صدى أينما تذهب به الريح يذهـب
وهذا البيت من أعجب ما قيل في النحافة لمجنون ليلى

قتيل العشق

حكى الأصمعي قال : خرجت في طلب الأعاجيب من الأحاديث ، فلاحت

لي بلدة بيضاء كأنها الغمامة ، فدخلتها فإذا هي خراب وليس فيها ديار ولا أنيس ، فبينما أنا أدور في نواحيها إذ سمعت كلاماً فطار قلبي ، فأنصتّ ، فإذا به كلام موحش ، فسللت سيفي ودخلت ذلك المكان ، فإذا أنا برجل جالس ، وبين يديه صنم وفي يده قضيب وهو يبكي ويقول :

أما ومسيح الله لو كنت عاشقاً لمت كما ماتت ، وقد ضمني لحدي

وكم أتسلى بالحديث وبالمنى وبالعبرات السائلات على خدي

وإني وإن لم يأتني الموت سرعةً لأمسي على جهد وأضحي على جهد

فقال الأصمعي : فلما سمعت ذلك منه هجمت عليه ، فلم يشعر بي إلا أن قلت له : السلام عليك

فرفع رأسه وقال : وعليك السلام ، من أين أنت ومن جاء بك إلى هذا المكان؟

فقلت : الله جاء بي

فقال : صدقت وهو الذي أفردني في هذا المكان

فقلت له : ما بالك تشير إلى هذا الصنم الذي بين يديك

فقال لي : إن حديثي عجيب وأمري غريب

فقلت له : حدثني به ولا تخف منه شيئاً

فقال لي : اعلم أننا كنا قوماً من بني تميم وكنا على دين المسيح وكان دعاؤنا مستجاباً ، وكانت هذه الصنمة ابنة عمي وكنت أنا وإياها . فلما كبرت حجبها عمي عني ، فكنت أحبها سراً

فبينما أنا ذات ليلة وأنا عندها إذ سمعت عمي يدق الباب ، فأدخلتني سرداباً وقامت هي ففتحت الباب ودخل عمي فقال لها : أين عبد المسيح؟

فقالت : إني لم أره

فقال لها : إني سمعت كلامه عندك

فقالت : لم تسمع شيئاً وإنما خيل لك

فقال لها : والله إن لم تصدقيني ، وإلا دعوت عليك إن كنت كاذبة فيمسخك الله حجراً

فقالت له : إذا كنت كاذبةً

فرفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم يا رب الأولين والآخرين إن كنت تعلم أن ابنتي هذه كاذبة في قولها فامسخها حجراً ، فمسخها الله حجراً ، ولي أربعون سنة

في هذا المكان ، وأنا أتقوت من نبت الأرض وأشرب من هذه الأنهار وأتسلى بالنظر إلى هذه الصنمة إلى أن يحكم الله بالموت

ثم بكى وأنشد يقول

وحق الذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي خلق الخلقا

لئن قلت إن الحب قد يقتل الفتى وإن الفتى بعد التفرق لا يبقى

لقد قلت حقاً واسأل العبرة التي تسيل وسيل الدمع مني لا يرقا

فقال الأصمعي : ثم قام ذلك الشاب وتوارى عني بجدار من تلك الجدر ، ونزع المسوح التي كانت عليه ولم يبق عليه إلا ما يواري سوأته فتأملته ، فإذا عيناه تدور في أم رأسه .

فقلت في نفسي : هذا أراد أن يطلعني على نحول جسده ثم أقبل علي ، وهو عريان وقال لي : يا فتى إنني قائل ثلاث أبيات ، وكان مني ما كان ، فإذا أنا مت فكفني أنا وإياها في هذه الجبة وادفنا في هذا الجون وضمنا بالتراب واكتب على قبرنا هذه الأبيات .

من لم يكن يحسب أن الهوى يقتل ، فلينظر إلى مضجعي

لم يبق لي حولٌ ولا قوةٌ إلا خيال الشمس في موضعي

أشكو إلى الرحمن جهد البلا إشارة بالطرف والإصبع

فقال الأصمعي : هذا وأنا أنظر إليه وأسمع شعره وأتعجب منه ومن أمر الصنمة

وإذا به وقع على الأرض مستلقياً على قفاه وشهق شهقةً فارقت روحه جسده

فقال الأصمعي : فكفنتهما ودفنتهما في ذلك الجون ، وكتبت على قبرهما تلك الأبيات ، وتركتهما وانصرفت وأنا متعجب غاية العجب

تهمة العشق

حكي عن الأصمعي أنه قال : دخلت البصرة أريد بادية بني سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القسري ، فدخلت عليه يوماً فوجد قوماً متعلقين بشاب ذي جمال وكمال وأدب ظاهر ، بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزة ، عليه سكينة ووقار ، فقدموه إلى خالد فسألهم عن قصته

فقالوا : هذا لص أصبناه البارحة في منازلنا . فنظر إليه فأعجبه حسن هيئته ونظافته

فقال : خلوا عنه . ثم أدناه منه وسأله عن قصته

فقال : إن القول ما قالوه والأمر على ما ذكروه

فقال له : ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة؟

قال : حملني الشره في الدنيا . وبذا قضى الله سبحانه وتعالى

فقال له خالد : ثكلتك أمك ، أما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن أدبك زاجر لك عن السرقة

قال : دع عنك هذا أيها الأمير ، وانفذ ما أمرك الله تعالى به . فذلك بما كسبت يداي . وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى ثم أدناه منه وقال له : إن اعترافك على رؤوس الأشهاد قد رابني وأنا ما أظنك سارقاً ، وإن لك قصة غير السرقة فأخبرني بها

فقال : أيها الأمير ، لا يقع في نفسك سوى ما اعترفت به عندك ، وليس لي قصة أشرحها لك إلا أني دخلت دار هؤلاء فسرقت منها مالاً فأدركوني وأخذوه مني وحملوني إليك فأمر خالد بحبسه وأمر منادياً ينادي في البصرة : ألا من أحب أن ينظر إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد ، فلما استقر الفتى في الحبس ووضع في رجليه الحديد تنفس الصعداء

ثم أنشد يقول

هددنـــــــي خالـــد بقطع يـــدي   إن لـــم أبـــح عنـــده بقصتها

فقلـــت : هيهـــات أن أبـــوح بمـــا   تضمـــن القلـــب من محبتهـــا

قطع يدي بالذي اعترفت به   أهـــون للقلـــب من فضيحتهـــا

فسمعه الموكلون به فأتوا خالداً وأخبروه بذلك ، فلما جن الليل أمر بإحضاره عنده ، فلما حضر استنطقه فرآه أديباً عاقلاً لبيباً ظريفاً فأعجب به فأمر له بطعام فأكلا وتحادثا ساعة

ثم قال له خالد : قد علمت أن لك قصة غير السرقة ، فإذا كان غداً وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة فأنكرها واذكر فيها شبهات تدرأ عنك القطع ثم أمر به إلى السجن ، فلما أصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة إلا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى ، وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم ، ثم دعا بالقضاة وأمر بإحضار الفتى ، فأقبل يحجل في قيوده ، ولم يبق أحد من النساء إلا بكى عليه وارتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب ، فأمر بتسكيت الناس .

ثم قال له خالد : إن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول ؟

قال : صدقوا أيها الأمير ، دخلت دارهم وسرقت مالهم

قال خالد : لعلك سرقت دون النصاب

قال : بل سرقت نصاباً كاملاً

قال خالد : فلعلك سرقته من غير حرز مثله ؟

قال : بل من حرز مثله

قال خالد : فلعلك شريك القوم في شيء منه ؟

قال : بل هو جميعه لهم لا حق لي فيه

فغضب خالد وقام إليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط

وقال متمثلاً بهذا البيت

يريد المرء أن يعطى مناه

ويأبى الله إلا ما أرادا

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده ، فحضر وأخرج السكين ، ومد يده ووضع عليها السكين فبرزت جارية من صف النساء عليها آثار وسخ ، فصرخت ورمت بنفسها عليه ، ثم أسفرت عن وجه كأنه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد أن تقع منه فتنة .

ثم نادت بأعلى صوتها : إليه رقعة ففضها خالد فإذا هي مكتوب فيها :

أخالد هذا مستهام متيمٌ رمته لحاظي من قسي الحمالق

فأصماه سهم اللحظ مني فقلبه حليف الجوى من دائه غير فائق

أقر بما لم يقترفه لأنه رأى ذاك خيراً من هتيكة عاشق

فهلا على الصب الكئيب لأنه كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الأبيات تنحى وانعزل عن الناس وأحضر المرأة ، ثم سألها عن القصة فأخبرته أن هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك ، وأنه أراد زيارتها وأن يعلمها بمكانه ، فرمى بحجر إلى الدار ، فسمع أبوها واخوتها صوت الحجر ، فصعدوا إليه ، فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة ، فأخذوه وقالوا : هذا سارق وأتوا به إليك فاعترف بالسرقة وأصر على ذلك حتى لا يفضحني بي اخوتي ، وها .ن عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لغزارة مروءته وكرم نفسه

فقال خالد : إنه خليق بذلك ، ثم استدعى الفتى إليه وقبل ما بين عينيه وأمر بإحضار أبي الجارية وقال له : يا شيخ إنا كنا عزمنا على إنفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع ، وإن الله عصمه من ذلك ، وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار ، وقد أمرت لابنتك بعشرة آلاف درهم ، وأنا أسألك أن تأذن لي في تزويجها منه .

فقال الشيخ : قد أذنت أيها الأمير بذلك .

الأمير الوضيع وأبة

روى أبي عباد قال : أدركت الخادم الذي كان يقوم على رأس الحجاج .

فقلت له : أخبرني بأعجب شيء رأيته من الحجاج .

قال : كان ابن أخيه أميراً على واسط ، وكان بواسط امرأة يقال لها أبَّة ، لم يكن بواسط في ذلك الوقت أجمل منها ، فأرسل ابن أخيه إليها يراودها عن نفسها مع خادم له ، فأبت عليه وقالت : إن أردتني فاخطبني إلى اخوتي ، وكان لها أربعة اخوة فأبى ، وقال : لا ، إلا كذا ، وعاودها فأبت ، فراجعها وأرسل إليها بهدية فأخذتها وعزلتها .

وأرسل إليها عشية الجمعة : إني آتيك الليلة ، فقالت لأمها : إن الأمير بعث إليّ بكذا وكذا . فأنكرت أمُّها ذلك ، وقالت أمها لاخوتها إن أختكم قد زعمت كيت وكيت : فأنكروا ذلك وكذبوها ، فقالت إنه قد وعدني أن يأتيني الليلة ، لترونه .

قال : فقعد اخوتها في بيت حيال البيت الذي هي فيه ، وجويريةٌ لها على باب الدار تنتظره ، فجاء ونزل عن دابته وقال لغلامه : إذا أذن المؤذن في الغلس ، فأتني بدابتي ، ودخل والجارية أمامه ، فوجد أبَّة على سرير مستلقيةً ، فاستلقى إلى جانبها ثم وضع يده عليها ، وقال : إلى كم ذا المطل؟ فقالت له : كف يدك يا فاسق ، ودخل اخوتها عليه بأيديهم السيوف فقطَّعوه ثم لفوه في نطع وجاءوا به إلى سكة من سكك واسط فألقوه فيها ، وجاء الغلام بالدابة فجعل يدُقُّ الباب دقّاً رفيقاً فلا يكلمه أحد ، فلما خشي الضوء وأن تعرف الدابة انصرف ، وأصبح الناس فإذا هم به على تلك الصفة ، فأتوا به الحجاج فأخذ أهل تلك السكة .

فقال أخبروني : ما قصته؟ قالوا : لا نعلم حاله ، غير أنا وجدناه ملقىً .

ففطن الحجاج فقال : عليّ بمن كان يخدمه ، فأُتي بذلك الخصيّ الذي كان الرسول بينهما .

فقالوا : هذا كان صاحب سره ، فقال له الحجاج : اصدقني عن خبره وقصته ، فأبى

فقال : إن صدقتني لم أضرب عنقك ، وإن لم تصدقني فعلت بك وفعلت

قال : فأخبره الأمر على جهته ، فأمر بالمرأة وأُمها واخوتها ، فجيء بهم ، وعُزلت المرأة عنهم . فسألها فأخبرته بمثل ما أخبر به الخصيّ ، ثم سأل اخوتها ، فأخبروه بمثل ذلك ولم يختلفوا ، وقالوا : نحن صنعنا به الذي ترى ، فأمر برقيقه ودوابه للمرأة ، فقالت المرأة هديته عندي ، فقال : بارك الله لك فيها ، وكثَّر في النساء مثلك ، وهي لك ، وما ترك من شيء فهو لك ، وقال : مثل هذا لا يدفن

فألقوه للكلاب ، ودعا بالخصيّ فقال : أما أنت فقد قلت لك إني لا أضرب عنقك ، وأمر بضرب وسطه ، فقطع نصفين

الجارية الفصيحة والمأمون

حكي عن أبي عبد الله النميري أنه قال : كنت يوماً مع المأمون وكان بالكوفة ، فركب للصيد ومعه سرية من العسكر ، فبينما هو سائر إذ لاحت له طريدة ، فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل ، فأشرف على نهر ماء من الفرات ، فإذا هو بجارية عربية خماسية القد ، قاعدة النهد ، كأنها القمر ليلة تمامه ، وبيدها قربة قد ملأتها وحملتها على كتفها ، وصعدت من حافة النهر ، فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها : يا أبت أدرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها ، قال : فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها ، فقال لها المأمون : يا جارية من أي العرب أنت؟ قالت : أنا من بني كلاب ، قال : وما الذي حملك أن تكوني من الكلاب؟ فقالت : والله لست من الكلاب وإنما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ، ويضربون بالسيف ، ثم قالت : يا فتى من أي الناس أنت؟ فقال : أو عندك علم بالأنساب . قالت : نعم . قال لها : أنا من مضر الحمراء ، قالت : من أي مضر؟ قال : من أكرمها نسباً ، وأعظمها حسباً ، وخيرها أماً وأباً ، وممن تهابه مضر كلها قالت : أظنك من كنانة ، قال : أنا من كنانة ، قالت : فمن أي كنانة؟ قال : من أكرمها مولداً وأشرفها محتداً وأطولها في المكرمات يداً ، ممن تهابه كنانة وتخافه ، فقالت : إذن أنت من قريش ، قال : أنا من قريش ، قالت : من أي قريش؟ قال : من أجملها ذكراً وأعظمها فخراً ، ممن تهابه قريش كلها وتخشاه ، قالت : أنت والله من بني هاشم ،

قال : أنا من بني هاشم ، قالت : من أي هاشم ، قال : من أعلاها منزلة ، وأشرفها قبيلة ، ممن تهابه هاشم وتخافه ، فعند ذلك قبلت الأرض ، وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين . قال : فعجب المأمون وطرب طرباً عظيماً وقال : والله لأتزوجن بهذه الجارية لأنها من أكبر الغنائم ، ووقف حتى تلاحقته العساكر ، فنزل هناك ، وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه ، فزوجه بها وأخذها وعاد مسروراً ، وهي والدة ولده العباس والله أعلم .

البستان الحصين

حكي أن بعض الملوك طلع يوما إلى أعلى قصره يتفرج ، فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار إلى جانب قصره لم ير أحسن منها ، فالتفت إلى بعض جواريه فقال لها : لمن هذه؟ ، فقالت : يا مولاي هذه زوجة غلامك فيروز ، فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له : يا فيروز ، قال : لبيك يا مولاي ، قال : خذ هذا الكتاب وامض به إلى البلد الفلانية وائتني بالجواب . فأخذ فيروز الكتاب وتوجه إلى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز أمره وبات ليلته ، فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك . وأما الملك فإنه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه متخفيا إلى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا ، فقالت امرأة فيروز : من بالباب؟ ، قال : أنا الملك سيد زوجك ، ففتحت له فدخل وجلس ، فقالت له : أرى مولانا اليوم عندنا! فقال : زائر . فقالت : أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا! ، فقال لها : ويحك إنني الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتني ، فقالت : بل عرفتك يا مولاي ولقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الأوائل في قولهم :

سأترك ماءكم من غير ورد ... وذاك لكثرة الوراد فيه
إذا سقط الذباب على طعام ... رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء ... إذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن ... ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاي قول الشاعر

قل للذي شفه الغرام بنا ... وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل أبدا ... قد أكل الليث فضلة الذي

ثم قالت أيها الملك : تأتي إلى موضع شرب كلبك تشرب منه ، فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها فنسي نعله في الدار . هذا ما كان من الملك وأما ما كان من فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه في رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع إلى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله في هذه السفرة إلا لأمر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها ثم عاد إليه فأنعم عليه بمائة دينار . فمضى فيروز إلى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة وأتى إلى زوجته فسلم عليها وقال لها : قومي إلى زيارة بيت أبيك . قالت : وما ذاك؟ قال : إن الملك أنعم علينا وأريد أن تظهري لأهلك ذلك ، قالت : حبا وكرامة ، ثم قامت من ساعتها وتوجهت إلى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت عند أهلها شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها . فأتى إليه أخوها وقال له : يا فيروز إما أن تخبرنا بسبب غضبك وإما أن تحاكمنا إلى الملك ، فقال : إن شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها علي حقا .

فطلبوه إلى الحكم فأتى معهم وكان القاضي إذ ذاك عند الملك جالسا إلى جانبه فقال أخو الصبية : أيد الله مولانا قاضي القضاة ، إني أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره . فالتفت القاضي إلى فيروز وقال له : ما تقول يا غلام؟ ، فقال فيروز : أيها القاضي قد تسلمت هذا البستان وسلمته إليه أحسن ما كان . فقال القاضي : هل سلم إليك البستان كما كان؟ ، قال : نعم ، ولكن أريد منه السبب لرده . قال القاضي : ما قولك؟ قال : والله يا مولاي ما رددت البستان كراهة فيه وإنما جئت يوما من الأيام فوجدت فيه أثر الأسد فخفت أن يغتالني فحرمت دخول البستان إكراما للأسد . قال : وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال : يا فيروز ارجع إلى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيئا ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ، ووالله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره . فرجع فيروز إلى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك والله أعلم .

أخو الحبيب حبيب

رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم إن شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثأرك منه فقال :

وقالـــوا يا جميـــل أتـــى أخوهـــا   فقلــت أتــى الحبيـب أخو الحبيب

الحب تهذيب وإصلاح

قال ذا الرياستين(١) إن بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للأمر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروءة خامل النفس مسيء الأدب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه إلى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما ص يرنا إلى الرجاء في فلاحه قال وما ذاك الذي حدث ؟ قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ إلا بها ولا يتشاغل إلا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبي الجارية فقال له إني مسر إليك سرا فلا يعدوك فضمن له ستره فاعلمه ان ابنه قد عشق ابنته وأنه يريد أن ينكحها إياه وأمره أن يأمرها بإطماعه في نفسها ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه عليها فإذا استحكم طمعه فيها تجتنبه وتهجره فإن استعملها علمته أنها لا تصلح إلا لملك ثم لتعلمني خبرها وخبره ولا تطلعهما على ما أسره إليك فقبل أبوها ذلك منه ثم قال للمؤدب والموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت إلى التجني عليه وعلم الفتى السبب الذي كرهته لأجله أخذ في الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر في ذلك ثم رفع إلى أبيه أنه محتاج إلى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له إن الموضع الذي وضع به ابني نفسه من خبر هذه المرأة لا يدري به فتقدم إليه وأمره أن يرفع أمرها إلي ويسألني أن أزوجه إياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لأبيه

(١) الفضل بن سهل السرخسي (١٥٤-٢٠٢هـ/٧٧١-٨١٨م) هو أبو العباس السرخسي الفضل بن سهل بن زاذا نفروخ الملقب بذي الرياستين سليل ملوك المجوس ، أخو الحسن بن سهل . من قرية من السيب الأعلى تُعرف بصابر نيتا قرب سرخس .

فدعا بأبيها وزوجه إياها وأمر بتعجيلها إليه وقال إذا اجتمعت أنت وهي فلا تحدث شيئا حتى أصير إليك فلما اجتمعا صار إليه فقال يا بني لا يضعن قدرها عندك مراسلتها إياك وليست في خبائك فإني أمرتها بذلك وهي أعظم الناس منة عليك بما دعتك إليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذي تصلح معه للملك من بعدي فزدها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته لصيانته سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمر به .

أجمل ما قيل في المعشوق

كان عبد الله بن عبيدة الريحاني يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكو إليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه إنسان للصلاة : يا أبا الحسن فقال له : رويدك حتى تزول الشمس أي حتى تقوم الجارية .

وقالت ليلى العامرية في قيسها

لم يكن المجنون في حالة ... إلا وقد كنت كما كانا

لكنه باح بسر الهوى ... وإنني قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب

(وإني ليرضيني الممر ببابها ... وأقنع منها بالشتيمة والزجر)

وقال الفتح بن خاقان[1] صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا ... فخطايا أخي الهوى مغفورة

زفرة في الهوى احط لذنب ... من غزاة وحجة مبرورة

وأنشد شيبان العذري يقول

لو حز بالسيف رأسي في محبتها ... لطار يهوي سريعا نحوها رأسي

(١) أبو محمد الفتح بن أحمد بن غرطوج ، هو وزير وأديب وشاعر ترعر في أحضان الدولة العباسية ، من أصول فارسية ، عينه المتوكل أميراً ونائباً لشؤون مصر وإفريقية . اتخذه المتوكل أخاً ، وكان يقدمه على سائر ولده وأهله ، قتل مع المتوكل .

صاحبة الحاجة

وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت في غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة ؟ فقالت حاجتي أن تنادي في الموقف بقولي :

تزود كل الناس زادا يقيهم ومالي زاد والسلام على نفسي

فناديت كما أمرتني وإذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل إلي فقال : أنا الزاد .

فمضيت به إليها فما زاد على النظر والبكاء ثم قالت له : انصرف بسلام فقلت ما علمت أن لقاءكما يقتصر على هذا : أمسك يا هذا أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد ؟

الصاحب الحافظ

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدو له فأنزله في منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شيء وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر إلى امرأة صاحبه ولا إلى منزله إلى أن عاد من سفره

ملك وإبراهيم بن المهدي(١)

واختفى إبراهيم بن المهدي في هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبي جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها في الحسن والأدب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها إبراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهي قائمة على رأسه

(يا غزالا لي إليه شافع من مقلتيه)
(أنا ضيف وجزاء المضيف إحسان إليه)

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبي إليه فاعلميه أني وهبتك له فعادت إليه فلما رآها أعاد البيتين فاكبت عليه فقال لها : كفى فلست بخائن .

(١) إبراهيم بن المهدي أخو هارون الرشيد ويكنى ، أشهر أولاد الخلفاء ذكراً في الغناء وأتقنهم صنعةً ، ومن أعلم الناس في ذاك الوقت بالنغم والإيقاع ، من المعدودين في طيب الصوت خاصة ، ولكنه كان إذا غنى الغناء القديم عن الأوائل في الأدوار الطوال حذف كثيرا من نغمها .

فقالت : قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول
فقال : أما الآن فنعم
وأنشد المبرد
مــا إن دعانـــي الهـوى لفاحشـــة   إلا نهانـــي الحيــاء والكـــرم
فــلا إلــى فاحــش مددت يــدي   ولا مشــت بــي لزلــة قـــدم

بين رأسين في الحلال

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو في الطواف يوما إذ نظر إلى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له يا هذا اتق الله أفي مثل هذا المكان ؟ فقال يا أمير المؤمنين والله ما ذاك لخني ولكنها ابنة عمي وأعز الناس علي وإن أباها منعني من تزوجها لفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر من ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع إليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة إلى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يا مولاي تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نراك قد هويت فأنشد هذه الأبيات يقول

(تقــول وليدتـــي لمـــا رأتنـــي   طربــت وكنت قد أسليت حينا)
(أراك اليــوم قــد أحدثــت عهــدا   وأورثــك الهــوى داء دفيـــنا)
(بحقــك هــل سمعــت لها حديثا   فشاقــك أو رأيــت لهــا جبينا)
(فقلــت شــكا إلــي أخ محـــب   كمثــل زماننـــا إذ تعلمينـــا)
(وذو الشجــو القــديم وإن تعـــزى   محـــب حــين يلقى العاشقينـا)

ثم عد الأبيات فإذا هي خمسة أبيات فاعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين في الحلال .

نصيب زينب

وروي عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالأبواء فإذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها فتمثلت بقول نصيب
(بزينــب ألمــم قبل أن يرحل الركب   وقــل لا تملينا فما ملك القلــب)

فقالت يا هذا أتعرف قائل هذا البيت ؟ قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه؟ قلت لا قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحباك قالت أما والله إن اليوم موعده وعدني العام الأول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني إذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب ؟ قلت نعم قالت إني لأحسبه إياه فأقبل فإذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلب في نفسي محبان قد طال التنائي بينهما فلا بد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة فقمت إلى بعيري لأشد عليه فقال على رسلك إني معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا فقال لي أقلت في نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة

نصر بن حجاج(١)

ذكر ابن الجوزي(٢) في كتاب تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة إذ سمع امرأة تقول :

(هل مـــن سبيـــل إلى خمر فأشربها   أم مـن سبيل إلى نصر بن حجاج)
(إلى فتى ماجـــد الأعـــراق مقتبـــل   سهـــل المحيـــا كريـم غير ملجاج)
(تنميـــه أعـــراق صدق حين تنسبه   أخـــي وفاء عن المكروب فـــراج)

قال عمر رضي الله تعالى عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن علي بنصر بن حجاج فلما أصبح أتتني بنصر ين حجاج فإذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لنأخذن من شعرك فأخذ

(١) نصر بن حجاج بن علاك بن خالد بن ثوير بن حنثر بن هلال بن عبيد بن ظفر بن سعد بن عمرو بن تيم بن بهز بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور السلمي ثم البهزي . اشتهر بجماله .

(٢) ابن الجوزي ، هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري . فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم ولد وتوفي في بغداد . حظي بشهرة واسعة ، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف ، كما برز في كثير من العلوم والفنون .

من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبي ؟ قال هو ما أقول لك ثم سيره إلى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر إليها شيء فدست إليه المرأة أبياتا وهي :

(قل للإمام الذي تخشى بوادره مالي وللخمر أو نصر بن حجاج)
(لا تجعل الظن حقا أن تبينه إن السبيل سبيل الخائف الراجي)
(إن الهوى زم بالتقوى فتحبسه حتى يقر بإلجام وإسراج)

قال فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الأذان والإقامة متعرضة لعمر فإذا هو قد خرج في إزار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبك الله أيبيتن عبد الله وعاصم إلى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والأودية فقال لها إن ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر إلى البصرة بريدا إلى عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين فليكتب فإن البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الأبيات

(لعمري لئن سيرتني أو حرمتني وما نلت من عرضي عليك حرام)
(فأصبحت منفيا على غير ريبة وقد كان لي بالمكتين مقام)
(لئن غنت الذلفاء يوما بمنية وبعض أماني النساء غرام)
(ظننت بي الظن الذي ليس بعده بقاء ومالي جرمة فألام)
(فيمنعني مما تقول تكرمي وآباء صدق سالفون كرام)
(ويمنعها مما تقول صلاتها وحال لها في قومها وصيام)
(فهاتان حالانا فهل أنت راجعي فقد جب مني كاهل وسنام)

قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الأبيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة .

عاشق جارية المأمون

حدث أبو القاسم بن إسماعيل بن عبد الله المأمون قال حدثني أبي قال كنت

بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الأشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما لك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدي إليه معروفا ؟ قالت يا أمير المؤمنين أما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاي وأحب أن ينالهم خير مما صرت إليه فكتب إلى عامله بالمدينة في إحضارهم إليه وأن يدفع إلى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا إلى باب يزيد استؤذن لهم في الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الإكرام وسألهم عن حوائجهم فأما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين ما لي حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك ؟ قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألني فإنك لا تسألني حاجة أقد عليها إلا قضيتها قال بلى فلي الأمان يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم إن رأيت يا أمير المؤمنين .

أن تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا بسببها تغني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فأحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال الفتى سل حاجتك قال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

(لا أستطيع سلوا عن مودتها أو يصنع الحب بي فوق الذي صنعا)

(ادعو إلى هجرها قلبي فيسعدني حتى إذا قلت هذا صادق نزعا)

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالأرطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

(تخيرت من نعمان عود أراكه لهند ولكن من يبلغه هندا)

(ألا عرجا بي بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا)

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالأرطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

(مني الوصال ومنكم الهجر حتى يفرق بيننا الدهر)

(والله لا أسلوكموا أبدا ما لاح بدرا وبدا فجر)

فأمرها فغنت قال فلم تتم الأبيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد

للجارية قومي انظري ما حاله فقامت إليه فحركته فإذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف إلا بك فبكت الجارية وبكى أمير ، وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده إلا أياما قلائل وماتت .

مسامرة في مجلس عبد الملك بن مروان

وحكي عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[١] رضي الله تعالى عنه أنه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكر الغناء والجواري المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثني بأمر ما مر لك في هذه الأغاني وما رأيت من الجواري ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب إلي في شأنها فكتبت إليه والله لا تخرج مني ببيع ولا هبة فأمسك عني فكانت عندي على تلك الحالة لا أزداد فيها إلا حبا فبينما أنا ذات ليلة إذ أتتني عجوز من عجائزنا فذكرت لي أن بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وإنه يجيء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكي شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذي قالت عليه العجوز فإذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم أدع بها في تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فإذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما إلا عتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجواري أصلحي فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت إلى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هي هبة مني إليك فدهش الفتى ولم يجبني فدنوت إلى أذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها إلى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فإذا هو ميت فلم أر شيئا قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثني بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بأيام بعد نحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام .

---

(١) عبد الله بن جعفر هو أبو جعفر عبد الله بن ذي الجناحين جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي .

مكتوم وجارية عبد الملك بن مروان(١)

وذكر محمد بن واسع الهيتي أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا إلى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أما بعد إذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات أبكارا يكون إليهن المنتهي في الجمال وأكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا إلى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا إلى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا إلى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر إلى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا إلى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمنهن ثمن واحدة منهن وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه أني أشتري له ثلاث جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الأولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فإنها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذا ها كأنها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل :

(بيضاء فيها إذا استقبلتها دعج كأنها فضة قد شابها ذهب)

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فإنها جارية فائقة في الجمال معتدلة القدر والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فإنها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري إلى أمير المؤمنين فقال

---

(١) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

أحد النخاسين أيد الله الأمير إني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني أفتأذن لي في ذلك ؟ قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا في بعض الأماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشف بطن إحداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر إليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها لساعته فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

(أمكتوم عيني لا تمل من البكا وقلبي بأسهام الأسى يترشق)

(أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى وقلبي رهين كيف لا أتعشق)

فأجابته تقول

(لو كان حقا ما تقول لزرتنا ليلا إذا هجعت عيون الحسد)

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فأخذها وأرادأن يهرب ففطن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم إلى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجواري بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجواري ولم توافق الثالثة ورأى في وجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الأمان قال وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

(مقرا بالقبيح وسوء فعلي ولست بما رميت به بريا)

(فإن تقتل ففوق القتل ذنبي وان تعفو فمن جود عليا)

فقال عبد الملك يا فتى ما حملك على ما صنعت استخفاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو إلا هوى الجارية فقال هي لك بما أعددته لها فأخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلي والحلل وسار بها فرحا مسرورا إلى نحو أهله حتى إذ كانا ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما إلى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك

(أمير المؤمنين أتيت رغما وقد شدت إلى عنقي يديا)

الأسير العاشق

ومن ذلك ما روي عن النبي أنه أخرج خالد ين الوليد المخزومي[١] رضي الله تعالى عنه إلى مشركي خزاعة قال خالد فأخرجني إليهم رسول الله في عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجد بنا المسير إليهم فسبق إليهم الخبر فخرجوا إلينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الأقران فلولا الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا إلا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله فلما أخرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأين أصحابي قد كرهوا قالته وتأخروا عنه فملك منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البرازيا خالد قال فبرزت إليه بنفسي بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلني حتى أتم شعري بل حمل علي فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الأهوال ومارست الأبطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك إذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما أنصفتني اتركني حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي إشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لي فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق إلهك إلا ما شددت ابنة عمي على ناقة أخرى إلى جانبي ؟ قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى إلى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطاياهما جعل الغلام والجارية يتناشدان الأشعار ويبكيان إلى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الإسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت

---

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي صحابي وقائد عسكري مسلم ،لقّبه الرسول بسيف الله المسلول .

صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فأبركنا الأباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله أقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيئا أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله ؟ قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله من موافقتهما وموافقة .

افترسها الأسد

ومن ذلك ما حكاه الثوري[1] قال حدثني جبلة بن الأسود وما رأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب إبل لي ضلت فما زلت في طلبها إلى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فسرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت أسقط عن فرسي فقلت لأطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فما زلت أقرب إليه إلى أن هبطت واديا فإذا راع قد ضم غنما له إلى شجرة وهو ينشد ويترنم

(وكنت إذا ما جئت سعدى أزورها　　أرى الأرض تطوي لي ويدنو بعيدها)

وأكل معي إلا أنه أكل أكل من لا يريد الأكل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما إلا أنه كالولهان ولم أعلمه بشيء مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطائي فصليت وأعلمته أني أريد الهجوع لما مر بي من التعب بالأمس فقال لي نم هنيئا فأظهرت النوم ولم أنم فأقام ينتظرها إلى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الأمر فبكى ثم جاء نحوي فحركني فأوهمته إني كنت نائما فقال يا أخي هل رأيت الجارية التي كانت تتعهدني وجاءتني البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمي وأعز الناس علي وإني لها محب ولها عاشق وهي أيضا محبة لي أكثر من محبتي لها وقد منعني

(١) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الربابي التميمي من بني تميم ولد في عام (٩٧ هـ- ١٦١ هـ) كان أحد أئمة الإسلام يقول عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء «هو شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب الجامع . قال شعبة وابن عيينة وأبو عاصم ويحيى بن معين وغيرهم : سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث . وقال علي بن الحسن بن شقيق عن عبد الله قال : ما أعلم على الأرض أعلم من سفيان . وقال بشر الحافي : كان الثوري عندنا إمام الناس . وعنه قال : سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما» .

أبوها من تزويجها لي لفقري وفاقتي علي فصرت راعيا بسببها فكانت تزورني في كل ليلة وقد حان وقتها الذي تأتي فيه واشتغل قلبي وتحدثني نفسي أن الأسد قد افترسها ثم أنشأ يقول . . . ما بال مية لا تأتي كعادتها . . . أعاقها طرب أم صدها شغل)

(نفسي فداؤك قد أهللت بي سقما تكاد من حره الأعضاء تنفصل)

قال ثم انطلق عني ساعة فغاب وأتى بشيء فطرحه بين يدي فإذا هي الجارية قد قتلها الأسد وأكل أعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فأبطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الأسد فطرحه ثم أنشأ يقول :

(ألا أيها الليث المدل بنفسه هلكت لقد جريت حقا لك الشرا)

(وخلفتني فردا وقد كنت آنسا وقد عادت الأيام من بعدها غبرا)

ثم قال بالله يا أخي إلا ما قبلت ما أقول لك فإني اعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فإذا أنا مت فخذ عباءتي هذه فكفني فيها وضم هذا الجسد الذي بقي منها معي وادفناني في قبر واحد وخذ شويهاتي هذه وجعل يشير إليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هي والدتي فأعطها عصاي هذه وثيابي وشويهاتي وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فإنها تموت عند ذلك فادفنها إلى جانب قبرنا وعلى الدنيا مني السلام قال فوالله ما كان إلا قليل حتى صاح ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لأصنعن له ما أوصاني به فغسلته وكفنته في عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقي جسدها إلى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهي كالولهانة فقالت لي هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فأخذت تصيح وتبكي وأنا ألاطفها إلى أن أقبل الليل وما زالت تبكي بحرقة إلى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فإذا هي مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فإذا هي ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها إلى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسي وجمعت الغنم وسقتها فإذا أنا بصوت هاتف يقول :

(كنا على ظهرها والدهر يجمعنا والشمل مجتمع والدار والوطن)

(فمزق الدهر بالتفريق ألفتنا وصار يجمعنا في بطنها الكفن)

قال فأخذت الغنم ومضيت إلى الحي لبني عمهم فأعطيتهم الغنم وذكرت لهم

القصة فبكي عليهم أهل الحي بكاء شديدا ثم مضيت إلى أهلي وأنا متعجب مما رأيت في طريقي .

كثير وعزة

ومن ذلك ما حكي أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لا حجن لعلي أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس في الطواف إذ نظر كثير لعزة وقد مضت إلى جمله فحيته ومسحت بين عينيه وقالت له يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل

(حيتك عزة بعد الحج وانصرفت فحي ويحك من حياك يا جمل)

(لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف عندي ولا مسك لا دلاج والعمل)

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله ؟ قال أنا الفرزدق بن غالب التميمي قال أنت القائل

(رحلت جمالهم بكل أسيلة تركت فؤادي هائما مخبولا)

(لو كنت أملكهم إذا لم يرحلوا حتى أودع قلبي المتبولا)

(ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا جسمي يعالج زفرة وعويلا)

فقال الفرزدق : نعم ، فقال كثير : والله لولا إني بالبيت الحرام لأصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك[1] وهو في سرير ملكه ، فقال الفرزدق : والله لأعرفن بذلك هشاما ثم توادعا وافترقا ، فلما وصل الفرزذق إلى دمشق دخل إلى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير ، فقال له : اكتب إليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه إياها ، فكتب إليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فأصفر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير ثم إنه مال ليسقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال يا ابن أخي أرأيت في طريقك شيئا فراعك ؟ قال نعم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فإنه اغتراب ،

(١) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء . ولد في دمشق .

والبانة بين ، والتفلي فرقة ، فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير إلى أن وصل إلى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت صاح صائح لا إله إلا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدي ؟ فقال إن هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول :

(فما أعرف الفهدي لا دردره وأزجره للطير لا عز ناصره)
(رأيت غرابا قد علا فوق بانة ينتف أعلى ريشه ويطايره)
(فقال غراب واغتراب من النوى وبانة بين من حبيب تعاشره)

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد

نادبة على قبر حبيبها

وحكي أيضا عن الأصمعي رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا في بعض مقابر البصرة إذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول :

(بروحي فتى أوفى البرية كلها وأقواهم في الحب صبرا على الحب)

قال : فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها ؟

فقالت : يا هذا إنه ابن عمي هويني فهويته فكان إن أباح عنفوه وإن كتم لاموه فانشد بيتي شعر وما زال يكررهما إلى أن مات والله لأندبنه حتى أصير مثله في قبر إلى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان ؟ قالت :

(يقولون لي إن بحت قد غرك الهوى وإن لم أبح بالحب قالوا تصبرا)
(فما لامرئ يهوى ويكتم أمره من الحب إلا أن يموت فيعذرا)

ثم إنها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا

شاب وجارية في العسكر

قال هشام بن حسان عن رجل من بني تميم : خرجت في طلب ناقة لي ، حتى وردت على ماء من مياه طيء ، فإذا أنا بعسكرين[١] بينهما دعوة[٢] فإذا أنا بفتى

(١) جماعتين .

(٢) أي مقدار مايكون بين المرء والمرء إذا دعاه سمعه .

شاب وجارية في العسكر ، وإذا هو قد سمع نبرة من كلامها وهو مريض . فرفع صوته وقال :

ألا ما للملـــحـــــــية لا تعــود أبخــل بالمليحـــة أم صـــــدود
فلو كنت المريضة كنـــت أسعـــــي إليـــك ولا ينهنهنــــي الوعيــد

فسمت صوته فخرجت تعدو ، فأمسكها الناس ، وأبصرها فأقبل ينشد ، فأمسكه الرجال فأفلت وأفلتت ، فاعتنقا وخرا ميتين ، فخرج شيخ من تلك الأجنبية حتى وقف عليها فاسترجع لها ، ثم قال : أما والله لئن كنتما لم تجتمعا حيين لأجمعن بينكما ميتين . . قال : فقلت من هذا ؟ قال : هذا ابن أخي وهذه ابنتي . فدفنهما في قبر واحد .

القاضي الخصم

ذكر أنّ معاوية بن أبي سفيان[1] جلس ذات يوم بمجلسٍ كان له بدمشق على قارعة الطّريق ، وكان المجلس مفتّح الجوانب لدخول النّسيم ، فبينما هو على فراشه وأهل مملكته بين يديه ، إذ نظر إلى رجل يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلاً حافياً ، وكان ذلك اليوم شديد الحرّ ، فتأمّله معاوية ثمّ قال لجلسائه : لم يخلق الله ممّن أحتاج إلى نفسه في مثل هذا اليوم . ثمّ قال : يا غلام سر إليه واكشف عن حاله وقصّته فوالله لئن كان فقيراً لأغنينّه ، ولئن كان شاكياً لأنصفنّه ، ولئن كان مظلوماً لأنصرنّه ، ولئن كان غنياً لأفقرنّه . فخرج إليه الرسول متلقياً فسلّم عليه فردّ عليه السّلام . ثمّ قال له : ممّن الرّجل؟ قال : سيّدي أنا رجلٌ أعرابيٌّ من بني عذرة ، أقبلت إلى أمير المؤمنين مشتكياً إليه بظلامةٍ نزلت بي من بعض عمّاله . فقال له الرّسول : أصبحت يا أعرابي؟ ثمّ سار به حتّى وقف بين يديه فسلّم عليه بالخلافة ثمّ أنشأ يقول :

معاوي يا ذا العلم والحلــم والفضـــل ويا ذا النّدى والجود والنّابل الجــزل
أتيتك لّما ضاق فـي الأرض مذهبـــي فيا غيث لا تقطع رجائي من العــدل
وجد لي بإنصـــافٍ من الجّائر الـــذي شواني شيّاً كـــان أيســـره قتلـــي

---

(١) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، من أصحاب الرسول محمد وأحد كتّاب الوحي . سادس الخلفاء في الإسلام ومؤسس الدولة الأموية في الشام وأوّل خلفائها .

سباني سعدى وانبــرى لخصومتــي وجار ولم يعدل ، وأغصبني أهلــي
قصـــدت لأرجــو نفعــه فأثابنــي بسجنٍ وأنواع العذاب مع الكبــل
وهـــمّ بقتلـــي غيـــر أن منيّتـــــي تأبّت ، ولم أستكمل الرّزق من أجلي
أغثنـــي جـــزاك اللـــه عنّـــي جنّــةً فقد طار من وجد بسعدى لها عقلــي

فلمّا فرغ من شعره قال له معاوية : يا إعرابي إنّي أراك تشتكي عاملاً من عمّالنا ولم تسمعه لنا! قال : أصلح الله أمير المؤمنين ، وهو والله ابن عمّك مروان بن الحكم عامل المدينة . قال معاوية : وما قصّتك معه يا أعرابي . قال : أصلح الله الأمير ، كانت لي بنت عمٍّ خطبتها إلى أبيها فزوّجني منها . وكنت كلفاً بها لما كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقرابة . فبقيت معها يا أمير المؤمنين ، في أصلح حال وأنعم بال ، مسروراً زماناً ، قرير العين . وكانت لي صرمةً من إبلٍ وشويهات ، فكنت أعولها ونفسي بها . فدارت عليها أقضية الله وحوادث الدّهر ، فوقع فيها داءٌ فذهبت بقدرة الله . فبقيت لا أملك شيئاً ، وصرت مهيناً مفكّراً ، قد ذهب عقلي ، وساءت حالي ، وصرت ثقلاً على وجه الأرض . فلمّا بلغ ذلك أباها حال بيني وبينها ، وأنكرني ، وجحدني ، وطردني ، ودفعها عنّي . فلم أدر لنفسي بحيلةٍ ولا نصرةٍ . فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكياً بعمّي ، فبعث إليه ، فلمّا وقف بين يديه ، قال له مروان : يا أيّها الرّجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته؟ قال : أصلح الله الأمير ، ليس له عندي زوجة ولا زوجته من ابنتي قط . قلت أنا : أصلح الله الأمير ، أنا راضٍ بالجّارية ، فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول؟ فبعث إليها فأتت الجّارية مسرعةً ، فلمّا وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنها وقعت منه موقع الإعجاب والاستحسان ، فصار لي ، يا أمير المؤمنين خصماً وانتهرني ، وأمر بي إلى السّجن . فبقيت كأني خررت من السّماء في مكانٍ سحيقٍ ، ثمّ قال لأبي بعدي : هل لك أن تزوّجها منّي ، وأنقدك ألف دينار ، وأزيدكً أنت عشرة آلاف درهمٍ تنتفع بها ، وأنا أضمن طلاقها؟ قال له أبوها : إن أنتً فعلت ذلك زوّجتها منك .

فلمّا كان من الغد بعث إليّ ، فلمّا أدخلت عليه نظر إليّ كالأسد الغضبان ، فقال لي : يا أعرابي طلّق سعدى . قلت : لا أفعل . فأمر بضربي ثم ردّني إلى السّجن ، فلمّا كان في اليوم الثّاني قال : عليّ بالأعرابي . فلمّا وقفت بين يديه ، قال : طلّق سعدى . فقلت : لا أفعل . فسلّط عليّ يا أمير المؤمنين خدّامه فضربوني ضرباً لا يقدر أحدٌ على وصفه ، ثمّ أمر بي إلى السّجن ؛ فلمّا كان في اليوم الثّالث قال : عليّ

بالإعرابي ، فلمّا وقفت بين يديه قال : عليّ بالسّيف والنّطع وأحضر السيّاف ، ثمّ قال : يا أعرابي ، وجلالة ربّي ، وكرامة والدي ، لئن لم تطلّق سعدى لأفرّقنّ بين جسدك وموضع لسانك .

فخشيت على نفسي القتل فطلّقتها طلقةً واحدةً على طلاق السّنّة ، ثمّ أمر بي إلى السّجن فحبسني فيه حتّى تمّت عدّتها ثمّ تزوّجها ، فبنى بها ، ثمّ أطلقني . فأتيتك مستغيثاً قد رجوت عدلك وإنصافك ، فارحمني يا أمير المؤمنين . فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدني الأرق ، وأذابني القلق ، وبقيت في حبّها بلا عقلٍ ، ثمّ انتحب حتىّ كادت نفسه تفيض . ثمّ أنشأ يقول :

في القلب منّي نارٌ	والنّار فيه الدّمار
والجسم منّي سقيمٌ	فيه الطّبيب يحار
والعين تهطل دمعاً	فدمعها مدرار
حملت منه عظيماً	فما عليه اصطبار
فليس ليلي ليلٌ	ولا نهاري نهار
فارحم كئيباً حزيناً	فؤاده مستطار
اردد عليّ سعادي	يثيبك الجبّار

ثمّ خرّ مغشيّاً عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنّه قد صعق به قال : وكان في ذلك الوقت معاوية متكّئاً ، فلمّا نظر إليه قد خرّ بين يديه قام ثمّ جلس ، وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون . اعتدى والله مروان بن الحكم ضراراً في حدود الدّين ، وإحساراً في حرم المسلمين : ثمّ قال : والله يا أعرابي لقد أتيتني بحديثٍ ما سمعت بمثله . ثمّ قال : يا غلام عليّ بداوةٍ وقرطاسٍ فكتب إلى مروان : أمّا بعد ، فإنّه بلغني عنك أنّك اعتديت على رعيّتك في بعض حدود الدّين ، وانتهكت حرمةً لرجلٍ من المسلمين . وإنّما ينبغي لمن كان والياً على كورةٍ أو إقليم أن يغضّ بصره وشهواته ، ويزجر نفسه عن لذّاته . وإنّما الوالي كالرّاعي لغنمة ، فإذًا رفق به بقيت معه ، وإذا كان لها ذئباً فمن يحوطها بعده . ثمّ كتب بهذه الأبيات :

ولّيت ، ويحك أمراً لست تحكمه	فاستغفر الله من فعل امرئٍ زاني
قد كنت عندي ذا عقلٍ وذا أدبٍ	مع القراطيس تمثالاً وفرقان
حتّى أتانا الفتى العذريّ منتحباً	يشكو إلينا ببثٍّ ثمّ أحزان
أعطي الإله يميناً لا أكفّرها	حقّاً وأبرأ من ديني ودياني

إن أنــت خالفتني فيمــا كتبت بــه لأجعلنّــك لحمــاً بــين عقباني
طلّــق سعــاد وعجّلهــا مجهّــزةً مع الكميت ، ومع نصر بن ذبيــان
فما سمعت كما بلّغــت فــي بشــر ولا كفعلــك حقــاً فعــل إنسان
فاختــر لنفســك إمّــا أن تجود بهــا أو أن تلاقــي المنايــا بــين أكفان

ثمّ ختم الكتاب . وقال : عليّ بنصر بن ذبيان والكميت صاحبيّ البريد . فلمّا وقفا بين يده قال : اخرجا بهذا الكتاب إلى مروان بن الحكم ولا تضعاه إلاّ بيده . قال فخرجا بالكتاب حتّى وردا به عليه ، فسلّما ثمّ ناولاه الكتاب . فجعل مروان يقرأه ويردّده ، ثمّ قام ودخل على سعدى وهو باكٍ ، فلمّا نظرت إليه قالت له : سيّدي ما الذي يبكيك؟ قال كتاب أمير المؤمنين ، ورد عليّ في أمرك يأمرني فيه أن أطلّقك وأجهّزك وأبعث بك إليه . وكنت أودّ أن يتركني معك حولين ثمّ يقتلني ، فكان ذلك أحبّ إليّ . فطلّقها وجهّزها ثمّ كتب إلى معاوية بهذه الأبيات :

لا تعجلــنّ أميــر المؤمنــين فقــد أوفــي بنــذرك في رفقٍ وإحسان
وما ركبــت حرامــاً حــين أعجبني فكيــف أدعى باسم الخائن الزاني
أعــذر فإنّــك لــو أبصرتهــا لجرت منك الأماقي على أمثال إنســان
فســوف يأتيــك شمــسٌ لا يعادلها عند الخليفــة إنــسٌ لا ولا جان
لــولا الخليفــة مــا طلّقتهــا أبــداً حتّى أضمّنّ فــي لحــد وأكفــان
علــى سعــاد ســلامٌ مـن فتىً قلق حتّى خلّفتــه بأوصــابٍ وأحـزان

ثمّ دفعه إليهما ، ودفع الجّارية على الصّفة التي حدّث له . فلمّا وردا على معاوية فكّ كتابه وقرأ أبياته ثمّ قال : والله لقد أحسن في هذه الأبيات ، ولقد أساء إلى نفسه . ثمّ أمر بالجّارية فأدخلت إليه ، فإذا بجارية رعبوبة لا تبقي لناظرها عقلاً من حسنها وكمالها . فعجب معاوية من حسنها ثمّ تحوّل إلى جلسائه وقال : والله إنّ هذه الجّارية لكاملة الخلق فلئن كملت لها النّعمة مع حسن الصّفة ، لقد كملت النّعمة لمالكها . فاستنطقها ، فإذا هي أفصح نساء العرب . ثمّ قال : عليّ بالأعرابي .

فلمّا وقف بين يديه ، قال له معاوية : هل لك عنها من سلو ، وأعوّضك عنها ثلاث جوار أبكار مع كلّ جارية منهن ألف درهم ، على كلّ واحدة منهنّ عشر خلع من الخزّ والدّيباج والحرير والكتّان ، وأجري عليك وعليهنّ ما يجري على المسلمين ، وأجعل لك ولهنّ حظاً من الصّلات والنّفقات؟ فلما أتمّ معاوية كلامه غشي على الأعرابيّ وشهق شهقةً ظنّ معاوية أنّه قد مات منها . فلّما أفاق قال له معاوية : ما

بالك يا أعرابي؟ قال : شرّ بالٍ ، وأسوأ حالٍ ، أعوذ بعد لك يا أمير المؤمنين من جور مروان . ثمّ أنشأ يقول :

لا تجعلني هداك الله من ملك كالمستجير من الرّمضاء بالنّار
أردد سعاد على حرّان مكتئبٍ يمسي ويصبح في همٍّ وتذكار
قد شفّته قلقٌ ما مثله قلقٌ وأسعر القلب منه أيّ إسعار
والله والله لا أنسى محبّتها حتّى أغيّب في قبري وأحجاري
كيف السّلوّ وقد هام الفؤاد بها فإن فعلت فإنّي غير كفّار
فأجمل بفضلك وافعل فعل ذي كرم لا فعل غيرك ، فعل اللؤم والعار

ثمّ قال : والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتًني كلّ ما احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى . ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول :

أبى القلب إلاّ حبّ ليل وبغّضت إليّ نساءٌ ما لهن ذنوب
وما هي إلاّ أن أراها فجاءةً فأبهت حتّى لا أكاد أجيب

فلمّا فرغ من شعره ، قال له معاوية : يا أعرابي؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : إنك مقرٌّ عندنا أنّك قد طلّقتها ، وقد بانت منك ومن مروان ، ولكن نخيّرها بيننا . قال : ذاك إليك ، يا أمير المؤمنين . فتحوّل معاوية نحوها ثمّ قال لها : يا سعدى أيّنا أحبّ إليك : أمير المؤمنين في عزّه وشرفه وقصوره ، أو مروان في غصبه واعتدائه ، أو هذا الأعرابي في جوعه وأطماره؟ فأشارت الجّارية نحو ابن عمّها الأعرابي ، ثمّ أنشأت تقول :

هذا وإن كان في جوع وأطمار أعزّ عندي من أهلي ومن جاري
وصاحب التّاج أو مروان عاملُه وكلّ ذي درهم منهم ودينار

ثمّ قالت : لست ، والله ، يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلتّه ، ولقد كانت لي معه صحبة جميلة ، وأنا أحقّ من صبر معه على السّرّاء والضّرّاء ، وعلى الشّدّة والرّخاء ، وعلى العافية والبلاء ، وعلى القسم الذي كتب الله لي معه . فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهمٍ وألحقها في صدقات بيت المسلمين .

قتلى الحب

قال : خرج شامة بن لؤي بن غالب من مكّة حتّى نزل بعمان على رجلٍ من

الأزد[١] وكان شامة بن لؤي من أجمل خلق الله ، فقراه وبات عنده . فلما أصبح قعد يستنّ فنظرت إليه زوجة الأزدي فأعجبها ، فلمّا رمى ، مضت إلى سواكه فأخذتها فمصّتها ، فنظر إليها زوجها ، فحلب ناقةً وجعل في اللبن سمّاً وقدّمه إلى شامة ، فغمزته المرأة ، فأراق اللبن وخرج يسير . فبينما هو في موضع يقال له خرق الجّميلة أهوت ناقته في عرفجة؟ فانتشلها وفيها أفعى فنهشت مشفريّها فحكتها على ساق شامة فمات . فقالت الأزد :

إذا ناقتـــي حلّـــت بليـــل ففارقــت جملـــة لّمـــا أنبـــتّ منهـــا قرينها
فقلـــت لهـــا حثّـــي قليـلاً فإننـــي وإيّـــاك نخفـــي عبـــرةً سترينهـــا
غـــدرت بنا بعـــد الصّفـــاء وخنتنـا وشـــرّ مصافـــي خلّـةٍ من يخونها

الحنين إلى الديار

قال سليمان بن أبي سمخ تزوّج رجلٌ من تهامة امرأةً من نجد فلمّا نقلها إليه ، قالت له : ما فعلت ريحٌ من نجد كانت تأتينا يقال لها الصبا ما رأيتُها ههنا؟ فقال : يحجزها عنّا هذان الجّبلان . فأنشأت تقول :

أيا جبلـــي نعمـــان باللـــه خلّيـــا نسيـــم الصّبا يخلص إليّ نسيمها
فإنّ الصّبـــا ريـــحٌ إذا مـــا تنفّســـت على قلب محزون تجلّت همومهـــا
أجـــد بردهـــا أو يشـــف منّي حرارةً على كبدٍ لـــم يبـــق إلا صميمها

الفقر والحب

قال الزّبير حدثني أبي ، قال : كان عندنا بالمدينة رجلٌ من قريش كانت له امرأة تعجبه ويعجبها ، وكانت تحول بينه وبين طلب الرّزق ، وكلّ ذلك يحتمله لشدّة محبّته إيّاها فلمّا ساءت حاله وكثر دينه قال :

إذا المـــرء لـــم يطلـــب معاشاً لنفسه شكـى الفقر أو لام الصّديق فأكثرا
وصار على الأدنين كـــلاً وأوشكـــت قلـــوب ذوي القربـــى له أن تنكّرا

(١) الأزد ،من قبائل العرب القحطانية وأكثرها شهرة فهم ملوك سبأ وأصحاب الجنتين المذكورة بالقرآن الكريم . ورد اسمها في بعض المصادر الأسْد (بتسكين السين) وهي غير قبيلة بني أسد العدنانية (بفتح السين) ، بطونها كثيرة زادت على ستة وعشرين بطناً كبيراً .

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدونٍ ولا تنم ... وكيف ينام الليل مَن كان معسرا
وما طالب الحاجات من حيث يبتغي ... من النّاس إلاّ من أجدّ وشمّرا

فلّما أصبح قال لامرأته : أنا ، والله أحبّك ، ولا صبر لي على ما نحن فيه من ضيق العيش ، فجهّزيني . فجهّزته ، فخرج حتّى قدم على معاوية بن أبي سفيان فقام بين الصّفّين ، فأخبره بحاله ، وأنشده الشّعر . فرقّ له ، وأمر له بألف دينار وقال له : لقد دلّني حالك على محبّتك لأهلك وكراهيّتك لفراقهم فخذ وانصرف إليهم فأخذها وانصرف راجعاً .

استبدلها بنصرانية

قال الزّبير بن بكار[1] : حكى الحسن بن علي مولى بني أميّة قال : خرجت إلى الشّام فلمّا كنت بالسّمهاة ودنا الليل رفع لي قصرٌ فأهويت إليه ، فإذا أنا بامرأة لم أر قط مثلها حسناً وجمالاً . فسلّمت ، فردت عليّ السّلام ، قالت : ممّن أنت؟ قلت : من بني أميّة . قالت : مرحباً بك ، أنزل ، فأنا امرأةٌ من أهلك . فأنزلتني أحسن منزلٍ وبتّ أحسن مبيت .

فلمّا أصبحت قالت : إنّ لي إليك حاجة . قلت ما هي؟ فأشارت إلى دير ، وقالت : إنّ في ذلك الدّير ابن عمّي ، وهو زوجي ، وقد غلبت عليه نصرانيّةٌ في ذلك الدّير ، فتمضي إليه وتعظه . فخرجت حتّى انتهيت إلى الدّير ، فإذا برجل في فنائه من أحسن الرّجال وأجملهم . فسلّمت عليه ، فردّ وسأل . فأخبرته من أنا ، وأين بتّ ، وما قالت المرأة . فقال : صدقت ، أنا رجلٌ من أهلك من أهل الحارث بن الحكم . ثمّ صاح : يا قسطا . فخرجت إليه نصرانيّةٌ عليها ثياب حبرات وزنانير ما رأيت قبلها ولا بعدها أحسن منها . فقال : هذه قسطا ، وتلك أروى ، وأنا الذي أقول :

وبدّلت قسطا بعد أروى وحبّها ... كذاك لعمري يذهب الحبّ بالحبّ

---

(١) الزبير بن بكار الأسدي القرشي من نسل عبد الله بن الزبير ، ولد في المدينة المنورة سنة ١٧٢هـ من مشاهير العلماء والأدباء في العصر العباسي ، وحامل علم المدائني في التاريخ ، وقد عدّ له ابن النديم ٣١ كتاباً ، بعضها في التاريخ وبعضها في الأدب ، وكان مؤدب ولد محمد بن طاهر بن عبد الله حيناً ، وتوفي وهو قاضٍ بمكة سنة ٢٥٦هـ ، وعمره أربع وثمانون سنة .

وما هي أما ذكرها بنبطيّة ٍ كبدر الدّجى أوفى على غصن ٍ رطب

زوجة سفيان بن عاصم

روى إبراهيم بن حسن بن يزيد ، عن شيخ من ساكني العقيق قال : إنّي لواقفٌ بالعقيق ، وقد جاء الحاج ، إذ طلعت امرأة علىً راحلة وحولها نسوة ، فنظرنا إليها ، فأعجبتنا حالها . فلمّا كانت حذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، عدلت إلينا ، ونحن ننظر . فنزلت قصراً من تلك القصور فأقامت فيه ساعةً ثمّ خرجت ، فركبت ومضت ، وإنّ عينيها لتنقطان دموعاً . فقلت : لأنظر ما صنعت هذه المرأة؟ فدخلت القصر ، فإذا كتاب يواجهني في الجّدار ، فقرأته فإذا هو :

أليس كفى حزناً لذي الشّوق أن يرى ، منازل من يهوى معطلةً قفرا؟
بلى ، إنّ ذا الشّوق الموكّل بالهوى ، يزيد اشتياقاً كلّما حاول الصّبرا

وتحته مكتوبٌ : وكتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز . وكان سفيان بن عاصم زوجها فتوفّي عنها .

سلامة القس

قال الزّبير بن بكار : كان عبد الرّحمن بن أبي عمّار من عبّاد أهل مكّة ، فسمي القسّ من عبادته . فمرّ ذات يوم بدار سهل بن عبد الرّحمن بن عوف مولى سلامة الزّرقاء ، وهي تغنّي ، فسمع غناءها ، فبلغ منه كلّ مبلغ ، فرآه مولاها وتبيّن ما لحقه ، فقال له : هل لك أن تدخل إليها وتسمع منها؟ فامتنع وأبى ، فقال له : أنا أقعدك في موضع تسمع من غنائها ولا تراها ولا تراك . ولم يزل به حتّى دخل وسمع غناءها ، فأعجبًه ، فقال له : هل لك أن أخرجها لك؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثمّ أجابه . فأخرجها إليه ، وأقعدها بين يديه ، وغنّته ، فشغف بها ، وشغفت به . وكان أديباً ظريفاً . واشتهر أمره معها بمكّة حتّى سمّوها سلامة القسّ .

وخلا معها يوماً ، فقالت له : أنا ، والله ، أحبّك فقال له : أنا ، والله ، كذلك . قالت له : أحبّ أن أضع فمك على فمي . قال : وأنا ، والله . قالت : فما يمنعك من ذلك ، فوالله إنّ الموضع لخال؟ فقال لها : ويحك ، إنّي سمعت الله عزّ وجل يقول في كتابه : «الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتّقين» . وأنا أكره أن تكون خلّة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة . ثمّ نهض وعيناه تذرفان من حبّها وعاد إلى الطّريقة

التي كان عليها من النّسك والعبادة . وكان يمرّ في بعض الأيّام ببابها فيرسل إليها بالسّلام فيقال له : أدخل فيأبى . وقال فيها أشعاراً كثيرةً ، وغنّته بها . فمنها :

إنّ التـــي طرقتـــك بـــين ركائـب ... تمشـــي بمزهرهـــا وأنـــت حـــرام
باتـــت تعلّلنـــا ، وتحســـب أنّنـــا ، ... فـــي ذاك أيقـــاظ ونحـــن نيـــام
حتّـــى إذا سطـــع الصّبـــح لناظـــر ... فـــإذا الـــذي مـــا بيننـــا أحلام
قد كنـــت أعـــذل في السّفاهة أهلها ... فاعجـــب بمـــا تأتـــي بـــه الأيام
فاليـــوم أعذرهـــم وأعلـــم أنّمـــا ... طرق الضّلالـــة والهـــدى أقســـام

وفيها قوله :

علـــى سلاّمـــة القلـــب السّـــلام ... تحيـــة مـــــن زيارتـــــه لمـــام
أحـــبّ لقاءهـــا ، وألـــوم نفســـي ، ... كـــأنّ لقاءهـــا شـــــيءٌ حـــرام
إذا مـــا حـــــنّ مزهرهـــــا إليـــها ... وحنّـــت نحـــوه ، أذن الكـــــرام
فمـــدّوا نحوهـــا الأعـــنـــاق حتّـــى ... كأنّهـــــم ومـــا نامـــوا نيـــام

عشق امرأة أخيه

قال الأصمعي : كان فتىً من ثقيف شديد الحياء ، كريماً أديباً ، فبينا هو جالس ، إذ مرّت به امرأةٌ من أجمل النّساء فلم يتمالك أن قام من الحياء من مجلسه ليعلم من هي ، وأين تريد . وقد كلف بها واشتدّ عشقه لها ، فاتّبعها حتى دخل منزل أخيه فإذا هي امرأته ، فضاق به الأمر ولم يدر ما يصنع ، وكتم شأنه ، وجعل ما به يزداد كل يوم حتّى نحل جسمه ، فأنكر شأنه أخوه وأهله وسألوه عمّا به . فلم يخبرهم بشيءٍ من أمره . فدعا أخوه الأطبّاء فعالجوه فلم يغنوا عنه شيئاً ، فلمّا أعياهم ما به ، وزاد سقمه ، سلّمه أخوه إلى الحارث بن كلدة وكان من أطبّاء العرب فنظر إليه الحارث فلم يرى به داءٌ ينكر ، غير أنّه ظنّ أنّه عاشق . فخلا به الحارث فسأله ، فأبى أن يقرّ له بشيءٍ . فلمّا أعيا الحارث جعل يسأل عن أسمائهم وأسماء نسائهم ، والفتى ملقىً بين يديه ، كلّما سمّيت امرأةٌ منهم نظر الحارث وجه المريض حتّى جاء اسم امرأة أخيه فارتاح وتنفّس ، واغرورقت عيناه بالدّموع . فعلم الحارث أمره ، وقال لأخيه : اذهب فجئني بجميع أهليكم ، ولا يتخلّف عنّي منهم امرأةً ولا رجلاً ، فإنّي قد وقعت على دائه .

فخرج أخوه حتّى أتى أهله ، فجميعهم في منزل ونقل الحارث المريض إليهم ،

وقال : لا يغيبنّ عنه امرأة ولا رجلٌ . فلمّا نظر الرّجل إلى امرأة أخيه خفّ عنه بعض ما كان يجده . فعرف الحارث ذلك منه ، فأمر بشاة فذبحت ، وأخرج كبدها فوضعها على النّار ، ثمّ أطعمه منها فأكل ثمّ مزج له شربةً خَفيفةً فسقاه ، وفعل به ذلك أيّاماً يزيده في كلّ يومٍ شيئاً قليلاً في مطعمه ومشربه . فحسنت حاله ، ورجع إليه بعض جسمه .

فلمّا رأى الحارث أنّه قوي بعض القوّة صنع له طعاماً وهيّأ له شراباً ثمّ أحضر الفتى وأخاه فطعما وشربا ، وأمر الحارث أخاه أن ينصرف وقام هو ووكّل هو بالفتى من يسقيه ويغنيه ، وقال : احفظ حديثه ، وكلّ ما يتكلّم به ، وحدّثه كلّ حديثٍ تعرفه في العشق وأخبار العشّاق ، وأشعارهم . فلمّا أخذ الشّراب في الفتى تغنّى :

أهـــل ودّي ، ألا سلمـوا وقفـــوا كـــي تكلّمـوا :
أخـــذ الحـــيّ حظّهـــم مـــن فـــؤادي وأنعـــم
فهمومـــي كثيـــرةٌ ، وفـــــؤادي متيّـــــم
وأخـــو الحـــبّ جسمـــه أبـــد الدّهـــر يسقـــم .

فلمّا أصبح الحارث ، دعا الموكّل بالفتى فسأله ، فعرّفه بكلّ شيء ، فحدّثه وأنشد الأبيات التي تغنّى بها . فدعا أخاه فعرّفه إنّه عاشقٌ لامرأته . فقال له : يا أخي أنا أنزل لك عنها وتتزوّجها . فلمّا سمعه الفتى استحيا وخرج هارباً على وجهه ، فلم يقفوا له على خبرٍ إلى اليوم فسمّي فقيد ثقيف .

باعها ثم اشتاقها

قال محمّد بن عبيد الزّاهد : كانت عندي جاريةٌ فبعتها ، فتبعتها نفسي ، فسرت إلى مولاها مع جماعة إخوانه ، فسألوه أن يقيلني ويربح عليّ ما شاء ، فأبى ، فانصرفت من عنده مهموماً مغموماً ، فبتّ ساهراً لا أدري ما أصنع ، فلمّا رأيت ما بي من الجّهد ، كتبت اسمها في راحتي ، واستقبلت القبلة . فكلّ ما طرقني طارق من ذكرها رفعت يدي إلى السّماء وقلت : يا سيّدي هذه قصّتي . حتّى إذا كان في السّحر من اليوم الثّاني ، إذ أنا برجلٍ يدقّ الباب ، فقلت : من هذا : أنا مولى الجّارية . ففتحت ، وإذا بها . فقال : خذها باركَ الله لك فيها! فقلت : خذ مالك والرّبح . فقال : ما كنت لآخذ ديناراً ولا درهماً . قلت فلم ذلك؟ قال : أتاني الليلة في منامي آتٍ فقال : ردّ الجّارية على ابن عبيد الله ، ولك الجنّة .

فقيه الحجاز عاشق

وكان عبد الرّحمن بن أبي عمّار فقيه أهل الحجاز قد مرّ بنخّاس معه فتيات ، فنظر إليهنّ ، فتعلّق بواحدة منهنّ ، فاشتدّ وجده بها ، واشتهر بذكرها ، حتّى أتى إليه عطاء ومجاهد يعذلونه . فلمْ يكن جوابه إلاّ أن قال :

يلومونني فيك أقوامٌ أجالسهم فما أبالي أطال اللوم أم قصرا

فانتهى خبره إلى عبد الله بن جعفر فخرج حاجّاً بسببه ، وبعث إلى مولى الجّارية واشتراها منه بأربعين ألفاً ، وأمر قيّمة جواريه فحلّتها وزيّنتها . وبلغ النّاس قدومه ، فدخلوا إليه للسّلام عليه وفيهم عبد الرّحمن بن عمّار . فلمّا أراد الشّخوص استجلسه ، فقال له : ما فعل حبّ فلانة؟ قال : مشوب اللحم والدّم والمخّ والعظم والعصب . وأمر الجّارية فأخرجت إليه ، وقال : هي هذه؟ قال : نعم ، أصلحك الله . قال : إنّما اشتريتها لك ، فوالله ما دنوت منها ، فشأنك بها ، فهي لك مباركة . وأمر له بمائة درهم ، وقال له : خذ هذا المال لئلّا تهتمّ بها وتهتمّ بك . قال ، فبكى عبد الرّحمن فرحاً وقال : يًا أهل البيت قد خصّكم الله بأشرف ما خصّ به أحداً من صلب آدم ، فلتهنئكم هذه النّعمة ، وبارك لكم فيها . فكان هذا الفعل بعض ما اشتهر به عبد الله بن جعفر من الجّود .

كامل بن الرضين وابنة عمة

قال العتبي : عشق كامل بن الرّضين أسماء بنت عبد الله بن مسافر الثقيفة ، وهي ابنة عمّه ، فلم يزل به العشق حتّى صار كالشّن البالي . فلمّا اشتدّ ما به ، شكا أبوه إلى أبيها فزوّجها له ، فحمل إلى دارها وفيه رمق ، فلمّا دخل الدّار ، قال : أوأنا بموضع تسمع أسماء كلامي؟ قيل : نعم . فشهق شهقةً قضى مكانه . فقيل لها : يا أسماءَ قد مات بغصّة . قالت : والله لأموتنّ بمثلها ، ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني قبح ذكر الرّيبة ، وسماجة الغيبة . وسقطت بالمرض ، فلمّا اشتدّ بها ، قالت لأخصّ نسائها : صوّري لي صورته ، فإنّي أحبّ أن أزوره قبل موتي . ففعلت . فلمّا رأت الصّورة اعتنقتها وشهقت شهقةً قضت نحبها . فدفنت مع الفتى في قبرٍ واحدٍ .

وكتب على قبرهما :

بنفسي هما ما متّعا بهواهما على الدّهر حتّى غيّبا في المقابر
أقاما على غير التزاور برهةً فلمّا أصيبا قرّبا بالتزاور
فيا حسن قبرٍ زار قبراً يحبّه ويا زورةً جاءت بريب المقادر

وصف العشق

قال العتبي : قال أعرابيٌّ : إن لم يكن العشق ضرباً من السّحر إنّه لسعةٌ من الجّنون

وسئلت أعرابيّةٌ عن صفة الهوى ، فقالت :

الحـــبّ أوّلـــه ميلٌ تهيـــم بـــه   نفـس المحبّ فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه مـــن نظـرةٍ عرضـــت   أو مزحة أشعلت في القلب كاللهـب
كالنّـــار مبدؤهـــا من قدحـــةٍ ، فـإذا   تضرّمتْ أحرقت مستجمع الحطب

ليم بعض الحكماء على الهوى ، فقال : لو كان لذي هوىً اختيارٌ لاختار أن لا هوىً . وأنشد لمجنون ليلى :

أصلّـــي فـــلا أدري إذا مـــا ذكرتهـا   أثنتـــين صلّيـت الضّحى أم ثمانيا
أرانـــي إذا صلّيت أقبلـــت نحوهـــا   بوجهـــي وإن كـــان المصلّى ورائيا
ومـــا بـــي إشـــراكٌ ولكـــنّ حبّـــها   وعظم الجوى أعيا الطّبيب المداويـا

الهوى والموت

وأنشد لأبي العتاهية :

لا بـــارك الله فيمـــن كان يخبرنـــي   أنّ المحبّـــين فـــي لهـــو ولـــذّات
لموتـــةٌ تأخـــذ الإنســـان واحـــــدةً   خيرٌ لـــه مـــن لقاء المـــوت مرّات

الهوى وأغصانه

وأنشد لأعرابيٍّ :

وللحـــبّ أغصـــانٌ تراهـــا نضيـــرةً   وفـــي طعمهـــا للعاشقـين ذعاف
رأيـــت المنايـــا فـــي عـــيون أوانـسٍ   تقتّلـــن أرواحـــاً وهـــنّ ضعـــاف

الهوى المتجدّد

وأنشد :

رأيـــت الحـــبّ نيرانـــــاً تلظّـــــى   قلـــوب العاشقـــين لهـــا وقـــود
فلـــو كانـــت ، إذا فنيـــت تقضّـــت   ولكـــن مثـــل مـــا كانت تعـــود
كأهـــل النّـــار إذ فنيـــت جلـــــودٌ   أعيـــد مـــن الشّقـــاء لهـــم جلود

يعرف العاشق من قوله

ركبت سكينة بنت الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهم مع جواريها ،

فمرّت بعروة بن أذينة الليثي ، وهو في فناء قصر ابن عتبة ، فقالت لجواريها : من الشّيخ؟ فقلن لها : عروة . فعدلت إليه فقالت له : يا أبا عامر ، تزعم أنّك لم تعشق قط وأنت تقول؟ :

قالت : وأبثثتهـا وجدي فبحت به ؛ قد كنت عندي تحت السّتر فاستتر
ألست تبصر من حولي؟ فقلت لهـا : غطّي هواك وما ألقى على بصري .
كلّ ما ترى حواليّ من جوارٍ أحرارٍ إن كان خرج الكلام من قلبٍ سليمٍ .

أهل الدّعاوي الباطلة

وأمّا أهل الدّعاوي الباطلة ، التي ليست أجسامهم بناحلة ، ولا ألوانه بحائلة ، ولا عقوله بذاهبة ، فهم عند ذوي الفراسة ، يكذبون ، وعند ذوي الظّرف محرومون . فمن ذلك ما روى العبّاس بن الأحنف ، قال : بينما أنا أطوف ، إذ بثلاث جوارٍ أتراب ، فلمّا أبصرنني ، قلن هذا العبّاس . ودنت إليّ إحداهنّ ، فقالت : يا عبّاس أنت القائل؟ :

ماذا لقيت من الهوى وعذابه طلعت عليّ بليّةٌ من بابه

قلت : نعم . قالت : كذبت يا ابن الفاعلة ، لو كنت كذلك كنت أنا . ثمّ كشفت عن أضاجع معراة من اللحم ، فأنشأت تقول :

ولّما شكوت الحبّ ، قالت : كذبتني ، فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا!
فلا حبّ حتّى يلزق الجلد بالحشـا وتخرس حتّى لا تجيب المناديا .
أحبّ قلبي وما درى بدني

ومن ذلك ، ما روي عن إبراهيم بن المهدي قال : دخل عليّ المأمون فقال : بالله يا عم ، هل عشقت قط؟ فقلت : نعم . يا أمير المؤمنين ، وأنا السّاعة عاشقٌ . قال : وأنت على هذه الجثّة والجسم الكبير عاشق؟ فأنشأ يقول :

لأنّه أصفرٌ منخول وجه الذي يعشق معروف

إلى أن قال :

ليس كمن تلقاه ذا جثّةٍ كأنّه للذّبح معلوف

فأجابه إبراهيم :

وقائلٍ لست بالمحبّ ولو كنت محبّاً لذبت مذ زمن
أحبّ قلبي ، وما درى بدني ، ولو درى ، ما أقام في السّمن

وهذان قد ادّعيا المحبّة ففضحهما شاهد النّظر ولم يجز إدّعاؤهما على ذوي المعرفة والنّظر . وقول إبراهيم أحبّ قلبي وما درى بدني من كثرة المحال أن يتعلّق القلب لسببٍ فيسلم الجسم منه على حالٍ ، ولكنّه لاستحيائه من ادّعائه اعتذر ، فقبح في اعتذاره . وأنشدني بعض المشايخ :

وقائلة : ما بال جسمك لا يرى سقيماً وأجسام المحبّين تسقم؟

فقلتُ لها : قلبي بحبّك لم يبح لجسمي ، فجسمي بالهوى ليس يعلم!

والعرب تمدح أهل النّحول ، وتذمّ أهل السّمن والجسوم ، وتنفيهم عن الأدب ، وتنسب أهل النّحول إلى المعرفة وحسن البيان ، وأهل السّمن إلى الغباوة وبعد الأذهان .

محبوبة المتوكل(١)

قال عليّ بن الجّهم(٢) : لمّا أفضت الخلافة إلى جعفر المتوكّل على الله ، أهدي إليه ابن طاهر من خراسان هديّةً جليلةً فيها جوارٍ ، منهنّ جاريةٌ يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطّائف ، وكان لها مولىً قد عنيَ بها ، فبرعت في فنون الأدب ، وأجادت الشّعر . وكانت راويةً ظريفةً ، مجيدةً للغناء . فقربت من قلب المتوكّل . وغلبت عليه . قال : فخرج عليّ يوماً ، وقال لي : يا علي ، دخلت السّاعة على قينة وقد كتبت بالمسك على خدّها جعفراً ، فما رأيت أحسن منه ، فافعل فيه السّاعة شعراً . فأخذت الدّواة والقرطاس ، فانقفل عليّ ، حتّى كأنّي ما عملت بيتاً قط فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو أذنت لمحبوبة أن تقول شيئاً عسى أن ينفتح لي . فأمرها ،

(١) أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور عاش وفترة الخلافة خلفاً لأخية الواثق بالله وخلفه ابنه المُنتصر بالله . أُمّه أم ولد تركية اسمها «شجاع» .

(٢) علي بن الجهم (١٨٨ هـ - ٢٤٩ هـ / ٨٠٣ - ٨٦٣م) هو علي بن الجهم بن بدر بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرار بن بكعب بىن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وكنيته أبو الحسن وأصله من خراسان ، المولود في ١٨٨ للهجرة في بغداد ، سليلاً لأسرة عربية متحدرة من قريش أكسبته فصاحة لسان وأحاطت موهبته الشعرية بالرازنة والقوة ، وحمتها من تأثير مدينة بغداد التي كانت تعج بالوافدين من أعاجم البلاد المحيطة بها .

فقالت مسرعةً ، وأخذت العود فجسته ، وصاغت لحناً ، واندفعت وغنّت :

وكاتبةٍ بالمسك في الخدّ جعفراً ، بنفسي خطّ المسك ، من حيث أثرّا
لئن أودعت سطراً من المسك خدّها ، لقد أودعت قلبي من الشّوق أسطرا .
فأعجب لمملوكٍ يظلّ مليكه مطيعاً له فيما أسرّ وأجهرا

قال عليّ : وغضب عليها مرّة ، وكان لا يصبر عنها ، فأمر جواري القصر ألا تكلّمها واحدةً منهنّ . فكانت في حجرتها أيّاماً ، وقد تنغّص عيشه لفراقها ، فبكرت عليه يوماً ، فقال : يا علي . قلت لبّيك يا أمير المؤمنين . قال : رأيت الليلة في منامي كأنّي رضيت عن محبوبة فصالحتها وصالحتني . فقلت : خيراً يا أمير المؤمنين ، أقرّ الله عينك وسرّك . إنّما هي عبيدتك ، والسّخط والرّضا بيدك ، فوالله ، إنّا لفي حديثنا إذ جاءت وصيفةً ، فقالت : يا أمير المؤمنين سمعت صوت عودٍ من غرفة محبوبة . قال : فقم بنا يا عليّ ننظر ما تصنع ، فنهضنا حتّى أتينا حجرتها ، فإذا هي تضرب العود وتغنّي :

أدور في القصر ، لا أرى أحداً أشكو إليه ، ولا يكلّمني
كأنّني قد أتيت معصيةً ، ليست لها توبةٌ تخلّصني .
فهل شفيع لنا ، إلى ملك ، قد زارني في الكرى فصالحني ،
حتّى إذا ما الصّباح لاح لناً ، عاد إلى هجره فصادمني .

قال : فصاح أمير المؤمنين ، وصحت معه . فتلقته وأكبّت على رجله تقبّلها ، فقال : ما هذا؟ فقلت : يا مولاي رأيت في ليلتي هذه كأنّك صالحتني ، فتعلّلت بما سمعت . قال : فأنا والله قد رأيت مثل ذلك . وقال : يا عليّ أرأيت أعجب من هذا وكيف اتّفق ورجعنا إلى الموضع الذي كنّا فيه . واصطلح . وما زالت تغنّيه هذه الأبيات يومنا ذلك . وازدادت حظوتها عنده حتّى كان من أمره ما كان . فتفرّقت جواريه ، فصارت محبوبة إلى الوصيف الكبير ، فما زالت باكيةً حزينةً ، فدعاها يوماً مع من صار إليه من جواري المتوكّل فأمرهنّ فغنّين . ثمّ أمرها فاستعفته فأبى ، فقلن لها : لو كان في حزننا فرحٌ لطال حزننا معك . وجيء بعودٍ فغنّت به :

أيّ عيش يلذّ لي لا أرى فيه جعفرا
كلّ من كان ذا ضنىً وسقام فقد برا
غير محبوبة التي ترى الموت يشترى

جميل العذري

حكى جميلُ بن معمر العذري : أنّه دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا جميل حدّثني ببعض أحاديث بني عذرة . فإنّه بلغني إنّهم أصحاب أدبٍ وغزلٍ . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمك أنَّ آل بثينة انتجعوا عن حيّهم ، فوجدوا النّجعةً بموضع نازح فظعنوا ، فخرجت أريدهم ، فبينما أنا أسير إذ غلطت الطّريق وأجنّني الليل فلاحت لي نارٌ ، فقصدها حتّى وردت على راع في أصل جبل قد انحنى عنه إلى كهفٍ فيه ، فسلّمت ، فردّ عليّ السّلام ، وقال : أظنّك قد غلطت الطّريق؟ فقلت : أجل . فقال : انزل وبت الليلة فإذا أصبحت وقفت على القصد فنزلت فرحب بي وأكرمني وذبح شاة ، وأجّج ناره ، وجعل يشوي ويلقي بين يدي ، ويحدّثني في خلال ذلك . ثمّ قام بإزارٍ كان معه فوضع به جانب الخبا ومهّد لي محلّاً خالياً فنمت .

فلمّا كان في الليل سمعته يبكي إلى شخصٍ كان معه ، فأرقت له ليلتي . فلمّا أصبحت طلبت الإذن فأبى ، وقال : الضّيافة ثلاثٌ . فجلست وسألته عن اسمه ونسبه وحاله ، فانتسب فإذا هو من بني عذرة ، من أشرفهم . فقلت : وما الذي جاء بك إلى هذا؟ فأخبرني أنّه كان يهوى ابنة عمٍّ له ، وأنّه خطبها من أبيها فأبى أن يزوّجها إيّاها لقلّة ذات يده ، وأنّه تزوّجها رجلٌ من بني كلاب وخرج بها عن الحي ، وأسكنها في موضعه . وأنّه رضي أن يكون لزوجها راعياً حتّى تأتيه ابنة عمّه فيراها . وأقبل يشكو قديم عشقه لها ، وصبابته بها حتّى أتى المساء ، وحان وقت مجيئها . فجعل يتقلقل ويقوم ويقعد ، ثمّ وثب قائماً على قدميه ، وأنشأ يقول :

ما بال ميّة لا تأتي كعادتها	أعاجها طربٌ أو صدّها شغل
لكنّ قلبي عنكم ليس يشغله	حتّى الممات وما لي غيركم أمل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم	لما اعتذرت ، ولا طابت لك العلل
نفسي فداؤك ، قد أحللت بي سقماً	تكاد من حرّه الأعضاء تنفصل
لو أنّ ما بي من سقم على جبلٍ	لزال وانهدّ من أركانه الجبل

ثمّ قال لي : اجلس ، يا أخا بني عذرةٍ ، حتّى أكشف خبر ابنة عمّي . ثمّ مضى فغاب عن بصري ، فلم ألبث أن أقبل وعلى يديه محمول ، وقد علا شهيقه ونحيبه ، فقال : يا أخي هذه ابنة عمّي أرادت زيارتي فاعترضها الأسد فأكلها . ثمّ وضعها بين يديّ ، وقال : على رسلك ، حتّى أعود إليك . فغاب عن نظري فأبطأ ، حتّى آيست من رجوعه ، فلم ألبث أن أقبل ورأس الأسد على يديه فوضعه ثمّ ، قال : يا أخي إنّك

ستراني ميّتاً فاعمد إليّ وإلى ابنة عمّي فأدرجنا في كفنٍ واحدٍ ، وأدفنّا في قبرٍ واحد ، واكتب على قبرنا هذين البيتين :

كُنّا على ظهرها والعيش في مهلٍ ... والشّمل يجمعنا والدّار والوطن
ففرّق الدّهر بالتّصريف إلفتنا ... فصار يجمعنا في بطنها الكفن

وردّ الغنم إلى صاحبها ، وأعلمه بقصّتها .

ثمّ عمد إلى خناق وطرحه في عنقه ، فناشدته الله لا تفعل ، فأبى وخنق نفسه حتّى مات . فلمّا أصبحت كفّنتهما ودفنتهما وكتبت الشّعر كما أمر ، ورددت الغنم إلى صاحبها وأعلمته بقصّتهما ، فحزن حزناً خفت عليه الهلاك أسفاً على ما فرّط من عدم اجتماعهما .

طعم العشق

وقد روي عن محمّد بن جعفر بن الزّبير ، قال : كنّا عند عروة بن الزّبير[(١)] وعنده رجلٌ من بني عذرة . فقال له : يا عذري بلغني أنّ فيكم رقّةً وغزلاً فأخبرني ببعض ذلك؟ فقال : لقد خلف في الحيّ ثلاثين مريضاً ما بهم داءٌ إلاّ الحب قد خامر قلوبهم وأنّ فيه من المرارة والنّكد والكمد ما هو مستعذبٌ عند أربابه ، مستحسنٌ عند أصحابه ، حلوٌ لا تعدّ له حلاوةٌ ، ومرٌّ لا تعدّ له مرارةٌ . قال الكميت بن زيد في ذلك :

الحبّ فيه حلاوةٌ ومرارةٌ ... سائلُ بذلك من تطعّم أو ذق
ما ذاق بؤس معيشةٍ ونعيمها ... فيما مضى أحدٌ إذا لم يعشق

وقال آخر :

يا أيّها الرّجل المعذّب بالهوى ... إنّي بأحوال الهوى لعليم
الحبّ صاحبه يبيت مسهّداً ... فيطير منه فؤاده ويهيم
والحبّ داءٌ قد تضمّنه الحشا ... بين الجوانح والضّلوع مقيم
والحبّ لا يخفى وإن أخفيته ... إنّ البكاء على الحبيب يدوم

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، تابعي جليل ، يُكنى بأبي عبد الله ، عالم أهل المدينة وأحد فقهائها السبعة ، كان ثقة فقيهاً علماً ثبتاً حجة كثير الحديث عالماً بالسير .

الحـبّ فيــه حـــلاوةٌ ومـرارةٌ والحـبّ فيـه شقـاوةٌ ونعيـم
والحـبّ أهـون مـا يكـون مبـرّحٌ والحـبّ أصغـر ما يكـون عظيم

وأنشدني أحمد بن يحيى :

سلني عن الحبّ يا من ليـس يعلمه مـا أطيـب الحـبّ لولا أنّه نكد
طعمـان حلـوٌ ومـرٌّ ليـس يعدلـه فـي حلـق ذائقـه مرٌّ ولا شهد

وأنشد أبو الطّيّب :

سلنـي عن الحبّ يا من ليس يعلمه عنـدي من الحبّ إن ساءلتني خبر
إنّـي امـرؤٌ بالهـوى ما زلت مشتهراً لاقيـت فـيه الذي لـم يلقه بشر
الحـبّ أوّلـه عـذبٌ مذاقتـه لكنّ آخـره التّنغيـص والكـدر

عروة بن حزام(1)

وذكر ابن عتيق ، قال : بينما أنا أسير في أرض بني عذرة ، إذ أنا ببيت جديد ، فدنوت منه ، فإذا بعجوز تعلّل شابّاً قد نهكته العلّة ، وبانت عليه الذّلّة . فسألتها عن خبره ، فقالت : هذا عروةً بن حزام . فدنوت منه ، فسمعته يقول :

مـن كـان مـن إخواننـا باكياً لغد فاليـوم ، أنّـي أراني اليوم مقبوضا

فقلت : أنت عروة بن حزام؟ قال : نعمً ، الذي أقول :

جعلـت لعـرّاف اليمامـة حكمـه وعـرّاف نجـد إن همـا شفياني
فقالا : نعم ، تشفى من الـدّاء كلّـه وقامـا مـع العـوّاد يبتدرانـي .
فما تركـا مـن سلـوةٍ يعلمانهـا ، ولا شربـةٍ إلاّ وقـد سقيانـي .
فقـال : شفـاك اللـه ، والله مالنا ، بما حملـت منك الضّلوع ، يـدان
فويلـي علـى عفـراء ويـلاً كأنّـه على النّحر والأحشاء حدّ سنـان ،

(1) عروة بن حزام (٣٠ هـ / ٦٥٠ م) عروة بن حزام بن مهاجر الضني ، من بني عذرة . شاعر ، من متيّمي العرب ، كان يحب ابنة عم له اسمها عفراء نشأ معها في بيت واحد ، لأن أباه خلفه صغيراً ، فكفله عمه . ولما كبر خطبها عروة ، فطلب أبوها مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له في اليمن ، وعاد بالمهر فإذا هي قد تزوجت بأموي من أهل البلقاء بالشام فلحق بها ، فأكرمه زوجها . فأقام أياماً وودعها وانصرف ، فضنى حباً ، فمات قبل بلوغ حيّه ودفن في وادي القرى (قرب المدينة) . له ديوان شعر صغير .

فعفـــراء أصفـــى النّاس عندي مودّةً وعفراء عندي المعـــرض المتوانـي .

ثمّ شهق شهقةً توهّمت أنّها غشية فتنحّيت عنه ، ودنت العجوز فوجدته قد قضى نحبه . فما برحنا حتّى دفنّاه .

تدعو للعشاق في الطواف

قال بعضهم : سمعت أعرابيّةً تطوف وهي تقول اللهمّ مالك يوم القضا ، وخالق الأرض والسّماء ، ارحم أهل الهوى ، وأنقذهم من عظيم البلا ، فإنّك تسمع النّجوى ، قريبٌ لمن دعا . ثمّ أنشأت تقول :

يـا ربّ إنّـــك ذو مـــنٍّ وذو سعـــة دارك بعافيـــة منـــك المحبّينـــا

الذّاكريـــن الهـــوى من بعد ما رقدوا حتّى نراهم علّى الأيدي مكبّينـــا

فقلت لها : يا هذه أيقال هذا في الطّواف؟ فقالت : إليك عنّي ، لا يرهقك الحبّ . فقلت : وما الحبّ؟ فقالت : جلّ أن يخفى ، ودقّ على أن يرى : له كمونٌ ككمون النّار في الحجر ، إن قدحته أروى ، وإن تركته توارى . قال : فتبعتها حتّى عرفت منزلها ، فلمّا كان من غد جاء مطرٌ شديدٌ فمررت ببابها وهي قاعدةٌ مع أتراب لها ، وهنّ يقلن لها : أضرّ بنا المطرّ ، ولولا ذاك لخرجنا إلى الطّواف فأنشأت تقول :

قالوا أضـــرّ بنـــا السّحـــاب بقطـــره لمّا رأزهـــا بعبرتـــي تحكـــــي ،

لا تعجبـــوا ممّـــا تـــرون ، فإنّمـــا تلـــك السّمـــاء لرحمتـي تبكـي .

وقـــد زعم قـــومٌ أنّه لا ذنب على أهل الهـــوى ، ولا وزر على ذوي الضّنا . إنّ خطاياهم تنمحي عنهم لطول بلائهم ، وكثرة شقائهم ،ولما يلقون من القلق ، ويعانون من الأرق .

رحمة عمر بعاشقين

وعن الأصمعيّ قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : لو أدركت عفراء وعروة ، لجمعت بينهما .

العرجي وأم الأوقص

قال الزّبير بن بكار : كان العرجيّ وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، رضي الله عنه ، يعشق أمّ الأوقص المخزومي القاضي ، وهي امرأةٌ من بني تميم ، فكان

يتعرّض لها ، فإذا رأته رمت بنفسها وتستّرت منه . فمرّ بها يوماً وهي في بعض نسوةٍ وهنّ يتحدّثن ، فعرفها فأحبّ أن يراها عن قربٍ ، فعدل عنها ولقي أعرابيّا راكباً معه لبنٌ رطبٌ ، فدفع دابّته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ، ولبس ثيابه ، ثمّ أقبل على النّسوة . فصحن يا أعرابيّ : عندك لبن؟ قال : نعم ومال إليهنّ ، وجلس يتأمّل التّميميّة وينظر أحياناً إلى الأرض كأنّه يطلب شيئاً . وهنّ يشربن من اللبن ، فقالت له امرأةٌ منهنّ : أيّ شيءٍ تطلب يا أعرابيّ أضاع منك في الأرض؟ قال : نعم قلبي : فلمّا سمعت التّميميّةُ كلامه نظرت إليه ، وكان أزرق ، فعرفته ، وقالت : ابن عمر ، وربّ الكعبة . ووثبت فسترها نساؤها ، وقلن له انصرف عنّا ، لا حاجة لنا إلى لبنك . فمضى منصرفاً .

أهل العشق مساكين

قال العتبيّ : سمعت أعرابيّةً تقول : مسكين العاشق ، كلّ شيءٍ عدوّه : هبوب الرّيح تقلقه ، ولمعان البرق يؤرقه ، ورسوم الدّيار تحرقه ، والعذل يؤلمه ، والتّذكير يسقمه . إذا دنا الليل منه هرب النّوم عنه ، ولقد تداويت بالقرب والبعد فما أنجح فيه دواء . ولقد أحسن الذي يقول :

بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا على أنّ قلب الدّار خيرٌ من البعد

داؤهما دواؤهما

وقال أعرابيٌّ : إنّ لي عيناً دموعاً ، وقلباً مروّعاً ، فماذا يصنع كلّ واحدٍ منهما بصاحبه مع أنّ داؤهما دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما .

البعيدة القريبة

وذكر أعرابيٌّ وجده بامرأةٍ فقال : ما ازدادت منّي بعداً إلاّ ازددت بها قرباً .

بعدها دهرٌ والسّاعة شهرٌ

وذكر أعرابيٌّ امرأةً كان يواصلها في شبابه ، فقال : ما كانت أيّامي معها إلاّ كأباهيم القطا قصرا ، ثمّ طالت بعدها شوقاً إليها ، وأسفاً عليها ، فاليوم بعدها دهر ، والسّاعة شهر .

رعت لعيسى الودّ

قال أبو بكر بن دريد : كانت امرأةٌ من لخم يقال لها سعدى تهوى ابن عمٍّ لها ، يقال له عيسى . فلمّا خشي أهلها الفضيحة قالوا لها : إن نطقت فيه بشعرٍ قطعنا لسانك . فعندها قالت :

خليلـــــيّ إن أصعــــدتما أو هبطتمـــا بـــلاداً هـــوى نفسي بها فأذكرانيا
ولا تدعـــا إن لامنـــي ثـــــمّ لائـــمٌ على سخط الواشـين أن تعذرانيـــا
فقد شفّ جسمي بعد طول تجلّـــــدي أحاديث عن عيسى تشيب النّواصيا
سأرعى لعيسى الودّ ما هبت الصّـــبا وإن قطعوا في ذاك عمداً لسانيـــا .

لبنى وقيس بن ذريح

وطلّق قيس بن ذريح امرأته لبنى فندم على ذلك ، وقال :

فواكبــــــدي علـــىً تسريـــح لبنـــى فكـــان فـــراق لبنـــى كالخـــداع
تكنّفنـــي الوشـــــاة فأزعجونــــــي فيـــا للنّـــاس للواشـــي المطـــاع
فأصبحـــت الغـــداة ألـــوم نفســـي علـــى أمـــرٍ وليـــس بمستطـــاع
كمغبـــونٍ يعـــضّ علــــى يديـــه تبيّـــن غبنـــه بـــعد البيـــــاع

الحجّاج وابنة عبد الله بن جعفر

وتزوّج الحجّاج ابنة عبد الله بن جعفر ، فلمّا دخلت عليه نظر إليها وعبرتها تجود على خدّها ، فقال لها : بأبي وأمّي ، ممّ تبكين؟ فقالت : من شرف اتّضع ، ومن ضعة شرفت . فلمّا كتب إليها عبد الملك بن مروان بطلاقها ، قال لها : إنّ أمير المؤمنين امرني بطلاقك . قالت : هو والله أبرّ بي ممّن زوّجك إياي . فلمّا مات أبوها لم تبك عليه ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : والله أنّ الحزن ليبعثني ، وإنّ الغيظ ليصمتني .

زينب بنت مرّة والمغيرة

وكانت زينب بنت مرّة عند ابن تميم لها يقال له المغيرة فجرى بينهما عتاب فطلّقها ثلاثاً فقالت :

يا أيّهـــا الرّاكـــب الغـــادي مطيّتـــه عـــرج أبثّك عن بعض الذي أجدّ
ما عالج النّاس من وجدٍ ومـــن كمـــد إلاّ وجـــدت به فوق الذي وجـدوا
حسبي رضاه ، وإنّـــي فـــي مسرّتـــه وودّه آخــــر الأيّـــــام اجتهـــد .

طلقها استجابة لأمه ثم ندم

كانت عند رجل امرأةٌ يقال لها أم مالك وكان بها معجباً . فأقسمت عليه أمّه أن يطلّقها ، فذهب عقله ، ونحل جسمه . فحضره الموت ، فدخلت عليه أم مالك تعوده ، فلمّا ولّت قال لأمّه : يا عجوز ليهنك فقد ابنك في الدّنيا ، والإثم لك في الآخرة . ثمّ أنشأ أن يقول :

لنا حاجةٌ في آل مروان دونها ... من النّفر الغرّ الوجوه قبيل
فمت كمداً إنّ كان يومك قد أتى ... أو اصبر على ما خلّيت فقليل

فلمّا خرجت عنه ، فاضت نفسه . وما وصلت إلى منزلها حتّى سقطت ميّتة .

ولات ساعة مندمٍ

قال إبراهيم بن عقبة : طلّق أعرابيٌّ امرأته وحمله على ذلك عقله فندم . وأنشأ يقول :

إذا ذكرت ليلى ترقرق دمعه ... كأن لم تكن عينٌ بها قبل قرّت
وإنّ ثلاثاً منك لو تعلمينه ... دنت دون حلو العيش حتّى أمرّت

راودها عن نفسها ثمّ تزوّجها

أبو العيناء[1] ، عن أبي حمزة الغسّاني قال : نزل أعرابيٌّ من بني أسد ببيت أعرابيّةٍ من بني تميم ضيفاً ، فأتته بقرىً حاضر ، وماء بارد . فجعل ينظر إليها من وراء السّتر ، ثمّ راودها عن نفسها ، فقالت له : يا هذا أما يقرّعك الإسلام والكرم؟ كل ، وإن أردت غير ذلك فارتحل . فقال لها : زوّجيني إذاً نفسك . فقالت له : الأولياء يزوّجونك . فخاف أن لا يزوّجوه للعداوة بين الحيّين ، فانتسب إلى بني عذرة فزوّجوه فأقام عندهم زماناً . ثمّ علموا أنّه أسدي فقالوا له : والله إنّك لكفءٌ كريمٌ ، ولكن نكره أن تنكح فينا وأنت حربٌ لنا ، فحل عن صاحبتنا . وكان يحبّها حبّاً شديداً فطلّقها ، وقال :

أحبّك يا عم حبّ الحياة ... ونيل المنى وبلوغ الظّفر

---

(١) أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي ولاءً . أديب فصيح من ظرفاء العالم ، ومن أسرع الناس جواباً اشتهر بنوادره ولطائفه ، وكان ذكياً جداً ، حسن الشعر ، ملح الكتابة .

ويعجبنـي منـك عنـد اللّقـاء ، حيـاء الكلام ، ومـوت النّظـر
ونائـي الجبـين ، شديد البيـاض ، كثيـف الجوانـب ، مثل القمر .
له وهـجٌ كضـرام الحريـق ، يكـاد يمـزّق جلـد الذّكـر
قال أبو ذكوان : لم تقل العرب فيما يريده الرّجال من النّساء أحسن من هذا

لا بديل لسعدى

خرج محمّد بن المشيري الخارجي إلى البصرة في طلب ميراث له ، وبها نفرٌ من قومه . فأقام بها حولاً ينشدهم ويحدّثهم . وكانت امرأةٌ منهم ذاتَ جمالٍ ومالٍ لا يطمع فيها أحد . فقالوا له : يا أبا سلمان هل لك في امرأة منّا ، سيّدةٌ في قومها جمالاً وعقلاً ، وعفافاً ، ورأياً ، قد سمعت بمقدمك ، فذكرت لها ، فزعمت أنّك طلّقت زوجتك التي خلّفتها في بلدك فرغبت فيك ، فإن أحببت أقمت عندنا فيما ترى من طيّب بلادنا وربعنا ، وعلينا صداقك ، وما تحتاج إليه؟ فأقبلوا به وأدبرّوا واجتهدوا فأبى عليهم ، وقال في ذلك :

أسائـلٌ بالعـراق فـراق سعـدٍ ولا تبـدي ولا يـراها الفـراق
لئـن ربـح الفـراق لهجـر سعدى علـيّ أشـدّ مـا ربـح الفـراق
إذا عدلـوا أقـول لهـم : لسعـدى خلائـقُ لا يحـلّ لهـا الطّلاق
حـرامٌ أن يقـول نسـاء قـومٍ تركتـك أو تحـدث بـي الفـراق

شعر قيسٍ بعد زواج ليلى

ولّما تزوّجت ليلى صاحبة قيس بن الملوّح ، هام على وجهه مع الوحش ، وكان يقول :

لهـا فـي سـواد القلب تسعة أسهم وللنّـاس فـي ذاك المكـان عشير
ولسـت بمحـص حبّ ليلى لسائلٍ مـن النّـاس إلاّ من يقول كثير .
وتنشـر نفسـي بعد موتي لذكرها ، فمـوت نفسـي مـرّةٌ ونشـور .
أتاني بعد ظهر الغيب أن قد تزوّجت ، فكـادت بـي الأرض البراح تمور
فقلـت ، وقـد أيقنت أن ليس بيننا تـلاق ، وعينـي بالدّمـوع تفور :
لئن كان تبدي بـرد إيمانهـا العلـى لأفقـرٍ منّدي أنّنـي لفقيـر .
فما أسـرع الأخبـار أن قد تزوّجت ، فهـل يأتيننـي بالطّلاق . تشير؟

يوم دارة جلجل

قال الفرزدق : أصابنا بالبصرة ليلاً مطر جود فلما أصبحت ركبت بغلة لي وسرت إلى المربد فإذا أنا بآثار دواب قد خرجت إلى ناحية البرية فظننت أنهم قوم خرجوا للنزهة وهم خلقاء أن تكون معهم سفرة فاتبعت آثارهم حتى انتهيت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير فأسرعت إلى الغدير فإذا فيه نسوه مستنقعات في الماء فقلت : لم أر كاليوم قط ولا يوم دارة جلجل .

وانصرفت مستحياً فنادينني : يا صاحب البغلة ارجع نسألك عن شيء .

فرجعت إليهن فقعدن في الماء إلى حلوقهن ثم قلن : بالله إلا ما أخبرتنا ما كان من حديث يوم دارة جلجل .

قلت : حدثني جدي وأنا يومئذ غلام حافظ أن امرؤ القيس كان عاشقاً لابنة عمه ويقال لها : عنيزة وأنه طلبها زماناً فلم يصل إليها حتى كان يوم الغدير وهو يوم دارة جلجل .

وذلك أن الحي تحملوا فتقدم الرجال وتخلف النساء والخدم والثقل .

فلما رأى امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع رجال قومه غلوة فكن في غيابه من الأرض حتى مر به النساء وفيهن عنيزة فلما وردن الغدير قلن : لو نزلنا فاغتسلنا في هذا الغدير فيذهب عنا بعض الكلال! فنزلن في الغدير ونحين العبيد ثم تجردن فوقعن فيه فأتاهن امرؤ القيس فأخذ ثيابهن فجمعها وقال : والله لا أعطي جارية منكن ثوبها ولو قعدت في الغدير يومها حتى تخرج متجردة فتأخذ ثوبها .

فأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار وخشين أن يقصرن عن المنزل الذي يردنه فخرجن جميعاً غير عنيزة : فناشدته الله أن يطرح ثوبها فأبى فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة وأقبلن عليه فقلن له : إنك عذبتنا وحبستنا وأجعتنا .

قال : فإن نحرت لكن ناقتي أتأكلن منها قلن : نعم .

فجرد سيفه فعقلها ونحرها ثم كشطها وجمع الخدم حطباً كثيراً فأججن ناراً عظيمة فجعل يقطع أطايبها ويلقي على الجمر ويأكلن ويأكل معهن ويشرب من فضلة كانت معه ويسقيهن ويرمى إلى العبيد من الكباب .

فلما أرادوا الرحيل قالت إحداهن : أنا أحمل طنفسته .

وقالت الأخرى : أنا أحمل رحله وأنساعه فتقسمن متاعه وزاده .

وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئاً .

فقال لها : يا ابنة العم لا بد أن تحمليني معك فإني لا أطيق المشي .

فحملته على غارب بعيرها فكان يجنح إليها فيدخل رأسه في خدرها فيقبلها فإذا امتنعت مال حدجها فتقول : قعرت بعيري فانزل! ففي ذلك يقول :

ويوم عقرت للعذارى مطيتي ... فيا عجبا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت لك الويلات إنك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً ... عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وأرخي زمامه ... ولا تبعديني من جناك المعلل

جارية وغلام في حضرة عبد الملك

قال ابو ريحانة حاجب عبد الملك بن مروان : كان عبد الملك يجلس يومين في الأسبوع جلوساً عامّاً للناس : فبينما هو جالس في مستشرف له وقد أدخلت عليه القصص ، إذ وقعت في يده قصَّة غير مترجمة . فيها : إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة تغنيني ثلاثة أصوات ثم ينفذ فيّ ما شاء من حكمه ، فعل! .

فاستشاط من ذلك غضباً وغيظاً ، وقال : يا رباح! عليّ بصاحب هذه القصة! فخرج الناس جميعاً فأدخل عليه الغلام كما عذَّر ، من أحسن الفتيان ، فقال له عبد الملك : يا غلام ، هذه قصتك؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : وما الذي غرّك منّي؟ والله لأمثلنّ بك ولأردعنّ بك نظراءك من أهل الجسارة! ثم قال : عليّ بالجارية فجيء بها كأنها فلقة قمر! وبيدها عودها ووضع لها كرسيّ ، فجلست ، فقال عبد الملك : مرها يا غلام! فقال لها : يا جارية ، غنيني بشعر قيس بن ذريح :

لقد كنت حسب النفس ، لو دام ودنا ؛ ولكنما الدنيا متاع غُرورِ!
وكنَّا جميعاً قبل أن يظهر الهوى بأنعم حالي غبطةٍ وسرورِ .
فما برح الواشون حتَّى بدت لنا بطون الهوى مقلوبةً لظهورِ .

فغنت . فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريقاً ، ثم قال له عبد الملك : مرها تغنك الصوت الثاني! فقال : غنيني بشعر جميل :

ألا ليت شعري! هل أبيتنَّ ليلةً بوادي القرى؟ إني إذاً لسعيدُ!
إذا قلت : ما بي يا بثينة قاتلي من الحُبِّ! قالت : ثابتٌ ويزيدُ!
وإن قلت : رُدِّي بعض عقلي أعش به مع الناس! قالت : ذاك منك بعيدُ!

فلا أنا مردودٌ بما جئت طالباً ، ولا حُبُّها فيما يبيد يبيدُ!
يموت الهوى منِّي إذا ما لقيتها ، ويحيا إذا فارقتها فيعودُ!

فغنت الجارية . فسقط الغلام مغشياً عليه ساعة . ثم أفاق ، فقال له عبد الملك : مرها فلتغنك الصوت الثالث! فقال يا جارية! غنيني بشعر قيس بن الملوّح :

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرةٍ غزالٌ غضيضُ المقلتين ربيبُ .
فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى ، ولكنَّ من تنأين عنه غريبُ!

فغنته الجارية فطرح نفسه من المستشرف ، فتقطع قبل وصوله إلى الأرض . فقال عبد الملك : ويحه! لقد عجل على نفسه! ولقد كان تقديري فيه غير الذي فعل! وأمر بإخراج الجارية عن قصره ، فأخرجت . ثم سأل عن الغلام فقالوا : غريب ، لا يعرف إلا أنه منذ ثلاث ينادي في الأسواق ، ويده على رأسه :

غداً يكثر الباكون منا ومنكم ، وتزداد داري من دياركم بُعدا!

استرحام والد ليلى

رويَ أن أبا المجنون وأمه ورجال عشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلى فوعظوه وناشدوه الله والرحم ، وقالوا له : إن هذا الرجل لهالك . وأقبح من الإهلاك ذهاب عقله ، وإنك فاجع به أباه وأهله ، فنشدناك الله والرحم أن تزوجه ليلى فوالله ماهي أشرف منه ، ولا لك مثل مال أبيه ، وقد حكمك في المهر ، وإن شئت إن يخلع نفسه إليك من ماله فعل . فأبى وحلف بالله وبطلاق أمها أنه لايزوجه إياها أبدا ، وقال :

أفضح نفسي وعشيرتي وآتي مالم يأتِهِ أحد من العرب ، وأسم ابنتي بميسم فضيحة!

فانصرفوا عنه ، وخالفهم لوقته فزوجها رجال من قومها وأدخلها إليه ، فما أمسى إلا وقد بنى بها[1] وبلغ المجنون الخبر فأيس منها حينئذ وزال عقله جملة ، فقال الحيّ لأبيه : احجُج به إلى مكة وادعُ الله عز وجل له ، ومُرهُ أًن يتعلق بأستار الكعبة فيسأل الله أن يعافيه مما به ويبغّضها إليه ، فلعل الله أن يخلصه من هذا البلاء ، فحج به أبوه ، فلما صاروا بمنى سمع صائحا في الليل يصيح : يا ليلى ، فصرخ صرخة ظنوا أن

(١) تزوجها وافتض بكارتها .

نفسه قد تلفت ، وسقط مغشيا عليه ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم افاق متغير اللون ذاهلا فأنشأ يقول :

عرضتُ على قلبي العزاء فقال لي
من الآن فأيأس لا أعزك من صبر

ثم قال له أبوه : تعلق بأستار الكَعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى ، فتعلق بأستار الكعبة وقال :

((اللهم زدني ليلى حبا وبها كلَفاً ولا تُنسني ذكرها أبداً))

فهام حينئذٍ وفقد وعيه .

قالوا : وقد كًان يهيم في البرية مع الوحش ولا يأكل إلا ما ينبت في البرية من بقل ، ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردت مناهلها ، وطال شعر جسده ورأسه وألفته الظباء والوحوش فكانت لا تنفر منه ، وجعل يهيم حتى يبلغ حدود الشام ، فإذا ثاب اليه عقله سأل من يمر به من أحياء العرب عن نجد فيقال له : وأين أنت من نجد ! قد شارفت الشام ! أنت في موضع كذا ، فيقول : فأروني وجهة الطريق ، فيرحمونه ويعرضون عليه أن يحملوه أو يكسوه فيأبى ، فيدلونه على طريق نجد فيتوجه نحوه .

الجارية ظبية

كان معبد قد علم جارية من جواري الحجاز الغناء تدعى ظبية وعني بتخريجها فاشتراها رجل من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهة من الزمان وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها فكان لمحبته إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ويظهر التعصب والميل إليه والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهل عصره إلى أن عرف ذلك منه وبلغ معبدا خبره فخرج من مكة حتى أتى البصرة فلما وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة وجاء معبد يلتمس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجل وليس يعرف أحد منهما صاحبه فأمر الرجل الملاح أن يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا فلما صاروا في فم نهر الأبلة تغدوا وشربوا وأمر جواريه فغنين ومعبد ساكت وهو في ثياب السفر وعليه فرو وخفان غليظان وزي جاف من زي أهل الحجاز إلى أن غنت إحدى الجواري

(بانت سُعــادُ وأمْسَى حبلُها انْصرَمَا   واحْتَلَّت الغَوْرَ فالأجْزَاعَ من إضَما)
(إحْــدَى بَلــيٍّ هــام الفــؤادُ بهــا   إلاَّ السَّفَــاه وإلاَّ ذُكْــرَةً حُلُمَــا)

قال حماد والشعر للنابغة الذبياني والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر وفيه لغيره ألحان قديمة ومحدثة فلم تجد أداءه فصاح بها معبد يا جارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم قال فقال له مولاها وقد غضب وأنت ما يدريك الغناء ما هو ألا تمسك وتلزم شأنك فأمسك ثم غنت أصواتا من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت :

(بابنــــة الأزْديّ قَلْبـــــي كَئِيــبُ   مُسْتَهــامٌ عندهــا مــــا يُنِيبُ)
(ولقــد لاَمــوا فقلــــتُ دَعُونــــي   إنّ مَــــنْ تَنْهَــوْن عــنه حَبِيــبُ)
(إنَّمــا أَبْلَــى عظَامــي وجِسْمــــي   حُبُّهــا والحــبُّ شــيءٌ عَجيبُ)
(أيُّهــا العائــبُ عنــدِي هَوَاهــــا   أنــت تَفْــدي مَــنْ أرَاكَ تَعِيبُ)

والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر قال فأخلت ببعضه فقال لها معبد يا جارية لقد أخللت بهذا الصوت إخلالا شديدا فغضب الرجل وقال له ويلك ما أنت والغناء ألا تكف عن هذا الفضول فأمسك وغنى الجواري مليا ثم غنت إحداهن

(خَليلــيَّ عُوجَــا فأبكيَا ساعةً معــي   على الرَّبْع نَقْضي حاجةً ونُــوَدِّعِ)
(ولاَ تُعْجلاَنــــي أنْ أُلِــمَّ بدمْنَـــة   لعَزَّةَ لاحَتْ لــي ببَيْــدَاءَ بَلْقَــعَ)
(وقُولاَ لقَلب قد سَلا راجِــعِ الهَــوىً   وللعَيْن أَذْري من دموعك أو دَعِيَ)
(فلا عَيْــشَ إلا مثلُ عيش مضَى لنا   مَصِيفاً أَقَمْنَا فيه من بعد مَرْبَــع)

الشعر لكثير والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى وفيه رمل للغريض ، قال فلم تصنع فيه شيئا فقال لها معبد يا هذه أما تقوين على أداء صوت واحد فغضب الرجل وقال له ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجنك من السفينة فأمسك معبد حتى إذا سكتت الجواري سكتة اندفع يغني الصوت الأول حتى فرغ منه فصاح الجواري يا رجل فأعده فقال لا والله ولا كرامة ثم اندفع يغني الثاني فقلن لسيدهن ويحك هذا والله أحسن الناس غناء فسله أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه عنه فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبدا فقال قد سمعتن سوء رده عليكن وأنا خائف مثله منه وقد أسلفناه الإساءة فاصبرن حتى نداريه ثم غنى الثالث فزلزل عليهم الأرض فوثب الرجل فخرج إليه وقبل رأسه وقال يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك فقال له فهبك لم تعرف موضعي قد

كان ينبغي لك أن تتثبت ولا تسرع إلي بسوء العشرة وجفاء القول فقال له قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى وأسألك أن تنزل إلي وتختلط بي فقال أما الآن فلا فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه فقال له الرجل ممن أخذت هذا الغناء قال من بعض أهل الحجاز فمن أين أخذه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة وكانت قد أخذت عن أبي عباد معبد وعني بتخريجها فكانت تحل مني محل الروح من الجسد ثم استأثر الله عز وجل بها وبقي هؤلاء الجواري وهن من تعليمها فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعا وأفضل صنعته على كل صنعة فقال له معبد أو إنك لأنت هو أفتعرفني قال لا قال فصك معبد بيده صلعته ثم قال فأنا والله معبد وإليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز ووالله لا قصرت في جواريك هؤلاء ولأجعلن لك في كل واحدة منهن خلفا من الماضية فأكب الرجل والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون كتمتنا نفسك طول هذا اليوم حتى جفوناك في المخاطبة وأسأنا عشرتك وأنت سيدنا ومن نتمنى على الله أن نلقاه ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطيبا وهدايا بمثلها وانحدر معه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رضي حذق جواريه وما أخذنه عنه ثم ودعه وانصرف إلى الحجاز .

أبو العباس أنشد أبياتاً للحسين بن الضحاك(١)

كأنـــي إذا فارقـــت شخصـك ساعة	لفقـــدك بـــين العالـــين غريـــب
أغرك صفحي عـــن ذنـــوب كثـــيرة	وعضـــي على أشياء منك تريـــب
وقد رمت أسبــاب السلـــو فخانـنـــي	ضمير عليه مـــن هـــواك رقيـــب
كأن لم يكن في الناس قلبـي متيـــم	ولم يكن في الدنيا سواك حبيـــب
إلى الله أشكو إن شكوت فلـم يكـــن	لشكواي من عطف الحبيب نصيب

فقال : هذا من أحسن الكلام يا بني ، ثم أنشدني البحتري لنفسه :

حبيبـــي حبيـــب يكتـــم الناس أنهُ	لنـــا حـــين تلقـــاه العيون حبيب
يباعدنـــي فـــي الملتقـــى وفـــؤاده	وإن هـــو أبـــدى البعـــاد قريـــب
ويعـــرض عنـــي والهوى منه مقبـــل	إذا خـــاف عينـــاً أو أشـــار رقيب

(١) هو أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي المعروف بالخليع

فتنطـــق منـــا أعـــين حين نلتقـــي وتخـــرس منـــا ألســـن وقلـــوب

ثم قال : أرو يا بني هذا ، فإنه من أحسن الشعر وظريفه . وقال بعضهم وقد جعل الدمع كتابه تخاطبه :

ومراعـــة للبـــين تحســـب أنهـــا قمـــر علـــى غصـــن تغيب وتطلع
كتبـــت إليـــك علـــى شقائق خدها سطـــراً مـــن العبرات ماذا أصنع
فأجبتهـــا بلســـان حـــال معـــرب ما في الحيـــاة مـــع التفرق مطمع

وما أحسن قول بعضهم في إخفاء المحبة وإظهار الصد :

وخبـــرك الواشـــون أن لا أحبكـــم بلـــى وستـــور اللـــه ذات المحـــارم
أصـــد ومـــا الصـــد الـــذي تعلمينهُ عـــزاء بنـــا إلا اجتـراع العلاقـــم
حيـــاء وتقيـــــاً أن تشيـــع نميمـــة بنـــا وبكـــم أف لأهـــل النمائـــم
وإن دمـــاً لـــو تعلمـــين جنيتـــه علـــى الحي جانٍ مثله غير سالم
أمـــا إنـــه لـــو كـــان غيـــرك أرقلت صعـــاد القـــنا بالراعفات اللهاذم
ولكنـــه واللـــه مـــا طـــل مسلمـــاً كبيـــض الثنايا واضحات الملاغـــم
رمـــين فاقصـــدن القلـــوب فلا ترى دماً مائراً إلا جـوى فـــي الحيـــازم
إذا هـــن ساقطـــن الحديث حسبتـــه سقوط حصى المرجان من كف ناظم

قال الطغرائي : وقد أبدع غاية الإبداع بنظم يستوقف حسنه العيون والأسماع :

خبرهـــا أنـــي مرضـــت فقالـــت مرضاً طارفاً شكى أم تليدا؟
وأشـــار بـــأن تعـــود وسايـــدي فأبـــت وهـــي تشتهـــي أن تعودا
وأتتنـــي فـــي خفيـــة تتشكـــي ألـــم الوجـــد والمـــزار البعيـــدا
ورأتنـــي كـــذا فلـــم تتمالـــك فأمالـــت علـــي عطفـــاً وجيـــدا

أبيات في العشق

لعَلَى بن عباس الرومي(١) :

أعانقهـــا والنفـــس بعـــد مشوقـــة إليهـــا وهـــل بعـــد العناق تداني
وألثـــم فاهـــا كـــي تمـــوت حرارتي فيشتـــدّ مـــا ألقـــى من الهيمان

(١) هو أبوالحسن علي بن العباس بن جريج ، وقيل جورجيس ، المعروف بابن الرومي شاعر من شعراء القرن الثالث الهجري في العصر العباسي

ولم يك مقدار الذي بي من الهوى ... ليشفيه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفى غليله ... سوى أن يرى الروحان يمتزجان

لبعضهم :
رأيت شخصك فِي نومي يعانقني ... كما يعانق لام الكاتب الألفا
ولبشار :
فبتنا معاً لا يخلص الماء بيننا ... إلى الصبح دوني حاجب وستور
أخذ منه عَلَى بن الجهم ، فقَالَ :
فبتنا جميعاً لو تراق زجاجة ... من الخمر فيما بيننا لم تسرب

ما قيل فِي وصف الشعر بفتح الشين ومن أحسن ما قيل فِي الشعر قول ابن الرومي :
وفاحم وارد يقبّل ممشاه ... إذا اختال مرسلاً غدره
أقبل كالليل من مفارقه ... منحدراً لا يذم منحدره
حتى تناهى إِلَى مواطئه ... يلثم من كل موطئ عفره
كأنه عاشق دنا شغفاً ... حتى قضى من حبيبه وطره
لبكر بن النطاح :
بيضاء تسحب من قيام فرعها ... وتغيب فيه وحف أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليل عليها مظلم

لعبد الله بن المعتز :
سقتني فِي ليل شبيه بشعرها ... شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت فِي ليلين بالشعر والدجى ... وشمسين من خمر وخدّ حبيب

ومن أحسن ما قيل فِي الريق . . لبشار :
يا طيب الناس ريقاً غير مختبر ... إلا شهادة أطراف المساويك
منّيتنا زورة فِي النوم واحدة ... فاثنى ولا تجعليها بيضة الديك
يا رحمة الله حلي فِي منازلنا ... حسبي برائحة الفردوس من فيك

ولعلي بن العباس الرومى :

تعلّــك ريقــاً يطــرد النــوم بــرده ويشفـي القلوب الحائمات الصواديا

وهــل ثغــب حصبــاؤه مثل ثغرها يصــادف إلا طيب الطعم صافيا .

الجارية الحزينة

حَدَّثَنَا أَبُو السمراء ، قَالَ : دخلت منزل نخَّاس فِي شراء جارية فسمعت فربيت بإزاء البيت الذي كنت فيه صوت جارية وهي تقول :

وكنا كزوج مــن قطّــا فِــي مفــازة لدى خفض عيش معجب مونق رغد

أصابهمــاً ريــب الزمــان فأفــردا ولــم نر شيئاً قطٌّ أوحشً من فًــرد

فقلت للنَّخَّاس : اعرض عَلَى هذه الجارية المنشدة ، فقَالَ : إنها شعثة مرهاء حزينة ، فقلت : ولمَ ذلك؟ قَالَ : اشتريتها من ميراث فهي باكية عَلَى مولاها ، ثم لم ألبث أن أنشدت :

وكنا كغضي بانــة وســط روضــــة نشم جني الرَّوضات فِي عيشة رغد

فأفرد هذا الغصــن مــن ذاك قاطــعٌ فيــا فــردةً باتــت تحــنّ إِلَىً فرد

قَالَ أَبُو السمراء : فكتبت إِلَى عبد الله بن طاهر أخبره بخبرها ، فكتب إِلَى أن ألقِ عليها هذا البيت فإن أجابت فاشترها ولو بخراج خرسان ، والبيت :

بعيــد وصــل قريب صدٍّ جعلتــه منــه لــي ملاذا

قَالَ : فألقيته عليها ، فقَالَتً فِي سرعة :

وعاتبــوه فــذاب عشقــاً ومــات وجــداً فكان ماذا

قَالَ أَبُو السمراء : فاشتريتها بألف دينار وحملتها إليه فماتت فِي الطريق قبل أن تصل إليه ، فكانت إحدى الحسرات إليه

العاشق لا يخاف

كان بشر بن مروان[١] شديداً عَلَى العصاة ، فكان إذا ظفر بالعاصي أقامه عَلَى كرسيٍّ ، وسمر كفيه فِي الحائط بمسمار ، ونزع الكرسيّ من تحته فيضطرب معلقاً حتى

(١) ابن الحكم الأموي أحد الأجواد ، ولي العراقين لأخيه عند مقتل مصعب ، وداره بدمشق عند عقبة الكتان .

يموت ، وكان فتى من بني عجل مع المهلب وهو يحارب الأزارقة ، وكان عاشقاً لابنة عم له ، فكتبت إليه تستزيره ، فكتب إليها :

لـولا مخافـة البشـر أو عقوبتـه — أو أن يشـد عَلَـى كفـي مسمار

إذا لطلعـت ثغـري ثـم زرتكـم — إن المحـب إذا مـا اشتـاق زوار

فكتبت إليه :

ليـس المحـبّ الـذي يخشى العقاب — ولـو كانـت عقوبته فِي إلفه النار

بل المحـب الـذي لا شـيء يمنعـه — أو تستقـر ومـن يهـوى به الدار

قَالَ : فلما قرأ كتابها عطّل ثغره وانصرف إليها وهو يقول :

أستغفـر اللـه إذ خفـت الأمير ولم — أخـش الـذي منـه غير منتصر

فشـأن بشـر بلحمـي فليعذبـه — أو يعـف عفـو أميـر خير مقتدر

فـما أبـالي إذا أمسيـت راضيـةً — يا هند ما نيل من شعري ومن بشري

ثم قدم البصرة فما أقام إلا يومين حتى وشى به واش إِلَى بشر ، فقَالَ : عَلَى به ، فأُتى به فقَالَ : يا فاسق ، عطّلت ثغرك! هلموا الكرسي ، فقَالَ : أعز الله الأمير ، إن لي عذراً ، فقَالَ : وما عذرك؟ فأنشده الأبيات ، فرّق له وكتب إِلَى المهلب فأثبته فِي أصحابه

قيس بن ذريح ولبنى

لما ألحّ ذريح عَلَى ابنه قيس فِي طلاق لبنى فأبى ذلك قيس ، طرح ذريح نفسه فِي الرّمضاء وقَالَ : لا والله لا أريم هذا الموضع حتى أموت أو يخلّيها ، فجاءه قومه من كل ناحية فعظّموا عليه الأمر وذكّروه بالله وقالوا : أتفعل هذا بأبيك وأمك! إن مات شيخك عَلَى هذا الحال كنت معينا عليه وشريكاً فِي قتله ، ففارق لبنى عَلَى رغم أنفه ، وقلة صبره ، وبكاء منه حتى بكى لهما من حضرهما ، وأنشأ يقول :

أقـول لخلّتـي فِـي غيـر جـرمٍ — ألا بينـى بنفسـي أنـت بينـي

فواللـه العظيـم لنـزع نفسـي — وقطـع الرّجـل منـي واليميـن

أحـب إلـيّ يا لبـنى فراقـا — فبكّـى للفـراق وأسعدينـي

ظلمتـك بالطـلاق بغيـر جـرم — فقـد أذهبـت آخرتـي ودينـي

قَالَ : فلما سمعت بذلك لبنى بكت بكاء شديدا ، وأنشأت تقول :

رحلـت إليـه مـن بلـدي وأهلي — فجازانـي جـزاء الخائنينـا

فمـــن رانـــي فـــلا يغـــترَّ بعـــدي بحلـــو القـــول أو يبـــلو الدَّفينـــا

فلما انقضت عدَّتها وأرادت الشخوص إِلَى أهلها ، أتيت براحلة لتحمل عليها ، فلما رأى ذلك قيس داخله منه أمر عظيم واشتد لهفه ، وأنشأ يقول :

بانـــت لبينـــي فأنـــت اليوم متبول وإنـــك اليـــوم بعـد الحزم مخبول

فأصبحت عنك لبني اليـــوم نازحـــة ودلّ لبنـــي الخيـــرات المعســـول

هل ترجعـــنَّ نـــوى لبنـــى بعاقبـــة كمـــا عهدت ليالي العشق مقبول

وقـــد أرانـــي بلبنـــي حـــقّ مقتنعً والشَّمـــل مجتمعٌ والحبل موصول

فصرت من حبٍّ لبنى حين أذكرهـــا القلـــب مرتهـــن والعقـل مدخول

أصبحـــت من حب لبنى بل تذكُّرها فِـــي كربة ففؤادي اليوم مشغـــول

والجســـم منِّـــي منهـــوك لفرقتهـــا يبريـــه طـــول سقـــام فهو منحول

كأننـــي يـــوم ولَّـــت ما تكلمنـــــي أخـــو هيـام مصاب القلّب مسلول

أستـــودع اللـــه لبنـــى اذ تفارقنـــي عَنْ غير طوع وأمر الشيخ مفعـــول

ثم ارتحلت لبنى ، فجعل قيس يقبِّل موضع رجليها من الأرض وحول خبائها ، فلما رأى ذلك قومه أقبلوا عَلَى أبيه بالعذل واللوم ، فقَالَ ذريح لما رأي حاله تلك : قد جنيت عليك يا بنيَّ ، فقَالَ له قيس : قد كنت أخبرك أني مجنون بها فلم ترض إلا بقتلي ، فالله حسبك وحسب أمي! وأقبل قومه يعذلونه فِي تقبيله التراب ، فأنشأ يقول :

فمـــا حبـــيّ لطيـــب تـــراب أرض ولكـــن حـــب مـــن وطـئ الترابا

فهـــذا فعـــل شيخينـــا جميعـــــاً أرادا لـــي البليـــــة والعذابـــا

أم الضحاك وزوجها

كانت أم الضحاك المحاربية تحت رجل من بني الضباب ، وكانت تحبه حباً شديداً فطلقها فقَالَت :

هـــل القلـــب إن لاقى الضبابي خالياً لدى الركن أو عند الصفا متحـــرج

وأعجلنـــا قـــرب المحـــل وبينـــــنا حديث كتنشيج المريضين مزعـــج

وقَالَت فيه أيضاً حين سلت عنه :

تعزيـــت عَـــنْ حب الضبابي حقبةً وكـــل عمايـــا جاهـــل ستثـــوب

يقول خليـل النفـــس أنـــت مريبـــةٌ كلانـــا لعمـري قد صدقْت مريب

وأريبنا من لا يؤدي أمانةً ولا يحفظ الأسرار حين يغيب
ألهفاً بما ضيعت ودي وما هفا فؤادي بمن لم يدر كيف يثيب

زينب بنت فروة المرية وما قالته في ابن عمها المغيرة من الشعر

قَالَ وقرأت عليه لزينب بنت فروة المرية ، فِي ابن عم لها يُقَال له : المغيرة :

يأيها الراكب الغادي لطيته عرّج أنبيك عَنْ بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجدٍ تضمنهم إلا ووجدي به فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وأنى فِي مسرته ووده آخر الأيام أجتهد

وقَالَت أيضاً :

وذي حاجةٍ ما باح قلنا وقد بدت شواكل منها ما إليك سبيل
لنا صاحبٌ لا نشتهي أن نخونه وأنت لأخرى فارع ذاك خليل
تخالك تهوى غيرها فكأنما لها فِي تظنيها عليك دليل

نادرة عن الأصمعي

ذكر السيد المرتضى في الدر قال : إن الأصمعي قال : نزلت ذات ليلة في واد لبني العنبر ، وإذا فتية يريدون البصرة ، فأحببت صحبهم ، فأقمت ليلتي تلك فيهم . وإني لو صب محموم أخاف ألا أستمسك على راحلتي ، فلما قاموا ليرحلوا أيقظوني فلما رأوا حالتي رحلوا لي ، وحملوني وركب أحدهم ورائي يمسكني ، فلما أمعن السير تنادوا ألا فتى يحدو بنا وينشدنا ، فإذا منشد في سواد الليل بصوت ند يتغنى بهذه الأبيات :

لعمرك إني يوم بانوا فلم أمت خفاتاً على آثارهم لصبور
غداة المنقا إذا رميت بنظرة ونحن على متن الطريق نسير
فقلت لقلبي حين خف به الهوى وكاد من الوجد المبر يطير
فهذا ولما تمض للبين ليلةٌ فكيف إذا مرت عليه شهور
وأصبح أعلام الأحبة دونها من الأرض غول نازح ومسير
وأصبحت نجدي الهوى متهم النوى أزيد اشتياقاً أن يحن بعير
عسى الله بعد النأي أن يسعف النوى ويجمع شمل بعدها وسرور

قال : فسكنت والله الحمى عني حتى ما أحس بها ، فقلت لرديفي : انزل

رحمك الله إلى راحلتك ، فإني متماسك وجزاك الله عن الصحبة خيراً : وما الطف قول البحتري وأرشقه :

ولم انـــس إذ راحـوا مطيعين للنـوى   وقد وقفت ذات الوشاحين والوقف
ثنت طرفها دون المشيب ومــن يشـب   فكل الغواني عنه مثنيـة الطــرف
وجـــن الهـــوى فيهـا عشية أعرضت   بناظرتـــي ريـــم وسالفتـي خشف
وأفلـــج بـــراق يلــــوح رضـــا بـــه   حراماً على التقبيل بسلا على ارشف

هجرتك وزرتك

من كلام إبراهيم الموصلي :

هجرتـــك حتـى قيل لا يعرف الهوى   وزرتـــك حتـــى قيل ليس له صبر
فيا هجـــر ليلـــى قد بلغت بي المدى   وزدت علـــى ما ليـس يبلغه الهجر
ويا حبهـــا زدنـــي جـــوى كل ليلـة   ويـــا سلـــوة الأيام موعدك الحشـر
وإنـــي لتعرونـــــي لذكـــراك هـــزة   كمـا انتقـــض العصفور بلله القطر

تآلفا في الحياة وفي الممات

أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال : حدثنا علي بن أيوب القمي قال : حدثنا أبو عبيد الله محمد بن عمران قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي سعيد قال : حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال : حدثني معاذ بن يحيى الصنعاني قال : خرجت من مكة إلى صنعاء ، فلما كان بيننا وبين صنعاء خمس ساعات رأيت الناس ينزلون عن محاملهم ويركبون دوابهم ، فقلت : أين تريدون؟ قالوا : نريد أن ننظر إلى قبر عفراء وعروة ، فنزلت عن محملي وركبت حماري ، واتصلت بهم ، فانتهيت إلى قبرين متلاصقين ، قد خرج من كلا القبرين ساق شجرة ، حتى إذا صارا على قامة التفا ، فكان الناس يقولون : تآلفا في الحياة وفي الممات .

عمر بن عون وحبيبته بيا

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا محمد بن أحمد بن فارس الحافظ قال : أخبرنا أبو الحسين الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزباني قال : حدثنا أبو الفضل المرورذي .

قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن صالح قال : كان فتىً من بني مرة يقال له عمر بن عون ، وكان يحب جاريةً من قومه يقال لها بيا بنت الركين ، فتزوجها رجل من قومه يقال له دهيم ، وأبت بيا إلا حب عمر بن عون ، وأبى عمر إلا حبها وقول الشعر فيها ، فخرج زوجها بها هارباً منه حتى وقع باليمن في بني الحارث بن كعب ، فطلبها عمرن فخفي عليه أمرها ، ولم يعلم موضعها ، فمكث حياً يبكي ويبكي له من عرفه ، ثم خرج حاجاً على ناقة له ، ومعه صحابة له ، وقال : لعلي أتعلق بأستار الكعبة ، أسأل الله ، فعسى أن يرحمني ، فردها علي ، أو يذهب بقلبي عن حبها .

فلما كان بمنىً نظر إليه فتىً من بني الحارث بن كعب ، فأعجبه فجلس إليه يتحدث معه ، وأنشده عمر بعض شعره في بيا ، وشكا إليه بعض ما هو فيه من البلاء . فرق له ، فقال الفتى ، وسأله عن صفتها وصفة زوجها ، فوصفها له ، فقال الفتى : عندي خبر هذه المراة ، وهذا الرجل ، منذ سنوات ، فخر عمر لله تعالى ساجداً ، ثم سأله عن حالها ، فذكر أنها سالمة ، وأنها باكية حزينة لا يهنؤها شيء من العيش . فقال له عمر : هل لك في صنيعة عند من يحسن الشكر؟ فقال له الفتى : أفعل ماذا؟ قال عمر : تخلف عن أصحابكً ، وأتخلف عن أصحابي حتى لا يكون عند أحد منا علم ، ثم أمضي معك متنكراً . فقال الفتى : ذلك لك في عنقي .

فلما كان النفر تخلف كل واحد منهما عن صاحبه ، وأقاما بمكة أياماً ثلاثةً أو أربعةً حتى ارتحل الحاج ، ثم مضينا حتى وصل الفتى إلى أهله ، فأدخله مع امرأته وأخته في منزلهما ، ومضى إلى بيا ، وأخبرها ، فكانت كل تجيئه كل يوم فيتحدثان ويشكوان ما كانا فيه من البلاء والوحشة .

واستراب زوجها بغشيانها ذلك البيت ، ولم تكن من قبل تغشاه ، ولا تقرب أهله ، واستراب بطيب نفسها ، وأنها ليست كما كانت ، فخرج في رفقة إلى نجران على أن يغيب عشر ليال ، فأقام ليلتين مختفياً في موضع ، ثم أقبل راجعاً في الليلة الثالثة ، وقد أمنه عمر ، وظن أنه قد ذهب فأتاها ، ففرشت له بساطاً قدام البيت ، فتحدثا ثم غلبهما النوم ، وهي مضطجعة على جانب البساط ، وعمر على جانبه الآخر ، فأقبل الزوج ، فوجدهما على تلك الحال ، فنظر في وجه عمر ، فعرفه فأثبته ، وانتبه عمر ، فوثب بالسيف فزعاً . فقال له الزوج : ويلك يا عمر ما ينجيني منك بر ولا بحر .

فقال عمر : يا ابن عمي! ما أنا على ريبةٍ ، وما يسائلني الله تعالى عن أهلك عن

قبيح قط ، ولكن نشأت أنا وهي فألفتها وألفتني ، ونحن صبيان ، فلست أعطى عنها صبراً ، وما بيننا شيء أكثر من هذا الحديث الذي ترى .

قال له الزوج : أما أنا فلم أهرب إلى هذه البلاد إلا منك ، فأما بعد ان صح عندي من عفتك وصدق قولك فإني لا أهرب منك أبداً .

فأقاموا سنوات ، وهم على تلك الحال ، فمات عمر وجداً بها ، فكانت تبكي عليه الدماء ، فضلاً عن الدموع ، ثم مات دهيم بعد ذلك وعمرت هي .

التقي عزيز

قال : وأخبرني محمد بن سعد قال : أنشدني رجل من النساك :

ما للتّصَبّـرِ ، مـا أعـلاهُ من عَمَد ، قد يُورثُ الصّبرُ أهلَ الصّبرِ إحسانـا .
كم عاشـقٍ ماتَ شَوْقاً في تَعَذّبـه ، وَعَاشَق حالَ مَن يَهـوَاهُ أحيَانَـا .
لا شَيءً أعلى منَ التّقوَى وَصُحبتها ، إنّ التّقيّ عَزِيزٌ حَيثُ مـا كَانَـا .

ماتت على القبر

أخبرني أبو عبد الله محمد بن أبي نصر قال : حدثني الفقيه أبو محمد بن أحمد بن سعيد الأندلسي قال : أخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن الربيع قال : حدثنا أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال : رأيت بالبادية امرأةً على راحلة تطوف حول قبر وهي تقول :

يَـا مَـنْ بمُقْلَتِـه زَهَـى الدّهْـرُ ، قَـدْ كَـانَ فيـكَ تَضَاءَلَ الأمْرُ .
زَعَمُـوا قُتلْـتَ ، وَمَـا لهُـمْ خبرٌ ، كَذَبـوا ، وَقَبـرِكَ ، ما لهُـمْ عُذْرُ!
يَـا قَبـرَ سَيّـدنَا عَلَيْـكَ رِضـاً ، صَلّـى الإلَـهُ عَلَيْـكَ يَا قَبـرُ .
مَـا ضَـرّ قَبـراً قَـدْ سَكَنْـتَ بِـهِ ألاّ يَمُـرَّ بأرْضِـه القَطْـرُ .
فَلْيَنْبُعَـنْ جُـودُكَ فـي تُرْبِـهِ ، وَلْيُورِقَـنّ بقُرْبِـكَ الصّخْـرُ .
وَإذَا غَضبْـتَ تَصَـدّعَتْ فَرَقَـاً مِنْـكَ الجِبَـالُ ، وَخَافَكَ الذُّعْرُ .
وَإذا رَقَـدْتَ ، فَأنـتَ مُنْتَبِـهٌ ، وَإذَا انتَبَهْـتَ ، فَوَجْهُـكَ البَـدْرُ .
وَاللـهِ! لَـوْ بِـكَ لـم أدَعْ أحَـداً إلاّ قَتَلْـتُ لَفَاتَنِـي الوِتْـرُ .

قال : فدنوت منها لأسألها عن أمرها فإذا هي ميتة .

إسحاق وزهر الأعرابية

حدث القالي[1] قال : حدثني جحظه قال : حدثني حماد بن إسحاق الموصلي قال : حدثني أبي قال : كتبت إلي زهر الأعرابية ، وقد غابت عني ، كتاباً فيه :

وَجْــدي يَجلُّ ، على أنّي أُجَمْجِمُه ، وَجْــدُ السّقيــم بِبُرْءٍ بَعدَ إزْفافِ .
أوْ وَجدُ ثكلى أصَابَ المَوْتُ وَاحدَهـا ، أوْ وَجْــدُ مُنشَعِبٍ من بينِ أُلافِ .

قال حماد : قال لي أبي ، فكتبت إليها :

اقْرَأ السَلامَ على زَهْـرٍ إذا شَحَطَــتْ ، وَقلْ لها : قد أذقت القلبَ ما خَافَــا .
أمَا أوَيت لمَـنْ قَــدْ بَـاتَ مُكْتَئِبــاً ، يُــذري مَدامعَـــهُ سَحّــاً وَتَوْكَافَا .
فَمَــا وَجَــدْتُ عَلــى إلْـفٍ أُفَارِقُهُ ، وَجْدِيَ عَلَيْكِ ، وَقَدْ فارَقتُ آلافَـا .

التفاح بدل الجمار

أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قال : أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن سويد المعدل قال : حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي قال : أخبرني ابن الأصقع قال : قال لي بعضهم : رأيت ببغداد في وقت الحج فتىً ، ومعه تفاح مغلف ، فانتهى إلى سور فوقف تحته ، فاطلع عليه جوار كأنهن المها ، فأقبل يرميهن بذلك التفاح ، فقلت له : أليس كنت معتزماً على الحج؟ فقال :

وَلّمــا رَأيــتُ الحَــجّ قَـدْ آنَ وَقْتُـــهُ ، وَأبصرْتُ بُزْلَ العيس بالرَّكب تعسفُ .
رَحَلتُ مَعَ العُشّاق في طَلَبِ الهَـوى ، وَعَرّفْــتُ من حَيْثُ المُحبّونَ عرّفوا .
وَقَــدْ زَعَمُــوا أنَّ الجمَــارَ فَريضَـةٌ ، وَتَــارِكَ مَفْــرُوضِ الجمَارِ يُعَنَّفُ .
فهيّــأتُ تُفّاحــاً ثَلاثــاً وَأرْبَــعاً ، فزُعفرَ لي بَعضٌ وَبَعضٌ مُغَلَّــفُ .
وَقُمــتُ حيَــالَ القَصْــرِ ثُـمّ رَمَيْتُهُ ، فَظَلّــتْ لهَــا أيْدي المِلاحِ تَلَقَّفُ .
وَإنــي لأرْجُــو أنْ تُقَبَّــلَ حِجّتــي ، وَمَا ضَمّني للحَجّ سَعْيٌ وَمَوْقِــفُ .

قمرية الوادي

القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : حدثنا إسماعيل بن سويد قال :

(١) أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي (٢٨٨ هـ-٣٥٦ هـ) لغوي نشأ في المشرق ثم انتقل إلى الأندلس .

حدثنا الكوكبي قال : حدثني أبو الحسن بن الأصقع قال : كان فتىً من بني عذرة يتعشق ابنة عم له ، فبلغه أن فتىً أسود يأتيها لريبة ، فغمه ذلك ، فمر يوماً ببابها ، فقال :

شابَــتْ أعَالِي قُرُوني وَامّحَى شَعَري ، ممّــا أُحَــدَّثُ عَنْ قُمْريّة الوَادي .
نُبّئْــتُ أنّ غُرَابــاً بَــاتَ مُحْتَضِنَــاً قُمْريّــةً بَــينَ أغْصَــانَ وَأعْـوَادِ .

فلما سمعت شعره خرجت ، فاعتذرت إليه ، وآلت ألا تعرف ذكراً غيره ، فلم يزل يحتال حتى تزوجها .

أم سبعة أنبياء

أخبر القاضي أبو الحسين أحمد بن علي الحسين المحتسب قال : حدثنا محمد بن عبد الله القطيعي قال : حدثنا الحسين بن صفوان قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني قال : حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبي كعب الحريري عن الحسن .

أن امرأة من بني إسرائيل كانت أعطيت من الجمال عجباً ، قال : فبلغ من أمرها أنها كانت لا تمكن من نفسها إلا من أعطاها مائة دينار ، فاتخذت سريراً من ذهب فأبصرها رجل من العابدين ، فأعجبته فانطلق فالتمس وابتغى ، وتحملن أو كما وصف ، حتى جمع مائة دينار ، فأتاها بها ، فقال : إني رأيتك فأعجبتني ، فانطلقت فتمحلت وابتغيت ، حتى جمعت مائة دينار .

قالت : فادفعها إلى الجهبذ ينتقدها ، ففعل ، فقالت للجهبذ : انتقدها! قال : نعم! قال : فتهيأت ، كما كانت تتهيأ ، وجلست على سريرها ، فلما جلس منها مكان الرجل من امرأته ذكره الله تعالى برحمته ، فانقبضت إليه نفسه ، فقام عنها فقال : المائة دينار لك ، افتحي الباب! فقالت : وما رأيت؟ ألست زعمت أنك رأيتني فأعجبتك فتمحلت وابتغيت حتى جمعت مائة دينار ، فما رأت؟ قال : ليس في الأرض شيء أبغض إلي منك .

قالت : وما رأيت؟ قال : هذا شيء لم أفعله قط .

قالت : ما قال لي هذا أحد ، لئن كنت صادقاً فما أريد زوجاً غيرك ، فلي عليك أن تتزوجني .

قال : نعم ، فقنع رأسه ورجع ، فلحق ببلده ، وأقبلت تبيع متاعها ، ثم ارتحلت

إليه ، فانتهت إلى البلد الذي هو فيه ، فسالت عنه ، فقيل لها : هو ذا في المسجد . فقيل له : جاءت ملكة أرض كذا وكذا تسأل عنك ، فأتته ، فلما نظر إليها نظرةً مال ميتاً ، فوجدت عليه وجداً شديداً ، فقالت : اما هذا فقد فاتني ، ولكن هل له أخ أو قريب؟ قيل : إن له؟ أخاً ضعيفاً .

قال معتمر : أي ليس في العبادة مثله ، فتزوجت أخاه ، فولدت له سبعة أنبياء .

المرقش الشاعر(١) وأسماء

كتب إلي أبو غالب بن بشران من واسط حدثنا ابن دينار قال : حدثنا أبو الفرج محمد بن علي الأصفهاني في كتاب الأغاني قال : قال أبو عمرو ، ووافقه المفضل الضبي : كان من خبر مرقش الأكبر أنه عشق ابنة عم له يقال لها أسماء بنت عوف بن مالك ، علقها وهو غلام ، فخطبها إلى أبيها ، فقال له : لا أزوجها حتى تعرف بالناس ، وهذا قبل أن يخرج ربيعة من أرض اليمن ، فكان يعده فيها المواعيد ، ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك ، وكان عنده زماناً ، ومدحه ، فأجازه ، وأصاب عوفاً زمان شديد ، فأتاه رجل من مراد أحد بني عطيف ، فأرغبه في المال ، فزوجه أسماء على مائة من الإبل ، ثم تنحى عن بني سعد بن مالك . ورجع مرقش ، فقال أخوتها : لا تخبروه إلا أنها ماتت ، فذبحوا كبشاً ، فأكلوا لحمه ، ودفنوا عظامه ، ولفوها في ملحفة ، ودفنوها ، فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت ، وأتوا به موضع القبر ، فنظر إليه ، وكان بعد ذلك يعتاده ، ويزوره .

فبينا هو ذات يوم مضطجع ، وقد تغطى بثوبه ، وابنا أخيه يلعبان بكعاب لهما ، إذ اختصما في كعب ، فقال أحدهما : هذا أجدهما : هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه ، وقالوا : إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء . فكشف مرقش عن رأسه ، ودعا الغلام ، وقد ضني ضنىً شديداً ، فسأله عن الحديث ، فأخبره به ، وبتزويج المرادي أسماء ، فدعا مرقش وليدةً له ، ولها زوج من غفيلة كان عسيفاً لمرقش ، فأمرها بأن تدعو له زوجها ، فدعته ، وكانت له رواحل ، فأمره بإحضارها

(١) المرقش الأكبر هو ربيعة بن سعد بن مالك ، ويقال : بل هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . والمرقش الأكبر شاعر جاهلي من الطبقة الأولى له قصيدة تدخل في المعلقات ، وسمي المرقش لقوله : الدار قفر والرسوم كما . . . رقش في ظهر الأديم قلم

ليطلب المرادي ، فأحضرها فركبها ومضى في طلبه ، فمرض في الطريق حتى صار لا يحمل إلا معروضاً .

وإنهما نزلا كهفاً بأسفل نجران ، وهي أرض مراد ، ومع الغفلي امرأته وليدة مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتركيه ، فقد هلك سقماً ، وهلكنا معه جوعاً وضراً ، فجعلت الوليدة تبكي من ذلك ، فقال لها زوجها : إن أطعتني ، وإلا فإني تاركك ، وكان مرقش يكتب ، وكان لأبوه دفعه وأخاه حرملة ، وكانا أحب ولده إليه ، إلى نصراني من أهل الحيرة ، فعلمها الخط ، فلما سمع مرقش قول الغفلي للوليدة كتب على مؤخر الرحل :

يـا صَاحِبَـيّ تَلَبّثَا لا تَعْجَلا! إن الـرَّوَاحَ رَهـينٌ أن لا تَفْعَلا .
فَلَعَلَّ لُبْثَكُمَا يُقَرِّبُ نائياً ، أوْ يَسْبُقُ الإسْرَاعُ شَيْئاً مُقْبلا .
يَا رَاكِباً إمّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَا أنسَ بنَ سعد إنْ لقيتَ وَحَرْملا .
لله دَرُّكُما وَدَرُّ أبيكُمَا ، إنْ أفْلَتَ الغَفَلِيُّ حَتى يُقْتَلا .
مَنْ مُبْلِغُ الأقْوَام أنّ مُرَقّشاً أضْحى على الأصْحاب عبئاً مُثقلا .
وَكَأنّمَا يَرِدُ السّبَاعُ بشلْوِهِ ، إذ غابَ جَمعُ بني ضُبَيعَةَ مَنهَلا .

قال : وانطلق الغفلي وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات المرقش ، ونظر حرملة إلى الرحل ، وجعل يقلبه . فقرأ الأبيات ، فدعاهما وخوفهما ، وأمرهما أن يصدقاه ، ففعلا ، فقتلهما ، وقد كانا وصفا له الموضع ، وامرهما في طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره ، فعرف أن مرقشاً كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه ، وأقبل راعيها إليه ، فلما بصر به قال : من أنت وما شأنك؟ فقال له مرقش : أنا رجل من مراد فمن أنت؟ قال : راعي فلان وإذا هو راعي زوج أسماء ، فقال له مرقش : أتستطيع ان تكلم أسماء امرأة صاحبك؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريتها كل ليلة فأحلب لها عنزاً ، فآتيها بلبنها . فقال له : خذ خاتمي هذان فإذا حلبت فألقه في اللبن فإنها ستعرفه ، وإنك مصيب به خيراً لم يصبه راع قط غن أنت فعلت ذلك .

اخذته ، فشربته ، وكذلك كانت تصنع ، فقرع الخاتم ثنيتها ، فأخذته ، واستضاءت به بالنار ، فعرفته ، فقالت للجارية : ما هذا؟ فقالت : ما لي به علم ، فأرسلتها إلى مولاها ، وهو في شرب بنجران ، فأقبل فزعاً ، فقال لها : لم دعوتني؟ فقالت : ادع عبدك راعي غنمك ، فدعاه ، فقالت : سله أين وجد هذا الخاتم؟ فقال :

وجدته مع رجل في كهفي جبار، فقاللي : اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء، فإنك تصيب به خيراً، وما أخبرني من هو، ولقد تركته في آخر رمق.

فقال زوجها : وما هذا الخاتم؟ قالت : هذا خاتم مرقش، فأعجل الساعة في طلبه، فركب فرسه وحملها على فرس وسارا حتى طرقاه من ليلته، فاحتملاه فمات عند أسماء، وقال قبل أن يموت :

سَمَا نَحْوي خَيَالٌ من سُلَيمَى، فأرّقَني، وَأصْحَابي هُجُودُ.
فَبِتّ أديرُ أمْري كُلَّ حَال، وَأذْكُرُ أهْلَهَا، وَهمُ بَعيدُ.
عَلى أنْ قَدْ سَمَا طَرْفي لِنَارٍ، يُشَبّ لهَا بِذي الأرْطَى وَقُودُ.
حَوَالَيْهَا مَهاً بيضُ التَّرَاقي، وَآرَامٌ وَغِزْلانٌ رُقُودُ.
نَوَاعمُ لا تُعَالجُ بُؤسَ عَيش، أوَانسُ لا تَرُوحُ، وَلا تَرُودُ.
يَرُحْنَ مَعاً بِطَاءَ المَشْي رُوداً، عَلَيْهِنّ المَجَاسدُ وَالبُرُودُ.
سَكَنَّ ببَلدَةٍ وَسكَنتُ أخرَى، فقُطّعت المَوَاثقُ وَالعُهُودُ.
فَما بَالي أفي وَيُخانُ عَهْدي، وَمَا بَالي أُصَادُ وَلا أَصيدُ.
وَرُبّ أسيلَة الخَدّين بكْر، مُنَعَّمَة لهَا فَرْعٌ وَجيدُ.
وَذُو أشَر شَتَيتُ النّبْت عَذْبٌ نَقيُّ اللّوْن بَرّاقٌ بَرُودُ.
لَهَوْتُ بهَا زَمَاناً في شَبَابي، وَزَارَتْهَا النَّجَائبُ وَالقَصيدُ.
أُنَاساً كُلّمَا أخْلَقْتُ وَصْلاً عَنَاني مِنْهُمُ وَصْلٌ جَدِيدُ.

فدفن في أرض مراد.

المحب الجاحد

أبو بكر أحمد بن الحافظ قال : أخبرنا أبو القاسم الأزهري قال : حدثنا محمد بن جعفر الأديب قال : حدثنا أبو القاسم السكوني إملاء قال : حدثني الحسين بن مكرم قال : حدثنا يزيد الثمالي قال : مات أبو العتاهية[١] وعباس بن الأحنف[٢]

(١) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، أبو إسحاق، ولد في عين التمر سنة ١٣٠ هـ/٧٤٧ م، ثم أنتقل إلى الكوفة، كان بائعا للجرار، مال إلى العلم والأدب ونظم الشعر حتى نبغ فيه، ثم انتقل إلى بغداد، وأتصل بالخلفاء، فمدح المهدي والهادي والرشيد.

(٢) أبو الفضل العباس بن الأحنف الحنفي اليمامي النجدي، شاعر عربي عباسي وُلِد في اليمامة بِنجد وعِندما مات والده انتقل من نجد إلى بغداد ونشأ بِها وعاش مُتنقلاً ما بين بغداد وخراسان.

وإبراهيم الموصلي(١) في يوم واحد ، فرفع خبرهم إلى الرشيد ، فأمر المأمون بحضورهم والصلاة عليهم ، فوافى المأمون ، وقد صفوا له في موضع الجنائز ، فقال : من قدمتم؟ قالوا : إبراهيم ، قال : أخروه وقدموا عباساً! قال : فلما فرغ من الصلاة اعترضه بعض الظاهرية ، فقال له : أيها الأمير بم قدمت عباساً؟ قال : يا فضولي بقوله :

سَمَــاكِ لــي قَــوْمٌ وَقالــوا : إنهــا ... لَهــيَ التــي تَشقَى بهَا وَتُكَابدُ .
فجَحدتهــم ليكــونَ غيــرُك ظنّهم ، ... إني ليُعجِبُنــي المُحِــبُّ الجاحِدُ .

القبلة القاتلة

حدث أبو عمر بن حيويه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أحمد بن حرب قال : حدثني أبو عبد الله القرشي قال : حدثني أبو غسان قال : كان سبب وفاة مالك بن أبي السمح(٢) أنه لما كبر ضم إليه رجلاً من قريش يقوم عليه ، ففرش له على سرير وخرق فيه خرقاً لوضوء ، فأتته الجارية يوماً بطعام فاكل ، ثم أتته ببخور فتبخر ، فوقعت الجارية بقلبه ، فأهوى إليها ليقبلها ، وتنحت عنه ، فسقط عن السرير ، فاندقت عنقه ، فمات .

قال الزبير : أنشدتني ظبية لحسن بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن العابس بن عبد المطلب في مالك بن أبي السمح :

ليــسَ عَيشٌ إلاّ بمالكِ بنِ أبي السَّمْـ ... ـح ، فَــلا تَلحَنــي ، وَلا تَلُــم .
نَتمَلّــى لَذيــذَ عَيْــش ، وَلا نَــــهْ ... تــكُ حَــقَّ الإسْــلام وَالحُــرَمَ .
رُبّ ليْــلِ قَصّــرَهُ اللهــوُ ، فَانْجَــا ... بَ ، وَيَــوْم كَــذَاكَ لَــمْ يَــدُمَ .
كُنْــتُ فِيــهِ وَمالِــكَ بنَ أبي السَّمْـ ... ـحِ الكَــرِيم ألأخْــلاقِ والشّيَــمِ .

---

(١) إبراهيم الموصلي . هو إبراهيم بن ميسون وأمه من بنات الدهاقين . واحد من أشهر المغنين في العصر العباسي . فارسي الأصل ولد بالكوفة سنة ١٢٥ هـ ، ٧٤٢ م .

(٢) هو مالك بن أبي السمح . واسم أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثعل ثم أحد بني عمرو بن درماء . ويكنى أبا الوليد . وأمه قرشية من بني مخزوم ، وقيل : بل أم أبيه منهم ، وهو الصحيح . وقال ابن الكلبي : هو مالك بن أبي السمح بن سليمان بن أوس بن سماك بن سعد بن أوس بن عمرو بن درماء أحد بني ثعل . وأم أبيه بنت مدرك بن عوف بن عبيد بن عمرو بن مخزوم .

بنت الوالي والسجين

أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة قال : أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن سويد المعدل قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثني ابن أبي الدنيا .

قال : حدثني محمد بن زيد العتبي قال : أخبرني جدي الحسين بن زيد قال : ولي بديار مصر والٍ فوجد على بعض عماله ، فحبسه ، وقيده ، فأشرفت عليه ابنة الوالي فهويته ، فكتبت إليه ، وقد كان نظر إليها :

أيّهَا الرّامي بعَيْنَيْـ ـه ، وَفي الطّرْف الحُتُوفُ .
إنْ تُرِدْ وَصْلاً ، فَقَدْ أمكَنَكَ الظّبيُ الألُوفُ .

فأجابها الفتى :

إنْ تريني زَانيَ العَيْـ ـنِ ، فَالفَرْجُ عَفيفُ .
لَيْسَ إلاّ النّظَرُ الفَا تِرُ ، والشّعْرُ الظّرِيفُ .

فكتبت إليه :

قَدْ أرَدْنَاكَ عَلى عشْـ ـقكَ إنْسَاناً عَفيفَا .
فَتَأبّيْتَ ، فَلا زِلْـ ـتَ لِقَيْدَيْكَ حَلِيفَا .

فأجابها الفتى :

غَيْرَ أني خفْتُ رَبّاً كَانَ بي بَرّاً لَطِيفَا .

فذاع الشعر وبلغ الخير الولي ، فدعا به فزوجه إياها ودفعها إليه .

دواء الحب غالٍ

التنوخي علي بن المحسن قال : اخبرنا أبو عمر بن حيويه قال : أخبرنا أبو بكر المحولي قال : وأنشدني حماد بن إسحاق للوليد بن يزيد :

وَلَقَدْ قالَ طَبِيبي ، وَطَبِيبي غَيْرُ آلِ .
أُشْكُ مَا شئْتَ سوَى الـ ـحُبِّ ، فإنّي لا أُبَالي .
سَقَمُ الحُبّ رَخِيصُ ، وَدَوَاءُ الحُبّ غَالِ .

الأطباء والمحبون

أبو القاسم علي بن المحسن بن علي قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه قراءة عليه قال : حدثنا أبو بكر بن المرزبان إجازة قال : أنشدني منشد للحسن بن وهب :

حـــين عرقي : فقال : حب ، طبيبي ، ما لـــه في علاجه من مصيـــب .
فغمــزت الطبيـــب ســـراً بعينـــي ، ثـــم حلفـــته بحـــق الصليـــب .
لا تقـــل : لوعـــة الهوى أسقمتـــه ، فينالـــوا ، بدعـــوةٍ ، مـن حبيبي .

وأنشد :

واعي السقـــم تخبـــر عن ضميـري ، ويخبـــر عـــن مفارقتي ســـروري .
ألا يَا سَائلـــي عَـــنْ سُـوءِ حَالـي ، وَعَـــنْ شَأني سَقَطتَ على الخَبيرِ .
شَرِبْتُ مِـــنَ الصَّبَابَـــةِ كـأسَ سُقـــم بعَيْنَـــيْ شَـــادنٍ ظَبْـــيٍ غَرِيـــرِ .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

طَبِيبَـــيّ دَاوَيْتُمَـــا ظَاهِـراً ، فمَنْ ذا يُداوي جَوىً بَاطِنَا .
فَعوجَا عَلى مَنْـــزِلٍ بِالعَميـ ـمِ ، فَإنّي لَقَيتُ بِهِ شَادِنَـا .

السوداء وحبيبها عمر

القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي وأبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قالا : أخبرنا أبو عمر محمد بن العابس بن يحيوه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قـال : حـدثني محـمـد بن عـبـد الله بن أبي مـالك بن الـهـيـثم الخـزاعي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : حدثني إبراهيم بن ميمون قال : حججت في أيام الرشيـد ، فبيـما أنا بمكة أجول في سككهـا ، إذا أنا بسوء قـائمة سـاهيـة ، فأنكرت حالها ، فوقفت أنظر إليها ، فمكثت كذلك ساعةً ، قم قالت :

أعَمُـــرْو عَـــــلامَ تَجَنّبْتَنـــــي؟ أخَـــذتَ فـــؤادي فَعَذّبتَنـــــي .
فلـــوْ كُنـــتَ ، يا عمـــرُو ، خبّرْتَنـــي أخَـــذتُ حِـــذارِي ، فمـــا نِلْتَني .

قـال : فـدنوت منهـا ، فـقلت : يا هذه! من عـمـرو؟ فـارتاعت من قـولي وقـالت : زوجي . فـقلت : وما شـأنه؟ قالت : أخـبرني أنه يهـواني وما زال يدس إلي ويعلق بي في كل طريق ، ويشكو شدة وجده حتى تزوجني ، فلبث معي قليلاً ، وكان له عندي من الحب مثل الذي كان لي عنده ، ثم مضى إلى جدة ، وتركني .

قلت : فصفيه لي .

فقالت : أحسن من تراه ، وهو أسمر حلو ظريف .

قـال ، فلت : فـخـبـريني أتحـبين أن أجـمع بينكمـا؟ قـالت : فكيف لي بذلك؟ وظنتني أهزل بها . قال : فركبت راحلتي وصرت غلى جدة فوقفت في المرقى أتبصر

من يعمل في السفن ، وأصوت : يا عمرو يا عمرو! فإذا أنا به خارج من سفينة ، وعلى عنقه صن ، فعرفته بالصفة ، فقلت : أعمرو علام تجنبتني؟ فقال : هيه هيه ، رأيتها وسمعته منها؟ ثم أطرق هنيهة ثم اندفع يغنيه ، فأخذته منه ، وقلت له : ألا ترجع؟ فقال : بأبي أنت ، ومن لي بذلك؟ ذلك والله أحب الأشياء إلي ولكن منع منه طلب المعاش .

قلت : كم يكفيك كل سنة .

قال : ثلاثمائة درهم ، فأعطيته ثلاثة آلاف درهم ، وقلت : هذه لعشر سنين ، ورددته إليها ، وقلت له : إذا فنيت أو قاربت الفناء قدمت علي فسررتك ، وإلا وجهت إليك ، وكان ذلك أحب إلي من حجي .

سكينة وعروة بن أذينة[1]

الشيخ أبو بكر أحمد بن علي الحافظ بالشام قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد قال : حدثنا أبو علي الطوماري قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال : حدثني عبد الله بن شبيب قال : حدثني أبو معاوية عبد الجبار بن سعيد المساحقي قال : وقفت سكينة على ابن أذينة في موكبها ، ومعها جواريها ، فقالت : يا أبا عامر! أأنت تزعم أنك ريئ وأنت هيئ ، وأنت الذي تقول :

قالتْ ، وَأَبْثَثْتُها سرّي ، فَبُحتُ به : قَد كُنتَ عندي تُحبّ السَّترَ فاستترِ .
أَلَستَ تُبصرُ مَن حَوْلي؟ فقلتُ لها : غَطّى هَوَاكِ ، وَما ألقَى على بصرِي .

الهالك من عشق

أحمد علي بن ثابت قال : أخبرني أبو الحسن علي بن أيوب القمي قال : حدثنا محمد بن عمران قال : أخبرني محمد بن يحيى قال : قال العباس بن الأحنف :

وَيْحَ المُحِبّينَ مَا أشقَى جدودَهمُ ، إنْ كانَ مثلَ الذي بي بالمُحبّينَا .
يَشقَوْنَ في هذِهِ الدّنْيا بعِشقِهِمِ ، لا يُدرِكُونَ بهِ دُنْيا وَلا دِينَا .

(١) أبو عامر عروة بن أذينة الليثي الكناني تابعي جليل وشاعر غزل وفخر وشريف مقدم من شعراء المدينة المنورة وهو معدود في الفقهاء والمحدثين وأحد ثقات أصحاب حديث رسول الله سمع من ابن عمر وروى عنه مالك بن أنس في الموطأ وعبيد الله بن عمر العدوي .

يَــرِقّ قَلْبــي لأهْــلِ العِشْقِ أنّهُــمُ　　إذَا رَأوْنــي وَمَــا ألْقَــى يَرِقّونَــا .

قال : وَله أيضاً :

أيّهَــا النَــادبُ قَوْمــاً هَلَكــوا ،　　صَــارَت الأرْضُ عَلَيْهِــمْ طَبَقَــا .
أنْــدُبِ العُشّــاقَ ، لا غيرَهُــمُ ،　　إنّمَــا الهَالِــكُ مَــنْ قَـدْ عَشقَا .

قتله خبر زواجها

ذكر ابن حيويه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني إسحاق بن محمد الكوفي قال : حدثني عبيد الله بن محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر عن أبيه قال : كان مسافر بن أبي عمرو بن أمية[1] يتعشق جاريةً من أهل مكة ، فنذر به أهلاه ، فـهـرب ، فلحق بالحيـرة بالنعمـان بن المنذر ، فـاعـتل هناك بالهلاس ، فجمع له النعمان أطباء الحيرة فأجمعوا على كيه ، فكوي فبرأ ، ثم إنه قدم عليه رجل من أهل مكة ، فقال له : ما فعلت فلانة؟ قال : تزوجت ، قال فشهق ومات في مكانه ، فقال أبو طالب ، وكان صديقاً لمسافر خاصاً به ، فقال يرثيه :

لَيْــتَ شعري ، مُسافرُ بـن أبــي عمـ　　ـــرو ، وَلَيْــتَ ، يَقُولُهَــا المَحزُونُ .
كَيْــفَ كَانَــتْ مَرَارَةُ المَوْتِ في فيــ　　ـكَ ، وَمَــاذا بَعـدَ المَمات يَكُونُ .
خَيــرُ مَيــت علــى هبالــة ، قَد حا　　لَــتْ فَيــاف من دُونه وَحُــزُونُ .
بُــورِكَ المَيّــتُ الغَريــبُ ، كَمــا بُـو　　رِكَ نَضْــرُ الرّيْحَــان وَالزّيتُـــونُ .
كــم صَديــق وصَاحــب وَابنِ عــمّ　　وَخَليــل عَفّــتْ عَلَيــه المَنُــونُ .
فَتَعَزّيــــتُ بالجَــــلادَة وَالصّبْــــ　　ـر ، وَإنّــي بِصَاحِبــي لَضَنــينُ .
رَجَــعَ النّــاسُ آيِبِــينَ جَمِيعــاً ،　　وَخَليلــي فــي مَرْمَــس مَدْفُونُ .

(١) مسافر بن أبي عمرو بن أمية ، ويكنى أبا أمية ، وأمه آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهي أم أبي معيط أبان بن عمرو بن أمية ، وأبو معيط ومسافر أخوان لأب وأم ، وهما أخوا عمومتهما أبي العاصي وأخويه من بني أمية الذين أمهم آمنة ، لأن أبا عمرو تزوجها بعد أبيه وكان سيدا جوادا ، وهو أحد أزواد الركب ، وإنما سموا بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريبا ولا مار طريق ولا محتاجا يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفلوا به حتى يظعن ، وهو أحد شعراء قريش .

خشيف شبيه الحبيب

أحمد بن محمد بن الأبنوسي قال : حدثنا أبو محمد علي بن عبد الله بن المغيرة قال : حدثنا جدي قال : حدثنا أبو عمر العمري قال : حدثنا عبد الملك بن قريب عن غياث بن الحارث السهمي قال : حدثني زيد بن عمارة النهدي قال : اصطدت خشفاً فأوثقته ، وحملته ، ثم اقبلت به ، إذ استقبلني غلام كأنه فلقة قمر له ضفيرتان قد قاربتا عجيزته ، فلما رأى الخشف ، وقف ينظر إليه وتنفس الصعداء ، ثم أنشأ يقول ، وهو يبكي :

وَذَكّرَنــي مَــنْ لا أبُـوحُ بِذِكْـرِه ، مَحَاجِـرُ ظَبي في حَبَائلِ قانصِ .
فَقُلـتُ ، وَدَمعُ العَينِ يَجري بحُرْقَةٍ ، وَلحظي إلى عَيْنَيْه لحْظَةُ شَاخصِ :
ألا أيّهَـذَا القَانِـصُ الظّبْـيَ خَلِّه! وَإنْ كُنْـتَ تَأبَاهُ ، فَمُرْ بقَلائصي .
خَـفِ اللـهَ لَا تَحْبِسهُ! إنّ شَبيهَـهُ حَيَاتـي ، وَقد أرْعَدتَ فيه فَرَاقي .

قال : ثم بكى ، قال : فقلت : دونكه يا فتى فهو لك ، قال : فعمد إليه فحله ، ثم قبل عينيه ، ثم ارسله .

قال : فمر الظبي وأتبعه بصره يبكي في أثره ، قال : ثم سكن فقلت : يا فتى ألك حاجةٌ؟ قال : نعم! قلت : ما هي؟ قال : تبلغ معي الحي . قال : فوصلت معه المنزل ، قال : فلما كان من الغد ، إذا به يسوق عشراً من الإبل حتى وقف علي ، فقال : دونكها ، فامتنعت ، فأبى إلا قبولها .

قال : فسألت عنه ، فقالوا : هذا فتى يهوى فتاة من الحي .

أماتها ومات أسفاً عليها

ابن حيويه قال : حدثني أبو بكر محمد بن خلف المحولي قال : حدثنا أبو عبد الله التميمي قال : أخبرنا زياد بن صالح الكوفي قال : كان العلاء بن عبد الرحمن التغلبي من أهل الأدب والظرف ، فواصلته جارية من جواري القيان ، فكان يظهر لها ما ليس في قلبه ، وكانت الجارية على غاية العشق له ، والميل إليه ، فلم يزالا على ذلك حتى ماتت الجارية عشقاً له ووجداً به ، فذكرها بعد ذلك وأسف على ما كان كمن جفائه لها وإعراضه عنها ، فرآها ليلةً في منامه ، وهي تقول له :

أتَبكـي بَعـدَ قَتلـكَ لـي عَلَيّـا ، فَهَـلاّ كـانَ ذا إذْ كنـتُ حَيّا .
سكَبـتَ دمـوعَ عَينكَ في انهلال ، وَمـن قَبـلِ المَمـاتِ تُسِي إلَيّا .

أَقِـلَّ مِـنَ النِّيَاحَـةِ وَالمَرَاثـي ، فَإِنـي مَـا أَرَاكَ صَنَعـتَ شَيّا .

شجرتان ملتفتان على قبرين

وبإسناده قال ابن المرزبان : وحدثني إسحاق بن محمد بن أبان قال : حدثني معاذ بن يحيى قال : خرجت إلى صنعاء ، فلما كنا ببعض الطريق قيل لنا : إن قبر عفراء وعروة على مقدار ميل من الطريق . قال : فمضت جماعة كنت فيهم ، فإذا قبران متلاصقان قد خرج من كل قبر ساق شجرة ، حتى إذا صارتا على مقدار قامة التفت كل واحدة منهام بصاحبتها .

قال إسحاق : فقلت لمعاذ أي ضرب هو من الشجر؟ فقال : لا أدري ، ولقد سألت أهل القرية عنه ، فقالوا : لا نعرف هذا الشجر ببلادنا .

هاتف الجبل

ابن حيويه يقول : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني عبد الواحد بن محمد النجاري قال : حدثني محمد بن الهيثم بن عيدي عن الهيثم قال : حدثنا محمد بن ملك قال : حدثني عثمان بن عمر التيمي قال : هوي فتى من بنس أسد فتاة من فخذه ، وكان أيسر منها وأغنى ، فكان أبوه يمنعه من أن يتزوجها ، ويريد له أشرف منها وأيسر ، ويعرض عليه غيرها ، فيأبى إلا هي ، فيمتنع أبوه من ذلك . وكان أبوها قد حبسها عليه رجاء أن يتزوجها ، فلما طال على أبيها وأيس منه زوجها من غيره ، فلقيها الفتى يوماً فقال لها :

لَعَمْـرِيَ ، يَا سُعـدى ، لطالَ تَأيّمي ، وَمَعْصِيَتـي شَيخيّ فيك كلَيهمَا .
وَتْركـيَ ذَا الحيّـينِ لمْ أبغِ مِنهُمَـا سِـوَاكِ ، وَلـم يَرْبَعْ هَوَايَ عَلَيهمَا .

فقالت الجارية :

حَبيبـيَ لا تَعجَـلْ لتَفْهَـمَ حُجّتي ، كَفانـيَ ما بي من بَلاءٍ وَمن جُهدِ .
وَمـنْ عَبَـرَاتٍ تَعتَرينـي وَزَفـرَةٍ تَكَادُ لهَا نَفسي تَسيلُ من الوَجـد .
غُلَبـتُ عَلـى نَفسي جَهَاراً وَلَمْ أُطقْ خلافاً عَلى أَهْلي بِهَزْلٍ وَلا جِـدِّ .
وَلَـنْ يَمْنَعُونـي أنْ أمُوتَ برُغمهِمْ ، غداً ، جوْفَ هذا الغار في جَدَثٍ وَحـدي .
فَلا تَنسَ أنْ تأتي هُنـاكَ ، فَتَلتَمِـسْ مكاني فتَسلُو ما تَحَمّلتَ من جهدي .

فلما كان في غدٍ أتاها حيث زعمت له ، فوجدها ميتةً فحملها ، فأدخلها شعباً

ثم التزمها فمات معها ، قال : فالتمسا حولاً ، فلم يقدر عليهما ، ولم يعلم لهما خبر ، فإذا هاتف يهتف على الجبل الذي هما فيه ، وكان الجبل يدعى أعرافاً :

إنّ الكَرِيمَيَـــــنِ ذَوِي التّصَافــــــــي الذّاهِبَـــــينِ بِالوَفَـــــاءِ الصّافي .
وَاللـــــهِ مَا لاقَيْــتُ فـــي تَطْوَافـــي أبْعَــدَ مِنْ غَـــدْرٍ وَمِنْ إخــلافِ .
مِنْ مَيّتَينِ فِي ذُرَى أعرَافِ .

قال : فصعد القوم الجبل ، فوجدوهما ميتين فواروهما .

بريرة[١] وزوجها الحبشي

القاضيان أبو الحسين أحمد بن علي التوزي وأبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قالا : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز ، حدثنا محمد بن خلف ، حدثنا الحسن بن مكرم بن حسان ، حدثنا علي بن عاصم عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما أعتقت بريرة ، وكان زوجها حبشياً ، خيرت ، فاختارت فراقه ، فكان يطوف حولها ، ودموعه تسيل على خديه حباً لها ، فقال رسول الله ﷺ ، لعمه العباس : أما ترى شدة حبه لها ، وشدة بغضها له؟ فقال له النبي ﷺ : لو تزوجته؟ قالت : إن أمرتني . قال : لا آمرك ، ولكني شفيع ، فلم تفعل .

وبإسناده حدثنا محمد بن خلف ، حدثنا محمد بن الهيثم ، حدثنا يوسف بن عدي عن سعيد وأيوب عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس : أن زوج بريرة كان عبداً أسود مولىً لبني المغيرة ، يوم أعتقت ، والله لكأني به في أطراف المدينة ونواحيها ، وإن دموعه لتجري على لحيته ، يتبعها ويترضاها لتختاره فلم تفعل .

معشوقان يختصمان

أخبر الجوهري ، عن أبي عمر بن حيويه ، قال : أنشدني هلال بن العلاء :

أرَى كـــلَّ مَعشوقـــينِ غيري وَغيرهَا ، يَلَـــذّانِ فـــي الدُّنيـــا وَيَغْتَبِطــانِ
وَأُمســـي وتُمســـي في البِــلادِ كأنّنا أسيــرَانِ للأعْـــــداءِ مُرْتَهَنَـــــانِ
أُصلّـــي فأبكـي في صلاتي لذكرِها ، لـــيَ الويـــلُ مِمّـــا يَكتُبُ المَلَكانِ

---

(١) بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق ، كانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها ، ثم باعوها من عائشة .

ضمنــتُ لهَــا ألا أهيــمَ بغَيرهــا ، وقَــدْ وثقَــتْ منــي بغَير ضَمانِ
ألا يَــا عبــادَ الله قُومُــوا تَسَمَّعُــوا خُصُومَــةَ مَعْشُوقَــين يَختَصمـانِ
وفــي كــلِّ عــامٍ يَسْتَجِــدّانِ مَــرّةً عتابــاً وهَجــراً ، ثــمّ يَصْطَلحانَ
يَعيشــانِ فــي الدّنيــا غَريبَيْنِ أينَمَا أقَامَــا وفــي الأعْــوامِ يَلْتَقِيَــانِ

ليلى الملاحين

حدث أحمد بن عبيد قال : قعد رجل في سفينة فسمع الملاحين يذكرون ليلى ، وكان يهواها ، فأنشأ يقول :

فَويحــكَ يــا مَــلاّحُ! أرّقَ لَيْلَنَــا دعــاؤكَ لَيلــى ، وَالسّفــينُ تَعُومُ
لَعلّــك إن طالَــتْ حَياتُــكَ أن تَرى حَبَائبَــكَ اللاّتــي بِهِــنّ تَهيـمُ
أجــدَّكَ مَا تُنْسِيكَهُــــنّ مُلِمّـــةٌ ، ألَمّــت ، وَلا عهْــدٌ بهِــنّ قَــديمُ

ماتا معتنقين

عن الأصمعي قال : رأيت بالبادية رجلاً قد دق عظمه ، وضؤل جسمه ، ورق جلده ، فتعجبت فدنوت منه أسأله عن حاله ، فلم يرد جواباً ، فسألت جماعةً حوله عن حاله ، فقالوا : اذكر له شيئاً من الشعر يكلمك ، فقلت :

سَبَــقَ القَضَــاءُ بأنّنــي لكَ عَاشِقٌ ، حتى المَماتِ ، فأينَ منكَ مَذاهبي؟

فشهق شهقة ظننت أن روحه قد فارقته ، ثم أنشأ يقول :

أخلُــو بذكْــركَ لا أُريــدُ محَدّثــاً ، وكَفَــى بذلــكَ نعمــةً وَسُــرورا
أبكــي فيُطربُنَــي البُكــاءُ ، وَتــارةً يأبــى ، فيأتــي مَنْ أُحبُّ أسِــيرا
فَــإذا أنَــا سَمْــحٌ بِفُرْقَــةِ بيننــا ، أُعقِبــتُ منــهُ حَسْــرَةً وزَفيــرَا

قال ، فقلت : أخبرني عن حالك؟ قال : إن كنت تريد علم ذلك ، فاحملني وألقني على باب تلك الخيمة! ففعلت ، فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه جهده :

ألا مَـــا للمَليحـــةِ لا تَعُـــودُ ، أبُخــلٌ ذاكَ منهــا أمْ صُـــدُودُ؟
فلَــوْ كنــتِ المَريضــةَ جئتُ أسعى إلَيــكِ ، وَلــم يُنَهنِهْنــي الوَعيـدُ

فإذا جارية مثل القمر قد خرجت ، فألقت نفسها عليه ، فاعتنقا ، وطال ذلك فسترتهما بثوبي خشية أن يراهما الناس . فلما خفت عليهما الفضيحة . فرقت بينهما ، فإذا هما ميتان ، فما برحت حتى صليت عليهما ، ودفنا ، فسألت عنهما فقيل لي : عامر بن غالب وجميلة بنت أميل المزنيان ، فانصرفت .

زليخا[1] ويوسف

القاضي أبو علي زيد بن أبي حيويه قال : حدثنا أبو محمد الحسن بن عمر بن علي الحلباني . قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : حدثنا ابن عليل المطيري قال : حدثنا ابن الدروقي قال : حدثنا سلمة بن شبيب قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال :

لما خلت زليخا بيوسف ، عليه السلام ، ارتعد يوسف . فقالت زليخا : من أي شيء ترعد ، إنما جئت بك لتأكل وتشرب وتشتم رائحتي ، وأشتم رائحتك . قال : يا أمة الله ، لست لي بحرمة . قالت : فمن أي شيء تفزع؟ قال : من سيدي . قالت : الساعة ، إذا نزل من الركوب ، واخذت بيدي الكأس المذهب والإبريق المفضض ، سقيته شربةً من السم ، وألقيت لحمه عن عظمه . قال لها : لا تفعلي ، فلست ممن يقتل الملوك ، وإنما أخاف من إله السماء . قالت له : فعندي من الذهب والفضة والجواهر والعقيق ما أفديك منه . قال : هو لا يقبل الرشا . قالت : دع عنك هذا! قم اسق أرضي . قال : لا ازرع أرض غيري . قالت : فارفع رأسك انظر إلي! قال : أخاف العمى في آخر عمري . قالت : فمازحني ترجع إلي نفسي . قال : يا أمة الله! لست لي بحرمة فأمازحك . قالت : فلا صبر لي عن هذه الذؤابة التي بلغت إلى قدميك ، ليتني وسمتها مرةً واحدةً . قال : أخشى أن تحشى من قطران جهنم ، يا هذه ، هو ذا الشيطان يعينك على فتنتي ، لا تشوهي بخلقي ذا الحسن الجميل ، فادعى في الخلق زانياً ، وفي الوحوش خائناً ، وفي السماء عبداً كفوراً .

قال وهب : ولان من يوسف ، عليه السلام ، مقدار جناح بعوضة ، فارتفعت الشهوة إلى وجهه ، فاستثارت ، وكان سرواله معقوداً تسع عشرة عقدةً ، فحل أول عقدة ، وإذا قائل يقول من زاوية البيت : إن الله كان عليكم رقيباً! ثم حل العقدة الثانية ، فإذا قائل يقول : ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن . فأوحى الله ، عز وجل ، إلى جبريل : الحقه ، فإنه المعصوم في ديوان الأنبياء! فانفرج السقف في أقل من اللمح فنزل جبريل ، عليه السلام ، فضرب صدره ضربةً ، فخرجت شهوته من

(١) زُليخا : واسمها راعيل بنت رماييل وزُليخا لقبها . هي زوجة عزيز مصر عند قدوم يوسف إلى مصر . زوجها بوتيفار عزيز مصر على عهد الملك أمنحوتب الثالث . كانت زليخا مشهورة بجمالها وكبريائها الذي أضحى تكبراً وأنفة .

أطراف أنامله فنقص منه ولد ، فولد لكل رجل من أولاد يعقوب ، عليه السلام ، اثنا عشر ولداً ، ما خلا يوسف ، عليه السلام ، فإنه ولد له أحد عشر . فقال : يا رب ماذا خبري؟ لم ألحق بأخوتي في الويد ، فأوحى الله ، عز وجل ، إليه : إن الشهوة التي خرجت من أناملك حاسبناك بها .

وبإسناده قال وهب : لما أراد الله بيوسف الخير قامت زليخا إلى طاق لها ، فارخت عليه ستراً ، وكان لها في الطاق صنم من خشب تعبده ، فقال لها يوسف ، عليه السلام : ماذا صنعت؟ قالت : استحييت من إلهيٍ أن يراني أصنع الفاحشة . قال : فأنت تستحيين من إله من خشب لا يضر ولا ينفع ولا يخلق ولا يسمع ولا يبصر ، فأنا أستحيي ممن أكرم مثواي ، وأحسن مأواي ، واستبقا الباب . قالت زليخا : يا يوسف ، بليت منك بخصلتين : ما رأيت بشراً أحسن منك ، والثانية زوجي عنين . فلما تزوجها يوسف ، عليه السلام ، فأبصر بعينيها حولاً قال : يا زليخا! أو حولاء؟ قالت له : ما علمت؟ قال : لا والله! قالت : ما استحللت أن أملأ عيني منك .

انتظري الدهر

اشترى عبد الله بن طاهر[1] جاريةً بخمسة وعشرين ألفاً على ابنة عمه ، فوجدت عليه ، وقعدت في بعض المقاصير ، فمكثت شهرين لا تكلمه ، فعمل هذين البيتين :

إلى كـم يكونُ العَتْبُ في كلّ سَاعَة ، وكـم لا تَمَلّينَ القَطيعَةَ والهَجرَا .
رُوَيْـدَكِ! إنّ الـدهرَ فيـه كِفايَـةٌ تَفريقِ ذاتِ البَينِ ، فانتَظري الدهرَا .

قال : وقال للجارية : اجلسي على باب المقصورة فغني به! قال : فلما غنت البيت الأول لم تر شيئاً ، فلما غنت البيت الثاني ، إذا هي قد خرجت مشقوقة الثوب حتى أكبت على رجله فقبلتها .

(١) عبد الله بن طاهر الخراساني (ح . ٧٩٨ -٨٤٥/٨٤٤م) كان الحاكم الطاهري على خراسان من عام ٨٢٨ وحتى وفاته . وربما كان أشهر حكام الطاهريين .

زينب بنت النبي[١] محمد وأبو العاص[٢]

تزوجا في الجاهلية . وكان رسول الله قد وافق على مصاهرته فور تقدمه لزينب ابنته الكبرى ، فهو ابن هالة بنت خويلد أخت السيدة خديجة ، كما أنه نعم الصهر والنسب كما أعلنها الرسول الكريم . ولكن جاءت الرسالة لتكون بداية لفراق طويل ومرير . بين الحبيبين .

كان أبو العاص يتغنى بحبه لزينب في كل وقت . فكان حين يخرج في القوافل التجارية يؤلف ويردد الشعر الذي يعبر عن شوقه لزوجته الحبيبة . وكان هذا الحب يغلف كل مواقفهما معاً ، حتى في أوقات المحن .

ففي اليوم الذي سمع فيه أبو العاص بما يقوله المشركون عن الرسول الكريم ، ذهب إلى زوجته الحبيبة يشكو لها ضيقه ، فإذا بها تعلن له أنها أسلمت! فماذا كان رد فعله؟

لم يثر ويتهمها بخداعه بل اعتذر لها بمنتهى اللطف والرقة قائلاً : والله ما أبوك عندي بمتهم ، وليس أحب إليّ من أن أسلك معك يا حبيبة في شعب واحد ، ولكني أكره لك أن يقال : إن زوجك خذل قومه وكفر بآبائه إرضاء لامرأته فهلا عذرت وقدرت . .

وعندما قرر المشركون أن تطلق بنات الرسول من رجال قريش ، وكان له في ذلك الحين ثلاث بنات متزوجات من القرشيين ، وافق ابني أبي لهب على تطليق زوجاتهم ، ولكن أبو العاص كان له موقفاً آخر .

أبى الزوج العاشق أن يطلق زوجته ، حتى لو كانت ابنة من يعادي قومه ، وقال : كلا والله إني لا أفارق صاحبتي وما أحب أني لي بها نساء الدنيا جميعاً .

---

(١) زينب بنت النبي محمد رسول الله من خديجة بنت خويلد ، ولدت قبل البعثة بعشر سنوات . تزوجها أبو العاص بن الربيع ابن خالتها وأنجبت له عليًا وأمامة ، فمات علي وهو صغير وبقيت أمامة .

(٢) أبو العاص لقيط بن الربيع صحابي وصهر رسول الله ، زوج ابنته زينب ، وهو والد أمامة التي كان يحملها النبي في صلاته ووالد علي بن أبي العاص . أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد . كانت خديجة هي التي سألت رسول الله أن يزوجه بابنتها زينب ، وكان لا يخالفها ، وذلك قبل الوحي ، حارب الرسول ﷺ مع المشركين في غزوة بدر .

حبيبي يحارب أبي!

خرج أبو العاص مع قريش لمحاربة المسلمين في بدر معتذرا لزوجته التي حاولت إثناءه عن عزمه . . ويالهفي على بنت الحبيب محمد . زينب الممتحنة في حبها لزوجها وحبها الأكبر لدينها وأبيها . كانت زينب }رضي الله عنها{تدعو الله سبحانه وتعالى أن ينصر والدها على أعداء اللهِ وأن يحفظ زوجها من كل سوء على الرغم من عصيانه للـه .

وتخيلوا موقفها وقد علمت بانتصار المسلمين لكنها في الوقت ذاته قلقة على روح قلبها وحبيبها ، أن يكون قد مات . . ولربما لوعتها الأشد ليس على فراقه بل على مقتله على غير الهدى . حتى علمت بأن زوجها لم يقتل وإنه وقع أسيراً في أيدي المسلمين .

عندها قررت زينب أن تفدي زوجها بكل ما تملك ، فأعطت لأخي زوجها قلادة تمتلكها ليذهب بها إلى الرسول وأصحابه ليطلقوا سراح أبي العاص . هذه القلادة كانت هدية لها من أمها السيدة خديجة ذات المكانة العظيمة في قلب رسول الله .

ولا تتوقف الرقة والرومانسية عند هذا الحد ، ولكن الأكثر تأثيرا كان موقف الرسول ، القائد ، المنتصر عندما شاهد القلادة ورق لها قلبه وتذكر حبه الأكبر ، فما كان منه إلا أن قال لأصحابه برجاء خافت : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فعلتم . .

ولننظر لرسولنا الكريم وهو يعيد القلادة إلى أبو العاص ويطلب منه أن يوصلها لزينب ومعها هذه الرسالة : إلا هذه يا زينب . . لا تفرطي فيها مرة أخرى .

وفي نفس الوقت يطلب منه الرسول أن يخلي سبيل زينب ويعيدها إليه لأن القرآن حكم على الجميع بالهجرة ، ووعده أبو العاص أن ينفذ له ما أراد . وبالفعل وفى بوعده وأرسل زينب . . حتى مدحه محمد عليه الصلاة السلام بعد ذلك بقوله : (حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي) .

وذهبت زينب فرحة بتنفيذ أمر ربها ولقاء أبيها لكن جزءاً من قلبها هناك . . وراء التلال البعيدة في مكة . . وانصب كل جهدها في الدعاء لحبيبها وأن يهديه الله إلى نور الإسلام .

اللقاء الثاني

ولم يشأ الله أن يكون فراق الحبيبين إلى الأبد ، بل كان القدر يخبئ لهما لقاء

غير مجرى حياتهما التي أوشكا أن ينهياها منفصلين . إحدى القوافل التي يقودها أبو العاص عائدة من الشام ومحملة بأموال قريش ، تتعرض لهجوم من سرية من المسلمين ، وتمكنت هذه السرية من القافلة وأسرت عدد من المشركين ، ولكن أبو العاص استطاع الهرب . ولم يجد الهارب مفرًا من دخول المدينة وسأل وربما دله قلبه على بيت زينب أم أولاده . . وفتحت لتجد أمامها زوجها وأبو أولادها ، علي وأمامة[١]!! فتدخله وتذهب للمسجد تنتظر صلاة الفجر ولما انتهى الناس من صلاتهم صرخت من بين النساء :

أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . وشفع رسول الله لدى صحابته أن يردوا لأبي العاص أمواله . ففعلوا ، وأطلقوا سراحه!! وما أن عاد الأسير إلى مكة وأعطى كل واحد من قريش نصيبه في مال القافلة ، حتى قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمد عبده ورسوله ، والله ما منعني من الإسلام إلا أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم فرغت منهم وأسلمت . ثم عاد إلى المدينة قاصداً مسجد الرسول ليسلم وليقول والله لم أرد أن أسلم وأنا في الأسر حتى لا يقال أسلم خوفًا من المسلمين .

فراق إلى لقاء وتجمع شمل العاشقين . ولكن سعادتهما لم تدم طويلاً . وكأن الله قد أراد أن يقبض زينب بعد أن أدت مهمتها وقرت عيناها بإسلام زوجها ، فماتت بعد عام من العودة ليدخل العاص في اختبار جديد لحبه . لم ينسها حتى لحق بها ، وكان رسول الله كثيراً ما يراه يبكي حزناً ، وكثيراً ما زارها في قبرها فوجد أبا العاص ينتحب وهو يحن إلى الذكرى ، فيخفف عنه الرسول قائلاً : ذكرت زينب وضعفها ،

---

(١) أمامة بنت أبي العاص هي ابنة زينب بنت محمد رسول الإسلام . ووالدها أبو العاص بن الربيع . توفيت والدتها «زينب» في السنة الثامنة من الهجرة . كانت أمامة لم تبلغ الحُلم بعد . فكان هذا فراقا صعبا علي رسول الله وعلى ابنتها . فقام رسول الله برعايتها فكان يحبها كثيرا . وهي من كان الرسول يحملها في الصلاة . وحينما تُوفي «أبو العاص» ، كان قبل وفاته أوصى أن يزوج ابنته «أمامة» من ابن خاله «الزبير بن العوام» . فزوجها «الزبير» بعد وفاة خالتها فاطمة من علي بن أبي طالب وانجبت له محمدا الأوسط ، وعاشت أمامة بعد علي حتى تزوج بها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي ، ثم توفيت عنده بعد أن ولدت له يحي بن المغيرة ، وكانت وفاتها في عهد معاوية بن أبي سفيان .

فسألت الله تعالى أن يخفف عنها ضيق القبر وغمه ، واستجاب الله ، وروى أن الرسول كان يقابله في طرقات المدينة يمشي كالهائم على وجهه فيحتضنه فيبكي أبا العاص حزنًا على فراق حبيبته . بل وأنه كان يجلس في بيته فيحتضن أمامة ويبكي قائلا : ذكريني بزينب . ولم يمض على رحيلها سوى أربع سنوات حتى لحق بها في العام الثاني عشر للهجرة .

طرائف النحاة

شهادة مؤكدة

عن عبد الملك بن قريب الأصمعي قال : تقدم رجلان إلى عبيد الله بن الحسن العنبري ، فشهدا عنده على إعدام رجل ، فقال : تشهدان أنه معدم مفقع؟ فقالا أصلح الله القاضي ، شهدنا بما علمنا ، فما المفقع؟ فقال : المفقع أجير المعدوم ، فقالا : نشهد أنه معدم مفقع مفاقيع متفقع .

أمير كثير اللحن

وعن أبي معمر عن أبيه قال : كان أمير على الكوفة من بني هاشم ، وكان لحاناً ، فاشترى دوراً من جيرانه ليزيدها في داره ، فاجتمع إليه جيرانه فقالوا : أصلحك الله ، هذا الشتاء قد هجم علينا فأمهلنا إن رأيت حتى يقبل الصيف ونتحول ، قال : لسنا بخارجيكم يريد بمخرجيكم .

يزين الرجال علمهم لا مظهرهم

قال أبو الفضل بن المهدي[1] : قال لي أبو محمد الأزدي : واظب على العلم فإنه يزين الرجال ، كنت يوماً في حلقة أبي سعيد يعني السيرافي فجاء ابن عبد الملك خطيب جامع المنصور وعليه السواد والطويلة والسيف والمنطقة ، فقام الناس إليه وأجلوه ، فلما جلس قال : لقد عرفت قطعة من هذا العلم وأريد أن أستزيد منه ، فأيهما خير سيبويه أو الفصيح؟ فضحك الشيخ ومن في حلقته ثم قال : يا سيدنا محبرة اسم أوفعل أو حرف؟ فسكت ثم قال : حرف . فلما قام لم يقم له أحد .

هرب المتقاضيان من القاضي الفصيح

قال الأصمعي : كان يحيى بن معمر قاضياً بخراسان ، فتقدم إليه رجل وامرأته فقال

(١) محمد بن عبد العزيز بن العباس بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو الفضل الهاشمي كان خطيب جامع الحربية ، وسمع : الحسن بن محمد بن القاسم المخزومي ، وأبا الحسين بن سمعون ، وأبا القاسم الصيدلاني ، وأبا بكر بن أبي موسى الهاشمي ، وإدريس بن علي المؤدب ، وابن الصلت المجبر ، ومن بعدهم . كتبت عنه وكان صدوقا خيرا فاضلا ، وكان أحد الشهود المعدلين .

يحيى للرجل : رأيت إن سألتك حق شكرها وشبرك إن شاءت تطلها وتضهلها ، قال : يقول الرجل لامرأته والله ما أدري ما يقول ، قومي حتى ننصرف . الشكر : الفرج والشبر : النكاح وتطلها : تبطل حقها وتضهلها : تعطيها حقها قليلاً قليلاً . وكذلك قال عيسى بن عمر ليوسف بن عمر وهو يضربه بالسياط : والله إن كانت إلا أثياباً في اسيفاط قبضها عشاروك . قال ابن قتيبة : ومثل هذا يستقبح والأدب غض فكيف اليوم؟

ليس لك صلة

دق رجل باب دار نحوي فقال : من ذا؟ فقال : أنا الذي أبو عمرو الجصاص عقد طاق باب هذه الدار ، فقال النحوي : ما ترى لك في صلة الذي شيئاً ، فانصرف راشداً .

شيخ يتعاطى النحو

كان بسجستان شيخ يتعاطى النحو ، وكان له ابن فقال لابنه : إذا أردت أن تتكلم بشيء فاعرضه على عقلك ، وفكر فيه بجهدك ، حتى تقومه ثم أخرج الكلمة مقومة . فبينما هما جالسان في بعض الأيام في الشتاء والنار تتقد وقعت شرارة في جبة خز كانت على الأب وهو غافل والإبن يراه ، فسكت ساعة يفكر ثم قال : يا أبت أريد أن أقول شيئاً فتأذن لي فيه؟ قال أبوه : إن حقاً فتكلم ، قال : أراه حقاً ، فقال : قل ، قال : إني أرى شيئاً أحمر ، قال : وما هو؟ قال : شرارة وقعت في جبتك ، فنظر الأب إلى جبته وقد احترق منها قطعة ، فقال للابن : لم لم تعلمني سريعاً؟ قال : فكرت فيه كما أمرتني ، ثم قومت الكلام وتكلمت فيه ، فحلف أبوه بالطلاق أن لا يتكلم بالنحو أبداً .

لا يخاطب العامة بالنحو

قال ابن عقيل(١) : كان شيخنا أبو القاسم بن برهان الأسدي يقول لأصحابه :

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهامشي ، بهاء الدين ابن عقيل : من أئمة النحاة . من نسل عقيل ابن أبي طالب . قال ابن حيان : ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل . كان مهيبا ، مترفعا عن غشيان الناس ولا يخلو مجلسه من المترددين إليه ، كريما ، كثير العطاء لتلاميذه ، في لسانه لثغة .

إياكم والنحو بين العامة فإنه كاللحن بين الخاصة . قال ابن عقيل : وتعليل هذا أن التحقيق بين المحرفين ضائع ، وتضييع العلم لا يحل ، ولهذا روي : حدثوا الناس بما يعقلون أتحبون أن يكذب على الله ورسوله ؛ وقد قال رسول الله ﷺ : «يا أبا عمير ما فعل النغير» ولعب مع الحسن والحسين ، وإنما نسب المعلمون للحماقة لمعاملتهم الصبيان بالتحقيق .

من أفسد بيان الصبي

وعن سعيد بن أحمد قال : دعاني محمد بن أحمد بن الخصيب يوماً فأقمنا عنده ، فقال لابن له صغير : يا عبد الله اخدم عماك ، فقال : اخدم عمي ، قالوا : يقول لك اخدم عمك وتلحن؟ فقلت له : جعلت فداك ، أنت أعلم الناس بالنحو فمن أفسد بيان هذا الصبي؟ قال : من قبل أمه .

وعن أبي عبد الله أحمد بن فتن قال : دعاني إنسان من جيرانا فوجه إلى البقال : وجه إلي جزراً بدانقان ، فقلت : سبحان الله ما هذا؟ قال : أردت أن يهابني .

الألف الزائدة والناقصة

كان عمر عبد العزيز في مجلس الخليفة بن عبد الملك وكان الوليد ، فقال : يا غلام ، ادع لي صالح ، فقال الغلام : يا صالحاً ، قال له الوليد . أنقص ألفاً ، فقال عمر : وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفاً .

أبو الأسود الدؤلي والمتقعر

قال أبو الحسن : كان غلام يقعّر في كلامه ، فأتى أبا الأسود الدؤلي يلتمس بعض ما عنده ، فقال له أبو الأسود : ما فعل أبوك؟ قال : «أخذته الحمى فطبختـه طبخا ، وفنخته فنخا ، وفضخته فضخا ، فتركته فرخا» .

فنخته : أضعفته . والفنيخ : الرخو الضعيف . وفضخته : دقته .

فقال أبو الأسود : «فما فعلت امرأته التي كانت تهارّه وتشارّه ، وتجارّه وتزارّه»؟ قال : «طلقها فتزوّجت غيره ، فرضيت وحظيت وبظيت» . قال أبو الأسود : قد عرفنا رضيت وحظيت ، فما بظيت؟ قال : حرف من الغريب لم يبلغك . قال أبو الأسود : يا بني كل كلمة لا يعرفها عمك فاسترها كما تستر السنور جعرها .

حب الإعراب

قال الأصمعي : خاصم عيسى بن عمر النحوي الثقفي[1] رجلا إلى بلال ابن ابي بردة ، فجعل عيسى يتتبّع الإعراب ، وجعل الرجل ينظر إليه ، فقال له بلال : لأن يذهب بعض حق هذا أحب إليك من ترك الإعراب ، فلا تتشاغل به واقصد لحجتك .

ترك حقه لظهور الإعراب

وقدم رجل من النحويين رجلا إلى السلطان في دين له عليه فقال : أصلح الله الأمير ، لي عليه درهمان . فقال خصمه : لا والله أيها الأمير إن هي إلا ثلاثة دراهم ، ولكن لظهور الأعراب ترك من حقه درهما .

نحوي في كنيف

وقع نحوي في كنيف فصاح به الكناس : أنت في الحياة . قال : ابغ لي سلماً وثيقاً وامسكه امساكاً رفيقاً ولا بأس علي ، فقال له : لو كنت تركت الفضول يوماً لتركته الساعة وأنت في الخرا إلى الحلق .

نحوي عند بائع بطيخ

وقف نحوي على صاحب بطيخ فقال : بكم تلك وذانك الفاردة؟ فنظر يميناً وشمالاً ثم قال : اعذرني فما عندي شيء يصلح للصفع .

نحوي عند زجاج

وقف نحوي على زجاج فقال : بكم هاتان القنينتان اللتان فيهما نكتتان خضراوتان؟ فقال الزجاج : «مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان» .

---

(١) عِيسى بن عُمَر الثقفي هو نحوي ومقرئ ، من أهل البصرة . هو أبو سليمان عيسى بن عمر الثقفي بالولاء ، وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء . ينسب إليه كتابان في النحو ، أحدهما : «الجامع» ، والآخر : «الإكمال» ، قال الأنباري : «لم نرهما ولم نر أحداً رآهما» .

نحوي عند قصاب

وعن أبي زيد النحوي قال : وقفت على قصاب وعنده بطون ، فقلت : بكم البطنان؟ فقال : بدرهمان يا ثقيلان .

وعن أحمد بن محمد الجوهري قال : سمعت أبا زيد النحوي ، قال : وقفت على قصاب وقد أخرج بطنين سمينين فعلقهما ، فقلت : بكم البطنان؟ فقال : بمصفعان يا مضرطان . ففرت لئلا يسمع الناس فيضحكون .

نحوي عند نخاس

قال : حدثنا أبو حمزة المؤدب قال : حدثنا أحمد بن محمد القزويني وكان شاعراً أنه دخل سوق النخاسين بالكوفة فقعد إلى نخاس فقال : يا نخاس اطلب لي حماراً لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ، إن أقللت علفه صبر وإن أكثرت علفه شكر ، لا يدخل تحت البواري ولا يزاحم بي السواري ، إذا خلا في الطريق تدفق وإذا أكثر الزحام ترفق ، فقال له النخاس بعد أن نظر إليه ساعة : دعني ، إذا مسخ الله القاضي حماراً اشتريته لك .

حدثنا بعض أصحابنا قال : قلت لبقال : عندك بسر فرساً؟ قال : عندي قرعة .

نحوي عند طبيب

وعن إسحاق بن محمد الكوفي قال : جاء أبو علقمة إلى عمر الطبيب فقال : أكلت دعلجاً فأصابني في بطني سجح ، فقال : خذ غلوص وخلوص ، فقال أبو علقمة : وما هذا؟ قال : وما الذي قلت أنت؟ كلمني بما أفهم ، قال : أكلت زبداً في سكرجة فأصابني نفخ في بطني ، فقال : خذ صعتراً .

ودخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب ، فقال : امتع الله بك ، إني أكلت من لحوم هذه الجوازم فطسئت طسأة فأصابني وجع من الوالبة إلى ذات العنق ، فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الحلب والشراسيف فهل عندك دواء؟ قال : نعم خذ حرقفاً وسلقفاً وسرقفاً فزهزقه وزقزقه واغسله بماء روث واشربه ، فقال أبو علقمة : لم أفهم عنك هذا ، فقال : أفهمتك كما أفهمتني .

نحوي عند جرار

قال : حدثنا أبو عثمان عن أبي حمزة المؤدب قال : دخل أبو علقمة النحوي سوق الجرارين بالكوفة ، فوقف على جرار فقال ، أجد عندك جرة لا فقداء ولا دباء ولا مطربلة الجانب ، ولتكن نجبة خضراء نضراء قد خف محملها وأتعبت صانعها ، قد مستها النار بألسنتها ، أن نقرتها طنت ، وإن أصابتها الريح رنت؟ فرفع الجرار رأسه إليه ثم قال له : النطس بكور الجروان أحر وجكى ، والدقس باني والطبر لري شك لك بك ، ثم صاح الجرار : يا غلام شرج ثم درب وإلى الوالي فقرب ، يا أيها الناس ، من بلي بمثل ما نحن فيه؟ وأنشد لثعلب . السريع :

إن شئت أن تصبح بين الورى　　مـــا بين شتام ومغتــــــاب
فكن عبوساً حين تلقاهـــــم　　وكلـــم النــــاس بإعـــــراب

بالتفصيل الممل

ابن ابي الزناد[١] قال : كنت كاتبا لعمر بن عبد العزيز[٢] ، فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه ، فكتب إليه : «إنه يخيل إلي إني لو كتبت إليك أن تعطي رجلا شاة لكتبت إلي :

أضان أم ماعز؟ وإن كتبت إليك بأحدهما كتبت إلي : أذكر أم أنثى؟ وإن كتبت إليك بأحدهما كتبت إلي : أصغير أم كبير؟ فإذا أتاك كتابي في مظلمة فلا تراجعني . والسلام» .

ضياع النحو أشد

ارتفع إلى زياد رجل وأخوه في ميراث ، فقال : إن أبونا مات ، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله . فأما زياد فقال : الذي أضعت من لسانك أضرّ عليك مما أضعت

(١) الإمام الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن الفقيه أبي الزناد عبد الله بن ذكوان ، المدني . ولد بعد المائة وسمع أباه ، وسهيل بن أبي صالح ، وعمرو بن أبي عمرو وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد ، وطبقتهم . وكان من أوعية العلم . أخذ القراءة عرضا عن أبي جعفر القارئ . قاله أبو عمرو الداني .

(٢) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، هو ثامن الخلفاء الأمويين . ولد سنة ٦١هـ في المدينة المنورة ، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب ، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة ، وكان شديد الإقبال على طلب العلم .

من مالك . وأما القاضي فقال : فلا رحم الله أباك ، ولا نيّح عظم أخيك! قم في لعنة الله! وقال ابو شيبة قاضي واسط : أتيتمونا بعد إن أردنا أن نقم

إفساد بنية الإصلاح

مرّ الشعبي[١] بناس من الموالي يتذاكرون النحو فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده .

سرعة الجواب دون فهم

يحكى عن صاعد بن الحسن اللغويّ[٢] أنه كان حاضر الجواب سريعه ، يجيب عن كل ما يُسألُ عنه دون أن يتوقّف للتفكير . سأله المنصور بن أبي عامر يوما :

هل رأيت فيما رأيتَ من الكتب ، كتابَ «القوالب والزوابل» لمبرمان بن يزيد؟

قال صاعد : نعم ، رأيتُه في بغداد في نسخة بخط أبي بكر بن دُرَيد بخطٍّ صغير وفي هوامشها علامات وتعليقات .

فقال له المنصور : أما تستحي يا صاعد من هذا الكذب؟ هذا كتاب عاملنا ببلد كذا يذكر فيه أن الأرض قد قُلِبَتْ وزُبِلَتْ ، فألّفتُ من قوله عنوان الكتاب الوهمي الذي سألتك عنه!

فأخذ صاعدٌ يحلف أن الكتاب موجودٌ حقيقة!

---

(١) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، والمشهور بـ الإمام الشعبي ٢١ هـ/١٠٠ هـ ، تابعي وفقيه ومحدث من السلف ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب .

(٣) أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي (ت . ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) لغوي وشاعر بغدادي أصله من الموصل . يرجع نسب أبي العلاء صاعد البغدادي إلى ربيعة بن نزار . دخل صاعد الأندلس من المشرق عام ٣٨٠ هـ في زمن الحاجب المنصور ، وألف كتاب سماه «الفصوص» حاكى به كتاب «النوادر» لأبي علي القالي . أثابه المنصور عن الفصوص بخمسة آلاف دينار ، وأمره بقراءته في المسجد الجامع في الزاهرة ، غير أن العلماء أثبتوا كذبه في النقل وعدم تثبته ، فألقى المنصور الكتاب في النهر . كما كان لصاعد كتابين روائيين أحدهما سماه «الهجفجف بن غُدقان بن يثربي مع الخنوت بنت محرمة بن أنف» والآخر «الجوّاس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء» ، وقد شغف المنصور بالأخير حتى رتّب له من يقرأه عليه كل ليلة . بعد وفاة المنصور ، اعتزل مجالس الحكام ، حتى إذا كانت فتنة الأندلس ، رحل متخفيًا إلى صقلية ، وفيها مات عام ٤١٧ هـ .

الدؤلي وامرأته عند الوالي

جرى بين أبي الأسود الدؤلي[(١)] وبين امرأته كلام فِي ابن كان لها منه وأراد أخذه منها ، فسار إِلَى زياد وهو والي البصرة ، فقَالَت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابني كان بطني وعاءه ، وحجري فناءه ، وثديي سقاءه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتى إذا استوفى فصاله ، وكملت خصاله ، واستوكعت أوصاله ، وأملت نفعه ، ورجوت دفعه ، أراد أن يأخذه مني كرهاً ، فآدني أيها الأمير ، فقد رام قهري ، وأراد قسري ، فقَالَ أَبُو الأسود : أصلحك الله ، هذا ابني حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فِي أدبه ، وأنظر فِي أوده ، وأمنحه علمي ، وألهمه حلمي ، حتى يكمل عقله ، ويستحكم فتله ، فقَالَت المرأة : صدق أصلحك الله ، حمله خفاً ، وحملته ثقلاً ، ووضعه شهوة ، ووضعته كرهاً ، فقَالَ له زياد : اردد عَلَى المرأة ولدها فهي أحق به منك ، ودعني من سجعك

لحن الحجاج

وذكر يونس بن حبيب النحوي[(٢)] قال : قال الحجاج لابن يعمر[(٣)] : أتسمعني ألحن على المنبر؟

---

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني ، (١٦ ق .هـ . -٦٩ هـ) ، من سادات التابعين وأعيانهُم وفقهائهُم وشعرائهُم ومحدثيهُم ومن الدهاة حاضرِي الجواب وهو كذلك نحوي عالِم وضع علم النحو في اللغة العربية وشكّل أحرف المصحف ، وضع النقاط على الأحرف العربية ، ولِد قبل بعثة النبي محمد ﷺ وآمن به لكنه لم يره فهو معدود في طبقات التابعين وصَحِب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي ولاه إمارة البصرة في خلافته ، وشهد معه وقعة صفين والجمل ومحاربة الخوارج . ويُلقب بِلقب ملك النحو لوضعه علم النحو .

(٢) يونس بن حبيب النحوي هو أديب نحوي ، من أهل البصرة . هو يونس بن حبيب الضبي بالولاء ، أبو عبد الرحمن ، ويعرف بالنحوي . ولد ببلدة جبل بالعراق . أخذ عن حماد بن سلمة وأبوعمرو البصري والأخفش الأكبر .

(٣) أبو سليمان يحيى بن يعمر العدواني البصري يكنى أبا عدي ، حليف بني ليث من قبيلة كنانة فقيه ، علامة ، مقرئ ، كان قاضي مرو ، ويقال أنه من نقط المصاحف ، وكان من فضلاء الناس وعلمائهم ، وله أحوال ومعاملات ، حدث عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهم من الصحابة .

قال : الأمير أفصح من ذلك ؛ فألح عليه ،
فقال : حرفاً ،
قال : أياً؟
قال : في القرآن ،
قال : ذلك أشنع له فما هو؟
قال : تقول : «قل إِنْ كانَ آباؤُكم وأبناؤُكم إلى
قوله عزّ وجَلّ أحبَّ» فتقرأها : أحبُّ بالرفع ،
والوجه أن تقرأ بالنصب ، على خبر كان ،
قال : لا جرم لا تسمع لي لحناً أبداً ؛
فألحقه بخراسان ، وعليها يزيد بن المهلب ،
قال : فكتب يزيد إلى الحجاج : إنا لقينا العدو ، فمنحنا الله أكتافهم ،
فأسرنا طائفةً ، وقتلنا طائفةً ، واضطررناهم إلى عُرْعُرة الجبل ،
وأثناء الأنهار .
فلما قرأ الحجاج الكتاب قال : ما لابن المهلب ولهذا الكلام! حسداً له ،
فقيل له : إن ابن يعمر هناك ،
فقال : فذاك إذاً! .

فهم خاطئ

سمع أحد الأعراب قارئًا يقرأ الآية الكريمة التالية
قال تعالى : ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ . . . .﴾
فقال الأعرابي : إن كان الله من الرسول يبرأ فأنا منه (من الرسول) أبرأ .
فنما ذلك إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب (كرم الله وجهه)
فدعا على أبا الأسود الدؤلى وقال له : ضع علمًا يحفظ على الناس لسانهم
فخرج أبو الأسود ثم عاد إلى على (رضى الله عنه) بعد عدة أيام ومعه بعض الأوراق
مدون بها استنتاجه لبعض القواعد النحوية
وعندما قرأها الإمام على قال له : جميل هذا النحو ، انحُ هذا النحو .
ومن يومها صارت كلمة نحو علمًا على هذا العلم (ضبط أواخر الكلمات)

الفعل وقى

يقال : أن مجموعة من النحاة كانوا يجتمعون في ضيعة يتدارسون فيها قضايا النحو في القرآن الكريم

وذات يوم وقفوا عند مسألة هي : إسناد الضمائر إلى الفعل (وقى) إلى الضمائر .

وقد ورد في الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم﴾ .

فمرة يسندون الفعل إلى ألف الاثنين ، ومرة إلى ياء المخاطبة ، ومرة إلى نون النسوة وهكذا .

وفي كل مرة يلفظون الفعل مع ما اسندوا إليه من الضمائر .

فكانت : قيا ، وقوا ، وقن ، وقي .

فسمعهم المزارع الذي يعمل في الضيعة .

فقال لهم : لعنكم الله أتقرأون القرآن بلغة الدجاج .

شتيمة محب

قال أبو علقمة النحوي لجارية كان يهواها : يا خريدة[١] ؛ أخالك عروباً[٢] ، فما بالنا نمقك وتشنئينا/ فقال : ما رأيت أحداً يحب أحداً ويشتمه سواك .

سيبويه يريد دخول الحمام

دخل مفلح الحسني الحمام وكان من جملة أصحاب الحسن بن عبد الله بن طغج بن جف الفرغاني ، وإليه ينسب ، فأتى سيبويه ليدخل فقيل له : الأمير مفلح أخلاه فاصبر ساعة . فقال : أومثلي يمنع الدخول؟ لا أنقى الله مغسوله ، ولا بلغه سوله ، ولا وقاه من العذاب مهوله . وجلس حتى خرج . فقال له : إن الحمام لا يخلى إلا لأحد ثلاثة : مبتلى في قله ، أو مبتلى في دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأي الثلاثة أنت؟ قال : أنا المغروم أعزك الله .

---

(١) الخَرِيدَةُ : فتاة عذراء لم تُمَسّ .

(٢) العَرُوبُ : المرأَةُ المتحببة إلى زوْجِها والجمع : عُرُبٌ .

كلثوم بن عمرو والموصلي

دخل كلثوم بن عمرو العتّابي[١] على المأمون[٢] وعنده إسحاق الموصلي[٣] ، فغمز المأمون إسحاق عليه ، فجعل العتّابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه فيه إسحاق ، فقال له العتّابي : ما اسمك؟ فقال : كل بصل ؛ قال : هذا اسم منكر . قال : أتنكر أن يكون اسمي كل بصل واسمك كل ثوم ﴿والبصل أطيب من الثوم﴾؟ فقال : أظنك إسحاق! فقال : نعم ؛ فتوادّا .

الكسائي والنجار

قال الكسائي[٤] : حلفت ألا أكلم عامياً إلا بما يوافقه ويشبه كلامه ؛ وقفت على نجار ، فقلت : بكم هذان البابان؟ فقال : بسلحتان يا مصفعان ؛ فحلفت ألا أكلم عامياً إلا بما يصلح .

أبو علقمه وغلامه

قال بشر بن حجر : انقطع إلى أبي علقمة غلامٌ يخدمه ، فأراد أبو علقمة البكور في حاجة ، فقال : يا غلام أصقعت العتاريف؟ فقال له الغلام : زقفيلم ؛ قال أبو علقمة : ومًا (زقفيلم)/ قال : وما (العتاريف)/ قال : الدّيوك ، قال : ما صاح منها شيءٌ بعد .

---

(١) العتابي كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي أبو عمرو من بني عتاب بن سعد كاتب حسن الترسل وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشاعر .

(٢) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ، ولد عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ وتوفي غازيا في ١٩ رجب عام ٢١٨ هـ ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣ بطرسوس ، شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول وذلك لأنه شارك فيها بنفسه .

(٣) إسحاق الموصلي هو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن الموصلي التّميمي بالولاء ، الأرجانيّ الأصل المعروف بابن النّديم الموصلي نادم الرّشيد والمأمون والمُعتصم والواثق ولد عام ٧٦٧ م في مدينة الري .

(٤) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكسائي مولى بني أسد من أصول فارسية . كان إمام الكوفيين في اللغة والنحو ، وسابع القراء السبعة . ويعد المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية في النحو .

شيطان أبي علقمة

قال جعفر بن نصر[١] : بينما أبو علقمة النحوي في طريق ، ثار به مرارٌ ، فسقط ، فظنّ من رآه أنه مجنونٌ ، فأقبل رجلٌ يعضُّ أذنه ويؤذن فيها ، فأفاق ، فنظر إلى الجماعة حوله ، فقال : ما لكم قد تكأكأتم عليَّ كما تتكأكؤون على ذي جنَّةٍ؟ افرنقعوا عني؟ فقال بعضهم لبعضٍ : دعوه فإنّ شيطانه يتكلّم بالهندية .

يتقعر في الحمام

قال صالح بن شابور : كان محمد بن الحسن الجرجاني[٢] يتقعّر ويطلب التّعمق في الكلام مع كل أحد ، فدخل الحمّام يوماً ، فقال للقيم : أين الحديدة التي يمتلخ بها الطوطوة من الأخفيق؟ فصفع القيم قفاه بجلد النّورة وهرب ، فلمّا انصرف من الحمام ، أنفذ من حمله إلى صاحب الشرطة ، فحبس ، فكتب إليه من الحبس : أيّها الأستاذ {قد أبرمني المحبسون بالمسألة عن السبب الذي حبست له ؛ فإمّا أطلقتني وإمّا أعرفهم ؛ فبعث من أطلقه ، فاتّصل الخبر بالفتح ، فحدّث المتوكل ، فضحك ضحكاً عجيباً ، وقال : هذا والله ظريفٌ مليحٌ ، يجب أن نغنيه عن الخدمة في الحمّام ؛ فوهب له مئتي دينار .

قرود البصرة

قال المبرّد : قدم بعض البصريين من أصحاب أبي الهذيل بغداد ، وقال : لقيت مخنثّين ، فقلت لهما : أريد منزلاً ؛ وكان هذا الرجل في نهاية القبح ، فقال أحدهما : بالله من أين أنت؟ قلت : من البصرة ؛ فأقبل على الآخر ، فقال : لا إله إلاَ الله ، تحول يا أختي كل شيء من الدنيا ، حتى هذا كانت القرود تجيء إلى بغداد من اليمن صارت تجيء من البصرة!

---

(١) الحصيري الحافظ الحجة القدوة أبو محمد ، جعفر بن أحمد بن نصر النيسابوري المعروف بالحصيري ، أحد الأعلام .

(٢) نحوي وَمتكلم ، وُلِد في جرجان لأسرةٍ رقيقة الحال ، نشأ ولوعاً بالعلم ، مُحبّاً للثقافة ، فأقبل على الكتب يلتهمها ، وخاصةً كتب النحو والأدب .

الهمزة والجر

الأصمعي قال : قلت لأعرابي : أتهمز إسرائيل؟ قال : إني إذا لرجل سوء! قلت له : أفتجرّ فلسطين؟ قال : إني إذا لقوي .

جمع ساكنين

سمع ابن الأعرابي رجلاً يقول : أتوسل إليكم بعليّ ومعاوية ، فقال : جمعت بين ساكنين .

العربية في ثلاث كلمات

قال الأصمعي : بينما أنا في بعض البوادي إذا أنا بصبي معه قربة قد غلبته ، فيها ماء ، وهو ينادي :

يا أبت أدرك فاها ، غلبني فوها ، لا طاقة لي بفيها

قال : فوالله لقد جمع العربيّة في ثلاث .

ممنوع من الصرف

روي أن رجلا نحويا كان بخيلا فطرق بابه طارق : فقال من الطارق؟ فأجابه الطارق : سائل يسأل مسألة ، فقال النحوي : فلينصرف السائل ، فقال الطارق : اسمي أحمد واسمي لا ينصرف فسر به النحوي وأعطاه مسألته ويكاد يكون الوحيد الذي ظفر منه بشيء .

متسول عالم بالنحو

قال أحد النحاة :

رأيت رجلاً ضريرًا يسأل الناس يقول :

ضعيفًا مسكينًا فقيرًا . . .

فقلت له : يا هذا . . . علام نصبت (ضعيفا مسكينا فقيراً)/؟

فقال : بإضمار «ارحــمــوا» . . . .

قال النحوي :

فأخرجت كل ما معي من نقود وأعطيته إياه فرحًا بما قال .

لحانان

وعن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال :

كان عندنا رجل لحان (أي كثير اللحن) فلقي رجلاً مثله

فقال : من أين جئت؟

فقال : من عند أهلونا .

فتعجب منه وحسده وقال : أنا أعلم من أين أخذتها ؛ أخذتها من قوله تعالى ﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾

سعر الباذنجان

وقف نحوي على رجل فقال : كم لي من هذا الباذنجان بقيراط/؟

فقال : خمسين .

فقال النحوي : قل خمسون .

ثم قال : لي أكثر فقال : ستين .

قال : قل : ستون .

ثم قال : لي أكثر فقال : إنما تدور على مئون وليس لك مئون .

أبـــوك وحـمــارِه

حكى العسكري[1] في كتاب (التصحيف) أنه قيل لبعضهم : ما فَـعَـلَ أبوك بحمارِه؟

فَقَاَل : باعِــهِ (يعني بالكسر) ، فقيل له : لم قلت «باعِــهِ»؟ قال : فلم قلت أنت «بحمارِه»؟ . . .

قالَ الرجل : أنا جررته بالباء !! ، فرد عليه بقوله : فلم تجر باؤك وبائي لا تجر/؟!!

(١) الحَسَن بْن عَبْد الله بْن سهل بْن سَعِيد بْن يحيى بْن مِهْران العسكري اللُّغَويّ ، الأديب ، الشاعر صاحب المصنَّفات الأدبيّة . تليمذ للعلامة أَبِي أحمد العسكريّ ، وحمل عَنْهُ وعن أبي القاسم بْن شيران ، وغير واحد ، روى عَنْهُ الحافظ أبو سعد السمان ، وأبو الغنائم بن حمّاد المقرئ الأهوازيّ ، وأبو حكيم أحْمَد بْن إسماعيل بْن فُضلان العسكري ، ومظفَّر بْن طاهر الأشتري ، وآخرون .

كلما كلمتك خالفتني

وعن عبد الله بن صالح العجلي[1] قال : أخبرني أبو زيد النحوي قال : قال رجل للحسن : ما تقول في رجل ترك أبيه وأخيه؟

فقال الحسن : ترك أباه وأخاه !!

فقال الرجل : فما لأباه وأخاه؟

فقال الحسن : فما لأبيه وأخيه !!

فقال الرجل للحسن : أراني كلما كلمتك خالفتني/؟!!

زيد وعمر

روى أحدهم أن رجلا دُعي إلى حضور درس من دروس النحو ، فلما حضر لاحظ أنهم (أي النحاة) يقولون في أمثلتهم :

«جاء زيـــــدٌ »

«ضرب زيد عُمرًا» . . . الخ

«حدَّث زيد عُمرًا حديثًا» . . . الخ . . .

فشعر بضيق من ذلك وأنشأ يقول «على سبيل الدعابة» :

لا إلى الـنَّحـو جـئـتكم لا ولا فـيـه أرغبْ
دعُـوا زيْـدا وشَـأنه أينـمـا شَـاء يـذهـبْ
أنا مَـالي ومـا لامـريء أبدَ الـدَّهر يُـضْـربْ

نحوي مريض

زار بعضهم نحويا مريضًا ، فقال له : ما الذي تشكوه؟

فقال النحوي : حُمَّى جاسية ، نارها حامية ، منها الأعضاء واهية ، والعظام بالية!!

فقال له : لا شفاك الله بعافية ؛ يا ليتها كانت القاضية !

---

(١) أبو الحسن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي الكوفي . (١٨٢ هـ - ٢٦١ هـ) ، أحد كبار علماء الحديث والجرح والتعديل عند أهل السنة والجماعة ، كوفي الأصل له رحلة واسعة في طلب الحديث ، إلى أن استقر في طرابلس وتوفي فيها .

الابن المتقعر

وكان لبعضهم ولد نحوي ، يتقعر في كلامه ، فاعتل أبوه علة شديدة أشرف فيها على الموت ؛ فاجتمع أولاده عليه ، وقالوا له : ندعوا فلانًا أخانا؟ (يقصدون أخاهم النحوي)

قال : لإن جاء قتلني !!

فقالوا : نحن نوصيه ألا يتكلم .

فدعوه ؛ فلما دخل على أبيه ، قال : يا أبت قل لا إله إلا الله تدخل الجنة ، وتفوز من النار . يا أبت والله ما شغلني عنك إلا فلان ؛ فإنه دعاني بالأمس ؛ فأهرس وأعدس ، واستبذج وسكبج ، وطهبج وأفرج ودجج ، وأبصل ، وأمضر ، ولوزج وافلوزج .

فصاح أبوه : أغمضوني !!! فقد سبق هذا الابن ملكَ الموت إلى قبض روحي !!!

أرز بعسل

ووقف نحوي على بائع يبيع أرزا بعسل ، وبقلاً بخلّ

فقال : بكم الأرز بالأعسل ، والأخلل بالأبقل؟

فقال : بالأصفع في الأرؤس !! والأضرط في الأذقن !!

ألف زائدة

قال رجل لسعيد بن عبد الملك الكاتب : تأمر بشيئا/

قال نعم بتقوى الله وإسقاط ألف شيء

السماك والنحو

حكى أبو بكر التاريخي في كتابه أخبار النحويين :

أن رجلا قال لسمَّاك بالبصرة : بكم هذه السمكة؟

فقال السماك : بدرهمان . . .

فضحك الرجل وقال : بدرهمين لا بدرهمان

فقال السماك : أنت أحمق ، سمعت سيبويه يقول : ثمنها درهمان!!

الكسر

أصر أحد المهتمين باللغة العربية على أن يتحدث أولاده باللغة العربية الفصحى .

وذات يوم طلب من إحدى بناته أن تحضر له قنينة حبر . أحضرت ابنته القنينة ، وخاطبته : هاك القَنينة يا أبي (بفتح القاف) .

فقال لها : اكسريها (يقصد كسر حرف القاف) .

فما كان من البنت إلا أن رمت القنينة على الحائط بقوة ، فتناثر الحبر ملوثا الجدار وما جاوره من فرش .

معرفة أم نكرة

جاء رجل الى أحد النحويين فسأله : الظبي معرفة او نكرة؟ فقال : إذا كان مشوياً على المائدة فهو معرفة! وان كان يسرح في الصحراء ، فهو نكرة ، فقال له الرجل : أحسنت ما في الدنيا أعرف منك بالنحو!

أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ النّحو

مُحَمَّد يَعْنِي التَّوَّزِيَّ قَال : سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ يَقُول :

أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ النَّحْوَ أَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ ثُمَّ مَيْمُونُ الأَقْرَنُ ثُمَّ عَنْبَسَةُ الْفِيلُ ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ

قَالَ وَوَضَعَ عِيسى بْنُ عُمَرَ فِي النَّحْوِ كِتَابَيْنِ سَمَّى أَحَدَهُمَا الْجَامِعَ وَالآخَرَ الْمُكَمِّلَ فَقَالَ الشَّاعِرُ

بَطَـلَ النَّحْـوُ جَمِيعًـا كُلُّـهُ   غَيْـرَ مَا أَحْـدَثَ عِيسَى بْنُ عُمَرْ
ذَاكَ إِكْمَـالٌ وَهَـذَا جَامِـعٌ   فَهُمَـا لِلنَّـاسِ شَمْـسٌ وَقَمَـر

أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْعَرَبِيَّةَ

عَنْ عَاصِم قَالَ :

أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْعَرَبِيَّةَ أَبُو الأَسْوَد الدُّؤَلِيُّ جَاءَ إِلَيَّ زِيَاد بِالْبَصْرَة فَقَالَ إِنِّي أَرَى الْعَرَبَ قَدْ خَالَطَت الأَعَاجِمَ فَتَغَيَّرَتْ أَلْسِنَتُهُمْ أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَضَعَ لِلْعَرَبِ كَلَامًا يُعْرِبُونَ وَيُقِيمُونَ بِهِ كَلَامَهُمْ فَقَالَ لاَ .

قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى زِيَاد فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الأَْمِيرَ تُوُفِّيَ أَبَانَا وَتَرَكَ بَنُونَ .
فَقَالَ ادْعُ لِي أَبَا الأَْسْوَدِ فَقَالَ ضَعْ لِلنَّاسِ الَّذِي نَهَيْتُكَ أَنْ تَضَعَ لَهُمْ .

مِنْ مَنَاقِبِ أَبِي عَمْرو بْنِ الْعَلاَءِ

حَدَّثَ أَبُو طَاهِر[1] عن أَبُو بَكْرٍ عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ عن ابْنُ أَخِي الأَْصْمَعِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ :
كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ أَبَا عُمَرَ يَتَكَلَّمُ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ شَيْئًا وَلاَ يَلْحَنُ يَتَكَلَّمُ كَلَامًا سَهْلًا .

ابْنُ عُمَرَ يَغْضَبُ مِنْ أَهْلِ اللَّحْنِ

حَدَّثَ أَبُو طَاهِر عن أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ التَّنُوخِيُّ[2] عن أَبِي عَنْ حُسَيْنٍ الْجُعْفِيِّ عَنْ عَبَّاد عَنْ عُمَرَ بْنَ نَافع عَنْ أَبِيه قَالَ :
كَانَ رَجُلٌ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ فَلَحَنَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ إِمَّا أَنْ تَنَحَّى عَنَّا وَإِمَّا أَنْ نَتَنَحَّى عَنْكَ .

جارية سيبويه

روي أن رجلا قصد سيبويه لينافسه في النحو فخرجت له جارية سبيويه فسألها قائلا : أين سيدك يا جارية؟
فأجابته بقولها : فاء إلى الفيء فإن فاء الفيء فاء .
فقال : والله إن كانت هذه الجارية فماذا يكون سيدها . ورجع

السباحة والنحو

كان أحد النحويين راكباً في سفينة فسأل أحد البحارة : هل تعرف النحو؟
فقال له البحار : لا .

(١) الإمام الحافظ الفقيه أبو الطاهر ، أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح ، الأموي مولاهم ، الفقيه المصري .

(٢) الإمام العلامة المتفنن القاضي الكبير أبو جعفر ، أحمد بن إسحاق بن بهلول بن حسان التنوخي الأنباري ، الفقيه الحنفي .

فقال النحوي : قد ذَهب نصف عمرك .
وبعد عدة أيام هبت عاصفة وكانت السفينة ستغرق فجاء البحار إلى النحوي وسأله : هل تعرف السباحة؟ قال النحوي : لا .
فقال له البحار : قد ذَهب كل عمرك

طيس أم طوس

عن أبي القاسم الحسن قال : كتب بعض الناس : كتبت من طيس ، (يريد طوس)
فقيل له في ذلك
فقال : لأن من تخفض ما بعدها
فقيل : إنما تخفض حرفاً واحداً لا بلداً له خمسمائة قرية .

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخُطَّابِ[1] يُوصِي بِتَعَلُّمِ الْعَرَبِيَّةِ

حَدَّثَنَا أَبُو طَاهِرٍ ثَنَا أَحْمَدُ حَدَّثَنِي أَبِي ثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ عَنْ عبدِ الْوَارِثِ ابْنِ سَعِيدِ الْعَنْبَرِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو مُسْلمٍ مَنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ : تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ فَإِنَّهَا تَزِيدُ فِي الْمُرُوءَةِ .

الفقيه والفران

أحرق فران طاجنا لفقيه ، فجاء ووقف على باب الفرن وقال : أيها الفرين المسكين أضرمت اليوم السعير وأحرقت الطنجير ، فورب العالمين لولا أنك عندنا أمين لضربتك بهذا الاطربزين وأكلت من السياط مائة وتسعين ولبثت في السجن بضع سنين ! فقال له الفران : ﴿وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ .

(١) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، المُلقب بالفاروق ، هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول محمد ، وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذًا . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومن علماء الصحابة وزهّادهم .

فاهم في النحو

قال : سمعت شيخنا أبا بكر محمد بن عبد الباقي البزار يقول : قال رجل لرجل : قد عرفت النحو إلا أني لا أعرف هذا الذي يقولون : أبو فلان وأبا فلان وأبي فلان؟!

فقال له : هذا أسهل الأشياء في النحو .

إنما يقولون :

أبا فلان . لمن عظم قدره

وأبو فلان . للمتوسطين

وأبي فلان . للرذلة .

مولع بالرفع

عن أبي زيد الأنصاري[1] قال : كنت ببغداد فأردت الانحدار إلى البصرة ، فقلت لابن أخ لي : اكتَر لنا . فجعل ينادي : يا معشر الملاحون . يا معشر الملاحون .

فقلت : ويًحك!! ما تقول جُعلتُ فداك؟!

فقال : أنا مولع بالرفع!!

كلام بلا أهل

عن أبي طاهر قال : دخل أبو صفوان الحمَّام ، وفيه رجل مع ابنه ، فأراد أن يعرف ما عنده من البيان ، فقال : يا بني ابدأ بيداك ورجلاك ، ثم التفت إلى خالد فقال : يا أبا صفوان هذا كلام قد ذهب أهله ، فقال : هذا كلام لم يخلق الله له أهلاً قط!! .

وصف الحال

وسأل نحوي تلميذه -وكان التلميذ يومها مغموماً- : كيف الحال؟ فأجاب التلميذ : إن كانت الحال التي علمتنا فمنصوبة ، أما حالي فمكسورة .

وفي الغد سأله : يا تلميذ أ لم تنتصب حالك بعد؟ فأجاب : هي اليوم مرفوعة .

---

(١) أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري البصري لغوي من أئمة الأدب . غلب عليه اللغات والنوادر والغريب . قال ابن خلكان : «وكان يرى رأي القدر ، وكان ثقة في روايته .»

-أي ذهب عنه الغم- ، فقال النحوي : لم تعد بهذا حالاً .فأجاب التلميذ : بل هي حال جاءت جملة فعلية فعلها مضارع . فدهش النحوي وقال له : أنت اليوم أنحى مني والله .

عزاء بطريقتين

وعن ابن أخي شعيب بن حرب[1] قال : سمعت ابن أخي عمير الكاتب يقول وهو يعزي قومًا : آجركم الله وإن شئتم أجركم الله ، كلاهما سماعي عن الفراء .

أَبُو بَكْرٍ يَخْشَى مِنَ اللَّحْنِ

أَبِو عَنْ حُسَيْنٍ الْجُعْفِيِّ عَنْ عَبَّادِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ زَكَرِيَّا عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

لأَنْ أَقْرَأَ وَأُسْقِطَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ وَأَلْحَنَ

جميع الاحتمالات

وجاء أحدهم إلى نحوي ، وأراد أن يسأله عن أبيه ، ولكنه خاف أن يخطئ في كلامه ، فينصب المرفوع ، أو يرفع المجرور ، أو نحو ذلك!

فقال له : هل أباك ، أبوك ، أبيك هنا؟

فأجابه النحوي : لا ، لو ، لي ، ليس هنا !!

نحوي وابن صديقه

ذهب أحد النحويين يزور صديقا له مريضا ، فطرق الباب فخرج ابن المريض ، فقال النحوي : ما فعل أبوك؟

قال الولد : ورمت رجليه .

فقال النحوي : لا تلحن ، قل رجلاه ، ثم ماذا؟

---

(١) الإمام القدوة العابد ، شيخ الإسلام أبو صالح المدائني ، المجاور بمكة ، من أبناء الخراسانية .

(٢) أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان التيمي القرشي هو أول الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو وزير نبي الإسلام محمد وصاحبه ، ورفيقه عند هجرته إلى المدينة المنورة .

قال الولد : ثم وصل الورم إلي ركبتاه ،
قال النحوي : لا تلحن ، قل ركبتيه ، ثم ماذا؟
فقال الولد : ثم مات ولعنة الله علي سيبويه ونفطويه ومسكويه .

تلقين الشهادة نحوياً

عن أبي العيناء عن العطوي الشاعر أنه دخل على رجل بالبصرة وهو يجود بنفسه ،
فقال له : يا فلان قل لا إله إلا الله ،
وإن شئت فقل لا إلهًا إلا الله ،
والأولى أحب إلى سيبويه .

الرفع والنصب

قصد رجل الحجاج بن يوسف[١] فأنشده :
أبا هشام ببابك قد شم ريح كبابك
فقال : ويحك لم نصبت أبا هشام؟
فقال الكنية كنيتي إن شئت رفعتها وإن شئت نصبتها .

تَرْبِيَةُ الأَوْلادِ عَلَى عَدَمِ اللَّحْنِ

عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ السَّمَّانِ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ :
إِنَّ ابْنَ عُمَرَ[٢] وَابْنَ عَبَّاسٍ[٣] كَانَا يَضْرِبَانِ أَوْلاَدَهُمَا عَلَى اللَّحن .

(١) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، قائد أموي ، داهية ، سفاك ، خطيب . ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته ، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره .

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، ويكنى بأبي عبد الرحمن ، صحابي جليل وابن ثاني خلفاء المسلمين عمر بن الخطاب وراوي حديث وعالم من علماء الصحابة .

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، صحابي جليل ، وابن عم النبي محمد ، حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير وترجمان القرآن ، ولد ببني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان النبي محمد دائم الدعاء لابن عباس فدعا أن يملأ الله جوفه عِلماً وأن يجعله صالحاً .

المزارع النحوي

وهذا نحوي مزارع مر بزرعه الجراد فأنشأ يقول :

مــر الجــراد علــى زرعــي فقلت له ألمــم بخيــر ولا تلمــم بإفســاد
فقــال منهــم عظيــم فوق سنبلــة إنــا علــى سفــر لا بــد من زاد

أبو العباس والزجاج[1]

قال : كان أصحاب المبرّد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول : إن كان فيكم أبو العباس الزجاج ، وإلا انصرفوا .

فحضروا مرّة ، ولم يكن الزجاج فيهم ، فقال لهم ذلك ، فانصرفوا ، وثبت رجل منهم اسمه عثمان فقال للآذن :

قل لأبي العباس : انصرف القوم كلهم إلا عثمان ، فانه لا ينصرف .

فعاد الآذن اليه وأخبره ، فقال له : ان عثمان إذا كان نكرة انصرف ، ونحن لا نعرفك فانصرف راشدا .

الْعِلْمُ بِإِعْرَابِ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مِنْ حِفْظِ حُرُوفِه

عَنْ شَرِيك عَنْ جَابِر عَنْ مُحَمَّد بْنِ عَبْد الرَّحْمَن بْنِ يَزِيدَ أَنَّ أَبَا بَكْر وَعُمَرَ قَالاَ : لَحَفْظُ بَعْضِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حَفْظِ بَعْضِ حُرُوفِه .

---

(١) الزَجَّاج أو أبو إسحاق الزجّاج أو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج البغدادي (٢٤١ هـ - ٣١١ هـ /٨٥٥ - ٩٢٣م) نحوي من العصر العباسي ، «من أهل العلم بالأدب والدين المتين» كما وصفه ابن خلكان . صنف العديد من الكتب ، أشهرها كتاب معاني القرآن في التفسير ، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف وكتاب تفسير أسماء الله الحسنى . صحب وزير الخليفة العباسي المعتضد بالله عبيد الله بن سليمان ، وعلم ابنه القاسم بن عبيد الله الأدب .

شَابَ شَعْرُهُ مِنْ صُعُودِ المِنْبَرِ

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عُقْبَةَ الحَنْظَلِيِّ قَال :

قِيلَ لعَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ[١] أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ فَقَالَ : شَيَّبَنِي كَثْرَةُ ارْتِقَاءِ المِنْبَرِ وَمَخَافَةُ اللَّحْنِ .

كم مضى من عمرك؟

قال رجل لهشام بن عمرو القوطي : كم تعد؟

قال : من واحد الى ألف وأكثر .

قال : لم أرد هذا!

قال : فما أردت؟

قال : كم تعد من السن؟

قال : اثنين وثلاثين ، ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل .

قال : لم أرد هذا .

قال : فما أردت؟

قال : كم لك من السنين؟

قال : ما لي منها شيء كلها لله عز وجلّ .

قال : فما سنّك؟

قال : عظم .

قال : فابن كم أنت؟

قال : ابن اثنين ، أب وأم .

قال : فكم أتى عليك؟

قال : لو أتى عليّ شيء لقتلني .

قال : فكيف أقول؟

قال : قل : «كم مضى من عمرك» .

---

(١) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

تقدير

سئل أبو العيناء عن حماد بن زيد بن درهم[١] ، وعن حمّاد بن سلمة بن دينار[٢] فقال : بينهما في القدر ما بين أبوابهما في الصرف .

نحوي في كنيف[٣]

وقع نحوي في كنيف ، فجاء كناس ليخرجه ، فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا ، فقال له النحوي : أطلب لي حبلا دقيقا وشدني شدا وثيقا واجذبني جذبا رفيقا ، فقال الكناس : امرأته طالق إن أخرجتك منه ، ثم تركه وانصرف .

واو الجملة الإسمية

قال ابن هشام الأنصاري[٤] : قلت يوما : تَـردُ الجملة الاسمية الحالية بغير واو في فصيح الكلام خلافا للزمخشري كقوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة فقال بعض من حضر : هذه الواو في أولها!

البايع

وله أيضا قال : قلت يوما ، الفقهاء يلحنون في قولهم «البايع» بغير همز ، فقال قائل «من الطلاب» : فقد قال الله تعالى ﴿فبايعهن﴾؟؟!!!

---

(١) حماد بن زيد بن درهم مولى آل جرير بن حازم الجهضمي ، أبو إسماعيل كان يُلقب بالأزرق . من أهل البصرة ، وكان جده درهم من سبي سجستان ، وكان أبوه زيد مملوكًا عند حازم أبو جرير ، فلما مات حازم أعتقه يزيد وجرير ابنا حازم . قال الإمام أحمد بن حنبل : «وحماد بن زيد من أئمة المسلمين من أهل الدين والإسلام» .

(٢) ابن دينار ، الإمام القدوة ، شيخ الإسلام أبو سلمة البصري ، النحوي ، البزاز ، الخرقي ، البطائني ، مولى آل ربيعة بن مالك ، وابن أخت حميد الطويل .

(٣) كَنِيف البَيْتِ :–= المِرْحَاضُ ، بَيْتُ النَّظَافَة . كَنِيف المَاشِيَةِ :–حَظِيرَةٌ مِنْ شَجَرٍ .

(٤) ابن هشام الأنصاري هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري . من أئمة النحو العربي ، فاق أقرانه شهرة وشأى من تقدمه من النحويين وأعيا من أتى بعده .

البليد

كان بعضهم يتردد إلى الخليل بن أحمد ليأخذ عنه علم العروض ، فأقام الرجل مدة يسمع ولا يعلق في ذهنه شيء لبلادته ، فمله الخليل وأراد أن يصرفه من غير أن ينال من كرامته ، فطلب إليه أن يقطع بيت عمرو بن معد يكرب :

إذا لـــمْ تَسْتَطِـــعْ شيْـــئاً فَدَعْـــــــهُ وجـــــاوِزْهُ إلـــى مـــا تستطيـــعُ

فأخذ الرجل بتقطيعه بقدر طاقته ومعرفته ، ثم انصرف ولم يعد قط . فعجب الخليل من فطانته في إدراك قصده ، مع ما هو عليه من البلادة في تحصيل العروض .

نحوي وطبيب

دخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب فقال : إني أكلت من لحوم الجوازي وطسئت طسأة فأصابني وجع بين الوابلة إلى دأية العنق فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء قال الطبيب : نعم خذ خونقاً وسربقاً ورقرقاً فاغسله واشربه بماء فقال أبو علقمة : لا أدري ما تقول . فقال الطبيب : ولا أنا دريت ما قلت

متى ينصرف إسماعيل؟

قال نحوي لرجل : هل ينصرف إسماعيل؟ قال : نعم إذا صلى العشاء ، ولماذا قعوده!!!!

فاعل مرفوع على الطبق

قال الشيخ عادل السباعي : أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز[١] رحمه الله كان على طعام عند رجل في المدينة النبوية وكان الطعام حارا وأخطأ صاحب الدعوة فلم ينبه الشيخ إلى ذلك فعندما مد الشيخ يده إلى الطعام وأحس بحرارته قال مداعبا صاحب الدعوة : أكل طعامكم الأبرار فجعل الطعام فاعلا والأبرار مفعولا به .

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز ، قاض وفقيه سعودي . شغل منصب مفتي عام المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٩٢ حتى وفاته .

سبب وجيه

سأل رجل الخليل بن أحمد الفراهيدي : لِمَ قالوا في تصغير (واصل) (أويصل) ولم يقولوا (ووّيصل)؟ فأجابه الخليل : حتى لا يشبه كلامهم نباح الكلاب .

النصب بالفتحة

عن أبي بكر النقاش قال : كان أحد المؤذنين يقول في الأذان أشهد أن محمدٌ رسول الله . فقيل له لا ترفع اسم النبي عليه الصلاة والسلام بل انصبه وقل : أشهد أن محمدا بالنصب رسول الله ، فأذن الرجل وقال : أشهد أن محمدا بالنصب رسول الله . فسمعه إعرابي فصاح به : ويحك ماذا فعل؟

البطيخ

قال نحوي لصاحب بطيخ : بكم تانك البطيختان اللتان بجنبهما السفرجلتان ودونهما الرمانتان؟

فقال البائع : بضربتان وصفعتان ولكمتان ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾!

صلام عليكم يا أبا سالح!

عن أبي بكر الصيرفي[(١)] ، سمعت أبا علي صالح بن محمد الملقب جزرة قال دخلت مصر فإذا حلقة ضخمة ، فقلت : من هذا؟ قالوا : صاحب نحو . فقربت منه ، فسمعته يقول : ما كان بصاد جاز بالسين . فدخلت بين الناس ، وقلت : صلام عليكم يا أبا سالح ، سليتم بعد؟ فقال لي : يارقيع! أي كلام هذا؟ قلت : هذا من قولك الآن . قال : أظنك من عياري بغداد/!قلت : هو ما ترى .

إعراب القرقرة

سمع واحدٌ من النحويين قرقرة من بطن رجلٍ فقال : إنها ريح مضمرة منع من ظهورها التعذّر!

(١) أبو بكر الصيرفي هو الشيخ محمد بن عبد الله البغدادي الصَّيرفي الشافعي . . نسبته إلى الصَّيْرفي ، وهو من يصرف الدنانير والدراهم . عالم دين في الفقه الشافعي .

حال الوراق

سُئلَ وراَّق عن حاله فقال : عيشي أضيق من محبرة . .وجسمي أدق من مسطرة .

هجاء

وهجا بعضهم رجلاً فقال : ما فيه من عيبٍ سوى أنه أبغى من الإبرةِ والمحبرة !

البغيض

قال ابن محدِّث لأبيه : أخبرني فلانٌ عن فلان أنه يبغضني فقال له : أنت يا ولدي بغيضٌ بإسناد!

النحو والصرف

دخل أعرابي على قوم يتدارسون النحو فجلس إليهم وأعجبه كلامهم ، وما إن دخلوا في الصرف حتى خرج الأعرابي وهو يقول :

مازال أخذهم للنحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
بمفعل فعل لاطاب من كلم كأنه زجل الغربان والبوم

سؤال شنيع

سأل المنذر بن عبد الرحمن النحوي ، محمد بن مبشر الوزير في بعض مجالسه : كيف تأمر المرأة بالغزو في «غزا» «يغزو»؟ فأجال ابن مبشر فكره في المسألة فلم يتّجه له جوابُها . . فقال له : يا أبا الحكم ، ما رأيت أشنع من سؤالك ، الله يأمر المرأة أن تقرّ في بيتها وأنت تريد أن تأمرها بأن تغزو !!!

كاتب أمي

كان شجاع بن القاسم - كاتب الأمير أوتامش - أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم ، وإنما عُلّم علامات يكتبها في التواقيع ، وكانت جملة كلامه أغاليط .

فعمل ابن عمار شعراً لا معنى له ، واتفق مع صديق له من الهاشميين على أن ينشده شجاع بن القاسم ويُعرّفه أنه مدحٌ له ، وضمن له على ذلك ألف درهم . والشعر

شجـــاعٌ لجـــاعٌ كاتـــبٌ لاتـــبٌ معا　　كجلمود صخر حطّه السَّيل من عَــلِ
خبيـــصٌ لبيـــصٌ مُستمـــر مقـــوّم　　كثيـرٌ أثـير ذو شمـــال مـهــذّبٌ
بليـــغٌ لبيـــغٌ كلمـــا شئـــت قلتـــه　　فإن كنتَ مسكاتاً عن القول فاسكــت
فطـــينٌ لطـــينٌ آمـــرٌ لـــك زاجـــرٌ　　حَصيفٌ لَصيفٌ كل ذلـك يعـــلمُ

فوقف إليه وقال : أيها الوزير ، ليس الشعر من صناعتي ، ولكنك أحسنت إليّ وإلى أهلك بما أوجب شكرك ، فتكلفتُ أبياتاً مدحتك فيها ، فتفضّل بسماعها . . ثم أنشد الأبيات . . .

فشكره شجاع عليها ، وسر بها سرورا زائدا ، ودخل إلى الخليفة ، فأخرج لابن عمار صلة عشرة آلاف درهم ، وأجرى له ألف درهم في كل شهر !!! .

نحوي يريد حماراً

دخل أحد النحويين السوق ليشتري حمارا

فقال للبائع :

أريد حماراً لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ، إن أقللت علفه صبر ،

وإن أكثرت علفه شكر ، لا يدخل تحت البواري ولا يزاحم بي السواري ، إذا خلا في الطريق تدفق ، وإذا أكثر الزحام ترفق .

فقال له البائع : دعني إذا مسخ الله القاضي حماراً بعته لك

علة النحو

أبو علقمة النحوي أقبل عليه يوماً ابن أخيه فسأله :

ما فعل أبوك؟

فقال : مات

فسأله : وما كانت علته؟

فقال : ورمت قدميه .

فقال له : قل ورمت قدماه .

فقال : فارتفع الدم إلى ركبتاه .

فقال : بل قل : ركبتيه .

فقال : يا عم دعني ، فليس موت أبي بأشد علي من نحوك هذا .

مع الحذاء

وأتى أبو علقمة إلى أبي زلازل الحذاء ، فقال : يا حذاء! احذ لي هذا النعل ، فقال : وكيف تريد أن احذوها؟ قال :

خصّر نطاقها ، وغضّف معقبها ، وأقبّ مقدمها ، وعرّج ونْية الذؤبة بحزم ، دون بلوغ الرصاف ، وأنحل مخازم خزامها ، وأوشك في العمل .

فقام أبو زلازل فتأبط متاعه! فقال أبو علقمة : إلى أين؟

إلى ابن القَرِيّة ـ وهو من أئمة الفصاحة والبيان ـ ليفسر لي ما خفي علي من كلامك!

بينه وبين غلامه

قال لغلامه يوماً ، خذ من غريمنا هذا كفيلاً ، ومن الكفيل أميناً ، ومن الأمين زعيماً ، ومن الزعيم عزيماً!

فقال الغلام للغريم : مولاي كثير الكلام ، معك شيء؟! فأرضاه وخلاه .

فلما انصرف ، قال : يا غلام! ما فعل غريمنا؟

قال : سقع!

قال : ويلك ما سقع؟

قال : بقع !

قال : ويلك ما بقع؟

قال : استقلع!

قال : ويلك ما استقلع؟

قال : انقلع!

قال : ويلك ، لم طولت؟

قال : منك تعلمت .

حمار أبي علقمة

ركب يوماً ، بغلا فوقف به على أبي عبد الرحمن القرشي ، فقال : يا أبا علقمة ، إن لبغلك هذا منظراً ، فهل له مع هذا المنظر من خبر؟

فقال : أَوَ ما بلغك خبره؟ قال : لا ، قال : خرجت عليه مرة من مصر ، فقفز بي

قَفْزةً إلى فلسطين ، والثانية إلى الأردن ، والثالثة إلى دمشق ، فقال له أبو عبد الرحمن : تقدم إلى أهلك بأن يدفنوه معك ، فلعله يقفز بك الصراط!

مع الحجام

استدعى يوما حجاماً ، فقال له : لا تعجل حتى أصف لك ، ولاتكن كامرئ خالف ما أمر به ، ومال إلى غيره .

اشدد قصب المحاجم ، وأرهف ظبة المشاريط ، وأسرع الوضع ، وعجّل النزع ، وليكن شرطك وخزاً ، ومصك لهزاً ، ولا تزدن آتيا ، ولا تكرهن آبيا!

فوضع الحجام محاجمه في قفته ، وقال : يا قوم! هذا رجل قد ثار به مرار! ولا ينبغي أن يخرج دمه في هذا الوقت ، وانصرف .

نبي النصارى!

قال بعض الأدباء : قال : سئل خطيب أي أفضل معاوية[1] أم عيسى بن مريم؟ فقال : لا إله إلا الله أتقيس كاتب الوحي بنبي النصارى!

فكر قبل أن تتكلم

يحكى أن رجلاً كانت يتعاطى النحو ، وكان له ابن فقال لابنه : إذا أردت أن تتكلم بشيء فاعرضه على عقلك ، وفكر فيه بجهدك ، حتى تقومه ثم أخرج الكلمة مقومة . فبينما هما جالسان في بعض الأيام في الشتاء والنار تتقد وقعت شرارة في جبة خز كانت على الأب وهو غافل والابن يراه ، فسكت ساعة يفكر ثم قال : يا أبت أريد أن أقول شيئاً فتأذن لي فيه؟ قال أبوه : إن حقاً فتكلم ، قال : أراه حقاً ، فقال : قل ، قال : إني أرى شيئاً أحمر ، قال : وما هو؟ قال : شرارة وقعت في جبتك ، فنظر الأب إلى جبته وقد احترق منها قطعة ، فقال للابن : لم لم تعلمني سريعاً؟ قال : فكرت فيه كما أمرتني ، ثم قومت الكلام وتكلمت فيه ، فحلف أبوه بالطلاق ألا يتكلم بالنحو أبداً .

---

(١) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، من أصحاب الرسول محمد وأحد كتّاب الوحي . سادس الخلفاء في الإسلام ومؤسس الدولة الأموية في الشام وأوّل خلفائها .

بدون تنقيط أو تشكيل

عن «المبرد» قال : قال الجاحظ[1] : أنشدني بعض الحمقى :

إن داء الحـــب سقـــمٌ ليـس يهـنيــه القـــرار
ونجـــا مـــن كـــان لا يعشـق من تلك المخـــازي

فقلت : إن القافية الأولى راء والثانية زاي؟
فقال : لا تنقط شيئا . . .
فقلت : إن الأولى مرفوعة والثانية مكسورة؟؟
فقال : يا سبحان الله ، نقول له لا تنقط ، فيشكّل!

اختصر كلامك

كان لبعض الأدباء ابن أحمق ، وكان مع ذلك كثير الكلام ، فقال له أبوه ذات يوم : يا بني لو اختصرت كلامك إذ كنت لست تأتي بالصواب! قال : نعم ، فأتاه يوماً فقال : من أين أقبلت يا بني؟ قال : من سوق . قال : لا تختصر ها هنا ، زد الألف واللام ، قال : من سوقال قال : قدم الألف واللام ، قال : من ألف لام سوق قال : وما عليك لو قلت : السوق فوالله ما أردت في اختصارك إلا تطويلاً . وقال هذا الولد يوماً لأبيه : يا أبت اقطع لي جباعة ، قال : وما جباعة في الثياب؟ قال : ألست قلت لي اختصر كلامك ، يعني جبة ودراعة .

نحو وفقه

تقدم أعرابي إلى معلم ابنه فسأله ألا يعلمه سوى النحو والفقه ، فعلمه مسألتين من النوعين : ضرب زيد عمراً ارتفع زيد بفعله وانتصب عمرو بوقوع الفعل عليه ، والأخرى من الفقه رجل مات وخلف أبويه فلأمه الثلث ولأبيه الباقي فقال له : أفهمت؟ قال : نعم ، فلما انصرف إلى البيت قال له أبوه : ما تقول في ضرب عبد الله زيداً؟ قال : أقول : ارتفع بفعله وما بقي للأب .

(١) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها .

لا أحسن النحو!

وأنشد عبد الله بن فضلويه عامل قرميسين في مجلسه . .والمجلس غاص بأهله هذا البيت :

يوم القيامة يومٌ لا دواء له
إلا الطلاء وإلا اللهو والطرب . .
فقال بعض الحاضرين : إنما هو يوم الحجامة .
فقال : اعذروني فإني لا أحسن النحو .

الأعمش وأبو حصين(١)

أبو بكر بن عياش(٢) قال : كان الأعمش إذا صلى الفجر جاءه القراء فقرؤوا عليه وكان أبو حصين أمامهم فقال الأعمش يوماً إن أبا حصين يتعلم القراءة منا لا يقوم من مجلسه كل يوم حتى يفرغ ويتعلم بغير شكر ثم قال لرجل ممن يقرأ عليه إن أبا حصين يكثر أن يقرأ بالصافات في صلاة الفجر فإذا كان غدا فاقرأ على الصافات واهمز الحوت فلما كان من الغد قرأ عليه الصافات وهمز الحوت ولم يأخذ عليه الأعمش فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قرأ أبو حصين بالصافات في الفجر فلما بلغ الحوت همز فلما فرغوا من صلاتهم ورجع الأعمش إلى مجلسه دخل عليه بعض إخوانه فقال له الأعمش يا أبا فلان لو صليت معنا الفجر لعلمت ما لفي الحوت من هذا المحراب فعلم أبو الحصين ما الذي فعل به فأمر بالأعمش فسحب حتى أخرج من المسجد قال وكان أبو حصين عظيم القدر في قومه من بني أسد .

الطوفان

وقف أعرابي على أبي المكنون النحوي وهو في حلقته ، فسأله فقال : مكانك حتى أفرغ لك ، فدعا واستسقى فقال : اللهم ربنا وإلهنا ومولانا ، صل على نبينا

(١) عثمان بن عاصم بن حصين ، وقيل : بدل حصين زيد بن كثير ، الإمام الحافظ الأسدي الكوفي .

(٢) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي المقرئ الحناط ، مولى واصل بن حيان الأحدب الأسدي ، ولد عام٩٥هـ ، قيل :٩٦هـ ، وقيل : ١٠٠هـ . عده أصحاب السير من الطبقة السابعة من كبار أتباع التابعين ، وروى له البخاري – مسلم – أبو داود – الترمذي – النسائي – ابن ماجه .

محمد ، ومن أرادنا بسوء فأحط ذلك السوء به كإحاطة القلائد بترائب الولائد ، ثم أرسخه على هامته كرسوخ السجيل على أصحاب الفيل ، اللهم اسقنا غيثاً ثرياً طبقاً مريعاً مجلجلاً مسحنفراً ، هزجاً سحاً سفوحاً غدقاً مثعنجراً ، قال : فولى الأعرابي مدبراً ، فقال له : مكانك حتى أقضي حاجتك ، فقال : الطوفان ورب الكعبة! حتى آوي عيالي إلى جبل يعصمهم من الماء! قال أبو بكر : الطبق المطر الذي يطبق الأرض ، والمريع الذي يمرع أي يخصب ، والمجلجل : الذي تسمع لرعده جلجلةً أي صوتاً وهدةً ، والمسحنفر الجاري ، والسح الصب ، والسفوح المنسفح ، والغدق الكثير الماء ، والمثعنجر الجاري حتى يملأ الأرض

جارية ثمن إعراب بيت

حكى محمد بن يزيد المبرد ، قال : كان أبو عثمان المازني جاء إليه يهودي وسأله أن يقرئه كتاب سيبويه ، وبذل له مائة دينار . فامتنع أبو عثمان من ذلك ، فقلت له سبحان الله : ترد مائة دينار مع فاقتك وحاجتك إلى درهم واحد؟ فقال : نعم يا أبا العباس : اعلم أن كتاب سيبويه يشتمل على ثلاثمائة آية من كتاب الله ، ولا أرى أن أمكن منها كافراً .

فسكت ، ولم يتكلم . قال المبرد : فما مضت إلا أيام حتى جلس الواثق يوماً للشرب وحضر ندوماؤه فغنت جارية في المجلس هذا الشعر :

أظلومُ إن مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحية ظلم

فنصبت رجلاً ، فلحنها بعض الحاضرين من الندماء ، وقال : الصواب الرفع لأنه خبر إن . فقالت الجارية : ما حفظته من معلمي إلا هكذا .

ثم وقع النزاع بين الجماعة ، فمن قائل الصواب معه ، ومن قائل الصواب معها ، فقال الواثق : من بالعراق من أهل العربية ممن يرجع إليه؟ فقالوا : بالبصرة أبو عثمان المازني ، وهو اليوم واحد عصره في هذا العلم .

فقال الواثق : اكتبوا إلى والينا بالبصرة يسيره إلينا معظماً مبجلاً فما كان إلا أيام حتى وصل الكتاب إلى البصرة ، فمر الوالي أبا عثمان بالتوجه وسيره على بغال البريد ، فلما وصل دخل على الواثق ، فرفع مجلسه وزاد في إكرامه وعرض عليه البيت ، فقال : الصواب مع الجارية ، ولا يجوز في رجل غير النصب لأن مصاب مصدر بمعنى الإصابة ورجلاً منصوب به ، والمعنى أن إصابتكم رجلاً أهدى السلام

تحيةً ظلمٌ ، فظلم خبر إن ؛ وما يتم الكلام إلا به .
ففهم الواثق كلام أبي عثمان ، وعلم أن الحق ما قالته وأعجب به ، وانقطع الرجل الذي أنكر على الجارية ، ثم أمر الواثق لأبي عثمان المازني بألف دينار ، وأتحفه بتحف وهدايا كثيرة لأهله ، ووهبت له الجارية جملة أخرى ، ثم سيره إلى بلده مكرماً ، فلما وصل جاء المبرد فقال له أبو عثمان : كيف رأيت يا أبا العباس ، تركت لله مائة فعوضني ألفاً .
فقال المبرد : من ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه .

يَسْتَغْفِرُ رَبَّهُ عِنْدَ اللَّحْنِ

عن الخَليلُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ :
لحَنَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ(١) فِي حَرْفٍ فَقَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

مِنْ طَرَائِفِ تِلْمِيذٍ لِلْأَعْمَشِ(٢)

عَبْد اللَّه الشَّقَنْطَرِيُّ قَالَ :
كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقْرَأُ عَلَى الأَعْمَشِ فَقَالَ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تستمعون﴾ .
فَقَالَ لَهُ الأَعْمَشُ لِمَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ أَلَيْسَ أَخْبَرْتَنِي أَنَّ مَنْ تَجُرُّ مَا بَعْدَهَا .

---

(١) أيوب السختياني العنزي هو سيد من سادات التابعين اسمه أيوب بن أبي تميمة ، واسمه كيسان السختياني العنزي أبو بكر البصري مولى قبيلة عنزه بن ربيعه . قال إسماعيل بن عُلية : ولد أيوب سنة ست وستين ، وقال غيره : ولد قبل الجارف بسنة ، سنة ثمان وستين . وقوله «الجارف» ، أي : الطاعون الجارف ، وكان سنة تسع وستين . وقال الذهبي : مولده عام توفي ابن عباس سنة ثمان وستين ، وقد رأى أنس بن مالك ، وما وجدنا له عنه رواية مع كونه معه في بلد ، وكونه أدركه وهو ابن بضع وعشرين سنة . عن حماد بن زيد قال : ما كنت تسقى أيوب شربه من ماء على القراءة إلا أن تعرفه ، كان شعره وافراً ، يحلقه من السنة إلى السنة قال : فكان ربما طال فينسجه هكذا ، كأنه يفرقُه

(٢) أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد ، المعروف بالأعمش من علماء الكوفة المشهورين . ولد الأعمش في الكوفة وأصله من بلاد الري ، لحق بأنس بن مالك وكلمه ، لكنه لم يرو عنه شيء . كان عالما بالقرآن ، والحديث ، والفرائض حيث روى نحو حديث .

أخبار أبي زيد

قال أبو العباس محمد بن يزيد : أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري صليبة من الخزرج . قال أبو العباس : كان أبو زيد عالماً بالنحو ولم يكن مثل الخليل وسيبويه وكان يونس من باب أبي زيد في العلم باللغات وكان يونس أعلم من أبي زيد بالنحو . وكان أبو زيد أعلم الثلاثة بالنحو أعنيه والأصمعي وأبا عبيدة وكان يقال أبو زيد النحوي وله كتاب في تخفيف الهمز على مذهب النحو وفي كتبه المصنفة في اللغة من شواهد النحو عن العرب ما ليس لغيره وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الناس . وذكر أبو العباس قال حدثني أبو بكر القرشي شيخ من أهل البصرة مولى لقريش قال سمت قوماً يذكرون أبا زيد في حلقة الأصمعي فساعدهم على ذلك ثم قال الأصمعي : رأيت خلفاً الأحمر في حلقة أبي زيد .

وكان أبو زيد كثير السماع من العرب ثقة مقبول الرواية ، وأخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال قال لي أبو زيد الأنصاري سألني الحكم بن قنبر عن : تعاهدت ضيعتي أو تعهدت . فقلت : تعهدت لا يكون إلا ذلك . قال فقال لي : فاثبت لي على هذا إذا سألك يونس فقل نعم . وكان الحكم بن قنبر سأل يونس فقال تعاهدت . قال فلما جئت سأله فقال يونس فقال : تعاد . فقال أبو زيد فقلت : لا . وكان عنده ستة من الأعراب الفصحاء فقلت : سل هؤلاء فبدأ بالأقرب إليه فالأقرب فسألهم واحداً واحداً فكلهم قال : تعهدت . فقال : يا أبا زيد رب علم كنت سببه . أو شيئاً نحو هذا .

ويروى أن أعرابياً وقف على حلقة أبي زيد جادياً أي مستميحاً فظن أبو زيد أنه جاء ليسأل مسألة في النحو فقال له أبو زيد : سل يا أعرابي عما بدا لك فقال علي البديهة :

لست للنحو جئتكم	لا ولا فيه أرغب
أنا ما لي ولامرئٍ	أبد الدهر يضرب
خل زيداً لشأنه	حيث ما شاء يذهب
واستمع قول عاشق	قد شجاه التطرب
همه الدهر طفلةٌ	فهو فيها يشبب

أبو بكر بن السراج قال حدثنا أبو العباس المبرد قال أخبرنا أبو عثمان المازني قال يقال : أسوأ الرجل مهموزاً إذا أحدث . قال وكان أبو زيد يقول لأصحابه أخطأتم

وأسوأتم . وبإسناده ، قال : وقال أبو زيد ستة يلزمونه ولا يفلحون الأشناندانى والكرماني وابن السحستاني والسرداني والخرساني والعرماني من عرمان من الأزد .

وقال أحمد بن يحيى كان أبو زيد يقول لأصحابه .

اقتربوا قرف القمع
إني إذا موت كنع
لا أتوقى بالجزع
ما طار شيءٌ فارتفع
إلا كما طار وقع

قال وأنشدني فيها ابن الأعرابي[1] :

حسبي بعلمي إن نفع   ما الذل إلا في الطمع
من راقب الله نزع   عن قبح ما كان صنع

قال أحمد بن يحيى[2] قرف القمع ما كان عليه من الوسخ ، فيقول أبو زيد لأصحابه : اقتربوا يا أوساخ .

وأبو بكر بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم قال حدثني أبو زيد قال قلت لأعرابي : ما المتكأكئ قال : المتآزف . قلت : ما المتآزف؟ قال : المحبنطئ يا أحمق . وتركني ومضى وذلك كله القصير .

وذكر أبو العباس محمد بن يزيد قال : حدثني أبو عثمان المازني والتوزي وغيرهما أن الكسائي كتب إلى أبي زيد جواب كتاب كان كتبه إليه : شكوت إلي مجانينكم فأشكو إليك مجانيننا لئن كان أقذاركم قد نموا لأقذر وأنتن بمن عندنا فلولا المعافاة كنا كهم ولولا البلاء لكانوا كنا .

وذكر محمد بن يزيد قال حدثني المازني عن أبي زيد قال : قدم الكسائي البصرة فأخذ عن أبي عمرو ويونس وعيسى بن عمر علماً كثيراً صحيحاً ثم خرج إلى بغداد

(١) إمام اللغة أبو عبد الله ، محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم الأحول النسابة .

(٢) أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ، البغدادي النحوي ، الشيباني أو ثعلب (٢٠٠-٢٩١هـ) (٨١٦-٩٠٤) وسمي الرجل ثعلبا لأنه كان إذا سئل عن مسألة أجاب من هاهنا وهاهنا فشبهوه بثعلب إذا أغار ، وهو أحد علماء اللغة وله باع في عدد من العلوم كالفقه لكن غلبت عليه البضاعة اللغوية ، ولد ببغداد وبها مات .

فقدم إعراب الحطمة فأخذ عنهم شيئاً فاسداً فخلط هذا بذاك فأفسده ولا نعلم أحداً من علماء البصريين بالنحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة شيئاً من علم العرب إلا أبا زيد فإنه روى عن المفضل الضبي[١] . قال أبو زيد في أول كتاب النوادر أنشدني المفضل لضمرة بن ضمرة النهشلي جاهلي .

بكرت[٢] تلومك بعد وهن[٣] في الندى . . . بسلٌ[٤] عليك ملامتي وعتابي

أأصرها وبني عمي ساغبٌ[٥] فكفاك من إبة[٦] علي وعاب

هل تخمشن إبلي على وجوهها أم تعصبن رؤوسها بسلاب[٧]

أخبار الأصمعي

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : كان الأصمعي أسد الشعر والغريب والمعاني وكان أبو عبيدة كذلك وبفضل على الأصمعي بعلم النسب وكان الأصمعي أعلم منه بالنحو وهو عبد الملك بن قريب ويكنى أبا سعيد واسم قريب عاصم ويكنى بأبي بكر بن عبد الملك بن أصمع بن مطهر بن رياح بن عمرو بن عبد الله الباهلي وقد هجاه أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي بهذا النسب في قصيدة أولها :

ألا هبلت كل من ينتمي إلى أصمع أمه الهابله

فكيف بمن كان ذا دعوةٍ وكفة نسبتهً شائله

وفيها :

أبِنْ لي دعى بني أصمعٍ أقفرٌ رباعك أم آهله

---

(١) المُفَضَّل أو المُفَضَّل الضَّبِيّ هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم ، بن الرمال . بن أبي سَلْمى بن ربيعة بن زبان بن عامر من بني ثعلبة بن السيد بن ضبة ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وأبو العباس وكان ثقة من أكابر الكوفيين . ويلقب بالكوفي .

(٢) قدمت الوقت .

(٣) الساعة من الليل .

(٤) الحرام .

(٥) الجائع .

(٦) العيب وما يستحي منه .

(٧) عصابة سوداء تلبسها المرأة في المصيبة .

ومـــن أنـــت هـــل أنـــت إلا امروءٌ   إذا صـــح أصلـــك مـــن باهلـــه

أبو علي الكوكبي قال : حدثني محمد بن سويد قال أخبرني محمد بن هبيرة قال : قال الأصمعي للكسائي وهما عند الرشيد ما معنى قول الراعي :

قتلـــوا ابـــن عفـــان الخليفـــة محرماً   ودعـــا فلـــم أر مثلـــه مخـــذولا

قال الكسائي : كان محرماً بالحج . قال الأصمعي فقوله :

قتلوا كسرى بليـل محرمـــا   فتولـــى لـــم يمتـــع بكفـن

هل كان محرماً بالحج ، فقًال هارون للكسائي : يا علي إذا جاء الشعر فإياك والأصمعي . قوله محرماً كان في حرمة الإسلام .

قال محمد بن سويد قال ابن السكيت[1] قال الأصمعي : ومن ثم قيل مسلم محرمٌ أي لم يحل من نفسه شيئاً يوجب القتل وقوله محرماً في كسرى يعني حرمة العهد الذي كان له في أعناق أصحابه .

وقال محمد بن سهل الكاتب : حدثنا أبو جعفر أحمد بن عبيد قال سمعت ابن الأعرابي قال : شهدت الأصمعي وقد أنشد نحواً من مائتي بيت ما فيها بيت عرفناه .

وكان الأصمعي صدوقاً في الحديث . عنده عن ابن عون وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وغيرهم . وعنده القرآن عن أبي عمرو ونافع وغيرهما ويتوقى تفسير شيء من القرآن والحديث على طريق اللغة .

أبو علي الصفار قال : حدثنا أبو عمرو الصفار قال حدثنا نصر بن علي قال : حضرت الأصمعي وقد سأله سائل عن معنى قول النبي ﷺ : (جاءكم أهل اليمن وهم أبخع أنفساً) قال : يعني أقتل أنفساً ثم أقبل متندماً على نفسه كاللائم لها فقال : ومن أخذني بهذا وما علمي به . فقلت له : لا عليك فقد حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله : لعلك باخعٌ نفسك ، أي قاتل نفسك فكأنه سرى عنه .

---

(١) إمام من أئمة اللغة العربية وعالم نحوي وأديب شهير ، اشتهر بتشيُّعه . يكنى بأبي يوسف ، يعقوب بن إسحاق بن السكيت الدروقي الأهوازي ، البغدادي النحوي المؤدب ، مؤلف كتاب «إصلاح المنطق» ، دين خير ، حجة في العربية . أخذ عن : أبي عمرو الشيباني ، وطائفة .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد أخبرني أبو قلابة الجرمي[١] قال : صرت إلى الأصمعي ومعي كتاب المجاز لأبي عبيدة فقال لي : هاته . فأعطيته وانصرفت فنظر فيه حتى انتهى إلى آخره . ثم رجعت إليه فقال لي : قال أبو عبيدة في أول كتابه : آلم ذلك الكتاب لا ريب فه . أي لا شك فيه فما يدريه أن الريب الشك . قال فقلت له : أنت فسرت لنا في شعر الهذليين .

فقالوا تركنا القوم قد حصروا به

فلا ريب أن قد كان ثم لحيم ، قال : فأمسك ولم يقل شيئاً ورد الكتاب .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : كان الأصمعي كثيراً ما يذاكر أصحابه بمعاني الشعر ، قال : فمر به رجلان كانا يتناظران في المعاني فلما رأياه قال أحدهما لصاحبه متمثلاً ببيت :

وما ينجي من الغمرات إلا   براكاء القتال أو الفرار

وقال ابن أخي الأصمعي : كان عمي إذا ورد عليه شيء ينكره قال : جحفل به . ومعناه أرم به . يقال جحفلت به إذا صرعته .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : كان الأصمعي إذا أنشد هذه الأبيات يومئ كأنه يقوم على أرع . والأبيات له :

يا أمة الله ألم تسمعي   ما قال عبد الملك الأصمعي

واحدة أثقلتني حملها   فكيف لو قمت على أربع

وذكر أبو العباس قال : دخل الأصمعي يوماً على الرشيد بعد غيبة كانت منه فقال : يا أصمعي كيف كنت بعدي؟ فقال : ما لاقتني بعدك أرضٌ ، فتبسم الرشيد فلما خرج الناس قال له : ما معنى قولك ما لاقتني أرض . قال : ما استقرت بي أرض كما يقال فلان لا يليق شيئاً أي لا يستقر معه شيء . فقال له : هذا حسن ولكن لا ينبغي أن تلكمني بين يدي الناس إلا بما أفهمه فإذا خلوت فعلمني فإنه يقبح بالسلطان ألا يكون عالماً إما أن أسكت فيعلم الناس أني لا أفهم إذا لم أجب وإما أن أجيب بغير الجواب فيعلم من حولي أني لم أفهم ما قلت . قال الأصمعي : فعلمني أكثر مما علمته .

---

(١) عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن ناتل بن مالك ، الإمام ، شيخ الإسلام ، أبو قلابة الجرمي البصري . وجرم بطن من الحاف بن قضاعة ، قدم الشام وانقطع بداريا .

قال أبو العباس نمى إلي أن الرشيد[١] مازح أم جعفر فقال لها : كيف أصبحت يا أم نهر؟ فاغتمت لذلك ولم تدر ما معناه فوجهت إلى الأصمعي تسأله عن ذلك فقال لها : الجعفر النهر الصغير وإنما ذهب إلى هذا . فطابت نفسها .

قال أبو العباس كان رجل يألف حلقة الأصمعي فإذا صار إلى منعته أهدى مما يحمل منها . فترك حلقة الأصمعي فألف حلقة أبي زيد وكان أبو زيد لا يقبل شيئاً ، فمر الرجل يوماً بالأصمعي فأنشده الأصمعي للفرزدق .

ولــح بــك الهجــران حتــى كأنما   ترى الموت في البيت الذي كنت تألف

وكان يقول اليسير من الشعر فمن ذلك ما يروى عنه أنه قال : كنت أجالس أمير المؤمنين وأسامره فوجه إلي ليلة في ساعة يرتاب فيها البريء فتناولت أهبة الدخول عليه فمنعت من ذلك وأعجلت فدخلني من ذلك رعب شديد وخوف وجعلت أتذكر ذنباً فلا أجده وجعلت نفسي تظن الظنون . فلما دخلت عليه سلمت ومثلت بين يديه قائماً وهو مطرق فرفع رأسه إلي فأمرني بالجلوس فجلست فقال : يا عبد الملك قلت : لبيك يا أمير المؤمنين . قال :

لــو أن جعفــر خــاف أسباب الردى   لنجــا بمهجتــه طمــر ملجــم

ولكــان مــن حــذر المنــون بحيث   لا يرجو اللحاق به العقاب القشعم

لكنــه لمــا تقــارب يومــه   لــم يدفــع الحدثان عنه منجــم

قال وكان بين يديه طست مغطى بمنديل فأمر بكشفه فكشف فإذا رأس جعفر بن يحيى ثم قال : الحق بأهلك يا ابن قريب . فنهضت ولم أحر جواباً للرعب . فلما أفرخَ روعي فكرت في ذلك فوجدته أحب يعلمني مكره ونكره ودهاءه ليتحدث به عنه . قال الأصمعي فخرجت وأنا أقول :

أيهــا المغــرور هــل لــك   عبــرةٌ فــي آل برمــك

غرهم عن قدر الله حساب الهش تمرك

وهي أبيات كثيرة آخرها : عبرةً لم ترد أنت ولا قبل أبٌ لك

وأكثر سماعه من الأعراب وأهل البادية .

---

(١) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين . حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م .ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

وقال أبو بكر بن السراج : حدثنا أبو العباس المبرد قال

قال الأصمعي : رآني أعرابي وأنا أكتب كل ما يقول فقال : ما تدع شيئاً إلا نمصته . أي نتفته . وقال له بعض الأعراب وقد رآه يكتب : كل شيء ما أنت إلا الحفظة تكتب لفظ اللفظة . وقال له آخر : أنت حتف الكلمة الشرود .

قال أبو العيناء : توفي الأصمعي بالبصرة وأنا حاضر في سنة ثلاث عشرة ومائتين وصلى عليه الفضل بن إسحاق . وسمعت عبد الرحمن ابن أخيه في جنازته يقول : إنا لله وإنا إليه من الراجعين . فقلت : ما عليه لو استرجع كما علمه الله .

أخبار أبي عبيدة

كان أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي تيم قريش لا تيم الرباب وهو مولى لهم ويقال هو مولى لبني عبيد الله بن معمر التيمي .

وقال أبو بكر بن مجاهد : حدثنا الكديمي[(١)] أو أبو العيناء الشك من أبي سعيد قال : قال رجل لأبي عبيدة : يا أبا عبيدة قد ذكرت الناس وطعنت في أنسابهم فبالله إلا عرفتني من كان أبوك وما أصله . فقال : حدثني أبي أن أباه كان يهودياً بباجروان .

وكان أبو عبيدة من أعلم الناس بأنساب العرب وبأيامهم وله كتب كثيرة في أيام العرب وحروبها مثل كتاب مقاتل الفرسان وكتب في الأيام معروفة .

قال أبو العباس المبرد : كان أبو عبيدة عالماً بالشعر والغريب والأخبار والنسب وكان الأصمعي يشركه في الغريب والشعر والمعاني وكان الأصمعي أعلم بالنحو منه ، وكان أبو عبيدة والأصمعي يتقارصان كثيراً ويقع كل واحد منهما في صاحبه .

أبو بكر بن السراج قال : حدثنا أبو العباس المبرد قال حدثنا التوزي قال سألت أبا عبيدة عن قول الشاعر :

وأضحت رسوم الدار قفراً كأنها   كتابٌ تلاه الباهلي ابن أصمعا

فقال : هذا يقول له في جد الأصمعي كان يقرأ الكتب على المنبر كما يقرأه الخراساني . قال التوزي : فسألت الأصمعي عن هذا فتغير وجهه ثم قال : هذا كتاب عثمان ورد على ابن عامر فلم يوجد له من يقرؤه إلا جدي .

---

(١) الشيخ ، الإمام ، الحافظ الكبير ، المعمر ، أبو العباس ، محمد بن يونس بن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كديم ، القرشي السامي الكديمي البصري الضعيف .

ويروى أنه قيل لأبي عبيدة : أن الأصمعي يقول : بينا أبى يساير سلم بن قتيبة على فرس له . فقال أبو عبيدة : سبحان الله والحمد لله والله أكبر المتشبع بما لم يؤت كلابس ثوبي زور والله ما ملك أبو الأصمعي قط دابة إلا في ثوبه .

وحمل أبو عبيدة والأصمعي إلى الرشيد فاختار الأصمعي لمجالسته لأنه كان أحسن منشأ منه وأصلح لمجالسة الملوك .

قال أبو العباس محمد بن يزيد قال أبو عبيدة : لما حملت إلى الرشيد أنا والأصمعي تغدينا عند الفضل بن يحيى فجاؤونا بأطعمة والله ما سمعت بها قط وإذا بين يدي الأصمعي سمك كنعد وكامخ شبت . فقال لي : كل من هذا يا أبا عبيدة فإنه كامخ طيب . قال فقلت : والله ما فررت من البصرة إلا من الكامخ والكنعد .

وحدث أبو علي الصفار قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا التوزي عن أبي عبيدة قال سمعت ابن دأب يقول : فخرج حمزة كأنه جملٌ محجوم . فصاح به صائح ، يا أبا الوليد ما المحجوم؟ قال : الذي به عضاض . قال : فرفعت رأسي فقلت له : للمحجوم ثلاثة مواضع اخترت لحمزة شرها . قال أبو العباس : الحجم حجم الشيء الذي له لْمس يقال رأيتُ حجم صرته فعلمت ما فيها أي لمستها . قال أبو العباس وثلاثة المواضع التي يحتمل المحجوم أحدها هو الذي له جسم ولحم يقال جمل محجوم إذا كان جسيماً والمحجوم الذي كان المحجم على فيه يمنعه من الكلام ، والمحجوم من العضاض .

أخبار أبي عمر الجرمي

أبو عمر اسمه صالح بن إسحاق وهو مولى لجرم بن زمان وجرم من قبائل اليمن .

قال أبو العباس محمد بن يزيد هو مولى لجبلة بن أنمار بن إراش بن الغوث ، قال أبو العباس : كان أبو عمر الجرمي أغوص على الاستخراج من المازني وكان المازني أحد منه .

وأخذ أبو عمر النحو عن الأخفش[1] وغيره وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش

---

(١) الأخفش هو لقب اشتهر به أحد عشر عالماً من النحويين سماهم السيوطي في «المزهر» ، وميز منهم خاصة :

- أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد وشهرته الأخفش الأكبر (ت . ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م) . =

ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه وأخذ اللغة عبد أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي وطبقتهم وكان ذا دين وأخاً ورع وقد روى عن محدثي أهل البصرة .

حدث أبو بكر بن السراج قال حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد قال حدثنا أبو عمر الجرمي عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي عن محمد بن إسحاق عن يونس عن الزهري في قول الله عز وجل : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) . قال : معناه ما الذي علمناه شعراً وما ينبغي له أن يبلغ عنا شعراً . قال الزهري : وكان رسول الله صلى الله عليه لا يقول من الشعر إلا ما قد قيل قبله .

وحدث أبو مزاحم الخاقاني[1] قال : حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا مسعود بن عمرو قال حدثني أبو عمر النحوي صالح بن إسحاق الجرمي قال : ما رأيت فقيهاً قط أفصح من مزاحم قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني مسعود بن عمرو قال حدثني أبو عمر الجرمي قال : رأيت يونس النحوي ومر بحلقة من حلاق المسجد فقام إليه رجل فسأله عن قول الله جل ذكره (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) قال فقال بيده التناول وأنشد :

وهي تنوش الحوض نوشاً من علا   نوشاً به تقطع أجواز الفلا

أخبار أبي عثمان المازني

وهو بكر بن محمد من بني مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن كعب بن علي بن بكر بن وائل . وقد كان أشخص إلى الواثق[2] وكان السبب في ذلك أن جارية غنت .

= - أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري وشهرته الأخفش الأوسط (ت . ٢٢١ هـ / ٨٣٥ م) .

- أبو المحاسن علي بن سليمان بن الفضل وشهرته الأخفش الأصغر (ت . ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م) .

- أخفش آخر يدعى : علي بن المبارك الكوفي ، ولا يعرف عنه شيئا .

(١) أبو مزاحم الخاقاني هو شاعر وعالم بالعربية ، من أهل بغداد . يعتبر الخاقاني أول من صنف في التجويد . هو أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني . كان يحب الصحابي معاوية بن أبي سفيان ، فقال فيه أشعاراً كثيرة دونها الناس .

(٢) هو هارون الثاني الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد هو تاسع خلفاء العباسيين في العراق . ولد في بغداد سنة ٢٠٠ هـ . أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس .

أظليم إن مصابكم رجلاً . . . أهدى السلام تحية ظلم

فرد بعض الناس عليها نصب رجلاً وظن أنه خبر إن وإنما هو مفعول المصدر ومصابكم في معنى إصابتكم وظلم خبر إنّ فقالت : لا أقبل هذا أو لا أغيره وقد قرأته كذا على أعلم الناس بالبصرة أبي عثمان المازني فتقدم بإحضاره .

قال أبو العباس محمد بن يزيد حدثني المازني قال : لما قدمت سر من رأى دخلت على الخليفة فقال لي : يا مازني من خلفت وراءك؟ فقلت : خلفت يا أمير المؤمنين أخية لي أصغر مني أقيمها مقام الوالد . فقال لي : فما قالت حين خرجت . قلت : طافت حولي وقالت وهي تبكي أقول لك يا أخي كما قالت بنت الأعشى لأبيها :

تقول ابنتي حين جد الرحيل أرانا سواءٌ ومن قد يتم
أبانا فلا رمت من عندنا فإنا بخير إذا لم ترم
ترانا إذا أضمرتك البلاد نُجفى ويقطع فينا الرحم

قال لي : فما قلت لها؟ قال قلت : أقول لك أخية كما قال جرير لابنته :

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال : لا جرم إنها ستنجح . وأمر لي بثلاثين ألف درهم .

وفي غير هذه الرواية أنه لما أدخل عليه قال له : بسمك . يريد ما اسمك . قال المازني : وكأنه أراد أن يعلمني معرفته بإبدال الباء مكان الميم في هذه اللغة . فقلت : بكر بن محمد المازني . قال : أمازن شيبان أم مازن تميم؟ قلت : مازن شيبان . فقال : حدثنا ، قلت : يا أمير المؤمنين هيبتك تمنعني عن ذلك وقد قال الراجز :

لا تقلواها وادلواها دلوا إن مع اليوم أخاه غدوا

قال : فسره لنا ، قلت : لا تقلواها لا تعنفانها في السير ، يقال قلوته إذا سرت به سيراً عنيفاً ، ودلوت إذا سرت سيراً رفيقاً ، ثم أحضر التوزي فكان في دار الواثق وكان التوزي يقول إن مصابكم رجلٌ ويظن أن مصابكم مفعول به ورجل خبر . فقال المازني : كيف تقول إن ضربك زيداً ظلمٌ . فقال التوزي : حسبي . وفهم .

وكان دماذ أبو غسان صاحب أبي عبيدة قد قرأ من النحو إلى باب الواو والفاء ومن قول الخَليل(١) وأصحابه أن ما بعدها ينتصب بإضمار أن فنبأ فهمه عنه . قال

(١) الخَلِيل بن أحمد ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي ، أبو عبد الرحمن : من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها . ودرس لدى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو أيضا أستاذ سيبويه النحويّ .

عبد الله بن أبي سعد حدثنا عبد الله بن ماهان المروزي قال حدثنا عبد الله بن جبان النحوي قال كتب دماز إلى المازني :

فكــرت فــي النحــو حتــى مللت وأتعبــت نفســي لــه والبــدن
وأتعبـــت بكـــراً وأَحابـــه بطـــول المسائـــل فـــي كل فن
فكنـــت بظاهـــره عالمـــاً وكنـــت بباطنـــه ذا فطـــن
خـــلا أن بابـــاً عليـــه العفـــا للـــفاء يـــا ليتـــه لـــم يكن
وللـــواو بـــابٌ إلـــى جنبـــه مـــن المقـــت أحسبـــه قـــد لعن
إذا قلـــت هاتـــوا لمـــاذا يقـــا ل لســـت بآتيـــك أو تأتـين
أأجيبـــوا لمـــا قيـــل هـــذا كـــذا علـــى النصـــب قالوا الإضمار أن
فقـــد كـــدت يا بكـــر من طـول ما أفكـــر فـــي بابـــه أن أجـــن

وكان أبو عثمان مع علمه بالنحو متسعاً في الرواية .

وأخبر أبو بكر السراج قال أبو العباس النحوي محمد بن يزيد قال أخبرنا المازني عن العتبي عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس(١) : الكامل من عدت سقطاته ، وأخبر أبو بكر قال أخبرنا أبو العباس قال أخبرنا أبو عثمان قال أخبرني أبو الحسن المدائني(٢) قال : قيل لامرأة من بني نمير وحضرتها الوفاة : أوصى بثلثك فإن ذاك لك . قالت : وما أوصى وما أوصي بشيء . قيل بل تقربي إلى الله بذلك . قالت : من الذي يقول :

لعمرك ما رماح بنــي نميــر بطائشـــة الصدور ولا قِصار

قالوا : زياد الأعجم . قالت : وممن هو؟ قالوا : من عبد القيس . قالت : فثلثي لعبد القيس .

حدث أبو مزاحم قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا أبو عثمان المازني قال

(١) هو التابعي الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي اسمه ضحاك وقيل صخر وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل ، قال سليمان بن أبي شيخ كان أحنف الرجلين جميعا .

(٢) هو علي بن محمد المدائني ، مولى عبد الرحمن بن سُمرة القرشي ، أصله من البصرة ، سكن المدائن فنسب إليها ، وقد ولد في أوائل العصر العباسي سنة ١٣٥هـ ، وعاش نحو تسعين عاماً ، ومات سنة ٢٢٥هـ .

حدثنا الأصمعي عن عيسى بن عمر قلا : كنا نمشي مع الحسن ومعنا عبد الله بن أبي إسحاق قال فقال : حادثوا هذه النفوس فإنها طلعة ولا تدعوها فتنزح بكم إلى شر غاية . قال : فأخرج عبد الله بن أبي إسحاق ألواحه فكتبها فقال : استفدنا منك يا أبا سعيد طلعة .

حدث أبو مزاحم قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني أبو عثمان المازني قال سمعت أبا زيد يقول : قيل للحسن يا أبا سعيد أيدالِك الرجل امرأته . قال : لا بأس إذا كان ملفجاً . والمفلج المفلس والمدالكة المماطلة .

حدث أبو مزاحم قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا أبو عثمان المازني حدثنا الأصمعي عن خلف الأحمر قال سمعت رؤبة يقول : ما في القرآن أعرب من قوله : (فاصدع بما تؤمر) .

وبهذا الإسناد قال حدثنا أبو عثمان قال حدثني أبو زيد قال سمعت رؤبة قرأ : فأما الزبد فيذهب جفالاً . قال قلت : جفاء قال : لا إنما تجفله الريح أي تقلعه .

وبهذا الإسناد قال حدثنا أبو عثمان قال حدثنا الأصمعي قال سمعت عيسى بن عمر ينشد :

حييـــــت عـنا أيها الوجه ولغيرك البغضـــاء والنجــه

النجه أسوأ الرد .

وبهذا الإسناد قال حدثنا أبو عثمان المازني قال أخبرني أحمد بن عبد الله بن علي السدوسي قال سمعت سعيد بن سلم يقول لأبي زياد الكلابي : هلم أناضلك . قال له أبو زياد : لا محمد لي بتنضال كفاى كالشن البالي . وقال المازني مرة : كفى كالشن البالي .

وبهذا الإسناد قال حدثنا أبو عثمان المازني قال : حدثني عثمان بن ثرمدة رجل من بني ذهل بن ثعلبة قال : شهدت شبيب بن شبة وهو يخطب إلى رجل من الأعراب بعض حرمته فطول وكانت للأعرابي حاجة تنزعه يخاف فوتها فاعترض الأعرابي على شبيب وقال له : يا هذا إن الكلام ليس للمكثر المطنب ولكنه للعقل المصيب وأنا أقول الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين أما بعد فقد أدليت بقرابة وذكرت حقاً وعظمت مرعياً فقولك مسموع وحبلك موصول وبذلك مقبول وقد زوجنا صاحبك على اسم الله .

وقال أبو عثمان سألني الأصمعي عن هذا .

يا بئــر يا بئــر بنـي عدي ليمخضــن جوفـك بالدلي

حتى تعود أقطع الولي

فـقلت حـتى تعـودي قليبـاً اقطع الولي كـان حقـه أن يقـول قطعـاء الولي لقـوله تعودي . وكان عبد الصمد بن المعذل[١] قد وجد من شيء كان أنكره المازني وكلام تكلم به فيه فقال يهجوه وأفحش .

بنـــت ثمانـــين بفيهـــا لثغـه شوهـــاء ورهـــاء كطـــين الردغـه

ممشوطـــــة لمتهـــــا المثمغـه ملويـة أصباغهـــا المصمغـــه

مخضوبـــة فـــي قمص مصبغـــه مثلبـــة للصاحـــب منزغـــه

فيهـــا يعـــاف الخفـــرات ميلغـــه ملسبـــةٌ بالناقـــرات ملدغـــه

أعارهـــا الغضـــون منـــه الوزغـــه والظربـــان كشحـــه وأزفغـــه

والديك أحذى الجيد منها النغنغـــه ألقت حليساً لي وألقـــت مردغـه

وهامستنـــي بحديـــث فغفغــــــه وحلـــف منهـــا وإفـــك مغمغـــه

إنـــك إن ذقـــت حمدت الممضغه فقلـــت ما هاجـــك قالت دغدغه

فقلـــت مـــن أنـــت فقالت لي دغـه وابنـــي أبو عثمـــان ذو علم اللغـه

فاطـــوِ حديثـــي دونـــه أن يبلغـه هممـــت أعلـــو رأسهـــا فأدمغـه

فبلغ أبا عِثمان فقال : قولوا له الجاهل بم نصبت فأدمغه لو لزمت مجالسة أهل العلم كان أعود عليك .

أخبار التوزي

واسمه عبد الله بن محمد مولى لقريش . قال أبو العباس كنا ندعوه أبا محمد القرشي . وقرأ التوزي كتاب سيبويه على أبي عمر الجرمي . قال أبو العباس أوما رأيت أحداً أعلم بالشعر من أبي محمد التوزي كان أعلم من الرياشي والمازني وأكثرهم رواية عن أبي عبيدة وقد قرأ على الأصمعي وغيره .

وحدث أبو علي الصفار[٢] قال محمد بن يزيد أبو العباس قرأت على عمارة بن

(١) عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي القيسي أبو القاسم . من بني عبد القيس ، من شعراء الدولة العباسية . ولد ونشأ في البصرة . كان هجاءاً ، شديد العارضة سكيراً خميراً .

(٢) الصفار الإمام النحوي الأديب ، مسند العراق أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح البغدادي الصفار الملحي نسبة إلى الملح والنوادر .

عقيل بن بلال بن جرير[1] لأبي محمد التوزي كلمة جرير التي أولها :

طــرب الحمــام بذي الأراك فشاقني   لا زلــت فــي فــنن وأيك ناضر

حتى صرت إلى قوله :

أمــا الفــؤاد فلــن يــزال موكــلاً   بهــوى جمانــة أو بريــاً العاقــر

فقال له التوزي : ما هما . فقال عمارة : ما يقول صاحبكم يعني أبا عبيدة . فقال التوزي قال : هما امرأتان . فضحك عمارة ثم قال : هما والله رملتان تمتدان بيتي من عن يمينه وعن شماله . فقال التوزي : اكتب . فاستكبرت ما قال إجلالاً لأبي عبيدة . فقال لي اكتب فإن أبا عبيدة لو حضر هذا لأخذ هذا الضرب عنه هذا بيت الرجل .

وحدث أبو علي قال حدثنا أبو العباس قال سأل التوزي عمارة عن بيت الفرزدق هذا وما سمعته سئل قط عن شيء من شعر الفرزدق غير هذا فلم يجبه فقال التوزي معناه الحمرة من الدم . والبيت :

ومنــا غــداة الــروع فتيــان غارة   إذا متعــت بعـد الأكف الأشاجع

متعت احمرت من الدم ويقال نبيذ ماتع أي شديد الحمرة .

قال أبو العباس وحدثني التوزي قال : كنت أقرأ على الأصمعي أنا وحيان وكان لقب حيان عينين . قال فكان الأصمعي إذا رآنا تمثل .

وشريكــين في كثير من الو   د وكــانا محالفــي إقلال

وتزوج التوزي بأم أبي ذكوان النحوي فكان أبو ذكوان إذا قيل له : من كان التوزي منك . قال : كان أبا اخوتي وكان في جمل الواثق .

أخبار الزيادي

هو أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه وكان قد قرأ كتاب سيبويه ولم يتمه وقرأ على الأصمعي وروى عنه وعن غيره . وحدث أبو بكر بن السراج قال حدثنا أبو العباس المبرد عن الزيادي قال : قرأت مرة على الأصمعي في صفات الإبل وأردت منها المُكَرّي فقلت المَكَرّي . فقال : هذه

(١) عمارة بن عقيل هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية ، من ذرية جرير الشاعر ، شاعر من شعراء العصر العباسي . كان منصرفاً إلى حياة البادية واشتهر بالفصاحة حتى اعتبره البعض أشعر أهل زمانه ، كما نقل ابن المعتز في «طبقات الشعراء» .

بالمولتانية أي بالسندية . وهو في شعر القطامي

وكـل ذلـك منهـا كمـا رفعـت منهـا المُكَرِّي ومنها اللين السـادي

قال وقرأ عليه يوماً هذا البيت :

أغنيـت شأنـي فاغنوا اليوم شأنكم واستحمقوا في لقاء الحرب أو كيسـوا

فصحفت فقال أغنيتُ شاتي . فقال الأصمعي : فأغنوا اليوم تيسكم .

أخبار الرياشي

هو أبو الفضل عباس بن الفرج مولى محمد بن سليمان بن علي الهاشمي ورياش رجل من جذام كان أبو عباس عبداً له فبقي عليه نسبه إلى رياش . وكان عالماً باللغة والشعر كثير الرواية عن الأصمعي وروى أيضاً عن غيره . وقد أخذ عنه أبو العباس محمد بن يزيد وأبو بكر بن دريد . وحدثني أبو بكر بن أبي الأزهر وكان عنده أخبار الرياشي قال : كنا نراه يجيء إلى أبي العباس المبرد في قدمة قدمها من البصرة وقد لقيه أبو العباس ثعلب وكان يفضله ويقدمه .

حدث أبو بكر بن دريد قال : رأيت رجلاً في الوراقين بالبصرة يفضل كتاب المنطق ليعقوب بن السكيت ويقدم الكوفيين فقيل للرياشي وكان قاعداً في الوراقين قال : أول ما سمعت الرياشي ينشد شعراً لمالك بن أسماء بن خارجة .

يا ليت لي خصاً بداركـم بـدلا بداري في بني أسد

الخـص فيـه تقـر أعيننا خيـرٌ مـن الآجر والكعد

قال وأنشدني له أيضاً يقول لأخيه عيينة :

أعيـين هـلا إذ شغفـت بهـا كنـت استغثـت بفـارغ العقل

أرسلـت تبغـي الغـوث من قبلـي والمستغـاث إليـه فـي شغـل

وحدثنا أبو بكر بن السراج قال حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد قال حدثنا الرياشي أحسبه عن الأصمعي قال قال رؤية : خرجت مع أبي أريد سليمان بن عبد الملك فلما صرنا ببعض الطريق قال لي أبي : أبوك راجز وجدك كان راجزاً وأنت مفحم . قلت : أفأقول . قال نعم . قال فقلت : كم حسرنا من علاة عنس ، ثم أنشدته إياها فقال : اسكت فض الله فاك . قال : فلما انتهينا إلى سليمان قال له : ما قلت .

فأنشده أرجوزتي فأمر له بعشرة آلاف . فلما خرجنا من عنده قلت : أتسكتني وتنشد أرجوزتي . قال : اسكت ويلك فإنك أرجز الناس . قال : فالتمست منه أن يعطيني نصيباً مما أخذه بشعري فأبى أن يعطيني منه شيئاً فنابذته . فقال : إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز أو كلام يشبه هذا .

حدث أبو بكر ابن السراج قال حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد قال أول ما سمعت الرياشي ينشد شعراً لمالك بن أسماء بن خارجة .

يا ليت لي خصاً بداركم بدلا بداري في بني أسد

الخص فيه تقر أعيننا خيرٌ من الآجر والكعد

قال وأنشدني له أيضاً يقول لأخيه عيينة :

أعيين هلا إذ شفغت بها كنت استغثت بفارغ العقل

أرسلت تبغي الغوث من قبلي والمستغاث إليه في شغل

وحدث أبو بكر بن السراج(١) قال حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد قال حدثنا الرياشي أحسبه عن الأصمعي قال قال رؤبة : خرجت مع أبي أريد سليمان بن عبد الملك فلما صرنا ببعض الطريق قال لي أبي : أبوك راجز وجدك كان راجزاً وأنت مفحم . قلت : أفأقول . قال نعم . قال فقلت : كم حسرنا من علاة عنس ، ثم أنشدته إياها فقال : اسكت فض الله فاك . قال : فلما انتهينا إلى سليمان قال له : ما قلت . فأنشده أرجوزتي فأمر له بعشرة آلاف . فلما خرجنا من عنده قلت : أتسكتني وتنشد أرجوزتي . قال : اسكت ويلك فإنك أرجز الناس . قال : فالتمست منه أن يعطيني نصيباً مما أخذه بشعري فأبى أن يعطيني منه شيئاً فنابذته . فقال :

---

(١) أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج ؛ كان أحد الأئمة المشاهير ، المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والآداب ، أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد وغيره ، وأخذ عنه جماعة من الأعيان منهم : أبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما ، ونقل عنه الجوهري في كتاب الصحاح في مواضع عديدة . وله التصانيف المشهورة في النحو : منها كتاب الأصول وهو من أجود الكتب المصنفة في هذا الشأن ، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه ، وكتاب جمل الأصول وكتاب الموجز صغير ، وكتاب الاشتقاق وكتاب شرح كتاب سيبويه وكتاب احتجاج القراء وكتاب الشعر والشعراء وكتاب الرياح والهواء والنار وكتاب الجمل وكتاب «المواصلات» .

لطـــــال ما جـــرى أبـــو الجحـــاف   لنيــــــة بعيــــــدة الإيجـــــاف
نـــــاء عــــــن الأهلـــــين والألاف   سرهفتــــه ما شئـــت من سرهاف
حتـــــى إذا مـــا آض ذا أعـــــراف   كالكـــودن المشـــدود بالإكـــــاف
قـــــال الـــــذي عندك لي صواف   مـــن غيـــر ما كسب ولا احتراف

فقال رؤبة[1] يجيبه :

إنـــك لـــم تنصـــف أبـــا الجحـــاف   وكـــان يرضـــى منـك بالإنصاف
ظلمتنــــي غيــــرك ذو الإســــراف   يا ليـــت حظي من نداك الضـــاف
والفضل أن تتركني كفاف

أخبار أبي حاتم السجستاني

هو سهل بن محمد وكان كثير الرواية عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي عالماً باللغة والشعر . قال أبو العباس وسمعته يقول قرأت كتاب سيبويه[2] على الأخفش مرتين . وكان حسن العلم بالعروض وإخراج المعمى ويقول الشعر الجيد ويصيب المعنى ولم يكن بالحاذق في النحو . قال أبو العباس : ولو قدم بغداد لم يقم له منهم أحد . وله كتاب في النحو . قال أبو العباس : وكان إذا التقى هو والمازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي تشاغل أو بادر خوفاً من أن يسأله المازني عن النحو وكان جماعة للكتب يبحر فيها وكان كثير تأليف الكتب في اللغة . قال أبو العباس جئت

(١) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي . من رجاز الإسلام وفصائحهم وهو من مخضرمي الدولة الاموية والعباسية . وكان رأسا في اللغة ، وكان أبوه قد سمع من أبي هريرة قال خلف الأحمر : سمعت رؤبة يقول : ما في القرآن أعرب من قوله تعالى : فاصدع بما تؤمر قال النسائي في رؤبة : ليس بالقوي . وقال غيره : توفي سنة خمس وأربعين ومائة . ورؤبة بالهمز : قطعة من خشب يشعب بها الإناء . جمعها رئاب . والروبة بواو : خميرة اللبن . والروبة أيضا : قطعة من الليل .

(٢) سيبويه (١٤٨ هـ - ١٨٠ هـ / ٧٦٥ - ٧٩٦م) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، يُكنى أبو بشر ، الملقب سيبويه : إمام النحاة ، وأول من بسّط علم النحو . أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر ، وورد بغداد ، وناظر بها الكسائي ، وتعصبوا عليه ، وجعلوا للعرب جعلا حتى وافقوه على خلافه . من آثاره : كتاب سيبويه في النحو .

السجستاني وأنا حدث فرأيت بعض ما ينبغي أن تهجر حلقته له فتركته مدة ثم صرت إليه وعميت له بيتاً لهارون الرشيد وكان يجيد استخراج المعمى فأجابني .

أيـــا حســـن الوجـــه قـــد جئتنـــا ... بداهيـــة عجـــب فـــي رجـــب
فعميـــــت بيتـــــاً وأخفيتـــــه ... فلم يخفً بل لاح مثل الشهـــب
فاظهـــــر مكنونـــــه الطيطـــــوي ... وهتـــــك عنـــه الحمام الحجـب
فذلـــــل مـــا كـــان مستصعبـــاً ... لنـــا فتناولتـــه مـــن كثـب
أيـــــا مـــن إذا مـــــا دنونـــا لـه ... نـــأى وإذا مـــا نأينــــا اقتـــرب
عذرنـــــاك إذ كنـــت مستحسنـــاً ... وبيتـــك ذو الطيـــر بيـــت عجب
ســـلام عـــلى النـــازح المغتـــرب ... تحيـــة صـــب بـــه مكتســـب

ومن شعره أيضاً أنشدناه أبو بكر بن السراج قال : أنشدنا أبو العباس لأبي حاتم :

كبـــد الحســـود تقطعـــي ... قـــد بـــات من أهوى معي

وله :

نفســـي فداؤك يـــا عبيـــد ... اللـــه حـــل بك اعتصامي
فارحـــم أخـــاك فإنـــه ... نزر الكـــرى بادي السقـــام
وأنلـــه مـــا دون الحـــرام ... فلـــيس يقصـــد للحـــرام

أخبار أبي العباس محمد بن يزيد الأزدي

الثمالي المعروف بالمبرد انتهى علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني إلى أبي العباس محمد بن يزيد الأزدي وهو من ثمالة قبيلة من الأزد . وأنشدنا أبو بكر بن السراج عن أبي العباس لعبد الصمد بن المعذل يعاتبه .

سألنـــا عـــن ثمالـــة كـــل حـــي ... فقـــال القائلـــون ومـــن ثمالـه
فقلـــت محمـــد بـــن يزيـــد منهـــم ... فقالـــوا زدتنـــا بهـــم جهالـــه

وقد حدث عنه أبو بكر بن أبي الأزهر بشيء ظريف في هذا المعنى . قال حدثني محمد بن يزيد قال قال لي المازني : يا أبا العباس بلغني أنك تتصرف من مجلسنا فتصير إلى المخيس وإلى مواضع المجانين والمعالجين فما معناك في ذاك؟ قال : فقلت : إن لهم أعزك الله طرائف من الكلام وعجائب من الأقسام . فقال : خبرني بأعجب ما رأيته من المجانين . قال فقلت : دخلت يوماً إلى مستقرهم فرأيت مراتبهم على مقدار بليتهم وإذا قوم قيام قد شدت أيديهم إلى الحيطان بالسلاسل ونقبت من البيوت التي

هم بها إلى غيرها مما يجاورها لأن علاج أمثالهم أن يقوموا الليل والنهار لا يقعدون ولا يضطجعون ومنهم من يحلب على رأسه وتدهن أرداؤه ومنهم من ينهل ويعل بالدواء حسب ما يحتاجون ، فدخلت يوماً مع ابن أبي خميصة وكان المتقلد للنفقة عليهم ولتفقد أحوالهم فنظروا وأنا معه فأمسكوا عما كانوا عليه لولاء موضعه فمررت على شيخ منهم تلوح صلعته وتبرق للدهن جبهته وهو جالس على حصير نظيف ووجهه إلى القبلة كأنه يريد الصلاة . فجاوزته إلى غيره فناداني : سبحان الله أين السلام من المجنون ترى أنا أم أنت . فاستحيت منه وقلت : السلام عليكم . فقال : لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الرد عليك على أنا نصرف سوء أدبك إلى أحسن جهاته من العذر لأنه كان يقال : إن لله إخاء على القوم دهشة اجلس أعزك الله عندنا . وأومى إلى موضع من حصيره ينفضه كأنه يوسع لي . فعزمت على الدنو منه فناداني ابن أبي خميصة : إياك إياك! فأحجمت عن ذلك ووقفت ناحية أستحلب مخاطبته وأرصد الفائدة منه . ثم قال لي وقد رأى معي محبرة : يا هذا أرى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما أتجالس أصحاب الحديث الأغثاث أم الأدباء من أصحاب النحو والشعر . قال : أتعرف أبا عثمان المازني . قلت : نعم معرفة ثاقبة . قال : أفتعرف الذي يقول فيه :

وفتى من مازن ساد أهل البصره — أمه معروفة وأبوه نكره

قلت : لا أعرفه ، قال : أفتعرف غلاماً له قد نبغ في هذا العصر معه ذهن وله حفظ وقد برز في النحو وجلس في مجلس صاحبه وشاركه فيه يعرف بالمبرد[1] ، قلت : أنا والله عين الخبير به . قال : فهل أنشدك شيئاً من عبثات أشعاره؟ قلت : لا أحسبه يحسن قول الشعر . قال : سبحان الله أليس هو الذي يقول :

حبذا ماء العناقيـ — ـد بريق الغانيات

بهما ينبت لحمي — ودمي أي نبات

أيها الطالب أشهى — من لذيذ الشهوات

كل بماء المزن تفـ — ـاح خدود الناعمات

(١) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد ينتهي نسبه بثمالة ، وهو عوف بن أسلم من الأزد . هو أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد ، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري .

قلت : قد سمعته ينشد هذا في مجلس الأنس . قال : يا سبحان الله أويستحيا أن ينشد مثل هذا حول الكعبة ما تسمع الناس يقولون في نسبه . قلت : يقولون هو من الأزد أزد شنؤة ثم من ثمالة . قال : قاتله الله ما أبعد غوره أتعرف قوله :

سألنـــا عـــن ثمالـــة كـــل حـــي   فقـــال القائلـــون ومـــن ثمالـــه
فقلت محمـــد بـــن يزيـــد منهـــم ً   فقالـــوا زدتنـــا بهـــم جهالـــه
فقـــال لـــي المبـــرد خـــل قومـــي   فقومـــي معشـــر فيهـــم نذالـــه

قلت : أعرف هذه الأبيات لعبد الصمد بن المعذل يقوله لها فيه . قال : كذب من ادعاها غيره هذا كلام رجل لا نسب له يريد أن يثبت بهذا الشعر له نسباً . قلت أنتم أعلم . قال : يا هذا قد غلبت بخفة روحك على قلبي وتمكنت بفصاحتك من استحساني وقد أخرت ما كان يجب أن أقدمه . الكنية أصلحك الله؟ قلت : أبو العباس . قال : فالاسم . قلت : محمد . قال : فالأب . قلت : يزيد . قال : قبحك الله أحوجتني إلى الاعتذار إليك مما قدمت ذكره . ثم وثب باسطاً يده لمصافحتي . فرأيت القيد في رجله قد شد إلى خشبة في الأرض فأمنت عند ذلك غائلته . فقال لي : يا أبا العباس صن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع فليس يتهيأ لك في كل وقت أن تصادف مثلي في مثل هذه الحال الجميلة أنت المبرد . وجعل يصفق وقد انقلبت عينه وتغيرت حليته . فبادرت مسرعاً خوفاً أن تبدرني منه بادرة وقبلت قوله فلم أعاود الدخول إلى مخيس ولا غيره .

وأخذ أبو العباس النحو عن الجرمي(١) والمازني(٢) وغيرهما وكان على المازني يعول ويقال أنه بدأ بقراءة كتاب سيبويه وختمه على المازني . وكان إسماعيل بن إسحاق القاضي وهو أقدم مولداً منه

ورأى الناس بالبصرة يقول : ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه . وقال أبو بكر بن

---

(١) صالح الجرمي ، واسمه أبو عمر صالح بن اسحق الجرمي البصري النحوي ، أحد علماء النحو في اللغة العربية ، قال عنه الذهبي بأنّه : «إمام العربية ، كان صادقًا ورعًا خيّرًا» ، وقال المبرد : «كان الجرمي أثبت القوم في كتاب سيبويه ، وعليه قرأت الجماعة ، وكان عالمًا باللغة .

(٢) أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان - وقيل : بقية ، وقيل : عدي - بن حبيب المازني البصري النحوي ؛ كان إمام عصره في النحو والأدب ، وأخذ الأدب عن أبي عبيدة . وله من التصانيف كتاب ما تلحن في العامة وكتاب التصريف .

مجاهد[١] : ما رأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم . وسمعته يقول : لقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب . وقال نفطويه[٢] : ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه ومن أبي العباس بن فرات . وكذلك أخبر أبو بكر بن السراج عن محمد بن خلف وكيع . وكان بينه وبين أبي العباس ثعلب من المنافرة ما لا خفاء به وأكثر أهل التحصيل يفضلونه .

أنشد أبو بكر بن أبي الأزهر عن أحمد بن عبد السلام وكان أكبر من خالد الكاتب سناً يقول في محمد بن يزيد :

رأيت محمد بن يزيد يسمو ... إلى الخيرات في جاه وقدر
جليس خلائف وغذى ملك ... وأعلم من رأيت بكل أمر
وفتيانية الظرفاء فيه ... وأبهة الكبير بغير كبر
وينثر إن أجال الفكر دراً ... وينثر لؤلؤاً من غير فكر
وكان الشعر قد أودى فأحيا ... أبو العباس دائر كل شعر
وقالوا ثعلب رجل عليمٌ ... وأين النجم من شمس وبدر
وقالوا ثعلب يفتي ويملي ... وأين الثعلبان من الهزبر
وهذا في مقالك مستحبلاً ... تشبه جدولاً وشلاً ببحر

قال وأنشدني فيه :

وأنت الذي لا يبلغ الوصف مدحه ... وإن أطنب المداح مع كل مطنب
رأيتك والفتح بن خاقان راكباً ... وأنت عديل الفتح في ل موكب
وكان أمير المؤمنين إذا رنا ... إليك يطيل الفكر بعد التعجب
وأوتيت علماً لا تحيط بكنهه ... علوم بني الدنيا ولا نحو ثعلب
يروح إليك الناس حتى كأنهم ... ببابك في أعلى منى والمحصب

وأنشدنا ابن أبي الأزهر لنفسه :

---

(١) الإمام المقرئ المحدث النحوي ، شيخ المقرئين أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ، مصنف كتاب «السبعة» .

(٢) هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة العَتَكيّ الأزديّ . إمام حافظ ، إمام من أئمة النحو ، فقيه ظاهري . ولد في ، وتوفي في ، لقب تشبيها له بالنفط ، لدمامته وأدمته ، وزيد مقطع ، لأنه كان يجري على طريقة سيبويه في النحو .

شكـا مـا به مـن هـوىً منصـب ... إلـى إلفـه الأوصـب الأنصب
فبـات يخـدان حـر الخـدود ... بفيـض دموعِهمـا السكـب
ويعتنقـان وقلباهمـا ... علـى مثـل جمـر الغضا الملهب
إلـى أن بـدا فـي الدجـى ساطعٌ ... مـن الصبـح يسطو على الغيهب
فيـا حسنهـا ليلـة لـو تمـد ... طـوال الدهـور فلـم تذهـب
وهـل ترجعـن بلذاتهـا ... علـى حـال أمـن مـن الرقب
أيـا طالـب العلـم لا تجهلـن ... وعـذ بالمبـرد أو ثعلـب
تجـد عنـد هاذيـن علـم الـورى ... ولا تـك كالجمـل الأجـرب
علـوم الخلائـق مقرونـة ... بهاذيـن بالشـرق والمغـرب

ومن شعر أبي العباس وكان مليح الطبع أخبر أبو بكر بن أبي الأزهر(1) قال كتب طاهر بن الحارث كاتب محمد بن عبد الله بن طاهر إليه رقعة في درجها تسبيب له على مصر قد فرغ منه وأحكمه وكان الغلام الموصل للرقعة يسمى نصراً فأجابه عن رقعته وكتب في آخر الجواب .

بنفسـي أخ بـرٌّ شـددت بـه أزري ... فألفيتـه حـراً على العسر واليسر
أغيـب فلـي منـه ثنـاءٌ ومدحة ... وأحضر منه أحسن القول والبشـر
ومـا طاهـرٌ إلا جمـالٌ لصحبـه ... وناصر عافيه على كلـب الدهـر
تفـردت يـا خـير الورى فكفيتنـي ... مطالبةٌ شنعاء ضاق لهـا صـدري
فأحسـن مـن وجه الحبيب ووصلـه ... كتابٌ أتاني مدرجاً بيـدي نـصر
سـررت بـه لمـا أتـى ورأيتنـي ... غنيت وإن كان الكتاب إلى مصـر
وقلـت رعـاك اللـه من ذي مـودة ... فقد فت إحساناً وقصر بي شكـري .

اللحن في مجالس الخلفاء

قال عبد الملك بن مروان : الإعراب جمال للوضيع ، واللحن هجنة على الشريف وقال : تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض .

---

(١) المحدث أبو بكر محمد بن مزيد بن محمود بن منصور الخزاعي البغدادي ، عرف بابن أبي الأزهر شيخ معمر تالف . حدث عن : لوين وإسحاق بن أبي إسرائيل ، والحسين الاحتياطي ، وأبي كريب .

وقال عبد الملك بن مروان : اللحن في الكلام أقبح من التّفتيق في الثوب ، والجدريّ في الوجه .

وقال رجل للحسن(١) : إن لنا إماما يلحن . قال : أميطوه .

وقال الشاعر :

النحو يبسط من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن

وقال رجل للحسن : يا أبو سعيد ، فقال : أحسب أن الدوانيق شغلتك عن أن تقول يا أبا سعيد .

وكان عمر بن عبد العزيز جالسا عند الوليد بن عبد الملك(٢) ، وكان الوليد لحّانا ، فقال : يا غلام ، ادع لي صالح . فقال الغلام : يا صالحا . قال له الوليد : انقص ألفا .

فقال عمر : وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا .

ودخل على الوليد بن عبد الملك رجل من أشراف قريش ، فقال له الوليد : من ختنك/ قال له : فلان اليهودي . فقال : ما تقول؟ ويحك! قال : لعلك إنما تسأل عن ختني يا أمير المؤمنين ، هو فلان بن فلان .

وقال عبد الملك بن مروان : أضرّ بنا في الوليد حبّنا له فلم نلزمه البادية .

الإعراب واللحن

وقد يستثقل الإعراب في بعض المواضع كما يستخف اللحن في بعضها .

قال مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري :

منطق بارع ويلحن أحيا . . . نا وخير الكلام ما كان لحنا

وذلك أنه من حكى نادرة مضحكة ، وأراد أن يوفي حروفها حظّها من الإعراب ، طمس حسنها وأخرجها عن مقدارها ؛ ألا ترى أن مزّيدا المديني أكل طعاما فكظّه

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، سبط نبي الإسلام محمد وحفيده وثاني الأئمة عند الشيعة ، أطلق عليه النبي محمد ﷺ لقب سيد شباب أهل الجنة ، كنيته أبو محمد ، ولد في النصف من شهر رمضان عام ٣ هـ وتوفي سنة ٥٠ هـ ودفن في البقيع .

(٢) الوليد الأول بن عبد الملك الأول الأموي القرشي ، أبو العباس ولد بالمدينة المنورة سنة ٦٦٨ م /٥٠هـ-٧١٥ /٩٦هـ وحكم من ٧٠٥ م حتى ٧١٥ م . كان ولي عهد أبيه الخليفة عبد الملك بن مروان وولي عهده أخوه شقيقه سليمان بن عبد الملك .

وقيل له : ألا تقيء؟ فقال : وما أقيء ، خبز نقي ولحم طري! مرتي طالق ، لو وجدت هذا قيئا لأكلته .

قال : وكذلك يستقبح الإعراب في غير موضعه ، كما استقبح من عيسى بن عمر إذ قال وابن هبيرة(١) يضربه بالسياط ، والله إن كانت إلا أثيّابا في أسيفاط قبضها عشّاروك .

وحكي عن بعض المعربين للحن أنّ جارية له غنّته :

إذا ما سمعت اللوم فيها رفضته ... فيدخل من أذن ويخرج من أخرى

فقال لها : من أخرى يا فاعلة ، أما علّمتك أنّ (من) تخفض؟

وقال بعض الشعراء . وأدرك عليه رجل من المتفصّحين ، يقال له حفص ، لحنا في شعره ، وكان حفص به اختلاف في عينه وتشويه في وجهه ، فقال فيه .

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل ... وأنف كمثل الطّود عما تتبّع

تتبّع لحنا من كلام مرقّش ... وخلقك مبنيّ من اللحن أجمع

فعينك إقواء وأنفك مكفأ ... ووجهك إيطاء فما فيك مرقع

المأمون والجاهل

وقال المأمون لأبي علي المعروف بأبي يعلي المنقريّ : بلغني أنك أمّيّ ، وأنك لا تقيم الشعر ، وأنك تلحن في كلامك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أمّا اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه ، وأما الأمّية وكسر الشعر فقد كان النبي ﷺ أميا وكان لا ينشد الشعر . قال المأمون : سألتك عن ثلاث عيوب فيك فزدتني عيبا رابعا ، وهو الجهل .

يا جاهل ، إن ذلك في النبي ﷺ فضيلة ، وفيك وفي أمثالك نقيصة ، وإنما منع ذلك النبي ﷺ لنفي الظّنّة عنه ، لا لعيب في الشعر والكتاب ، وقد قال تبارك وتعالى :

﴿وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ .

---

(١) الوزير ابن هبيرة . أحد الوزراء المشهورين . هو أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني نسباً ثم الدوري البغدادي الحنبلي . ولد سنة ٤٩٩ هـ وتوفى سنة ٥٦٠هـ .

شبيب بن شيبة وإسحاق بن عيسى

دخل شبيب بن شيبة[١] على إسحاق بن عيسى يعزيه عن طفل أصيب به ؛ فقال في بعض كلامه : أصلح الله الأمير ، إنّ الطفل لا يزال محبنطيا[٢] على باب الجنة يقول : لا أدخل حتى يدخل أبواي . قال إسحاق بن عيسى : سبحان الله! ماذا جئت به؟ إنما هو محبنطي ؛ أما سمعت قول الراجز :

إنّي إذا أنشدت لا أحبنطي ولا أحب كثرة التمطّي

قال شبيب : ألي يقال مثل هذا وما بين لا بتيها[٣] أعلم مني بها! فقال له إسحاق :

وهذه أيضا ، أللبصرة لابتان يالكع! فأبان بتقريعه عواره فأخجله ، فسكت .

---

(١) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي خطيب البصرة في زمن العباسيين . امتاز بخطبه البليغة والقصيرة والتي وصفها أحمد الهاشمي في كتاب جواهر الأدب بالقريبة من حد الإعجاز .

(٢) قوله : المحبنطي : الممتنع امتناع طلب لا امتناع إباء ، وهو بالطاء غير معجمة ، ورواه شبيب بالظاء المعجمة .

(٣) وقوله «ما بين لا بتيها» خطأ ؛ إذ ليس للبصرة لابتان ، وإنما اللابة للمدينة والكوفة . واللابة : الحرّة ، وهي الأرض ذات الحجارة السود .

طرائف المعلمين

عض أذن نفسه

وقال بعضهم : رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما : هذا عض أذني ، فقال الآخر : لا والله يا سيدنا هو الذي عض أذن نفسه ، فقال المعلم : يا ابن الزانية هو كان جمل يعض أذن نفسه .

لماذا يضرب معلم غلمانه

قال : وقلت لمعلم : لم تضرب غلمانك من غير جرم؟ قال : جرمهم أعظم الأجرام ، يدعون لي أن أحج ، وإن حججت تفرقوا في المكاتب فمتى أحج أنا مجنون؟

انصرفوا اليوم أيها الصبيان

قال غلام للصبيان : هل لكم أن يفلتنا الشيخ اليوم؟ قالوا : نعم ، قال : تعالوا لنشهد عليه أنه مريض ، فجاء واحد منهم فقال : أراك ضعيفاً جداً وأظنك ستحم ، فلو مضيت إلى منزلك واسترحت ، فقال لأحدهم : يا فلان ، يزعم فلان أني عليل ، فقال : صدق الله وهل يخفى هذا على جميع الغلمان إن سألتهم أخبروك ، فسألهم فشهدوا ، فقال لهم : انصرفوا اليوم وتعالوا غداً .

ضرب معلم غلاماً ، فقيل : لم تضربه؟ فقال : إنما أضربه قبل أن يذنب لئلا يذنب .

الجاحظ والمعلم

قيل : إن معلماً جاء إلى الجاحظ فقال : أنت الذي صنعت كتاب المعلمين تعيبهم؟ قال : نعم ، قال : وذكرت فيه بعض المعلمين جاء إلى الصياد وقال : إيش تصطاد طرياً أم مالحاً؟ قال : نعم ، قال : ذلك أبله ولو كان فيه ذكاء كان يقف فينظر أن خرج طري علم أو خرج مالح علم .

المعلم والصبيان يتصافعون

قال الجاحظ : مررت بمعلم وصبيانه يتصافعون وبعضهم يصفع المعلم فقلت لهم : ما هذا؟ قال : يكون لي عليهم دين ، فقلت له : ينسى ويقضى لا أراه يحصل شيئاً .

لماذا يشتم المعلم

قال أبو العنبس : كان ببغداد معلم يشتم الصبيان ، فدخلت عليه وشيخ معي ، فقلنا : لا يحل لك ، فقال : ما أشتم إلا من يستحق الشتم ، فاحضروا حتى تسمعوا ما أنا فيه ، فحضرنا يوماً فقرأ صبي عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون فقال : ليس هؤلاء ملائكة ولا أعراب ولا أكراد . فضحكنا حتى بال أحدنا في سراويله .

وقرأ عليه آخر وهم الذين يقولون لا تنفقوا إلا من عند رسول الله فقال : يا ابن الفاعلة أتلزم النبي بنفقة مال لا تجب عليه؟

شرط بين المعلم والصبيان

قال بعضهم : مررت بمعلم الصبيان ، يضربونه وينتفون لحيته ، فتقدمت لأخلصه فمنعني وقال : دعهم ، بيني وبينهم شرط ، إن سبقتهم إلى الكتاب ضربتهم ، وإن سبقوني ضربوني ، واليوم غلبني النوم فتأخرت ولكن وحياتك إلا بكرت غداً من نصف الليل وتنظر فعلي بهم ، فالتفت إليه صبي وقال : أنا أبات الليلة ها هنا حتى تجيء وأصفعك .

المعلم حل المعضلة

عن أبي الفتح محمد بن أحمد الحريمي قال : كان عندنا بخراسان إنسان قروي فكان له عجل ، فدخل داره وأدخل رأسه في جب الماء ليشرب ، فبقي رأسه في الجب فجعل يعالج رأسه ليخرجه من الجب فلم يقدر ، فاستحضر معلم القرية فقال : قد وقعت واقعة ، قال : فما هي؟ فأحضره وأراه العجل فقال : أنا أخلصك أعطني سكيناً . فذبح العجل فوقع رأسه في الجب وأخذ حجراً وكسر الجب ، فقال القروي : بارك الله فيك قتلت العجل وكسرت الجب .

لماذا أقرأ الكسائي بالري؟

عن الكسائي قال : كان الذي دعاني أن أقرأت بالري أني مررت بمعلم صبيان يقرأ ذواتى أكل خمط وأتل بالتاء فتجاوزته فإذا معلم آخر قد ذكرت له ذلك فقال : أخطأ ، الصواب وابل فدعاني إني أقرأت الصبيان .

أبلغ من العصا

قال الجاحظ : قلت لبعض المعلمين : ما لي لا أرى لك عصا؟ قال : لا أحتاج إليها ، إنما أقول لمن يرفع صوته أمه زانية فيرفعون أصواتهم وهذا أبلغ من العصاة وأسلم .

معرفة المؤدب بالقراء عجيبة

وقد روي أن الشعبي قال : سمعت أبا بكر يقول : مررت بمؤدبٍ وقد تلا على غلام فريق في الجنة وفريق السعير فقلت : ما قال الله من هذا شيئاً ، إنما هو «فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير» فقال : أنت تقرأ على حرف أبي عاصم بن علاء الكسائي ، وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم المدني ، قلت : معرفتك بالقراء أعجب وأغرب .

حيلة المعلم للإمساك بتلميذه

قال : حدثنا محمد بن خلف قال : قال بعض المجان : مررت ببعض دور الملوك ، فإذا أنا بمعلم خلف ستر قائم على أربعة ينبح نبح الكلاب ، فنظرت إليه فإذا صبي خرج من خلف الستر ، فقبض عليه المعلم ، فقلت للمعلم : عرفني خبرك ، قال : نعم ، هذا صبي يبغض التأديب ويفر ، ويدخل إلى الداخل ولا يخرج ، وإذا طلبته بكى ، وله كلب يلعب به فأنبح له فيظن أني كلبه ويخرج إليه فآخذه .

يبكي على خبزه

قال الجاحظ : من أعجب ما رأيت معلما بالكوفة وهو شيخ جالس ناحية الصبيان يبكي ، فقلت له : يا عم ، م تبكي فقال : سرق الصبيان خبزي!! .

الضرب قبل الذنب

وضرب معلما غلاما فقيل له لم تضربه ولم يذنب؟ فقال المعلم : إنما أضربه قبل أن يذنب لئلا يذنب!! .

التعلم على قدر الأجر

قال الجاحظ : مررت بمعلم وقد كتب لغلام : «وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ، يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك ، فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا» . فقلت له ويحك فقد أدخلت سورة في سورة قال المعلم نعم ، إذا كان أبوه (أبو الغلام) يدخل شهرا في شهر (يعني أن الأب لا يدفع له أجره عن كل شهر وربما دفع عن الشهرين أجر شهر واحد) فأنا أيضا أدخل سورة في سورة فلا آخذ شيئا ولا ابنه يأخذ شيئا

حضور الدرس

قال أبو العنبس[(١)] : كان ببغداد معلم يشتم الصبيان ، فدخلت عليه وشيخ معي ، فقلنا : لا يحل لك أن تشتم الصبيان ، فقال المعلم لا أشتم إلا من يستحق الشتم ، فأحضروا حتى تسمعوا وترو ما أنا فيه ، فحضرنا يوما ، فقرأ صبي : «عليها ملائكة غلا ظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون» فقال المعلم : ليس هؤلاء ملائكة ولا أعراب ولا أكراد ، قال أبو العنبس : فضحكنا حتى بال أحدنا في سرواله .

يتشبه بكلب الصبي ليسكته

قال : حدثنا محمد بن خلف[(٢)] قال : قال بعض المجان : مررت ببعض دور الملوك فإذا أنا بمعلم خلف ستر قائم على أربعة ينبح نبح الكلاب فنظرت إليه فإذا صبي خرج من خلف الستر فقبض عليه المعلم فقلت للمعلم : عرفني خبرك قال : نعم هذا صبي يبغض التأديب ويفر ويدخل إلى الداخل ولا يخرج وإذا طلبته بكى وله كلب يلعب به فأنبح له فيظن أني كلبه ويخرج إليه فآخذه .

---

(١) حجر بن العَنْبَس : ويقال له ابن قَيْس . يكنى أبا السّكن ، ويقال أبو العَنْبَس الحضرمي الكوفي . ذكره الطَّبَرَانِيّ في الصّحابة وابن حِبّان في ثقات التابعين .

(٢) أبوبكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي ,الملقب بـ«وكيع» (المتوفى سنة ٣٠٦هـ) .

الجاحظ ومعلم أحمق

حُكي عن الجاحظ انه قال : ألفت كتاباً في نوادر المعلمين وماهم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت تقطيع الكتاب ، ودخلت يوماً مدينة فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد علي أحسن رد ورحب بي ، فجلست عنده وباحثته في القرآن الكريم فإذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فإذا هو كامل الآداب فقلت : هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب . قال : فكنت أختلف إليه وأزوره فجئت يوماً لزيارته فإذا بالكُتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل : مات له ميت ، فحزن عليه ، وجلس في بيته للعزاء ؛ فذهبت إلي بيته وطرقت الباب ، فخرجت إلى جارية وقالت : ما تريد ؟

فقلت : سيدك .

فدخلت وخرجت وقالت : باسم الله .

فدخلت إليه وإذا به جالس ، فقلت : عظم الله أجرك . لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، وكل نفس ذائقة الموت ، فعليك بالصبر . ثم قلت له : هذا الذي توفى ولدك؟

قال : لا

قلت : فوالدك؟

قال : لا

قلت : فأخوك؟

قال : لا

قلت : فزوجتك

قال : لا

فقلت : وما هو منك؟

قال : حبيبتي

فقلت في نفسي : هذا أول المناحس

فقلت : سبحان الله ، النساء كثير ، وستجد غيرها

فقال : أتظن إني رايتها؟

فقلت : وهذه منحسة ثانية

ثم قلت : وكيف عشقت من لم تر؟

فـقـال : اعلم إنـي كنت جـالسـاً في هذا المكان وأنا انظر من الطاق[١] إذ رأيت رجلاً عليه برد وهو يقول :

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردي علي فؤادي أينما كان
لا تأخذين فؤادي تلعبين به
فكيف يلعب بالإنسان إنسانا

فقلت في نفسي : لولا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها . فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول :

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت إنها ماتت ، فحزنت وأغلقت الكُتّاب وجلست في الدار .

فقلت : يا هذا إني كنت ألفت كتاباً في نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه ، والآن قويت عزمي على إبقائه وأول ما أبدأ بك إن شاء الله تعالى .

معلم آخر

قيل : أن معلماً جاء إلى الجاحظ فقال : أنت الذي صنعت كتاب المعلمين تعيبهم قال : نعم قال : وذكرت فيه بعض المعلمين جاء إلى الصياد وقال : إيش تصطاد طرياً أم مالحاً قال : نعم قال : ذلك أبله ولو كان فيه ذكاء كان يقف فينظر أن خرج طري علم أو خرج مالح علم .

البائع أدرى

قالت امرأة لمعلم : إذا كان مكوكُ دقيق بدهم ، كم يكون منه بربع درهم؟ فتحير ، ثم قال : ممن اشتريتِ؟ قالت : من فلان الدقاق . قال : اقنعي بما يعطيك ، فإنه ثقة!

(١) النافذة .

أنواع العصي

قال الجاحظ[١] مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندي صغار أوباش فأقول لأحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرسة فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فأضع الكرة في الصولجان وأضربه فأشجه فتقوم إلي الصغار كلهم بالألواح فأجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون إلي ويخلصوني منهم .

الصبيان والمعلم

قال الجاحظ رأيت معلما في الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب أن أراهم فقال أشير عليك بذلك فقلت لا بد قال فإذا جئت إلى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى .

أخبار المؤدبين

كان عبد الملك بن مروان[٢] يقول لمؤدب ولده : علمهم العوم ، وهذبهم بقلة النوم .

وإنما قيل لهم المؤدبون تمييزًا لهم من المعلمين الذي اختصوا بإقراء صبيان العامة في الكتاتيب ، فإن هؤلاء لم يكن يطلق على أحدهم إلا لقب المعلم ، وقد جعلوهم مثلًا في الحمق حتى قالوا : «الحمق في الحاكة والمعلمين والغزالين» ثم جعلوا الحاكة والغزالين أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى ؛ لأن الأحمق هو الذي يتكلم بالصواب الجيد ثم يجيء بخطأ فاحش ، وليس عند هؤلاء صواب جيد في مقال ولا فعال ، فبقي الحمق في عرفهم خاصا بالمعلمين .

---

(١) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها .

(٢) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

أما المؤدبون فهم الذين ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة أو أولاد الملوك المرشحين للخلافة ، وأخذهم بفنون الآداب : كالخبر والشعر والعربية ونحوها ، ولذا كانوا يسمونها «علوم المؤدبين» .

قال الجاحظ : مر رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد[1] وهو يقرأ كتاب سيبويه ، فقال : أف لكم! علم المؤدبين وهمة المحتاجين .

على أن المؤدبين كانوا عندهم على ضربين : أصحاب العلوم ، وأصحاب البيان وكانوا يخصون هؤلاء بالأثرة ، قال ابن عتاب[2] : «يكون الرجل نحويا عروضيا ، وقسامًا فرضيًا ، وحسن الكتابة جيد الحساب ، حافظًا للقرآن راوية للشعر ، وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهمًا ، ولو أن رجلًا كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم» . ومن ثم اختص مشاهير العلماء والرواة بتأديب أولاد الخلفاء والأمراء .

مؤدب ولدي المأمون[3]

والفراء[4] كان يؤدب ولدى المأمون ، وقيل إنه نهض يومًا لبعض حوائجه فابتدرا إلى نعله ليقدماها له ، فتنازعا أيهما يقدمها ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل منهما واحدة ، ورفع ذلك إلى المأمون فاستدعاه ، فلما دخل عليه قال له : من أعز الناس؟ قال : لا أعرف أحدًا أعز من أمير المؤمنين! فقال المأمون : بل من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فردًا! فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد أردت منعهما عن ذلك ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة

(١) عتاب بن أسيد صحابي جليل جعله النبي محمد واليا على مكة .

(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن الأندلسي القرطبي ، فقيه مالكي ، شارك بالقراءات والتفسير واللغة .

(٣) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ، ولد عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ وتوفي غازيا في ١٩ رجب عام ٢١٨ هـ ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣ بطرسوس ، شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول وذلك لأنه شارك فيها بنفسه .

(٤) الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي ، مولى بني أسد ، المعروف بالفراء ، وهو لقبه «لأنه كان يفري الكلام» أي : يصلحه .

سبقا إليها ، أو أكسر نفسيهما عن شريفة حرصا عليها .

وفي رواية أخرى أن الحادثة للكسائي[1] مع ولدي الرشيد وقيل أن هارون الرشيد سأله يومًا وكان الكسائي مؤدب الأمين والمأمون ابني الرشيد سأله قائلا : من أسعد الناس؟ فقال الكسائي : أسعد الناس أمير المؤمنين ، فقال الرشيد : بل أسعد الناس من استبق ابنا أمير المؤمنين إلى نعله ليلبسانه إياه وكان الرشيد قد رأى ابنيه يستبقان أيهما يلبس الكسائي نعله أولا .

وَعَن ابْن مَسْرُوْق[2] : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ عَاصم ، قَالَ الكسَائِيُّ : صَلَّيْتُ بالرَّشيْد ، فَأَخْطَأْتُ في آيَة ، مَا أَخْطَأَ فيْهَا صَبيٌّ ، قُلْتُ : لَعَلَّهُمْ يَرْجِعِيْنَ ، فَوَالله مَا اجْتَرَأَ الرَّشيْدُ أَنْ يَقُوْلَ : أَخْطَأْتَ ، لَكنْ قَالَ : أَيُّ لُغَة هَذه؟

قُلْتُ : يَا أَميْرَ المُؤْمنيْنَ! قَدْ يَعْثُرُ الجَوَادُ .

قَالَ : أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ .

وكان الكسائي عند الرشيد بمنزلة رفيعة ؛ سار معه إلى الري فمرض ومات بقرية رنبويه ، ثم مات مع الرشيد محمد بن الحسن الفقية صاحب أبي حنيفة فقال الرشيد لما رجع إلى العراق : «اليوم» دفنت الفقه والنحو برنبويه .

---

(١) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء ، الكوفي ، أبو الحسن الكسائي : إمام في اللغة والنحو والقراءة . من أهل الكوفة . ولد في إحدى قراها . وتعلم بها . وقرأ النحو بعد الكِبَر ، وتنقل في البادية ، وسكن بغداد ، وتوفي بالري ، عن سبعين عامًا . وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين . قال الجاحظ : كان أثيرًا عند الخليفة ، حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين . أصله من أولاد الفرس . وأخباره مع علماء الأدب في عصره كثيرة . له تصانيف ، منها «معاني القرآن» و«المصادر» و«الحروف» و«القراآت» و«نوادر» ومختصر في «النحو» و«المتشابه في القرآن خ» رسالة في شستربتي (٣١٦٥) و«ما يلحن فيه العوام» صغير في ١٦ صفحة نشر في المجلة الأشورية ببرلين . خرج إلى البصرة وجالس الخليل بن أحمد .

(٢) الشيخ ، الزاهد ، الجليل ، الإمام أبو العباس ، أحمد بن محمد بن مسروق البغدادي ، شيخ الصوفية .

وقال ياقوت[1] : كان رجلا من الجند من رجال النوبة على باب الرشيد ، وكان يحب العربية ، ولا يقدر يجالس الكسائي إلا في أيام غير نوبته ، وكان يرصده في طريقه إلى الرشيد كل يوم ؛ فإذا أقبل تلقاه ، وأخذ بركابه وماشاه ؛ وسأله المسألة بعد المسألة إلى أن يبلغ الكسائي إلى الستر ، فيرجع الأحمر إلى مكانه ؛ فإذا خرج الكسائي فعل به ذلك ، حتى قوي وتمكن ؛ وكان فطناً حريصاً ، فلما أصاب الكسائي الوضح -البرص- ، كره الرشيد ملازمته أولاده ؛ فأمر أن يختار لهم من ينوب عنه ممن يرضاه ؛ وقال له : إنك كبرت ولسنا نقطع راتبك ؛ فدافعهم خوفا أن يأتيهم برجل يغلب على موضعه ؛ إلى أن ضيق الأمر عليه ، وشدد ؛ وقيل له : إن لم تأت برجل من أصحابك ، اخترنا نحن لهم من يصلح ؛ وكان بلغه أن سيبويه يريد الشخوص إلى بغداد والأخفش ، فقلق لذلك ، وعزم على أن يدخل عليهم من لا يخشى غائلته ، فقال للأحمر : هل فيك خير؟ قال : نعم ، قال : قد عزمت على أن أستخلفك على أولاد الرشيد ، فقال الأحمر : لعلي لا أفي بما يحتاجون إليه! فقال الكسائي : إنما يحتاجون كل يوم إلى مسألتين في النحو ، وبيتين من معاني الشعر ، وأحرف من اللغة ، وأنا ألقنك كل يوم قبل أن تأتيهم فتحفظه ، وتعلمهم ، فقال : نعم . فقال لهم : قد وجدت من أرضاه ؛ وإنما أخرت ذلك حتى وجدته – وسماه لهم – فقالوا له : إنما اخترت رجلاً من رجال النوبة ، ولم تأت بأحد متقدم في العلم ، فقال : ما أعرف في أصحابي أحدا مثله في الفهم والصيانة ، ولست أرضى لكم غيره . فأدخل الأحمر إلى الدار ، وفرش له البيت الذي يعلم فيه بفرش حسن – وكان الخلفاء إذا أدخلوا مؤدباً إلى أولادهم فجلس أول يوم أمروا بعد قيامه بحمل كل ما في المجلس إلى منزله – فلما أراد الأحمر الانصراف ، دعي له بحمالين ، فقال الأحمر : والله ما يسع بيتي هذا ، وما لنا إلا غرفة ضيقة ، وإنما يصلح هذا لمن له دار وأهل ، فأمر بشراء دار له ، وجارية وغلام ودابة ، وأقيم له راتب فجعل يختلف إلى الكسائي كل عشية ، فيتلقن ما يحتاج فيه أولاد الرشيد ، ويغدو عليهم فيلقنهم ، ويأتيهم الكسائي في الشهر مرة أو مرتين ، فيعرضون عليه بحضرة الرشيد ما علمهم الأحمر ، فيرضاه فلم يزل الأحمر

---

(١) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (٥٧٤ – ٦٢٦ هـ) أديب ومؤلف موسوعات وخطّاط من أصل رومي اشتغل بالعلم وأكثر من دراسة الأدب ، وقد سمى نفسه (عبد الرحمن) . وأهم مؤلفات ياقوت الحموي كتاب (معجم البلدان) الذي ترجم وطبع عدة مرات .

كذلك حتى صار نحويا ، وجلت حاله ، وعرف بالأدب حتى قدم على سائر أصحاب الكسائي .

وقال خلف الأحمر(١) : بعث إليَّ الرشيدُ في تأديب ولده محمد الأمين ، فقال : «يا أحمرُ ، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ؛ فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين : أَقْرِئْهُ القرآن ، وعرِّفه الأخبار ، وروِّه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصِّرْه بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه . ولا تَمُرَّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميتَ ذهنه . ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألَفه . وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإنْ أباهما فعليك بالشدة والغلظة» .

الرشيد والضرير

وأكل معاوية الضرير(٢) طعاماً مع الرشيد(٣) فلما قام ليغسل يديه تناول الرشيد الإبريق وصب عليهما الماء وقال له أتعلم من يصب الماء علي يديك قال لا قال أنا قال أنت يا أمير المؤمنين قال نعم إجلالاً للعلم .

درس في الجوع والظلم

استدعى هارون الرشيد مؤدباً ظريفاً

فلما مثل بين يديه قال له : اخترتك أن تكون معلماً لابني المأمون

(١) أبو محرز خلف بن حيان من علماء البصرة في اللغة والنحو . مولى بلال بن أبي بردة ، حمل عنه ديوانه أبو نواس ، وتوفي في حدود سنة ١٨٠ هـ . وكان راوية ثقة علاّمة .

(٢) أبو معاوية محمد بن خازم مولى بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، الإمام الحافظ الحجة أبو معاوية السعدي الكوفي الضرير ، أحد الأعلام .

(٣) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين .حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م .ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

فأخذ المؤدب المأمون وحبسه يوماً بلا طعام ولا شراب
فلما حل المساء جاء المأمون يبكي وحكى للرشيد ما فعله به المؤدب
فاستدعاه وسأله بغضب : ماذا فعلت بالأمير؟
فقال المؤدب : علمته ما يلزم
فقال الرشيد : كيف وقد أجعته وحبسته بلا ذنب
فقال المؤدب : حقاً كان درسا قاسيا أرجو أن يكون قد تعلمه ،
حتى إذا صار ملكاً وشكا إليه أحد الجوع والفقر عرف معنى شكواه ،
أو سجن عن ظلم أخذته الرأفة به ، لأنه عرف معنى أن يسجن إنسان بلا ذنب

تفضيل بثّ العلم ووجوبه

قال النبي ﷺ : من علم علما فكتمه ألجمه الله تعالى بلجام من نار يوم القيامة .

وقال الحسن (رحمه الله) : زكاة العلم تعلّمه .

أتى رجل الزهريّ[1] ليحدثه فأبى ، فقال : إن الله تعالى لم يأخذ الميثاق على الجهال أن يتعلموا حتى أخذه على العلماء أن يعلموا .

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ .

وقيل : ما يتصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره . وأتى طالب علم باب عالم فقال : أعطني مما أعطاك الله ، فأمر له بدراهم ، فقال : أنا طالب هدى لا طالب ندى ، فعلم أوضح لبسا خير من مال أغنى نفسا .

---

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الزهري أبو بكر المدني ، سكن الشام . ولد سنة ثمان وخمسين بعد الهجرة ، في آخر خلافة معاوية ، وهى السنة التي ماتت فيها عائشة زوجة الرسول محمد . ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة ، أسند الزهري أكثر من ألف حديث عن الثقات ومجموع أحاديث الزهري كلها ٢٢٠٠ حديث .

فضل المعلّم والمتعلّم معا

قال النبي ﷺ : لا خير فيمن كان من أمّتي ليس بعالم ولا متعلّم . وقيل : الناس عالم ومتعلّم وما سواهما همج .

وجوب تعظيم المعلّم

قيل : للإسكندر(١) أنك تعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك فقال لأن أبي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب الحياة الباقية . وقال النبي ﷺ : لا يقام لأحد إلا لذي علم أو لذي سن أو لذي سلطان . وقيل : لا يستخف أحد بمن تعلم منه علما إلا وضيع خامل أو رفيع جاهل .

وعن بعض العلماء لا يتحركن ثلاثة لأحد القاضي في يوم مجلسه والكاتب في وقت أمره ونهيه والمؤدب في مكتبة .

وجوب تعظيم المتعلّم

قال النبي ﷺ : وقّروا من تتعلمون منه ، ووقّروا من تعلّمونه .

قال أبو العالية : ولا تصعّر خدّك للناس : أي ليكن الفقير والغنيّ عندك سواء في تعلّم العلم .

اختيار التلامذة وحثّ كلّ إلى تعلّم ما يليق به

سأل أفلاطون(٢) بعض تلامذته عن مسألة لم تكن تليق بحاله ، فقال : لست من أهلها فلكل تربة غرس ولكل بناء أس .

---

(١) الإسكندر الثالث المقدوني ، المعروف بأسماء عديدة أخرى أبرزها : الإسكندر الأكبر ، والإسكندر الكبير ، والإسكندر المقدوني ، والإسكندر ذو القرنين ، هو أحد ملوك مقدونيا الإغريق ، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ .

(٢) أفلاطون ويعني اسمه : «واسع الأفق» فيلسوف يوناني كلاسيكي ، رياضياتي ، كاتب عدد من الحوارات الفلسفية ، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي ، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو ، وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم ، كان تلميذاً لسقراط ، وتأثر بأفكاره كما تأثر بإعدامه الظالم .

وقيل : تصفح طلاب علمك كما تتصفح خطاب حرمك .

وكان يونس يختلف إلى الخليل يتعلم منه العروض فصعب عليه تعلّمه ، فقال له الخليل يوما : من أي بحر قول الشاعر :

إذا لم تستطع شيئا فدعه . . . وجاوزه إلى ما تستطيع

ففطن يونس لما عناه الخليل فترك العروض .

وقيل اختر كل إنسان للفنّ الذي يستطيبه ، فبقدر شهوته يكون نفاذه فيه .

منع العلم عن غير أهله

قال المسيح عليه السلام : لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم . وكن كالطبيب الحاذق يضع دواءه حيث يعلم أنه ينتفع به .

وفي بعض الكتب يا بني إسرائيل لا تطرحوا الدرّ بين أيدي الخنازير فتطؤه وهي لا تعرفه .

وقال الإمام الشافعي[1] (رضي الله عنه) :

ومن منح الجهّال علما أضاعه . . . ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقيل : ما كلّ تربية تحتمل القلائد ، ولا كلّ ضريبة تستحقّ الفوائد .

النّهي عن تعليم الأوغاد ، وذمّهم إذا تعلّموا

قالت الحكماء : لا تعلمنّ الدنيء علما فيستفيده منك ، ويصير به عدوا لك . فلأن يتضع ألف من عليّين أولى من أن يرتفع دنيء واحد .

وقيل لبعضهم : أي علم أضر؟ فقال : ما يفاد الأوغاد . وقيل لأبي سنان : تموت وتدخل علمك معك القبر ، فقال : ذاك أحبّ إليّ من أن اجعله في إناء سوء .

ورأى حكيم رجلا يعلم دنيئا علما فقال له : أتسقي سهما ترمى به يوما .

(١) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلِبيّ القرشيّ هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي ، ومؤسس علم أصول الفقه ، وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث ، وقد عمل قاضياً فعُرف بالعدل والذكاء .

وقال دعبل(١) في أبي تمّام(٢) :

إن عابني لم يعب إلا مؤدّبه   فنفسه عاب لمّا عاب آدابه
وكان كالكلب أضراه مكلبه   كيما يصيد له فاصطاد كلابه

وقال آخر :

أعلّمه الرماية كلّ يوم   فلمّا اشتدّ ساعده رماني
وكم علّمته نظم القوافي   فلمّا قال قافية هجاني

وقال سقراط : من لم يصبر على تعلّم العلم وتعبه صبر على شقاء الجهل .

وقال بعضهم : تعلّموا الأدب وإن لم ينلكم حظّ من الدنيا ، فلأن يذم فيكم الزمان أحسن من أن يذم بكم .

دنيء استفاد علما فازداد به شرا

قال البديهي(٣) ، وقد أجاد :

إذا ما اقتنى العلم ذو شرة   تضاعف ما ذمّ من مخبره
وصادف من علمه قوّة   يصول بها الشرّ في جوهره
وصار عدوّا لإخوانه   وسيفا حساما على معشره

فضل تعليم الأولاد

يروى عن النبي ﷺ : ما منح والد والدا أفضل من أدب حسن . وكانت

(١) دعبل الخزاعي اسمه محمد بن علي بن رزين ، من مشاهير شعراء العصر العباسي . اشتهر بتشيعه لآل علي بن أبي طالب وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين .

(٢) أَبو تَمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أحد أمراء البيان ، ولد بجاسم ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها .

(٣) البديهي : أبو الحسن علي بن محمد البديهي . من شهرزور . مات سنة ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م . من شعراء الصاحب بن عباد . له قوله :

يا شهرزور سقيت الغيث من بلد   نودّ وجداً به أنا نقابله
طال الفراق فلا وافٍ يراسلنا   على العباد ولا آتٍ نسائله

اليونانية تورث الأبناء الأدب والبنات النسب . وقيل من أدب ولده صغيرا قرّت به عينه كبيرا .

وقيل : من أدب ولده أرغم حاسده . حكى أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية يقول لهم : ما أشدّ ما مر بكم في هذا الحبس؟ فقالوا ما فقدنا من تأديب أولادنا .

وقيل : لا يحبّ الأب ابنه حتى ينغضه على ترك الأدب .

فضل التعلّم في الصّغر

قيل : بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال . وسمع الحسن رجلا يقول : التعلم في الصغر كالنقش في الحجر فقال الكبير أوفر عقلا منه لكنه أشغل قلبا .

وقيل : من لم يتعلّم في الصّغر هان في حال الكبر .

وقال الشاعر :

هل الحفظ إلا للصبيّ فذو النّهى ... يمارس أشغالا تشرد بالذّكر

فضل التعلّم في الكبر

قيل لأنوشروان[١] : أيحسن بالشيخ أن يتعلّم؟ قال : إن كانت الجهالة تقبح منه فالتعلم يحسن به ، فقيل : وإلى متى يحسن منه؟ فقال : ما حسنت به الحياة .

وقيل : لحكيم ما حدّ التعلم فقال حدّ الحياة ، أي يجب له أن يتعلم ما دام حيا .

وقال شيخ للمأمون : أقبيح بي أن أستفهم؟ فقال : بل قبيح بك أن تستبهم .

الأحوال التي تحصل بها العلوم

قيل : لا يصير الإنسان عالما إلا بخمس غريزة محتملة للعلم ، وعناية تامّة وكفاية قائمة ، واستنباط لطيف ، ومعلم فصيح .

وقيل : لا تستطيع أن تعي العلوم السنيّة ، حتى تمحو من ذهنك الأمور الدنيّة .

---

(١) كسرى الأول معروف أيضا باسم أنوشيروان العادل روح الخالدة واسمه كسرى أنو شروان بن قباذ بن يزدجرد بن بهرام جور .

الأوقات المناسبة للدّرس

قيل : انظروا في العلم بالليل ، فالقلب بالنهار طائر وبالليل ساكر ، أي ساكن .

وقيل لبعضهم : لم اخترت الغدوة للدرس؟ فقال : لأن العقل أجمّ لقرب عهده بالصمت ، وبعد جوارحه من المعاصي .

من سهل عليه التعلّم

قيل : إذا كانت الطبيعة نقيّة ، اكتفت بالأذكار ، وغنيت عن التكرار .

وقيل : فلان يكتفي باللحظ ويستغني عن اللفظ .

من عسر عليه التعلّم

قال الله تعالى : لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا .

وقال بعض الحكماء : صقلك سيفا ليس له جوهر من سنخه خطأ ، وحملك الصعب المسنّ على الرياضة عناء ، وبثّك الحبّ في أرض سبخة ترجو نباتها جهل .

وقال أبو تمام :

السيف ما لم يلف منه صيقل ... من سنخه لم ينتفع بصقال

وقال الخليل[1] (رحمه الله) لبليد : ما أجد لقفل بلادتك مفتاحا .

تعسّر تعلّم الكبار

نظر رجل إلى فيلسوف يؤدب شيخا فقال : ما تصنع؟ قال : اغسل مسبحا لعله يبيض .

قال :

ومن العناء رياضة الهرم

وقال آخر :

أدب الكبير من التعب ... كبر الكبير عن الأدب

---

(١) الخَلِيل بن أحمد ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي ، أبو عبد الرحمن : من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها . ودرس لدى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو أيضا أستاذ سيبويه النحويّ .

وقال آخر :

إن الرياضة لا تجدي لدى الشّيب

وأسلم بعض الولاة هرما إلى كتاب ليتعلم شيئا من القرآن ، وكان إذا تعلّم شيئا نسي ما قبله ، فوجه إليه أن ابعث إليّ من يتسلم منّي ما أحفظه ، أوّلا فأوّلا .

من يعلّم من هو أعلم منه

قيل : كمستبضع التمر إلى هجر ، وكمعلمة أمها البضاع .

وقيل : تعلّمني بضبّ أنا حرّشته ، وقيل : فلان يقرأ سورة يوسف على يعقوب عليهما السلام .

وقال المتنبي[(١)] :

فأجرك الإله على عليل . . . بعثت إلى المسيح به طبيبا

ويقال : أنا منه كحاقن الإهالة إذا كنت عارفا به .

الحثّ على الحفظ دون الاعتماد على الكتب

قيل : إذا فقد العالم الذهن قلّ على الأضداد احتجاجه وكثر إلى الكتب احتياجه .

وقيل : لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمر بك النّادي .

وقال محمد بن بشير[(٢)] :

ليس بعلم ما يعي القمطر ... ما العلم إلا ما وعاه الصّدر

---

(١) أبو الطيب المتنبي هو أحمدُ بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي المولد ، نسب إلى قبيلة كندة نتيجة لولادته بحي تلك القبيلة في الكوفة لانتمائه لهم .

(٢) محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان . والخارجي نسبة إلى خارجة عدوان ، وعدوان لقب لعمرو بن قيس . شاعر أموي عاش في المدينة المنورة في مكان يسمى الروحاء . في شعره متانه وفصاحة ، وكان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن زمعة القرشي ولم يتصل الشاعر بالخلفاء وإنما اكتفى ببعض المتنفذين الذين كانوا يكفونه مؤونته ولم يمدح في شعره إلا زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ورثى سليمان بن الحصين وكان خليله وقد جزع عليه عند موته جزعاً شديداً .

وله أيضا :

إذا لـــم تكـــن حافظـــا واعـــيا فجمعـــك للكتـــب لا ينفـــع

وقال آخر :

غـــدوت بتشميـــر وجـــدّ عليهـــم فمحبرتـــي سمعـــي ودفترها قلبي

ضبط العلم بالكتابة

قيل : قيّدوا العلم بالكتابة ، وقال سقراط : ما بنته الأقلام لم تطمع في دروسه الأيام .

وقيل : العلم يندّ فاجعلوا الكتب له حماة والأقلام عليها رعاة . العلم عقود فاجعلوا الكتب لها نظاما .

وقيل : اكتبوا ما تسمعونه من الحكم ولو في بياض النواظر بأطراف الخناجر .

قال أعرابي في رجل يكتب كل ما يسمع : أنت حتف الكلمة الشّرود

وقال آخر :

ما أنت إلا الحفظة . . . تكتب لفظ اللفظة

قال الأصمعي : قال لي أعرابي رآني أكتب ما أسمع وأستحسن لا تدع شيئا إلا نمصته أي نتفته .

السؤال عمّا يجهل

يروى عن النبي ﷺ أنه قال : العلم خزانة مفتاحها السؤال .

وقال أنس : السؤال يعمر العلم .

وقيل : لا تسل رياء ولا تتركه حياء .

وقيل : سل سؤال الحمقى واحفظ حفظ الأكياس .

وقيل لدغفل : بم أدركت هذا العلم؟ فقال بلسان سؤول وقلب عقول .

وقال الشاعر :

شفـــاء العمـــى طـــول السؤال وإنّما تمام العمى طول السكوت على الجهل

الحثّ على الأخذ من الصّغير والكبير

قال النبي ﷺ : الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها قيّدها .

وقيل : خذ الحكمة ممّن تسمعها منه ، فرب رمية من غير رام وحكمة من غير حكم .

وقيل : لا يمنعنّك ضعة القائل عن الاستماع إليه ، فربّ فم كريه مجّ علما ذكيا وتبر صاف في صخر جاس .

وسمع الكنديّ[١] كلمة من مخنّث فكتبها ، فلاموه على ذلك فقال : ربّ لسان خنث نتج لفظا فحلا ، والجوهرة النفيسة لا يشينها سخافة غائصها ولا دناءة بائعها .

وقال بزرجمهر[٢] : أخذت من كل شيء أحسن ما فيه حتّى من الكلب ذبّه عن حريمه ومن الخنزير بكوره في مقاصده . وقال ابن السكيت لرجل : أتراك أحطت بما لم أحط به ، فقال وما أنكرت . وقد قال الهدهد- وهو أخس الطيور- لسليمان : أحطت بما لم تحط به .

مدح من يقول لا أدري

سئل الشعبي[٣] عن مسألة فقال : لا أدري . فقيل : ألا تستحي من قولك هذا وأنت فقيه العراقيين؟ فقال : إن الملائكة لم تستحي إذ قالت سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا .

وقيل لأبي عمرو : ومثله ، فقال : أقبح من هذا أن أقول فأخطئ وأروي فلا أروي .

---

(١) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥ هـ/٨٠٥ - ٢٥٦ هـ/٨٧٣) علاّمة عربي مسلم ، برع في الفلك والفلسفة والكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والموسيقى وعلم النفس والمنطق الذي كان يعرف بعلم الكلام ، ويعد الكندي أول الفلاسفة المتجولين المسلمين ، كما اشتهر بجهوده في تعريف العرب والمسلمين بالفلسفة اليونانية القديمة والهلنستية .

(٢) بزرجمهر بن البختكان كان وزيرا لأنوشيروان . وكان هو رجلا حكما عالما وقد ذكر اسمه في بعض الأعمال الهامة في الأدب الفارسي ، وعلى الأخص في الشاهنامة . تنسب إليه الكثير من الحكم والأمثال .

(٣) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، والمشهور بـ الإمام الشعبي ٢١ هـ/١٠٠ هـ ، تابعي وفقيه ومحدث من السلف ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب .

وقال شاعر :

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده أطال فأملى أم تناهى فقصّرا

وقال الحسين[1] (رضي الله عنه) : لو أن العالم كلّ ما قال أحسن وأصاب ، لأوشك أن يجنّ من العجب ، وإنما العالم من يكثر صوابه .

وقال بعض الفقهاء : العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة قائمة ، ولا أدري فيقتضي اجتهادا .

ذمّ من يقول ذلك

سئل رجل عن شيء ، فقال : لا أدري ، ولا أدري نصف العلم فقيل له : لكنه النصف الأخس .

وقال آخر : مثل ذلك فقيل له : فقله مرتين تحز العلم كله . وقال آخر ذلك فقيل له : لكن أبوك بالنصف الآخر تقدم .

صعوبة جانب العلم

قال الخليل (رحمة الله عليه) : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلّك ، ثم أنت في إعطائه إياك بعضه مع إعطائك إياه كلّك على خطر .

وقيل : لا يتأدّب الرجل حتّى يتجنب الفراش الوطيء والدثار الدفيء . وقيل : لا يدرك العلم من لا يطيل درسه ، ولا يكدّ نفسه . وقيل لبعض العلماء : ذللت طالبا فعززت مطلوبا ، فقال : من ذلّ طلبه عزّ أدبه .

وقال أرسطاطاليس[2] : طالب العلم كالغائص في البحر ، لا يصل إلى الجواهر الكريمة إلا بالمخاطرة العظيمة .

---

(١) الحُسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي سبط النبي محمد رسول الإسلام وحفيده ويلقب بسيد شباب أهل الجنة ، خامس أصحاب الكساء ، كنيته أبو عبد الله ، والإمام الثالث لدى المسلمين الشيعة . ولد في المدينة ، ونشأ في بيت النبوة ، وإليه نسبة كثير من الحسينيين .

(٣) أرسطو أو أَرِسْطُوطَالِيس أو أرسطاطاليس فيلسوف يوناني ، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر ، وواحد من عظماء المفكرين ، تغطي كتاباته مجالات عدة ، منها الفيزياء والميتافيزيقيا والشعر والمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة .

ترفيه النّفس في طلبه

قال النبي ﷺ : إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى . وقيل : دار القلب فإذا نشط فأودعه ، وإذا فتر فتودعه .

وقيل : روّحوا الأذهان كما تروّحون الأبدان ، فإنّ العقل المكدود ليس لرؤيته لقاح ولا لرأيه نجاح .

وقيل : نفسك مطيتك إن رفهتها اضطلعت ، وإن تحاملت عليها انقطعت .

الحرص على الاستكثار منه وعزّه إذا كثر

قال ﷺ : منهومان لا يشبعان : منهوم في العلم ، ومنهوم في المال . وقيل : الشره في المال دناءة وفي العلم نباهة .

وقيل : كل شيء يعزّ حين ينزر والعلم يعزّ حيث يغزر .

اتساع القلب بازدياد العلم

قال أبو نواس(١) : ما رأيت شيئا إلا قليله أخف من كثيره ، إلا العلم فإنه كلما كان أكثر كان أخف محملا .

وقيل : كلّ إناء يفرغ فيه شيء يضيق ، إلا القلب فإنه كلما أفرغ فيه علم اتسع .

وقال أنوشروان : قلب العالم كبيت فيه مصباح لا يضيق عن تظاهر النور فيه ، بل يتسع للنظر ويزيد في الضياء .

الترغيب في اختيار النّكت

قيل : العلم أكثر من أن يحوي ، فخذوا من كل شيء أحسنه ، وقيل : حلّ طبعك بالعيون والفقر ، فالشجرة لا يشينها قلّة الحمل إذا كانت ثمرتها نافعة .

---

(١) أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي . يكنى بأبي علي وأبي نؤاس والنؤاسي . وعرف أبو نواس بشاعر الخمر . قال البعض انه تاب عما كان فيه وأتجه إلى الزهد وقد انشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك .

وقال ابن عباس[1] (رضي الله عنهما) : العلم كثير فارعوا أحسنه . أما سمعتم قول الله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه؟

قال الشاعر :

قالوا خذ العين من كلّ فقلت لهم   في العين فضل ولكن ناظر العين

تناول طرف من كلّ نوع

قال يحيى بن خالد[2] : انتق من كلّ علم طرفا ، فمن جهل شيئا عاداه ، وأكره أن تكون عدوّا لشيء من الآداب .

وقيل : إذا أردت أن تكون عالما فاقصد فنا واحدا ، وإذا أردت أن تكون أديبا فخذ طرفا من كل فن .

وقيل : من لا يعلم إلا فنا واحدا من العلم سمّي الخصيّ من العلماء .

تقديم تعلم ما لا يستغنى عنه

قال المأمون : العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره ، فابدأوا بالأهم فالأهم بالفرض قبل النفل ، إن الأهم المقدّم .

وقيل : ضيّع الناس الأصول بتركهم الأصول .

النهي عن الخوض في فنون من العلم

قيل : ازدحام العلم في السمع مضلّة للفهم . وقيل : إذا رأيتم رجلا يريد تعلم أنواع العلوم فداووه . وقيل : من رام أن ينتحل فنون العلم استخفّ بنحيزته ، ووقف الناس على غميزته .

قال الشاعر :

تعلّمت حتّى من كلاب عواءها   لعمري لقد أسرفت في طلب العلم

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، صحابي جليل ، وابن عم النبي محمد ، حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير وترجمان القرآن ، ولد ببني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان النبي محمد دائم الدعاء لابن عباس فدعا أن يملأ الله جوفه عِلماً وأن يجعله صالحاً .

(٢) يحيى بن خالد البرمكي كان كاتب هارون الرشيد قبل أن يلي الخلافة ، ثم أصبح وزيره بعد أن تولاها ، وأصبح هو وأولاده الفضل وجعفر من علية القوم في الخلافة الرشيدية .

كثرة العلم

قال الحسن (رضي الله عنه) : ما ترك قول الله تعالى : ﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا﴾ .

– عالما يظن أنّ علمه كثير .

وقيل لفيلسوف : إلى أين بلغت في العلوم؟ قال : إلى الوقوف على القصور عنها .

زهد من يقرب من العلماء في العلم

قيل : أزهد الناس في العالم جاره . وقيل : العالم كالجمة من البئر ، يأتيها البعداء ، ويزهد فيها القرباء .

وقيل لرجل : كيف غلبت البرامكة؟ ، فقال : بتطراف الغرباء والملالة من القرباء .

وقال أنوشروان : رأيت في منامي رجلا يعدو والماء خلفه يناديه ، فعبّر بأنه رجل يفرّ من العلم وعالم يناديه ليفيده وهو يمنع منه .

حمد التأديب

قال أمير المؤمنين علي رضي عنه : النّاس عالم ومتعلم ، وما سواهما همج . فدلّ ذلك على تفضيل التأديب ، وجميع ما تقدم من عموم فضل التعليم فدلالة على فضل المؤدبة .

وقال ابن ثابت[1] : إن المؤدبة ولدوا بنجم الملوك حاسبون حسابهم . وسأل الرشيد يوما : من أكرم الناس خدما؟ قيل : أمير المؤمنين فقال : لا ، بل أكرمهم خدما الكسائيّ فقد رأيته يخدمه الأمين والمأمون وليّا عهد المسلمين وليس لي من الخدم مثلهما .

وقال خالد بن صفوان[2] لمؤدب : أنت أنظفنا وصيفا وأحضرنا رغيفا .

---

(١) زيد بن ثابت بن الضحّاك الأنصاري صحابي جليل وكاتب الوحي .

(٢) خالد بن صفوان القناص : شاعر وبليغ ونحوي عباسي . من شعراء العصر العباسي الأول . مجهول المولد والوفاة . كان من رواد المربد .

ذمّ التأديب وكونه نقصا لذوي الفضل

كلّف إسماعيل بن علي عبد الله بن المقفع[١] أن يجلس مع ابنه في كل أسبوع يوما ، فقال : أتريد أن أثبت في ديوان النوكي؟

وقال سعيد بن سلم : قصدت الكوفة فرأيت ابن المقفع فرحّب بي ، وقال : ما تصنع ههنا؟ فقلت : ركبني دين فأحوجت إلى الإزعاج .

فقال : هل رأيت أحدا؟ فقلت : ابن شبرمة[٢] وعرّفته حالي ، فقال : أنا أكلّم الأمين ليضمّك إلى أولاده فيكون لك نفع . فقال : أف لذلك أيجعلك مؤدبا في آخر عمرك ، أين منزلك؟

فعرّفته فأتاني في اليوم الثاني وأنا مشغول بقوم يقرؤون عليّ ومعه منديل فوضعه بين يدي ، فإذا فيه أسورة مكسورة ودراهم متفرّقة مقدار أربعة آلاف درهم ، وحينئذ .

زمان المنصور وفي الدراهم ضيق . فأخذت ذلك ورجعت به إلى البصرة واستعنت به .

قال الشاعر :

كفى المرء نقصا أن يقال بأنّه معلّم صبيان وإن كان فاضلا

وقال آخر :

إنّ المعلّم حيث كان معلّم ولو ابتنى فوق السّماء سماء

وصايا المؤدّبين في الأولاد

أوصى هشام بن عبد الملك[٣] سليمان الكلبيّ ، لما اتخذه مؤدّبا أنّ ابني هذا هو جلدة ما بين عينيّ ، وقد ولّيتك تأديبه فعليك بتقوى الله ، وأداء الأمانة فيه ، بخلال

---

(١) أبو مُحمّد عبد الله بن المقفع وهو مفكّر فارسي وُلِد مجوسياً لكنه اعتنق الإسلام ، وعاصر كُلاً من الخلافة الأموية والعباسية . درس الفارسية وتعلّم العربية في كتب الأدباء واشترك في سوق المربد . نقل من البهلوية إلى العربية كليلة ودمنة .

(٢) عبد الله بن شبرمة الإمام العلامة ، فقيه العراق أبو شبرمة . قاضي الكوفة .

(٣) هشام بن عبد الملك الأموي القرشي كان عاشر خلفاء بني أمية ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها ، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء . ولد في دمشق .

أوّلها أنك مؤتمن عليه ، والثانية أنا إمام ترجوني وتخافني ، والثالثة كلّما ارتقى الغلام في الأمور درجة ارتقيت معه . وفي هذه الخلال ما يرغبك فيما أوصيك به . إنّ أول ما آمرك به أن تأخذه بكتاب الله وتقرئه في كل يوم عشرا يحفظه حفظ رجل يريد التكسب به ثم روّه من الشعر أحسنه . ثم تخلّل به في أحياء العرب ، فخذ من صالح شعرهم هجاء ومديحا ، وبصّره طرفا من الحلال والحرام والخطب والمغازي ، ثم أجلسه كل يوم للنّاس ليتذكر .

وقال عتبة بن أبي سفيان[(١)] لمؤدب ولده : ليكن أوّل إصلاحك لولدي إصلاح نفسك فإنّ عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنته والقبيح ما استقبحته . علّمهم كتاب الله وروّهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفّه ولا تكرههم على علم فيملّوه ولا تدعهم فيهجروه ، ولا تخرجهم من علم إلى علم . حتى يحكموه ، فازدحام العلم في السّمع مضلّة للفهم . وعلّمهم سير الحكماء وهدّدهم وأدّبهم دوني ، ولا تتكل على كفاية منك ، واستزدني بتأثيرك أزدك إن شاء الله تعالى .

وضرب أبو مريم مؤدّب الأمين والمأمون الأمين بعود فخدش ذراعه فدعاه الرشيد إلى الطعام فتعمّد أن حسر عن ذراعه فرآه الرشيد . فسأله ، فقال : ضربني أبو مريم فبعث إليه ودعاه قال فخفت فلما حضرت ، قال : يا غلام وضّئه فسكنت وجلست آكل ، فقال : ما بال محمد يشكوك فقلت قد غلبني خبثا وعرامة قال : اقتله فلأن يموت خير من أن يموق .

وقرأ آخر : وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصل ، فقال يا ابن الفاعلة لعلك تشتهي البصيلة .

---

(١) هو عتبة بن أبى سفيان ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب تولى إمارة مصر من قبل أخيه معاوية . فقدمها في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين هجرية . وجعل على شرطته زكريا بن جهم . وأقام أشهراً ثم وفد على أخيه بوفد من أشراف أهل مصر . واستخلف على مصر عبد الله بن قيس بن الحارث بن عياش بن ضبيع التجيبي ، أحد بني زميلة ، وكانت أمه أخت أبي الأعور السلمي . وكانت فيه شدة على بعض أهل مصر . فكرهوا ولايته عليهم ، وامتنعوا منها . فبلغ ذلك عتبة ، فرجع إلى مصر .

ما وصف من لواط المعلمين

وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام ، وهو صبي وضيء الوجه فبعث به هشام إلى عبد الصمد مؤدب ولده الوليد ليؤدّبه . فراوده عن نفسه فخرج من عند المؤدب مغضبا ودخل على هشام وهو يقول :

إنّه والله لولا أنت لم ينج منّي سالما عبد الصّمد

فقال وما ذاك؟ قال :

أنّه قد رام منّي خطّة لم يرمها قبله منّي أحد

قال وما ذاك؟ فقال :

رام جهلا بي وجهلا بأبي يولج العصفور في خيس الأسد

فطرد عبد الصمد عن داره .

وحدّث الأحمر النحوي[1] وكان مؤدّب الأمين اتخذ عليه بعد حمّاد عجرد ، وكان حماد اتخذ عليه بعد نفي قطرب[2] قال : كان سبب نفيه أن حمادا كان يتعشّق الأمين ويطمع أن يتخذ عليه مؤدبا فلم يتأتّ له ذلك حتى استوى الأمر على قطرب ، فاحتال حمّاد وكتب هذين البيتين وناولهما بعض الخدم على يد مجهول :

قل للأمير جزاك الله صالحة لا يجمع الدهر بين السخل والذيب

السخل غرّ وهمّ الذيب غفلته والذيب يعلم ما في السخل من طيب

فلما قرأهما الرشيد نفى قطربا واتخذ حمّاد عجرد ، وجعل عليه ثمانين من الرقباء فخاف قطرب لما وسم بهذه السمة فهرب إلى الكرج ، والتجأ إلى أبي دلف فحسن حاله .

---

(١) وعلى بن المبارك الأحمر النحويّ صاحب على بن حمزة الكسائي كان مؤدب الأمين ابن الرشيد وهو أحد من اشتهر بالتقدم في النحو واتساع الحفظ وجرت بينه وبين سيبويه مناظرة لما قدم بغداد ، وقال ثعلب : كان على الأحمر مؤدب الأمين يحفظ أربعين ألف بيت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد وأبيات الغريب ، ومناظرته مع سيبويه بحضرة الكسائي مذكورة في تاريخ بغداد .

(٢) هو أبو علي محمد بن المستنيربن أحمد البصري ، أحد من اختلف إلى سيبويه وتعلم منه ، وكان يدلج إليه ، وإذا خرج رآه على بابه غدوة وعشية ، فقال له : ماأنت إلا قطرب ليل! فلقب به . واشتهر بمثلثات قطرب .

ودخل المأمون ديوان أحمد بن يوسف فصادف حوله مردا حسانا فقال :

أســـد رابـــض حواليـــه أســـد ليـــس ينجـو مـــن الأسود الظباء

وقال خلف الأحمر لمعلمه وهو في الكتاب وقد راوده عن نفسه :

أتتـــرك فـــي الحـــلال مشـــق صاد وتأتـــي فـــي الحـــرام مـدار ميم

الحثّ على تفقّد المؤدب

قيل : أولى من تبذل له ثراك من أفادك علاك وصقل حجاك .

قال الشاعر :

إن المعلّـــم والطبيـــب كلاهمـــا لا ينصحـــان إذا همـــا لـــم يكرما

فاصبـــر لدائـــك إن جفـــوت طبيبه واصبر لجهلك أن جفـوت معلّمـــا

ووقّع الصاحب[1] لبعض المؤدّبة إلى من تقاعد بمشاهرته :

الكلب يرفع نفسه ويجلّها مع خسّته من أن يفيت مؤدّبا مستوجبا من أجرته .

نوادر المعلمين فيما يقرأ عليهم الصبيان

قرأ صبيّ على معلم : وإنّ عليك اللعنة يا شيخ ، وأخذ يكرر ويقف . فقال : عليك وعلى والديك . فقال الصبيّ : ليس فيه وعلى والديك ، لكنه عليك هل ألحقه به؟

وقرأ آخر على معلّم : اخرج منها فإنّك رجيم . فقال : ذلك أبوك الكشحان .

وقرأ آخر على معلّم : ما لنا في بناتك من حقّ وأخذ يكررها كالمستفهم ، فقال : لا ولا كرامة لك .

نوادرهم فيما يقرأ عليهم من التصحيفات[2]

(١) أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني ، الطالقاني ، الاصفهاني ، المعروف بالصاحب بن عباد و«كافي الكفاة» ، كان من كبار علماء وأدباء الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، مشارك في مختلف العلوم كالحكمة والطب والمنطق ، وكان محدثاً ثقة .

(٢) تحريف كلمة بتحويل وضع حروفها أو تحويل أحدها إلى آخر يشبهه في الرّسم ويخالفه في النَّقْط .

قـرأ صـبي على مـعلم إنّي أريد أن أنكحك ، فـقـال : هذا إذا قـرأت على أمّك القحبة .

وقرأ آخر : عليـها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون .

فقال : هؤلاء أكراد لا ملائكة .

وكان معلّم يلقّن صبيا «عبس وتولّى» ، فكان يقول : أبس وتولّى . فضربه المعلم فقال : عاه فقال : حوّل العين من ههنا إلى ثمّ وخلّصنـــي .

حماقة المعلّمين

قال يعقوب الدورقي[١] : إن الله أعان على عرامة الصبيان ، بحماقة المعلمين . وقال سهل بن هارون[٢] لم أر قاضيا ولا عدلا معلم كتاب ، لا في تافه حقير ولا في ثمين خطير .

وقال الشاعر :

وكيـــف يرجّى العقل والرأي عند من   يروح على أنثى ويغدو على طفل

وقال آخر :

أنـــت ألحـــى معلّم وطويل   حسبنـــا ربّنا ونعـم الوكيل

وقال الجاحظ :

المعلمون على ضربين : منهم من ارتفعوا عن أولاد العامّة إلى تعليم أولاد الملوك والمرشّحين للخلافة كالكسائي وقطرب وحماد وعبد الصمد ، فهؤلاء لا تجوز عليهم الحماقة ، وإن لكلّ قوم حاشية وجهالا وسفهاء .

---

(١) يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح بن منصور بن مزاحم ، الحافظ الإمام الحجة أبو يوسف ، العبدي القيسي مولاهم ، الدورقي .

(٢) مترجم وفيلسوف وأديب . توفي ٨٣٠م . ولد قرب البصرة في أسرة فارسية الأصل ونشأ فيها وفي بغداد ، ثم خدم يحيى البرمكي ، وخلفه على ديوان بغداد بعد قتله . ولي مكتبة المأمون ، ثم بيت الحكمة البغدادية .

ما وصف من ذكاء الصبيان وكيسهم في الكتاب

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك[1] : لم لحنت؟ فقال : الجواد يعثر . فقال المؤدب : أي والله ويضرب حتى يستقيم . فقال يزيد : وربما يرمح سائسه فيكسر أنفه .

ويروى عن ابن السكيت[2] قال : أحضرت لاتخذ على المعتز بالله ، فقلت له : بأي شيء نبدأ اليوم . فقال : بالخروج . فقلت : نعم . فعدا من بين يدي وعثر على المرمر ، فقال :

يموت الفتى من عثرة بلسانه ، وليس يموت المرء من عثرة الرجل . فقلت للمتوكل : جئتم بي لتأديبه وهو آدب منّي . فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

قال أبو محمد يحيى- وكان مؤدب المأمون في صغره- صلّيت يوما قاعدا فأخطأ المأمون فقمت لأضربه ، فقال : أيها الشيخ أتطيع الله قاعدا وتعصيه قائما فكتب بهذا إلى الرشيد فأمر لي بخمسة آلاف درهم .

وحكي أنه بدر من أبي عمر الصباغ إلى الصاحب جفاء وكان مؤدبه ، فقام من عنده وكتب إليه :

أودعتني العلم فلا تجهل كم مقول يجني على مقتل
وأنت إن علمتني سوقة والسيف لا يبقي على الصّيقل

فاتصل ذلك بأبي الحسين بن سعد فتعجب منه وكتبه وقال : ابن ثمانين يكتب شعر ابن عشر ثم تلا : وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا

أمارة نجابة الصبيان

قيل لأعرابي : ما أمارة النجابة في صبيانكم؟ قال : إذا كان أعنق أشدق أحمق . فأقرب به من السودد[3] .

(١) يزيد بن عبد الملك الأموي القرشي ويلقب يزيد الثاني ولد سنه ٧١ هـ . ولي الخلافة بدمشق بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك .

(٢) إمام من أئمة اللغة العربية وعالم نحوي وأديب شهير ، اشتهر بتشيُّعه . ييكنى بأبي يوسف ، يعقوب بن إسحاق بن السكيت الدروقي الأهوازي ، البغدادي النحوي المؤدب ، مؤلف كتاب «إصلاح المنطق» ، دين خير ، حجة في العربية . أخذ عن : أبي عمرو الشيباني ، وطائفة .

(٣) السُّودَدُ (السُّؤدَد) : السِّيادةُ . والسُّودَدُ المجدُ والشرف .

وقال الزبرقان : أكيس صبياننا العريض الورك السبط الغرّة ، الطويل الغرلة ، الأبله العقول .

وقال بزرجمهر لكسرى ، وعنده أولاده : أي أولادك أحب إليك؟ قال أرغبهم في الأدب ، وأجزعهم من العار وأنظرهم إلى الطبقة التي فوقه .

وروى ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ أنه قال : عرامة الصبيّ في صغره زيادة في عقله إذا كبر .

وقال معاوية : طيّروا الدم في وجوه الصبيان ، فإن بدا في وجوههم الحياء وإلا فلا تطمعوا فيهم .

صبيّ استدلّ بعقله على كبر همّته

قيل : أول ما عرف من سودد خالد القسري[١] أنّه مرّ في بعض طرق دمشق راكبا ، وله عشر سنين فوطئ فرسه صبيا فوقف عليه فرآه لا يتحرك فانتهى إلى أول مجلس مرّ به ، فقال : إن حدث بهذا الغلام حدث فأنا صاحب الجناية ولم أعلم .

وكان عبد الملك صغيرا فأربى عليه صبيّ فضربه ، فقيل له : لو شكوته إلى عمّك لانتقم منه . فقال : أنا لا أعدّ انتقام غيري انتقاما .

وقال السري الرفاء[٢] يصف غلاما بعلو الهمة :

لا تعجبنّ من علوّ همّته ... وسنّه في أوان منشاها

إنّ النّجوم التي تضيء لنا ... أصغرها في العيون أعلاها

(١) خالد بن عبد الله القسري البجلي ، قائد أموي سكن دمشق ايام الأمويين من بطن شق من بنو قسر من قبيلة بجيلة ، ويكنى أبو القاسم وقيل أبو الهيثم ، وقد تباينت أقوال المراجع بشأن سيرته ، فمنهم من ذمه وشتمه ، ومنهم من مدحه وبجله .

(٢) أبو الحسن السري بن أحمد بن السري الكندي الرفاء الموصلي شاعر مشهور ؛ كان في صباه يرفو ويطرز (يعمل خياطا) في دكان بالموصل ولذا سمي بالرفاء أي الخياط ، وهو مع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر ، ولم يزل حتى جاد شعره ومهر فيه ، وقصد سيف الدولة الحمداني بحلب ومدحه وأقام عنده مدة ، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ومدح الوزير المهلبي وجماعة من رؤساء المدينة ، وانتشر شعره وراج . وكانت بينه وبين أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين الموصليين الشاعرين المشهورين معاداة فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره .

من تكلّم عند الخلفاء وهو صغير فارتفع بذلك شأنه

أوفد أبو موسى الأشعري[(١)] زيادا على عمر رضي الله عنه ، وكان يكتب له ، وهو حين بلغ . فلمّا جاء وجده من الكيس بمحل . فقال له عمر : اعتزل عملك . فقال زياد : أعن خيانة؟ قال : لا ، ولكني أكره أن أحمّل الناس فضل عقلك ومنطقك . قال : إذا لا أبالي .

دخل محمد بن عبد الملك ابن صالح على المأمون حين قبض على ضياعهم وهو صبي أمرد ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال : من أنت؟ قال : سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك ، أتأذن لي بالكلام؟ قال : نعم . فتكلم بكلام حسن فقضى حاجته .

نظر المأمون إلى الحسن بن رجاء وهو صبي في ديوانه ، فقال : من أنت؟ قال :

الناشئ في دولتك المتقلّب في نعمتك وتخريج أدبك الحسن بن رجاء . فقال المأمون :

بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول وأمر برفعه عن محلّه .

وفي بعض كتب الفرس أن كسرى[(٢)] أراد كاتبا لأمر أعجله فلم يوجد غير غلام صغير يصحب الكتاب فدعاه ، فقال : ما اسمك؟ قال : مهر ماه . قال : اكتب ما أملى عليك فكتب قائما أحسن من غيره قاعدا . ثم قال له : اكتب في هذا الكتاب من تلقاء نفسك ففعل وضمّ إلى الكتاب رقعة فيها : إن الحرمة التي أوصلتني إلى سيدنا لو وكلت فيها إلى نفسي لقصرت أن أبلغ إليها فإن رأى أن لا يحطّني إلى ما هو دونها فعل . فقال كسرى : أحب مهر ماه ألا يدع في نفسه لهفة يتلهف عليها بعد إمكان الفرصة . وقد أمرنا له بما سأل .

وذكر أن عمرو بن عتبة أعتق غلاما له فقام إليه وصيف له فقال : اذكرني ذكرك الله فاستصغره فقال ويلك أنك لم تخرف بعد . فقال : إن النخلة قد تجتنى زهوا قبل أن تصير معوا . قال : قاتلك الله قد استعتقت قد وهبتك لواهبك لي .

---

(١) أبو موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري خرج وخمسون نفرا من قومه من اليمن أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله محمد بن عبد الله بخيبر .

(٢) كسرى الثاني أو خُسرو الثاني ، المعروف أيضاً بلقب برويز ومعناه ، كان ملك الدولة الساسانية في بلاد فارس . كان ابن هرمز الرابع ، وحفيد كسرى الأول .

وصف بلادة الصبيان في التعلّم

كان معلّم يضرب صبيّا ، فقيل له : لم تضربه؟ فقال أنه يترك الصواب الهيّن ويأتي الخطأ الصعب ، فإذا هو يقرأ : يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ .

ويقرأ : فيؤخذ بالنواهض والأقدام .

وحكي أن مؤدبا ادّعى أنه علّم صبيا النحو والفرائض ، فامتحنه أبوه فقال له : كيف تقول ضرب زيد عمرا؟ قال : كما تقول فقال له : فما إعرابهما؟ قال زيد رفع بفعله وما بقي فللعصبة .

وأمر آخر معلما أن يعلمه الفرائض فامتحنه يوما ، فقال له : ما تقول في رجل مات وخلف ابنتين وابنا ، فقال : أما الابن فيسقط ، فقال : نعم إذا كان مثلك .

وسلّم أشعب في البزازين فقيل له بعد سنة إلى أين بلغت في معرفة البز ، قال : أحسنت النشر وأرجو أن أتعلم الطي .

طرائف النساء

يتمنى أن يراه

قال رجل لامرأته ، وكان قبيحاً : إني أتمنى أن أرى إبليس ، قالت له : أنا أُريكَه
قال : وكيف ذلك؟
فأخرجت له مرآة ، وقالت له : انظر وجهك .

عالي المكان سافِله

أراد أحدهم أن يتزوج ، فبنى بيتاً جعله يفسح له ولأهله ، وطلب النجار أن يجعل خشب السقوف على أرض الحجرات ، وخشب الأرض على السقوف ، فدهش النجار من ذلك ، ولم يفهم المقصود ، فشرح له قائلاً : إن المرأة إذا دخلت بيتاً جعلت عاليه سافله ، فاقلب هذا المكان يستقيم الزواج .

أجود أخبار النساء

ويحكى أن أمير المؤمنين الرشيد[١] أرق ذات ليلة أرقاً شديداً ، فقام من فراشه وتمشى من مقصورة إلى مقصورة ، وقلقه زائد ونفسه محصورة ، فلما أصبح قال : علي بالأصمعي[٢] ، فخرج الطواشي إلى البوابين ، فقال لهم : يقول لكم أمير المؤمنين أرسلوا أحداً خلف الأصمعي . فلما حضر أعلم الخليفة فأجلسه ورحب به وقال : يا أصمعي أريد منك أن تحدثني بأجود ما سمعت من أخبار النساء وأشعارهن؟

فقال : سمعاً وطاعة : لقد سمعت كثيراً ولم يعجبني سوى ثلاثة أبيات أنشدهن ثلاث بنات .

فقال له : حدثني حديثهن .

فقال : اعلم إذا أمير المؤمنين ، أني توجهت سنة إلى البصرة فاشتد لعي الحر فطلبت مقيلاً أقيل فيه فلم أجد ، فبنما أنا أتلفت يميناً وشمالاً ، إذا أنا بساباط

(١) هارون الرشيد بن محمد المهدي هو الخليفة العباسي الخامس ، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين .حكم بين عامي ٧٨٦ و٨٠٩ م . ولد حوالي سنة ٧٦٣م في مدينة الري وتوفي سنة ٨٠٩م في مدينة طوس (مشهد اليوم) .

(٢) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان .

مكنوس مرشوش ، وفيه دكة من خشب ، وعليها شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك ، فدخلت الساباط وجلست على الدكة وأردت الاضطجاع ، فسمعت كلاماً عذباً من فم جارية حسناء ، وهي تقول : يا أختي! إنا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبوح ، تعالين نطرح ثلاثمائة دينار وكل منا تقول بيتاً من الشعر ، فكل من قاتل البيت الأعذب الأملح كانت الثلاثمائة دينار لها ، فقلن : حباً وكرامة ، فقالت الكبرى :

عجبت له أن زار في النوم مضجعي ولو زارني مستيقظاً كان أعجبا

فقالت الوسطى :

وما زارني في النوم إلا خياله فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحبا

فقالت الصغرى :

بنفسي وأهلي من أرى كل ليلة ضجيعي ورياه من المسك أطيبا

فقلت : إن كان لهذا المقال جمالٌ ، فقد تم الأمر على كل حال . فنزلت عن الدكة وأردت الانصراف ، وإذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية ، وهي تقول : اجلس يا شيخ ، فطلعت على الدكة ثانياً وجلست ، فدفعت إلي ورقة فنظرت خطاً في نهاية الحسن مستقيم الألفات مجوف الهاآت مدور الواوات مضمونه : نعلم الشيخ ، أطال الله بقاءه ، أننا ثلاث بنات أخوات جلسنا على وجه الصبوح وطرحنا ثلاثمائة دينار ، وشرطنا أن كل من قالت البيت الأعذب الأملح كان لها الثلاثمائة دينار ، وقد جعلناك الحكم في ذلك ، فاحكم بما تراه والسلام .

فقلت للجارية : علي بدواة وقرطاس .

فغابت قليلاً وخرجت إلي بدواة مفضضة وأقلام مذهبة ، فأنشأ أقول :

أحدث عن خود تحدثن مرةً حديث امرئ ساس الأمور وجربا
ثلاث كبكرات الصحاري جحافل حللن بقلب للمشوق معذبا
خلون وقد نامت عيونٌ كثيرةٌ من الراقدين المشتهين التغيبا
فبحن بما يخفين من داخل الحشا نعم ، واتخذن الشعر لهواً وملعبا
فقالت عروبٌ ذات عز غريرة وتبسم عن عذب المقالة أنسبا
عجبت له أن زار في النوم مضجعي ولو زارني مستيقظاً كان أعجبا
فلما انقضى ما زخرفت وتضاحكت تنفست الوسطى ، وقالت تطربا
وما زارني في النوم إلا خياله فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحبا

وأحسنــــت الصغـرى ، وقالت مجيبة — بلفـــظ لهــا قد كان أشهى وأعذبا
بنفســـي وأهلـــي مـــن رأى كل ليلة — ضجيعي ، ورياه من المسك أطيبــا
فلمـــا تدبـــرت الذي قلـن وانبــرى — لي الحكم لم أترك لذي اللب معتبا
حكمـــت لصغراهـــن في الشعر أنني — رأيت الذي قالت جميلاً وأصوبــا

قال الأصمعي : ثم دفعت الرقعة إلى الجارية ، فلما صعدت إلى القصر ، فإذا برقص وتصفيق ودنيا دانية وقيامة قائمة ، فقلت : ما بقي لي إقامة ، فنزلت عن الدكة وأردت الانصراف ، وإذا بالجارية تنادي وتقول : اجلس يا أصمعي .

فقلت : ومن أعلمك أنني الأصمعي؟ فقالت : يا شيخ إن خفي علينا اسمك فما خفي علينا نظمك .

فجلست ، وإذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الأولى وعلى يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوى ، فتفكهت وتحليت وشكرت صنعها ، وأردت الانصراف ، وإذا بالجارية تنادي وتقول : اجلس يا أصمعي ، فرفعت بصري إليها فنظرت كفاً أحمر في كم أصفر فخلته البدر يشرف من تحت الغمام ، ورمت لي صرة فيها ثلاثمائة دينار ، وقالت : هذا صار لي وهو مني لك هبة في نظير حكومتك .

فقال لي أمير المؤمنين : لأي شيء حكمت للصغرى ولم تحكم للكبرى ولا للوسطى؟

فقلت : يا أمير المؤمنين إن بيت الكبرى قالت :

عجبت له أن زار في النوم مضجعي

وهو محمول معلق على شرط قد يقع ولا يقع ، وأما الوسطى ، فمر بها طيف خيال في النوم فسلمت عليه ، وبيت الصغرى ذكرت أنها ضاجعته مضاجعة حقيقية وشمت منه أنفاساً أطيب من المسك وفدته بنفسها وأهلها ولا يفدى بالنفس إلا من هو أعز من النفس .

فقال الخليفة : أحسنت يا أصمعي .

ثم دفع إلي ثلاثمائة دينار فأخذتها وانصرفت فكنت أقول لله درك من شعر أخذت في حكومتي منه ثلاثمائة دينار ، وفي حكايته مثلها .

تكرار الكلام يمله الفُهام

جعل ابن السماك[١] يوما يتكلم ، وجارية له حيث تسمع كلامه ، فلما انصرف إليها قال لها : كيف سمعت كلامي؟

قالت : ما أحسنه ، لولا أنك تكثر ترداده .

قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه .

قالت : إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملّه من فهمه .

عاتكة بنت زيد

عن عبد الله بن عاصم بن المنذر ، قال : تزوّج عبد الله بن أبي بكر الصديق[٢] عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل[٣] ، وكانت حسناء ، ذات خلقٍ بارعٍ ، فشغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، فطلّقها ؛ وقال :

ولـم أر مثلـي طلّـق اليـوم مثلهـا ... ولا مثلهـا فـي غـير جرمٍ تطلّق

فرق له أبوه ، وأمره فراجعها ، ثمّ شهد مع رسول الله ﷺ غزاة الطائفً ، فأصابه سهمٌ ، فمات منه ، فقالت عاتكة :

رزيـت بخيـر النـاس بعـد نبيهمٍ ... وبعـد أبـي بكـرٍ وما كان قصّرا

وآليـت لا تنفـك عينـي حزينـةً ... عليـك ولا ينفـكّ جلدي أغبرا

فللـه عينـاً مـن رأى مثلـه فتـىً ... أكـرّ وأحمـى في الهياج وأصبرا

إذا شرعـت فيـه الأسنّـة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمـرا

ثم تزوّجها عمر بن الخطاب ، فأولم ، وكان فيمن دعا علي بن أبي طالب ؛ فقال :

---

(١) هو أبو العباس محمد بن صبيح المعروف بابن السماك . اشتهر أبوالعباس محمد بن صبيح العجلي ابن السماك بالزهد والورع ، وفصاحة اللسان في غير تكلف ، كما اشتهر بمجالسته للرشيد ، ومناصحته له دون خوف أو رهبة ، حتي كانت حاشية الخليفة تعجب من جرأة الرجل ، ومن صبر الخليفة عليه .

(٢) عبد الله بن أبي بكر من صحابة الرسول محمد بن عبد الله ، يكون ابن أول خليفة للمسلمين أبو بكر الصديق أمه قتيلة بنت عبد العزى .

(٣) عاتكة بنت زيد العدوية القرشية صحابية جليلة ابنة عم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنها عرفت بالبلاغة وفصاحة القول .

يا أمير المؤمنين دعني أكلم عاتكة ؛ فقال : كلّمها ؛ فأخذ عليّ بجانب الخدر ، ثم قال ؛ يا عديّة نفسها :

وآليت لا تنفك عيني قريرةً عليك ولا ينفك جلدي أصفرا

فبكت ، فقال عمر : ما دعاك إلى هذا؟ كل النساء يفعل هذا .

إشارة الزواج

جاء أبو العبَر يعود صديقًا له وهو على فراش الموت ، فإذا بامرأته تلطم وتصيح : من لي بعدَك يا سيدي؟! وكانت شابة جميلة . فغمزها أبو العبر وأومأ إليها : أنا لكِ بعده! فلما مات الرجل وانقضَتْ عِدَّتُها ، تزوّجها أبو العبر ، فأقامت عنده حينا ثم حضرتْ أبا العبر الوفاة . وجاء أصحابه يعودونه ، فإذا بالمرأة تصيح : من لي بعدَك يا سيدي؟! ففتح أبو العبر عينيه وقال : لا يغمزها إلا مَنْ تكون أُمُّه زانية!

الجارية والتفاحة

قيل أن أبا مسعود الأعمى كان جالساً في صحن داره ، فأشرفت عليه جارية ظريفة ، فعضت تفاحة ورمت بها في حجره . فتناولها وقال :

أيا تفاحة رمّت فؤادي للهوى رمّا

لقد أهداك إنسان وأهداك لأمر ما

ليهدي لاعج الشوق إلى من عضّ أو شمّا

فلم تكن إلا ساعة حتى وافت جارية لها ، معها جام لوزينج وهي تقول : مولاتي تقرئك السلام وتقول لك : قد سمعت شعرك ، ورأيتك بدأت بالعض قبل الشم ، فعلمت أنك جائع ؛ فتبلغ بهذا الجام حتى يدرك طعامنا . قال : وكيف كنت أقول ؟ قالت : كنت تقول :

أيا تفّاحة رضّت فؤادي للهوى رضّا

لقد أهداك إنسانٌ وأهداك لما يرضى

ليهدي لاعج الشوق إلى من شمّ أو عضّا

الحسناء والقبيح

وكان أحمد بن أبي طاهر قبيح الوجه ، وكان له جارية من أحسن النساء ،

فضحك إليها يوماً فعبست في وجهه ، فقال لها : أضحك في وجهك فتعبسين في وجهي ؟

فقالت : نظرت أنت إلى ما سرك فضحكت ونظرت إلى ما ساءني فعبست .

زوج المرأتين

حدّث الأصمعي قال : «تزوّج أعرابيّ امرأتين فندم . فأنشأ يقول :

تزوّجت اثنتين ؛ لفرط جهلي ... بما يشقى به زوج اثنتيْن

فقُلتُ أصير بينهما خروفا ... أنعَّمُ بين أكرم نعجتيْن

فصرْتُ كنعجة تُضحي وتُمسي ... تداوَلُ بين أخبث ذئبتين

وألقى في المعيشة كلَّ ضَرّ ... كذاك الضُّرُّ بدين الضَّرَّتيْن

فإن أحبَبْتَ أن تبقى كريما ... مدن الخيرات مملوء اليديْن

فعشْ عَزَبا ، فإن لم تستطعه ... فضربا في عراض الجحفلين»

عراض الجحفلين : عراض : مصدر عارض الجحفل : اعترض الجيش وتعرّض له ، والمعنى المقصود هو تعرّضْ لجيش العدوّ كي تستشهدَ فتستريحَ .

العجوز والشابة

تزوّج رجل بامرأتين عجوز وشابّة ، فجعلت الشّابة كلّما رأت في لحيته طاقة بيضاء نتفتْها ، والعجوز كلّما رأت طاقة سوداء نتفتْها ، فما زالا به كذلك حتّى صيّراه أمرد أصلع .

طالق ثلاثين

قال مزيد لامرأته : أنت غير شفيقة علي ، ولا راعية لي .

فقالت : والله لأنا أرعى بك من التي كانت قبلي وأشفق .

قال : أنت طالق ثلاثاً ، لقد كنت آتيها بالجرادة فتطبخ لي منها أربعة ألوان وتشوي جنينها . فدعته إلى القاضي ، فجعل القاضي يطلب له المخرج

فقال : أصلحك الله! لا عليك إن أشكلت المسألة فهي طالق ثلاثين .

وكسا امرأته قميصاً فشكت إليه غلظه وخشونته ، فقال : أترينه أخشن من الطلاق؟

الحب والجوع

كان أبو الحارث حسين يظهر لجارية من المحبة أمراً عظيماً فدعته وأخرت الطعام إلى أن ضاق . فقال : يا سيدتي ؛ ما لي لا أسمع للغداء ذكراً .

فقالت : يا سبحان الله! أما يكفيك النظر إلي وما ترغبه فيّ من أن تقول هذا؟

فقال : يا سيدتي ؛ لو جلس جميل وبثينة من بكرة إلى هذا الوقت لا يأكلان طعاماً لبصق كل واحد منهما في وجه صاحبه .

يطحن مكان الحمار

حكى المدائني[1] ، قال : كان في المدينة امرأة جميلة عفيفة ذات زوج ، وكان فتىً من أهل المدينة يتبعها كلما خرجت ويعرض لها ؛ فلما أذاها شكته إلى زوجها .

فقال لها : فما عندك في أمره حيلة!

قالت : قد فكرت في شيء إن ساعدتني عليه .

قال : فأنا أساعدك .

فبعثت جاريتها إليه تقول : إن الذي بقلبي منك أكثر مما بقلبك مني ، ولكني امرأة مستورة ولا أعرف الفساد ؛ فكنت أمتنع عليك وفي قلبي النار .

فلما بلغته الرسالة استطار فرحاً ، وقال للجارية : ما أدري كيف أؤدي شكرك إذ جرى هذا الأمر على يدك ، فبلغيها السلام وقولي لها : إني صائر إليك غداً ، ووهب للجارية ديناراً . وطالت ليلته حتى أصبح فوجه إليها بجدي وفاكهة . فقالت الجارية : قد وجب علي شكرك لإجابتك إياي في حاجة مولاتي ، وأنال أشير عليك بحيلة بها يتم أمرك . قال : وما هي؟ قالت : سيدتي فيها حشمة وخجل وانقباض عن الرجال ، فإذا جلست معك فلا تتعرض لها بكلام ولا بغيره ، حتى تشرب معك أقداحاً .

قال : نعم! وصعدت الجارية فعاونت سيدتها على إصلاح الجدي والطعام ؛ فلما أحكمتاه نزلت الجارية وبسطت لسيدتها مصلى وجاءت فسلمت وقعدت ، وجاءت

---

(١) هو علي بن محمد المدائني ، مولى عبد الرحمن بن سُمرة القرشي ، أصله من البصرة ، سكن المدائن فنسب إليها ، وقد ولد في أوائل العصر العباسي سنة ١٣٥هـ ، وعاش نحو تسعين عاماً ، ومات سنة ٢٢٥هـ .

الجارية بالطشت والماء فغسلت أيديهما ، ووضعت المائدة بينهما ، وجاءت بالجدي والطعام .

فحين أخذ المخذول اللقمة فوضعها في فمه جاء الزوج فقرع الباب ؛ فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت : افتضحت وهلكت .

فقال : دعي الجزع واحتالي في موضع أكمن فيه إلى خروجه .

قالت : ما أعرف موضعاً يخفى عليه إلا أن تحل الحمار الذي في الدهليز وتقوم في مكانه .

فقال : افعلي! فجاءت الجارية إلى حمار يطحن في الدهليز مشدود العينين فنحته وربطت المغرور مكانه . وقالت : اطحن مكان الحمار ولا تمسك فيفطن بك ؛ فإني أرجو أن يخرج سريعاً وترجع إلى سرورك ، ثم فتحت الباب ودخل الزوج ، فقالت له : خرجت على أن تقيم أياماً! فما الذي جاء بك الساعة؟

قال : كنت عزمت على ذلك فمر بي إخوان فعرضت عليهم المقام في الضيعة . فقالوا : لا يمكننا اليوم ، ولكننا إن شاء الله تعالى نصير إليك غداً ؛ فأردت أن يكون مجيئهم إلى البيت أسهل علي ؛ فبادرت إليك لتصلحي ما يحتاجون إليه وخاصة الدقيق ، فينبغي ألا يفتر الحمار في الدقيق .

فجلسا يأكلان والمخذول يطحن ، ثم وضعا نبيذاً وجعلا يشربان ، والزوج يقول ساعةً بعد ساعة : هاتي العصا لكي أقوم لهذا الحمار الملعون ، فإني أراه كسلان ؛ ونحن نحتاج إلى الدقيق كثيراً ، فتقوم الجارية فتقول له : الله الله في نفسك! لا تفتر ؛ فإني أخاف أن يقوم فيراك .

فلم يزل يطحن دائباً والرجل يشرب مع امرأته إلى أن طلع الفجر ، فقام الرجل فتهيأ للصلاة وخرج إلى المسجد ، فحلت المغرور وقالت : طر إلى بيتك لئلا يراك إنسان فتفتضح .

فخرج يعدو على وجهه عريان ويده على سوءته ، فدخل إلى منزله وبقي مسبوتاً مطروحاً على وجهه لا يحرك عضواً .

فلما كان بعد مدة قالت المرأة لزوجها : قد بقي علينا شيء من الولع بالمخذول . قال : شأنك . فبعثت إليه وقال : مولاتي تقرئك السلام وتقول لك : الله يعلم ما تداخل قلبي مما نزل بك ؛ ولوددت أن أقيك بنفسي ، ولكن المقادير تنزل من السماء ، وإني إليك لمشتاقة ، فأحب أن تصير إلينا ، فإن زوجي قد خرج إلى موضع له فيه مقام

شهر ، فنستأنس جميعاً ونسترجع ما فاتنا ؛ فالتفت إليها سريعاً ، وقال : عسى قد فرغ دقيقكم؟

تشبيب بامرأة رعناء

كانت لرجل من العرب امرأة رعناء ؛ فدخل عليها يوماً وهي مغضبة ، فقالت : ما لك لا تشبب[1] بي كما يشبب الرجال بنسائهن؟

فقال : إني أفعل! وأنشدها :

تمّت عبيدة إلاّ في ملاحتها   والحسن منها بحيث الشمس والقمر
ما خالف الظبي منها حين تبصرها   إلا سوالفها والجيد والنظر
قل للذي عابها من حاسدٍ حنقٍ   أقصر فرأس الذي قد عيب والحجر

فضحكت ورضيت عنه .

حبك لا يتجاوز المعدة

وتعشق أبو القماقم السقا قينة[2] فبعث إليها : حضر عندي إخوان فابعثي إلي بجام لوزينج آكله على ذكرك . فبعثت إليه به .

فلما كان من الغد بعث إليها : أرسل لي بطبق مازاورد آكله على ذكرك . فقالت : جعلت فداك ، ذكروا أن منبع الحب من القلب ، فإذا تناهى بلغ إلى الكبد ، وأنا أرى حبك لا يتجاوز معدتك .

فقال : إنما فعلت هذا لأقوى على محبتك ، ألم تسمعي قول الشاعر :

إذا كان في قلبي طعامٌ ذكرتها   وإن جعت لم تخطر ببالي ولا فكري
وإن كان هذا العام قد قلّ بقله   فقبح من يهواك يا ربّة الخدر
ويزداد حبّي إن شبعت تجدّداً   وإن جعت يوماً لم تكوني على ذكري

سيماء الخير

ومرت بداود بن المعتمر امرأة جميلة ، فقام يتبعها حتى أدركها .

---

(١) التشبيب هو ذِكر المحبوبة بشعر فيه غزل .

(٢) مُغنّية .

فقال : لولا ما رأيت عليك من سيماء الخير لم أتبعك ، فضحكت حتى استندت إلى الحائط . فقالت : إنما يمنع مثلك من الطمع في مثلي ما يرى من سيماء الخير ، فإذا كان هذا هو الذي يطمع في النساء فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أملح الهدايا

حكى قدامة بن جعفر[١] عن مية البرمكية قالت : كانت لأم علي بنت الراس جارية مغنية يقال لها مكر ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء ، وكان لها رفقاء من الكتّاب ووجوه التجار ، كان أبو يحيى الكيبخي يعاشرها ، فاقتصدت يوماً فأهدى إليها رفقاؤها صنوف الهدايا ، وبعث إليها أبو يحيى ثلاث سلال مختومة فإذا سلة فيها ماش ومعه رقعة فيها : الماش خير من لاش ، وفي الأخرى عصافير بأجنحتها فلما فتحت طارت ومعها رقعة فيها : يا سيدتي أعتقت عنك هؤلاء المساكين ولو كان بدلها عبيداً لأعتقتهم ، وفتحت الأخرى فإذا هي فارغة وفيها رقعة مكتوب فيها : يا مولاتي لو كان عندي شيء لبعثت إليك بشيء ، ولكن ليس عندي شيء فلم أبعث إليه بشيء ، فضحكوا وبعثوا إليه بنصيب وافر من كل ما أهدي إليها ، وكتبت إليه أم علي : أعطي لله عهداً إن لم تكن هديتك أملح من كل هدية وردت إلينا .

ذو الرمة والمرأة السوداء

قال القحذميّ : دخل ذو الرّمّة[٢] الكوفة ، فبينما هو يسير في بعض شوارعها على نجيبٍ له ، إذ رأى جاريةً سوداء واقفةً على باب دار ، فاستحسنها ، فدنا منها ،

(١) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج ، كان نصرانيا وأسلم على يد المكتفي بالله ، من مشاهير البلغاء الفصحاء الذين يضرب بهم المثل في البلاغة ، ومن الفلاسفة الذين يشار إليهم بالبنان في علم المنطق والفلسفة . وقد استكمل بعد ابن المعتز تأسيس مباحث علم (البديع) ، وحمل لوائه ، وتوضيح معالمه ، وتحديد نهجه .

(٢) ذُو الرُمَّة هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي ، كنيته أبو الحارث وذو الرّمّة . شاعر عربي من الرباب من تميم ، من شعراء العصر الأموي ، من فحول الطبقة الثانية في عصره . ولد سنة ٧٧ هـ/٦٩٦م ، وتوفي بأصفهان (وقيل بالبادية) سنة ١١٧ هـ/٧٣٥م وهو في سن الأربعين .

فقال : يا جارية }اسقني ماءً ؛ فأخرجت إليه كوزاً ، فشرب وأراد أن يمازحها ، فقال : ما أحرّ ماءك {فقالت : لو شئت لأقبلت على عيوب شعرك وتركت حرّ مائي وبرده ؛ فقال لها : وأي شعري له عيبٌ؟ فقالت : ألست ذا الرّمّة؟ قال : بلى! قالت :

فأنـــت الـــذي شبّهـــت عنـزاً بقفرة لهـــا ذنـــبٌ فـوق استها أمّ سالم
جعلـــت لهـــا قرنـــين فـوق جبينها وطبيـــين مسّوديـــن مثل المحاجم
وساقـــين إن يستمكـــنا منـك يتركا بجلـــدك يـــا غيـلان مثل المناسم
أيا ظبيـــة الوعســـاء بـــين حلاحـل وبـــين النّقا أأنـــت أم أمّ سالـــم

قال : نشدتك الله إلا أخذت راحلتي هذه وما عليها ولم تظهري هذا ؛ ونزل عن راحلته ، فدفعها إليها ، وذهب ليمضي ، فدفعتها إليه ، وضمنت له أن لا تذكر لأحد ما جرى .

بيت بلا جرذان

قال الأصمعي : جاءت عجوزٌ إلى عبد الله بن جعفر[١] ، فقال : كيف حالك يا عجوز؟

قالت : ما في بيتي جرذٌ!

فقال : لقد أطلقت المسألة ، لأملأن بيتك جرذاناً . أعطوها مالاً وطعاماً!

فطنة أعرابية

قال المبرّد[٢] : كنّا عند المازنّي[٣] ، فجاءته أعرابية كانت تغشاه ويهب لها ،

(١) عبد الله بن جعفر هو أبو جعفر عبد الله بن ذي الجناحين جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي .

(٢) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد ينتهي نسبه بثمالة ، وهو عوف بن أسلم من الأزد . هو أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد ، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري .

(٣) أبو عثمان المازني النحوي ، توفي ٢٤٩ هـ ، بكر محمد بن عثمان النحوي ، إمام عصره في النحو والأدب . وله من التصانيف كتاب ما تلحن في العامة وكتاب التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي .

فقالت : أنعم الله صباحك أبا عثمان ، هل بالرّمل أوشالٌ[١]؟ فقال لها : يجيء الله به ، فقالت :

تعلمــنّ والـــذي حــجّ القــوم لــولا خيــالٌ طــارقٌ عنـد النوم
والشوق من ذكراك ما جئت اليوم

فقال المازني : قاتلها الله ما أفطنها جاءتني مستمنحةً ، فلمّا رأت أن لا شيء جعلت المجيء زيارةً تمنّ بها عليً .

ثأر امرأة

حدث علي بن سعيد الكاتب قال : قال لي جحظة[٢] : إن كتمت عليّ حدثتك بحديث ما مر على مسامعك مثله قط ، قلت : أنا موضع سرك والمجالس بالأمانة ، قال : اصطبحت أياماً فأصبحت يوماً مخموراً ، فبينا أنا جالس على باب داري إذ أقبلت جارية متنقبة راكبة على حمار وبين يديها وصائف كالغزلان يحففن بها ويمسكن عنان حمارها وقد سطعت السكة من روائح طيبها ، فبقيت مبهوتاً متحيراً أعجب من كمال خلقها ونور ما بدا لي من وجهها ، فلما جاوزتني وقفت وتأملتني ساعة ثم سلمت فرددت عليها أحفى سلام وأبره وقمت على قدمي إجلالاً لها وإعظاماً ، فقالت : يا فتى هل في منزلك محتمل للقايلة في هذا اليوم قلت : يا سيدتي على الرحب والسعة ولك الفضل والمنة ؛ فما كذبت أن ثنت رجلها ونزلت ، وقالت : أدخل بين يدي ، وأمرت جواريها فدخلن بالحمار إلى الدهليز ثم دخلت وما أحسب جميع ما أراه إلا نوماً لا يقظة وشكاً لا يقيناً . فلما استقر بها المجلس مدت يدها إلى عجارها فحلته كما قال الشاعر :

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت . . . بأحسن موصولين كف ومعصم فتفكرت في أمري وأنا لا أعقل من السرور فقلت : هذه جارية مغنية بلغها عني صوت من صنعتي فأرادت أن تأخذه عني ، فقلت : يا سيدتي أتأذنين في أن أقرب ما حضر من

---

(١) الأوشال جمع وشلٍ ، وهو : الماء القليل ، وهو مثلٌ هنا ، أي عندكم من ندى؟

(٢) جحظة البرمكي : أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي أبو الحسن . شاعر عباسي وكان قبيح المنظر ، ناتئ العينين ، فلقب بجحظة . وكان طنبوريّاً حاذقاً يصوغ اللحن ويجود الغناء . وقد عمر طويلاً ، له (ديوان شعر) وقد ضاع أكثره . له شعر في شعراء عباسيون منسيون .

طعام وشراب وأغنيك ما لعله بلغك من متخير أصواتي فقالت : ما على ذلك فوت ، ولكن قم الآن وشأنك فاقض حاجتك ثم تصير إلى ما تريد . فقمت إليها وقد أخذني الروع حتى ما أملك نفسي مهابة لها ، فلما فرغت مما لم أكن آمله ولا تسمو همتي إليه قلت : يا سيدتي هل لك في الطعام وأدعو بالعود فأغنيك ما قصدت له قال : عسى أن يكون هذا في يوم غير هذا ، ومدت يدها إلى قناعها فاعتجرت به ونهضت مسرعة فلم أحر جواباً وبقيت متحيراً ؛ فلما صارت إلى الدهليز لتركب قلت : سألتك بنعمة الله عليك ما خبرك قالت : لو تركت المسألة كان أحب إليك وأعود عليك ، قلت : لابد لي من علم حالك ، قالت : أما إذ أبيت فسأصدقك ؛ لي ابن عم هو بعلي يخالفني إلى جويرية لي مشوهة المنظر ، فأقسمت بالأيمان المحرجة أن أطوف بغداد حتى أبذل نفسي لأقبح من أرى وجهاً وأوحش من أقدر عليه صورة ، فأنا أطوف من الفجر إلى هذه الساعة فما رأيت بها أقبح منك ، فبررت قسمي وإن عاد إلى مثل فعله عدت إليك إن لم أجد أوحش منك ، وهذا يسير في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها ؛ ثم تولت عني وبقيت أخزى ممن دخل النار ، فوالله ما ظننت يا أبا الحسن أن إفراط القبح لينتفع به حتى كان ذلك اليوم ؛ قلت : هون عليك فإن القرد إنما يقع السرور به والضحك منه لتجاوزه في قبح الصورة ، قال : فاكتم علي ، قلت : نعم .

أهمية الزوج

قال أعرابي :

قالــت سليمــى : ليت لي بعلا بمن   يغســل رأســي ويسلّينــي الحزن
وحاجــة ليــس لها عنــدي ثمــن   مشهــورة قضاؤهــا منــه وهــن
قلــن جــواري الحيّ : يا سلمى وإن   كــان فقيــرا معدمــا؟ قالت وإن!

جارية وقرشي:

ولقي رجل من قريش كان به وضح جارية من بدر وكان مغرما بالشراب ؛ فقال لها : أشعرت أنه بعث نبيّ لهذه الأمة يحل الخمر للناس؟

قالت : إذا لا نصدّق به حتى يبرئ الأكمه والأبرص! .

ربيعة وبعض النساء

لما حلقت لحية ربيعة بن أبي عبد الرحمن كانت امرأة من المسجد تقف عليه كل يوم في حلقته ، وتقول : الله لك يا أبا عبد الرحمن! من حلق لحيتك؟ فلما أبرمته قال لها : يا هذه ، إن ذلك حلقها في جزّة واحدة ، وأنت تحلقينها في كل يوم .

شروط الزّواج عند الجاحظ

قال أبو عثمان الجاحظ[1] : إذا ابتلى الرّجل بمحبّة امرأة لنظرة نظر إليها ، ولمحة منها ، لم يكن يزوّج مثله مثلها وكانت ممتنعةً ، فالحيلة في ذلك أن يرسل إليها امرأةً قد كملت فيها سبع خصال منهنّ : أن تكون كتومة السّرّ ؛ وأن تكون خدّاعةً لها معرفةٌ بالمكر ؛ وأن تكون فطنةً متيقظةً ؛ وأن تكون ذات حرص ؛ وأن تكون ذات حظٍّ من مال ولا تحتاج إلى النّاس ولا ينكر النّاس اختلافها ودخولها عليها ، بأن تكون إمّا بيّاعة طيب ، أو قابلةً ، أو صانعةً لآلة العرائس ، وتقدّم إليها أرقّ وألطف ما تقدر عليه ، ولا تدع شيئاً من الشّكوى واللطف ، وتخبرها أنّ نفسه في يدها ، وأنّها متمثّلةٌ بين عينيه ، وأنّه لا ينسى ذكرها ، وأنّه يراها في المنام كلّ ليلة تضربه وتخاصمه ، وأنّه إن لم ير منها نظرةً أو خلوةً هلك ، وإنّه لم يمنعه من خطبتها إلاّ خشية الامتناع من أهلها إن كان دونهم في الحسب والجاه والمال وخوف التّمنّع منها هي أيضاً . فإنّها إذا سمعت هذا وأمثاله مرّةً أو مرّتين لم تدع أن تمكنه بمال إن قدرت عليه وأذنت له في خطبتها من أوليائها ، فإذا شاوروها في ذلك . رضيت ، وقد تمكّن قوله من قلبها ، توصّل منها إلى ما أراد بحلال التّزويج دون حيلةٍ من حيل الحرام .

غثنا ما شئنا

وقال الأصمعي : قال عيسى بن عمر : قال ذو الرمة : قاتل الله امة آل فلان ما كان أفصحها! سألتها كيف المطر عندكم؟ فقالت : غثنا ما شئنا .

(١) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، ولد في البصرة وتوفي فيها .

الثيب والبكر

عرض على رجل جاريتان : بكرٌ وثيبٌ ، فاختار البكر ، فقالت الثيب : ما بيني وبينها إلا يومٌ ، فقالت البكر : ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ فاشتراها .

السُنية والقدرية

قال بعضهم : حضرت مغنيّتين ، فكانت إحداهما تعبث بكل من تقدر عليه ، والأخرى ساكتةٌ ، فقلت للساكتة : رفيقتك هذه ما تستقر مع واحدٍ ؛ فقالت : هي تقول بالسنّة والجماعة ، وأنا أقول بالقدر .

وجه الشبه

جاءت دلالةٌ[1] إلى رجلٍ ، فقالت : عندي امرأة كأنها طاقة نرجس ؛ فتزوّجها ، فإذا هي عجوزٌ قبيحةٌ ، فقال للدلالة : غششتني ، فقالت : لا والله إنما شبّهتها بطاقة نرجسٍ لأنّ شعرها أبيضٌ ، ووجهها أصفرٌ ، وساقها أخضر .

طلب ورد

عن أبي الوليد الليثي[2] قال : خطب صعصعة بن معاوية[3] إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته «عمرة» ، وهي أم عامر بن صعصعة فقال عامر بن الظّرب : يا صعصعة : إنك قد أتيتني تشتري مني كبدي ، وأرحم ولدي عندي ، غير أني ، أطلبتك أو رددتك ، فالحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب ، وقد انكحتك مخافة ألا أجد مثلك أفر من السر إلى العلانية . أنصح ابنا ، وأدع ضعيفا

(١) هي المرأة التي تسعى في التزويج كالخطّابة عندنا .

(٢) الفقيه أبو الوليد المدني ثم الكوفي . وأمه : هي سلمى أخت أسماء بنت عميس . وكانت سلمى تحت حمزة -رضي الله عنه- فلما استشهد تزوجها شداد -رضي الله عنه- فولدت له عبد الله في زمن النبي- ﷺ - . حدث عن : أبيه ومعاذ بن جبل وعلي وابن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعائشة وأم سلمة وجماعة .

(٣) صعصعة بن معاوية بن حصين بن عبادة بن نزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرة عم الأحنف بن قيس

قويا . يا معشر عدوان : خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رغبة ولا رهبة . اقسم لولا قسم الحظوظ على قدر المجدود ، لما ترك الأول للآخر شيئا يعيش به .

أساس الزواج

وقال عمر لرجل هم بطلاق امرأته ، فقال له : لم تطلقها؟

قال : لا أحبها .

فقال عمر : أو كل البيوت بنيت على الحب؟ فأين الوفاء والذمة .

سباق

كان حبيب بن مسلمة الفهريّ رجلا غزّاء للترك ، فخرج ذات مرة إلى بعض غزواته ، فقالت له امرأته : أين موعدك؟

قال : سرادق الطاغية أو الجنة إن شاء الله .

قالت : إني لأرجو أن اسبقك إلى أيّ الموضعين كنت به . فجاء فوجدها في سرادق الطاغية تقاتل الترك

بين الفرزدق وامرأته

قال الفرزدق(١) لامرأته النوار : كيف رأيت جريرا(٢)؟

قالت : رأيتك ظلمته أولا ثم شغرت عنه برجلك آخرا .

قال : أنا

قالت : نعم ، أما إنه قد غلبك في حلوه ، وشاركك في مرّه

---

(١) الفرزدق شاعر من شعراء العصر الأموي واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكنيته ابو فراس وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه ومعناها الرغيف ، ولد الفرزدق في كاظمة لبني تميم ، اشتهر بشعر المدح والفخر وشعر الهجاء .

(٢) جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي شاعر من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد ، ولد في بادية نجد من أشهر شعراء العرب في فن الهجاء وكان بارعًا في المدح أيضًا .

البنت الحكيمة

مما يدخل في باب الانتفاع بالعصا أن عامرا بن الظرب العدواني ، حكم العرب في الجاهلية ، لما أسنّ واعتراه النسيان ، أمر ابنته أن تقرع بالعصا إذا هو حاد عن الحكم ، وجار عن القصد ، وكانت من حكيمات بنات العرب حتى جاوزت في ذلك مقدار صحر بنت لقمان ، وهند بنت الخس ، وجمعة بنت حابس ابن مليل الاياديين .

وكان يقال لعامر : ذو الحلم ، ولذلك قال الحارث بن وعلة :

وزعمتم أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت لذى الحلم

وقيل لرابعة القيسية : لو كلمت رجال عشيرتك فاشتروا لك خادما تكفيك مهنة بيتك؟ قالت : «والله إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا فكيف أسألها من لا يملكها؟!»

تعزية امرأة

تعزية امرأة للمنصور على أبي العباس مقدمه من مكة . قالت : أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجل من مصيبتك ، ولا عوض أعظم من خلافتك .

جواب حسن

قال رجل لجارية أراد شراءها : كم دفعوا فيك؟

فقالت : ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾

قال زكريا بن يحيى السّاجيّ : اشترى رجلٌ من أصحاب القاضي العوفي جاريةً ، فعصته ولم تطعه ، فشكى ذلك إلى العوفي فقال : انفذها إليّ حتى أكلمها ؛ فأنفذها إليه ، فقال لها : يا عروب (يا لعوب) يا ذات الجلابيب (ما هذا التمنع المجانب للخيرات ، والاختيار للأخلاق المشنوآت؟) قالت له : أيّد الله القاضي(ليست لي فيه حاجةٌ ؛ فمره يبيعني) فقال : يا منية كل حكيم ، وبحاث عن اللّطائف عليم ، أما علمت أنّ فرط الاعتياصات ، من الموموقات ، على طالبي المودَّات؟ فقالت له الجارية : ليس في الدنيا أصلح لهذه العثنونات المنتشرات على صدور أهل الرّكاكات من المواسي الحالقات ؛ وضحكت وضحك أهل المجلس ؛ وكان العوفي عظيم اللحية .

المعتصم والجارية

قال الجاحظ : طلب المعتصم جاريةً كانت لمحمود الورّاق ، وكان نخاساً ، بسبعة آلاف دينار ، فامتنع محمودٌ من بيعها ، فلما مات محمود اشتريت للمعتصم من ميراثه بسبعِ مئة دينار ، فلما دخلت إليه ، قال لها : كيف رأيت؟ تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعِ مئة {قالت : أجل! إذا كان الخليفة ينتظر لشهواته المواريث ، فإنّ سبعين ديناراً كثيرةٌ في ثّمني فضلاً عن سبع مئةٍ ؛ فأخجلته .

الجبن والزيتون

رأى رجلٌ امرأةً قد خضبت رؤوس أصابعها وشنترتها

فقال : ما أحسن هذا الزيتون

فقالت : فكيف لو رأيت قالب الجبن؟

خاتم جعفر بن يحي

حكي لنا أنّه كان لجعفر بن يحيى ، خاتمٌ منقوشٌ عليه (جعفر بن يحيى) ، فنادى ألا ينقش أحدٌ على خاتمه (جعفر بن يحيى) فجاءت جاريةٌ إلى نقّاش ، فقالت له : أريد أن تنقش لي على هذا الخاتم إذا حضرت عندك ما أقوله لك ؛ فحضرت ، وقد أوصت خادمين أن يصيح أحدهما في أوّل السوق : جعفر ، ويصيح الآخر في آخر السّوق : يحيى }فقالت : انقش لي ما تسمعه من أوّل صائح يصيح الآن ، فصاح أحدهما : جعفر ، فقال : ما يمكنني أن أنقش جعفر {فصاح الآخر : يحيى ، فقالت : انقش الآن جعفر بن يحيى ؛ فنقشه .

خداع أبو حنيفة

قال أبو حنيفة : خدعتني امرأة أشارت إلى كيس مطروح في الطريق ، فتوهّمت أنّه لها ، فحملته إليها ، فقالت : احتفظ به حتى يجيء صاحبه .

دهاء امرأة

كان رجلٌ يقف تحت روشن امرأةٍ ، وهي تكره وقوفه ، فجاء في بعض الأيام وعليه قميصٌ دبيقيٌ ، قد غسله عند المطّري ، وسقاه نشاءً ، وهو لبيسٌ ، وتحته قميصٌ

روميٌّ كذلك ؛ وكان للنّاس أترجٌ سوسيٌ ، في الأترجة ثلاثون رطلاً ، فأخرجت بطيخة كافور ، وأشارت إليه : تعال خذ هذه ؛ فجاء ، فوقف تحت الرّوشن ، فقالت : أمسك حجرك صلباً حتى لا يقع فينكسر ؛ فلزم حجره ، فأخرجت البطيخة كأنها ترمي بها ، فرمت أترجّته في حجره ، فلم يردّه شيءٌ سوى الأرض ، وبقي ما في القميص على رقبته وأكتافه ، فهرب مستحيياً وما عاد بعدها .

القرع

قال رجلٌ لرجلٍ : قد جرحني المزين في رقبتي

فقالت امرأة : هذا حتى لا يتمرمر . تعني أنّه كذا يصنع بالقرع .

لأعرابي في امرأته

كانت لأعرابي امرأة لا تردّ يد لامس ؛ فقيل له ؛ مالك لا تفارقها؟

قال : إنها حسناء فلا تفرك ، وأم بنين فلا تترك .

الزوجة الخامسة والزوج السادس

قال الأصمعي : قال أعرابي في امرأة تزوّجها ، وقد تزوّجت قبله خمسة ، وتزوّج هو قبلها أربعا ، فلاحته يوما ، فقال فيها :

لو لابس الشيطان ما ألابس ... أو مارس الغول التي أمارس

لأصبح الشيطان وهو عابس ... زوّجها أربعة عمارس

فانفلتوا منها ومات الخامس ... وساقني الحين فهانا السادس

وقال فيها :

بويزل أعوام أذاعت بخمسة ... وتعتدّني- إن لم يق الله- ساديا

ومن قبلها غيّبت في الترب أربعا ... وأعتدّها مذ جئتها في رجائيا

كلانا مطلّ مشرف لغنيمة ... يراها ويقضي الله ما كان قاضيا

وقال أعرابي :

أشكو إلى الله عيالا دردقا ... مقرقمين وعجوزا شملقا

الدردق : الصغار . والمقرقم : البطيء الشباب . والشملق السيئة الخلق .

قال الرياشي : أنشدني العتبي لأعرابي

ماذا تظن بسلمى إن ألّم بها مرجّل الرأس ذو بردين مزاح
حلو فكاهته خزّ عمامته في كفّه من رقى إبليس مفتاح!

مال العجوز

تزوج رجل من الأعراب امرأة منهم عجوزا ذات مال ، فكان يصبر عليها لمالها ، ثم ملّها وتركها ، وكتبت إليه تستردّه ، فكتب إليها يقول :

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلا وضرب الرّقاب

فكتبت إليه : إنه والله ما يريد قيس غير طعن الكلا!

أعرابي وامرأة خطبها

أبو حاتم عن الأصمعي قال : خطب أعرابي امرأة ، فقالت : سل عني بني فلان وبني فلان .

قال لها : وما علمهم بذلك؟

قالت : في كلهم نكحت وكنت

قال : أراك جلنفعة قد خزمتك الخزائم

قالت : لا ، ولكن جوّالة بالرجل عنتريس

الخاطب المتزوج

خطب إلى أعرابي رجل موسر إحدى ابنتيه . وكان للخاطب امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده!

قال أبوها : ولم؟

قالت : يوم عتاب ، ويوم اكتئاب ، يبلى فيما بين ذلك الشباب!

قالت الصغرى : زوّجنيه!

قال لها : على ما سمعت من أختك؟

قالت : نعم ، يوم تزيّن ، ويوم تسمّن ، وقد تقر فيما بين ذلك الأعين .

أعرابي بين يدي زياد

خاصم أعرابي امرأته إلى زياد ، فشدّد على الأعرابي ؛ فقال : أصلح الله الأمير ؛ إن خير عمر الرجل آخره ؛ يذهب جهله ويثوب حلمه ، ويجتمع رأيه ؛ وإن شر عمر المرأة آخره ؛ يسوء خلقها ، ويحدّ لسانها ، وتعقم رحمها!

قال له :

صدقت ، اسفع بيدها .

نتائج عكسية

كان أعرابي قبيح طويل خطب امرأة ؛ فقيل له : أيّ ضرب تريدها؟

قال : أريدها قصيرة جميلة ، فيأتي ولدها في جمالها وطولي . فتزوجها على تلك الصفة ، فجاء ولدها في قصرها وقبحه!

خصام

خاصم أعرابي امرأته إلى السلطان ، فقيل له : ما صنعت؟

قال : خيرا ، كبها الله لوجهها ولو أمر بي إلى السجن!

معاتبة واعتراف

تزوّج أعرابي امرأة ، فطالت صحبتها له ، فتغير لها وقد طعنت في السنّ ، فقالت له : ألم تكن ترضي إذا غضبت ، وتعتب إذا عتبت ، وتشفق إذا أبيت ؛ فما بالك الآن؟ قال : ذهب الذي كان يصلح بيننا .

زوج أمامة

قال الأصمعي : كنت أختلف إلى أعرابي أقتبس منه الغريب ، فكنت إذا استأذنت عليه يقول : يا أمامة ، إيذني له . فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه مرارا فلم أسمعه يذكر أمامة ؛ فقلت له : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمامة منذ حين! قال : فوجم وجمة ندمت على ما كان مني ؛ ثم قال :

ظعنت أمامة بالطلاق ونجوت من غلّ الوثاق
بانت فلم يألم لها قلبي ولم تدمع مآقي
ودواء ما لا تشتهيه النفس تعجيل الفراق

والعيـــش ليــس يطيب بيــ ــن اثنـــين فـــي غير اتّفاق
لـــو لـــم أرح بفراقهـــــا لأرحـــت نفســـي بالإباق

الحمار والجبة تنقذ أعرابيا من امرأته

زوج أعرابي امرأة فآذته وافتدى منها بحمار وجبة ، فقدم عليه ابن عمّ لها من البادية فسأله عنها ؛ فقال :

خطـــت إلـــى الشيطـان للحين بنته فأدخلهـــا مـــن شقوتي في حباليا
فأنقذنـــي منهـــا حمـــاري وجبّتـــي جـــزى اللـه خيرا جبتي وحماريا

بغضاء

قيل لأعرابي : كيف حبك لزوجتك؟

قال : ربما كنت معها على الفراش فمدّت يدها إلى صدري ، فوددت والله أن آجرّة خرّت من السقف فقدّت يدها وضلعين من أضلاع صدري! ثم أنشأ يقول :

لقـــد كنت محتاجا إلى موت زوجتي ولكـــن قريـــن السّـــوء باق معمّر
فياليتها صارت إلـــى القبـــر عاجـــلا وعذّبهـــا فيـــه نكيـــــر ومنكـــر

ابن العم

قالت أعرابية لبنات عم لها : السعيدة منكم من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها بتيسين وكلبين وعيرين ورحيين ، فينبّ التيسان ، وينهق العيران ، وينبح الكلبان ، وتدور الرحيان ، فيعج الوادي ؛ والشقية منكن من يتزوجها الحضري ، فيكسوها الحرير ، ويطعمها الخمير ، ويحملها ليلة الزفاف على عود- تعني : سرجا .

الدجاجة المباركة في البقعة المباركة

نزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد دجنت عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه فقالت : يا أبا جعفر ، هذه دجاجة لي كنت أدجنها وأعلفها من قوتي! وألمسها في آناء الليل فكأنما ألمس بنتي زلّت عن كبدي ، فنذرت لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه . فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسمائة درهم .

أعرابية في ابنها

وقال بعضهم أن أعرابية في ابنها ، وكان لها ابن شديد العرام ، كثير القتال للناس ، مع ضعف أسر ورقة عظم ، فواثب مرة فتى من الأعراب ، فقطع الفتى أنفه ، فأخذت أمّه دية أنفه ؛ فحسن حالها بعد فقر مدقع ؛ ثم واثب آخر ، فقطع أذنه ؛ ثم أخذت دية أذنه فزادت في المال وحسن الحال ؛ ثم واثب آخر فقطع شفته ؛ ثم أخذت دية شفته ؛ فلما رأت ما صار عندها من الإبل والبقر والغنم والمتاع بجوارح ابنها ، ذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

أحلف بالمروة حقّا والصّفا أنك خير من تفاريق العصا

فقلت لأعرابي : ما تفاريق العصا؟ قال : العصا تقطع ساجورا ، ثم يقطع الساجور أوتادا ، ثم تقطع الأوتاد أشظّة .

الحاجة تعاتب ربها

خرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت ببعض الطريق عطبت راحلتها ، فرفعت يديها إلى السماء وقالت : يا رب ، أخرجتني من بيتي إلى بيتك ، فلا بيتي ولا بيتك!

في سوداء

قال أعرابي في سوداء :

كأنها والكحل في مرودها تكحل عينيها ببعض جلدها

ماأغنى عنها جمالها

قال الأصمعيُّ : رأيت أعرابيةَ ذات جمال تسأل بمنى ،

فقلت لها : يا أَمَة اللهّ ، تسألين ولك هذا الجمال؟

قالت : قدَرَّ الله فما أصنع؟

قلت : فمن أين معاشكم؟

قالت : هذا الحاج ، نَسْقيهم ونغسل ثيابهم؟

قلت : فإذا ذهب الحاج فمن أين؟

فنظرت إليّ وقالت : يا صَلْت الجبين ، لو كنّا نعيش من حيث نعلم ما عِشْنا .

في وصف القبح

ودخلت أعرابية على حمدونة بنت المهدي ؛ فلما خرجت سئلت عنها ، فقالت : والله لقد رأيتها فما رأيت طائلا ؛ كأن بطنها قربة ، وكأن ثديها دبّة ، وكأن استها رقعة ، وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عفريته يقاتل ديكا .

وصاحب أعرابي امرأة فقال لها : والله إنك لمشرفة الأذنين ، جاحظة العينين ، ذات خلق متضائل ، يعجبك الباطل ، إن شبعت بطرت ، وإن جعت صخبت ، وإن رأيت حسنا دفنتيه ، وإن رأيت سيئا أذعتيه ؛ تكرمين من حقرك ، وتحقرين من أكرمك .

العريس المقرف

استشارت أعرابية في رجل تتزوجه ، فقيل لها : لا تفعلي فإنه وكلة تكلة ، يأكل خلله أي يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل . قال أبو حاتم :

هو الخلالة . ووكلة تكلة : إذا كان يكل أمره إلى الناس ويتكل عليهم .

أعرابية ترقص طفلا

قال الأصمعي : رأيت امرأة ترقّص طفلا لها ، وتقول :

أحبّه حبّ الشحيح ماله   قد كان ذاق الفقر ثمّ ناله

إذا أراد بذله بدا له

تسقط جنينها في سبيل الطلاق

خاصمت امرأةٌ زوجها ، وقالت : طلقني

فقال : فأنت حبلى ، إذا ولدت طلقتك (فقالت : ما عليك منه)

قال : فإيش تعملين به؟

قالت : أقعده باب الجنة فقاعى ؛ فقالوا لعجوز : ما معنى هذا؟

قالت : تعني : إنّها تشرب ماء السذاب ، وتتحمل به حتى يسقط ، فيلحق بالجنّة ، فيكون كالفقاعى .

حسن المخاطبة

أراد شعيب بن حرب[1] أن يتزوّج امرأةً ، فقال لها : إني سيئ الخلق ، فقالت : أسوأ خلقاً منك من يحوجكَ إلى أن تكون سيئ الخلق .

قميص رسول الله

قال ابن أبي الزّناد : كان عند أسماء بنت أبي بكرٍ قميصٌ من قمص رسول الله ﷺ ، فلمّا قتل عبد الله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب مما انتهب ، فقالت أسماء : للقميص أشدّ عليّ من قتل عبد الله ؛ فوجد القميص عند رجلٍ من أهل الشام ، فقال : لا أردّه أو تستغفر لي أسماء ؛ فقيل لها ، فقالت : كيف استغفر لقاتل عبد الله؟ قالوا : فليس يردّ القميص {فقالت : قولوا له فليجيء . فجاء بالقميص ومعه عبد الله بن عروة ، فقالت : ادفع القميص إلى عبد الله ؛ فدفعه ، فقالت : قبضت القميص يا عبد الله؟ قال : نعم ؛ قالت : غفر الله لك يا عبد الله ؛ وإنّما عنت عبد الله بن عروة .

ليس في عجلة من أمره

نزل عيارٌ في شاروفة الدّار فانقطعت ، فوقع ، فانكسرت رجله ؛ فصاحت المرأة : خذوه ؛ فقال لها : ما عليك عجلةٌ ، أنا عندك اليوم وغداً وبعده .

قال شميرٌ : إنّ رجلاً خطب امرأة وتحته أخرى ، فقالوا : لا نزوّجك حتى تطلّق ، فقال : اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً ، فزوّجوه ، فأقام على امرأته ، فادعى القوم الطلاق ، فقال : أما تعلمون أنّه كانت تحتي فلانةٌ بنت فلان فطلّقتها؟ قالوا : بلى . وكانت تحتي فلانةٌ بنت فلان فطلّقتها؟ قالوا : بلى . وكانتً تحتي فلانةٌ فطلّقتها؟ قالوا : بلى . قال : فقد طلّقت ثلاثاً . فبلغ إلى عثمان ، فجعلها نيّته .

---

(١) الإمام القدوة العابد ، شيخ الإسلام أبو صالح المدائني ، المجاور بمكة ، من أبناء الخراسانية .

أكثرهم أكباشاً

قال أبو العباس محمد بن إسحاق الشاهد : سألت الزبير ابن البكار[١] ، فقلت : منذ كم زوجتك معك؟ فقال : لا تسألني ، ليس يرد القيامة أكثر كباشاً منها ، ضحيت عنها بسبعين كبشاً .

صويحبات يوسف

قال يزيد بن عروة : لمّا مات كُثَيِّر[١] لم تتخلف امرأةٌ بالمدينة ولا رجلٌ عن جنازته ، وغلب النساء عليها يبكيْنَه ويذكرْنَ عزَّةَ في نَدْبِهِنَّ له ، فقال أبو جعفر محمد بن علي : أفْرِجوا لي عن جنازة كثيرٍ لأرفعها ،

قال : فَجَعَلْنا ندفع النساء عنها ،

وجعل محمد بن علي يضرِبُهُنَّ بكمِّه ويقول :

تَنَحَّيْنَ يا صواحبات يوسف . فانْتَدَبَتْ له امرأة منهنَّ فقالت : يا ابن رسول الله لقد صدقت ، . إنا لصواحباته وقد كنَّا خيراً منكم له ،

فقال أبو جعفر لبعض مواليه : احتفظْ بها حتى تجيْئَني بها إذا انصرفتُ .

قال : فلمّا انصرف أُتِيَ بتلك المرأة كَأنَّها شررُ النار ،

فقال لها محمد بن علي : أنت القائلة : إنكنَّ لِيُوسفَ خيرٌ منَّا؟

قالت : نعم ، تُؤْمِنُني غضبَكَ يا ابن رسول الله؟

قال : أنت آمنةٌ من غضبي فأنْبِئيني .

قالت : نحن -يا ابن رسول الله- دعوناه إلى اللَّذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعم ، وأنتم معاشرَ الرجال ألقَيْتُموهُ في الجُبِّ وبِعْتُمُوهُ بأبخس الأثمان ، وحبسْتُموه في السِّجن ، فأيُّنا كان عليه أحنى وبه أرْأَف؟

فقال محمد : لله دَرُّك ، لن تُغَالَبَ امرأةٌ إلا غلبت ،

ثم قال لها : أَلَكِ بعلٌ؟

---

(١)

(٢) كثير عزة شاعر عربي متيم من أهل المدينة المنورة وشعراء الدولة الأموية واسمه كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي وعرف بعشقه عزة بنت جميل بن حفص بن إياس الغفارية الكنانية .

قالت : لي من الرجال من أنا بعله ،

فقال أبو جعفر : ما أصْدَقَكِ ، مثْلُك من تَمْلكُ زوجَها ولا يَمْلكُها ، قال : فلما انصرفتْ قال رجل من القوم : هذه بنت فلانة بنت معيقيب .

ابنة عباد بن أسلم والحجاج

وكتب عبد الملك بن مروان[1] إلى الحجاج[2] يأمره أن يبعث إليه برأسِ عبّاد بن أسلم البكريّ فقال له عبّاد : أيها الأمير أنشدك الله لا تقتلني فوالله إني لأَعُوْلُ أربعاً وعشرين امرأة ما لهنَّ كاسِبٌ غيري فرقَّ لهنَّ واسْتَحْضَرَهنَّ وإذا واحدة منهنَّ كالبدر فقال لها الحجاج : ما أنتِ منه ؟قالت أنا بنته فاسمع يا حجاج منِّي ما أقول ثم قالت :

أحجاجُ إما أن تَمُنَّ بتركه ... علينا وإما أن تقتلنا معا

أحجاجُ لا تفجعْ به إنْ قتلْتَه ... ثمانا وعشراً واثنتين وأربعا

أحجاجُ لا تتركْ عليه بناته ... وخالاته ينْدُبْنَهُ الدهرَ أجمعا

فبكى الحجاج ورقَّ له واسْتَوْهَبَه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بِصِلة .

الكرم مقدم على الشباب والجمال

خطب المغيرة بن شعبة[3] وفتى من العرب امرأة وكان الفتى طريراً جميلاً فأرسلت إليها المرأة فقالت إنكما قد خطبتماني ولست أجيب أحد منكما دون أن أراه وأسمع كلامه فأحضرا إن شئتما ، فحضرا فأجلستهما بحيث تراهما وتسمع

(١) عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ، أبو الوليد . خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبي الملوك ، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي .

(٢) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، قائد أموي ، داهية ، سفاك ، خطيب . ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته ، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره .

(٣) أبو عبد الله هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ولد في ثقيف بالطائف ، وبها نشأ ، وكان كثير الأسفار ، أسلم عام الخندق بعدما قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك وفدوا معه على المقوقس في مصر ، وأخذ أموالهم ، فغرم دياتهم عمه عروة بن مسعود .

كلامهما ، فلما رآه المغيرة نظر إلى جماله وشبابه وهيئته يئس منها وعلم أنها لن تؤثره عليه فأقبل على الفتى فقال له لقد أوتيت جمالاً حسناً وبياناً فهل عندك سوى ذلك قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك قال ما يسقط على منه شيء وإني لاستدرك منه أدق من الخردلة فقال له المغيرة لكنني أضع البدرة في زاوية البيت فينفقها أهلي على ما يريدون فما أعلم نفادها حتى يسألوني غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إلي من هذا الذي يحصي علي مثل صغير الخردل فتزوجت المغيرة .

دعاء له أم عليه

حكى أن امرأة دخلت على هارون الرشيد وعنده جماعه من وجوه اصحابه فقالت : يا أمير المؤمنين اقر الله عينك وفرحك بما أعطاك لقد حكمت فقسطت فقال : من تكونين أيتها المرأة؟ فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم واخذت اموالهم فقال : أما الرجال فقد مضى فيهم قضاء الله واما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من اصحابه وقال : أتدرون ما قالت هذه المرأة فقالوا : ما نراها قالت إلا خيرا ، قال : ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك اي اسكتها عن الحركة وإذا سكتت العين عن الحركة عميت واما قولها وفرحك الله بما أعطاك أخذته من قوله تعالى ﴿حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة﴾ واما قولها :حكمت فقسطت اخذته من قوله تعالى ﴿واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ .

امرأة أصابت وأخطأ رجل

عن عبد الله بن مصعب قال : قال عمر بن الخطاب : لا تزيدوا في مهر النساء على أربعين أوقية ، وان كانت بنت ذي الغصة _يعني يزيد بن الحصين الصحابي الحارثي _فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال .

فقالت امرأة من صف النساء : ما ذاك لك .

قال : ولم؟

قالت : لأن الله عز وجل قال : ﴿وإن آتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾ .

قال عمر : امرأة أصابت وأخطأ رجل .

الخير الذي تركه أكثر

عن عبد الله بن الزبير ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم قالت : لما توجه رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة ومعه أبو بكر حمّل أبو بكر معه جميع ماله ، خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم ، فأتاني جدي أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : أرى هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه . فقالت : كلا يا أبت ، قد ترك لنا خيرا كثيرا . فعمدت الى أحجار جعلتها في كوة البيت كان أبو بكر يحصّل ماله فيها ، وغطيت على الأحجار بثوب ، ثم جئت به فأخذت بيده ووضعتها على الثوب ، وقلت ترك لنا هذا . فجعل يجد مس الحجارة من وراء الثوب ، فقال :أما اذا ترك لكم هذا ، فنعم . ولا والله ما ترك لنا قليلا ولا كثيرا .

القاضي والمرأة التي لاتعلم

قال اسماعيل بن حمادة بن أبي حنيفة :ما ورد عليّ مثل امرأة تقدمت ، فقالت :

أيها القاضي ، ابن عمي زوّجني من هذا ولم أعلم ، فلما علمت رددت .
فقلت لها : ومتى رددت؟
قالت : وقت ما علمت .
قلت : ومتى علمت؟
قالت : وقت ما رددت .
فما رأيت مثلها .

تفتي للقاضي

حدثنا عليّ بن القاسم القاضي ، قال : سمعت أبي يقول :
كان موسى بن اسحاق لا يرى مبتسما قط ، فقالت له امرأة :
أيها القاضي ، لا يحل أنت تحكم بين اثنين وأنت غضبان .
قال : ولم؟
قالت : لأن النبي ﷺ قال : «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان» .
فتبسّم .

مكة والجاحظ

قال الجاحظ :

رأيت جارية بسوق النخاسين ببغداد ينادي عليها وعلى خدّها خال ، فدعوت بها وجعلت أقلبها ، فقلت لها : ما اسمك؟

قالت : مكة .

فقلت : الله أكبر! قرب الحج ، أتأذنين أن أقبّل الحجر الأسود؟

قالت له : اليك عني ، ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس﴾ .

حيلة عاشقة

حدثنا رجل من تغلب قال :

كان فينا رجل له ابنة شابة ، وكان له ابن أخ يهواها وتهواه ، فمكثا كذلك دهرا ، ثم ان الجارية خطبها بعض الأشراف فأرغب في المهر ، فأنعم أبو الجارية ، واجتمع القوم للخطبة ، فقالت الجارية لأمها :

يا أماه ما يمنع أن يزوجني من ابن عمي؟

قالت : أمرا كان مقضيا .

قالت : والله ما أحسن . رباه صغيرا ، ثم تدعوه كبيرا؟

ثم قالت لها : يا أماه ، إني والله حامل ، فاكتمي ان شئت أو نوّحي .

فأرسلت الأم الى الأب ، فأخبرته الخبر ، فقال : اكتمي هذا الأمر .

ثم خرج الى القوم ، فقال : يا هؤلاء ، إني كنت أجبتكم ، وأنه قد حدث أمر رجوت أن يكون فيه الأجر وأنا أشهدكم أني قد زوّجت ابنتي فلانة من ابن أخي فلان .

فلما انقضى ذلك قال الشيخ : أدخلوها عليه .

فقالت الجارية : انها بالرحمن كافرة ان دخل عليها من سنة أو تبيّن حملها .

قال : فما دخل عليها الا بعد حول ، فعلم أبوها أنها احتالت عليه .

الحسنى بالحسنى

حدثنا العتيبي قال :

قال رجل لامرأته : أمرك بيدك .

ثم ندم فقالت :

أما والله لقد كان بيدك عشرين سنة ، فأحسنت حفظه وصحبه ، فلن أضيعه اذا كان بيدي ساعة من نهار ، وقد رددته اليك .

فأعجب بذلك من قولها وأمسكها .

تصحح خطأ القاضي

كان بعض قضاة الحنفية من مذهبه أنه إذا ارتاب بالشهود فرّقهم .

فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء ، فأراد أن يفرّق بين المرأتين على عادته ، فقالت احداهما : أخطأت ، لأن الله تعالى قال : ﴿فتذكر احداهما الأخرى﴾ . فاذا فرّقت زال المعنى الذي قصده الشرع . فأمسك .

الجارية الفصيحة والمبرد

ذكر أن رجلا دعا المبرّد بالبصرة مع جماعة ، فغنّت جارية من وراء الستار ، وأنشأت تقول :

وقالوا لها هذا حبيبك معرضا فقالت ألا اعراضه أيسر الخطب
فما هي الا نظرة بتبسّم فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فطرب كل من حضر إلا المبرد ، فقال له صاحب المجلس :

كنت أحق الناس بالطرب .

فقالت الجارية : دعه يا مولاي ، فانه سمعني أقول : «حبيبك معرضا» ، فظنني لحنت ، ولم يعلم أن ابن مسعود قرأ (وهذا بعلي شيخا) .

فطرب المبرّد الى أن شق ثوبه .

جارية المأمون

غضب المأمون[1] يوما على عبد الله بن طاهر[2] ، فأراد طاهر أن يقصده ، فورد

(١) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ، ولد عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ وتوفي غازيا في ١٩ رجب عام ٢١٨ هـ ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣ بطرسوس ، شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول وذلك لأنه شارك فيها بنفسه .

(٢)عبد الله بن طاهر الخراساني كان الحاكم الطاهري على خراسان من عام ٨٢٨ وحتى وفاته . وربما كان أشهر حكام الطاهريين .

عليه كتاب من صديق له مقصور على السلام ، وفي حاشيته «يا موسى» . فجعل يتأمله ، ولا يعلم معنى ذلك ، فقالت له جارية وكانت فطنة :

أراد : ﴿يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ .

فتيقظ عن قصد المأمون .

زوجة البخيل

خاصمت امرأة زوجها في تضييقه عليها وعلى نفسه ، فقالت :

والله ما يقيم الفأر في بيتك إلا لحب الوطن ، وإلا فهو يسترزق من بيوت الجيران .

الجارية وسيدتها

أعطت امرأة جاريتها درهما ، وقالت : اشتري هريسة ، فرجعت ، فقالت :

يا سيّدتي سقط الدرهم مني فضاع .

فقالت : يا فاعلة ، تكلميني بفمك كله وتقولين : ذهب الدرهم؟

فأمسكت الجارية نصف فمها بيدها ، وقالت بالنصف الآخر :

وانكسرت يا سيّدتي الزبدية .

على مثله يُبكى

بكت عجوز على ميّت فقيل لها :

بماذا استحق هذه منك؟

فقالت : جاورنا وما فينا إلا من تحل له الصدقة ، ومات وما منا إلا من تجب عليه الزكاة .

نصبت له فخاً

روى بعض التجار المسافرين قال :

كنا نجتمع من بلاد شتى في جامع عمرو بن العاص نتحدث ، فبينما نحن جلوس يوما نتحدّث ، وإذا بامرأة بقربنا في أصل سارية ، فقال لها رجل من التجار من البغداديين : ما شأنك؟

فقالت : أنا امرأة وحيدة ، غاب عني زوجي منذ عشر سنين ، ولم أسمع له خبرا ، فقصدت القاضي ليزوّجني ، فامتنع ، وما ترك لي زوجي نفقة ، وأريد رجلا غريبا يشهد لي هو وأصحابه أن زوجي مات أو طلقني لأتزوّج ، أو يقول : «أنا زوجها» ، ويطلقني عند القاضي لأصبر مدة العدة وأتزوّج .

فقال لها الرجل : تعطيني دينارا حتى أصير معك الى القاضي وأذكر له أني زوجك ، وأطلقك؟

فبكت وقالت : والله ما أملك غير هذه ، وأخرجت أربعة رباعيات .

فأخذها منها ومضى معها إلى القاضي ، وأبطأ علينا ، فلما كان من الغد لقيناه ، فقلنا : ما أبطأك؟

فقال : دعوني ، فاني حصلت في أمر ذكره فضيحة .

قلنا : أخبرنا .

قال : حضرت معها الى القاضي فادعت عليّ الزوجية والغيبة عشرة سنين ، وسألت أن أخلي سبيلها ، فصدقتها على ذلك ، فقال لها القاضي : أتبرئينه؟ قالت : لا والله ، لي عليه صداق ونفقة عشر سنين ، وأنا أحق بذلك ، فقال لي القاضي : ادّها حقها ولك الخيار في طلاقها أو امساكها . فورد عليّ ما بلسني ، ولم أتجاسر أن أحكي صورتها معي ، فلا أصدّق ، فتقدم القاضي بتسليمي الى صاحب الشرطة ، فاستقرّ الأمر على عشرة دنانير أخذتها مني وغرمت للوكلاء وأعوان القاضي الأربعة رباعيات التي أعطتني ، ومثلها من يدي .

فضحكنا منه ، فخجل وخرج من مصر ولم يعرف له خبر .

احتالت عليه وعشقها

قال الشيخ أبو الوفاء بن عقيل :[١] حكى لي بعض الأصدقاء أن امرأة جلست على باب دكان بزاز أعزب الى أن أمست ، فلما أراد غلق الدكان تراءت له ، فقال لها : ما هذا المساء؟

فقالت : والله ما لي مكان أبيت فيه .

---

(١) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل من بغداد ، العراق . شيخ الحنابلة ، امام علامة ، وصاحب تصانيف . من كبار الأئمة .

فقال لها : تمضين معي الى البيت؟

فقالت : نعم .

فمضى بها الى بيته ، وعرض عليها الزواج ، فأجابت ، فتزوجها .

وبقيت عنده أياما ، وإذا قد جاء في اليوم الرابع رجل ومعه نسوة ، فطلبوها ، فأدخلهم وأكرمهم ، وقال : من أنتم منها؟

فقالوا : أقاربها : ابن عم وبنات عم ، وقد سررنا بما سمعنا من الوصلة ، غير أنا نسألك أن تتركها وتزورنا لعرس بعض أقاربنا .

فدخل اليها فقالت :

لا تجبهم الى ذلك ، واحلف بطلاقي أني لا خرجت من الدار شهرا ليمضي زمن العرس ، فانه أصلح لي ولك ، والا أخذوني وأفسدوا قلبي عليك ، فاني كنت غضبى وتزوّجت اليك بغير مشاورتهم ، ولا أدري من دلّهم اليك؟

فخرج فحلف كما ذكرت له ، فخرجوا يائسين ، وأغلق الباب وخرج الى الدكان وقد علق قلبه بالمرأة . فخرجت ولم تستصحب من الدار شيئا ، فجاء فلم يجدها ، فقال قائل : ترى ما الذي قصدت؟

قال أبو الوفاء : لعلها مستحلة به لأجل زوج طلقها ثلاثا ، فليتخوّف الانسان من مثل هذا ، وليطلع به على غوامض حيل الناس .

غيرة عائشة رضي الله عنها

حدّث هشام بن عروة(١) ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله ، أرأيت لو نزلت واديا فيه شجر أكل منها ، ووجدت شجرا لم يؤكل منها ، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال : «في التي لم يرتع منها» .

تعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها .

حديث الجواري

قال الجاحظ : سألت جارية أبكر أنتِ؟

---

(١) هشام بن عروة واسمه الكامل أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، بن قصي ، بن كلاب ، القرشي ، الأسدي ، الزبيري ، المدني . من حفاظ الحديث ، ورواته .

فقالت بغضب : أعوذ بالله من الكساد يا شيخ!

قال المتوكل لجارية استعرضها : أبكر أنتِ أم أنتِ أيش؟
فقالت : أنا أيش يا أمير المؤمنين .

استعرض رجل جارية فاستقبح قدميها فشعرت هي بذلك فقالت له : لا تبال يا سيدي فإني أجعلهما خلف ظهرك!

بنت المهدي وخادم الرشيد

كانت عليةُ بنت المهدي[1] تحب أن ترسل بالأشعار من تختصُه ، فاختصتْ خادماً يقال له (طَلَ) من خدم الرشيد ، فكانت تراسله بالشعر ، فلم تره أياماً ، فمشت على ميزاب وحدثته وقالت في ذلك :

قد كان ما كُلفته زمناً يا طلُ من وجدٍ بكم يكفي
حتى أتيتك زائراً عجلاً أمشي على حتفٍ إلى حتف

فحلف عليها الرشيد ألا تكلم طلاً ولا تسميه باسمه ، فضمنتْ له ذلك ، استمع عليها يوماً وهي تدرسُ آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل : (فإن لمْ يصبها وابلٌ فطلٌ) وأرادت أن تقول : (فطلٌ) فقالت : فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين . فدخل وقبل رأسها وقال : قد وهبتُ لكِ طلاً ، ولا أمنعك بعد هذا من شيءٍ تريدينه!!

التجمل بحسن الكلام

حكي أنه كان لهارون الرشيد جارية سوداء قبيحة المنظر ، فنثر يوماً دنانير بين الجواري ، فصارت الجواري يلتقطن الدنانير ، وتلك الجارية واقفة تنظر إلى وجه الرشيد ، فقال لها : ألا تلتقطين الدنانير؟ فقالت : إن مطلبهن الدنانير ومطلبي

---

(١) عُليَّة بنت المَهْدي هي شاعرة عربية وأخت الخليفة العباسي هارون الرشيد . تُعرف أيضاً بـ العبَّاسة . هي عُلية بنت المهدي بن المنصور ، من بني العباس . توفيت سنة ٢١٠ هـ ببغداد وصلى عليها المأمون .

صاحب الدنانير !!فأعجبته فقربها وأثنى عليها خيراً ، فقام حسن كلامها مقام الجمال!!

الأولى والآخرة

ادخل علي المنصور[١] جاريتان فأعجبتاه فقالت التي دخلت أولا : يا أمير المؤمنين ، إن الله فضلني على هذه بقوله : «والسابقون الاولون» . وقالت الأخرى : لا بل الله فضلني عليها بقوله : «وللأخرة خير لك من الاولى»!!

نكره منك ماتكره منا

قال الصولي ، قال العتبى : رأيتُ امرأةً أعجبتني صورتها ، فقلتُ : ألك بعل؟ قالت : لا . قلتُ : أفترغبين في الزواج؟ قالت : نعم ، ولكن لي خصلةٌ لا أظنك ترضاها . قلتُ : وماهي؟ قالت : بياض برأسي . قال : فثنيتُ عنان فرسي وسرتُ قليلاً ، فنادتني «أقسمت عليك لتقفن» ، ثم أتتْ إلى موضع خال ، فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السوناي ، فقالت : والله مابلغتُ العشرينً ، ولكنني عرَفتُك أنَا نكره منك ما تكره منا . قال : فخجلت وسرتُ وأنا أقول : فجعلتُ أطلبُ وصلها بتملُّقٍ . . والشيبُ يغمزها بأن لاتفعلي

الثمرة المفضلة

شاهد رجل امرأة شنقت نفسها في شجرة فقال : يا ليت كل الأشجار تحمل مثل هذه الثمار . !!

ناقصات عقل ودين

كان شريح القاضي[٢] يقول في حق النساء : وإنهن ناقصات عقل ودين ،

---

(١) أبو جعفر عبد الله المنصور ، واسمه الكامل عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم .

(٢) القاضي المسلم الفقيه المحدث الشاعر شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي ، كان قاضي الكوفة لستين سنة ، قال فيه علي بن أبي طالب «هو أقضى العرب» . عاش مائة وثمان سنين وتوفي سنة ٧٨ هجرية – وقيل ثمانين – وترك القضاء قبل موته بسنة واحدة أو شهر .

واشتهر عنه ذلك ، فجاءته امرأة يومًا تسأله عن ذلك ، فقال لها : والله يا هذه ، ليس قولي هذا في حقكنَّ ، إنما هو في حق نساء الصحابة ، وأما أنتنَّ فلا عقل لكنَّ ولا دِين؟ فرجعت المرأة تتعثَّر في ذيلها من شدة الحياء والخَجل ، وهي تقول : صدق شريح .

امرأة وقوم من بني نمير

مرت امرأة بقوم من بني نمير ، فرشقوها بأبصارهم ، وأداموا النظر إليها ، فقالت : قبَّحكم الله يا بني نمير!

فوالله ما أخذتم بقول الله -تبارك وتعالى- : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ .

ولا بقول الشاعر .

فغضٍّ الطَّرْفَ إنَّك من نميـر   فَلا كعبًّا بلغتَ ولا كِلابَـــا

حسن الاختيار

جاءت امرأة إلى الحجّاج بن يوسف الثّقفي تلتمس أن يُطلِق صَراح زوجها وأخيها وابنها الذين كان قد أسَرَهم بعد انتصاره في معركة وادي الجماجم ، فقال لها : مادامت لك الشجاعة لتواجهي الأمير فإني سأقبل أنْ أفرّج عن أحدِهم فأيّهم تختارين؟ فكرت المرأة لوهلة ثُم قالت : الزوج موجود والابن مولود والأخ مفقود ، أختار الأخ . فأُعْجبَ الحجاجُ بجوابها وأفرج عن الثلاثة .

زوجة الأموات

تزوج رجل امرأة قد مات عنها أربعة أزواج فمرض مرض الموت فجلست عند رأسه تبكي وقالت : إلى من توصي بي وعلى من تتركني . فقال لها : إلى السادس الشقي .

المرأة والفقيه

قابل أحد الفقهاء إحدى السيدات الجميلات فقال لها :

(وزيناها للناظرين) ، فقالت :

(وَحَفِظناها من كلِ شيطانٍ رَجيم) ،

فقال : (نريد أن نأكلَ منها وتَطمَئِنَ قلوبنا) ،
قالت : (لن تَنالوا البِر حتى تُنفقوا مما تُحِبون) ،
قال : (وإذا لم يجدوا ما يُنفقُونَ) .
قالت : (أولئك عنها مبعدونَ)
فاغتاظ الرجل وقال : ألا لعنةُ اللهِ على النساء أجمعين .
فردت عليه قائلةُ : (للذكرِ مثلُ حظِ الأُنثَيين) .

الزوجة المناسبة للفيلسوف

سئل أحد الفلاسفة : كيف تختار امرأتك فأجاب :

لا أريدها جميلة ، فيطمع فيها غيري . ولا قبيحة ، فتشمئز منها نفسي . ولا طويلة ، فأرفع لها هامتي . ولا قصيرة ، فأطأطئ له رأسي . ولا سمينة ، فتسد على منافذ النسيم . ولا هزيلة ، فأحسبها خيالي . ولا بيضاء مثل الشمع . ولا سوداء مثل الشبح . ولا جاهلة فلا تفهمني . ولا متعلمة فتجادلني . ولا غنية فتقول هذا مالي . ولا فقيرة فيشقى من بعدها ولدي .

إلا أنا..

تزوج رجل امرأة قبيحة الوجه . وفي صباح اليوم التالي للعرس . قالت لزوجها : على من تريدني أن أظهر . . .؟ وعلى من تريدني أن أختبئ . . .؟

فقال لها : أنت في حل . أن تظهري لكل الناس إلا أنا!!

املأ الفراغات

كان رجل كثير المخاصمة لامرأته وله جار يعاتبه على ذلك ، فلما كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربها فدخل عليه جاره وقال له : يا هذا اعمل معها كما قال الله تعالى : إما إمساك أيش اسمه أو تسريح ما أدري أيش .

وهو يقصد الآية الكريمة ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ .

الحسن والأحسن

قالت امرأة لابنتها : إن الزواج حسن ولكن البتول أحسن كثيرا .
فقالت : أنا أقنع بالحسن يا أماه .

صفات منفرة

خطب خالد بن صفوان[1] امرأةً فقال : أنا خالد بن صفوان ، والحسب على ماقد علمته ، وكثرة المال على ما قد بلغك وفي خصالٌ سأبينها لك فتقدمين عليَ أو تدعين ، قالت : وماهي؟ قال : إن الحُرةَ إذا دَنت مني أملَتني ، وإذَا تباعدتْ عني أعلتني ، ولا سبيل إلى درهمي وديناري ، ويأتي علي ساعة من الملال لو أن رأسي في يدي نبذْتُهُ ، فقالت : قد فهمنا مقالتك ووعينا ما ذكرتَ ، وفيك بحمد الله خصالٌ لا نرضاها لبنات إبليس ، فانصرف رحمك الله !!

خاتم السفاح

كان أبو العباس السفاح[2] يوما مشرفا على دار له ومعه زوجته أم سلمة فعبثت بخاتمها فسقط في صحن الدار فألقى السفاح خاتمه أيضا فقالت زوجته : ما أردت بهذا يا أمير المؤمنين؟

فقال : خشيت أن يستوحش خاتمك فآنسته بخاتمي غيرة عليه لانفراده .

الويل لها في الحالتين

قالت امرأة حبلى لزوجها وكان قبيح الوجه : الويل لي إن كان الذي في بطني يشبهك .

فقال لها : والويل لك إن لم يكن يشبهني .

أم الحمير

كانت امرأة تسوق أربعة حمير وإذا بشابين سائرين بجانبها . قالا لها : صباح الخير يا أم الحمير

---

(١) خالد بن صفوان القناص : شاعر وبليغ ونحوي عباسي . من شعراء العصر العباسي الأول . مجهول المولد والوفاة . كان من رواد المربد . اشتهرت قصيدته النونية البليغة باللغة والتي هي السبب في شهرته . والمسمى بالعروس . والتي تحتوي على ٧٨ بيتا .

(٢) عَبْد الله بن محمد بن علي بن عَبْد الله ابن العباس بن عَبْد المُطَّلِب ، يلتقي مع النبي محمد بن عبد الله في جده عبد المطلب .

أجابتهم على الفور : صباح النور يا أولادي .

طلق خمسة نسوة في يوم واحد

قال الأصمعي للرشيد في بعض حديثه : يا أمير المؤمنين ، بلغني أن رجلاً من العرب طلق في يوم واحد خمس نسوة .

قال الرشيد : وكيف ذلك ؟! وإنما لا يجوز للرجل غير أربعة .

قال : يا أمير المؤمنين ، كان متزوجاً بأربعة ، فدخل عليهن فوجدهن متنازعات ، وكان شريراً . .

فقال : إلى متى هذا النزاع !! ما أظن هذا إلا من قِبَلَكِ يا فلانة ـ لامرأة منهن ـ ، اذهبي فأنت طالق .

فقالت له صاحبتها : عجلت عليها بالطلاق ، ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح .

فقال لها : وأنت أيضاً طالق .

فقالت له الثالثة : قبحك الله ، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين .

فقال لها : وأنت أيضاً أيتها المعددة أياديهما طالق .

فقالت الرابعة : ضاق صدرك إلا أن تؤدب نساءك بالطلاق؟

فقال لها : وأنت أيضاً طالق .

فسمعته جارة له ، فأشرفت عليه وقالت : والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم . . أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة .

فقال لها : وأنت أيتها المتكلمة فيما لا يعنيك . طالق إن أجازني بعلك .

فأجابه زوجها : قد أجزتك .

من السفيه؟

كان رجل ذا جاه ومال ، بنى لنفسه دارا ، وكان في جواره بيت لعجوز لا يساوي شيئا من المال ، وكان محتاجا إليه في توسعة داره ، فعرض عليها مبلغا كبيرا من المال ثمنا لبيتها ، فأبت أن تبيعه .فقيل لها : إن القاضي سيحجر عليك بسفهك لأنك أضعت مبلغا كبيرا ، ودراك لا تساوي شيئا .فقالت : لم لا يحجر القاضي على من يريد الشراء بهذا المبلغ الكبير؟ ورفضت أن تبيع بيتها ، وأفحمت الجميع بقوة حجتها .

عجوز ثملة

جلست عجوز من الأعراب إلى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت : خبروني هل نساؤكم يشربن هذا

قالوا : نعم

قالت : والله إن صدقتم ما فيكم من يعرف أباه .

ثواب وعقاب

قال الأصمعي : رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح ، فقلت لها : يا هذه أترضين أن تكوني تحت هذا؟

فقالت : يا هذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي أفلا أرضي بما رضي الله به .

العطار والقبيحة

التقى الجاحظ بامرأة قبيحة في أحد حوانيت العطارين في بغداد

فقال : ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾

فقالت المرأة : ﴿وضرب لنا مثلا ونسى خلقه﴾ .

أمر بالنكاح

دخلت أعرابية على قوم يصلون فقرأ الإمام : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ وجعل يرددها فجعلت الأعرابية تعدو هاربة حتى جاءت لأختها فقالت : يا أختاه ما زال الإمام يأمرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا علي .

الشاهد الأحمق

جاءت امرأة إلى القاضي وذكرت أن زوجها طلقها ، فقال القاضي : لك بينة؟! فقال : نعم : جار لنا ، قال : فأحضرته ، فقال القاضي : أسمعت طلاق هذه المرأة! فقال : يا سيدي خرجت إلى السوق فاشتريت لحماً وخبزاً ودبساً زعفراناً ، فقال له القاضي : ما سألتك عن هذا ، هل سمعت طلاق هذه المرأة قال : ثم تركته في البيت

وعدت فاشتريت حطباً وخلاً ، فقال : دع هذا عنك ، فقال : ما أحسن الحديث من أوله ، ثم قال : جلت في الدار جولة فسمعت زعقاتهم وسمعت الطلاق الثلاث ، فما أدري أهي طلقته أم هو طلقها .

خلَف الإمام مالك[1]

نظر رجل إلى امرأته وهي تصعد تسلم البيت ، وقال لها : أنت طالق إذا صعدت . وطالق إذا نزلت . وطالق إذا وقفت ، فما كان من المرأة إلا أن قفزت من فوق السلم إلى الأرض في الحال . فقال لها : فداك أبي وأمي . إذا مات الإمام (مالك) احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم .

لايحتمل أحداً

قيل لأعرابي : هل لك في النكاح؟
قال : لو قدرت أن أطلّق نفسي لطلّقتها .

طول الصحبة ذنب

طلّق رجلٌ امرأته ، فقالت له : أبعد صحبةً خمسين سنةً .
قال : ما لك عندنا ذنبٌ غيره؟

خطبة الطلاق

طلق رجل امرأته وقال : اسمعي وكل من حضر ، إني والله اعتدتك رغبة ، وعاشرتك بمحبة ، ولم توجد منك زلّة ، ولم تدخلني عنك ملّة ، ولكن القضاء كان غالبًا .

الجاحظ والطويلة

يقول الجاحظ رأيت امرأة في العسكر ، وكانت طويلة القامة ، وكنت على طعام ،

---

٣٧ أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني فقيه ومحدِّث مسلم ، وثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي .

فأردت أن أمازحها . فقلت لها : انزلي كُلي معنا .
فقالت : اصعد أنت حتى ترى الدنيا .

عجوز تلعن نفسها

عن الهذيل ، أنه قال : كان عندنا بالمدينة لحام ، فجاءته عجوز فقالت : أعطني بدرهم لحماً وطيبه لي وأخبرني باسمك حتى أدعو لك ، فأعطاها شر لحم وقال : اسمي «من تمد» ، فلما أفطرت العجوز جعلت تمد اللحم فلا تقدر عليه ، فجعلت تقول : لعن الله من تمد فتلعن نفسها .

يهينها ويهين نفسه!

قال أعرابي لامرأته وقد غضب عليها : يا هذه أنا الذي إذا رأيت المرأة تأتي بقبيح أهينها وأهين من يهينها!

وصية للقابلة

طلقت امرأة أعرابي فقالوا له : امض خلف القابلة ، فجاءها فقال : امض إلى بيتنا حتى تقبلي امرأتي واحرصي أن يكون غلاماً ولك علي دينار .

تقليل الشر

تزوج أعرابي امرأة صغيرة ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنما المرأة شر ، وكلما أقللت من الشر كان خيراً .

أحسن النساء

سئل أعرابي عن أحسن النساء فقال : أصدقهنّ إذا قالت ، التي إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسّمت ، وإذا صنعت شيئاً أجادته ، التي تلتزم بيتها .

عن الزواج

سئل أعرابي عن الزواج فقال : «الزواج لذة شهر ، وغلاء مهر ، وعناء دهر» .

نعيم أم عقاب؟

قال أعرابي لزوجته الطويلة : كأن الله عجّل لك العقوبة في الدنيا بأن جعلك طويلة ، فقالت : لو لم يكن الطول نعيما لما جعله الله لأهل الجنة .

الموت فرحاً

قيل لأعرابي : هل تحب أن تموت زوجتك؟ قال : لا . قيل له : ولم لا؟ قال : أخاف أن أموت فرحا!

عقوق متبادل

تزوج أعرابي على كبر سنه فعوتب على مصير أولاده القادمين فقال : أُبادرهم باليُتم قبل أن يبادرونني بالعقوق!

أعرابي وامرأته

ضرط أعرابي في ليلة ضرطتين ، فخاف أن تكون امرأته قد سمعته ، فقال : أسمعت شيئاً؟ قالت : لا ما سمعت منهما شيئاً ، فقال : لعنك الله فمن أعلمك أنهم اثنتان؟

كفن قصير

ماتت امرأة فاشترى لها زوجها كفناً قصيراً فقالت له الغاسلة : الكفن قصير ، فقال : ألبسيها خفها .

مولود جديد

ولد لأعرابي ابن في غيبته ، فكتبت إليه امرأته تبشره بالمولود ، فكتب إليها : بلغني أنك ولدت ابناً فأحسن الله جزاءك وأعان على مكافأتك وقد سميته محمد بن عبد الله ﷺ .

بالتفصيل

كان الطالقاني من أصحاب أبي حنيفة[1] ، وكان شديد الغفلة ، فقال يوماً لابن عقيل : كيف مذهبكم في المرأة هل يجوز أن يزوجها ابنها؟! قال له ابن عقيل[2] : في ذلك تفصيل ، إن كانت بكراً جاز ، وإن كانت ثيباً لا يجوز ، فقال : ما سمعت هذا التفصيل قط .

رأس الكبش ورأس النعجة

أبو محمد النوبهاري أتاه رجل فقال : وضعت رأسي في حجر امرأتي فقالت : ما أثقل رأسك! فقلت : أنت طالق إن كان رأسي أثقل من رأسك . فقال : تطلق عليك ، فقيل له : ولم؟ فقال : لأن القصابين أجمعوا على أن رأس الكبش أثقل من رأس النعجة .

طلب مستحيل

وكتب بعض الكتاب إلى محمد بن منصور : وإن بين كل أمر يطالبه الرجاء وبين المطلوب إليه ذريعةً يتوصل بها إلى معروفه ، ولي بارتجائك لمعرفتي بفضلك ، وكذا الوسيلة ، وما كنت متوسلاً إليك بشيء هو أرجى في حاجتي ، ولا أصلح لطلبتي من التوسل إليك بحسن الظن فيك ، وحاجتي أكرمك الله ظريفة من الجواري لم تتداولها أيدي التجار ، ولا تبذلها معاودة العرض ، ولي فيها شريطة أعرضها عليك لترى رأيك فيها ، أحبرها فرعاء فإنه يقال : إذا اتخذت الجارية فاستجد شعرها ؛ فإن الشعر أحد الوجهين ؛ وتكون رائقة البياض ، تامة القوام ؛ فإن البياض والطول نصف الحسن ؛ وتكون مليحة المضحك ، فإنه أول ما يجلب المحبة ، ويكسب الحظوة ، ولست أكره الانكسار في الثدي ، لأنه ليس للناهد عندي سوى لذة النظر . ولست من قول الشاعر :

---

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ فقيه وعالم مسلم ، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي .

(٢) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل من بغداد ، العراق . شيخ الحنابلة ، امام علامة ، وصاحب تصانيف . من كبار الأئمة .

جال الوشاح عن قضيب زانه رمّان ثدي ليس يقطف ناهد

في شيء . وأكره العجيزة العظيمة وأريدها وسطاً ؛ لأن خير الأمور أوسطها ، لها طرف أدعج ، وحاجب أزج ، وكفل مرتج ، وما وافقت هذه الصفة ، وكانت رخيمة الكلام ، شهية النغمة ، فهي حرة قبل أن ترسلها ، وحاجتي أبقاك الله يحملها قدرك ويستحقها شكرك . وأنا بالإضعاف حري ، وأنت بالإسعاف قمين .

فأنفذ إليه محمد بن منصور خمسمائة دينار ، وكتب إليه : قد سألت أكرمك الله عن هذه الصفة فلم أجدها ، فالتمسها أنت ؛ فإن وجدتها فهذه خمسمائة دينار تدفعها عربوناً حتى أبعث إليك بالثمن ، والسلام .

صاحبة الدينار

يحكى أن نصيب لما أصاب من المال ما أصاب وكان عنده أم محجن ، وكانت سوداء ، اشتاق إلى البياض فتزوج امرأة سرية بيضاء ، فغضبت أم محجن وغارت عليه ، فقال لها : والله يا أم محجن ما مثلي يغار عليه إني شيخ كبير وما مثلك يغار وإنك لعجوز كبيرة وما أحد أكرم علي منك ولا أوجب حقا فلا تهتمي لهذا الأمر ولا تكدريه علي فرضيت وقرت ثم قال لها بعد ذلك : هل لك أن أجمع إليك زوجتي الجديدة فهو أصلح لذات البين وألم للشعث وأبعد للشماتة؟ فقالت : نعم افعل واعطاها دينارا وقال لها :

إني أكره أن ترى بك خصاصة وأن تفضل عليك فاعملي لها إذا اصبحت عندك غداءً بهذا الدينار ثم أتى زوجته الجديدة فقال لها : إني أردت أن أجمعك إلى أم محجن غدا ، وهي مكرمتك ، وأكره أن تفضل عليك أم محجن ، فخذي هذا الدينار ، فأهدي لها به إذا أصبحت عندها غدا ، لئلا ترى بك خصاصة ولا تذكري لها الدينار ثم أتى صاحبا له يستنصحه ، فقال : إني أريد أن أجمع زوجتي الجديدة إلى أم محجن غدا ، فاتني مسلما فإني سأستجلسك للغداء ، فإذا تغديت فسلني عن أحبهما إلي ، فإني سأنفر وأعظم ذلك ، فإن أبيت عليك ألا أخبرك فاحلف علي ، فلما كان الغد ، زارت زوجته الجديد ، وأهدت لأم محجن ، ومر صديقه فاستجلسه ، فلما تغديا ، أقبل الرجل عليه : يا أبا محجن ، أحب أن تخبرني عن أحب زوجتيك إليك فقال : سبحان الله أتسألني عن هذا ، وهما يسمعان؟ ما سئل عن مثل هذا أحد ، قال : فإني أقسم عليك لتخبرني ، فوالله لا عذرتك ، ولا أقبل ذلك ، قال : أما

إذا فعلت فأحبهما إلي صاحبة الدينار والله لا أزيدك على هذا شيئا ، فأعرضت كل واحدة منهما تضحك ، ونفسها مسرورة ، وهي تظن أنه عناها بذلك القول . .

صلاة أعرابية

قال بعض الرواة : خرجنا نريد البصرة فنزلنا على ماء لبني سعد ، فإذا أعرابية نائمة فأنبهناها للصلاة ؛ فأتت الماء فوجدته بارداً فتوجهت إلى القبلة قاعدة ولم تمس الماء ، فكبرت ثم قالت : اللهم قمت وأنا عجلى ، وصليت وأنا كلى ؛ فاغفر لي عدد الثرى . قال : فعجبنا وقلنا : ما تجوز لك الصلاة وما هذه بقراءة! قالت : والله إن هذه لصلاتي منذ أربعين سنة .

وصلت أعرابية في شهر رمضان فقرأ الإمام السجدة فسجد وسجدت الناس ؛ فخرجت تحضر وتنادي ، صعق الناس ورب الكعبة ، وقامت القيامة!

عجوز وشابة

وبينا ابن أبي ليلى[١] في مجلس القضاء إذ تقدم إليه امرأتان عجوز وشابة . فقالت الشابة : أنا أصلح الله القاضي امرأة مبدنة ، وقد بهرني النفس ؛ فإن رأى القاضي أن يأذن لي فأحسر عن وجهي فليفعل . فقالت العجوز : أصلح الله القاضي ، إنها من أحسن الناس وجهاً ، وإنما تريد أن تخدع القاضي ، لا أمتعها الله بما وهبها من الجمال . فقال لها ابن أبي ليلى : إذا أنت شددت قناعك فشأنك ووجهك .

فحسرت الفتاة عن وجه جميل . ثم قالت : أصلح الله القاضي ، إن هذه عمتي وأنا أسميها أمي لكبر سنها ، وإن أبي مات وخلف مالاً ، وخلفني في حجرها ؛ فجعلت تمونني وتحسن التدبير في المال وتوفيره علي ، إلى أن بلغت مبلغ النساء فخطبني ابن عم لي فزوجتني منه ، فكان بي وبه من الحب ما لا يوقف على صفته ، ثم إن ابنةً لعمتي أدركت ، فجعلت هذه ترغب زوجي فيها ؛ فتاقت نفسه إليها

(١) عبد الرحمن بن أبي ليلي إسمه عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الأوسى ، أبو عيسى المدني الكوفي (والد محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى) كنيته أبو عيسى وقيل : الأنصاري الأوسى المدني الكوفي يعتبر عبد الرحمن بن أبي ليلي من الطبقة الثانية من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم كبار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر ثقة ، وعند الإمام شمس الدين الذهبي عالم الكوفة .

فخطبها . فقالت : لست أزوجكها حتى تجعل أمر بنت أخي في يدي . فقال لها : قد فعلت! فلم أشعر حتى أتاني رسولها فقال : عمتك تقرئك السلام وتقول لك : إن زوجك خطب ابنتي ، وإني أبيت أن أزوجها منه حتى يجعل أمرك في يدي ففعل ذلك فأنت طالق ، فحمد الله تعالى على ما بليت به .

وإن زوج عمتي هذه قدم من سفر ، فسألني عن قصتي فأخبرته فقال : تزوجيني نفسك؟ فقلت : نعم! على أن تجعل أمر عمتي في يدي . قال لي : فما تصنعين إذاً؟ قلت : ذلك إلي ؛ إما أن أعفو وإما أن أقتص . قال : قد فعلت ، فأرسلت إلى عمتي أن زوجك خطبني وأني أبيت عليه حتى يجعل أمرك في يدي ، ففعل ؛ فأنت طالق! فضحك ابن أبي ليلى! فقالت العجوز : لا تضحك أيها القاضي ، فالذي بقي أكثر وأعظم . فقالت الشابة : ثم إن زوج عمتي مات فجعلت تخاصمني في ميراثه ، فقلت لها : هو زوجي وأنا أحق بميراثه ، فأغرت ابن عمي ووكلته بخصومتي ففعل .

فقلت : يابن العم ؛ إن الحق لا يستحى منه وقد صلحت لك إذ نكحت زوجا غيرك ، فهل لك في مراجعتي؟ فقال : كان ما كان ولا ذنب لي فيه ، بل كنا على أشد رغبة وأعظم محبة . ثم قال : أوتفعلين؟ قلت : على أن تجعل أمر بنت عمتي بيدي . قال : قد فعلت . فأرست إلى بنت عمتي أن زوجك خطبني وأني أبيت عليه حتى يجعل أمرك في يدي ففعل ، فأنت طالق .

فقالت العجوز : أصلح الله القاضي ؛ أيحل هذا ، أطلق أنا وابنتي؟ فقال ابن أبي ليلى : نعم ، التعس والنكس لك .

ثم ركب إلى المنصور فأخبره حتى ضحك وفحص برجليه ، وقال : أبعد الله العجوز ولا فرج عنها .

عيادة وعزاء مرة واحدة

دخلت عجوز أعرابية على قوم تعزيهم بميت ، فرأت في الدار عليلاً ، فرجعت وقالت : أنا والله يشق علي المشي وأحسن الله عزاءكم في هذا العليل أيضاً .

مشاركة

قيل لأعرابي : ما لك لا تتزوج؟

قال : إني دفع لي أبي جارية ولأخي

فقيل : ويحك دفع إليك وإلى أخيك جارية واحدة؟
قال : لماذا تتعجب من هذا ، هو ذا جارنا فلان له جاريتان

استعارة

جاءت امرأة إلى أعرابية تستعير منها إزاراً لتمضي في حاجة وترده من ساعتها فقالت : قد غزلت من إزاري عشرة أساتير ، فاصبري حتى أتم غزل وأسلمه إلى الحائك ويفرغ منه وأعطيك إياه ولا تمري بمسمار فإنه جديد .

أهون الضررين

قالت أعرابية لأخرى : اليوم مشيت إلى قبر أحمد فدخل في رجلي مسمار ، فقالت لها : وكان الخف الجديد في رجلك؟ قالت : لا ، قالت لها : فاحمدي الله .

عوان بين ذلك!

جاء رجل إلى أبي حكيم الفقيه[1] ، ومع الرجل ابنته ليزوجها من رجل ، فقال له الشيخ : أبكر ابنتك أم ثيب؟ فقال : والله يا سيدي ما هي لا بكر ولا ثيب ، ولكنها وسطة ، فقال الشيخ : فماذا هي : عوان بين ذلك؟ فضحك الجماعة وذلك الوالد لا يدري .

شبيه الشيطان

يقول الجاحظ : أتتني امرأة وأنا على باب داري فقالت لي : إليك حاجة وأريد ان تمشي معي فقمت معها إلى ان أتت بي إلى صائغ يهودي وقالت : مثل هذا !! وانصرفت . فسألت الصائغ عن قولها فقال : إنها أتت إلي بفص وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان! فقلت لها : ما رأيت الشيطان ؟!! فأتت بك وقالت ما سمعت .

---

(١) أبو حكيم العلامة القدوة أبو حكيم ، إبراهيم بن دينار النهرواني الحنبلي ، أحد أئمة بغداد . إمام زاهد ورع خير حليم ، إليه المنتهى في علم الفرائض . أنشأ بباب الأزج مدرسة ، وانقطع بها يتعبد . وكان يؤثر الخمول والقنوع ، ويقتات من الخياطة ، فيأخذ على القميص حبتين فقط ، ولقد جهد جماعة في إغضابه ، فعجزوا ، وكان يخدم الزمنى والعجائز بوجه طلق ، وسماعه صحيح .

شروط تعجيزية

نظر خالد بن صفوان إلى جماعة في المسجد بالبصرة ، فقال ماهذه الجماعة؟ قالوا : على امرأة تدل على النساء . فأتاه فقال لها : ابغني امرأة . قالت : صفها لي . قال : أريدها بكرا كثيب أو ثيبا كبكر حلوة من قريب فخمة من بعيد . كانت في نعمة فأصابتها فاقة فمعها أدب النعمة وذل الحاجة ، فإذا اجتمعنا كنا أهل دنيا وإذا افترقنا كنا أهل آخرة قالت : لقد أصبتها لك . قال : وأين هي؟ قالت : في الرفيف الاعلى من الجنة فاعمل لها

حيلة غلام

قال المغيرة بن شعبة : ما غلبني أحد قط إلا غلام من بني الحارث بن كعب وذلك أنى خطبت امرأة من بني الحارث وعندي شاب منهم فأصغى إلي فقال : أيها الأمير لا خير لك فيها! قلت يا ابن اخي ومالها؟ قال : إني رأيت رجل يقبلها! قال : فبرئت منها ، فبلغني أن الفتى تزوجها . قلت : ألم تخبرني أنك رأيت رجلا يقبلها؟ قال : بلى رأيت أباها يقبلها!

بنت الأعمش

طلبت بنت الأعمش من الأعمش حاجة ، فحجبها بالرد ، فقالت : والله ما أعجب منك ، ولكني أعجب من قوم زوجوك!

عاشقة أبو العيناء

قال أبو العيناء ، وهو من الشعراء البغداديين الظرفاء : تعشقتني امرأة قبل أن تراني فلما رأتني استقبحتني ، فأنشدتها :

وفاتنةٌ لما رأتني تنكرت ... وقالت دميمٌ أحول ما له جسم
فإن تنكري مني احولالا فإنني ... أديب أريب لا عييٌ ولا فدمُ

فقال المرأة : يا هذا ، أنا لم أردك لتولية ديوان الزمام بل . . . . عاشقا .

أنفقوا مما تحبون

وقفت سائلة على باب قوم ، فقال لها رجل : اذهبي يا زانية ، فقالت : إذا لم

تعطني فلم تسبني؟ قال : والله ما أردت بهذا إلا الخير ، أردت أن تؤجري وآثم .

الأعرابية والشيخ

قال أبو العنبس : اجتزت في بعض الطريق لحاجة ، فإذا أعرابية عرضت لي فقالت : هل لك أن أزوجك جارية فيجيئك منها ابن؟ قلت : نعم ، قالت : وتدخله الكتاب فينصرف ، فيلعب ، فيصعد إلى السطح فيقع فيموت ، وصرخت ويلاه ولطمت ، ففزعت وقلت : هذه مجنونة . وهربت من بين يديها ، فرأيت شيخاً على باب ، فقال : ما لك يا حبيبي؟ فقصصت عليه القصة ، فلما انتهيت إلى موضع لطمها استعظم ذلك وقال : لابد للنساء من البكاء إذا مات لهن ميت ، فإذا هو أحمق منها وأجهل .

وصف جميل

ذكر أعرابي امرأةً وقال : كاد الغزال أن يكونها لولا ما تم منها ومانقص منه . .

ما تحت الإناء

سُئلت أعرابية عن إناء قامت بتغطيته ، ما الذي في الإناء؟ فقالت : إذن لماذا غطيناه؟

رياحين أم شياطين؟

قال أعرابي :

إن النساء رياحين خُلقنَ لنا   وكلنا يشتهي شم الرياحينِ

فرد عليه رجل :

إن النساء شياطين خلقنا لنا   ونعوذ بالله من شر الشياطين

الزوجة العرجاء

أعرابي عابوا زوجته بأنها عرجاء فأنشد قائلاً :

إني أحب جلوسها وأُريدها   للنوم لا للجري في الميدانِ !!

دعاء

قالت أعرابية لقاض قضى عليها : عظُم رأسك ، فَبَعُد فهمك ، وانسدلت لحيتك ، فانشمر عقلك ، وما رأيت ميتاً يقضي بين حيين قبلك .

الفرس والجارية

خُيِّر أعرابي بين فرسه وجارية يحبها فقال

لصلصلة اللجام برأس طِرفٍ أحب إلي من أن تنكحيني
أخاف إذا حللنا في مضيقٍ وجد الركض أن لا تحمليني

جميل بثينة

سأل أعرابي جميل بثينة[١] : ما الذي تيّمك ببثينة؟ ولقد رأيتُها وإن عرقوبها لو ذبحت به طائراً لانذبح !!

في العشق

سُئل أعرابي عن أشد ما يكون من العشق؟

فقال : أن تكون ريح البصل من المعشوق أحبّ إليك من ريح المسك !!

أشقاء الأعرابية

كان لفتاه أعرابية ثمانية أشقاء من الذكور فقيل لها أيهم تفضلين عن البقية؟ فقالت : إذا نظرت لواحد رأيته ثمانية وإذا نظرت لهم جميعا وجدتهم واحد!

إصلاح ذات البين

عن إسماعيل بن زياد قال : نشزت على الأعمش[١] امرأته ، وكان يأتيه رجل

---

(١) محمد بركات بن معمر العذري القضاعي ويُكنّى أبا عمرو شاعر ومن عشاق العرب المشهورين . كان فصيحًا مقدمًا جامعًا للشعر والرواية . وكان في أول أمره راوية لشعر هدبة بن خشرم ، كما كان كثير عزة راوية جميل فيما بعد . لقب بجميل بثينة لحبه الشديد لها

(١) أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد ، المعروف بالأعمش من علماء الكوفة المشهورين . ولد الأعمش في الكوفة وأصله من بلاد الري ، لحق بأنس بن مالك وكلمه ، لكنه لم يرو عنه شيء . كان عالما بالقرآن ، والحديث ، والفرائض حيث روى نحو حديث .

يقال له : أبو البلاد فصيح يتكلم بالعربية يطلب منه الحديث ، فقال له : يا أبا البلاد : إن امرأته قد نشزت علي وغمتني ، فادخل عليها وأخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم ، فدخل عليها فقال : إن الله قد أحسن قسمك ، هذا شيخنا وسيدنا ، وعنه نأخذ ديننا وحلالنا وحرامنا ، لا يغرك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه ، فغضب الأعمش عليه وقال : أعمى الله قلبك ، قد أخبرتها بعيوبي كلها ، أخرج من بيتي ، فأخرجه .

الزوجة الحكيمة

ضل جمل لأعرابي ، فحلف أيماناً مغلظة إن وجده ليبيعنه بدرهم ، فوجده ، وطالبه الناس بالوفاء بما حلف عليه . فاحتار في الأمر ، إلى أن أشارت عليه امرأته قائلة : اربط في عنق الجمل سنوراً ، واذهب إلى السوق ، وقل السنور بمائة درهم والجمل بدرهم واحد ، ولا أبيعهما إلا معاً . ففعل مثلما أشارت به امرأته ، وخرج من ورطته التي تورطها ، وظفر بالحمل بعدنا كان سيفقده .

القاضي والأعمى

وقف رجل أعمى وامرأة أمام القاضي الذي سيشهد على زواجهما . فقال القاضي للمرأة : اكشفي عن وجهك يا امرأة . فكشفت عن وجهها . فرأى وجهاً كالبدر المنور ، وأعجبه حسنها وجمالها . فقال للأعمى : كم أمهرتها يارجل ؟قال :أربعمائة درهم . فقال القاضي : زدها . فقال الأعمى : والله ما عندي . فإن كان القاضي عنده فهو أولى بها .

حزن طويل

نظرت أعرابية إلى امرأة حولها عشرةٌ من بنيها كأنهم صقور ، فقالت :ولدت أُمكم حزنًا طويلًا

أعرابي والنساء

قُرئ على أعرابي : ﴿كأنهنَّ الياقوت والمرجان﴾ فقال : هؤلاء خلاف نسائكم العجاف .

عشق أعرابي

سألوا أعرابي عن حالته مع عشيقته قال : ما أخذت منها شيء محرم إلا أنى أبول في المكان اللي تبول فيه!

ومن قول أعرابي في حبيبته . أرى القمر على جدارها أجمل منه على جدران الناس .

وقيل لأعرابي كان يتعشّق قينة : ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها؟ قال : فمن لي إذ ذاك بلذة الخلسة ، ولقاء المسارقة ، وانتظار الموعد!

الجارية وابنتها

تزوج شيخ من الأعراب جاريةً من رهطه ، وطمع أن تلد له غلاماً فولدت له جارية ، فهجرها وهجر منزلها وصار يأوي إلى غير بيتها ، فمر بخبائها بعد حول وإذا هي تُرَقِّص بُنَيَّتَها منه وهي تقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا

فلما سمع الشيخ الأبيات مَرَّ نحوهما حتى ولج عليهما الخباء وقبل بُنيّتها وقال : ظلمتكما ورب الكعبة .

مالها يكفينا

خطب أحد الأعراب من قوم امرأة لهم فأجابوه وقالوا : لها من الضياع والمال كذا وكذا فما عندك أنت؟ فقال : إن صدقتم فما عندها يكفينا ما عشنا فلما سؤالكم عن مالي؟

تعست العجلة

وبعت عائشة بنت سعد بن أبي وقاص مولاها فندأ يأتيها بنار وهي بالمدينة ؛ فمضى إلى مصر فأقام بها سنةً ، ثم جاء بنار وهو يعدو مسرعاً ، فعثر فبدد الجمر

فقال : تعست العجلة !

مـــا رأينـــا لغـــراب مثـلاً   إذ بعثنـــاه يجـــي بالمشعلة
غير فنــد أرسلـــوه قابِســـاً   فثوى حولاً وسبّ العجلـــة

الصبي العاشق والشيخ

اصطحب شيخ وحَدَث من الأعراب في سفر ، وكان لهما قُرص في كل يوم ، وكان الشيخ متخلّع الأضراس بطيء الأكل ، فكان الحَدَث يبطش بالقرص ، ثم يقعد يتشكى العشق ، والشيخ يتضور جوعًا ، وكان اسم الحَدَث جعفرًا . فقال الشيخ فيه :

لقد رابنـي مـــن جعفـــر أن جعفـــرًا   بَطيشُ بقرصي ثم يبكي على جُمْـلِ

فقلت له :

لو مَسَّـــك الحـــبُ لـــم تَبِتْ بطينًـــا   وأنســـاكَ الهـــوى شـــدة الأكـــلِ

وقال الحدث :

إن كـــان فـــي بطنـــي طعـامٌ ذكرتها   وإن جعتُ يومًا لم تكن لي على ذُكـرِ
ويـــزداد حبـــي إن شبعـــتُ تجـــدّدًا   وإن جعتُ غابتْ عن فؤادي وعن فكـري

مزايا خاطب

خطب أعرابي امرأة ، وكان قصيرًا فاحش القِصَر ، عظيم الأنف جدًا فكرهته . . فقال : يا هذه ، قد عرفتِ شرفي ، وأنا مع ذلك كَريم المعاشرة ، محتملٌ للمَكروه . فقالت : صدقتَ مع حملكَ هذا الأنف أربعين سنة!

الأعرابية والعلك

دفعوا إلى أعرابية علكاً لتمضغه ، فمضغته قليلا ثم لفظته ، قيل لها : لمَ لفظتيه ؟ قالت : ما فيه إلاّ تعب الأضراس وخيبة المعدة .

درب الحلاوة

مرّت امرأة جميلة باليعقوبي ، فقالت له : يا شيخ ، أينَ دربُ الحلاوة؟ قال : تحت مئزرك يا حسناء!

حديث الحب

قيل : الحب أصعبُ ما رُكب ، وأسكرُ ما شُرب ، وأفظع ما لُقي ، وأحلى ما اشْتُهي ، وأوجع ما بَطن ، وأشهى ما عَلن .

وجه بشار

قالت امرأة لبشار بن برد الأعمى : هل رأيت وجهك قط؟ قال : لا . قالت : لو رأيت وجهك لاتّزرت كما تأتزِرُ على مؤخرتك من قبحه .

إماطة الأذى عن التفاحة

عضّ رجل أبخر على تفاحة ورمى بها إلى امرأته ، فدعت بالسكّين ، فقال لها : ما تصنعين؟ قالت : أميط عنها الأذى!!

امرأة الأبخر

تزوج أبخر بامرأة ، فلما واقعها عافته وتولت عنه ، وقالت :

يا حب والرحمن إن فاكا ... أهلكني فولني قفاكا
إذا غدوت فاتخذ سواكا ... من عرفط إن لم تجد أراكا

عن الحبيب

ذكر أعرابي امرأة فقال : رحم الله فلانة ، إن كانت لقريبةً بقولها بعيدةً بِفعلها ، يكفّها عن الخنا إسلامها ، ويدعونا إلى الهوى كلامها .

قيل لبعض الأعراب : ما أمتعُ لذّات الدُّنيا؟ قال : مُمازحة الحبيب وغيبة الرقيب .

أعرابية تمجد ربها

دعت أعرابية : يا صباح يا مناح ، يا مطعم الواسع يا عريض الحفنة ، يا أبا المكارم . فزجرها رجل ، فقالت : دعني أصف ربي وأمجد إلهي بما يستحقه من العرب .

رآها في المنام فقاضته

كان رجل يهوى امرأة . . ورآها في منامه . وأمكنته من نفسها . فأخبرها بذلك .فأشكته إلى الوالي قائلة : لقد نال مني في المنام ما أراد . فليدفع إلي حقي .فقال له الوالي : هكذا يكون . ادفع إليها الدينار . فدفع لها الدينار وانصرف غاضباً . وقبل أن تتجاوز المرأة الباب وتنصرف . صاح الوالي : ارجعي يا امرأة! فلما رجعت أخذ منها الدينار وقال لها : اذهبي الآن . فقد نلتِ منه در ما نال منك .

ابن هبيرة وامرأة الحارث

غزا ابن هبيرة الغسّاني الحارث بن عمر[1] فلم يصبه في منزله ، فأخرج ما وجد له ، واستاق امرأته فأصابها في الطّريق ، وكانت من الجمال في نهاية ، فأعجبت به ، فقالت : له أنج فوالله لكأنّي به يتبعك كأنّه بعيرٌ أكل مراراً . فبلغ الخبرً الحارث فأقبل يتبعه حتّى لحقه فقتله ، وأخذ ما كان معه ، وأخذ امرأته . فقال له : هل أصابك؟ فقالت : نعم ، والله ما اشتملت النّساء على مثله قط . فلطمها ثمّ أمر بها فوثّقت بين فرسين ثمّ أحضرهما حتى تقطّعت . ثمّ أنشأ :

كلّ أنثى وإن بدا لك منها — آية الودّ حبّها خيتعور
إنّ من غرّه النّساء بودٍّ — بعد هذا لجاهلٌ مغرور

ريطة الحمقاء

قال مقاتل بن سليمان[2] : هي امرأة من قريش تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب كانت إذا غزلت نقضته

قال ابن السائب : اسمها ريطة وقال أبو بكر بن الأنباري : أسمها ريطة بنت عمرو المرية ولقبها الجعرا وهي من أهل مكة

---

(١) الحارث بن عمرو بن حجر الكندي (؟-٥٢٨م) آخر ملوك كندة الأقوياء وهو الجد الأول للشاعر إمرؤ القيس كان «صديقاً» للبيزنطة من عام ٥٠٢ حتى سنة ٥٢٨ واستطاع أن ينتزع الحيرة من ملوكها أو شيوخها الأصليين في تلك الفترة .

(٢) مقاتل بن سليمان (توفي : ١٥٠هـ / ٧٦٧م ، بالبصرة) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى من أعلام المفسرين صاحب التفسير المسمى «تفسير مقاتل» .

وكانت معروفة عند المخاطبين فعرفوها بصنعتها ولم يكن لها نظير في فعلها وكانت متناهية الحمق تغزل الغزل من القطن أو الصوف

فتحكمه ثم تأمر خادمها بنقضه قال بعضهم : كانت تغزل هي وجواريها ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن .

كانت تعلم رأس أولادها بالقزع لتعرف أولادها من أولاد غيرها .

دغة بنت مغنج

ومغنج هو ربيعة بن عجل واسم دغة ماوية ودغة لقب وكانت قد تزوجت صغيرة في بني العنبر فحبلت .

فلما جاءها المخاض ظنت أنها أحدثت فقالت لضرتها : يا هنتاه هل يفتح الجعر فاه قالت : نعم ويدعوا أباه .

فمضت ضرتها فأخذت الولد فبنو العنبر تنسب إليها فسموا بنو الجعر لذلك .

ورأت يافوخ ولدها يضطرب فشقته بسكين وأخرجت دماغه وقالت : أخرجت هذه المادة من دماغه ليسكن وجعه .

خشية مقابلة ملك الموت

قال عثمان بن عمر : نزل الموت بزوج امرأة ، فقيل لها : لو دخلت على زوجك وودعتيه . .

قالت : أخاف أن يعرفني ملك الموت .

زينب أخت الحجاج

قال عليّ بن المغيرة كانت زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل أخت الحجّاج بن يوسف لأبيه وأمّها الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعودٍ الثّقفي عند المغيرة بن شعبة فرآها يوماً تتخلّل بكرةً فقال لها أنت طالقٌ والله لئن ً كان هذا من غذاء لقد جشعت ونهمت ، وإن كان من عشاء لقد أنتنت وقذرت ، فقالت قبّح الله الذواقً والمطلاق ولا يبعد الله ، والله ما هو الذًي ظننت ، ولكنّه استمسك بين أسناني شظيّة من السّواك .

وكان سبب قول النّميري فيها : إنّ أباها يوسف بن الحكم مرض ، وكان يزيد

معاوية قد ولاّه صدقات الطّائف وأرض الشّراة ، فنذرت إن الله عافاه أن تمشي إلى الكعبة معتمرةً من الطّائف ، وبين الطّائف ومكّة يومان وليلتان ، فمشت ذلك في اثنين وأربعين يوماً ، وكانت جميلةً وسيمةً فلقيها النّميري ، وهو محمّد بن عبد الله بن نمير الثّقفي ، ببطن نعمان فقال :

تضوّع مسكاً بطن نعمان إذ مشت ... به زينبٌ في نسوةٍ عطرات
تهادين ما بين المحصب من منى ... وأقبلن لا شعثاً ولا غبرات
مررن بفخٍّ رائحاتٍ عشيّةً ... يلبّين للرّحمن مؤتجرات
لها أرج بالعنبر الورد فاغم ... تطلّع ريّاه من الفترات
يخبّئن أطراف البنان من التّقى ... ويمشين شطر الليل معتمرات
وليست كأخرى أوسعت جنب درعها ... وأبدت بنان الكفّ للجّمرات
ومالت تراءى من بعيد فأفتنت ... برؤيتها من راح من عرفات
تقسّمن لبّي يوم نعمان إنّني ... بليت بطرف فاتك اللّحظات
يظاهرن أستاراً ودوراً كثيرةً ... ويقطعن دور اللّهو بالحجرات
ولمّا رأت ركب النّميري أعرضت ... وكنّ من أن تلقينه حذرات
دعت نسوةً شمّ العرانين كالدّما ... أوانس ملء العين كالظّبيات
فأبدين لمّا قمن يحجبن زينبا ... بطوناً لطاف الطّيّ مضطمرات
قلت : يعافير الظّباء تناولت ... يناع غصون الورد مهتصرات
فلم ترعيني مثل ركبٍ رأيته ... خرجن من التّعمير معتمرات
وكدت اشتياقاً نحوها وصبابةً ... تقطّع نفسي إثرها حسرات
وغادرت من وجدي بزينب غمرةً ... من الحبّ إنّ الحبّ ذو غمرات
وظل صحابي يظهرون ملامتي ... على لوعة الأشواق والزّفرات
فراجعت نفسي والحفيظة إنّما ... بللت رداء العصب بالعبرات
وقد كان في عصياني النّفس زاجرٌ ... لذي عبرةٍ لو كنّ معتبرات

زينب سبب نفي النّميري وعذابه

قال مسلم بن جندب الهلالي كنت مع عبد الله بن الزّبير[١] بنعمان وغلام

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، صحابي جليل وابن الصحابي الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وكنيته أبو بكر وأبو خبيب .

ينشد خلفه ، وهو يشتمه أقبح الشّتم . فقلت له : ما هذا؟ فقال : دعه فإني تشبّبت بأخت هذا الحجّاج بن يوسف . فلمّا قتل الحجّاج عبد الله بن الزّبير دعا النّاس إلى البيعة ، فتأخر محمّد حتّى قام في آخر النّاس ولم يجد من الحضور بدّاً . فلمّا دنا منه قال : أمحمّدٌ؟ قال نعم : قال : أنشدني ما قلت . فأنشدته قصيدتي هذه فقال : لولا أن يقول قائلٌ لضربت عنقك ، أنج لا نجوت ولا تعد فقال : لا تعرضت لاسم زينب ما بقيت .

قال : ولما خاف النّميري من الحجّاج عاذ بأبيه يوسف بن الحكم . فلمّا أرسل عبد الملك الحجّاج لقتال ابن الزّبير ، قام إليه يوسف بن الحكم وقال له : يا أمير المؤمنين إنّ فتىً منّا ذكر زينب بما يذكر به العربيّ ابنة عمّه ، وقد علمت أنّ هذا لم يزل يتقلّب عليه . قال عبد الملك : أليس النّميري؟ قال : بلى ، قد سمعت شعره فما سمعت مكروهاً ثمّ أقبل على الحجّاج وقال : لا تعرض له .

ويقال إنّ عبد الملك لمّا بلغه شعر النّميري كتب إلى الحجّاج : قد بلغني ما كان من قول النّميري ، فلا تدنه فتقطعه ، ولا تقصه فتغره . ولكن أهمله واله عنه . فلم يهجه الحجّاج ومن قوله فيها :

تشتو بمكّة نعمة ومصيفها بالطّائف
أكرم بتلك مواقفا وبزينب من واقف

ومن شعره فيها أيضاً :

وما أنس من شيءٍ ، فلا أنس شاديا بمكّة مكحولاً أسيلاً مدامعه

افتدت غياب زوجها بمالها

قال الزّبير بن بكار : حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال كانت بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزّبير عند أبي بكر بن عبد الرّحمن من محرمه وكان يخدمها وكانت ذات مال ، ولا مال له . وكانت تضنّ عنه ، فخرج يريد الشّام بطلب الرّزق ، فلمّا كان ببعض الطّريق رجع فمرّ بجلسائه بالمصلّى فقالوا : زاد خير . ثمّ دخل عليها فقالت له : أبخيرٍ رجعت؟ فقال لها :

بينما نحن من بلاكث فالقا ع سراعا ، والعيش تهوي هويّا ،
خطرت خطرةً على القلب من ذكراك وهناً ، فما استطاع مضيّا
قلت : لبّيك ، إذ دعاني لك الشّو ق وللحادين حبّ المطيّا

قالت له : لا جرم والله لأشاطرنّك مالي فشاطرته إيّاه ولم تدعه للسّفر بعد .

عائشة رضي الله عنها

ذكروا عن عائشة ، رضي الله عنها ، أنّها لمّا قدمت البصرة خطبت وبحضرتها الأحنف بن قيس وموسى بن طلحة ورجالٌ من وجوه العرب ، فقالت بعقب ذلك : إنّي أتيت أطلب بدم الإمام المذكور برمّته الحرمات الأربع . فمن ردّنا عنه بحقٍّ قبلناه ، ومن ردّنا عنه بباطلٍ قاتلناه . فربّما نصر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتّقين . قال لها موسى بن طلحة : قد فهمنا كلامك ، فما الأربع حرمات؟ فقالت : حرمة الشّهر ، وحرمة البلد ، وحرمة الإمامة ، وحرمة الختونة ، لا يصلح إمراء بعده أبداً . فقال لها الأحنف رحمه الله : إني سائلك ومغلظٌ لك في المسألة فلا تجدين عليّ . أعندك عهدٌ من رسول الله في خروجك هذا؟ قالت : لا . قال لها : أفعندك عهدٌ من رسول الله أنّك معصومةٌ من الخطأ؟ قالت : لا . قال لها : صدقت ، أن الله رضي لك المدينة فأبيت إلاّ البصرة ، وأمرك بلزوم بيت نبيّه محمّد ﷺ فنزلت بين الحرسة الضّبي . ألا تخبريني يا أمّ المؤمنين أللحرب قدمت أم للصّلح؟ قالت : بل للصّلح ، فقال لها : والله لو قدمت وما بينهم إلاّ الخفق بالنّعال والقذف بالحصباء ، ما اصطلحوا على يديك ، فكيف والسّيوف على عواتقهم؟ قالت : لقد استغرق حكم الأحنف هجاه إياي ، إلى الله أشكون عقوق أبنائي .

مسألة شرف

قال أحمد بن يحيى : كان القيطنون متملّكاً على أهل المدينة . وكان قد سامهم خسفاً ، وشرط عليهم أنّه لا تدخل امرأة على زوجها حتّى يبدأ بها . فزوّج مالك بن عجلان الخزرجي أخته . فلما جهّزها وأراد إهداءها إلى زوجها ، وهو قاعدٌ في مجلس الخزرج ، إذا خرجت أخته على الحيّ سافرةً . فغضب مالك ، ووثب إليها ليتناولها بالسّيف ، وقال لها : فضحتني ، ونكّست رأسي ، وأغضضت بصري . فقالت له : الذي تريد بي أنت شر من هذا وأقبح وأفضح . إن كنت تهديني إلى غير بعلي فيصيبني ، فهذا شرٌّ من خروجي سافرةً حاسرةً! فقال مالك : صدقت ، وأبيك .

وسكت عنها ، فلمّا رجعت إلى خدرها دخل إليها ، فقال لها : هل فيك من خير؟ فقالت : أيّ خيرٍ عند امرأةٍ إلاّ أن تناك؟ فقال لها اكتمي ما أريده . قالت : نعم .

فشرح لها ما عزم عليه . فلمّا أمست أتتها رسل القيطنون ليأتوه بها ، فلبست وتعطّرت وتحلّت ، ولبس معها وتعطّر واشتمل على السّيف ومضى معها في جملة نسائها إلى قصر القيطنون . فلمّا خلا بها في مشربة له ، ودنا منها تنحّى نساؤها عنها إلاّ مالك وحده ، فقال القيطنون : بحقّ التّوراة ألا أمهلتني ساعةً حتّى ترجع نفسي فيها إليّ ، وتركت أختي هذه تؤانسني عندك ، فإنّي ألفتها من بين أهلي؟ فقال : نعم . فلمّا هدأت ساعةً . قال : تقدّمي إلى فراشك حتى ألحقك . فقام القيطنون إلى باب مشربته فأغلقه ، وأتى فراشه . وكشف مالك عن السّيف ثمّ ضربه به حتّى برد . فاجتمع الحيان من الأوس والخزرج فسوّدوه على أنفسهم ، وملّكوه ، إذ أراحهم من عار الدّهر . وذلّت اليهود بعد ذلك فلم ترفع رأساً .

عزة كثير وبثينة جميل

وفدت عزّة[١] وبثينة[٢] على عبد الملك بن مروان فلمّا دخلتا عليه انحرف إلى عزّة ، وقال لها : أنت عزّة كثير؟ قالت : لست لكثير بعزّة ولكنّي أمّ بكرٍ الضّمريّة . قال أتروين قول كثيرٍ فيك؟

لقد زعمتْ أنّي تغيّرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عزّ لا يتغيّر
تغيّر جسمي والخليقة كالتي ... عهدت ، ولم يخبر بسرّك مخبر

قالت : لست أروي هذا ، ولكنّي أروي غيره حيث يقول :

كأنّي أنادي صخرةً حين أعرضت ... من الصّمّ لو يمشي بها العصم زلّت
صفوحاً فما تلقاك إلاّ بحيلةٍ ... فمن ملّ منها ذلك الوصف ملّت

ثمّ عطف على بثينة فقال لها : ما رأى جميل حين لهج بذكرك بين النّساء كلّهن؟ قالت : الذي رأى فيك النّاس حين جعلوك خليفة من بين رجال العالمين . فضحك حتّى بدت سنٌّ له سوداء ، كان يخفيها ، وأجزل جائزتهما وقضى حوائجهما .

---

(١) كثير عزة شاعر عربي متيم من أهل المدينة المنورة وشعراء الدولة الأموية واسمه كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي وعرف بعشقه عزة بنت جميل بن حفص بن إياس الغفارية الكنانية .

(٢) بثينة بنت حيان بن ثعلبة العذرية ، وفي شعرها رقة ومتانة وكانت صدوقة اللسان ، جميلة ، عشقها جميل بن معمر وشبب بها .

حدود الهوى والأدب

وحكى أبو الحسن المدايني قال : هوى بعض المسلمين جارية بمكّة فأرادها ، فامتنعت عليه . فأنشدها :

سألت الفتى المكّيّ هل في تزاورٍ وقبلة مشتاق الفؤاد ، جناح؟
فقال : معاذ الله أن يذهب الهوى تلاصق أكباد بهنّ جراح

فقالت له : بالله ، إنّك سمعته وسألته فأجابك بهذا الجّوابً؟ قال : نعم . فزارته وجعلت تقول : إيّاك أن تتعدى ما أمرك به عطاء .

قواعد الحب

قيل لأعرابيٍّ : ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى؟

قال : كنت أمتّع عيني في وجهها ، وقلبي من حديثها ، وأستر منها ما لا يحبّه الله ولا يرضى بكشفه إلا عند حلّه . قيل : فإن خفت أن لا تجتمعا بعد ذلك؟

قال : أكل قلبي إلى حبّها ، ولا أصير بقبيح ذلك الفعل إلى نقض عهدها .

يقولون ما لا يفعلون

وعن عبد الملك بن قريب الأصمعي قال : بصرت الزّبّاء بعمر بن أبي ربيعة ، وهو يطوف بالبيت ، فتنكّرت له وفي كفّها خلوقٌ ، فمسحته بثوبه ، فقال :

أدخل الله ربّ موسى وعيسى جنّة الخلد من ملاني خلوقا
مسحت كفها بجيب قميصي حين طفنا بالبيت مسحاً رقيقا
لو تجازى القلوب بالودّ أمسى قلبها مائلاً إلينا شفيقا

فنظر إليه عبد الله بن عمر في تلك الحالة ينشد الأبيات ، فقال : ما هذا زي المحرم وما يحلّ للمحرم أن يقول مثل هذا القول في هذا الموضع فقال : يا أبا عبد الرّحمن قد سمعت منّي ما سمعت ، فوربّ هذه البنية ، ما حللت إزاري على حرامٍ قط .

أعرابي من طي والفزاري

نزل أعرابيٌّ من طيء ، يقال له المثنّى بن معروف ، بأبي جبر الفزاري فسمعه يوماً يقول : لوددت أنّي بتّ الليلة خالياً ببنت عبد الملك بن مروان . فقال المثنّى : أحلالاً أم حراماً؟ فقال : ما أبالي . قال : فوثب إليه فضرب رأسه برحالةٍ فشجّه ، ثمّ ارتحل وهو يقول :

أبلـــغ أميـــر المؤمنـــين رسالـــةً   علـــى النّأي إنّي قد وترت أبا جبر
نشـــرت علـــى اليافـــوخ منه رحالةً   لنصري أمير المؤمنـين ولا يـــدري
وما كـــان شـــيءٌ غير أنّي سمعتـــه   ينـــادي نســـاء المؤمنين بلا مهـــر

قال ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأهدر دم أبي جبرٍ وبعث إلى المثنّى بصلة جزيلة

هند وزوجها روح

وعن عبد الملك بن عمير قال : كانت هند بنت النّعمان بن بشير الأنصاري عند روح بن زنباع ، وكانت امرأةً فصيحةً أديبةً ، برزةً ؛ وكان رجلاً غيوراً ، فرآها ذات يوم مشرفةً على وفدٍ من جذام . فجعل يضربها ، ويقول . أتشرفين وتنظرين إلى الرّجال؟ً قالت : ويحك ، وهل أرى إلاّ جذاميّاً ، والله ما أحبّ منهم الحلال فكيف الحرام؟ فقال روح في ذلك :

أثنيـــ عليـــك بـــأن باعـــك ضيّـــقٌ   وأنّ أصلـــك فـــي جذامٍ ملتصق

وفيه تقول هند؟

وهـــــل أنـــــا إلاّ مهـــرةً عربيّـــةً   سلسلـــة أفـــراس تحللهـــا بغـــل
فإن نتجـــت حـــرّاً كريمـــاً فبالحـــرّا   وإن يـــك أقرافٌ فما أنجب الفحل

فقال لها روح : اللهمّ إن متّ قبلها فابتلها بزوج يلطم وجهها ، ويقيء في حجرها . ومات روح بن زنباع وتزوّجها بعده محمّد بن الحَكم بن أبي عقيل الثّقفي ، وكان شابّاً جميلاً ، شرّاباً للخمر ؛ فأحبّته حبّاً شديداً ، فكان يلطم وجهها ويقيء في حجرها . فقالت : رحم الله أبا زرعة ، فقد استجيبت دعوته

أثر الغيرة عند روح بن زنباع

قالت هند بنت النّعمان بن بشيرٍ لزوجها روح بن زنباع(١) ، وكان شديد الغيرة :

---

(١) روح بن زنباع القثامي وقديما الجذامي كان صاحب الشرطة أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وكان من المقربين لدية وممن يستمع إليهم . هو من تنبأ في ذكاء ومهارة الحجاج بن يوسف الثقفي القيادية وبذلك قدمة إلى الخليفة عبد الملك بن مروان ، وقد قال عبد الملك عن الحجاج «الحجاج هو جلدة ما بين عيني» .

عجباً منك كيف يسوّدك قومك وفيك ثلاث خصال أنت من جذام وأنت جبان ، وأنت غيور؟ فقال لها : أمّا في جذام فإنّي في أرومتهـا ؛ وأمّا الجبن فإنّما لي نفسٌ واحدةٌ فأنا أحفظها ، ولو كانت لي نفسٌ أخرى لجدت بها ؛ وأمّا الغيرة فحقيقٌ لمن كانت له امرأةٌ حمقاء مثلك أن يغار عليها مخافة أن تجيئه بولدٍ من غيره فتقذف به في حجره .

غيرة لقمان الحكيم

علي بن سليمان الأخفش قال : قال ابن الكلبي : كان لقمان بن عاد حكيم العرب غيوراً ، فبنى لامرأته صرحاً وجعلها فيه ، فنظر إليها رجلٌ من الحي فعلقها ، فأتى قومه فأخبرهم وجده بها ، وسألهم الحيلة في أمره . فأمهلوه حتّى أراد لقمان الغزو ، فعمدوا إلى صاحبهم وشدّوه في حزمة سيوفٍ وأتوا إلى لقمان فاستودعوها إيّاه ، فوضع السّلاح في بيته ، فلمّا مضى تحرّك الرّجل في السّيوف ، فقانت إليه المرأة تنظر فإذا هي برجلٍ ، فشكا إليها حبّه إيّاها ، فأمكنته من نفسها ، فلم يزل معها مقيماً حتّى قدم لقمان فردّته في السّيوف كما كان ، وجاء قومه فاحتملوه . وإنّ لقمان نظر يوماً إلى نخامةٍ في السّقف فقال : من تنخّم هذه؟ فقالت : أنا . قال : فتنخّمي . فقصرت فقال : يا ويلتاه والسّيوف دهتني . فقتلها ثمّ نزل فقلي ابنته صخر قاعدةً فأخذ حجراً فهشّم رأسها فماتت . وقال : أنت أيضاً امرأة . فضربت العرب بذلك المثل . فكان يقول المظلوم منهم ما أذنبت إلاّ ذنب صخر .

عمر والنّعمان بن نضلة

ولّى عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، النّعمان بن نضلة العوي بميسان ، وأراد رحيل امرأته معه ، فأبت ذلك وكرهته . فلمّا وصل إلى ميسان أراد أن يغيرها فترحل إليه ، فكتب إليها :

ألا هـل أتـى الخنسـاء أنّ خليلها ... بميسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئـت غنتنـي دهاقـين قريـة ... وصاحبـه يجثـو على خدٍّ مبسم
فإن كنـت ندمانـي فبالأكبر اسقني ... ولا تسقنـي بالأصغـر المتثلّـم
لعـلّ أميـر المؤمـنين يسـوؤه ... تنادمنـا فـي الجوسـق المتهدّم

فبلغت الأبيات عمر بن الخطّاب ، فقال : أي والله ، وأبي وأبيك ، يسوؤني . يا غلام ، اكتب بعزله . فلمّا قدم على عمر بكّته بهذا ، فقال : يا أمير المؤمنين ما شربها

قط ، ولا قلت الأبيات إلاّ بسبب كذا . فقال عمر : أظنّ ذلك ولكن لا تعمل لي عملاً أبداً .

كيف تخلصت من العطار؟

حكى دعبل بن عليٍّ قال : عبث عطّارٌ اسمه فيروز بامرأةٍ من الشّام تسومه عطراً فعلقت بقلبه ، فقعد لها على طريقها ، فلمّا أضجرها قالت : والله لو أنّ عبد الله بن سيرة بقربي ما طمعت في هذا منّي . فبلغت عبد الله بن سيرة هذه الكلمة وهو في البعث بأرمينية ، فترك مركزه وأقبل لا يلوي على أحد ، حتىّ وقف ببابها ليلاً ، وكان يوصف بشدّة الغيرة ، فاستأذن عليها ، فأذنت له ، فقال لها : أيّتها المرأة من هذا الذي عبث بك حتّى تمنّيت أنّي بقربك؟ قالت : رجلٌ عطّار . قال لها : فما ابتنى؟ قالت : لا . قال لها : فعديه الليلة القابلة وإنّي أسبقه إلى بيتك .

فبعثت إليه تقول له : إذ أبيت إلاّ ما تريد ، فهلمّ إلى بيتي الليلة عندي . فأقبل إليها وقد سبقه ابن سيرة ، فلمّا دخل وثب عليه وضربه ضربةً رمى برأسه ، ثمّ قتل خادمها ، وقال لها : إنّما قتلته لئلّا يطلع على الخبر أحدٌ من النّاس . ثمّ ناولها مائة دينار ، وقال لها : اشتري بها خادماً وانفقي باقيها على نفسك . ثمّ قال : هلمّي فأساً فقلع رأس البالوعة ثمّ جرّهما فألقاهما فيها ، ثمّ سوّى رأس البالوعة ، وقال للمرأة : أظهري أنّ الخادم قد أبق . ثمّ خرج ، ولم يعلم به أحد ، ولم يأت منزله حتّى قدم أرمينيّة وقال في ذلك :

إنّ المنايا لغيران لمعرضةٌ ... يغتاله النّحر أو يغتاله الأسد
أو عقربٌ أو شجى في الحلق معترضٌ ... أو حيّةٌ في أعالي منتهى الزبد

قتلى الحب

حكى الثّوريّ : أنّ رجلاً من بني عقيل تعلّق جاريةً وأبى أهلها أن يزوّجوه إيّاها ، وكانت من أجمل النّساء ، وكان اسمها ليلى ، فسمع بها رجلٌ موسرٌ من ثقيف يقال له حارثة بن عوف ، فقدم على أهلها فأرغبهم ، فزوّجوه وظعن بها . فقال العقيلي الذي كان تعلّقها :

ألا إنّ ليلى العامريّة أصبحت ... تقطع إلاّ من ثقيف وصالها
كأنّ مع الرّكب الذين تحمّلوا ... غمامة صيفٍ زعزعتها شمالها

ثمّ اشتدّ شوقه وزاد ولعه ، فخرج في أثرها حتّى قدم الطّائف ، فانتسب أنّه أخٌ لها وصدّقت هي فأدخله زوجها ، وذبح له ونحر ، وكان صاحب خمر . فجلس هو والثّقفي يشربان وهي تسقيهما فلمّا أخذت الخمر في العقيلي باح بسرّه ، فلمّا سمعه الثّقفي همّ به ثمّ غلبه السّكر فخرج العقيلي تحت الليل وتبعه الثّقفي بأكلب له عقرٌ فأدركه وقد شارف بلاد بني كليب ، وقد غلبه العطش فمات . فخلى أكلبه على جيفته فأكلته . فسمعت بذلك الكلابيّون فرحلوا في أثر الثّقفي فأدركوه فقتلوه وخلوا عليه أكلبه فأكلته . وسمع العقيليّون بخبر الرّجلين فركبوا إلى المرأة فطرقوها في منزله فقتلوها ، ورحلوا . فوثبت عليها أكلب زوجها فأكلتها . فقال جار الثّقفي :

لعمري لقد ساق العقيلي حتفه ... وما خبر ليلى كان عنها بأبعد
وخبر الفتى القيسيّ قد سيق نحوه ... وأمسى مقيماً بين أضلاع أزبد
أقاموا جميعاً رهن أجواف أكلبٍ ... كذلك أمر الله في اليوم والغد

راودته عن نفسه فاستعصم

خرج عمر بن سعيد العبدي يريد سفراً له ، فأخذته السّماء في بعض الطّريق فنظر ، فإذا هو بقصر عظيم ، فعدل إليه ، وقرع بابه ، فخرج إليه عبد الله بن يزيد فعرفه ، فسلّم عليه وأنزله ، وهيّأ له طعاماً ثمّ دعا بشراب من خمر عتيق . فبينما هما يشربان إذ تطلّعت المرأة فرأت ابن سعيد وكان غلاماً شابّاً ، وسكر زوجها سكراً شديداً فخرجت المرأة إلى عمر بن سعيد فحدّثته وآنسته ودعته إلى نفسها فأبى ، وقال : ما كنت بالذي أفعل برجلٍ أتاني منزله . ولم يزل يدافعها حتّى أفاق عبد الله بن يزيد من سكره ، فأنشأ عمر يقول :

ربّ بيضاء خصرها يتثنّى ... قد دعتني لوصلها فأبيت
لم يكن شأني العفاف ولكن ... كنت ندمان زوجها فاستحيت

فعلم عبد الله بن يزيد ما أراد ، فلمّا انصرف عمر بن سعيد عمد عبد الله إلى المرأة فجعل في عنقها حبلاً وعلّقها به إلى السّقف ، فاضطربت حتّى ماتت . وعلم أنّ النّساء لا حفظ لهنّ ، وآلى على نفسه أنّه لا يتزوّج امرأةً أبداً . وترك قصره وعاد إلى منزله .

لدغة العقرب

قال الفضيل بن الهاشمي : كنت مع ابنة عمّي نائماً على سرير إذ ظهرت إليّ بعض جواري ، فنزلت ، فقضيت حاجتي ، ثمّ انصرفت . فبينما أنا أراجع ، إذ لدغتني عقربٌ فصبرت حتّى عدت إلى موضعي من السّرير ، فغلبني الوجع ، فصحت ، فقالت لي ابنة عمّي : ما لك؟ قلت لها : لدغتني عقربٌ . قالت : وعلى السّرير عقربٌ؟ قلت : نزلت لأبوّل فأصابتني ، ففطنت ، فلمّا أصبحت جمعت خدمها واستحلفتهنّ أن لا يقتلن عقرباً في دارها إلى سنة . ثمّ قالت :

إذا عصي الله في دارنا ... فإنّ عقاربنا تغضب
ودارٍ إذا نام حرّاسها ... أقام الحدود بها العقرب

عمارة بن الوليد

كان عمارة بن الوليد بن المغيرة بن الوليد سيف الله من فتيان قريش جمالاً وشعراً ، وهو الذي جاءت به قريش إلى أبي طالب قالوا : هذا عمارة ، قد عرفت حاله ، فخذه بدل ابن أخيك محمّداً نقلته . فقال لهم أبو طالب : ما أنصفتموني تعطوني ابن أخيكم أحفظه وأعطيكم ابن أخي تقتلوه؟ وبعثت قريش عمارة بن الوليد ، وعمرو بن العاص إلى النّجاشي في أمر من قدم إليه من المهاجرين ، فلمّا كانوا في السّفينة ومع عمرو امرأته أمّ عبد الله فقال لها عمارة : قبّليني . فقال لها عمرو : قبّلي ابن عمّك . وقال عمرو في ذلك :

ليعلم عمّارٌ أنّ من شرّ شيمة ... لمثلك أن يدعى ابن عمٍّ له ابن ما
أإن كنت ذا بردين أحوى مرجلاً ... ولست تراعي لابن عمّك محرّماً
إذا المرء لم يترك طعاماً يحبّه ... ولم ينه قلباً عارياً حيث يمّما
قضى وطراً منه وغادر سبّةً ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقعد عمرو على منجاف السّفينة لقضاء الحاجة ، فدفعه عمارة ، فألقاه في البحر ، فما تخلّص حتّى كاد يموت . فلمّا صار إلى النّجاشي أظهر له عمرو أنّه لم يحفل بما أصابه منه ، فجاده عمارة يوماً فحدّثه أنّ زوجة الملك النّجاشي علّقته وأدخلته إلى نفسها ، فلمّا تبيّن لعمرو حال عمارة وشى به عند الملك واخبره خبره ، فقال له النّجاشي : أئتني بعلامة أستدلّ بها على ما قلت؟ فعاد عمارة ، فأخبره عمرو بأمره وأمر زوجة النّجاشي فقال له عمرو : لا أقبل هذا منك إلاّ أن تعطيك من دهن

الملك الذي لا يدّهّن به غيره . فكلّمها عمارة في الدّهن ، فقالت له : أخاف من الملك . فأبى أن يرضى منها إلاّ أن تعطيه من ذلك الدّهن ، فأعطته منه ، فأعطاه إلى عمرو ، فجاء إلى الملك ، فأمر السّواحر فنفخن في إحليله ، فذهب مع الوحش ، فلم يزل متوحّشاً حتّى خرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه ، فجعل له على الماء شركاً ، فأخذه ، فجعل يصيح به : أرسلني فإنّي أَموت إن أمسكتني . فأمسكه ، فمات في يده .

مثلاً في الوفاء

حكى الأصمعي ، عن رجلٍ من بني ضبّة قال : ضلّت لي إبلٌ فخرجت في طلبها حتّى أتيت بلاد بني سليمٍ ، فلمّا كنت في بعض تخومها ، إذا جاريةٌ غشى بصري إشراق وجهها ، فقالت : ما بغيتك فإنّي أراك مهموماً؟ قلت : إبلٌ ضلّت لي ، فأنا في طلبها . قالت : فتحب أن أرشدك إلى من هي عنده؟ قلت : نعم . قالت : الذي أعطاكهنّ هو الذي أخذهنّ فإن شاء ردّهنّ ، فاسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختيار . فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسن منطقها ، فقلت لها : هل لك من بعلٍ؟ قالت : كان والله فدعي فأجاب إلى ما منه خلق ، ونعم البعل كان . قلت لها : فهلْ لك في بعلٍ لا تذمّ خلائقه ، ولا تخشى بوائقه؟ فأطرقت ساعةً ثمّ رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً فأنشأت تقول :

كنّا كغصنين من بانٍ غذاؤهما ... ماء الجداول في روضات جنّات
فاجتثّ صاحبها من جنب صاحبه ... دهرٌ يكرّ بفرحاتٍ وترحات
وكان عاهدني إن خانني زمنٌ ... أن لا يضاجع أنثى بعد موتات
وكنت عاهدته أيضاً ، فعاجله ... ريب المنون قريباً مذ سنينات
فاصرف عتابك عمّن ليس يصرفه ... عن الوفاء له خلب التّحيّات

قال : فانصرفت وتركتها .

على العهد باقيةٌ

قال الأصمعي : قال لي الرّشيد : امض إلى بادية البصرة فخذ من تحف كلامهم وطرف حديثهم . فانحدرت ، فنزلت على صديقٍ لي بالبصرة ، ثمّ بكّرت أنا وهو على المقابر ، فلمّا صرت إليها إذا بجاريةٍ نادى إلينا ريحً عطرها قبل الدّنوّ منها ، عليها ثيابٌ

مصبغاتٌ وحلى ، وهي تبكي أحرّ بكاء . فقلت : يا جارية ما شأنك؟ فأنشأت تقول :

فإن تسألاني فيم حزني؟ فإنّني رهينة هذا القبر يا فتيان .
أهابك إجلالاً ، وإن كنت في الثّرى ، مخافة يوم أن يسؤك مكاني
وإنّي لأستحييك ، والتّرب بيننا ، كما كنت أستحًييك حين تراني .

فقلنا لهاك ما رأينا أكثر من التّفاوت بين زيّك وحزنك فأخبري بشأنك؟ فأنشأت تقول :

يا صحب القبر ، يا من كان يؤنسني حيّاً ، ويكثر في الدّنيا مواساتي ،
أزور قبرك في حليٍ وفي حلل ، كأنّني لست من أهل المصيبات ؛
فمن رآني ، رأى عبرىً مفجعةً مشهورة الزّيّ تبكي بين أمواتي .

فقلنا لها وما الرّجل منك : قالت : بعلي ، وكان يجب أن يراني في مثل هذا الزّيّ ، فآليت على نفسي أن لا أغشى قبره إلاّ في مثل هذا الزّيّ لأنّه كان يحبّه أيّام حياته ، وأنكرتماه أنتما عليّ .

قال الأصمعي : فسألتها عن خبرها ومنزلها . وأتيت الرّشيد فحدّثته بما سمعت ورأيت ، حتّى حدّثته حديث الجّارية . فقال : لا بدّ أن ترجع حتّى تخطبها إليّ من وليّها ، وتحملها إليّ ، ولا يكون من ذلك بد . ووجّه معي خادماً ومالاً كثيراً . فرجعت إلى قومها فأخبرتهم الخبر ، فأجابوا وزوّجوها من أمير المؤمنين وحملوها معنا وهي لا تعلم . فلمّا صرنا إلى المدائن نما إليها الخبر ، فشهقت شهقةً فماتت ، فدفنّاها هنالك . وسرت إلى الرّشيد فأخبرته الخبر ، فما ذكرها وقتاً من الأوقات إلاّ بكى أسفاً عليها

الطبع يغلب التطبع

عن الأصمعي ، قال : دخلتُ البادية فإذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وجرو ذئب مقفى ، فنظرتُ إليها فقالت : أتدري ما هذا؟ قُلتُ : لا . قالت : جرو ذئب أخذناه وأدخلناه بيتنا ، فلما كبُر قتل شاتنا . وقد قُلتُ في ذلك شعراً . قُلتُ لها : ما هو؟ فأنشدته :

بقرت شُوَيْهتي وفَجعت قلبي وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدَرِّها ورُبيت فينا فمن أنبَاك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فليس بنافع فيها الأديب

القتل ولا الخيانة

عرض الحجّاج سجنه يوماً ، فأتي برجلٍ فقال له : ما كان جرمك؟

قال : أصلح الله الأمير ، أخذني العسسُ وأنا مخبرك بخبري ، فإن يكن الكذب ينجي فالصّدق أولى بالنّجاة . فقال : ما قصّتك؟ قال : كنت أخاً لرجلٍ فضرب الأمير عليه العبث إلى خراسان ، فكانت امرأته تجد بي وأنا لا أشعر ، فبعثت إليّ يوماً رسولاً قد جاء كتاب صاحبك فهلمّ لتقرأه . فمضيت إليها ، فجعلت تشغلني بالحديث حتّى صلّينا العشاء ، ثمّ أظهرت لي ما في نفسها ، ودعتني إلى السّوء ، فأبيت ذلك . فقالت : والله لئن لم تفعل لأصيحنّ ولأقولنّ أنّك لص . فلمّا أبيت عليها صرخت فخرجت هارباً . وكان القتل أهون عليّ من خيانة أخي . فلقيني عسس الأمير فأخذوني . وأنا أقول متمثّلاً :

رُبّ بيضاء ذات دلٍّ وحسن ... قد دعتني لوصلها فأبيت

لم يكن شأني العفاف ولكن ... كنت ندمان زوجها فاستحيت

فعرف صدق حديثه وأمر بإطلاقه .

صبر المحبين

قيل لليلى هذا قيسٌ مات لما به من عشقك . قالت : ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه . قيل لها : فما عندك حيلةٌ تخفّف ما به؟ قالت : صبري ، وصبره ، أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

وقيل لعفراء ، وقد بلغها ما نزل بعروة ، فكادت تبوح بسرّها فقيل لها : أما عندك له حيلةٌ تخفّف ما به؟ فقالت : والله ، لأنا أسرّ بذلك وأشوق إليه منه ، ولكن لا سبيل إلى احتمال العار ، ودخول النّار .

ميّة وذو الرمّة

وقيل لميّة ، بعد موت قابوس : ما كان يضرّك لو أمتعته بوجهك قبل موته؟ قالت : منعني من ذلك خوف العار ، وشماتة الجّار . ولقد كان بقلبي منه أكثر ممّا كان بقلبه ، غير أنّي وجدت ستره أبقى لنا لما في الصّدر من المودّة ، وأحمد للعافية .

العشق والتقوى

كتب رجل إلى عشيقته رقعة أولها : عصمنا الله وإياك بالتقوى . فكتبت إليه في الجواب : يا غليظ الطبع ، إن استجاب الله دعاءك لم نلتق أبدا .

زوجة الأعمى

تزوج بعض العميان بسوداء ، فقالت له : لو نظرت إلى حسني وجمالي وبياضي لازددت في حبا . فقال لها : لو كنت كما تقولين لما تركك لي المبصرون؟!

دميم وعوراء

كان لبعضهم ابن دميم ، فخطب له إلى قوم ، فقال الابن : بلغني أنها عوراء . فقال أبوه : وددت أنها عمياء حتى لا ترى سماجة وجهك!

أداة عملها

قال الأصمعي : قلت لراقصة : هل في يدك عمل؟ قالت : لا ، ولكن في رجلي .

وزراء فرعون أفضل

كان الحجاج بن يوسف الثقفي جالسا في مجلسه بعد انتصاره على عبد الله بن الزبير ، وقال لحُجَّابِه : علي بالمرأة الحرورية . فلما حضرت قال لها : أنت بالأمس كُنتِ في وقعة (ابن الزبير) تُحرضين الناس على قتلي وقتل رجالي . ونهب أموالي؟

قالت : قد كان ذلك .

فالتفت الحجاج إلى وزرائه وقال لهم : ما ترون فيها؟

قالوا : عجِّل بقتلها .

وعندما سمعت المرأة ذلك ضحكت ضحكة مدوية أغتاظ لها الحجاج فقال لها : ما أضحكك؟

قالت : إن وزراء فرعون كانوا خيراً من وزرائك هؤلاء .

فالتفت إليهم الحجاج فرآهم خجلوا .

فقال لها : كيف ذلك؟

قالت : لأنه لما استشارهم في قتل (موسى) قالوا (أرجه وأخاه) (يعني أنظره إلى

وقت آخر) وهؤلاء يسألونك تعجيل قتلي . فضحك الحجاج ثم امر لها بعطاء وأطلقها وأعجبه مقالتها .

اختبار كشف الكذب

رأى رجل امرأة في طريق مكة فتبعها فقالت مالك؟
قال : قد سلب حبك قلبي .
قالت : فلو رأيت اختي فما تصنع؟؟
فالتفت فلم ير أحداً .
فقالت : أيها الكاذب في دعواه لو صدقت لما التفت!

لأجل الحبيب الراحل

قال الأصمعي : رأيت بالبادية أعرابية لا تتكلم فقلت : أخرساء هي !!
فقيل لي لا ولكن زوجها كان معجبا بنغمتها فتوفي فأقسمت ألا تتكلم بعده أبدا!!

هدية جارية

قال ابن قتيبة : جاءتني جارية بهدية ، فقلت لها : قد علم مولاك أني لا أقبل الهدية . قالت : ولم؟ قلت : أخشى أن تستمد مني علماً لأجل هديته . فقالت : استمد الناس من رسول الله ﷺ أكثر وقد كان يقبل الهدية . . فقبلتها فكانت الجارية أفقه مني .

بيت الورع والصدق

وروي عن أخت بشر الحافي[1] أنها سألت الإمام أحمد قائلة : إننا نغزل على سطوحنا ، فتمر بنا مشاعل الظاهرية ، ويقع علينا شعاعها ، أفيجوز لنا أن نغزل على

---

(١) بشر الحافي هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر ، المعروف بالحافي ، أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري . ولد سنة ??? هـ في بغداد وعاش فيها ، وصحب الفضيل بن عياض .

شعاعها؟ فقال : من أنت عافاك الله؟ فقالت : أخت بشر الحافي . فبكى وقال : من بيتكم يخرج الورع الصادق ، لا تغزلي في شعاعها

منطق المتوكلين

قال الحجاج لامرأة من الخوارج : والله لأعدنكم عَداً ولأحصُدَنكُم حَصداً ، قالت : الله يزرع وانت تحصد فأين قدرة المخلوق من قدرة الخالق؟! .

جواب حسن

أتي الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه فقيل لها : الأمير يكلمك وأنتِ لا تنظرين إليه ؟! فقالت : إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه فأمر بها فقُتلت!

وصية ولادة العبدية

قال رجل لولادة العبدية وكانت من أعقل النساء : إني اريد الحج فأوصني . قالت : أؤجز فأبلغ ، أم اطيل فأحكم فقال : بما شئت! قالت : جد تسد واصبر تفز قال : أيضا . . قالت : لا يتعد غضبك حلمك ولا هواك علمك وفر دينك بدنياك ووفر عرضك بعرضك وتفضل تخدم واحلم تقدم . قال : فمن استعين؟ قالت : إن قلت من الناس قلت : الجلد النائط والناصح الأمين . قال : فمن استشير؟ قالت :المجرب الكيس أو الأديب ولو الصغير . قال : فمن أستصحب؟ قالت : الصديق الملم أو المداجي المتكرم .

موعظة أعرابية

قالت أعربية لابنها الذي يسأل الناس ويفتقر إليهم . أي بني إن سؤالك الناس ما في أيديهم من أشد الافتقار إليهم . ومن افتقرت إليه هنت عليه . ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تسأل وترغب فإذا ألحت عليك الحاجة ولزمك سوء الحال : فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمسؤول .

الذل والشرف

وقالت بختي المدنية توصي أحدهم : الجرح الذي لا يندمل حاجة الكريم الى

اللئيم ثم يرده ، والذل كوقوف الشريف بباب الدني ثم لا يؤذن له . والشرف : اتخاذ المنن في رقاب الرجال .

خولة بنت حكيم وعمر بن الخطاب

حكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ويده على المعلى بن الجارود العبدي ، فلقيته امرأة من قريش فقالت له : ياعمر فوقف لها ، فقالت كنا نعرفك مدة عميرا ثم صرت من بعد عمير عمر ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين ، فاتق الله يا ابن الخطاب ، وانظر في أمور الناس فإنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي الفوت . فقال المعلى : إيه أمة الله فقد أبكيت أمير المؤمنين . . فقال عمر : أسكت أتدري من هذه ، هذه خولة بنت حكيم[1] التي سمع الله قولها من سمائه فعمر أحرى أن يسمع قولها ويقتدي به .

الأهوازيّة أشدّ ذكاءً

كانت لرجلٍ في الأهواز ضيعةٌ بالبصرة ، وكان يتعاهدها في حين الانتفاع بالثّمار . فتزوّج بها امرأةً ، وانتهى الخبر إلى امرأته الأهوازيّة فاستخرقت كتاباً على لسان بعض إخوانه بالبصرة يعزيه في البصريّة ويقول : إلحق المال الذي خلّفت ولا تتأخّر . وأعطت الكتاب لبعض الملّاحين وجعلت له جعلاً . فلمّا وصل الكتاب إلى زوجها وجد لموتها وجداً عظيماً ، وقال للأهوازيّة : أصلحي لي سفرتي ، فإنّي راكبٌ إلى البصرة . ففعلت ، فلمّا أصبح الغد ركب فرسه ، وأعطته السّفرة ، ثمّ قبضت على عنان فرسه وقالت له : ما تكثر اختلافك إلى البصرة إلاّ ولك بها امرأةً تزوّجتها؟ فقال لها : والله مالي بالبصرة امرأةٌ . للذي وقف عليه من الكتاب . فقالت له : لست أدري ما تقول ؛ وإنّما تحلف وتقول أيّ امرأةٍ لي غيرك طالقٌ ثلاثاً بقول جميع المسلمين؟ فللذي وقف عليه الرّجل من موت البصريّة قال في نفسه : تلك ماتت ، فلم أغير صدر هذه : فقال لها : كلّ امرأةٍ لي غيرك في جميع الأقاليم فهي طالقٌ ثلاثاً بقول جميع المسلمين . فقالت له : لا تتعبن فقد طلّقت الحبيبة . فندم الرّجل ، وأسقط ما في يديه .

---

(١) أم شريك خولة بنت حكيم السُلميّة صحابية صحابية هي زوجة الصحابي عثمان بن مظعون .

أيريده فحلاً لبناته

حكى إبراهيم بن محمّد بن عرفة قال : كانت أمّ عبد الملك بن سعيد بن خالد بن عمرو ، عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك . فمرض سعيدٌ ، وهو بالبادية ، فعاده ، فدخل عليه وعنده أختها سلمى ، فستروها ، فرأى منها لمحةً ثمّ قامت ، فرأى طولها فطلّق أختها وخطبها ، فلم يزوّجه إيّاها وكانت أختها أمّ عثمان عند هشام بن عبد الملك ، فبعث إلى أبيها : إيّاك أن تزوّج الوليد ، تريده أن تتّخذه فحلاً لبناتك يطّلق واحدةً ويتزوّج أخرى؟ فأبى أن يزوّجه . فقال الوليد : العجب من سعيد ، خطبت إليه فردّني ، ولو قد مات هشامٌ واستخلفت لزوّجنيها ، فإن زوّجتها فهي طالق ٌ، وإن كنت أهواها . .

هي طالقٌ ألف مرّة

خاصمت امرأةٌ زوجها إلى المطّلب بن حبط المخزومي قاضي المدينة ، وكانت قالت له : أسأت إليّ وأوجعتني ، ووالله ما أستطيع ، فإنّ بنتك تمسي من الجوع والجهد وما أقمن إلاّ على الوطن . فقال : أنت طالقٌ إن كان لا يقمن إلاّ على الوطن! فأخبرت القاضي بما قالت ، وبما قال . فقال القاضي : بطلب المقادير ، وربّ الكعبة ، إنّ الأيّل ليكون بالمكان الجدب الخسيس المرعى فتقيم فيه بحبّ الوطن . فقال الزّوج : كأنّ المسألة ، أصلح الله القاضي ، أشكلت عليك هي طالقٌ ألف مرّة .

طلّقها وندم

وطلّق عليٌّ بن منظور امرأته فندم عليها ندماً شديداً ، فقال :

ما للطّلاق فقدته … وفقدت عاقبة الطّلاق
طلّقت خير خليلة … تحت السّموات الطّباق

وأحبّت امرأة الأعرابيّ أن تفارقه فقالً :

تمنّين الطّلاق وأنت منّي … بعيشٍ مثل مشرفة الجمال

أحبّ إليه ليلةً طلّق فيها نساؤه

قال خالد بن صفوان : ما بتّ ليلةً أحبّ إليّ من ليلةٍ طلّقت فيها نسائي ، فأرجع والسّتور قد هتكت ومتاع البيت قد نقل . فبعثت إليّ بنتيَ سليلة فيها طعامٌ ، وبعثت الأخرى إليّ بفراشٍ أنام عليه .

الطلاق خير من الإنفاق

وطلّق أعرابيٌّ زوجته ، فقيل له : ألا تتزوّج بعدها؟ فقال : مكابدة العفّة ، أيسر من الاحتيال بمصلحة العيال .

طلّقها فتزوّجت رجلاً دميماً

وطلّق عطيّة بن أشجع محجوبة بنت عبد الله ، امرأته فزوّجت رجلاً دميماً فقال في ذلك :

لعمري أبي سلمى ، ولست بشامت بسلمى ، فقد أمست بها النّعل زلّت .
وليس لمغفورٌ لسلمى ذنوبها وإن هي صامت كلّ يوم وصلّت ،
ولو ركبت ما حرّم الله لم يكن بأعظم عند الله ممّا استحلت؟

سارة وهاجر

يروى : أنّ سارة[١] كانت تحبّ إبراهيم خليل الرّحمن . فمكثت معه دهراً لا ترزق ولداً ، فلمّا رأت ذلك وهبت له هاجر[٢] ، وكانت أمةً لها قبطيّةً ، فولدت لإبراهيم إسماعيل ، صلّى الله عليهما ، فغارت من ذلك سارة ووجدت في نفسها ، وعتبت على هاجر . فحلفت لتقطعنّ عضواً من أعضائها فقال لها إبراهيم ، صلّى الله على نبينا وعليه : هل لك أن تبري يمينك؟ قالت : كيف أصنع؟ قال : أثقبي أذنيها وخصّفيها . والخصف هو الخياطة . ففعلت ذلك بها ، فوضعت في أذني هاجر قرطين فازدادت حسناً . فقال سارة : إنّي إنّما زدتها جمالاً : فلم تتركه على كونها معه . ووجد بها إبراهيم وجداً شديداً ، فنقلها إلى مكّة وكان يزورها في كلّ وقتٍ من الشّام لشغفه بها ، وقلّة صبره عنها .

(١) سارة هي زوجة النبي إبراهيم وأم النبي إسحاق أبو النبي يعقوب الذي ينحدر من نسله أنبياء بني إسرائيل . وسارة بالأصل اسم عبري ، ويعني بالعربية «البهجة والسرور» . اسم سارة (??????) اسم عبري معناه «أميرة» ، وكانت زوجة إبراهيم سارة أجمل نساء عصرها .

(٢) هاجر (عبرية : ????? هجر وتنطق الجيم مصرية) شخصية تراثية ورد ذكرها في سفر التكوين وجاء ذكرها بإسمها في الأحاديث النبوية وذكرها النبي محمد أيضاً بلفظ أُم إسماعيل ، وأُشِير إليها دون تسمية في القرآن الكريم . حسب سفر التكوين ، هاجر أمة أو جارية مصرية لسارة ويوجد في التراث الإسلامي ما يؤيد ذلك وهي امرأة مكرمة في الإسلام فهي والدة نبي وهو إسماعيل .

الجرباء

حكى أبو حاتم السّجستاني[1] عن الأصمعي ، قال : كان عقيل بن علقمة غيوراً ، وكان الخلفاء يصاهرونه ، وكانت له ابنةٌ يقال لها الجرباء . فكان إذا خرج إلى الشّام خرج بها لفرط غيرته . فخرج بها مرّةً وبابنٍ يقال له عميس ، فلمّا كانوا بدير سعد قال عقيل :

قَضت وطراً من دير سعد وربّما   غلا غرضٌ ناطحته بالجماجم

ثمّ قال لابنه أجز يا عميس . فقال :

فأصبحن بالموماة يحملن فتيةً   نشاوي من الإدلاج ، ميل العمائم

ثمّ قال لابنته : أجيزي ، يا جرباء . فقالت :

كأنّ الكرى أسقاهم صرّ خدية   عقارٌ تمشّت في المطا والقوائم .

فقال لها : وما يدريك أنت ما نعت الخمر؟ هذه صفةٌ من قد شربها .

وأخذ السّوط فأهوى نحوها ، وجاء عميس فحال بينه وبينها ، فضربه فأوجعه فرماه عميس بسهم ، فشكّ فخذيه فبرك ، فمضوا وتركوه حتّى إذا بلغوا أداني المياه منهم ، قالوا : اللهمّ أسقطنا جزوراً لنا . فأدركوه وخذوا معكم الماء . ففعلوا ، فإذا عقيلٌ بارك وهو يقول :

أنّ ابنيّ زملاني بالدّم   من يلق أبطال الرّجال يكلم

ومن يكن درءٌ به يقوم   شنشنةً أعرفها من أخزم

ثمّ زوّجها يزيد بن عبد الملك .

عينيها أشد هتكاً

قال إسحاق : رأيت رجلاً بطريق مكّة ، تعادله في المحمل جاريةٌ قد شدّ عينيها والغطا مكشوف ، ووجها بادٍ ، فقلت له في ذلك . فقال : إنّما أخاف عليها من عينيها ، لا من عيون النّاس .

---

(١) أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني ثم البصري (٢٥٠ هـ) مقرئ نحوي لغوي فارسي ، نزيل البصرة وعالمها ؛ كان إماماً في علوم الآداب .

الصوم وجاء

قيل لعقيل بن علقمة : أما تخاف على بناتك وقد عنسن ولم تزوّجهنّ؟

قال : كلّا ، أجوّعهنّ فلا يأشرن ، وأعرّيهنّ فلا ينظرن . فوافقت إحدى كلمتيه قول النّبي ﷺ ، ووافقت الأخرى قول عمر رضي الله عنه .

فإنّ النّبيّ ﷺ قال : «الصّوم وجاء .»

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : أضربوهنّ بالعري .

تعدو الذئاب على من لا كلاب له

قالوا وبينما كان ابن أبي ربيعة[1] في الطّواف ، إذ رأى جاريةً من أهل البصرة ، فأعجبته ، فدنا منها ، فكلّمها ، فلم تلتفت إليه . فلمّا كان في الليلة الثّانية عاودها ، فقالت له : إليك عنّي أيّها الرّجل فإنّك في موضع عظيم الحرمة! وألحّ عليها وشغلها عن الطّواف ، فأتت زوجها ، فقالت له : تعال معي ًفأرني المناسك . فأقبلت وهو معها وعمر جالسٌ على طريقها فلمّا رأى الرّجل معها عدل عنها فقالت :

تعـــدو الذئـاب على من لا كـلاب له وتتّقـــي مربــض المستأسد الحامي

فـحدّث المنصـور هذا الحـديث ، فـقـال : وددت أنّه لـم تبق فـتـاةٌ من قـريش في خدرها إلاّ سمعت الحديث .

أعرابية من هوازن

قال الأصمعي : وقفت أعرابية من هوازن على عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقالت : إني أتيت من أرض شاسعة تهبطني هابطة وترفعني رافعة في بوادي برين لحمي وهضمن عظمي وتركنني والهة قد ضاق بي البلد بعد الأهل والولد وكثرة من العدد لا قرابة تؤويني ولا عشيرة تحميني فسألت أحياء العرب : من

---

(١) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (ولد ٦٤٤م / ٢٣ هـ - توفي ٧١١م / ٩٣ هـ) شاعر مخزومي قرشي ، شاعر مشهور لم يكن في قريش أشعر منه وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة ،و لقب بالعاشق ونسب هذا الاسم لمن بعده من نسله . يكنى أبا الخطّاب ، وأبا حفص ، وأبا بشر ، ولقب بالمُغيريّ نسبة إلى جَدّه . أحد شعراء الدولة الأموية ويعد من زعماء فن التغزل في زمانه . وهو من طبقة جرير ، الفرزدق والأخطل .

المرتجى سيبة ، المأمون غيبة الكثير نائلة ، المكفي سائلة ، فدللت عليك وأنا امرأة من هوازن فقدت الولد والوالد فاصنع في أمري واحدة من ثلاث : إما أن تحسن صفدي (عطائي) وإما أن تقيم أودي وإما أن تردني إلى بلدي .

ديك الجن[1] وغلامه وجاريته

قال عبد السّلام بن رغبان المشهور بديك الجنّ شعراً أديباً ، ذا همّة حسنة . وكان له غلامٌ كالقمر ، وجاريةٌ كالشّمس . وكان يهواهما جميعاً . فدخل ذات يومٍ بوجد الجارية معانقةً للغلام تقبّله ، فشدّ عليهما فقتلهما جميعاً . ثمّ جلس عندَ رأس الجارية فبكاها طويلاً وقال :

يا طلعةً طلع الحمام عليها ... فجنى لها ثمر الرّدى بيديها
حكّمت سيفي في مجال خناقها ... ومدامعي تجري على خدّيها
رويت من دمها الثّرى ولطالما ... روّى الهوى شفتيّ من شفتيها
فوحق نعليها ، وما وطيء الحصى ، ... شيءٌ أعزّ عليّ من عينيها
ما كان قتليها لأنّي لم أكن ... أبكي إذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على الأنام بحسنها ... وأنفت من نظر العيون إليها

ثمّ جلس عند رأس الغلام يبكي :

أشفقت أن يرد الزّمان بغدره ... أو أبتلي بعد الزّمان بهجره
قمرٌ أنا استخرجته من دجنة ... لمودّتي وجلوته في خدره
فقتلته وبه عليّ كرامةً ... فلي الحشا وله الفؤاد بأسره
عهدي به ميّتاً كأحسن نائم ... والطّرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميّت ماذا بعدهً ... بالحيّ منه بكى له في قبره
غصصٌ تكاد تفيض منها نفسه ... ويكاد يخرج قلبه من صدره

---

(١) ديكِ الجنِّ الحِمصي : عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب ، أبو محمد ، الكلبي . شاعر مُجيد ، فيه مجون من شعراء العصر العباسي ، سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين . أصله من (سلمية) قرب حماة ، ومولده ووفاته بحمص ، في سورية ، لم يفارق بلاد الشام ولم ينتجع بشعره .

زوج من عود خير من قعود

قال ابن عائشة : كان أبو الأصبع العدوانيّ[1] غيوراً ، وكان له أربع بنات ، فأبى أن يزوّجهنّ ، فقالت واحدةٌ منهنّ : لتقل كلّ واحدةٍ منّا ما في نفسها . فقالت كبراهن :

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنىً حديث الشّباب طيّب النّشر والذّكر
لصوقٌ بأكباد النّساء كأنّه خليفة جارٍ لا يقيم على الهجر

قلن لها أنت تريدين شابّاً غنيّاً : وقالت الثّانية :

عظيم رماد القدر رحبٌ فناؤه له جفنةٌ يشقى بها النّيب والجزر
له خلقان : الشّيب من غير كبرةٍ تشين ، ولا وانٍ ولا صرع غمر

فقلن لها أنت تريدين سيّداً .

وقالت الثّالثة :

ألا هل تراها مرّةً وخليلها يضمّ كبعل المشرفيّ المهنّد
عليه رواءٌ لليسار ورهطه إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلن لها أنت تريدين ابن عمٍّ لك قد عرفته .

وقلن للصّغرى : ما تقولين أنت؟ فقالت : لا أقول شيئاً . فقلن لها : لن ندعك لأنّك أطّلعت على أسرارنا وكتمت سرّك . فقالت : لا أدري ما أقول ، إلاّ أنّه زوجٌ من عود ، خيرٌ من قعود . قال : فخطبن ، فزوّجهنّ جميعاً .

أبو دلامة يريد جارية

عن الهيثم قال : حجت الخيزران زوجة المهدي فلما صاح بها أبو دلامة ، قالت سلوه ما أمره ، فقالوا له ما أمرك؟ فقال : أدنوني من محملها ، قالت : أدنوه فأدني ، فقال : أيتها السيدة إني شيخ كبير

---

(١) ذو الإصبع العدواني هو حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة بن ثعلبة بن سيار بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان ، أحد الشعراء والحكماء في العصر الجاهلي وسمي ذا الإصبع لأن كان له أصبع زائد في رجله ، وقيل لأن الحية نهشت أصبعه وقطعته ، وأيضا هو من المعمرين إذ تجاوز عمره المئة عام بكثير . وكان لذي الإصبع اربع بنات وكانت إحدى بناته وهي أُميمة شاعرة أيضاً .

وأجرك في عظيم . قالت : فماذا؟ قال : تهبين لي جارية من جواريك تؤنسني وترفق بي وتريحني من عجوز عندي ن قد أكلت رفدي وأطالت كدي وقد عاف جلدي جلدها وتمنيت بُعدها وتشوقت فقدها ، فضحكت الخيزران وقالت : سوف آمر لك بما سألت

فلما رجعت تلقاها وذكرها وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غرض ز ثم دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة .

كتبها إلى الخيزران فيها :

أبلغي سيدتي بالله يا أم عبيدة
وعدتني قبل أن تخرج للحج وليده
فتأنيت وأرسلت بعشرين قصيدة
كلما أخلقن أخلفت لها أخرى جديدة
ليس في بيتي لتمهيد فراشي من قعيدة
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديدة
وجهها أقبح من حوت طري في عصيدة

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت واستعادتها منه لقوله (حوت طري في عصيدة) وجعلت تضحك ودعت بجارية من جواريها فائقة الجمال فقالت لها : خذي كل مالك في قصري ففعلت ثم دعت بأحد الخدم وقالت له : سلمها إلى أبي دلامة . فانطلق بها فلم يصادفه في منزله فقال لامرأته إذا رجع فادفعيها إليه وقولي له : تقول لك السيدة : أحسن صُحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها فقالت له : نعم .

فلما خرج دخل ابنها فوجد أمه تبكي . فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبرني يوما من الدهر فاليوم . فقال : قُولي ما شئت فإني أفعله . قالت تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتنكحها فتحرم عليه وإلا ذهبت بعقله وجفاني وجفاك

ففعل ودخل إلى الجارية ونكحها ووافقها ذلك منه وخرج ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية؟ قالت : في ذلك البيت فدخل إليها شيخ محطم ذاهب فمد يده إليها وذهب ليقبلها . فقالت له : مالك ويلك! تنح وإلا لطمتك لطمة دققت منها أنفك فقال لها : أبهذا أوصتك السيدة فقالت : إنها قد بعثت بي إلى فتى من حاله وهيئته كذا وقد كان عندي ونال مني حاجته . فعلم أنه دهي من أم دلامة وابنها فخرج إليه أبو دلامة فلطمه وخاصمه وحلف ألا يفارقه إلا عند المهدي حتى

وقف على باب المهدي فعرف خبره فأمر بإدخاله فلما دخل قال له : مالك ويلك ؟!
قال : عمل بي هذا ما لم يعمل ولد بأبيه

فأخبره الخبر فضحك فقال له أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه؟ فقال دلامة : قد سمعت حجته يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي : قال : هات . قال هذا الشيخ أصفق الناس وجها ينكح أمي منذ أربعين سنة ما غضبتُ ، ونكحت جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بي ما ترى ! فضحك المهدي أكثر من ضحكه الأول ، ثم قال : دعها له يا أبا دلامة وأنا أعطيك خيرا منها . قال : على أن تخبأها لي بين السماء والأرض ، وإلا فعل كما فعل مع هذه فتقدم إلى دلامة ألا يعاود بمثل فعله وحلف أنه إن عاود قتله ووهب له جارية أخرى

وصية الخنساء[1]

جاء في وصية الخنساء (تماضر بنت عمرو) الشاعرة المشهورة ، لأبنائها الأربعة حين خرجوا إلى معركة القادسية : يا بُني ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما هجَّنت حسبكم ، وما غيَّرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون .

فإذا رأيتم الحرب قد شمَّرت عن ساقها ، وجللت رسيسها (الرسيس : الأصل) نارًا على أرواقها ، فيمموا وطيسها ، تظفروا بالغنم والكرامة ، في دار الخلد والمقامة .

ولما وافتها النعاة بخبرهم ، لم تزد على أن قالت : الحمد الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة .

كان يحسبها راعيةً للعهد

توفّي رجلٌ وبقيت امرأته شابّةً جميلةً ، فما زال بها النّساء حتّى تزوّجت . فلمّا كانت ليلة زفافها رأت في المنام زوجها الأوّل آخذاً بعارضتيّ الباب وقد فتح يديه وهو يقول :

---

(١) الخنساء واسمها تماضر بنت عمرو السلمية ، صحابية وشاعرة مخضرمة من أهل نجد أدركت الجاهلية والإسلام وأسلمت ، واشتهرت برثائها لأخويها صخر ومعاوية الذين قتلا في الجاهلية . لقبت بالخنساء بسبب ارتفاع أرنبتي أنفها .

حيّيت ساكن هـذا البيـت كلّهـم | إلاّ الرّبـاب فإنّـي لا أحييهـا
أمست عروساً وأمسى مسكني جدثٌ | بـين القبـور وإنّـي لا ألاقيهـا
واستبدلت بدلاً غيري ، فقد علمـت | أنّ القبـور تـواري من ثوى فيهـا
قد كنـت أحسبهـا للعهـد راعيـةً | حتّـى تمـوت ومـا جفّت مآقيها

ففزعت من نومها فزعاً شديداً ، وأصبحت فاركاً وآلت أن لا يصل إليها رجلٌ بعده أبداً .

أذات عروسٍ ترى؟!

ولمّا قتل عثمان ، رضي الله عنه ، وقفت يوماً على قبره نائلة بنت الفرافصة الكلبي ، فترحّمت عليه ثمّ انصرفت إلى منزلها ، ثمّ قالت : إنّي رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثّوب ، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبي . فدعت بفهر فهتفت فاها ، وقالت : والله لا يقعد رجلٌ منّي مقعد عثمان أبداً . وخطها معاوية فبعثتً إليه أسنانها ، وقالت : أذات عروسٍ ترى؟ وقالوا : لم يكن في النّساء أحسن منها مضحكاً .

وصايا الزواج

أوصت أعرابية (امرأة عوف بن محلم الشيباني) ابنتها ، فقالت : أي بنية ، إنك فارقت بيتك الذي منه خرجتِ ، وعشك الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أمة ، يكَن لك عبدًا ، واحفظي له عشر خصال ، يكن لك ذخرًا :

الأولى والثانية : فالصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة .

الثالثة والرابعة : فالتعهُّد لموقع عينيه ، والتفقُّد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

الخامسة والسادسة : فالتفقُّد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ؛ فإن حرارة الجوع ملهبه ، وتنغيص النوم مغضبه .

السابعة والثامنة : فالعناية ببيته وحاله ، والرعاية لنفسه وحشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التدبير .

التاسعة والعاشرة : فلا تُفشي له سراً ، ولا تعصي له أمرًا ، فإنك إن أفشيت سرَّه ، لم تأمني غدره ، وإن عصيت أمره ، أوغرت صدره .

ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان حزينًا والاكتئاب عنده إن كان فرحًا ، فإن الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير .

وكوني أشد ما تكونين له إعظامًا ، يكن أشد ما يكون لك إكرامًا ، وأشد ما تكونين موافقة ، يكن أطول ما يكون لك مرافقة ، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين ؛ حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت وكرهت ، والله يخير لك .

سفيرة نساء المسلمين

جاءت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية يومًا رسول الله ، فقالت له : إني رسول من ورائي جماعة من نساء المسلمين كلهن يَقُلْنَ بقولي وعلى مثل رأيي .

إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنَّا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات ، قواعد بيوت ، ومواضع شهوات الرجال ، وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضِّلُوا بالجمعات ، وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد ، حفظنا لهم أموالهم ، وربَّينا أولادهم ، أفَنَشَاركهم في الأجر؟

فالتفتَ رسول الله بوجهه إلى أصحابه ، وقال : ((هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟ فقالوا : بلى والله يا رسول الله ، فقال رسول الله : انصرفي يا أسماء واعلمي مَن ورائك مِن النساء ، أن حسن تبعُّل إحداكنَّ لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتِّباعها لموافقته ، يعدل كل ما ذكرت)) .

طلاق تحت التهديد

يذكر ابن قدامة في المغني أن رجلاً كانت زوجته تطلبه الطلاق فيمتنع ، فذهب مرة معها يجني عسلاً ، وكان العسل على صفحة جبل ، ولا يمكن أن يصل إليه من أسفل ، ولا أن ينزل إليه من أعلى ، فماذا يفعل؟ تدلى إليه بحبل ، وربط الحبل في صخرة ، ثم نزل على الحبل إلى أن وصل إلى موضع العسل ، وبينما هو يجني العسل ، جاءت زوجته من أعلى ، وأخذت الفأس وقالت : طلق وإلا قطعت الحبل ومت ، فأخذ يعتذر إليها ويترجاها قالت : أبداً الآن أن طلقني وإلا قطعت الحبل؟ قال : أنت طالق ثلاثاً ، فجاء إلى عمر رضي الله تعالى عنه وأخبره ، فقال : لم تطلق عليك ، وأدبها .

أنواع النساء

قال الأصمعي : أخبرنا شيخ من بني العنبر قال : كان يقال النساء ثلاث : هنية لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها .وأخرى : وعاء للولد . وأخرى نمل قمل (المرأة السيئة الخلق) يضعه الله في عنق من يشاء ويفكه عمن يشاء .

وقالت العرب : النساء خمس : فمنهن : معمع (المستبدة بما لها عن زوجها) لها شيئها أجمع . ومنهن : تبع تضر ولاتنفع . ومنهن : صدع (الشق) تغرق ولا تجمع . ومنهن : همع (الغيث) إذا وقع ببلد أمرع (صار خصيبا) ومنهن : قرثع (المرأة البليدة) تلبس درعها مقلوبا (الثوب) وتكحل إحدى عينها والأخرى تدع .

مواصفات امرأة

قال رجل لصاحبه : أبغي امرأة : بيضاء البياض ، سوداء السواد ، طويلة الطول ، قصيرة القصر . . يقصد : كل شيء منها أبيض فهو شديد البياض ، والأسود : شديد السواد وكذلك الطول والقصر . . وقال أخر : أبغي امرأة : لا تؤهل دارا (أي لا تجعل دارها آهلة بدخول الناس عليها) . ولا تؤنس جارا (أي يكثر دخولها على الجيران) ولا تنفث نارا (أي لا تغتن وتنم بين الناس) .

مشورة للزواج

قيل :شاور رجل حكيما في الزواج فقال له : افعل وإياك والجمال الفائق ، فإنه مرعى أنيق ، فقال : ما نهيتني إلا عما اطلب ، فقال : أما سمعت قول القائل : ولن تصادف مرعي ممرعا أبدا . . . . . إلا وجدت به آثار منتجع والمعنى : أن المرعى الأنيق لابد تجد من دخله قبلك ، ولابد لذوات الجمال من معجبين توددوا لهن قبل أن تعجب بهن .

خير النساء

وقال أبو الدرداء[1] : خير نسائكم التي تدخل قيسا (لا تعجل في خطوها)

(١) أبو الدرداء الانصاري هو عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي ، صحابي من الأنصار يلقب بحكيم الأمة ، أسلم يوم بدر ، كان تاجرا في المدينة المنورة وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي . ولاه معاوية بن أبي سفيان قضاء دمشق بأمر من عمر بن الخطاب .

وتخرج ميسا (التبختر) وتملأ بيتها أقطا وحيسا (الأقط : الجبن والحيس : الطعام المصنوع من التمر والسمن : وذلك كناية عن حسن تدبيرها الأمور المعيشة .وشر نسائكم : السّلفعة (البذيئة الفاحشة) التي تسمع لأضراسها مقعقعة ولا تزال جارتها مفزعّة (كناية عن كثرة المشاكل مع جيرانها)

ورطة أعرابي

قدم رجل البصرة فتزوج امرأة ، فلما دخل بها وأرخيت الستور وأغلقت الأبواب عليه ، ضجر الأعرابي وطالت ليلته ، حتى إذا أصبح وأراد الخروج منع من ذلك وقيل له ، لا ينبغي لك أن تخرج إلا سبعة أيام فقال :

أقول وقد شدّوا عليها حجابها ... ألا حبذا الارواح والبلد القفر
ألا حبذا سيفي ورجلي ونمرقي ... ولا حبذا منها الوشاحان والشذّر
اتوني بها قبل المحاق بليلة ... فكان محاقا كله ذلك الشهر
وما غرني إلا خضاب بكفها ... وكحل بعينها وأثوابها الصفّر
وتسألني عن نفسها هل أحبها ... فقلت ألا لا والذي أمره الأمر
تفوح رياح المسك والعطر عندها ... وأشهد عند الله ما ينفع العطر

وقال آخر يصف امرأته :

لها جسم برغوث وساقا بعوضة ... ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
وتبرق عيناها إذا مارأيتها ... وتعبس في وجه الضجيع وتكلح
وتفتح -لا كانت - فما لو رايته ... توهمته بابا من النار يفتتح
فما ضحكت في الناس إلا ظننتها ... أمامهم كلبا يهر وينبح
إذا عاين الشيطان صورة وجهها ... تعوذ منها حين يمسي ويصبح
وقد أعجبتها نفسها فتملحت ... بأي جمال ليت شعري تملح

لا يصلح العطار ما أفسد الدهر

كان لأعرابي امرأة عجوز ، وكانت تشتري العطر بالخبز فقال :

عجوز ترجي ان تكون فتية ... وقد غارت العينان واحدودب الظهر
تدس إلى العطار سلعة اهلها ... ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر

تدليس

قال الأصمعي : تزوج رجل امرأة بالمدينة فقالوا له : إنها شابة طرية من أمرها . . . . ومن أمرها . . . يدلسون (يغشون) له عجوزا ، فلما دخل بها نزع نعليه وهم يظنون أنه يضربها ، فقلدها إياهما وقال : لبيك اللهم لبيك ، هذه بدنة .

تأليب في ثياب نصيحة

قالت امرأة لابنتها : اقلعي زجّ رمحه فإن أقر (سكت) فاقلعي سنانه ، فإن أقر فاكسري الفطام بسيفه فإن اقر فاقطعي اللحم على ترسه فإن أقر فضعي الإكاف (البردعة) على ظهره فإنما هو حمار .

الكلب وضوء القمر والعجوز

بات الأعرابي ضيفا عند جماعة ، فرأى امرأة منهم أراد ان يخالف إليها (يأتيها غفلة) في أول الليل فمنعه الكلب ، ثم أراد بذلك نصف الليل فمنعه ضوء القمر ، أراد ذلك في السحر فإذا عجوز قائمة تصلي فقال :

لم يخلق الله شيئا كنت أكرهه ... غير العجوز وغير الكلب والقمر
هذا نبوح وهذا يستضاء به ... وهذه شيخة قوامة السحر

كل ممنوع مرغوب

وكان يقال : ما نهيت امرأة قط عن شيء إلا أتته :

إن النساء كأشجار نبتن معا ... منها المرار وبعض المر مأكول
إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنه واقع لابد مفعول

المعنى في قلب القائل

خرج رجل على سبيل الفرجة ، فقدم على جسر ، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة متوجهة لجانبه الآخر ، فأستقبلها شاب فقال لها : رحم الله علي بن

الجهم[١] . فقالت المرآة في الحال : رحم الله ابا العلاء المعري[٢] وما وقفا وكلا ذهب بطريقة ، مشرقا ومغربا .فقيل للمرأة ماذا تقصدين بما قلتي ؟

قالت : قال لي الشاب رحم الله علي بن الجهم أراد به :

عيـــون المها بـــين الرصافـة والجســـر   جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت انا بترحمي على المعري قوله :

فيـــا دارهــــا بالحـــــزن مزارهـــا   قريـــب ولكـــن دون ذلـك اهوالُ

كتاب في حيل النساء

حكي أن رجلاً حلف ألا يتزوج حتى يكتُب حيل النساء ومكرهُن . فاستعد للسفر . . وأخذ ما يحتاج إليه . . وسار يطلب البلاد حتى يكتب حيل النساء . . فكتب في ذلك مجلدات كثيرة ، وانصرف راجعاً إلى بلده وأهله . فبينما هو سائِر وهو فرحان ببلوغ أُمنيته ، وقضاء حاجته ، فوصل قرية من قُرى العرب ، وفيها أمير كبير من أولاد عيسى بن مهنا . .وكان الرجل بينه وبين الأمير مُصادقه ، فسلم عليه الأمير ، و استخبره عن غيبته فأخبره بما قصده ، وحصل عليه .!

فتعجب الأمير من ذلك ، وحلف عليه أن يبيت عنده ، وقال : إن عندنا الليلة أضياف أُمراء هذه البلاد أعمامي ، وأنت الليلة بائتُ عندي كي تُحدثني عن هذه الكتب التي نسختها .

فنزل الرجل عنده ، ودخل به الأمير على زوجته ، وأمرها بضيافته ، وإكرامه ثُم خرج إلى أضيافه . فقالت له المرأة : ما هذه الكُتب التي معك ؟

---

(١) علي بن الجهم (١٨٨ هـ - ٢٤٩ هـ / ٨٠٣ - ٨٦٣م) هو علي بن الجهم بن بدر بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرار بن بكعب بن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وكنيته أبو الحسن وأصله من خراسان ، المولود في ١٨٨ للهجرة في بغداد ، سليلاً لأسرة عربية متحدرة من قريش أكسبته فصاحة لسان وأحاطت موهبته الشعرية بالرازنة والقوة ، وحمتها من تأثير مدينة بغداد التي كانت تعج بالوافدين من أعاجم البلاد المحيطة بها .

(٢) أبو العلاء المعري هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري ، شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي ، ولد وتوفي في معرة النعمان في الشمال السوري وإليها يُنسب .

فأخبرها وقال : كُتب فيها حيل النساء .

فقالت له : وهل كتبت حيل النساء كلها ؟

فقال لها : نعم . فتبسمت عجباً ، ثُم ضحكت طرباً ، فلما رآها هكذا ، احتوت على جميع قلبه ، فقالت له : أنتُم يا أهل المُدن كملتم في كُل فضل وفضيله بإمكان وإتقان ، إلا أنكم مالكم على السِر كُتمان . فقال لها وقد أخذت بمجامع قلبه : ما معنى كلامك ؟

فقالت له : إني مُبينه إليك بسر ، فلا أسمعهُ من أحداً غيرُك . فقال لها : وما هو؟

فقالت : أعلم أني شابه ، وأن زوجي هذا رجُل شيخ ، فهل لك أن تأتي ليلاً .؟

فقال لها : وقد طار عقله فرحاً وشوقاً : يا أميرة العرب قد شوقت الخواطر ، وأتعبت النواظر ، فلما كان المساء وجاءها في بيتها . قالت له : يا خوان ، هكذا تدخل بيوت العربان ، أتُريد الآن أن أصرخ الساعة صرخة تدخُل عليك العربان ، ويجعلون أكبر قطعه فيك قدر شحمة أُذنيك ؟ . فلما سمع كلامها ، وعاين فعلها ، وجف ريقه ، وأيقن بالموت .

فقال : يا سيدة العرب . . الجيرة أرجوك . فقالت له : لا أجارك الله ، أتزعم أنك كتبت حِيل النساء ومكرهُن؟ والله لو عشت عُمر نوح ، وكان معك مال قارون ، وصبرت صبر أيوب ، ما حصرت عُشر معشار ما للنساء من المكر والدهاء ، ألا يا جاهل تمنى كيف تموت ، فما قدر أن ينطُق ، وتحقق بالموت ، فتضرع إليها وبكى ، وقال : يا سيدتي أنا تائب إلى الله تعالى على يدك ، فأطلقيني واجعليني من بعض عُتقائك ، فقالت له : لابُد من تلف روحك .

ثُم إنها صرخت صرخة ، فأنفتح الباب ، فمات الرجل في جلده ، وأُغمي عليه وعند ذلك قامت أسرع من البرق ورفسته برجلها فوقع على وجهه بإزاء الطعام مغشياً عليه . . فدخل زوجها . وقال لها : ما هذه الصرخة؟ ما حال ضيفي؟ فقالت على الفور أتى بالطعام فأكله .

فغص بلُقمه ، فخفت عليه أن يموت ، فصرخت ثُم رفسته فوقعت اللقمة ، ثُم زالت الغصة وهذه قصتي معه ، ثُم رشت الماء على وجهه ، ففتح عينه ، فاستحى من صاحب المنزل . فأقبلت المرأة على الرجل وهو لا يصدق بالحياة . وقالت له : هل كتبت مثل هذه في كُتبك يا بطال؟ فقال لها : لا والله إني تائب على يديك ، ما

بقيت أكتُب شيئاً عن حيل النساء!! ثُم قام ورمى جميع الكُتب في البحر وذهب إلى حال سبيله!!

المتحدثة بالقرآن

يقول عبد الله المبارك[1] رضى الله عنه خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام . . وزيارة قبر النبي ﷺ . . فبينما أنا في بعض الطريق فإذا بامرأة عجوز عليها درع وخمار من صوف . .

فقلت لها السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قالت سلام قولاً من رب رحيم .

قلت لها يرحمك الله ماذا تصنعين في هذا المكان ؟

قالت ومن يضلل فلا هادى له فعلمت أنها ضالة عن الطريق .

فقلت أين تريدين ؟

قالت سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى فعلمت أنها ذاهبة إلى المسجد الأقصى .

وقلت أنتم منذ كم في هذا المكان ؟ فقالت ثلاث ليال سوياً

فقلت ما أرى معك طعاماً تأكلين قالت هو يطعمني ويسقين .

قلت فبأي شيء تتوضئين ؟

قالت فإن لم تجدوا ماءاً فتيمموا صعيداً طيباً .

قلت إن معي طعاماً . . ألا تأكلين؟

قالت ثم أتموا الصيام إلى الليل .

قلت لها ليس هذا شهر رمضان .

قالت ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم .

قلت أبيح لنا الافطار في السفر .

قالت وأن تصوموا خير لكم .

قلت لماذا لا تكلميني مثلما أكلمك؟

---

(١) عبد الله بن المبارك المروزي (١١٨ هـ-١٨١ هـ) عالم وإمام مجاهد مجتهد في شتى العلوم الدينية والدنيوية .

قالت ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .
قلت فمن أي الناس أنت ؟ .
قالت ولا تقف ما ليس لك به علم .
قلت قد أخطأت فاجعليني في حل .
قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم .
قلت فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة ؟
قالت وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم .
قال فأنخت ناقتي .
فقالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم
فغضضت بصرى .
وقلت اركبي . فكلما ركبت نضرت الناقة فمزقت ثيابها .
فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم
قلت لها اصبري حتى أعقلها .
قالت ففهمناها سليمان .
قلت اركبي وقد عقلت ناقتي .
قالت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين .
قال فأخذت الناقة ممسكاً بزمامها وأخذت أصيح .
فقالت واقصد في مشيك . . واغضض من صوتك .
قال فجعلت أمشي رويدا وأترنم بالشعر .
قالت فاقرأوا ما تيسر من القرآن قلت لقد أوتيت خيراً كثيراً .
قالت وما يذكر إلا أولو الألباب قلت ألك زوجاً؟
قالت يأأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم قلت هذه القافلة . . من لك فيها قالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فيها .
قلت وما شأنهم في الحج ؟
قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون .
فقلت لها وما أسماء أولادك؟
قالت واتخذ الله إبراهيم خليلاً وكلم الله موسى تكليماً ويا يحي خذ الكتاب بقوة

قال فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحي فإذا أنا بشباب كأنهم الأقمار قد أقبلوا . . فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة . . فلينظر أيها أزكى طعاماً

قال فمضى أحدهم واشترى طعاماً فقدموه بين يدى .

فقالت كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية .

قلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها .

فقالوا هذه أمنا . . لها أربعون سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن .

لا تنكحي أغمّ القفا

كان هدبة بن خشرم العذري قتل ابن عمر يقال له زياد بن زيد فطلبه سعيد بن العاص ، وهو يلي المدينة لمعاوية فحبسه ، فقال في السّجن قصيدته التي يقول فيها :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرجٌ قريب

وفي سجنه يقول أيضاً :

ولّما دخلت السّجن يا أمّ مالك ذكرتك والأطراف في حلق سمر

وعند سعيد غير أنّي لم أبح بذكرك إلاّ من يذكّر بالأمر

وسئل عن هذا ، فقال : لّما رأيت ثغر سعيد شبّهت به ثغرها ، وكان سعيد حسن الثّغر . فحبس هدبة سبع سنين ينتظر به احتلام المستورد بن زيادة ، فلمّا احتلم ، أخرج صبح تلك الليلة إلى عامل المدينة فرغّبه في العفو ، وعرض عليه عشر ديّات ، فأبى إلاّ القود . وكان ممّن عرض الدّيّات عليه الحسن بن علي ، عليهما السّلام ، وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم . فلمّا أبى ، بعث هؤلاء وغيرهم من إخوانه بالحنوط والأكفان فدخل عليه رسولهم السّجن فوجدوه يلعب بالنّرد . فجلسوا ولم يقولوا له شيئاً ، فلمّا لحظهم إذا بطرف برد خرج من بعض الأكفان فأمسك ، ثمّ قال : كأنّه قد فرغ من أمرنا؟ فقالوا : أجل . فقام فاغتسل ثمّ رجع إليهم فأخذ من كلّ واحد ثوباً وردّ ما بقي . وأخرج ليقاد منه ، فجعل ينشد الأشعار . فقالت له حيا المدينة : ما رأيت أقسى قلباً منك ، تنشد الأشعار ، وقد دعي بك لتقتل ، وهذه خلفك كأنّها غزالٌ عطشانٌ تولول؟ يعني امرأته . فوقف ، ووقف النّاس معه ، فأقبل على حيا فقال :

وجـــدت بهـــا ما لـــم تجد أمّ واجـد ولا وجـــد حبّـــي بابـن أم كلاب
وإنّـــي طويـــل السّاعديـــن شمرطلٌ على ما اشتهيت من قوّةٍ وشبـاب .
فأغلقت الباب في وجهه . وعرض له عبد الرّحمن بن حسّان فقال : أنشدني!
فقال له : على هذه الحال؟ قال : نعم . فابتدأ ينشده :
ولســـت بمفـــراح إذا الدّهـــر سرّنـــي ولا جـــازع مـــن صرفـــه المتقلّب
ولا أتمنّـى الشّـــرّ ، والشّـــرّ تاركـــي ، ولكـــن متىً ما أحمل الشّرّ أركب
قال : ونظر رجلٌ إلى امرأته فدخلته غيرةٌ ، وقد كان زيادة جدع أنفع بسيفه :
فإن يـــك أنفـــي بـــأن عنّـي جماله فمـــا حسبي في الصّالحين بأجدعا
فلا تنكحي إنّ فـــرّق الدّهـــر بيننـــا أغـــمّ القفـــا والوجـــه ليس بأنزعا

خنت يا فلانة عهدي

وعن أبي حمزة الكناني قال : كنت في حرس خالد بن عبد الله القسري ، فقال خالد : من يحدّثني بحديث عسى يستريح إليه قلبي؟ فقلت : أنا . فقال : هات . فقلت : إنّه بلغني أنّه كان فتىً من بني عذرة ، وكانت له امرأةٌ منهم ، وكان شديد الحبّ لها ، وكانت له مثل ذلك ، فبينا هو ذات يوم ينظر وجهها إذ بكى ، فنظرت إلى وجهه وبكت ، فقالت له : ما الذي أبكاك؟ قال : والله ، أتصدقيني إن صدقتك؟ قالت : نعم . قال لها : ذكرت حسنك وجمالك وشدّة حبّي ، فقلت أموت فتتزوّج غيري . فقالت : والله والله ، أنّ ذاك الذي أبكاك؟ قال : نعم . قالت : وأنا ذكرت حسنك وجمالك وشدّة حبّي لك فقلت أموت فيتزوّج امرأةً غيري . قال الرّجل : فإنّ النّساء حرامٌ عليّ بعدك . فلبثا ما شاء الله .

ثمّ إنّ الرّجل توفّي فجزعت عليه جزعاً شديداً فخاف أهلها على عقلها أن يذهل ، فأجمع رأيهم على أن يزوّجوها ، وهي كارهةٌ ، لعلّها تتسلّى عنه . فلمّا كان في الليلة التي تهدى فيها إلى بيت زوجها ، وقد نام أهل البيت ، والماشطة تهيّء من شعرها ، إذ ناكت نومةً يسيرةً فرأت زوجها الأوّل داخلاً عليها من الباب وهو يقول : خنت يا فلانة عهدي ، والله لا هنيت العيش بعدي فانتبهت مرعوبةً ، وخرجت هاربةً على وجهها ، وطلبها أخلها فلم يقعوا لها على خبر .

ماتا ودفنا معاً

قال إسحق خرجت امرأةٌ من قريش من بني زهرة إلى المدينة تقضي حقّاً لبعض القرشيّين . وكانت ظريفةً جميلةً ، فرآها من بني أميّة رجلٌ فأعجبته ، وتأمّلها فأخذت بقلبه ، وسأل عنها فقيل له : هذه حميدة بنت عمر بن عبد الله بن حمزة . ووصفت له بما زاد فيها كلفه ، فخطبها إلى أهلها فزوّجوه إيّاها على كرهٍ منها ، وأهديت إليه فرأت من كرمه وأدبه وحسن عشرته ما وجدت به ، فلم تقم عنده إلاّ قليلاً حتّى أخرج أهل المدينة بني أميّة إلى الشّام ، فنزل بها أمرٌ ما ابتليت بمثله ، فاشتدّ بكاؤها على زوجها وبكاؤه عليها ، وخيّرت بين أن تجمع معه مفارقة الأهل والولد والأقارب والوطن أو تتخلّف عنه مع ما تجد به ، فلم تجد أخفّ عندها من الخروج معه مختارةً له على الدّنيا وما فيها . فلمّا صارت بالشّام صارت تبكي ليلها ونهارها ولا تتهنّأ طعاماً ولا شراباً شوقاً إلى أهلها ووطنها ، فخرجت يوماً بدمشق مع نسوة تقضي حقّاً لبعض القرشيّين فمرّت بفتىً جالسٍ على باب منزله ، وهو يتمثّل بهذه الأبيات :

لا ليت شعري ، هل تغيّر بعدنا صحون المصلّى ، أم كعهدي القرائن؟
وهل أدور حول البلاط عوامرٌ من الحيّ ، أم هل بالمدينة ساكن؟
إذا لمعت نحو الحجاز سحابةٌ ، دعا الشّوق منّي برقها المتيامن
وما أشخصتنا رغبة عن بلادنا ، ولكنّه ما قدّر الله كائن .

فلمّا سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع ، تنفّست نفساً صدّع فؤادها فوقعت ميتةً . فحملت إلى أهلها وجاء زوجها ، وقد عرف الخبر ، فانكبّ عليها فوقع عنها ميّتاً . فغسّلا جميعاً وكفّنا ودفنا في قبرٍ واحدٍ .

من أحاديث المحبّين

وحكى عصام المرّي ، عن أبيه ، قال : بعثنا رسول الله ، ﷺ ، في سريّةٍ قبل نجد ، وقال : إن سمعتم مؤذّناً ، أو رأيتم مسجداً فلا تقتلنّ أحداً . فبينا نحن نسير إذ لحقنا رجلٌ معه ظعائن يسوقها أمامه ، فأخذناه ، فقلنا له : أسلم . قال : وما الإسلام؟ فعزمنا عليه ، قال : أرأيتم إن لم أسلم ما أنتم صانعون بي؟ قلنا : نقتلك . قال : فهل أنتم تاركي حتّى أوصي من في هذا الهودج بكلمات . قلنا : نعم . فدنا من الهودج وفيه ظعينة فقال : أسلمي جبيش قبل انقطاع العيشٍ . فقالت : أسلم عشراً أو تسعاً وتراً ، أو ثانياً تترا . قال ، ثمّ جاء فمدّ عنقه . قال : شأنكم اصنعوا ما أنتم صانعون .

فضربنا عنقه ولقد رأيت تلك الظّعينة نزلت من هودجها وألقت نفسها عليه فما زالت تقبّله وتبكي حتّى هدأت فحرّكناها فإذا هي ميّتة .

خانته وبموتها وفت له

قال العتبيّ : كان خالد بن عبد الله القسريّ[1] ذات ليلة مع فقهاء من أهل الكوفة فقال بعضهم : حدّثونا حديثاً لبعض العشّاق . قال أحدهم : أصلح الله الأمير ، ذكر هشام بن عبد الملك غدر النّساء وسرعة رجوعهنّ . فقال له بعض جلسائه : أنا أحدّثك ، يا أمير المؤمنين : بلغني عن امرأة من يشكر يقال لها أمّ عقبة بنت عمرو بن الأعران ، وإنّها كانت عند ابن عمٍّ لها يقال له غسّان ، وكان شديد المحبّة لها ، والوجد بها ، وكانت له كذلك . فأقام بها على هذا الحال ما شاء الله ، لا يزيد كلّ واحد منهما بصاحبه إلاّ اعتباطاً .

فلمّا حضرت غسّان الوفاة قال لها : يا أمّ عقبة اسمعي ما أقول ، وأجيبي عن نفسك بحقٍّ . فقالت له : والله لا أجبتك بكذب ، ولا أجعله آخر حظّك معي . فقال : إنّي رجوت أن تحفظي العهد ، وأن تكوني لي إن متّ عند الرّجاء . أنا والله واثقٌ بك ، غير إنّي بسوء الظّنّ أخاف غدر النّساء . ثمّ اعتقل لسانه فلم ينطق حتّى مات . فلم تمكث معه إلاّ قليلاً حتّى خطبت من كلّ مكان ، ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والمال والعفاف والحسب . فقالت مجيبةً له :

سأحفظ غسّاناً ، على بعد داره ، وأرعاه حتّى نلتقي يوم نحشر
وإنّي لفي شغل عن النّاس كلّهم ، فكفّوا ، فما مثلي من النّاس يغدر .
سأبكي عليه ، ما حييت ، بدمعة تحول على الخدّين منّي فتكثر

فيئس النّاس منها حيناً . فلمّا طالت بها الأيّام نسيت عهده ، وقالت : من قد مات فقد فات . وأجابت بعض خطّابها فتزوّجها المقدام بن حابس ، وقد كان بها معجباً . فلمّا كانت الليلة التي أراد بها الدّخول ، أتاها في منامها زوجها الأوّل فقال لها :

(١) خالد بن عبد الله القسري البجلي ، قائد أموي سكن دمشق ايام الأمويين من بطن شق من بنو قسر من قبيلة بجيلة ، ويكنى أبو القاسم وقيل أبو الهيثم ، وقد تباينت أقوال المراجع بشأن سيرته ، فمنهم من ذمه وشتمه ، ومنهم من مدحه وبجله .

غدرت ، ولم ترعي لبعلــك حرمــةً ، ولم تعرفي حقّاً ، ولم ترعي لي عهـدا
غدرت به لمّا ثــوى فــي ضريحــه ، كذلك ينسى كلّ من سكن اللحــدا

فانتبهت مرتاعةً مستحييةً منه كأنّه يراها أو تراه كأنّه في جانب البيت . فأنكر حالها من حضرها ، وقلن لها : ما لك؟ وما بالك؟ قالت : ما ترك لي غسّانٌ في الحياة إرباً ، أتاني السّاعة فأنشدني هذه الأبيات . ثمّ أنشدتها بدمع غزير ، وانتحاب شديد من قلب جريح موجع . فلمّا سمعن ذلك منها أخذن بها في حديثٍ آخر لتنسى ما هي فيه ، فتغفّلتهنّ ثمّ قامت كأنّها تقضي حاجةً فأبطأت عليهنّ . فقمن في طلبها ، فوجدنها قد جعلت السّوط في حلقها وربطته إلى عمود البيت وجبذت نفسها حتّى ماتت . فلمّا بلغ ذلك زوجها المقدام ، حسن عزاؤه عنها ، وقال : هكذا فليكن النّساء في الوفاء ، قلّ من يحفظ ميتاً ، إنّما هي قلائلٌ حتّى ينسى وعنه يتسلّى

لم يلتفت إليهنّ

استعدى آل بثينة مروان بن الحكم على جميل بن معمر ، فهرب حتّى أتى رجلاً شريفاً من بني عذرة في أقصى بلادهم وله بناتٌ سبعٌ كأنّهنّ البدور جمالاً . فقال الشّيخ لبناته : تحلّين بأجود حليّكنّ ، والبسن فاخر ثيابكنّ ، ثمّ تعرضن لجميل . فمن اختار منكنّ زوّجته إيّاها . ففعلن ذلك مراراً وجعلن يعارضنه : فلم يلتفت إليهنّ . وأنشأ يقول :

حلفت لكي تعلمن أنّي صادقٌ ، وللصّدق في خير الأمور وأنجح
لتكليــم يــوم مــن بثينــة واحـد ورؤيتهــا عنــدي ، ألــذّ وأملح ،
من الدّهر أن أخلــو بكــنّ فإنّمــا ، أعالــج قلبــاً طامحاً حيث يطمح

قال أبوهنّ : دعن هذا ، فوالله لا أفلح أبداً .

نساء قريشٍ خير النّساء

كانت أمّ هاني بنت أبي طالب تحت زوجها هبيرة بن أبي ليث المخزومي ، فهرب يوم فتح مكّة إلى اليمن فمات كافراً . فخطب رسول الله ، ﷺ ، أمّ هاني فقالت : والله لقد كنت أحبّك في الجاهليّة فكيف في الإسلام؟ ولكنّني امرأةٌ مصيبةٌ وأكره أن يؤذك . فقال النّبيّ ، ﷺ : «نساء قريشٍ خير نساءٍ ركبن المطايا ، أحناهنّ على ولدٍ صغيرٍ ، وأرغاهنّ ، على زوجٍ ذي يدٍ .»

ماتت في الطّريق

أبو بكر الأنباري ، عن أبي اليسر قال : دخلت منزل نخّاسٍ لشراء جاريةٍ ، فسمعت في بيت بازاء البيت جاريةً تقول :

وكنّا كزوج من قطا في مفازة لدى خفض عيش معجب مونق رغد
أصابهما ريب الزّمان فأفردا ولم أر شيئاً قطّ أوحش من فرد

فقلت للنّخّاس : أعرض عليّ هذه المنشدة . فقال إنّها حزينةٌ . قلت : ولم ذلك؟ قال : اشتريتها من ميراثٍ ، فهي باكيةٌ على مولاها . ثمّ لم ألبث أن أنشدت :

وكنّا كغصني بانةٍ وسط دوحة نشم جنا الجنّات في عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطعٌ فيا فردةٌ باتت تحنّ إلى فرد

قال أبو السّمراء : فكتبت إلى عبد الله بن طاهر بخبرها . فكتب إليّ : أن ألق عليها هذا البيت ، فإن أجازته فاشتراها ولو كانت بخراج خراسان . والبيت :

قريبٌ صدّ ، بعيدٌ وصل ، جعلت منه لي ملاذا

فقالت :

فعاتبوه ، فزاد شوقاً فمات عشقاً ، فكان ماذا؟

قال أبو السّمراء : فاشتريتها بألف دينارٍ وحملتها إليه . فماتت في الطّريق ، فكانت إحدى الحسرات .

تستحييه في الحياة والممات

قال الأصمعي : خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلّب بن أبي صفرة من دمشق متنزّهين ، فمرّا بالجبانة ، وإذا امرأةٌ جالسةٌ على قبر تبكي ، فهبّت الرّيح ، فرفعت البرقع عن وجهها ، فكأنّها غمامةٌ جلت شمساً ، فوقفنا متعجّبين ننظر إليها ، فقال لها ابن المهلّب : يا أمة الله ، هل لك في أمير المؤمنين بعلاً؟ فنظرت إليهما ، ثمّ نظرت إلى القبر ، وقالت :

فإن تسألاني عن هواي ، فإنّه بملحود هذا القبر ، يا فتيان
وإنّي لأستحييه والتّرب بيننا ، كما كنت أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجّبون .

المبكّرة إلى القبر

قال الفرزدق أبقي لرجلٍ من بني نهشل ، يقال له حصن ، غلام . فخرجت في طلبه أريد اليمامة . فلمّا صرت في ماءٍ لبني حنيفة ارتفعت لي سحابةٌ ، فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها ، فعدلت إلى بعض ديارهم وسألت القرا . فأجابوا ، ودخلت الدّار ، وأنخت ناقتي ، وجلست . فإذا جاريةٌ كأنّها طلعة قمر ، فقالت : ممّن الرّجل؟ قلت من بني حنظلة . قالت : من أيّ حنظلة؟ قلت : من بني نهشل . قالت : فأنت من الذين يقول فيهم الفرزدق :

إنّ الذي سمك السّماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزّ وأطول

بيتا زرارةٍ محتبٍ بفنائه ومجاشعٌ وأبو الفوارس نهشل

فقلت : نعم . فتبسّمت ، ثمّ قالت : فإنّ جريراً هدم قوله ، حيث يقول :

أخزي الذي سمك السّماء مجاشعاً وأحلّ بيتك بالحضيض الأسفل

قال : فأعجبني ما رأيت من جمالها وفصاحتها ، ثمّ قالت لي : أين تؤم؟ قلت : اليمامة . فتنفّست نفساً وصل إليّ حرّة ، فقلت : أذات خدر ، أم ذات بعلٍ؟ فبكت . فقلت : ما أجبتني عمّا سألتك . قال فلمّا فهمت قولي ولم تكن أوّلاً فهمته من شدّة استغراقها ، فلمّا كان بعد ساعةٍ أنشأت تقول :

يخيّل لي ، أبا عمروٍ بن كعب ، بأنّك قد حملت على سرير

فإن يك هكذا ، يا عمرو ، إنّي مبكّرةً عليك إلى القبور

ثمّ شهقت شهقةً فماتت . فقلت لهم : من هذه؟ قالوا : عقيلة بنت الضّحّاك بن النّعمان بن المنذر . قلت : فمن عمرو؟ قالوا : ابن عمّها ، خطبها ولم يدخل بها . فارتحلت من عندهم فدخلت اليمامة ، فسألت عن عمرو فإذا به قد دفن في ذلك الوقت من اليوم .

الوفاء في الجاهليّة يختلف عنه في الإسلام

يروى عن سماك بن حرب : أن زيد بن حارثة قال : يا رسول الله ، انطلق بنا إلى فلانة نخطبها عليك أو عليّ إن لم تعجبك : فأتيناها فذكر لها زيد رسول الله ، ﷺ ، فقالت له : يا رسول الله ، إنّي عاهدت زوجي ألاّ أتزوّج بعده أبداً ، وأعطاني مثل ذلك . فقال لها رسول الله ، ﷺ : «إن كان ذلك في الإسلام ففي له ، وإن كان ذلك في الجاهلية فليس بشيءٍ» .

الوفاء والذّكاء

قال الأصمعي خرجت إلى مقابر البصرة ، فإذا أنا بامرأةً على قبرٍ ، من أجمل النّساء ، وهي تندب صاحبه وتقول :

هـل أخبر القبر سائليه　　أم قـرّ عيناً بزائريـه
أم هـلٍ تـراه أحاط علماً　　بالجسـد المستكـين فيـه
يا جبلاً كـان ذا امتنـاع　　وطـوداً عـد لآمليـه
يا نخلـةً طلعهـا نضيـدً　　يقـرب مـن كفّ مجتنيه
يا مـوت مـاذا أردت منّي　　حقّقـت ما كنـت أتّقيـه
دهـرٌ رمانـي بفقـد إلفي　　أذمّ دهـري وأشتكيـه
أمّنـك اللـه كـلّ خوف　　وكـلّ مـا كنـت تتّقيـه
أسكنك الله فـي جنـانٍ　　تكـون أمنـاً لساكنيـه

قال ، فقلت لها : يا أمة الله ، ما هذا منكِ؟ قالت : لو أعلمك مكانك ما أنشدت حرفاً ، هذا زوجي وسروري وأنسي ، والله لا زلت هكذا أبداً أو ألحق به . قلت لها : أعيدي عليّ الشّعر . فقالت : هذا من ذاك . فقلت خذي إليك . وأنشدتها الأبيات ، فقالت فإن يكن في الدّنيا الأصمعي فأنت هو .

ما جاء في غدر النّساء

رأي عمر في النّساء

قال عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه : استعيذوا بالله من شرار النّساء وكونوا من خيارهنّ على حذرٍ .

رأي الملك عمرو في النّساء

قال عمرو الملك :

إنّ من غـرّه النّسـاء بـودٍّ　　بعـد هنـد لجاهـلٌ مغرور
حلـوة العين واللسان وفيها　　كلّ شيءٍ يجن فيه الضّمير

رأي طفيل الغنوي في النّساء

وقال طفيل الغنوي :

إنّ النّســـاء لأشجـــارٌ تبـــين لنـــــا منهـــنّ مـــرٌّ ، وبعــض المرّ مأكول
إنّ النســـاء متـــى ينهـــين عن خلقٍ فإنّـــه واقـــعٌ لا بـــدّ مفعــــــول

إنّ تقويم الضّلوع انكسارها

وفي حـديث المرفـوع أنّ المرأة خلقت من ضلعٍ عـوجـاء ، فـإن ذهبت تقـوّمـهـا كسرتها ، فاستمع بها على عوج فيها .

وكان أبو ذرّ الغفّاري يقعد على منبر رسول الله ، ﷺ فينشده :

هي الضّلـع العوجـاء لست تقيمها ألا إنّ تقـويم الضّلـوع انكسارها .
أيجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتـى أليـس عجيباً ضعفها واقتدارها؟

في خلافهنّ البركة

وفي الحديث شاوروهنّ وخالفوهنّ ، فإنّ في خلافهنّ البركة .

علقمة طبٌّ بأدواء النّساء

قال علقمة بن عبدة :

فـإن تسألونـي بالنّســاء فإنّنـي بصيـرٌ بـأدواء النّســاء طبيـب
إذا شـاب رأس المـرء أو قـلّ ماله فليـس لـه في ودّهنّ نصيـب

تلين لك ولغيرك

وقال آخر :

تمتّـع بهـا ، مـا ساعفتك ، ولا تكن جزوعـاً إذا بانـت ، فسوف تبين .
وإن هـي أعطتـك الليـان فإنّهـا ، لغيـرك مـن طلّابهـا ستلـين ؛
وخنهـا وإن كانـت تفي لـك ، إنّها علـى قـدم الأيّـام سوف تخون
وإن حلفت أن ليس تنقض عهدهـا ، فليـس لمخضـوب البنـان يمـين

تحجّ وتكشف عن وجهها للشّباب

وقال أبو عبيدة : حجّت امرأة عجير السّلولي معه ، فأقبلت لا تطرق على شابٍّ في الرّفقة إلاّ وتكشف وجهها ، فقال في ذلك :

أيــا ربّ لا تغفــر لعتمــة ذنبهــا ، وإن لــم يعاقبهــا العجير ، فعاقب
حــرامٌ عليــك الحــجّ لا تطعمينــه إذا كــان حــجّ المسلمات الثّوائب

للفارس العجلان منها نصيب

وقال أعرابيٌّ :
لا تكثــري قــولاً منحتــك ودّنــا ، فقولــك هــذا للفــؤاد مريــب ،
تعديــن ما أوليتنــي منــك قابـلاً ، وللفــارس العجلان منك نصيب؟

لم تكن عنده شريفة

أراد رجلٌ أن يشتري قينةً وقد كان أحبّها ، فبات عند مولاها ليلةً فأمكنته من نفسها وكان الامتناع منه ، فأنشأ يقول :
مــا رأينــا بواســط كسليمــى منظــراً لــو تزينــه بعفــاف
بــت فــي جنبهــا وبات ضجيعي جنــب القلــب طــاهر الأطراف
فأقيمــي مقامنــا ثــمّ بينــي ، لســت عندي من فتية الأشراف

لا يشتهي الفاجرة

وقال آخر :
لا أشتهــي رنــق الحيــاة ولا التــي تخــاف وتغشاهــا المعبدة الحرب
ولكنّنــي أهــوى مشــارب أحـرزت عن النّاس حتّى ليس في صفوها عيب

الإصبع لا تستر زانية

وقال أعرابيٌّ أيضاً
تبعتــك لمــا كــان قلبــك واحداً ، وأمسكــت لمّا صرت نهباً مقسما .
ولــن يلبــث الحــوض الوثيق بناؤه علــى كثــرة الــورّاد أن يتهدّمــا

الباغية دون اكتفاء

وقال أبو نواس :
ومظهــرةٍ لخلــق اللــه حبّاً ، وتلقــي يالتّحيّــة والسّــلام

أتيــت فؤادهـــا أشكـــو إليـــــه ، فلـــم أخلـــص إليـــه من الزّحـام
فيـــا مـــن ليـــس يكفيهـــا خليل ، ولا ألفـــا خليـــلٍ كـــلّ عـــام ،
أراك بقيّـــةً مـــن قـــوم موســـــى ، فهـــم لا يصبـــرونَ علـــى طعام .

إذا غاب بعلٌ جاء بعل

وكـان رجلٌ يحبّ امرأةً فخطب في اليوم الذي ماتت فيه ، فقيل له في ذلك فقال :

خطبـــت كمـــا لو كنت قدّمت قبلها لكانـــت بلا شـــك لأوّل خاطب
إذا غاب بعـــلٌ كـــان بعـــلٌ مكانـــه فـــلا بـــدّ مـــن آتٍ وآخر ذاهـب

الملك زائلٌ وكما تدين تدان

وحكى ابن الأعرابي قال : كان الحارث بن أبي شمر الغسّاني إذا أعجبته امرأة ووصفت له ، بعث إليها واغتصبها نفسها ، فأتاه أبوها فقال له :

يا أيّهـــا الملـــك المخـــوف أمـــا تـرى ليـــلاً وصبحـــاً كيـــف يختلفـان
هل تستطيـــع الشّمـــس أن تأتي بها ليـــلاً وهـــل لـــك بالمليـك يدان
فاعلـــم وأيقـــن أنّ ملكـــك زائـــلٌ واعلـــم بأنّـــك مـــا تديـــن تدان

التّلفيق عند الزّبير بن بكار

قال الزّبير بن بكار : خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من عمّه الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال له : يا ابن أخي ، قد انتظرت هذا منك انطلق معي ، فخرج معه حتّى أدخله منزله ثمّ أخرج إليه ابنته فاطمة وسكينة ، وقال له : اختر أيّهما شئت! فاختار فاطمة ، فزوّجه إيّاها . فلمّا حضرت الحسن الوفاة قال لها : إنّك امرأة مرغوب فيك ، متشوّف إليك لا تتركين ، وإنّي ما أدع في قلبي حسرةً سواك . فتزوّجي من شئت سوى عبد الله بن عمر بن عثمان . ثمّ قال لها : كأنّي قد خرجت وقدمت جاءك لابساً حلّته ، مرجلاً جمته ، يسير في جانب النّاس معترضاً لك ، ولست أدع من الدّنيا همّاً غيرك . فلم يدعها حتّى استوثق منها بالإيمان .

ومات الحسن ، فأخرجت جنازته ، فوافاه عبد الله بن عمر وكان يجد بفاطمة وجداً شديداً ، وكان رجلاً جميلاً كان يقال له المطرف من حسنه ، فنظر إلى فاطمة

وهي تلطم وجهها على الحسن ، فأرسل إليها مع وليدة له : أنّ لابن عمّك أرباً في وجهك فارفقي به . فاسترخت يدها واحمرّ وجهها حتّى عرف ذلك جميع من حضرها . فلمّا انقضت عدّتها خطبها فقالت : كيف أفعل بإيماني؟ قال لها : لك بكلّ مال مالان ؛ وبكلّ مملوكٍ مملوكان . فوفّى لها وتزوجها فولدت له محمّداً . وكان يسمّى من حسنه الدّيباج والقاسم ورقيّة .

وقال الزّبير : لمّا حضرت الوفاة حمزة بن عبد الله بن الزّبير خرجت عليه فاطمة بنت القاسم بن علي بن جعفر بن أبي طالب فقال لها : كأنّي؟؟؟؟؟ بك تزوّجت طلحة بن عمر بن عبد الله بن معمر ، فحلفت له بعتق رقيقها ، وإنّ كلّ شيء لها في سبيل الله أن تزوّجته أبداً . فلمّا توفّي حمزة بن عبد الله وحلّت ، أرسل إليها طلحة بن عمر فخطبها فقالت له : قد حلفت . وذكرت يمينها ، فقال لها : أعطيك بكلّ شيءٍ شيئين . وكانت قيمة رقيقها وما حلفت عليه عشرين ألف دينار ، فأصدقها ضعفها فتزوّجته ، فولدت له إبراهيم ورملة . فزوّج طلحة ابنته رملة من إسماعيل بن علي بن العبّاس بمائة ألف دينار وكانت فائقة الجمال والخلق ، فقال إسماعيل لطلحة بن عمر : أنت أتجر النّاس . قال له والله ما عالجت تجارةً قط . قال : بلى حين تزوّجت فاطمة بنت القاسم بأربعين ألفاً فولدت لك إبراهيم ورملة ، فزوّجت رملة بمائة ألف دينار فربحت ستّين ألفاً وإبراهيم .

تزوّجته قبل انقضاء عدّتها

وعن هشام بن الكلبي قال : قال عبد الله بن عكرمة : دخلت على عبد الرّحمن بن هشام أعوده فقلت : كيف تجد؟ فقال : أجد بي والله الموت ، وما موتي بأشد عليّ من أمّ هشام ، أخاف أن تتزوّج بعدي . فحلفت له أنّها لا تتزوّج بعده فغشي وجهه نوراً ، وقال : الآن فلينزل الموت متى شاء . فلمّا انقضت عدّتها تزوّجت عمر بن عبد العزيز . فقلت في ذلك؟ .

فإن لقيت خيراً فلا يهنيها ... وإن تعست بؤساً فللعين والفم

فلمّا بلغها ذلك كتبت إليّ : قد بلغني ما تمثّلت به ، وما مثلي في أخيك إلاّ كما قال الشّاعر :

وهل كنت إلاّ والهاً ذات ترحةٍ ... قضت نحبها بعد الحنين المرجّع

فدع ذكر من قد وارت الأرض شخصه ففي غير من قد وارت الأرض مقنع

قال : فبلغ منّي كلّ مبلغ . فحسبت حسابها فإذا هي قد عجّلت بالتزوّج وبقي عليها من عدّتها أربعة أيّام . فدخلت على عمر فأخبرته فانقضى النّكاح .

هل يزول الهوى بعد الموت

قال الزّبير بن بكار : كانت امرأة من العرب تزوّجت رجلاً ، فكانت تجد به ، ويجد بها وجداً شديداً ، فتحالفا وتعاهدا ألا يتزوّج الباقي منهما . فما لبث أن مات بعلها ، فتزوّجت ، فلامها أهلها على نقض عهدها ، فقالت :

لقد كان حبّي ذاك حبّاً مبرّحاً وحبّي لذا مات ذاك شديد .
وكانت حياتي عند ذلك جنّةٌ وحبّي لذا طول الحياة يزيد
فلمّا مضى ، عادت لهذا مودّتي ، كذاك الهوى بعد الممات يبيد

لم ترع لبعلها حرمةً

حكى الهيثم بن عدي قال : عاهد رجلٌ امرأته وعاهدته ألا يتزوّج الباقي منهما ، فهلك الرّجل ، فلم تلبث المرأة أن تزوّجت . فلمّا كان ليلة البناء بها رأت في أوّل الليل شخصاً فتأمّلته ، فإذا هو زوجها ، وهو يقول لها : نقضت العهد ولم ترعي له . وأصبحت فأتّمت نكاحها .

تركها وأوصى بها فخانته

وروى ابن شهاب : أنّ رجلاً من الأنصار غزا فأوصى ابن عمٍّ له بأهله ، فأتى ابن عمّ الرّجل ليلة من الليالي فتطلّع على حال زوجة ابن عمّه فإذا بالبيت مصباحٌ يزهر ورائحةٌ طيّبةٌ ، وإذا برجل متكئ على فراش ابن عمّه وهو يتغنّى ويقول :

وأشعث غرّة الإسلام منّي خلوت بعرسه بدر التّمام
أبيت على ترائبها ويغدو على جرداء لاحقة الحزام
كأنّ مجامع الرّبلات منها فئام ينتمين إلى فئام

فلم يقدّر الرّجل أن يملك نفسه حتّى دخل عليه فضربه حتّى قتله . ورفع الخبر إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فصعد المنبر وخطب وقال : عزمت عليكم أن كان الرّجل الذي قتل حاضراً ويسمع كلامي فليقم . فقال : أبعده الله ، ما كان من

خبره؟ فأخبره وأنشده الأبيات ، فقال : أضربت عنقه؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : أبعده الله ، فقد هدر دمه .

لم ترع عهداً ولم يرع قرابةً

قال أبو عمرو الشّيباني : كان أبو ذؤيب الهذلي يهوى امرأةً يقال لها أم عمرو ، وكان يبعث إليها خالد ابن أخيه زهير ، فراودت الغلام عن نفسه ، فامتنع وقال : أكره أن يبلغ أبا ذؤيب . فقالت له : ما يراني وإيّاك إلاّ الكواكب . فبات وقال :

ما ثمّ إلاّ أنا والكواكب وأمّ عمرو فلنعم الصّاحب

فلمّا رجع إلى أبي ذؤيب استراب به ، وقال : والله إنّي لأجد ريح أمّ عمرو منك . ثمّ جعل لا يأتيه إلاّ استراب به ، فقال خالد :

يا قوم ما لي وبي ذؤيب ، كنت إذا ما جئته من غيب ،
يمسّ عطفي ، ويشمّ ثوبي ، كأنّني أربته بريب .

فقال أبو ذؤيب ، وهي من قصيدة من جيّد شعره :

دعا خالداً أسرى ليالي نفسه يولي على قصد السّبيل أمورها
فلمّا توفّاها الشّباب وغدره ، وفي النّفس منه غدرها وفجورها
لوى رأسه عنّي ، ومال بودّه ، أغانيج خود كان حيناً يزورها
تعلّقها منه دلال ومقلة يظلّ لأصحاب السّفاه يثيرها

فأجابه خالد :

فلا يبعدنّ الله عقلك إن غزا وسافر والأحلام جمٌّ غيورها
وكنت إماماً للعشيرة تنتهي إليك إذا ضاقت بأمر صدورها
وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألذّ من الشّكوى إذا ما يسورها
فلم يغن عنه خدعه حين أزمعت صريمته والنّفس مرّ ضميرها

قال : وكان أبو ذؤيب أخذها من ملك بن عويمر وكان ملك يرسله إليها ، فلمّا كبر أخذت أبا ذؤيب ، فلمّا كبر أخذت خالداً . وقال :

تريدين كيما تجمعيني وخالداً وهل يصلح السّيفان ، ويحك ، في غمد؟
أخالدُ ، ما راعيت منّي قرابةً فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي .

عن قريبٍ تبيع كفلها

قال أبو عبيدة : كان صخر بن عبد الله الشّريد يتعشّق ابنة عمّه سلمى بنت كعب ، وكان يخطبها فتأبى عليه ، فأقام على ذلك حيناً ثمّ أغارت بنو أسد على بني سليم فغلبوهم وصخر غائب . وأخذت سلمى فيمن أخذ من النّساء ، وقُتل عددٌ منهمً ، وأسر آخرون . وأقبل صخر فنظر إلى ديارهم بلقعاً وأخبر الخبر ، فشدّ عليه سلاحه ، واستوى على فرسه ، وأخذ أثرهم حتّى لحقهم ، فلمّا نظروا إليه قالوا : هذا كان شرّد من بني سليم ، وقد أحبّ الله أن لا يدع منهم أحداً . فجعل يبرز إليه الفارس بعد الفارس فيقتله ، فلمّا أكثر فيهم القتل ، حلّت أسارى بني سليم بعضها بعضاً ، وثاروا على بني أسد .

ونظر صخر إلى سلمى وهي مع عبد أسود ، قد شدّها على ظهره ، فطعنه صخرٌ فقتله واستنقذ سلمى ورجع بها . وقد أصابته طعنة أبي ثور الأسدي في جنبه ، وتزوّج سلمى . وكان يحبّها ويكرمها ، ويفضّلها على أهله . ثمّ بعد ذلك انتقض جرحه فمرض حولاً ، وكان نساء الحيّ يدخلن إلى سلمى عوائد فيقلن : كيف أصبح صخر؟ فتقول : لا حيّ فيرجى ولا ميت فينسى . ومرّ بها رجلٌ وهي قائمةٌ وكانت ذات خلق وأرداف ، فقال : أيباع هذا الكفل؟ فقالت : عن قريب فسمعها صخر ، ولم تعلم ، فقال لها : ناوليني السّيف أنظر هل صدئ أم لا؟ وأرادً قتلها ، فناولته ولم تعلم ، فإذا هو لا يقدر على حمله فقال :

أرى أمّ صخر ما تملّ عيادتي ... وملّت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازةً ... عليك ومن يغترّ بالحدثان
فأيّ أمرئ ساوى بأم حليلةً ... فلا عاش إلاّ في شقا وهوان
أهمّ بأمر الحرم لو أستطيعه ، ... وقد حيل بين العير والنّزوان
لعمري لقد أيقظت من كان نائماً ... وأسمعت من كانت له أذنان
فللموت ، خيرٌ من حياة كأنّها ... محلة يعسوب برأس سنان .

قال : ونتأت في موضع الجرح قطعةً فأشاروا عليه بقطعها ، فقال لهم : شأنكم . فلمّا قطعت مات .

غدرت حتّى بأبيها

قال كان السّاطرون والملك ، ملك اليونانيين ، قد بنى حصناً يسمّى الثّرثار ولم

يكن له بابٌ ظاهرٌ فكلّ من غـزاه من الملوك رجع عنه خـائبـاً حـتّى غـزاه سـابور ذو الأكتاف ، ملك فارس ، فحصره أشهراً لا يقدر على شيء . فأشرفت يوماً من الحصن النّضيرة ابنة الملك ، فنظرت إلى سابور فهويته ، وكان من أجمل النّاس وأمدّهم قامةً ، فأرسلت إليه : إن أنت ضمنت لي أن تتزوّجني وتفضّلني على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن . فضمن لها ذلك فأرسلت إليه : أن أنثر في الثّرثار تبناً واجعل الرّجال يتبعونه حتّى يروا حيث يدخل . فإنّ ذلك المكان يفضي إلى الحصن ، وفيه بابه . ففعل ذلك سابور ، وعمدت النّضيرة إلى أبيها فسقته الخمر حتّى أسكرته ، فلم يشعر أهل الحصن إلاّ وسابور معهم وهم آمنون .

قـال : فلمّـا فـر سـابور بالحصن ، وقـتل الملك أبا نضـيـرة ، وجـمع جنده ، تزوّج بالنّضيرة فباتت معه مسهرةً لا تنام تتقلّب من جنب إلى جنب . فقال لها سابور : ما لك لا تنامين؟ فقـالت : إنّ جنبي تجافى عن فراشكٍ . قـال : ولم ، فوالله مـا نامت الملوك على ألين منه ولا أوطأ ، وإنّ فرشـه لزغب اليـمـام . فلمّـا أصبح سـابور نظر إلى ورقة آس بين أعكانها ، فتناولها ، فدمي موضعها . فقال لها : ويحك بماذا كان أبوك يغذّيك؟ قالت : بالمخّ والزّبد والبلح والشّهد وصفو الخمر . فقال لها سابور : إنّي لجديرٌ ألا أسـتبـقـيك بعـد إهلاك أباك وقـومك ، وكـانت حـالك عندهم هذه الحـالـة التـذ تصفين ، وأمر بإحضار فرسين فربطت إلى أرجلهما بغدائرها ونفّرا فقطعاها نصفين ، فذلك قول عدي حيث يقول :

والحصـن صبّت عليه داهيةٌ	مـــن قعره أيد مناكبهــــا
من يعــد ما كان وهو يعمره	أرباب ملـــك جزل مواهبها

وصلت الخيانة حتّى إلى أمّ البنين؟

ويروى أنّ وضّـاح اليـمـن نشـأ هو وأمّ البنين بنت عـبـد العـزيز بن مـروان بالمدينة صغيرين فأحبّها وأحبّته ، وكان لا يصبر عنها حتّى إذا شبّت حجبت عنه ، فطال بهما البلاء . فحجّ الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أمّ البنين وأدبها فتزوّجها ونقلها معه إلى الشّام فذهب عقل وضّاح عليها وجعل يذوب وينحل فلمّا طال عليه البلاء وصار إلى الوسواس خرج إلى مكّة حاجاً وقال لعلّي أستعيذ بالله ممّا أنا فيه وأدعو الله فلعلّه يرحمني .

فلمّا قضى حجّه شخص إلى الشّام فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك في

كلّ يوم لا يجد حيلةً حتّى أرى في يوم من الأيّام جاريةً صفراء خارجةً من القصر تمشي فمَشى معها ولم يزل بها حتّى أنسَت به فقال لها : أتعرفين أمّ البنين بموضعي؟ فقالت : عن مولاتي تسأل؟ قال لها : هي ابنة عمّي ، وإنّها لتسرّ بموضعي لو أخبرتها ، قالت : فأنا أخبرها .

فمضت الجّارية فأخبرت أمّ البنين فقالت لها : ويلك أحيٌّ هو؟ قالت لها : نعم يا مولاتي . قالت لها : إرجعي إليه ، وقولي له كن مكانك حتّى يأتيك رسولي ، فإنّي لا أدع الاحتيال لك : واحتالت له فأدخلته في صندوق ، فمكث عندها حيناً فإذا أمنت أخرجته فقعد معها ، وإذا خافت عين رقيب أدخلته في الصّندوق .

وأهدي يوماً لوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا العقد وأمض به إلى أمّ البنين وقل لها : أهدي هذا إلى أمير المؤمنين فوجّه به إليك . فدخل الخادم مفاجأةً ووضّاح معها قاعد فلمحه الخادم ، ولم تشعر أمّ البنين ، فبادر إلى الصّندوق فدخله .

وأدّى الخادم الرّسالة وقال : هبي لي من هذا الجوهر حجراً واحداً . فقالت له : لا أمّ لك ، فما تصنع بهذا . فخرج وهو عليها حنق ، فجاء الوليد فأخبره الخبر ووصف له الصّندوق الذي رآه دخله ، فقال له : كذبت ، لا أمّ لك : ثمّ نهض الوليد مسرعاً فدخل إليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق كثيرة فجاء حتّى جلس على ذلك الصّندوق الذي وصف له الخادم فقال لها : يا أمّ البنين هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه؟ قالت : أنا لك يا أمير المؤمنين ، وهي لك ، فخذ أيّها شئت . قال : ما أريد إلاّ هذا الذي تحتي . قالت له يا أمير المؤمنين إنّ فيه شيئاً من أمور النّساء . فقال : ما أريد غيره . قالت فهو لك .

قال فأمر به فحمل ، ودعا بغلامين وأمرهما أن يحفرا حتّى وصلا إلى الماء ثمّ وضع فمه في الصّندوق وقال يا صاحب الصّندوق قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقّاً فقد دفنّا خبرك ، وإن كان كذباً فما أهون علينا ، إنّما دفنّا صندوقاً . وأمر بالصّندوق فألقي في الحفيرة ، وأمر بالخدّام الذي عرفه فقذف معه ، وردّ التّراب عليهما . قال فكانت أمّ البنين لا ترى إلاّ في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت ذات يومٍ مكبوبةً على وجهها ميّتة .

فاجرة السّرداب

قال دعبل بن علي : بينا أنا سائرٌ بباب الكرج وقد استولى الفكر على قلبي

فحضرني بيت شعرٍ خطر به لساني من غي النّطق به ، فقلت :

دمــوع عينـــي لها انبساط ونــوم جفنـــي له انقباض

وإذا جاريةٌ معترضةٌ تسمع كلامي فقالت :

وذا قليــل لمـــــن دهتـــه بلحظهـــا الأعـــين المراض

فلم أعلم أنّي خاطبتُ جاريةً أعذب منها لفظاً ، ولا أسحر طرفاً ، ولا أنضر خدّاً ، ولا أحسن مشياً ، ولا أرجح عقلاً . فوددت أنّ كلّ جارحةٍ منّي عينٌ تنظر ، أو قلبٌ يفهم ، أو أذنٌ تسمع . فقلت :

أترى الزّمـــان يسرّنـا بتلاق ويضـــمّ مشتاقاً إلى مشتاق

مـــا للزّمـان يقال فيه وإنّما أنت الزّمـان فسرّنا بتـــلاق

قال : فلحظتها ، وتبعتني . وذلك حين أملاقي ، واختلال حالي . فقلت : مالي إلاّ منزل صريع الغواني ، فأتيته ، واستوقفتها ، ودخلت إليه . وقلت : ويلك يا مسلم ، أجمل لك الحبروجة على الباب تقلّ له الدّنيا وما فيها من عسرٍ وضيقة . قال لي : شكوت إلى مـا كـدت أبداؤك به الشّكوى ، ولكن أئت بهـا علىً كلّ حـًال . فلمّـا دخلت قال لي : والله ما أملك إلاّ هذا المنديل . فقلت له : هو البغية . قال ، فأخذته فبعته بثلاثين درهماً ، واشتريت خبزاً ولحماً ونبيذاً . وإذا هما يتنازعان حديثاً كأنّه قطع الرّوض ذكرت به قول بشّار فقلت :

وحديـــث كأنّـــه قطع الرّو ض وفيه الصّفراء والحمـراء

فقال لي مسلم : بيتٌ نظيفٌ ، ووجهٌ ظريفٌ ، ولا نفل ولا ريحان؟ أخرج فالتمس لنا ذلك . قال ، فخرجت وجئت بما طلب ،فإذا لا حسّ منهما ولا أثر لهما ، فجعلت أطيل الذّكـر ، وأرجم الظّنّ ، حتّى إذا جنّ الليل وفي قلبي لهيب النّيـران ، ثاب عليّ عقلي وقلت : لعلّ الطّلب يوقعني على موضع خفيٍّ . فوقفت على باب سرداب وإذا همـا قد نزلا ومعهـمـا جميع ما يحتاجان إليّه فأكـلا وشربا ونعـما . فدلّيت رأًسي وصحت مسام ثلاث مرّاتٍ ، فلم يكلّمني بأكثر من أن قال لي : محلّنا ، والنّفقة من عندنا ، وأنت فضولي ، ما هًذا الذي تقترح؟ اصبر مكانك حتّى يؤذن لك ، فبقيت طول ليلتي أتقلّى على جمر الغضا لا أعرف أين أنا . فلمّا انشقّ الصّبح إذا به طلع وطلعت الجّارية في أثره ، فأسرعت إليه وخرجت تعدو ولم تخاطبني ، فكانت أعظم حسرةٍ نزلت بي .

كمثل الشّيطان إذ قال للإنسان أكفر

وعن عدي بن ثابت قال : سمعت عبد الله بن عبّاس يقول : كان في بني إسرائيل راهبٌ عبد الله زماناً من الدّهر ، حتّى كان يؤتى بالمجانين يعوّذهم فيبرؤون على يديه . وأنه أتي بامرأة من أشراف قومها قد جنّت وكان لها أخوة ، فأتوه بها ، فلم يزل الشّيطان يزيّن له حتّى وقع عليها ، فحملت ، فلمّا استبان حملها ، لم يزل الشّيطان يخوّفه ويزيّن له قتلها ودفنها ، فقتلها ودفنها .

وذهب الشّيطان في صورة رجلٍ حتّى أتى بعض أخوتها فأخبره بالذي فعل الرّاهب ، ثمّ أتى بقيّة أخوتها رجلاً رجلاً فجعل الرّجل يلقى أخاه فيقول له : والله لقد أتاني آتٍ فذكر لي شيئاً كبيراً علينا . فأخبر بعضهم بعضاً بما قيل لهم ، فأتوا إلى الرّاهب فقالوا : ما فعلت أختنا؟ قال : خرجت ، ولست أدري أين ذهبت . فرفعوا ذلك إلى ملكهم ، فسار إليه النّاس حتّى استنزلوه من صومعته ، فأقرّ لهم بالذي فعل ، فأمر به فصلب على خشبة ، وتمثّل له الشّيطان فقال له : أنا الذي زيّنت لك هذا وألقيتك فيه ، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك وأخلصك؟ قال : نعم . قال : تسجد لي سجدةً واحدةً فسجد له الرّجل ، ثمّ قتل . فهذا داخلٌ تحت قول الله عزّ وجل : ﴿كمثل الشّيطان إذ قال للإنسان أكفر فلمّا كفر قال إنّي بريءٌ منك إنّي أخاف الله ربّ العالمين﴾ .

ألحقوا النّساء بأكفائهنّ

قالوا : كان رجلٌ من تجّار أهل المدينة من ذوي النّعمة ، في ليلةٍ من شهر رمضان ، في المسجد يصلّي إذ عرض له في منزله بعض الأمر . فانصرف من التّراويح فأصاب بابه مفتوحاً ، وإذا رجلٌ مع ابنته في محلّها يحدّثها . فأخذ بيده وذهب به إلى منزل ابن أبي عتيق . فدقّ عليه ، فأشرف عليه ، فقال : أردت أن أكلّمك ، جعلت فداك . قال ، فانحدر إليه فقال له : إنّ هذا الفتى وجدته في منزلي على حال كذا . فسألته فزعم أنّه ابنك . فأقبل ابن عتيقٍ فأخذ بيد التّاجر فشكره وجزاه خيراً ، وقال : لن يعود إلى شيءٍ تكرهه أبداً إن شاء الله . فأخذ الفتى ولكزه وشتمه . فلمّا ولّى الرّجل قال للفتى : من أنت ويلك؟ قال : أنا ابن فلان التّاجر وابتليت بابنة هذا التّاجر فدخلت عليها هذه الليلة أتحدّث عندها . فما راعني إلاّ أنّه واقفٌ على رأسي . فلم أجد ملجأً إلاّ أن اعتزيت إليك ، لما علمت من قدرك وشرفك وكرمك . قال : أخبرني عن الجارية ، أتحبّك؟ قال :

نعم . قال : فهل يمكنك أن تأتي بها إلى منزلي هذا؟ قال : نعم . قال : فعدها وأت بها . وأمر غلاماً له ، وقال : إذا جاءت المرأة التي يأتيك بها هذا الفتى فأدخلها ، واجلس أنت مع الفتى ، وأرسل إليّ من يعلمني . ففعل الفتى ، وأتى بالجّارية إلى المكان . وأرسل إلى ابن أبي عتيق فعرّفه . فأرسل إلى أبي الجّارية : إنّك اصطنعت إلى فتانا يداً ، وقد أحببنا أن نصنع إليكَ مثل ذلك في فتاتكم .

فأدخله عليها ، فلمّا رآها استرجع ، فقال له ابن أبي عتيق : ما هذا؟ أهون عليك هذا الأمر وأقبل وصيّة رسول الله ، ﷺ ، حين قال : «ألحقوا النّساء بأكفائهنّ» . إنّ هذا الفتى ليس والله بولدي ، ولكن هو قد انتسب إليّ لما أدرك من النّجاة منك ، وهو فلان ابن فلان التّاجر ، وهو من نظرائها وأكفائها . فهل لك أن تزوّجه إيّاها وأصدقها عنه من مالي مائة دينار . قال : نعم .

ولم يبرحوا حتّى زوّجها منه وأصدقها وأخرج المهر من عنده ، وسأله التّعجيل بزفافها إليه .

أحييت نفسه بقتل نفسك

وحكي عن ابن أبي ورقاء الجبلي قال : خرجت من الكوفة أريد بغداد . فلمّا صرت بأوّل مرحلة نزل غلماننا ففرشوا بسطهم ، وهيّأوا عداءهم ، ونزلت . ولم يجئ أحدٌ بعد . فرمانا الطّريق برجلٍ حسن الهيئة ، فاره البرذون فصمت بالغلمان . فأخذوا دابّته . ودعوت بالغداء فبسطَ يده غير محتشم . وجعلت لا أكرمه بشيءٍ إلاّ قبله . وكنّا كذلك ساعةً ، إذ جاء غلمانه . ثمّ تناسبنا فقال الرّجل : أنا طريح بن إسماعيل الثّقفي . فلمّا ارتحلنا كنّا كذلك في قافلةٍ لا تدرك طرقها . فقال لي طريح : ما حاجتنا إلى زحمة النّاس ، وليست بنا إليهم وحشة ولا مخافة . فتأخّر بنا بعد القوم . فنزلنا إلى جانب نهرٍ مظللٍ بالشّجر فتغدّينا ثمّ قمنا إلى النّهر نستنقع فيه . فلمّا نزع ثيابه إذ آثار داهيةٍ في جنبيه يلج فيها الكف ، فوقع في نفسي منه شيءٌ ، فنظر إليّ وفطن وتبسّم ، وقال لي : قد رأيت عجباً منك لما رأيت ما بي وأنا أحدّثك حديثه إذا سرنا العشيّة .

فلمّ ركبنا قلت له : الحديث؟ قال : نعم ، قدمت من عند الوليد بن يزيد بالدّنيا وما فيها ، وركبت إلى يوسف بن عمر ، مع قرابتي منه ، فملأ يدي . فخرجت من عنده إلى الطّائف . فلمّا اشتدّ بي الطّريق ، وليس يصحبني فيه خلق ، عنّ لي أعرابيٌّ على قعودٍ له ، وهو حسن الحديث قد روى الشّعر ، وأنشدني لنفسه . فقلت له : من

أين أقبلت؟ قال : لا أدري والله . قلت : فإلى أين يمّمت؟ قال : لا أدري والله . قال ، فقلت : ما قصّتك؟ فقال : أنا عاشقٌ بجارية من قومي ، قد أفسدت عيشتي وتلفت ، فأنا أستريح بأن أنحدر في الطّريق مع منحدريه ، وأصعّد مع مصعّديه . قال ، فقلت له : وأين هي؟ قال : غداً تنزل بإزائها . وأخذ يحدّثني بحديثه معها .

فلمّا جئنا إلى الموضع قال لي : انزل ذلك المكان فإنّها عنده منقطعةً . فأدركتني أريحيّة الحداثة ، وأخذت منه علامة ما بينهما ، وقصدت حيث أشار إلي . فإذا ببيت جديد على الطّريق ، وإذا امرأةٌ جميلةٌ حديثةٌ ظريفةٌ . فذكرته لها ووريت رسالتهً وأمارتهً . فزفرت زفرةً كادت تتفتت أضلاعها ، وقالت : أو حيٌّ هو؟ قلت : نعم تركته في رحلي وراء هذا الجبل ونحن بايتون ومصطحبون قالت : فإنّي أرى لك وجهاً يدلّ على الخير ، فهل لك في الأجر؟ فقلت : فقيرٌ إليه . قالت : فالبس ثيابي وادخل في أريكتي ودعني حتّى آتيه . فإنّك تحيي نفسين ، وتغنم أجراً عظيماً . قلت : أفعل ما تريدين . قالت : إنّك إذا أصبحت أتاك زوجي في هجعته فقال يا فاجرة ، فأوسعك شتماً ، فأوسعته صمتاً ولا تجعل إنّك سمعته فإنّ يقول في آخر كلامه : اقمعي سقاك يا عدوّة . فضع المقمع في ذلك السّقاء الأخر فإنّه منخرق . قال : ومضت . فجاء زوجها ففعل ما قالت . وقال اقمعي سقاك فحببني الله أن تركت الصّحيح وقمعت الواهي ، فما شعر إلاّ واللبن يتسيّب بين رجليه . فعدا إلى زاوية البيت فتناول حبلاً ثمّ ثناه على اثنين فصار على ثمانٍ ، فجعل لا يتّقي به رأساً ولا وجهاً ولا جنباً فخشيت أن يبدو له وجهي فألزمته الأرضَ ، فعمل بجنبي وظهري ما ترى ، ومضى عنّي .

فلمّ كان الصّباح جاءت فرأت ما حلّ بي من الشّرّ فأكبّت عليّ وقالت : بأبي أحييت نفسي بقتل نفسك . ودخلت تعتذر وتتلهّف لما بي ، وتدعو لي وتتضرّع . فأخذت ثيابي وانصرفت ولا يعدل ظفرهما عندي شيء .

طلّق لبنى وزوّجها لقيس

في أخبار قيس بن ذريح[1] كيف كان سبب تطليقه لبنى وندمه عليها ثمّ

(١) قيس بن ذريح الليثي الكناني والملقب بمجنون لبنى ، أخو الحسين بن علي من الرضاع ، وشاعر غزل عربي ، من المتيمين ، من أهل الحجاز .

ساءت حاله ، ولف عقله ، واشتدّ مرضه ، وأشرف على حتفه . فقال أهله : لو زوّجتموها إيّاه ليئس منها ، وسلا عنها . فخطبها رجلٌ من قريش وحكم أباها في المهر . فزوّجه إيّاها ، فحملها معه إلى المدينة . فقال قيس :

وقالوا تراها فتنةً كنت قبلها بخير ، فلا تندم عليها وطلّق
فليت ، وبيت الله ، أنّي عصيتهم فأنبتَ في رضوانها كلّ مونق
وكلّفت خوض النّار سبعين حجّةً وكنت على أثباج بحر مغرّق
كأنّي أرى النّاس المقيمين بعدها نقاعة ماء الحنظل المتغلّف
وتكره عيني بعدها كلّ منظر ويكره سمعي بعدها كلّ منطق .

قال : وخرج أبي عتيق يريد العمرة . فنزل بحيّ قيس بن ذريح فسألهم عنه ، فقال : دلّوني عليه . فدلّوه فلمّا رآه قيس أقبل عليه ورحّب به وقال : من أنت ، حيّاك الله وعافاك؟ قال ، فانتسب له ابن عتيق وقال له : بيّن حديثك لي تجدني معيناً لك على أمرك إن شاء الله . فاستحى قيس من ذلك وامتنع ساعةً ، ثمّ جعل يحدّثه حتّى بلغ إلى خبر القرشي . فقال : يا هذا ، إنّي خرجت من منزلي أريد العمرة التماساً للثّواب . وقد عزمت ، عندما سمعت ، أن أترك ما خرجت إليه فارجع معك احتساباً للأجر ، فبكّر فامض معي أيّها الرّجل ، وأكتم شأنك ، ولا يعلم أحدٌ من أهلك . فحمله معه وأقبل راجعاً نحو المدينة فاستقبله أهله وإخوانه يسألونه عن سبب رجوعه . فجعل يعتذر وهو يقول لهم : عاقني عن ذلك عائقٌ . وأخفى قيساً في منزله أيّاماً ثمّ سأل عن منزل القرشي فدلّ عليه . فبعث مولاة له عجوزاً إلى لبنى تخبرها بقيس وبما صار له من عشقها . فقالت : يعزّ عليّ ، وما حيلتي له . أطاع أباه وفارقني في غير جرم . وقد صرت الآن عند غير هولا سبيل لي على نفسي . وإنّ كبدي عليه لحرّا ، وإنّ عينّي لغبرا مذ فارقته وإنّها لّما علمت بمكانه اشتد ولهها حتّى أنكر زوجها شأنها فسألها عن خبرها وهل رأت شيئاً تنكره . فجعلت لا تجيب جواباً . وجعل يعتذر إليها ، فقال لها : ما أراك إلاّ ذكرت قيساً . فقالت له : هيهات وأين أنا من قيس ، وأين قيس منّي؟ أله عن هذا الحديث .

قال : وبلغت العجوز ابن أبي عتيق ما سمعت من لبنى فقال لها : عودي إليها فقولي لها : إن كنت على العهد فإنّك ستصلين إلى ما تريدين . قالت : أي والله لا أزال على عهده مقيمةً أو يفارق روحي جسدي ؛ ولا أكافئه بسوء فعل كان منه إليّ .

قال : وأقبل ابن أبي عتيق ومعه جماعة من أشراف قريشٍ وغيرهم حتّى أتوا

منزل القرشي زوج لبنى فأكبر مجيئهم . فقالوا : إنّا جئناك في حاجة ولا سبيل إلى ردّنا عنها . قال لهم : قضيت حاجتكم . قال ابن عتيق : كائنة ما كانت؟ قال له : نعم . قال فإنّ حاجتنا أن تجعل أمر لبنى في يدي . قال القرشي : وهل رأيت أحداً سأل مثل هذا؟ قال : فهي حاجتنا ، وقد جئت إليها . قال : فإنّي قد فعلت . قال : فيشهدون عليك أنّ أمرها في يدي . قال : نعم . قال ابن عتيق : فأشهدوا إنّها طالقٌ ثلاثاً . قال : قد أجزت : قال : فما برحوا حتّى نقلها ابن أبي عتيق إلى منزله . فلمّا انقضت عدّتها زوّجها من قيس وأصدق عنه وجهّزها بأحسن جهاز ، وحملها معه إلى منزله . فما لبثت عنده إلاّ يسيراً حتّى نهشته الأفعى كما قدّمنا في حديثه فمات وماتت بعد .

هكذا رواه أحمد بن أبي طاهر . ولست أدري صحّة هذا الحديث ، لأنّا كنّا قدّمنا في حديثه ما يخالف هذا من أنّه لم يتزوّج بها ثانياً .

مكر به في امرأته

حكى الهيثم بن عدي ، عن الكلبي قال : كان ملك النّعمان بن المنذر أربعين سنةً لم ير منه في ملكه سقطةً غير هذه : وذلك أنّه ركب يوماً فنظر إلى امرأة خارجة من الكنيسة فأعجبه جمالها وحسنها وهيئتها فقال : علي بعدي بن زيد ، وكان كاتبه وخاصّته فقال له : يا عدي ، قد رأيت امرأةً لئن لم أظفر بها إنّه هو الموت . فلا بدّ في أن تتلطّف في الجميع بيني وبينها . قال : ومن هي؟ قال : قد سألت عنها فقيل لي امرأة حكم بن عوف ، رجلٌ من أشراف أهل الحيرة . قال : فهل أعلمت بذلك أحداً؟ قال : لا فاكتمه ، فإذا أصبحت فجد بكلّ كرامةٍ لنزيلك ، يريد حكم بن عوف .

فلمّا أذن للنّاس بدأ به وأكرمه وأجلسه معهً على سريره . فأعجب النّاس حاله ، وتحدّثوا به . فلمّا أمسى فأذن للنّاس بدأ به فأكرمه وأجلسه معه وكساه وجمّله . ففعل به ذلك أيّاماً . ثمّ قال له عدي : أيّها الملك عندك عشر نسوة فطلّق أقلّهنّ عنك منزلةً ثمّ قل له فليتزوّجها . ففعل . فلمّا دخل عليه قال له : يا حكَم إنّي قد طلّقت فلانةً لك فتزوّجها . فقال حكم لعدي : ما صنع الملك بأحد ما صنع بي ولا أدري بما أكافئه؟ فقال له عدي طلّق امرأتك كما طلّق امرأته . ففعل . وحظي عدي بها عند الملك : وعلم الرّجل أنّه مكر به في امرأته . وفيها يقول بعض أهل الحيرة :

ما في البريّة من أنثى تعادلها إلاّ التي أخذ النّعمان من حكم

ريّا وعمرو وبساط النّوم

حدّث الزّبير : إنّه كان فتىً من بني عذرة يقال له عمرو بن عود ، وكان عاشقاً لجارية من قومه تسمّى ريّا بنت الرّكين . فتزوّجها رجلٌ منهم يقال له دهيم . فأبت ريّا إلاّ حبَّ عمرو بن عود ، وأبى إلاّ حبّها وقول الشّعر فيها ، والوجد بها حتّى أتى اليمن فنزل في بني الحارث بن كعب فطلبها عمرو ، فخفي عليه أمرها ولم يعلم لها خبراً ولا موضعاً . فمكث حيناً لما به ، يبكي له من عرفه ، لولهه وشدّة ما أصابه . فخرج به أهله إلى مكّة لعلّه يتعلّق بأستار الكعبة عسى أن يرحمه ربّه ويذهب ما في قلبه من حبّها .

فلمّا كان بمنىً نظر إليه فتىً من بني الحرث بن كعب فتعجّب ممّا به ، وجلس يتحدّث معه ، وسأله عن حاله فشكا إليه عمرو وجده بها ، وأنشد ما قال فيها ، فرقّ له الفتى ورحمه . وسأله عن صفتها وصفة زوجها . فوصفها له . فقال له الفتى : عندي خبر هذه المرأة وهذا الرّجل منذ سنين قليلة فخرّ عمرو ساجداً ثمّ سأله عن حالها ، فأخبره أنّها سالمةٌ وأنّها باكيةٌ لا يهينها شيءٌ من العيش . قال عمرو : فهل لك في صنيعة عندي؟ فقال له الفتى : إذن افعل ما بدا لك . قال : تتخلّف عن أصحابك ، وأتخلّف عن أصحابي حتّى لا يكون عند أحد منهم علم . ثمّ أمضي معك متنكّراً حتّى تخفيني في موضعٍ ؛ ثمّ تعلمها بمكاني . فقال الفتى : لك ذلك في عنقي .

فلمّا كان السّفر ، تخلّف كلّ واحد منهما عن أصحابه . فجهد أصحاب عمرو أن لا يتخلّف وأن يمضوا به فأبى عليهم فودّعوه ومضوا . ثمّ مضيا حتّى وصل به الفتى فأدخله مع أخته وامرأته في سترهما . ومضى إلى ريّا فأخبرها . فكانت تجيء إليه كلّ يوم فيشكوان ما كانا فيه من البلاء ، ويتحدّثان . فاستراب زوجها غشيانها ذلك البيت . ولم تكن تغشاه ولا تعرف أهله ، واستراب أيضاً تطبيب نفسها وأنّها ليست كما كانت .

وخرجت رفقةً له إلى حرّان فأخبرها أنّه خارجٌ معها . فخرج وأقام ليلتين مختفياً في موضع . وأقبل راجعاً في الليلة الثّالثة ، وقد أمنّاه وظنّاً أنّه قد خرج ، فأتى عمرو إلى ريّا فبسطت له بساطاً قدام البيت وتحدّثا حتّى غلبهما النّوم ، وهي مضطجعةٌ إلى جانب البساط وعمرو إلى الجانب الآخر . وأقبل الرّجل حتّى وجدهما على تلك الحال . فنظر في وجه عمرو ، فانتبه فزعاً . فقال له : ويلك يا عمرو ، وما ينجيني منك

برٌ ولا بحرٌ! فقال : يا ابن عمّي ، ما أنا والله على ريبة ، ولا يسألني الله عن أهلك عن قبيح ؛ ولكن نشأت أنا وهي وألفتها ونحن صبيان ، ولست أستطيع عنها صبراً ، وما بيننا أكثر من هذا الحديث الذي ترى . قال : أمّا أنا فلم أهرب إلى هذا البلد إلاّ منك .

فانصرفنا راجعين وهي معهما حتّى قدما على وطنهما ، فأقاما بعده بيسير .

مواعيد بثينة وجميل

حكى سنة بن عقال ، عن الشّعبي[1] قال : حدّثني رجلٌ من بني أسد ، قال : إنّي لذات يوم في الحيّ إذ أقبل فتىً نظيف الثّوب ، حسن الوجه ، حتّى وقف بي ، فقال : يا فتىً ، هل نزا بك حيٌّ من بني عذرة؟ قال ، قلت : نعم ، وتيك بيوتهم . قال : وهل أحسست لي بكرةً صفتها كذا وكذا؟ قال ، قلت : لا . فنزل ثمّ قال : أأنت منشدها لي في أبات الحي؟ قال فخرجت وأنا أنشدها حتّى مررت بالبيوت وأنا أنشد . فقالت لي جاريةٌ : عند الأكمة . فأشرفت على الأكمة فلم أر شيئاً فأخبرته ، فأخرج سفرةً معه ودعاني فأكلنا ، ثمّ نام . وجعلت أراعيه حتّى ظنّ أنّي قد نمت . فأخرج من رحله فلبسها ، ثمّ اشتمل على سيفه وخرج حتّى أتى الأكمة وأنا أتبعه من حيث لا يراني . فإذا بها قاعدةٌ كأنّها مهرةٌ عربيّةٌ . فسلّم عليها وسلّمت عليه ثمّ قال لها : يا بثينة قلت فيك كذا . ولقيت فيك كذا .

ولم يزل يحدّثها وينشدها ، وتحدّثه حتّى إذا كان في السّحر وضع رأسه في حجرها فنام ساعةً . فلم يشعر إلاّ بالفجر قد برق . فقالت : قم يا جميل ، لا يفضحنا الصّبح .

قال : فرجعت مبادراً حتّى رميت بنفسي في الرّحل . وجاء فأيقظني ، ثمّ عمل إلى ثوبٍ من ثيابه فكسانيه ، فلم يزل جميل يغشاني في كلّ نهارٍ وليلٍ ، فأطير إلى الحيّ وآتيه فآخذ ميعاد بثينة إلى موضع يجتمعان فيه ويتحدّثان إلى أن فطن بعض الحيّ بأمري . فقالت لي بثينة . أنج بنفسك ، فإنّ الحيّ قد شعروا بك ، وقل لجميل موعدك وسكن البطن . وأتيته فأخبرته ، فمضى وانقطع عنّي خبره

---

(١) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، والمشهور بـ الإمام الشعبي ٢١ هـ/١٠٠ هـ ، تابعي وفقيه ومحدث من السلف ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب .

دخل وأجبر على تركها

وروي عن يحيى بن خالد بن برمك[1] قال : كنت أهوى جاريتي دنانير ، وهي لمولاتها زهراء ، فلمّا وضع المهدي الرّشيد في حجري اشتريتها ؛ فلم أسرّ بشيءٍ من الدّنيا مثل سروري بها وبملكها ، فما لبثت إلاّ يسيراً حتّى وجّه المهدي ابنه الرّشيد غازياً إلى بلد الرّوم ، فخرجت معه ، فعظم على فراقها ، فأقبلت لا أتهنّأ بطعانٍ ولا شرابٍ صبابةً بها وذكراً لها . فأنا ليلةً في مضربي ، وقد أصابني بردٌ شديدٌ وثلجٌ كثيرٌ ، وأنا أتقلّب على فراشي أذكر الجّارية ، إذ سمعت غناءً خفيّاً وصوت عودٍ بالقرب منّي . فأنكرت ذلك وجلست على فراشي فأشجاني الصّوت من غير أن أفهمه حتّى أبكاني . فقمت ، ولم أوقظ أحداً من العسكر ، حتّى انتهيت إلى خيمةٍ صغيرة من خيام الجند ، فإذا فيها سراجٌ ، فدنوت منها ، فإذا فتىً جالسٌ ، وإذا بين يديه ركوةٌ فيها شرابٌ وفي حجره عودٌ يضرب عليه ويتغنّى بهذا الصّوت :

ألا يا لقومي أطلقوا غلّ مرتهن ومنّوا على مستشعر الهمّ والحزن .

ألم ترها بيضاء ، روداً شبابها لطيفةٌ طيّ البطن كالشّادن الأغن

قال : فكلّما غنّى بيتاً بكى وتناول قدحاً فصبّ فيه من ذلك الشّراب ، وشرب ، ثمّ يعود إلى مثل ذلك .

قال : فأقمت طويلاً أرى ما يفعل وأبكي لبكائه ، ثمّ سلّمت فردّ السّلام ، واستأذنت فأذن لي فدخلت ، فلمّا رآني أجلّني وأوسع لي . فقلت : يا فتى خبّرني بخبرك ، وما أنت فيه ، وما سبب هذا البكاء؟ قال : أنا فتىً من الأبناء ، لي ابنة عمٍّ قد نشأنا جميعاً فعلقتها وعلقتني ، ثمّ بلغنا فحجبت عنّي ، فسألت عمّي ليزوّجنيها فأجاب ، فمكثت حيناً أحتال لمهرها حتّى تهيّأ فأدّيته ، فدخلت بها ، فلمّا أن كان يوم سابعها ضرب عليّ البعث وخرجت وبي من الشّوق إليها ما لا أجده ، فحملت معي هذا العود ، فإذا أصبت شراباً في بعض هذا القرى أخذت منه شيئاً ، ثمّ أفعل ما ترى تذكاراً إليها .

---

(١)يحيى بن خالد ابن برمك الوزير الكبير أبو علي الفارسي من رجال الدهر حزما ورأيا وسياسة وعقلا وحذقا بالتصرف ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه ويثقفه ويعرفه الأمور فلما استخلف رفع قدره ونوه باسمه وكان يخاطبه يا أبي ورد إليه مقاليد الوزارة وصير أولاده ملوكا وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى فسجنه وذهبت دولة البرامكة .

فقلت : فهل تعرفني؟ فأنكرني ، فما أدري أتعمّداً أم حقيقةً .

قال ، فقلت له : أنا يحيى بن خالد ، فلمّا قلت له ذلك نهض قائماً . فقلت : اجلس ، فإذا كان غداً فألقني ، فهذا مضربي بالقرب منك ، فإنّي أصير منك إلى ما تحب .

قال : ووافق ذلك رسولاً قد هيّأناه إلى المدينة ، فما كان أسرع شيءٍ حتّى دنا الصّبح وتهيّأ النّاس للرّحيل ، فأوّل من لقيني ذلك الفتى ، فأثبت وجهه وقلت له : من أنت ، وفي قيادة من أنت؟ فخبّرني ، فمضيت حتّى دخلت على الرّشيد ومعي المؤتمرات ، فكنت آمرها على سمعة من عنوانٍ يكون له فيها ، فقلت وفتىً من الأنباء فلان بن فلان يطلق سراحه ويعطى عشرةً آلاف درهمٍ معونةً له ويصحب فلاناً الرّسول . ففعل ذلك وانصرف إلى أهله .

حلف ألاّ يجتمع بها ثانيةً

وقال : كان عمر بن أبي ربيعة يتعشّق امرأةً يقال لها أسماء ، فوعدته أن يزورها ، فتهيّأ لذلك يوماً فأبطأت عليه ، فنام ، فلم يلبث أن جاءت ومعها جاريةٌ ، فضربت الباب فلم يستيقظ ، فانصرفت وحلفت ألا تأتيه حولاً . فقال عمر قصيدته التي أوّلها :

طال ليلي وتعنّاني الطّرب　　واعتراني طول همٍّ ونصب

أشهد الرّحمان لا يجمعنا　　سقف بيت رجباً على رجب

فبعثنا طبّةً عالمةً　　تخلط الجدّ مراراً باللعب

ترفع الصّوت إذا لانت لها　　وتراخي عند سورات الغضب

فأجابت يا فتى وابتسمت　　عن منيف اللون صاف كالثّغب

فلمّا سمع ابن أبي عتيقٍ هذه الأبيات قال له النّاس في طلب إمامٍ مثل قيادتك هذه مذ قتل علي ، فما يقدرونً عليه .

قال حمّاد الرّاوية : استنشدني الوليد بن يزيد شعراً كثيراً فما استعادني إلاّ هذه الأبيات . وقال لي : يا حمّاد اطلب لي مثل هذه وأرسلها إلى سلمى .

كفى أخاه العذري ما أصابه

ويروى عن حمّاد قال : أتيت مكّة فجلست إلى جماعةٍ في حلقةٍ فيها عمر بن

أبي ربيعة المخزومي ، وإذا هم يتذكّرون العذريين وعشقهم وصيانتهم ، قال عمر : أحدّثكم عن بعض ، وذلك : أنّه كان لي خليلٌ من بني عذرة ، وكان مشتهراً بحديث النّساء فيتشبب بهنّ وينشد فيهنّ ، على أنّه لا عاهر الخلوة ولا سريع السّلوة وكان يوافي الموسم في كلّ سنةٍ ، فإذا أبطأ ترجمت له الأخبار وألّفت له الأشعار حتّى يقدم فيتحدّث حديث محزونٍ كئيب . وإنّه راث ذات سنةٍ ، حتّى قدم وفد عذرة ، فأتيت القوم وأنا أنشد عن صاحبي وإذا غلامٌ قد تنفّس الصّعداء ثمّ قال : عن أبو المسهر تسل؟ قلت نعم عنه سألت قال هيهات هيهات أصبح والله أبو المسهر لا ميؤوساً فيهمل ولا مرجوّاً فيعلل ؛ لا أصبح والله كما قال الشّاعر :

لعمرك ما حبّي لأسماء تاركي صحيحاً ولا أقضي به فأموت

قلت له : وما الذي به؟ قال لي : هو ميتٌ مولّهٌ! قلت : ومن أنت يا ابن أخي؟ قال : أنا أخوه . قلت وما يمنعك أن تركب طريق اخيك الذي ركبه ، وتسلك مسلكه . ألا إنّك وأخاك كالوشي والنّجّار لا ترفعه ولا يرفعك . ثمّ انصرف وأنا أقول :

أرائحة حجاج عذرة روحةً ولمّا يرح في القوم جعد بن مهجع

خليلانً نشكو ما نلاقي من الهوى متى ما يقل أسمع ، وإن قال يسمع

فلا يبعدنك الله خلاً ، فإنّني سألقى كما لاقيت في الحبّ مصرعي

فلمّا كان في العام الآتي وقفت في الموضع الذي كنّا نقف فيه بعرفات ، فإذا شابٌ قد أقبل وقد تغيّر لونه ، وساءت هيئته فما عرفته إلاّ بناقته ، فأقبل حتّى اعتنقني وجعل يبكي . قلت : ما هذا وما دهاك وما غالك؟ قال برّح الغرام وطول السّقام . وأخذ يشكو إليّ فقلت : يا أبا مسهر ، إنّها ساعةٌ عظيمةٌ ، فلو دعوت الله كنت تظفر بحاجتك . فجعل يدعو حتّى إذا بدت الشّمس للغروب وهمّ النّاس أن يفيضوا ، سمعته يهمهم بشيءٍ ، فأصغيت إليه مستمعاً فجعل يقول :

يا ربّ عذوة وروحة

من محرم بعد الضّحى واللواحة

أنت حسيب الخطب يوم الدّوحة .

قلت : يا أخي ، وما الدّوحة؟ قال سأخبرك إن شاء الله . فلمّا قضينا حجّنا وأحللنا قلت له : حدّثني بخبرك! قال : نعم ، أعلمك أنّي امرؤٌ ذو مال كثيرٍ من نعم وشاء ، وإنّي خشيت على مالي التّلف فأتيت أخوالي فأوسعوا لي عنً صدرً المجلسً فكنتً في عزّ أخوالي ، فخرجت يوماً إلى مالي وهو ببعض مياههم ، وركبت فرسي ،

وعلّقت معي شراباً أهدي إلي . فانطلقت حتّى إذا كنت بين الحيّ ومرعى النعّم رفعت لي دوحةٌ عظيمةٌ فقلت : لو نزلت تحت الشّجرة وتروّحت مبرّداً! فنزلت وشددت فرسي بغصنٍ من أغصانها ، ثمّ جلست وقدّمت شرابي ، فإذا بغبار قد سطع من ناحية الحيّ فبدت لي ثلاثة شخوصٍ ، وإذا فارسٌ يطرد عنزاً وأتاناً ، فلّما قرب منّي إذا عليه درعٌ أصفرٌ وعمامة خز سوداء ٍ، وإذا فروع شعره تنال كعبه . فقلت في نفسي : غلامٌ حديث السّنّ راكبٌ على فرس أعجلته لذّة الصّيد ، فأخذ ثوب امرأته ونسي ثوبه . فما لبث أن لحق بالعنز فطعنه ثمّ ًعطف على الأتان فقتلها ، ثمّ قال :

نطعنهــم سلكـاً ومخلوجةً كــرّكَ الأمين على نائــل .

فقلت له : إنّك قد تعبت وأتعبت فرسك ، فلو نزلت . فثنى رحله ، وشدّ فرسه بغصنٍ من أغصان الشّجرة ، ثمّ أقبل حتّى جلس قريباً منّي فجعل يحدّثني حديثاً كأنّه الدّرّ ، ذكرت به قول الشّاعر :

وإنّ حديثـــاً منــك لــو تبذلينــه جنى النّحل في ألبان عود مطافــل

قال ، فبينما هو كذلك إذ نقر بالسّوط على ثنيته ، فرأيت والله ٍخلل السّوط بينهما فما ملكت نفسي إن قبضت على السّوط وقلت : أخاف أن تكسرهما فإنّهما رقيقان . وقال : وهما مع ذلك عذبتان . قال ، ثمّ رفع عقيرته وجعل يغنّي :

إذا قبّــل الإنســان ممّــن يحبّــه ثنايــاه لــم يأثــم وكان له أجرا

فــإن زاد زاد اللــه فــي حسناتــه مثاقيــل يمحــو الله عنـه بها وزرا

ثمّ قال لي : ما هذا الذي علّقت على سراجك؟ قلت : شرابٌ أهداه إليّ بعض أهلي ، فهل لك فيه؟ قال : وما أكره منه؟ فأتيت به فوضعته بين يديه . فلمّا شرب منه نظرت إلى عينيه كأنّهما عينا مهاةٍ قد أضلّت ولداً فأذعرهما قانص . فعلم نظري فرفع عقيرته وجعل يغنّي :

إنّ العيون التي فـي طرفهــا حــــورٌ قتلننـــا ثــمّ لــم يحيــين قتلانا

يصرعن ذا اللبّ حتّى لا حــراك بــه وهنّ أضعف خلــق اللــه إنسانا .

فقلت له : من أين لك هذا الشّعر؟ قال : وقع رجلٌ منّا باليمامة فأنشدنيه .

قال : ثمّ قمت لأصلح شيئاً من أمر فرسيٍ ، فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه ، فإذا غلامٌ كأنّما وجهه الشّمس حسناً ، فقلت : سبحانك اللهمّ ما أعظم قدرتك ، وأجلّ صنعك . قال : فكيف؟ قلت له : ممّا راعني من نورك وبهرني من جمالك . قال : وما الذي يروّعك من رهن ترابٍ ورزق دوابٍ ثمّ لا تدري أينعم بعد

ذلك أم لا؟ قلت : بل يصنع الله بك خيراً إن شاء الله .

ثمّ أقبل على فرسه ؛ فلمّا أقبل برقت له بارقة من الدّرع ، فإذا ثديٌ كأنّه حقّ ، فقلت : نشدتك الله امرأةً؟ قالت : أي والله امرأةٌ تكره العهر وتحبّ الغزل . فقلت : وأنا والله كذلك . فجلست والله تحدّثني ما أفقد من أنسها شيئاً حتّى مالت على الدّوحة سكرى ، فاستحسنت ، والله يا ابن ربيعة ، الغدر ، وزيّن في عيني ، ثمّ إنّ الله عصمني . فما لبثت أن انتبهت مرعوبةً ، فلاثت عمامتها برأسها وأخذت رمحها وجالت في متن فرسها ، فقلت : زوّديني منك زاداً . فأعطتني ثوباً من ثيابها ، فشممت منه كالرّوض الممطور . ثمّ إنّي قلت : أين الموعد؟ فقالت : إنّ لي أخوةً شوساً وأباً غيوراً ؛ والله لأن أسرّك أحبّ إليّ من أن أضرّك .

قال ، ثمّ مضت فكان والله آخر العهد بها إلى يومي هذا . فهي التي بلغت بي هذا المبلغ ، وأحلّتني هذا المحل . قلت له : والله يا أبا المسهر ، والله ما كان يحسن بك الغدر إلاّ بك . فإذا به قد اخضلّت لحيته بدموعه باكياً . فقلت : والله ما قلت هذا إلاّ مازحاً . ودخلتني له رقّة . فلمّا انقضى الموسم شددت على ناقتي وشدّ وحملت غلاماً لي على بعير وحملت عليه قبه أدم حمراء كانت لأبي ربيعة ، وأخذت معي ألف دينار ومطرفاً ثمّ خرجنا حتّى أتينا كَلباً فسألناه عن الشّيخ فإذا هو في نادي قومه ، فسلّمت فقال : وعليك السّلام ، من أنت؟ قلت عمر بن ابي ربيعة المخزومي . قال : المعرف غير المنكر ؛ فما الذي جاء بك؟ قلت : خاطباً . قال : أنت الكفء الذي لا يرغب عن حسبه ، والرّجل الذي لا يردّ عن حاجته . قلت له : إنّي لم آتك عن نفسي ، وإن كنت موضع الرّغبة ، ولكن أتيتكم في ابن أخيكم العذري . وقال : والله إنّه لكفء الحسب ، غير إنّ بناتي لا يقعن إلاّ في هذا الحيّ من قريش . فعرف الجزع في نفسي وتبيّن له في وجهي ، وقال : أنا أصنع لك شيئاً لا أصنعه لغيرك . قلت : ما هو؟ قال : أخبرها لأنّك أنت تختار لغيرك .

فأومأ إليّ صاحبي أن أمره أن يخبرها . فقلت : افعل . ثمّ مضى الشّيخ . وقد أتى وقال لي إنّها قالت : إنّ الأمر أمرك والرّأي للقرشي يختار لي ما رأى . فحمدت الله عزّ وجلّ وصلّيت على نبيّه ، ﷺ وقلت : قد زوّجت الجارية بجعد بن مهجع وأصدقتها ألف دينار ، وهي هذه ، وجعلت كرامتها الغلام والبعير والقبّة وكسوت الشّيخ المطرف فقبله ، وسألته أن يبني بها من ليلته ، فأجابني إلى ذلك . وضربت القبّة في وسط الحيّ وأهديت إليه ليلاً . وبتّ عند الشّيخ خير مبيتٍ .

فلمّا أصبحت غدوت فقمت بباب القبّة ، فخرج إليّ ، فقلت له : كيف كنت بعدي؟ وكيف هي؟ فقال : أبديت لي كثراً ممّ أخفت يوم رأيتها . فقلت : عليك أهلك ، بارك الله فيهم . وانطلقت إلى أهلي وأنا أقول :

كفيت أخي العذريّ ما قد أصابه ومثلي لأثقال النّوائب أحمل
أما استحسنت منّي المكارم إنّها إذا عرضت إنّي أقول وأفعل

نساؤهم شرّ النّساء والفرع يجري على الأصل

وحكى المدائني : أنّ رجلاً من بني عقيل كان يسمّى صخراً ، وكانت له ابنة عمٍّ تدعى ليلى ، فكان بينهما حبٌّ مبرّحٌ ولم يكن أحدهما يصبر عن الآخر ساعةً واحدةً ، وكان لهما مكانٌ يجتمعان فيه للحديث في كلّ ليلة . ثمّ إنّ أبا صخرٍ زوّج صخراً لامرأة من الأزد ، وصخرٌ لذلك كارهٌ ؛ فلمّا بلغ ليلى الخبر قطعته ، فمرض مرضاً شديداً . فكان أهله يقولون سحرته ليلى ، لما كانوا يرونه يصنع بنفسه . وكانت ليلى أشدّ وجداً به وحبّاً له . فأرسلت جاريتها إليه وقالت لها : اذهبي إلى مكاننا وانظري هل تري صخراً ، فإذا رأيته قولي له :

تعساً لمن بغير ذنبٍ يصرم قد كنت ، يا صخر ، زماناً تزعم
إنّك مشغوفٌ بنا مقيمٌ حتّى بدا منك لنا المجمجم

قال : فأتته الجّارية فأبلغته قولها ، ووجدته كالشّن البالي وجداً وحزناً ، فقال : قولي لها :

فهمت الذي عبّرت ، والله شاهدُ لما كان عن رأيي ولا كان عن أمري
فإن كنت قد سمّيت صخراً فإنّني لأضعف عن حمل القليل من الهجر
ولست ، وربّ البيت ، أبغي سواكم حبيباً ولو عشنا إلى ملتقى الحشر .

فقالت له الجّارية : يا صخر ، إن كنت كارهاً لتزويج أبيك لك فاجعل أمر امرأتك بيدي لتعلم ليلى أنّك لغيرها خالٍ ولعهدها راع ، وإنّك مكرهاً . قال : قد فعلت . قالت : فهي طالقٌ منك ثلاثاً . وأخبرت ليلى ، فأظهرت من ذلك جزعاً وتراجعا إلى ما كانا عليه من اللقاء ، والجّارية تختلف بينهما . ولم يظهر صخر طلاق امرأته حتّى قال له أبوه : يا صخر ألا تبتني بأهلك؟ قال : وكيف وقد بانت منّي في يمينٍ حلفت بها . فأعلم أبوه أهل المرأة فقالت المرأة تهجو ليلى :

ألا بلّغا عنّي عقيلاً رسالةً ، فما لعقيلٍ من حياءٍ ولا فضل :

نساؤكم شرّ النّساء ، وأنتم كذلك ، إنّ الفرع يجري على الأصل .
أما فيكم حرّ يغار بأخته؟ . . . وما خير حرٍّ لا يغار على الأهل!

قال ، وهجتها ليلى حتّى شاع خبرها ، وسعت الجّارية إلى أهل صخر وأهل ليلى وما هما عليه ، وإنّهما يخاف عليهما من لؤم الفعل . ولم تزل حتّى جمعت بينهما وتزوّجها .

المهدي وحديث العشّاق

وحكى الأصمعي قال : خرج المهديّ حاجّاً ، حتّى إذا كنّا ببعض الطّريق ، إذا أعرابيٌّ يقول : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداك ، أنا عاشقٌ - وكان المهدي يحبّ العشّاق وحديثهم - موكلٌ به بعض الغلمان . فلمّا نزل أمر بإحضاره ، قال : أنت المنادي؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين . قال له : ما اسمك؟ قال : أبو ميّاس . قال أمير المؤمنين : من عشيقتك؟ قال له : ابنة عمّي ، وقد أبى عليّ أبوها أن يزوّجنيها . قال : لعلّه أكثر منك مالاً؟ قال : أنا أكثر منه مالاً! قال له : فما قصّتك؟ قال له : ادن رأسك منّي . فجعل المهدي يضحك ، وأصغى إليه برأسه . قال له : إنّي هجينٌ . قال له : ليس يضرّك ذلك أخو أمير المؤمنين وأكثر أولاده هجناء! ثمّ قال له وأين عمّك؟ قال له : على ثلاثة أميال .

قال : فأرسل أمير المؤمنين في طلبه فجيء به فقال له : ما لك لا تزوّج أبا ميّاس ، فإنّي أرى عليه نعمةً؟ قال : متاع سوءٍ ، وليس مثلي يزوّج مثله . قال : فإنّ الذي كرهت ليس ممّا يعاب به عندنا ، وأنا معطٍ صداق ابنتك عشرة آلاف درهم ، ومعوّضك ممّا ذكرت عشرة آلاف درهمٍ! قال : فذلك لك! قال فخرج أبو ميّاس وهو يقول :

واتّبعت ظبيةً بالغلاء وإنّما يعطي الغلاء لمثلها أمثالي
وتركت أسواق القباح لأهلها إنّ القباح وإن رخصن غوالي

المنتصر بالله وجارية سعيد الصّغير

قال سعيد الصّغير : كان المنتصر بالله في أيّام إمارته وجّهني إلى مصر في بعض أمور السّلطان ، فاعترضن عند بعض النّخّاسين جارية تامة المحاسن حاذقةً بالغناء . فأبى مولاها أن يأخذ منّي إلاّ ألف دينارٍ . ولم تكن تحضرني ، ولا وجدت أن أقرضها ،

وأزعجني الشّخوص ، وقد علقها قلبي وأخذني المقيم المقعد من حبّها . فلمّا قدمت إلى المنتصر وعرّفته ما بعثني فيه؟ سألني عن حالي وخبري . فأخبرته بمكان الجّارية وكلفي بها ، وقصّتي مع مولاها . فأعرض عنّي وصار ما بي يزداد .

ولم أملك صبراً . وجعل المنتصر ، كلّما دخلت وخرجت من عنده ، يذكرها ويهيج أشواقي إليها ، ويعيّرني بقلّة الصّبر عنها . وكان قد أمر ابن الخطيب أن يكتب إلى مصر في شراها وحملها إليه من حيث لا أعلم ولا أدري .

فلمّا سارت إليه ، وعرضت عليه أمرها ، فغنّت وعذرني ، فأمر قيّمة جواريه فأصلحت من شأنها . فلمّا ذهب عنها ألم السّفر استجلسني يوماً وهو على فراشه . فلمّا غنّى جواريه كانت آخرهن . فلمّا سمعتها عرفتها وكرهت أن أعلمه حتّى ظهر عليّ ما كتمت ، وغلب عليّ الصّبر ، فقال لي : ما لك يا سعيد؟ قلت : خيراً أيّها الأمير! .

قال ، فاقترح عليها صوتاً كنت أعلمته أنّي سمعته منها فاستحسنه من غنائها ، فغنّته ، فقال : هل تعرف هذا الصّوت؟ قلت : أي والله أيّها الأمير ، فما تكون المعرفة وقد كنت أطمع في صاحبته! فأمّا الآن فقد يئست منها وكنت كقاتل نفسه بيده ، وجالب حتفه إلى حياته . قال : والله يا سعيد ما اشتريتها إلاّ لك ، وما يعلم الله إنّي رأيت لها وجهاً إلاّ السّاعة التي أدخلت عليّ ، وأنا تركتها حتّى استراحت من تعب السّير ، وهي لك . . فأكببت على رجليه ، ودعوت له بما أمكنني من الدّعاء ؛ وشكره عنّي من حضر من الجلساء ، وأمر بها فحملت إلى منزلي . فما أحدٌ أحظى عندي منها ، ولا لي ولدٌ أحبّ من ولدها .

بات أعرابيٌّ ضيفاً لبعض الحضر فرأى امرأته ، فهمّ أن يأتي إليها في الليل فمنعه الكلب ؛ ثمّ أراد ذلك مرّةً أخرى ، فمنعه ضوء القمر ؛ ثمّ أرادت ذلك في السّحر ، فإذا عجوزٌ قائمةٌ تصلّي . فلمّا رأى ذلك قال :

لم يخلق الله شيئاً كنت أبغضه ... غير العجوز وغير الكلب والقمر

هذا يبوح ، وهذا يستضاء به ، ... وهذه سبحةٌ قوّامة السّحر

دريد بن الصّمة : إيّاكم وفضيحة النّساء فإنّها عقوبة غدٍ ، وعار أبدٍ ، يكاد صاحبها يعاقب في حرمه بمثلها ، ولا يزال لازماً ما عاش له عارها .

راودته فامتنع فسمّته

وحكى بعضهم قال : وفد عبد المطّلب بن هاشم على بعض ملوك حمير فألطف منزلته وأكرمه . وكان تامّاً جميلاً ، فقال له الملك : يا أبا الحارث ، أحبّ أن ينادمني ابنك . فأذن له أبوه في ذلك . وكان الحميري أجمل ملوك حمير ، وكانت زوجته أجمل منه . فكان إذا شرب مع الحارث خرجت زوجته فجلست معهما تسقيهما ، فعشق الحارث زوجة الملك ، فكلفت به ، فراسلته ، فأعلمها أنّه محصن عن الزّنا ولا يخون نديمه . فألحّت عليه فكتب إليها :

لا تطعمي فيما رأيت فإنّني عف منادمتي عفيف المئزر
أسعى لأدرك مجد قوم سادة غمروا فطفن البيت عند المشعر
فافني خيالاً واعلمي أنّي امرءٌ أربى بنفسي أن يعيّر معشري

ثمّ إنّه أخبر أباه ، فصوّب رأيه وقال له : يا بني إنّ لنساء الملوك طفاحاً . فلمّا رأته قد عزفت نفسه عنها قالت : والله لا أدعه تتمتّع به امرأة أبداً . فدسّت إليه شربةً فشربها وارتحل مع أبيه ، فلمّا قدم مكّة مات فجزع عليه عبد المطّلب جزعاً شديداً وقال يرثيه :

سقى الإله صدى واريته بيدي ببطن مكّة تعفوه الأعاصير
يا حارث الخير قد أورثتني شجناً فما لقلبي عن ذكراك تغيير
فلست أنساك ما هبت شآميّة وما بدا علمٌ في الآل معمور

راودته فامتنع فسمّه والدها

ولّما قتلت بنو أسد بن خزيمة حجر بن الحارث أبا أمرئ القيس دار في أحياء العرب فلم ير منهم ما يحب ، فمضى حتّى قدم على هرقل ملك الرّوم ، فأقام عنده شهراً فأكرمه ونادمه ، وأعجبه كماله وعقله . ثمّ بعث معه ستّمائةً من أبناء الملوك ومن تبعهم . ونظرت إليه ابنة الملك فعشقته وأرسلت إليه أن يلقاها قبل خروجه ، فجعل يعتذر لها ويعلّلها ولا يرضى أن يخون أباها فيها مع ما فعله معه . وخرج منصرفاً إلى بلده فقالت بنت هرقل لأبيها : ما صنعت بنفسك وجهت أبناء ملوك الرّوم مع ابن ملك العرب؟ لو قد استمكن ممّا أراد غزاك ونزع ملكك . فوجّه إليه الملك بحلّة منسوجة بالذّهب مسمومةٌ فلمّا لبسها تنفط جلده ، وتساقط لحمه ، فنظر إلى جبلٍ فسأل عنهُ ، فقيل له : اسمه عسيب . فقال :

أجارتنا إنّ المـزار قريـــب وإنّـي مقيمٌ ما أقام عسيب
أجارتنا إنّا غريــبان ههنــا وكلّ غريب للغريب نسيب

وقيل إنّه قال هذا لأنّه رأى قبراً عند هذا الجبل فسألٍ عنه فأخبر أنّه قبر امرأةٍ من بنات ملوك الرّوم . فمات هناك .

أفضل الثّلاثة: العفيف الجواد

وممّا فضل به بسطام بن قيس على عامر بن طفيل وعتبة بن الحارث بن شهاب . أنّ بسطاماً كان فارساً عفيفاً جواداً ؛ وكان عتبة فارساً عفيفاً بخيلاً ؛ وكان عامر فارساً جواداً عاهراً . فاجتمعت في بسطام ثلاث خصالٍ شريفةٍ فبذلك فضلهما بسطام .

ساد بعفافه

قال الشّعبي تنافر عامر بن الطّفيل بن ملك بن جعفر وعلقمة بن علاثة بن الأحوص إلى هرم بن قطبة بن سنان الذّبياني حكيم العرب فقال لعلقمة : بأيّ شيءٍ أنت أسود من عامر؟ قال : أنا بصيرٌ ، وهو أعورٌ ، وأنا أبو عشرة وهو عقيمٌ ، وأنا عفيفٌ وهو عاهرٌ .

العوام أكثر النّاس عذراً

وإنّما أطلقت العرب حديث الرّجال إلى النّساء لّما كانوا يرون من النّقص في الرّيب ، ويأخذون أنفسهم بحفظ الجيران ، وما يعرف بعضهم من بعض من استعمال الوفاء ، والتّحرّز من العار . لأنّ الرّجل منهم كان يصون حرمة جاره وصاحبه كصيانة الابنة والأخت والزّوجة من حرمه . لا يرى أحدٌ منهم لنفسه رخصةً في إضاعة ذلك ، وإنّما يتحمّل الغدر ، ويرخص نفسه فيه ، من باين البوادي ، وخالط الحضر ، لأنّه رأى أجناس العبيد ، وأخلاط العوام ، وقد نشأوا على عادة فجروا عليها ولن يستوي من كرم طبعه وصحّت بنيته وترك الفواحش وجانبها تنزّهاً عنها ولأنّها محظورةٌ عليه وغير مباحة له . وأحبّ شيء إلى الإنسان ما منع عنه . فترك الأوّل طبعٌ ، وترك هذا تكلّفٌ . وأمّا العوام وأخلاط النّاس فلا يكادون يتورّعون عن محرّمٍ ، ولا يستحيون من عارٍ ، وهم أكثر العالم غدراً .

أحبلها بنظراته

ونظر أشعث إلى ابنه يوماً وهو يديم النّظر إلى امرأته فقال له يا بني أظنّ نظرك إليها قد أحبلها . أخذ هذا بعض الشّعراء فقال :

ولـــي نظـــرةٌ لـــو كـــان يحبـل ناظرٍ   بنظرتـــه أنثـــى لقـد حبلت منّي

رشقوها بأبصارهم فعنّفتهم

مرّت امرأةٌ بقوم من بني نمير فرشقوها بأبصارهم وأداموا النّظر إليها ، فقالت : قبّحكم الله يا بني نمًير ، فوالله ما أخذتم بقول الله تبارك وتعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ ولا بقول الشّاعر :

فغـــضّ الطّـــرف إنّـــك مـــن نميـــرٍ   فـــلا كعبـــاً بلغـــت ولا كلابـــا

فخجل القوم ممّا قالت وأطرقوا .

حلقت شعرها لأنّ خصيا رآه

وكان عند بعض القرشيين امرأةٌ عربيّةٌ فدخل عليها خصي لزوجها وهي واضعةٌ خمارها تمشّط شعرها ، فحلقت شعرها ، وقالت : لا يصحبني شعرٌ نظر إليه غير ذي محرّمٍ منّي .

الزّنا ليس فقط بإجهاد النّفس

وقال رجلٌ لأعرابي : ما الزّنا عندكم؟ قال : النّظرة ، والقبلة . قيل له : ليس هذا الزّنا عندنا! قال : وما هو؟ قال : أن يجلس بين شعبها الأربع ثمّ يجهد نفسه . قال : بأبي أنت ، ليس هذا زانياً هذا طالب ولد! .

ليلة الدّير وما ليلة الدّير؟

قيل لأبي الطّمحان القبني : أخبرنا عن أقبح ذنوبك؟ قال : ليلة الدّير . قيل : وما ليلة الدّير؟ قال : نزلت على نصرانيّةٍ فأكلت طفشلاً بلحم خنزير ، وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها ، ومضيت .

لو تمرّست بي ما استعصمت

وقال الجاحظ : قرأ قارئ : قالت فذلكنّ الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم . فقال إبراهيم بن عزوان : لا والله ما سمعت بأعدل من هذه الفاسقة ، أمّا والله لو تمرّست بي ما استعصمت .

بغت ثلاث مرّاتٍ

وحكى خريدة بن أسماء ، قال : حججنا ، ونحن في رفقةٍ ، إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأةٌ نامت ثمّ انتبهت وحيّةٌ على عنقها لا تضرّها بشيءٍ ، فلم يجترئ أحدٌ منّا أن ينحيها عنها ، فلم تزل كذلك حتّى أبصرت الحرم فانسابت ومضت عنها ، فحمدنا الله ودخلنا مكّة فقضينا نسكنا ، ورأى الغريض المغنّي المرأة وقد سمع الحديث وما تحاكاه النّاس عنها فقال لها : يا شقيّة ما فعلت حيّتك؟ قالت : في النّار . قال : ستعلمين في النّار . قال فضحكت المرأة ولم تفهم ما أراد وارتحلنا منصرفين حتّى إذا كنّا بالموضع الذي حين نزلناه جاءت الحيّة حيث انسابت وتطوّقت عليها ، فلمّا تألّمت المرأة عرفتها ، ثمّ صفّرت الحيّة ، فإذا الوادي يسل علينا من جنباته حيّات ، فنهشتها حتّى بقيت عظاماً ونحن نرى ذلك . ثمّ انصرفنا جميعاً فقلنا للجارية الّتي معها : ويحك خبّرينا بخبر هذه المرأة ، فقد والله رأينا منها عجباً؟ قالت : نعم بغت ثلاث مرّات ، تلد في كلّ مرّةٍ غلاماً ، فإذا وضعته حمت تنّوراً ورمته فيه وتكتم خبره . قال : فقلت سبحان الله ما أعجب هذا . وذكرت قول الغريض لها ستعلمين من في النّار ، فزادنا ذلك تعجّباً منها .

على غير ذنبٍ جناه

قال أحمد بن يحيى : كان مرثد ، عمّ عمرو بن قميئة الشّاعر ، عنده امرأةٌ جميلةٌ ، وكان قد كبر ، وكان يجمع بني أخيه وبني عمّه في منزله للغداء كلّ يوم . وكان عمرو بن قميئة شابّاً جميلاً ، وكانت أصبع رجله الوسطى والتي تليها مفترقتين . فخرج مرثد يرمي بالقداح ، فأرسلت امرأته إلى عمرو بن قميئة : ابن عمّك يدعوك . فجاءت به من دير البيوت ، فلمّا دخل عليها لم يجد عمّه فأنكر أمرها ، فراودته عن نفسها ، فقال لها : لقد جئت بأمرٍ عظيم ، وما كان مثلي يدعى لمثل هذا! قالت : لتفعلنّ ما أقول لك أو لأسوأتك . قال : إلى المساءة دعوتني! ثمّ أنّه

قام فخرج . وأمرت بجفنة فكبّت على إثر رجله فلمّا رجع مرثد وجدها متغضّبةً فقال لها : ما لك؟ قالت : إنّ رجلاً من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي ويريد فراشك منذ خرجت . قال : ومن هو؟ قالت : أمّا أنا فلا أسمّيه ، ولكن قم فاقتف أثره تحت الجفنة . فلمّا رأى الأثر عرفه فأعرض عنه وجفاه ، ولم يزده على ذلك ، وكان أعجب الخلق إليه . وعرف ابن قميئة ذلك وكره أن يخبره فقال :

لعمرك ما نفسي بجدٍّ رشيدة تؤامرني شرّاً لأصرم مرثدا
عظيمٌ رماه القدر لا متعبّسٌ ولا مؤيس منها إذا هو أخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمّةً وأفرغ في لومي مراراً وأصعدا
على غير ذنب أن أكون جنّيّته سوى قول باغ جاهد فتهجّدا

وبلغت الأبيات مرثداً فكشف عن الأمر حتّى تبين له ، فطلّق امرأته وعاد على ما كان عليه لابن أخيه .

الله يعلم شأن ذاك الجار

وذكر هشام بن محمّد الكلبي ، عن الحصين بن لبيد قال : كان الحطيئة نازلاً في بني المسند من بني ضبّة فرأى لبنة بنت قرطة أخت العلاء ، وكانت فاسدةً ، فأعجبته فكلّمها فأجابته ، فوقع عليها ، فحملت منه . ثمّ ارتحل الحطيئة ، فلمّا بان حملها ، زوّجها العلاء بن غالب بن صعصعة فولدت الفرزدق على فراشه فنسب إليه . ففي ذلك يقول جرير بن الخطفي .

كان الحطيئة جار أمّك مرّةً والله يعلم شأن ذاك الجار
لا تفخرنّ بغالبٍ ومحمّدٍ وافخر بعبس يوم كلّ فخار

اختبره ونفاه

قال : وقدم الفرزدق على عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير المدينة ، فأكرمه وأحسن ضيافته . فبلغه أنّه زانٍ أن يختبر ذلك ، فقال لجارية له : انطلقي إلى الفرزدق ، وعمر في حجرة له ينظر ما يصنع الفرزدق ، فأتته الجّارية بالغسل والدّهن ، وذهبت لتغسل رأسه ، فوثب عليها فركضته وقالت : لعنك الله من شيخ . ثمّ خرجت فأتت عمر فأخبرته فنفاه من المدينة . وقال جرير :

نفاك الأعزّ بن عبد العزيز وحقّك تنفى من المسجد

فقال الفرزدق :

فأوعنـــي وأجلّنـــي ثلاثـــاً　　كمـــا وعدت بمهلكها ثمود

ودخا الفرزدق يوماً على سليمان بن عبد الملك ، وهو خليفةٌ ، فقال : أنشدني يا أبا فراس! فأنشده قصيدته حتّى بلغ إلى قوله :

خرجن إليّ لم يطمثن قبلي　　فملن أصحّ من بيض النعام

فبتن بجانبـــي مصرعـــاتٍ　　وبت أفض أغلاق الختـــام

قال ما لم يفعل

فقال له سليمان : ما أظنّك يا أبا فراس إلاّ قد أحللت نفسك ، أقررت عندي بالزّنا ، وأنا إمامٌ ، ولا بدّ من إقامة الحدّ عليك . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أحللت نفسي إن كنت تأخذ بقول الله وتعمل به . قال سليمان : فبقول الله نأخذ عليك الحد . قال الفرزدق : فإنّ الله يقول : ﴿والشّعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون ، وإنّهم يقولون ما لا يفعلون﴾ . وأنا ، يا أمير المؤمنين ، قلت ما لم أفعل . فتبسّم سليمان ، وقال : تلافيتها يا أبا فراس ، ودرأت الحدّ عن نفسك . وخلع عليه ، وأمر له بجائزة .

زوجة الرّشيد ومخارق

قال إسحاق بن إبراهيم : كان مخارق يهوى البهار جارية أمّ جعفر وشغف بها حتّى أفضى غايته في حبّها . فبينما هو منصرفٌ ذات ليلةٍ من دار المأمون في دجلة ، وقد عمل الشّراب فيه ، وأمّ جعفر جالسة في دارها على دجلة إذ رفع عقيرته يغنّي شعر عبّاس بن الأحنف :

إن يمنعونـــي ممـــرّي قرب داركـــــم ،　　فســـوف أنظـر من بعدٍ إلى الدّار .

ما ضرّ جيرانكم ، واللـــه يكلؤهـــم ،　　لولا شقائـــي إقبالـــي وإدبـــاري

لا يقدرون على منعي ، وإن جهـــدوا　　إذا مررت ، وتسليمي بإجهـــاري .

فسمعت أمّ جعفر صوته فأمرت خدّامها فصاحوا بملاحة فقدم وصعد إليها ، فدعت له بكرسيٍّ وصينيّةٍ فيها نبيذٌ فشرب ، وخلعت عليه وقالت لجواريها : أضربن معه . فكان أوّل ما تغنّى به :

أغيـــب عنـــك بـــودٍّ لا يغيـــــره　　نأي المحـــلّ ولا صـــرفٌ من الزّمن

فإن أعـــش فلعـــلّ الدّهـــر يجمعنـا　　وإن أمت فبطول الشّـــوق والحـــزن

قد حسّن في عينـــيّ مــا صنعــت حتّــى أرى حسناً ما ليس بالحسن
قال ، فاندفعت البهار تباريه في الصّوت وتغنّي :
تعتـــلّ بالشّغـــل عنّــا لا تكلّمنـــا والشّغل للقلب ليس الشّغل للبـدن
فضحكت أمّ جعفر ، وقالت ، ما رأيت ولا سمعت قط بأحسن من هذا . ووهبت له الجّارية فأخذها وانصرف

أخذ الجّارية والعتيدة والدّنانير

قال إبراهيم بن الخطيب : حدّثني مخارق قال : كنت عند الرّشيد فلمّا أراد الانصراف قال لي : يا مخارق بكّر عليّ . فقلت : نعم يا أمير المؤمنين . فلمّا أصبحت بكّرت أريد ما ذكره ، فإذا جارية راكبة وهي أحسن النّاس عينين في النّقاب ، فنظرت إليها ، ونظرت إليّ ، فلم أملك نفسي وتعشّقتها وتبعتها حتّى دخلت منزل المعبدي الهاشمي ، فقلت لغلماني : إذا كان المغرب فصيروا إليّ ، فإذا كنت في الدّنيا خرجت إليكم ، وإذا كنت متّ فقد قضيت وطراً . قال : واقتحمت ودخلت الدّار ، فإذا جماعةٌ مجتمعون وقد أحضروا طعاماً فأكلت معهم ، وأحضر الشّراب ، وغنّت الجّارية فإذا هي أحذق النّاس وأطيبهم ، فغنّيت ، فقال المعبدي : ما أحسنه وأبهاه ، فمن هو؟ فقال له القوم : ما نعرفه . فقال : ما أظرف هذا يدخل منزلي بغير أمري أبغوا إليّ صاحب الشّرطة . وكلّ ذلك بمسمعي ، قالت الجّارية : يا مولاي لا تفعل ، لعلّ له عذراً . فبحياتي هب لي جرمه فقد رحمته ، وأحسب أنّ هذه صناعته . قال : فطابت نفسي فلمّا خرجت قال لي : يا فتى تغنّي؟ فقلت : نعم . فغنّيت ، فطرب القوم وقال المعبدي : إن كان في الدّنيا مخارق فأنت هو! قلت : نعم أنا مخارق وحدّثته حديثي والسّبب في دخول منزله ، فسرّ وفرح ودعا بدواةٍ وقرطاسٍ وأقبل يكتب ويعود إليه الجواب ، ثمّ وزن مالاً ووجّه به .

فلمّا كان بالعشيّ قال : يا غلام هات تلك العتيدة . فأحضر عتيدةً مملوءةً طيباً ، وقال : هات ذلك التّخت . فأحضره إيّاه ، فقال : أتدري ما نحن فيه : قلت : لا . قال : قد اشتريت لك الجّارية بأربعين ألف دينار ، وهذه عتيدةٌ فيها طيب ، وتخت ثياب . فأخذت بيدها وانصرفت بها عروساً ، فلمّا أصبحت بكّرت على الرّشيد فقال لي : يا ابن الفاعلة أين كنت؟ فحدّثته الحديث فسرّ به ، وقال : ما توهّمت أنّ في أهلي مثل هذا . وأمر من ساعته أن يحمل إليه أربعون ألف دينار .

أخذ الجاّرية لشعره وأدبه

وكان ليوسف بن القاسم ، وهو أبو أحمد بن يوسف ، وزير المأمون ، غلامٌ أسودٌ متأدّبٌ نشأ في الأعراب فهوى جاريةً لرجلٍ قرشيٍّ ، فشكاه القرشيّ لمولاه ، فضربه وحبسه ، وحلف أن لا يطلقه إلاّ بعد شفاعةٍ من شكاه ، فقيل له : ويحك أتحبّك كما تحبّها؟ فقال :

كلانا سواءٌ في الهوى غير أنّها تجلد أحياناً وما بي من تجلّد

تخاف وعيد الكاشحين وإنّما جنوني عليها حين أنهي وأوعد

فبلغ مولاه شعره فقال : وإنّ فيه لهذا الفضل! فركب من وقته إلى القرشيّ فقال له : أسألك أن تبيعني هذه الجاّرية بأيّ ثمنٍ شئت . فقال : ما أفعل حتّى أعرف السّبب في ذلك . فعرّفه الخبر وأنشده البيتين ، فقال : أشهدك إنّي قد وهبت له الجاّرية ، وأنا أعطي الله عهداً أن أخذت لها ثمناً أبداً ، لشفاعتك وأدب الغلام . ووجّه الجاّرية معه فدفعها إلى الغلام .

المتوكّل[1] يعيش همّ المحبّين

قالوا كان المتوكّل جالساً يوماً في القصر الذي يقال له المختار إذ مرّ خادمٌ أسودٌ لفتيحة مبادراً يريد الدّخول إلى دار النّساء ، فسقط منه كتابٌ مختومٌ ، فأمر من جاءه بالكتاب وفتحه فإذا فيه مكتوبٌ :

أكثري المحو في الكتاب ومحّه بريق اللسان لا بالبنان

وأمرّي الختام فوق ثنايا ك العذاب المفلجات الحسان

إنّني كلّما مررت بحرفٍ فيه محوٌ لطعته بلساني

فأراها تقبيلةً من بعيدٍ أهديت لي وما برحت مكاني

فقال : يا فتح ما ترى؟ قلد اجترأ ليّ من كتب هذا الشّعر! عليّ بالخادم . فأتي به ، وقد علم الخادم إنّ الكتاب سقط منه فطار عقله خوفاً ورعباً ، فقال له : من دفع هذا الكتاب إليك وأنت آمن؟ فإن صدقت نجوت ، وإن لم تصدق ضربت عنقك . قال : يا مولاي إنّ لمولاتي فتيحة وكيلاً يتصرّف في أمرها من أبناء البرامكة وهو يحبّ

(١) أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور عاش وفترة الخلافة خلفاً لأخية الواثق بالله وخلفه إبنه المُنتصر بالله . أُمّه أم ولد تركية اسمها «شجاع» .

جاريتها نسيم الكاتبة ، وأنا أسعى بينهما بالكتب التي يتكاتبان بها . فقال له : امض بلا خوف عليك . ثمّ قام المتوكّل فدخل على فتيحة وقال لها خذي في أمر جاريتك نسيم الكاتبة فإنّي قد زوّجتها من فلان وكيلا وأنقدت عنه عشرة آلاف درهم . وأمر بإحضار الوكيل فقال له : هل لك في نسيم؟ فذهب عقله ، وطار قلبه ، وخاف خوفاً شديداً ، فقال له : تكلّم وأنت آمن ، فقد زوّجتك بها ، ومهرتها عشرة آلاف درهم وأمرت لا بعشرة آلاف تولم بها . وسأل فتيحة تعجيل زفافها إليه ففعلت .

خدعها القوّاد

وحكى الهيثم بن عدي ، عن ابن عبّاس ، قال : كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية تحت عبد الملك بن مروان ، وكان يجد بها ويحبّها حبّاً شديداً ، فغضبت عليه ، فطلب رضاها بكلّ أمر ، فأبت حتّى أضرّ به ذلك وشكا إلى خاصّته . فقال له عمر بن الأسدي : ما لي إن أرضيتها؟ قال له : حكمك . قال ، فخرج فأتاها وجلس بين يديها يبكي . فقال له حاضنتها : ما لك يا أبا حفص؟ قال : لقد جئت إلى بنت عمّي في أمرٍ مهمٍّ عظيم ، فاستأذني لعلّها تقضي حاجتي . فقالت : ما بالك؟ فقال لها : قد عرفت حالي معً أمير المؤمنين عبد الملك ، ولم يكن لي غير ابنين ، فتعدّى أحدهما على الآخر فقتله . فقلت : أنا وليّ الدّم وقد عفوت . فقال أمير المؤمنين : ما أحبّ أن أعوّد رعيّتي هذا . وهو قتله بالغداة فنشدتك الله ألا كلّمته فيه ، وسألته في إبقائه لي ، فإنّك تجمعين في ذلك إحياءه وإحياء نفسي . فإنّه إن قتله قتلت نفسي . فقالت : ما أكلّمه . فقال لها : ما أظنّك تكسبين شيئاً أحبّ من إحياء نفسين . . . وبكى بكاءً شديداً : فلم يزل بها صواحبها وخدمها وحاشيتها حتّى قالت : عليّ بثيابي . فلبست ، وكان بينها وبينه بابٌ قد ردمته . فأمرت بفتحه ثمّ دخلت . فأقبل أحد الغلمان فقال : يا أمير المؤمنين هذه عاتكة . قال : ويلك رأيتها؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . وإذا هي قد أقبلت وعبد الملك على سريره . فسلّمت ، فسكت ، فقالت : أمّا والله لولا مكان عمر ابن بلال ما فعلت ، ولا أتيتك والله . إن عدا أحد بنيه على الآخر فقتله ، وهو الوليّ وقد عفا عنه ، لتقتله؟ قال : أي والله ، وهو راغمٌ . قالت : أنشدك الله ألا تفعل . فدنت فأخذت بيده ، فأعرض عنها ، فأخذت أرجله فقبّلتها ، فأكبّ عليها وضمّها إلى نفسه ورفعها إلى سريره ، وقال : قد عفوت عنه . فتراضيا .

وراح عبد الملك فجلس مجلس الخاصّة ، فدخل عمر بن بلال ، فقال : يا أبا

حفص ألطفت الحيلة في القيادة فلك حكمك! فقال : يا أمير المؤمنين ، ألف دينار ومزرعة بما فيها من الرّقيق والآلة . قال : هي لك . قال : ومرابض لولدي وأهل بيتي . قال : وذلك كلّه لك . . . وبلغ عاتكة الخبر فقالت : ويلي على القوّاد خدعني

حسب الاتّفاق بعد حين

ويروى أنّ معاوية بن أبي سفيان(١) ، رحمه الله ، رأى ، كاتباً له يكلّم جاريةً لامرأته فاختة بنت قريظة ، في بعض طرق داره ، فقال له : أتحبّها؟

قال : أي والله ، يا أمير المؤمنين .

قال : أخطبها من فاختة . فخطبها . وكلّم معاوية فاختة فأجابته ، فزوّجها منه ، فدخل معاوية وبين يديه عتيدة من العطر لعرس جاريتها ، فقال : هوّني عليك يا بنت قريظة ، إنّي أحسب الاتّفاق كان بعد حين .

يغلبن الكرام ويغلبهنّ اللئام

قال عمر بن شبّة : كان الأحنف بن قيس(٢) يوماً جالساً مع معاوية ، إذ مرّت بهما وصيفة فدخلت بيتاً من البيوت ، فقال معاوية : يا أبا بحر ، أنا والله أحبّ هذه الجّارية وقد أمكنتني منها لولا الحياء من مكانك . فقال الأحنف : فأنا أقوم . بل تجلس لئلّا تستريب بنا فاطمة . فقال الأحنف : شأنك . فقام معاوية إليها . فبينا هو يماجنها إذ خرجت بنت قريظة فقالت للأحنف : يا قوّاد ، أين الفاسق . فأومأ الأحنف إلى البيت الذي هو فيه ، فأخرجته ولحيته في يدها ، فقال لها الأحنف : أرفقي بأسيرك ، رحمك الله . فقالت : يا قوّاد ، وتتكلّم أيضاً؟ فقال معاوية : يغلبن الكرام ويغلبهنّ اللئام .

---

(١) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، من أصحاب الرسول محمد وأحد كتّاب الوحي . سادس الخلفاء في الإسلام ومؤسس الدولة الأموية في الشام وأوّل خلفائها .

(٢) هو التابعي الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي اسمه ضحاك وقيل صخر وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل ، قال سليمان بن أبي شيخ كان أحنف الرجلين جميعا ولم يكن له إلا بيضة واحدة واسمه صخر بن قيس أحد بني سعد وأمه حبيّ بنت قرط من قبيلة باهلة وأخوها الأخطل بن قرط من الشجعان وهو من قال فيه الأحنف يوم الجفرة من له خال مثل خالي ، وكانت أمه ترقصه وتقول : والله لولا حنف برجله ، وقلة أخافها من نسله ، ما كان في فتيانكم من مثله .

محاكمة

كانت منازل قبيلة طسم في موضع اليمامة وكان يملكهم عمليق وكانت معهم قبيلة جديس ولكن عمليقاً في أول مملكته قد تمادى في الظلم والغشم . وكانت امرأة من جديس ، يقال لها هزيلة ولها زوج يقال له ماشق فطلقها وأراد أخذ ولدها منها

فخاصمته إلى عمليق فقالت : يا أيها الملك إني حملته تسعاً

ووضعته دفعاً وأرضعته شفعاً حتى إذا تمت أوصاله ودنا

فصاله أراد أن يأخذه مني كرهاً ويتركني من بعده ورهاً .

فقال لزوجها : ما حجتك؟

قال : حجتي أيها الملك أني قد أعطيتها المهر كاملاً ، ولم أصب منها طائلاً ، إلا وليداً خاملاً فافعل ماكنت فاعلاً ،

فأمر بالغلام أن ينزع منهما جميعاً ويجعل في غلمانه . فقالت هزيلة :

أتينـــا أخـــا طســـم ليحكـم بيننـا   فأنفـــذ حكمـــاً فـي هزيلـة ظالما

لعمري لقـــد حكمـــت لا متورعـــا   ولا كنـــت فيـما يبرم الحكم عالما

ندمـــت ولـــم أنـــدم وأني لعثرتـــي   وأصـــبح بعلـي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها أمر ألا تزوج بكر من جديس وتهدى إلى زوجها حتى يراها هو قبل زوجها فلاقوا في ذلك بلاء وجهداً وذلاً فلم يزل يفعل هذا حتى زوجت الشموس فلما أرادوا حملها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق

ومعها القيان يتغنن :

أبـــدي بعمليـــق وقومـــي فاركبـــي   وبـــادري الصبـــح لأمـــر معجب

فســـوف تلقـــين الـــذي لم تطلبـــوا   مـــا لبكـــر عنـــده مـــن مهـرب

فدخلت عليه ثم خلى سبيلها فخرجت إلى قومها شاقة درعها

وهي في أقبح منظر وهي تقول :

لا أحـــــــــد أذل مـــــن جديـــــس   هكـــــــــذا يفعـــــــل بالعـــروس

يرضـــــــى بهـــذا يا لقومـــي حـــــرا   هـــدى وقـــد أعطـــى وسيق المهر

لأخـــــذه المـــوت كـــذا لنفســـه   خيـــر مـــن أن يفعـــل ذا بعرسة

وقالت تحرض أهلها :

أيحمـــل ما يؤتـــي إلـــى فتياتكـم   وأنتـــم رجـال فيكـم عـدد النمـل

وتصبح تمشي في الدماء عُفيرة عشية زُفت في النساء إلى بعل
ولو أننا كنا رجالاً وكنتم نساء لكنا لا نقر بذا الفعل
فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
وإلا فخلوا بطنها وتحملوا إلى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من تماد على أذى وللموت خيرٌ من مقام على الذلِ
وإن أنتم لم تغضبوًا بعد هذه فكونوا نساءً لا تعاب من الكحل
ودونكم طيب العروس فإنما خلقكم لأثواب العروس وللنّسل
فبعداً وسحقاً للذي ليس دافعاً ويختال يمشي بيننا مسئة القحلِ

فلما سمع اخوها الأسود وكان سيداً مطاعاً قال لقومه :

يا معشر جديس أن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم ، في داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم ولولا عجزنا وإدهاننا (الغش) ما كان له فضل علينا ولو امتنعنا لكان منه النصف فأطيعوني فيما آمركم به فإن عز الدهر وذهاب ذل العمر وأقبلوا رأيي .

وقد أحمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا : نطيعك ولكن القوم أكثر واحمى وأقوى .

قال : فإني أصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً فإذا جاءوا يرفلون في الحلل ثرنا إلى سيوفنا فأهمدناهم بها . قالوا نفعل وصنع طعاماً كثيراً وخرج به إلى ظهر بلدهم ودعا عمليقاً وسأله أن يتغذى عنده هو وأهل بيته فأجابه إلى ذلك وخرج إليه مه أهله يرفلون في الحلي والحلل حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم فشد الأسود على عمليق فقتله وكل رجل منهم على جليسه حتى أمتوهم فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السفلة فلم يدعوا منهم أحداً وقال الأسود :

ذوقي ببغيك يا طسم مجللة فقد أتيت لعمري أعجب العجبِ
إنا أتينا فلم ننفك نقتلهموا البغي هيج منا سورة الغضبِ
ولن يعود علينا بغيهم أبداً ولن يكونوا كذي أنف ولا ذنبِ
وإن رعيتم لنا قربى مؤكدة كنا الأقارب في الأرحام والنسبِ

مريم الصناع

اجتمع ناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة والتنمية للمال من أصحاب الجمع والمنع .

وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب وكان الذي يجمع على التناصر .

وكانوا إذا التقوا في حلقهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوة وتدارسوه .

فقال شيخ منهم : ماء بئرنا - كما قد علمتم - ملح أجاج لا يقربه الحمار ولا تسيغه الإبل وتموت عليه النخل .

والنهر منا بعيد .

وفي تكلف العذب علينا مؤنة .

فكنا نمزج منه للحمار فاعتل عنه وانتفض علينا من أجله .

فصرنا بعد ذلك نسقيه العذب صرفاً .

وكنت أنا والنعجة كثيراً ما نغتسل بالعذب مخافة أن يعتري جلودنا منه مثل ما اعترى جوف الحمار .

فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلاً .

ثم انفتح لي باب من الإصلاح فعمدت إلى ذلك المتوضأ فجعلت في ناحية منه حفرة وصهرجتها وملستها حتى صارت كأنها صخرة منقورة .

وصوبت إليها المسيل .

فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافياً لم يخالطه شيء .

والحمار أيضاً لا تقزز له منه .

وليس علينا حرج في سقيه منه .

وما علمنا أن كتاباً حرمه ولا سنة نهت عنه .

فربحنا هذه منذ أيام وأسقطنا مؤنة عن النفس والمال مال القوم .

وهذا بتوفيق الله ومنه .

فأقبل عليهم شيخ فقال : هل شعرتم بموت مريم الصناع فإنها كانت من ذوات الاقتصاد وصاحبة إصلاح .

قالوا : فحدثنا عنها .

قال : نوادرها كثيرة وحديثها طويل .

ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية .

قالوا : وما هي قال : زوجت ابنتها وهي بنت اثنتي عشرة فحلتها الذهب والفضة وكستها المروى والوشي والقز والخز وعلقت المعصفر ودقت الطيب وعظمت أمرها من قدرها عند الأحماء .

فقال لها زوجها : أنى هذا يا مريم قالت : هو من عند الله .

قال : دعي عنك الجملة وهاتي التفسير .

والله ما كنت ذات مال قديماً ولا ورثته حديثاً .

وما أنت بخائنة في نفسك ولا في مال بعلك .

إلا أن تكوني قد وقعت على كنز! وكيف دار الأمر فقد أسقطت عني مؤنة وكفيتني هذه النائبة .

قالت : اعلم أني منذ يوم ولدتها إلى أن زوجتها كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة .

وكنا – كما قد علمت – نخبز في كل يوم مرة .

فإذا اجتمع من ذلك مكوك بعته .

قال زوجها : ثبت الله رأيك وأرشدك! ولقد أسعد الله من كنت له سكناً وبارك لمن جعلت له إلفاً! ولهذا وشبهه قال رسول الله ﷺ : من الذود إلى الذود إبل .

وإني لأرجو أن يخرج ولدك على عرقك الصالح وعلى مذهبك المحمود .

فنهض القوم بأجمعهم إلى جنازتها وصلوا عليها

الشيخ راغب وزوجته

عد أن طلق الشيخ راغب زوجته نجية . . . .

قال لها :

اذهبي إلى بيت أهلك

فقالت :

لن أذهب إلى بيت أهلي ، ولن أخرج من هذا البيت إلا بحتف أنفي !!

فقال لها :

لقد طلقتك ، ولا حاجة لي بك ، أخرجي من بيتي .

فقالت :

لن أخرج ، ولا يجوز لك إخراجي من البيت حتى أخرج من العدة وعليك النفقة .

فقال :

هذه جرأة ووقاحة وقلة حياء .

قالت :

لست أكثر تأديبا من الله جل جلاله

وقرأت قول الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ .

فنفض عباءته بشدة ،

وأدبر غاضبا ، وهو يقول في تذمر : «والله بلشة»

أما هي ، فابتسمت وكأن شيئا لم يحدث ، وجمعت أمرها ، فكانت تتعمد في كل يوم :

تجمير البيت (تبخيره بالطيب)

وتأخذ زينتها عن آخرها وتتعطر ، وتجلس له في البيت ، في طريق خروجه ودخوله ، ، فلم يقاوم لأكثر من خمسة أيام ، ، وعاد إليها بإنشاء الفعل وليس باللفظ .

وفي ذات يوم :

تأخرت في إعداد الفطور ،

فقال لها معنفاً : هذا تقصير منك في حقي عليك ، وهو ليس من سلوك المرأة المؤمنة ، ،

فقالت له :

احمل أخاك المؤمن على سبعين محمل من الخير ، وحسن الظن من أفضل السجايا ، وأنه من راحة البال وسلامة الدين ، ومن حسُن ظنُّه بالناس حاز منهم المحبة

فقال لها : هذا كلام لا ينفع في تبرير التقصير ، أيرضيك أن أخرج بدون فطور ؟!

فقالت له : من صفات المؤمن الحق القناعة بما قسم الله عز وجل ولو كان قليلا .

قال الرسول الأعظم الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما أتاه

فقال : لن آكل أي شيء

فقالت : أنت لم تتعلم الدرس .

لم يلتفت الشيخ راغب إلى كلام زوجته ، وخرج غاضبا من بيته ، ولم يكلمها حتى بعد عودته إلى البيت . وفي الليل هجر فراشها ، فنام أسفل السرير ، واستمر على هذا الحال ، لعشر ليالي بأيامها . وكانت في النهار ، ،

تهيئ له طعامه وشرابه ، وتقوم على عادتها بجميع شؤونه ، وفي الليل : تخلع لباس الحياء ، فتتزين ، وتتعطر ، وتنام في فراشها ، إلا أنها لا تكلمه عن قصد وتدبير .وفي الليلة الحادية عشر ، ، نام في أول الأمر كعادته

أسفل السرير ، ثم صعد إلى سريره ،

فضحكت وقالت له :

لماذا جئت؟

فقال لها : لقد انقلبت !!

فقالت : ينقلبون من الأعلى إلى الأسفل ، ، وليس من الأسفل إلى الأعلى .

فقال وهو يبتسم : المغناطيس فوق السرير ، ، أقوى من جاذبية الأرض .

ثم قال في بهجة وسرور : لو أن كل النساء مثلك يا نجية ، لما طلق رجل زوجته .

النسوة اللاتي أشرن عَلَى بنت الملك بالتزوج ووصفن لها محاسن الزوج

وحَدَّثَ أَبُو بَكْرِ بن دريد ، رحمه الله ، قَالَ : أَخْبَرَنَا السكن بن سعيد ، عَنْ محمد بن عباد ، عَنِ ابن الكلبى ، عَنْ أبيه ، قَالَ : كان قيل من أقيال حمير منع الولد دهراً ، ثم ولدت له بنت فبنى لها قصرا منيفا بعيدا من الناس ، ووكل بها نساء من بنات الأقيال يخدمنها ، ويؤدبنها حتى بلغت مبلغ النساء ، فنشأت أحسن منشأ وأتمه فِي عقلها وكمالها ، فلما مات أبوها ملكها أهل مخلافها ، فاصطنعت النسوة اللواتي ربينها وأحسنت إليهن ، وكانت تشاورهن ولا تقطع أمرا دونهن ، فقلن لها يوماً : يا بنت الكرام ، لو تزوجت لتم لك الملك ، فقَالَت : وما الزوج؟ فقَالَت إحداهن : الزوج عز من الشدائد ، وفى الخطوب مساعد ، إن غضبت عطف ، وإن مرضت لطف ، قَالَت : نعم الشيء هذا! فقَالَت الثانية : الزوج شعاري حين أصرد ، ومتكئي حين أرقد ، وأنسى حين أفرد ، فقَالَت : إن هذا لمن كمال طيب العيش .

فقَالَت الثالثة : الزوج لما عناني كاف ، ولما شفني شاف ، يكيفني فقد الآلاف ، ريقه كالشهد ، وعناقه كالخلد ، لا يمل قرانه ، ولا يخاف حرانه ، فقَالَت : أمهلنني أنظر فيما قلتن ، فاحتجبت عنهن سبعا ثم دعتهن فقَالَت : قد نظرت فيما قلتن فوجدتني أملكه رقي ، وأبثه باطلي وحقي ، فإن كان محمود الخلائق ، مأمون البوائق ، فقد أدركت بغيتي ، وإن كان غير ذلك فقد طالت شقوتي ، عَلَى أنه لا ينبغي إلا أن يكون كفئاً كريما يسود عشيرته ، ويرب فصيلته ، لا أتقنع به عارا فِي حياتي ، ولا أرفع به شناراً لقومي بعد وفاتي فعليكنه فابغينه وترفقن فِي الأحياء ، فأيتكن أتتني بما أحب فلها أجزل الحباء ، وعلي لها الوفاء ، فخرجن فيما وجَّهتُهن له ، وكن بنات مقاول ذوات عقل ورأى ، فجاءتها إحداهن وهى عمرطة بنت زرعة بن ذى خنفر فقَالَت : قد أصبت البغية ، فقَالَت : صفية ولا تسميه .

فقَالَت : غيث فِي المحل ، ثمال فِي الأزل ، مفيد مبيد ، يصلح النائر ، وينعش العاثر ، ويغمر الندى ، ويقتاد الأبي ، عرضه وافر ، وحسبه باهر ، غض الشباب ، طاهر الأثواب .

قَالَت : ومن هو؟ قَالَت : سبرة بن عوال بن شداد بن الهمال .

ثم خلت بالثانية ، فقَالَت : أصبت من بغيتك شيئا؟ قَالَت : نعم ، قَالَت : صفيه ولا تسميه .

قَالَت : مصامص النسب ، كريم الحسب ، كامل الأدب ، غزيز العطايا ، مألوف السجايا ، مقتبل الشباب ، خصيب الجناب ، أمره ماض ، وعشيره راض قَالَت : ومن هو؟ قَالَت : يعلى بن هزال بن ذي جدن .

ثم خلت بالثالثة ، فقَالَت : ما عندكً؟

قَالَت : وجدته كثير الفوائد ، عظيم المرافد ، يعطى قبل السؤال ، وينيل قبل أن يستنال ، فِي العشيرة معظم ، وفي الندي مكرم ، جم الفواضل ، كثير النوافل ، بذال أموال محقق آمال ، كريم أعمام وأخوال ، قَالَت : ومن هو؟ رواحة بن خمير بن مضحى بن ذي هلاهلة ، فاختارت يعلى بن هزال فتزوجته ، فاحتجبت عَنْ نسائها شهرا ثم برزت لهن ، فأجزلت لهن الحباء ، وأعظمت لهن العطاء

ليلى الأخيلية(١)

أَخْبَرَ أحمد بن عبيد ، عَنْ أبى الحسن المدائني ، عمن حدثه ، عَنْ مولى لعنبسة بن سعيد بن العاصي ، قَالَ : كنت أدخل مع عنبسة بن سعيد بن العاصي إذا دخل عَلَى الحجاج ، فدخل يوما ، فدخلت إليهما ، وليس عند الحجاج أحد إلا عنبسة ، فأقعدني فجي الحجاج بطبق فيه رطب ، فأخذ الخادم منه شيئا فجاءني به ، ثم جيء بطبق آخر حتى كثرت الأطباق .

وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءني منه بشيء ، حتى ظننت أن ما بين يدي أكثر مما عندهما ، ثم جاء الحاجب فقَالَ : امرأة بالباب؟ فقَالَ له الحجاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى قعدت بين يديه ، فنظرت فإذا امرأة قد أسنت حسنة الخلق ومعها جاريتان لها ، وإذا هي ليلى الأخيلية ، فسألها الحجاج عَنْ نسبها فانتسبت لها ، فقَالَ له : يا ليلى : ما أتى بك؟ فقَالَت : إخلاف النجوم ، وقلة الغيوم ، وكلب البرد ، وشدة الجهد ، وكنت لنا بعد الله الرفد .

فقَالَ لها : صفى لنا الفجاج ، فقَالَت : الفجاج مغبرة ، والأرض مقشعرة ، والمبرك معتل ، وذو العيال مختل ، والهالك للقل ، والناس مسنتون ، رحمة الله يرجون ، وأصابتنا سنون مجحفة مبلطة ، لم تدع لنا هبعاً ، ولا ربعا ، ولا عافطة ولا نافطة ، أذهبت الأموال ، ومزقت الرجال ، وأهلكت العيال ، ثم قَالَت : إنى قلت فِي الأمير قولا ، قَالَ : هاتِ ، فأنشأت تقول :

أحجاج لاَ يفلل سلاحك إنها ... المنايا بكف الله حيث تراها
أحجاج لا تعطى العصاة مناهم ... ولا الله يعطي للعصاة مناها
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً ... تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة سقاها
سقاها فرواها بشرب سجاله ... دماء رجال حيث مال حشا
إذا سمع الحجاج رز كتيبةٍ ... أعد لها قبل النزول قراها

---

(١) ليلى الأخيلية ، هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب الأخيلية من بني عقيل من عامر بن صعصعة شاعرة عربية عرفت بجمالها وقوة شخصيتها وفصاحتها عاصرت صدر الإسلام والعصر الأموي عرفت بعشقها المتبادل مع توبة بن الحُمَير .

أعــد لهــا مسمومـــةً فارسيـــة بأيــدي رجــال يحلبــون صراها
فمــا ولــد الأبكــار والعــون مثلـه ببحــر ولا أرض يجــف ثراها

قَالَ : فلما قَالَت هذا البيت قَالَ الحجاج : قاتلها الله! واللّه ما أصاب صفتي شاعر مذ دخلت العراق غيرها ، ثم ألتفت إِلَى عنبسة بن سعيد فقَالَ : والله إني لأعد للأمر عسى ألا يكون أبداً ، ثم التفت إليها فقَالَ : حسبك ، قَالَت : إني قد قلت أكثر من هذا ، قَالَ : حسبك! ويحك حسبك! ثم قَالَ : يا غلام ، اذهب إِلَى فلان فقل له : اقطع لسانها ، فذهب بها فقَالَ له : يقول لك الأمير : اقطع لسانها ، قَالَ : فأمر بإحضار الحجام ، فالتفتت إليه فقَالَت : ثكلتك أمك! أما سمعت ما قَالَ ، إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة ، فبعث إليه يستثبته ، فاستشاط الحجاج غضبا وهم بقطع لسانه وقَالَ : اردها ، فلما دخلت عليه قَالَت : كاد وأمانة الله يقطع مقولي ، ثم أنشأت تقول :

حجــاج أنــت الــذي ما فوقه أحد إلا الخليفــة والمستغفــر الصمــد
حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت وأنت للنــاس نور فِي الدجى يقـد

ثم أقبل الحجاج عَلَى جلسائه فقَالَ : أتدرون من هذه؟ قالوا : لا والله أيها الأمير ، إلا أنا لم نر قط أفصح لسانا ، ولا أحسن محاورة ، ولا أملح وجها ، ولا أرصن شعراً منها! فقَالَ : هذه ليلى الأخيلية ، التي مات توبة الخفاجي من حبها! ثم التفت إليها فقَالَ : أنشدينا يا ليلى بعض ما قَالَ فيك توبة ، قَالَت : نعم أيها الأمير ، هو الذى يقول :

وهل تبكــين ليلــى إذا مــت قبلها وقــام عَلَــى قبري النساء النوائح
كمــا لو أصــاب الموت ليلى بكيتها وجــاد لهــا دمع من العين سافح
وأغبــط مــن ليلــى بمــا لا أنالــه بلــى كـل ما قرّت به العين طائح
ولــو أن ليلــى الأخيليــة سلمــت علــى ودونــي جنــدل وصفائح
لسلّمــت تسليــم البشاشــة أو زقاً إليها صدّى من جانب القبر صائحها

فقَالَ زيدينا من شعره يا ليلى ، قَالَت : هو الذي يقول :

حمامــة بطــن الواديـــين ترنمــي سقــاك مــن الغر الغوادي مطيرها
أبينــى لــنا لا زال ريشــك ناعمــاً ولا زلت فِي خضراء غض نضيرها
وكنــت إذا مــا زرت ليلــى تبرقعت فقد رابني منها الغــداة سفورهــا
وقــد رابنــي منهــا صــدود رأيتـه وإعراضهــا عَنْ حاجتي وبسورهــا

وأشـــرف بالقـــور اليفـــاع لعلـــــني أرى نار ليلى أو يرانـــي بصيرهـــا
يقـــول رجـــال لا يصيـــرك نأيهـــا بلـــى كل ما شف النفوس يضيرها
بلـــى قـــد يضـــير العـــين أن تكثـر البكا ويمنع منهـــا نومهـــا وسرورها
وقـــد زعمـــت ليلـــى بأنـــي فاجـر لنفســـي تقاهـــا أو عليها فجورهـا

فقَالَ الحجاج : يا ليلى ، ما الذي رابه من سفورك؟ فقَالَت : أيها الأمير ، كان يلم بي كثيراً ، فأرسل إِلَى يوما أن آتيك ، وفطن الحي فأرصدوا له ، فلما أتاني سفرت عَنْ وجهي ، فعلم أن ذلك لشر فلم يزد عَلَى التسليم والرجوع ، فقَالَ : لله درك! فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه؟ فقَالَت : لا والله الذي أسأله أن يصلحك ، غير أنه قَالَ مرة قولا ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأت تقول :

وذي حاجـــة قلنـــا لـــه لا تبـــح بها فليـــس إليهـــا ما حييـــت سبيل
لنا صاحـــب لا ينبغـــي أن نخونـــه وأنـــت لأخـــرى صاحب وحليل

فلا والله الذي أسأله أن يصلحك ، ما رأيت منه شيئا حتى فرق الموت بيني وبينه ، فقَالَ : ثم مه! قَالَت : ثم لم يلبث أن خرج فِي غزاة له فأوصى ابن عم له : إذا أتيت الحاضر من بنى عبادة فناد بأعلى صوتك :

عفا اللـــه عنهـــا هـــل أبيـــتن ليلةً مـــن الدهـــر لا يسرى إِلَى خيالها

وأنا أقول :

وعنـه عفـــا ربـــى وأحســـن حالـــه فعـــزت علينـــا حاجـــة لا ينالها

قَالَ : ثم مه! قَالَت : ثم لم يلبث أن مات فأتانا نعيه ، فقَالَ : أنشدينا بعض مراثيك فيه ، فأنشدت :

لتبك عليـــه مـــن خفاجـــة نســـوة بمـــاء شئـــون العبـــرة المتحـــــدر

قَالَ لها : فأنشدينا ، فأنشدته :

كأن فتى الفتيـــان توبـــة لـــم ينـــخ قلائص يفحصن الحصى بالكراكـر

فلما فرغت من القصيدة قَالَ محصن الفقعسي ، وكان من جلساء الحجاج : من الذي تقول هذه هذا فيه؟ فوالله إني لأظنها كاذبة ، فنظرت إليه ثم قَالَت : أيها الأمير ، إن هذا القائل لو رأى توبة لسره ألا تكون فِي داره عذراء إلا هى حامل منه ، فقَالَ الحجاج : هذا وأبيك الجواب وقد كنت عنه غنياً ، ثم قَالَ لها : سلى يا ليلى تعطى ، قَالَت : أعط فمثلك أعطى فأحسن ، قَالَ : لك عشرون ، قَالَت زد فمثلك زاد فأجمل ، قَالَ : لك أربعون ، قَالَت : زد فمثلك زاد فأكمل ، قَالَ : لك ثمانون ، قَالَت

زد فمثلك زاد فتمم ، قَالَ : لك مائة ، واعلمي أنها غنم ، فقَالَت : معاذ الله أيها الأمير! أنت أجود جودا ، وأمجد مجدا ، وأورى زندا ، من أن تجعلها غنما ، قَالَ : فما هي ويحك يا ليلى؟ قَالَت مائة من الإبل برعاتها ، فأمر لها بها ، ثم قَالَ : ألك حاجة بعدها؟ قَالَت : تدفع إليَّ النابغة الجعدي ، قَالَ : قد فعلت ، وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك ، فخرج هاربا عائذا بعبد الملك ، فاتبعته إِلَى الشام ، فهرب إِلَى قتيبة بن مسلم بخرسان ، فاتبعته عَلَى البريد بكتاب الحجاج إِلَى قتيبة ، فماتت بقومس ويقَال : بحلوان : قولها : إخلاف النجوم ، تريد : أخلفت النجوم التي يكون بها المطر فلم تأت بمطر .

مشاتمة بين رجل وزوجته

حَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ ، رحمه الله تعالى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عبد الرحمن ، عَنْ عمه ، قَالَ : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي تقول : والله إن شربك لاشتقاق ، وإن ضجعتك لانجعاف ، وإن شملتك لالتفاف ، وإنك لتشبع ليلة تضام ، وتنام ليلة تخاف ، فقَالَ لها : والله إنك لكرواء الساقين ، قعوا الفخذين ، مقاء الرفغين ، مفاضة الكشحين ، ضيفك جائع ، وشرك شائع

حَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا السكن بن سعيد ، عَنْ محمد بن عباد ، عَنْ هشام بن محمد ، عَنْ أبيٍ مخنف ، عَنْ أشياخ من علماء قضاعة قالوا : كان ثلاثة أبطن من قضاعة مجتورين بين الشحر وحضر موت : بنو ناعب ، وبنو داهنٍ ، وبنو رئام ، وكانت بنو رئام أقلهم عددا وأشجعهم لقاء ، وكانت لبنى رئام عجوز تسمى خويلة ، وكانت لها أمة من مولدات العرب تسمى زبراء ، وكان يدخل عَلَى خويلة أربعون رجلا كلهم لها محرم ، بنو إخوة وبنو أخوات ، وكانت خويلة عقيما ، وكان بنو ناعب وبنو داهن متظاهرين عَلَى بنى رئام ، فاجتمع بنو رئام ذات يوم فِي عرس لهم وهم سبعون رجلا كلهم شجاع بئيس ، فطعموا وأقبلوا عَلَى شرابهم ، وكانت زبراء كاهنة ، فقَالَت لخويلة : انطلقي بنا إِلَى قومك أنذرهم ، فأقبلت خويلة تتوكأ عَلَى زبراء ، فلما أبصرها القوم قاموا إجلالا لها ، فقَالَت : يا ثمر الأكباد ، وأنداد الأولاد وشجا الحساد ، هذه زبراء ، تخبركم عَنْ أنباء ، قبل انحسار الظلماء ، بالمؤيد الشنعاء ، فاسمعوا ما تقول .

قالوا : وما تقولين يا زبراء؟ قَالَت : واللوح الخافق ، والليل الغاسق ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق ، والمزن الوادق ، إن شجر الوادى ليأدو ختلا ، ويحرق أنيابا

عصلاً ، وإن صخر الطود لينذر ثكلا ، لا تجدون عنه معلا ، فوافقت قوما أشارى سكارى ، فقالوا : ريح خجوج ، بعيدة ما بين الفروج ، أتت زبراء بالأبلق النتوج .

فقَالَت زبراء : مهلاً يا بنى الأعزة ، والله إنى لأشم ذفر الرجال تحت الحديد ، فقَالَ لها فتى منهم يُقَال له هذيل بن منقذ : يا خذاق ، والله ما تشمين إلا دفر إبطيك ، فانصرفت عنهم وارتاب قوم من ذوي أسنانهم ، فانصرف منهم أربعون رجلا ثلاثون فرقدوا فِي مشربهم ، وطرقتهم بنو داهن وبنو ناعب فقتلوهم أجمعين وأقبلت خويلة مع وبقي الصباح فوقفت مصارعهم ، ثم عمدت إِلَى خناصرهم فقطعتها ، وانتظمت منها قلادةً وألقتها فِي عنقها ، وخرجت حتى لحقت بمرضاوي بن سعوة المهري ، وهو ابن اختها ، فأناخت بفنائه وأنشأت تقول :

يا خير معتمد وأمنع ملجإٍ ... وأعز منتقم وأدرك طالب
جاءتك وافدة الثكالى تغتلى ... بسوادها فوق الفضاء الناضب
عيرانة سرح اليدين شملة ... عبر الهواجر كالهزف الخاضب
هذى خناصر أسرتي مسرودةً ... فِي الجيد منى مثل سمط الكاعب
عشرون مقتبلا وشطر عديدهم ... صيابة ملقوم غير أشايب
طرقتهم أم اللهيم فأصبحوا ... تستن فوقهم ذيول حواصب
جزراً لعافية الخوامع بعدما ... كانوا العياث من الزمان اللاحب
قسمت رجال بنى أبيهم بينهم ... جرع الردى بمخارصٍ وقواضب
فأبرد غليل خويلة الثكلى التي ... رميت بأثقل من صخورٍ الصاقب
وتلاف قبل الفوت ثأري إنه ... علق بثوبي داهنٍ أو ناعب

فقَالَ حجر عَلَى مرضاوى الأعذبان والأحمران ، أو يقتل بعددٍ رئامٍ من داهنٍ وناعب ، ثم قَالَ :

أخالتنا سر النساء محرم ... على وتشهاد الندامى عَلَى الخمر
كذاك وأفلاذ الفئيد وما ارتمت ... به بين جاليها الوئية ملوذر
لئن لم أصبح داهنا ولفيفها ... وناعبها جهرا براغية البكر
فوارى بنان القوم فِي غامض الثرى وصورى إليك من قناع ومن ستر .
فإني زعيم أن أروي هامهم ... وأظمئ هاماً ما انسرى الليل بالفجر

ثم خرج فِي منسر من قومه ، فطرق ناعبا وداهنا فأوجع فيهم

لم يمنعها الحزن أن تحسن القرى

عَنِ الأصمعي ، قَالَ : نزلت عَلَى امرأة من بني عامر بن صعصعة وقد مات ابنٌ لها ، وهي من القلق عَلَى مثل الرضفة ، فقامت تعالج لي طعاماً ، فقلت لها : يا هذه إنك لفي شغل عَنْ هذا ، فقَالَت : والله لا تجوز بيتي إلا مقرياً ، ولكن أنشدني أبياتا أسلو بهن ، فإني أراك لوذعياً ، فأنشدتها أبيات نويرة بن حصين المازني يرثي ابنه :

أنـــي أرى الشامتــــــين تجلـــدي وإني كالطاوي الجناح عَلَى كـــسر
يـــرى واقعـــاً لـــم يدر ما تحت ريشه وإن نـــاء لم يسطع نهوضا إِلَى وكر
فـــلولا ســـرور الشامتـــين بكبوتي لما رقأت عينـــاي مـــن واكف يجري
على مـن كفانـــي والعشـــيرة كلهـــا نوائـــب ريب الدهر فِي عثرة الدهر
ومـــن كانـــت الجـــارات تأمـن ليله إذا خفـــن من باتت غوائله تسري
بصيـــر بمـــا فيـــه لهنّ حصانةٌ غبـيٌّ عَنِ المحجـــوب بالبـــاب والســـتر
يكـــفّ أذاه بعـــد مـا بـــذل عرفـــه ويحلـــم حلـــم لا يـذم ولا يزري
ويأخـــذ ممـــن رام بالهصـــر هيضـــه إذا مـــا أراد الأخـذ بالهصر والقسر
ولا ينظـــر الأيســـار عَـــنْ نال يسره ولا ينثني عَنْ فعل خير لدى العســـر
ولا يتـــأرّى للعواقـــب إن رأى لـــــه فرصـــةً يشفـــى بهـــا وحر الصدر
ولكنـــه ركّـــاب كـــل عظيمة يضيق بها صـــدر الحســـود عَلَـــى الأمر
ولســـت وإن خبّـــرت أن قـــد سليته بنـــاس أبـــا ســـوداء إلا عَلَى ذكر
شمائـــل منـــه طيبـــات يعدننـــــي وأخلاقٍ محمود لدى الزاد والقـــدر
فتـــى شعشـــع يـــروى السنان بكفه وجمع للمولى العطاء مـــع النصـــر

قَالَ : فكأني والله زبرت الأبيات فِي صدرها ، فما زالت تنشدها وتصلح طعامي حتى قرتني ورحت من عندها . .

المرأة التي سكنت البادية قريباً من قبور أهلها

حَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ بن دريد ، رحمه الله ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عبد الرحمن ، عَنْ عمه ، قَالَ : دُفعت يوماً فِي تلمسي بالبادية إِلَى واد خلاء لا أنيس به إلا بيتٌ معتنزٌ بفنائه أعنزٌ وقد ظمئت فيممته فسلمت ، فإذا عجوز قد برزت كأنها نعامةٌ راخم ، فقلت : هل من ماء؟ فقَالَت : أو لبن؟ فقلت : ما كانت بغيتي إلا الماء ، فإذا يسر الله اللبن فإني فقير ، فقامت إِلَى قعب فأفرغت فيه ماء ونظفت غسله ثم جاءت إِلَى الأعنز

فتغبّرتهن حتى احتلبت قراب ملء القعب ، ثم أفرغت عليه ماء حتى رغا وطفت ثُمالته كأنها غمامة بيضاء ، ثم ناولتني إياه فشربت حتى تحببت رياً ، واطمأننت فقلت : إني أراك معتنزة فِي هذا الوادي الموحش والحلة منك قريب ، فلو انضممت إِلَى جنابهم فأنست بهم! فَقَالَت : يا ابن اخي ، إني لآنس بالوحشة ، وأستريح إِلَى الوحدة ، ويطمئن قلبي إِلَى هذا الوادي الموحش ، فأتذكر من عهدت ، فكأني أخاطب أعيانهم ، وأتراءى أشباحهم ، وتتخيل لي أندية رجالهم ، وملاعب ولدانهم ، ومندى أمـوالهم ، والله يا ابن أخي ، لقـد رأيت هذا الوادي بشع اللديدين ، بأهل أدواح وقباب ، ونعم كالهضاب ، وخيل كالذئاب ، وفتيان كالرماح ، يبارون الرياح ، ويحمون الصباح ، فأحَال عليهم الجلاء قماً بغرفة ، فأصبحت الآثار دارسة ، والمحال طامسة ، وكذلك سيرة الدهر فيمن وثق به .

ثم قَالَت : ارم بعينك فِي هذا الملا المتباطن ، فنظرت ، فإذا قبورٌ نحو أربعين أو خمسين ، فقَالَت : ألا ترى تلك الأجداث؟ قلت : نعم! ما انطوت إلا عَلَى أخ أو عَلَى ابن أخ ، أو عم أو ابن عم ، فأصبحوا قد ألمأت عليهم الأرض ، وأنا أترقب ما غالهم ، انصرف راشداً رحمك الله

هند بنت عتبة(١)

قَالَتْ هِنْدُ لأَبِيهَا عُتْبَةَ بْن رَبِيعَةَ : إِنِّي امْرَأَةٌ قَدْ مَلَكْتُ أَمْرِي فَلا تُزَوِّجْنِي رَجُلًا حَتَّى تَعْرِضَهُ عَلَيَّ ، قَالَ : لَك ذَاكَ ، فَقَالَ لَهَا ذَاتَ يَوْم : إِنَّهُ قَدْ خَطَبَك رَجُلان من قَوْمك وَلَسْتُ مُسَمِّيًا لَك وَاحِدًا منْهُمَا حَتَّى أَصفَهُ لَك ، أَمَّا الأَوَّلُ : فِي الشَّرَف الصَّمِيمُ ، وَالْحَسَب الْكَرِيمُ ، تَخَالِينَ به هَوَجًا منْ غَفْلَته ، وَذَلِكَ إِسْجَاحٌ منْ شيمَته ، حَسَنُ الصَّحَابَة ، سَرِيعُ الإِجَابَة ، إِنْ تَابَعْته تبعَك ، وَإِنْ ملْت كَانَ مَعَك ، تَقْضين عَلَيْه فِي مَاله ، وَتَكْتَفِينَ برَأْيك عَنْ مَشُورَته ، وَأَمَّا الآخَرُ فَفِي الْحَسَب الْحَسِيبُ ، وَالرَّأْي الأَرِيبُ ، بَدَرَ أَرُومَتهُ ، وَعَزّ عَشيرَتهُ ، يُؤَدِّبُ أَهْلَهُ وَلا يُؤَدِّبُونَهُ ، إِن اتَّبَعُوهُ أَسْهَلَ بِهِمْ ، وَإِنْ جَانَبُوهُ تَوَعَّرَ عَلَيْهِمْ ، شَدِيدُ الْغَيْرَة ، سَرِيعُ الطِّيَرَة ، صَعْبُ حِجَابِ الْقُبَّة ، إِنْ

(١) هند بنت عتبة العبشمية القرشية الكنانية ، أبوها عتبة بن ربيعة سيد من سادات قريش وبني كنانة ، عرف بحكمته وسداد رأيه . وهي إحدى نساء العرب اللاتي كان لهن شهرة عالية قبل الإسلام وبعده . زوجة أبي سفيان بن حرب ، وأم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان .

حَاجٍّ فَغَيْرُ مَنْزُور ، وَإِنْ نُوزِعَ فَغَيْرُ مَقْهُور ، وَقَدْ بَيَّنْتُ لَك كَلَيْهِمَا ، فَقَالَتْ : أَمَّا الأَوَّلُ ، فَسَيِّدٌ مضْيَاعٌ لِكَرِيمَته مَوَّاتٌ لَهَا فِيمَا عَسَى إِنْ تَعْتَص أَنْ تَلِينَ بَعْدَ إِبَائِهَا ، وَتَضِيعَ تَحْتَ خِبَائِهَا ، إِنْ جَاءَتْهُ بِوَلَد أَحْمَقَتْ ، وَإِنْ أَنْجَبَتْ فَعَنْ خَطَأ مَا أَنْجَبَتْ ، اطْوِ ذِكْرَ هَذَا عَنِّي وَلا تُسَمِّه لِي ، وَأَمَّا الآخَرُ فَبَعْلُ الْحُرَّة الْكَرِيمَة ، إِنِّي لأَخْلاق هَذَا لَوَامِقَةٌ ، وَإِنِّي لَهُ لَمُوَافِقَةٌ ، وَإِنْ لآخُذَهُ بِأَدَبِ الْبَعْلِ مَعَ لُزُومِي قُبَّتِي ، وَقِلَّة تَلَفُّتي ، وَإِنَّ السَّلِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَحَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ الْمُدَافعَ عَنْ حَرِيمِ عَشِيرَته ، الذَّائِدَ عَنْ كَتِيبَتِهَا ، الْمُحَامِيَ عَنْ حَقِيقَتِهَا ، الْمُثَبِّتَ لأَرُومَتِهَا ، غَيْرَ مُوَاكِلٍ وَلا زَمِيلٍ عِنْدَ صَعْصَعَة الْحُرُوب ، قَالَ : ذَاكَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْب ، قَالَتْ : فَزَوِّجْهُ وَلا تُلْقِ إِلْقَاءَ السَّلَسِ ، وَلا تَسُمْهُ سَوْمَ الضَّرِسِ ، ثُمَّ اسْتَخِرِ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ ، يَخِرْ لَكَ فِي الْقَضَاءِ

ثلاث بنات ووالدهن

كان رجل من العرب له ثلاث بنات قد عضلهن ومنعهن الأكفاء ، فقالت إحداهن : إن أقام أبونا عَلَى هذا الرأي فارقنا وقد ذهب حظ الرجال منا ، فينبغي لنا أن نعرض له ما فِي نفوسنا ، وكان يدخل عَلَى كل واحدة منهن يوماً ، فلما دخل عَلَى الكبرى تحادثا ساعة ، فحين أراد الانصراف أنشدت :

أيزجر لاهينا ونلحي عَلَى الصبا ... وما نحن والفتيان إلا شقائق

يؤبن حبيبات مراراً كثيرة ... وتنباق أحياناً بهن البوائق

فلما سمع الشعر ساءه ، ثم دخل عَلَى الوسطى فتحادثا ، فلما أراد الانصراف أنشدت :

ألا أيها الفتيان إنّ فتاتكم ... دهاها سماع العاشقين فحنت

فدونكم ابغوها فتىً غير زمل ... وإلا صبت تلك الفتاة وجنت

فلما سمع شعرها ساءه ، ثم دخل عَلَى الصغرى فِي يومها فتحادثا ، فلما أراد الانصراف أنشدت :

أما كان فِي ثنتين ما يزع الفتى ... ويعقل هذا الشيخ إن كان يعقل

فما هو إلا الحل أو طلب الصّبا ... ولا بدّ منه فأتمر كيف تفعل

فلما رأى تواطؤهن عَلَى ذلك زوجهُن

الديك لا يكذب

سمعت أعرابيةٌ رجلاً ينشد :

وكأس سلاف يحلف الديــك أنهــا　　لدى المزج من عينيه أصفى وأحسن

فقَالَت : بلغنيً أن الديك من صالح طيركم وما كان ليحلف كاذباً .

لك الطعام ولنا القرطاس

كان رجل من أهل الشام مع الحجاج يحضر طعامه ، فكتب إِلَى امرأته يعلمها بذلك ، فكتبت إليه :

أيهــدى لـي القرطاس والخبز حاجتي　　وأنــت عَلَــى بــاب الأمير بطين

إذا غبت لم تذكر صديقاً ولــم تقــم　　فأنــت عَلَــى ما فِي يديك ضنين

فأنــت ككلــب الســوء جوّع أهلـه　　فيهــزل أهــل البيـت وهو سمين

تعفف عن مالها

قالت امرأة لبعض العرب : «إن تزوّجتني كفيتك» ، فأنشأ يقول :

إذا لم يكـن لــي غــير مالك مسّني　　خصــاص وبان الحمد مني والأجر

وما خيـر مــال ليــس نافــع أهلــه　　وليس لشيخ الحي في أمــره أمــر

أبو نواس[1] وعنان

دخل أبو نواس على عنان جارية النّاطفيّ فقال لها :

لو رأى في البيــت جحــرا　　لنــزا حتــى يموتــــا

أو رأى فــي البيــت ثقبـا　　لتحــــوّل عنكبوتــــا

فأجابته :

زوّجــــوا هـــذا بألــف　　وأظـــنّ الألــف قوتــا

قبــل أن ينقلــب الــــدّا　　ء فـــلا يأتــي ويؤتـــى

---

(١) أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي . يكنى بأبي علي وأبي نؤاس والنؤاسي . وعرف أبو نواس بشاعر الخمر . قال البعض انه تاب عما كان فيه وأتجه إلى الزهد وقد انشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك .

أعرابية فصيحة

قال إبراهيم بن السّندي : أيقظت أعرابيّة أولادا لها صغارا قبل الفجر في غداوت الربيع وقالت : تنسّموا هذه الأرواح ، واستنشقوا هذا النسيم ، وتفهّموا هذا النعيم ، فإنه يشدّ من منّتكم .

أم حبيبة

قال ابن الكلبي : حدّثني الحكم بن هشام الثّقفيّ قال : مات عبيد الله بن جحش[1] عن أمّ حبيبة بنت أبي سفيان[2] ، وكانت معه بأرض الحبشة ، فخطبها النبيّ ﷺ إلى النّجاشيّ ، فدعا بالقرشيّين فقال : من أولاكم بأمر هذا المرأة؟ فقال خالد بن سعيد بن العاص : أنا أولاهم بها . قال : فزوّج نبيّكم . قال : فزوّجه ومهر عنه أربعمائة دينار ، فكانت أوّل امرأة مهرت أربعمائة دينار ، ثمّ حملت إلى النبيّ ﷺ ومعهما الحكم بن أبي العاص ، فجعل النبيّ ﷺ يكثر النظر إليه ، فقيل له : يا رسول الله ، إنك لتكثر النّظر إلى هذا الشابّ . قال : أليس ابن المخزوميّة؟ قالوا : بلى ، قال : إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلا كان الأمر فيهم ، وكان مروان إذا جرى بينه وبين معاوية كلام قال لمعاوية : والله إني لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعمّ عشرة ، وما بقي إلا عشرة حتى يكون الأمر فيّ ، فيقول معاوية بن أبي سفيان : أخذها والله من عين صافية .

مخارق المغني والجارية الحسناء

وذكر صاحب تاريخ بغداد عن مخارق المغني قال : تطفلت تطفيلة قامت على

---

(١) عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي وهو أخو عبد الله بن جحش وقد كان زوجا لأم المؤمنين أم حبيبة ولها منه ابنتها حبيبة . مات بالحبشة وقيل انه ارتد عن الإسلام وتنصر والصحيح انه لم يرتد ، ويدل على ذلك ان أبا سفيان لما زار هرقل في السنة السادسة للهجرة – اي بعد وفاة عبيد الله بن جحش بعدة سنوات – سأله هرقل عدة اسئلة عن الرسول ومنها «هل يرتد عن دينه أحد سخطاً منه» فكانت اجابة أبو سفيان وكان حينها لم يسلم «لا لم يرتد عن دينه أحد سخطاً منه» ، ولو كان عبيد الله بن جحش قد ارتد لاستغل أبو سفيان هذه الفرصة وقال نعم خاصة انه زوج ابنته .

(٢) هي أم المؤمنين وزوج النبي محمد تزوجها بعد وفاة زوجها عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي .

أمير المؤمنين المعتصم بتسعين ألف درهم .

قيل له : كيف ذلك؟ قال : شربت معه ليلة إلى الصبح ، فلما أصبحنا قلت له : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن أخرج إلى الرصافة ، فأتنسم إلى وقت انتباه أمير المؤمنين .

قال : نعم ، فأمر البوابين أن يتركوني ، فخرجت أتمشى في الرصافة ، وإذا بجارية كأن الشمس تشرق من جبينها ، فتبعتها ورأيت معها زنبيلاً فوقفت على فاكهاني ، واشترت سفرجلة بدرهم ، وانصرفت فتبعتها ، فالتفتت فرأتني فقال : يا ابن الفاعلة إلى أين؟ قلت : خلفك يا سيدتي؟ فقالت : ارجع يا ابن الزانية لئلا يراك أحد فيقتلك؟ فتأخرت ومشيت وتمشت أمامي ثم التفتت فرأتني ، فشتمتني شتماً قبيحاً ثم جاءت إلى دار كبيرة ، فدخلت فيها ، وجلست أنا عند الباب ، وقد ذهب عقلي ونزلت علي الشمس ، وكان يوماً حاراً ، فلم ألبث أن جاء فتيان كأنهما بدران على حمارين ، فلما وصلا إلى الباب أذن لهما ، فدخلا ودخلت معهما ، فظنا أن صاحب المنزل قد دعاني ، وجيء بالطعام ، فأكلنا وغسلنا أيدينا ، فقال لنا صاحب المنزل : هل لكم في فلانة؟ فقالوا : إن تفضلت .

قال : فاستدعي بتلك الجارية ، فخرجت فإذا هي صاحبتي ووراءها وصيفة تحمل عودها ، فوضعته في حجرها فغنت وشربوا وطربوا ، وهي تلحظني وتشك في ، فقالوا : لمن هذا الصوت؟ فقالت : لسيدي مخارق .

فلم ألبث أن قلت : يا جارية شدي يدك ، فشدت أوتارها وخرجت عن إيقاعها الذي تقول عليه . قال : فاستدعيت بمدورة وقضيب وغنيت الصوت الذي قالته الجارية ، فقاموا إلي وقبلوا رأسي .

قال : وكان مخارق من أحسن الناس صوتاً وكان يوقع بالقضيب توقيعاً عجيباً .

قال : ثم غنيت الصوت الثاني والثالث ، فكادت عقولهم تطير فقالوا : بالله من أنت يا سيدي؟ فقلت : مخارق .

فقالوا : وما سبب مجيئك؟ قلت : طفيلي أصلح الله شأنكم . وأخبرتهم بخبري .

فقال صاحب البيت لصديقيه : أما تعلمان ني أعطيت في هذه الجارية ثلاثين ألف درهم فامتنعت عن بيعها؟ قالا : نعم .

قال : هي له .

فقال صديقاه : علينا عشرون ألف درهم وعليك عشرة آلاف درهم .

قال مخارق : فملكوني الجارية ، وجلست عندهم إلى العصر وانصرفت بها وكلما مررت بالمواضع التي شتمتني فيها أقول : يا مولاتي ، أعيدي كلامك فتستحي مني ، فأحلف عليها لتعيدنه ، فتعيده حتى وصلت إلى أمير المؤمنين فقيل لي أنه انتبه فطلبك في منازل أبناء القواد فلم يجدك ، وتغيظ غيظاً شديداً ، فدخلت عليه ويدي في يدها ، فلما رآني سبني وشتمني ، فقلت : يا أمير المؤمنين لا تعجل! وحدثته الحديث فضحك ، وقال : ها نحن نكافئهم عنك ، فأحضرهم وأمر لكل واحد منهم بثلاثين ألف درهم .

الصعيدي والفرنجية

ومن غرائب المنقول وعجائبه عن الأمير بدر الدين أبي المحاسن ، يوسف المهمندار ، المعروف بمهمندار العرب أنه قال حكى لي الأمير محمد ، شجاع الدين الشيرازي ، متولي القاهرة في أيام الكامل سنة ثلاثين وستمائة ، قال : بتنا عند رجل بالصعيد ، فأكرمنا ، وكان الرجل شديد السمرة ، وهو شيخ كبير ، فحضر له أولاد بيض الوجوه ، حسان الأشكال ، فقلنا له : هؤلاء أولادك؟ قال : نعم ، ثم قال : كأنكم أنكرتم علي بياضهم وسوادي؟ قلنا : نعم . فقال : هؤلاء كانت أمهم إفرنجية أخذتها أيام الملك الناصر صلاح الدين ، وأنا شاب .

فقلنا : وكيف أخذتها؟ قال : حديثي فيها عجيب وأمري غريب .

فقلنا : أتحفنا به .

فقال : زرعت كتاناً في هذه البلدة وقلعته ونفضته ، فصرفت عليه خمسمائة دينار ، ثم لم يبلغ الثمن أكثر من ذلك ، فحملته للقاهرة فلم يصل أكثر من ذلك فأشير علي بحمله إلى الشام ، فحملته فلم يزد على تلك القيمة شيئاً ، فوصلت به إلى عكا فبعت بعضه لأجل والبعض تركته ، واكتريت حانوتاً لأبيع على مهل إلى أن تنقضي المدة . فبينما أنا أَبيع إذ مرت بي امرأة فرنجية ، ونساء الإفرنج يمشين في الأسواق بلا نقاب فأتت تشتري مني كتاناً ، فرأيت من جمالها ما بهرني فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وأتت إلي بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من المرة الأولى ، فتكررت لي وعلمت أني أحبها فقلت للعجوز التي كانت معها : إنني قد تلفت بحبها ، وأريد منك الحيلة .

فقالت لها العجوز ذلك ، فقالت : تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو ، فأعادت علي الجواب فقلت لها : أما أنا فقد سمحت بروحي في حبها ، واتفق الحال على أن أدفع لها خمسين ديناراً ، فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت : نحن الليلة عندك .

قال : فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلوى فجاءت الإفرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم ، فقلت في نفسي : أما تستحيي من الله وأنت غريب تعصي الله مع نصرانية ، اللهم إني أشهدك أني قد عففت عنها في هذه الليلة حياء منك وخوفاً من عقابك .

ثم نمت إلى الصبح ، فقامت من السحر وهي غضبانة ، ومضت ومضيت إلى حانوتي ، فجلست فيه ، فإذا هي قد عبرت علي والعجوز وهي مغضبة ، وكأنها القمر ، فهلكت وقلت في نفسي : ومن هو أنت حتى تترك هذه البارعة في حسنها؟ ثم لحقت العجوز ، وقلت لها : ارجعي؟ فقالت : وحق المسيح ما أرجع لك إلا بمائة دينار .

فقلت : نعم! بسم الله ، فمضيت ووزنت مائة دينار ، فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة الأولى ، وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ، ثم مضت ومضيت إلى موضعي ، ثم عبرت علي بعد ذلك وقالت : وحق المسيح ما عدت تفرح بي عندك إلا بخمسمائة دينار ، أو تموت كمداً .

فارتعت لذلك وعزمت على أن أصرف ثمن الكتان جميعه ، فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي ، معاشر المسلمين! إن الهدنة التي كانت بيننا وبنيكم قد انقضت ، وقد أمهلنا من هنا من المسلمين إلى جمعه ، فانقطعت عني ، وأخذت في تحصيل ثمن الكتان الذي لين والمصالحة على ما بقي منه ، وأخذت معي بضاعة حسنة ، وخرجت من عكا وفي قلبي من الإفرنجية ما فيه ، فوصلت إلى دمشق وبعت البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ، ومن الله علي بكسب وافر ، وأخذت أتجر في الجواري لعل يذهب ما بقلبي من الإفرنجية ، فمضت ثلاث سنين ، وجرى للملك الناصر ما جرى من وقعة حطين ، وأخذ جميع الملوك ، وفتح بلاد الساحل ، بإذن الله تعالى ، فطلب مني جارية للملك الناصر ، فأحضرت له جارية حسناء ، فاشتراها بمائة دينار ، فأوصلوا إلي تسعين ديناراً ، وبقيت العشرة دنانير عنده ، فلم يجدوها في خزانة الملك في ذلك اليوم ، لأنه أنفق جميع الأموال ، فلما حضرت الغنيمة جاءوا للملك فشاوروه على ذلك ، فقال : امضوا به إلى الخيمة التي فيها السبي من نساء الإفرنج ، فخيروه في واحدة منهن ، يأخذها بالعشرة دنانير التي بقيت له .

فأتيت الخيمة فعرفت غريمتي ، فقلت : أعطوني هذه الجارية ، فأخذتها ومضيت إلى خيمتي ، وخلوت بها ، وقلت لها : أتعرفيني؟ قالت : لا . فقلت لها : أنا صاحبك التاجر الذي جرى لي معك ما جرى وأخذت مني الذهب ، وقلت : ما عدت تراني عندك إلا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكاً بعشرة دنانير .

فقالت : مد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فأسلمت وحسن إسلامها ، فقلت : والله لا وصلت إليها إلا بأمر القاضي ، فتوجهت إلى ابن شداد ، وحكيت له ما جرى ، فتعجب وعقد لي عليها ، وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم رحل العسكر ، وأتينا دمشق ، فبعد مدة يسيرة أرسل الملك يطلب الأسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك ، فردوا من كان أسيراً من الرجال والنساء ، ولم يبقى إلا التي

عندي ، فطلبت مني ، فحضرت وقد تغير لوني فأحضرتها بين يدي الملك الناصر ، والرسول فقلت : هذه أسلمت وصارت امرأتي .

فقال الملك الناصر بحضرة الرسول : أترجعين إلى بلادك أو إلى زوجك ، فقد فككنا أسرك وأسر غيرك .

فقالت : يا مولانا السلطان! أنا قد أسلمت وحملت وها بطني كما ترونه ، وليس لي رغبة في الرجوع إلى بلادي وما رغبتي إلا في الإسلام وزوجي .

فقال لها الرسول : أيما أحب إليك ، هذا المسلم أو زوجك الإفرنجي؟ فأعادت عبارتها الأولى ، فقال الرسول لمن معه من الإفرنج : اسمعوا كلامها . ثم قال الرسول : خذ زوجتك وتوجه . فوليت بها فطلبني ثانياً وقال : إن أمها أرسلت معي كسوة وقالت : إن ابنتي أسيرة وأشتهي أن توصل لها هذه الكسوة .

فتسلمت الكسوة ومضيت إلى الدار ففتحت القماش ، فإذا هو قماشها بعينه قد صيرته لها أمها ، ووجدت من داخلة الصرتين ، الذهب الخمسين ديناراً والمائة ديناراً ، كما هي بربطتي لم يتغيروا ، وهؤلاء الأولاد منها ، وهي التي صنعت لكم هذا الطعام .

طرائف المتسولين

نقاهة

مرّ غرابٌ الماجن بسائل يقول : أنا عليلٌ وأنا جائع
فقال له : احمد ربّك ، فقد نقهت .

بين سائل وأعرابي

سأل مسكين أعرابيا أن يعطيه حاجة . .
فقال : ليس عندي ما أعطيه للغير فالذي عندي أنا أحق الناس به
فقال السائل : أين الذين يؤثرون على أنفسهم؟
فقال الأعرابي : ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً .

سائل ومديني

وقف سائل بباب مديني ، وقال : أطعمونا من فضل غشائكم . فقال : والله ما لعشائنا أصل حتى يكون له فضل .

سائل من بني عقيل

جاء شيخ من بني عقيل إلى عمر بن هبيرة(١) فمتّ بقرابته ، وسأله ، فلم يعطه شيئاً . فعاد إليه بعد أيام فقال : أنا العقيلي الذي سألك منذ أيام . قال عمر : وأنا الفزاري الذي منعك منذ أيام . فقال معذرة إلى الله ، إني سألتك وأنا أظنك يزيد بن هبيرة المحاربي ، فقال : ذاك ألأم لك ، وأهون بك علي ، نشأ في قومك مثلي ولم تعلم به ، ومات مثل يزيد ولا تعلم به . يا حرسي اسفع يده .

اختبار الجوع

وقال أبو عثمان الجاحظ : وقف سائل بقوم فقال : إني جائع

(١) هو عمر بن هبيرة ابن معاوية بن سكين الأمير أبو المثنى الفزاري الشامي أمير عراق العرب وعراق العجم وابنه يزيد بن عمر المعروف بيزيد بن هبيرة ، ولي إمارة البحر عند حصار القسطنطينية تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك ، عينه الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك أميرا على العراق سنة ١٠٣ هجري ، فلما ولى هشام بن عبد الملك دار الخلافة الإسلامية في دمشق عزله وولى خالد القسري .

فقالوا له : كذبت

فقال : جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم .

دعاء السائل

سأل أبو فرعون رجلاً فمنعه وألح عليه فأعطاه فقال : اللهم اخزنا وإياهم ، نسألهم إلحافاً ويعطوننا كرهاً ، فلا يبارك الله لنا ولا يأجرهم عليه .

فتح اللهُ عليكَ

قيل : ذهب أبو نواس مع رجل بخيل ليستأجر له داراً للسَّكن . . . فلمّا وقف بباب الدَّار أقبل سائل فقير عليه هيئة العُدم ، وتقدَّم من البخيل وقال له : حسنة لله يا مولاي . . . فقال له فتح الله عليك . فذهب في سبيله . وبينما هما واقفان جاء آخر وقال : صدقة يا سيِّدي ممَّا أَعطاك الله . فقال البخيل : حنَّنَ الله عليك ، سِر في طريقك . فمضى السائل ، وبعد برهة جاء ثالث فصرفه أيضاً ، وجاء رابع فقال : أعطِني يا سيِّدي ممَّا أعطاك الله . . . فقال البخيل : اللهُ يعطيك . فمضى الرجل .

والتفتَ الرجل إلى أبي نواس وقال : لقد أَعْجَبَنِيْ البيت لولا كثرة السائلين في هذه الجهة ؛ فقال أبو نوّاس : لا خوف عليك يا سيِّدي منهم ما دمتَ تحفظ هذه الجملة التي تصرفهم بها . . . وليس يضرُّك من أمرهم شيئاً مهما كثروا أو قلّوا .

فخجل الرّجل وذهب دون أن يستأجر البيت .

شراهة السائل

أكل سائلٌ عند أبي العيناء ، فأكثر ، فقال له : (يا هذا أطعمناك رحمةً . . فصيرتنا رحمة) .

من بالباب

وقف على باب نحوي أحد الفقراء فقرعه فقال النحوي : من بالباب؟ . . . فقال : سائل .

فقال النحوي : لينصرف . . . . فقال الفقير مستدركا : اسمي أحمد (وهو اسم لا ينصرف في النحو)

فقال النحوي لغلامه : أعط سيبويه كسرة .

الصدقة والميزان

وسمع آخر سائلاً يقول : لا ينقص مال من صدقة . قال : بيني وبينك الميزان يا كشخان .

رد الشحاذ

وقف أعرابي على قوم فقال : رحم الله من لم تمج أذنه كلامي ، وقدم لنفسه معاذه من سوء مقامي ، فإن البلاد مجدبة ، والحال مسغبة ، والحياء زاجر يمنع من كلامكم ، والفقر يدعو إلى إخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين ، فرحم الله امرءاً أمر بخير . فقيل له : من أنت؟ فقال : اللهم اغفر ، سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب .

دون لف ودوران

اعترض شحاذ أعمى مطيع بن إياس(١) وهو يعبر جسراً على الفرات ظناً منه أنه واحد من الجند . وصاح بعد أن أوقفه بعصاه : اللهم سخر الخليفة لكي يعطي الجند أرزاقهم ، فيشتروا من التجار الأمتعة والأغراض ، ويربح التجار مالاً كثيراً ، فتجب عليهم الزكاة ويتصدقوا بها علي . فقال له مطيع : يا هذا . سل الله أن يرزقك أفضل من هذا اللف والدوران .

قوموا اشحذوا معي

وقف شحاذ بباب إحدى الدور وقال : تصدقوا عليَّ فإني جائع .
فقالوا له : إلى الآن لم نخبز .
فقال : فبعض الشعير .
فقالوا : ليس عندنا شعير
فقال : فشربة ماء . إني عطشان
فقالوا : ما أتانا السقاء بعد

---

(٢) ابن إياس الكناني مطيع بن إياس الكناني أبو سلمى . شاعر ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان ظريفاً ، مليح النادرة ماجناً ، متهماً بالزندقة . مولده ومنشؤه بالكوفة .

فقال : فقطعة لحم أو شحم . . .
فقالوا : ومن أين لنا الشحم واللحم وعيد الأضحى لم يأت بعد؟
فقال : يا أولاد . فما قعودكم هنا . قوموا اشحذوا معي!

كثرة السائلين

انتقل رجل من البخلاء إلى دار فابتاعها ، فلما حلها وقف سائل ، فقال له : صنع الله لك! ثم وقف ثان ، فقال له مثل ذلك ، ثم وقف ثالث ، فقال له مثل ذلك ؛ فقال لابنته : ما أكثر السؤال في هذا المكان! فقالت له : يا أبت ، ما تمسكت لهم بهذا القول فما تبالي كثروا أم قلوا؟

هذه بتلك

وقف سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ، ثم بكرت إلى زوجها في مزرعته ، فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها ، فاختلسه الذئب . فوقفت وقالت : «يا رب ولدي» ، فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب ، فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضرر ، فقال لها : «هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل» .

أنقذته الصدقة

عشش ورشان في شجرة في دار رجل ، فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له ، أخذ أفراخ ذلك الورشان ، ففعل ذلك مرارا ، وكلما فرخ الورشان أخذوا أفراخه ، فشكا الورشان ذلك إلى سليمان عليه السلام وقال : «يا رسول الله أردت أن يكون لي أولاد يذكرون الله تعالى من بعدي ، فأخذها الرجل بأمر امرأته ، ثم أعاد الورشان الشكوى ، فقال سليمان لشيطانين : «إذا رأيتماه يصعد الشجرة ، فشقاه نصفين» . فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ، ثم صعد وأخذ الأفراخ على عادته . فشكا الورشان ذلك إلى سليمان عليه السلام ، فقال للشيطانين : «ألم تفعلا ما أمرتكما به؟» فقال : «اعترضنا ملكان فطرحانا في الخافقين» .

أنقذه بالرغيفين

وجّه رجل ابنه في تجارة فمضت أشهر ولم يقع له على خبر ، فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم ، فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما رابحا ، فسأله أبوه : هل أصابك في سفرك بلاء؟ قال : نعم غرقت السفينة بنا في وسط البحر ، وغرقت في جملة الناس ، وإذا بشابين أخذاني فطرحاني على الشط ، وقالا لي : قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بأكثر من ذلك؟!

دوران الزمن

حكي أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية ، فوقف سائل ببابه ، فخرج إليه وانتهره ، فذهب ، فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته ، وطلق زوجته ، وتزوجت بعده برجل آخر ، فجلس يأكل معها في بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية ، وإذا بسائل يطرق الباب ، فقال الرجل لزوجته ادفعي إليه هذه الدجاجة ، فخرجت بها إليه فإذا هو زوجها الأول ، فدفعت إليه الدجاجة ورجعت وهي باكية ، فسألها زوجها عن بكائها ، فأخبرته أن السائل كان زوجها ، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول ، فقال لها زوجها : أنا والله ذلك السائل .

خاتمة حسنة برغيف

حكي أن رجلا عبد الله سبعين سنة ، فبينما هو في معبده ذات ليلة إذ وقفت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها ، وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت إليها ، وأقبل على عبادته ، فولت المرأة ، فنظر إليها ، فأعجبته فملكت قلبه وسلبت لبه ، فترك العبادة وتبعها وقال : إلى أين؟ فقالت :

إلى حيث أريد . فقال : هيهات صار المراد مريدا والأحرار عبيدا . ثم جذبها فأدخلها مكانه ، فأقامت عنده سبعة أيام ، فعند ذلك تذكر ما كان فيه من العبادة ، وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام ، فبكى حتى غشي عليه ، فلما أفاق قالت له : يا هذا والله أنت ما عصيت الله مع غيري ، وأنا ما عصيت الله مع غيرك ، وإني أرى في وجهك أثر الصلاح ، فبالله عليك إذا صالحك مولاك فاذكرني . قال فخرج هائما على وجهه . فآواه الليل إلى خربة فيها عشرة عميان ، وكان بالقرب منهم راهب يبعث إليهم في كل ليلة بعشرة أرغفة ، فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز ،

فمد ذلك الرجل العاصي يده ، فأخذ رغيفا ، فبقي منهم رجلا لم يأخذ شيئا ، فقال : أين رغيفي؟ فقال الغلام : قد فرقت عليكم العشرة . فقال : أبيت طاويا ، فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه :

أنا أحق أن أبيت طاويا لأنني عاص ، وهذا مطيع ، فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك . فأمر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب . فقالت ملائكة الرحمة : هذا رجل فر من ذنبه ، وجاء طائعا . وقالت ملائكة العذاب : بل هو رجل عاص ، فأوحى الله تعالى إليهم أن زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليال ، فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين سنة ، فأوحى الله إليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذي آثر به على نفسه . فوزنوا ذلك ، فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة ، وقبل الله توبته .

فداء

ذكر عن مكحول أن رجلا أتى إلى أبي هريرة رضي الله عنه فقال : ادع الله لا بني فقد وقع في نفسي الخوف من هلاكه . فقال له : ألا أدلك على ما هو أنفع من دعائي وأنجع وأسرع إجابة؟ قال : بلى . قال : تصدق عنه بصدقة تنوي بها نجاة ولدك وسلامة ما معه ، فخرج الرجل من عنده ، وتصدق على سائل بدرهم وقال : هذا خلاص ولدي وسلامته وما معه ، فنادى في تلك الساعة مناد في البحر : ألا إن الفداء مقبول وزيد مغاث . فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال : يا أبت لقد رأيت في البحر عجبا يوم كذا وكذا في وقت كذا وكذا . وهو اليوم الذي تصدق فيه والده عنه بالدرهم ، وذلك أنّا أشرفنا على الهلاك والتلف ، فسمعنا صوتا من الهواء : ألا أن الفداء مقبول وزيد مغاث .

رحمة الله

حكي عن الحسن البصري[1] قال : نزل سائل بمسجد ، فسأل الناس أن يطعموه كسرة ، فلم يطعموه ، فقال الله تعالى لملك الموت : اقبض روحه ، فإنه جائع ، فقبض

(١) الحسن بن يسار البصري (٢١هـ/٦٤٢م - ١١٠هـ/٧٢٨م) إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد =

روحه ، فلما جاء المؤذن رآه ميتا ، فأخبر الناس بذلك ، فتعاونوا على دفنه ، فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن في المحراب مكتوبا عليه : هذا الكفن مردود عليكم ، بئس القوم أنتم استطعمكم فقير ، فلم تطعموه حتى مات جوعا ، من كان من أحبابنا لا نكله إلى غيرنا .

بخلاء العرب

قيل : بخلاء العرب أربعة : الحطيئة(١) وحميد الأرقط(٢) وأبو الأسود الدؤلي وخالد بن صفوان(٣) . فأما الحطيئة فمرّ به إنسان وهو على باب داره وبيده عصا ، فقال : أنا ضيف فأشار إلى العصا وقال : لكعاب الضيفان أعددتها . وأما حميد الأرقط ، فكان هجاء للضيفان فحّاشا عليهم ، نزل به مرة أضياف ، فأطعمهم تمرا ، وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه . وأما أبو الأسود ، فتصدّق على سائل بتمرة ، فقال له : جعل الله نصيبك من الجنة مثلها . وكان يقول : لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم . وأما خالد بن صفوان ، فكان يقول للدرهم إذا دخل عليه :

يا عيّار كم تعير وكم تطرف وتطير ، لأطيلنّ حبسك . ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه . وقيل له : لم لا تنفق ، ومالك عريض؟ فقال : الدهر أعرض منه .

= وعشرين من الهجرة ، كانت أم الحسن تابعة لخدمة أم سلمة ، فترسلها في حاجاتها فيبكي الحسن وهو طفل فترضعه أم سلمة لتسكته وبذلك رضع من أم سلمة ، وتربى في بيت النبوة . كانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له ، ودعا له عمر بن الخطاب ، فقال «اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس» . حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره .

(١) أبو مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك العبسي المشهور بـ الحطيئة . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر .

(٢) حميد الأرقط . كان هجاءً للضيفان وكان لايقليهم إلا حيث لم يجد بداً منهم وهو القائل :

لامرحباً بوجوه القوم إذ نزلوا

كأنهم إذ أناخوها الشياطين فأصبحوا

(٣) خالد بن صفوان القناص : شاعر وبليغ ونحوي عباسي . من شعراء العصر العباسي الأول . مجهول المولد والوفاة . كان من رواد المربد . اشتهرت قصيدته النونية البليغة باللغة والتي هي السبب في شهرته . والمسمى بالعروس . والتي تحتوي على ٧٨ بيتا .

سرعة الرد

وقف سائل على باب فقال : يا أصحاب المنزل ، فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال : فتح الله عليك ، فقال السائل : يا . . . كنت تصبر لعلي جئت أدعوك إلى وليمة .

وراثة البخيل

كان بمدينة السّلام رجلٌ ذو يسار ، فبينما هو في منزله وقد جلس يأكل مع امرأته وبين يديه سكباجة وقد فاحت رائحتها ، إذ دنا سائلٌ من الباب ، وعساه كان ممّن امتحن بنكبة بعد نعمة فقال : أطعموني من فضل ما رزقكم الله تعالى ، فقامت المرأة وغرفت من القدر ، وأخذت رغيفين لتناوله ، فلمّا رأى الزّوج ذلك حلف عليها أن لا تدفع له شيئاً ، فمضى السائل خائباً حزيناً ، واستوفى الرجل طعامه ، وصعد السطح لبعض حوائجه فعثر بشيءٍ فسقط إلى الأرض فوقص ومات ، وحازت المرأة ميراثه ، وتصرّفت فيه ، وضرب الدهر ضربانه . ثمّ إنّ السائل لما لقي من قبح الردّ وشدّة الشّهوة إلى ذلك الطّعام الذي شمّ رائحته عاد إلى منزله وأخذ مضرّبةً كان قد اشتراها ، فأراد أن يفتقها ويغسلها ويبيعها فوجد فيها ألف دينار ، فأخذها وغيّر حاله بها ، ثمّ طلب امرأةً يتزوج بها ، فقالت له بعض الدّلاّلات : ها هنا امرأةٌ صالحةٌ وقد ورثت ، فما تقول في مواصلتها؟ فأنعم ، فسعت الدلاّلة بينهما حتى اتّفقا واجتمعا ، فلما دخل بها تحدّثا يوماً ، فقالت المرأة : ما أشدّ ما مضى على رأسك؟ فحدّثها بوقوفه على باب دار وامرأةٌ تأكل مع زوجها ، فقالت المرأة : فاعلم أنّ هذه الدار هي تلك ، وأنا المرأة ، وأنّ زوجي صعد في ذلك اليوم السطح فسقط ومات ، وقد أورثك الله تعالى داره وماله وزوجته ، فسجد الرجل لله جلّ جلاله شكراً ، وحدّث إخوانه فتعجّبوا .

سؤال الصغير

وقف أعرابي بباب يسأل ، فقال له صغير من باب الدار : بورك فيك ، فقال : قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا .

صناعة واحدة

وقف سائل على قوم ، فقال أحدهم صناعتنا واحدة ، فقال السائل : فأنا قواد فهل أنتم قوادون .

وسأل رجل متكففا ، فقال : الصنعة واحدة ، فقال : أنا أقود على بنتي وأحمل الكلاب على أمي ، لا شك أن الصنعة واحدة .

تبادل الدعاء

كان أبو الأسود[1] يأكل على باب داره تمرا ، فوقف عليه أعرابي ، فقال : شيخ هم غابر ماضين ووافد محتاجين أكله الفقر وتداوله الدهر ، فناوله تمرة ، فزجّ بها الأعرابي في وجهه ، وقال : جعلها الله حظك عنده وألجأك إليّ كما ألجأني إليك ، ليبلوك بي كما بلاني بك .

عطاء قليل

وقف فقير على باب المافروحى بالأهواز فأعطوه لقمة صغيرة ، فقال : هذا الدواء كيف يشرب؟ وأعطي سائل مبطنة صغيرة ، فقال رحم الله من تممها جبة .

سائل في مجلس الأدباء

اجتمع يحيى بن زياد[2] وحمّاد عجرد[3] وبشار[4] على طعام ، فوقف سائل بالباب ، فقال :

يا مسلمين ، فقال يحيى : فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فقال :

---

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني ، من سادات التابعين وأعيانهُم وفقهائهُم وشعرائهُم ومحدثيهُم ومن الدهاة حاضرِي الجواب وهو كذلك نحوي عالِم وضع علم النحو في اللغة العربية وشكّل أحرف المصحف ، وضع النقاط على الأحرف العربية .

(٢) الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي ، مولى بني أسد ، المعروف بالفراء ، وهو لقبه «لأنه كان يفري الكلام» أي : يصلحه .

(٣) حَمَّاد عَجْرَد هو شاعر عربي ، يُعتبر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . هو حماد بن عمر بن يونس بن كليب السوائي ، أبو عمرو ، المعروف بعجرد .

(٤) بشار بن برد بن يرجوخ العُقيلي ، أبو معاذ ، شاعر مطبوع . إمام الشعراء المولدين . ومن المخضرمين حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية . ولد أعمى ، وكان من فحولة الشعراء وسابقيهم المجودين .

ارحموني ، فقال حمّاد : قد رحمناك . فقال اسمعوا كلامي ، فقال بشّار :

لقد أسمعت لو ناديت حيّا . . . ولكن لا حياة لمن تنادي

الأصمعي[1] والسائل

سأل متكفف الأصمعي ، فقال : لا أرتضي لك ما يحضرني ، فقال : أنا أرتضيه ، فقال : هو بورك فيك . قال :

ألم ترني أبغضت ليلى وذكرها . . . كما أبغض المسكين بورك فيكا

حاجة واحدة

قال سائل لعبادة : ارحمني ، فقال : قد رحمتك ، فقال : تصدّق عليّ ، فقال حاجتين في حاجة لا يكون .

فصاحة في السؤال

قال المازني[2] : وقف علينا أعرابي ، فقال : رحم الله أمرأ يمجّ أذنه كلامي وقدم معذرة لسوء مقامي ، فإن الفقر يدعوني إلى إخباركم والحياء يمنعني من سؤالكم ، فقلت له : ممن الفتى؟ فقال : إن سؤالا الاكتساب يمنع من الانتساب .

وقف أعرابي على حلقة الحسن البصري[3] ، فقال : رحم الله امرأ أعطى من سعة ، وواسى من كفاف وآثر من قوت ، فقال الحسن : ما ترك أحدا منكم حتى سأله .

(١) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان .

(٢) أبو عثمان المازني النحوي . واسمه : بكر بن محمد بن عثمان البصري ، شيخ النحاة في زمانه . أخذه عن : أبي عبيدة والأصمعي ، وأبي زيد الأنصاري ، وغيرهم .

(٣) الحسن بن يسار البصري(٢١هـ/٦٤٢م - ١١٠هـ/٧٢٨م) إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد وعشرين من الهجرة ، كانت أم الحسن تابعة لخدمة أم سلمة ، فترسلها في حاجاتها فيبكي الحسن وهو طفل فترضعه أم سلمة لتسكته وبذلك رضع من أم سلمة ، وتربى في بيت النبوة . كانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له ، ودعا له عمر بن الخطاب ، فقال «اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس» . حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره .

وقال الأصمعي : وقفت علينا أعرابية ، فقالت : أتأذنون في الكلام فإنه فرج من وساوس الهموم ودليل على ضمائر القلوب؟ فقال بعضنا : أما بما يحسن به الاستماع في العاجل وتخفّ به المؤنة في الآجل فنعم ، فقالت : اللهم غفرا فإن هذه شريطة لا يتعلق بها الوفاء ، قال : فناولتها درهما فرفعته إلى السماء بين أنملها ، وقالت : اللهمّ إنه قد كان في كيسه متمهدا وفي معاشه متصرفا فأتجر به إليك ، اللهمّ فلا تجزه على قدر البضاعة ولكن على قدر الصبر على مكروه السؤال .

وقالت أعرابية تتكفف : يا قوم طرائد زمان وفرائد حدثان ولحمان ، وضم بذتنا الرجال وانتشر منّا الحال ، فهل من مكتسب للأجر أو راغب في الذخر .

وقالت أعرابية : سنة جردت وحال أجهدت وأيد جمدت فرحم الله من رحم .

وكان آخر يقول : من حملني على نعلين فكأنما حملني على ناقة .

وتعرضت امرأة للمنصور[١] في طريق مكة فحرمها ، فأنشدت :

إذا لم يكن فيكنّ ظلّ ولا جنى . . . فأبعدكنّ الله من سمرات

ومدح أعرابي رجلا ، فقال : تهب لي من مالك وتستوهب لي بجاهك ، فأنت قليب[٢] مرّة ورشاء مرة ، ومنه أخذ أبو تمّام[٣] ، فقال :

مطولي بالمال والجاه . . . لا ألقاك إلا مستوهبا أو وهوبا

فإذا ما أردت كنت رشاء . . . وإذا ما أردت كنت قليبا

وقيل لشعبة : أفنيت مالك وأخلقت جاهك في حوائج الناس ، فقال أصونهما للتراب ، قال الخبز أرزي[٤] :

خرق يجود بماله وبجاهه . . . والجود كلّ الجود بذل الجاه

---

(١) أبو جعفر عبد الله المنصور ، واسمه الكامل عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم .

(٢) القَلِيبُ : البئرُ

(٣) أَبو تَمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أحد أمراء البيان ، ولد بجاسم ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها .

(٤) الخُبز أَرزي أو الخبز رزي نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري أبو القاسم توفي ٣١٧ هـ / ٩٣٩ م شاعر غزل عباسي ، علت له شهرة . يعرف بالخبز أرزي ، وكان أمياً ، يخبز خبز الأرز بمربد البصرة في دكان ، وينشد أشعاره في الغزل ، والناس يزدحمون عليه ويتعجبون من حاله .

نعم ولا

قال المهلب[١] : يا بني إياك والسرعة عند المسألة بنعم فمدخلها سهل ومخرجها وعر ، واعلم أن لا وإن قبحت فربما أروحت ، فإذا سئلت ما قدرت عليه فاطمع ولا توجب وإذا علمت معذرة فاعتذر ، فالإتيان بالعذر الجميل خير من المطل الطويل .
وسأل رجل الفضل بن الربيع[٢] ، فقال : أكره أن أقول نعم فأكون ضامنا ، وأن أقول لا فأكون ميئسا ، ولكن ننظر فسيسهل الله تعالى .

وقال حكيم : مطل السائل أقبح من مطل الغريم ، لأن الغريم إنما يسلف بفضل ، والكريم لا يسأل إلا من جهد الحر يتقاضى بالوعد نفسه ، واللئيم يجتهد أن يطيل حبسه .

حرمان بإسناد

وعد أبو الصقر أبا العيناء بشيء فتقاضاه فقال : غدا ، فقال له : إن الدهر كله غد ، فهل عندك وعد يخلو من المعاريض؟ فقال رجل حاضر قد استعمل المعاريض قوم صالحون حدثنا فلان عن فلان ، فقال أبو العيناء : من هذا الذي يحدث في حرماننا بالأسانيد؟

دابة مؤجلة

وعد رجل أبا العيناء دابة فأخّرها ، فكتب إليه : إن كانت الدابة التي وعدتني بها دابة الأرض فقد مضى خبرها مع منسأة سليمان ، وإن كانت دابة الصفا انتظرنا خبرها مع سابق الحاج ، وإن كانت من دواب الدنيا فقد جاز عمر وعدك عمر الدواب ، فهيء لي غيرها ، وإن كانت دابة تدفعها إليّ في الآخرة فإن الله تعالى يقول : لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .

---

(١) المهلّب بن أبي صفرة الأزدي وكنيته أبو سعيد ، هو من ولاة الأمويين على خراسان .

(٢) وهو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة بن كيسان مولى عثمان بن عفان ، كان وزير الأمين الخليفة العباسي ، كان أبوه هو الربيع بن يونس وزيراً في عهد المنصور والمهدي والهادي وقد ولد في مدينة الخليل عام ١٣٨ هجري وتوفي عام ٢٠٨هـ .

وعد وهم

سأل رجل أبا عمرو بن العلاء[1] حاجة فوعده ، ثم لم ينجزه ، فقال : أخلفت . فقال أبو عمرو : فمن أولى بالغم؟ قال الرجل : أنا ، فقال : بل أنا لأني وعدتك فأبت بفرح الوعد وأبت بهمّ الإنجاز ، ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة فلقيتني مدلا ولقيتك محتشما .

كذب بكذب

كان محمد بن بشير ولي فارس ، فأتاه شاعر فمدحه ، فقال : أحسنت ، وأقبل على كاتبه وقال : أعطه عشرة آلاف درهم ، ففرح الشاعر ، فقال : أراك قد طار بك الفرح بما أمرت لك يا غلام اجعله عشرين ألفا ، فلما خرج ، قال الكاتب : جعلت فداك هذا كان يرضيه اليسير فكيف أمرت له بهذا المال ، فقال : ويحك وتريد أن تعطيه ذلك . إنما قال لنا كذبا سرّنا وقلنا له كذبا سره ، فما معنى بذل المال؟ أما قول بقول فنعم ، وأما بذل بقول فمحال .

الصدر والجبهة

قيل لبعضهم : كيف حالك مع فلان؟ فقال : لا أحصل منه إلا على دقّ الصدر والجبهة ، فقيل : كيف؟ قال : إذا سألته دقّ صدره ويقول أفعل ، وإذا عاودته وتقاضيته دقّ جبهته ، ويقول : لا قوة إلا بالله نسيت .

الصدر والركبة

حكى عن الفضل عن مرداس أنه قيل له : قد تقطع صدر قميصك وركبته دون الباقي ، قال : نعم ، إني أقعد بالباب فيمرّ بي المار فيقول : سل السلطان لي كذا وافعل كذا ، فأدقّ صدري إيجابا ، ويأتي آخر فيقول : مات فلان أو حدث كذا فأدق ركبتي اغتماما .

---

(١) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين المازني التميمي البصري أحد القراء السبعة . قال ابن خلكان : «كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب .»

عطاء ووفاء

لما أسنّ ابن جذعان[١] أخذ بنو تميم على يده ، فكان إذا أتاه سائل يقول : أدن مني فيلطمه ، ويقول : أطلب من قومي قصاص لطمتي ، ولا ترض بدون كذا ، فيفعل فترضيه بنو تميم .

أهل الكرم

كانت أخت حاتم سخية لا تبقي شيئا ، فحظّر عليها إخوتها وحبسوها حتى ذاقت طعم الجوع والفقر ، فظنّوا أنها قد وجدت ألم الضيق والفقر ، فأطلقوها ودفعوا إليها صرمة فأتتها سائلة ، فقالت : دونك الصرمة ، لقد غضّني من الجوع ما لا أمنع بعده سائلا أبدا ، ثم أنشأت :

لعمري لقدما عضّني الدهر عضّة . . . فآليت ألا أمنع الدهر جائعا

قبيح الرد

سأل أعرابي شيخا من بني أمية وحوله مشايخ ، فقال : أصابتنا سنة ولي بضعة عشر بنتا ، فقال الشيخ : وددت أن الله ضرب بينكم وبين السماء صفائح حديد ، فلا تقطر عليك قطرة ، وأضعف بناتك أضعافا وجعلك بينهن مقطوع اليد والرجل ، ما لهن كاسب سواك ، ثم صفر بكلب له فشدّ عليه وقطع ثيابه ، فقال السائل : ما أدري ما أقول لك إنك لقبيح المنظر سخيف المخبر فأعضك الله ببظور أمهات من حولك .

ودخل رجل إلى محمد بن عبد الملك[٢] ، فقال : لي بك سببان ، الجوار وسوء الحال ، وذلك داع إلى الرحمة ، فقال : أما الجوار فبين الحيطان والرحمة من أخلاق الصبيان ، اخرج عني . فما مضى عليه أسبوع حتى نكب .

---

(١) عبد الله بن جدعان التيمي القرشي الكناني هو أحد سادات قريش وسيد جميع كنانة في حرب الفجار ضد قيس عيلان ، وكان معروف عنه الكرم والجود .

(٢) محمد بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، هو والي مصر أثناء خلافة أخوه هشام بن عبد الملك وقد تركها لأنه رفض أن يظلم أهلها عندما أتاه أمراً ظالماً من أخوه هشام بن عبد الملك .

جواب السائل

حدّث القاضي أبو حامد المروّروذيّ[١] ، قال : وقف سائل من هؤلاء الأنكاد علينا في جامع البصرة وفي المجلس ابن عبدل المنصوريّ ، وابن معروف ، وأبو تمّام الزّينبيّ ، فسأل وألحّ ، فقلت له من بين الجماعة -وقد ضجرت من إلحاحه وصفاقة وجهه- : يا هذا : نزلت بواد غير ذي زرع . قال : صدقت ، ولكن يجبى إليه ثمرات كلّ شيء . فضحكت الجماعة ، ووهبنا له دراهم .

رغيف أم عروس؟

وقف سائل بباب بخيل يطلب إحسانا ؛ فقال له البخيل : النساء لسن في المنزل ؛ يرزقك الله فردّ السائل : إنني أسألك رغيفاً وليس عروساً .

لا أحد

وقف أعرابي سائل على باب وسأل ، فأجابه رجل وقال : ليس هاهنا أحد . فقال : إنك أحد لو جعل الله فيك بركة .

الجوع كافر

قيل لسائل كان يقرأ القرآن : ألا تستحي تسأل بالقرآن؟ قال : اسكتوا فوالله لو جعتم كما أجوع لبعتم جبرائيل وميكائيل فضلاً عن القرآن .

من أنتم؟

وقف سائل على باب دار فقال : يا أهل الدار الصالحين ، فقال صاحب الدار : أولئك بطرسوس ، فقال السائل : يا طالبي ما عند الله ، فقال صاحب الدار : أولئك خرجوا إلى مكة ، فقال السائل : فمن أنتم يا بني القحاب؟!

---

(١) المروروذي القاضي أبو حامد أحمد بن عامر بن بشر بن حامد المروَروذي الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي وصنف الجامع في المذهب وشرح مختصر المزني وصنف في أصول الفقه وكان إماماً لا يشق غباره ونزل البصرة ودربها وعنه أخذ فقهاء البصرة .

سؤال بحماة النبي

قال الجماز : سمعت سائلاً يقول : من يعطيني قطعة حباً لهند حماة النبي ﷺ ؟
قال : وكان آخر يقولك من يعطيني قطعة حباً للأمينين جبريل ومعاوية؟

كسرة خبز

وقف سائل بباب دار فقال صاحب الدار : أغناك الله فليست أم الصبيان ها هنا ، فقال السائل : لم أسألك المجامعة إنما سألت كسرة خبز .

اختلطت عليه الأصوات!

تقدم سائل إلى باب ، وكانت صاحبة الدار قاعدة على البالوعة تبول ، فحسب السائل أن بولها نشيش مقلى ، فقال : أطعمونا من هذا الذي تقلونه ، فضرطت المرأة وقالت : حطبنا رطب وحياتك ليس يشتعل .

سؤال عقب سؤال

وقف سائل بباب المافروخي عامل الأهواز وسأل ، فأعطوه لقمة خبز ، فسكت ساعة ولم يبرح ثم قال : هذا الدواء الذي أعطيتموني كيف أتناوله ، وبأي شيء أقدم عليه ، وبأي شيء أتعقبه؟!

طالب علم

وقف متعلم بباب عالم فقال : واسونا مما رزقكم الله ؛ فأخرجوا له طعاماً فقال : فاقتي إلى كلامكم أشد من حاجتي إلى طعامكم ؛ اعلموا أن فلاناً طالب هدى لا سائل ندى . فأذن له وأوسعه فوائد ، فخرج وهو يقول : علم أوضح لبساً ، خير من مال أغنى نفساً .

الأعمش[1] والبخيل

أخبر أبو القاسم الأزهري ، وأبو مُحَمَّد الجوهري ، قالا : حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن العباس

(١) أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد ، المعروف بالأعمش من علماء الكوفة المشهورين . ولد الأعمش في الكوفة وأصله من بلاد الري ، لحق بأنس بن مالك وكلمه ، لكنه لم يرو عنه شيء . كان عالما بالقرآن ، والحديث ، والفرائض حيث روى نحو حديث .

الخزاز ، حَدَّثَنَا أبو بكر بْن الأنباري ، حَدَّثَنَا أبي القاسم بْن مُحَمَّد الأنباري ، حَدَّثَنَا أبو مُحَمَّد عبد اللَّه بْن قحطبة الصلحي ، أخبرنا أبو حاتم الرازي ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أبي الفضل ، حَدَّثَنَا سعيد الوراق ، قَالَ : كان للأعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل ، يقول : لو دخلت فأكلت كسرة وملحا .

فيأبى عليه الأعمش ، فعرض عليه ذات يوم ، فوافق جوع الأعمش ، فقال : مر بنا .

فدخل عليه ، فقرب إليه كسرة وملحا ، إذ سأل سائل ، فقال له رب المنزل : بورك فيك! فأعاد إليه المسألة ، فقال له : بورك فيك!

استرداد الدرهم

وقف ذات يوم سائل على خالد بن يزيد[1] ، وهو في مجلس من مجالسهم ، فأدخل يده في الكيس ليخرج فلسا ؛ وفلوس البصرة كبار ، فغلط بدرهم بغلي ، فلم يفطن حتى وضعه في يد السائل . فلما فطن استردّه ، وأعطاه الفلس . فقيل له : هذا لا نظنه يحل ، وهو بعد بمثلك قبيح . قال : قبيح عندكم وأما أنا فإني لم أجمع هذا المال بعقولكم ، فأفرّقه بعقولكم .

تهديد وتنفيذ

وروى الجاحظ عن عبد الله بن المقفع[2] ، قال : كان ابن جذام الشبي يجلس إليّ ، وكان ربما انصرف معي إلى المنزل ، فيتغدى معنا ويقيم إلى أن يبرد . وكنت أعرفه بشدة البخل وكثرة المال . فألحّ علي في الاستزارة ، وصمّمت عليه في الامتناع . فقال : جعلت فداك أنت تظن أنّي ممن يتكلّف وأنت تشفق عليّ؟ لا والله إن هي إلا كسيرات يابسة ، وملح ، وماء الحب . فظننت أنه يريد اختلابي بتهوين الأمر عليه . وقلت : إن هذا كقول الرجل : يا غلام أطعمنا كسرة ، وأطعم السائل

---

٢٥ خالد بن يزيد بن معاوية هو حفيد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان وابن الخليفة الثاني يزيد بن معاوية .

٢٦ أبو مُحمّد عبد الله بن المقفع وهو مفكّر فارسي وُلِد مجوسياً لكنه اعتنق الإسلام ، وعاصر كُلاً من الخلافة الأموية والعباسية . درس الفارسية وتعلّم العربية في كتب الأدباء واشترك في سوق المربد .

خمس تمرات . ومعناه أضعاف ما وقع اللفظ عليه . وما أظن أن أحدا يدعو مثلي إلى الخريبة من الباطنة ، ثم يأتيه بكسرات وملح .

فلما صرت عنده ، وقرّبه إليّ ، إذ وقف سائل بالباب فقال : أطعمونا مما تأكلون ، أطعمكم الله من طعام الجنّة . قال : بورك فيك . فأعاد الكلام ، فأعاد عليه مثل ذلك القول . فأعاد عليه السائل ، فقال : اذهب ، ويلك فقد ردوا عليك . فقال السائل : سبحان الله ما رأيت كاليوم أحدا يرد من لقمة ، والطعام بين يديه . قال اذهب ويلك ، وإلا خرجت إليك ، والله ، فدققت ساقيك . قال السائل : سبحان الله ، ينهي الله أن ينهر السائل ، وأنت تدق ساقيه؟ فقلت للسائل : اذهب وأرح نفسك ، فإنك لو تعرف من صدق وعيده مثل الذي أعرف ، لما وقفت طرفة عين ، بعد ردّه إيّاك .

بغض السؤال

قال الجاحظ : حدّثني المصري وكان جار الدار دريشي ، وماله لا يحصى ، قال : فانتهر سائلا ذات يوم وأنا عنده ، ثم وقف آخر فانتهره ، إلا أن ذلك بغيض وحنق . قال : فأقبلت عليه فقلت له : «ما أبغض إليك السؤال» قال : «أجل عامة من ترى منهم أيسر مني» . قال : فقلت : «ما أظنك أبغضتهم إلا لهذا» . قال : «كل هؤلاء لو قدروا على داري هدموها ، وعلى حياتي لنزعوها . أنا لو طاوعتهم فأعطيتهم كلما سألوني ، كنت قد صرت مثلهم منذ زمان . فكيف تظن بغضي يكون لمن أرادني على هذا» .

طرائف الفراسة

أفرس الناس

قال عبد الله بن مسعود[١] رضي الله عنه : «أفرس الناس ثلاثة : العزيز في يوسف عليه السلام ، حيث قال لامرأته : ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾ ، وابنة شعيب حين قالت لأبيها في موسى عليه السلام : ﴿يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ ، وامرأة فرعون حين قالت : ﴿قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾ ، وأبو بكر في عمر رضي الله عنهما ، حيث استخلفه» .

فراسة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

قال النسائي[٢] : حدثنا محمد بن يحيى بن كثير الحراني حدثنا عمر بن حماد بن طلحة حدثنا أسباط بن نصر عن سماك عن علقمة بن وائل عن أبيه أن امرأة وقع عليها رجل في سواد الصبح وهي تعمد إلى المسجد بمكروه على نفسها فاستغاثت برجل مر عليها وفر صاحبها ثم مر عليها ذوو عدد فاستغاثت بهم فأدركوا الرجل الذي كانت استغاثت به فأخذوه وسبقهم الآخر فجاءوا به يقودونه إليها ، فقال : أنا الذي أغثتك وقد ذهب الآخر فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته أنه وقع عليها وأخبر القوم أنهم أدركوه يشتد ، فقال : إنما كنت أغيثها على صاحبها فأدركني هؤلاء فأخذوني ، فقالت : كذب هو الذي وقع علي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انطلقوا به فارجموه ، فقام رجل فقال : لا ترجموه وارجموني فأنا الذي فعلت بها الفعل واعترف .

فاجتمع ثلاثة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : الذي وقع عليها ، والذي أغاثها ، والمرأة ، فقال : أما أنت فقد غفر لك ، وقال للذي أغاثها قولا حسنا ، فقال عمر رضي الله عنه : ارجم الذي اعترف بالزنا فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا إنه قد تاب .

(١) عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ، فقيه الأمة ، حليف بني زهرة وأحد أوائل المهاجرين حيث هاجر الهجرتين وصلى على القبلتين ، وأول من جهر بقراءة القرآن . تولى قضاء الكوفة وبيت المال في خلافة عمر وصدر من خلافة عثمان .

(٢) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي ، القاضي وأحد أئمة الحديث النبوي الشريف صاحب السنن الصغرى والكبرى .

فراسة عمر بن الخطاب

من فراسة عمر رضي الله عنه أنه قال : «يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى» ونزلت الآية ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً﴾.

وأنه قال : «يا رسول الله لو أمرت نساءك أنَ يحتجبن» . فنزلت آية الحجاب .

وأنه قال حين اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة : ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُن﴾ فنزلت كذلك .

بين لين وشدة

لما كان يوم بدر ونصر الله رسوله وأخزى عدوَّه فقتل منهم من قتل وأسر منهم من أسر ، استشار الرسول رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في أمر هؤلاء الأسارى أصحابه ، فقال الصدّيق : يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية ،فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً فسأل عمر بن الخطَّاب فقال : «لا والله ، ما أرى الَّذى رأى أبُو بكر ، ولكن أَرى أن تُمَكِّنَنَا فَنضرِبَ أعناقَهم ، فإنَّ هؤلاء أئمةُ الكفرِ وصناديدُها» وطلب من رسول الله أن يسلم إليه قريبا له من الأسرى فيضرب عنقه وعقيل بن أبي طالب[1] لعلي فيفعل به فعله ليعلم الله أنه ليست في قلوب عباده هوادة للمشركين . وأشار عليه عبد الله بن رواحة[2] رضي الله عنه بحرقهم فدخل رسول الله صلى الله عيه وسلم في خباءه ثم خرج فقال : إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال : «فمن تبعني فإنه منى ومن عصاني فإنك غفور رحيم» ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال : «إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال «ربِّ لا تذر على الأرض من

---

(١) عبد الله بن رواحة ، شاعر الرسول ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، شهد بدر وأحد والخندق ، وبايع بيعة الرضوان ، وكان أحد القواد الثلاثة في غزوة مؤتة .

(٢) عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القُرشي ، صحابي من صحابة محمد بن عبد الله نبي الإسلام وابن عمه الذي قال له : «يَا أَبَا يَزِيدَ ، إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبًّا لِقَرَابَتِكَ ، وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ» .

الكافرين ديارا» وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال «ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب» أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق . فلما كان من الغد ، أقبلَ عُمَرُ ، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَبكى هو وأبُو بكر ، فقال : يا رَسُولَ الله ؛ من أي شيء تبكي أنتَ وصاحبُكَ ، فإن وجدتُ بُكاءً بَكَيْتُ ، وإن لم أَجدْ بكاءً تباكَيْتُ لبكائكما؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : بْكى لِلَّذي عَرَضَ عَلَّى أَصْحَابُك منْ أَخْذهم الفدَاءَ ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَىَّ عَذَابُهُم أدْنَى مِنْ هَذه الشَّجَرة ، وَأَنْزَلَ الله : ﴿مَا كَانَ لِنَبيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أسرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرض﴾ و نقل الإمام ابن القيم في كتابه «زاد المعاد» : اختلاف العلماء في أي الرأيين كان أصوب فمنهم فرجحت طائفة قول عمر لهذا الحديث بينما رجح غيرهم رأي أبي بكر إذ استقرَّ الأمر عليه ولموافقته الكتاب الذي سبق بإحلال المفاداة . وهذا القصة رواها الترمذي والحاكم وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجه الشيخان . ورواه ابن مَرْدَوَيْه من طرق عدة في تفسيره وكذلك رواه الإمام أحمد .

في التظاهر والحجاب

«وآيتي تظاهر وستر» يقصد قوله تعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّه فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْه فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمنينَ وَالْملائكَةُ بَعْدَ ذَلكَ ظَهيرٌ﴾ أو قوله ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلمَات مُؤْمنَات قَانتَات تَائبَات عَابدَات سَائحَات ثَيِّبَات وَأَبْكَاراً﴾ وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَام غَيْرَ نَاظرينَ إِنَاهُ وَلَكنْ إِذَا دُعيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعمْتُمْ فَانْتَشرُوا وَلا مُسْتَأْنسينَ لحَديثٍ إِنَّ ذَلكُمْ كَانَ يُؤْذي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي منْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي منَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ منْ وَرَاء حجَاب ذَلكُمْ أَطْهَرُ لقُلُوبكُمْ وَقُلُوبهنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّه وَلا أَنْ تَنْكحُوا أَزْوَاجَهُ منْ بَعْده أَبَداً إِنَّ ذَلكُمْ كَانَ عنْدَ اللَّه عَظيماً﴾ وقد وافقت هذه الآيات رأي عمر . وورد في حديث ابن عمر الذي رواه مسلم ، «وفي الحجاب» وفي حديث البخاري عن أنس «وآية الحجاب قلت يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه فقلت لهن ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن﴾ فنزلت هذه الآية»

وفي حديث الطيالسي المذكور : وقلت : يا رسول الله ، لو ضربت على نسائك الحجاب فإنه يدخل عليهن البر والفاجر؟ فأنزل الله : ﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب﴾ .

وأورد صاحب الكشاف أن عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه وكان يقول : لو أطاع فيكم ما رأتكم عين وقال : يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت . وروي : أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال : لئن احتجبتن فإن لكن على النساء فضلاً كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب رضي الله عنها : يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى نزلت آية الحجاب .

وروى مسلم عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه - وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب - فقال عمر : فقلت لأعلمن ذلك اليوم ، قال فدخلت على عائشة فقلت : يا ابنة أبي بكر ، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقالت : مالي ومالك يا ابن الخطاب! عليك بعيبتك! قال فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها : يا حفصة ، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم! والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك ، ولولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبكت أشد البكاء ، فقلت لها : أين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت : هو في خزانته في المشربة . فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا على أسكفة المشربة مدل رجليه على نقير من خشب ، وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينحدر . فناديت : يا رباح ، استأذن لي عندك على رسول الله ، فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلي فلم يقل شيئا . ثم قلت : يا رباح ، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلي فلم يقل شيئا . ثم رفعت صوتي فقلت : يا رباح ، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإني أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن أني جئت من أجل حفصة ، والله لئن أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقها لأضربن عنقها ، ورفعت صوتي فأومأ

إلي أن اِرْقَـه ؛ فـدخلت على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وهو مـضطجع على حصير ، فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره ؛ وإذا الحصير قد أثر في جنبه ، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ، ومثلها قرظا في ناحية الغرفة ؛ وإذا أفيق معلق – قال – فابتدرت عيناي . قال : (ما يبكيك يا ابن الخطاب)؟ قلت يا نبي الله ، ومالي لا أبكى وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى! وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته ، وهذه خزانتك! فقال : (يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا) قلت : بلى . قال : ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب ، فقلت : يا رسول الله ، ما يشق عليك من شأن النساء ؛ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل ، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك . وقلما تكلمت – وأحمد الله – بكلام إلا رجوت أن يكون الله عز وجل يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية ، آية التخيير : "عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن» . «وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير» وكانت عائشة بنت أبي بكر[١] وحفصة[٢] تظاهران على سائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : يا رسول الله ، أطلقتهن؟ قال : (لا) . قلت : يا رسول الله ، إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى يقولون : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال : (نعم إن شئت) . فلم أزل أحدثه حتى تحسر الغضب عن وجهه ، وحتى كشر فضحك ، وكان من أحسن الناس ثغرا . ثم نزل نبي الله صلى الله عليه وسلم ونزلت ؛ فنزلت أتشبث بالجذع ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده . فقلت : يا رسول الله ، إنما كنت في الغرفة تسعا وعشرين . قال : (إن الشهر يكون تسعا وعشرين) فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي : لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه .

(١) عائِشة بنت أبي بكر التيميَّة القُرَشيّة ثالث زوجات النبي محمد وإحدى أمهات المؤمنين ، والتي لم يتزوج امرأة بكرًا غيرها ، وبنت الخليفة الأول للنبي محمد أبو بكر بن أبي قحافة .

(٢) أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب إحدى زوجات النبي محمد ، وابنة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وشقيقة الصحابي عبد الله بن عمر .

ونزلت هذه الآية : ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ . فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر ؛ وأنزل الله آية التخيير .[(١)]

في جبريل عليه السلام

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال : إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا فقال عمر : «من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين» قال فنزلت على لسان عمر . وروى الزمخشري في تفسيره أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا : يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال : والله ما أجيئكم لحبكم ولا أسألكم لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا : ذاك عدونا يطلع محمداً على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وإن ميكائيل يجيء بالخصب والسلام . فقال لهم : وما منزلتهما من الله تعالى قالوا : أقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره . وميكائيل عدو لجبريل . فقال عمر : لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدواً لأحدهما كان عدواً للآخر ومن كان عدواً لهما كان عدواً لله . ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(١) وفي هذا الحديث أمور تحتاج التبيين : هذا الحديث أخبر به عمر ابنَ العباس وهما عند مَرِّ الظهران في طريق الحج وقد كان ابن عباس يتحين الفرصة لسؤاله عن المرأتين اللتين ظاهرتا من رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فمكث سنة يتهيبه ثم سأله فأخبره بهذا الحديث . وفيه «ينكتون الأرض بالحصى» أي يضربونها به وهو من فعل المهموم . وفيه «بعيبتك» أي بأهلك وخاصتك تقصد حفصة وورد «الأنصار كرشي وعيبتي» أي خاصتي وموضع سري . وفيه «مشرُبَة» أي غرفة . وفيه «أسكفة» وهي عتبة الباب . وفيه «نقير من خشب» وهو جذع يعمل منه ما يشبه مراقي العصر . وفيه القرظ وهو نبات يدبغ به وفيه أفيق وهو الجلد الذي لم يتم دبغه . وقوله «إنما كنت في الغرفة تسعا وعشرين» إشارة إلى كون الرسول صلى الله عليه وسلَّم آلا من نسائه شهرا فأفهمه النبي صلى الله عليه وسلَّم أن الشهر قد يكون ٢٩ يوما .

لقد وافقك ربك يا عمر . فقال عمر : لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر .

في الخمر

روى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما نزل تحريم الخمر قال عمر : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ؛ فنزلت الآية التي في البقرة ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ قال : فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ؛ فنزلت الآية التي في النساء ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقيمت الصلاة ينادي : ألا لا يقربن الصلاة سكران . فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ؛ فنزلت الآية التي في المائدة وفيها ﴿فهل أنتم منتهون﴾ قال عمر : انتهينا .

وقال سعيد بن جبير[(١)] : كان الناس على أمر جاهليتهم حتى يؤمروا أو ينهوا ؛ فكانوا يشربونها أول الإسلام حتى نزلت : «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس قالوا : نشربها للمنفعة لا للإثم ؛ فشربها رجل–قيل هو عبد الرحمن بن عوف[(٢)] وقيل علي – فتقدم يصلي بهم فقرأ : قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ؛ فنزلت : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ . فقالوا : في غير عين الصلاة . فقال عمر : اللهم أنزل علينا في الخمر بيانا شافيا ؛ فنزلت : ﴿إنما يريد الشيطان﴾ الآية في المائدة . فقال عمر : انتهينا ، انتهينا .

وأورد الزمخشري[(٣)] في تفسيره أنه نزلت في الخمر أربع آيات ، نزلت بمكة

---

(١) الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد ، أبو محمد ، ويقال : أبو عبد الله الأسدي الوالبي ، مولاهم الكوفي ، سعيد بن جبير الأسدي تابعي حبشي الأصل ، كان تقياً وعالماً بالدين درس العلم عن عبد الله بن عباس حبر الأمة وعن عبد الله بن عمر وعن السيدة عائشة أم المؤمنين

(٢) الصحابي عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٣) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري . ولد في زَمَخْشَر يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م ، وتوفي – – ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م في جرجانية خوارزم ، بعد رجوعه من مكة .

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ﴾ فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال . ثم إن عمر ومعاذاً ونفراً من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت : ﴿فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس﴾ فشربها قوم وتركها آخرون . ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ : قل يأيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت : ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ فقلَّ من يشربها . ثم دعا عتبان بن مالك قوماً فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا وافتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه موضحة[1] فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت ﴿إنما الخمر والميسر﴾ إلى قوله : ﴿فهل أنتم منتهون﴾ فقال عمر رضي الله عنه : انتهينا يا رب .

آية الصيام في حل الرفث

قوله تعالى ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ فقد أورد الزمخشري أنه كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة ثم إن عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل فقال عليه الصلاة والسلام : «ما كنت جديراً بذلك يا عمر» فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت الآية . وروى أبو داود عن ابن أبي ليلى قال وحدثنا أصحابنا قال : وكان الرجل إذا أفطر فنام قبل أن يأكل لم يأكل حتى يصبح ، قال : فجاء عمر فأراد امرأته فقالت : إني قد نمت ، فظن أنها تعتل فأتاها . فجاء رجل من الأنصار فأراد طعاما فقالوا : حتى نسخن؟؟ لك شيئا فنام ، فلما أصبحوا أنزلت هذه الآية ، وفيها : ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ .

وذكر الطبري[2] : أن عمر رضي اللّه تعالى عنه رجع من عند النبي صلى اللّه

(١) أي جراحة أبرزت العظم

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري ، إمام من أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة . مؤرخ ومُفسر وفقيه مسلم صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ .

عليه وسلم وقد سمر عنده ليلة فوجد امرأته قد نامت فأرادها فقالت له : قد نمت ، فقال لها : ما نمت ، فوقع بها . وصنع كعب بن مالك مثله ، فغدا عمر على النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال : أعتذر إلى اللّه وإليك ، فإن نفسي زيَّنت لي فواقعت أهلي ، فهل تجد لي من رخصة؟ فقال لي : (لم تكن حقيقا[١] يا عمر) فلما بلغ بيته أرسل إليه فأنبأه بعذره في آية من القرآن . وذكره النحاس ومكي ، وأن عمر نام ثم وقع بامرأته ، وأنه أتى النبي صلى اللّه عليه وسلم فأخبره بذلك فنزلت : ﴿علم اللّه أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن﴾ الآية . فكان سيدنا عمر على بعض الروايات سبب نزولها .

حتى يحكموك

قوله تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ .

روى ابن أبي حاتم[٢] وابن مَرْدَوَيْه في تفسيريهما عن أبي الأسود قال : اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم فقضى بينهما فقال الذي قضى عليه ردنا إلى عمر بن الخطاب فأتيا إليه فقال الرجل قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلَّم على هذا فقال ردنا إلى عمر فقال أكذاك قال نعم فقال عمر مكناكما حتى أخرج إليكم فخرج إليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فقال يا رسول الله قتل عمر والله صاحبي فقال ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن فأنزل الله الآية ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ فأُهدِر دم الرجل وبرئ عمر من قتله .

وأورد ابن العربي[٣] في أحكامه أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي ﴿رَجُلٍ مِنْ الْمُنَافِقِينَ نَازَعَ رَجُلًا

(!) حقيق أي جدير كما في قوله «حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق» .

(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التّميمي الحَنْظَلي الرازي . الشهير بابن أبي حاتم . أبوه هو أبو حاتم الرازي الإمام المحدّث الحافظ . أما الرازي فهو نسبة إلى الري والزاي للنسبة كما في المروزي نسبة إلى مرو الشاهجان .

(٣) محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي ، أحد أشهر المتصوفين لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفية «بالشيخ الأكبر» ولذا ينسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية .

منْ الْيَـهُـود ، فَـقَـالَ الْيَـهُـوديُّ : بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَبُو الْقَاسـم ، وَقَـالَ الْمُنَافقُ : بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْكَاهنُ . وَقيلَ : قَالَ الْمُنَافقُ : بَيْنِي وَبَيْنَكَ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَف ، يَفرُّ الْيَـهُـوديُّ مـمَّنْ يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ وَيُرِيدُ الْمُنَافقُ مَنْ يَقْبَلُهَا . وَيُرْوَى أَنَّ الْيَـهُودِيَّ قَالَ لَهُ : بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَبُو الْقَاسم . وَقَالَ الْمُنَافقُ : بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْكَاهنُ ، حَتَّى تَرَافَعَا إلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَحَكَمَ للْيَهُودِيِّ عَلَى الْمُنَافق ، فَقَالَ الْمُنَافقُ : لاَ أَرْضَى ، بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَبُو بَكْر ; فَأَتَيَا أَبَا بَكْر فَحَكَمَ أَبُو بَكْر للْيَهُودِيِّ . فَقَالَ الْمُنَافقُ : لاَ أَرْضَى ، بَيْنِي وَبَيْنَكَ عُمَرُ . فَأَتَيَا عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ الْيَهُودِيُّ بِمَا جَرَى ;فَقَالَ : أَمْهِلَا حَتَّى أَدْخُلَ بَيْتِي فِي حَاجَة ، فَدَخَلَ فَأَخْرَجَ سَيْفَهُ ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَتَلَ الْمُنَافقَ ;فَشَكَا أَهْلُهُ ذَلكَ إلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ;إنَّهُ رَدَّ حُكْمَكَ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : أَنْتَ الْفَارُوقُ﴾

ولا تصلِّ

قوله تعالى في شأن المنافقين ﴿ولا تصلِّ على أحد مات منهم أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أنه لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول(1) جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه ، فقام عمر وأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما خيرني الله تعالى فقال : «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة» وسأزيد على سبعين) قال : إنه منافق . فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل «ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره» فترك الصلاة عليهم . وفيه أي البخاري عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه

(1) عبد الله بن أبي بن سلول شخصية من شخصيات يثرب واحد قادة ورؤساء الخزرج ورد في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كشخصية معادية للدين الإسلامي مهادنة ظاهرياً ، يلقب بكبير المنافقين .

فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على بن أبي وقد قال يوما كذا وكذا وكذا قال أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا﴾ إلى قوله ﴿وهم فاسقون﴾ قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قصص من فراسته

وأنه دخل عليه قوم فيهم الأشتر[(١)] فصعّد فيه النظر وصوّبه ، وقال : «أيهم هذا؟» قالوا : «مالك بن الحارث» ، فقال : «ماله قاتله الله إني لأرى للمسلمين منه يوما عصيبا» ، فكان منه في الفتنة ما كان .

وعن ابن عمر قال : بينما عمر جالس ، إذ رأى رجلا ، فقال : قد كنت مرة ذا فراسة ، وليس لي رأي ، إن لم يكن قد كان هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة ، ادعوه لي . فدعوه . فقال : هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيء؟ قال : نعم .

وعن يحيى بن سعيد ، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال لرجل : ما اسمك؟

قال : جمرة .

قال : أبو من؟

قال : أبو شهاب

قال : ممن؟

قال : من الحرقة

قال : وأين مسكنك؟

قال : بحرة النار

(١) مالك بن الحارث الأشتر النخعي زعيم قبيلة وقائد عسكري شارك في فُتوح الشام وكان من أصحاب علي بن أبي طالب حيث شهد معه الجَمَل وصفين اللتان أبدى فيهما شجاعة مفرطة وشهد مع علي مشاهده كلها ، وولاه علي على مصر .

قال : بأيتها؟

قال : بذات لظى

قال عمر رضي الله عنه : أدرك أهلك فقد احترقوا

فكان كما قال عمر رضي الله عنه .

وعن محارب بن دثار[١] ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قال لرجل قاض : من أنت؟

قال : قاضي دمشق .

قال : كيف تقضي؟

قال : أقضي بكتاب الله .

قال : فإذا جاءك ما ليس في كتاب الله؟

قال : أقضي بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فإذا جاءك ما ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال : أجتهد برأيي ، وأوامر جلسائي .

فقال : أحسنت!

قال عمر : وإذا جلست فقل : اللهم إني أسألك أن أفتي بعلم ، وأن أقضي بحلم ، وأسألك العدل في الغضب والرضا .

قال : فسار الرجل ما شاء الله أن يسير ، ثم رجع إلى عمر رضي الله عنه .

فسأله : ما أرجعك؟

قال : رأيت الشمس والقمر يقتتلان مع كل واحد منهما جنود من الكواكب .

قال عمر : مع أيهما كنت؟

قال : مع القمر .

قال : يقول الله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾

لا تلي لي عملا .

---

(١) محارب بن دثار من بني سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ويكنى أبا مطرف ولي قضاء الكوفة وكان راويا لبعض الأحاديث والآثار ولكن أئمة الحديث لم يكونوا يحتجون به .

وتمامه فلما اقتتل علي ومعاوية كان مع معاوية .
وعن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يسأله ، فقال : جئت أطلب العلم .
قال : بل جئت تبتغي الضلالة .
ثم كشف عن رأسه فوجده ذا شعر ، فقال : لو كنت محلوقا لضربت عنقك .

وعن أبي ربيعة قال : لما نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، إلى مال جلولاء ونهاوند في المسجد ، حين طلعت عليه الشمس ، فحميت الآنية ، وبرقت الحلية . بكى . فقيل : يا أمير المؤمنين! ما هذا بيوم حزن وبكاء .
قال : قد عرفت ، ولكنه لم يفش المال في قوم قط ، إلاّ ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة .
ومن فراسته أنه كان إذا حدثه الرجل بالحديث فيكذب فيه بالكلمة والكلمتين فيقول عمر رضي الله عنه : احبس هذه . احبس هذه . . . فيقول الرجل : والله والله ، كل ما حدثتك به حق ، غير ما أمرتني أن احبسه .
وعن الحارث الغنوي أن رجلا من بني عامر تزوج امرأة من قومه فدخلت عليهما امرأة فقالت : الحمد لله والله لقد أرضعتكما وإنكما لإبناي فانقبض كل واحد منهما عن صاحبه فخرج الرجل حتى أتى المغيرة بن شعبة فأخبره بقول المرأة فكتب فيه إلى عمر فكتب عمر : أن ادع الرجل والمرأة فإن كان لها بينة على ما ذكرت ففرق بينهما وإن لم يكن لها بينة فخل بين الرجل وبين امرأته إلا أن يتنزها ولو فتحنا هذا الباب للناس لم تشأ امرأة أن تفرق بين اثنين إلا فعلت .

البحث عن القاتل

قال الليث بن سعد أتى عمر بن الخطاب يوما بفتى أمرد وقد وجد قتيلا ملقى على وجه الطريق فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر فشق ذلك عليه فقال : اللهم أظفرني بقاتله حتى إذا كان على رأس الحول وجد صبيا مولودا ملقى بموضع القتيل فأتى به عمر فقال ظفرت بدم القتيل إن شاء الله تعالى .
فدفع الصبي إلى امرأة وقال لها قومي بشأنه وخذي منا نفقته وانظري من يأخذه منك فإذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلميني بمكانها فلما شب الصبي

جاءت جارية فقالت للمرأة إن سيدتي بعثتني إليك لتبعثي بالصبي لتراه وترده إليك قالت نعم اذهبي به إليها وأنا معك فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت علي سيدتها فلما رأته أخذته فقبلته وضمته إليها فإذا هي ابنة شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت عمر فأخبرته فاشتمل على سيفه ثم أقبل إلى منزل المرأة فوجد أباها متكئا على باب داره فقال له : يا فلان ما فعلت ابنتك فلانة؟

قال : جزاها الله خيرا يا أمير المؤمنين هي من أعرف الناس بحق أبيها مع حسن صلاتها والقيام بدينها ، فقال عمر : قد أحببت أن أدخل إليها فأزيدها رغبة في الخير وأحثها عليه فدخل أبوها ودخل عمر معه فأمر عمر من عندها فخرج وبقي هو والمرأة في البيت فكشف عمر عن السيف وقال : اصدقيني وإلا ضربت عنقك ، وكان لا يكذب ، فقالت على رسلك فوالله لأصدقن إن عجوزا كانت تدخل علي فأتخذها أما ، وكانت تقوم من أمري بما تقوم به الوالدة وكنت لها بمنزلة البنت حتى مضى لذلك حين ثم إنها قالت : يا بنية إنه قد عرض لي سفر ولي ابنة في موضع أتخوف عليها فيه أن تضيع وقد أحببت أن أضمها إليك حتى أرجع من سفري فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيئة الجارية وأتتني لا أشك أنه جارية فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية حتى اغتفلني يوما وأنا نائمة فما شعرت حتى علاني وخالطني فمددت يدي إلى شفرة كانت إلى جانبي فقتلته ثم أمرت به فألقى حيث رأيت فاشتملت منه على هذا الصبي فلما وضعته ألقيته في موضع أبيه فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك ، فقال : صدقت ثم أوصاها ودعا لها وخرج وقال لأبيها نعمت الابنة ابنتك ثم انصرف .

كعب بن سور[1]

من المنقول عن كعب بن سور قاضي عمر بن الخطاب أنه اختصم إليه امرأتان

(١) كعب بن سور بن بكر بن الأزدي ، من قبيلة من أهل اليمن ، كان كعب مسيحياً في الجاهلية ، واعتنق الإسلام عن وعي وإدراك–واقتناع ، فكان من القلة الخيرة المؤمنة من أهل الكتاب ، لم تثبت رؤيته للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يرو عنه أي حديث ، وإن عاصر كبار الصحابة ، وفقه آيات الأحكام والحديث ويعد كعب من كبار التابعين . مكث في القضاء اثني عشر عاماً فقد =

كان لكل واحدة منهما ولد فانقلبت إحدى المرأتين على أحد الصبيين فقتلته فادعت كل واحدة منهما الباقي فقال كعب : لست بسليمان بن داود ثم دعا بتراب ناعم ففرشه ثم أمر المرأتين فوطئتا عليه ثم مشى الصبي عليه ثم دعا القائف فقال انظر هذه الأقدام فألحقه بإحداهما .

خراج العين

قال عمر بن شبة[1] وأتى صاحب عين هجر إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين إن لي عينا فاجعل لي خراج ما تسقي قال هو لك فقال كعب يا أمير المؤمنين ليس له ذلك قال ولم قال لأنه يفيض ماؤه عن أرضه فيسيح في أراضي الناس ولو حبس ماؤه في أرضه لغرقت فلم ينتفع بأرضه ولا بمائه فمره فليحبس ماءه عن أراضي الناس إن كان صادقا فقال له عمر أتستطيع أن تحبس ماءك قال لا قال فكانت هذه لكعب

فراسة عثمان بن عفان

أنه دخل عليه بعض الصحابة ، وكان قد مرّ بالسوق فنظر إلى امرأة ، فلما نظر إليه عثمان قال : «يدخل أحدكم عليّ وفي عينيه أثر الزنا» . فقال له : أَوَحْياً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ، قال عثمان : «لا ولكن فراسة صادق» .

وأنه لما تفرّس أنه مقتول ولابد ، أمسك عن القتال والدفع عن نفسه لئلا يجري بين المسلمين قتال وآخر الأمر يقتل هو ، فأَحبَّ أن يُقتل دون أن يقع قتال بين المسلمين .

= استقضاه عمر قاضياً على البصرة في سنة ١٨هـ ، ولم يزل كعب قاضياً لعمر حتى استشهد عمر رضي الله عنه في عام ٢٣هـ ، وفي عام ٢٩هـ ولى عثمان بن عفان عبد الله بن عامر على البصرة ، فأعاد ابن عامر كعباً على القضاء فلم يزل حتى استشهد .

(١) هو المحدث الثقة المؤرخ أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري المولود سنة ١٧٣هـ والمتوفى سنة ٢٦٢هـ .

فراسة علي بن أبي طالب

أَكْثَرَ رجلٌ الثَّناء على عليٍّ رضي الله عنه بلسان لا يوافقه القلب ، فقال له : (أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك) .

قال رجل من اليهود لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما دفنتكم نبيكم حتى قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم : (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) .

قضى علي رضي الله عنه في مولود ولد له رأسان وصدران في حقو واحد ، فقالوا : أيورث ميراث اثنين أم ميرا واحد؟ فقال يترك حتى ينام ، ثم يصاح به ، فإن انتبها جميعاً كان له ميراث واحد ، وإن انتبه واحد وبقي الآخر : كان له ميراث اثنين .

روى محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال : خاصم غلام من الأنصار أمه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجحدته فسأله البينة فلم تكن عنده ، وجاءت المرأة بنفر فشهدوا أنها لم تتزوج وأن الغلام كاذب عليها وقد قذفها فأمر عمر بضربه فلقيه علي رضي الله عنه فسأل عن أمرهم فأخبر فدعاهم ثم قعد في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وسأل المرأة فجحدت فقال للغلام اجحدها كما جحدتك فقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها أمي! قال : اجحدها وأنا أبوك والحسن والحسين أخواك ، قال : قد جحدتها وأنكرتها ، فقال علي لأولياء المرأة : أمري في هذه المرأة جائز قالوا نعم وفينا أيضا فقال علي أشهد من حضر أني قد زوجت هذا الغلام من هذه المرأة الغريبة منه يا قنبر ائتني بطينة فيها دراهم فأتاه بها فعد أربعمائة وثمانين درهما فدفعها مهرا لها وقال للغلام خذ بيد امرأتك ولا تأتنا إلا وعليك أثر العرس ، فلما ولى قالت المرأة يا أبا الحسن الله الله هو النار هو والله ابني ، قال : وكيف ذلك؟ قالت : إن أباه كان هجينا وإن إخوتي زوجوني منه فحملت بهذا الغلام وخرج الرجل غازيا فقتل وبعثت بهذا إلى حي بني فلان فنشأ فيهم وأنفت أن يكون ابني ، فقال علي : أنا أبو الحسن وألحقه بها وثبت نسبه .

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب سأل رجلا : كيف أنت؟ فقال : ممن يحب الفتنة ويكره الحق ويشهد على ما لم يره ، فأمر به إلى السجن فأمر علي برده وقال : صدق ، قال : كيف صدقته؟ قال : يحب المال والولد وقد قال تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة ويكره الموت وهو حق ويشهد أن محمدا رسول الله ولم يره فأمر عمر رضي الله عنه

بإطلاقه وقال : الله أعلم حيث يجعل رسالاته .

وقال الأصبغ بن نباتة[١] جاء رجل إلى مجلس علي والناس حوله فجلس بين يديه ثم التفت إلى الناس فقال : يا معشر الناس إن للداخل حيرة وللسائل روعة وهما دليل السهو والغفلة فاحتملوا زلة إن كانت من سهو ونزل بي ولا تحسبوني من شر الدواب عند الله الذين لا يعقلون

فتبسم علي رضي الله عنه وأعجب به

فقال : يا أمير المؤمنين إني وجدت ألفا وخمسمائة درهم في خربة بالسواد فما علي وما لي؟ فقال له علي : إن كنت أصبتها في خربة تؤدي خراجها قرية أخرى عامرة بقربها فهي لأهل تلك القرية وإن كنت وجدتها في خربة ليست تؤدي خراجها قرية أخرى عامرة فلك فيها أربعة أخماس ولنا خمس ، قال الرجل : أصبتها في خربة ليس حولها أنيس ولا عندها عمران فخذ الخمس ، قال : قد جعلته لك .

إثبات نسب

وأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل أسود ومعه امرأة سوداء فقال : يا أمير المؤمنين إني أغرس غرسا أسود وهذه سوداء على ما ترى فقد أتتني بولد أحمر ، فقالت المرأة : والله يا أمير المؤمنين ما خنته وإنه لولده فبقى عمر لا يدري ما يقول فسئل عن ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال للأسود : إن سألتك عن شيء أتصدقني؟ قال : أجل والله ، قال : هل واقعت امرأتك وهي حائض قال قد كان ذلك ، قال علي : الله أكبر إن النطفة إذا خلطت بالدم فخلق الله عز وجل منها خلقا كان أحمر فلا تنكر ولدك فأنت جنيت على نفسك .

كشف الحيلة

وقال جعفر بن محمد أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه فلما لم يساعدها احتالت عليه فأخذت بيضة فألقت

(١) أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي المُجاشِعي كان من خاصَّة الإمام أمير المؤمنين علي ، ومن الوجوه البارزة بين أصحابه ، وأحد ثقاته ، وهو مشهور بثباته واستقامته على حبه . وصفته النصوص التاريخية القديمة بأنه شيعي ، وأنه مشهور بِحُبِّ علي

صفرتها وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها ، ثم جاءت إلى عمر صارخة فقالت : هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي وهذا أثر فعاله!

فسأل عمر النساء فقلن له : إن ببدنها وثوبها أثر المني .

فهم بعقوبة الشاب فجعل يستغيث ويقول : يا أمير المؤمنين تثبت في أمري فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت!

فقال عمر : يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟ فنظر علي إلى ما على الثوب ثم دعا بماء حار شديد الغليان فصب على الثوب فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه وذاقه فعرف طعم البيض وزجر المرأة فاعترفت .

علي يفرق بين المتهمين

وقال الأصبغ بن نباتة إن شابا شكا إلى علي رضي الله عنه نفرا فقال : إن هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي فسألتهم عنه فقالوا : مات فسألتهم عن ماله فقالوا : ما ترك شيئا وكان معه مال كثير وترافعنا إلى شريح فاستحلفهم وخلى سبيلهم فدعا علي بالشرط فوكل بكل رجل رجلين وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم أن يدنو من بعض ولا يدعو أحدا يكلمهم ودعا كاتبه ودعا أحدهم فقال : أخبرني عن أبي هذا الفتى في أي يوم خرج معكم وفي أي منزل نزلتم وكيف كان سيركم وبأي علة مات وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمن غسله ودفنه ومن تولى الصلاة عليه وأين دفن ونحو ذلك والكاتب يكتب ثم كبر علي فكبر الحاضرون والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنوا أن صاحبهم قد أقر عليهم ، ثم دعا آخر بعد أن غيب الأول عن مجلسه فسأله كما سأل صاحبه ثم الآخر كذلك حتى عرف ما عند الجميع فوجد كل واحد منهم يخبر بضد ما أخبر به صاحبه ثم أمر برد الأول فقال : يا عدو الله قد عرفت غدرك وكذبك بما سمعت من أصحابك وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق ثم أمر به إلى السجن وكبر وكبر معه الحاضرون ، فلما أبصر القوم الحال لم يشكو أن صاحبهم أقر عليهم فدعا آخر منهم فهدده فقال : يا أمير المؤمنين والله لقد كنت كارها لما صنعوا ثم دعا الجميع فأقروا بالقصة واستدعى الذي في السجن وقيل له : قد أقر أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق فأقر بمثل ما أقر به القوم فأغرمهم المال وأقاد منهم بالقتيل .

وروي أن امرأة رفعت إلى علي وشهد عليها أنها بغت وكان من قصتها أنها كانت يتيمة عند رجل وكان للرجل امرأة وكان كثير الغيبة عن أهله فشبت اليتيمة فخافت

المرأة أن يتزوجها زوجها فدعت نسوة حتى أمسكها فأخذت عذرتها بأصبعها فلما قدم زوجها من غيبته رمتها المرأة بالفاحشة وأقامت البينة من جاراتها اللواتي ساعدنها على ذلك فسأل المرأة : ألك شهود؟ قالت : نعم هؤلاء جاراتي يشهدن بما أقول فأحضرهن علي وأحضر السيف وطرحه بين يديه وفرق بينهن فأدخل كل امرأة بيتا فدعا امرأة الرجل فأدارها بكل وجه فلم تزل عن قولها فردها إلى البيت الذي كانت فيه ودعا بإحدى الشهود وجثا على ركبتيه وقال : قد قالت المرأة ما قالت ورجعت إلى الحق وأعطيتها الأمان وإن لم تصدقيني لأفعلن ولأفعلن ، فقالت : لا والله ما فعلت إلا أنها رأت جمالا وهيبة فخافت فساد زوجها فدعتنا وأمسكناها لها حتى افتضتها بأصبعها ، فقال علي : الله أكبر أنا أول من فرق بين الشاهدين فألزم المرأة حد القذف وألزم النسوة جميعا العقر وأمر الرجل أن يطلق المرأة وزوجه اليتيمة وساق إليها المهر من عنده .

ثم حدثهم أن دانيال عليه السلام كان يتيما لا أب له ولا أم وأن عجوزا من بني اسرائيل ضمته وكفلته وأن ملكا من ملوك بني اسرائيل كان له قاضيان وكانت امرأة مهيبة جميلة تأتي الملك فتناصحه وتقص عليه وأن القاضيين عشقاها ، فراوداها عن نفسها فأبت فشهدا عليها عند الملك أنها بغت ، فدخل الملك من ذلك أمر عظيم فاشتد غمه وكان بها معجبا فقال لهما إن قولكما مقبول وأجلها ثلاثة أيام ثم ترجمونها ، ونادى في البلد احضروا رجم فلانة ، فأكثر الناس في ذلك وقال الملك لثقته : هل عندك من حيلة؟ فقال : ماذا عسى عندي وقد شهد عليها القاضيان؟ فخرج ذلك الرجل في اليوم الثالث فإذا هو بغلمان يلعبون وفيهم دانيال وهو لا يعرفه

فقال دانيال : يا معشر الصبيان تعالوا حتى أكون أنا الملك وأنت يا فلان المرأة العابدة وفلان وفلان القاضيين الشاهدين عليها ، ثم جمع ترابا وجعل سيفا من قصب وقال للصبيان خذوا بيد هذا القاضي إلى مكان كذا وكذا ففعلوا ، ثم دعا الآخر فقال له : قل الحق فإن لم تفعل قتلتك بأي شيء تشهد؟

والوزير واقف ينظر ويسمع فقال : أشهد أنها بغت ، قال : متى؟ قال : في يوم كذا وكذا قال مع من قال مع فلان بن فلان ، قال : في أي مكان؟ قال : في مكان كذا وكذا ، فقال : ردوه إلى مكانه وهاتوا الآخر ، فردوه إلى مكانه وجاءوا بالآخر فقال : بأي شيء تشهد؟ قال : بغت ، قال : متى؟ قال : يوم كذا وكذا ، قال : مع من؟ قال : مع فلان بن فلان ، قال : وأين؟ قال : في موضع كذا وكذا ، فخالف صاحبه .

فقال دانيال عليه السلام : الله أكبر شهدا عليها والله بالزور فاحضروا قتلهما .
فذهب الثقة إلى الملك مبادرا فأخبره الخبر فبعث إلى القاضيين ففرق بينهما وفعل بهما ما فعل دانيال فاختلفا كما اختلف الغلامان فنادى الملك في الناس أن احضروا قتل القاضيين فقتلهما .

قطع يد السارق

قال الأصبغ بن نباتة بينما علي رضي الله عنه جالس في مجلسه إذ سمع ضجة فقال : ما هذا؟ فقالوا : رجل سرق ومعه من يشهد عليه فأمر بإحضارهم فدخلوا فشهد شاهدان عليه أنه سرق درعا فجعل الرجل يبكي ويناشد عليا أن يتثبت في أمره .

فخرج علي إلى مجتمع الناس بالسوق فدعا بالشاهدين فناشدهما الله وخوفهما فأقاما على شهادتهما فلما رآهما لا يرجعان دعا بالسكين وقال : ليمسك أحدكما يده ويقطع الآخر ، فتقدما ليقطعاه فهاج الناس واختلط بعضهم ببعض وقام علي عن الموضع فأرسل الشاهدان يد الرجل وهربا .

فقال علي : من يدلني على الشاهدين الكاذبين؟ فلم يوقف لهما على خبر فخلى سبيل الرجل .

مراجعة النفس

وجاءت إلى علي رضي الله عنه امرأة فقالت : إن زوجي وقع على جاريتي بغير أمري ، فقال للرجل : ما تقول؟ قال : ما وقعت عليها إلا بأمرها ، فقال : إن كنت صادقة رجمته وإن كنت كاذبة جلدتك الحد وأقيمت الصلاة وقام ليصلي ، ففكرت المرأة في نفسها فلم تر لها فرجا في أن يرجم زوجها ولا في أن تجلد فولت ذاهبة ولم يسأل عنها علي .

من ادعى أنه أخرس

قال بعضهم : رأيت في أقضية علي رضي الله عنه نظير هذه القضية وأن المضروب ادعى أنه أخرس وأمر أن يخرج لسانه وينخس بإبرة فإن خرج الدم أحمر فهو صحيح اللسان وإن خرج أسود فهو أخرس .

علي يحكم في فداء الأسرى

وقال أصبغ بن نباتة قيل لعلي رضي الله عنه في فداء أسرى المسلمين من أيدي المشركين فقال : فادوا منهم من كانت جراحاته بين يديه دون من كانت من ورائه فإنه فار .

من أقضية علي

قال وأوصى رجل إلى آخر أن يتصدق عنه من هذه الألف دينار بما أحب فتصدق بعشرها وأمسك الباقي فخاصموه إلى علي

وقالوا : يأخذ النصف ويعطينا النصف

فقال : أنصفوك

قال : إنه قال لي أخرج منها ما أحببت!

قال : فأخرج عن الرجل تسعمائة والباقي لك ، قال : وكيف ذلك؟ قال : لأن الرجل أمرك أن تخرج ما أحببت وقد أحببت التسعمائة فأخرجها .

وقضى في رجلين حرين يبيع أحدهما صاحبه على أنه عبد ثم يهربان من بلد إلى بلد بقطع أيديهما لأنهما سارقان لأنفسهما ولأموال الناس .

وقضى علي أيضا في امرأة تزوجت فلما كان ليلة زفافها أدخلت صديقها الحجلة سرا وجاء الزوج فدخل الحجلة فوثب إليه الصديق فاقتتلا فقتل الزوج الصديق فقامت إليه المرأة فقتلته فقضى بدية الصديق على المرأة ثم قتلها بالزوج وإنما قضى بدية الصديق عليها لأنها هي التي عرضته لقتل الزوج له فكانت هي المتسببة في قتله وكانت أولى بالضمان من الزوج المباشر لأن المباشر قتله قتلا مأذونا فيه دفعا عن حرمته .

وقضى في رجل فر من رجل يريد قتله فأمسكه له آخر حتى أدركه فقتله وبقربه رجل ينظر إليهما وهو يقدر على تخليصه فوقف ينظر إليه حتى قتله فقضى أن يقتل القاتل ويحبس الممسك حتى يموت وتفقأ عين الناظر الذي وقف ينظر ولم ينكر .

وقضى في رجل قطع فرج امرأته أن تؤخذ منه دية الفرج ويجبر على إمساكها حتى تموت وإن طلقها أنفق عليها .

وروى محمد بن سهل حدثنا عبد الله بن محمد البلوى حدثني عمارة بن زيد حدثنا عبد الله بن العلاء عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : أتي عمر

بن الخطاب بإنسان له رأسان وفمان وأربع أيد وأربع أعين وأربع أرجل وإحليلان ودبران فقالوا : كيف يرث يا أمير المؤمنين؟

فدعا بعلي فقال : فيها قضيتان ، إحداهما ينظر إذا نام فإن غط غطيط واحد فنفس واحدة وإن غط كل منهما فنفسان ، وأما القضية الأخرى فيطعمان ويسقيان فإن بال منهما جميعا وتغوط منهما جميعا فنفس واحدة وإن بال من كل واحد منهما على حده وتغوط من كل واحد على حدة فنفسان .

فلما كان بعد ذلك طلبا النكاح فقال علي رضي الله عنه : لا يكون فرج في فرج وعين تنظر ، ثم قال علي : أما إذ قد حدثت فيهما الشهوة فإنهما سيموتان جميعا سريعا فما لبثا أن ماتا وبينهما ساعة أو نحوها .

الإكراه على الفاحشة

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى بامرأة زنت فسألها فأقرت فأمر برجمها

فقال علي : لعل لها عذرا ، ثم قال لها : ما حملك على الزنا؟ قالت : كان لي خليط وفي إبله ماء ولبن ولم يكن في إبلي ماء ولا لبن فظمئت فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتى أعطيه نفسي فأبيت عليه ثلاثا فلما ظمئت وظننت أن نفسي ستخرج أعطيته الذي أراد فسقاني ، فقال علي : الله أكبر فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم .

وفي سنن البيهقي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : أتى عمر بامرأة جهدها العطش فمرت على راع فاستسقت فأبى أن يسقيها إلا أن تمكنه من نفسها فشاور الناس في رجمها ، فقال علي : هذه مضطرة أرى أن تخلي سبيلها ففعل .

ادرءوا الحدود بالشبهات

ومن ذلك أن امرأة رفعت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد زنت فسألها عن ذلك فقالت نعم يا أمير المؤمنين وأعادت ذلك وأيدته فقال علي إنها لتستهل به استهلال من لا يعلم أنه حرام فدرأ عنها الحد وهذا من دقيق الفراسة .

من عجائب القضاء

من قضايا علي رضي الله عنه أنه أتى برجل وجد في خربة بيده سكين ملطخة بدم وبين يديه قتيل يتشحط في دمه فسأله فقال : أنا قتلته ، قال : اذهبوا به فاقتلوه

فلما ذهب به أقبل رجل مسرعا فقال : يا قوم لا تعجلوا وردوه إلى علي ، فردوه فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه أنا قتلته .

فقال علي للأول : ما حملك على أن قلت أنا قاتله ولم تقتله؟ قال : يا أمير المؤمنين وما أستطيع أن أصنع وقد وقف العسس على الرجل يتشحط في دمه وأنا واقف وفي يدي سكين وفيها أثر الدم وقد أخذت في خربة فخفت ألا يقبل منى وأن يكون قسامة فاعترفت بما لم أصنع واحتسبت نفسي عند الله .

فقال علي : بئسما صنعت ، فكيف كان حديثك؟

قال : إني رجل قصاب خرجت إلى حانوتي في الغلس فذبحت بقرة وسلختها فبينما أنا أسلخها والسكين في يدي أخذني البول فأتيت خربة كانت بقربي فدخلتها فقضيت حاجتي وعدت أريد حانوتي فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط في دمه فراعني أمره فوقفت أنظر إليه والسكين في يدي فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا علي فأخذوني فقال الناس هذا قتل هذا ما له قاتل سواه فأيقنت أنك لا تترك قولهم لقولي فاعترفت بما لم أجنه .

فقال علي للمقر الثاني : فأنت كيف كانت قصتك؟

فقال : أغواني إبليس فقتلت الرجل طمعا في ماله ثم سمعت حس العسس فخرجت من الخربة واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصف فاستترت منه ببعض الخربة حتى أتى العسس فأخذوه وأتوك به فلما أمرت بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضا فاعترفت بالحق .

فقال للحسن : ما الحكم في هذا؟ قال : يا أمير المؤمنين إن كان قد قتل نفسا فقد أحيا نفسا وقد قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا فخلى علي عنهما وأخرج دية القتيل من بيت المال .

من ادعى فقد بصره أو شمه

ورفع إلى بعض القضاة رجل ضرب رجلا على هامته فادعى المضروب أنه أزال بصره وشمه فقال يمتحن بأن يرفع عينيه إلى قرص الشمس فإن كان صحيحا لم

تثبت عيناه لها وينحدر منهما الدمع وتحرق خرقة وتقدم إلى أنفه فإن كان صحيح الشم بلغت الرائحة خيشومه ودمعت عيناه .

عبد الله بن عمر[1] والحسين[2]

من فراسة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الحسين بن علي رضي الله عنهما لمّا ودَّعه قال : «أستودعك الله من قتيل» ، ومع الحسين رضي الله عنه كتب أهل العراق تناشده الحضور لنصرته ، فكانت فراسة ابن عمر أصدق من كتبهم .

ومن فراسة الحسين رضي الله عنه ، أن رجلاً ادعى عليه مالاً ، فقال الحسين : ليحلف على ما ادعاه ويأخذه . فتهيأ الرجل لليمين وقال : والله الذي لا إله إلا هو . فقال الحسن . قل! والله والله والله-ثلاثاً إن هذا الذي يدعيه عندي ، وفي قلبي . ففعل الرجل ذلك . وقام ، فاختلفت رجلاه وسقط ميتاً! فقيل للحسين : لم فعلت ذلك؟ أي عدلت عن قوله : والله الذي لا إله إلا هو ، إلى قوله والله ثلاثاً فقال : كرهت أن يُثني على الله ، فيحلم عنه .

الشعبي[3]

من فراسة الشعبي-رحمه الله- أنه قال لأبي داود الأزدي[4] -وهو يماريه- : «إنك لا تموت حتى تكوى في رأسك» ، فكان كذلك

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، ويكنى بأبي عبد الرحمن ، صحابي جليل وابن ثاني خلفاء المسلمين عمر بن الخطاب وراوي حديث وعالم من علماء الصحابة .

(٢) الحُسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي سبط النبي محمد رسول الإسلام وحفيده ويلقب بسيد شباب أهل الجنة ، خامس أصحاب الكساء ، كنيته أبو عبد الله ، والإمام الثالث لدى المسلمين الشيعة . ولد في المدينة ، ونشأ في بيت النبوة ، وإليه نسبة كثير من الحسينيين .

(٣) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، والمشهور بـ الإمام الشعبي ٢١ هـ/١٠٠ هـ ، تابعي وفقيه ومحدث من السلف ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب .

(٤) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي سيستان وبلوتشستان (محافظة) المشهور بأبي داود (٢٠٢-٢٧٥ هـ) إمام أهل الحديث في زمانه وهو صاحب كتابه المشهور بسنن أبي داود .

فراسة الشافعي[1]

جاء ثلاثة رجال يقال لهم الربيع والمزني والبويطي للإمام الشافعي فنظر إليهم وقال للربيع : أنت تموت في الحديث ، وقال عن المزني : هذا لو ناظره الشيطان قطعه وجدله ، وقال للبويطي : أنت تموت في الحديد . . .!!

ويقول الربيع أحد الثلاثة : فدخلت على البويطي أيام المحنة ، فرأيته مقيدا مغلولا .

وفي زمن الشافعي كانت الفراسة في أوج عهدها ، فكان هناك عدد من المتفرسين الذين يتقنون الفراسة يحكمون على الأشخاص من ظواهرهم وكانت دائما ما تصدق أحكامهم ، فكانوا يجهرون بذكر مساوئ الناس أمام العامة مما أدى إلى تضايق عدد من رجال الدين فاعترضوا عليهم وزادوا أن قالوا أن علمكم باطل وغير صحيح فلا يسمع أحد لأحكامهم المشينة ، وهنا كان ذكاء الإمام الشافعي ، فما قام به لأجل هذا أنه سافر إلى اليمن لتعلم الفراسة ويتأكد إن كانت صحيحه أم لا ، قضى في اليمن ثلاث سنوات فتعلم الفراسة وأتقنها أيما إتقان وحينها قرر العودة مرة أخرى إلى ديارة في مكة ، وهو في طريق السفر توقف في إحدى الليالي عند بيت رجل ليرتاح تلك الليلة طرق عليه الباب وفتح له رجل فطلب منه الشافعي أن يضيفه لأنه مسافر ، حين رأى الشافعي ذلك الرجل أدرك أنه رجلٌ لئيم لا يكاد يقوى على ضيافة أحد ، فتفاجئ أن الرجل رحب به وأدخله منزلة بل وأطعمه من أفضل الأطعمة وأوجد له أفضل غُرفه لينام بها !! . فجعل يتقلب في فراشه طوال الليل وهو يقول : ما أصنع بهذه الكتب لو خابت فراستي في الرجل؟ أيذهب علم ثلاث سنوات!!! لكنه لما أصبح وعزم على الرحيل قال الشافعي للرجل من باب رد الجميل : إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فاسأل عن الشافعي فقال له الرجل وقد بانت حقيقته : أخادِمُ أبيك أنا ؟ ، فأخرج له ورقة كان قد سجل بها كل ما أعطاه للشافعي وطلب من الشافعي أن يدفع قيمتها !! أعطاه الشافعي ما أراد وعاد فرحاً بأنه لم يكن ليخيب علمه الذي تعلمه ، وحين عاد أخبر أصحاب الفراسة أن علمهم صحيح

(١) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلِبيّ القرشيّ هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي ، ومؤسس علم أصول الفقه ، وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث ، وقد عمل قاضياً فعُرف بالعدل والذكاء .

بشرط ألا يؤذوا الناس بذكر المساوئ أمام العامة .

ومن أقواله المأثورة رحمه الله تعالى في علم فراسة الأبدان : احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكوسج ، وكل من به عاهة (خاصة من ولد بها) في بدنه .

وقد جاءه رجل مرة ليسأله عن مسألة شرعية ، فقال له الشافعي رحمه الله : أنت نسّاج؟؟ فأجابه الرجل نعم وعندي أجراء .

وجاءه مرة رجل يسأله مسألة فقال له الشافعي : من أهل صنعاء أنت؟؟ فقال : نعم ، قال الشافعي : فلعلك حداد؟ قال : نعم!!

وروى أحد تلامذة الشافعي أنه اشترى له طيبا بدينار ، فسأله الشافعي : ممن اشتريت؟؟ ، فقال : من الرجل العطار الأشقر الأزرق ، فقال الشافعي : أشقر وأزرق؟؟ اذهب ورد العطر ، ما جاءني خير قط من أشقر!!

وقد تعلّم في وقت مبكر من حياته علم النجوم والحساب بها لمعرفة ما تخبأه الأقدار ، وقد أجاده كعادته في كل علم يتناوله . . . لكنه تاب منه وتركه بعد قصة لطيفة نقلها الإمام الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء فقال : جلس الشافعي يوما وامرأته تطلق (في حالة طلق وولادة) ، فحسب (يعني بالنجوم) فقال : تلد جارية عوراء ، على فرجها خال أسود ، وتموت إلى يوم كذا وكذا ، فولدت زوجته كما قال ، فجعل على نفسه ألا ينظر فيه أبدا ودفن تلك الكتب .

وكان يجلس هو ومحمد بن الحسن[1] يتفرسان في الناس ، فمر رجل عليهما فقال محمد بن الحسن للشافعي : أحزر ، فقال الشافعي : قد رابني أمره ، إما أن يكون نجارا أو خياطا . قال الحميدي (راوي القصة) فقمت إليه فقلت : ما حرفة الرجل؟؟ فقال : كنت نجارا وأنا اليوم خياط .

وكذلك قال الربيع : مر أخي في صحن الجامع ، فدعاني الشافعي ، فقال : يا

(١) محمد بن الحسن الشيباني (١٣١ هـ-١٨٩ هـ) عالم مسلم ، فقيه ومحدث ولغوي ، صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان ، وناشر مذهبه ، يلقب «صاحب أبي حنيفة ، وفقيه العراق» . ولد بواسط سنه ١٣١ هـ ، ونشأ بالكوفة ، وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه ، وتمم الفقه على القاضي أبي يوسف ، وأخذ عن سفيان الثوري والأوزاعي ، ورحل إلى مالك بن أنس في المدينة . تولى القضاء زمن هارون الرشيد ، وانتهت إليه رياسة الفقهِ بالعراق بعد أبي يوسف .

ربيع! هذا المار الذي يمشي أخوك؟ قلت : نعم . ولم يكن رآه قبل ذلك .

وقال المزني[1] : كنت مع الشافعي في الجامع ، إذ دخل رجل يدور على النيام الذين ينامون في المسجد ، فقال الشافعي للربيع : قم فقل له : ذهب لك عبد أسود مصاب بإحدى عينيه؟

قال الربيع : فقمت إليه فقلت له ، فقال : نعم . فقلت : تعال ، فجاء إلى الشافعي ، فقال : أين عبدي؟ فقال الشافعي : تجده في الحبس ، فذهب الرجل فوجده في الحبس .

قال المزني : فقلت للشافعي : أخبرنا فقد حيرتنا ، قال : نعم . رأيت رجلاً دخل من باب المسجد يدور بين النيام ، فقلت : يطلب هارباً ، ورأيته يجيء إلى السود دون البيض ، فقلت : هرب له عبد أسود ، ورأيته يجيء ليرى العين اليسرى ، فقلت : مصاب بإحدى عينيه ، قلنا : فما يدريك أنه في الحبس ، فقال : هذا هو الغالب ، أي : أنهم إذا جاعوا سرقوا ، وإذا شبعوا أفسدوا ، فتأولت أنه قد فعل شيئاً في ذلك ، مادام أنه هارب يبحث عن شيء ، فقد سرق وأنه في السجن .

فراسة المهدي[2]

أخبر أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد قال : بلغني أن المهدي لما فرغ من عيسى باذ ركب في جماعة يسيرة لينظر ، فدخل مفاجأة فأخر كل من كان هناك من الناس ، وبقي رجلان خفيا عن أبصار الأعوان ، فرأى المهدي أحدهما وهو دهش لا يعقل ، فقال : من أنت؟ قال : أنا أنا أنا ، قال : ويلك من أنت؟ قال : لا أدري ، قال : ألك حاجة؟ قال : لا لا ، قال : أخرجوه أخرج الله نفسه . فدفع في قفاه ، فلما خرج قال لغلامه : اتبعه من حيث لا يعلم فسل عن أمره ومهنته ، فإني أخاله حائكاً .

---

(١) المزني هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق بن مسلم بن نهدلة بن عبد الله المصري ، قال المصنف في الطبقات : كان المزني زاهدا عالما مجتهدا مناظرا محجاجا غواصا على المعاني الدقيقة .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله . هو ثالث خلفاء الدولة العباسية بالعراق . ولد بإيذج من كور الأهواز عام ١٢٧ هـ 745\م وتوفي بماسبذان أمه هي أم موسى بنت منصور الحميرية .

فخرج الغلام يقفوه ، ثم رأى الآخر فاستنطقه فأجابه بقلب قوي ولسان جريء فقال : من أنت؟ فقال : رجل من أبناء رجال دعوتك ، قال : فما جاء بك إلى هنا؟ قال : جئت لأنظر هذا البناء الحسن . وأتمتع بالمنظر ، وأكثر من الدعاء لأمير المؤمنين بطول المدة ، وتمام النعمة ، ونماء العز والسلامة ؛ قال : ألك حاجة؟ قال : نعم خطبت ابنة عم لي فردني أبوها ، وقال : لا مال لك ، والناس يرغبون في المال وأنا بها مشغوف ، قال : قد أمرت لك بخمسين ألف درهم ، قال : جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين ، قد وصلت فأجزلت الصلة ومننت فأعظمت المنة ، فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه ، وآخر أيامك خيراً من أولها ، ومتعك بما أنعم به وأمتع رعيتك بك . فأمر أن يعجل صلته ووجه بعض خاصته معه وقال : سل عن مهنته فإني أخاله كاتباً . فجاء الرسول الأول فقال : وجدته حائكاً وأخبر الآخر قال : وجدته كاتباً . فقال المهدي : لم يخف علي مخاطبة الحائك والكاتب .

سليمان يحكم بالفراسة

دخلت امرأتان على سليمان[1] وكانتا متزوجتين من أخوان ويعيشان في بيت واحد . نامت إحداهما ليلا مع رضيعه وقتلتها خطأ ويبدو من الوارد في التوراة أنها نامت عليه دون تشعر فأدى ذلك إلى وفاته . فقامت في حين غفلة من المرأة أخرى وأخذت ابنها ووضعت الرضيع الميت مكانه إلا أن الحيلة لم تنطلي على المرأة لمعرفتها بابنها وقرروا الاحتكام لدى سليمان . سمع سليمان حجج المرأتين وكلتيهما يدعيان أمومة الطفل فنادى على سياف وأمره بشق الطفل إلى نصفين ليحل الخلاف ، فاضطربت والدة الطفل الحقيقية وسألت سليمان ألا يقتله ويعطيه لغريمتها بينما كان رد الأخرى جافا ووافقت على شق الطفل لكيلا يكون لأيهما . حينها علم سليمان أيهم أم الطفل الحقيقية وهي تلك التي آثرت أن تفقد طفلها على أن تراه يقتل .

(١) سليمان (عبرية : شلومو) هو أحد ملوك مملكة إسرائيل حسب الوارد في سفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الأول وحسب التلمود ، هو أحد الأنبياء الثمانية والأربعين وابن داود وثالث ملوك مملكة إسرائيل الموحدة قبل انقسامها إلى مملكة إسرائيل الشمالية وهي المملكة التي بقي يحكمها قبائل إسرائيل الاثنا عشر ومملكة يهوذا في الجنوب والتي حكمها أبناء قبيلة يهوذا وهي القبيلة الوحيدة الباقية من القبائل الاثنا عشر حسب كتابات اليهود يعتقد أنه عاش في الفترة ما بين ٩٧٠ ق .م حتى ٩٣١ ق .م .

أحسن من القمر

كان عيسى بن موسى[1] يحب زوجته حبا شديدا ، فقال لها يوما : انت طالق أن لم تكوني أحسن من القمر ، فنهضت ، واحتجت عنه ، وقالت : قد طلقتني ، فبات بليلة عظيمة ، فلما أصبح غدا إلى المنصور ، وأخبره الخبر ، وقال : يا أمير المؤمنين ، تم طلاقها ، تلفت نفسي غما ، وكان الموت أحب إلي من الحياة ، وظهر منه جزع شديد ، فأحضر الفقهاء ، واستفتاهم ، فقال جميع من حضر ، قد طلقت ، إلا رجلا من أصحاب ابي حنيفة[2] ، فإنه سكت

فقال له المنصور[3] : مالك لا تتكلم؟

فقال : ﴿والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين ، لقد خلقنا الأنسان في أحسن تقويم﴾ فلا شيء أحسن من الإنسان فقال المنصور لعيسى بن موسى : قد فرج الله تعالى عنك والأمر كما قال ، فأقم على زوجتك ، وراسلها أن أطيعي زوجك ، فما طلقت

---

(١) عيسى بن موسى ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ولي العهد أبو موسى الهاشمي أميرٌ عباسي ، من الولاة القادة ، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح ، كان يقال له : شيخ الدولة .

(٢) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ فقيه وعالم مسلم ، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي .

(٣) أبو جعفر عبد الله المنصور (٧١٢-٧٧٥) ، واسمه الكامل عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم . وهو أسن من أخيه السفاح بست سنين ولكن أخاه الإمام إبراهيم بن محمد بن علي حينما قبض عليه جنود مروان بن محمد سلم الإمامة لابي العباس دون المنصور . واشتهر المنصور بتشييد مدينة بغداد التي تحولت لعاصمة الدولة العباسية . وتولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح من عام ٧٥٤م حتى وفاته في عام ٧٧٥م ، ١٣٦ إلى ١٥٨هـ .

فراسة أبي حنيفة

لمّا حُمِل سفيان الثوري[١] ، ومسعر[٢] ، أبو حنيفة ، وشريك[٣] إلى المنصور (ليختار منهم قاضياً للحكم) .

قال لهم أبو حنيفة :

أُخمِّن فيكم تخميناً ، أمّا أنا فأحتال لنفسي

وأمّا سفيان فيهرب من الطريق

وأمّا مسعر فيجنن نفسه

وأمّا شريك فيقع .

فلمّا ساروا في الطريق

قال سفيان : أريد أن أتبَّرز .

فخرج معه جندي ، فصار إلى حائط ، فجلس خلفه

فمرت سفينة شوك ، فقال لهم : إنّ هذا الذّي خلف الحائط يريد أن يذبحني!

فقالوا : ادخل السفينة

فدخل وغَطُّوه بالشوك ، فمر على الجندي فلم يره .

فلمّا أبطأ ناداه : يا أبا عبد الله! فلم يجبه

فجاءه فلم يره ، فرجع إلى صاحبه ، فضربه وشَتَمه .

فلمّا دخل الثلاثة على المنصور

بادر إليه مسعر فصافحه ، وقال :

---

(١) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الربابي التميمي من بني تميم ولد في عام (٩٧ هـ - ١٦١ هـ) كان أحد أئمة الإسلام يقول عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء «هو شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب الجامع» .

(٢) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث ، الإمام الثبت ، شيخ العراق أبو سلمة الهلالي الكوفي ، الأحول ، الحافظ ، من أسنان شعبة .

(٣) شَرِيك النَّخَعي (٩٥ - ١٧٧ هـ / ٧١٣ - ٧٩٤ م) قاضي وفقيه وعالم بالحديث . هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي . ولد في بخارى . استقضاه المنصور العباسي على الكوفة سنة ١٥٣ هـ ، ثم عزله . وأعاده المهدي ، فعزله موسى الهادي . توفي بالكوفة .

كيف حال أمير المؤمنين ؟ ، وكيف جواريك ؟ ، وكيف داويك؟ تولني يا أمير المؤمنين القضاء

فقال رجل على رأسه : هذا مجنون!

قال : صدقت ، أخرجوه ، فخلَّى سبيله .

فدعا أبا حنيفة ، فجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا النعمان بن ثابت بن مملوك الخزاز ، وأهل الكوفة لا يرضون أن يلي عليهم ابن مملوك خزاز .

قال : صدقت .

فذهب شريك يتكلّم ، فقال : اسكت ، فما بقي أحد غيرك ، خُذ عهدك .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ فيَّ نِسياناً .

فقال : عليك بمضغ اللبن .

قال : وبي خِفَة .

قال : نصنع لَك الفالوذج[١] تأكله قبل أن تجلس في مجلس الحكم .

قال : إنّي أحكم على الصادر والوارد .

قال : اُحكم ، ولو على ولدي .

نظرة ثاقبة

قال الإمام القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم[٢] صاحب الإمام أبي حنيفة : توفى أبي وأنا صغير فأسلمتني أمي إلى قصار ، فكنت أمر على حلقة أبي حنيفة فاجلس فيها ، فكانت أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار ، ثم كنت أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي حنيفة ، فلما طال عليها ذلك قالت لأبي حنيفة : إن هذا الصبي يتيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلي ، وإنك قد أفسدته علي ، فقال لها : اسكتي يا رعناء ، ها هو ذا يتعلم العلم وسيأكل الفالوذج

(١) نوع من الحلوى .

(٢) أبو يوسف (١١٣ هـ-١٨٢ هـ/ ٧٣١ ٧٩٨ م) يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المشهور بأبي يوسف وهو من تلاميذ الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان . «القاضي أبو يوسف هو الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة ، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي» .

بدهن الفستق في صحون الفيروزج ، فقالت له : إنك شيخ قد خرفت ، قال أبو يوسف : فلما وليت القضاء -وكان أول من ولاه القاضي هادي- وهو أول من لقب قاضي القضاة .

وكان يقال له : قاضي قضاة الدنيا لأنه كان يستنيب في سائر الأقاليم التي يحكم فيها الخليفة -قال أبو يوسف : فبينما كنت ذات يوم عند الرشيد ؛ أتى بفولاذج في صحن فيروزج ، فقال لي : كل من هذا فإنه لا يصنع لنا في كل وقت ، وقلت : وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال : الفالوذج . قال : فتبسمت ، فقال : لم تتبسم؟ فقلت : لا شيء ، أبقى الله أمير المؤمنين . فقال : لتخبرني ، فقصصت عليه القصة . فقال : إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة ، ثم قال : رحم الله أبا حنيفة ، فلقد كان ينظر بعين عقله ، ما لا ينظر بعين رأسه .

أي سنه وجد ربك؟

قال الملحدون لأبي حنيفة : في أي سنة وجد ربك؟

قال : الله موجود قبل التاريخ والأزمنة لا أول لوجوده . . . .

قال لهم : ماذا قبل الأربعة؟ قالوا : ثلاثة . . قال لهم :ماذا قبل الثلاثة ؟

قالوا : اثنان . . قال لهم : ماذا قبل الإثنين ؟

قالوا : واحد . . قال لهم : وما قبل الواحد ؟

قالوا : لا شيء قبله .

قال لهم : إذا كان الواحد الحسابي لا شيء قبله ، فكيف بالواحد الحقيقي وهو الله! إنه قديم لا أول لوجوده . .

قالوا : في أي جهة يتجه ربك؟

قال : لو أحضرتم مصباحا في مكان مظلم إلى أي جهة يتجه النور؟

قالوا : في كل مكان . .

قال : إذا كان هذا النور الصناعي ، فكيف بنور السماوات والأرض !؟

قالوا : عرّفنا شيئا عن ذات ربك؟ أهي صلبة كالحديد أو سائلة كالماء؟ أم غازية كالدخان والبخار؟

فقال : هل جلستم بجوار مريض مشرف على النزع الأخير؟ قالوا : جلسنا . .

قال : هل كلمكم بعدما أسكته الموت؟

قالوا : لا . قال : هل كان قبل الموت يتكلم ويتحرك؟

قالوا : نعم .

قال : ما الذي غيره؟

قالوا : خروج روحه .

قال : أخرجت روحه؟

قالوا : نعم .

قال : صفوا لي هذه الروح ، هل هي صلبة كالحديد أم سائلة كالماء؟ أم غازية كالدخان والبخار؟

قالوا : لا نعرف شيئا عنها!!

قال : إذا كانت الروح المخلوقة لا يمكنكم الوصول إلى كنهها فكيف تريدون مني أن أصف لكم الذات الإلهية ؟!

فراسة إياس [١]

قال نعيم بن حماد ، عن إبراهيم بن مرزوق البصري : كنا عند إياس بن معاوية قبل أن يُستقضى ، وكنا نكتب عنه الفراسة كما نكتب عن المحدث الحديث ، إذ جاء رجل فجلس على دكان مرتفع بالمربد ، فجعل يترصد الطريق . فبينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً ، فنظر إلى وجهه ، ثم رجع إلى موضعه ، فقال إياس : قولوا في هذا الرجل . قالوا : ما نقول؟ رجل طالب حاجة . فقال : هو معلم صبيان ، قد أبق له غلام أعور .

فقام إليه بعضنا فسأله عن حاجته؟ فقال : هو غلام لي آبق . قالوا وما صفته؟ قال كذا وكذا وإحدى عينيه ذاهبة ، قلنا وما صنعتك؟ قال : أعلم الصبيان!

قلنا لإياس : كيف علمت ذلك؟ قال : رأيته جاء ، فجعل يطلب موضعاً يجلس فيه ، فنظر إلى أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه . فنظرت في قدره فإذا ليس قدره قدر الملوك ، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك فلم أجدهم إلا المعلمين ،

(١) وُلِد إياسُ بن معاوية بن قُرَّةَ المزني سنة ٤٦ للهجرة في منطقة اليمامة في نجد ، وانتقل مع أسرته إلى البصرة ، وبها نشأ وتعلَّم ، وتردَّد على دمشق في يفاعته ، وأخذ عمن أدركهم من بقايا الصحابة الكرام وجِلَّة التابعين .

فعلمت أنه معلم صبيان . فقلنا : كيف علمت أنه أبق له غلام؟ قال : إني رأيته يترصد الطريق ، ينظر في وجوه الناس . قلنا : كيف علمت أنه أعور؟ قال : بينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً قد ذهبت إحدى عينيه ، فعلمت أنه اشتبه عليه بغلامه .

وتقدم إلى إياس بن معاوية أربع نسوة . فقال إياس : أما إحداهن فحامل ، والأخرى مرضع ، والأخرى ثيب ، والأخرى بكر .

فنظروا فوجدوا الأمر كما قال . قالوا : كيف عرفت؟ فقال : أما الحامل فكانت تكلمني وترفع وبها عن بطنها فعرفت أنها حامل ، وأما المرضع : فكانت تضرب ثدييها فعرفت أنها مرضع ، وأما الثيب : فكانت تكلمني وعينها في عيني فعرفت أنها ثيب ، وأما البكر : فكانت تكلمني وعينها في الأرض فعرفت أنها بكر .

وقال أبو الحسن المدائني ، عن عبد الله بن مصعب[(١)] : أن معاوية بن قرة شهد عند ابنه إياس بن معاوية -مع رجال عدلهم -على رجل بأربعة آلاف درهم ، فقال المشهود عليه : يا أبا وائلة ، تثبت في أمري ، فوالله ما أشهدتهم إلا على ألفين . فسأل إياس أباه والشهود : أكان في الصحيفة التي شهدوا عليها فضل؟ قالوا : نعم ، كان الكتاب في أولها والطية في وسطها ، وباقي الصحيفة أبيض . قال : أفكان المشهود له يلقاكم أحيانا ، فيذكركم شهادتكم بأربعة آلاف درهم؟ قالوا : نعم ، كان لا يزال يلقانا ، فيقول : اذكروا شهادتكم على فلان بأربعة آلاف درهم ، فصرفهم ، ودعا المشهود له . فقال : يا عدو الله ، تغفلت قوما صالحين مغفلين ، فأشهدتهم على صحيفة جعلت طيتها في وسطها ، وتركت فيها بياضا في أسفلها ، فلما ختموا الطية قطعت الكتاب الذي فيه حقك ألفا درهم ، وكتبت في البياض أربعة آلاف فصارت الطية في آخر الكتاب ، ثم كنت تلقاهم فتلقنهم ، وتذكرهم أنها أربعة آلاف ، فأقر بذلك ، وسأله الستر عليه ، فحكم له بألفين وستر عليه .

وقال إبراهيم بن مرزوق البصري : جاء رجلان إلى إياس بن معاوية ; يختصمان

---

(١) عبد الله بن مصعب ابن ثابت ، ابن الخليفة عبد الله بن الزبير بن العوام الأمير الكبير أبو بكر الأسدي الزبيري ، والد مصعب الزبيري .

في قطيفتين : إحداهما حمراء ;والأخرى خضراء ;فقال أحدهما : دخلت الحوض لأغتسل ، ووضعت قطيفتي ، ثم جاء هذا ، فوضع قطيفته تحت قطيفتي ، ثم دخل فاغتسل ، فخرج قبلي ، وأخذ قطيفتي فمضى بها ;ثم خرجت فتبعته ، فزعم أنها قطيفته ;فقال : ألك بينة؟ قال : لا . قال : ائتوني بمشط ;فأتي بمشط ، فسرح رأس هذا ، ورأس هذا . فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ، ومن رأس الآخر صوف أخضر ;فقضى بالحمراء للذي خرج من رأسه الصوف الأحمر ، وبالخضراء للذي خرج من رأسه الصوف الأخضر .

ذَكَر حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ حُمَيْد الطَّوِيلِ : أَنَّ إِيَاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ اخْتَصَمَ إِلَيْه رَجُلَان ، اسْتَوْدَعَ أَحَدُهُمَا صَاحبَهُ وَديعَةً ؛ فَقَالَ : صَاحبُ الْوَديعَة : اسْتَحْلفْهُ بَاللَّه مَا لِي عنْدَهُ وَديعَةٌ فَقَالَ إِيَاسٌ : بَلْ أَسْتَحْلفُهُ بَاللَّه مَالَك عنْدَهُ وَديعَةٌ وَلاَ غَيْرُهَا .

وَهَذَا منْ أَحْسَن الْفرَاسَة ؛ فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ : «مَا لَهُ عنْدي وَديعَةٌ» احْتَمَلَ النَّفْيَ ؛ وَاحْتَمَلَ الإِقْرَارَ فَيَنْصبُ «مَالَهُ» بفعْل مَحْذُوف مُقَدَّر ؛ أَيْ دَفَعَ مَالَهُ إِلَيَّ ، أَوْ أَعْطَاني مَالَهُ ؛ أَوْ يَجْعَلُ «مَا» مَوْصُولَةً وَالْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ صلَتَهَا وَوَديعَةٌ خَبَرٌ عَنْ «مَا» فَإِذَا قَالَ : «وَلاَ غَيْرُهَا» تعَيَّنَ النَّفْيُ .

وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ[1] : شَهدْت إِيَاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ في رَجُل ارْتَهَنَ رَهْنًا ؛ فَقَالَ الْمُرْتَهنُ : رَهَنْته بعَشَرَة وَقَالَ الرَّاهنُ : رَهَنْته بخَمْسَة ؛ فَقَالَ : إِنْ كَانَ للرَّاهن بَيِّنَةٌ أَنَّهُ دَفَعَ إِلَيْه الرَّهْنَ فَالْقَوْلُ ، مَا قَالَ الرَّاهنُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَيِّنَةٌ بدَفْع الرَّهْن إِلَيْه ؛ وَالرَّهْنُ بيَد الْمُرْتَهنِ . فَالْقَوْلُ مَا قَالَ الْمُرْتَهنُ ؛ لأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَجَحَدَهُ الرَّهْنَ .

وقال معتمر بن سليمان ، عن زيد أبي علاء : شهدت إياس بن معاوية اختصم إليه رجلان ، فقال أحدهما : إنه باعني جارية رعناء ;فقال إياس : وما عسى أن تكون هذه الرعونة؟ قال : شبه الجنون . فقال إياس : يا جارية ، أتذكرين متى ولدت؟ قالت : نعم ، قال : فأي رجليك أطول؟ قالت : هذه ;فقال إياس : ردها ، فإنها مجنونة .

---

(١) أبو سلمة حماد بن سلمة حماد بن سلمة البصري شيخ الإسلام ، إمام في الحديث وإمام في النحو ، مولى آل ربيعة بن مالك وقيل مولى غيرهم ، وابن أخت حميد الطويل .

وقال هلال بن العلاء الرقي عن القاسم بن منصور عن عمرو بن بكير : مر إياس بن معاوية ، فسمع قراءة من علية ، فقال : هذه قراءة امرأة حامل بغلام ، فسئل ، كيف عرفت ذلك؟ فقال سمعت بصوتها ونفسها مخالطة . فعلمت أنها حامل وسمعت صحلا ، فعلمت أن الحمل غلام ، ومر بعد ذلك بكتاب فيه صبيان . فنظر إلى ، صبي منهم ، فقال : هذا ابن تلك المرأة فكان كما قال .

وقال رجل لإياس بن معاوية : علمني القضاء فقال : إن القضاء لا يعلم ، إنما القضاء فهم ، ولكن قل : علمني من العلم ، وهذا هو سر المسألة ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ، إذ نفشت فيه غنم القوم ، وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكما وعلما﴾ فخص سليمان بفهم القضية ، وعمهما بالعلم . وكذلك كتب عمر إلى قاضيه أبي موسى في كتابه المشهور : «والفهم الفهم فيما أدلي إليك» .

فراسة المعتضد

قال أبو علي التنوخي : «بلغني عن المعتضد أنه كان جالساً في بيت يُبنى له ، فرأى فيهم غلاماً أسود منكر الخلقة يصعد السلالم درجتين درجتين ، ويحمل ضعف ما يحمله غيره ، فأنكر ذلك وطلبه ، وسأله عن سبب ذلك ، فتلجلج فكلمه ابن حمدون فيه وقال : من هذا حتى صرفت فكرك إليه؟ قال : قد وقع في خلدي أمر لا أحسبه باطلاً . ثم أمر به فضُرب مئة وتهدده بالقتل ، ودعا بالنطع والسيف ، فقال الغلام : الأمان الأمان ؛ أنا أعمل في الفرن ، فدخل من شهور رجل معه دنانير فأخرجها ، فوثبت عليه وسددت فاه وكتفته وألقيته في الأتون -والذهب معي- يقوى به قلبي . فأخذ منه المعتضد الكيس الذي فيه الدنانير ، وإذا على الكيس اسم صاحبه ، فنودي في البلد عن صاحب الكيس ، فجاءت امرأة فقالت : هو زوجي ولي منه طفل . فسلّم الذهب إليها ، وقتل ذلك الغلام» .

ومن فراسته أَنَّهُ رُفِعَ إِلَيْه أَنَّ صَيَّادًا أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي دِجْلَةَ ، فَوَقَعَ فِيهَا جِرَابٌ فيه كَفٌّ مَخْضُوبَةٌ بِحِنَّاء ، وَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْه ، فَهَالَهُ ذَلِكَ . وَأَمَرَ الصَّيَّادَ أَنْ يُعَاوِدَ طَرْحَ الشَّبَكَة هُنَالِكَ فَفَعَلَ ، فَأَخْرَجَ جِرَابًا آخَرَ فيه رِجْلٌ ، فَاغْتَمَّ الْمُعْتَضِدُ وَقَالَ : مَعِي فِي الْبَلَدِ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا وَلاَ أَعْرِفُهُ؟ ثُمَّ أَحْضَرَ ثِقَةً لَهُ وَأَعْطَاهُ الجِرَابَ ، وَقَالَ : طُفْ بِهِ عَلَى

كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ الجُرُبَ بِبَغْدَادَ .

فَإِنْ عَرَفَهُ أَحَدُ مِنْهُمْ فَاسْأَلْهُ عَمَّنْ بَاعَهُ مِنْهُ ، فَإِذَا دَلَّك عَلَيْهِ فَاسْأَلْ الْمُشْتَرِي عَنْ ذَلِكَ وَنَقِّرْ عَنْ خَبَره .

فَغَابَ الرَّجُلُ ثَلَاثَةَ أَيَّام ، ثُمَّ عَادَ ، فَقَالَ : مَا زِلْت أَسْأَلُ عَنْ خَبَره حَتَّى انْتَهَى إِلَى فُلَان الْهَاشِمِيِّ ، اشْتَرَاهُ مَعَ عَشَرَة جُرُب ، وَشَكَا الْبَائِعُ شَرَّهُ وَفَسَادَهُ ، وَمِنْ جُمْلَة مَا قَالَ : إِنَّهُ كَانَ يَعْشَقُ فُلَانَةَ الْمُغَنِّيَةَ وَأَنَّهُ غَيَّبَهَا ، فَلَا يُعْرَفُ لَهَا خَبَرٌ ، وَادَّعَى أَنَّهَا هَرَبَتْ ، وَالجِيرَانُ يَقُولُونَ : إِنَّهُ قَتَلَهَا .

فَبَعَثَ الْمُعْتَضِدُ مَنْ كَبَسَ مَنْزِلَ الْهَاشِمِيِّ وَأَحْضَرَهُ ، وَأَحْضَرَ الْيَدَ وَالرِّجْلَ ، وَأَرَاهُ إِيَّاهُمَا ، فَلَمَّا رَآهُمَا امْتَقَعَ لَوْنُهُ ، وَأَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ وَاعْتَرَفَ .

فَأَمَرَ الْمُعْتَضِدُ بِدَفْعِ ثَمَنِ الْجَارِيَةِ إِلَى مَوْلَاهَا ، وَحَبَسَ الْهَاشِمِيَّ حَتَّى مَاتَ فِي الْحَبْسِ .

فراسة أحمد بن طولون (١)

ومن عجب الفراسة ما ذكر أحمد بن طولون أنه بينما هو في مجلس له يتنزه فيه إذ رأى سائلا في ثوب خلق فوضع دجاجة في رغيف وحلوى وأمر بعض الغلمان يدفعه إليه فلما وقع في يده لم يهش ولم يعبأ به

فقال للغلام : جئني به ، فلما وقف أمامه استنطقه فأحسن الجواب ولم يضطرب من هيبته ، فقال : هات الكتب التي معك واصدقني من بعثك فقد صح عندي أنك صاحب خبر ، وأحضر السياط فاعترف ، فقال بعض جلسائه : هذا والله السحر ، قال : ما هو بسحر ولكن فراسة صادقة ، رأيت سوء حاله فوجهت إليه بطعام يشره إلى أكله الشبعان فما هش له ولا مد يده إليه فأحضرته فتلقاني بقوة جأش فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جأشه علمت أنه صاحب خبر فكان كذلك .

ورأى يوما حمالا يحمل صنا وهو يضطرب تحته

فقال لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاضت عنق الحمال وأنا أرى عنقه بارزة وما أرى هذا الأمر إلا من خوف

---

(١) الأمير أحمد بن طولون أمير مصر ومؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام ولد سنة ٨٣٥ ميلادية والى مصر . كان والده من أتراك القبجاق .

فأمر بحط الصن فإذا فيه جارية قد قتلت وقطعت

فقال اصدقني عن حالها

فقال أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة فضربه وقتل الأربعة

وكان يتنكر ويطوف يسمع قراءة الأئمة ، فدعى ثقته وقال : خذ هذه الدنانير وأعطها إمام مسجد كذا فإنه فقير مشغول القلب ففعل وجلس معه وباسطه فوجد زوجته قد ضربها الطلق وليس معه ما يحتاج إليه فقال صدق عرفت شغل قلبه في كثرة غلطه في القراءة .

فراسة المستكفي(١)

ومن ذلك أن اللصوص أخذوا في زمن المستكفي مالا عظيما فألزم المستكفي صاحب الشرطة بإخراج اللصوص أو غرامة المال ، فكان يركب وحده ويطوف ليلا ونهارا إلى أن اجتاز يوما في زقاق قال في بعض أطراف البلد فدخله فوجده متنكرا ووجده لا ينفذ فرأى على بعض أبوابه شوك سمك كثير وعظام الصلب ، فقال لشخص : كم يكون تقدير ثمن هذا السمك الذي هذه عظامه؟ قال : دينار ، قال : أهل الزقاق لا تحتمل أحوالهم مشترى مثل هذا لأنه زقاق بين الاختلال إلى جانب الصحراء لا ينزله من معه شيء يخاف عليه أو له مال ينفق منه هذه النفقة وما هي إلا بلية ينبغي أن يكشف عنها فاستبعد الرجل هذا وقال : هذا فكر بعيد ، فقال : اطلبوا لي امرأة من الدرب أكلمها فدق بابا غير الذي عليه الشوك واستسقى ماء فخرجت عجوز ضعيفة فما زال يطلب شربة بعد شربة وهي تسقيه وهو في خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله وهي تخبره غير عارفة بعواقب ذلك إلى أن قال لها : وهذه الدار من يسكنها؟ وأومأ إلى التي عليها عظام السمك ، فقالت : فيها خمسة شباب أعفار كأنهم تجار وقد نزلوا منذ شهر لا نراهم نهارا إلا في كل مدة طويلة ونرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعا وهم في طول النهار يجتمعون فيأكلون

(١) هو أبو القاسم عبد الله ابن المكتفي ابن المعتضد ، المستكفي بالله من خلفاء الدولة العباسية . ولد في سنة ٢٩٢ هـ . بويع له بالخلافة عند خلع المتقي في صفر سنة ٣٣٣ هـ . لقب المستكفي نفسه وضرب ذلك على السكة .

ويشربون ويلعبون بالشطرنج والنرد ولهم صبي يخدمهم فإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم بالكرخ ويدعون الصبي في الدار يحفظها فإذا كان سحرا جاءوا ونحن نيام لا نشعر بهم ، فقال للرجل : هذه صفة لصوص أم لا؟ قال : بلى ، فأنفذ في الحال فاستدعى عشرة من الشرط وأدخلهم إلى أسطحة الجيران ودق هو الباب فجاء الصبي ففتح فدخل الشرط معه فما فاته من القوم أحد فكانوا هم أصحاب الجناية بعينهم .

الفراسة الصادقة

مِنْ الْفِرَاسَة الصَّادِقَة : فِرَاسَةُ خُزَيْمَةَ بْن ثَابت[1] ، حِينَ قَدِمَ وَشَهِدَ عَلَى عَقْد التَّبَايُع بَيْنَ الأَعْرَابِيِّ وَرَسُول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – . وَلَمْ يَكُنْ حَاضِرًا ، تَصْدِيقًا لِرَسُول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ – فِي جَمِيع مَا يُخْبِرُ بِه .

وَمِنْهَا : فِرَاسَةُ حُذَيْفَةَ بْن الْيَمَان[2] ، وَقَدْ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– عَيْنًا إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَجَلَسَ بَيْنَهُمْ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لِيَنْظُرْ كُلٌّ مِنْكُمْ جَلِيسَهُ ، فَبَادَرَ حُذَيْفَةُ وَقَالَ لِجَلِيسه : مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ : فُلَانُ بْنُ فُلَان .

ومِنْهَا : فِرَاسَةُ الْمُغِيرَةَ بْن شُعْبَةَ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ عَلَى الْبَحْرَيْن . فَكَرِهَهُ أَهْلُهَا فَعَزَلَهُ عُمَرُ عَنْهُمْ ، فَخَافُوا أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ دِهْقَانُهُمْ : إِنْ فَعَلْتُمْ مَا آمُرُكُمْ بِه لَمْ يَرُدَّهُ عَلَيْنَا . قَالُوا مُرْنَا بِأَمْرِك . قَالَ : تَجْمَعُونَ مِائَةَ أَلْف دِرْهَم ، حَتَّى أَذْهَبَ بِهَا إِلَى عُمَرَ ، وَأَقُولَ : إِنَّ الْمُغِيرَةَ اخْتَانَ هَذَا وَدَفَعَهُ إِلَيَّ ، فَجَمَعُوا ذَلِكَ . فَأَتَى عُمَرَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) إِنَّ الْمُغِيرَةَ اخْتَانَ هَذَا ، فَدَفَعَهُ إِلَيَّ . فَدَعَا عُمَرُ الْمُغِيرَةَ ، فَقَالَ : مَا يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ : كَذَبَ ، أَصْلَحَك اللَّهُ ، إِنَّمَا كَانَتْ مِائَتَيْ أَلْف ، فَقَالَ : مَا حَمَلَك عَلَى ذَلكَ؟ قَالَ : الْعِيَالُ وَالْحَاجَةُ . فَقَالَ عُمَرُ لِلدِّهْقَان : مَا تَقُولُ؟ فَقَالَ : لاَ وَاَللَّه ، لأَصْدُقَنَّكَ ، وَاَللَّه مَا دَفَعَ إِلَيَّ قَلِيلًا وَلاَ كَثِيرًا . وَلَكِنْ كَرِهْنَاهُ وَخَشِينَا أَنْ تَرُدَّهُ عَلَيْنَا ، فَقَالَ عُمَرُ لِلْمُغِيرَةِ : مَا حَمَلَك عَلَى هَذَا؟ قَالَ : إِنَّ الْخَبِيثَ كَذَبَ عَلَيَّ فَأَرَدْت أَنْ أُخْزِيَهُ .

---

(١) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غيان بن عامر بن خطمة ابن جشم بن مالك بن الأوس ، الأنصاري الأوسي ، صاحب لقب ذو الشهادتين . ثم من بني خطمة ، وأمه كبشة بنت أوس من بني ساعدة ، يكنى أبا عمارة .

(٢) حذيفة بن اليمان العبسي الغطفاني القيسي ، صحابي جليل ولد في مكة وعاش في المدينة المنورة ومات سنة ٣٦ هجرية في المدائن .

فراسةُ عمْرِو بْنِ الْعَاصِ[1]

لَمَّا حَاصَرَ غَزَّةَ ، بعثَ إِلَيْه صَاحبُهَا : أَنْ أَرْسلْ إِلَيَّ رَجُلًا منْ أَصْحَابك أُكَلِّمُهُ . ففَكَّرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاص ، وَقَالَ : مَا لهَذَا الرَّجُل غَيْري فخَرجَ حَتَّى دَخلَ عَلَيْه ، فكَلَّمَهُ كَلَامًا لَمْ يَسْمَعْ مثْلَهُ قَطُّ . فقَالَ لَهُ : حَدِّثْني ، هَلْ أَحَدٌ منْ أَصْحَابك مثْلُك؟ فقَالَ : لاَ تَسَلْ ، منْ هَوَاني عنْدَهُمْ بَعَثُوني إِلَيْك ، وَعَرَّضُوني لمَا عَرَّضُوني . وَلاَ يَدْرُونَ مَا يُصْنَعُ بي . فَأَمَرَ لَهُ بجَارِيَة وَكسْوَة . وَبَعَثَ إِلَى الْبَوَّاب : إِذَا مَرَّ بك فَاضْربْ عُنُقَهُ ، وَخُذْ مَا مَعَهُ . فَمَرَّ برَجُل منْ نَصَارَى غَسَّانَ فَعَرَفَهُ . فقَالَ يَا عَمْرُو قَدْ أَحْسَنْت الدُّخُولَ ، فَأَحْسنْ الْخُرُوجَ ، فَرَجَعَ ، فقَالَ لَهُ الْملكُ : مَا رَدَّك إِلَيْنَا؟ قَالَ : نَظَرْتُ فيمَا أَعْطَيْتَني فَلَمْ أَجدْ ذَلكَ يَسَعُ مَنْ مَعي منْ بَني عَمِّي ، فَأَرَدْت الْخُرُوجَ ، فَآتيك بعَشَرَة منْهُمْ تُعْطيهمْ هَذه الْعَطيَّةَ فَيَكُونُ مَعْرُوفُك عنْدَ عَشَرَة رجَال خَيْرًا منْ أَنْ يَكُونَ عنْدَ وَاحد ، قَالَ : صَدَقْت عَجِّلْ بهمْ . وَبَعَثَ إِلَى الْبَوَّاب : خَلِّ سَبيلَهُ ، فَخَرَجَ عَمْرٌو وَهُوَ يَلْتَفتُ ، حَتَّى إِذَا أَمنَ قَالَ : لاَ عُدْت لمثْلهَا . فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ رَآهُ الْملكُ ، فقَالَ : أَنْتَ هُوَ؟ قَالَ : نَعَمْ ، عَلَى مَا كَانَ منْ غَدْرك .

فراسةُ الْعبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ذَكَرَ مُجَاهدٌ[2] قَالَ - «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - في أَصْحَابه إِذْ وَجَدَ ريحًا . فقَالَ : ليَقُمْ صَاحبُ هَذه الرِّيح فَلْيَتَوَضَّأْ . فَاسْتَحْيَا الرَّجُلُ ، ثُمَّ قَالَ : ليَقُمْ صَاحبُ هَذه الرِّيح فَلْيَتَوَضَّأْ . فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيي منْ الْحَقِّ .

فقَالَ الْعَبَّاسُ : أَلاَ نَقُومُ كُلُّنَا نَتَوَضَّأُ؟» .

وَقَدْ جَرَتْ مثْلُ هَذه الْقَضيَّة في مَجْلس عُمَرَ - رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ الشَّعْبيُّ : «كَانَ عُمَرُ في بَيْت ، وَمَعَهُ جَريرُ بْنُ عَبْد اللَّه الْبَجَليُّ . فَوَجَدَ عُمَرُ ريحًا . فقَالَ :

---

(١) عمرو بن العاص السهمي القرشي الكناني ، أبو عبد الله ، ابن سيد بني سهم من قريش العاص بن وائل السهمي ، أرسلته قريش قبل إسلامه إلى الحبشة ليطلب من النجاشي تسليمه المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة فرارا من الكفار وإعادتهم

(٢) 'مُجاهِد بْن جَبْر' مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي . ويعرف اختصاراً في المصادر والكتب التراثية بمجاهد . وهو إمامٌ وفقيه وعالمٌ ثقة وكثير الحديث ، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي .

عَزَمْت عَلَى صَاحب هَذه الرِّيح لَمَا قَامَ فَتَوَضَّأَ . فَقَالَ جَرِيرٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمنِينَ ، أَوْ يَتَوَضَّأُ الْقَوْمُ جَمِيعًا . فَقَالَ عُمَرُ : يَرْحَمُك اللَّهُ . نِعْمَ السَّيِّدُ كُنْت فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَنِعْمَ السَّيِّدُ وَأَنْتَ فِي الإِسْلامِ» .

مِنْ أَحْسَنِ الْفِرَاسَةِ

فِرَاسَةُ عَبْد الْملك بْن مَرْوَانَ لَمَّا بَعَثَ الشَّعْبِيَّ إِلَى مَلك الرُّوم فَحَسَدَ الْمُسْلمينَ عَلَيْه فَبَعَثَ مَعَهُ وَرَقَةً لَطيفَةً إِلَى عَبْد الْملك . فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ : أَتَدْرِي مَا فيهَا؟ قَالَ : فيهَا «عَجَبٌ ، كَيْفَ مَلَكَتْ الْعَرَبُ غَيْرَ هَذَا؟» أَفَتَدْرِي مَا أَرَادَ؟ قَالَ : لاَ . قَالَ : حَسَدَنِي عَلَيْك . فَأَرَادَ أَنِّي أَقْتُلُك ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : لَوْ رَآكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا اسْتَكْبَرَنِي . فَبَلَغَ ذَلِكَ مَلِكَ الرُّوم ، فَقَالَ : وَاَللَّه مَا أَخْطَأَ مَا كَانَ فِي نَفْسِي .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْفِرَاسَةِ : أَنَّ الرَّشِيدَ رَأَى فِي دَارِه حُزْمَةَ خَيْزُرَان ، فَقَالَ لوَزِيره الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيع : مَا هَذِهِ؟ قَالَ عُرُوقُ الرِّمَاحِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَمْ يَقُلْ الْخَيْزُرَانُ لِمُوَافَقَة اسْم أُمِّه .

وَنَظِيرُ هَذَا : أَنَّ بَعْضَ الْخُلَفَاء سَأَلَ وَلَدَهُ – وَفِي يَده مسْوَاكٌ – مَا جَمْعُ هَذَا؟ قَالَ : مَحَاسِنُك يَا أَمِيرَ الْمُؤْمنِينَ . وَهَذَا مِنْ الْفِرَاسَة فِي تَحْسِينِ اللَّفْظ .

وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ ، اعْتَنَى بِهِ الأَكَابِرُ وَالْعُلَمَاءُ . وَلَهُ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ فِي السُّنَّةِ وَهُوَ مِنْ خَاصِّيَّة الْعَقْلِ وَالْفِطْنَة .

فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – : أَنَّهُ خَرَجَ يَعُسُّ الْمَدِينَةَ بِاللَّيْل ، فَرَأَى نَارًا مُوقَدَةً فِي خبَاء ، فَوَقَفَ وَقَالَ : «يَا أَهْلَ الضَّوْء» . وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ : يَا أَهْلَ النَّار . وَسَأَلَ رَجُلًا عَنْ شَيْءٍ : «هَلْ كَانَ؟» قَالَ : لاَ . أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَك ، فَقَالَ : «قَدْ عُلِّمْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا ، هَلَّا قُلْتَ : لاَ ، وَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَك؟»» .

وَسُئِلَ الْعَبَّاسُ : أَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ رَسُولُ اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ –؟ فَقَالَ : هُوَ أَكْبَرُ منِّي ، وَأَنَا وُلِدْت قَبْلَهُ . وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَبَاثُ بْنُ أَشْيَمَ؟ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ – أَكْبَرُ منِّي ، وَأَنَا أَسَنُّ مِنْهُ .

وَكَانَ لِبَعْضِ الْقُضَاة جَلِيسٌ أَعْمَى ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْهَضَ يَقُولُ : يَا غُلَامُ ، اذْهَبْ مَعَ أَبِي مُحَمَّد ، وَلاَ يَقُولُ : خُذْ بِيَده ، قَالَ : وَاَللَّه مَا أَخَلَّ بِهَا مَرَّةً .

وَمِنْ أَلْطَف مَا يُحْكَى فِي ذَلِكَ : أَنَّ بَعْضَ الْخُلَفَاء سَأَلَ رَجُلًا عَنْ اسْمه؟ فَقَالَ : سَعْدٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : أَيُّ السُّعُود أَنْتَ؟ قَالَ : سَعْدُ السُّعُودِ لَك يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

وَسَعْدُ الذَّابِحُ لأَعْدَائك ، وَسَعْدُ بَلَعَ عَلَى سِمَاطك ، وَسَعْدُ الأُخْبِيَة لسرِّك ، فَأَعْجَبَهُ ذَلكَ . وَيُشْبِهُ هَذَا : أَنَّ مَعْنَ بْنَ زَائدَةَ دخَلَ عَلَى الْمَنْصُور ، فَقَارَبَ فِي خَطْوه . فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : كَبِرَتْ سنُّك يَا مَعْنُ ، قَالَ : في طَاعَتك يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : إِنَّك لجَلْدٌ . قَالَ : عَلَى أَعْدَائِك ، قَالَ : وَإِنَّ فِيك لَبَقِيَّةً ، قَالَ : هِيَ لَك .

منْ دَقيق الْفراسَة

أَنَّ الْمَنْصُورَ جَاءَهُ رَجُلٌ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ خَرَجَ فِي تجَارَة فَكَسَبَ مَالًا ، فَدَفَعَهُ إِلَى امْرَأَته ، ثُمَّ طَلَبَهُ منْهَا . فَذَكَرَتْ أَنَّهُ سُرِقَ منْ الْبَيْت وَلَمْ يَرَ نَقْبًا وَلاَ أَمَارَةً ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مُنْذُ كَمْ تَزَوَّجْتهَا؟ قَالَ : مُنْذُ سَنَةَ ، قَالَ : بكْرًا أَوْ ثَيِّبًا؟ قَالَ : ثَيِّبًا ، قَالَ : فَلَهَا وَلَدٌ منْ غَيْرك؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : فَدَعَا لَهُ الْمَنْصُورُ بقَارُورَة طيب كَانَ يُتَّخَذُ لَهُ حَادِّ الرَّائحَة ، غَرِيب النَّوْع ، فَدَفَعَهَا إِلَيْه ، وَقَالَ لَهُ : تَطَيَّبْ منْ هَذَا الطِّيب ، فَإِنَّهُ يُذْهبُ غَمَّك . فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ منْ عنْده قَالَ الْمَنْصُورُ لأَرْبَعَة منْ ثقَاته : ليَقْعُدْ عَلَى كُلِّ بَاب منْ أَبْوَاب الْمَدينَة وَاحدٌ منْكُمْ فَمَنْ شَمَّ منْكُمْ رَائحَةَ هَذَا الطِّيب منْ أَحَد فَلْيَأْت به . وَخَرَجَ الرَّجُلُ بالطِّيب فَدَفَعَهُ إلى امْرَأَته ، فَلَمَّا شَمَّتْهُ بَعَثَتْ به إِلَى رَجُل كَانَتْ تُحبُّهُ ، وَقَدْ كَانَتْ دَفَعَتْ إِلَيْه الْمَالَ ، فَتَطَيَّبَ منْهُ ، وَمَرَّ مُجْتَازًا ببَعْض أَبْوَاب الْمَدينَة ، فَشَمَّ الْمُوَكَّلُ بالْبَاب رَائحَتَهُ عَلَيْه ؛ فَأَتَى به الْمَنْصُورَ ، فَسَأَلَهُ : منْ أَيْنَ لَك هَذَا الطِّيبُ؟ فَلَجْلَجَ فِي كَلَامه . فَدَفَعَهُ إِلَى وَالِي الشُّرْطَة ، فَقَالَ إنْ أَحْضَرَ لَك كَذَا وَكَذَا منْ الْمَال فَخَلِّ عَنْهُ ، وَإِلاَّ اضْربْهُ أَلْفَ سَوْط . فَلَمَّا جُرِّدَ للضَّرْب أَحْضَرَ الْمَالَ عَلَى هَيْئَته فَدَعَا الْمَنْصُورُ صَاحبَ الْمَال ، فَقَالَ : أَرَأَيْت إنْ رَدَدْت عَلَيْك الْمَالَ تُحَكِّمُني فِي امْرَأَتك؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : هَذَا مَالُك ، وَقَدْ طَلَّقْت الْمَرْأَةَ منْك

العود

أَنَّ شَرِيكًا دَخَلَ عَلَى الْمَهْديِّ ، فَقَالَ للْخَادم : هَات عُودًا للْقَاضي - يَعْنِي الْبَخُورَ - فَجَاءَ الْخَادمُ بعُود يَضْربُ به ، فَوَضَعَهُ فِي حَجْر شَرِيك ، فَقَالَ : مَا هَذَا؟ فَبَادَرَ الْمَهْديُّ ، وَقَالَ : هَذَا عُودٌ أَخَذَهُ صَاحبُ الْعَسَس الْبَارِحَةَ ، فَأَحْبَبْت أَنْ يَكُونَ كَسْرُهُ عَلَى يَدَيْك ، فَدَعَا لَهُ وَكَسَرَهُ .

فِرَاسَةُ السَّائب بن الأقرع[1]

أنَّ أبا موسى الأشعري[2] وجَّه السَّائب بن الأقرع في خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إلى مهرجا ، بعد أن فتحها ودخل دار الهرمزان[3] ، بعد أن جمع السَّبي والغنائم ، ورأى في بعض مجالس الدَّار تصاوير فيها مثال ظبي ، وهو مُشير بإحدى يديه إلى الأرض ، فقال السَّائب : لأمر ما صُوِّر هذا الظَّبي هكذا ، إنَّ له لشأنًا ، فأمر بحفر الموضع الذي الإشارة إليه ، فأفضى إلى موضع فيه حوض من رخام ، فيه سفط جوهر ، فأخذه السَّائب ، وخرج به إلى عمر رضي الله عنه .

فِرَاسَةُ إبراهيم الخواص[4]

قال إبراهِيم الخَوَّاص : (كنت في الجَامع ، فأقبل شابٌّ طيِّب الرَّائحة ، حَسن الوَجْه ، حَسن الحُرْمَة ، فقلت لأصحابنا : يقع لي أنَّه يَهُوديٌّ . فكلُّهم كِرَه ذلك ، فخرجت ، وخرج الشَّاب ، ثمَّ رجع إليهم ، فقال : إيش قال الشَّيخ؟ فاحتشموه ، فألحَّ

---

(١) هو السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر بن سفيان بن سالم بن مالك الثقفي . كان السائب بن الأقرع صغيرًا عندما رأى الرسول فلذلك لم يدرك الجاهلية . دخلت أمه مليكة تبيع العطر مع النبي فقال لها : «يا مليكة ألك حاجة» ، قالت : نعم قال : «فكلميني فيها أقضها لك» . فقالت : لا والله إلا أن تدعو لابني وهو معها وهو غلام ، فأتاه فمسح برأسه ودعا له . وبذلك نال السائب شرف وضع يد النبي على رأسه .

(٢) أبو موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري خرج وخمسون نفرا من قومه من اليمن أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله محمد بن عبد الله بخيبر .

(٣) الهُرمُزان أحد قادة الفرس إبان الفتح الإسلامي ، وكان قائد الجيش الفارسي في الأحواز . الهرمزان حا م الأهواز . أثناء فتح فارس في عهد يزدجرد الثالث .

(٤) هو ابرهيم بن أحمد بن اسماعيل ، كنيته أبو اسحاق . ولد في «سر من رأى» . ومات بالري وبها قبره وتولى غسله ودفنه يوسف بن الحسين سنة ٢٩١هـ ، وهو أحد من سلك طريق التوكل . وكان أوحد المشايخ في وقته ؛ صحب أبا عبد الله المغربي وكان من أقران الجنيد ، والثوري . وله في السياحات والرياضات مقامات يطول شرحها ، قيل : مرض بالجامع ، وكان به علة القيام ، وكان إذا قام يدخل الماء ، يغتسل ويعود إلى المسجد ، ويركع ركعتين ، فدخل مرة الماء ، فخرجت روحه فيه .

عليهم ، فقالوا : قال : إنَّك يَهُوديٌّ . فجاء فأكبَّ على يدي ، فأَسْلَم ، فقلت : ما السَّبَب؟ فقال : نَجِد في كتَابنَا أنَّ الصِّدِّيق لا تخطئ فِرَاسَته . فقلت : أمتحن المسلمين ، فتأمَّلتهم ، فقلت : إنْ كان فيهم صدِّيق ، ففي هذه الطَّائفة ، فلَبِست عليكم ، فلمَّا اطَّلع هذا الشَّيخ عليَّ ، وتفَرَّسني ، علمت أنَّه صدِّيق .

فِرَاسَة الشَّيخ عبد العزيز بن باز[1]

كان الشَّيخ عبد العزيز صاحب بصيرة نافذة ، وفِرَاسَة حادَّة ، يعرف ذلك جيِّدًا من عاشره وخالطه ، وأخذ العلم على يديه . وممَّا يؤكِّد على فِرَاسَته ، أنَّه يعرف الرِّجال وينزلهم منازلهم ، فيعرف الجادَّ منهم في هدفه ومقصده من الدُّعاة وطلبة العلم ، فيكرمهم أشدَّ الإكرام ، ويقدِّمهم على من سواهم ، ويخصُّهم بمزيد من التَّقدير ، ويسأل عنهم وعن أحوالهم دائمًا ، وله فِرَاسَة في معرفة رؤساء القبائل ، والتَّفريق بين صالحهم وطالحهم ، وله فِرَاسَة -أيضًا- في ما يعرض عليه من المسائل العويصة ، والمشكلات العلميَّة ؛ فتجده فيها متأمِّلًا متمعِّنًا لها ، تُقْرأ عليه عدَّة مرَّات ، حتى يفكَّ عقدتها ، ويحلَّ مشكلَها ، وله فِرَاسَة -أيضًا- في ما يتعلق بالإجابة عن أسئلة المستفتين ، فهو دائمًا يرى الإيجاز ووضوح العبارة ، ووصول المقصد ، إن كان المستفتي عامِّيًا من أهل البادية ، وإن كان المستفتي طالب علم حريص على التَّرْجيح في المسألة ، أطال النَّفَس في جوابه مع التَّعليلات وذِكْر أقوال أهل العلم ، وتقديم الأرجح منها ، وبيان الصَّواب بعبارات جامعة مانعة .

الفِرَاسَة في الأمثال والحِكَم

من لم ينْتَفع بظنِّه ، لم ينْتَفع بيقينه . يُضْرب في حَمْد الفِرَاسَة .

وقال محمَّد بن حرب : (صواب الظَّنِّ ، الباب الأكبر من الفِرَاسَة) .

وقالوا : ولا بدَّ في باب البصر بجواهر الرِّجال من صِدْق الحسِّ ، ومن صحَّة الفِرَاسَة ، ومن الاستدلال في البعض على الكلِّ ، كما استدلَّت بنت شُعيب-

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز ، قاض وفقيه سعودي . شغل منصب مفتي عام المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٩٢ حتى وفاته .

صلوات الله عليه–حين قضت لموسى –عليه السَّلام–بالأمانة والقوَّة ، وهما الركنان اللَّذان تُبنى عليهما الوكالة .

و(كان ابن الزُّبير يقول : لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه .

ويقال : من لم تعرفك غائبًا أذناه ، لم تعرفك شاهدًا عيناه .

وقيل : كما أنَّ الأبصار تنطبع فيها المشاهدات إذا سَلِمَت من صدأ الآفات ، فكذلك العقول مَرَايَا تنطبع فيها الغائبات ، إذا سَلِمت من صدأ الشَّهوات .

وأشار ابن عبَّاس على عليٍّ –رضي الله عنهم–بشيء ، فلم يعمل به ، ثمَّ ندم ، فقال : ويح ابن عبَّاس ، كأنَّما ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق .

يقال : ألْمَعِيَّته ألْمَعِيَّة ابن عبَّاس ، وفراسته فِرَاسَة إياس .

ويقال : فلان جاسوس القلوب . إذا كان حاذق الفِرَاسَة ، وإنَّ له نظرة تهتك حجب الضَّمير ، وتصيب مقاتل الغيب ، وتنكشف لها مغيَّبات الصُّدور ، ويقال : هذه فِرَاسَة ذات بصيرة . أي : صادقة .

حكاية عزلت القاضي

كان الخليفة العباسي المأمون يحب العدل ويكرم القضاة العادلين ويسأل عن أحوالهم ، وذات يوم جاءه رجلٌ من بلدةٍ بعيدة فسأله الخليفة : كيف حال القاضي معكم؟

فقال الرجل : معاذ الله يا أمير المؤمنين . إن لدينا قاضياً لا يفهم ، وحاكماً لا يرحم .

فشعر الخليفة بالغضب وصاح : ويحك ، وكيف ذلك؟!

أجاب الرجل : سأحكي لك يا أمير المؤمنين واحدةً من حكاياته . كنت أطلب رجلاً أربعةً وعشرين درهماً ، والرجل يماطل في ردها لي ، فأخذته إلى القاضي . وقلت له : يا سيدي لي عند هذا الرجل أربعةٌ وعشرون درهماً . فقال له القاضي : رد للرجل ماله .

فقال الرجل : أصلح الله القاضي . عندي حمارٌ أشتغل عليه فأكسب أربعة دراهم كل يوم . . وأخذت أوفر كل يوم درهمين ، حتى صار عندي بعد اثني عشر يوماً أربعٌ وعشرون درهماً ، وحينما ذهبت إلى هذا الرجل –وأشار إلي– لم أجده ، وظل غائباً حتى اليوم .

فسأله القاضي : وأين الدراهم الآن .
رد الرجل : لقد صرفتها .
فعاد القاضي يسأله : ومتى ستعيد للرجل دراهمه .
فقال الرجل : أرى أن تحبسه اثني عشر يوماً حتى أجمع له أربعاً وعشرين درهماً فأعطيها له . لأنني أخشى إن جمعتها وهو حر لم أجده فأصرفها ثانيةً . . .
ضحك المأمون وقال : وماذا فعل القاضي؟
فقال الرجل : لقد حبسني يا أمير المؤمنين اثني عشر يوماً لأسترجع دراهمي .
فازداد ضحك المأمون وأمر بعزل ذلك القاضي .

جزاء الخيانة

قال ابن الجوزي[1] مؤلف كتاب (الأذكياء) : علمت أن رجلاً جاء إلى بغداد ، وهو في طريقه إلى مكة للحج ، وكان معه عقدٌ من اللؤلؤ النادر الثمين يساوي ألف دينار . أراد الرجل أن يبيع العقد لكنه لم ينجح لأنه طلب فيه مبلغاً كبيراً ، وعندما قرب موعد الحج ذهب الرجل إلى عطارٍ (بقال) موصوف بالخير والأمانة . . وقال له : يا أخي لقد عزمت الذهاب إلى الحج ومعي هذا العقد ، ولكنني أخاف أن يسلبه اللصوص مني في الطريق ، فأرجو أن تجعله أمانةً عندك حتى أعود من السفر .

نظر العطار إلى العقد فأصيب بالانبهار . فلقد كان عقداً ثميناً حقاً وقال : اذهب يا أخي وكن مطمئناً فعقدك عندي حتى تعود .

ذهب الرجل إلى الحج وأدى الفريضة ثم عاد إلى بغداد وهو يحمل معه هديةً من بيت الله إلى العطار ، فلما وصل بيته قرع عليه الباب فأطل العطار من النافذة .

قال الرجل : السلام عليكم يا صديقي . . لقد جئتك بهديةٍ من مكة ، فسأله العطار منكراً : من أنت؟

أجاب الرجل : أنا صاحب العقد ألا تذكرني؟

وقبل أن يتم الرجل كلامه رفسه العطار رفسةً قويةً ألقت به بعيداً ، فاجتمع

(١) ابن الجوزي ، هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري . فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم ولد وتوفي في بغداد . حظي بشهرة واسعة ، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف ، كما برز في كثير من العلوم والفنون .

الناس حوله ، وحكى لهم قصة العقد الذي أودعه عند العطار ، فسخر الناس منه وكذبوه قائلين : يا رجل . ألم تجد غير العطار تدعي عليه مثل هذه الكذبة؟ إنه رجلٌ أمين .

فتحير الحاج وذهب للرجل في دكانه في اليوم التالي وطالبه بالعقد فلم يحصل منه على غير الشتم والضرب .

جلس الحاج في السوق يائساً باكياً يندب سوء حظه وضياع عقده ، فأوصاه أحد المارة بأن يذهب إلى الحاكم عضد الدولة(١) ، فله في مثل هذه الأمور فراسةٌ وذكاء .

ردد الرجل في نفسه : سأذهب إليه . . الذهاب خيرٌ لي من الجلوس والبكاء .

سمع عضد الدولة الحكاية ، وأحس بصدق الحاج وخيانة العطار وقرر أن يكشف الجريمة فقال للحاج :

اذهب إلى دكان العطار غداً ، واقعد على دكته ، فإن منعك فاجلس على دكة تقابل دكانه من الصباح حتى المغرب ، ولا تكلمه ، وكرر جلوسك هذا ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع سوف أمر عليك ، فلا تنهض لي ولا تكلمني إلا بمقدار ما أسألكَ عنه . وعندما أنصرف عنك تقدم نحو العطار واطلب منه أن يرد العقد ، فإن رده عليك فتعال إلي .

فهم الحاج كلام عضد الدولة . وانطلق ليجلس أمام دكان العطار ثلاثة أيام متتالية ، وكان العطار يراه ولا يكلمه .

وفي اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة السوق وهو بموكبه العظيم على فرسه ، يحيط به الخدم والحشم ويلتف حوله الحراس والمرافقون ، والناس تتفرج عليه ، وعندما وصل عضد الدولة إلى دكان العطار ورأى الحاج جالساً أمامه . . قال له : السلام عليكم .

فلم ينهض الحاج من مكانه بل اكتفى برد السلام . وشعر الناس بالدهشة وتساءلوا من يكون هذا الرجل الذي سلم عليه عضد الدولة فلم ينهض له ويبالغ في احترامه؟ فقال عضد الدولة مخاطباً الحاج : يا أخي كيف تصل إلى بغداد ولا تزورنا ، ولا تعرض علينا حاجاتك ومشاكلك؟

---

(١) عضد الدولة ، هو أحد سلاطين بني بويه ، تولى الحكم في بغداد أثناء فترة حكم البويهين أي قبل ألف عام تقريباً ، كان مشهوراً بالحزم والعدل والذكاء ، وعرف برعايته للعلم والعلماء . توفي عام ٩٨٣ للميلاد .

فلهم يهتم الحاج لكلام عضد الدولة بل كان يجيب بأجوبة سريعة متفق عليها سابقاً . فانصرف عضد الدولة وترك الحاج في مكانه ، وكان العطّار يراقب ما يجري وهو يشعر بخوف شديد . وراح يندب سوء حظه ويردد في نفسه : آه . . كيف أنكرت عقد هذا الرجل . . ويبدو أنه قريب عضد الدولة؟ الويل لي . .

وهنا توجه الحاج إلى دكان البقال وقال له : أرجع لي العقد أيها العطار .

تلعثم العطار وارتبك وقال : حسناً . . حسناً . . المعذرة . سأرده إليك . اللعنة على النسيان . لقد تذكرتك وتذكرت عقدك الآن .

أخرج العطار العقد من جرة كانت في دكانه وقدمه للحاج وهو يكاد يغمى عليه من الخوف .

أخذ الحاج العقد وذهب به إلى عضد الدولة وأخبره بما جرى . فأمر عضد الدولة حاجبه أن يأخذ العقد ويعلقه في عنق العطار ويصلبه بباب دكانه . وراح الحراس ينادون : هذا جزاء من خان الأمانة .

وعندما ذهب الناس سلم الحاجب العقد إلى صاحبه فأخذه وانصرف إلى بلدته وهو يلهج بحكمة عضد الدولة وعدالته .

الفهرس